مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة التاسعة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٧ هـ — يناير سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٢ —

يقول الله تعالى :

« وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » •

« والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » •

لقد تحدثنا فى مقالنا السابق عن أن هناك مستويات هى من الكمال بحيث لا يتناسب معها الشعر ،

وذلك مثل مستوى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكلام الله سبحانه وتعالى يتنزه مستواه عن مستوى الشعر ، ولكن الآيتين الأوليين لا يوحيان بتحريم الشعر .

أما الآيات التى وردت فى سورة الشعراء ، فلو اقتصرت على الآيات الثلاث الأولى ، لأوحت بتحريمه ، ولكن ورد بعدها استثناء : فانتفى التحريم المطلق ، وانتفى أيضا أن يكون الشعر حلالا مطلقا .

انهذا الاستثناء قد وضع شروطا، وهذه الشروط توافرت فى كثير من الشعراء : اما فى جميع مراحل حياتهم واما فى ختامها ، وقد روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لحسان بن ثابت » :

« اهجهم ـ (أى المشركين) ـ أو قال : « هاجهم ، وجبريل معك » .

وأخرج الامام «أحمد» فى مسنده، عن « كعب بن مالك » أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قد أنزل فى الشعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » .

ويبدأ الاستثناء ، وتبدأ الشروط بقوله تعالى :

(الا الذين آمنوا)

والايمان حينما يتمكن من القلب يعصمه من قول الفحشاء ، ومن التغنى بها ولكن الايمان أحيانا يكون مجرد تصديق لا ينتهى الى عصمة الانسان عن قول السوء ، ومن أجل ذلك أتبعه الله تعالى بقوله :

(وعملوا الصالحات)

وما من شك فى أن عمل الصالحات من أهم ما يعصم الانسان عن التردى فى مهاوى الضلال وأنه مما يمسك الانسان عن الانحراف فى عمل الصالحات أن يكون الله تعالى مذكورا دائما فى شعوره وفى احساسه ومن أجل ذلك أضاف الله تعالى قوله :

(وذكروا الله كثيرا) .

والله سبحانه وتعالى يأمر فى عدة مواضع من الكتاب الكريم بالذكر الكثير ، وهو سبحانه يأمر بذلك فى اطلاق مطلق ، ولكنه سبحانه يذكر أحيانا اشارة موجهة ، أو لمحة منبهة أو ملحظا تعليليا جليلا يبين مكانة الذاكرين ، كما يقول تعالى مثلا :

(ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار) .

فهو سبحانه وتعالى هنا جعل الذكر من سمات أولى الألباب ، ومن طابعهم .

ويقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

فهو سبحانه فى هذه الكلمات القرآنية الكريمة يقول :

(فاذا قضيت الصلاة)

ولم يقل : فاذا قضى الذكر ، لأن الذكر ممتد ، وقته دائم لا ينقضى ولا يزول ، ثم بين الله تعالى فى آخر الآيتين الكريمتين من أواخر سورة الجمعة ، أن الذكر الكثير سبب الفلاح والمفلحون هم الفائزون حقا وهم الذين نالوا مرضاة الله تعالى .

ونبه الله تعالى الشعراء الى أن مما يأخذ بهم الى طريق الهدى فى شعرهم الذكر الكثير وشرط آخر ينبغى أن يتوافر فى الشعراء حتى يكونوا ممن يسير على الجادة ، وذلك هو ما عبر الله تعالى عنه بقوله :

(وانتصروا من بعد ما ظلموا) .

وهذا الشرط يمكن الحديث فيه كثيرا .

يمكن أن يقال : ان بعض الشعراء أرباب أقلام وليسوا أرباب سيوف ، أن الجرأة تنقصهم ، والاقدام ليس

حليفا لهم ، فشاء الله تعالى أن ينبههم الى أن المؤمن الصادق شجاع مقدام، وكما يستعمل لسانه فى قول الحكمة، فانه ينبغى أن يستعمله فى الانتصار للحق ، وفى رد الظلم ، وفى الوقوف فى وجه الباطل ولا بد ليكون الشاعر شاعرا اسلاميا من أن يتوافر فيه :

- الايمان .
- العمل الصالح .
- الذكر الكثير .
- الوقوف فى وجه الظلم .

وتنتهى هذه الآيات من سورة الشعراء بقوله تعالى :

(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

وهى كلمة أبلغ وأوضح من كل تفسير .

ونعود الآن الى الموضوع من جديد لنرى ما روى فيه من آثار ، وما قاله أسلافنا من مفسرين ومن فقهاء فى الموضوع .

يقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

« الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » .

ويقول « أبو عمرو » ــ فيما رواه القرطبى :

« ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم ، وموضع القدوة الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به أو سمعه فرضيه : ما كان حكمة أو مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ، ولا لمسلم أذى ، فاذا كان كذلك فهو المنثور من القول سواء، لا يحل سماعه ولا قوله ، وروى « أبو هريرة » قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول :

«أصدق كلمة ــ أو أشعر كلمة ــ قالتها العرب قول لبيد :

«ألا كل شىء ما خلا الله باطل» .

أخرجه مسلم ، وزاد : « وكاد « أمية بن ابى الصلت » أن يسلم» .

وروى عن « ابن سيرين » أنه أنشد شعرا ، فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر ؟

فقال : ويلك يا لكع ــ وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا فى القوافى ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

ويروى الامام « مسلم » من حديث « عمرو بن الشريد » ، عن أبيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « هل معك من شعر « أمية بن أبى الصلت » ؟

قلت نعم ــ قال : «هيه» فأنشدته بيتا فقال : « هيه » حتى أنشدته مائة بيت ومما عقب به صاحب الجامع لأحكام القرآن على ذلك قوله :

« وفى هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها اذا تضمنت الحكم ، والمعانى المستحسنة » شرعا وطبعا وانما استكثر النبى صلى الله عليه وسلم من شعر « أمية » لأنه كان حكيما ، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام :

« وكان أمية بن أبى الصلت أن يسلم » فأما ما تضمن ذكر الله وحده والثناء عليه فذلك مندوب اليه .

وكانت هناك مواقف محددة لبعض الخلفاء من الشعراء الذين يقولون هجرا ، من ذلك موقف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ــ كما ذكر الزبير بن بكار اذ قال : حدثنى مصعب بين عثمان أن « عمر ابن عبد العزيز » لما ولى الخلافة لم يكن له هم الا « عمر بن أبى ربيعة » والأحوص ــ الشاعران ــ فكتب الى عامله على المدينة « انى قد عرفت عمر والأحوص بالشر والخبث فاذا أتاك كتابى هذا فأشدد عليهما ، وأحملهما الى ــ فلما أتاه الكتاب حملهما اليه فأقبل على عمر ، فقال : « هيه » .

فلم أر كالتجمير منظر ناظر
ولا كليالى الحج أفلتن ذاهوى

وكم مالىء عينيه من شىء غيره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

أما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شىء غيرك ، فاذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فمتى يفلتون ؟

ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أو خير من ذلك ؟ فقال : هو ؟ قال : أعاهد الله أنى لا أعود

الى مثــل هــذا الشعر ، ولا أذكر النساء فى شعر أبداً ، وأجدد توبة .

فقال : أو تفعل ؟

قال : نعم ـ فعاهد الله على توبته وخلاه ـ ثم دعا بالأحوص .

فقال : هيــه

اللــــه بينى وبين قيّمهـــا
يفــر منى بهـــا وأتبـــع

بل الله بين قيمها وبينك ـ ثم أمر بنفيه ـ فكلمه فيه رجال من الأنصار ، فأبى وقال : والله لا أرده ما كان لى سلطان ـ فانه فاسق مجاهر » .

فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه ـ فلا يحل سماعه ولا انشاده فى مسجد ولا غيره ـ كمنثور الكلام القبيح ونحوه .

وروى اســماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قــال رسول الله صلى الله عليه وســـلم :

« حسن الشعر كحسن الكلام ، وقبيحـــه كقبيـــح الكلام » ، رواه اسماعل « عن عبد الله الشامى » ، وحديثه عن أهل الشام صحيح ـ فيما قال « يحيى بن معين » وغيره .

وروى « عبدالله بن عمرو بن العاص » ـ قال ـ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشعر بمنزلة الكلام : حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .

وبعد : فان الآيات القرآنية الكريمة « من سورة يس ، ومن سورة الشعراء » تحدد تحديدا دقيقا موقف الاسلام من الشــعر وما ذكرناه من حديث شريف أو قول لبعض أســلافنا أو موقف للامام الورع الخليفــة عمر ابن عبد العزيز انما هو ايضاح لمــا ورد فى القرآن موجز ومعجز .

وللحديث بقية ان شاء الله .

دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

محمد إقبال في مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم

للعلامة : أبو الحسن الندوي

لقد عاش الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام وفيلسوف العصرمدة حياته فى حب النبى صلى الله عليه وسلم والاشواق الى مدينته، وتغنى بهما فى شعره الخالد ، وقد طفحت الكأس فى آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه وانهمرت الدموع ، ولم يقدر له الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لجسمه الضعيف الذى كان يعانى الأمراض والأسقام ، ولكنه رحل الى الحجاز بخياله القوى ، وشعره الخصب العذب ، وقلبه الولوع الحنون ، وحلق فى أجواء الحجاز ، وتحدث الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه ، وحبه واخلاصه ووفاؤه (١) وتحدث اليه عن نفسه وعن عصره ، وعن أمته ، وعن مجتمعه وقد فاضت فى هذا الحديث قريحة الشاعر ، وانفجرت المعانى والحقائق التى كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها ، وينتظر فرصة اطلاقها ، وقد رأى أن فرصتها قد حانت وهذا أولها ومكانها ، فكان شعره فى النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أبلغ اشعاره وأقواها وكان حشاشة نفسه وعصارة عمره وتجاربه وكان تصويرا لعصره وتقريرا عن امته وتعبيرا عن عواطفه .

لقد قال محمد اقبال هذه الأبيات وهو يتخيل أنه مسافر الى مكة والمدينة يهوى به العيس ، ويسير به الركب على رمال وعساء يتخيل بشدة شوقه وحبه أنها أنعم من الحرير وأن كل ذرة من ذراتها قلب

(١) ليس هذا الحديث من الاستغاثة فى شىء انما هو أسلوب من أساليب الشعر والحب استعمله الشعراء قديما وحديثا .

يخفق فيطلب من السائق أن يمشى رويدا ويرفق بهذه القلوب الخفاقة، ويحدو الحادى بما لا يفهمه فتثور أشجانه ، وتترنح أعطافه ، وتهيج شاعريته : وتنطلق قيثارته بشعر رقيق بليغ •

ثم يسعد بالمثول بين يدى الرسول فيصلى ويسلم عليه بما يفتح الله به عليه ، وينتهز الفرصة ، فيحدثه عن نفسه وبلاده : والفترة التى يعيش فيها ، وعن أمته وعن الأزمات والمشاكل التى تعانيها وما فعل بها الزمان وطوارق الحدثان وما فعلت بها هذه الحضارة الغربية ، والفلسفات المادية ، وما فعلت برسالتها والأمانة التى حملتها وأين هى من ماضيها وخصائصها ، يرثى لها تارة ويبكى ويشكوها مرة ويعاتب ويشكو غربته فى وطنه ووحدته فى مجتمعه ، وضيعة رسالته فى أمته ، وقد سمى هذه المجموعة بـ : « هدية الحجاز » كأنها هدية حملها من الحجاز لاصدقائه وتلاميذه ، ولاشك أنها هدية مباركة للعالم الاسلامى ، ونفحة فائحة من نفحات الحجاز •

يقوم الشاعر بهذه الرحلة الحبيبة وقد أربى على الستين ووهنت قواه فى سن يفضل فيها الناس الراحة والاقامة ، فما باله يسافر وهو شيخ ، وقد أضعفه المرض والشيب ، والسفر الى الحجاز شاق مضن ، وقد نصحه الأطباء والأحبة بالراحة والهدوء ــ ولكنه يعصيهم ويطيع أمر الحب ، ويلبى نداء الشوق ويقول :

«لقد توجهت الى المدينة رغم شيبى وكبر سنى ، أغنى وانشد الابيات فى سرور وحنين ، ولاعجب فان الطائر يطير فى الصحراء طول نهاره ، فاذا أدبر النهار وأقبل الليل ، رفرف بجناحيه وقصد وكره ليأوى اليه ويبيت فيه •

كأنه يقول لماذا تعجبون اذا قصدت المدينه وهى وكر طائر الروح ومأزر المؤمن فى أصيل حياتى ، وفى سن أشرقت فيها شمس الحياة على الغروب أما رأيتم الطائر اذا جن الليل أسرع الى وكره •

بدأ محمد اقبال سفره وهو شيخ مريض ، وسارت به الناقة بين مكة والمدينة سيرا حثيثا ، وقد قال لها : رويدك ياحبيبتى فان راكبك

لاغب ومريض، وكبير السن، فمشت فى نشوة وطرب ولم تبال كأن الصحراء حرير تحت أرجلها .

يسير الشاعر فى هذا الركب الحجازى الذى يحدو بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويريد الشاعر ان يسجد سجدة على هذه الرمضاء، يدوم أثرها فى جبهته طول حياته ، ويقترح ذلك على أصحابه وزملائه .

ويملكه الشوق ، فيحدو وينشد أبياتا من شعر العراقى (١) والجامى فيتساءل الناس من هذا الأعجمى الذى يغنى ويحدو بلغة لا تفهمها ولكنها نغمة تشجى القلوب وتملؤها ايمانا وحنانا حتى يذهل الرجل فى هذه الصحراء عن الغذاء والماء ؟

ويلذ الشاعر بكل ما يعتريه فى الطريق ، من سهر ، وعناء ، وقلة طعام وشراب ولا يستطيل الطريق ولا يستبطىء الوصول بل يقترح على سائه أن يأخذ طريقا أطول حتى يعيش فى هذه الأشواق ، وفى هذا الحنين مدة أوسع وتشتد لوعة الفراق لأنها زاد العشاق ونزهة المشتاق .

وهكذا يطوى محمد اقبال هذه المسافة فى سرور وحنين ، حتى يصل الى المدينة فيقول لزميله : تعال يا صديقى نبك سرورا وتتحدث ساعة ونرسل النفس على سجيتها فان لنا شأنا مع هذا الحبيب الذى أسعدنا به الحظ بعد طول فراق وشدة اشتياق .

ويقبل على نفسه فيتعجب كيف اختص من بين اقرانه بهذه السعادة ثم يقول : لا عجب فان المحبين المتيمين أكرم هنا من الحكماء المتفلسفين ، يا سعادة الجد ، ويا حسن الطالع ، لقد سمح لصعلوك مسلوك ان يدخل على السلاطين والملوك .

ولا يلبث محمد اقبال وهو فى هذا الفيض من السرور والسعادة أن يذكر أمته المسلمة ، والشعب المسلم الهندى ، يذكر آلامهما ، وآمالهما ، فيذكر كل ذلك فى بلاغة الشاعر ،

(١) شاعران فارسيان لهما قصائد وأبيات سائرة فى الآفاق فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

وصداقة الرائد ، ومـا اجملهما اذا التقيا يقول :

« ان هذا المسلم البائس ، الذى لا تزال فيه بقية من شمم واباء وأنفه الملوك وعزة الآباء لقـد فقد مـع الأيام ، يارسول الله ، لوعة القلب واكسير الحب ان قلبه حزين منكسر ولكنه لا يعرف سر ذلك .

بماذا أحدثك يا رسـول الله . عن آلامه ورزيئته ، حسبك انه هوى من قمـة عالية ، انه هبـط من تلك العلياء التى وصلت به اليها ، وكلما ارتفع المكان الذى يسقط منه كان ألمه شديدا ، وكانت الصدمة عظيمة ، فلطف الله بهـذه الأمـة المنكوبـة الهاوية ، من قمة المجد العالية » .

« انه لا يزال الزمان يعاديه ، ولا يزال ركبه تائها فى الصحراء ، بعيدا عن غايته ومنزله ، حسبك من هذه الأمة ، وما يسود فيها من الفوضى والاضطراب انها تعيش من غير امام

« ان غمده فارغ ككيسه ، فهو أعزل فقير ، وان الكتاب الذى فتح به العالم وضعه فى بيته الخرب ، على طاق تراكمت عليه الأتربة ونسـج عليه العنكبوت .

« انه أصبح بطول عهده بالمغامرات والبطولات ، لايفهم لغة المغامريـن واهابة الشجعان المجاهدين ، وقـد ألف نغمة المغنين ، وعاش بين الزفرات والأنين » .

« وان عينه فقدت النـور ، وان قلبـه حرم السرور . ان رزيئته أن يعيش ولا يعرف لذة الوصـال والحضور » .

ثم يذكر الفرق بين ماضيه العظيم الذى كان فيه موضع رعاية وعناية واحتفـاء وحاضره القاسى الكالح ، وكيف صعب عليه ان يتقشف ويعتمد على نفسه ، ويكدح فى الحياة وما أبلغ قوله :

« انه طائر مدلل ، كنت تطعمه بيدك وقد ربيته بالفواكه فشق عليه البحث عن رزقه وقوته فى الصحراء »

ويتذكر محمد اقبال فتنة اللادينية التى توجهت الى العالم الاسـلامى

ويعرف محمد اقبال ـ وهو من كبار علماء الفلسفة والسياسة وعلم الاقتصاد ـ أن سببها النظر المادى البحت ، وخواء الروح ، وبرودة القلب ، وباعثها هو الحياة المترفة الباذخة التى يعيشها كثير من الناس، ويعتقد أنه لا سبيل الى محاربة هذه اللادينية ، والفلسفة الاقتصادية المادية الا الحياة التى تقوم على الحب والزهد والحياة التى كان يعيشها أبو بكر الصديق ، المحب الزاهد ، فيتمنى للمسلمين هذه الحياة المثالية التى يسيطر عليها الحب والزهد ، واذا وجدت هذه الحياة اضطر الناس الى تقديرها واجلالها .

انه لا يعلل انحطاط المسلمين بالفقر والضعف فى المادة بل يعلله بانطفاء تلك الشعلة التى التهبت فى صدورهم ويقول : « ان أولئك الفقراء ـ المسلمين الأولين ـ لما عرفوا كيف يقومون أمام ربهم فى صف واحد ، استطاعوا أن يمسكوا بتلابيب الملوك ولما انطفأت هذه الجذوة فى صدورهم انطووا على نفوسهم ، وأووا الى الزوايا والتكايا

وانه ليستعرض تاريخ المسلمين ، فيرى فيه ما يخجل كل مسلم ، يرى فيه مالا يتفق مع الرسالة المحمدية وتعاليمها ومثلها العليا ويرى فيه من شرك وعبادة لغير الله ، وخضوع للجبابرة والطغاة ، ما يندى له الجبين حياء ، يذكر « اقبال » ذلك كله ويطرق رأسه حياء أو خجلا ، ويقول فى صراحة واعتراف ، وبلاغة وايجاز : « ان جملة القول ما كنا جديرين بك يا رسول » .

ويلقى نظرة على العالم الاسلامى، وقد جال فى أنحائه وعرف مراكزه فيشكو ضعفه وفقره المعنوى ويقول فى اجمال : ان المراكز الروحية (الرباطات والزوايا) أصبحت فقيرة لا تملك غذاء القلب ولا تحمل رسالة الحب ، والمراكز العلمية (المدارس بمعناها الواسع) غلب عليها التقليد ، فهى تردد ما تلقته فى الماضى فى غير ابداع وابتكار ، وهى كثور الطاحون يدور فى دائرة

واحدة ، أما أندية الشعر والأدب فقد خرجت منها كئيبا حزينا ، فليس فى نغماتها وأفكارها ما يبعث الروح ويثير الطموح انه شعر بارد يخرج من قلب بارد ، وأدب ميت يصدر عن أديب ميت » .

ويقول : « قد ضربت فى مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدت المدن تغص بالمسلمين الذين يفرقون من الموت ، أما المسلم الذى يفرق منه الموت فلم أر له عينا ولا أثرا » !! .

ويذكر السر فى ضعف المسلمين وتشتت أهوائهم وخمودهم فيقول: « لقد شق على ما أراه من سوء حال المسلمين يوما وشكوت الى ربى ، فقيل : ألا تعرف هؤلاء الذين يحملون القلوب ولا يعرفون المحبوب ؟ يعنى أنهم يملكون مادة الحب ولكنهم لا يعرفون من يشغلونها به ويوجهونها اليه فقلوبهم تائهة وعقولهم مضطربة وجهدهم ضائع ، وعملهم ضعيف ، وحياتهم لا لذة فيها ولا سرور ، وهى حياة من رزق القلب ، وحرم الحب ، أو حياة من عرف الحب وجهل المحبوب ، انها لا شك حياة عذاب وشقاء وحياة حيرة وضلال .

ولكنه رغم ذلك كله غير يائس من المسلمين ، وغير قانط من رحمة الله بل ينتقد رجال الدين فى يأسهم من المسلمين وقطعهم الرجاء من نهضتهم وتعليقهم الأمل بغيرهم ، ويقول فى عتاب وتألم : » ان أحوالهم وأحاديثهم تنم عن أنهم يائسون من جميع أسباب الخير ، وأنهم متشائمون ، ينظرون الى المسلمين والى الحياة بمنظار أسود ويقول : « ان المسلم وان كان قد تجرد عن أبهة الملك والسلطان ، ولكن ضميره وتفكيره ، لا يزالان ضمير الملوك وتفكيرهم ، وأنه وان ضمير الملوك وتفكيرهم ، وانه وان جماله جلالا ، وكانت له سطوة لا تطاق » .

وهنا يقبل محمد اقبال الى نفسه ، فيحكى حكايتها ، ويشكو مايعانيه من أهل عصره ومجتمعه ، يقول : « انى أستحق العطف والعناية فانى

فى صراع عنيف ، وحرب دامية مع عصرى المادى » .

ولا شك أن اقبال قضى حياته فى صراع مع العصر الحاضر ، وقد كفر بالحضارة الغربية والفلسفة المادية ، وتحداهما ، وانتقدهما وزيفهما فى شجاعة وعلى بصيرة وخبرة ، وقد كان مربى جيل جديد مؤمن بالله واثق بنفسه ، معتد بشخصيته وشخصية الاسلام كافر بالأسس المادية والتفكير المادى الذى قامت عليه الحضارة الغربية وحق له أن يقول : « لقد أذنت فى الحرم ، كما أذن بالأمس جلال الدين الرومى ، فقد تعلمت منه أسرار الروح والحب ، لقد كان ثائرا على فتن عصره وكنت ثائرا على فتن عصرى » .

ويذكر تمرده على العلوم الغربية وتفلته من شباكها واحتفاظه بعقيدته، وايمانه وخصائصه ، ويقول بحق وجدارة « كنت كطائر يقع على شبكة ، فيقرض الحبال ويأخذ الحب ويطير بسلام ،» وكذلك كان . فقد ظفر بلب العلوم الغربية ولبابها ورمى بقشورها ، وخرج من حبائلها سالما .

ثم يقول فى افتخار واعتزاز : « يعلم الله أنى دخلت فى أعماق هذه العلوم واكتويت بنارها ، من غير أن أرزأ فى عقيدتى ، وخلقى وصلتى بك ، وقد جلست فى نارها بشجاعة وخرجت منها بسلامة ، كما كان شأن ابراهيم — عليه السلام — مع نار نمرود » .

وهنا يتذكر الشاعر حياته التى قضاها فى عواصم أوربا بين الكتب الجافة والفلسفة الدقيقة ، والعلم الواسع والجمال الفاتن ، والمظاهر الخلابة : فيقول : لقد بقيت هذه المدة ذاهلا عن نفسى جاهلا لشخصيتى ، حتى لما وقع بصرى على لم أعرف نفسى » .

ويقول : لقد اقتطفت من علوم الغرب شيئا كثيرا ، وتناولت من خمر حانته كأسا دهاقا ، ياله من صداع اشتريته ، لقد عشت بين علمائه وفلاسفته ، وبين غيده الحسان ، يالها من فترة مظلمة

قضيتها من حياتى ، حرمت فيها لذة الحب ونعيم الطلب ، ان دروس الحكماء قد صدعت رأسى ، وكدرت بالى ، ذلك لأنى نشأت فى حضانة الحب والايمان فلا يناسبنى ولايملأ فراغ نفسى الا العاطفة والحنان ».

وهنا يقبل الشاعر الى الطبقة التى تمثل العلم والدين ، فينتقد فيها الجفاف واتساع العلم وتضخمه على حساب العاطفة والحب ولوعة القلب ، فيقول : « ان العالم الدينى لا يحمل هما ، ان عينه بصيرة ، ولكنها جافة لا تدمع ، لقد زهدت فى صحبته لأنه علم ولا هم ، وأرض مقدسة ولا زمزم » .

لقد شبهه محمد اقبال بالحجاز لأنه يحمل علما كثيرا ، وعقلا كبيرا ... ولكنه مع الأسف رمال جافة ، وجبال جرداء ليس فيها زمزم ، ومكة ببيتها وزمزمها ليست برمالها وبطحائها وجبالها فحسب ، فما أفقر العالم الدينى الذى يحمل علما جما ، ولسانا بليغا ، وعقلا مستنيرا ، ولا يحمل دمعة فى عينه ، ولا لوعة فى قلبه انه أخذ من الأرض المقدسة خشونتها وصلابتها ، ولم يأخذ منها رطوبتها ونداها .

ثم يحكى عن نفسه ، ويقول : « اننى لم أبع نفسى وضميرى لأحد ... ولم أستعن بأحد فى حل مشاكلى ، ذلك لأنى اتكلت على غير الله مرة واحدة فسقطت عن مقامى وعوقبت بالهوان مائة مرة ».

ويندفع يشكو عصره ومجتمعه فى حزن وألم ، فيقول : « انى أحترق بنار شوقى وحبى وأستغرب أنى خلقت فى عصر لا يعرف الاخلاص ، ولا يعرف سوى المادة والأغراض فى عصر لم يعرف لوعة القلب ولم يذق لذة الحب ، أنا غريب فى الشرق والغرب ، أعيش وحدى ، وأغنى وحدى ، قد أتحدث الى نفسى ، أخفف من أشجانى وآلامى » .

ويقول : « ان اخوانى لم يعلموا بما قلت لهم ، انهم لم يجنوا الرطب من نخل شعرى ، اليك أشكو ياسيد الأمم ، من أناس لا ينظرون الى الا كشاعر أو متغزل .

لقد أمرتنى يا رسول الله أن أبلغ اليهم رسالة الحياة والخلود ، وأنشدهم بما ينفخ فيهم النشاط والروح ولكن هؤلاء القساة يقترحون على أن أنوح على الأموات فى الشعر وأنظم تاريخ الوفاة ، فأين هذا مما أمرتنى به ؟ » .

ويشكو فى توجع وحزن عميق ، زهد أبناء عصره فى العلم الذي كان يحمله والرسالة التى يقوم بها فى شعره ويقول : « عرضت قلبى عسى أن يستأسره أحد فلم أر فيه راغبا ولا له طالبا ، وأبحت ثروتى ، وما يحويه صدرى فلم أر لها مقدرا ، فليعمر حبك قلبى ، وليشغل حديثك لسانى ، فانى لا أجد فى العالم من هو أشد وحدة وأعظم غربة منى» .

ويختم قصيدته بأبيات يوجهها الى المرحوم عبد العزيز بن السعود – باعتباره ملك الحجاز فى عهده – وهو خطاب موجه الى جميع ملوك العرب وزعمائهم وعظمائهم .. يحذره من الاستعانة بالأجانب والدول الأوربية ، ويدعوه الى الاعتماد على الله ثم على ما عنده ، يقول : « اضرب خيمتك حيث شئت فى الصحراء .... ولتكن خيمتك قائمة على عمدك وأطنابك ، ولاتنس أن استعارة الأطناب من الأجانب حرام » .

ابو الحسن الندوى

● **امنيـة :**

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأصحابه يوما . تمنوا .

فقال رجل . لو ان هذه الدار مملوءة ذهبا انفقه فى سبيل الله عز وجل .

فقال عمر : تمنوا .. فقالوا : ما ندرى ما نقول يا أمير المؤمنين .

قال عمر : لكن لو ان هـذه الدار مملوءة رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح .

طريق النجـاة (١)

للعلامة أبو الأعلى المودودى

— ١ —

سادتى واخوانى ، اذا جاءكم شخص فقال ان فى السوق دكانا لا صاحب له ولا من يأتى اليه بالبضائع ولا من يبيعها ولا من يحرسها وانما يتم فيه كل شىء من نزول البضائع وبيعها وحراستها تلقائيا : تأتى اليه البضائع بنفسها ثم تباع وتصل الى أيدى المشترين بنفسها ، فهل تصدقونه فى قوله هذا ؟ وهل تعترفون بأنه من الممكن أن تصل البضائع الى دكان بغير من يأتى بها اليه ؟ وأن تباع بغير من يبيعها ؟ وتسلم من السرقة والنهب بغير من يحرسها ؟ تسألون أنفسكم عما ان كان من الممكن أن تعترفوا بقول كهذا ؟ وهل ترون من الممكن أن يقبل قول سخيف كهذا ولنفترض كذلك أن شخصا آخر يقول لكم ان فى هذه المدينة مصنعا لا صاحب له ولا مهندس فيه ولا عامل ، وانما تكون المصنع بنفسه ، وتشكل كل ما فيه من الآلات والأدوات بنفسه، ولا تجرى كل آلاته وماكيناته الا بنفسها ، ولا تخرج منها المنتجات بعد كمال تكونها الا بنفسها ، فقولوا لى بالله ولا تداهنوا ان شخصا اذا قال لكم قولا كهذا ، أفلا تنظرون اليه نظرة ملؤها الحيرة

(١) فى هذه المحاضرة التى القاها العلامة المودودى منذ أكثر من ثلاثين عاما على جموع من المسلمين والهنادك وعالج فيها قضايا الايمان والفكر والعقيدة فى ضوء التطورات الفكرية والعلمية التى هزت أركان كثير من المفاهيم والتصورات فى هذا العصر يقدم الأستاذ الجليل الى قراء مجلة الأزهر هذا البحث الذى نشر قبل ذلك بلغات شبه القارة الهندية المختلفة، كما نشر باللغة الانجليزية أيضا .

والدهشة أو لا ترتابون فى أمره وتعتقدون أن المسكين قد أوتى من قبل عقله ؟ وهل تنتظرون قولا سخيفا كهذا من شخص غير مصاب فى عقله ؟

مالنا نذهب بعيدا ؟ ... هذه (لمبة) كهربائية مضاءة أمام أعينكم ؟ فهل تبيحون لأنفسكم أن تصدقوا من يقول لكم ان النور يتولد فيها من تلقاء نفسه ، وهذا كرسى موضوع أمامكم ، فهل تبيحون لأنفسكم أن تصدقوا أى فيلسوف حكيم فى العالم اذا قال لكم انه خرج الى حيز الوجود من تلقاء نفسه ؟ وهذه الملابس هل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أى عالم على وجه هذه الأرض اذا قال لكم ما نسجها أحد وانما نسجت بنفسها؟ وهذه البيوت القائمة أمام أنظاركم فهل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أساتذة كل مافى العالم من الجامعات اذا قالوا لكم عن آخرهم أن هذه البيوت ما بناها أحد وانما قامت وارتفعت من تلقاء نفسها .

هذه طائفة يسيرة من الأمثلة أمامكم أتيت بها مما تشاهدونه ليل نهار . ففكروا اذا كان عقلكم يعترف بأن دكانا عاديا يقوم بنفسه، واذا كنتم غير مستعدين لأن تعترفوا عن مصنع حقير أن ينشأ بغير أن ينشئه منشىء أو أن يسير بغير أن يسيره مسير ، فكيف لكم أن تعتقدوا عن هذا الكون ... هذا المصنع العظيم الهائل الذى تشاهدونه أمام أنظاركم ، والذى تتحرك فيه الشمس والقمر وسائر النجوم الكبيرة والصغيرة كما تتحرك أجزاء الساعة ، والذى ترتفع فيه الأبخرة من البحار ، وتتكون بالأبخرة السحب وتسوقها الرياح وتنشرها فى كل صقع من أصقاع الأرض ، ثم تبرد تلك السحب فى وقت مناسب وتتحول من الأبخرة الى الماء مرة أخرى ثم ينزل ذلك الماء الى الأرض بصورة قطرات المطر ، ثم يخرج من بطن الأرض بفضل ذلك المطر ما لا يحصى من شجرات باسقة خضراء وثمرات متنوعة الألوان وزهرات متعددة الأشكال ـ أقول

كيف لكم أن تعتقدوا عن هذا المصنع العظيم الهائل انه قد خرج الى عالم الوجود من غير أن يخلقه أحد ، وأنه سائر من غير أن يسيره أحد ؟ اذا قال لكم أحد عن كرسى حقير وقطعة صغيرة من القماش وجدار ضعيف أن كل ذلك تكون بنفسه ، فانكم لا تلبثون أن تحكموا عليه بالخبل والجنون ، اذن فكيف لكم أن لا تشكوا فى اختلال عقل من يقول لكم أن الأرض ما تكونت الا بنفسها ، وان الحيوانات ما وجدت الا بنفسها وان كائنا محيرا للألباب ، كالانسان ما خرج الى حيز الوجود الا بنفسه .

ان الأجزاء التى قد تركب منها جسد الانسان قد نظر فيها علماء العلوم التجريبية بعد فصل بعضها عن بعض ، فعرفوا أن ليس فيها الا مقدار من الحديد ، ومقدار من الفحم ومقدار من قطران ، ومقدار من الفوسفات ، ومقدار من الجير ، ومقادير من الملح وكمية من الغازات ، وعدد من الأشياء الأخرى من هذا القبيل ، مما لا يكلف مجموع قيمته أكثر من جنيه . خذوا هذه الأشياء بنفس القدر الذى يوجد كل منها فى جسد الانسان ثم امزجوها كيفما تشاؤون وكونوا منها مزيجا على أى وجه شئتم فانكم لن تخلقوا انسانا بأى تركيب أبدا فكيف لعقلكم – اذن – أن يصدق بأنه من الممكن أن يتكون بهذه الأشياء الميتة كائن كالانسان سميع بصير ناطق حيوى يخترع الطائرات والألكترونيات ، من غير حكمة صانع مدبر عظيم ؟

وهل قد تساءلتم : كيف ينشأ الانسان ويتكون فى مصنع رحم الأم الصغير ؟

لا دخل فى ذلك لخبرة الأب ولا لحكمة الأم : كيس صغير تلتقى فيه دودتان هما من دقة الحجم حيث لا يمكن رؤيتهما بغير المجهار تلتقيان فى ساعة لا يعلمها أحد ، ومن دم الأم نفسها تنالان غذاءهما ، وفى جسدها تتجمع مقادير محددة بنسبة محددة من الحديد والقطران والفوسفات وما اليها من الأشياء التى أشرت اليها آنفا لتتحول الى مضغة ، ثم تتكون

فى هذه المضغة العينان حيث ينبغى أن تكونا ، وتتكون الأذنان حيث ينبغى أن تكونا ، ويتكون المخ حيث ينبغى أن يكون ، ويتكون القلب حيث يجب أن يكون ، وتتكون العظام حيث ينبغى أن تكون ويتكون اللحم حيث ينبغى أن يكون ، باختصار لا يتكون جزء من الأجزاء الا حيث ينبغى أن يكون فى هذا المصنع ، ثم تنشأ فى هذه المضغة الروح وتتعبأ فيها قوة النظر وقوة السمع وقوة المذاق والشم وقوة النطق وقوة التفكير والادراك ... وما الى ذلك من القوى العديدة التى لا تأتى تحت العد والحصر .

وهكذا حين تكتمل بنية الانسان ، يدفعه دفعا الى الخارج هذا المصنع (الرحم) نفسه ، الذى احتضنه فى مرحلة تكوينه الى تسعة أشهر ، بعد أن يتكون فيه على هذه الطريقة بعينها مئات الآلاف من الأفراد البشرية كل يوم بل كل ساعة فى العالم ، يختلف كل واحد منهم عن غيره فى هيئته ونموذجه وصورته ولونه وصوته وقواه واستعداداته وكفاءاته وطبائعه وأفكاره وأخلاقه وصفاته ، حتى لا يتجانس فيها شقيقان لم يخرجا الا من بطن واحدة . وهذه أعجوبة لا يتمالك العقل ازاءها سوى الحيرة والدهشة .

أما الذى يشاهد هذه الأعجوبة بأم عينه ثم يقول : ان كل هذا يتم ، أو من الممكن أن يتم ، بغير اله لا نهاية لحكمته وقدرته وعلمه وكماله ، فما من شك فى أن هذا الرجل فقد عقله وما اعتباره كانسان الا اهانة للعقل وحط من شأنه ، وعلى الأقل فانى لا أراه انسانا جديرا بأن أبحث معه فى قضية علمية معقولة .

هذا ، وتعالوا لنتقدم قليلا .. لابد أن يشهد عقل كل واحد منكم بأن أى عمل فى الدنيا ، عظيما كان أو تافها ، لا يمكن أن يسير بنظام ووفق قاعدة مطردة ما لم يكن هناك شخص تكون عليه تبعيته ومسؤوليته . أو قد سمعتم بمدرسة فيها عميدان أو دائرة من دوائر الحكومة لها مديران أو جيش له قائدان أو دولة لها رئيسان أو ملكان ؟ وهل تعتقدون ،

اذا حدث هذا هل من الممكن أن يسير النظام على ما يرام ليوم واحد؟ وطالما جربتم وتجربون فيما يعرض لكم فى حياتكم من المعاملات العادية انه حيثما يترك الأمر على مسؤولية أكثر من رجل واحد يختل النظام ويحصل التخاصم والتصادم ، وأخيرا يحدث ما فيه قضاء نهائى مبرم على ذلك الأمر ولا تجدون فى الدنيا حسن النظام والتدبير والتناسق والتوازن الاحيث تكون قوة واحدة هى الموجهة ، ويكون وجود واحد هو صاحب السلطة والحل والعقد ، ويكون بيده زمام الأمر • أما بغير هذا فلا تكادون تتصورون حسن النظام واستتباب الأمن •

هذا من البداهة والبساطة حيث لا يتردد فى الاعتراف به كل من له أدنى حظ من العقل والفهم • وعليه أرجو منكم أن تنظروا نظرة فى فيما حولكم••انظروا الى هذا الكون العظيم الممتد بين أيديكم ، والى هذه البلايين من الكواكب التى تشاهدونها تدور فى فلكها ، والى هذه الأرض التى تعيشون فوق سطحها ، والى هذا القمر الذى يطلع ليلا ، والى هذه الشمس التى تشرق صباحا ، والى هذه السيارات من الزهرة والمريخ وعطارد وزحل والمشترى وغيرها من النجوم التى لا حد لها ولا حصر ، تشاهدونها تدور •• انظروا الى كل هذا وتأملوا : ما أضبط نظام دورانها ؟ أو قد وجدتم الليل يجىء قبل أوانه ؟ أو قد وجدتم النهار يطلع قبل الساعة المقررة لطلوعه ؟ وهل صادم القمر الأرض قط ؟ وهل حادت الشمس عن مدارها قط ؟ أو قد وجدتم كوكبا آخرا أوسمعتم عنه انه حاد عن مداره ولو قيد شعرة ؟ وهذه عشرات الملايين من النجوم والتى بعضها أكبر من أرضنا مئات ألوف المرات ، وبعضها أكبر حتى من الشمس آلاف المرات ، كل هذه مشدودة فى ضابطة قوية مهيمنة كأجزاء الساعة، وكلها سائر فى الطريق المحدد لسيرها وبالسرعة المحددة لسيرها ، فلا يحدث أدنى فرق فى سرعة أحد منها ولا له أن يحيد عن مداره شعرة • ولو حدث أدنى فرق فيما قرر بين هذه النجوم من النسب فى المسافات للمحة من البصر لاختل

نظام هـذا العالم بأسره ولتصادمت الكواكب بعضـها مع بعض كمـا تتصادم القطارات .

هذا ما يتعلق بالسماء ، وانظروا الآن نظـرة فى أرضـكم وفى ذات أنفسكم .. ما كل هذه الآثار ، آثار الحركة والنشاط ، التى تشاهدونها على وجه الكرة الأرضـية الا قائمة بفضل ضوابط مضـبوطة مقررة . ان جاذبية الأرض قد جعلت كل شىء مشدودا بدائرتها ، وهى لو تركت الحبل على الغارب لثانية واحدة ، لانتثر نظام هـذا العالم . وجميع الأدوات التى تعمل عملها فى هذا المعمل كلها تتبع قاعدة مقررة لا يعتريها تعـديل أو تبديل أبدا .

فالهواء مقيـد بقاعدته ، والمـاء مشدود بقاعدته ، والنور مطيع للقاعدة المقـررة له ، وكل من الحر والبرد ينقاد لضابطته ، ولا قبل لأى شىء من التراب والحجر والمعادن والبرق والبـخار والشـجر والدواب بأن يتعدى الحد المقرر لبقائه أو يغـير خصائصـه أو يتخلى عن الوظيفـة الموسـدة اليه . ثم ان كل هـذه الأدوات تعمل متعـاونة متساندة فيما بينهـا ، ومن ههنـا فان كل ما يتم فى هذا العالم ، انما يتم لسبب أن كل هـذه الأشـياء والقوى يسـودها الانسجام ويسيطر عليها التناسق .

خذوا ــ على سبيل المثال ــ بذرة حقيرة تزرعونهـا فى بطن الأرض . انهـا لا تقـدر أن تنبت ، وتخرج شطأها ، وتستوى حتى تصير شجرة ما لم تسـهم فى تربيتهـا كل قوى الأرض والسـماء متعاونة فيما بينها . فالأرض تهيىء لها الغذاء من خزائنها ، والشمس تهيىء لها الدفء على قدر حاجتها ، والمـاء يعطيها ما تطالبـه به ، والهواء يمنحها كل ما تستجديه اياه ، والليـالى تزودها بالنضـارة والنـدى ، والأنهـر ــ والأيام ــ تطورها الى النضج والقوة ، وهكذا فان كل هذه الأشياء حين تعنى بتربيتها متعاونة متكافلة حسـب نظام مطرد الى أشهر وسنوات متسلسلة ، تصير شـجرة تؤتى ثمـارها .. ان كل زروعكم هذه التى تعيشون معتمدين عليها ، لا تتهيأ الا بما تلعبه كل هذه

القوى المتنوعة غير الواقعة تحت الحصر دورها على مبدأ التعاون أو التساند ، بل انكم أنفسكم لا تعيشون الا لأن كل قوى الأرض والسماء تساعد على تربيتكم ، فلو أن قوة منها – كالهواء مثلا – تخلت عن هذا العمل المشترك الجماعى ، لكان فى ذلك قضاء محتوم على حياتكم ، ولو أن الماء أبى التوافق مع الهواء والحر ، لما نزلت عليكم قطرة واحدة من المطر ، ولوأن التراب امتنع عن التعاون مع الماء لجفت بساتينكم ولما أينعت زروعكم ولما قامت بيوتكم ، ولو أن النار أبت أن تتولد باحتكاك الكبريت ، لبردت مواقدكم ولتعطلت كل معاملكم ومصانعكم دفعة واحدة ، ولو أن الحديد أبى التعاون مع النار لما استطعتم أن تصنعوا ابرة أوسكينا فضلا عن أن تصنعوا القطارات والسيارات والطائرات • وباختصار فان كل هذا العالم الذى تعيشون فيه انما هو قائم لسبب ان كل دوائر هذه المملكة العظيمة لا تعمل الا متعاونة متوافقة بينها على أكمل وجه ، ولا قبل لأحد من القائمين بأمر هذه الدوائر بأن يتخلى عن واجبه أو لا يتعاون مع القائمين بالدوائر الأخرى حسب النظام الشامل •

كل ما قد بينت لكم آنفا ، هل فيه شىء باطل أو مخالف للواقع ؟ لا أرى أحدا منكم يقول انه باطل• فهو ان كان حقا – وهو حق ولا شك – فقولوا لأى سبب هذا النظام الهائل وهذا الانسجام البديع وهذا التناسق الشامل وهذا التوافق المطرد بين ما لا نهاية له من موجودات هذا الكون وطاقاته ؟ ان هذا الكون قائم منذ عشرات ملايين السنين ، وتنبت الأشجار على وجه هذه الأرض وتتولد فيها الحيوانات منذ مئات الألوف من السنين ، ولا نعلم متى حط الانسان رجله على وجهها ، ولم يحدث قط أن يسقط القمر على الأرض ، أو تتصادم الأرض مع الشمس ، أو يطرأ تعديل على حساب الليل والنهار ، أو تنشب حرب بين دائرة الهواء ودائرة الماء ، أو يتمرد الماء على التراب ، أو يقطع الحر صلته عن النار • فلماذا كل أقاليم

هــذه المملـكة ودوائرها وكل من يقومون بتسـيير أمورها يتبعـون القانون العام بكل التوافق والالتزام؟ الشديدين ؟ ولمـاذا لم تنشب بينهم حرب ؟ ولمـاذا لم يثر بينهم فساد ؟ وبأى سبب لا يزالون مقيدين بنظام مطرد مضبوط ؟ اطلبوا جوا بـهذا من قلـوبكم .. ألا تشـهد لكم قلوبكم بأن الهـا واحدا هو مالك كل هذا الكون وانه هو الذى قد شدت قدرته العظيمة كل شيء بضابطة ونظام ؟ ولو كان لهذا الكون مجموعة من الآلهة ــ لمـا مشى بهذا الاطراد والانسجام قطعا . ان مدرسة حقيرة لا يمكن أن يتحمل نظامها رئاسـة رئيسين، فأنى لهذه المملكة العظيمة، مملكة السماوات والأرض ، أن تسير بانتظام وانسجام تحت ألوهية الهين؟

اذن فالواقع يقرر أن هذا العـالم ما ظهر الى حيز الوجود بغير خالق، ولكن من الواقع كذلك أن هــذا العـالم ما أخرجه الى حيز الوجود الا خالق واحد .. ان اطراد نظـام هذا العالم وانسجام قانونه ان كان يدل على شيء انمـا يدل على أن ليست سلطات الحكم والأمر والنهى فى هذا النظام الا بيد حاكم واحـد لا شريك له ولا منازع ، وان هيمنة قانون هذه المملكة وسيطرته ان كانت تشهد بشيء ، فانما تشهد بأن الملك الواحـد الأحـد هو الذى له ملك السماوات والأرض ، وأن ليسـت الشمس والقمر وسائر النجوم السيارة وغير السيارة الا فى قبضة قدرته ، وأن ليسـت الأرض بكل ما فيهـا الا خاضـعة لأمره وأن ليس الهواء الا منقادا لقانونه ، وأن ليس المـاء الا رهنا لاشـارته ، وأن ليسـت الأنهار والجبال الا تابعة لمرضـاته وأن ليسـت الأشجار والحيوانات الا مطيعة لارادته ، وأن ليست حياة الانسـان ولا مماته الا بيـده وأن قبضته القوية هى التى قد جعلت كل شيء قائما عند حدوده لا يتعـداها بحال ، وأن ليس فى هذا الكون أحد غيره يسـتطيع أن ينفذ فى مملكته أمره أو نهيه .

الحقيقة أن هـذا التنظيم المتكامل لا متسع فيه لأكثر من حاكم واحد وهو بحكم فطرته يتطلب أن لا يشارك هذا الحاكم فى حكمه أحد غيره فى قليل أو كثير .. أن يكون هو الحاكم ولا يكون كل من سواه الا محكوما لأن أحدا غيره اذا كانت بيده سلطات الحكم ولو الى أدنى حد ، فمعنى ذلك أن لا نظام فى هـذا الكون ، وانما يسوده الفساد والفوضى . وذلك الحاكم فى تنفيذ حكمه لا يحتاج الى القوة والقدرة فحسب . ولكنه يحتاج كذلك الى علم شامل ونظر واسع الى حد أن يكون بامكانه أن يراقب كل موجودات هـذا الكون فى آن واحد ، وينفذ فيه أحكامه بعد ادراك مصالحه ولو كانت فى هـذا الكون مع الله الواحـد الأحد ألهة صغيرة أخرى ينقصها النظر الذى تطلع به على الكون كله فى آن واحد ولكن يكون فى يدها سلطة فى تنفيذ حكمها فى ناحية من نواحى هـذا الكون أو فى أمر من أموره لاختل كل نظامه ولا بد . ولا عجب . فانه مما تعرفون عن كل آلة ، مهما كانت تافهة حقيرة ، انه لو جعل لشخص لا يعرفها تماما ان يتدخل فيها وينفذ فيها ارادته ، فانه لا بد ان يفسدها ويخل بنظامها . فالذى يقتضيه العقل ويشهد به نظام مملكة الأرض والسماوات فى غاية من التناسق والتوافق والتعاون ان هـذه المملكة لا نصيب فى سلطاتها الملكية لأى أحد سوى الله وهو مالكها وحاكمها الحقيقى الوحيد .

ما هذا بأمر واقع فحسب ، بل الحق ان لا مبرر ألبتة لأن ينفذ فى مملكة الله حكم أحد غيره فالذين قد خلقهم بقدرته ، والذين هم مخلوقاته ، والذين انما يقوم وجودهم بفضله وكرمه ، والذين اذا استغنوا عنه لا يمكنهم أن يبقوا للمحة من البصر . من منهم يستحق أن يشاركه فى ألوهيته ومملكته ؟ أو قد رأيتم خادما يشارك سيده فى ملكيته ؟ وهل يقبل عقلكم أن يتخذ سيد عبده شريكا لنفسه؟ وهل

أحدا منكم يجعل أحدا من خـدمه مساهما لنفسـه فى عقاره أو حقوقه وصـلاحياته ؟ لابد أن تشـهد لكم قلوبكم ، اذا ما تفكرتم فى هـذا ، بأن أحـدا من العباد لا يستحق أبدا أن يكون شريكا لله مستقلا فى مملكته، لأن ذلك لا يتنافى مع الواقع فحسب ولا يتنافى مع العقل والفطرة فحسب ولكنه يتنافى مع الحق أيضا ..

الحديث موصول

ابو الأعلى المودودى

وقد قام بترجمته الى العربية :
الأستاذ خليل الحامدى
مدير دارالعروبة ـ لاهور ـ باكستان

الأمر بالمعروف

❋ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والمراد بهذه الأمة هو جماعة العلماء وأولى الأمر التى يجب ان تكون منهمكة ابدا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما يجب أن يكون قسم التنظيف والرعاية الصحية فى البـلدة مستعدا ابدا للقيام بواجباته . فان اغفل العلماء وأولو الأمر واجبهم هذا ولم يبق فى الأمة جماعة واحدة تدعو الى الخير والصلاح وتصد عن المنكرات فان هـلاك الأمة من ناحيـة الدين والأخلاق أمر محتوم ، كهلاك البـلدة التى لا تتخـذ فيها تدابير التنظيف والرعاية الصحية .

المودودى ـ نحن والحضارة الغربية

دراسة شاملة للعالم الإسلامي
وكيف كان منذ نصف قرن ؟ وكيف هو الآن ؟
وكيف يجب أن يكون

للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أحمد حسين

وأبدأ الحديث منذ نصف قرن أي في أعقاب الحرب العالمية الأولى حيث جرى التخطيط وتم التنفيذ بالفعل على ابادة العالم الاسلامى ككيان له مقوماته وذاتيته بل وحضارته ، وكانت أوروبا الصليبية قد انتهت من بسط نفوذها وهيمنتها بصورة أو بأخرى على المغرب العربى الاسلامى ، وكانت افريقيا بأكملها قد وقعت فى براثن الاستعمار الأوروبى وتعمدوا أن يعلمونا فى المدارس أنه لايوجد فى افريقيا كلها دولة مستقلة سوى الحبشة لأنها مسيحية، وسوى دولة أخرى أنشأتها الولايات المتحدة الأمريكية فى غرب أفريقيا وتتألف من العبيد السابقين الذين تحرروا فى أمريكا وهى دولة « ليبيريا » وهى بدورها دولة مسيحية فلاعجب أن انكمش الاسلام فى افريقيا واعتبر من مخلفات الماضى وانطلقت هيئات التبشير تعمل بهمة وبلا كلل فى محاولة لنزع أثر الاسلام فى ربوع افريقيا ووقف سلطان الاستعمار بكل عنفوانه خلف هذه الجهود ، فأصبحت المسيحية جواز المرور لأعلى المناصب ، والأرباح التجارية وأعلى مراتب التعليم ، حيث احتفظ للمسلمين بكل عناصر التخلف من جهل وفقر ومرض وكان ذلك هو نصيب المسلمين فى آسيا كذلك سواء كانوا فى الهند أو فى أندونيسا أو فى أي مكان .

دولة آل عثمان :

ومع ذلك فقد ظل للاسلام باعتباره قوة سياسية ، ركن كبير فى شمال غرب آسيا يتألف من بقايا الدولة العثمانية فى آسيا

الصـغرى ــ (تركيا) وكتلة عرب المشرق : الشام والعراق وجزيرة العرب ، وقـامت الحـرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) وكـان من أهداف الحلفاء فى هذه الحرب تصفية الدولة العثمانية نهائيا للقضاء على آخر ظل للاسلام كقوة سياسية كمقدمة للقضاء عليه من أساسه فلم تكـد الحرب تضع أوزارها ، حتى تقاسـمت انجلتـرا وفرنسـا عرب المشـرق ، وشـرعوا على الفـور يطبقون خططهم لهدم الروابط بـين العرب والمسلمين والنصـارى الذين عاشوا أسرة واحدة قرونا أثرقرون.

فكان أن قسم ما يعرف بـ«بر الشام» الى سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، وجعل لبنـان دولة مسيحية وأخـذت انجلترا على عاتقهـا أن تجعـل من فلسـطين دولة يهودية أما تركيا نفسها ، فقد دفعت اليونان دفعا لاحتلالها حيث يبقى الخليفـة فى اسـتنبول ذليـلا تحت حمـاية الأسطول الانجليزى .

أى أنه لم يبق على احتلال الحلفاء الفعلى من العالم الاسلامى فى طوله وعرضه الا قلب الجزيرة ، وقد حال دون هـذا الاحـتلال أنه مـا كان يمكن أن يتم بغير اعداد حربى مسبق وكانت شعوب أوروبا قد وصلت الى حد أنها كانت سوف تقتل من يدعوها لحرب جديدة من أى نوع ، على أن هذا لم يكن هو السبب الأوحـد أو المهم ، بقدر ما كان السبب هو خوف أوروبا (انجلترا وفرنسـا) من أن مثل هذه الخطوة ستكشف نهائيـا وبصـورة لا تقبل الشـك أو الجدل أنهم يستهدفون القضـاء على الاسلام ، وهو ما كان يحتـاج فى تقديرهم الى بعض الوقت ، فهم لم يضمنوا عون ملايين جندهم من المسلمين الذين ساقوهم الى الحرب ضد تركيا الا بعد أن أكدوا لهم أن تركيا هى التى كانت بادئة باعـلان الحرب ، وأنهم لا يضمرون للاسلام أى عداء بدليل أنهم يقفون الى جوار العرب ويساعدونهم للحصول على استقلالهم فكيف يستطيعون تفسير الاستيلاء على مكة والمدينة وقد كان القائم عليهـا حليفا لهم ولولاه لمـا انتصروا على تركيا .

فى تصورنا أن هذا العامل فقط هو الذى أخر احتلال الحجاز الى فرصة قادمة •

والخلاصة أنه لم يبق من العالم الاسلامى كما قدمت دولة مستقلة واحدة •

فى أحشاء آسيا :

ولن يكمل الاستعراض لحال العالم الاسلامى دون أن تشير الى أنه بعد أن اندفع غرب أوروبا يخضع العالم الاسلامى لسلطانه ونفوذه عبر البحار فقد راحت روسيا القيصيرية بدورها تفترس الدول الاسلامية المتاخمة لها فى أحشاء آسيا فى القوقاز وما كان يعرف بما وراء النهر فى خراسان والتركستان ، وقد اختلفت روسيا الشيوعية مع روسيا القيصرية فى كل شىء الا فى وجوب اقتلاع الاسلام من جذوره فى بلاد أخرجت البخارى ومسلم وابن سيناء •• الخ حتى الصين شجعتها روسيا على أخذ حصتها من دولة اسلامية وهى التركستان وتصر روسيا حتى الآن على الادعاء بأن ما فعلته وما تفعله فى الدول الاسلامية الواقعة تحت براثنها ليس استعمارا وانما هى جمهوريات شيوعية كبقية جمهوريات الاتحاد السوفيتى وهو مجرد ادعاء من نوع ادعاء أى دولة مستعمرة وقد ظلت البرتغال الى منذ عامين فقط تزعم أن مستعمراتها وراء البحار هى أقسام من البرتغال نفسها وقد حانت الساعة لينتهى الزيف الروسى وتحرر البلاد الاسلامية فى أحشاء آسيا بعد أن لم يبق غيرها فى براثن الاستعمار وهكذا باتتهاء الحرب العالمية الأولى كان العالم الاسلامى كقوة سياسية زال نهائيا من الوجود وانطلقت خطط الغرب توضع للقضاء عليه روحيا ، فعمدت قوى الاستعمار على انشاء تعليم جديد فى مدارس جديدة اعتبرت هى جوهر الحضارة الجديدة ، حيث اعتبرت المعاهد الاسلامية والحضارة الاسلامية شىء يمت الى الماضى الذى اندرس بغير رجعة ولا سبيل أمام المجتمع الاسلامى لكى ينهض من كبوته ويحشر فى زمرة البشر المتمدنين ، الا أن يغسل يده نهائيا من الاسلام

وتعاليم الاسلام هذه هى الصورة التى كان عليها العالم العربى والاسلامى منذ نصف قرن .

وبدأت النهضة والمسيرة :

وبدأت النهضة والمسيرة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وكانت مصر هى نقطة الانطلاق بمجرد أن أعلنت الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ فبعد هذا التاريخ بيومين اثنين أى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بدأت مصر خطوتها الأولى فيما اعتبرته انجلترا تحديا لسلطانها وهو مناقشة شرعية احتلالها لمصر ووجوب اعلان استقلال مصر وظلت الأحداث تتوالى الى أن شبت ثورة مصر فى مارس سنة ١٩١٩ م .

أن أهمية هذه الحركة فى مصر هى أنها حطمت حاجز الخوف من أن أحدا لاينبغى أن يفكر مجرد تفكير فى أن يتحدى مشيئة انجلترا والا عرض نفسه للفناء ، وكيف لا وهى سيدة الدنيا ، ولكن شعب مصر الأعزل قام وتحدى بقوة حضارته العريقة العربية الاسلامية وليس بشىء آخر ، وتوالت الأحداث ، فكانت حركة الهند حيث كان المسلمون (محمد على ، وشوكت على) أقوى عناصرها ، ثم كانت حركة مصطفى كمال فى تركيا الاسلامية ، حيث طرد اليونان من آسيا الصغرى (الأناضول) وطرد الحلفاء (انجلترا وفرنسا) من استنبول ، واذا كان مصطفى كمال قد انحرف بعد ذلك وتصور أنه من الخير لتركيا أن تخلع عنها رداء الاسلام فقد كان ذلك بقيه من الانحلال الذى كان العالم الاسلامى قد تردى فيه ولم يتصور مصطفى كمال الذى غير اسمه الى « كمال أتاتورك » أن حركته لم تكن الا مظهرا من مظاهر النهضة الاسلامية القادمة .

الأمير عبد الكريم الخطابى :

وجاءتنا أفاعيل الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب فراحت تهز وجداننا هزا ، وان أنس فلست أنسى ، وكيف كان جيران منزلنا من أصحاب

الدكاكين (بقال ، ونجار ، وصانع أحذية) يشترون الصحف ويطلبون منى أنا الحدث الصغير أن أطالع ما يروى عن انتصارات الأمير عبد الكريم ، ولقد دارت الأيام وحل الأمير عبد الكريم ضيفا على مصر ، وما جلست اليه فى مرة من المرات ، الا وكنت لا أصدق نفسى ، أننى أتحدث أو أتناول الطعام مع هذا الرجل الأسطورة الذى عاصرته الى أى مدى تأثرت به مصر حيث كانت صوره فى كل مكان ، بما فى ذلك قلوب الناس .

وأنا اليوم أضع حرب عبد الكريم الرائعة ضد الأسبان فى مكانها الصحيح من النهضة الاسلامية ، فاذا كان المصريون قد نجحوا فى كسر جدار الخوف وتحدوا وهم الشعب الأعزل جبروت الانجليز ، فكشفوا بذلك حقيقة أن ارادة الشعوب هى العنصر الحاسم فقد استطاع عبدالكريم الخطابى بحركته أن يحطم — والى الأبد — خرافة أوروبا ، وأنها لا يمكن أن تغلب أو تهزم أبدا ، فلأول مرة منذ أجيال حطم جيش عربى جيشنا أوروبيا حتى أخرجه من القتال بالكلية .

لقد حاولت أوروبا آنذاك أن تزعم أن أسبانيا ليست شيئا ، وأسرعت فرنسا تتدخل ونجحت بقوة المال لا بقوة السلاح فيما عجزت عنه أسبانيا ، ولكن التجربة كانت قد تمت بنجاح وانتهى الأمر ، وهى أن قسما صغيرا من المغرب كان يطلق عليه آنذاك (الريف) أن يهزم أسبانيا .

عبد الكريم وليس آتاتورك :

وقد يعترض على معترض فيقول ولماذا تنسب الى عبد الكريم أول حركة عسكرية حطمت الخرافة الأوروبية ، حيث قررت أنا نفسى أن مصطفى كمال هزم اليونان وتحدى انجلترا وفرنسا معا فانسحبتا من الاستانة أمام زحف جيوشه المظفرة وحقا قد حدث كل ذلك ، ولكن لم يكن فيه جديد ، فتركيا هى تركيا التى ظلت خلال أربعة قرون قوة عسكرية فى أوروبا بل ان مصطفى كمال نفسه كان هو بطل معركة

الدردنيل التى هزم فيها انجلترا هزيمة مدوخة ، فأيا ما كان سرورنا ونشوتنا بنجاح مصطفى كمال فلم يكن يأتينا بجديد ، قدر ما جاءنا به حرب الريف المغربى ضد اسبانيا •

عبد العزيز آل سعود :

ثم جاءت الأنباء السعيدة من شبه الجزيرة العربية حيث استطاع أمير نجد عبد العزيز آل سعود أن ينتصر على الملك حسين حليف انجلترا الذى غدرت به واتحد قلب الجزيرة العربية لأول مرة منذ قرون وقرون تحت قيادة رجل سيظل الى أبد الآبدين من أعظم رجال الدنيا •

وسوريا والعراق وفلسطين :

وقامت الحركات فى العراق وسوريا وعالجتها انجلترا وفرنسا كل بأسلوبه وانتهى الأمر باستقلال شكلى تحت ادارة الدولتين، وليس الا فى فلسطين • ان تعثرت القضية فقد كان اليهود قد وعدوا بها ولذلك فعلى الرغم من الجهود والتضحيات الباهظه التى كان الشعب العربى فى فلسطين يبذلها فقد كانت قدم اليهود تزداد رسوخا يوما بعد يوم ، وتبقى الحقيقه أنه لم يعد هناك شبر واحد فى العالم العربى لم يعد يتهيأ ويبذل ويضحى فى سبيل النهضة والتحرير •

الفقاقيع التى تسبق الغليان :

واذا أردنا أن نشبه ما حدث فى العالم العربى خلال الحربين فباستطاعتنا أن نشبهه بالظاهرة الطبيعية ظاهرة غليان الماء ذلك أنه يسبق عملية الغليان دائما تصاعد الفقاقيع الى سطح الماء ، فيكون تصاعدها هو الدليل على قرب الغليان ونعنى بالغليان تحرر البلاد العربية كلها ، وهو ماتحقق بالفعل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ساحبا فى ذيله انهيار الاستعمار بكل ما استتبع ذلك من تحرر المسلمين (باستثناء الاستعمار الروسى) ونهضتهم وتجلت ارادة الله فى أنه يريد بهم خيرا وهذا يؤدى بنا الى القسم الثانى من دراستنا •

يتبع

احمد حسين

فى ضيافة النبى
صلى الله عليه وسلم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

غادرت مكة المكرمة فى الهزيع الأخير من الليل ، فوصلت مدينة (جدة) قبيل صلاة الصبح . واسترحت قليلا فى الفندق ، حتى سمعت صوت المؤذن يجلجل لصلاة الصبح ، وكنت فى مستقرى جار المسجد ، فقصدته وصليت فيه ثم عدت الى الفندق .

وكنت قد أصبت بالزكام الشديد فى مكة المكرمة ، سعالى متصل بمعدل عشر مرات فى الدقيقة ، أقذف الرشح مع كل سعال ، وينهمر من أنفى كأنه المطر ، وكانت حرارتى تسعا وثلاثين درجة مئوية ، ولكننى كنت أشعر بالصحة والنشاط المتدفق ، لأننى على موعد وشيك بلقاء الحبيب .

وفكرت بالسفر جوا من جدة الى المدينة ، ولكن المسافرين بالطائرات كثيرون ، ومواعيد اقلاع الطائرات عشوائية ، ولا طاقة لى على التسابق والزحام .

وكنت أحب أن أعيش فى جو معركة بدر الكبرى ، وأرغب أن أزور الشهداء الذين استشهدوا هناك دفاعا عن الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا ، وأريد أن أتركع فى مسجد العريش الرابض على ربوة من ربوات (بدر) ، وأريد أن أشرب من الماء الذى ارتوى به النبى صلى الله عليه وسلم بالقرب من مسجد العريش ، وأتمنى أن أتنسم نسمات (بدر) وما أطيبها من نسمات .

وتوجهت من جدة الى المدينة المنورة غير شاعر بالزكام والسعال وارتفاع درجة الحرارة ومشقة السفر ، وقلت للسائق : « تتوقف فى (بدر) ان شاء الله » ، ثم بدأت

أتهيأ روحيا للقاء المصطفى الحبيب ، مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، لا أنفك أصلى وأسلم عليه:

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، فى العالمين انك حميد مجيد .

وكنت وحيدا بالسيارة ، وكان السائق مغرما بالسرعة الفائقة ، فتركته على رسله وتمنيت أن يضاعف من سرعته ، وكان مغرما بسماع الأغانى من المذياع ، فرجوته أن يدعنى أخلو الى نفسى وأستمتع بالهدوء الروحى العجيب .

وتوقفت السيارة ببدر ، فعشت فى جو غزوة الفرقان ، وزرت الشهداء ، وتركعت فى مسجد العريش (مقر النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر) ، وارتويت من ماء بدر ، وتنسمت نسمات الجو العطر بالايمان ، ثم غادرت تلك المنطقة المباركة ، وقد التهبت شوقا الى لقاء المصطفى الحبيت .

— ٢ —

وسارت السيارة تلتهم الأرض وتطوى المسافات ؛ وعدت أردد نشيد النور والخير والصلوات ، وكان شوقى يزداد ويتضاعف ، وحسبت أن المسافة امتدت كثيرا ، وأن الوقت طال ، حتى بدت مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

وما كدت أصل المدينة وأتخلص من متاعى فى الفندق ، حتى فتحت حقيبة ثيابى ، وأخذت منها ملابسى الجديدة التى أعددتها سلفا للزيارة ، وأخذت حماما خفيفا وارتديت تلك الملابس ، وتطيبت على عجل ، ثم يممت شطر الحرم الشريف .

كان الوقت قبيل صلاة العصر ، وكان الناس مزدحمين فى الحرم النبوى الشريف ، فصليت ركعتى تحية المسجد ، وكان على أن أبادر بالزيارة للسلام على النبى صلى الله

عليه وسلم وعلى صاحبيه : أبى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ، ولكننى لم أفعل !

وتذكرت قصة الأمير الذى شيد المسجد النبوى والقبة الخضراء ، ورصد للبناء موارد مصر سبع سنوات ، فلما أنجز التشييد ، قدم ذلك الأمير فى موكب فخم من القاهرة الى المدينة المنورة وقد شد الرحال ، وحمل الهدايا والصدقات للمجاورين . وحين وصل ركبه الى ضواحى المدينة المنورة ، ترجل وحسر رأسه وخلع نعليه ، ثم سار وهو ينتحب حتى باب عمر رضى الله عنه — وهو أحد أبواب الحرم — وهناك وقف وهو يقول : يا رسول الله ! هذا حدى لا أتجاوزه !

وصلى وذكر الله كثيرا ، وعاد أدراجه متهيبا دخول المسجد والسلام على رسول الله صلوات وتسليمه من قريب .

لقد بقيت ساهما فى مكانى ، لا أكاد أحس بأحد ممن حولى ، وكنت أشعر بأننى محتاج الى عون يأتينى من طى الغيب يساعدنى فى الزيارة ، وفجأة جلس الى جانبى أحد معارفى وسألنى : هل سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه عليهما رضوان الله ؟ فقلت : سأسلم عليهم الآن ، فتعال معى ! !

وتهلل وجهه واستبشر ، وحمد الله وكبّر ، وصلى على النبى وكرر ، ثم نهض ويده بيدى مبتعدا عن الزحام ، لا يتخطى رقاب الناس ، يهش لمن يعرف ومن لا يعرف ويسلم على الرائحين والغادين ، ويوزع ما بجيبه من نقود على الفقراء والمحتاجين ، يمشى الهوينا بوقار ، متدثرا بالتواضع وهو أجمل دثار ، يتلو أوراده ويردد أذكاره ، ويتلو : (ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

ومضى وأنا معه مخترقا الروضة الشريفة المطهرة ، مارا بمنبر النبى صلى الله عليه وسلم ومحرابه ، ثم استدار الى الشمال ، فاقترب من

عرين النور والفضيلة ، ومقر الطهر والعفاف ، ومأوى الرجولة والاباء .

وتذكرت وأنا قريب من حجـرة النبى صـلى الله عليه وسـلم قول الشـاعر :

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه
فطـاب من طيبهن القـاع والأكم

نفسى الفـداء لقبر أنت سـاكنه
فيـه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبى الذى ترجى شـفاعته
عند الصراط اذا ما زلت القـدم

واسـتقر بنا المقـام أمام الجـدث الطـاهر ، وكان محفوفا بالزائرين الخاشـعين التائبين وعيونهم تفيض بالدمع مما يرونه ويشـعرون به من جلال وجمال .

– ٣ –

اننى (أحاول) أن أصف شعورى واحساسى فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، بقدر ما يسعفنى القلم وتسعفنى الذاكرة ، ولست أشـك فى أننى أحمل نفسى فوق ما تطيق ، لأن القلم والذاكرة (مـادة)فانية ، وجلال النبى صلى الله عليه وسلم وجماله وهو فى رحاب الله(روح) باقية ، ومتى ثبتت المادة فى مواجهة الروح ، ومتى ثبت الفناء للبقاء ؟ !

فى طريقى من الروضة المطهرة الى حجرة النبى صـلى الله عليه وسلم كان قلبى يـدق بشـدة . وبقـدر ما كانت خطواتى الى الضريح الطاهر بطيئـة ، كانت دقات قلبى الشـديدة سريعة ، وكانت رجلاى ترتجفان ، وكانت يداى ترتعشـان ، ولم أكن خائفا ، ولكننى كنت متهيبا ، وكان عقلى متفتحا للقاء المصطفى الحبيب ، ولكنه كان فى غيبوبة كاملة عما حوله من أحياء وأشياء .

وشعرت بتضاؤل أصحاب السلطان وغير أصحاب السلطان أمام الحجرة الطاهرة ، ولمست أنهم جميعا يكتشفون حقيقـة نفوسـهم فيتطامنون ويتواضعون لوضع تلك النفوس فى مكانها السليم .

وتذكرت ما نقله رجل للامام مالك رضى الله عنه ، وقد رأى تواضعه الجم واكتفاءه بالقليل من متاع الدنيا الفانى . وعدم مبالغة الناس فى تبجيله كما يفعلون مع المجتهدين فى الدين بمصر وأرض الشام والعراق وفارس وسائر الأقطار الأسلامية الأخرى .

قال الرجل للأمام مالك رضى الله عنه: « مكانة فلان فى مصر كذا ، وكذا ، وهو أقل منك علما ومنزلة» .

فقال الامام مالك رضى الله عنه : « هنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك من تعرف من الرجال » .

ان قمم الأرض العالية مهما تبلغ علوا وارتفاعا ، هى ليست عالية بالنسبة للقمة التى ارتفعت الى مقام قاب قوسين أو أدنى .

ووقفت أمام الحجرة الطاهرة ، وكان بيدى كتاب للأدعية ، فحاولت أن أقلب صفحاته لافتش عن الدعاء المأثور ، ولكن ما ليدى ترتعشان ، وما لركبتى تصطكان ، وما لعينى لا تبصران ! ! ؟

وقلت لصاحبى : « اقرأ الدعاء ، وسأردده معك » ، فقال : « ولماذا لاتقرأ أنت ؟ » .

يا عجبا ...

لقد رأيت قبل اليوم — ولا أقول زرت — كثيرا من الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء، والقادة والزعماء وكثيراً من ذوى الجاه والسلطان ، فى نطاق البلاد العربية والدول الاسلامية وغير الاسلامية أيضا ، فكان شعورى عند رؤيتهم متفاوتا بين الاحترام والسخرية والرثاء .

احتراما للذين يعملون من أجل المصلحة العامة حقاً بكفاية واخلاص، منكرين أنفسهم ناسين مصالحهم الشخصية .. وما أقلهم ..

وسخرية من الذين لا يعرفون واقعهم وأقدار أنفسهم ، فيتخيلون لأنفسهم عظمة لاوجود لها، وانجازات

لا حقيقة لها ، ويصدقون من حولهم من الامعات والتافهين والوصوليين والهتافين وأشباه الرجال فى ادعاءاتهم الباطلة عبقرية ونبوغا .

ورثاء للذين يشغلون مناصب أكبر من قابلياتهم ، فهم أقزام يطمعون أن يصبحوا عمالقة ، فأرشدتهم حاشية السوء بأن السبيل الى ذلك هو أن يحطموا العمالقة ليخلو لهم الجو ، فلا استطاعوا أن يحطموا العمالقة ولا استطاعوا أن يصبحوا عمالقة ، وبقوا أقزاماً لا يستحقون غير الرثاء .

ولكننى لم أشعر مطلقا بأى نوع من أنواع الاضطراب عند رؤيتهم جميعا ، ولم أخش منهم أحدا ؛ فليس لدى ما أخافهم عليه ، وليس لديهم ما أطمع فيه ، وما عند الناس لايبقى وما عند الله خير وأبقى . ولو أن الانسان أخرج كلمة واحدة من نفسه هى كلمة (الطمع) بما فيها من معان، لانكشف عنه الغطاء ، ولنظر الى ملكوت السموات والأرض .

أما فى رحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فالأمر مختلف جدا .

وقفت أمام النافذة الدائرية للحجرة النبوية الطاهرة ، وكنت أهتز بشدة كالمصعوق بسلك كهربائى ، جسدى كله يرتعش ، وعيناى نصف مسبلتين كأننى بين النوم واليقظة ، وعقلى واعٍ أشد الوعى يستشعر حنان المصطفى الحبيب ولا يشعر بما حوله ومن حوله ؛ وقلبى متفتح أشد التفتح يتلمس الهدى والنور وينغمس بالسعادة والحبور ، وكأن الزمن قد توقف بالنسبة لى ، فليس بينى وبينه صلة وليس له مع الشبح الباقى منى حساب .

ثم وجدت لسانى ينطلق بهذه التحية :

« السلام عليك يا سيدى يارسول الله ، السلام عليك يا مولاى رسول الله ! » .

« السلام عليك يا سيد القادات ويا قائد السادات ! » .

« السلام عليك يا بطل الأبطال ويا رجل الرجال ! » .

« السلام عليك يا امام المجاهدين الصادقين ويا قدوة الصابرين المحتسبين ! » .

« السلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين ويا قائد الغر المحجلين وسيد الصحابة الميامين ! » .

«أشهدأنك بلغت الرسالة ،وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، فجزاك الله عن المسلمين خير الجزاء » .

يا لله ... ! هنا العظمة الحقة ، هنا الجلال والجمال ، هنا الهدى والنور .

ان كل عظمة غيرها سراب ، وكل جلال غيره غثاء ، وكل جمال عداه هراء ، وكل هدى الاه ضلال ، وكل نور بعده ظلام .

وسرت خطوة الى أمام ، فسلمت على صاحبه فى الغار ، ورفيقه فى الجنة أبى بكر الصدير رضى الله عنه.

وكان شعورى أمام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، شعور الوالد الذى يحنو على ولده ويداعب شعر رأسه ويضمه الى صدره رقة وحنانا، وكنت أنا الولد وكان هو الوالد .

وكان قوله تعالى يرن فى أذنى : (اذ هما فى الغار، اذ يقول لصاحبه: لا تحزن ، ان الله معنا) .

وسرت خطوة أخرى الى أمام ، فسلّمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بطل الفتح الاسلامى العظيم.

وكان شعورى أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، شعور الجندى الصغير يقف أمام أعظم قائد فى علمه وتجربته، ودينه وعقيدته ، وضبطه وسيطرته، وكأن عمر القائد يصدر الى أوامره الصريحة الجازمة بشدة وصرامة بأن أكون أبدا جنديا فى خدمة المسلمين، فى الوطن الاسلامى ، من المحيط الى المحيط .

– ٤ –

وتسمّرت قدماى بجانب حجرة الهدى والنور ، لا أدرى كم طالت وقفتى وامتد مكثى ، ولكننى شعرت بيد صاحبى تسحبنى سحباً .

وجلست فوق دكة أهل الصفة ، خلف صف من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك عاد الى احساسى بالحياة ، وكأننى كنت فى اغفاءة حلوة يتخللها حلم لذيذ .

ولكنني حين آويت الى هذه الدكة ، شعرت أن فى فمى حلاوة ، وفى قلبى نورا ، وفى عقلى هدى ، وأن أنفى يجتاحه طيب فواح له أريج لم أعهده من قبل ، وله عبير لم أشم له مثيلا .

وكانت روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرمه الشريف ، تغمر المصلين فيه بنشوة أزلية ، وكان الحاضرون بين راكع وساجد وقارىء للقرآن الكريم وذاكر لله ومصل على نبيه وحبيبه وصفيه رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وبين ساهم تتصل روحه بأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وكنت فى مكانى على دكة أهل الصفة ــ ساهما أهتف من صميم قلبى « يا للعظمة ! كيف وقعت المعجزة ، فأصبح رعاة الابل والشاة ، وفقراء أهل الصفة ومعدموها ، قادة الفتح الاسلامى العظيم ، وقادة الفكر الاسلامى المنير ، فى بلاد المسلمين الممتدة من المحيط الى المحيط .. يا للعظمة .. » .

وكنت حاضرا كالغائب ، يقظا كالنائم ... تتصل روحى بالملأ الأعلى ، ويضيىء فى كيانى نور السموات والأرض .

لقد كنت أشعر شعورا حقيقيا أننى فى الجنة مصداقا لقول النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ، وماشعرت أبدا فى أى مكان على الأرض ، بأننى فى السماء ، الا فى الحرم النبوى الشريف .

وكنت فى المدينة المنورة فى أفخم فندق فيها ، يؤمّن لقاطنيه أكبر قسط من الراحة والهدوء ، ويقدم لهم أفخر أنواع الأطعمة وأشهاها .. ولكن نومى أصبح قليلا ، ولاأرتاح الا فى الحرم الشريف ، أما طعامى فكان أقل من القليل ، ولا أرتاد المطعم الا نادرا .

وكان معارفى قد أوصوا بى صاحب الفندق خيرا ، وكان يحرص على

راحتى ورضائى ، يترصدنى فى غرفتى فلا يرانى ، ويراقب زيارتى للمطعم فلا يلقانى ، ويستحث أعوانه على اخباره بعودتى فلا يصادفنى ، فقيل له يوما : انه مرابط فى الحرم الشريف .

وجاءنى يسعى متسائلا : « لماذا هجرت الفندق ، وأين تتناول الطعام » .

وابتسمت قائلا له : « أقضى وقتى كله فى الجنة هنا ، أما طعامى فأنا فى ضيافة أكرم الخلق عليه الصلاة والسلام » .

وعدت الى بغداد ، فاكتشفت أننى مريض ، وقد تطور الزكام الشديد وما يتبعه من مضاعفات ، وأدى أهمالى لمعالجته الى كثير من المشاكل .

وعلم الله أننى لم أكن مهملا ، ولكننى لم أكن أشعر بالمرض ، وكنت مشغولا عنه بما حولى من نور وكنت سعيدا الى أبعد الحدود ، فقد عافانى الله ومضى المرض ، وبقى فى عقلى وقلبى سعادة وانشراح ونور لن تزول .

لقد طوفت بأقطار العالم شرقا وغربا ، ولكننى نسيت تلك الأقطار فلا أتذكرها ولا أذكرها الا نادرا .

أما زيارة المدينة المنورة وجوارى للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأتذكرها بكل تفاصيلها صباح مساء ، وأذكرها فى كل وقت بكل مكان .

وكنت أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم ، أثر فى أصحابه بسلوكه الفذ وهو حى يرزق .

ولكننى وجدت أنه يؤثر فى أهل المدينة المنورة ومن يشدون اليها الرجال من أمصار الأرض بخلقه العظيم وهو بجوار الله .

يا أغنياء المسلمين ويا أصحاب الجاه والسلطان ! ان الثراء والجاه والسلطان لا تسعد الناس وقد تشقيهم ، فاقصدوا مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، لتجدوا السعادة بالهدى والاطمئنان بالنور والانشراح بالخلق القويم .

هنا الدنيا والآخرة ، هنا الأرض والسماء ، أفلا تذكرون ؟

اللواء الركن محمود شيت خطاب

دراسات قرآنية :

هذا الملكوت لنا ولغيرنا

الأرضون سبع فأين موقعها ؟

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى فى آخر سورة الطلاق :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ــ يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما » .

البيان

يسأل الانسان نفسه منذ بعيد قائلا : هل الكواكب والنجوم خلقت لأهل هذه الأرض وحدهم ؟ وهل أرضنا وحدها تحتاج كل هذه النيرات وهى تفوق أرقام الحساب التى عرفها الانسان ثم يقول : أنا كائن صغير وأرضى كوكب صغير ، فأنا وهى لا نستحق كل هذه العوالم المتألقة ،التى بلغت من العظمة والبهاء شأوا رفيعا لا تحيط به العبارة ، ولا يدنو منه الخيال ، فلا بد أن الله تعالى خلق فى كثير من هذه الكواكب خلقا مثلنا ، يعيشون فى جو يشبه جونا ، ويحيون حياة تشبه حياتنا ، ومن حولهم حيوانات تستعمل فى أغراض مثل أغراضنا ، وبساتين مليئة بفواكه تشبه فواكهنا ، وبها رياحين وزهور ينتشر منها عبير كالتى فى رياضنا ، وفيها أراض كثيرة البقول والأعشاب ، تتخللها رواب ووهاد ، وتهامات ونجاد ، وصحارى وجبال ، وأنهار وجداول ، وآبار وعيون ، ومناظر مونقة تسرح فيها العيون ، وينجلى بها عن القلب الشجون ثم يقول :

ولا بد فيها أيضا من كائنات رفيعة لها شئون فى ملك الله أرفع من شئوننا ، وتكاليف أقوى من تكاليفنا ، وقوى جبارة أنفذ من قوانا ، وصور مختلفة عن صورنا

فيها بهاء وحسن وصفاء ، ولابد فيها أيضا من كائنات حية أخرى دوننا مكلفة أو غير مكلفة ، ثم يقول :

لابد لهذه الكواكب من شموس حارة وهاجة ، يعيش أهل تلك الكواكب على أشعتها الحارة الوضاءة نهارا ، حتى اذا جن الليل استضاءوا بأنوارها المنعكسة عليهم من كواكب أخرى ، فأمرهم فى ليلهم ونهارهم يشبه أمرنا ، ثم يقول : أليس الله قديرا على كل شىء ؟ أو ليس الظن فى مسكونية الكواكب اليابسة المعتدلة الجو المناسبة للحياة ، له ما يبرره فى حكمة الله وعظمة ملكه وجلاله ؟

ولقد أولع الانسان من قديم برصد الكواكب لعله يتجلى له من غوامض أمرها ما يكشف عن بعض مكنوناتها ، فنشأ بذلك علم الفلك ، وجعل رصيده العلمى فى هذا الصدد يزداد جيلا بعد جيل ، حتى بلغ فى العصر الذى نعيش فيه مبلغا عظيما بعد اختراع المناظير البعيدة المدى ، ومما كشفته تلك المناظير فى بعض الكواكب ، ما يشبه الأنهار والحشائش الخضراء والصحارى والجبال ، فقويت بذلك الشبهة فى أن هذه الكواكب مسكونة ، ففكر العلماء فى السفر الى القمر لأنه أقرب الكواكب الينا ، لعلهم يكشفون فيه حياة لبعض الكائنات الحية ، وليتعرفوا جوه وصلاحيته لسكنى أهل الأرض أو اقامتهم بعض الوقت ليدرسوا منه الكواكب الأخرى ويسافروا منه اليها ان أمكن ذلك حتى يتحققوا مما ظنوه من أن بالكواكب سكانا يعيشون مثلما نعيش ، ويموتون مثلما نموت ، وأن هذه الكواكب لم تخلق من أجل هذه الأرض الصغيرة وحدها ، وأن هذه الأرض ما هى الا واحدة من أرضين عديدة مثلها فى وظيفتها ، وأنه لا مانع من أن تكون أرضنا لهم كوكبا منيرا فى الدورة الفلكية ، كما أن كواكبهم منيرة لنا .

دارت كل هذه الخواطر بأذهان المفكرين ، فعكف عباقرتهم على التفكير فى صنع قذيفة الى القمر ،

تدفعها قوة هائلة من الوقود الذرى تقاوم جاذبية الأرض ، وتشتمل تلك القذيفة على أجهزة لدراسة الأشعة الكونية وأثرها فى الكائن الحى عند سفره عبر الفضاء ، ولدراسة أسرار الفضاء ، وايصال تلك المعلومات التى تحصل عليها الى مركز رحلات الفضاء وتوجيهها فى الأرض ليدرسها علماؤه حتى يكون السفر مأمون العاقبة ، كما قدروا للعودة أسبابها المأمونة ، الى غير ذلك من البحوث ، وأخيرا صنعوا القذيفة المطلوبة ، وسافر فى داخلها ركاب من البشر ، بعد تجارب عديدة بغيرهم ، ووصل هؤلاء البشر الى القمر غير مرة وعادوا بصخور وتراب من أرضه ، ولكنهم لم يعثروا فيه على كائن حى ، لعدم صلاحية جوه ومناخه وطبيعة أرضه للحياة ، فلم يثنهم ذلك عن مواصلة البحث والتجارب حتى استطاعوا صنع سفينة وصلت عام ١٩٧٦ م الى المريخ ، ولم يكن فيها أحد من البشر ، ولكن بها أجهزة لتحليل تربته ، وايصال نتيجة التحليل الى مركز تلك البحوث فى أمريكا ، وأجهزة أخرى لمختلف الدراسات وتبليغها الى المركز المذكور ، ثم تبعتها سفينة أخرى فى موضع آخر منه ، وقد عرف من أخبار تلك الفحوص والدراسات أن حول المريخ هواء ، وأن بتربته رطوبة وأن احتمالات وجود كائنات حية فيه تتزايد يوما بعد يوم ، وهذا آخر ما عرفناه من أخبار هاتين السفينتين اللتين وصلتا اليه فى أغسطس وسبتمبر من العام المذكور ، ولا يبعد أن نسمع مستقبلا عن وجود كائنات حية مكلفة فى المريخ أو فى غيره اذا تتابعت البحوث والدراسات ، ولعل ذلك وأمثاله تلبية لقوله تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ولعله نوع من الآيات التى وعد الله عباده أن يريهم اياها بقوله جل ثناؤه «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

الأرضون السبع فى القرآن والسنة

قد علمت من عنوان المقال أنه تعالى قال فى آخر سورة الطلاق

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وقد حار السابقون فى تفسير الأرضين السّبع ، فمنهم من زعمها سبع طبقات متلاصقة ، ومنهم من زعمها سبع قارات تفصلها المحيطات ، ومنهم من قال فيها ما لا يقبل عقلا ولا يصح نقلا .

والمتأمل فى نص الآية الكريمة يرى أن الأمر أعظم مما ذهب اليه هؤلاء المفسرون فان قوله سبحانه « ومن الأرض مثلهن » يعنى أن الأرضين فى عددها وبُعد ما بينها كالسموات السبع وبعد ما بينها .

قال الآلوسى فى تفسير هذه الآية نقلا عن جمهور المفسرين : ان مثلية الأرض للسموات فى كونها سبعا وفى كونها طباقا بعضها فوق بعض ، وبين كل أرض وأرض كما بين السموات والأرض ، وفى كل أرض من خلق الله ما لايعلم حقيقتهم الا الله تعالى .

وأخرج ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان وفى الأسماء والصفات من طريق أبى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الآية : (فى سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى) قال الذهبى: اسناده صحيح لكنه شاذ ، وفسر شذوذه بقوله : لا أعلم للضحاك عليه متابعا — أى أنه تفرد بروايته عن ابن عباس ، وهذا لا يمنع من صحة اسناده اليه لكون الضحاك ثقة ، ولهذا وصفه بالصحة ، وهذا من الأمور المقررة فى علم مصطلح الحديث .

وقال الآلوسى مفسرا رأى ابن عباس فى الآية : والمراد أن فى كل أرض خلقا يرجعون الى أصل واحد ، رجوع بنى آدم فى أرضنا الى آدم عليه السلام ، وفيهم أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وابراهيم وغيرهما فينا : اهـ .

ومن هذا نعلم أن القرآن العظيم حقق للناس ظنونهم فى أن هذا الكون لم يخلق لأرضنا وحدها ، بل خالق لسبع أرضين مماثلة للسموات السبع « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وأن ابن عباس

ترجمان القرآن كان أصرح النـاس فى تبيان هذا التعدد والقول بمسكونية هذه الأرضين ، ومشابهة ساكنيها لساكنى أرضنا حتى فى ارسال الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ اليهم ، فان تبنت ذلك كله فى المستقبل علميا وكشفيا فلن نفاجأ به ، بعد أن علمناه نصا فى كتاب الله ، وفهما لأئمتنا من السلف الصالح .

ولقد صرحت السنة الصحيحة بسبعية الأرض ، فقد صح من رواية الامام البخارى وغيره قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن » الحديث .

هل عدد السبع مقصود لذاته ؟

صرح الآلوسى فى تفسير هـذه الآية ــ موضوع المقال ــ بأنه يجوز أن يكون عدد السبع فيها لا مفهوم له ، وأنه يمكن أن تكون الأرضون أكثر من سبع ، وكذلك السموات ، والاقتصار على العدد المذكور لا يستدعى نفى الزائد عنه ، وتعليقا على هذا الذى قاله الآلوسى نقول : لو ثبت أن الأرضين أكثر من سبع يقينا ، لأمكن تأويل الدليل السمعى فان من القواعد المقررة فى أصولنا الشرعية ، أنه متى عارض الدليل العقلى ظاهر الدليل السمعى ، وجب تأويل الدليل السمعى لأجل الدليل العقلى لأنه أصله ، ولو أبطل به لزم بطلانه نفسه .

ويقول الآلوسى : ولا أرى بأساً فى تأويل بعض الظواهر المستبعدة بما لا يستبعد ، وان لم يصل الاستبعاد الى حد الامتناع ، اذ تضمن ذلك مصلحة دينية ، ولم يستلزم مصادمة معلوم من الدين بالضرورة : ا هـ

ونحن نقول ان العدد قد يأتى فى القرآن لمجرد التكثير ولا يقصد ذاته ، ومن ذلك قوله تعالى خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شأن المنافقين « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فان الغرض من الآية الكريمة أن الله تعالى لا يغفر لهؤلاء المنافقين مهما استغفر الرسول لهم فانهم أشد على الاسلام من المشركين الذين لا يغفر لهم شركهم بأى حال ،

قال تعالى : «ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقد قطع الله أطماعهم فى النجاة من النار بقوله فى شأنهم : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

واعلم أن هذه الأرضين سواء أكانت سبعا أو كان العدد لا مفهوم له ، فهى فى فضاء الله تعالى تجرى فى الفلك جرى الكواكب ، وتلمع لمعانها بسبب تسلط أشعة النجوم — أى الشموس عليها — كما حدث ذلك لأرضنا التى نحن عليها ، فقد رآها رواد القمر مضيئة لهم ، وأخذوا صورها وهى مضيئة ونشرتها لهم صحف العالم ومنها صحفنا المصرية .

وحيث كانت الأرضون السبع تسبح فى فضاء الله تعالى ، فهى لنا بمنزلة السماء ، كما أن أرضنا كانت لرواد القمر ومن فى حكمهم سماء ، فلا مجال للبحث عنها :فى حيزك الضيق الى أنت فيه من العالم .

أما ما رواه ابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمر مرفوعا أن بين كل أرض والتى تليها خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريتها ، والخامسة فيها حياتها ، والسادسة فيها عقاربها ، والسابعة فيها سقر ، وفيها ابليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه يطلقه الله تعالى لمن يشاء) أما هذا الحديث المذكور فهو منكر كما قال الذهبى ولا يعول عليه أصلا ، ولا عبرة بتصحيح الحاكم له فقد أخطأ فى ذلك ، فان مثل هذا الحديث المنكر يجب رده وتنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله .

رأى الدين فى مسكونية الكواكب

قلنا فيما تقدم : انه اذا تحقق ماظنه الناس من مسكونية الكواكب، وقام البرهان العلمى والعملى على ثبوته ، فان ذلك لا يفاجأ به الاسلام، اذ أنه ليس غريبا على نصوص كتابه المجيد ولا على أفهام علمائه المحققين .

فمن النصوص التى نفهم منها أن السماء مسكونة قوله تعالى : «ومن أياته خلق السموات والأرض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » (١) فهـذه الآية ناطقـة بوضوح أن الله أسكن السـموات والأرض دواب بثهـا فيهما ، وأنه قادر على أن يجمعهم ويضمهم ، بحيث يرى بعضهم بعضا ، ويتعرف بعضهم على بعض .

ولقد كان مجاهد ــ من التابعين ــ جريئا حين فسرها بقوله : (أسكنهما بالناس والملائكة) قال الألوسى بعد موافقة على هـذا الرأى : انه عبر (بما) تغليبا بغير ذوى العـلم فى السـموات والأرض ــ ثم قال ــ ولا يبعد أن يكون فى كل سـماء حيوانات ومخلوقات على صـور شتى وأحوال مختلفة لا نعلمها ولم يذكر فى الأخبار شىء عنهـا ، قال تعـالى « ويخلق مالا تعلمون » .

يعنى أن هذه الآية قامت مقـام الاخبـار فى ذكر أنه تعـالى يخلق ما لا علم به تفصيلا ، لأنه لا ضرورة لنـا فى علمه ، ويلاحظ أن القرآن والسنة تضـافروا على عدم الدخول فى تفاصيل تلك الغيبيات ، لأن الناس فى ذلك الحين أميون ، ولا أسـاس عندهم لمعرفة شىء من تلك التفاصيل ، فقد الهوا الشجر وعبدوا الحجر ، فكيف تستسيغ عقولهم ادراك ما لم تدركه أو تحط به علما أعلى الثقافات حتى اليـوم ، ولا يزالون فى حيرة التجارب ، ثم انهم كانوا قريبى عهد بكفر ، فكان من الخير اغلاق باب التفصيل لمثل هـذه الغيبيات حتى يتقـدموا فى العلم فيستخدموه فى ادراك بعض آيات الله الكونية التى أشار اليها فى كتابه أو فى سنة رسوله ، وهذا ما يشير اليـه قوله تعـالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

ولا ريب فى دخول ذوى العلم لغة فى قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٩

دابة »فان لفظ (ما) لايختص بغير العقلاء ، فكثيرا ما يستعمل فيهم وفى غيرهم كما هنا ، وكما فى قوله تعالى: « ولله ما فى السموات ومافى الأرض» • فان عقلاء السموات والأرض وغير العقلاء فيهما ملك لله تعالى •

وقد تستعمل (ما) فى جانب الله تعالى كما فى قوله سبحانه «والسماء وما بناها » أى وحق السماء ومن بناها وهو الله سبحانه ، وقد تستعمل كلمة (من) فى غير العاقل ، كما فى قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء » وبالجملة فان تخصيص لفظ (ما) بما لايعقل، وتخصيص لفظ (مَن) بمن يعقل أغلبى •

وليست كلمة (دابة) قاصرة على الحيوانات ، فانها من دب على الأرض أى مشى على هينته ، ولهذا أطلقت كلمة (الدابة) على الناس وهم سائرون الى منى ــ كما فى القاموس ــ وهذا من توسع العرب فى المادة حتى أطلقوا على المسرعين الذين أفاضوا من المشعر الحرام الى منى كما رأيت •

وكيف لا يدخل الانسان فى هذا العموم ، فهل يليق أن تكون الدواب مبثوثة فى السموات والأرض آية على الله تعالى ، ويجعل ذلك قاصرا على الحيوانات سوى الانسان ، مع أنه أولاها بأن يكون آية على الله تعالى •

وبهذا التأويل يتضح أن الانسان فى السموات وفى الأرض بنص الآية ، وهو بالنسبة لنفسه يكون فى الأرض، وبالنسبة لمن فى كوكب آخر يكون فى سمائه ، وتكون أرضه كوكبا له ، كما مر بيانه بالنسبة لرواد القمر حيث كانت أرضنا تتألق لهم وتضىء أكثر من اضاءة القمر لنا ، فسبحان من خلق هذا الكون كرة دائرة ، تتناوب دراريه السمو والانخفاض ، والسماوية باعتبار والأرضية باعتبار آخر ، وبهذا الرأى أخذ مجاهد رضى الله عنه حيث قال أسكنهما الله بالناس والملائكة ــ وقد مر بيان ذلك •

ومما يدل على مسكونية أرضين كثيرة ومكلفين كثيرين فى غير أرضنا قوله تعالى : « وسارعو الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » •

فاذا كانت الجنة الموعودة للمتقين عرضها السموات والأرض ، فان ذلك يدل على أنها أعدت لمكلفين كثيرين أتقياء من سكان الكواكب وليست لسكان المتقين من أرضنا وحدهم ، فانهم ليسوا بحاجة الى مثل هـذه المساحة لينعموا بالجنة الموعودة ونعيمها المأمول ، فان مجرات السماء ملايين لا يعلمها الا الله تعالى ، وكل مجرة فيها من الشموس والكواكب مليارات لا يعلمها الا الله تعالى ، فاذا كان هذا حال زينة السماء فكيف بالسماء نفسها •

وحيث كانت الجنة بعرض السماء والأرض ، فان ذلك ناطق بوضوح بأن هذه السعة ليست لسكان أرضنا وحدهم ، بل لهم ولغيرهم من سكان أرضين سواها ، أو قل لسكان كواكب سواها كلفهم الله كما كلفنا وهم عباد الرحمن مثلنا •

وجمال الجنة فى أن يكون أهلها على سرر متقابلين • يطوف عليهم ولدان مخلدون بألوان النعيم ، وليس جمالها فى أن يعيش الفرد الواحد فى مساحة كوكب أو كواكب ، والله تعالى أعلم •

وليدرك المسلم أن اعتقاد هـذا التفسير ليس من ضروريات العقيدة ، فانه فهم فى النصوص مبنى على الاجتهاد الظنى ، فلا يكفر منكره أو المتردد فيه ، ولكن العقلية المتفتحة والفهم المستقيم لا يمانعان فى قبوله بل يحثان عليه ، فانه الأظهر من النصوص ، والأليق بالقدرة والعظمة الالهية ، والأجدر بالحكمة الربانية ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » •

مصطفى محمد الحديدى الطير

بين القاضى والطبيب

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

عن يحيى بن سعيد رضى الله عنه: ان أبا الدرداء كتب الى سلمان الفارسى رضى الله عنهما : أن هلم الى الأرض المقدسة فكتب اليه سلمان : ان الأض لا تقدس أحدا وانما يقدس الانسان عمله ، وقد بلغنى انك جعلت طبيبا تداوى . فان كنت تبرىء فنعما لك ، وان كنت متطببا فاحذر أن تقتل انسانا فتدخل النار » فكان أبو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر اليهما فقال : متطبب والله . !

ارجعا الى أعيدا على قصتكما . أخرجه فى الموطأ . الطبيل فى الأصل: الحاذق بالأمور العارف بها ، وبه سمى الطبيب الذى يعالج المرضى ، وكنى به هنا عن القضاء والحكم بين الخصوم لأن منزلة القاضى من الخصوم بمنزلة الطبيب من اصلاح البدن .

والمتطبب : الذى يعانى الطب ولا يعرفه معرفة جيدة ، لقد تضمن هذا الحديث أمورا ثلاثة لها أثرها فى ترابط المسلمين وتصحيح سلوكهم وانتظام شئون جماعتهم وانتزاع الحقد من نفوسهم واطمئنانهم على حقوقهم باقامة العدل فيهم .

الامر الاول : العناية بالاخوة بين المسلمين والتعاطف بينهم . والأمر الثانى : العناية بالعمل اذ هو سبيل الفوز والفلاح أو سبيل البوار والخسران . والأمر الثالث : أهمية القاضى ومسئوليته فى تحقيق العدالة بين الناس .

أما الأخوة التى أشار اليها الحديث بما تضمنته المكاتبة بين أبى الدرداء وسلمان الفارسى وجاءت صريحة فى أحاديث أخرى فقد كان أمرها عجبا

فى الاسلام،وكانت أروع مثل للأخوة الصادقة والمؤاخاة ـ وهى اتخاذ كل من الشخصين صاحبه صديقا ومعاونا وناصحا حتى يكون له كالأخ يشاركه سراءه وضراءه وخيره وشره ـ قد يكون باعثها انسانيا وقد يكون باعثها دينيا واذا تظاهر الباعثان صارت أخوة صادقة لابد أن تؤتى ثمارها وتستتبع آثارها حبا وودا ، وتصافيا وتآلفا ، وقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يغرس هذه الفضيلة فى نفوس المسلمين لأول خطوة من خطوات الدعوة وظل يتعهدها فى كل مناسبة حتى صار المسلمون كتلة واحدة فى وجوه المشركين المقاومين لدعوة الاسلام ، ولهذه المؤاخاة صفحات مشرقة فى التاريخ الاسلامى صارت مثلا وأملا ينشدها دعاة المحبة والسلام فى كل أمة وكل جيل .

ومن هذه المؤخاة مؤخاة أبى الدرداء وسلمان الفارسى فقد آخى بينهما رسول الله وكل من الرجلين صحابى جليل أخلص لدينه وأخلص لأخوته ، فأبو الدرداء استغرقه حبه لدينه حتى انصرف بعبادته عن نفسه وأهله ، وقدزاره يوما أخوه سلمان فشكت اليه زوجه ذلك الانصراف فطلب اليه سلمان أن يقتصد فى عبادته ويؤدى حق نفسه وحق أهله كما يؤدى حق ربه وقال له : ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه وكذلك كان سلمان فى صلاحه مع فقهه فى دينه وحسن رأيه فهو الذى أشار بحفر الخندق فى غزوة الخندق وتنازعه الأنصار والمهاجرون فقال كل منهم سلمان منا فقال رسول الله سلمان منا أهل البيت ولقد قال رسول الله لأبى الدرداء سلمان أفقه منك ، ولقد فرقت بينهما الأحوال مكانيا فذهب سلمان الى الكوفة وذهب أبو الدرداء الى الشام ولكنهما ظلا متآخيين روحانيا ودينيا وتمثلت تلك الأخوة فيما جرى بينهما من مكاتبات تجسد فيها النصح والحب والرغبة فى الخير وقد كتب أبو الدرداء الى سلمان يطلب اليه أن يذهب الى بيت المقدس ليحظى ببركته ومضاعفة ثواب عمله حيث كان مسرى النبى ومهبط الأنبياء وحيث استحب الصحابة وغيرهم زيارته وقد زارته

أم الدرداء وعمر بن عبد العزيز ومسجده من المساجد التى يستحب شد الرجال اليها فأجابه سلمان بأن الأرض لا تقدس أحدا وانما يقدس الانسان عمله •

الأمر الثانى :

وفى اجابة سلمان كتاب أبى الدرداء نظر ، فظاهره انكار لزيارة بيت المقدس وفضله وأنها لاتنفع العبد ولا تفيده لأنه قطعة من الأرض والأرض لا تطهر أحدا من الذنوب وانما يطهره وينفعه عمله ويعارض هذا الظاهر ما جاء فى فضل بعض الأمكنة وبعض الأزمنة وافتراض زيارتها أو استحباب زيارتها ومن الأرض مكة والمدينة وزيارة مكة ومسجدها فرض للحج وزيارة المدينة ومسجد الرسول سنة وفى صحيح الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، ومما له فضل من الأماكن مسجد قباء وجبل أحد والعقيق وذو الحليفة وغيرها وقد ثبت فضل زيارتها ، ويمكن أن يحمل ظاهر قول سلمان على أن المراد بقوله : ان الأماكن لا تقدس أحدا بأن الأماكن لا تقدس أحدا لذاتها وانما الذى يقدس العبد ويطهره هو ما يقوم به العبد فى تلك الأماكن من الأعمال الصالحة وربما يؤيد ذلك أن ما ورد فى فضل تلك الأماكن انما ورد مسندا الى الأعمال التى تؤدى فيها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : فيما يحدث به أبو الدرداء: فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة •

والأمر الثالث الذى تضمنه الحديث عن كتاب سلمان الى أبى الدرداء هو الخاص بالقضاء وأهميته فى استقرار المجتمع ومسئولية القاضى وثقل وزنها بين مسئوليات الحكم الأخرى ، وانا لنقف اعجابا وتقديرا لهذا الأسلوب الذى اصطنعه سلمان فى التعبير عن هذه الموضوعات فقد اصطنع وهو الفارسى الأصل أسلوبا تنقطع دونه أطماع البلغاء من العرب بما تضمنه من صور بيانية تجلى فيها الذوق الأدبى الرفيع ولعله أول من استعملها فأصاب المحز فقد استعار لفظ الطبيب للقاضى وانها لاستعارة لطيفة عميقة المعنى تلوح من خلالها لأول وهلة خطورة منصب القاضى

فالطبيب آس يفتش عن العلل والأوجاع ويعالج القروحين والمجروحين والمألومين من أوصابهم وآلامهم بما يلائم من الأدوية والعقاقير وكذلك القاضي فانه يفتش عن ظلامات المظلومين والمرزئين ويداوى بعدله واجتهاده ظلاماتهم ومآسيهم ، كما استعمل لفظ الطبيب الماهر فى القاضي الكفء العادل.

واستعمل التوفيق الى معرفة الداء فى التوفيق الى العدل والوصول الى الحق فى الحكم واستعمل المتطبب الذى لا خبرة له فى الطب فى القاضي الجاهل بوجوه الصواب وجعل الخطأ فى الحكم وعدم الاهتداء الى الحق وضياعه بمنزلة القتل للجهل بالطب فكلاهما يجر الى الهلاك اما هلاك النفس أو هلاك الحق ، ذلك أسلوب سلمان الفارسى فى التعبير عن شئون القضاء والقاضي وتصويره لعظم المهمة ، واذا كانت ألفاظ البليغ توحى بمعانيه كما يقول كتابنا المحدثون فهل هناك أقوى ايحاءا من ألفاظ سلمان فى التعبير عما أراد أن يبلغه أخاه أبا الدرداء عن أهمية الوظيفة التى أسندت اليه وعن عظم مسئوليته عنها أمام ربه ودينه ووجوب تحرى العدل والاجتهاد فى الوصول الى الصواب واعطاء كل ذى حق حقه

ولا شك أن سلمان كان يستلهم روح الاسلام ويستهدى تعاليمه فى شأن القضاء فقد عنى الاسلام بشأن القضاء كوسيلة لتحقيق العدل بين المسلمين ، والعدل فى مقدمة الفضائل التى بنى عليها الاسلام مجتمعه لأنها فضيلة لو توفرت فى مجتمع لتوفر فيه كل خير ، واطمأن كل فرد على نفسه ودمه وماله وعرضه . عنى الاسلام بالقاضي وتشدد فى شروط اختياره وفيما ينبغى أن يتحقق فيه من كفاية وعلم ونزاهة وعفة ودراية بطبائع الناس وأحوال المجتمع وأساليب العصر فى التعامل والتحايل ليكون كالطبيب الماهر لا المتطبب الجاهل كما قال سلمان لا تخفى عليه بواطن العلل ولا تشتبه عليه وسائل العلاج ويكون مقدرا لنتائج عمله ان أصاب وان أخطأ كما عنى ببيان مناهج عمله وبيان مصادر حكمه ومتى يكون اعتماده على رأيه واجتهاده وأحاطت

كل ذلك بقوارع زاجرة عن الاهمال والجور والظلم، وحفل القرآن الكريم، والسنة النبوية بعشرات الآيات والأحاديث في بيان جزاء القاضي ثوابا ان أقسط وعدل، وعقابا ان جار وزل وقد ملأت هذه الآيات والأحاديث قلوب أصحاب رسول الله وقلوب الصالحين من علماء المسلمين هيبة ورهبة من هذا المنصب فكانوا يتوقونه ويتهربون منه ويشفقون على من يبتلى به ويتمنون له السلامة منه ومما ورد من الأحاديث في التحذير من القضاء وثقل مسئوليته قوله صلى الله عليه وسلم : «من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين » ، وممن تهرب من القضاء ورفض أن يتقلده عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقد روى أن عثمان بن عفان قال لابن عمر: اقض بين الناس قال: أو تعافيني يا أمير المؤمنين ، قال : وما تكره من ذلك ؟ وقد كان أبوك يقضي ، قال : لأنى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان قاضيا فقضى بالعدل فبالحرى أن ينقلب منه كفافا فما راجعه بعد ذلك ، وممن رفض القضاء تورعا عنه وارتقاء لمسئوليته امامنا الأعظم أبوحنيفة رضى الله عنه فقد عرض عليه القضاء من أمراء بنى أمية ثم المنصور فأبى فسجنه وآذاه حتى قيل انه مات في سجنه .

والحديث عن القضاء واهتمام الاسلام به ونظرة الصالحين من المسلمين اليه حديث يطول وهو ضافي الذيول ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

أبو الوفا المراغى

نبى الإسلام

كما يراه « توماس كارليل »

التحرير

تناول « توماس كارليل فى كتابه الأبطال « حياة محمد بالبحث والتحليل قائلا :

من العار أن يصغى أى انسان متمدين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين أن دين الاسلام كذب وأن محمدا لم يكن على حق • لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التى دعا اليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان ، ــ لملايين كثيرة من الناس • فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة أو خديعة مخادع ؟

ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير ، لأضحت الحياة سخفا وعبثا ، وكان الأجدر بها ألا توجد •

هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟ ان الرجل الكاذب لايستطيع أن يبنى بيتا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، واذا بناه فما ذلك الذى يبنيه الا كومة من أخلاط هذه المواد ، فما بالك بالذى يبنى بيتا ، تبقى دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا ، متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع •• وما الرسالة التى أداها الا الصدق والحق •

وما كلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول •• وما هو الا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله •• وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ••

وهب جدلا أن لمحمد هفوات[1]، فانه ليس فى مقدور هذه الهفوات أن تستر تلك الحقيقة الكبرى وهى أنه رجل صادق ونبى مرسل .

ثم استرسل توماس كارليل يقول :

أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأى ، لا يعتمد الا على نفسه ، و لايدعى ما ليس فيه . ولم يكن متكبرا ولا ذليلا ، فهو قائم فى ثوبه المرقع كما أوجده الله ، يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الأخرة ..

وما كان محمد بعابث قط ، ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو ، فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء ، أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق فما كان من عادته قط .

وكان «محمد» اذا سئل أن يأتى بمعجزة قال حسبكم بالكون معجزة ..

انظروا الى هذه الأرض .. أليست من عجائب صنع الله ؟ أليست آية من آيات عظمته .. أنظروا الى هذه الأرض التى خلقها الله لتمشوا فى مناكبها ولتأكلوا من رزقها .. انظروا الى هذا السحاب المسير فى الأفاق كيف يتحول الى ماء يروى الأرض ويخرج به النبات والزرع .. ألستم أنتم معجزات ؟ ... لقد كنتم صغارا ، وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جمال وقوة وعقل .. ثم يأتيكم المشيب ثم تموتون .. لقد كان الكون نفسه فى نظره معجزة ! .. لقد كان يرى كل ما كان يراه كبار المفكرين .. وهو أن هذا الكون المادى انما هو فى الحقيقة لا شىء .. وهو ظل علقه الله فى الفضاء لا غير .. وان دل على شىء فهو يدل على أنه آية من آيات الله .

ويزعم المتعصبون أن محمدا لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والجاه والسلطان .. كلا وأيم الله . لقد انطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس المملوء

---

(١) ان الكاتب هنا يفترض فقط .

رحمة وبرا وحنانا ونورا وحكمة ، لقد كان يجول فى خاطره منذ رحلاته وأسفاره آلاف من الأفكار.

أفكار غير الطمع الدنيوى وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان ..

ماذا أنا ؟ .. ما هى الحياة ؟ ..

ويزعم الكاذبون أنه الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره... ما هو الموت ؟ .. ماذا أفعل ؟

حمق وسخافة وهوس ان رأينا رأيهم .. أى فائدة لرجل على هذه الصورة فى جميع بلاد العرب ، وفى تاج قيصر وصولجان كسرى وفى جميع ما بالأرض من تيجان ..

لقد أحس هذا الرجل ابن الصحراء أن هذه هى كبرى المسائل وأهمها.

وكل شىء فى هذا الوجود عديم الأهمية بجانبها .

لم يكن كغيره يرضى بالأوضاع الكاذبة ، ويسير تبعا للاعتبارات الباطلة .

ثم استطرد توماس كارليل يصور شخصية هذا النبى الكريم الى أن قال :

ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل .

لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الكون والكائنات .

لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه .

لقد جاء صوت هذا الرجل منبعثا من قلب الطبيعة ذاتها ..

لهذا وجدنا الآذان اليه مصغية لما يقول واعية .

« لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . فكان طعامه عادة الخبز والماء . وكثيرا ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل متقشف ، خشن الملبس والمأكل ، مجتهد فى الله دائب فى نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان .

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلاقى من العرب الغلاظ احتراما واجلالا واكبارا ، ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ، ثلاثا وعشرين حجة ، وهم ملتفون حوله ، يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله !

لقد كان فى قلوب هؤلاء العرب جفاء وغلظة ، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم . لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلا وأيم الله .

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لارادته ولما انقادوا لمشيئته .

وفى ظنى أنه وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبى لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع . !!

هكذا تكون العظمة ؟ !

وهكذا تكون البطولة ؟ !

وهكذا تكون العبقرية ؟ !

وتناول هذا المفكر الانجليزى رسالة هذا النبى وما لاقى فيها من صعاب فكتب يقول :

كانت زوجه « خديجة » فى طليعة الذين آمنوا برسالته . لقد رأى فى ايمانها بكلمته المخلصة جميلا يفوق كل ما أسدت اليه من قبل ، فليس أجمل على النفس من أن يجد الانسان له شريكا فى أفكاره ومعتقداته .

وهذا هو الذى دعا «نوفاليس» أن يقول : ما رأيت شيئا قط يقوى العزيمة واليقين أقوى من انضمام انسان آخر الى فى الرأى .

لهذا ظل محمد يذكر خديجة حتى لقى ربه . لقد سألته عائشة زوجته الصغيرة البارعة الجمال المتقدة الذكاء ذات يوم قائلة :

ألست الآن أفضل من خديجة؟.. لقد كانت أرملة مسنة ذهب جمالها وولى ... أراك تحبنى أكثر مما كنت تحبها ! ؟

فأجابها النبى :

كلا والله .. لست أفضل منها .. وكيف يكون ذلك وهى التى آمنت بى والكل كافر ومنكر ..

واستمر النبى يذكر رسالته لهذا ولذاك ، فما كان يلقى غير الجمود والسخرية ، حتى انه لم يؤمن به فى خلال ثلاثة أعوام الا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البطء وبئس التشجيع • وبعد هذه السنين الثلاث أدب مأدبة لأربعين من أهله ثم قام بينهم خطيبا فذكر دعوته وأنه يريد أن يذيعها فى سائر أنحاء الكون وأنها المسألة الكبرى ••• فأيهم يمد اليه يده ويأخذ بناصره ؟ وبينما القوم صامتون فى حيرة ودهشة وثب « على » وكان غلاما فى السادسة عشرة ، وكان قد غاظه سكوت الجماعة ، فصاح فى قوة أنه ذاك النصير والظهير • ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين محمدا وكلهم قرابته ، وفيهم أبو طالب عم محمد وأبو على ، ولكن رؤية رجل كهل يعينه غلام فى السادسة عشر يقومان فى وجه العالم بأجمعه ، كانت مما يدعو الى العجب فانقض القوم ضاحكين ، ولكن الأمر لم يك بالمضحك بل كان غاية فى الجهد والخطر ! • أما « على » فلا يسعنا الا أن نحبه ونتعشقه فانه فتى شريف النفس ، يفيض قلبه رحمة وبرا ، وكان أشجع من أسد ، ولكن كانت شجاعته ممزوجة برقة ووداعة وحنان •

واستمر النبى يؤدى الرسالة الى كل من أصغى اليه ، وينشر مذهبه بين الحجيج مدة اقامتهم بمكة ويستميل الأتباع هنا وهناك ، وهو يلقى أثناء كل ذلك منابذة ومناوأة ومناصبة بالعداوة ومجاهرة وشرا باديا وكامنا • وكانت قرابته تحميه وتدافع عنه ولكنه عزم هو وأتباعه على الهجرة الى الحبشة فوقع خبر ذلك العزم من قريش أسوأ موقع وضاعف حنقهم عليه ، فنصبوا الشراك وبثوا الحبائل وأقسموا بالآلهة ليقتلن محمدا بأيديهم •

وكانت خديجة قد توفيت وتوفى أبو طالب • وتعلمون أصلحكم الله أن محمدا ليس بحاجة الى أن نرثى له ولحاله ومقامه الضنك وموقفه الحرج ، ولكن اعرفوا معى أن حاله وقتئذ كان فى أشد حالات الضنك والبلاء • لقد كان يختبىء فى الكهوف ويفر متنكرا من مكان الى مكان لا مأوى له ولا ناصر ولا معين ، تتهدده المخاوف وتتوعده المهالك •

وفى العام الثالث عشر من رسالته وجد أعداءه متألبين عليه جميعا ، وكانوا أربعين رجلا من كل قبيلة ائتمروا به ليقتلوه ، وعندئذ وجد المقام بمكة مستحيلا فهاجر الى يثرب حيث التف حوله الأنصار . والبلدة تسمى الآن « المدينة » أى مدينة النبى وهى من مكة على بعد مائتى ميل، تقوم وسط صخور وقفار، ومن هذه الهجرة يبتدىء التاريخ فى المشرق والسنة الأولى من الهجرة توافق ٦٢٢ ميلادية وهى السنة الخامسة والخمسون من عمر هذا النبى .

وبهذا بدأ النبى فى مرحلة جديدة من مراحل رسالته .

* * *

وتناول « توماس كارليل » الدين الاسلامى ببعض البحث والتحليل فكتب يقول :

لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور وأحيا به أمة هامدة . وما كانت الا فئة جوالة فى الصحراء خاملة فقيرة تجوب الفلوات ومنذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من عنده ورسالة من قبله ، فاذا بالخمول قد استحال شهرة ، والغموض نباهة ، والضعف قوة ، واذا بالضوء الخافت قد أضحى نورا وهاجا يملأ الأنحاء ويعم الأرجاء .

وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى امتدت دولة العرب الى الهند والى بلاد الأندلس ، وظلت هذه الدولة تشرق حقبا عديدة ودهورا مديدة بنور الحق والمروءة والعدل والشهامة والنبل .

وفى موضع آخر كتب يقول :

وفى الاسلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهى المساواة بين الناس . وهذا يدل على صدق النظر وصواب الرأى ..

والاسلام لم يقنع بجعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم ، وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام ، وقدرها بنسبة من الثروة، تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين.

جميل والله كل هذا !!

جميـل والله أن ينبعث صـوت الرحمة والاخاء والانسانية من فؤاد هـذا النبى الـكريم ابن القفـار والصحراء ..

لقد مضى على هذا الدين مئتان(١) وألف عـام وهـو الدين القـويم والصراط المسـتقيم لأكثر مـن سـدس (٢) سكان العالم وما زال فوق ذلك دينـا يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم ولا أحسب أن أمـة اعتصمت بدينهـا اعتصام المسلمين باسلامهم . اذ يوقنون به كل اليقين يواجهون به الدهر أبدا ، وينـادى حارس الليل فى شوارع القـاهرة أحد المـارة : من السائر ؟ فيجيبه السائر « لا اله الا الله » ان كلمـة التوحيد والتكبير لترن آناء الليـل وأطراف النهـار فى صـدور تلك الملايين من البشر ، وان الفقهاء ذوى الغيرة فى الله والتفـانى فى حبـه يذهبون الى الشعوب الوثنية بالهند والصين والمالاى فيهدمون أضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الاسلام .. ونعم ما يفعلون .

أما عن القـرآن فكتب توماس كارليل يقول :

« لقـد نظـر العرب اليه نظرة معجزة لمـا بين آياته وأذواقهم من ملائمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بحسنه وابداعه .

لقـد أعطاه العرب من التبجيل أكثر مما أعطاه أهل الأديان الأخرى لأديانهم وما برح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمـل والقـانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلهـا ، والوحى المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضىء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به فى غياهب الحياة ، وفى بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسـمه ثلاثون قارئا على التـوالى . وكذلك ما برح هـذا الكتاب يرن صوته فى آذان الألوف من خلق الله وفى قلوبهم فى كل آن ولحظة .

---

(١) كان هذا فى عهد الكاتب . اى قبل مائتى عام .
(٢) عدد المسلمين فى العالم اليوم اكثر من ثمانمائة مليون .

رأى :
فى تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها

المستشار : السيد عبد العزيز هندى

١ - نادى دعاة الاصلاح بأن الأساس الأوحد لاصلاح هذه الأمة وصلاحها هو العمل الفورى بالتشريع الآلهى المعصوم « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » •

وفى محاضرة لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود - بنادى القضاة بالقاهرة طالب فضيلته بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فورا - وأبان أن التشريع الالهى يكف الانسان تماما عن محاولة مخالفته - وأنه يكفه ظاهرا وباطنا - وأن من خصائصه أنه أعز الدولة التى طبقته - فحين طبقته الأمة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - وطبقته فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين - كانت أمة لا تغيب عنها الشمس (راجع محاضرة فضيلة الامام الأكبر - المنشورة فى العدد التاسع من مجلة القضاة - سبتمبر سنة ١٩٧٥) •

٢ - ولما كان تجميع الفقه الاسلامى وتقنينه - هو أمنية كل مسلم صادق - ليكون هذا التقنين بمثابة تذكرة الطبيب « لاسعاف المجتمع بالعلاج الربانى لأدوائه المختلفة - العلاج الذى وصفه العليم الخبير بمن خلق - بحيث أصبح تعطيل حدود الله أمرا لاينبغى السكوت عليه أكثر من ذلك - فان الأمر يستوجب أن توضع أحكام الشريعة الغراء موضع التنفيذ الفعلى - ودون ابطاء •

وقد شملت هذه الدعوة أخيرا - أرجاء عديدة من العالم العربى والاسلامى - كما نصت عليها دساتير وقوانين بعض دوله - بشكل أو بآخر - كما لاحظنا ذلك عن كثب:

ففى مصر نص الدستور الدائم على أن مبادىء الشريعة الاسلامية

مصدر رئيسى للتشريع وقد دعم القضاء المصرى هذا النص بما أصدره العديد من المحاكم — على اختلاف أنواعها ودرجاتها من سيادة أحكام الشريعة الاسلامية حين يتعارض معها أى حكم مخالف فى القوانين الأخرى .

وفى المحاضرة التى دعيت لالقائها فى مبنى وزارة العدل بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٦/٦/٧ بمناسبة الدراسات التى كان يتلقاها الزملاء من قضاة الصومال وقتئذ بمصر — طالبنا بأن تكون الشريعة الاسلامية هى الأساس الذى تبنى عليه تشريعاتنا .

وفى ليبيا صدر قرار بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٨ بتشكيل لجنة عليا لمراجعة التشريعات وتعديلها بما يتفق مع المبادىء الأساسية للشريعة الاسلامية — وقد سعدت بالعضوية فيها — وأنجزت هذه اللجنة بعض التشريعات والقوانين التى مصدرها الشريعة الاسلامية .

وحين دعا مؤتمر المحامين الثانى عشر ببغداد فى شهر تشرين أول سنة ١٩٧٤ — أعضاء مجلس القضاء الأعلى بالقاهرة لحضور هذا المؤتمر — كان من توصيات اللجنة القانونية — التى دعيت لالقاء كلمة فيها أن تراعى اللجنة أن يكون التشريع الاسلامى مصدرا من المصادر الرئيسية للتشريعات الموحدة فى البلاد العربية — وقد أيدت قرارات المؤتمر النهائية هذه التوصية — رغم الجهود المحمومة التى بذلها البعض لاغفالها .

هذا فضلا عن السعودية التى أسعدها الله بتطبيق أحكام الشريعة الغراء فيها حيث لاحظنا أن كثيرا من الجرائم قد اجتثت من جذورها — كما هو الشأن بالنسبة لجريمتى السرقة والحرابة مثلا .

٣ — ولكن ما هى الوسيلة المثلى لتقنين الشريعة الاسلامية وتطبيقها ؟

جاء فى توصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية الذى عقد فى شهر رجب سنة ١٣٨٨ الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٨ — أن المؤتمر يوصى بتأليف لجنة من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات

القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الاسلامية ـ الأخذ بأحكام الشريعة فى قوانين بلادها ـ كقوانين العقوبات والقانون التجارى والقانون البحرى وغيرها •

ووضعت لذلك خطة عمل ـ هى تقنين المذاهب الفقهية التى يعمل بها فى البلاد الاسلامية ـ وأن يبدأ فى المرحلة الحالية بتقنين فقه المذاهب الأربعة ـ الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ـ على أن يقنن كل مذهب على حدة وبعد الفراغ من هذه المرحلة يبدأ العمل فى وضع قانون مختار من بين المذاهب جميعها •

وفعلا قامت اللجان المشكلة لهذا الغرض بجهد مشكور فى تجميع فقه كل مذهب على حدة وصدر عن كل لجنة جزآن تم طبعهما وتضمنا بحث عدة أبواب فى المعاملات •

أما اللجنة المشكلة للنظر فى القانون الجنائى فلمّا يصدر عنها شىء بعد•

٤ ـ ولما كان تجميع الفقه الاسلامى وتقنينه على هذا النحو ـ رغم أنه أمنية كل مسلم صادق ـ فانه قد استغرق ويستغرق وقتا طويلا جدا حتى يتم اعداده على حين أن المجتمع بكافة هيئاته ومؤسساته ينادى بوجوب المسارعة الى اسعافه بالعلاج الربانى ـ دون ما ابطاء •

٥ ـ ولما كانت القوانين الوضعية القائمة تتضمن أقساما ثلاثة :

(ا) قسم منها مصدره الشريعة الاسلامية ومطابق لأحكامها •

(ب) قسم آخر لا يخالف رأيا مقطوعا به بحكم فيها •

(جـ) وقسم ثالث وأخير ينقسم بدوره قسمين :

أولهما : يقتضى مزيدا من البحث والتروى •

وثانيهما : مقطوع بأنه مخالف مخالفة ظاهرة واضحة للقواعد الأساسية فى الشريعة الاسلامية •

٦ ـ واذ كان ذلك ـ وكان السكوت على العمل بالأحكام المخالفة مخالفة صارخة واضحة ـ وما هو معروف بالضرورة من أحكام هذه الشريعة ـ ريثما تنتهى اللجان المشكلة ـ من استعراض وبحث أحكام الفقه فى المذاهب الأربعة

ثم تقنينها ثم توحيدها — يعتبر تعطيلا لحدود الله الواجبة النفاذ فورا وبدون معوقات — فقد أضحى لزاما أن نبدأ البحث فى القوانين الوضعية القائمة — وذلك لحصر واستظهار ما يناقض الأحكام القطعية والقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية — والعمل فورا على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة موافقة للشريعة الاسلامية — أخذا من مختلف المذاهب — مع تخير أصلح الحلول لعلاج المجتمع القائم — مما له أصل ثابت فى الفقه الاسلامى أو غير متعارض معه — وذلك ريثما تنتهى اللجان الأخرى من أبحاثها المتكاملة — فيتم العمل بشريعة الله فى كل شأن من شئون الحياة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه من أن حداً من حدود الله يعمل به فى الأرض خير من أن يمطر الناس ثلاثين صباحا — وقديما قيل « بدلا من أن تلعنوا الظلام — أضيئوا شمعة » .

٧ — ولما كانت السرقة والحرابة قد أصبحتا ظاهرتين خطيرتين مدمرتين لأمن المجتمع واقتصادياته — ولم تفلح التشريعات الوضعية فى اجتثاثها من جذورها — على حين أفلح التشريع الالهى — وكان حقا على الله أن يفلح — فى علاج هاتين الظاهرتين وغيرهما كما هو الشأن فى السعودية (راجع محاضرة فضيلة الامام الأكبر — المنشورة بمجلة ادارة قضايا الحكومة — عدد ٤ س ١٨) .

٨ — بل ان القوانين الوضعية قد عجزت عجزا ظاهرا فى مجتمع من أكبر المجتمعات وأكثرها تقدما وثراء من الناحية المادية والعلمية — وهو المجتمع الأمريكى .

فقد جاء فى مقال كتبه أحد الصحفيين المصريين من نيويورك ومنشور بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٦/١/٩ — أن أحدا لم يكن يأمن على نفسه أو ماله فى الفندق الكبير الذى ينزل فيه أو فى غيره من الفنادق الكبرى فى نيويورك — ليلا

أو نهارا بسبب العصابات التى تسطو على الآمنين .

وقد تأيد ذلك بما نشره بعدئذ أحد الكتاب المصريين فى جريدة الأهرام عن الأيدى الرقيقة المرتعشة التى تصوب المسدسات فى الطرقات لتستولى على ما مع العابرين من نقود ومصوغات .

وما أوردته احدى الصحفيات فى مقال أخير عن اللافتات التى تحذر الزوار من العدوان على حياتهم وأعراضهم وأموالهم هناك .

٩ ــ ولما كان قانون العقوبات الوضعى القائم حاليا ــ وان عالج بعض حالات الجرائم التى تقع على أموال الناس كالسرقة والاغتصاب (المواد ٣١١ وما بعدها) والنصب وخيانة الأمانة (م/٣٣٦ وما بعدها) وسرقة الأطفال (م/٢٨٣ ومابعدها) كما عالج اختلاس الأموال الأميرية والغدر (المواد ١١٢ وما بعدها) .

الا أن هذا العلاج وان صلح فى بعض الحالات التى يجوز فيها التعزير ــ الا أنه لم يفلح فى علاج تلك الحالات التى لا يصلحها الا تطبيق الحد الذى شرعه الله ــ ومن ثم فاننا نرى أن يقنن ويطبق حد السرقة والحرابة وكذلك باقى الحدود أولا ــ ويواكب ذلك بحث باقى المسائل الشرعية غير المختلف عليها كربا النسيئة وغيره لتقنينه وتطبيقه فورا ــ مع استمرار بحث وتقنين باقى المواد الأخرى التى قد يتطلب الأمر مزيدا من البحث فيها والتروى فى تطبيقها ــ وأن تقدم هذه الأبحاث والتقنينات جميعها فور الانتهاء من كل منها الى الجهات المسئولة المختصة دستوريا باصدارها ــ لنبرىء ذمتنا من البحث والرأى والمشورة ــ ونعذر الى كل مسئول عن اصدارها وتطبيقها أنه محاسب عن ذلك أمام الله وأمام أمة الاسلام .

١٠ ــ وبعد ــ فان صيحة « الله أكبر » التى رددت فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ انما هى بشير نصر وصدق ــ « ولينصرن الله من ينصره » .

فتحت لوائها أخرجنا أعداءنا من أوكارهم بعد أن ظنوا أنهم ما نعتهم حصـــونهم من الله ـــ فأتاهم الله من حيث لم يحتســـبوا ـــ وقـــذف فى قلـــوبهم الرعب ـــ فكان العبـــور المشهور •

والله نســـأل أن يوفقنا الى عبور أعظم ـــ حين نعبر بأمتنا المجيدة من ربقة القوانين الوضعية القائمة الى رحاب شريعـــة الله الغراء ـــ فنعبر بذلك من الظلمات الى النور ـــ وتتم بذلك الهجرة الحقة من جـــديد الى الله ورسوله •

والله الهادى الى سواء السبيل ؟

المستشار السيد عبد العزيز هندى

(دعاء عند الكرب والشدة)

عن ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ أن رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العـــرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم »

الهجرة .. بين إعجاز السماء وتدبير البشر

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحداث الجسيمة فى تاريخ البشرية ، لا لأنها كانت مهارة نادرة ، أومعجزة سموية استطاع بها النبى أن يخرج من مكة ومن حوله العيون والأرصاد ، فهذا عمل فردى ونتيجته حياة شخص أو موته ، ولكن أهمية الحادث ترجع الى ما ترتب عليه من تغيير فى مصاير الشعوب وتلوين فى حياتها الفكرية والاجتماعية ، والسير بموكب الحضارة بعد توقف طويل ، ثم ادخال النور الحضارى الى مجاهل لم تكن لتعرف أى فكر حضارى لو تأخر ظهور الاسلام فيها . لولا هذا الحادث لوئدت دعوة الاسلام فى مكة ، ولما وجدت هذه الثروة الفكرية الضخمة التى أنشأها الاسلام وظلت تعرف باسم الفكر الاسلامى ، وأيضا لتأخرت النهضة الأوروبية الحديثة ، أو ربما ما كاد لها وجود أصلا فبداية هذه النهضة كانت من احتكاك أوروبا المسيحية بالمسلمين ، حادث تاريخى كبير متعدد الجوانب ولا ريب .

وقد كان توفيقا من الله أن اتجه تفكير عمر بن الخطاب الى جعله مبدأ التاريخ الاسلامى ، ولو رجعنا الى أحداث التاريخ الكبرى التى أرخت بها الشعوب لوجدناه أعظمها أثرا ، وأكثر هذه الأحداث لا يعدو أن يكون حادثا كبيرا أو نادرا .

أرخ العبرانيون بنجاتهم من فرعون ، ولم تعد نجاتهم بنفع على الناس وأرخ المسيحيون بحادث محاكمة المسيح وصلبه ، ولم يتفقوا على أنه صلب بل هناك فرق ترى أن الذى صلب غيره ، ولم يؤمن اليهود برسالة المسيح أصلا ، ولم يعد الحادث على العالم بنشر رسالة اصلاحية ، ولا كان ذا سبب فى اقامة التوراة والانجيل ، فان كان

ذا أثر فى نشر المسيحية الأوروبية فقد نشر لونا من ألوان الوثنية ، ولم ينق الفكر البشرى من عبادة البشر، ولم يهدهم الى تفكير (ميتا فيزيقى) سليم •

وأرخ الأقباط فى مصر بعهد « دقلديانوس » وأرخ الروس مدة طويلة بحوادث خاصة بهم ثم أرخوا بالتاريخ المسيحى ، وهكذا نجد أحداثا ليست بذات أثر عام فى تاريخ الناس •

أذكر أننى استمعت الى محاضر فى احدى الجمعيات الصوفية العالمية استعرض فى مقدمة حديثه ــ وكان عن الحضارة البشرية وتطوراتها ــ عددا من أحداث التاريخ الكبرى ، فذكر فتوحات الاسكندر الأكبر المقدونى ، لأنها لم تكن مجرد انتصارات حربية ، بل كانت فتوحات ثقافية ، اذ كان أستاذه أرسطو يصحبه فى رحلاته وكان فى كل مكان ينزل فيه يملى محاضراته على تلاميذه ، وينشىء مدارس ومدنا تحمل اسم الاسكندر ، وسعدت من بينها مدينة الاسكندرية، وظلت مدرسة اغريقية حتى فى العهد الرومانى • وذكر انتصار الرومان على الفرس فى موقعة « سلامس » لأنها كانت مفاجأة أذهلت العالم ، ثم هيأت للرومان أن ينشروا الفكر اليونانى ، ولو انتصر الفرس لكانت السيادة والغلبة للزرادشتية والمجوسية ، وليس وراء أى منهما نصر حضارى أو فكر فلسفى ترقى به عقليات البشر ، وذكر أيضا حادث محاكمة المسيح وصلبه ، لأنه فضلا عن كونه نشأ عن تسلط دينى يهودى ، نبه الأذهان الى دعوة المسيح،ولولا ما أحاط بهذا الحادث من سيطرة الربانيين من اليهود على عقول الغوغاء من الناس ما استطاع الرسول «بولس» أن ينشر المسيحية فى أوروبا •

واستطرد السيد المحاضر فذكر أحداثا أخرى معروفة فى تاريخ المسيحية ولكنه ــ ولا أدرى لماذا ــ أعلن فى ختامها أنه لا يؤمن بوجود الله ولا برسالة المسيح،وأنه اتجه مرة الى درس الاسلام قصده عنه ما جاء فى القرآن عن المسيح ، لكنه ذكر أيضا أن صلبه ليس مجمعا عليه من المسيحيين •

ولست بصدد الحديث عن المحاضرة والآراء التى أوردها ، وانما أذكر أنه تعرض لحادث هجرة النبى محمد (ص) الى المدينة ، وقد سماه اليتيم الموهوب ، وسمى هجرته الهرب أو الافلات ، فذكر أنها من أعظم الأحداث أثرا ، لأنها هيأت لدعوته الاسلامية أن تولد فى وضح النهار ، وجعلت تاريخ الاسلام خالصا من شوائب الخرافة التى شوهت الديانات الأخرى لكنه أبدى أسفه لما دسه المسلمون المتأخرون من خرافات لا يبدو أن نبى الاسلام قررها أو اعتمد عليها فى رسالته .

واستطرد ثانيا فذكر أن تاريخ الاسلام لم يدون الا بعد أن اختلط المسلمون بغير المسلمين وبعد أن نقلوا من الديانة اليهودية تفاصيل تلمودية ، ووفقوا من تاريخها على معجزات كثيرة وخوارق فأحبوا أن يزينوا الاسلام بأمثال لها ، وهو — كباحث غيرديني وكبقية المستشرقين — يرى أن اليهودية ذات أثر على القرآن وعلى الاسلام بوجه عام .

وأهم ما أخذه على المسلمين — وقد جاء ذلك فى عبارات عارضة له ولكنه شائع بين المستشرقين — أنهم يرجعون بكل حادث فى حياة النبى (ص) الى الوحى وتدبير السماء ، حتى ليبدو أنه لم يكن يعمل شيئا الا بنزول عليه وارشاده لما ينبغى أن يعمل .

وهذا النقد شائع عند المستشرقين تزكيه نزعتهم المادية وعدم ايمانهم برسالة نبى الاسلام ، وعدم ايمان الكثيرين منهم بالله سبحانه وتعالى ، وهم يرجعون ذلك الى سذاجة العقلية الشرقية وقد ذكر « الفريد جيوم » حادث شق صدره (ص) فقال ان المسلمين لم يفهموا الآية الكريمة : ألم نشرح لك صدرك فطبقوها تطبيقا حرفياوجعلوا الشرح يعنى الشق .

وكان لهذه الهجمة الغربية رد فعل فى كتابات الشرقيين ، فبسببها تحاشى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ذكر معجزات الرسول وأسند كل أعماله الى فكره وتدبيره، وذكر الدكتور طه حسين فى مقدمة كتابه « على هامش السيرة » أنه حديث للعاطفة لا للعقل .

ونحن من جانبنا نؤمن بأن كلا الأمرين الوحى السماوى والتفكير البشرى ـ كانا جميعا فى حياة رسول الله (ص) وقد اجتمعا معا فى حادث الهجرة ، كما اجتمعا فى غيرها من مواقفه ، فلا تنكر الوحى لأنه أساس ديننا الذى آمنا ، ولا ننفى ذكاء النبى وحسن تدبيره وتفطنه للأحداث ونتائجها ، فهو كان ذكيا ولا ريب والأنبياء جميعا من صفاتهم الفطانة ، وهو تلقى هذا القرآن من لدن حكيم عليم ، نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين ، وقد أمده الله سبحانه فى هجرته بنصره وتوفيقه وجاء فى القرآن الكريم : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى »

لكننا مع هذا نرى أن كتاب السيرة النبوية حقا توسعوا فى ذكر الخوارق ازاء هذا الحادث ، وجاءوا بأشياء ليس من المناسب أن يعتمد عليها المبشر الاسلامى ، وخصوصا من يدعو للاسلام فى أوروبا .

من ذلك أن القرشيين حين اجتمعوا للائتمار بمحمد (ص) دخل عليهم الشيطان فى صورة رجل من نجد ، كان هو الذى اقترح عليهم ما يعملون وردهم عما لم يره صوابا ، وهو حديث من السهل أن يفند وينفى .

ومن ذلك أن النبى حين خرج من بيته مر على الأربعين شابا فحثا التراب فى وجوههم وألقاه على رؤوسهم وهم لا يشعرون .

ومن ذلك أن آل أبى بكر لم يعرفوا شيئا عن النبى وعن أبيهم بعد خروجهم من الغار حتى سمعوا منشدا من الجن ينشد :

جزى الله رب العرش خير جزائه
رفيقين قالا خيمتى أم معبد

ومن ذلك حديث الحمامة التى جاءت الى فم الغار فبنت لها عشا والغصن النضير الذى نبت على فم الغار وامتد عليه ... الخ ، ولو أن النبى (ص) خرج على القوم ـ

وهـو يتـلو : فأغشيناهـم فهـم لا يبصرون» ماكان ثمة داع لخروجه ليلا وتخفيه فى الغار ثلاث ليال سويا، كل هـذا ممـا لا تقبله العقليـة الأوروبية .

وقـد افتتـح الدكتـور وات W. Montogomeny What كتابه « محمد » بذكر القصة المشهورة عن بحيرى الراهب ، وعلق عليها بأنهـا مقطوع بها أنهـا أسطورة وأنهـا تصور عقلية العالم الذى نشـأ فيه محمد .

والمسلمون لا يتمسكون بهـذه القصة ولا بالأقاصيص التى أشرت اليهـا فى حادث الهجـرة ، ولكننا لا نتخلى عن شىء من حقائق ديننا مجـاملة للمستشرقـين ولا لغـير المستشرقين ، ونحن نعلم أن رسول الله (ص) قـد احتاط لهـذه الرحلة احتياطا يكفى لنجاحها ، وقـد جهز أبو بكر من قبله أيضـا ما يكفى لنجاحها ، وقد ذكر صاحب السيرة ــ فى موضع غير حديث الهجرة ــ قصة لعلها أقرب الى الصواب وأحق أن تؤخذ بها .

قال : ان النبى (ص) بعد غروب الشمس وقبل مجىء العشاء ، خرج من بيته ، تسـور الحائط الخلفى وكان مرتفعـا ، ذوقفت جارية له بجانبه ووضـع قدمه على كتفها ثم تدلى من الجانب الآخـر حيث كان المكان خاليا ، ثم ألقى على رأسـه رداء واتجه الى بيت أبى بكر ، واذن فهو قد غادر بيته قبل أن يأتى الي الشـبان الذين يريـدون قتـله ، والخروج فى مثل هـذا الوقت من الخـدع التى تحدث ، فهـو وقت لا يتوقع الخصوم فيه هروبه ، وفى بلد كمكة قد تخلو الطرق من المارة نهائيا ، فان وجد شخص ما فلا يعنيه أن يفحص عن شـخصية مـار على رأسه رداء .

وأما النبتة التى كانت على فـم الغار فجاء عنها فى تفسـير الزجاج أن النبى (ص) وأبا بكر حـين كانا فى طريقهما الى الغار مرا بشـجرة ثمام ، فأمر النبى أبا بكر أن يقتلعها ويأخذها معـه ، فلما دخلا الغـار جعلاها عند مدخله ، وهذا من خدع الحرب أيضا .

وكل هذا لا ينافى أن نجاته كانت وفيقا من الله ونصرا من عنده •

ونحن نجدها حلقات متتابعة ليس من المألوف أن تأتى بها المصادفة البحتة ، فالمصادفة لا تتكرر هكذا عدة مرات •

أفلت أولا من بيته ، ثم أفلت من بيت أبى بكر ، ثم خفى على أعين الباحثين فى الغار وكانوا بمقربة منه ، ثم أفلت أخيرا من سراقة بن مالك وقد رآه رأى العين وكلمه وكلم أبا بكر ، وقد رجع سراقة يرد الناس أن يسلكوا الطريق الذى جاء منه •

أليس هذا نصرا من الله وتوفيقا •• ؟

ما أغنانا بعد هذا عن ذكر الأساطير •

ان العظماء جميعا تنسج حولهم الخرافات ، ويضاف الى تاريخهم ما ليس منه فى شى ، ولكن ما الذى يحوجنا وديننا دين المنطق السليم أن نذكر هذه الأساطير ولديه من المنطق ما فيه الغناء •

دكتور عبد الجليل شلبى

« القلب »

عن الأعمش قال : سمعت مجاهدا يقول : القلب بمنزلة الكف فاذا أذنب الرجل «الذنب انقبض حتى قبض أصابعه كلها أصبعا أصبعا ، ثم طبع عليها » . فكانوا يرون ان ذلك الرين قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

من الفقه المقارن :

حكم قراءة البسملة فى الصلاة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

— ١ —

اختلف الفقهاء فى حكم قراءة البسملة فى الصلاة على قولين :

القول الأول :

أن قراءة البسملة فى الصلاة فرض من فرائض الصلاة، لاتوجد الصلاة بدونها كما لا توجد بترك أى فرض من فرائضها ، ذهب الى ذلك الشافعية ، وبعض الصحابة، وبعض التابعين .

القول الثانى :

أن قراءة البسملة فى الصلاة ليست بفرض فتوجد الصلاة بدونها ، ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية والحنابلة — فى المشهور عنهم — وبعض الصحابة وبعض التابعين (١) .

---

(١) الفقهاء الذين قالوا بعدم فرضية البسملة فى الصلاة ، اختلفوا بعد ذلك فى حكم قراءتها فى الصلاة :

فذهب الحنفية : الى ان قراءتها فى الصلاة سنة من سنن الصلاة ، وموضعها فى كل ركعة قبل الفاتحة ، فيقول المصلى : بسم الله الرحمن الرحيم « سرا » ولو فى الصلاة الجهرية .

وذهب المالكية : فى المشهور عنهم الى كراهة قراءتها فى الصلاة المفروضة سواء أكانت جهرية ، أم سرية ، والى جواز قراءتها فى صلاة النافلة . وفى غير المشهور عنهم : قيل باباحتها ، وقيل بندبها ، وقيل بوجوبها . انظر حاشية الشيخ أحمد الصاوى ، على الشرح الصغير ، فى مكروهات الصلاة .

وذهب الحنابلة : الى ان قراءتها سنة من سنن الصلاة فى أول الفاتحة وفى أول كل سورة وفى كل ركعة . ويسر بها ولو كانت الصلاة جهرية . انظر : كشاف القناع ومنتهى الارادات — فى سنن الصلاة .

وهذا الخلاف مبنى على الخلاف فى البسملة: هل هى قرآن أو ليست بقرآن ، واذا كانت قرآنا : فهل هى آية من الفاتحة ومن كل سورة أو هى آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة •

فمن ذهب الى أنها قرآن ، وأنها آية من الفاتحة ، قال : ان قراءتها فرض من فرائض الصلاة •

ومن ذهب الى أنها قرآن وأنها آية مستقلة ليست جزءا من الفاتحة ولا من غيرها من السور • قال ان قراءتها ليست بفرض فى الصلاة ، وكذلك من قال : انها ليست بقرآن: قال ان قراءتهـا ليست بفرض فى الصلاة •

ولبيـان هـذا المبنى ، سنعقد خلافيتين :

الأولى : هـل البسملة قرآن أو ليست بقرآن ؟ •

الثانيـة : هـل البسملة آية من الفاتحة ومن كل سـورة ، أو آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة ؟•

الخلافية الأولى :

هل البسملة قـرآن ، أو ليست بقرآن ؟ لا خلاف بين العلماء فى أن البسملة بعض آية فى ثنايا سـورة النمل ، ولا خلاف — أيضا — فى اثباتها خطـا فى أوائل السـور فى المصحف الا فى سورة التوبة ، كما أنه لا خـلاف بين القراء السبعة فى تلاوتها فى أول فاتحة الكتاب ، وفى أول كل سورة اذا ابتدأ بها القارىء ما خلا سورة التوبة •

وانما الخـلاف بينهم فى كونهـا قـرآنا أو ليست بقـرآن • على قولين :

القول الأول :

انها قرآن، ذهب الى ذلك الحنفية والشـافعية والحنـابلة ، وبعض الصحابة وبعض التابعين •

القول الثانى :

أنها ليست قرآنا ، ذهب الى ذلك المالكية — فى المشهور عنهم — وبعض الصحابة وبعض التابعين(١) .

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول : على أن البسملة قرآن بأدلة كثيرة نذكر منها ثلاثة لقوة ظهورها فى المطلوب :

الدليل الأول :

ما رواه أحمد ومسلم والنسائى عن أنس — رضى الله عنه — أنه قال : بينما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم بين أظهرنا فى المسجد ، اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسمافقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : نزلت على آنفا سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم • انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الأبتر » ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم • قال انه نهر وعدنيه ربى — عز وجل— عليه خير كثير ، وهو حوض يرد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء،فيختلج العبد منهم، فأقول: رب انه من أمتى، فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك » •

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم نزلت على الرسول — صلى الله عليه وسلم — فتكون قرآنا •

الدليل الثانى :

ما رواه أبو داود عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنه قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم—

---

(١) قال الشوكانى فى نيل الأوطار : اعلم ان الائمة اجمعوا على انه لا يكفر من اثبت البسملة ولا من نفاها ، لاختلاف العلماء فيها ، بخلاف ما لو نفى حرفا مجمعا عليه أو اثبت ما لم يقل به أحد ، فانه يكفر بالاجماع جـ ٢ ص ١٦٨ — ١٦٩

وقال الشيخ منصور بن ادريس الحنبلى ، فى كتابه « كشاف القناع » قال الأصوليون : وقوة الشبهة فى « بسم الله الرحمن الرحيم » منعت التكفير من الجانبين ، تدل على أنها ليست من المسائل القطعية ، خلافا للقاضى أبى بكر جـ ١ : ص ٢٢٤

لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه ، بسم الله الرحمن الرحيم .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم كانت تنزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أول كل سورة ، فتكون قرآنا .

الدليل الثالث :

أن البســملة كتبت فى المصحف الامام (١) فى أول سورة الفاتحة ، وفى أول كل سورة عدا ســورة براءة (٢) وكتبت كذلك فى مصاحف الأمصار المنقولة عنه ، وتواتر كتبها فى أوائل السور ، مع العلم بأنهم كانوا لا يكتبون فى المصحف ما ليس من القــرآن ، وكانوا يتشددون فى ذلك ، حتى انهم منعوا من كتــابة التعشير ، وأسماء السور ومن كتابة العجم (٣) وما وجد من ذلك أخيرا، فقد كتب بغير خط المصحف ، وبمداد غير المداد الذى كتب به المصحف ليتميز عن القرآن ، وذلك كله حفظا للقرآن من أن يتسرب اليه ما ليس منه ، ولم يحصل ذلك بالنســبة الى البسملة ، فلم تميز بتمييز يخرجها عن القرآن، بل كتبت بخط المصحف وهذا دليل واضح على أنها قرآن .

ورد هذا الدليل :

بأن كتابتها فى المصحف فى أوائل السور لا يدل قطعا على أنها قرآن ، لاحتمال أن كتابتها كان امتثالا للأمر بالبداءة بهــا فى أوائل الأمور ، فى مثــل قول النبى ـ صلى الله عليــه وسلم : ـ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فهو أبتر » .

---

(١) المصحف الامام : هو المصحف الذى امر بنسخه الخليفة عثمان ابن عفــان ـ رضى الله عنه ـ وحمل الناس على القــراءة برسمه .

(٢) قال صاحب كشاف القنــــاع : فيكره ابتــداؤها بها لنزولها بالسيف ، وقيل لانها مع الانفــال سورة واحدة ج ١ : ص ٢٢٤

(٣) العجم : هو وضع النقط المميزة للحروف المتشابهة ، وشــكل الكلمــات ليكون النطق صحيحا .

ودفع هذا الرد :

بأن هذا احتمال لا يصح ايراده ، لأنه لو صح هـذا الاحتمال لكان الأولى أن بسم الله الرحمن الرحيم تكتب فى أول كل آية لا فى أول كل سورة فان كل آية أمر ذو بال ولم يقل بذلك أحد ، على أن اثباتها فى أوائل كـل سـورة فى معنى تواتر قرآنيتها ، فقد صرح عضـد الدين بأن الرسم دليل علمى [1] .

واستدل اصحاب القول الثانى :

على أن البسملة ليست قرآنا بأدلة كثيرة نذكر منها دليلين :

الدليل الأول :

ماروواه أحمد وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنـه عن النبى صـلى الله عليـه وسلم - أنه قال : ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهى: تبارك الذى بيده الملك .

ووجه الدلالة من هذا الحديث :

أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم ، وذكر عدد آيات السـورة ، وهى بالاجماع كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثلاثون آية بدون البسملة ، فلو كانت البسملة قرآنا لذكرها ، أو ضمها اليها فى العدد .

فليست البسملة قرآنا من سـورة تبارك ولا من غيرها من السور لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد هذا الدليل :

بأن الرسول - صلى الله عليـه وسلم - انما ذكر اسم السورة، ولم يذكر فى العـدد البسـملة ، لأن المقصود عد ما هو خاصة السورة والبسملة كالشىء المشـترك ، فلا دلالة فى الحديث على أن البسـملة ليست قرآنا .

الدليل الثانى :

أن القـرآن انما يثبت بالتواتر ، والبسملة لم يتواتر كونها قرآنا .

---

(١) نيـل الأوطار للشوكانى جـ ٢ . ص ١٧٥ .

ورد هذا الدليل :

بأنا لا نسلم عـدم تواتر كونها قرآنا فان بعض القراء السبعة أثبتها، والقراءات السبعة متواترة ، فيلزم تواترها لفقـد أثبتها مـع الوصـل بسورة قبلها ، ابن كثير ، وقالون ، وعاصم ، والنسائى — من القراء ، أول كل سورة عدا سورة براءة[1].

القول الراجح

والراجح ما ذهب اليه أصحاب القـول الأول من القـول : بأن البسملة قرآن لقوة أدلته، وسلامتها مما ورد عليها .

(يتبع)

د. ابراهيم دسوقى الشهاوى

« المرء بين الدنيا والآخرة »

عن أنس — رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنيـاه حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيـا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس » .

---

(١) نيل الأوطار للشوكانى ج ٢ . ص ١٧٥

أضواء على سيرة الإمام الماوردي ومؤلفاته وعصره

للباحث الإسلامي المحقق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

— ٢ —

٤ ـ مؤلفات الماوردي :

« ذكر بروكلمان من مؤلفات الماوردي : تفسير القرآن واسمه كتاب النكت والعيون منه مخطوطات فى رامبور وفاس واسطنبول ، وكتاب الحاوى الكبير فى الفروع وهوعبارة عن عدة مجلدات منه مخطوطات فى المتحف البريطانى والقاهرة واسطنبول، ويعتزم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى القاهرة نشره ، والأحكام السلطانية وظهرت له طبعات فى الشرق مليئة بالأخطاء والحذف والتصحيف وقد شكا منها المستشرق هربرت جيب وظهرت له ترجمات هولندية وفرنسية • ونصيحة الملوك مخطوط فى باريس •وقوانين الوزارة وهى رسالة طبعت فى مصر سنة ١٩٢٩م ومنه مخطوطة فى فينا •

وتسهيل النظر وتعجيل الظفر فى السياسة وفن الحكم مخطوط فى غوطا واعلام النبوة منه مخطوطات فى برلين والقاهرة وأدب القاضى مخطوط فى اسطنبول والامثال والحكم مخطوط فى ليدن والبقية العليا فى أدب الدين والدنيا وهو المعروف بأدب الدنيا والدين وقد طبع أكثر من مرة وكان مقررا فى التعليم الثانوى فى مصر ككتاب مطالعة فى العشرينات من هذا القرن •

وفيما يتعلق بمؤلفات الماوردى ذكر ابن خلكان فى ترجمته للماوردى (جـ ١ ص ٣٢٦) «قيل ان الماوردى لم يظهر من تصانيفه فى حياته شيئا منها • وانما جمعها كلها فى موضع • فلما دنت وفاته قال لشخص يثق به : الكتب التى فى المكان الفلانى كلها تصنيفى وانما لم أظهرها لأنى لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر • فاذا عاينت الموت ووقعت فى النزع فاجعل يدك فى يدى • فان قبضت

عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل منى شىء فاعمد الى الكتب وألقها فى دجلة ليلا • وان بسطت يدى ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأنى قد ظفرت بما كنت أرجوه عن النية الخالصة قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت وضعت يدى فى يده فبسطها ولم يقبض على يدى فعلمت أنها علامة القبول ، فأظهرت كتبه بعد •

هذه القصة لدينا ما يماثلها بنحو آخر فى ترجمة أبى طالب المكى صاحب قوت القلوب المتوفى عام ٣٨٦ هـ • (انظر ترجمته فى المنتظم جـ ٧ ص ١٨٩ ، ١٩٠ • وذكر هذه القصة الخاصة بالماوردى التاج السبكى فى طبقاته (جـ٣ ص ٣٠٤) وعلق عليها قائلا : « لعل هذا بالنسبة الى الحاوى والا فقد رأيت من مصنفاته عدة كثيرة وعليها خطه • ومنها ما أكملت قراءته عليه فى حياته » •

وعلينا أن نناقش هذه القصة فقد أوردها ابن خلكان وصدرها بكلمة « قيل » أى أن ابن خلكان لم يجزم بصحتها •

ثانيا ـ استثنى التاج السبكى من هذه المؤلفات كتاب الحاوى ولا ندرى أى وجه لاستثنائه ، ولنتساءل عما دعا الماوردى لاخفاء هذه الموسوعة الكبيرة فى الفقه الشافعى الا أن الماوردى وجد فيما بسطه فيها من أحكام وآراء مظنة الابتداع فآثر اخفاء هذا الكتاب ؟ لقد قال ابن خلكان فى ترجمته للماوردى أنه كان حافظا للمذهب، وان له فيه «كتاب الحاوى» الذى لم يطالعه أحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب ولعل فى هذا مايدل على تداول كتاب الحاوى فى حياة مؤلفه ••

ثالثا ـ ورد فى مقدمة كتاب الأحكام السلطانية للماوردى ما يدل على أنه لم يخفه ، فقد ألف الماوردى لأحد الخليفتين: القادر أو القائم ويرجح هذا المستشرق هربرت جيب فى مقاله: نظرية الماوردى فى الخلافة وقد نشره فى مجلة الثقافة الاسلامية التى تصدر بالانكليزية فى حيدر أباد «المجلد(١١)» العدد الثالث يوليو سنة ١٩٣٧ م ص ٢٩١ : ٣٠٢) •

فقد قال الماوردى فى مقدمة كتابه الأحكام السلطانية : « ولما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق ، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم

عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه وما عليه منها فيوفيه ، توخيا للعدل فى تنفيذه وقضائه وتحريا للنصفه فى أخذه وعطائه » .

وتساءل جيب عن ذلك الذى امتثل الماوردى أمره فألف له الكتاب ؟ وأضاف : أنه ليس فى كتاب التراجم من أجاب على هذا السؤال . ثم أشار الى « أن سلطان البويهيين أخذ يتزعزع منذ بداية القرن الخامس الهجرى بسبب الخلافات الداخلية ومقررات الجند وفى الوقت نفسه كان السلطان محمود الغزنوى منهمكا فى انشاء دولة واسعة فى ايران والبلاد المجاورة مع تقديم كثير من آيات الولاء للخلافة العباسية وشجعت هذه الظروف الخليفتين:القادر والقائم على أن يأملا فى استعادة نفوذ الخلافة العباسية . ومن المعروف أن الماوردى كان سفير هذين الخليفتين الناطق باسمهما فى المفاوضات الجارية بينهما وبين الأمراء البويهيين واذن فليس ثمة من شك فى أن كتاب الأحكام السلطانية ألف تلبية لرغبة أحدهما . وهذا ما تؤكده لغة المقدمة نفسها . لأن الفقيه اذا تحدث عن أمر من لزمت طاعته انصرف الكلام الى الخليفة بصفة خاصة .

واذا صح ما ذهب اليه جيب فانا نستبعد اقدام الماوردى على اخفاء كتاب الأحكام السلطانية على اعتبار أنه من الوثائق الدبلوماسية التى يتحتم الحفاظ على سريتها فان تقرير الكتاب لوجهة النظر السنية للخلافة لاستعادة نفوذها يقتضى الدعاية لها أى أن يعمد الماوردى الى نشره وتداوله وليس الى حجبه واخفائه .

رابعا ـ علينا أن نستثنى من كتب الماوردى التى قيل أنه أخفاها ابان حياته كتابا مختصرا فى الفقة الشافعى أسماه : الاقناع .

روى ياقوت فى ترجمته للماوردى « أن الخليفة القادر بالله تقدم الى أربعة من أئمة المسلمين فى أيامه فى المذاهب الأربعة أن يصنف له واحد منهم مختصرا على مذهبه . فصنف له الماوردى الاقناع (على المذهب الشافعى) وصنف له أبو الحسين

القدورى مختصره المعروف على مذهب أبى حنيفة وصنف له القاضى أبو محمد ابن نصر المالكى مختصرا آخر ولا أدرى من صنف له على مذهب أحمد . وعرضت على الخليفة فخرج الخادم الى أقضى القضاة الماوردى وقال له : يقول لك أمير المؤمنين : حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا »

والى هنا لا تفيد هذه القصة أن كتاب الاقناع كان مباحا تداوله ابان حياة مؤلفه ، اذ الاستفادة منه كانت مقصورة على الخليفة . فقد أضاف ياقوت (ج ١٥ ص ٥٥) مايدل على عكس ذلك اذ قال : « ومن هذا المجموع « أى الاقناع » كان أقضى القضاة قد سلك طريقة فى ذوى الأرحام ، يورث القريب والبعيد بالسوية ، وهو مذهب بعض المتقدمين.

فجاءه يوما الشونيزى فى أصحاب القماقم. فصعد اليه فى المسجد وصلى ركعتين . والتفت اليه فقال له أيها الشيخ : اتبع ولا تبتدع .. فقال : بل أجتهد ولا أقلد . فلبس نعله وانصرف » .

ويستفاد من هذه القصة أنه لم يكن بوسع الشونيزى أن يقول له اتبع ولا تبتدع لا اذا كان قد سبق له الاطلاع على كتاب الاقناع . وهذا دليل على أن كتاب الاقناع كان مباحا تداوله فى حياة المؤلف .

كمايستفاد من هذه القصة أيضا أن الماوردى كان ينزع فى استنباط الأحكام الى الاجتهاد دون التقليد غير أن بيان ذلك على وجه الدقة وفى شىء من التفصيل لا تتيسر للباحث الا بعد دراسة كتاب الحاوى ومقارنته بالمطولات الأخرى فى الفقة الشافعى .

وأيا كان الأمر فقد كان الماوردى على علو كعبه فى الفقه متواضعا لا يدعى لنفسه سعة العلم والاحاطة به كما يدل على ذلك ما كتبه فى أدب الدنيا والدين (ص ٥٧) اذ قال :

« ومما أنذرك به من حالى أنى صنفت فى البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس واجهدت فيه نفسى وكددت فيه خاطرى . حتى اذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به وتصورت أننى أشد الناس اضطلاعا بعلمه ، حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان . فسألانى عن بيع عقداه فى البادية على شروط تضمنت أربع

مسائل لم أعرف لواحدة منهن جوابا ؟ فأطرقت مفكرا ، وبحالى وحالهما معتبرا ، فقالا : ماعندك فيما سألناك جوابه وأنت زعيم هذه الجماعة ؟

فقلت : لا ، فقالا : واهالك وانصرفا . ثم أتيا من يتقدم فى العلم كثيرا من أصحابى فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه . فبقيت مرتبكا وبحالهما وحالى معتبرا .

وانى لعلى ماكنت عليه فى تلك المسائل الى وقتى فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بهما قياد النفس وانخفض لهما جناح العجب توفيقا منحته ورشدا أوتيته . وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لمالا يحسن . فقد نهى الناس عنهما واستعاذوا بالله منهما » .

٥ ـ ما رمى به الماوردى من الاعتزال :

(نقل التاج السبكى عن طبقات الشافعية بقلم ابن الصلاح الشهرزورى قوله : « يهم الماوردى عفا الله عنه بالاعتزال . وقد كنت لا أتحقق ذلك عليه ، وأتأول له ، وأعتذر عنه فى كونه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيهما أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة ، غير متعرض لبيان ماهو الحق منها . وأتأول لعل قصده ايراد كل ماقيل عن حق أو باطل .

« ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد ، حتى وجدته يختار فى بعض المواضع قول المعتزلةومابنوهعلىأصولهم الفاسدة. ومن ذلك مصيره فى الاعتراف الى أن الله لا يشاء عبادة الأوثان .

« وقال فى قوله تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن) (الانعام أية ١١٢) .

وجهان فى جعلنا أحدهما معناه حكمنا بأنهم أعداء،والثانى:تركناهم على العداوة فلم يمنعهم منها .

« وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدسيسا على وجه لايفطن لهالاأهل العلم والتحقيق . مع أنه من تأليف رجل لايتظاهر بالانتساب الى المعتزلة، بل يجتهد فى كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق . ثم هو ليس

معتزليا مطلقا فانه لايوافقهم فى جميع أصولهم مثل خلق القرآن ، كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم » الانبياء آية ٢ وغير ذلك • ويوافقهم فى القدر وهى البلية التى غلبت على البصريين،وعيبوا بها قديما» نقل التاج السبكى هذه الفقرة بطولها عن ابن الصلاح ولم يعقب عليها •

٦ ـ حول كتاب الأحكام السلطانية للماوردى :

يتضح من ثبت مؤلفات الماوردى أن خمسة منها أى نصفها يتناول المسائل السياسية والادارية وفى مقدمتها كتاب الأحكام السلطانية الذى يشتمل على عشرين بابا نذكر منها عقد الامامة وهو أهمها وهى من الموضوعات التى يعنى بها علماء الكلام لأنها موضع خلاف بين أهل السنة والفرق المختلفة ومن المتكلمين المعاصرين للماوردى عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ الذى تناول الامامة من الوجهة الكلامية فى كتاب : « أصول الدين والفرق بين الفرق » •

غير ان الماوردى عالج موضوع الامامة وغيرها من الموضوعات التى تتصل بما يسمى حديثا بالقانون العام من وجهة النظر الفقهية أى مايتعلق بحكم الشرع فيها • ويتضمن كتاب الأحكام السلطانية عرضا دقيقا للنظرية السياسية عند أهل السنة • وعند المستشرق جيب : أن قصد الماوردى من التفصيلات الكثيرة التى أوردها عن الواجبات الادارية للخليفة هو تفنيد لمزاعم القائلين من أن الخلافة وظيفة دينية أو قضائية فحسب • وهذه هى فكرة البوهيين • أى أن الكتاب يتضمن أيضا دفاعا عن نظام الخلافة بعبادة أخرى تعد هذه هى المسألة الأساسية التى كانت موضع النزاع بين الخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين لأن الأخيرين كانوا يذهبون الى الشئون الادارية خارجة عن اختصاص الخلافة •

ثم شرح الماوردى الظروف والأحداث التى تؤدى الى فقدان الأمام لامامته • وتتلخص فى الجرح فى عدالته بارتكاب المحظورات والتعلق بالشبهات وفى نقص العقل أو الجسم وأخيرا نقص للتصرف

بحجز أو قهر وهذا يمس مشكلة الخلافة فى عصر الماوردى،مما يؤيد: أن كتاب الأحكام السلطانية له غرض سياسى •

يقول الماوردى فى ص ١٦ من كتابه : «وأمانقص التصرف فضربان حجر ، وقهر ؛ فأما الحجر : فهو أن يستولى على الخليفة من أعوانه من يستبد بتنفيذ الأمور من غير تظاهر بمعصية ولا مجاهرة بمشاقة • فلا يمنع ذلك من امامته ولا يقدح فى صحة ولايته • ولكن ينظر فى أفعال من استولى على أموره فان كانت جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز اقراره عليها تنفيذا لها وامضاء لأحكامها،لئلا يقف من الأمور الدينية مايعود بفساد على الأمة •

« وان كانت أفعاله خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز اقراره عليها ولزم الخليفة أن يستنصر من يقبض يده ويزيل تغلبه » •

والعبارة الأخيرة تتضمن تهديدا للبويهيين اذ ظلت أعمالهم تثير اعتراض الخليفة واستنصار الخليفة بمن يقبض أيدى البويهيين ويزيل تغلبهم يشير الى محمود الغزنوى الذى أنشأ دولة سنية فى ايران والهند • وهذا يرجح تأليف كتاب الأحكام السلطانية قبل سنة ٤٢١هـ وهى السنة التى توفى فيها محمود الغزنوى •

واذا كان الهدف من تأليف كتاب الأحكام السلطانية هو تحقيق غاية سياسية وهى استعادة الخلافة العباسية لنفوذها فان الماوردى لم يستوف بطبيعة الحال موضوع انعقاد البيعة القهرية التى تناولها أحد علماء القرن الثامن وهو القاضى بدر الدين ابن جماعة فى كتابه تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام الذى نشره كوفلر فى مجلة الاسلاميات فى ليبزج فى سنة ١٩٣٤ م فقد قال ابن جماعة ان الامامة الاختيارية تنعقد بطريقين والقهرية بطريق ثالث • فالطريق الأول فى الاختيارية بيعة أهل الحل والعقد والطريق الثانى استخلاف الامام الذى قبله ، وأما الطريق الثالث (الذى لم يذكره الماوردى)الذى تنعقد به البيعة القهرية فهو قهر صاحب الشوكة • فان خلا

الوقت عن امام فتصدى لها من هو ليس من أهلها • وقهر الناس بشوكته وجنوده بغير بيعة أو استخلاف انعقدت بيعته ولزمت طاعته لينتظم شمل المسلمين وتجتمع كلمتهم • ولا يقدح فى ذلك كونه جاهلا أو فاسقا ؛ واذا انعقدت الامامة بالشوكة والغلبة لواحد ثم قام آخر فقهر الأول بشوكته وجنوده انعزل الأول وصار الثانى اماما لما قدمنا من مصلحة المسلمين وجمع كلمتهم ولذلك قال عبد الله بن عمر فى أيام الحرة «نحن مع من غلب» •

وهذا يعد ربطا بين وقائع العصر والتفكير السياسى عند بدر الدين بن جماعة مما نفتقده فى كتاب الماوردى كما حمل بعض الباحثين الى اتهام الماوردى بأنه يتحدث عن المدينة الفاضلة • وقد نقض هذه الفكرة المستشرق الفرنسى الكونت ليون استروروج فى تصديره لترجمته الفرنسية لباب الامامة الذى أسماه ما ترجمته بقانون الخلافة (باريس سنة ١٩٢٥م ص ٢) حيث قال : « ان مثل هذه الانتقادات مما يوجهه النقاد المحدثون لكتاب الماوردى تثير سخرية الفقهاء المسلمين لوجهة النظر الاسلامية التى التزم بها الماوردى هى بعيدة كل البعد عن طريقة « فينيلون » فى كتابة «تليماك» وعن ذاتتى فمهمة الماوردى لم تكن بناء صرح مدينة فاضلة وتنسيق أحكامها على اعتبار أنها من المرغوب فيها ؛ وانما كان يقصد بيان الأحكام الفقهية بكل ما تقتضيه من دقة ، وما تطلبه السنة الاسلامية التى تحمل فقيها على أن يقدم عرضا للشريعة الاسلامية » •

ولتدعيم هذا الرأى كتب استروروج مقدمة طويلة فى ثلاث وخمسين صفحة رجع فيها الى كتب أصول الفقه واقتبس كثيرا من فقراتها المتعلقة بالامامة واعتمد فيها على أربعة مراجع وهى كشف الأسرار للبزدوى ، ومرآة الأصول بقلم ملاخسرو ، والمواقف لعضد الدين الايجى وكتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم » •

وهناك كتاب بنفس عنوان كتاب الماوردى وهو كتاب الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ أى أن أبا يعلى هذا كان معاصرا للماوردى المتوفى عام ٤٥٠ هـ وكتاب أبى يعلى

حققه ونشره المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى (مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٩م ، واتضح لنا بعد الموازنة بين نص الكتابين أنهما متطابقان فى لفظيهما •

ويقول الشيخ حامد الفقى فى هذا الصدد «ص٤٤»: «ومن الظواهر الغريبة التى لاحظتها أن يخرج هذا العصر كتابين فى الأحكام السلطانية لامامى عصرهما ، أبى يعلى امام الحنابلة وأبى الحسن الماوردى امام الشافعية فى هذا العصر ، ويزداد الانسان عجبا حين يجد عبارة المؤلفين تكاد تكون واحدة ، لولا أن أبا يعلى يذكر فروع مذهب الامام أحمد وروایاته ويذكر الماوردى مذهب الشافعى وخلاف المالكية والحنفية ويزيد أحاديث وآثارا عن الصحابة والتابعين فى تأييد مذهبه • وكلا الامامين كان فى بغداد فى عصر واحد على ما يغلب على ظنى •

ونضيف أنه ليس هناك مجال للظن فى هذا الصدد فمن الثابت أن أبا يعلى كان فى بغداد كما فى ترجمته فى المنتظم لابن الجوزى (حـ ٨ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤) اذ قال ابن الجوزى ان أبا يعلى تولى النظر فى الحكم بحريم دار الخلافة ـ وفيما يتعلق بتماثل الكتابين نقول انه من المستحيل أن يكون مرد التطابق اللفظى بين الكتابين الى ما يسمى فى علم النفس بتوارد الخواطر اذ أن هذا مقصور على الأفكار العامة وليس على التفصيلات ونصوص العبارات • والراجح فى نظرنا أن المتأخر أخذ عن المتقدم فأبو يعلى توفى بعد وفاة الماوردى بثمانى سنوات وتسنى له أن يأخذ كتاب الماوردي وينتحله لنفسه مضيفا اليه آراء الحنابلة فى الأحكام السلطانية •

ومن الطريف أن البيعة القهرية وردت فى كتاب أبو يعلى (ص ٦) فقد سئل أحمد بن حنبل : فى الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيفتن الناس فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم • مع من تكون الجمعة ؟ قال الامام أحمد مع من غلب •

وموضـوع التمـاثل اللفظى بـين الكتب العربية هو من الظواهر المعروفة فهناك مثلا تشابه لفظى فى عـدد غير قليل من الفقرات بين كتاب المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوىء للبيهقى وكذلك الحال فى المؤلفات الخاصة بالحسبة .

* * *

وقد وجدت تماثلا لفظيا فى ترجمة بدر الدين ابن جماعة ، فى كل من فوات الوفيـات لابن شاكر الـكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ «جـ ٢ ص٢٥٣» وكتاب نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى ، المتوفى فى نفس العام أى ٧٦٤ هـ (ص ٢٣٥) وحل هـذا الاشـكال من السهـولة بمكان ؛ لأن بدر الدين ابن جماعة كان شـيخا للصـفدى ، وورد فى ترجمة الصفدى لابن جماعة قوله: «وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبى . وهـذه العبارة وردت فى فوات الوفيات » لابن شاكر، ثم تليها العبـارة التالية التى لم ترد فى كلام ابن شاكر . وهى كما فى الصفدى :« وسمعتهـا أنا عليه مع جماعة بمنزله بمصر مجاورا لجامع الناصرى وأجاز لى ـ أى للصفدى ـ سنة ثمان وعشرين وسـبعمائة . ويلى ذلك ما يزيد على نصف صـفحة متماثلة لفظا فى كل من الكتابين .

ومن الواضح أن ابن شاكر الكتبى نقل ترجمة ابن جماعة عن الصفدى مع أن المؤلفين توفيـا فى عام واحـد وهو ٧٦٤ هـ .

عبد العزيز عبد الحق حلمى

« فضل العمـل »

عن انس ـ رضى الله عنه ـ قال « قال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأعرابى أهمـل ناقته ـ وقال توكلت على الله ـ اعقلها وتوكل » .

كنت ملحـــدة

لست حجة في أمور الدين ، بل لم أكن متدينة اطلاقا ، وكنت ملحدة غير مؤمنة أسخر من كل ما يتصل بالدين ، ولكني رجعت الى نفسي يوما ، فلما أدركت فداحة خطبي ووجدت أني أمعنت في تحطيم تلك الفتاة التي كانت يوما سعيدة ناجحة ــ وهي أنا ــ لم يسعني الا أن أتحسر على نفسي ، ورحت أضرع الى الخالق في أسى غامر وندم مرير ، أن يرحمني وينقذني !

وكنت كلما أخذتني نوبة من الندم والبكاء كثيرا ما أتساءل : « أين هو الله الذي يصورونه رحيما محبا عطوفا ؟ ولماذا يسمح لمخلوقة ضعيفة مثلي أن تحطم حياتها وتجلب العار والحزن واليأس للذين أحبوها وضحوا الكثير كي يحققوا لها الشهرة والنجاح ؟ ! » ..

ومضت شهور أدركت بعدها أنني كنت مخطئة ، فقد انبثق من الظلمة التي اكتنفت حياتي ذلك الشعاع الهادىء المنبعث من نور اليقين الذي يمسه كل من يراجع نفسه بدقة ويحاول مخلصا أن يعرف نفسه على حقيقتها !

انني أستطيع الآن أن أبرهن على وجود الخالق ، لا بالبراهين الدينية أو الوسائل العلمية ، فلا علم لي بهذه أو تلك ، ولكن ببراهين مستمدة من حياتي نفسها !

ان الخطأ الأكبر الذي يقع فيه الكثيرون والكثيرات ، ممن يقرون أنهم لا يؤمنون هو أنهم يتخذون هذا القرار قبل أن يدركوا شيئا يذكر عن حقيقة ذلك الذي لا يؤمنون به ، وعندي أن أول خطوة نحو الايمان بوجود الله ، أن يدرك المرء

أن ثمة قوة أعظم منا ، وأعظم من قوانين الطبيعة التى نعرفها ، وهذه القوة العظمى يمكن أن توجهنا وتهدينا وتنقذنا لو أننا توجهنا اليها وطلبنا معونتها مخلصين ، وحينما نلمس أثر ذلك واضحا جليا فى حياتنا لن تكون لنا مندوحة عن الايمان بهذه القوة الخفية ، أى الايمان بالله !

ولا شك أن كثيرين منا ، يصعب عليهم أن يدركوا ذلك ، وقد كان صعبا على أنا كذلك فى أول الأمر ، ولكنى أخذت بعد ذلك أعيه قليلا قليلا خلال أيامى الأولى فى ملجأ المدمنات ، الذى أويت اليه بعد أن أخفقت فى العثور على مكان آخر يأوينى !

كنت حينما التحقت بهذا الملجأ فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، وكنت قد ربحت برغم هذه السن الصغيرة أكثر من مليون دولار ، لكنى أنفقتها جميعا خلال الستة عشر عاما التى أدمنت فيها الخمور !

وفى خلال هذه الفترة نفسها ، تزوجت أربع مرات ، وكنت فى كل مرة أخفق فى الاحتفاظ بزوجى ، وقد حاولت الانتحار مرارا ، وبلغت حالتى من اليأس والبؤس أن نبذنى جميع أقاربى ومعارفى عدا أمى ، فقد بقيت وحدها لى ، برغم أن الناس كثيرا ما كانوا يلومونها على قتلها نفسها ببطء فى محاولاتها لانقاذى ، وكانوا يقولون لها مخلصين مشفقين : « انسى ابنتك . اعتبرى نفسك ليس لك ابنة . ان موتها خير من بقائها على قيد الحياة » ! .

كنت ثائرة الأعصاب ، مشلولة الارادة ، لا قدرة لى على كبح جماح نفسى ، ولكنى فى اللحظات القلائل لهدوء أعصابى ، كنت أشعر بالرثاء لنفسى ، وبالأسى والأسف على ما آلت اليه حالتى ، ثم أتساءل حائرة : اذا كان الله موجودا حقا فلماذا لا يرحمنى ؟

وشاء الله أن كانت جارتى فى الملجأ شابة مؤمنة طيبة القلب ، فأخذت تتلطف فى مواساتى وتهدئة ثائرتى ، قائلة لى : « آمنى أولا بأن هناك قوة عظمى تستطيع أن تصنع المعجزات ولك الآن أن تسمى هذه القوة بأى اسم شئت ؛ فالمهم أن

تؤمنى بوجودها وأن تتجهى اليهـا بعد ذلك لكى تحقق لك ماعجزت أنت عن تحقيقه » ..

وكنت اذ أستمع لحديث جارتى هذه ، أمعن فى البكاء ، ثم أعترف لها بأننى لا أستطيع أن أومن بقوة فى الكون يمكن أن يكون لهـا أى اتصال بنا !

وفى ذات مرة ، قالت لى جارتى : « فكرى فيمن حولك هنا من المدمنين العاجزين الميئوس من حالات ، لقد كان عـددهم أكثر من مائتين ، من الرجال والنسـاء ، ولكن عـددهم الآن قد نقص كثيرا ، اذ شفى منهم كثيرون وكثيرات ، ولولا تلك القوة العظمى وايمانهم بها ، ما استطاعوا نهائيا من أسر الادمان ! » .. وقد لمست هـذه العبـارة موضعا حساسا من ذهنى الذى بلده الادمان فقلت لنفسى : « نعم .. ان كثيرين هنـا تخلصـوا من لعنة الخمر ، فمـاذا لو آمنت بهذه القوة وتضرعت اليها مخلصة أن تنقذنى من الوحدة التى هويت اليها ؟ ! » ..

وكانت هذه هى نقطة التحول فى مجرى حياتى ، وما لبثت قليلا حتى تخلصت من سيطرة الخمر وسلطانها على نفسى ، وكان الفضل الأكبر فى ذلك لايمـانى بوجـود تلك القـوة العظمى ولاتجاهى اليها مخلصـة ، ملتمسة عندها ما عجزت عن تحقيقه لنفسى !

لقد تطور تفكيرى كثيرا ، بعـد أن شـفيت من الادمان .. بـدأت أدرك أن هنـاك أشـياء كثيرة ينبغى أن تتقبلها ونؤمن بوجودها وان لم نستطع بحواسنا الخمس أن ندركها أو نعرف ماهيتهـا ، ان انكار هـذه الأشياء ينطوى فى الواقع على انكار لملكة التفكير والعقل عندنا ، فنحن لا نستطيع مثـلا أن نفهم ماهيـة الكهرباء أو الالكترونات ولانستطيع أن نراها أو نلمسها ومع ذلك لاننكر وجودها ، لأننا نرى آثارها واضـحة جلية ، فلماذا اذن لا نؤمن بوجود الله ما دمنا نرى آثار صنعه وقدرته ورحمته ، وان لم نكن نراه ؟ !

أيهما أصعب ـ مثلا ـ أن تتقبل عقيدة وجود الخالق ، أو أن تتقبل الحقيقة القائلة بأن الحصاة الصـغيرة

تختزن بداخلها من الطاقة ما يكفى لأن ينسف مدينة كاملة .

ولن أنسى ما حييت عبارة سمعتها من صديق كنت أتناقش واياه فى هذا الشأن ، لقد قال لى : « انك تفكرين فى الخالق لأنه موجود،ولو لم يكن موجودا ما استطعت أن تفكرى فيه، لأن أى مخلوق لا يستطيع أن يفكر فى شيء لا وجود له » .

وقد يقال : اننا نستطيع أن نتصور بخيالنا أشياء لا وجود لها،فنستطيع - مثلا - أن نتخيل وجود رجل له خمس سيقان ، أو نتخيل صور الكائنات حية تعيش فى الكواكب .

وأبلغ رد على هذا ، أن صور الأشياء التى نتخيلها لايمكن أن تكون عناصرها كلها غير موجودة ، بل لابد أن يكون بعضها موجودا مرتسما فى أذهاننا ، وعلى أساسه نتصور بقية العناصر التى نتخيلها !

وعلى هذا الأساس نفسه ، لابد لنا من أن نؤمن بوجود الله ، لأن انكار وجوده لا يتفق عقلا مع استطاعتنا التفكير فيه !

وهذه الساعة التى أزين بها معصم يدى - مثلا - اننى لو فككت أجزاءها وأخذت أتطلع الى أجزائها الصغيرة الدقيقة ، لأيقنت ، بأن لها صانعا ، وحسبى لتيقن وجود هذا الصانع أننى أرى الساعة التى صنعها ، وان لم أكن أراه !

والآن ، دعنا نتأمل فى أى عضو من أعضاء الجسم ، وليكن العين بمحتوياتها من عدسة وقزحية وشبكية وغيرها .. اننا لا يمكن أن نقول ان هذه العين وجدت هكذا بمحض الصدفة ، أو أن الصدفة هى التى أوجدت النظام الدقيق الذى تؤدى وظيفتها طبقا له ، فكيف يجوز لقائل أن يقول : ان هذا الكون الهائل الدقيق النظام ليست هناك قوة أكبر منه هى التى أوجدته ، وهى التى تنظمه ؟ !

اننى لا أستطيع بأية حال أن أقتنع بأن العجائب الكثيرة الدقيقة التى نشهدها فى الكواكب والنجوم والأفلام العديدة ، أو نبصرها فى

أنفسنا يمكن أن تكون وليدة الحظ أو المصادفة !

وأعود وأتساءل : كيف يمكن أن يكون هناك ذلك التعطش العام لمعرفة الخالق بين جميع الشعوب على اختلافها ، دون أن يكون هناك خالق ؟ . أكان يمكن أن نشعر بالجوع لو أننا لم نعرف الطعام ؟ .. وهذه الأحاسيس الفوارة ، والأفكار والايحاءات التى تدفعنا وتمكننا من القيام بأشياء خارجة عن قدرتنا ، هل يمكن أن تنبع الا من قوة خارجة عنا محيطة بنا ، ملازمة لنا ؟

انه لمن المستحيل عقلا ، ألا يكون هناك أساس لذلك الايمان بالخالق ، الذى يعمر القلوب فى جميع أرجاء العالم !

على أن ثمة دليلا آخر أعده انا برهانا قاطعا على وجود الخالق .

وهذا الدليل مستمد من حياتى أنا .. لقد كنت ذليلة أسيرة للآثام والشرور ، فتخلصت من ذلك الأسر وعدت مرة أخرى مرفوعة الرأس ومنذ أصدرت كتابى الذى رويت فيه قصتى ، يكتب لى مئات القراء ، مؤكدين أن - كلماتى شجعتهم وجددت حياتهم ومنحتهم قوة مكنتهم من مواجهة متاعبهم ومآسيهم فى صبر وشجاعة ، فمن أين لى هذا ؟ ، اننى أعرف أنه ليس لى من الذكاء أودرجة التعليم أوالقوة ماكان يمكننى من ذلك ، لولا أن الله أعطانى هذه القوة وبث هذه الكلمات والأفكار فى ذهنى فأقدرنى على أن أنفع بها الكثيرين أليس هذا دليلا على قوة الايمان الايجابية ، وعلى أننى لم أكن الا أداة لقوة خارجة عنى ، قوة لا أستطيع أن أراها ، ولكن حضورها معى يتجلى لى بين حين وحين ؟ !

عن مجلة
CORNET

الهجرة النبوية
إيذان بقيام الدولة الإسلامية

للأستاذ علي عبد العظيم

حينما اختار المسلمون « الهجرة النبوية » مبدأ لتاريخهم المجيد كانوا مُوَفَّقين كل التوفيق في هذا الاختيار فلو اختاروا مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعثته أو وفاته مبدأ لتاريخهم لكان هذا الاختيار تقديسا لانسان ، والاسلام يعنى بتقديس القيم المثالية العليا لا بتقديس الأشخاص ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذروة العليا للبشرية جمعاء ولكنه بشر ، والمبالغة في تقديسه قد تجر الى عبادته كما فعل المسيحيون حينما أرخوا بميلاد المسيح عليه السلام .

ولقد كانت الهجرة النبوية اعلانا لقيام الدولة الاسلامية وارساء لأركان الأمة المثالية التي أعدها الله لتكون «خير أمة أخرجت للناس» فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يهاجر من مكة الى المدينة خوفا على حياته ـ وان كانت حياته في مكة مهددة بالاخطار ـ ولا جزعا من الاستشهاد في سبيل الله لأن الشهادة في الله كانت أقصى أمانيه ، وهو القائل : « والذى نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل . ثم أغزو فأقتل » . رواه مسلم . والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة المثالية لأمته في الجهاد وهو أفضل الرسل «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحدا الا الله » ؛ ولو كان الهدف من الهجرة مقصورا على طلب الأمن والنجاة من الأخطار لهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحبشة حيث لقى المهاجرون الأولون فيها مكانا آمنا مطمئنا ، وملكا عادلا رحيما ، يعطف على الاسلام والمسلمين ، وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليخشى الظلم أو يرهب الطغيان وقد ظل

يصارعه ثلاثة عشر عاما ويواجهه فى حزم وشجاعة واباء لا يخشى فى الله لومة لائم ولا يبالى فى الحق عدوان غاشم ، ولاجبروت ظالم ، سواء عليه أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وكانت شجاعته مضرب الأمثال .

قال الامام على رضى الله عنه — وهو البطل المغوار — « كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » وقال البراء : « كنا اذا احمر البأس نتقى به ، وان الشجاع منا الذى يحاذيه » وقال عمران بن الحصين : « ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب » ولقد انهزم المسلمون عنه يوم أحد كما انهزموا عنه يوم حنين وأحاط الخطر به من كل جانب فما ارتد عن موقفه ولا فكر فى النجاة بنفسه ، وانما ظل ثابتا كالطود الراسخ حتى استرد المسلمون أنفاسهم وعادوا اليه مستبسلين ، فاذا الهزيمة الساحقة تصبح نصرا مبينا بفضل شجاعته ورباطة جأشه وقوة عزيمته وصدق ايمانه .

* * *

أما الهدف الأساسى من الهجرة فهو ما نسميه فى الاصطلاح السياسى الحديث باسم « تأسيس حكومة حرة بالخارج » ونحن نعلم أن الجزائر كانت تكافح الاستعمار الفرنسى فى الداخل ولا يكاد يشعر بها أحد ، فلما أسست حكومة حرة بالخارج اتصلت هذه الحكومة بالدول العربية فاعترفت بها ، وأمدتها بالمال والسلاح ، كما اتصلت بالدول الحرة وشرحت قضيتها فلقيت اهتماما دوليا بهذه القضية حتى فى داخل فرنسا نفسها ، وبهذا نالت استقلالها واستردت حريتها وفرضت على المستعمرين الرحيل ونحن الآن نهيب باخواننا الفلسطينيين أن يتحدوا ويؤسسوا حكومة حرة بالخارج تعترف بها الدول العربية والاسلامية ودول المعسكر الثالث ، وبهذا تشق طريقها الى الحرية والاستقلال وتحرير فلسطين من احتلال الطغاة الظالمين .

* * *

والرسول صلى الله عليه وسلم ما فكر فى الهجرة الا بعد أن كادت الدعوة الاسلامية تختنق داخل مكة ،

ولا تجد لها منفذا الى العالم الفسيح، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعرض لوفود القبائل القادمة الى مكة يعرض عليهم الاسلام ويدعوهم الى عبادة الله فيسبقه زعماء قريش الى هذه الوفود يحذرونهم من دعوته قائلين لهم انه منا ، ونحن أعلم به منكم ، انه كاهن ! انه ساحر ! انه كذاب ! انه شاعر ! انه يسمعكم أساطير الأولين « اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » « انما يعلمه بشر » ... فتنصرف الوفود عن دعوته فى اعراض واستكبار .

وقل الأمل فى اسلام أهل مكة لأنهم ركبوا رءوسهم وألغوا عقولهم وأصروا واستكبروا استكبارا .وهم يعلمون فى قرارة أنفسهم أن محمدا « الصادق الأمين » والله سبحانه يواجههم ويتحداهم بهذه الحقيقة التى يحاولون اخفاءها فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : «قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون ، فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ولقد وصف القرآن الكريم عناد المشركين فى أبلغ عبارة حيث قال : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين» وحيث قال : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » واشتد ايذاء قريش للمسلمين فهاجر منهم من هاجر الى الحبشة ، فلاحقتهم قريش بارسال وفد الى النجاشى عاهل الحبشة وحمل الوفد معه ألطافا من الهدايا اليه طالبا من النجاشى رد المسلمين الى قريش لتنكل بهم جزاء لهم على اسلامهم لله وهجرتهم فى سبيل الله ؛ فأبى النجاشى أن يخفر ذمته وأن ينقض عهده لهؤلاء اللاجئين الى حمايته ورد هدايا قريش اليها وقابل وفدها اليه بما يستحقه من صد وجفاء .

* * *

ولقد كادت الدعوة الاسلامية تختنق فى شعاب مكة ، وهى دعوة عالمية موجهة الى البشر أجمعين ، ولقى المسلمون بمكة أهوالا شدادا وتعرضوا لحصار اقتصادى عنيف كاد يميتهم جوعا وتحمل بعضهم من

التعـذيب والتنكيل ما يكاد يفوق طاقة البشر مثـل آل ياسر ، وكابد الرسول صلى الله عليه وسلم ما كابد من ألوان الايذاء وأيقن أنه اذا ظل باقيا بمكة فلن ترتفع راية للاسلام. حينئذ فكر فى الهجرة الى بلد آمن يتمكن فيه من تأسيس حكومة حرة تستطيع أن تباشر نشـاطها وتؤدى واجبها فى الدعوة الى الله وابلاغ هذه الدعوة الى أرجاء الجزيرة العربيـة ثم الى الدول المجاورة ثم نشرها فى ربوع العالم كله تنفيذا لأمر الله ، وانتظر محمد صلى الله عليه وسـلم أمر ربه فى الهجرة وأذن لأصـحابه بالهجرة وظل باقيا بمكة حتى يأذن له الله ، وهو فى موقفه هـذا مثل ربان السفينة حينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج وتتعرض السـفينة للغرق بمن فيها من الركبان ، فى هذه الحالة الخطيرة يأمر الربان باعداد زوارق النجاة ويأمر البحارة بانزال الأطفال ثم النسـاء ثم الرجال • ثم يغـادر البحارة السـفينة الى زوارق النجاة ويكون الربان آخر من يغادر السفينة وقد لا يتمكن من النجاة فتهبط به الى الأعماق • وهكذا سمح النبى صلى الله عليه وسـلم للقادرين من أصحابه على الهجرة بأن يهاجروا • وظل بمكة حتى جاءه أمر الله بالهجرة فلحق باخوانه المهاجرين •

وكان قبـل هجرته يدبر تنظيم الحكومة الاسلامية التى هداه الله الى اقامتها لتحرير الانسانية واخراجها من الفساد الى الرشاد ومن الظلمات الى النور تحقيقا لقول الله تعـالى له ــ وهو بمكة ــ « كتاب أنزلنـاه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » •

أما اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة دارا لهجرته ومصدرا لدعوته وعاصمة لحكومته الحرة فان ذلك بتوجيه من الله سبحانه لأسباب عديدة ، أهمها :

١ ــ كانت المدينة مقرا لكثير من اليهود ، وهم أهل كتاب لا يعكفون على الأصـنام ولا يطـوفون على الأوثان ، وكانوا يعلنون انتظـارهم لدين جديد ينشر السـلام ، وكان

سكان المدينة يسمعون هذا الاعلان فيتطلعون الى هذا الدين الذى يرفع راية السلام بعد أن عضتهم الحروب بأنيابها وبعد أن اشتدت ويلات القتال بين هؤلاء السكان من الأوس والخزرج حتى تخضبت الأرض بالدماء • ومن الغريب أن اليهود كفروا بهذا الدين الذى ظلوا يترقبونه فترة طويلة من الزمان « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » •

وكان التبشير بدين جديد قد هيأ أذهان سكان المدينة لاعتناق هذا الدين الجديد وبخاصة بعد أن جاءهم به رسول عربى كريم •

٢ ـ ان المدينة متصلة بمعظم أرجاء الجزيرة العربية فتستطيع الدعوة الاسلامية أن تنتشر منها الى جميع هذه الأرجاء ، ولهذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل الدعاة منها الى جميع القبائل العربية وأن يستقبل وفود هذه القبائل اليه ، واستطاع منها أيضا أن يحرر مكة وأن يطهر البيت الحرام من الأصنام والأوثان ، وبهذا قضى على بؤرة الوثنية فى الجزيرة العربية فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، وظلت المدينة فى عهد الرسول وعهد خلفائه الراشدين عاصمة الدولة الفتية التى أقامها الاسلام •

٣ ـ ان أخوال النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأبيه كانوا مقيمين بالمدينة ولهم بها مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، وحينما يفارق النبى صلى الله عليه وسلم مكة وأهلها الذين تنكروا لرسالته فانه سيجد بالمدينة أهلا بأهل وجيرانا بجيران ، والقوم الجدد أبر وأحنى وأرحم • وأسرع استجابة للدين الجديد وتحمسا له من المشركين المصريين على الجحود والكفران •

٤ ـ كان الأوس والخزرج ـ وهما غالبية سكان المدينة ـ من سلالة القحطانيين باليمن وقد ورثوا عن أسلافهم حضارة اليمن وملك سبأ وحمير ؛ فلديهم استعداد قوى للانتظام فى دولة متحضرة كما فعل اخوانهم المناذرة فى العراق ، والغساسنة فى الشام ، والكنديون فى نجد ، ولقد هم الأوس والخزرج

بانشاء دولة توحد كلمتهم وتجمع شملهم وتمحو العداوات القائمة بينهم وكادوا يعقدون التاج لعبد الله ابن أبى سلول ، ولكن الله أبدلهم بالملك خيرا منه وهو الاسلام ،ولهذا كان عبد الله بن أبى سلول ناقما على الاسلام لأنه سلبه التاج فكان رأسا للمنافقين حتى هلك .

٥ ـ اشتهر الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ بالبذل والتضحية والايثار ، وفيهم نزلت الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقد مدوا يد المعونة الى اخوانهم المهاجرين اليهم من مكة ، فأحلوهم معهم فى دورهم وشاطروهم أموالهم وبذلوا من المودة ما يبذله الاخوان للاخوان .

٦ ـ وكما عرف الأنصار بالكرم والسخاء عرفوا أيضا بالبأس والشجاعة والفداء ، ولقد تجلى هذا فى مبايعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أن هذه البيعة قد تعرضهم لمحاربة العرب جميعا لا محاربة قريش وحدها ، ولقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه فآووا الرسول وصحابته ، وباعوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله ، وعلى جهودهم وجهادهم قامت دولة الاسلام وبفضلهم وفضل اخوانهم المهاجرين عم الاسلام الشرق والغرب وانتصرت كلمة الحق وأظهره الله على الدين كله « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

٧ ـ ان المدينة بحكم موقعها الجغرافى تقع على أهم طريق تجارى ، وكانت قوافل قريش تحمل التجارة العالمية عبر هذا الطريق فى رحلتى الشتاء والصيف ؛ فقد كانت تجارة الشرق تفد من الصين والهند وجزر الهند الشرقية لتتجمع فى اليمن وكانت تجارة الغرب تفد من البندقية والروم والجرمان والفرنجة الى الشام ؛ وكان التبادل التجارى بين الشرق والغرب فى هذا العصر لا يمكن أن يتم الا عن طريق الحجاز ، لأن البحر الأحمر كان مغلقا ومليئا بالشعب المرجانية وبالقراصنة ، والطريق بين الشام والعراق والخليج العربى مغلق للحروب الطاحنة المستمرة بين الامبراطورية الفارسية المسيطرة على العراق ، والامبراطورية الرومانية المسيطرة على الشام ؛ وكانت قريش تقطع طريق الحجاز

بالبضائع العالمية بين اليمن والشام آمنة مطمئنة لأنها القائمة على خدمة الأصنام فى البيت الحرام ، ولكل قبيلة عربية صنم حول الكعبة تشد اليه الرحال فى موسم الحج فى كل عام فكسبت قريش قداسة عند العرب لقداسة هذه الأصنام ». وازدادت قداسة قريش بعد حادثة الفيل التى غزا فيها أبرهة مكة بجيش جرار لا قبل لقريش به ، قاصدا هدم الكعبة ، ومعه الفيل لارهاب قريش ، فخاب قصده وباء بالهزيمة دون قتال بعد أن أرسل الله عليه الطير الأبابيل وتفشى فى جيشه المرض الوبيل ، قال تعالى « أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء » وقال تعالى « لايلا ف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

والذى يسيطر على المدينة يستطيع السيطرة على هذا الطريق التجارى وقطع تجارة قريش اذا لجت فى العدوان ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والشر بالشر ، والبادىء أظلم ، ولا عدوان الا على الظالمين .

٨ ـ ان المدينة أشبه بواحة خصيبة فى الصحراء ، ففيها آبار عديدة وفيها غابات من النخيل وجوها معتدل بالنسبة الى مكة وقد انعكس أثر مناخها على سكانها فظهرت فيهم رقة السجايا وعذوبة الشمائل ونبل الأخلاق ، وهى بحكم موقعها متوسطة بين الشمال والجنوب ، وتمتد منها طرق عديدة الى جدة ومكة واليمن بالجنوب ، والى نجد وشواطىء الخليج بالشرق ، والى ينبع بالغرب ، والى الشام بالشمال ، وهى بحكم هذا الموقع صالحة لتكون عاصمة مناسبة للدولة الفتية التى أنشأها الاسلام .

٩ ـ ان المهاجرين الأولين من المسلمين هم صفوة العدنانيين ؟ والذين استجابوا للاسلام من الأوس والخزرج هم صفوة القحطانيين ؛ والعدنانيون والقحطانيون هما الشعبان العظيمان اللذان يتكون منهما العرب ، فاذا التقت صفوة هذين الشعبين وانضم اليهما صفوة الذين أسلموا من أهل الكتاب ، وبزغ فى آفاقهم بعض الطلائع النموذجية مثل سلمان من الفرس وصهيب من الرومان ،

وبلال من الأحباش اذا التقى هؤلاء جميعا تكونت من هذه الصفوة النقية وحدة قوية هى رمز للوحدة العالمية التى أرادها الله للاسلام ، وحدة لا تفرق بين الأجناس والألوان ، ولا بين الأغنياء والفقراء ولا بين السادة والعبيد ، ولا تفاضل بينهم جميعا الا بتقوى الله .

١٠ – ان المدينة تجمع بين مزايا الحضارة والبداوة ؛ ففيها استعداد للثقافة العلمية التى نمت فيها مع من هاجر اليها من اليمن وبخاصة الأشاعرة وبما تردد فيها من الفلسفة اليهودية العبرية المتأثرة بحضارة الاغريق والرومان ، وفيها الى هذا خشونة البادية وما تمتاز به من قوة وشدة احتمال ، وبعد عن الترف والأنحلال ، وبهذا تهيأت لها الوسائل لتكون عاصمة « خير أمة أخرجت للناس » بعد أن صقلها الاسلام وهذبها الايمان وخلق بها القرآن .

* * *

ولقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يخطط قبل هجرته لانشاء الدولة الاسلامية والتقى فى مكة سراً بصفوة من استجاب للاسلام من أهل المدينة ، وكان معه عمه العباس وكان لا يزال وثنيا ، ولكن حبه لابن أخيه سما به عن التأثر بعقيدة الضلال ، ولما تم اللقاء وقف العباس فيهم خطيبا قائلا :

« يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم ، من الآن فدعوه » ثم تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغّب فى الاسلام ثم طلب منهم أن يبايعوه ، قال جابر بن عبد الله : يا رسول الله علام نبايعك؟ فقال : « على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر . وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقوموا فى الله لا تخافون لومة لائم وأن

تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم ؛ ولكم الجنة » فقال البراء : « نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا وأنفسنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب ورثناها كابرا عن كابر » وكان البراء سيد قومه وقد أسلم بعد العقبة الأولى وقام بكل ما يفرضه عليه الاسلام ، وأقبل القوم فى حماس على مبايعة رسول الله .

وبهذا العهد والميثاق وعلى أساس البيعة قامت دولة الاسلام ، وقد التزم القائمون بها بتنفيذ شعائر الاسلام والسمع والطاعة للقائد الأعلى للدولة الاسلامية صلى الله عليه وسلم ، وبالدفاع عن الدولة والتضحية فى سبيلها بالأرواح والأموال .

وبعد البيعة مباشرة بدأت عملية التنظيم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم » وبهذا قسمهم الى أسرات صغيرة وجعل لكل أسرة قائدا يتولى الاشراف على التنفيذ وصحة التطبيق وتحمل المسئولية ، وترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهم حرية الاختيار فأحسنوا الاختيار ، ثم قال للنقباء : أنتم على قومكم بمافيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى المسلمين » وكانت البيعة سرا ولكن القوم أحسوا أن المشركين شعروا بهم فقال العباس ابن عبادة ــ وقد امتلأ قلبه بنور الايمان ــ معبرا عن مشاعر اخوانه: « يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا» فقال له القائد الحكيم صلوات الله وسلامه عليه « لم نؤمر بذلك » وعاد أهل البيعة الى المدينة لينشروا بها دعوة الاسلام .

وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة ، فكان الصحابى يهاجر بأهله وماله ان استطاع ــ وقلما يستطيع ــ وكثيرا ما كان يهاجر تاركا أهله وماله وديعة عند الله وتزايد عدد المسلمين بالمدينة، وامتزج المهاجرون بالأنصار وبدأ وجود قوى لدولة اسلامية قوية فتية ترقب وصول قائدها الملهم المحبوب.

« رأى مؤسس الدولة الحكيم أن يرسل مندوبا فوق العادة أو ممثلا شخصيا له الى المدينة يعلّم أهلها القرآن ويرشدهم الى شعائر الاسلام ويتبادل معهم الرأى فيما يجد من أحداث ويوجه الدعوة الاسلامية الى أصحاب الضمائر الحية ممن لم يدخلوا فى الاسلام وكان هذا السفير هو مصعب بن عمير وقد أبلى أحسن البلاء فى أداء مهمته السامية وأسلم على يديه خلق كثير وقام فى المدينة المجتمع الاسلامى الرشيد وأذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة فهاجر اليها • وبهذه تم انشاء الدولة الاسلامية • فقوى المسلمون بعد الضعف وعزوا بعد الهوان ، وسادوا بعد الامتهان ونصرهم الله بعد المذلة وتحرروا بعد الاستعباد •

وبدأ القائد الأعلى فى تأمين الجبهة الداخلية فأزال ما كان بين الأوس والخزرج من عداء ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وتغاضى عن المنافقين المتظاهرين بالاسلام لعلهم يثوبون الى الايمان ، وعقد هدنة بينه وبين اليهود •

ثم عمل على تأمين الجبهة الخارجية باعداد الكتائب الفدائية وانشاء الجيش الاسلامى وتدريبه على أساليب القتال وبخاصة سلاح الرماة •

والحديث عن التأمين الداخلى والخارجى يحتاج الى عدة مقالات نرجو أن نكتبها عن قريب ان شاء الله •

* * *

ونحن حينما نحتفى بعيد الهجرة النبوية نحتفى بتأسيس الدولة الاسلامية ، واذا كنا معشر المسلمين المعاصرين قد تأخر بنا الزمان عن الشرف بالهجرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان أمامنا عدة هجرات علينا أن نؤديها حق الأداء • منها الهجرة فى سبيل العلم ، والهجرة فى سبيل الرزق والهجرة فى سبيل الدفاع عن الاسلام، والهجرة للدعوة الى الله ؛ كما علينا أن نهاجر من الغى الى الرشاد، ومن الذنوب الى التوبة ومن غواية الشيطان الى ولاية الرحمن وليكن شعارنا التمسك بالحديث الشريف : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » •

على عبد العظيم

الهجرة فى نظر الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

حين بعث الله رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - آمن به بعض قومه الذين لم يسلموا من أذى قريش ، فأذن لهم فى الهجرة فرارا بدينهم وحفظا على ايمانهم الذى أراد المشركون أن يفتنوهم فيه، فهاجر بعض المسلمين الى الحبشة فى هجرتين ، ثم هاجروا جميعا الى المدينة زرافات ووحدانا ، حيث اطمأن بهم المقام هناك وأصبحوا قوة يرهب جانبها، فانطلقوا آمنين يبشرون بدين الله الذى أشرق نوره فى الأرض وتحقق قوله الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

فهم الصوفية للهجرة :

ودار الزمن دورته وجاء الصوفية الذين انفردوا بالبحث عن حقائق الأشياء واعتنقوا بتحرى بواطن الأمور وأسرار العبادات ، فلم يقفوا عند المعنى الظاهرى للهجرة ، بل استنبطوا من ورائها سرا عميقا يدعو اليه الدين ، لم يقفوا عند معنى الهجرة من أنها انتقال من مكان الى مكان ، ولكنهم فهموا أن الهجرة قطع للمألوف وخرق لعوائد النفس وتعويد للمرء على احتمال المشقات وسياحة له بالفكر واكتشاف لدلائل قدرة الله عن طريق التأمل والمشاهدة ، ثم هى مع ذلك ايثار لرضوان الله على كل ما عداه ، وبذلك أصبحت الهجرة

عندهم مرحلة من مراحل الطريق الصوفى لها آدابها المطلوبة وآثارها المحمودة .

ومما ارتآه الصوفية فى تعليل آثار الهجرة أن النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووضح الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد استأنسوا فى ذلك بقول عمر — رضى الله عنه — لرجل زكى عنده بعض الشهود : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه؟ فقال ذلك الرجل : لا ، فقال عمر : ماأراك تعرفه .

قال الغزالى — رحمه الله تعالى — فى كتابه احياء علوم الدين : السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب منه أو الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه ، فان المسافر اما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه ،واما أن يكون له مقصد ومطلب ، والمهروب عنه اما أمر له نكاية فى الأمور الدنيوية ، أو خوف سببه فتنة أو خصومة أوغيرهما ، واما أمر له يكايةفىالدين كمن ابتلىفى بلده بجاهومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ويتجنب السعة والجاه ...

وقد كانت هجرة المسلمين — رضوان الله عليهم — فى أيام الرسول — صلى الله عيه وسلم — من هذا القبيل ، فقد أوذوافى دينهم وحاول المشركون أن يصدوهم عن سبيل الله ، فآثروا الفرار الى الله وترك كل مايربطهم بالدنيا من أسباب رغبة فيما عند الله من ثواب، تركواامالهم وجاههم وديارهم ولذلك كان حقا أن يقول الله فى حقهم : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوامن ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»

وعلى هذا الفهم الذى فهمه الصوفية من الهجرة ساروا يجعلون من الهجرة منطلقا جديدا لأرواحهم

ويتخذون من السفر وسيلة لاكتساب المحامد ، وقد أفاض شعراؤهم في هذا المعنى ونحا غيرهم منحاهم ، ومن ذلك قول الامام الشافعي — رضي الله عنه —

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فان لذيذ العيش في النصب

انى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب ما افترست
والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى في أماكنه
والعود في أرضه نوع من الحطب

وللطغرائي المتوفى سنة ٥١٥ هـ أبيات في هذا المعنى منها :

ان العلا حدثتني وهي صادقة
فيما يحدث أن العز في النقل

لو كان في شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

القرآن يحث على الهجرة :

وهناك آيات كثيرة تحث على الهجرة وتدعو اليها ، من ذلك قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » ونعى القرآن الكريم على قوم آثروا الذل على العز بقوله : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »

وأشار القرآن الى أهداف الهجرة بقوله : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة »

بل انه دعا الى مقاطعة الذين لم يهاجروا فقال : « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله » وقال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » .

هجرة الصوفية وسفرهم وآدابهم في ذلك :

ولم يكن سفر الصوفية أو هجرتهم بقصد التسلية والفرجة أو قطع الوقت واغتنام اللذات أو ايثار مكان على مكان لفائدة مادية كما يفعل المهاجرون الآن وأصحاب الرحلات ولكن سفرهم وهجرتهم كانتا لله ، لأن الحق هو الذى أزعجهم اليه تحقيقا لقوله تعالى «ففروا الى الله» والفرار

الى الله نجاة وهداية وصلاح حال ، قال فى حقه ابراهيم عليه السلام «وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين» وهذا مطلب أسمى من أى مطلب .

والحق أن الصوفى فى هجرته وسياحاته لايحركه طمع مادى ، ولكن يحركه روح التعبد والمحبة التى هى قوام كل شىء فى المنهج الصوفى ، لأن الكون ــ كما يقول المرحوم طه سرور فى أعلام التصوف خلق بالحب ويدرك بالحب ، والله جل جلاله لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول ، ولكن الصوفى يوقد مشاعل الحب فى قلبه ووجدانه وروحه فيمتطى بذلك المعراج الأكبر الذى يصله بربه . هناك أسرار تربط الانسان بالكون يدركها الصوفية وعلى ضوئها كانت غاياتهم من الهجرة للتعرف على دقائق هذه الصلة العجيبة التى ترجم عنها أحد شعرائهم بقوله :

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذى
بأحرفه يظهر المضمر

وقد فاضت أحاديث الصوفية بالكثير من هذه المعانى التى نقتطف منها ما يلى : يقول ابن عربى : الانسان سر الله مبينا فى خلقه، ويقول جلال الرومى : ان الانسان هو عين الكون المبصرة ــ ويقول فريد العطار : الانسان خلاصة العالم.

أجل ولولا ذلك لما سخر الله له الكون وقال فى محكم كتابه «وسخر لكم مافى السموات والأرض» أما آدابهم فى السفر فقد أشار اليها الطوسى فى كتابه «اللمع» بقوله : «ليس من آدابهم أن يسافروا للدوران والنظر الى البلدان وطلب الأرزاق ولكن يسافرون الى الحج والجهاد ولقاء الشيوخ وصلة الرحم ورد المظالم وطلب العلم ولقاء من يفيدون منهم شيئا فى علوم أحوالهم أو الى أى مكان له فضل وشرف ، وكانوا لايتركون شيئامن أخلاقهم وأورادهم التى كانوا يعملونهافى فى الحضر ، ولا يغتنمون قصر الصلاة وافطار شهر رمضان ــ ومن أدابهم أنهم اذا كانوا جماعة يمشون بمشى أضعفهم ويخدمهم الأشفق عليهم واذا تخلف

واحد انتظروه وان عجز أحدهم عن المشى أقاموا عليه واذا دخل وقت الصلاه لم يبرحوا موضعهم حتى يصلوا •• ومن آدابهم فى رحلاتهم أنهم كانوا لا يهابون شيئا ما ولا يجزعون من شىء اطلاقا لأن أنسهم بالله ، ومن اكان أنسه بالله فأى شىء يخشاه ؟ سئل أبوعمران الطبرستانى – رحمه الله عن الجزع والعجز الذى يلحق المسافر فتلا قول الله تعالى: فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم – ومعنى ذلك فى نظره – كما يفسره الطوسى – انك لاتبال أى شىء يلحقك فى توجهك الى الله ، فان الله يصحبك بنظره وربما نجاك من التلف بالتلف كما نجى الله موسى من بطش فرعون بفرعون نفسه وكان بسبب القائه ف اليم واليم أخوف على الطفل من فرعون ولكنها رحمة الله الساهرة التى لاتسهو ولا تغفل •

ولكن المهاجر قد يغفل أحيانا عن هذه المعانى ولذلك فهو محتاج الى مايذكره ، وربما يعتريه الملل فهو محتاج الى ماينشطه ، وقد يضعف فيحتاج الى مايقويه ، ويحفظه وقد أشار السوسى رضى الله عنه الى ذلك بقوله : يحتاج المسافر فى سفره الى أربعة أشياء والا فلا يسافر : علم يسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه •

أما الغزالى رضى الله عنه فقد فصل أحوال المسافر ومقاصده وآدابه تفصيلا دقيقا أشير اليه بما يأتى : قد يكون السفر فى طلب العلم ، ومن العلم العلم بالنفس والأخلاق ، فان طريق الآخرة لايمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ، ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض ، وقد سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الاخلاق ، ورضى الله عن بشر الحاف حين قال: يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا ساح طاب واذا طال مقامه فى موضع تغير •

والصوفية يرون أن الكون حركة دائبة لا تنقطع ويرددون قوله تعالى فى هذا المعنى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » فكل مافى الكون سائر يدركه ذوو البصائر ، وكلما كشف الصوفى - كما يقول المرحوم طه سرور - عن جمال فى الكون أو لمس سرا من أسرار القلوب أو أحاط علما بخصيصة من خصائص الطاقات المضمرة فيما خلق الله زاد ايمانا بربه وصلة بخالقه وقربا من مبدعه وموجده وفى قول « اقبال » دليل على ذلك : والحق أن كل طلب للمعرفة هو فى جوهره صورة من صور الصلاة فالمتأمل فى الطبيعة تأملا علميا هو نوع من الصوفى الباحث عن العرفان يؤدى الصلاة لمبدع الأكوان ..

أنواع الهجرة :

ثم ان الهجرة عند الصوفية هجرتان : هجرة مادية ويعنون بها الانتقال من مكان الى مكان وهجرة روحية يسيح فيها المهاجر بفكره وينتقل بعقله وهو مستقر فى مكانه ولكنه سابح بجنانه مرددا بلسان الحال قول الحق : وفى أنفسكم أفلا تبصرون - أو لم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ؟

والهجرة الأولى وهى السياحة يشير اليها ظاهر الحديث : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .. كما فهم الصوفية أيضا هذا الحديث فهما ربانيا عاليا عبر عنه لسان حالهم الشيخ حسن رضوان فى منظومته الرائعة المسماة روض القلوب المستطاب وهو ما ننثره هنا : يستطع المريد اذا أجاع نفسه وقطعها عن عاداتها ومألوفاتها وساح فى الأرض ابتغاء رضوان الله أن ينفى عن نفسه ماتستشعره من ملل وكلال ، فتنتفع روحه وتشرق أنوار قلبه وتتجلى له الأسرار - ومن هذه الأسرار اعراضه عن الدنيا واستشعاره الغربة فيها تحقيقا لقوله عليه الصلاة والسلام كن فى الدنيا كأنك غريب ، وعندما يذوق سر هذه الغربة وما فيها من معان تقربه الى الله يرتقى الى رتبة عابر السبيل الذى لا يتعلق همه بشىء مادى فى الدنيا بل يكون تعلقه بربه وفى ذلك أسرار دقيقة يفيضها الله على من يشاء من عباده .

واشترطوا فى هذا الغريب المسافر شروطا حسانا أشار اليها أيضا الشيخ حسن رضوان بقوله: «يشترط للسالك أن يسير باخلاص فى العبادة وحسن صدق فى النية - وأن يكون ممتثلا الأمر مشاهدا العجز عن القيام بالشكر صادقا فى معاملته فان جزاء ذلك الرضا عنه - ومتى رضى الرب عنه الزمه خدمته وأفاض عليه الرضا وهذا يستوجب الرضا من العبد عن الرب تحقيقا لقوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » ومتى رضى العبد بربه لم يستعض به سواه وأفراده بالمحبة وزادت فيه الرغبة ولم يشهد فى الكون سواه ، يقصده بالتوجه والرجاء ، بل أصبحت الأشياء فى نظره مشهودة بربه لأنها مفتقدة اليه •

واذ لاحت هذه المشاهد للمسافر حق له أن يستوطن فقد فتح الله عليه « ولا هجرة بعد الفتح » وانجلت له المعارف وتكشفت له اللطائف • ومن كان هذا حاله فهو غنى عن التجوال، لأنه أيقظ عين بصيرته وأغلق عين بصره • قال الغزالى فى ذلك مستشهدا بقول بعض أرباب القلوب : ان الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول : أغمضوا أعينكم حتى تبصروا وكلا القولين حق ، الا أن الأول أخبر عن المنزل القريب من الوطن والثانى أخبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لايطؤها الا مخاطر بنفسه • والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين •

الهجرة فى العزلة : وهى الهجرة الثانية التى تتحقق بالانفراد عن الخلق • فالعزلة عند الصوفية فيها هجرة لله ، وليست انطواء على النفس ولكنها وسيلة للتخلص من أوضار النفس ومبعث على التفكر ، والتفكر عبادة من أسمى العبادات ، وقد ورد تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، كما أن فيها تدريبا على احتمال مشقة الانفراد وتحقيقا بحال الجمع الذى يجمعهم على محبوبهم الأعظم ، وفى العزلة ائتناس بالله الذى وجهوا قصدهم اليه وانطلاق بالروح فى فضاء العلم والمعرفة والمشاهدة لأنهم على الرغم من انحصارهم الحسى لكنهم فى انطلاق روحى •

ومقام الانفراد على هذا الشرط مقام خطير لا يقوى عليه الا فحول

الرجال الذين وطنوا أنفسهم عليه أما غيرهم فالمخالفة أولى بهم حيث يكون التعليم والائتناس والمشاركة الوجدانية بين المريدين ، ومما يحكى عنهم فى ذلك ما قاله الطوسى عن أبى حفص الخياط قال : رأيت أبا بكر بن المعلم رحمه الله تعالى بانطاكية يقول: طولبت شهادة أن لا اله الا الله بعد ستين سنة . فسئل عن معنى ذلك فقال : كنت ستين سنة أدعوا الى الله تعالى ، كلما انفردت عن الخلق وانقطعت للعزلة كنت اذا أردت أن أقوم الى أورادى التى كانت عادتى بين الناس لم يتهيأ لى ذلك ، فوقع فى قلبى أنى ما آمنت بالله بعد فجددت ايمانى. وأقمت عشر سنين حتى صفا لى فى الخلوة ماكنت أقوم به من أوراد كما كانت تصفو لى قبلها فى الأوقات التى كنت بين المعارف ..

ومعنى ذلك أن الخلوة لها خطرها الجليل الذى لا يطيقه الا أربابه وليس كل سالك يستطيع ذلك ، بل أن هناك أفرادا من الصوفية تحققوا بمعنى الانفراد وهم بين الناس ؟ اذ أنهم نظروا الى الخلق على أنهم مظهر القدرة الالهية وليس فى الوجود غير الله ، وعلى ذلك قول الجيلى :

وما الخلق فى التمثال الاكثلجة
وأنت بها الماء الذى هو نابع

وما الثلج فى تحقيقنا غير مائه
وغير أن فى حكم دعته الشرائع

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع

تجمعت الأضداد فى واحد به
وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

ولعل هذا هو ما يفهم من الأثر الوارد : كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان . ومن هؤلاء المشاهدين السيدة رابعة العدوية التى تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وهذا النوع من الهجرة يستدعى التفرغ والعزلة فى الغالب.وقد سلك النبى صلى الله عليه وسلم طريق ذلك فى مبدأ حياته حين كان يتبتل

فى غار حراء حتى قوى فيه نور النبوة فأصبح الخلق لا يحجبونه عن الله بل كان ـ كما يقول الغزالى فى الأحياء ـ ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال : لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله .

ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ـ على أنه لا يبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء الى هذا المقام كما رأينا من حال السيدة رابعة العدوية ـ وكما ورد عن الجنيد الذى حكى عنه الغزالى قوله : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم ، ولكن هذا لا يتيسر ـ كما أشرنا ـ الا للمستغرق فى حب الله استغراقا لا يبقى لغيره متسع ، وذلك أمر غير منكر فمن الناس الذين اشتهروا بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه ولكنه مشغوف بمن يحب مذهول به عن غيره لا يدرى مايقول ولا ما يقال ، بل ربما ذهل عن نفسه وعن محبوبه أيضا ، فقد ورد عن مجنون ليلى أن ليلى صادفته فى ساعة من الساعات التى كان مذهولا فيها فقالت له : أنا ليلى ، فقال لها : اليك عنى فحب ليلى أنسانى ليلى .

آثار الهجرة الصوفية :

ونعود فنقول ان هذه الهجرة لها آثارها الطيبة ففيها استدامة للفكرة وفيها ذوق لحلاوة المعرفة وفيها أنس بالله يغنى عن الأنس بالناس .

وقد سلك سبيل الهجرة الصوفية بنوعيها كثير من الصوفية الذين رأوا صلاح حالهم فى العزلة عن الناس والسياحة فى الأرض منهم ابراهيم ابن أدهم الذى ترك الملك واعتزل الناس وهام على وجهه فى البرارى والقفار وقال : ماوجدت لذة العيش الا هنا أفر بدينى من شاهق الى

شاهق ، ومما ورد عن أويس القرني: ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ، وممن حببت اليهم العزلة الفضيل بن عياض ، وقصده هارون الرشيد طالبا صلاح حاله عنده فوجده فى مكان مظلم لا يطيقه غيره ، ومن أقواله فى ذلك : اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت : أخلو الى ربى ، واذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى .

ومن حكم ابن عطاء الله السكندرى الرائدة فى ذلك : « مانفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة » وربما كانت الحكمة التالية تعليلا لهذه الحكمة « كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟ » أجل ، كيف ؟ واذن فلا بد للمريد من هجرة ترشده وتذكره واذا تذكر أبصر مصداقا لقوله تعالى : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » واذا أبصر رأى ما لاعين رأت وسمع مالا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال أحد الصوفية فى هذا المعنى : اذا عقدت النفوس عزمها على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى العبد بطرائف الحكمة ، وشاهد هذا القول حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ، وهذا الحديث الشريف يهدى الى معنى قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

وبعد فهذه هجرة الصوفية أدركوا معناها وفهموا أسرارها وعرفوا أهدافها فجعلوها منهجا من مناهجهم ودربا من دروبهم ووقفوا على سر قوله تعالى : «ففروا الى الله» ، فولوا وجههم اليه وحرروا قصدهم عليه ، فكان حقا لهم أن يذيقهم الله حلاوة الايمان ويكحل عيونهم بنور المعرفة والرضوان .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

من سجل التيارات الإعلامية المضادة للإسلام في فترة ما قبل النكسة ١٩٦٥-١٩٦٧

للدكتور يحيى هاشم

— ١ —

لقد وجد التيار المعادى للاسلام منفذا واسعا فى الحديث عن الحضارة والقوميـة والمذاهب السياسية من ذلك ما جاء بمجلة (حوار) (نوفمبر ١٩٦٥) عن المثـل الأعلى للسلوك حسبما تتطلبه الحضـارة العربيـة التقليدية من الشباب العربى ، حيث قرر الكاتب (أن اتخـاذ حيـاة الرسول والصحابة كأنموذج انمـا كان اتباعا لعـادة قديمة قائمة حيث كانت مجـاراة الآباء والأجـداد فى طريقة حياتهم تعتبر فضيلة عند عرب الجاهلية ...) .

وفى هـذا التفسـير ما فيه من تحقير الاقتداء بالرسول فهو ينزل به من قانون الهى الى عادة قبلية عربية منذ الجاهلية ، وعندئذ يصبح من السهل التحرر من هذا الاقتداء ، كما هى سهولة التحرر من العادات الجاهلية ، أو البشرية البحتة ، بل ان الكاتب ليذكر أثر ذلك ما يمهد للتمرد على هذه القوانين الالهيـة فيقتبس ممن سماه (جون بول) أنه بمرور الأيام (لم تسـتطع الأفكار أو الاختبارات الدينية الأصيلة أن تقى نفسها من التعـديل تماما .. فبـدأ الفقهـاء يطـورون مبادىء الواجبات والعقائد حسب متطلبات الأوضاع الجديدة) ويمضى الكاتب فى بحثه مقـررا أن قوانين الارث والشهادة تدل على حدة تدنى مركز المرأة عن الرجـل ، متجـاهلا أن الاسلام عندما قرر هذا التفاوت فى الارث والشـهادة بنـاه على فروق جزئية فى طبيعة ووظيفة كل منهما ، مع تقرير المساواة الانسانية العامة بينهما .

ولا يمكننا أن نتغافل عن أن المخطط المعادى للاسلام يتسلل الى ميادين قد تبدو فى ظاهرها أدبية بحتة • وعلى هذا الأساس نلاحظ ما كتبه « غالى شكرى » فى مجلة حوار بعددها السابق بعنوان (شعرنا الحديث•• الى أين•• ؟) ، فقد غمز التيار القومى فى الشعر الحديث لما هو عليه من ارتباط بالتراث والدين ، وقرر أن عقم أصحابه يرجع الى أن شبح التراث ما يزال جاثما فوق ملكاتهم الخلاقة، والى تمسكهم بأهداب القشرة القومية المختلطة عند بعضهم بالدين ! !

كذلك نلاحظ ما نشرته هذه المجلة — فى معرض هجومها على مجلتى الرسالة والثقافة — من دفاع عن موقف سلامة موسى عن الاسلام على أساس أنه لم يكن يهاجم الاسلام (وانما كان يدعو الى التزام المنهج العلمى الذى يرفض الغيبيات ، وأنه لم يكن يمس الأديان الا من هذا الجانب) ! ! وواضح أن رفض الغيبيات على اطلاقها هادم للأديان عامة ، ومن هنا يكون الالحاد قائما فى موقف سلامة موسى •

وتقدم مجلة الطليعة (ديسمبر ١٩٦٥) كتابا عنوانه « الفكرة العربية فى مصر » للدكتور أنيس الصايغ ونذكر عن الكاتب أنه يقرر أن الاتجاه الاسلامى فى مصر كان مصدره الأزهر ، وأن هذا الاتجاه اضطر فى مواجهته للاتجاه الأوربى والافريقى الى التحالف مع نواة الفكرة العربية ••

•• الا أن هذا التحالف — فى رأى الكاتب — قد صبغ الفكرة العربية فى مصر بصبغة « محافظة ورجعية » ••

هكذا يتهم الاتجاه الاسلامى فى مصر بالرجعية•

وفى هذا الاتجاه يأتى مقال بمجلة الفكر المعاصر ١٠ / ١٩٦٥ عن (التقدم والرجعية) حاول كاتبه محمود محمود أن يضع ضابطا لكل منهما ، فأشار أولا الى تاريخ الفكرة ، وأبرز دور كونت وداروين وسبنسر فى بلورتها وايضاح مفاهيمها العلمية ، ثم خلص الى القول بأن معيار التقدم هو الكشف

العملى والايمان بقدرة العقل البشرى ، وأن الرجل الذى يستند فى آرائه الى العقل دون النقل والى العلم دون الخرافة والى ما تثبته التجربة دون ما يروى عن السلف : مثل هذا الرجل يوصف بالتقدمى ، أما ان كان يستند الى الشائع بين الناس دون الأخذ بما تثبته التجربة والعلم ، والى أقوال الأقدمين دون اثبات بالعقل فهو رجعى .

ويلزم الرد على هذا الكلام من جهتين : الأولى أنه حتى فى المجتمعات التقدمية لابد من أن تكتفى الأغلبية بتصديق الشائع بين الناس ، ومن جهة ثانية فان اطلاق هذا الكلام على هذه الصورة يعنى الحكم بانضمام المسلم الذى يثق بكلمة الله ورسوله ويضعها فى مستوى من اليقين أعلى من مستوى التجربة ــ التى تضم عنصر الاحتمال فى كل أحوالها ــ الى فئة الرجعيين ، وهو الأمر الذى ان كان يصدق فى منطق الثقافة الغربية التى اعتمد الكاتب عليها فى تفسير مفهومى التقدم والرجعية ، فهو لا يصدق فى منطق المجتمع الاسلامى .

ويجد التيار المعادى للاسلام منفذا فى الحديث عن العلاقة بين الحضارة الغربية والأوضاع فى بلادنا العربية أو الاسلامية .

وفى هذا الاتجاه نجد مقالين :

أحدهما بجريدة الجمهورية ١٩٦٥/١١/٢٥ للدكتور فؤاد زكريا يتساءل فيه عما اذا كانت لنا فلسفة قومية أصيلة ، ويقرر أنه لا توجد فلسفة قومية أصيلة فى الوقت الحاضر لغير شعوب أوربا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأن علينا ألا نتعجل ظهور فلسفتنا الخاصة وأن ننتظر ازدهارها فى أثر محاولتنا الحالية التى تستهدف التقدم الاجتماعى ، وأن فرصتنا فى الوصول الى هذه الفلسفة تكون أعظم بقدر ما يقترب مستوانا الحضارى والثقافى من مستوى الدول التى تحرز الآن قصب السبق فى هذا الميدان .

وفيما أرى فان هذا التحليل يقوم على أساسين : الأول أننا فى فراغ من القيم والمبادىء والأهداف التى تتبناها فلسفة ما وتدعو اليها ،

وواضح أن هـذه الفكرة تتجاهل تماما وجودنا الاسـلامى بما له من مبادىء وقيم محددة يتناول بهـا الحياة ، الثانى : ان حضارة أوربا هى المثل الأعلى الذى ينبغى وضعه نصب الأعين ، وهـذا فى حد ذاته حكم لا يمكن أن يصـدر الا عن فلسـفة ، مما يتنـاقض مع الأساس الأول •

ويقول محمد عوده بالجمهـورية ١٩٦٥/١١/٢١ (اننا لا نسـتطيع أن نغلق عقولنا وأرواحنا فى عداء متعصب ازاء أوربا كمـا يفعـل البعض ، ويجب ألا تندفع نحوها فى افتتان مراهق كمـا يفعـل البعض الآخر ، ولكن علينا أن نراها الرؤية الموضوعية الانتقادية المتفتحة •• الرؤية المصرية ••

والى هنا فان الاتجـاهات لدى الكتاب اما أنهـا تدعو الى رؤية عربيـة ، أو الى رؤية مصرية ، أو الى رؤية غربيـة ، ولا أعتقد أنهم باغفالهم الاتجاه الى رؤية اسلامية ـ وهو الاتجـاه الذى عبر عنـه الدكتور سليمان حزين عضو المجمع ووزير الثقـافة فى المؤتمـر الثانى للمجمـع ـ يصـورون واقعنـا الاجتماعى أو الثقـافى تصـويرا صحيحا ، بل انهم فوق ذلك يعملون على سلب هذا المجتمع أهم مقوماته الا وهو المقوم الاسلامى •

فى السياسة :

انتهز بعض الكاتبين ما نسب الى الاخوان المسـلمين من اتهـامات ليغمروا الدين ورجاله ومبادئه بصفة عامة بالروح العدائية •

فهذا هو محمود العـالم ـ فى المصـور ١٩٦٥/١٠/١٣ ـ يقرر (أن أكثر من موقع ثقافى فى بلادنا يفرز الفـكر المتخلف ، ويغـذى التعصب والجمود •••) •

ويطـالب أحـد الكتاب ـ فى روز اليوسـف ١٩٦٥/١٠/١١ ـ بمصـادرة كتاب ينـدد بالاختلاط الجنسى ومفاسده ، ويقرر أن هذه

نظرة منحرفة فى فهم الدين الاسلامى ناشئة من خيالات جنسية مريضة ! ومتفقة مع أفكار سيد قطب الاخوانية ! !

ويطالب أحمد لطفى حسونة أن يعمل كل أب على مراقبة ابنه اذا كان من المترددين على المساجد خوفا من أن تتصيده جماعة الاخوان المسلمين ، ويذكر العلامات التى تدل على هذه الجماعة : فرجالهم لا يلبسون الدبلة الذهبية ونساؤهم يتمسكن بالطرحة فوق رءوسهن (الأخبار ١٥/٤/١٩٦٦) •

وكتبت الدكتورة بنت الشاطىء مقالا جديدا فى سلسلة مقالاتها عن الاسلام وقضايا العصر ، أنكرت فيه موقف الذين يبيحون لأنفسهم — باسم الاسلام — حق اصدار أحكام على الناس بالتكفير والايمان •

واستطردت من ذلك الى أن هذا الحق لم يكن مباحا للنبى نفسه — صلى الله عليه وسلم — لأن الله وحده (هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) ••

ولا شك أن اطلاق الكلام على هذا النحو ليس صحيحا — ذلك لأنه اذا كان من الخطأ اتخاذ موقف متطرف فى تكفير الناس لمظاهر من الانحراف العملى تبدو عليهم ، فانه لمن الخطأ اتخاذ الموقف المتطرف المقابل بما يؤدى اليه من اللاأدرية العقدية ، كما أنه ليس بصحيح اطلاق الكلام على ذلك النحو بالنسبة للرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو رأس أمة تجمعت على العقيدة من كان عليها كان منها ومن كان مخالفا لها لم يكن كذلك، وصحيح أنه ليس بوسع أحد اصدار الحكم الجازم بالتكفير أو الايمان اذا كان المراد بذلك الحقيقة الباطنية التى لا يطلع عليها الا الله ، أما ان كان الحكم صادرا على أساس الوقائع الظاهرة فهو مباح ، بل مطلوب لامكان اجراء كثير من الأحكام الشرعية المتوقفة على هذا الحكم الأولى ، شريطة أن يكون لذلك مقياس ثابت مستمد من الله ورسوله ••

الترويج للماركسية :

نشط كثيرمن الكتاب الشيوعيين وغيرهم فى هذه الفترة ، وعمل كثير منهم على الترويج للماركسية عن طريق ادعاء امكان التوفيق بينها وبين الاسلام .

وفى هذا الاتجاه نجد ما يأتى :

١ — فى مقال لمحمد عوده بالجمهورية ١٩٦٥/١٠/٧ أخذ الكاتب يقرر أن الحزب الشيوعى الأندونيسى — وكان واقعا فى صراع مع السلطة — أقلع عن عدائه للدين، وأنه بعد اقلاعه هذا أصبح من أقوى الأحزاب الشيوعية فى آسيا.

وفى نفس الأسبوع ذكرت مجلة الطليعة فى ترويجها لاتجاهات هذا الحزب أنه قبل المبادىء الخمسة الرئيسية التى أعلنها سوكارتو ومن بينها الايمان بالله ! ! .

وفى مجلة المصور ١٩٦٥/١٠/٧ تحقيق حول هذا الموضوع نقل فيه صاحبه حديثا جرى بينه وبين أحد الوزراء الشيوعيين فىأندونيسيا ، قرر فيه الوزير أن الحزب الشيوعى الأندونيسى لايشترط لقبول العضو فيه أن يكون ملحدا ..

وفى الأخبار٦/١٠/١٩٦٥ يحاول السيد/خالد محيى الدين أن يستر جانبا من وجه الماركسية القبيح ، فيقرر أن الاشتراكية التى يدعو اليها تعترف بالملكية غير المستغلة وما يترتب عليها من حق الميراث .

وفى الجمهورية ١٩٦٦/٤/٢٩ ، ١٩٦٦/٥/١٣ أكاذيب عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، تذكر أنهم يمارسون شعائرهم الدينية فى حرية ... الخ) .

وفى مقال لمحمد عودة بالجمهورية ١٩٦٦/٥/١٥ حديث حول نفس الموضوع حيث نقل حديثا للمدعو (ايجور بيلاييف) عن الدين فى الاتحاد السوفينى يقول فيه (نحن ملحدون ولكننا مع هذا لسنا ضد الذين يؤمنون بالدين ، ونكفل

حرية العقيدة للمؤمنين والملحدين على السواء ..)

ويهدد الكاتب المعارضين لهذه الأكاذيب فليحقهم بالرجعية والاستعمار فيقول فى الجمهورية ٢١/٤/١٩٦٦ (ان الرجعية الآن ترفع شعار الدين فى الداخل ، وقد أصبح استغلال شعار الدين ايديولوجية مخلفات الاقطاع والرأسماليين) ـ ويقول : (ترفع الرجعية أيضا شعار الشيوعية وتجعله سيفا مصلتا لارهاب أى عنصر يتحرك ..) ..

وفى هذا المجال نذكر :

استقبال فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ حسن مأمون ، للسيد الكسى كوسجين ـ رئيس الاتحاد السوفيتى ـ ضمن كبار رجال الدولة المستقبلين له فى مطار القاهرة ، عند حضوره فى زيارته للقاهرة يوم ١٠/٥/١٩٦٦. ولا بد أن ذلك كان بتخطيط من مراكز القوى ، ساهم الرجل فى تنفيذه دون أن يكون على علم بأبعاده .

٢ ـ وجاء فى مجلة الكاتب سبتمبر ١٩٦٥ مقال للدكتور محمد سعاد جلال ـ بعنوان (حول اخراج المسلم من عقيدته) ..

بين فيه خطورة الاتهام بالكفر ، ومعنى الايمان والاسلام والكفر ، والأصول الاسلامية : القرآن وان أغلبه ظنى الدلالة ، السنة وان أغلبها ظنى الثبوت ، الاجماع وأن بعض العلماء يشكك فى حجيته ، ثم بين معنى القطع والظن ، وانه لا يصح الحكم بتكفير أحد ما لم يعارض على سبيل القطع أصلا اسلاميا قطعى الدلالة والثبوت ، وقرر اصطلاحا جديدا فى الثقافة الانسانية سماه (علمانية الاسلام) .

ثم ربط موضوعه بالتيارات المعاصرة : فبين أن من يعتقد ببعض النظريات الاجتماعية الاجتهادية الحديثة التى لا تتعارض بطريق

قطعى مباشر مع أصل اسلامى : لا يمكن تكفيره .

ومثل لهذا بمن يعتقد بنظرية (فائض القيمة) و (الصراع الطبقى) باعتباره أهم العوامل لتحريك أحداث التاريخ .

ثم رد على اعتراض يقول : ان هذه الآراء قد تستلزم التكذيب بأصل من أصول الدين ، فذكر بايجاز لا يتناسب مع أجزاء البحث الأخرى : قائلا : وحتى لو كان هذا فان المحققين من العلماء على أن لازم المذهب ليس بمذهب .

وقد أغفل الكاتب الاجابة عما اذا كان الحكم يختلف فى حالة ادراك المعتقد لهذا اللازم واقراره به ؟ ، كذلك فى حالة ادراك المعتقد لحقيقة أن هذه النظريات انما هى لازمة لمذهب شامل يفسر الكون تفسيرا ماديا ، كما أغفل الاجابة أيضا عما اذا كان واجب عالم الدين أن يبين لغير المدركين لهذا التلازم خطورة موقفهم ووقوفهم على شفا جرف هار من نار جهنم ، وايضاح الحقيقة أمام عيونهم ، أم ان واجبه أن يربت على أكتافهم مطمئنا لهم ؟

وفى نفس المجلة السابقة مقال لعبد الجليل حسن : عن القرامطة فى تاريخ الحضارة الاسلامية واعتبارهم (حركة عظمى من حركات الاصلاح الاجتماعى والعدالة الاجتماعية تدعو الى المساواة) وانها كانت تعتمد على فكرة الامام المستور وتفسير القرآن تفسيرا باطنيا ، وان فكرة المهدى التى كانوا يؤمنون بها لعبت دورا حيا فى التطلع الى (ازالة الظلم والقضاء على التناقض الاجتماعى) ..

وفى أهرام السبت ١٠/٩/١٩٦٥ تحقيق عن كوريا الشمالية يتحدث فيه كاتبه عن أنه (فى ظل النظام الشيوعى لم يعد هناك شىء اسمه الدين) ولكن نظرا للوضع القائم فى كوريا الجنوبية من وجود أحزاب بعضها دينى « فقد راعت كوريا الشمالية فى تنظيم حزبها أن يضم عناصر تسمى نفسها بالحزب الدينى » .

ويقر سوكارنو فى مقتطفات من كتاب صدر أخيرا عن حياته : أنه ليس شيوعيا ولا يمكن أن يكون ، ويفسر ذلك بأن له ذاتا مفرطة فى حب نفسها تمنعه أن ينحنى لموسكو أو أن يكون عبدا لأحد غير شعبه. (الأهرام ١٩٦٥/٩/٢١) ..

وفى مقال لسامى داود عن الطبقة الوسطى يقرر أنها تتجه الى معاداة الثورة ، وينوه بأن الدين فى بلادنا بخير ، وأنه لا يساند هذه الطبقة (الجمهورية ١٩٦٥/٩/٢٣) .

وفى نفس الاتجاه جاء مقالان بنفس العدد : الأول لمحمد عوده ـ يدعو فيه رجال الوعظ الى محاربة الفكر الرجعى ، والثانى لأمير اسكندر يقرر أن الدين حافز من حوافز التقدم لا يساند الرجعية التى يجب على الأديان محاربتها فى ضراوة ..

« التوكل الصحيح »

عن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا ».

مع أدب القرآن :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا

لفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٨ —

البشارة تعجيل الأخبار بما يسر النفس ، ويطمئن الخاطر ، ويريح القلب ، ويزيل الهموم ، ويطرد عن الفؤاد قلاقله وبلابله ويقابلها الانذار وهو التهديد بالشر ، والتوعد بحدوثه ، والاعلان عن قرب موعده، ودنو أجله ، وكما تشيع البشارة جوا من الغبطة والسرور ، والبهجة والفرح ، انتظارا لما يجيء به الغد المأمون ، أو المستقبل القريب ، يكون الانذار على العكس من ذلك ، لأنه يضمر المكروه ، ويحمل ما لا يحمده الانسان ، ولا يطيب به القلب ، أو يسعد به الخيال ، والبشارة لايحملها الاصديق محب أو زميل كريم أو رفيق مخلص ، قد امتزج وجدانه بوجدانك ، وشعوره بشعورك ، وروحه بروحك ، وهكذا مصدرها دائما أبدا لا تنطوى نفسه لك الا على أنبل المعانى ، وأحسن العواطف ، وأصفى حقائق الود والاخلاص ، وهؤلاء الذين آمنوا التى تعنيهم هذه الآية « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون» هم الذين سبقت الاشارة اليهم: «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» والذى يتابع آيات الكتاب الكريم اذا خاطب المؤمنين بالاشارة أو النداء يرى أنه يعظم من شأنهم ، ويعلى من قدرهم ، ويبرزهم فى معرض من الاجلال والاحترام ، وهو هنا فى هذه البشارة يضمن لهم من المنن والعطايا ، والمنح والهدايا ، والبر والخير ، ما يجعلهم مطمئنين كل الاطمئنان الى أنهم بلغوا

منه جل شأنه درجة الرضا، وتجاوزوا بمكانتهم عنده ، ومنزلتهم لديه، حدود غيرهم من الناس الذين لم يرزقهم الهداية ، ولم يلهمهم التوفيق ، ولم يمنحهم الاستقامة على الجادة ، والسير على السنن السوى .. وهو كذلك لا يكتفى بالبشارة التى يقدمها اليهم ، ويسوقها لهم ، دون أن يخلع عليهم من سمات القبول ، وملامح الرضا ، ما يدل على أنهم بادىء ذى بدء قد تمكنت عنده منزلتهم ، ورسخت فى ساحته أقدامهم ، اذ يقدم بين يدى ذلك كله أنهم « آمنوا وعملوا الصالحات ، كأنما يعلن للقاصى والدانى أنهم بهذا الذى حصلوه ، وذلك الذى عملوه ، استحقوا هذه الحظوة ، ونالوا تلك الدرجة «جنات تجرى من تحتها الأنهار » والجنة فى الأصل البستان أو الحديقة الملتفة الأغصان ، المتدلية الثمر ، الكثيرة الأشجار ، وهى بهذا الوضع تجن ما يكون بداخلها من حيوان أو انسان، فتقيه لفح الشمس وحرارتها ، وبهذا الاعتبار سميت جنة ، ومنها كانت الجنة ــ بالضم ــ بمعنى الوقاية ، ومن ذلك الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم « الصوم جنة » صيانة للنفس عن الانحدار الى بؤرة المعاصى لأنه يكسر فيها حدة الشهوة بما يحدثه الجوع والعطش من الهزال ، وما يربيه فيها الحرمان من قوة الصبر والاحتمال ، ومقاومة النزوات ، وفعالية الشهوات ، ومعنى كون هذه الجنة تجرى من تحتها الأنهار أن الماء يمشى فى ثناياها من أولها الى آخرها ، والعامة تقول عن طرف البستان ونهايته، أو طرف المزرعة ونهايتها تحت، كأن الماء يجرى مبتدئا من الطرف الى الطرف ، وقد جعل الله جل وعلا فى الماء من المزايا والخصائص الكثير الذى لا يحصى ، وهو الى جانب كونه يحيى به الأرض بعد موتها ، ومنه كل شئ حى كما تقول الآية الكريمة فى موضع آخر ، متعة للخاطر ، وبهجة للنفس ، وغذاء للروح، وملهم للعقل، وجلاء للقلب، وصفاء للفكر ، يفزع اليه المهموم فينسى همه ، والمكدود فيستريح ، وبخاصة اذا كان محاطا بالأشجار والأغصان والثمار والفاكهة والطيور والشذى الطيب ، والعطر الفواح ، وهذه الثمار التى تحملها الأغصان، وتجود بها الأشجار، وهى حولك ، وفى متناول يدك ، لذة

لاتعدلها لذة الأكل ، وكأنما جعل الله للمؤمن هذا التمكن فى هذه الجنة على هذا الوضع الذى لا يشبهه الا حال الملك حينما يكون فى حديقة قصره ، يده فيها مطلقة ، وحريته فيها غير مقيدة ، وتصرفه فيها غير محدود، ليريه الى أى مدى كانت منزلته ، ومع هذا الفضل الذى أتاحه له ، ومكنه منه ، أو سخره له ، تجىء مزية أخرى فى هذه الثمار لا يفسرها الا ما جاء فى الحديث النبوى الشريف وهو يقول فى تعظيم شأنها ، وفخامة أمرها، وضخامة أوصافها :«فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » تلك المزية كون هذه الثمار تريك من نفسها — مع كثرة مصادرها وأعدادها — الاتحاد فى اللون والحجم والصورة ، حتى كأنك أمام مكرور معاد ؛ ولكنك عند تناولها وتذوقها يتأكد لك أنك أمام جديد لم يمر بك، وطريف لم يرد عليك ، وغريب لم تكن قد ألفته ، ثم ترى أنه لابد لك أن تطرح من ذهنك فكرة التكرار والاعادة ، وتصور أنت بنفسك الى أى مدى تكون اللذة النفسية ، والمتعة الروحية ، بهذا الجديد الذى تراه فى كل لحظة تمر بك وأنت تتناول جديدا فى طعمه وحلاوته وميل الطبع اليه ، وبهجة الخاطر به ، أليست هذه منة أخرى ، ونعمة كبرى ، ودليلا على ان المنعم المتفضل يتضاءل أمام فيضة كل فيض ، ويجف أمام غيضة كل غيض، ولا يتطاول أحد أمام ألوهيته العظمى أن يقول أنا الا اذا فقد وعيه ، وطغى عليه حمقه وطيشه « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها » .. ونحن أمام جزء آخر من الآية وهو « ولهم فيها أزواج مطهرة » نذكر للمرأة وضعها الكريم من الرجل ، ومنزلتها العظمى منه ، وحاجته الملحة اليها،هى كانت — ولا تزال — بعضه الذى انحدر منه ، وجزأهالذى انفصلعنه ، ونصفه الذى لا يكمل الا به ، يحن اليه ، ويستريح له ، ويطمئن خاطره به ، فلا يفارقه راضيا ، ولا يبعد عنه مختارا، ولاينتهى حنينهله ، وشغفه به؛ ورغبته فيه ، وشوقه اليه ، لذلك كانت الأزواج للمؤمن — رجلا كان أو امرأه — من تمام تلك المتعة ، وكمال ذلك النعيم ، وكان من مضاعفة هذه المنه ، تلك الطهارة التى لا تجعل فيها ما ينفر منها ، أو يزهد فيها ،

أو يصد الطبع عنها ، أو يبغضه اياها ، أو يحول بينها وبينه ... واذا كانت مضاضة الحرمان من الشيء ، ولذع فقده ، وخلو اليد منه ، وغضاضة ذلك على النفس ، وكراهيتـه على المرء ، من أشق المعاني التي يصادفها ، وأشد الآلام التي يعانيها ، فانها تكـون أكـثر وأكثر على من ذاق الشيء ثم حرمه أو حيل بينه وبينه لسـبب خارج عن ارادته ، وهذا هو السر في أن بقاء هذه النعم،ودوام تلك المنن،والاستمرار عليها ، نوع آخر من فضل الله على المؤمنين في الجنة ، لا ينتهي مداه ، ولا ينقطع مدده ، ولا يجف غيضه ، ولا ينقطع فيضه ، ودوام النعمة وهـو نعمة في ذاته ، دليل على دوام الرضا من المنعم ، وهذا هو الغرض الأسمى من الخلود الذي تسـوقه الينا هـذه الآية وهي تنوه بهؤلاء الذين استحقوا هذه المنزلة عنـد الله بما قدموا في الدنيا من ايمان صادق ، وعمل صالح، وعقيـدة راسـخة ، واخلاص تام ، وقلوب نقية ، وضمائر نظيفة ، وأفئدة لم تدنسها معصية ، ولم يكدر صفوها حرام ، لأنها كانت عامرة بطـاعة الله ، مليئة بحبه ، والخوف منه ، والأمل فيـه ، والثقـة به ، من غير اشراك ولا شك ، مخلصين له الدين حنفاء .

دكتور ابراهيم على ابو الخشب

« كنتم خـير أمة »

اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدى في قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس . قال : قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه : لو شاء الله لقال ــ أنتم ــ فكنا كلنا ، ولكن قال ــ كنتم ــ خاصة في أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ومن صنع مثـل صنيعهم كانوا خـير أمة أخرجت للنـاس .

أحلام لها تاريخ

للأستاذ السيد حسن قرون

هل تهتم بالأحلام ؟ وهل تؤمن بتأويلها ؟ وما مدى ارتباطها بالشئون العامة ؟ ان الناس قديما وحديثا رأوا وسعوا الى من يفسر لهم الرؤيا ، وأقدم ما وصل الينا ماذكره القرآن الكريم فى سورة يوسف التى حوت رؤيا يوسف عليه السلام التى قصها على أبيه ، ورؤيا كل من صاحبى السجن ، ورؤيا الملك التى تدور حول خصب مصر وجدبها ، وقد وجد كل منهم تأويل رؤياه ، ومع توالى العصور ظهر فى كل عصر ومصر من يحاول أن يضع قواعد وأصولا للأحلام وتفسيرها ، وأن يخصها بمكان فى ثبت العلوم ، ففى الغرب كان أرسطو أول من أنزلها من عليائها ، لتكون بيننا ، ومن صنعنا ، ونفى أن تكون من وراء الطبيعة ، وفى العصر الحديث ظهرعالم نفسانى هو (سيجموند فرويد) وضع علم النفس فى خدمة الأحلام بتحاليله النفسية التى أجراها على مرضاه ، وجزأ النفس البشرية الى ثلاث مناطق : شعور ، ولا شعور ، ومنطقة وسط هى همزة الوصل بين الشعور واللاشعور ، وجعل الأحلام رغبات مكبوتة تظهر فى النوم حين تضعف رقابة الشعور . وفى العالم الاسلامى ظهر (ابن سيرين) آخر العصر الأموى ، ورووا عنه تفسيرا للأحلام فى كتاب . أما فى العصر الحديث فقد سرنا وراء المذاهب الحديثة الآتية من وراء البحار ، فأصبح لدينا علماء نفسيون يقولون بما يقول علماء الغرب ، ويفسرون الأحلام كما فسرها (فرويد) وتلاميذه والسير على طريقة هؤلاء العلماء لا يضر ، فكل بحث عن النفس وما تنطوى عليه يقربنا من كنهها ،

ويزيدنا معرفة وارتياحا وشفاء من القلق والسهاد الى حد كبير ، ولكنه لا يحسم الأمر ولا يصل بنا الى نهاية يحسن السكوت عندها ، فمازالت النفس فى حجب كثيفة تحتاج الى مصابيح قوية حتى تكشف سراديبها ، وتظهر خفاياها ، وتبلغ مكنوناتها • « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ولم يتعرض أحد من المفكرين معامتداد العهود الاسلامية الى وضع الرؤى التى دارت حول النبى المنتظر أو حوله حين ظهر موضع الدراسة ، ولم يقفوا منها موقف الكاشف لها ، الدارس لمصادرها ونتائجها ، وهل تفسر بمنطق ابن سيرين أوتجلى فى عيادة (فرويد) أو أنها أعمق وأدق من هذا وذاك ؟ لأنها جاءت لأمر يراد ، لأمر يمثل أحلام البشرية لما ظهر الفساد فى البر والبحر ، وضاق الناس ذرعا بعبادة الأصنام والحكام ، وتشوفوا الى مصلح يخرجهم من الظلمات الى النور ، وينقذهم من نار العصيان ويدنيهم من جنة الطاعة • ومن ثم كانت أحلامهم تنظر الى الغد ، الى مستقبل البشرية لا مستقبل الرائى والحالم ، وأكثر أحلامهم كانت رموزا تحتاج الى مفسر له عقل ناضج ، وذهن متفتح ، وبصر يميز بين الأشياء ، ومن عجيب الأحلام ــ حسب علمى ــ أنك لا ترى انسانا يكذب فى قص الرؤيا ، بل يجعل جهده أن يتذكر ما رأى ، ويحرص على تفصيلاتها ما وجد الى ذلك سبيلا • ولنا فلسفة محلية فى أن الحلم مرجع بيانه الى أول مفسر له ، وليس الأمر كذلك ، فهناك أساطين برعوا فى تأويل الرؤيا على أسس قد تبلغ مبلغ العلم ، وقد يستخدم بعضنا فطنته فى الوصول الى التأويل القريب من الصحة ، ولكن الذين عاصروا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم لم تكن لهم مدارس نفسية أو فلسفية ، وعلم النفس لم يعرف اسمه العلمى الا فى العصر الحديث ، ويأخذك البهر والدهش مما بلغوه من تفسير الأحلام وتأويل الرؤى ، وقد اشتهر نفر من أصحاب الرسول على رأسهم أبو بكر الصديق ، فكان قولهم صادقا يصادف أمرا واقعا ،

وقد رأيت فى قراءاتى لكتب التراث والسيرة النبوية أحلاما لها تاريخ دفعنى الى الكتابة فيها ما رأيته من دقتها وتمثيل هدفها حين المبعث وقبله، ووضعت نفسى فى دائرة معينة (الأحلام التى عاصرت النبى قبل نزول الوحى وبعده) ، فصاحب الطبقات الكبرى يذكر من علامات النبوة رؤيا (خالد بن سعيد الأموى) ونص ما رواه قال خالد بن سعيد : « رأيت فى المنام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ظلمة غشيت مكة حتى ما أرى جبلا ولا سهلا ، ثم رأيت نورا خرج من زمزم مثل ضوء الصباح ، كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء فى أول ما أضاء البيت، ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل أو جبل الا وأنا أراه ، ثم سطع فى السماء ثم انحدر حتى أضاء لى نخل (يثرب) فيها البسر ، وسمعت قائلا يقول فى الضوء سبحانه سبحانه ، تمت الكلمة . . . سعدت هذه الأمة . . . » فقصها على أخيه (عمرو بن سعيد) فقال : « لقد رأيت عجبا : وانى لأرى هذا أمرا يكون فى بنى عبد المطلب ؛ اذ رأيت النور يخرج من زمزم » ومعروف أن حفر زمزم مكرمة عبد المطلب جد محمد صلوات الله عليه .

ما رأيك فى هذا التفسير ؟ وهل ترتاح الى ما جاء فيه من تعليل ؟ لم يمر على هذا الحلم وتفسيره الا زمن يسير حتى نزل الوحى على رجل من بنى عبد المطلب أعلن أنه رسول رب العالمين ، وأصبح صاحب الرؤيا وصاحب التأويل من السابقين الى الاسلام ، ومن الشهداء الذين بذلوا أرواحهم للدفاع عنه والذود عن حياضه . ولو أردنا أن نرجع الى مصدر الحلم عند خالد بن سعيد فهل نعيا فى الوصول اليه ؟ ماذا كان يشغل بال خالد ؟ ولم اتجهت نفسه الى هذا المرأى ؟ هل نرجعه الى ما كان يشاع ويذاع عن نبى يظهر من بنى غالب كما جاء فى قصة تبع حين غزا يثرب ؟ أو نرجعه الى تنبؤات الأحبار والكهان فى المدينة ومشارف الشام وقصر غمدان فى اليمن؟ أو أن ذلك جاء من أحاديث قومه عن النفر الذين نفروا من عبادة

الأوثان ودعوا الى حنيفية ابراهيم عليه السلام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه ؟ أو أن ذلك جاء الهاما ؟ انى لا أستطيع أن أحسم الأمر ، ولا بد لى من التسليم بأن النفس البشرية تعلو على تفسير مذاهب الفلسفة والمذاهب النفسية الحديثة .

وحلم آخر (١) لخالد بن سعيد جذبه جذبا الى الاسلام فماذا رأى ؟

« رأى أنه واقف على شفير النار ، ورأى من سعتها ما الله به أعلم ، ويرى فى ـ النوم ـ كأن أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله آخذا بحقويه لئلا يقع » ثم التقى بأبى بكر ـ وكان قد أسلم ـ فعرض عليه رؤياه ـ فقال أبو بكر : « أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ؟ فانك ستتبعه ، وتدخل معه فى الاسلام الذى حجزك أن تقع فى النار ، وأبوك واقع فيها » فذهب الى النبى وقال له: يامحمد الامَ تدعو؟ قال : أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يرى من عبده ممن لم يعبده . قال خالد : فانى أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، فسر رسول الله باسلامه، وصار خامس أصحابه(٢).

أما أبوه سعيد بن العاص بن أمية ، فقد ضل وغادر مكة كراهة أن تسفه الأحلام وتعاب الهة قريش أمامه ونزل فى أملاكه القريبة من الطائف، ومات كافرا .

لك أن تقول ان رؤياه مصدرها ما طار فى مكة من أن محمدا يوحى اليه ويتلقى خبر السماء ، ويتحدث عن الجنة والنار ، ولك أن تقول : ان الله أراد له الهداية ، ولكن كثيرا مثله سمعوا ما سمع فلم يحلموا ولم ينطلقوا الى خير داع وخير أتباع .

ولما وقعت الواقعة ودارت المعارك بين المسلمين وكفار قريش بعد الهجرة

---

(١) الطبقات الكبرى : ترجمة خالد بن سعيد .

(٢) رواية ابنته ام خالد .

الى المدينة رأينا أحلاما مثيرة مشيرة الى وقائع لم تقع ، وقتلى لم يقتلوا ، ومعارضة لتلك الأحلام من أئمة الكفر وعلى رأسهم عمرو بن هشام (أبو جهل) منها رؤيا (١) (عاتكة بنت عبد المطلب) ورؤيا رجل من بنى (المطلب بن عبد مناف) قبيل غزوة بدر ، فقد بلغ النبى أن قافلة القريش فى طريقها الى مكة قادمة من الشام فيها أموال لقريش وتجارةمن تجاراتهم وعليها ثلاثون رجلا ، منهم أبو سفيان، ومخرمة بن نوفل الزهرى ، وعمرو ابن العاص ، فأراد أن ينفلها المهاجرين الذين استولت قريش على أموالهم وديارهم بمكة ، وعلم أبو سفيان بتحسسه الأخبار حتى أصاب خبرا من بعض الركبان ، فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى ، فبعثه الى مكة ، وأمره أن يستنفر قريشا دفاعا عن أموالها فخرج ضمضم سريعا الى مكة. ورأت (عاتكة) قبل قدوم ضمضم بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها(العباس بن عبد المطلب) فقالت له والله لقد رأيت رؤيا أفظعتنى ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك به، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت له :

رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا بالقدر لمصارعكم فى ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا اليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة صرخ بمثلها : ألا انفروا بالقدر الى مصارعكم فى ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت(٢) فما بقى بيت أو دار الا ودخلتها منها فلقة .

قال العباس : والله ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لأحد . هل نفذ العباس ما دعا اليه ؟ لقد غلبه السر فلم يستطع كتمانه ، فقص رؤيا أخته على صديقه (الوليد بن عتبة) والوليد قصها على أبيه ، ففشا الحديث فى مكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها . وقد جنى العباس مر الجهر بالسر .

---

(١) سيرة ابن هشام : غزوة بدر .
(٢) تفتت .

قال : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكه ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم • فقال أبو جهل : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قلت وماذاك؟ قال : تلك الرؤيا التى رأتها عاتكة ، فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقا ما تقول فسيكون ، وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عنكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب • قال العباس : فو الله لم يكن منى اليه كبير الا أنى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئا • ثم تفرقنا •

ماذا جرى للعباس حين اجتمع بأسرته ؟ يقول العباس : لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ؟ ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت • فقال لهن : قد والله فعلت ، ما كان منى اليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له لأكفيكنه •

استعد العباس لمنازلة أبى جهل والنيل منه • قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنه قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به •• اذ خرج نحو الباب يشتد ، فقلت فى نفسى : ما له لعنه الله ، أكل هذا فرق (١) منى أن أشاتمه ؟ واذا هو سمع مالم اسمع : صوت ضضم الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره،قد جدع بعيره(٢)،وحول رحله

---

(١) خوف .
(٢) قطع أنفه .

وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث ، الغوث ، فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر • لقد كان قدوم ضمضم على هذه الصورة تفسيرا لجزء من رؤيا عاتكة ، وبقى أن نعرف تفسير سائرها فيما بعد •

خرجت جموع قريش معجلة لحرب محمد وأصحابه ، وأكره العباس وبنو هاشم على الخروج حتى لا يكونوا خنجرا فى ظهر جيش قريش ، وأكره على أن ينحر للجيش من جماله مايكفيهم فى بعض المراحل• وحدثت الرؤيا الأخرى فى الطريق ، ألفت مكة بأفلاذ كبدها ، فلما نزلوا (الجحفة) رأى (جهيم بن الصلت) من بنى المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : انى رأيت فيما يرى النائم ، وانى لبين النائم واليقظان اذنظرت الى رجل قد أقبل على فرس ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة،وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة (١) بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فمابقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه نضح من دمه • وبلغ الخبر أبا جهل فقال : وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غدا من المقتول اذا التقينا ؟ والتقوا بجيش المسلمين ولم يصيخوا الى رسول أبى سفيان الى جيش قريش الذى قال لهم : انكم خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فكان تفسير رؤيا المطلبى وعاتكة معا، قتل كل من سماهم المطلبى وانجلت غزوة بدر عن سبعين قتيلا من صناديد قريش وسبعين أسيرا ، « فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة» كما قالت عاتكة، وكان العباس فى الأسرى فرأى بعينيه تفسير رؤيا أخته،

---

(١) صدره .

وشهد مصرع أبى جهل ، كان ذلك فى العام الثانى للهجرة .

وبشىء من التأمل نجد أن من ذكرتهم ورؤاهم كانوا كلهم من بنى (عبدمناف) فالأول خالدبن سعيد أموى والثانية عاتكة هاشمية ، والثالث جهيم بن الصلت مطلبى ، وأبناء عبد مناف أربعة : ثلاث أشقاء الأب وأم وهم:عبد شمس ، وابنه أمية، وهاشم ، وابنه عبد المطلب،والمطلب ومن ذريته جهيم،والامام الشافعى فيما بعد،ورابعهم نوفل بن عبد مناف،وهاشم والمطلب لم يفترقا فى جاهلية ولا اسلام ، وعبد شمس ونوفل كانا ضد الأولين،ولكنهم جميعا لهم مآثر على قريش ، فقد سنوا لها رحلتى الشتاء والصيف ، وعقدوا معاهدات مع الملوك والأمراء فى الشام والفرس واليمن ، فعاشت قريش فى أمن وأثرت من التجارة والرحلات فاذا وقعت منهم الأحلام فانما ذلك لحبهم لقومهم واشفاقهم عليهم من مكايد الدهر ، ولأنهم أولو شفافية وتحمس فى الدين ، ولأن الله اصطفى من بينهم رسولا كان خاتم الأنبياء والمرسلين.

وقد تحدث القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم ذاكرا رؤياه فى غزوة بدر ، ولا ريب أنها من معدن آخر، انها من الله عز وجل ، قال تعالى : « اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » . الانفال : ٤٣،٤٤

لقد دارت كل هذه الرؤى حول أمر عظيم ورسول كريم ، ان لها لتاريخا نعتز به ، ونتفيأ ظلاله،وننعم بثماره ، انه يدعونا الى النظر والاعتبار،والقدوة الصالحة فيما يغشى من الأمور ، ولن تراها تصادى العلم أو تعاديه .

السيد حسن قرون

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٧٨ ـ ويقولون : فاز الولد فى السباق بينا أو بينما لم يفز أخوه الكبير ، وهذا التعبير خطأ لأن بينا وبينما ظرفان تجب لهما الصدارة ، وهذا هو الفرق بينهما وبين كلمة (بين) والصواب أن يقال : بينا أو بينما فاز الولدلم يفز أخوه الكبير، وبينا أو بينما كنا نشفق على صديقنا المريض طلع علينا أخوه بخبر شفائه من علته، وفى الحديث «أن عمر بن الخطاب رضى‌الله عنه قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب » الى آخر الحديث .

وقد تأتى بعدهما (اذ واذا) الفجائيتان ، فمن الأولى الحديث السابق ، ومن الثانية قول الحُرقة بنت النعمان .

بينا نسوسُ الناس والأمر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقةٌ تتنصف(١)

٢٧٩ ـ ويقولون لمن يذنب متعمداً : قد أخطأت ، فيحرفون الكلم عن مواضعه ، لأنه لا يقال أخطأ الا لمن لا يتعمد الخطأ ، أو لمن اجتهد فلم يوفق ، واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » واسم الفاعل من أخطأ مخطىء ، والاسم منه الخطأ كما فى قوله تعالى « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وأما المتعمِّد فيقال له : خَطِىءَ يخطأ من باب علم خِطءاً فهو خاطىء ، قال جل شأنه « ان قتلهم كان خِطءاً كبيرا» والاسم من الخِطء الخطيئة وجمعها الخطايا كما فى قوله سبحانه « انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا » .

---

(١) تتنصف : تخدم .

قال الشيخ أبو محمد : ولى فيما انتظم الخِطء والخطأ ، واحتضن معنييهما المتضادين قولى :

لا تخطون الى خطءٍ ولاخطأ
من بعد ما الشيبُ فى فوديك (١)

قد خطا (٢) فأى عذرلمن شابتمفارقة
اذا جرىفىميادين الهوىوخطا(٣)

٢٨٠ ــ ويقولون : حَلبت الناقة لبناً كثيرا ، ببنـاء الفعل للفاعل ، والصواب أن يقال : حُلبت بالبناء للمفعول فهى محلوبة وقـد حلبهـا صـاحبها ، وهناك أفعـال كثيرة لا تستعمل الا مبنية للمفعول كهذا الفعل يقال : زُهى فلان علينا اذا افتخر واختال،وزُهِى يُزهىبنفسه اذا أعجب بها فهو مزهُو ، وغُشى على فلان اذا أغمى عليه فهو مغشى عليه كما فىقوله تعالى«ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت » وزُكم فهو مزكوم اذا أصـابه الزكام وهو تحلب فضول رطبة الى المنخرين ، وحُصر اذا اعتقل بطنه فهو محصور، وبه حُصْر بالضم وهواحتباس ذى البطن ، وقـد قالوا : نعوذ بالله من الحُصْر والأُسْر ؛ ومعنى الأخير احتباس البول ، وأحصِر الحـاج اذا حُبسوا عن المضى لمرض ونحوه، ومنه قوله تعالى : « فان أحصرتم فما استيسر من الهدى » وبُهتفلان اذا تحير وندم ، ومنه قوله تعالى : « فبُهت الذى كفر » وقول الشاعر:

وما هى الا أن أراها فجـاءة
فأُبهت حتى ما أكاد أجيبُ

وفُلج فهـو مفلوج اذا أصـابه الفالج وهو استرخاء فى أحد شـقى البدن ، وتنجت الناقة اذا وضعت ، وغير ذلك كثير .

٢٨١ ــ ويقولون : فلان شَغوف بقرض الشعر ، والصواب أن يقال: هو مشـغوف بكذا ، أى مولع به لأنه يقـال : شُغِف فلان بالشىء ببناء الفعل للمفعول ، فهو مشغوف به ، ولو خُرج شَغوف فى قولهم

(١) الفودان : ناحيتا الرأس .
(٢) وخط الشيب شعره : خالطه.
(٣) خطا : مشى .

هذا على أنه من صيغ المبالغة لتغير المعنى الذى يريدونه ، اذ معنى شَغوف آنئذ شاغف غيره كثيرا ، ولوجب أن يقال : هو شغوف اياه ، وهذا ما لا يريدون .

ولا يمكن أن يحمل شغوف فى قولهم على أنه صفة مشبهة لأن شغف فعل متعد الى المفعول به كما فى قوله تعالى « قد شغفها حبا » والصفة المشبهة لا تأتى الا من اللازم ، ولم نجد شغف بكسر الغين لازما الا اذا كان بمعنى قلق ، ففى لسان العرب: وشغف بالشيء شغفا من باب طرب، وهذا لا يعنينا لأن معناه مخالف لمعنى شغفه .

ويمكن أن تتلمس علاقة بين معنى شغفه ومعنى شغف به لما بين الولوع بالشيء والقلق من الصلة وعليه يمكن أن يقال على سبيل المجاز : فلان شغف بكذا ، أى مشغوف به ومولع ، وصوغ شغف صفة مشبهة من شغف به شغفا قياسى للزوم الفعل لأنه على وزن فعل بفتح فكسر .

٢٨٢ — ويقولون فى جمع مِرآة وهى ما يتراءى فيه الانسان : مرايا، وهذا خطأ صراح وقع فيه بعض الشعراء المحدثين اذ قال .

فهب اللحية غطّت
منه خداً كالمرايا

كما وقع فيه أيضا صاحب هامش القاموس حيث قال فى مادة (يا) قوله فى الخط مثل التى فى قائل وبائع ، وفى اللفظ مثل خطايا ومرايا فى جمع خطيئة ومرآة .

والصواب أن يقال فى جمعها مراء بزنة مفاعل كملعقة وملاعق ، أما مرايا فهو جمع لِمَرِيٍّ وهى الناقة التى تدر اذا مسح ضرعها فتكون غزيرة اللبن ، وقد جمعت على أصلها الذى هو مرية فقيل مرايا كقضية وقضايا ، وانما حذفت الهاء منها عند الافراد لكونها صفة خاصة بها لا يشاركها الذكر فيها .

٢٨٣ ــ ويقولون لرضيع الانسان: لقد ارتضــع بلبنه ، والفصيح أن يقال : ارتضع بلبانه ، لأن اللبان هو الرضاع وهو مصدر لابنه ملابنة ولبانا اذا شاركه فى شرب اللبن ، أما اللبن فهو المشروب ، قال الأعشى يمـدح المحلق .

تشبُّ (١) لمقرورين (٢) يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلقُ

رضيعىْ لبان ثدى أم تقاســما
بأسحم(٣) داج(٤) عوض لا تتفرق

أى أن المحلق والندى ارتضــعا ثدى أم واحدة ، وتحالفا على أنهما لا يفترقان ، وكلمة عوض من أسماء الدهر ، ومعناها أبدا ، وهى مبنية على الضم ، وعنى الشاعر بالأسحم الداجى ظلمة الرحم .

٢٨٤ ــ ويقولون : نحفظ ثيابنا فى الدولاب ، وكلمة الدولاب بفتح الدال وضمها والفتح أفصح لا صلة لها بالثياب وانما هى المنجنون التى يستقى بها المـاء كالنــاعورة ، والصواب أن يقال : نصون ثيابنا فى الصوان بضم الصاد وكسرها صَوْنا من باب قال ، وصـيانا وصـيانة بكسرهما ، فهى مصونة على النقص ، ومصوونة على التمـام ، وتصـان القوس فى صـوانها ، ومصـوانها بالكسر ، ومصـانها بالفتـح وهو غلافها .

٢٨٥ ــ لقــد قرأت فى صـحيفة الأهــرام قول أحـد محرريها : يسر المصرف العربى أن يعلن عن فتـح باب الاكتتـاب بتعدية الفعل يعلن بعن ، وهذا خطأ ، والفصيح أنه اما أن يتعدى بنفسه كمـا فى قولك : أعلنت الخبر ، وأسر صـديقى أمره ثم أعلنه أى أظـهره ، وكذا علنـه بالفعل المضعف ، واما أن يتعـدى باللام كما فى قوله جل شأنه « ثم انى

---

(١) تشب النار : توقد وترتفع .
(٢) المقرور : من أصابه القر وهو البرد .
(٣) الأسحم : الأسود .
(٤) الداجى : السابغ .

أعلنت لهم وأسررت لهم اسرار »
وقول الشاعر :

وكفّى عن أذى الجيران نفسى
واعلانى لمن يبغى علانى

والعيلان والمعالنة والاعلان المجاهرة ، وقد يتعدى بالباء كما فى قولك : أعلنت بالشىء اعلانا اذا بينته وأوضحته ، ومثل هذا ماكان موازنا لفاعل ، تقول : عالنه وعالن به علانا ومعالنة .

أما الثلاثى فلازم ، تقول : علن الأمر علونا من باب قعد اذا ظهر واتشر فهو عالن ، وعلن علنا من باب طرب لغة فهو علن وعلين ، كحزن حزنا فهو حزن وحزين والاسم العلانية كما فى قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية » ويقال : قد استسر أمره ثم استعلن ، أى كان أمره سرا ثم ظهر ، فهو مستعلن ، قال النابغة .

أتاك امرؤ مستعلن لى بغضه
له من عدو مثل ذلك شافع

٢٨٦ ــ وكثير منهم يجمعون الأبله على بلها بضم ففتح ، وهذا فاسد ، لأن فعلاء لا يطرد الا فى وصف لمذكر عاقل بزنة فعيل بمعنى فاعل ، كحكيم وحكماء ، وظريف وظرفاء ، والصواب أن يجمع هو ومؤنثه على بله بضم فسكون كحمر ، وخضر ، قال ابن مالك : فعل لنحو أحمر وحمرا .

تقول : بله فلان يبله بلها وبلاهة من بابى طرب وسلم فهو أبله ، وهى بلهاء ، وهم وهن بله كما يزعمون أن البله لا يستعمل الا فى الذم ، والحق أن الغالب فيه المدح ، ومن حكم العرب قولها : خير أولادنا الأبله الغفول ، وخير النساء البلهاء الخجول ، أى أن كلا منهما لشدة حيائه وصفاء نفسه يتغافل ويتجاوز عما يوجه اليه من اساءة . قال .

ولقد لهوت بطفلة (١) ميالة
بلهاء تطلعنى على أسرارها

(١) الطفلة بفتح الطاء : الرخصة الناعمة .

والأبله من غلبت عليه سـلامة الصدر ، وحسن الخلق ، وقلة الفطنة لمداق الأمور ، وفى الحديث « أكثر أهل الجنة البله » أى فى أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها ، وهم أكيـاس فى أمر الآخرة ومن المجاز وصـف العيش والشباب بالبلاهة فيقـال : عيش أبله اذا كان ميسرا سـهلا ، وشباب أبله اذا كان صاحبه غافلا عما يحدث من الطوارق ، والبلهـاء المرأة الكريمة الغريرة المغفلة ويقال : تباله فلان اذا أرى من نفسـه البله وليس به ، قال عمر بن أبى ربيعـة

تبـالهن بالعرفان لمـا عرفننى
وقلن امرؤ باغ(١) أكل(٢) وأوضعا(٣)

٢٨٧ ــ ويقولون : اقتصد فلان من راتبه كذا ، والفصيح أن يقال : ذخر من راتبه كذا يذخره من باب نفع ذخرا بالفتح ، والاسـم الذخر بالضـم ، أى خبأه وأعده لوقت الحاجة اليه ، واذخره على افتعـل مثله ، وأصله اذ تخره فثقل اجتماع التاء للافتعال والذال ، فقلبت التاء ذالا وأدغمت فيها الذال الأصـلية فصارت ذالا مشددة .

ويقال : المـال مذخور ، ومذخر ، وذخـيرة ، وادخره ادخارا بالدال كذلك فهو مدخر ومن المجاز قولك: ذخر فلان لنفسه حديثا حسنا وجعل ماله ذخرا عند الله ، أما الاقتصاد فهو العـدل والتوسـط بين الاسراف والتقتير ، تقـول : قصـد فلان فى معيشته واقتصد فيها اذا لم يجاوز فيها الحـد ، بل رضى بالتوسـط والاعتدال لأنهما أسد وسيلة لبقائه سعيدا فى حياته ، والقصـد أيضـا التوسط فى كل شيء ، ومنه قـوله تعالى : « واقصد فى مشيك » .

ويقال : فلان على قصـد فى كل أموره أى على رشد .

٢٨٨ ــ ويقولون : فلان حـدث السن بالتحريك ، يعنون أنه شـاب فتى ، والصـواب أن يقـال : هو حـديث السن ، والمعنى أن سـنه

(١) الباغى : الطالب .
(٢) اكل الرجل : كل بعيره .
(٣) أوضع : اسرع .

جديدة قريبة ، ومنه قول العرب : فلان حديث عهد بالاسلام أى قريب عهد به ، فاذا حذفت كلمة السن قلت هو حدث بفتحتين وهم أحداث أما قولهم : رجل حدث وزان عجز ، وحدث وزان كتف فمعناه أنه حسن الحديث .

قال الجوهرى : ورجل حدث وحدث بضم الدال وكسرها أى حسن الحديث ، ورجل حديث وزان سكيت أى كثير الحديث ، ففرق بين الأولين بأن معناهما الحسن الحديث والأخير معناه الكثير .

٢٨٩ — ويقولون : لك منا سلام عاطر ، وتحية عاطرة ، كما يقولون : هذا رجل عاطر بمعنى متعطر، وامرأة عاطرة .

والصواب أن يوصف المذكر والمؤنث من الناس وغيرهم فيقال : رجل عطر ، وامرأة عطرة ، وسلام عطر ، وتحية عطرة ، كل أولئك وزان فرح وفرحة .

أما العاطر فهو من يحب العطر ، وكذا العاطرة ، ويقال للذكر والأنثى معطار ومعطير بكسرهما، وهم وهن معاطير أى كثيرو التعطر بالعطر .

ويقال : نوق عطرات ومعاطير اذا كانت حسانا ، ونسوة عطرات أى متعطرات بالطيب ، قال .

تضوع[1] مسكا بطن نعمان[2] انمشت به زينب فى نسوة عطرات

٢٩٠ — ويقولون : احتار فلان فى أمره ، يعنون أنه لم يدر وجه الصواب فيه ، وفى هذا التعبير مخالفة للقياس ، لأن مطاوع حير يجب أن يكون على وزن تفعل ، تقول : حيرته فتحير كما تقول : كلمته فتكلم ، وحسنت الشىء فتحسن ، وحملت أخى كذا فتحمله .

---

(١) تضوع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .
(٢) نعمان بفتح النون : اسم واد .

ويمكن التعبير عن المعنى المـراد بالفعل الثـلاثى فيقال : حار فلان فى أمره فهو حائر وحيران ومن هذا قوله تعالى : « كالذى اسـتهوته الشـياطين فى الأرض حيران» وهى حيرى ، وهم وهن حيارى بفتح الحاء وضمها .

٢٩١ ــ ويقولون : ضحك فـلان ضحكة صفراء ، يعنون أنه يخفى فى نفسه الحقد ، وهذا التعبير أعجمى لم يرد عن العرب ، لأن الضحك لا يوصف بالاصفرار .

والفصيح أن يؤدى المعنى المبتغى اذا قلنا : ضحك ضحكة يشتم منها الضغن والانطواء على العـداوة ، أوضـحك ضـحكة تنبىء بالخبث والمكر والخديعة .

٢٩٢ ــ ويقولون : لهذا الولد أب حنون ، وهذا التعبير يشوبه الخطأ ، لأن الحنون هى الريـح لهـا حنين كالابل ، وكذلك هى المرأة المتزوجة برقـة على ولدها ليقـــوم الزوج بشئونهم والصواب أن يقال : له أب شفيق ، أو مشفق ، أو رحيم أوشفق وزان طرب ، قال .

قـل للأمير أمـير آل محمـد
قول اررىء شفق عليك محامى

٢٩٣ ــ ولقد فشا فيما يكتب فى الصـحف ، وعلى ألسـنة كثير من المثقفين قولهـم : أكـد الرئيس فى خطبه الكثيرة على كذا وكذا ، وأكد الرجل العاقل على أن يتحلى أبناؤه بكـريم الأخلاق ، فهم يعدون الفعل أكد فى التعبيرين السـابقين بعلى ، وهذا غير سليم لأن هـذا الفعـل لايتعدى الابنفسه ، تقول :أكد أخى الخبر يؤكده تأكيدا اذا قواه فتأكد ، ومثله وكده يوكده توكيدا فتوكد ، وهو بالواو أفصح من المهموز ومنه قوله جل شـأنه « ولا تنقضـوا الأيمان بعد توكيدها » .

٢٩٤ ــ ويقولون : كان بين فلان وجاره قطيعة وتخاصم ، ثم اصطلحا وأصبحا يتكلمان ، والصـواب أن يقال : وأصبحا يتكالمان ، للمناسبة بين التكالم وما هو ضـــده من التخاصـم والتصـارم ، ففى المزهر ص ٣١٩ من الجزء الأول ، تقـول كانا متهاجرين فأصبحا يتكالمان ، ولا تقل يتكلمان ، وفى المختار : تكالمـا

بعد التهاجر وكانا متهاجرين فأصبحا يتكالمان ، ولا تقل يتكلمان ، وفى الأساس : وكانا متصارمين فصارا يتكالمان والكليم بكسرتين ثانيتهما مشددة وزان سكيت هو المنطق الذى يخلب الألباب بحسن حديثه أما الكليم بزنة حكيم فهو من يكلمك ، ومنه قيل لموسى عليه السلام:كليم الله ويقال: رجل تكلام وتكلامة بكسرتين وتشديد لامهما، وكلمانى بكسرتين مشددة اللام ، وبكسرتين مشددة الميم اذا كان جيد الكلام فصيحه ، أو كثير الكلام وهى بهاء ويقال : كلمه تكليما وكلاما بكسر الكاف وتشديد اللام مثل كذبه تكذيبا وكذابا فى قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » وفى التنزيل : « وكلم الله موسى تكليما » .

والكلام هو المعنى القائم بالنفس كما فى قوله سبحانه : « ويقولون فى أنفسهم » وقال الشاعر :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

٢٩٥ ــ ويقولون : أكل فلان تصبيحته ، يعنون بها طعام الصباح والصواب أن يقال أكل تصبيحه بغير تاء ، والتصبيح الغداء اسم بنى على تفعيل ، تقول لخادمك قرب الى الضيوف تصابيحهم ، وفى حديث المبعث : « وكان يتيما فى حجر أبى طالب وكان يقرب الى الصبيان تصبيحهم فيختلسون ويكف » .

٢٩٢ ــ ويقولون : غم على فلان أمره ببناء الفعل للفاعل ، يعنون أنه لم يهتد للخروج منه ، والصواب أن يقال غُم عليه أمره بالبناء للمفعول وغُم عليهم الهلال اذا حال دون رؤيته غيم رقيق ، وفى الحديث صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما وليلة الثلاثين من شعبان تسمى ليلة الغمى بضم الغين وفتحها وتشديد الميم ، ليلة غمى طامس (١) هلالها ومن المجاز قولك : سحاب أغم أى لافرجة فيه، والعرب تكره الغمم وتحب النزع بالتحريك فيهما فتقول

---

(١) هلال طامس : ذاهب الضوء .

فى الذم: رجل أغم الوجه والقفا، وفى المدح رجل أنزع أى منحسر الشعر عن جانبى جبهته ، قال :

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجـه ليس بأنزعا

٢٩٧ ــ ويقولون لما يقوى النظر ويعينه على القراءة والكتابة فى سهولة ويسر : نظارة بتشـديد الظـاء ، والفصيح أن يقال له منظار اسم آلة من النظر ، جمعـه مناظير والمنظـار أيضا المرآة جمعها مراء ، أنشد الفراء

خود (١) مهفهفة (٢) كأن جبينها
تحت الوصاوص(٣) صفحة المنظار

أما النظارة فهم القـوم ينظرون الى شىء ، واحدهم ناظر كراجـل وهو من لم يكن له ظهـر يركبه ، ورجالة وسائر وسيارة ، وفى التنزيل: « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم » أنث كل جمع من هذه الجموع على معنى الجماعة .

٢٩٨ ــ ويقولون : الأمير مهـاب بضم الميم ، يعنون أن الناس يهابونه ويجلونه ويعظمونه ، والفصيح أن يقال : هو مهوب ومهيب اسم مفعول من هابه يهيبه هيبة ومهابة اذا خافه وأجله فهو هائب وهيوب وهيوبة ، قال أنس :

وباه تميما (٤) بالغنى ان للغنى
لسـانا به المرء الهيـوبة ينطق

أما المهاب فلا صلة له بالخـوف والاجلال ، وانما هو اسم مفعـول من قولهم : أها بالفرسان بالخيل اذا دعـوها أو زجـروها فالخيـل مهاب بها ، قال :

أهيبـا بهـا يا ابنى ضـباح فانهـا
جلت عنكم أعناقها لون عظم(٥)

ومن هذا قولك لأبنائك : أهيب بكم أن تستمسكوا بكريم الأخلاق أى أدعوكم ، فالأبناء مهاب بهم .

---

(١) الخود : الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة .
(٢) المهفهفة : ضامرة البطن دقيقة الخصر .
(٣) الوصاوص : براقع صغار تلبسها المرأة .
(٤) باه تميما : فاخرهم .
(٥) العظلم : الليل المظلم .

٢٩٩ — ويقولون للرجل الذى يعمل بكلتا يديه : أعسر أيسر ، وللمرأة هذه حالها : عسراء يسراء ، وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال للرجل : هو أعسر يسر بفتح كل من الياء والسين ، وكان عمر رضى الله عنه أعسر يسرا ، وأن يقال للمرأة : هى عسراء يسرة بفتحات .

٣٠٠ — ويطلقون الحظ على النصيب من الخير والشر ، فيقولون : فلان حظه حسن وفلان حظه سىء ، والفصيح أن الحظ مقصور على النصيب من الخير ، تقول : حظ الرجل يحظ حظا أى صار ذا حظ من الرزق أو المال أو العلم ، فهو حظ وحظيظ وحظى كغنى وحظظت يا رجل بالبناء للمجهول فأنت محظوظ ، ويقال : لهم حظوظ وأحاظ ، ومن هذا قوله : ولكن أحاظ قسمت وجدود ، ومما يدل على أن الحظ خاص بالخير قوله تعالى « يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم » ومثله تماما قولك : رجل مجدود أى ذو جد ، ورجل مبخوت أى ذو بخت ، فالحظ ، والجد ، والبخت ، ثلاثتها متفقة وزنا ومعنى .

عباس ابو السعود

الوطن الإسلامي :

جمهورية داهومي

حقائق .. وأرقام

الموقع : أفريقيا الغربية :

المساحة : ٤٤٢٩٠ ميلا مربعا

عدد السكان: ٢٠٠٥٠٠٠ر٢ نسمة منهم ٦٠٪ مسلمون

المدن الرئيسية : مع السكان : بورتونوفو (العاصمة) ٦٥٠٠٠ر٦٥ نسمة ـ كوتونو ٨٥٠٠٠ر٨٥ نسمة أبومي ٢٠٠٠٠ر٢٠ نسمة ـ أويده ١٥٠٠٠ر١٥ نسمة ـ دجوكو ٧٠٠٠ر٧ نسمة ـ براكون ٥٠٠٠ر٥ نسمة .

السكان

بلغ مجموع السكان ـ حسب تقديرات الأمم المتحدة لعام ١٩٦١ ٢٠٠٥٠٠٠ر٢ نسمة وتبين مختلف المصادر الموثوقة أن الأكثرية هي من المسلمين وتقدر بستين في المائة . وبالرغم من الجهود التبشيرية الجبارة لا يؤلف المسيحيون أكثر من ١١٪ من السكان والباقي من الوثنيين . اللغات هي عبارة عن لهجات محلية والافرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد .

التاريخ

لا يعرف شيء عن تاريخ القبائل التي عاشت في داهومي قبل الاسلام ، وتدل الأدوات البرونزية التي اكتشفت على وجود نوع من المدنية في الماضي البعيد ـ وقد شق الاسلام طريقه الى داهومي وغيرها من البلدان جنوب الصحراء في القرون الأولى لعهد الهجرة. وهناك معلومات تشير الى وجود جماعات اسلامية في شمال البلاد منذ القرون القديمة ولو أن الدين الاسلامي لم ينتشر بسرعة الا بعد الاستعمار الافرنسي ولا توجد أية معلومات عن قيام سلطنات اسلامية في الماضي كما لدينا عن غيرها من البلدان المجاورة مثل نيجيريا .

ليس لدينا معلومات تاريخية عن القبائل الأصلية وممالكها الا التي

ترجع الى القرن السابع عشر عندما قامت مملكة داهومى ، وكلمة « داهومى » هذه تعنى حرفيا « بطن دان » ودان اسم ملك قديم للقبيلةوكان هذا الملك يأكل فريسته، والدهوميون فى الأصل قبيلة شرسة مقاتلة اختصت بفرق مدربة من النساء الجنود تسمى الأمازون بلغ عددهن ١٨٠٠٠ فىوقت من الأوقات وكن شرسات وشجاعات الى درجة كبيرة وقد بلغت هذه المملكة أوجها فى سنة ١٨١٨ عندما تبوأ العرش الملك جيزو الذى توفى بعد حكم دام أربعين عاما .

وفى سنة ١٨٥١ وقعت فرنسا معاهدة تجارية مع الملك جيزو الذى خلفه ابنه جليجل وفى سنة ١٨٦٣ استولت فرنسا على بورتونوفوبعد أن استولى البريطانيون اللاجوس فى نيجيريا وبدأ الألمان الذين كانوا قد ثبتوا أقدامهم فى توجو غربا بالتوافد على داهومى غيرأنهم قبلوا أن يحصروا حمايتهم فى «جوينيا» و «توجو» بموجب معاهدة فرنسية قبل الألمان أن يحصروا « حمايتهم» فى جوينيا وتوجو ولم يجر تثبت الحدود نهائيا الا بعد اتفاقية١٨٨٩ التى تنازل البريطانيون بموجبها عن كوتونو . وفى السنة نفسها حصلت اضطرابات بين ملك داهومى والمغتصبين الفرنسيين الذين لم يتوانوا عن امتلاك البلاد بدون علم الشعب وتبع ذلك قتال عنيف لعبت فيه فرق الأمازون المذكورة آنفا دورا بارزا . وفى عام ١٨٩٠ تم توقيع معاهدةحصلت فرنسابموجبها على بورتو نوفووكوتونو وخصص لملك داهومى تقاعدا قدره ثمانمائة ليرة استرلينية بالسنة وقد خلف جليجل ابنه بنهازن الذى قاد سنة ١٨٩٢ حربا ضد الفرنسيين غلب فيها الداهوميين فأحرق ملكهم بنهازن عاصمته وفر هاربا الى الشمال ولكنه سلم نفسه نهائيا سنة ١٨٩٤. وقد شطر الفرنسيون البلاد الى شطرين ــ أبومى والودا ونصبوا على عرش أبومى شقيق الملك المنفى بينما وضعت بقية البلاد تحت سيطرتهم المباشرة وقد نفى الفرنسيون أيضا ملك أبومى الى الكونغو عام ١٩٠٠ وبموجب المعاهدة الانكليزية ــ الفرنسية سنة ١٨٩٨ خططت

الحدود الشرقية نهائيا وبمعاهدة افرنسية ألمانية سنة ١٩١٢ تم تخطيط الحدود الغربية من جهة توجو ـ داهومى وأصبحت داهومى جغرافيا كما هى الآن مستعمرة افرنسية .

منذ أواسط القرن التاسع عشر تركز نشاط المبشرين المسيحيين فى داهومى أكثر منه فى سائر بلدان أفريقيا الغربية الفرنسية لا سيما فى أعمال التعليم ووجد من جراء ذلك ١٦٣٠٠٠ كاثوليكى و ١٨٠٠٠ بروتستانتى فى الداهومى . ومنذ فجر الاسلام كان هنالك مسلمون فى المناطق الشمالية بالاضافة الى هجرة الفولانى ـ مسلم فى الماضى من الشمال والهوسار ـ مسلم من نيجيريا . وقد اعتنقت الاسلام قبائل كبيرة فى القرون الماضية منها الباريباس غير أن القبائل الداهومية الهمجية فىالجنوب التىكان يحكمها ملوك محاربون قاومتهذا الاعتناق ورفضته بشدة ومع عدم القيام بجهود تبشيرية اسلامية منظمة فان وجود جاليات اسلامية فى الشمال زادت بمثاليتها عدد المهتدين من الداهوميين فى الجنوب حتى أصبح المسلمون ستين بالمائة فى يومنا هذا

وبعد الحرب العالمية الثانية وفى عام ١٩٤٧ أنشأ الفرنسيون أولحكومة نصف مستقلة . وفى آيارسنة ١٩٥٧ منح لداهومى استقلالها الداخلى وفى سنة ١٩٥٨ رشحت داهومى نفسها عضوا فى المجموعة الفرنسية ووضعت لنفسها دستورا فى شهر فبراير عام ١٩٥٩ . وقد انتخب مجلس تشريعى من سبعين عضوا لمدة خمس سنوات فى نيسان ١٩٥٩ . وترأس السيد هيبوت ماجا حكومة اتحاد وطنى . وفى أول آب ١٩٦٠ أعلنت داهومى استقلالها التام وفى ٢٠ أيلول من السنة نفسها أصبحت عضوا فى الأمم المتحدة .

باب الفتوى

موقف الشيوعية من الدين

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر

لقد بدأ الكفر بالدين مع «ماركس» منذ ابتداء الشيوعية فقد قال ماركس كلمته المشهورة : «ان الدين أفيون الشعوب» .

أى أنه يخدرهم ويعدهم ويمنيهم ويتحدث اليهم عن الله وعن الحساب والنعيم فى الآخرة . وهو من هذا الجانب عامل تخدير يتم فى الجو الاجتماعى .

ولقد تلقف «لينين» هذه الكلمة لكارل ماركس وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين .

انه يقول حرفيا :

قال ماركس : «ان الدين هو أفيون الفقراء» ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعها والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لرد الفعل البرجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتحذير الطبقة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب «لينين» مايلى نصا :

«الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ونتابع أقوال الشيوعين عن الدين :

يقول «لونا شارسكى» الذى كان يوما وزيرا للتعليم فى حكومة الشيوعين :

«نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعده شر أعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران

والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنـا ، والحب المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسـقط حبنا لجيراننا ، فان مانريده هو الكراهية والعداوة ، وحين ذاك نستطيع غزو العالم » .

ان تبشير المسيحية أو - بتعبيرآخر تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمـة يثير الكراهيـة في نفس الشيوعي : اذ أنه لايعرف الا الحقد والكراهية والعداوة وبهذه الكراهية والعـداوة يسـتطيع فيما يزعم غزو العالم ! ! !

والزعيم الشيوعي « لينين » يعلن في وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية بكلمات قليلة حاسمة ، انه يقول :

«الماركسية : هي المـادية ، وهي من ثم معادية للدين » ! ! !

أما البرنامج الذي وضع للمؤتمر الدولي الشيوعي السادس الذي عقد في ١٩٢٨ .. فانه يقول حرفيا :

«ان الحرب ضد الدين - وهـو أفيون الشعوب - تشغل مكانا هامـا بـين أعمال الثورة الثقافية ويلـزم أن تسـتمر هـذه الحـرب باصرار وبطريقة منظمة » .

ولايكاد «لينين» يمل الحديث عن الأديان ، ووجوب تحطيمها ، انـه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة .

ولقد كتب في يوم خطابا للكاتب الروسي «مكسيم جوركي» يقول فيه :

«ان البحث عن الله لافـائدة فيه ومن العبث البحث عن شيء لم تضعه في مكان تخبئه فيه ، وبدون أن تزرع لاتستطيع أن تحصد ، وليس لـك اله لأنـك لم تزرعه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وانمـا تزرع يخلقها البشر ، ويلدها المجتمع » !!!

ومما سبق نرى :

«أن الشيوعية في العقيدة معارضة للاسلام ! ! !

وهي في الأخــلاق : معارضـة للاسلام .

« وهي في الاقتصـاد : معارضـة للاسلام !!!

«وهى فى كل هـذه المعارضـات منكرة متعمدة، بل وساخرة مستهزئة

فهى اذن ملحدة ، لايشكون هم فى ذلك : ولا يشك فيه غيرهم •

والواقع يكذب كل مماراة لهم، وهم فى موقفهم أشد انحرافا عن الاسلام من المشركين •

ولقـد بين الله الأحكام بالنسـبة للملحدين والمشركين :

من هذه الأحكام : الأحكام الخاصة بالزواج مثلا : يقول تعالى :

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خـير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون» ٢٢١ البقرة •

فالمسلمة اذن : لا تحل لشـيوعى فاذا كان اعتنق الشيوعية بعد الزواج فانها تصبح محرمة عليه •

والمسلم لاتحل له الشيوعية ، فاذا كانت اعتنقت الشيوعية بعد الزواج فقد أصبحت محرمة عليه •

واذامات الشيوعى أو الشيوعية فانه لايصلى عليه ، ولايـدفن فى مقـابر المسلمين ، ولايرثه وارث مسلم ولا يرث هو من الأقارب المسلمين •

واذا تاب الشيوعى : فان باب التوبة مفتوح ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يـده بالنهار ليتوب مسىء الليل •

ومن يعتصم بالله فقد هـدى الى صراط مستقيم » •

تقديم : محمود رسلان

كتاب الشهر:

الله... أو... الدمار

تأليف : الأستاذ سعد جمعة
رئيس وزراء الأردن السابق

عرض وتحليل
الدكتور عبد الودود شلبي

الله .. أو .. الدمار .. !

لقد لفت نظرى هـذا العنوان فى رحلة عابرة الى بيروت منذ سنوات .. كنت أسير متثاقلا فى شارع « سوريا » قريبا من ساحة الشهداء ، ولم يكد يقع نظرى على هذا الكتاب حتى دلفت مسرعا الى داخل المكتبة .. ودفعت ماطلبه البائع دون تردد أو مراجعة .

العنوان مثير .. ومعبر .. والمؤلف الذى كتب اسمه على الغلاف كان أكثر اثارة ومفاجأة .. هل من المعقول أن يؤلف مثل هذا الكتاب رئيس وزراء فى دولة ؟ فالوزراء عادة مشغولون بقضاياسياسية بحتة ، بمشاكل داخلية وخارجية مجردة أما أن يكتب رئيس وزراء فى قضايا الفكر والعقيدة ، فتلك ظاهرة جديدة تستحق النظر وقضية فريدة توجب الاهتمام والبحث ..

ولا أدرى من قال هذه الكلمة من قدامى الساسة حين سئل عن معنى كلمة « السياسة » والثقافة .. والعقيدة فقال :

السياسة هى فن ممارسة الكذب بأسلوب مقبول ، والثقافة هى «فن» الحياة فى حدود المعقول . أما الدين والعقيـدة فهما جوهر الحيـاة الذى تطمئن اليه القلوب والعقول ..

فاذا كانت السـياسة بمفهومها . المكيافلى هى ممارسة الكذب على هذا النحو . وكان تطبيقها فى الحياة مقترنا بهـذا التفسير والشرح فبأى أسلوب يتصرف الانسان حين يملك أو يحكم ؟ وبأى منطق ومنهاج يتصرف رئيس الوزراء أو الحاكم المسلم ؟

هذه الكلمات لا بد منها قبل أن نتعرض لهذا الكتاب الذى ألفه الأستاذ سعد جمعة فقد كان رئيسا للوزراء فى دولة الأردن الشقيقة . وعاش وهو فى قمة الحكم مرحلة من أخطر المراحل التاريخية الحديثة . لقد كان رئيسا للحكومة ابان حـرب الأيام الستة وكتب عن هذه الحرب كتابا أحدث بعـد صـدوره ضـجة ... ثم ترك السياسة الى التأليف والكتابة وكان من ثمرة هذه « الهجرة « أو » التوبة » . . اذا أخذنا بالاعتبار مفهوم السياسة على نحو ما يقول السـياسى المخضرم فى المقدمة ــ هذا الكتاب الذى يشع ايمانا ونورا وحرارة ..

يقول الأستاذ سعد جمعة فى مقدمة هذا الكتاب :

ان المعاناة التى تصلاها الأمة العربية اليوم هى أكبر وأخطر مأساة واجهتها فى تاريخها الطويل • أوتار لاتشفى • وأحقاد تستشرى وتمتد • شعوب مضللة وطواغيت تخلفها طواغيت ــ

ربع قرن من التبدد والانسلاخ، ربع قرن من التهتك والتفكك • والفساد والالحاد • والشائعات والمذهبيات • رفعنا كل شعار عرفته الدنيا منذ كانت الدنيا • كل أيديولجيات التاريخ فى الشرق والغرب استوردناها وزورناها وجرعناها للناس بالقمع والارهاب ليستبدلوها بعقيدتهم وحضارتهم وايمانهم فغرقنا فى مفازات الضياع ومتاهات الفراغ وخلت الساحة من الاشراف •

ذلك لأن معظم الجيل الجديد من الكتاب هم جيل البدع والفوضى والرفض والانبهار بكل ما يأتى من وراء الحدود • هم ممن نشأوا فى أحضان الارساليات التبشيرية •• ثم فى أقسام الدراسات الشرقية فى جامعات الغرب التى يشرف عليها يهود •• لذلك يعيبون علينا أن ندعو الى الدين • يقولون اننا نعزف على نغمة الدين المتروك قال ذلك كاتب تقدمى ثورى •

الدين متروك ، لماذا ؟ ومن تركه ؟ وهل يكون من يتخلى عن ايمانه بربه الا شر الدواب على الأرض •• ؟ ان قصتى مع هؤلاء الناقمين على الدين أشبه بقصة الفيلسوف الألمانى « شوبنهور » حين أصدر كتابا لم يعجب البعض فقال « شوبنهور » ان كتابى كالمرآة ، اذا نظر فيها حمار فمن غير المعقول أن يرى فيها صورة ملك •• فان شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون •

ان المؤلف ينفث من صدره حمما على هؤلاء المخدوعين بالوهم الهابطين الى الحضيض فى بلاده وتفاهة وعجز الناعقين بالخراب والدمار فى كل شعب وأرض •

ان هذا الكتاب تقع أبوابه الرئيسية تحت ثلاثة عناوين هى :

القومية والدين ، والدولة فى الاسلام ، ومجتمع الكراهية وطريق التغيير ، وتندرج تحت كل باب من أبواب هذا الكتاب عدة فصول عن النزاع بين العلم والدين ، والتبشير والاستعمار ، والدول العربية والعالم الاسلامى ، والعلمانية والاسلام • وعن النظامين السياسى والاجتماعى فى

الاســلام . وعن موقف المسلمين من الاســلام ، وعن طـريق النجـاة من هذه الأخطــار التى تحدق من كل جانب بالعرب والمسلمين .

ففى الفصــل الأول الذى عقــده المؤلف عن «القوميةوالدين» يكشف لنا جــوانب المؤامـرة التى تشـعبت جوانبها وأطرافها فى ايجاد صيغة من العداء والتنافر بين العروبة والاسلام . لقد بدأتقرون هذهالمؤامرة تظهر فى السنــوات الأخيرة من عهود الخلافة العثمـانية حين حمل أعضـــاء جمعية الاتحـاد والترقى الدعوة الى القومية التركية بتخطيط من اليهود والمـاسون والدونمــة الذين تظاهـروا باعتنــاق الاســــلام لطعنــه فى القلب . كانت الأدوار موزعـة بتخطيط رهيب بين هؤلاء اليهود المتظاهرين بالاسلام فى دولة الخـلافة وبين رؤســاء التبشـير وتلامذتهم فى دنيــا العرب . كانت الخطة تقوم على تحريك كل الأطراف بدعوات متناقضة لتوسيع هوة الخلاف والشـــقاق بين العرب والترك ومن ثم ... تتمزق الدولة العثمـــانية . ودولة الخلافة . وقد نشأت فىالعالم العربى دعوات وأحزاب تنادى للعرب بقوميــة مستقلة عن الترك . وبمعنى أدق عن دولة الخلافة وما ترمز اليه من وحدة اسلامية تجمع شتات العالم الاسلامى وتصونأوطانهمن السقوط فريســة فى يد الطـامعين فى الشرق والغرب .

ولقد كان يمكن قبول هذا الوضع لو انتهى عند هــذا الحــد .. ولكن الذين حملــوا لواء هــذه القومية من العرب ، وبعــد الانفصــال عن دولة الخلافة مضوا فى الطريق المرســوم لهم بدون وعى ..

ان العروبة هى وعاء الاسلام ... واذا عز العرب عز الاسلام كما يقول النبى ... فلو أن الذين حملوا لواء الدعوة الى القومية وضعوها فى اطارها الصحيح لمــا أمكن أن يكون هنــاك خلاف فى الرأى ولكن الأمور أخذت شكلا جديدا يهدفالىاهمالالاسلام فى التاريخ والسياسة والحكم فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا ذوى شأن .. كانوا رعاة غنم ، وجماعات مشردة هنا وهناك فى مضارب البدو . فاستطاع الاسلام أن يجعل من رعاة الغنم رعاة أمم ، ومنجماعات مشردة الىصناع حضــارة هى أرقى وأسمى ماعرفتــه الشعوب والأمم .

ويضرب لنا المؤلف مثلا من فلاسفة هذه القومية فينقل عن المرحوم الدكتور عبد الرحمن البزاز من كتابه « هذه قوميتنا » قوله :

« ان احتكاك الفكر العربى بالفكر الغربى عن طريق المبشرين والارساليات الدينية كان المظهر الأول لبروز القومية العربية فى بلاد الشام ونستطيع أن نؤكد أن نصارى الشام قد ساهموا اسهاما جديا فى تمكين عرب المشرق فى بلاد الشام والعراق خاصة من التمييز الواضح بين القومية والدين والفصل بينهما .

فكر أيها القارىء وتأمل . . المبشرون هم أول من دعا الى القومية وأول من مكنوا لها .. لحساب من ؟ لحساب العرب . العرب بدون اسلام ولا عقيدة طبعا . لأن هذه هى الغاية التى يعملون لها فى كل قطر اسلامى وعربى تمهيدا للقضاء على الاسلام والمسلمين قضاء كاملا ...

أما (الحصرى) الذى أطلق على نفسه (أبو خلدون) فيقول فى كتابه « ما هى القومية » ؟ :

« التعاليم المسيحية الأصلية تتضمن فصل الدين عن الدولة عملا بالكلمة المشهورة : أعطوا ما لقيصر لقيصر . وما لله لله .. لقد أصبح من الأمور المسلمة لجميع الدول أن السياسة شىء والدين شىء آخر وأن من الخطأ أن يظن أن العرب كانوا أمة بدائية محرومة من الحضارة قبل الاسلام .. » .

الله أكبر .. المرحوم الدكتور البزاز يعترف أن أول من دعا الى القومية كانوا هم المبشرين . وساطع الحصرى يطالب المسلمين أن يكونوا مسحيين فيعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . كما يقول الانجيل . ويقرر (المفكر الكبير) أن العرب كانت لهم حضارة قبل الاسلام فليس للاسلام اذن فضل عليهم قليل أو كثير ... فاذا كان الأوائل من دعاة القومية «العلمانية» من العرب « معمدين » فى معاهد التبشير وكان الأوائل من دعاة القومية التركية « مكرسين » فى محافل اليهود والماسون، أيبقى بعد ذلك شك فى حقيقة الدعوة للفصل بين العروبة والدين ... ؟ .

وحتى تكتمل الصورة الرهيبة أمام كل عربى وكل مسلم، فاننا نقدم هذه

الوثيقة التى بعث بها السلطان عبد الحميد بعد خلعه ونفيه الى «سالونيك» وقد عثر على هـذه الوثيقة عند ورثة أحد شيوخ الطرق الصوفية فى دمشق وكان هذا الشيخ على صلة بالسلطان عبد الحميد . يقـول السـلطان فى رسالته الى الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية فى دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العـالمين وعلى آله وصـحبه أجمعين والتابعين الى يوم الدين .

سـيدى : اننى بتوفيق الله تعـالى مداوم على قراءة الأوراد ليلا ونهارا ، واننى لازلت محتاجا لدعواتكم الطيبة بصورة دائمة ، . بعد هذه المقدمة :

« أعرض على أمثـالكم أصـحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الأتية ــ كأمانة فى ذمة التاريخ ــ أننى لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما . سـوى أننى بسبب المضـايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى المعروفة باسم « جون ترك » ، وتهديدهم ، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة . ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيرا وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية انجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بالجواب القطعى التالى :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبـل بتكليفكم . لقد خـدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مايزيد عن ثلاثين سـنة فكيف أسـود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين .. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجـه قطعى وبعـد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى فقبلت بهذا التكليف وحمدت المولى اننى لم ألطخ وجه الدولة العثمانية والعالم الاسلامى بهـذا العـار الأبدى . وقد كان بعد ذلك ما كان ولذا فاننى أكرر الحمد والثنـــاء على الله المتعـــال وبه أختم رسالتى ... » .

واذا كان من أهم القضـــايا التى شغلت بال المفكرين ورجال الاصلاح هى قصة التوفيق بين الدين والعلم ، وكانت هذه القضية ــ ولا تزال . حتى

يومنا هذا مثار جدل ونقاش بين علماء الدين والفكر .

فان المؤلف لم يدع هذه الفرصة فى « كتابه » تمر .. ويعرض بأمانة أصول هذه المشكلة . من لدن ظهورها حتى هذا العصر . ويقول مع الكاتب الأمريكى «درابير» فى كتابه « النزاع بين الدين والعلم » ..

« لقد دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية عن طريق من تظاهروا بالنصرانيةرياءوكذبا ليتقلدواالمناصب العالية فى الدولة الرومانية ، دونأن يؤمنوا بها . وقد فعل ذلك قبلهم الأمبراطور «قسطنطين» الذى اعتنق النصرانية،ولميتخلعما اعتاد من ظلم وفجور،لقد اعتنقالنصرانيةمرغما بعد أن رفعته الى العرش آملة أن يتقيد بأوامرها ويساعد على انتشارها غير أنها لم تستطع أن تقضى على جرثومة الوثنية الرومانية ، وكانت نتيجة ذلك الصراع أن امتزجت مبادىء المسيحية وقيمها ببقايا تلك الوثنية ، ونشأ عن ذلكالامتزاج دين جديد هوخليط من المسيحية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية . وهذا هو وجه الخلاف بين نشأة الاسلام والنصرانية ، اذ بينما اضطرت النصرانية الى النمو فى حضانة الوثنيات التى سادت المجتمع الرومانى ، قضى الاسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرما ونشر تعاليمه التى تقوم على الوحدانية الالهية دون غموض » .

« ولقد عمل الامبراطور قسطنطين جاهدا ، بغية توطيد ملكه للتأليف بين الفريقين المتصارعين...بين النصرانية والوثنية ، دون أن يحتفل احتفالا صادقا بحقيقة الدينوحسبالمسيحيون ان قبولهم بذلك الوضع انما هو قبول مرحلى لا محيد عنه ، وان المسيحية ستستطيع أن تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية » .

« ان المسيحية دين سماوى كاليهودية والاسلام ، غير أنها نزلت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لها كثورة اجتماعية أخلاقية فى مجتمع يهودى فاسد ، ولذا جعلت شريعتها الأساسية ، التوراة ، مع تعديلات طفيفة نزلت فى الانجيل الكريم ، ولذا كان المفهوم الطبيعى للمسيحية أن تحكم بشريعة الله المنزلة فى التوراة الأصلية مع مراعاة التعديلات الواردة فى الانجيل » .

« غير ان الذى حدث بالفعل لم يكن كذلك ، فقد انتقلت المسيحية من المجتمع اليهودى الى المجتمع الرومانى وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذى مارسته الكنيسة فى أوروبا فى العصور الوسطى ، لم تكن الشريعة الالهية مطبقة فى غير قانون الأحوال الشخصية وما عدا ذلك ، يحكمه القانونى الرومانى بجاهليته ووثنياته ..

منذ اذ بدأ الصراع بين الدين والحياة ، مضت الكنيسة تمارس سلطاتها على القلوب والمشاعر بينما يمارس القانون الرومانى سلطاته فى واقع الحياة .

واستشرى نفوذ الكنيسة وتجاوز كل معقول ، فقد احتجز الكهنة لأنفسهم ملكوت السماء واحتكروه ، فأدخلوا فيه من رضوا عنه وحرموا الآخرين ، وراحت الكنيسة تفرض على الناس الاتاوات الفادحة ، وتفرض الأفكار العلمية الزائفة على العقول ، وبلغ الخضوع المذل لرجال الدين حد السجود فى الأرض الموحلة عند مرور أحد رجال الكهنوت .

وحينما أثبت العلم النظرى التجريبى الذى اكتسبه الغرب عن المسلمين بطلان نظريات الكنيسة العلمية على يد كبار العلماء كـ « جاليليو وكوبرنيكوس وبرونو » وغيرهم ، اتهمتهم الكنيسة بالهرطقة وأمعنت فى تعذيبهم حتى الموت ، وبرزت مهزلة صكوك الغفران ، ومحاكم التفتيش والمحاكمات الكنسية لضرب كل حركة علمية تناهض مفاهيم الكنيسة .

وللتمثيل على ذلك نسوق فيما يلى نص صك من صكوك الغفران ، وقرار ادانة « جاليليو » .

« ربنا يسوع يرحمك « يافلان » ويحلك باستحقاقك آلامه الكلية القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى له أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وارفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك ثانية الى الطهارة التى كانت لك عند معموديتك ، باسم الأب والابن والروح القدس » .

ولقد حكم ديوان التفتيش على جاليليو وهو فى السبعين من عمره لأنه رفض أن يتراجع عن نظريته العلمية بدوران الأرض — وهذا هو نص الحكم الذى صدر ضده منذ حوالى أربعمائة سنة .

« ياجليلو ، ابن المرحوم فنسان جاليو ، من بلدة فلورنسة البالغ من العمر سبعين عاما . بناء على مابلغ المجمع المقدس سنة ١٦١٥ من أنك تؤمن بصحة المذهب الذى يدعو اليه الكثيرون، وهو أن الشمس هى مركز العالم ، وانها ثابتة ، وأن الأرض تتحرك حركة يومية ، فان المحكمة رغبة منها فى منع الفوضى والأضرار الناجمة عن ذلك ، والتى تمنع التصدى للايمان المقدس . وبناء على أوامر سيدنا بولس الخامس وأصحاب النيافة الكرادلة فى هذه المحكمة العالمية العليا ، يرى اللاهوتيون أصحاب الرأى فى التعريف أن القضيتين المتعلقتين بسكون الشمس وحركة الأرض مناقضتان للعقل ، ومغلوطتان فى اللاهوت ، — فالأولى : هرطقة صريحة ، والثانية : خطأ فى الايمان ؛ فنحن نقول ونرفض ونحكم ونعلن أنك أنت « جاليليو » المذكور أصبحت فى نظر المجمع المقدس محل شبهة قوية بالهرطقة ، باعتقادك وتمسكك بنظرية خاطئة ، مناقضة للكتب الالهية المقدسة — ونحن نأمر بمصادرة كتاب « محاورات جاليليو » بموجب مرسوم علنى ، ونحكم عليك بالسجن الصريح بالمدة التى سنرى تحديدها .

صادر عنا نحن الكرادلة الموقعين أدناه .

ويصف المؤرخ « لكى Lecky » فى كتابه « تاريخ أوربا الأخلاقى » ما كان عليه حال الكنيسة والمجتمع فى تلك البرهة فيقول : « لقد عجزت الرهبانية عن الحد من جموح المادية، فقد بلغ التبذل والاسفف غايتهما فى أخلاق الناس ، وسادت الدعارة والفجور وانقسم المجتمع الى فئتين متناقضتين متباعدتين ، رهبانية متطرفة .. وفجور متطرف .. وكان الناس يرون فى الرهبانية السلبية مصدمة للفطرة الانسانية التى بقيت مقهورة زمنا ، ثم تسربت اليها هى الأخرى عوامل الفساد الأخلاقى فأصبحت مرتعا للكبائر والمنكرات .

وكانت النكبة التى حاقت بالفكر الدينى ، جناية رجال الدين بدس

المعلومات البشرية التى كانت سائدة حينذاك ، وفروضوها حقائق ثابتة على عقول الناس ، واعتبروها من صلب الدين ، وكذبوا بل كفروا كل من يقول بخلافها وساموهم سوء العذاب، وحينما جاءت النهضة الحديثة وتغيرت المفاهيم العلمية بالتدرج والترقى والتطور ، وقع الصراع بين العلم والكنيسة ، وانهزم الدين هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده وتزعزع الفكر الدينى فى أوروبا وفقد تأثيره فى الضمائر والنفوس ، وأصبحت أوروبا النهضة لادينية تقف بصرامة فى مواجهة النصرانية والأديان السماوية كلها ، وساد الاعتقاد ، بأن الفكر الدينى والفكر العلمى قضيتان متناقضان متعاديتان • الايمان بأحدهما يستلزم حتمية الكفر بالآخر • وهكذا وقع المحذور الذى ساق أوربا الى المادية بكل معانيها ، والى فصل الدين عن الحياة ، وأن الدين اذا كان لابد منه ، فهو قضية فردية تتعلق بذاتية الانسان ولا تتجاوزه الى السياسة والمجتمع والدولة ، وأورث ذلك كله أن الديانة المادية هى التى تسود أوربا وأمريكا اليوم ، لا النصرانية وأصبحت الفضائل كلها فى الفائدة العملية • وأن القيم العليا والمبادىء السياسية هى النجاح المادى لا غير•• مما دعا الكاتب الأمريكى الشهير John Gunther ان يقول فى كتابة « داخل أوربا Inside Lurope

« ان الانجليز يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الأسبوع ، ويتوجهون فى اليوم السابع الى الكنيسة »

يقول « سيد أمير على » فى كتابة روح الاسلام وهو ينقل عن كتاب غربيين مسيحيين : «فى عهد قسطنطين وخلفائه كانت العلوم تعتبر نوعا من السحر أو الخيانة وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية ، هى التى عبرت عن نفسها خير تعبير بالمثل القائل : «الجهل أبو الاخلاص لله » وها هو البابا «غريغورى» الكبير ، يؤيد هذه القاعدة بمالا يمكن دحضه ، فينفى من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبة « بلاتين » التى أسسها القيصر « أوكتافيوس » ويحرم دراسة آثار الكتاب والفلاسفة الكلاسيكيين ، ويستعيض عن ذلك بتشجيع الميثولوجيا الكنسية التى ظلت هى المذهب السائد فى أوروبا لقرون عديدة » •

نحن حين نستعرض تاريخ هذا الصراع ، نستطيع أن نرده الى التفكير الدينى لدى الكنيسة فى القرون الوسطى ، الذى استمدته من فكرة ثبوت الخالق سبحانه ، وثبوت قصده فى خلقه ، الى ثبات كل شىء بالضرورة .. ولذا كانت فكرة التطور التىأثبتها العلم صدمةمذهلةللجماهير شككتهم فى الدين وفى الاله .

بينما كان علماء المسلمين قبل ذلك بعشرة قرون قد فرقوا تفريقا واضحا بين ثبات الخالق سبحانه وبين تطور خلقه ــ وفى هذا يقول «دريبر» فى كتابه الآنف الذكر : «اننا لندهش حين نرى فى مؤلفات المسلمين من الآراء العلمية ماكنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .

يقول « بريفولت » فى كتابة « بناء الانسانية :

« لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوروبى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة ، وكانت أظهر ماتكون فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى » .

ولقد كان احتكاك الغرب بالشرق عن طريق الحروب الصليبية وأسبانيا من أهم العوامل فى النهضة الأوربية ومولد الحضارة الغربية . وهذا الاحتكاك وذاك هما الأب الشرعى لتلك النهضة غير أن النهضة الأوربية بدلا من اهتدائها بالمنهج الربانى الذى أنشأ الحضارة الاسلامية ، راحت تخاصم الاسلام بضراوة واستمرار الى اليوم والغد بدل أن تتعاون معه للوقوف فى وجه طغيان المادية والالحاد .

واذا نحن أخرجنا الانجازات العلمية من الحضارة الأروبية ، ماذا يبقى لها وماذا يبقى منها غير الشر والفساد ، والظلم والطغيان والجنس والحشيش ؟ .. ان منهج الحضارة الأروبية ماض دون هوادة فى تدمير خصائص الانسان بتحويله الى آلة أو حيوان ..

وحذار أن يظن بنا التنكر للعلم فى الحضارة الأوروبية ، لكننا نؤمن أن العلم التجريبى هو ملك الانسانية كلها ، وأن الطريق اليه ميسور ، وأن تملك المعارف العقلية والتكنية هو واجب حتم على كل أمة تريد أن تدفع

عن نفسها غوائل التخلف ، وتلحق بركب الانسانية وتأخذ مكانها فى التاريخ ، خاصة كامتنا العربية التى تواجه اليوم معركة بقائها .. لكن هل يعنى هذا التفسير والتبرير من جهة أخرى أن تتخلى الأمة عن قيمها وعقائدها وأخلاقياتها وتراثها ، ليسمح لها الدخول الى حرم «التكنولوجيا» ؟

هل فعلت اليابان ذلك ؟ .. بل هل فعلته اسرائيل ؟

* * *

ولقد صار معروفا عند أبسط المثقفين والدارسين أن الاستعمار زحف على بلاد الاسلام متكئا على عضوين هما : التبشير والاستشراق .

أما أولهما : وهو التبشير فقد تزيا للناس بلباس الانسانية والرحمة ..

وأما الثانى : وهوالاستشراق فقد أوهم الغافلين والجهلاء أنه موئل العلم والمعرفة وكلاهما فى واقع الأمر والحقيقة كانا نكبة على الانسانية ، وسبة فى جبين العلم والثقافة .

وفى «غانا» أو ساحل الذهب كما كانت تسمى قبل الاستغلال يقول الناس حتى هذا اليوم :

عندما جاء الاستعمار كانت لنا الأرض ومعه الانجيل .. فأعطانا الأنجيل وأخذ منا الأرض..ثم رحل بعد أن نهب الأرض وحرق الانجيل

فالتبشير فى الحقيقة لم يكن الا خرقا وتخريفا والاستشراق لم يكن الا تضليلا وتزييفا من أجل ذلك كتب المؤلف يقول تحت عنوان « التبشير والاستعمار » .

يتفق معظم المؤرخين على أن الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على القتل والتدمير بل تعداه الى التجهيل والتضليل ، فقد نقل المهزومون الى أوروبا صورة مشوهة عن الاسلام وحقيقته ، وقيمه الأخلاقية ، وعقيدته السمحة وشرعته الالهية ، فاستقر فى عقلها الباطنى أن الاسلام دين شهوانية وحيوانية وعنف ، وقد تسللت هذه الصورة المشوهة الى ضمائر رجال الكهنوت والمستشرقين والمثقفين كحقيقة لاتقبل الحوار . وحين يقف الأوروبى اليوم موقف اللامبالاة أوالاهمال أمام الأديان ، فانه

يقف موقف العداء السافر والكراهية المطلقة للاسلام ؛ فقد لاتقبل أوربا تعاليم « البوذية » أو « الهندوكية » أو حتى « اليهودية » ، ولكنها تقف منها موقفا موضوعيا عقليا متزنا • أما حين تتجه الى الاسلام فيختل التوازن العقلى والتفكير الجدى ، ويعالجون الاسلام لاعلى أنه موضوع بحث علمى ، بل كمتهم يقف أمام قضاته ، وبعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة ، وتذكرنا أساليبهم المغرضة بأساليب محاكم التفتيش التى كانت تقوم على فكرة ثابتة مسبقة لا سبيل لمناقشتها ، وهى قداسة آراء الكنيسة ، وتكفير كل من يخالفها ولا مكان بعد ذلك للقرائن والأدلة الحسية المنطقية والعقلية •• وهم يرون أن الطريق العلمى لبحث الاسلام هو انكار قيمه مقدما فمحمد ليس الا مصلحا دينيا ، وقرآنه صنعة بشرية ، ولذا فليس للقرآن من الحجية أكثر مما لرأى أى مسلم أو تفكيره ، فتفكير الزنادقة والباطنية والصوفية مساو فى القيمة الدينية للقرآن والسنة ، لأنها جميعا تصورات بشرية،وأن المسلم فى كل عصر هو حجة على الاسلام فى سلوكه وأعماله والتزامه الأخلاقى ؟

وخلاصة دعواهم تهدف الى أمرين: الأول : ابعاد الدين عن الحياة والسياسة ، وترك الحرية لضمير كل فرد ، يأخذ من الدين مايشاء على هواه ، وهو ماجرت عليه أوروبا منذ عهد النهضة،والثانى:أن أحكام القرآن هى انعكاس للبيئة التى عاشها محمد فى برهة من الزمن بأبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولذا فانما هى كانت لمكان وزمان معينين محددين ومن المحقق أنها لاتوافق كل الأماكن والأزمان•ولو ولد النبى فى غير جو مكة بمتناقضاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية لما قام بثورته •• التى صادفت كل ذلك النجاح •• وبهذا تكون دعوة محمد دعوة بشرية مقصورة على أناس معينين فى ظروف خاصة لادعوة الهية للناس أجمعين • وان تلك الدعوة قداستنفدت أغراضها وتطور الحياة ، يوجب تطوير الاسلام بما يتلاءم مع مقتضيات العصر •

ولقد ساعد على استشراء هذا التزوير والتحريف ، تأخر المسلمين ، وتدهور مجتمعاتهم فى عصور الجهل

(١)

والغفلة والظلام ، وضياع ألق الدين وأصالته بين الخرافات والأساطير ، بين جهل أهله وعجز علمائه ـ كما كان يقول الشهيد عبد القادر عودة ـ وغياب المفكرين المبدعين الذين تعمقوا دراسة تراثهم ، واطلعوا على تطور الحياة الفكرية فى أوروبا خلال القرنين الماضيين ، وبروز الايدلوجيات المختلفة المتناقضة مع القيم الخلقية والروحية الثابتة الخالدة .. ليتملكوا القدرةعلى مواجهة ذلكالغزو ومناقشته وتفنيده ، وتقديم صور صحيحة واضحة لحقيقة الاسلام ومبادئه وتعاليمه بالحجة والدليل ، وفى أسلوب علمى عصرى سهل التناول لاقناع الجماهير الغربية بخطل تلك الأضاليل والأباطيل ، التى انبعثت من الهوس الدينى والشبهات الصهيونية والدوافع السياسية ؟

ونخشى لو نحن أردنا أن نقتبس كل مقولات المستشرقين والمبشرين ، أن يتسع أمامنا مجال القول الى غير نهاية لكننا نجتزىء منها اجتزاء الدلالة لا الحصر ..

يقول المستشرق الفرنسى «كيمون» فى كتابه « باثولوجيا الاسلام » : « ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع وشلل عام ، وجنون ذهولى ، يبعث على الخمول والكسل ، ولا يصحو منهما الا لسفك الدماء والادمان على معاقرة الخمر . وما قبر محمد الا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ».

ويقول المستشرق المعاصر « ولفرد كانتول سمث » فى كتابه :
ISLAM IN MODERN-HISTORY

ان الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام . وانه خلق اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى كجزء من هذا المخطط المرسوم ، ويقول : « (ان العلمانية التركية التى قام بها «أتتورك» هى حركة اصلاحية اسلامية ، وهكذا يجب أن يفهم الاسلام ...) .

ويقول : لورانس براون فى كتابه :
ISLAM MIMISSONS

« اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة على

العالم وخطرا وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضا ، أما اذا بقوا متفرقين ، فانهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير » .

ونحن لا نستطيع أن نفصل بين الاستشراق والتبشير،فمهمة الاستشراق تسميم وافساد عقول المثقفين بابعادهم عن الاسلام ، ومهمة المبشرين تسميم وافساد عقول العامة بكافة وسائل الجذب والاغراء ، وكلاهما يمشى فى ركاب الاستعمار ، يمهد لاستيراده ويمكن لبقائه وقد نشأ أساتذة الاستشراق والتبشير فى محاضن أقسام الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية والأمريكية .

ان نشر الدين المسيحى لدى معظم الهيئات التبشيرية التى غزت وتغزو بلادنا هو أمر ثانوى ووسيلة الى غاية أشد خطرا وأعمق أثرا ، هى اثارة النعرات الطائفية بين أبناء الوطن الواحد والحضارة الواحدة ، وتمزيق الجبهات الوطنية فى الكيانات العربية .

وللتمثيل على ذلك نضرب مثلا واحدا هو ما ذكره الدكتور حسين مؤنس فى مقال له بمجلة المصور المصرية الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣٠ قال : « فى يوم من أيام الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩ واشتراك المسلمين والأقباط فى جبهة وطنية متماسكة كشأنهم فى مصر على الدوام تسلل المبشر الأمريكى « زويمر » الى الأزهر فى زى طلبة العلم واندس فى حلقات الدروس .

«وكان زويمر هذا صعلوكا ينسب نفسه الى الدين والعلم ، وهو فى الحقيقة جاسوس خبيث تنفق عليه جماعة دينية فى ولاية « كونيكتكات » وكان يحتمى بالسفارة الأمريكية ويكتب مقالات فى مجلة تدعى «العالم الاسلامى» مازالت تصدر الى الآن فى مدينة « هارتفورد » بالولاية المذكورة، يطعن فى الاسلام دون حياء أو خجل » .

« ومثله فى هذا صاحبه الأب اليسوعى « هنرى لامانس » الذى كان يقوم بعمل مماثل فى بلاد الشام » .

« اندس زويمر بين الطلاب ، ثم دخل فى حديث مع طالب ، وتناول كتبه ينظر فيها ، ثم أعادها اليه بعد أن دس بينها رسائل من تأليفه فى

الطعن على الاسلام طبعهــا فى مطبعة احــدى الجمعيات القبطية • وكان غرضــه من ذلك أن تقوم الفتنة بين الأقبــاط والمسلمين • ولكن هــذه الدسيسة الخبيثــة لم يلبث أمرها أن انكشف ، ونشرت الصحف مقالات لنفر من علماء الأزهر يستنكرون فيها عمل هذا المبشر الخسيس • ونشرت « البلاغ » مقــالا عنيفــا لكاتب قبطى هو : « كليم أبو سـيف » بعنــوان « المبشرون » قال فى بعض فقراته :

« عجيب أمــر هؤلاء المبشرين ، فهــم – رغم اننى أستطيع أن أقســم بأنهم لا دين لهم ما يزالون يرتكبون باسم الدين كل المنكرات والمحرمات التى نهاهم عنها الدين • وهم مايزالون يتمــادون فى صفــاقتهم وتحــديهم لشعور المصريين بتلك الأعمال تمادياء وما أظن اناسا رزقوا شيئا من الحياء أو الأدب يستطيعون اتيانه وتحمــل مسؤوليته » •

« أنتم أيهــا المبشرون لا أكثر من جواسيس للاستعمار أتيتم الى هـــذه البلاد لا لنشر فضيلة دين معين ، بل لاتباع سياسة شريرة موحى بهــا من جهات معينة ، ومن نتائج هذه السياسة وقــوع الخلاف بين المصريين أبنــاء الأسرة الواحدة » •

« اذن أنتم لستم مبشرين تستحثون الناس على التحلى بالفضيلة ، وانمــا أنتم مجرمون ، تتخذون الدين ذريعة لارتكاب المنكرات وأنتم تعلمون » •

انهــم مجرمون حقــا ، ولو كانوا شرفاء لبشروا بالفضــائل الأخلاقيــة فى مجتمعاتهم الغربيــة التى لا تؤمن بدين •

ومن ذكرياتى الشخصـــية حول هذا الموضوع ، ان الرئيس المارشال أيوب خان قال لى : « فى سنة ١٩٦٠ قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارته الأولى الى كراتشى فى طريق عودته من الهند ، وكان لتلك الزيارة أهمية خاصــة عنــدنا رجاء أن نضع حــدا للجفوة المفتعلة بين البلدين الشقيقين اللذين يفرض عليهمــا الاســلام أن يتعاونا على البر والتقوى بدل التشاحن والبغضاء ••

« وقضيت ساعات طوالا فى حديث منفرد مع ناصر وأذكر أننى قلت له فيما قلت :

« اسمع يا أخى ان افريقيا هى القارة المسلمة بحق اذ أن نحو ثلثى سكانها يدينون بالاسلام وقد أخذت الدول الافريقية تنفض عنها غبار الجهل والتخلف ، وتطارد فلول الاستعمار ، وهاهى تحتل اليوم مكانها المرموق فى الهيئة الدولية .. غير أن الارساليات التبشيرية التى غزت تلك القارة قرنين من الزمان ، قد خلفت وراءها تركة ضخمة من تضليل الجماهير المسلمة وتجهيلها بحقيقة الاسلام ، وتشويهه فى نفوس معتقديه بالشكوك والشبهات ، حتى ان اسلام الأكثرية الساحقة هو فى الحقيقة انتماء سطحى عند العلماء وان كان عند القلة من الخاصة عميق الجذور .

« ورجوت أن نتعاون لمواجهة التيارات المتضاربة فى القارة المسلمة ، بغرض انقاذ المسلمين من حالة الضياع تلك ، عن طريق ايفاد بعوث العلماء الأكفاء الجامعين بين تعمق الاسلام ودراسة الايديولوجيات الغربية ، الى مختلف الدول الافريقية لتوعية اخواننا وتعريفهم بحقيقة دينهم » .

« وقلت لناصر : ألا ترى معى أن تجنيد الدول الافريقية لتشارك معنا فى معاركنا المصيرية وفى مقدمتها قضية فلسطين مشاركة انفتاح وفهم وايمان، أفضل من تحييدها ، بل أفضل من فلسفتكم فى تصدير الثورة الى تلك الدول كما تصدرونها الى الدول العربية ..

فابتسم عبد الناصر ولم يجب ، فعلمت عندئذ اننا مختلفان حتى فى الوسائل والغايات .. » .

* * *

يأتى بعد ذلك دور العلمانية .. أوالفصل بين الدين والدولة والانسلاخ الكامل عن المفاهيم التى أرسلتها العقائد السماوية ..

وبعبارة أكثر تحديدا ودقة .. رفض ما جاء به الله فى كتبه ، والتمرد الواضح على أنبيائه ورسله

ان هذه وتلك حلقة من سلسلة الصراع ضد الاسلام وحده .. لأنه الدين الذى يقدم منهجا كاملا للحياة فى مجال السياسة والحكم ، وفى التشريع والاقتصاد وفى الأخلاق والمعاملات . وحتى فى أبسط الجزئيات التى يتعرض لها الانسان فى صراعه من أجل البقاء تجد الاسلام يعالج كل جزئية من هذه

الجزئيات محددا مكانها من العقيدة وأثرها فى المجتمع والأمة .

وقد تناول المؤلف فى كتابه هذه القضية فقال تحت عنوان « العلمانية والاسلام » فقال :

عندما بزغت النهضة الوطنية فى بعض بلاد الشرق الأوسط ، فى اطار الدعوة الاسلامية على أيدى الرواد من المصلحين الاسلاميين كجمال الدين الافغانى،ومحمد عبده،ورشيد رضا ، والزوايا الدينية فى الشمال الأفريقى والحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ، أجفل المبشرون والاستعمار وأصدرت المطابع الغربية ألوف الكتب التى تحض الدول الاستعمارية على محاربة هذا الاتجاه ، وبذلوا كل مساعيهم ليلفقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية .. كبعث الفرعونية فى مصر،والفينيقية فى لبنان ، والأشورية والكردية فى العراق،والظهير البربرى فى المغرب .

ولما لم تنتصر هذه الدعوات الاقليمية ، لجأ الاستعمار الى فكرة القومية العربية لتكون مناقضة ومعارضة للاسلام . ومما يؤسف له أن نفرا كبيرا من الشباب العربى الذين درسوا فى الارساليات التبشيرية والدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية ، تجاوبوا مع هذه الفكرة وأخذوا يناهضون الاسلام سرا ثم علانية تحت ستار العروبة ، وجميع الأحزاب القومية التى نشأت فى بلادنا جعلت همها الأول الدعوة الى العلمانية ومحاربة الاسلام ، فجعلوا العلاقات بين الدول العربية تقوم على رابطة العرق وحده المجردة من كل صلة بالدين . وجعلوا علاقة الدول العربية بالدول الاسلامية فى نطاق هذا المفهوم لا تختلف عن علاقتها بالكونغو والمكسيك والأرجنتين .

وهكذا نشأت فكرة القومية المغلقة على أساس تصورات خيالية وتجريدات ذهنية يجرى فرضها على الواقع بالعنف والارهاب . وساقت هذه التصورات بعض دعاة القومية الى صياغة تعريفات غريبة لا مدلول لها ولا مضمون ولا مفهوم ، فى وصف الأمة العربية .. وبذا جعلوا فكرة القومية موازية لفكرة الألوهية ، للتخلص من الاسلام ، ولذا نشأت معظم الأحزاب العربية قومية ثم انتهت

ماركسية لعدم وضوح الرؤية ، وفوضى الشارات •

وفى الجهة المقابلة ، نجد اليهود يقدمون لنا فى كل صباح دليلا جديدا على محافظتهم على تعاليم التوراة والتلمود ، وان ذلك هو سر تجمعهم وانتصاراتهم ، وليست قصة مشروع الزواج المدنى التى فشلت فى اسرائيل فشلا ذريعا بالرغم من الأقلية الدينية المتطرفة فى « الكنيست » الا مظهرا لذلك التزمت المريب •

ولقد سمعت عضو « الكنيست » « مناحم باروس » يقول فى حوار بالراديو الاسرائيلى « ان سر بقاء اليهود متمثل فى محافظتهم على تقاليدهم وطقوسهم الدينية المستقاة من التوراة » وقرأت للكاتب الاسرائيلى « ماتى غولان » قوله : « لقد قامت الدولة لتحقيق وجود واستمرار الدين اليهودى والعنصر اليهودى • لقد عاش الدين اليهودى والشعب اليهودى قرونا طويلة دون دولة يهودية ، ويمكن استمرارها بدون دولة •• لكن الدولة اليهودية لايمكن أن تعيش بدون التمسك المطلق بالديانة اليهودية » •

وسمعنا أخيرا أن مجموعة من المتدينين الاسرائيليين قد اعتدوا فى وضح النهار وبمرأى من رجال الأمن على متجر لبيع المنشورات الداعرة ، وتحطيمه وحرق محتوياته •• كما سمعنا باعتداءاتهم المتكررة على الارساليات التبشيرية المسيحية لحماية المجتمع اليهودى من الانحراف الدينى •

ونجد أن «شمويل يوسف عجنون» وهو من كبار المفكرين اليهود الحائز على جائزة « نوبل » فى الآداب ، لايخجل أن يقول : انه يكتب بالعبرية وحدها لأنها لغة الله •• وأن كبار القادة والساسة والمثقفين وفى مقدمتهم « شازار واشكول » وبن غريون ، وديان وايبان وبيرس وغيرهم وغيرهم ممن يزعم بعض مفكرينا أنهم ملحدون هرعوا عند احتلال القدس العربية فى حرب سنة ١٩٦٧ الى حائط المبكى ، يجأرون بالنحيب والبكاء ، ووقفوا حاسرى الرؤوس بخشوع يتلون صلواتهم ، وبلغت العصبية الدينية

بعضهم أن يدس فى شقوق الجدار أوراقا صغيرة كتبوا فيها أمنياتهم •

وذكرت وكالة (الاسوشتدبرس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة «تشرشل» فى لندن ان « شازار وبن غوريون » اللذين مثلا الحكومة الاسرائيلية فى ذلك الاحتفال ، سارا مسافة ميل ونصف ، وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين ، ورفضا ركوب العربة لأن يوم الاحتفال كان يوم سبت ، والدين اليهودى يحرم استخدام وسائل النقل فى ذلك اليوم•

وبن غوريون وغيره من القادة اليهود ـ جميعهم دون استثناء لا يأكلون الطعام الا اذا أعد وفقا للعقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة فى التوراة •• واليهود الى هذه الساعة ، يرجمون السيارات فى قلب تل أبيب اذا سارت أيام السبت فى الطرقات •• و « ويوسف تيكواه » مندوب اسرائيل فى الهيئة الدولية ، يعطل اجتماع مجلس الأمن ، ليقوم بالطقوس الدينية •• !

والجماهير اليهودية حين وصلت الى حائط المبكى فى السابع من حزيران المشئوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر ، فعلا (النواح) وجلجلت الأصوات الهادرة: ليسقط محمد • اليوم انتهى محمد « محمد مات وخلف بنات » بالثارات خيبر •• !!!

لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسى أو عارف أو الحسين أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم •• لأن هدف المؤامرة ، هو محمد والاسلام • !

ومع ذلك لم نسمع صوتا واحدا يرتفع فى الساحة العربية للدفاع عن محمد ودين محمد ولم نجد مفكرا واحدا يكتب حرفا فى تعبير اليهود بالأرضية الدينية •• ولم نجد عربيا يسأل نفسه : لماذا يهتف القوم ضد محمد؟•• ذلك لأن معظم من واجهوا اسرائيل فى معركة الذل من التقدميين •• لا يعرفون محمدا بل لا يعرفون الله •• ؟ !

ثم ألم تسمع بالمتدينين ، اليهود يهرعون الى ساحات المسجد الأقصى ليقرعوا البوق وقت الآذان ، فى مسجد عمر ، ويقيموا حلقات الرقص فى ساحات الكنائس والمساجد، احتقارا

واســـتهزاء بالديانتين الســـماويتين العظيمتين •

وحين يعلن اليهود فى كل مناسبة، أن هدفهم البعيد، هدم المسجد الأقصى وقبـة الصخرة وبنـاء هيكل سليمان الجديد فوق أنقاض الاسلام • ماذا تريدون منا أن نسمى ذلك •• أليس هو الأرضية الدينيةللعدوان الاسرائيلى التى تنكرونها علينا •

وحين يقول بن غوريون : « بدون التفوق الروحى لم يكن شعبنا ليستطيع البقاء ألفى سنة فى الشتات •• وأن لا معنى لاسرائيـل بدون القـدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل » • ماذا تريدوننا أن نسمى هـذا ؟ وهل نلام اذا استصرخنا المسلمين والمسيحين لينقذوا مقدساتهم من الدمار ؟

ألا تكفى كلهذه الأدلة والبراهين لابـراز الطـابع الدينـى للغـزوة الصهيونية ••

ان مفـكرى العـرب الثـوريين يعرفون هـذه الحقائق ، ويتعمـدون انكارها ، فهم مازالوا يقولون لنا ان المجتمع الاسرائيلى هو مجتمع لا دينى وأن الدولة الاسرائيلية دولة علمانية، وأن كبار القادة الاسرائيليين ملحدون، ليبرروا دعوتهم الى العلمانية والالحاد وأول دعواهم التى يبشرون بها عدم زج الدين فى معركتنا مـع اسرائيل والدعوة الى حرية الفكر ، وأن طرح القضية على أرضية دينية خطأ سواء أكان الطرح تكتيكيا أو استراتيجيا ••

مع أن فيما سقناه ، وهو قليل من كثير ، من أقوال زعمائهم وقادتهم ، ألف دليل حسى على كذب دعواهم ، ويكفى أن نشير الى أن اليهود الذين تجمعوا فى اسرائيل من تسعين دولة وجنسـية ، ليقيموا مجتمعا متلاحمـا متضـامنا متكافلا ، انما تجمعوا على أساس الدين وحده وأن ما عرفناه من انعزال الأقليات اليهودية فى المجتمعات الغربية ، قبـل قيام اسرائيل ، مرده الى شعورهم بالتفوق العرقى والدينى وفق تعاليم أنبيائهم • وقد حافظوا مدة ألفى سـنة فى الشتات على ما يسمونه نقاء الدم اليهودى ومبادئهم الدينية•• ذلك لاعتقـادهم بأن الحـرص على هويتهم الدينية المتميزة هو سر بقـاء الصهيونية ••• وأن نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى ـ كما

يقول الحاخام « شختر » أمران لا ينفصلان ..

* * *

وفى الفصل الذى عقده المؤلف تحت عنوان « الأمة العربية بين أرجل العمالقة » .

يتحدث عن دور أمريكا فى تخريب هذه الأمة بأساليبها المعروفة فى اثارة الفتن والقلاقل ، وفى دعمها لنوع معين من الرجال الذين يحققون أغراضها التخريبية فى اطار مزيف من الشعارات واللافتات الجميلة ، ويقدم بالوثائق الدليل تلو الدليل على فحش هذه الخطة وأغراضها الدينية الخبيثة وفى الوقت نفسه يكشف حقيقة الدور الذى تلعبه روسيا الصديقة وموقفها ـ الحقيقى ـ من القضايا المصيرية للاسلام والعروبة ..

لقد سلكت الشيوعية الدولية والمحلية منذ بدء المشكلة الفلسطينية مسلكا مستغربا عجيبا فدعت منذالبداية الى قيام اسرائيل بين العرب واليهود ، والقضاء على فكرة القومية السخيفة والقضاء على الدين أفيون الشعوب .

يقول خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى ، ان ازالة دولة اسرائيل شعار ليس له أساس طبقى كما أنه غير واقعى . وحين وقع الخلاف بين أعضاء الحزب الشيوعى السورى وذهبوا الى موسكو للتحاكم فى الوطن الأم قال لهم المسئولون السوفييت : ان السياسة السوفيتية فى القضية الفلسطينية تنطلق دائما من أن اسرائيل واقع موجود . واذا كان ثمت كفاح عربى من أجل فلسطين فيجب أن يكون هدفه الوحيد هو اقامة أنظمة شيوعية فى اسرائيل والدول العربية . وحين سئل مسئول سوفيتى عن هجرة اليهود الى اسرائيل قال : لا تهولوا .. وماذا فى هذا كونوا واقعين أيها العرب . وتلبية لما يقوله الرفيق فاننا سنكون واقعين جدا حين نتساءل : الأمريكان يقدمون السلاح .. وأنتم يارفاق تقدمون الرجال فأجيبوا يا أصدقاء العرب:من العدو والصديق فى ساحة الحرب والقتال ؟

ان هذا الكتاب أشبه بـ « ملحمة » فكرية مع جيوش الظلام الزاحفة على عقول المسلمين وقلوبهم . ان الكاتب هنا لا يحمل قلما .. انه فارس

يخوض معركته بسيف يشتعل نارا وغيرة وغضبا ••• وليس مهما أن ينتصر فى معركته اليوم أو غدا •• فالقيم والمثل لا تؤتى ثمارها سريعا•• انما تجىء فى نهاية المطاف بعد جهاد وصراع تتمحص فيه حقائق الرجال الذين يحملون أمانة « الكلمة » • وبعد معاناة طويلة مع الشياطين والمرجفين الذين يفزعهم ظهور الحقيقة ••

وقد رد الكاتب على الذين يعارضون تطبيق الشريعة الاسلامية ، والذين اتخذوا من « الغرب » مثلا فى الحياة وقدوة •• فقال :

انا نعرف أن المفتونين بالحضارة الغربية لا يصدقون الا ما يأتيهم من وراء البحار ولذا سنفجأهم بأقوال عدد من خيرة المفكرين والفلاسفة والمشرعين الغربيين ، الذين تعمقوا فى دراسة الشريعة الاسلامية أو أتيح لهم التعرف على حقيقتها فى مظانها الأصلية : فأذهلتهم الكنوز الهائلة التى تنطوى عليها ، واعترفوا لها بالتقدم والتميز على أفضل القوانين الوضعية الغربية القائمة على العلمانية التى يتباهى بها مفكرونا الثوريون •

يقول عميد كلية الحقوق فى جامعة فينا الأستاذ « شيريل » : « ان البشرية تفخر بانتساب محمد اليها ، ذلك الأمى الذى استطاع أن يأتى بشريعة سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمتها بعد ألفى عام » • !

ويقول الفيلسوف والشاعر الألمانى « جوته » : أية شريعة فى الدنيا لا تستطيع أن تعلو على شريعة محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد • واذا كان هذا هو الاسلام فكلنا مسلمون » •

ويقرر المجتمع الدولى للقانون الذى ضم كبار فقهاء الدنيا عام ١٩٥١ : « ان الشريعة الاسلامية تنطوى على ثروة هائلة من الأصول الفقهية تجعلها صالحة لكل مطالب الحياة الحديثة » •

ويقول المستشرق الفرنسى « جان برك » وهو من أكبر الفلاسفة المعاصرين •• يقول عن الواقع العربى اليوم : « ان حركة التحرر العربى الحالية ستعيد بشكل أو بآخر التاريخ الثورى الاسلامى فى عهده الأول • لقد كان الاسلام مرادفا للحضارة العربية وتعبيرا عن الذات العربية ومما لا شك فيه أن تلك القوة

الحضارية هى التى أعطت الشعوب العربية الكثير من امكانات المقاومة ضد المستعمرين ، وفى تعبير آخر لقد كان الاسلام نائبا عن القومية ، ولا أجد تناقضا بين القيم الاسلامية والتكنولوجيا الحديثة » .

لكن لماذا هذا العداء للاسلام من الذين ينتسبون اليه زورا ويحاربونه باطنا وظاهرا ؟ ولماذا هذا اللدد فى الخصومة ، والاسراف فى الكراهية لهذا الدين وحده ؟

ان الدين وان اختفى ظاهرا من مجتمعات أوربا الحديثة الا أنه يشكل فى حياة هذه المجتمعات أخطر الأسلحة حين ترتفع للاسلام كلمة ، أو تنصب له راية . والحروب الصليبية لم تزل قائمة ، وان اختلفت الجيوش والأسلحة ، وتنوعت أسباب الحرب والعداوة . فلماذا يعاب علينا التمسك بالعقيدة والدعوة الى الاسلام فى بلادنا المسلمة .. ؟

ولماذا لا يقال ذلك عن اسرائيل وهى دولة عنصرية متعصبة ..

* * *

ان قطبى القوى المتحكمة فى عالم اليوم : الرأسمالية والشيوعية قد فشلتا فشلا ذريعا وعجزتا عجزا مهينا، فى بناء المجتمع البشرى .

ان هذا العالم الفاجر ، الظالم الغادر ، الملتوى ، على نفسه ، المنحرف عن مساره لا ينقذه الا الاسلام .

لقد شهدت الدنيا تغيرات كثيرة فى الأنظمة السياسية والمعتقدات الفكرية ، وكانت النتيجة عبئا جديدا مضافا الى الأعباء المتراكمة .. تتغير الصور وتبقى المحتويات ، أقلية متخمة وأكثرية محرومة . . أقلية ظالمة وأكثرية مسحوقة .. ثوريون يصبحون اذا وصلوا رجعيين ، ورجعيون ينقلبون اذا وصلوا ثوريين . !

وكيف يتغير العالم اذا لم يتغير الناس ؟ كيف يتغير المجتمع اذا لم يتغير الأفراد . وكل تغير لا ينبثق من خلال عقيدة وايمان ومنهج وتصور جديد للحياة والأحياء ، مصيره الى زوال أو الى مزيد من الآلام .

لقد كان « خرتشوف » يقول :

« ان التناقضات فى المجتمع الاشتراكى مردها الى العجز أمام أنانية الأفراد »٠٠

ويقول (سولزينتسن) الكاتب الروسى المضطهد المطارد لأفكاره المتحررة من ربقة القمع المستعلية على بشاعة الارهاب : « لقد حسبنا أن تغيير أشكال الانتاج سيغير أخلاقيات الناس ، لكننا لم نقطف الا الخيبة المريرة » ٠

والرأسمالية عجزت هى الأخرى ، حين أطلقت الحريات دون ضابط ليلهو الأفراد بخدر الجنس والأفيون عن استئثار السلطة الحاكمة والرأسماليين الجشعين بالملذات والشهوات على حساب آلام الأكثرية المخدرة ، وتحولت الحرية المطلقة الى فوضى عارمة مدمرة ٠٠

وكيف يكون ضابط ، اذا كان هدف النظامين سلخ المواطن عن ايمانه بالله ٠٠ عن صوت الحقيقة المنطلقة من ذاته ٠ وبغير ايمان لا يبقى وازع ولا يبقى كابح وتسود شريعة الغاب ؟

ان التغييرالمنشود لا يتم الاعن طريق تغيير بنية المجتمع كلها من الأساس الى القمة فاذا تغير الفرد وانصاع لصوت الله فى ضميره ، تغير المجتمع بكامله ٠٠ وعندما يتغير المجتمع يعود التوازن وتسود الانضباطية والالتزام بين الأفراد والمجتمعات ، تلك سنة الله فى الأحياء ، كسنته فى الكون ، لا محيد عنها ولا بديل لها ٠

لقد استدار الزمان كهيئة يوم مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فالدنيا كلها تقف اليوم على مفترق طريقين لا ثالث لهما ، وعلى اختيارها يتوقف ٠٠ مصيرها ٠٠ فاما الله ، واما الدمار ٠٠ !

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٦

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

علي سلطان علي

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١١٠٠٢-١٩٧٦/١٠٦٤٩

ENGLISH SECTION

keeping with the rules of life laid down for trial in this world. Instead of this, Allah took upon Himself, from the very beginning of man's life on the Earth, to send His Guidance to him during his term of life, leaving him free to follow or not to follow it. Accordingly, He made arrangements for the Guidance of mankind and appointed His Messengers from among the people themselves and bestowed upon them the knowledge of the Truth and the Right Way of Life. They were charged with the mission to invite people to the Right Way from which they had swerved. The Messengers themselves believed in Allah and acted in accordance with the Guidance they received from Him. They were raised from different nations in different countries and thousands of them were sent during thousands of years. They all had one and the same religion which was based on the Unity of God and accountability in the Hereafter. They all taught the same way of life that was taught to the first Man at the very start of his life in this world. They all followed the same Guidance, that is, those fundamental and eternal principles of morality and culture which were prescribed for the first Man from the very first day of his life. They all had the one and the same mission, that is, to invite all human beings to the same Guidance, and to organise them into one community. All those peiple who accepted their invitation became one community, which was in duty bound to follow the Divine Guidance and to do its best and utmost to establish it and to guard against any transgressions.

During their respective terms, these messengers fullfiled their mission admirably well. But it is a pity that the majority of the people were not inclined to accept their inviataion and even those who joined their community gradually became corrupt. So much so that some of these communities totally lost that Guidance and others tampered with the Commandments of Allah and mixed them up with false things.

Then the Lord of the Universe sent Muhammad (Allah's peace be upon him as His last Messenger to fulfil the same mission for which Messengers had been sent before him. He extended his invitation to all human beings, including the corrupt followers of the previous Messengers and asked them to follow the Right Way. He organised all those who accepted the Divine Guidance into one community, which in its turn, was reqtired to re-establish its collective way of life based on the Guidance and to exert its utmost to reform the world, which had gone astray. The Quran which was revealed to Muhammad (Allah's peace be upon him) is the Book which contains that Invitation and that Divine Guidance.

is to accept Me voluntarily as Sovereign and worship Me alone and act in the world according to the Guidance I shall send you, and live on the Earth with the conviction and understanding that it is merely the place of your trial. Your real object in earthly life should be to come out successful in the final judgement. Therefore any other course different from and opposed to the Divine Guidance, will be wrong. If you adopt the first course, (and you have full liberty and freedom to adopt it), you will achieve peace and tranquility in this world and win the home of eternal bliss and joy (Paradise) in the next world, to which you shall have to return. And if you follow any other course (and you are quite free to do this also, if you so choose), you shall incur My disfavour in this world and eternal sorrow and affliction in the Hereafter, where you shall be thrown into the abyss of Hell".

After such a warning, the Owner of the Universe sent Adam and Eve (Allah's peace be upon them) the first human beings, to the Earth and gave them the guidance according to which they and their descedants were to live in this world. Thus the first two human beings were not created in ignorance and darkness but were given very clear and bright Light and the Law they were to follow. This was Islam, (submission to Allah). Before they left this world, they themselves practised and taught the same way to their children and children's children and exhorted them to live as Muslims (obedient servants of Allah). But in the succeeding centuries, by and by, people swerved from this straight way of life (Islam) and adopted different crooked ways. They not only lost the Guidance owing to their negligence but also tampered with it because of their wickedness. They attributed to others the qualities and powers of Allah and associated others to rank with Him as gods and ascribed His rights to others. They invented different kinds of religions (ways of life) by mixing up all sorts of superstitions, wrong theories and false philosophies with the Guidance that was given by Allah. They discarded the right, just and moral principles taught by Allah or corrupted them and made such laws of life as suited their prejudices and lusts, and filled Allah's Earth with chaos and iniquity.

Though this was a sad state of affairs, Allah did not will to force these corrupt people to follow the Right Way because this would have been against the limited freedom of action which had been granted to man by Him ; nor did He will to destroy them forthwith as soon as rebellion broke out against Him, because this would not have been in

which are absolutely clear, appear to them to be quite irrelevant in the contexts they occur.

The reader may be saved from all these difficulties, if he is warned before-hand that the Book he is going to study is the only book of its kind in the whole world : that its literary style is quite different from that of all other books : that its theme is unique and that his preconceived notions of a book cannot help him understand the Quran. Nay, these may even become a hindrance. He should, therefore, first of all free his mind from preconceived notions and get acquainted with the distinctive features of this Book. Then and then alone can he understand it.

In order to understand the Quran thoroughly, it is essential to know the nature of this Book, its central idea and its aim and object. The reader should also be well acquainted with its style, the terms it uses and the method it adopts to explain things. He should also keep in view the back-ground and circumstances under which a certain passage was revealed.

Divine Guidance

First of all, the reader should understand the real nature of the Quran. Whether one believes it to be a revealed book or not, one will have to consider, as a starting point, the claim that is put forward by itself and its bearer, Muhammad (Allah's peace be upon him), that this is the Divine Guidance.

The Lord of the Universe, its Creator, Master and Sovereign created man and bestowed upon him the faculties of learning, speaking, understanding and discernng right from wrong and good from evil. He granted him freedom of choice, freedom of will, freedom of action, and gave him authority to acquire and make use of the things around him. In short, He granted him a kind of autonomy and appointed him as His Vicegerent on the Earth and instructed him to live in accordance with His Guidance.

At the time, when the Lord of the Universe appointed Man as His vicegerent, He warned him very clearly and precisely, leaving no doubt in his mind as to the kind of relations he should have with Him, as if to say, "I am your Master and Sovereign and that of the whole universe; therefore you should worship Me and none else. You are neither independent in My Kingdom nor the subject of anyone else, to whom you might owe obedience or worship. You are being sent to the Earth with certain powers for a fixed term of time for your test. After that you will have to return to Me. Then I will judge the deeds you did in the world and decied whether you have come out successful or failed in the test Therefore the right course for you

on the subjects. Man and the Universe are mentioned in a language different from that of the natural sciences. Likewise it follows its own methods of solving cultural, political, social, and economic problems and deals with the principles and injunctions of law in a manner quite different from that of the sociologists, lawyers and jurists. Morality is taught in a way that has no parallel in the whole literature on the subject.

That is why the unwary reader is baffled and puzzled when he finds all these things contrary to his pre-conceived conception of a book. He begins to feel that the Quran is a book without any order or inter-connection between its verses or continuity of its subject, or that it deals with miscellaneous topics in an incoherent manner, or that it had been given the form of a continuous book though it was not a book in the commonly accepted sense of the word. As a result of this, its opponents raise strange objections against the Quran, and its modern followers adopt strange devices to ward off doubts and objections. They either resort to escapism or put forward strange interpretations to ease their minds. Sometimes they try to create artificial connections between the verses to explain away the apparent incoherencies, and, as a last resort, they even accept the theory that the Quran deals with miscellanenous topics without any order or coherence. Consequently, verses are isolated from their context and confusion is produced in the meanings.

This happens when the reader does not take into consideration the fact that the Quran is a unique book. It does not, like other books, enunciate at the very beginning the subject it deals with and object it intends to achieve. Its style and method of explaining things are also quite different from those of other books one commonly reads and it does not follow any bookish order. Above all, it is not a book on' religion' in the sense this word is generally understood. That is why when a reader approaches the Quran with the common notions of a book, he is rather puzzled by its style and manner of presentation.

He finds that at many places the back ground has not been mentioned and the circumstances under which a particular passage was revealed have not been stated. As a result of these things, the ordinary reader is unable to benefit fully from the most precious treasures conatined in the Quran, though occasionally he may succeed in discovering a few gems here and there. Only those people become victims of such doubts as are not acquainted with these distinctive features of the Quran. They seem to find miscellaneous topics scattered all over its pages and feel difficulties about its meanings. Nay, even those verses,

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF 'QURAN'

By

Maulana Abul A'ala Maududi

I have two objects in view in writing this introduction to the study of Quran.

First, I want to acquaint the reader with those things which will help him to undeitand the meaning of the Quran. If he does not become conversant with them in the very beginning, they keep coming back into his mind over and over again, and often become a hindrance to his going deep into its meaning and spirit.

Second, I want to answer beforehand some of the questions which usually arise during the study of the Qoran. I have confined myself to those questions which arose in my own mind when I began my critical study of it or the ones which I came across afterwards. If there be any other questions besides these, God willing, I will answer them in the next edition.

Unique Book

Before the reader begins the study of the Quran, he must bear in mind the fact that it is a unique Book, quite different from the books-one usually reads. Unlike conventional books, the Quran does not contain information, ideas and arguments about specific themes arranged in a literary order. That is why a stranger to the Quran, on his first approach to it, is baffled when he does not find the enunciation of its theme or its division into chapters and sections or separate treatment of different topics and separate instructions for different aspects of life arranged in a serial order. On the contray, there is something with which he has not been familiar befor and which does not conform to his conception of a book. He finds that it deals with creeds, gives moral instruction, lays down laws, invites people to Islam, admoniches the dis-believers, draws lessons from historical events, administers warnings, gives good tidings, all blended together in a beautiful manner. The same subject is repeated in different ways and one topic follows the other without any apparent connection. Sometimes a new topic crops up in the middle of another without any apparent reason. The speaker and the addressees, and the direction of the address change without any notice. There is no sign of chapters and divisions anywhere. Historical events are presented but not as in history books. The problems of Philosophy and Metaphysics are treated in a manner different from that of the text books

He was, according to the best European and Arab authorities in astronomy a superb astronomer. And according to the best geologist of our time he is an authority in geology. He is avoracious historian reputed for his wide knowledge, depth in thinking and infering.

He was able to accumulate such vast knowledge because of his extraordinary ability to study and undertake research work together with this supernatural intelligence and rational mind.

It is reported that when Al-Beiruni completed his book "Al-Masoodi" he was called by the Sultan who was desirous to reward him for this gigantic work. The Sultan sent him three camels laden with money and silver. Al-Beiruni replied this kind gesture saying, "Verily I serve knowledge for knowledge and not for money."

We do not wish to relate the history of Muslim scholars but it would suffice to quote Dr. Abdul Haleem Muntasar and what he said about Ibn Al-Haitham and Al-Beiruni in his magnificent book "Lectures on Science among the Arabs."

"Ibn Haitham said, as long as he lives he will spend all his energy and money in writing, with three things in mind. Firstly : People should, after his death, discover in his writings the benefits and the knowledge he offered during his life-time. Secondly : He does it for pleasure and contentment with the above views in mind. Thirdly : By means of his writings he prepaes for the the future when he is old and helpless.

One day a rich scholar approached Ibn Haitham and offered him wealth in abundance. This he did not accept saying, "It suffices me to have enough food for the day and my servant. I do not want more, for if there does remain any surplus it would entail two things. I would be preserving it which would mean that I am your storeman or I would be generously spending it. In that case that wauld imply that I am your agent dispensing with your charities. In any care if I got involved in these two matters who would then fulfil my obligations and duties in the field of knowledge ?" Finally he accepted only the amount he required and some inexpensive moderate clothes.

Ibn Haitham returned the remuneration given to him by one of the amirs whom he had taught. When returning the money he said, "Take all your money back. I do not require it. You are in greater need of it espectially when you return to your Lord and go back to your eternal place. And remember in the performance of good deeds there is no remuneration, no gifts and no bribery." Sartun has the following to say about Ibn Haitham, "He is the greatest Muslim phiysicist and the greatest optician of all times. The basis of his moral was "Sacrifice of rights and pursuit of knowledge."

"Don't we observe in this great Egyptian Arab scholar, Ibn Haitham, the morals of an exemplary scholar ? Don't we find his life and ideal imitated in his life time and followed not only by the very generation in which he lived but for a thousand years thereafter."

In the same way Al-Beiruni was distinguished for his absolutely rare intelligence and rational mind. We can place him among the most subtlest minds of modern time. It is amazing how he was dustinguished to possess knowledge of varied and variegated fields.

Ibn Yunus.

Ibn Yunus devoted most of his time studying how to develop a watch. He invented the clock pendulum known as "al-Refas." Dr. Abdul Halim Muntasar has the following to say about him in his book "Science among the Arabs."

"He observed the eclipse of the sun and the moon in Cairo, He described the methods adopted by Arab astronomers durnig Caliph Mamoon's time to measure the circumference of the earth.

It was he who invented the "Pendulum" and so preceded Galileo. In spherical trigonometry he was supreme and his discoveries surpassed those of any mathematician. He was first to propound the prosthapherical formula which before the invention of Logarithms was of great value to astronomers as it transformed the complicated multiplication of trigonometrical functions expressed in sexagesimal fractions into an addition. He also showed great skill in the solution of several difficult excercises in spherical astronomy with the help of orthogonal projection of the celestial sphere on the horizon and plan of meridian.

Al-Beiruni.

A German Orientalist who published a number of his books says, "He is the greatest rationalist that history has ever seen, His books on Indice Religions and Indian Society during his time is considered to be refernces of the first degree during our times. An actual story of the extent of his enthusiasm to study is illustrated in the following report :

In his book "Majam Al-Udoba" Yaqooth reports the following from the Muslim Theologian, Ali Bin Iessa Al-Wal-Walji :

"I called upon Abu Rayhan (al-Beiruni) when he was at his death bed. Joyously he was departing from this world and was in a state of agony. On seeing me said, "How did you explain the question of Inheritence for maternal grandmothers ?" Out of consideration and sympathy I said, "You want me to repeat that while you are in such a critical state ?' He replied, "How can this be ? Is it not better that I depart from this world knowing this question than dying ignorant of it ?" I had no alternative but to explain it to him and began remembering it. When I left the house and was on my way I heard a shriek." (He was dead).

It is true that Al-Beiruni was one of the great scholars in all history. The German Orientalist goes further and mentions, benignly, that "He is the greatest rationalist history has ever seen and that he is a great astronomer. Dr. Abdul Wahab Azzam says : "He is one of the greatest scholars in the entire history of man kind.

the finest physician for the treatment of this sickness. If you consult him you will certainly get what you desire.

Compelled by necessity and ashamed of embarrassment,, he delegated his brother to call on Al-Kindi. The response was favourable. Al-Kindi went to the merchant's house and diagnosed his son by his pulse-rate. He ordered his students who were well versed in music, efficient in playing the lute, and knew all the melancholic and gay notes to call upon the patient.

Four of the students arrived and began to play music near his head. They followed the instructions of Al-Kindi and played the notes he had taught them. They continued playing the same music while Al-Kindi studied its effects. He was reading the pulse-rate which showed that it was being effected gradually. The patient began to breathe and his pulse began to stimulate. Slowly he began to move then he sat up and began to talk The musicians were instructed not to cease playing music.

At this stage Al-Kindi beckoned the father of the partient to ask him the things he wanted to know and to write them down so as to preserve them. The dialogue began by the father asking and the son repyling to each query. When the father had completed all his questions and had written everything, Al-Kindi ordered his students to stop. With the cessation of music the patient returned to his state of unconsciousness. The father immediately asked for the music and tried to persuade Al-Kindi to instruct his students to replay the music. To this Al-Kindi replied,

"I am very sorry ! The little that he lived was his last. Neither I nor anybody in the world can extend the period of life that comes to its end. Once life has fulfilled the part God has bestowed upon it then no mortal can bring it to life again."

Ibn Al-Haitham (Al-Hazen)

He used to select the appropriate places for the observation of his optic test. Later he wrote a book on his experiments which remained to be a source of inspiration for many western scholars optics and heat.

Sartun had the following to say about Ibn Haitham "He is the greatest authority in optics for all times". Ibn Al-Nafees.

The West applauds William Harvey as the discoverer of "Blood Circulation." They forget or try to forget the observations, tests and experiments made by Ibn Nafees who discovered the basis of blood circtlation many centuries before Harvey. He proved that blood was never static in the veins but that it circulated in every part of the body.

every field whether spiritual, theoretical or physical. Suddenly there emerged an Islamic civilization which produced men of learning like Jabir bin Habban in Chemistry, Ibn el-Haysam in Physics, Abu Bakr Razi and Ibn Sina in Medicine and Philosophy, Gazzali in spiritualism, Ibn Rushd in Philosophy and Rationalism, Ibn Khaldun in Sociology and Historiography, Khawarzumi in Algebra and so many others.

Distinction of Muslim Thinkers.

We may now by way of example illustrate the distinguished position attained by some Muslim thinkers in the field of knowledge.

In the Encyclopaedia of Uskam, TJ. De Boer has the following to say :

He was there fore still regarded by Cardan, a philosopher of the Renaissance, as one of the twelve subtlest minds.

"Al-Kindi was celebrated in the Middle Ages as an astrologer, he was numbered among the nine judices astrology but he dealt not only with what we call astrological fantasies but with exact astrological measurements and calculations.

Al-Kirdi was well versed in music theoretically and practically. In treating his patients he combined music with medicine. An interesting story is related about him in this respect. Irrespective of whether there is any truth or not in the tory, it does go to show that he knew both medicine and music and its combinated effect. The author of "Akhbar al-Hukama" relates the following story ;—

(Writers) have mentioned an interesting story about Al-Kindi which was prevalent among the people. They said that a very rich merchant was his neighbour who was operating his business on a very grand scale. He had a son who did all the buying, selling and handling of expenses and expenditures on his behalf. The said merchant was extermely prejudiced towards Al-Kindi and spared no scruples in slandering him. Not only was this merchant obsessed with animosty but was even proud of his attitude and as such aggravated the situation. It so happened one day that his son suddenly fell in a coma. He lost consciousness of everything including the debts owed by the people and his obligations towards other merchants. The father overwhelmed with fear and made it his duty to consult every physican available in the city. He prevailed upon them to visit his son and offer treatment.

Many physicians, on knowing the critical situation and the seriousness of the case failed to respond. Those who responded were unable to produce any satisfactory result. Then the merchant was told, "But you are the neighbour of the greatest philosopher of his time and

ISLAM AND KNOWLEDGE-IV

by

Dr. Abdul Halim Mahmoud

The Grand Sheikh of Al-Azhar

The Companions of The Prophet And Knowledge.

The Muslims in encouraging and inducing people to pursue knowledge followed the Quran and the noble traditions of the Prophet. In reference it may suffice to quote Ma'z bin Jabal as reported by Imam el-Gazzale in his "Ihya-el Uloom". Ma'z Ibn Jabal reports from the Prophet as having said :

"Seek knowledge. Seeking it purely for Allah's sake is fearing Him ; pursuing it is worshipping Him ; discussing it is remembering Him ; searching it is Jehad; imparting it to others is charity and spending it for the benefit of the family is affinity all this is because knowledge is the boarderline between the prohibited and permissible ; the light to the inroads to heaven ; the friend in isolation ; the companion in travel, the person to discuss with in solitude ; the guide in happiness and sorrow ; bringer of peace to the enemy, and an ornament to the intimate friend. With the power if knowledge Allah raises a people and makes them leaders of virtues. Their footsteps and deeds are imitated and people conclude with their opinions. The angels show anxiousness in their friendship and spread their wings for them. Every animate and inanimate being prays for their salvation ; the fish and creatures in the sea, the animals and beasts on the land, all ask for repentance for the learned. This is so because knowledge gives life to the hearts from ignorance and works as a lamp for the sight during darkness. Man reaches the rank of the selected ones of God and reaches supreme heights through knowledge both in this world and the Hereafter. To ponder in matters of knowledge is equivalent to fasting and studying it is equivalent to praying throughout the nights, knowledge brings one closer to his relatives and verses him with the facts of the prohibited and permitted things. Knowledge remains the leader while actions remain the followers. It inspires the fortunate and deprives the wicked.

Fruits of Islamic Encouragement of Knowledge.

The result of the Islamic encouragement was staggeringly great. Muslims rushed to seek knowledge in

killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case.

In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Baghdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the zimmis and the safeguarding of their interests.

The central point of the message of the Prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of man kind. Islam included this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law. Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation of the governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law. The law was the same for the poor as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardoning those whom the regular tribunals had condemned.

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation based on a just appreciaton of human duties and human rights.

self has ever maintained the most complete tolerance. Christians and Jews, as a rule, have never been molested in the exercise of their religon, or constrained to change their faith. If they are required to pay a special tax, it is in lieu of military service and it is but right that those who enjoy the protection of the state should contribute in some shape to the public burdens. Towards the idolators there was greater strictness in theory, but in practise the law was equally liberal. If at any time they were treated with harshness, the cause is to be found in the passions of the ruler or the population. The religious element was used only as a pretext.

" ... Has any conquering race or faith given to its subject nationalities a nobler guarantee than is to be found in the following words of the Prophet ? "To the Christians of Najran and the neighbouring territories) the security of God and the pledge of His Prophet are extended for their lives, their religion, and their property — to the present as well as the absent and others besides; there shall be no interference with (the practice of) their faith or their observances ; nor any change in their rights or their privileges; no bishop shall be removed from his bishopric; nor any monk from his monastery, nor any priest from his priesthood, and they shall continue to enjoy everything great and small as heretofore ; no image or cross shall be destroyed; they shall not oppress or be oppressed; they shall not practice the rights of blood vengeance as in the Days of Ignorance; no tithes shall be levied from them nor shall they be required to frunish provisions for the troops".

"The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the reign of Osman (the third Caliph), the Cristian Patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms. "The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith, on the contrary they help us in our religion; they respect our God and our Saints, and bestow gifts on our churches and monasteries."

In order to avoid the least semblance of high-handedness no Muslim was allowed to acquire the land of 'Zimmi' even by purchase. "Neither the Imam nor the sultan could dispossess a Zimmi of his property."

The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eye of the law. "Their blood", said Ali the Caliph "was like our blood". Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administeration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Isalm's law is that if a Zimmi is

the lord's son or daughter married they must cheerfully pay their contributions. But when the freeman's daughter married she must first submit to an infamous outrage — and not even the bishop, the servant of Christ, when he happened to be lord of the manor, would waive the atrocious privilege of barbarism. Death even had no solace for these poor victims of barbarism. Living, they were subject to the inhumanities of man; dead, they were doomed to eternal perdition; there was no room for his poor body in consecrated ground; he could only be smuggled away in the dead of night and buried in some unhallowed spot with a stake through his body as warning to other".

"Such was the terrible misery which hung over the people ! But the baron in his hall, the bishop in his palace, the priest in his cloister, little recked they of the sufferings of the masses. The clouds of night had gathered over the fairest portion of Europe and Africa. Everywhere the will of the strongest was the measure of law and right. The church afforded no help to the down - trodden and oppressed.

Its teachings were opposed to the enfranchisment of the human race from the rule of brute force".

"The non-christians — Jews, heretics, or pagans — enjoyed under Christian domination, a faithful existance. It was a matter of chance whether they would be massacred or reduced to slavery. Rights they had none; enough if they were suffered to exist. If a Christian contracted an illicit union with a non-Christian, — a lawful union was out of the question, — he was burnt to death. The Jews might not eat or drink or sit at the same table with the Christians, nor dress like them. Their children were liable to be torn from their arms, their goods plundered, at the will of the baron or bishop, or a frenzied populace."

"... The essence of the political character of Islam is to be found in the charter, which was granted to the Jews by the Prophet after his arrival in Medinah and the notable message sent to the Christians of Nagron and the neighbouring territories after Islam had fully established itself in the peninsula. This latter docurment has, for the most part, furnished the kuiding principle to all Muslim rulers in their mode of dealing with their non-Muslim subjects and if they have departed from it in any instance the cause is to be found in the character of the particular sovereign. If we separatra the political necessity which has often spoken and acted in the name of religion, no faith is more tolerant than Islam to the folowers of other creeds. Reasons of state have led a sovereign here and there to display a certain degree of intolerance, or to insist upon a certain uniformity of faith; but the system it-

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Muharram 1397	ENGLISH SECTION	JANUAR 1977

ISLAM AND HUMAN RIGHTS

(Continued from previous issue)

By

Dr. Moiaddin Alwaye

"... The horrors of the Middle Passage, the sufferings of the poor negroes in the southern states of north America before the war of emancipation, the cruelties practised by the Sudanese slave-lifters, give us some conception of the terrible sufferings of the slave under the Christian domination at the time when Islam was first promulgated, and until the close of the fifteenth century. In the first Parliamentary War waged against Charles I, we find both side selling their opponents as slaves to the colonists. - After the suppression of the Duke of Monmouth's rebellion, all his followers were sold into slavery. And even after the lapse of almost two thousand years of Christ's reign, we still find Christians lashing to death helpless women, imprisoned for real or imaginary political offences by one of the most powerful empires of the civilised world".

"The condition of the so-called freemen was nowise better than that of the ordinary serfs. If they wanted to part with their lands, they must pay a fine to the lord of the manor. If they wanted to buy any, they must likewise pay a fine. They could not take by succession any property until they had paid a heavy duty. They could not grind their corn or make their bread without paying a share to the lord. They could not harvest their crops before the Church had first appropriated its tenth, the king his twentieth, the courtiers their smaller shares. They could not leave their homes without the leave of the lord, and they were bound, at all times, to render him gratuitous services. If

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩٢٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى — السنة التاسعة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٧هـ — فبراير سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٣ —

رأينا موقف الاسلام من الأدب شعرا ، فهل يختلف عن ذلك موقفه من الأدب نثرا ؟

والواقع أن الاجابة على هذا السؤال قد تضمنها حديثنا عن الشعر ، وتضمنتها كلمات من كلام سيد المرسلين ، وتضمنتها كلمة الامام الشافعى :

«حسنه حسن ، وقبيحه قبيح» .

واذا كان هذا منطقا بدهيا ، فان رأيا من الآراء نشأ فى عصور اليونان القديمة وأخذ يتخطى القرون قرنا فقرنا — يخفت أحيانا ويستعلن أخرى — حتى وصل الى عصرنا الحاضر . فأخذ يستعلن كرأى ، وأخذ يستعلن كتطبيق ، ذلك هو قولهم :

« الأدب للأدب » ..

ويعنــون بذلك أن الأديب يجب أن لا تقيده حدود : من تقاليد أو عـرف أو دين أو خلق أو فضيلة أو قومية ، وأنه يجب أن يسير فى كتابته حرا طليقا ، من كل تحديد .

هـذه البدعة نشـأت فى الجو اليونانى القـديم ، وهو جو تخلى فيه الأدباء عن الدين ، ونشـأت فى بيئة سادها جو السوفسطائين ، أنها نشأت فى مجتمع كان فيه «أبيقور» ، وكانت مظـاهر الوثنية تحت بصر الانسان ، وأحاديثها تملأ سمعه .

مجتمع ألهته الوثنية شهوانيون ، مرتشون ، لا يعـرفون عـدالة ، ولا انصـافا ، وانما يحابون من يقـدم لهم القـرابين ، ويخـذلون من لم يتخـذ عنـدهم يـدا من الهـدايا والأضاحى .

وفى هذا المجتمع اليونانى القديم كانت كل بدعة تجد لها أنصـارا ، وكل ضلال يجد له من يتبعونه .

وسادت بدعة « الأدب للأدب » ..

وكتب الأدباء الأدب المكشوف ، الأدب الجنسى ، أدب الاثارة ، أدب الشـهوة أدبا يسـتثير الغـرائز ، ويحـرض على الخيـانة الزوجية ، ويدعو الى التحلل .

وهذا الأدب يروج عند المراهقين ، وعند الشـبان فى بواكير عهـدهم بالشباب ، وعند الفتيات المراهقات ، ومن هن فى بواكير العهد بالشباب .

ومن وراء رواج هـذا النـوع المسف من الأدب ثراء لمن يكتبون : فلم يتورعوا عن الاندفاع فى الكتابة بمـا يرضى شياطين الانس والجن : من أجل المـال .

وفى عصرنا الحـاضر وفى بيئتنا المصرية طائفة من الكتاب من هـذا النوع يلعنهم الله ورسوله ، ويلعنهم كل من يتعشق الفضيلة ، وكل مؤمن صادق الايمان .

والأدب فى الأوضـاع المستقيمة انما هو لاصلاح المجتمع ، والسير به فى طريق الكمال خطوة فخطوة وان كل من يضـع لبنة فى صرح الفضيلة فانما يضـع لبنة فى صرح الكمال ، وان كل من يضـع لبنة فى صرح

الرذيلة فانما يضع لبنة فى صرح النقص .

وان الأدباء الذين يجرون وراء الاستثارة الجنسية والأدب المكشوف خائنون للوطن ، ويعيشون فى مقت الله : انهم مفسدون .

ومع تنبيهنا الى فساد هذه البدعة فان ذلك لا يحجب مفاسد أخرى وذلك أنه :

« أحيانا يطوع الكاتبون أقلامهم لتأييد فكرة يجارون فيها صاحب السلطان : وهذا يحدث هنا وهناك ، انه يحدث فى الشرق والغرب كما يجرى الأمر مثلا فى روسيا ، وفى بلاد الكتلة الشرقية التى يضرب على أهلها بستار حديدى ويقعون تحت حكم مسيطر لا يستطيعون الانفكاك عنه .

ان أدباء هذا السجن الكبير الذى يضم أقطارا بأكملها : رجالا ونساء ، شبانا وشابات ، وأطفالا وشيوخا .. ان أدباء هذا السجن يكتبون مؤيدين نظام السجن محبذين له : انهم منافقون .

وفى فترة من الفترات الماضية ظن بعض المنافقين عندنا أنهم يرضون الحاكم اذا كتبوا مؤيدين للشيوعية، فأخذوا يطوعون الدين للفكرة، بكل وسيلة من الوسائل ، من ذلك مثلا :

تمثيلية عن « أبى ذر » رضى الله عنه .

لقد كان « أبو ذر » رضى الله عنه صحابيا جليلا ، يتفانى فى حب الله ورسوله ، وكان زاهدا فى حطام الدنيا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتنى الابل ويتخذ لها الرعيان ، ورأى أبا بكر رضى الله عنه يتجر ، ويربح ويكون من الأثرياء ، ويرى الكثير من الصحابة يأخذون المال بحله ، وينفقون فى سبيل الله ، ولكن رأى بعض الناس — وهذا أمر عادى فى كل عصر — يتجه الى الدنيا ويوليها الكثير من وقته ، فأخذ يبشر بالزهد : الزهد الدينى ، زهد المتجردين وكان فى عهده « ذو النورين » المبشر بالجنة، الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله عنه من أغنى الأغنياء ، وكان غناه سببا فى أن جهز جيش العسرة ، وأن

الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ـ حينما ألقى « عثمان » رضى الله عنه فى حجره مالا كثيرا من الذهب والفضة :

« اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض » وأخذ يجول بيده الشريفة فى الذهب ويقول :

(ما على عثمان مافعل بعد اليوم).

ويشر رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن بن عوف » بالجنة ، وكانت ملايين « عبدالرحمن ابن عوف » تنقذ البأس ، وتشبع الجائع ، ويصل بها رحمه ، ويعين بها على نوائب الحق ...

ودعانا القائمون على«التليفزيون» لرؤية التمثيلية التى تتعلق «بأبى ذر» وذهبنا لمشاهدتها مع بعض العلماء ، وبعض المؤرخين . . . فاذا بنا أمام تزييف للتاريخ ، وتجن على الأفاضل الشرفاء من الصحابة الأثرياء ، ونفاق للحاكم بدون ورع ، وبدون صدق ، وذلك من أجل النفاق للحاكم ، ومن أجل حكام الدنيا .

لقد نزلوا بمكانة كثير من الصحابة زاعمين بالاشارة أو بالتلميح : أنهم من الاقطاعيين ، وهكذا زيفوا التاريخ ، ولم يراعوا الحق ، من أجل شهوة غلابة ، هى شهوة المنصب أو المال .

ويجب اذن أن يتخلى الكاتبون عن الجرى وراء الباطل فى سبيل المنفعة الشخصية ، ويجب على الحاكمين أن لا يشجعوا مواكب النفاق التى تتوالى فى كل الأزمنة محسنة للحاكم هواه ، مؤثرة هواه على رضاء الله تعالى حتى ولو خالف أمر الله :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ونحب الآن بتوفيق الله تعالى أن نتحدث عن زاوية من زوايا الفن ،

طال فيها النقاش فى العصر الحاضر، بل وطال فيها النقاش فى الماضى ، ألا وهى زاوية التصوير ، سواء أكان رقما فى ثوب أم نقشا على الجدار ، وسواء أكان رسما على ورق أم تماثيل مجسدة .

ونبدأ مباشرة فنقول :

ان كل ما يحدث من ذلك مخلا بالآداب ، مثيرا للشهوة ، منافيا للفضيلة ، فهو حرام حرمة لا شك فيها ، وذلك مثل الأجسام العارية ، والصور الخليعة .

وقد ابتلينا فى هذه الأيام بالكثير من ذلك ، بل أصبحت الاعلانات عن «الكباريهات» عن طريق الصور العارية تنشر فى الصحف اليومية ، ولا تتورع صحيفة عن نشر هذه الاعلانات ، ولا توجد صحيفة يومية الا وهى تتهالك على نشر ذلك طلبا للمال .

وما من شك فى أن كل مال يؤدى فى ذلك فهو سحت ، تمتنع عنه النفس الأبية والأخلاق الفاضلة وأكثر من ذلك ، فانه توجد « مجلات » متخصصة فى نشر الصور العارية المثيرة ، وتمر هذه المجلات على الرقابة فلا تعيرها اهتماما وتصرح بها ، وتصبح بين يدى الشبان وطلبة الجامعات ، وطالباتها ، ويكثر الفساد فى المجتمع نتيجة لهذا السوء الذى أصبح مألوفا ، وكأن الله تعالى لم يحرمه وكأن المجتمع لا دين له .

ونعود فنقول : ان كل ذلك حرام ، وفاعله ومبيع نشره فى المجتمع : ملعون فى عرف الفضيلة ، ومن قبل الله سبحانه وتعالى .

ونوع آخر حرام لا شك فى حرمته ، وهو هذه الأصنام التى أخذت منذ فترة تنتشر شيئا فشيئا فى العالم الاسلامى ، انها الأصنام التى يقيمونها هنا وهناك ، تخليدا لذكرى شخص ، أو رمزا لفكرة معينة ، أو تعبيرا عن القوة أو الجمال .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون • وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (١) •

ويقول تعالى :

« واذ قال ابراهيم لأبيه : آزر : أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين » (٢) •

ويقول سبحانه :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام • رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » (٣) •

ويقول تعالى :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين • اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين • قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين • قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين • وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين • فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » (٤) •

وحينما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ يحطم الأصنام دون استثناء ، وهو يقول : « جاء الحق ، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » •

والتحريم فيما يتعلق بهذه الأصنام يقين لا شك فيه •

---

(١) سورة المائدة الآيات : ٩٠ ، ٩٢

(٢) سورة الانعام آية : ٧٤

(٣) سورة ابراهيم الآيات : ٣٥ ـ ٣٦

(٤) سورة الأنبياء الآيات : ٥١ ـ ٥٨

ومما يذكر فى هذا الصدد ماذكره القرآن الكريم عن بنى اسرائيل مبينا أن فكرتهم عن الاله سبحانه لم تكن فكرة مستنيرة ، وانما كانت فكرة ضالة ، وقد صورها القرآن فى صورتين أبرع ما يكون التصوير الساخر الموجه المرشد المعلم .

احداهما هذه الصورة :

لقد أنعم الله على بنى اسرائيل بنعمة النجاة ، وما أن تمت النجاة حتى رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، وعن ذلك يقول الله تعالى :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال : انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبَّر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين » (١) .

ويقول سبحانه :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم . اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين» (٢)

أما الصورة الثانية فهى :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال : ابن أم ، ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى

---

(١) سورة الاعراف ، الآيات : ١٣٨ — ١٤٠

(٢) سورة الشعراء الآيات : ٦٩ — ٧٧

وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين • ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » •• (١) •

وقد يقول قائل :

ان علة تحريم الأصنام فى الاسلام أنها كانت تعبد من دون الله ، ولكن هذه العلة زالت فى العصر الحاضر ، فلا يتأتى أن يصنع الانسان صنما ويعبده فى عهد هذه الحضارة التى عمت الشرق والغرب ؟

ونحب اجابة على ذلك ، أن نقول:

ان الاسلام حرم ذلك تحريما مطلقا لا يقيده زمن ولا مكان ، وان حكمة الله فوق كل حكمة والمبادىء التى أوحاها سبحانه لا تنقضها أهواء البشر ؟ ثم انه فى هذه الحضارة التى عمت الشرق والغرب ما زالت البقر تقدس ومازالت تثير المعارك ، وتسيل دماء بنى البشر ، دماء أهل وطن واحد •

وفى هذه الحضارة الحديثة مازالت الأصنام تعبد أو تقدس فى معابد لاتحصى ، من معابد الشرق الأقصى •

وفى هذه الحضارة الحديثة ما زالت بعض الأديان فى أكبر الدول تحتفظ بطابع « اللامعقول » طابع يتميز بأنه ضد العقل والمنطق والتفكير السليم ، ويتغلغل هذا الطابع فى كثير من زواياها ولكن الالف — بكسر الهمزة — والزمن ، والتكرار ، والتعود ••• كل ذلك جعل منها أديانا ، تستمر فى الماضى ومازالت تستمر فى الحاضر مع أنها خرافات

وقد أعلن كبار مؤرخى الأديان عن الأساطير فيها والخرافة ومع ذلك ما زالت مستمرة وأمر الانسان فى الحاضر أو فى الماضى غريب : ان الالف يغرس فى شعوره ان المألوف صحيح ، وان ما عليه الآباء والأجداد من عقائد حق ، انه يفعل ذلك دون تأمل أو فحص بل انه يفر ويهرب من التأمل والفحص اذا أداه ذلك الى انكار المألوف من العقائد ويسكت

---

(١) سورة الأعراف الآيات : ١٤٨ — ١٥٢

فى نفسه بالقهر صوت الانكار أو النقد .

وبقيت أساطير ، واستمرت خرافات ، ودام ضلال دهورا :

« انا وجدنا آباءنا ... » .

ونخلص من كل ذلك الى القول بأمرين هما من البداهة بمكان ..

١ ـ أن كل ما يتنافى مع الدين فى التصوير محرم .

٢ ـ أن الأصنام على أى وضع كانت ، تمثيلا لشخص أو تمثيلا لفكرة محرمة .

« بقى بعد ذلك أهم جانب ــ من الوجهة العلمية البحتة ـ نحب أن نتحدث عنه ، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام ، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية ، وفى جوازات السفر ، والصور الخاصة بالذكريات وصور الأبناء للآباء أو صور الآباء للأبناء ؟ ولكن ذلك له حديث تال ان شاء الله .

دكتور : عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

« ياليتنى قصارا »

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره فلما فتحت، سمع قصارا بالباب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار فقال: ياليتنى كنت قصارا ، أعيش من عمل يدى ، فلما بلغ سعيدبن المسيب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون الينا ولا نفر اليهم .

وفود الأمة بين يدي نبيها
صلى الله عليه وسلم

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوي

عفا الله عن المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ ، انهم لا يفارقهم الشعور التاريخي والتفكير التاريخي فى أقدس مكان وأفضل زمان ، انهم أينما كانوا يعيشون فيما درسوه ويصلون الحاضر بالماضي .

كنت فى الروضة فى المسجد النبوى ، وحولى جمع حاشد من المصلين والمتعبدين بعضهم فى ركوع وبعضهم فى سجود ، ولتلاوة القرآن دوى كدوى النحل ، كل ذلك كان جديرا بأن يشغلنى عن التفكير فى التاريخ وفى رجال الماضي ، ولكن سحابة غشيتنى من الذكريات القديمة لم أستطع لها دفعا ولم أملك لها قهرا .

رأيت كأن عظماء هذه الأمة عاشوا من جديد وجاءوا وفودا يصلون فى هذا المسجد العظيم ويسلمون على هذا النبى الكريم، ويقومون بواجب الاجلال والتكريم ، والامتنان والاعتراف بالجميل، يشهدون له على اختلاف طبقاتهم ، بأنه هو الذى أخرجهم باذن الله من الظلمات الى النور ومن الشقاء الى السعادة ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ويشهدون على أنفسهم بأنهم غرس الاسلام وزرع النبوة وأنهم ــ لاسمح الله ــ لو تجردوا مما أكرمهم الله به عن طريق هذا النبى ، وما أتحفتهم به نبوته ، لعادوا أجسادا بلا روح ، وخطا بلا وضوح ، ولعادوا الى عهد الظلمات وشريعة الغابات وقانون العصابات وانطمست معالم هذه الحضارة .

حانت منى التفاتة فرأيت فريقا يدخل من باب جبريل ـ وهو أقرب الأبواب الى ـ عليهم السكينة والوقار ، يعلوهم نور العلم وسيما التفكير ، وقد ملأوا الرحاب بين باب جبريل باليسار الى باب الرحمة باليمين ، منعت كثرتهم عن العد والتشخيص ، سألت البواب عنهم ، فقال : هؤلاء أعلام الأمة وأئمة العلم وعباقرة الانسانية ونوابغ الوجود ، كل واحد منهم امام أمة ومؤسس مكتبة ، ومبتكر علم ومربى جيل ، قد خلدت آثارهم فامتدت على العصور والآفاق ، وسارت فى ضوء علومهم واجتهادهم وتحقيقهم الأجيال بعد الأجيال ، وقد سمى منهم على عجل واحتشام، مالك بن أنس ، وأبا حنيفة النعمان. ومحمد بن ادريس الشافعى ، وأبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وليث ابن سعد المصرى ، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، ومحمد بن اسماعيل البخارى ، ومسلم بن حجاج القشيرى ، ومحمد بن محمد الغزالى، وتقى الدين بن تيمية ، وموفق الدين ابن قدامة ، وأبا اسحاق الشاطبى ، والكمال بن الهمام ، وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، على تفاوتهم فى الزمان والمكان ، وأصالة العلم وعلو الشأن .

رأيتهم بدأوا بتحية المسجد وصلوا ركعتين فى خشوع وقنوت ثم تقدموا الى القبر الشريف فى أدب وتواضع ، وسلموا على نبيهم صلى الله عليه وسلم فى كلمات وجيزة المبانى كثيرة المعانى ، عميقة الجذور ، سامقة الذرى ، وكأنى أسمعهم يقولون ، وفى عيونهم دموع وفى صوتهم خشوع : « لولاك يا رسول الله ، ولولا شريعتك السمحة الواسعة الخالدة مع الزمان ، ولولا أصولها المفتقة للقرائح ، ووضعها الحكيم المعجز ، الباعث على التفكير والتفريع ، ولولا حاجة الانسان اليها فى كل زمان ومكان ، لما دون هنا هذا الفقه العظيم وهذا التشريع الحكيم ، الذى لا تحمله أمة من الأمم ومجتمع من المجتمعات البشرية، ولما نشأت هذه المكتبة الدينية التى تتضاءل أمامها كل مكتبات

العالم الدينية ، ولولا جهادك فى سبيل نشر العلم والحث على استعمال العقل والتدبر فى آيات الله لما عاش العلم وانتشر هذا الانتشار الواسع. ولما أطلق العقل الانسانى من اساره وسار العالم فى آثاره » ..

ولم أكن قد قضيت لباناتى من هذه الجماعة حتى لفت نظرى فريق آخر يدخل من باب الرحمة عليهم سيما الصلاح والعبادة وفى وجوههم أثر التقشف والزهادة ، قيل لى : ان فهيم الحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، وسفيان الثورى ، والجنيد البغدادى ، والفضيل بن عياض ، وداود الطائى ، وابن السماك ، وعبد القادر الجيلانى ، ونظام الدين البدايونى (١) ، وعبد الوهاب المتقى (٢) ، وأضرابهم، اقتدوا بالأولين ، وتقدموا بعد الصلاة ، ووقفوا أمام المدفن الشريف ، يصلون على نبيهم وامامهم وقدوتهم ، ويقولون : « لولا المثل العملى الذى ضربته فى حياتك ولولا منارك الذى أقمته لمن يأتى بعدك يا رسول الله ، ولولا قولك : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » ووصيتك : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ولولا حياتك التى وصفتها لنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وطلوع هلال، ومرور شهر بعد شهر ، لا توقد فى بيتك نار ولا تنصب لها قدر ، لما كان لنا أن نؤثر الآخرة على الدنيا ، وأن نكتفى ببلغة من العيش وكفاف من الزاد ، ولما كان لنا أن نتمرد على الشهوات ونقاوم اغراء الأموال والمناصب والحكومات ، فى غير تحريم لما أحل الله من الطيبات ، ومن غير تحقير لما منّ الله علينا من النعيم ، ووسع لنا فى الحياة ، ولكنه ايمان المؤمن وايثاره للآخرة ونعيمها على الحياة الدنيا وطيباتها ، وعزوف عن الشهوات ، وكراهة للتكالب على حطام الدنيا ..

---

(١) ، (٢) عالمان ربانيان ومن كبار الزهاد والمربين ولدا ونشآ فى الهند .

ولم أستوف كلماتهم الحكيمة المرققة، حتى لفت نظرى فريق يدخل من باب النساء فى حشمة وتستر، بعيد عن كل ما ينافى الاسلام وآدابه من الزينة الظاهرة والتبرج، وتقدم هذا الفريق من المسلمات الصالحات، من شعوب مختلفة وبلاد متنائية من عجميات وعربيات، وشرقيات وغربيات، وتكلمن فى صوت خافت وأدب ظاهر: « نصلى ونسلم عليك يا رسول الله! تسليم من عظمت عليه منتك، فقد أنقذتنا باذن الله وحوله من تقاليد الجاهلية وظلم المجتمع، وجور الرجال، وحرمت وأد البنات، وحذرت من عقوق الأمهات، وقلت: « الجنة تحت أقدام الأمهات »وأشركتنا فى الارث وبينت نصيبنا أما وأختا وبنتا وزوجا، ولم تنسنا فى خطبتك العظيمة يوم عرفه، فقلت: « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله » الى غير ذلك مما حثثت به الرجال على الانصاف للنساء، وأداء حقوقهن وحسن عشرتهن، جزاك الله عن جنسنا أفضل ما يجزى الأنبياء والمرسلين وعباد الله المحسنين ».

ولم ينقطع عن أذنى هذا الصوت الرخيم حتى سمعت حسيس قوم يدخلون من باب السلام والتفت اليهم فاذا هم مبتكرون للعلوم ومدونون للفنون، أئمة النحو واللغة والبلاغة، فهم أبو الأسود الدؤلى، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائى وأبو على الفارسى، وعبد القاهر الجرجانى، والسكاكى، وابن منظور، ومجد الدين الفيروز آبادى، والسيد مرتضى الزبيدى، يريدون أن يبلغوا تحية علومهم ويدفعوا ضريبة ما عاشوا عليه واشتهروا به، وسمت مكانتهم بفضله، وسمعتهم يقولون فى بلاغة وأدب: لولاك يا رسول الله ولولا الكتاب الذى نزل عليك، ولولا حديثك الذى نطقت به، ولولا هذه الشريعة التى دانت بها الأمم، واحتاجت لأجلها الى تعلم اللغة العربية والتفقه فيها، لما نشأت هذه العلوم التى كتب لنا شرف الزعامة فيها، ولما كان نحو ولا بيان ولا بلاغة، ولما ألفت هذه المعاجم الكبيرة ودقق فى مفردات اللغة

العربية ، ولما جاهدنا فى سبيلها هذا الجهاد الطويل ، ولما خضع العجم ـ وهم فى سعة من لغاتهم ، وغبطة بلهجاتهم ـ لدراسة اللغة العربية والتعمق فيها ، ولما كان منهم هؤلاء الأعلام الذين أقر بفضلهم ونبوغهم أدباء العرب وجهابذة الأدب ، فأنت الرابطة يا رسول الله ! بيننا وبين هذه العلوم الناشئة فى الاسلام ، النابتة فى عهد رسالتك وامامتك وأنت الرابطة بين العرب والعجم ، وأنت الذى ملأ الله بك هذا الفراغ ، ووصل البعيد الى القريب ، والعجمى بالعربى ، فكم لك من فضل على نبوغنا وعبقريتنا ، وكم لك من فضل على ثروة العلم ونتاج العقول ومحصول الأقلام .

ولولا أنت يا رسول الله ! لطويت اللغة العربية فيما طوى من اللغات واندرس من اللهجات ، ولولا القرآن العظيم العربى المبين لتناولها المسخ والتحريف كما تناول اللغات الكثيرة ، وابتلعتها العجمة واللهجات المحلية وقضى عليها اللحن ، ولكنه هو وجودك وشريعتك الخالدة ودينك العالمى وكتاب الله المعجز الذى منعها من العفاء والدروس ، وفرض سلطانها وسيطرتها على العالم الاسلامى كله ، وغرس حبها واجلالها فى قلب كل مسلم ، فأنت الذى خلد الله بك هذه اللغة وضمن بقاءها وانتشارها وسلامتها ، فلك على كل من ينطق بها أو يكتب فيها أو يعيش بها أو ينادى اليها فضل لا يجحد» .

ولم أنتبه من مقالتهم حتى استرعى انتباهى قوم يدخلون من باب عبد العزيز خليط من البشر ، ومزيج من الأمم ، فيهم أعظم سلاطين العالم وأعظم ملوك عرفهم التاريخ ، فيهم الوليد بن عبد الملك ، وهارون الرشيد ، ومحمود الغزنوى ، وملك شاه السلجوقى ، وصلاح الدين الأيوبى ، والظاهر بيبرس ، وسليمان القانونى العثمانى ، وأورنك زيب عالمكير التيمورى الهندى ، وقد نحوا الخدم ورجال الشرطة عنهم وتركوهم وراء الباب يتقدمون فى هيبة وتواضع ، غضيضة أبصارهم خافتة أصواتهم ، واستعرضت أسماءهم وأدوارهم والدنيا الواسعة

التى كانوا يحكمونها والسيطرة العظيمة التى كانوا يتمتعون بها ، فمنهم من كان يحكم دولة لا تقطع فى أقل من خمسة أشهر على أسرع جمع (١) ، ومنهم من قال مرة لسحابة مرت به « أمطرى حيث شئت ... فسيأتينى خراجك » (٢) ومنهم من اتسعت مملكته حتى استطاع أن يأمر بأن يدفع الى أصحاب سفن جيحون أقصى الشرق أجرتهم من مالية أنطاكية فى أقصى غرب المملكة، وحضر رسول القيصر ليدفع اليه الخراج فما تسلم منه الا على باب كاشغر (٣) ومنهم من كان يرهب فى أوربا ، وتمتنع الكنائس من ضرب الأجراس ، اذا دخل المسلمون فى بلاده احتراما لدينهم واشفاقا من سلطانهم (٤) ، ومنهم ومنهم ومنهم .

رأيتهم يتقدمون ليصلوا فى مسجد الرسول ، ويسلموا على صاحبه ، يعتبرون ذلك أعظم سعادة لهم وأكبر شرف ، ويتمنون لو رفعت هذه الصلاة ولو قبل هذا التسليم ويسمح لهم بالوقوف فى مصلاه ، والوقوف أمام مرقد الرسول يقومون بواجب الاجلال والتكريم ، والاعتراف بالجميل ، رأيتهم يتقدمون الى الامام تقصر خطاهم ، وتعثر أقدامهم ، والمهابة تملأ قلوبهم حتى وصلوا الى الصفة ــ وهو مكان فقراء الصحابة ــ ووقفوا أمامها ينظرون اليها نظر الاكبار والاجلال ونظر الحياء والاحتشام ، وصلوا بجوارها تحية للمسجد ، ثم تقدموا الى القبر الشريف فسلموا على نبيهم كما شاء حبهم واجلالهم وكما شاء علمهم وايمانهم متأدبين بآداب الشرع ، متقيدين بشريعة التوحيد ، وسمعتهم يقولون : «لولاك يارسول الله ! ولولا جهادك ودعوتك التى وسعت الآفاق وفتحت البلاد ، ولولا دينك الذى آمن به آباؤنا فخرجوا

---

(١) المراد به الوليد بن عبد الملك .
(٢) المراد به هارون الرشيد .
(٣) هو ملك شاه بن ألب ارسلان السلجوقى .
(٤) هو سليمان بن سليم العثمانى .

به من حياة الخمول والهوان والعزة عن العالم الى حياة الشرف والطموح والمغامرة ، فأسسوا دولا واسعة وفتحوا بلادا شاسعة وجبوا الخراج من الأمم التى كانت تسوقهم بالعصا وترعاهم كالغنم ، فلولا هذا الانتقال من الجاهلية الى الاسلام ومن الانطواء على النفس والحياة القبلية الضيقة الى غزو العالم وفتح الأمم لما ارتفعت لنا راية ، ولا رويت لنا رواية ، ولبقينا فى صحارينا القاحلة وفى أوديتنا الضيقة المظلمة نتصارع ونتناحر ، يأكل القوى منا الضعيف ويظلم الكبير منا الصغير ، طعامنا أفقر طعام ، وعيشنا أخس عيش ، لا نفكر فى مكان أوسع من هذه القرية الصغيرة التى نعيش فيها ولا فى مجموع من البشر أكبر من هذه القبيلة الصغيرة التى نرتبط بها ، أسماك بركة وضفادع بئر ، نعيش فى عالم من نفوسنا وتجاربنا المحدودة ونغنى بمجد آبائنا الجهلاء السفهاء ، ولكنك يا رسول الله ! ألقيت علينا ضوءا من دينك تفتحت به عيوننا ، وتوسع به خيالنا ، فخرجنا الى أرض الله الواسعة نحمل دينه الواسع ، ورابطته الجامعة ، وأشعلنا مواهبنا الخامدة الجامدة نحارب الشرك والوثنية ، والجهالة والظلم ، فأسسنا هذه الدول العظيمة ، نعمنا ونعم أولادنا واخواننا فى ظلها قرونا ، وها نحن أولاء ، نقدم اليك تحياتنا ونقدم اليك ضريبة الاجلال والتكريم والحب والتعظيم ، وهى ضريبة نقدمها طوعا واختيارا ونتشرف بتقديمها ونعترف بتقصيرنا فى جنب دينك الذى أسعدنا الله به وتطبيق أحكامه ، وتنفيذ قانونه ونستغفر الله تعالى ، انه هو الغفور الرحيم .

وقد كنت مصروفا الى هؤلاء الملوك ، أرى وجوههم الخاشعة وأسمع كلامهم الرقيق ، الذى لم أسمعه أبدا منهم ، اذ تقدم فريق آخر مشى فى صفوف الملوك من غير اكتراث واهتمام ، لا يخشى لهم سطوة ، ولا يراعى لهم حرمة ، فقلت: شاعر أو ثائر ، فاذا هو مجموع من الفريقين ، فيهم السيد جمال الدين

الأفغانى ، والامير سعيد حليم ، والزعيم محمد على الهندى ، والشهيد حسن البنا والشاعر التركى محمد عاكف ، والشاعر محمد اقبال وقدموا الآخر ترجمانا لهم يقول : « أشكو اليك يا رسول الله ! من قوم لا يزالون يعيشون فى رفدك ويأكلون من فتات مائدتك ، وينعمون وبالحرية والشرف فى بلاد أنت حررتها من حكومة انظالمين وأخرجتها الى ضوء الشمس ، انهم يحاولون أن ينقضوا الأساس الذى قامت عليه هذه الأمة العظيمة وهذا الصرح العظيم ، ويريدون أن يوزعوا أمتك الواحدة فى قوميات وعصبيات كثيرة ، ويحيوا ما أمتها وبنوا ما هدمتها ويرجعوا بهذه الأمة الى الجاهلية التى أخرجتها منها للأبد ، ويقلدوا فى ذلك أوربا التائهة الحائرة المفلسة ، ويبدلوا نعمة الله كفرا ويحلوا قومهم دار البوار ، أن الصراع بين مصباحك المنير وشرارة أبى لهب ، قد عاد من جديد وقد انضم الى معسكر أبى لهب كثير من الناطقين بلغتك ، وعادوا يتغنون بأمجادهم الجاهلية والأصنام التى حطمتها ، انهم المطففون « الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » نالوا منك كل بر عاشوا به ، وكل قوة اعتزوا بها ، ثم انهم يأخذون بنواصى شعوبهم التى يحكمونها ويريدون أن يلقوها خارج أحضان أوربا وفلسفاتها الجاهلية من قومية واشتراكية وشيوعية .

ها هى الأوثان ، التى أخرجتها من جوف الكعبة تعود أو تعاد الى الشعوب المسلمة السليمة البريئة بأسماء جديدة وبثياب جديدة ، انى أرى فى بعض أجزاء العالم العربى الذى يجب أن يكون معسكرك ثورة لا فاروق لها ، وردة لا أبا بكر لها منى ومن جميع أصحابى الذين أتشرف بتمثيلهم والتعبير عما فى فى ضمائرهم ؟ اليك أفضل التحيات وأشرف التسليمات ، وأؤكد لك وأشهد الله على ما أقول : اننا براء من الزعماء والعظماء الذين ولوا وجوههم شطر الغرب وانصرفوا عن قبلة الاسلام وشطره ، والذين لا صلة لهم بك ، ولا شأن لهم بدينك ،

انا ندين لك بالولاء والوفاء وسنظل متمسكين بحبل الاسلام ، حتى يأتى وعد الله ونلقى ربنا » .

ولم تنته هذه الكلمة المؤمنة البليغة حتى ارتفع صوت المؤذن عاليا على منائر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم : «الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر» وأفقت من غفوتى، وما كنت أسبح فيه من عالم الخيال والتاريخ ، واذا بى أمام الواقع ، رجال فى الصلاة ورجال ، فى تلاوة القرآن ، وجموع من المسلمين ووفود من العالم الاسلامى تسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليط من الأصوات والانطباعات والعواطف .. [1] .

ابو الحسن الندوى

« سليمان بن عبد الملك »

اشتهر سليمان بالفصاحة والبلاغة ...

وقد قيل عن وفاته : أنه لبس يوما حلة وعمامة خضرا ونظر فى المرآة ، وقال : أنا الملك الفتى ، فنظرت اليه جارية من جواريه وقالت :

أنت نعم الفتى لو كنت تبقى
غير أن لابقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان فى الناس غير أنك فان

ولم يمض اسبوع واحد على ذلك حتى مات .

الفخرى ص ١١٦

---

(١) اذيع من محطة الاذاعة السعودية العربية فى جدة عام ١٩٦٢ م .

دراسة شاملة للعالم الإسلامي

للأستاذ أحمد حسين

— ٢ —

ولست أكتب تاريخ العالم الاسلامى وكيف وصل الى ما وصل اليه وأدع ذلك لشباب المؤرخين المتخصصين وأسرع الى وصف صورة العالم الاسلامى كما هى اليوم .

وأبادر فأقول : أنه لم يعد شبر واحد لم يتحرر من براثن الاستعمار ، باستثناء دول قلب آسيا التى تقع فى الاتحاد السوفيتى ، حيث يدعى أنها ليست مستعمرات ولكنها جمهوريات مستقلة ، ونحن ممن لا ينخدعون بالأسماء ، وعندنا أنه ما لم تعد هذه الدول فى أداء رسالتها للعالم الاسلامى ، كما فعلت أيام البخارى ومسلم والفارابى وابن سينا فهى مستعمرات بالتأكيد ، ومستعمرات من النوع الاستيطانى البغيض ، حيث يراد ازهاق حضارة وابادة شعب ، لحساب شعب آخر وحضارته المادية .

ولنرجع الى ما كنا بسبيله : فما هو حاضر العالم الاسلامى باستثناء هذا القسم ؟ انه حاضر يختلف اختلاف الظلام والنور فكل الدول الاسلامية وعلى رأسها الدول العربية أصبحت سيدة نفسها تمارس نشاطها بما يعود بالخير على أبنائها وتمتلك مواردها وتوجهها لما فيه مصلحتها .

أفريقيا والاسلام :

وحيث ينحسر الاستعمار عن افريقيا يبرز الاسلام دينا سائدا ، أو فى طريقه الى السيادة المحققة بتعاليمه الناصعة الانسانية .

وفى أوربا :

واذا كانت دول أوروبا الغربية كانت هى التى شنت حربا صليبية على العالم الاسلامى فى العصور الوسطى ، واحتلت أراضيه وأخضعته لسيادتها فى القرن التاسع

عشر والنصف الأول من القـــرن العشرين ، فلم تعد توجد محطة اذاعة غربية تذيع للعالم الا وتذيع القرآن ، وآخر ما حدث هو هذا المهرجان الاسلامى فى لندن ، وتقوم المساجد فى طول أوروبا وعرضها ، ويعتنق الاسلام فى كل عام مفكرون وكتاب وعلماء مؤكدون رغم قلة عددهم ، خصوبة الاسلام ونضارته حتى فى القرن العشرين قرن المادية والالحاد .

وفى الولايات المتحدة :

حيث يؤلف الزنوج ١٠٪ من عدد السكان فقد شاع الاسلام بين عدد كثير منهم ، وليس ذلك سوى البداية .

الاقليات المسلمة تقاوم :

وقد بدأ المسلمون فى كل مجتمع يقيمون فيه يرفضون أن يغض من شأنهم فضلا عن أن تتحيف حقوقهم، فبدأوا يقاومون الى حد امتشاق الحسام .

واين اصبح مكان العرب ؟

ولقد أبقيت الحديث عن البلاد العربية عن عمد ، وبما أشير لبعض الظواهر الأخرى ،وذلك أن ما حدث فى البلاد العربية هو آية عزمهم ومكانتهم ودورهم الحاسم فى التاريخ وسأبدأ فى عرض ما وصل اليه العرب من الانقلاب المذهل الذى حول - على سبيل المثال - امارات الخليج من أفقر بلاد الدنيا الى أغناها ، ومن بلاد تعيش على هامش الحياة ، الى بلاد تملك أسباب الحياة لأغنى بلاد الدنيا .

أبو ظبى وليست امريكا :

وقد لا يتصور الكثيرون جدا ، أنه حيث أصبح الدخل القومى للفرد فى أمريكا يدور حول ستة آلاف دولار فى العام وهو ما يجعل أمريكا تجىء فى المرتبة الثالثة بعد السويد وسويسرا حيث يزيد الدخل بضعة مئات من الدولارات ، فان أعلى نسبة لارتفاع الدخل القومى فى العالم هى فى « أبو ظبى والكويت » وحيث يخص الفرد الواحد ١٢ ألف دولار فى العام ، وليس يحول بين السعودية وبين هذا الرقم المرتفع جدا الا كثرة سكانها - نسبيا - والا فان دخل السعودية من البترول يفوق كل خيال وتصور .

وأنا من القائلين : ان وجــود البترول بكل هذه الكثرة فى جزيرة العرب أولا ، وفى سـائر البـلاد الاسلامية ثانيا هو ارادة الهية . لكى يصبح العرب فى دنيا المـادة هم : أسياد هــذه المادة ، ولا يتصـور متصـور أن البترول الى نفـاد فعندما يحدث ذلك وسوف يحــدث ، فان البديل لذلك كله هو حرارة الشمس ولأمر ما يحتم العـرب على هـــذا المصدر بأكثر من أوروبا ، وأمريكا واذا كان العرب حتى الآن لم يحسنوا الاستفادة من الثروة والطـاقة التى وضــعها الله بين أيديهم ، فهـم فى الطـريق الى ذلك ، وهم يتحولون ـ وان كان ببطء ـ بعـد ٦ أكـتوبر سنة ١٩٧٣ الى قـوة عاملة منتجة مؤثرة ، وقبل أن نرسم الصـورة لمـا يجب أن تكون عليه صـورة المستقبل ، يتعين علينا أن نقف قليلا أمام ٦ أكتوبر لندرك مغزاه ، وكيف أنه علامة على الطريق .

٦ اكتوبر او العاشر من رمضان :

فارق بين أى نقيضين هو سر من أسرار الطبيعـة احتفظ الله بعلمه ، حيث يتحول الضد بعد أن يتكامل ويصـل الى أوجــه ، الى الضــد المقابل ؟ فالضد يتحـول الى جـزر والعكس بالعكس وهكــذا وستظل معركة العبور فى العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ٦ أكتوبر ١٩٧٣م تاريخا مجيدا للعرب الى أبد الآبدين ، حيث تحـول جـزر ـ مؤقت ـ الى مـد عظيم .

فقد كان المد العربى قد توقف بعد ٥ يونيو عام ١٩٦٧ م حيث هزمت مصر هزيمة نكراء وجرت معهـا فى هزيمتهـا الأمة العربية كلها ، وكان أخطر ما فى الكارثة هو اهتزاز ثقة العرب بأنفسهم ، ثم كانت معــركة عبور الجيش المصرى لقناة السويس فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ رغم ما قيل عن استحالة ذلك ، والقول بأنه حتى لو حــدث ذلك فسـوف يفنـى الجيش المصرى عن بكرة أبيه فضلا عن أن ذراع اسرائيل الطـويلة ـ ســلاح الطيران ـ سوف يدك مصر دكا ومن هنا فلم أتردد بمجرد انقضاء يومين أو ثلاثة على وصف ما حــدث أنه أشبه بمعركة حطين أو عين جالوت، حيث ترمز كل منهما لانتهاء فصـل أسود ، وبدأ فصل أبيض ، وجـاء

العرب - كل العرب - من امارات الخليج،حتى المغرب العربى:ليؤكدوا تضامنهم وليكشفوا عن قوتهم عندما يتحدثون ، وأنه يصبح بقدرتهم أن يؤثروا على مصير العالم وعلى الدول العظمى ، والتى كانت عظمى ، فى الدرجة الأولى والحديث عن البترول مشهور ومعروف ، ولكن الأمر الذى اكتشفه العالم فجأة هو سيطرة العرب على أعظم بحرين فى الدنيا ، البحر الأبيض، والأحمر ،من حيث قدرتهما على سد المنافذ اليهما فى باب المندب من ناحية ، وجبل طارق من الناحية الأخرى ، وكم أسعدنى-أنا شخصيا- أن يصرح الملك الحسن أنه كان على استعداد لقفل جبل طارق ، وهكذا خرج العرب قوة يحسب حسابها واذا كانت الخلافات المحلية قد عادت للظهور فذلك أمر طبيعى بل وعادى فالخلاف حتى فى داخل الأسرة الواحدة لا ينقطع ، والولايات المتحدة احتاجت بعد استقلالها الى حرب ضروس ليتوحد الشمال مع الجنوب ، فاختلاف المصالح وتصارعها أحد سنن الحياة ، والمهم أنه بالنسبة للقرارات المصرية فقد اتحد العرب وسوف يتحدون .

وفى كلمة : ان صورة العرب والمسلمين اليوم هى غير صورتهم من نصف قرن ، وقبل أن أنتقل الى القسم الثالث من حديثى وهو كيف يجب أن يكونوا ، أريد أن أصور منتهى ما وصلت اليه أوربا الغربية وأمريكا لأنه على ضوء هذه الصورة ، سوف يتحدد الدور الذى يتعين عليهم أن يضطلعوا به .

حطام امبراطوريات وافلاس حضارة:

لست أحسب أن التاريخ شهد مثيلا لهذا الذى يجرى فى انجلترا حيث كانت امبراطورية لا تغيب عنها الشمس منذ خمسين عاما فقط ، وهى اليوم لا تكاد تحسب فى عداد دول الدرجة الثانية حتى تهبط الى الثالثة فالرابعة الى ما دون ذلك ، واذا كانت انجلترا قد فقدت قوتها السياسية منذ عشرين سنة ، فهى لا تستبقى ظل قوتها الاقتصادية الا بالخروج على أغلى ما تعتز به الانسانية وهى القاعدة التى تقول « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » .

فقد تنازلت انجلترا عن كل شرفها وكرامتها فى مقابل أن تأكل ، فراحت تعلن عن نفسها على أوسع نطاق تدعو شيوخ العرب لزيارتها واعدة اياهم بأن تقدم لهم الخدمات الخاصة التى ترفه عنهم وتحقق شهواتهم ابتداء من لعب القمار حتى...الخ.

وكدت لا أصدق نفسى ، وأنا أطالع هذا الاعلان فى مجلة عربية ، لولا أنه كان حقيقة صارخة أمام ناظرى تملأ صفحتين كاملتين غاصتين بالصور التى تخدش الحياء .

وآخر ما سمعناه عن انجلترا : أن الجنيه الاسترلينى قد هوى نهائيا وأصبح آخر ما يبقيه هو ودائع العرب فى بنوك انجلترا وهم ساحبوها ان عاجلا أو آجلا وعندها فلن تزيد انجلترا عن برتغال أخرى.

وليست انجلترا الا نموذجا لهذه الامبراطورية التى تحطمت ولم تعد شيئا وليس يبقيها الا بقية صناعتها ، ولا تكاد هذه الصناعات تقوم ، وسوف تقوم فى العالم العربى والاسلامى ، حتى لا يبقى من امبراطوريات الأمس الا دولا متخلفة .

الولايات المتحدة وروسيا :

هنا ، ويتصور الكثيرون أن دولة أوربا الغربية وقد دالت ، فذلك لأن الولايات المتحدة من ناحية ، والاتحاد السوفيتى من الناحية الأخرى ، قد ورثاها وهذا هو مكمن الخطأ فالعلة التى أوصلت أوربا الغربية الى ما وصلت اليه ، هى بذاتها التى تفرى فريا فى كيان الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى وهى الكفر بالمعنويات ، ابتداء من الدين والايمان بالله والغيبيات ، وانتهاء بالشرف والكرامة والوطنية ، فقد وصلت الولايات المتحدة الأمريكية الى ما وصلت اليه فى ظل هذه المعانى ، فأما وقد تخلت عنها وأصبحت المادة معبودها ، فقد أصبح لا مناص من أن تنتهى الى ما انتهت اليه أوروبا الغربية ، وقد رأينا الخطوات الأولى لهذا المصير الذى ينتظر الولايات المتحدة ، فهى التى استطاعت أن تفرض أرادتها الكاملة على اليابان ، اذ لم تستطع أن

تفرض غير نصف ارادة فى كوريا،ثم فقــدت ارادتهــا بالكامل فى فيتنام والبقية تأتى ، أما الاتحاد السوفيتى الذى تصور أنه سيخلق دنيا جديدة على أنقاض الدنيا القديمة ، وبدون أن نخــوض فى تفاصيــل ، نكتــفى بالاشارة الى واقعتين :

الأولى : خــلافه مع الصــين مثبتــا بذلك أنه لا يستطيع السير مع أمة أكثر عراقة منه •

الثــانية : أنه بعد نصف قــرن ، يســتجدى الحصــول على طعامه من القمح من أعدائه الرأسماليين ، وغنى عن البيان أن هــذا الاجراء يساوى اعلان الافلاس من كل مبدأ وكرامة ولكن ذلك كلــه يهــون أمام لقمــة العيش •

لايجب ان يعشو الابصار :التقدم الآلى :

بقى أن العالم الاسلامى المبهور أمام ما أحرزه الغرب من امكانيات فى عالم التسلح الآلى وصناعة الآلات لكل ضروب الانتاج ، وما انتهى اليه من صنع الأقمــار الصناعية ووصــول الانسان الى القمر •

ويجب أن يدرك العالم الاسلامى أنه مطالب حيال هذا التطور الآلى بأمرين :

الأول : أنه مأمور بنص القرآن أن يحصن نفســه بكلْ أسباب القوة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فنحن مأمورون • أمرا بنقل واقتباس واختراع وصناعة كل ما من شأنه أن يجعلنا أقوياء ماديا •

ويبقى لنا بعد ذلك تفوقنا المعنوى ان من مات دفاعا عن الحق فقد مات شهيدا تنتظره حياة باهرة •

الثانى : الأمر الثانى الذى يجب أن يحكم تصرفاتنــا ، هو الادراك بأن ما حققه الغرب فقد حققه فى ظل تمسكه بالقيم الروحية والخلقية التى تدين بها فلما أن تخلى عن هذه القيم وأصبحت الحياة تتلخص عند الجيل الجديد :

فى الأكل والجنس والعــربدة ، فسوف يتوقف الغرب ثم يتدهور •

(للبحث بقية)

احمد حسين

الحرب الاجماعية في الاسلام

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

الحرب الاجماعية ، أو الحرب الاعتصابية ، أو الحرب الشاملة ، مصطلحات عسكرية معروفة ، تدل على معنى عسكري واحد .

ومعنى الحرب الاجماعية هو : حشد الطاقات المادية والطاقات المعنوية كافة للأمة ، لا للجيش وحده ، أو القوات العسكرية النظامية وحدها ، من أجل المجهود الحربي .

وهذا يعني ، أن الطاقات المادية كلها : بشرية وطبيعية ، وسلاحا وعتادا ، ومعامل ومصانع ، ومزارع وحقولا ، ووسائل نقل وآليات ، ومستشفيات وأطباء ، وأدوية وعقارات وألبسة وتجهيزات ، ومخازن ومستودعات ، وغيرها من الطاقات المادية الأخرى التي تفيد المجهود الحربي ، تحشد كلها لاحراز النصر

وهذا يعني أيضا ، أن الطاقات المعنوية كلها : التوجيه المعنوي ، خطباء المساجد ، أساتذة ومدرسين أجهزة اعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية ، حربا نفسية ، مكافحة للتجسس ، قضايا الترفيه ، وغيرها من الطاقات المعنوية الأخرى التي تؤثر في المجهود الحربي ، تحشد كلها لاحراز النصر .

وقد كانت القوات المسلحة النظامية مسئولة وحدها عن احراز النصر ، فأصبح كل قادر على حمل السلاح مسئولا عن هذا النصر .

وكانت أموال الدولة ومصانعها الحربية مسئولة عن تمويل الجيش النظامي وتسليحه وتجهيزه ، فأصبحت في الحرب الاجماعية كل أموال الأمة أفرادا وجماعات ، وكل مصانع البلاد الحكومية والخاصة ،

مسئولة عن تمويل المقاتلين وتسليحهم وتجهيزهم •

حين صدر كتاب : الأمة فى الحرب الذى ألفه المشير لودندروف رئيس هيئة أركان حرب المشير فون هندنبرغ أعظم قادة ألمانيا القيصرية فى الحرب العالمية الأولى ، وأصدره بعد الحرب العالمية الأولى ، ظن الناس أن لودندروف هو أول من وضع أسس الحرب الاجماعية فى التاريخ العسكرى ، وسرى هذا الاعتقاد فى الشرق والغرب كقضية مسلمة بها ، وكان من الذين آمنوا بذلك قادة الجيوش العربية والاسلامية فى بلاد العرب وديار الاسلام ، فدرسوا هذا الكتاب القيم حقا ودرسوه فى الكليات العسكرية وكليات الأركان والقيادة ، وكليات الدراسات العسكرية العليا •

المهم : أن الحرب الاجماعية لم تطبق الا خلال الحرب العالمية الثانية تطبيقا كاملا كما جرى فى بعض دول الحلفاء كبريطانيا والاتحاد السوفياتى ، وفى بعض دول المحور كألمانيا الهتلرية ، كما طبقت هذه الحرب تطبيقا جزئيا فى ايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية •

أما قبل الحرب العالمية الثانية ، فلم تطبق هذه الحرب فى أية دولة من دول العالم •

— ٢ —

ان الاعتقاد السائد بين مفكرى العالم المعنيين بالدراسات العسكرية مدنيين وعسكريين ، بأن المشير لوندروف هو الذى وضع أسس الحرب الاجماعية ، لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وهو محض افتراء •

كما أن الفكرة السائدة ، بأن ألمانيا وبريطانيا والاتحاد السوفياتى هى التى طبقت الحرب الاجماعية تطبيقا كاملا فى خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ، خطأ فاحش لاصلة له بالواقع ولا يمت الى الحقيقة بشىء •

ان الاسلام هو الذى وضع أسس الحرب الاجماعية بنص القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله علية وسلم •

وقد طبق المسلمون الحرب الاجماعية قبل أربعة عشر قرنا فى أيام الرسول القائد عليه أفضل

الصلاة والسلام ، وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم بعد التحاق النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى سنة احدى عشرة الهجرية الى أن توقف مد هذا الفتح سنة أربع وتسعين الهجرية .

قال تعالى فى كتابه العزيز : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وهذه الآية الكريمة من سورة التوبة وغيرها من الآيات ، تقرر أسس الحرب الاجماعية باحكام وايجاز .

ذكر المفسرون فى معنى : خفافا وثقالا : الشباب وهم خفاف ، والشيوخ وهم ثقال .

والركبان وهم خفاف ، والمشاة وهم ثقال .

والفقراء وهم خفاف ، والأغنياء وهم ثقال .

والأصحاء وهم خفاف ، والمرضى وهم ثقال .

وغير المعيلين وهم خفاف ، والمعيلون وهم ثقال .

فمن يبقى من الأمة ، اذا شهد الحرب الشباب والشيوخ ، والركبان والمشاة ، والفقراء والأغنياء ، والأصحاء والمرضى ، والمعيلون وغير المعيلين ؟

ومعنى ذلك : أن التفسير العام للجهاد الاسلامى ، وهو ما يطلق عليه الفقهاء : فرض عين ، يشمل جميع القادرين على حمل السلاح من المسلمين ، ولا يتخلف مسلم عن الجهاد الا اذا سلك سبيل غير المؤمنين ، حيث ينبذه المجتمع الاسلامى ، وينظر اليه نظرة الاحتقار والازدراء .

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) ، ايضاح لما سبق من الآية الكريمة : (انفروا خفافا وثقالا) ، فكل قادر على حمل السلاح يجاهد بنفسه ، وكل قادر على الجهاد بالمال يجاهد بماله ، وكل قادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معا .

وهذا هو حشد الطاقات المادية والمعنوية كلها للمجهود الحربى .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة فى الجهاد بالأموال والأنفس ، وفى كل آية تسبق كلمة (الأموال) كلمة (الأنفس) لأن المال عصب الحرب ، وبالامكان الاستفادة منه تموينا وسلاحا وتجهيزاً وعتادا وتنقلا هذا فى الحرب ، واعدادا للجيش واعالة لعوائل المجاهدين والشهداء فى السلام .

أما الأحاديث التى وردت فى الحث على الجهاد فكثيرة جدا :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » ، والجهاد باللسان هو الحرب الدعائية أو الحرب الاعلامية .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » حثا على اعداد الخيل للجهاد ، وهو جزء من اعداد القوة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، ومنبله ... وارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الى من أن تركبوا ، ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها ، أو قال : كفرها » ، حثا على التسليح والتدريب واستمرار التدريب .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يغز ولم يجهز غازيا ،أو يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » ، حث على الجهاد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبه من النفاق » ، حثا على الجهاد فى سبيل الله .

— ٣ —

لقد شهد القتال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم شباب صغار السن ، وكبار شيوخ ، وأصحاب عاهات مستدامة كالعرج وضعف

البصر ، ولا أعلم مسلما تخلف عن الجهاد الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، غير الثلاثة الذين خلفوا عن (غزوة تبوك) فقاطعهم المسلمون وهجرهم أهلهم حتى زوجاتهم ، فلما تابوا تاب الله عليهم بعد أن تحملوا الأهوال من مقاطعة المسلمين وذوى القربى لهم .

وقصة تخلف هؤلاء الثلاثة نزل فيها قرآن : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ...) الآية .

وقد شهد المسلمون معارك الفتح الاسلامى العظيم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، واستشهد كثير منهم ، يضيق عنهم الحصر ، وفى معركة اليمامة التى قاد المسلمين فيها خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقاد فيها المرتدين مسيلمة الكذاب ، استشهد من القراء ـ وهم علماء الصحابة ـ ثلاثمائة فى رواية ، وخمسمائة فى رواية أخرى .

وحين سأل قائد من الروم وقع فى الأسر خالد بن الوليد رضى الله عنه فى معركة (اليرموك) الحاسمة عن سر انتصار المسلمين انتصارا كاسحا فى كل معركة خاضوها ؟ فقال خالد : « ليس فى أصحابى رجل الا ويتمنى أن يموت قبل صاحبه ، وليس فى أصحابك رجل الا ويتمنى أن يموت صاحبه قبله » .

حتى النساء قاتلن فى صفوف المسلمين فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم كما فعلت نسيبة أم عمارة المازنية فى (غزوة أحد) حتى خلصت الجراح اليها فسقطت فاقدة الوعى ، وكما فعلت خولة بنت الأزور فى معارك الفتح الاسلامى العظيم ، وقد ركبت ابنة ملحان زوجة عبادة بن الصامت البحر (انظر باب : غزو المرأة فى البحر الوارد فى صحيح البخارى) ، وفى صحيح البخارى : باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، و : باب حمل النساء القرب الى الناس فى الغزو ، و : باب مداواة النساء الجرحى فى

الغزو ، و : باب رد النساء الجرحى والقتلى .

وقد كان أغنياء المسلمين ، لا يكتفون بالجهاد بأنفسهم ، بل يجهزون المجاهدين أفرادا وجماعات، ويخلفون المجاهدين فى ذويهم وينفقون عليهم بسخاء ويواسونهم ، رعاية ، وحنوا ، ووفاء .

جهز عثمان بن عفان رضى الله عنه جيشا كاملا هو جيش العسرة الذى زحف الى (تبوك) بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم .

وأنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فى سبيل الله ، فمات متخللا بعباءته .

وحين سار المسلمون لفتح الشام، خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه يودع المجاهدين ، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة ، فانتهى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فاذا بخباء عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه ، فسلم عليه وجزاه خيرا وعرض عليه المعونة ، فقال عكرمة : « لا حاجة لى فيها ، معى ألفا دينار » ، فدعا له أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

* * *

تلك هى الحرب الاجماعية التى طبقها المسلمون فى الصدر الأول للاسلام ، فوحد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خلال عشر سنوات لأول مرة فى التاريخ : شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام .

وامتد الفتح الاسلامى العظيم بعد النبى صلى الله عليه وسلم خلال ثمانين سنة ، من سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، الى الصين شرقا ، الى قلب فرنسا غربا .

فلا تعجب من سرعة توحيد شبه الجزيرة العربية وسرعة الفتح ومن سر الفتوح والتوحيد ! ؟

السر فى كل ذلك : الايمان العميق الذى جعلهم ينفرون خفافا وثقالا ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

ولكن الحرب الاجماعية فى الاسلام حرب دفاعية ، هدفها حماية

حرية نشر الدعوة الاسلامية ، واقرار السلام .

وهذه الحماية واقرار السلام ، بحاجة الى قوة ، اذ لا يحترم أحد الضعفاء .

— ٤ —

ان تعداد العرب اليوم مائة وعشرون مليونا من البشر .

وقاعدة النفير تنص على أن عشرة بالمائة من تعداد السكان ، قادرون على حمل السلاح .

وقد استطاع العدو الصهيونى فى حرب ١٩٦٧ تجاوز هذه النسبة ، فحشد أحد عشر بالمائة فى ميدان القتال ، بينما حشد العرب ثلاثة بالألف من المقاتلين فى تلك الحرب!

أما المسلمون بحربهم الاجماعية ، فقد حشدوا أربعين بالمائة من المجاهدين فى ميدان الجهاد، وهذه النسبة عالية لا يرقى اليها طموح غير المسلمين حتى فى القرن العشرين الميلادى .

وتعداد المسلمين اليوم بلغ ستمائة مليون نسمة .

ومعنى ذلك : أن العرب يستطيعون حشد اثنى عشر مليون مقاتل ، والمسلمين يستطيعون حشد ستين مليونا من المقاتلين .

فأين يكون العدو الصهيونى ، لو صدق العرب والمسلمون ماعاهدوا الله عليه ؟ !

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يغلب جيش من اثنى عشر ألف من قلة » ، وطبعا لابد من أن يكون هذا الجيش من المؤمنين الصادقين ، والمجاهدين الصابرين .

ان اثنى عشر ألفا بالنسبة لتعداد العرب واحد من كل عشرة آلاف ، وبالنسبة لتعداد المسلمين واحد من كل خمسين ألفا !!!

ألا يستطيع العرب والمسلمون اليوم أن يهيئوا هذا العدد من المجاهدين ؟ ! واخجلاه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ووا أسفاه على العرب والمسلمين ! ؟

* * *

ان المسلمين حين تركوا الجهاد ذلوا وتداعت عليهم الأمم .

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... واذا تركتم الجهاد ،

سلط الله عليكم ذلا ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ولن يعود المسلمون الى سالف عزهم ومجدهم ، ما لم يتحملوا فريضة الجهاد بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء .

لذلك قال الله تعالى فى نهاية الآية الكريمة : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)، والخير الذى بشر به سبحانه وتعالى هو : احراز النصر .

* * *

ولكن ، شتان بين الحرب الاجماعية فى الاسلام ، والحرب الاجماعية فى الأمم الأخرى .

الحرب الاجماعية فى الاسلام دفاعية لا عدوانية ، هدفها حماية حرية نشر الدعوة أولا ، وتوطيد أركان السلام ثانيا ، كما ذكرنا من قبل .

والحرب الاجماعية فى الأمم الأخرى هجومية عدوانية ، تهدف الى الاستغلال والاستعباد والسيطرة على الموارد الاقتصادية والخامات .

والحرب الاجماعية فى الاسلام حرب عادلة ، بينما هى فى الأمم الأخرى - على الغالب - غير عادلة .

وصدق غوستاف لوبون : « لم يعرف العالم فاتحا أرحم من العرب» .

ان العرب والمسلمين بالجهاد ، قادوا العالم سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، قرونا طويلة .

والعرب والمسلمون بدون جهاد ، غثاء كغثاء السيل : مظهر بلا مخبر ، وأعداد ضخمة بدون فائدة ، وذل واستكانة ، وهوان وعبودية ، وتخلف عن ركب الحضارة العالمية ، المؤيدة بالقوة ، المدعمة بالسلاح .

فمتى يسترخص العرب والمسلمون أنفسهم وأموالهم لاعلاء كلمة الله ؟ وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) .

محمود شيت خطاب

أضواء على سيرة الإمام الماوردى ومؤلفاته وعصره

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى

— ٣ —

١ ـ معاصرو الامام الماوردى فى المشرق :

مع ما يتسم به عصر الماوردى من اضطراب الأمن واحتدام المنازعات بين الفرق المتصارعة وتضاؤل نفوذ الخلفاء فقد ازدان هذا العصر بمن نبغ فيه من أعلام العلماء فى مجالات الفكر والعلوم الاسلامية ممن تزخر بسيرهم العطرة معجمات التراجم وكتب الطبقات . ولا ندرى عما اذا كانت هناك علاقة بين اقتران ذلك الازدهار الثقافى بالتدهور السياسى . اذ أن ظاهرة العصور الذهبية لثقافة من الثقافات ليست مما يمكن تعليله فى كثير من الأحيان .

ونذكر من هؤلاء الأعلام فى الفلسفة والعلوم : ابن سينا ، وابن مسكويه، والبيرونى . ومن المتكلمين : القاضى البلاقلانى ، والقاضى عبد الجبار . ويهمنا بصفة خاصة من هؤلاء المتكلمين : عبد القاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ الذى عالج موضوع الامامة من وجهة نظر أهل السنة فى كتابيه : أصول الدين والفرق بين الفرق ، مثلما صنع الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية . غير أن البغدادى فى موضوع تعدد الأئمة أجازه اذا كان هناك بينهما فاصل جغرافى . وهذا مما لم يقره الماوردى . ولفظ البغدادى فى هذا الصدد كما فى ص ٢٧٤ من كتابه أصول الدين :

« اختلف الموجبون للامامة فى عدد الأئمة فى كل وقت . فقال أصحابنا :لا يجوز أن يكون فى الوقت الواحد امامان واجبى الطاعة وانما تنعقد امامة واحد فى الوقت ويكون الباقون تحت رايته . وان خرجوا

عليه من غير سبب يوجب عزله فهم بغاة ، الا أن يكون بين البلدين بحر مانع من وصول نصرة أهل كل واحد منهما الى الآخرين فيجوز حينئذ لأهل كل واحد منهما عقد الامامة لواحد من أهل ناحيته » .

وقد علق على ذلك المستشرق ابروين روزنتال Erwin I.J. Rosenthal فى ص ٣٢ : ٣٣ من كتابه : الفكر السياسى فى الاسلام فى العصر الوسيط (كمبردج سنة ١٩٥٨ م) قائلا : « ان الماوردى يعارض الأشعرى فى هذا التعدد ولا يعترف الا بالخليفة العباسى فى بغداد منكرا خلافة الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر . ومع انكار البغدادى لذلك فانه مع ذلك يبيح فى النهاية هذا التعدد اذا كانت هناك بين الأئمة شقة فاصلة . فهو يقر هذا التعدد على اعتبار أنه حقيقة واقعة » .

ولنمض: فى ذكر عدد من معاصرى الماوردى من الفقهاء لنخلص الى نتائج مهمة نذكرها فيما بعد : ونبدأ بأبى حامد الاسفراينى أحد شيوخ الماوردى ، وهو من فقهاء الشافعية له فى المذهب التعليقات الكبرى ولد فى عام ٤٠٦هـ . ومن هؤلاء الأعلام: أبو بكر القفال المروزى شارح فروع أبى بكر الحداد المصرى والمتوفى عام ٤١٧ هـ . وأبواسحاق الاسفراينى الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى المتوفى عام ٤١٨ هـ له الجامع فى أصول الدين ، والرد على الملحدين . أخذ عنه القاضى أبو الطيب الطبرى أصول الفقه . وبنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور . والمدرسة هنا يقصد بها ما يسمى فى عصرنا بالكلية الجامعية لأن مستواها هو مستوى الدراسات العالية وبهذا المعنى يترجمها المستشرقون . وكانت المدارس فى هذا العصر تبنى للعالم الذى طبقت شهرته الآفاق . هذا وقد ذكر عبد الغافر الفارسى : أبا اسحاق الاسفراينى فى كتابه سياق تاريخ نيسابور وقال فى حقه : أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره فى العلوم واستجماعه شرائط الامامة .

واختلف الى مجلسه أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة وأكثر الحافظ أبو بكر البيهقى الراوية عنه فى تصانيفه .

ومن معاصرى الماوردى أحمد ابن محمد القدورى المتوفى عام ٤٢٨ هـ . صنف فى المذهب الحنفى المختصر المشهور . وكان يناظر أبا حامد الاسفراينى الفقيه الشافعى . والحسين بن على الصيمرى المتوفى عام ٤٣٦ هـ من كبار فقهاء الأحناف له كتاب ضخم فى أخبار أبى حنيفة وأخذ عنه قاضى القضاة الدامغانى . وأبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى المتوفى من مائة واثنتين من السنين فى عام ٤٥٠ هـ الذى توفى فيه الماوردى . حضر مجلس أبى حامد الاسفراينى . وعليه اشتغل أبو اسحاق الشيرازى الذى قال فى حقه : لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهادا وأشد تحقيقا وأجود نظرا منه . شرح مختصر المزنى وفروع أبى بكر الحداد المصرى وصنف كثيرا من الكتب فى الأصول والمذهب والخلاف والجدل .

وممن توفوا بعد الماوردى ويعدون ـ مع ذلك ـ من معاصريه : أبوبكر البيهقى الفقيه الشافعى الحافظ المتوفى عام ٤٥٨ هـ . غلب عليه الحديث وهو أول من جمع نصوص الشافعى فى عشرة مجلدات ، من مصنفاته أيضا : السنن الكبير والسنن الصغير ودلائل النبوة وشعب الايمان . وكان أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعى ـ وقال امام الحرمين الجوينى فى حقه : ما من شافعى المذهب الا وللشافعى عليه منة الا البيهقى فان له على الشافعى منة .

ويتضح من تراجم هؤلاء الأعلام أن المذهب الشافعى كان له مكان الصدارة فى مشرق العالم الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى وانتقلت هذه الصدارة للمذهب الى مصر والشام والحجاز بعد سقوط الدولة الفاطمية بما أنشأه صلاح الدين من مدارس الشافعية فى مصر (خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٦١) . وبلغ من اعتزاز الجلال السيوطى بالمذهب الشافعى فى كتابه حسن المحاضرة (جـ ٢ ص ١١١ : ١١٢) قوله عن

التاج السبكى : « قال أهل التجربة ان هذه الأقاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعى زالت دولته سريعا . وأضاف التاج السبكى قول والده أنه « سمع الشيخ صدر الدين ابن المرحل يقول ما جلس على كرسى مصر غير الشافعى الا وقتل سريعا . قال وهذا الأمر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعى الا قطز (أى السلطان قطز) كان حنفيا ومكث يسيرا وقتل » .

ومن معاصرى الماوردى : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى عام ٤٦٥ هـ وهو العلامة فى الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والتصوف ، جمع بين الشريعة والحقيقة . حضر على الدقاق ودرس الفقه ، واختلف الى أبى بكر بن فورك ودرس عليه الأصول، ثم تردد الى أبى اسحاق الاسفراينى والباقلانى ، وصنف التفسير الكبير والرسالة فى رجال الطريقة . وكان اماما فى مجالس الوعظ والتذكير ، ذكره الباخرزى فى دمية القصر وقال فى حقه : « لو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ربط ابليس فى مجلسه لتاب » .

ومن طريف ما جاء فى سيرة القشيرى : أنه كانت له فى الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء .

ونذكر من متأخرى معاصرى الماوردى : أبا اسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى عام ٤٧٦ هـ صحب أبا الطيب الطبرى وناب عنه فى مجلسه ، ورتبه معيدا فى حلقته . ثم صار مرجع الطلاب فى الشريعة ومفتى الأمة فى عصره واشتهر بقوة الحجة فى الجدل والمناظرة . وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فى بغداد . ومن مؤلفاته التنبيه والمهذب فى الفقه ، والتبصرة فى أصول الدين ، وطبقات الفقهاء ، واللمع والملخص والمعونة فى الجدل .

وأبو نصر الصباغ الفقيه الشافعى المتوفى عام ٤٧٧ هـ له الشامل فى الفقه الذى يعد من أصح الكتب نقلا وأثبتها أدلة كما أن له العدة فى

أصول الفقه . هـذا وكان الصباغ يضاهى أبا اسحاق الشيرازى وتقدم عليه فى معرفة المذهب وكانت الرحلة اليه من البلاد المختلفة .

ونختم هؤلاء بامام الحرمين أبى المعالى الجوينى المتوفى عام ٤٧٨هـ. ويعد أعلم المتأخرين من أصحاب الامام الشافعى . وهو المجمع على امامته المتفق على غزارة مادته وتفننه فى العلوم من الأصول والفروع . جاور بمكة أربع سنين ثم عاد الى نيسـابور فى أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقى . وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور . من تصانيفه الشامل فى أصول الدين ، والبرهان فى أصول الفقه ، وتلخيص التقريب ، والارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأمم فى الامامـة ، وغنيـة المسترشدين فى الخلاف .

هذا وقد تجنى امام الحرمين فى كتـابه غيـاث الأمم عـلى الامـام المـاوردى . جاء فى كتاب طبقات الشافعية بقلم عبدالرحيم بن الحسن الاسنوى (جـ ٢ ص ٣٨٨) : قول الاسنوى فى ترجمة المـاوردى : ان امام الحرمين لم ينصف المـاوردى اذ قال فى تصنيفه المسـمى غيـاث الأمم (لامام الحرمين) ان الماوردى يقـول فى كتابه الأحكام السلطانية انه يجوز أن يكون الذمى وزيرا . وأضاف امام الحرمين : ومن هـذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى للتصنيف والفتوى ؟

وعلق الاسنوى على ذلك قائلا : والذى جـوزه المـاوردى انمـا هـو وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض .

وفى ص ٢٢ من الأحكام السلطانية بيـان شاف يدل على أن امام الحرمين لم يكن دقيقا فى نقـده فقـد قال المـاوردى : « ويجـوز أن يكون هذا الوزير (أى وزير التنفيذ) من أهل الذمة ، وان لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم . ويكون الفرق بين هاتين الوزارتين بحسب الفـرق بينهما فى النظرين . وذلك من أربعة أوجه : أحـدها : أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى

المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ والثانى : أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة وليس ذلك لوزير التنفيذ . والثالث : أنه يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ . والرابع : أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال ... وليس ذلك لوزير التنفيذ . وليس فيما عدا هذه الأربعة ما يمنع أهل الذمة منها الا أن يستطيلوا فيكونوا ممنوعين من الاستطالة » .

وذكر الماوردى أيضا هذا التقسيم بين اختصاصات كل من وزير التفويض ووزير التنفيذ فى رسالته التى أسماها : قوانين الوزارة وسياسة الملك (ص ١٠ من طبعة القاهرة سنة ١٩٢٩ م) .

٢ ـ حرية الفكر فى المشرق فى القرن الخامس الهجرى :

ان نبوغ هذه الجمهرة من أعلام العلماء والفقهاء ليدل على وجود قدر من حرية الفكر يتيح لهؤلاء الانصراف الى دراساتهم ومتابعة نشاطهم العلمى ـ وتميز عدد غير قليل من الفقهاء وفى مقدمتهم الماوردى بالاجتهاد فى استنباط الأحكام الشرعية . بل ذهب الماوردى فى كتابه أدب القاضى (ج ١ ص ٦٤٤ ، ٦٤٥) الى أنه يجوز للقاضى أن يحكم بغير مذهبه وعبارته : « وان اعتزى (القاضى) الى مذهب من مذاهب أئمة الوقت كمن أخذ بمذهب الشافعى او بمذهب أبى حنيفة لم يجز أن يقلد صاحب مذهبه وأن يعمل على رأيه واجتهاد نفسه وان خالف مذهب من اعتزى اليه فان كان من أصحاب الشافعى وأداه اجتهاده الى العمل فيها بقول أبى حنيفة أو كان من أصحاب أبى حنيفة وأداه اجتهاده فيها الى العمل بمذهب الشافعى جاز » .

وهذا الاجتهاد وان بدا محدود الى حد ما فانه يدل على أن باب الاجتهاد كان لا يزال مفتوحا على الأقل فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى .

وحرية الفكر هذه التى كان من رعاتها الأمراء البويهيون صحبها ـ بطبيعة الحال ـ احتدام المنازعات المذهبية والاعتقادية وتراشق الاتهامات بالزيغ والمروق وما أدى

اليه ذلك من الفتن والاضطرابات التى عنى بتفصيل أخبارها المؤرخون وكتاب السير •

ومنها ما أدى الى اضطهاد بعض الفقهاء بل والى قتلهم •

ذكر ابن الأثير فى الكامل (جـ ٩ ص ٧٧) أنه فى سنة ٣٩٨هـ « وقعت الفتنة ببغداد وكان أولها أن بعض الهاشمين أتى ابن المعلم فقيه الشيعة فى مسجده بالكرخ فآذاه ونال منه • فثار به أصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا ، وقصدوا أبا حامد الاسفراينى، وابن الأكفانى، فسبوهما ، وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم ، فهربوا ، وعظمت الفتنة ، ثم ان السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا وعاد أبوحامد الاسفراينى الى مسجده ، وأخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه على بن مزيد فأعيد ». •

هذه حادثة يسيرة سلم فيها أبوحامد الاسفراينى ولكن ما حدث للفقيه الأشعرى أبى بكر بن فورك يكشف عما وصل اليه التعصب بين الفرق المختلفة • وكان ابن فورك شيخا للقشيرى وبلغ من تقواه كما جاء فى ترجمة التاج السبكى له (الطبقات جـ ٣ ص ٥٢ ـ ٥٥ « أنه ما نام فى بيت فيه مصحف قط•واذا أراد النوم انتقل عن المكان الذى فيه اعظاما لكتاب الله عز وجل • ويضيف السبكى : أنه « كان شديدا فى الله قائما فى نصرة الدين ، ومن ذلك أنه فوق نحو المشبهة الكرامية سهاما لا قبل لهم بها • فتحزبوا عليه ونموا غير مرة وهو ينتصر عليهم • وآخر الأمر أنهم أنهوا الى السلطان محمود الغزنوى ان الذى يؤلب علينا عندك أعظم منا بدعة وكفرا ، وذلك أنه يعتقد أن نبينا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم وأن رسالته انقطعت بموته ، فسله عن ذلك ؟

« فعظم على السلطان هذا الأمر وقال : ان صح هذا منه لأقتلنه • وأمر بطلبه • ولما حضر بين يديه وسأله عن ذلك كذب الناقل وقال : ما هو معتقد الأشاعرة على الاطلاق وهو أن نبينا صلى الله عليه وسلم حى

فى قبره رسول الله أبد الآباد على الحقيقة لا المجاز ، وأنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، ولم تبرح نبوته باقية ولا تزال . وعند ذلك وضح للسلطان الأمر وأمر باعزازه واكرامه ورجوعه الى وطنه ، فلما أيست الكرامية وعلمت أن ما وشت لم يتم وأن حيلها ومكائدها قد وهت ، عدلت الى السعى فى موته والراحة من تعبه فسلطوا عليه من سمه فى الطريق » . وكان ذلك فى سنة ٤٠٦ هـ .

هذه الحادثة تدل على اضطهاد الكرامية المشبهة للأشاعرة . وهذا التعصب من جانبهم انما هو استمرار للنهج الذى سارعليه الخليفة المتوكل العباسى فى اضطهاده للمعتزلة ابتداء من سنة ٢٣٤ هـ . وقد سار السلاجقة فى أوائل عهدهم على سياسة اضطهاد الأشاعرة . ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٥٦ هـ (جـ ١٠ ص ١٢) أن عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك كان شديد التعصب على الشافعية ـ ويرجع هذا فى نظرنا الى أن الفقهاء الشافعية كانوا يدينون بعقائد الأشعرية بدليل أن ابن الجوزى فى ترجمته لأحمد بن محمد السمنانى المتوفى فى عام ٤٦٦ هـ وكان من قضاة الأحناف قال : انه كان أشعريا . ثم أضاف بأن « هذا مما يستظرف أن يكون الحنفى أشعريا » . (انظر المنتظم جـ ٨ ص ٢٨٧) ووجه الاستظراف عند ابن الجوزى هو ندرة من يقول بعقيدة الأشعرى فى هذا العصر من فقهاء الأحناف والمالكية دون الحنابلة الذين يعارضونها . هذا ولم يتضح لنا السبب فى اقبال الفقهاء الشافعيين على اعتناق عقيدة الأشعرى دون غيرهم من الأحناف والمالكية فى هذا العصر . وانفراد الشافعيين بذلك كان مما حمل الكندرى على اضطهادهم .

يقول ابن الأثير بعد أن ذكر شدة تعصب الكندرى على الشافعية : انه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن فى ذلك ، فأمر بلعنهم ، وأضاف اليهم الأشعرية . فأنف من ذلك أئمة خراسان ومنهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى

وغيرهما ففارقوا خراسـان وأقام الجوينى بمكـة أربع سـنين يدرس ويفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظـامية (أى وزارة نظام الملك الذى وزر للسلطان ألب أرسـلان) أحضر من امتزج منهم وأكرمهم وأحسن اليهم .

وأفاض التاج السبكى فى شرح هذه الفتنة وايراد أخبارها (الطبقات جـ ٢ ص ٢٦٩ – ٢٧١) ومما قال : « ان هـذا الأمر أدى الى التصريح بلعن أهل السنة فى الجمع وتوظيف سبهم على المنـابر . فصـار لأبى الحسن الأشعرى أسوة بعلى بن أبى طالب فى زمن بنى أمية » .

٣ ــ الادعاء بان الماوردى كان معتزليا:

نقل التاج السبكى عن بن الصلاح قوله ان المـاوردى يتهـم بالاعتزال وانه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيـان ما هو الحق .. وانه يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة .. ومضى ابن الصـلاح يقول « ان تفسـيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل .. مع أنه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتسـاب الى المعتزلة بل يجتهد فى كتمـان موافقتهم فيمـا هو لهم فيـه موافق » . غير أن ابن الصلاح أضاف قائلا : «ثم هو ليس معتزليا مطلقا فانه لا يوافقهم فى جميع أصـولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسـيره فى قوله عز وجل : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » (الأنبياء ٢) وغير ذلك ويوافقهم فى القدر وهى البليـة التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما » .

كان الأحرى بالتاج السبكى أن يناقش دعوى ابن الصلاح وأن يتحقق منها بالرجوع الى تفسـير المـاوردى وكتـابه الحاوى وألا يكتفى بايراد كلام ابن الصـلاح . وقد نقله عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال (جـ ٣ ص ١٥٥) حيث قال : على بن محمد أقضى القضاة أبو الحسن المـاوردى صدوق فى نفســه ولكنه معتزلى.

كما نقلها طاش كبرى زادة فى مفتاح السـعادة (جـ ٢ ص ١٩١) حيث قـال : قال ابن الصــلاح : هــذا المـاوردى عفا الله عنه اتهم بالاعتزال

ومن ردد هـذه الدعوى أيضـا كمـا يقـول الأسـتاذ محيى هـلال السرحان في مقدمة تحقيقه لكتاب أدب القاضي للمـاوردى (ص ٣٤) الصلاح الصفدى فى مخطوطة كتابه الوافى بالوفيات وابن قاضى شـهبة فى مخطوطة كتابه طبقات الشافعية.

ويقول الأستاذ السرحان فى تفنيد هذه الدعوى : « ان المـاوردى لم يكن معتزليا بل كان مجتهدا..فربما وافق اجتهادى فى الفروع بعض آراء المعتزلة . يضاف الى ذلك أن كثيرا من علماء الحـديث قد وثقوه وأثنوا عليه قبل أن يولد ابن الصلاح وممن وثقـه تلميـذه الخطيب (فى تاريخ بغـداد) وابن الجوزى فى المنتظم (جـ ٨ ص ٢٠٠) ولو كان كذلك لنبهوا عليه » .

ومضى الأسـتاذ السرحان يقول : « ثم ان المـاوردى يخالف المعتـزلة فى مسائل : ذكر النووى الذى هذب طبقات ابن الصلاح فقال: ومما وافق المـاوردى فيه أهل السنة ويخالف فيه المعتزلة خلق الجنة وقـال انهـا مخلوقة كما قال أهل السنة .. ومن الأمور التى يخالف فيهـا المعتزلة قوله ان القرآن لا ينسـخ بالسـنة وهو رأى الشـافعى . فى حين أن المعتزلة يذهبون الى نسـخه بالسنة اذا كانت متواترة . وكذلك يخالفهم فى أن الأمر يجوز أن ينسـخ قبـل التمكن من الامتثال فقد حكى فيه ثلاثة أوجـه (انظر الفقـرة ٧٤٤ وما بعدها من كتاب أدب القاضى) فى حين أن المعتزلة لا يقولون بذلك (كما فى المستصفى للغزالى جـ ١ ص ١٢٢) . ومنها قول المـاوردى: انه ما من حكم شرعى الا وهو قابل للنسخ خلافا للمعتزلة . ومنها مخالفته فى مسألة خلق القرآن كما أشـار اليها ابن الصلاح نفسه (فى مخطوطة كتابه طبقات الشافعية) .

« وغير ذلك من المسـائل وهى كثيرة جدا » بل هى كل المسائل التى يختلف رأى الشـافعى فيها عن رأى المعتزلة سواء أكان ذلك فى قضـايا

التوحيد أم فى الفقه أصوله وفروعه • ولهذا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان (جـ ٤ ص ٢٦٠) : « ولا ينبغى أن يطلق على الماوردى اسم الاعتزال » •

هذا ولا يفوتنا أن ننوه بالجهـد الذى بذله الأسـتاذ محيى هـلال السرحان فى تحقيقـه لكتاب أدب القاضى للماوردى وتصديره بمقدمة قيمة وتذييله بحواش مفيدة وقـد نشر الكتاب فى بغداد فى سنة ١٩٧١م فى جـزئين كبيرين يقـع الأول فى ٧٤٠ صـفحة ، والثانى فى ثمـانمائة صفحة تقدم بها المحقق لنيل درجـة المـاجسـتير وأشرف على التحقيق المرحوم الأستاذ محمد شفيق العانى، وراجعه فضيلة الشـيخ عبد الغنى عبد الخالق • والكتاب عبـارة عن جزئين من كتاب الحاوى للماوردى •

وهكذا ظفرت المكتبـة العربيـة بسـفرين نفيسين هـمـا خير معين للباحثين فى تاريخ الامام المـاوردى وآرائه الفقهية والكلامية ولعله تتاح لنا الفرصة للحديث عن كتاب أدب القاضى وغيره من مؤلفات الماوردى؟

عبد العزيز عبد الحق حلمى

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمـة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »
آل عمـران ٦٤ .

دراسات قرآنية :

المعصية لا تكفر صاحبها

للأستاذ الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة النساء : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا » من الآية ٩٤

وقال سبحانه فى سورة الأنفال : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » الآية ٢٥

البيان

قرأت فى صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٩٧٦/١١/٢٤ وقائع مثيرة تحدث بها السيد / رفعت أبودلال مدير التدريب العسكرى لجماعة تسمى (جماعة التكفير والهجرة) ومما جاء فيها : أن رئيس هذه الجماعة لايرى بأسا بقتل من ينشق على جماعته ، وأنه فعلا تعرض لعدة محاولات منه لاغتياله بعد أن انشق على جماعته لأنه رأى حوله أشياء مريبة جعلته يتركها ، ومنها خطف سيدة من زوجها بعد اختلافه مع رئيسها ، كما تعرض سواه الى الضرب بالمطاوى الى غير ذلك من الحوادث ، وذكر أنهم رصدوا مبالغ ضخمة للتدريب العسكرى للدفاع عن جماعتهم .

وكنا قد قرأنا قبل ذلك عن حوادث العنف والتفريق التى يتبعها أفراد هذه الجماعة وعن أفكارهم وأحوالهم العجيبة مما يدل على ضيق أفقهم وسوء فهمهم لروح الدين .

ولست أدرى بأى شرع يعيش أولئك الذين يكفرون غيرهم من المؤمنين ويوجبون الهجرة من بينهم والعزلة عن المجتمع الاسلامى ، وكيف يختار هؤلاء الشباب أن يعيشوا فى الظلمات يتخبطون فى

دياجيرها ، ويدعون العيش فى النور بين اخوانهم المسلمين ، يتناصحون بالمعروف ويقبلون من محسنهم ، ويعفون عن مسيئهم ، ويحسنون توجيهه فى رفق وهوادة ، تأسيا بقوله تعالى لرسوله فى شأن المقصرين فى غزوة أحد : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ١٥٩ من سورة آل عمران .

هكذا كان مسلكه صلى الله عليه وسلم مع أولئك الذين خذلوه ولم يستمعوا نصيحته فى البقاء على ذروة أحد يحمون ظهور المسلمين ، ثم فروا وتخاذلوا وتأثروا بدعاية المنافقين ، بعد أن نصرهم الله فى أول الغزوة حين كانوا حيث أمرهم رسوله ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما آراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ، فلماذا لا يتأسى هؤلاء بمنهج الرسول فى التسامح مع المخالفين ؟

بأى حق يثيرون الفتنة بين المسلمين ، ويعزلون الشباب عن أسرهم ، ويفرقون بين المرء وزوجه ـ كما كان يفعل السحرة ـ وبأى عقل تعيش تلك النوعيات من الشباب ، حتى رضوا لأنفسهم العزلة الشنيعة ، والفتنة الهدامة ، فى سبيل أوهام زعموها دينا ، وخزعبلات توهموها شريعة ، وخيالات ضالة جعلتهم يزعمون أنهم هم المؤمنون وأن غيرهم هم الكافرون ، ولو فكروا قليلا لعلموا أنهم خوارج على جماعة المسلمين ، وأنهم دعاة التفريق والفتنة ، وأن عليهم أن يتوبوا من اثمهم ، فان لم يفعلوا قوتلوا كما يقاتل الخوارج على الجماعة .

أخرج مسلم بسنده عن عرفجة قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة

وهو جميع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان » وفى رواية أخرى « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جمعكم فاقتلوه » .

كيف يقتلون من خالفهم وهم خوارج على الاسلام والمسلمين ، انهم لا يقاتلون لله ، ولا يقتلون غيرهم لوجه الحق ، فالمؤمن لا يقتل الا قصاصا ، وهم يقتلونه تعصبا ، وعليهم ينطبق قوله صلى الله عليه وسلم: « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، ثم مات مات ميتة الجاهلية، ومن قتل تحت راية عمية (١) يغضب للعصبية ، ويقاتل للعصبية فليس من أمتى ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها ولايتحاشى مؤمنها ، ولا يفى بذى عهدها فليس منى » أخرجه الامام مسلم .

هؤلاء لا يحسنون التأويل

نشأ شباب هذه الجماعة فى جو عقد وشبه دينية ، بثها فى نفوسهم دعاة أغرار ، لا يعرفون كيف يؤولون النصوص وكيف يوفقون بينها عند تعارضها، واستغلوا فى نفوسهم رغبتهم فى الاستقامة فملئوا نفوسهم كراهية للمجتمع ، وصوروه لهم فى صورة كافرة فاجرة جعلتهم يكرهونه ويعلنون عليه حربا غير حكيمة تضر أكثر مما تنفع ، وتهدم أكثر مماتبنى، انهم يقولون لهم : هذه الأمة تحكم بغير حكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فهذه الأمة في نظرهم تعتبر كافرة ـ حاكمها ومحكومها ـ لأنها تحكم بغير ما أنزل الله ، وفات هؤلاء الأغرار ، أن الأمة كلها تريد العودة الى كتاب الله وسنة رسوله ، وأنها لاترضى بغير حكم الله بديلا ، وأنها ورثت هذا التشريع الأجنبى عن الاستعمار البغيض ، وأنها بسبيل الوصول الى مبتغاها من الحكم بشريعة الله ، بما يبذله الحاكم والمحكوم من تهيئة الجو الى تنفيذ أحكام الشريعة ، ومن ذلك قيام الفنيين بمجمع البحوث الاسلامية بتقنين الشريعة الاسلامية، وجعلها مواد

---

(١) أى من اندرج فى قتال تحت راية لجماعة عمية ـ أى لاتدرى الحق بل تقاتل لنحو العصبية والقرابة والهوى ـ فمات ، فليس من الأمة المحمدية .

يتحاكم بها الناس ، وقطعهم فى هذا السبيل مرحلة كبيرة ، وتجاوب أعضاء مجلس الشعب نحو هذا الهدف فى المجلس السابق ، وترقب حسم هذه الرغبة نحو غايتها المأمولة فى المجلس الحالى ، وافساح الحكومة نطاق الحرية أمام الذين يكتبون داعين لتحقيق هذا الهدف السامى الذى يسعى اليه الجميع ، فليس فى الأمة من يرضى الحكم بغير ما أنزل الله تعالى ، والآية واردة فى اليهود حين أعرضوا عن حكم الله فى رجم الزانى المحص وأنكروا وجوده فى كتابهم ، وجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم لعلهم يجدون عنده حكما يخفف حكم الرجم عن بعض زناتهم، فلما حكم النبى صلى الله عليه وسلم بالرجم أنكروه ولم يؤمنوا بهذا الحكم ، ولم يعترفوا بوجوده لديهم ، فأنزل الله فيهم قوله سبحانه : «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ٤٣ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ٤٤ » من سورة المائدة ـ ومن هذا يعلم أن الآية فى اليهود وليست فى المسلمين ، وقال القرطبى فى هذه الآية ومثليتها : (الظالمون والفاسقون) نزلت كلها فى الكفار ، ثبت ذلك فى صحيح مسلم فى حديث البراء ثم قال : وعلى هذا معظم أهل العلم فأما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة .

وحملها بعضهم على من حكم بغير ما أنزل الله كراهة لحكم الله واستنكارا له وايثارا لغيره عليه ، ونسب هذا الى ابن عباس ومجاهد ، وقال به ابن مسعود والحسن .

ويميل الشعبى الى أنها فى اليهود خاصة ، واختاره النحاس ـ قال ـ ويدل على ذلك ثلاثة أشياء ، أن اليهود قد ذكروا قبل هذا فى قوله : « للذين هادوا » فعاد الضمير عليهم ، وأن سياق الكلام يدل عليهم ، ألا ترى أن بعده « وكتبنا عليهم فيها » فهذا الضمير لليهود باجماع ، وأيضا فان اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص ـ فالمعنى على هذا : واليهود

الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

ومنهم من حمل الآية على التغليظ ، قال طاووس وغيره : وليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر ، وهو الذي يعبر عنه بالفسق ، فأمره الى الله تعالى : ان شاء عذبه وان شاء غفر له .

واحتجت الخوارج بالآية على أن الفاسق كافر غير مؤمن ، وقد أخطئوا فى هذا الزعم فان المعصية لاتسلب الحكم بالايمان ، بنص القرآن ، قال تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » الآية ٩ من سورة الحجرات ، فقد أثبتت الآية الايمان للبغاة مع أنهم فسقوا بخروجهم على الامام وقتالهم له .

والايمان هو التصديق القلبى فلا تسلبه المعصية مع بقاء اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « ماالايمان ؟ » قال رسول الله جوابا له « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » الى آخر ما ذكرناه ـ فاذا تحقق هذا فى مؤمن فلا تمحوه معصية اقترفها ، ومن نطق بالشهادتين عصم دمه وماله الا بحق الاسلام ، قال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » .

وقد نهانا الله تعالى عن تكفير من أعلن اسلامه وخضوعه بقوله : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . . » الآية ٩٤ من سورة النساء

وسبب نزولها أخرجه البخارى عن ابن عباس قال : « كان رجل فى غنيمة له ، فلحقه المسلمون فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته « فأنزل الله فى ذلك الى قوله « عرض الحياة الدنيا » تلك الغنيمة ، وحمل رسول الله ديته الى أهله ، ورد عليه غنيماته » وأخرج أحمد والترمذى وحسنه ، وابن حميد وصححه عن ابن عباس رضى الله

عنهما قال : «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم ، فقالوا : ما سلم علينا الا ليتعوذ منا ، فعمدوا له فقتلوه ، وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت » .

وأخرج ابن جرير عن السدى قال :«بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أسامة بن زيد الى بنى ضمرة، فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك ، معه غنيمة له وجمل أحمر ، فأوى الى كهف جبل وأتبعه أسامة ، فلما بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه ، ثم أقبل عليهم فقال : السلام عليكم ، اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فشد عليه أسامة فقتله من أجل جمله وغنيمته » ثم ساق باقى الحديث وقد جاء فيه أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك رفع رأسه الى أسامة معاتبا ولائما وقال له : «كيف أنت ولا اله الا الله ؟ فقال : يارسول الله : انما قالها متعوذا يتعوذ بها ، فقال عليه الصلاة والسلام: هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه » ثم نزلت الآية .

ومن هذه الروايات وغيرها يعرف انها نزلت فى عدة وقائع، وان المقصود فيها كلها واحد ، وهو أن الاسلام يثبت بالنطق بالشهادة والاستسلام بأدائها ، وأنه بذلك يعامل معاملة المسلمين ، ولا يحل اتهامه بالكفر باطنا ، فان القلوب بيد الله ، وحسابهم عند الله على نواياهم ، واذا كان الاسلام يحرم تكفير من نطق بالشهادة وينهى عن أن يقال له : لست مؤمنا ، فما ظنك بمن نشأ مسلما ومؤديا للشعائر الاسلامية ، فمثله لا يحل تكفيره بارتكابه معصية من المعاصى ولا بتعامله فى قضاياه بالاحكام الوضعية وهو كاره لها راغب فى أن تعدل وفقا لشريعة الله ومناد بذلك ، وقريبا سنصل الى تحقيق هذا الأمل المنشود الذى دعا اليه القضاة والوزراء والكتاب ، وأعضاء مجلس الشعب ، فلا مجال لليأس ، ولا محل لتكفير المؤمنين واثارة الفتنة بينهم ، وليس من الحكمة اختباؤكم فى الكهوف ،أو هجرتكم وتعطيل القوى التى أمدكم الله بها وتوجيهها لمعاداة الأمةوالخلاف

معها ، أو حبسها واضاعتها فى أوهام وخيالات ، فعودوا الى أمتكم ، واعملوا بحكمة ومحبة وتعاون على الخير « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وليكن شعاركم قوله صلى الله عليه وسلم : «رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس ، واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فلا تسعوا فى الفرقة والخلاف ، ولاتغالوا فيما أنتم عليه،فتظنوا أنكم به خير من الناس ،ففى الناس خير كثير،وربما كان أفضل مما لديكم ، والتزموا فى الدعوة السبيل الذى شرعه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« حدث مبارك الطبرى قال :

سمعت : معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى يقول سمعت المنصور يقول للمهدى :

يا أبا عبد الله ، الخليفة لا يصلحه الا التقوى ، والسلطان لا يصلحه الا الطاعة ، والرعية لا يصلحها الا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه » .

كتاب الفاضل : لأبى العباس المبرد عدد ٢ ص ٨٨ .

حقيقة أتاتورك

بقلم : الدكتور عبد الودود شلبى

أتاتورك .. أو الذئب الأغبر كما أطلق عليه « أميل لود فيج » .

لقد بعث من جديد هنا فى مصر ، وظهر ممتطيا صهوة جواده على صفحات الجرائد والمجلات وفى دور النشر .

فكيف خرج فجأة من القبر ؟ وما الذى يذكرنا به أن نسيه الترك ؟ كلها أسئلة لا تجد جوابا مقنعا .. انها شىء أشبه بالتهاويم والألغاز فى عالم السحر أو عثرة لسان فى سياق الأحاديث والذكريات التى تدور هذه الأيام فى مصر ، وأيا كان الجواب عن أى من هذه الأسئلة .. فالذين يحسنون الظن بالذئب لم يقرءوا تاريخه جيدا .. والذين يكتبون عنه لم يعرفوه كثيرا .

لقد بدأ حياته مجاهدا ، وسماه الشعب التركى « غازيا » وفى دعوته الى عقد اجتماع «الجمعية الوطنية كتب بالحرف الواحد قائلا :

«(بما أن افتتاح الجمعية الوطنية الكبرى) » يصادف يوم الجمعة فعلى جميع النواب والشخصيات الوطنية أن تحضر الى المسجد الكبير فى أنقرة حيث ستتلى آيات القرآن الكريم ، وتقام الصلاة فى هذا اليوم المقدس وبعد الصلاة يقوم النواب الى مبنى الجمعية الوطنية الكبرى حيث يرفع العلم فوق ساريته ، وتذبح الخراف وفقا لتقاليد الأضحى الاسلامية ، وتأكيدا لعظمة هذا اليوم المقدس يتوجب على جميع حكام الألوية أن يدعوا الناس للصلاة فى المساجد حيث تتلى السيرة النبوية وتتلى آيات الذكر الحكيم (١) » .

---

(١) انظر : « حوار فى انقرة » تاليف محمد جلال كشك ص ٥٤ ، ٥٥ طبعة المختار الاسلامى .

هكـذا كان « أتاتورك » في مطلع حياته .. كانت والدته الصالحة ترغب في أن يكـون « خوجـة » أي عالما يدعو الى الله بالحكمـة والموعظـة الحسنة .. فما الذي جرى له وعليه بعد ذلك ؟

هـل كـان أصـلا من طـائفـة «الدونمة»(١) ؟ أم ماسونيا وقـع في حبائل « اليهودية » العالمية ؟ أم قوميا من غلاة الطورانية التركية ؟

كل هذا ممكن وجائز ... ولكن الحكم على هـذا النوع من الرجـال لا يجيء عفوا وعاطفة ، انمـا يكون الحكم صـادقا وأمينا بالواقع الذي لا يعتريه شك والدليل الناطق بالحقيقة والحق .

لقد رسـخ في ذهني منذ سـنوات دراستي الأولى في الأزهر في مطلع الأربعينات من هذا القرن . أن مصطفى كمال من زعماء الاسلام والجهاد في هذا العصر . كنت قد قرأت كتابا من كتب تلك السلسلة التي كان يصدرها الأسـتاذ محمد صـبيح عن القـادة والزعماء في الشرق والغرب وأذكر أنه قال في كتابة عن أتاتورك .

« لو لم يكن عمـل شيئا يستحق عليه المثوبة والأجر لكفاه سببا لدخول الجنة تحـرير وطنه من الاحتـلال والقهر » .

ولقـد نظر الكثيرون من الزعمـاء والقادة الى مصطفى كمال نظرة اعجاب وحب وكـان المرحـوم مصـطفى النحاس باشا من المعجبين به هنـا في مصر .. وقـد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به في مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والـده كان يعلق صـورته في البيت . ويشـيد بزعامته وجهاده في كل وقت .

فهـل كان « أتاتورك » يسـتحق كل هذا الاعجاب والحب ؟ ان مافعله الرجل لتحرير بلاده عظيـم من غير شك .

---

(١) طائفة من اليهود الذين تظاهروا باعتناق الاسلام وعاشوا في كنف الدولة العثمانية بمدينة « سالونيك » اليونانية .

لكن •• قليل هم العظماء والزعماء الذين يثرون هذه العظمة وتلك الزعامة الى نهاية الشوط •

«هتلر» ••• كان أكثر عظمة من أتاتورك •• وانتهى به الأمر الى الانتحار فى قبر مظلم تحت الأرض• و « موسولينى » فعل لايطاليا أكثر مما فعل أتاتورك••وكان مصيره الصلب على جذع شجرة فى جبال الألب •وغيرهما كثير من المغرورين والزعماء الذين جلبوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجدب !!!

* * *

لقد بدأت معرفتى تتسع حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كمبردج CAMBRIDGE والتقيت هناك مصادفة ببعض الطلبة الأتراك الذين يدرسون فى جامعتها الشهيرة • وبعد أن تعارفنا وتعمقت بيننا الألفة سألت هؤلاء الأخوة قائلا :

«ترى الى أى مدى نجح أتاتورك ، وفى أى صف من القادة العظام يضعه الناس والشعب •

وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف •• وقالوا : لا تقل « (أتاتورك)

بل قل (أخبث ترك) !!

فعلمت منذ هذه اللحظة أن « أتاتورك » معناها (أبو الترك) وأن هؤلاء الأخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كأب •• بل هو فى نظرهم أخبث الخبثاء الذين نكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج قبل أربع سنوات التقيت فى فندق « جدة بالاس » ببعض زعماء حزب السلامة الوطنى • وسمعت من هؤلاء النواب والقادة ما لا يكتب وكشفوا النقاب عن كثير من حياة « الذئب » أو « الثعلب » •

لكن لماذا أكتب اليوم عن هذا الرجل ؟

لقد كتب الأستاذ / عبد الحميد عبد الغنى فى مقال له نشر بأخبار اليوم[1] •

---

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/١٢/٢٥

« (فى الواقـع أن حركتـه ـ أى حركة أتاتورك ـ لم تكن حركة عداء للدين الاســلامى ! ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الاسلامى ! بل كانت حركته حركـة قومية بحتة ترمى الى النهوض بتركيا بتخليصها من القيود التى تكبل أيديها وتقيد خطاها باسم الخلافة الاسلامية، وطقوسها ومراسـمها ، وفى المقـال نفسه وبعد أسطر قليلة وفى الصفحة نفسها يقول الكاتب مانصه :

« (قـرر أتاتـورك أن يسـتبدل بالحروف العربيـة الحروف اللاتينية حتى فى طبع المصحف الشريف، وكذلك أسرف أتاتـورك فى قـوانين الأحوال الشخصية الى دائرة الخروج على القواعد الاسلامية المقررة !! فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريما باتا ؟! وجعل للقضاء وحده حق الفصل فى طلب الطـلاق ! وعـدل قواعـد الميراث فسـوى بين الابن والبنت !!! ورفع عن المرأة الحجاب ٠٠! واشتط وأسرف فدخل دائرة محرمة ؟!حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان ؟ ! وقرر الغاء الأوقاف ووزارة الأوقاف ٠٠؟!) ٠

هذا هو ما فعله «أتاتورك» كما ذكر الكاتب بخط يده ٠ فكيف يستقيم ما كتبه أولا ، مع ما ذكره ثانيا ؟ وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداء للدين الاسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الاسلامى ؟

واذا لم يكن هـذا هـو الالحـاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهـدم الكعبة وتخريب المسـجد النبوى فى المدينة ؟

ان « أتاتورك » لم يكن ينطق بلسـانه ، أو يفكر بعقله أو يعمـل لحساب شعبه ووطنه ٠ لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسـابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشـأ أتاتورك وعاش فى أحضـان جمعية « الاتحاد والترقى » التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة٠وكانت

هـذه الجمعية وأعضاؤها من أكبر المخربين للدولة .

غير أننا لا نلوم هذا المؤلـف أو ذاك حين يكتب . فالكاتب والقارىء يكتب ويقرأ ما يملى عليه أو يفرض، لأن أكثر كتابنا ومفكرينا من تلامذة الغرب الذى يرى فى الاسلام عدوه اللدود الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمالالا واحدا من هؤلاء التلاميذ فى الروح والمشرب .

ولن نجد دليلا أصـدق مما كتبه « عرفان أوركا » وقد ألف كتابه عن «أتاتورك» اعجابا بشخصه وحبا (١).

(كان « أى أتاتـورك » قليـل الاختلاط ، غير محبب من الأصدقاء، وكان شـديد الغرام بالإناث يجذبه هـذا الجنس كالمغنـاطيس وكان يشـعر بفرح وسـرور حين يعتدى على الجنس الآخـر ويسـطو عليـه وكانت هذه طبيعته التى فطر عليهـا وقـد تجلت هـذه الطبيعة فى تصرفاته ..

ولم يكن يعترف بعـواطف غيره لأنـه لايرى أحـدا يوازيه ، وكان مفطورا علىحب التغلب على الآخرين واخضـاعهم لارادته وهواه ، وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ... !

وقد هضم فى شبابه تعاليم « ضياء كوكب ألب» هضما جيدا ، وقدكافح « ضياءكوكب ألب » للتنور والحرية الدينية ، وكان يقول فى أكثر الأحيان ان الحـكومة الدينية حليفة وفيـة للحـكومات الفـردية ، وكان يرى أن تحدد سلطة العلماء ، وأن تحدد الجمـاعات الدينية أو الأحـزاب المتحمسـة للـدين ويضـيق الخناق عليها لأنها تقع فريسة الشطيان فتهتف بالجهاد !

وقد دعا بقوة الى الغاء الشريعة ، واقصاء قضاة المحاكم الدينية .

وقـد اقتنع بأن كفـاحه يجب أن يوجهه الىالدين لأنه منافسه الأكبر! وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة

(١) نقلا عن كتاب العلامة الندوى ـ « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » ـ صفحة ٥٩ وما بعدها ـ سنة ١٩٦٢ .

الى الله !!! وكان فى آخر عهد يرفع قبضته ويشير الى السماء ساخرا مهددا ! وكان يرى أن الاسلام انما ظل عاملا هداما فى الماضى ، وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائرفادحة وكان يقول فى أكثر الأحيان ان قوة العقل وقوة الارادة تتغلبان على « قوة » الآله .. ! ! وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ولواحتاج ذلك الى استخدام القوة ، والى الخدعة والتضليل .

كان يبغض الاسلام والعقيدة الراسخة بغضا شديدا ! ولم يكن سرا أن : (مصطفى كمال) ، لايدين بدين ، وقد فزع الناس حين شاع أن « مصطفى كمال » رمى بالمصحف على رأس شيخ الاسلام ! ! !

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة ، واستعمل القسوة النادرة والعنف فى تحقيق هذا الغرض كأنه لا اصلاح أكبر وأهم من هذا..وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، وأقيمت محاكم فى كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى.

ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن .. يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين على السواء !!!

وكان يقول : فى فخار وكبرياء .. أنا تركيا ، هزيمتى هزيمة تركيا !!! وكان يكره الأغنياء ويخشى العلماء والمفكرين لأنهم يفوقونه فى القوة والكفاءة !!! وكان يكره كل أولئك الذين يختلفون معه وان كان يستغلهم لأهدافه وغاياته .

انه انتصر على الشعب حقا .. فقد جعل الدولة علمانية ليس الاسلام دينها الرسمى ، وقرر أن الدين قضية شخصية لكل فرد أن يختار له دينا يدين به...وألغى الخلافة ، والمحاكم الشرعية ، وقوانين الشريعة الاسلامية، وقرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الايطالى ، والقانون التجارى الألمانى ، وأدخل الأحوال الشخصية فى القانون المدنى الأوربى ، ومنع التعليم الدينى ، ومنع الحجاب ، وقرر السفور والتعليم

المختلط ، وألغى الحروف العربية ، وأبدل بها الحروف اللاتينية ، ومنع الأذان بالعربيـة وجعله بالتركيـة ، وبعبـارة موجـزة قد حطم الأساس الدينى ، وغير وجهة الشعب التركى، والحكومة التركية) .

* * *

لـكن مـاذا كان مـوقف الشـعب التركى من هـذه الردة السـياسية والدينية ، لقد ذكرت فى المقدمة قصة هذا اللقاء مع الطلبة الأتراك فى مدينة كمبردج Cembridge وكيف رفض هؤلاء الطلاب الاعتراف « بأتاتورك » كأب للشعب .

غير أن الصراع والجهاد ضد هذا التجديف والانحراف بدأ فى السنوات الأولى من حكم أتاتورك . كان هناك شيخ اسمه « بديع الزمان » وقد حضر بديـع الزمان الى « اسـطنبول » من شرق تركيـا فى عهـد السـلطان عبـد الحميد يطلب فتح المدارس ، وانشاء جامعة فى « ديار بكر » غير أن الأحداث عاجلته ، وخلع السـلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتطوع للقتـال ، ثم أسره الروس ونفوه الى (سـيبيريا) وتمكن هناك من الفرار والعودة الى تركيا التى كانت قد سقطت فى أيدى الغزاة . فانضم الى حركة مصطفى كمال التى كانت تستهدف فى هذا الوقت تحرير الوطن وانقاذه من يد الأعـداء ثم اختلف بعد ذلك مع (أتاتورك) حين ظهـر الانحراف ، فنفته السلطة الى غرب البلاد فظل ما بين نفى وسجن وتحديد اقامه من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها (رسـائل النور) شرح فيهـا الدين باسـلوب جديد استهوى الشـباب المثقف . فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب « رسـائل النور » او جمـاعة « نورجو » وهى جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شباب تركى ، وتعتبر هذه الجماعة القوة الحقيقية فى الجامعات ، وهى القوة الانتخـابية التى سحقت « حزب الشـعب » « حزب أتاتورك »

---

(١) نقلا عن كتاب العلامة الندوى ــ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ــ ٨ ص ٥٩ وما بعدها ــ سنة ١٩٦٢

وعزلت عصمت « اينونو » خليفته من الحكم ، وجعلته يحصل على ٢٢ مقعدا من ٤٥٠ مقعدا فى انتخابات عام ١٩٥٠.

ولم يعد الى المسرح السياسى الا بقوة الجيش (١).

وقصة هذه الانتخابات أى انتخابات سنة ١٩٥٠ م تعتبر معلما من معالم التحول فى تاريخ تركيا الحديث . وبعبارة - أكثر تحديدا ودقة - بداية سقوط « أتاتورك » فى أعين الشعب التركى الشقيق . ففى هذه الانتخابات نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب يتلخص فى عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية.

وثانيها : السماح للأتراك بالحج .

وثالثها : اعادة تدريس الدين بالمدارس .

ورابعها : اعادة « أيا صوفيا » مسجدا كما كان .

وكانت النتيجة مذهلة..فقد حصل الحزب الديمقراطى على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وسقط حزب (أتاتورك) الذى لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب (عدنان مندريس) زعيم الحزب الديمقراطى لمطالب الشعب على الفور . فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء فى غرة رمضان ! وأعاد « الأذان » باللغة العربية كما كان . وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التى باعها أتاتورك ! وتقرر تدريس الدين فى المدارس . وفتحت مدرستان للأئمة والخطباء ! كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم !!!

وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنباء أنه فى اليوم الذى تم فيه اعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنساء الى الشوارع باكين من الفرحة قائلين :

أذان عربى شريف .. أذان عربى شريف !!!

* * *

---

(١) حوار فى انقرة ص ٣٣ .

فى كتاب «كليلة ودمنة» قال الملك دبشليم لبيدبا الفيلسوف .

أخبرنى عمن يدع عمله الذى يليق به ، ويطلب سواه فلا يقدر عليه . فيراجع الذى كان فى يده من عمله فيفوته ويبقى حيران متلددا ـ أى مترددا .

فقال الفيلسوف : زعموا أن غرابا رأى حجلة فأعجبته مشيتها . فطمع فى تعلمها . فراض نفسه فلم يقدر على احكامها . فانصرف (عاد) الى مشيته التى كان عليها فلم يحسن . فبقى حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان فى يده الحفظ .

ثم قال الفيلسوف للملك : فالولاة فى قلة تعاهدهم للرعية فى هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل الى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم ان الأشياء فى ذلك تجرى على منازل حتى تنتهى الى الخطر الجسيم من مضادة الملك فى ملكه (١) .

ولم يكن (أتاتورك) الا « غرابا » فى دنيا الزعامة ! ولم تكن « أوربا » أو « الحجلة » التى تعلق بها الا نكبة عليه الى يوم القيامة ؟ !

ان المأساة هنا لا تكمن فقط فى محاربته للدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورائه عالة تعيش فى كنف غيرها فكرا وسياسة ولا تزال تركيا ـ حتى يومنا هذا ـ دولة متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوربية ، وكل علاقاتها مع أوربا لا تزيد عن علاقاتها بأية دويلة فى البحر الكاريبى أو المحيط الهندى، باستثناء تلك الأحلاف التى جعلت من تركيا سندا للغرب فى وقت الشدة ، وغمة على الشعب فى أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة اقبال :

(انكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوربا وصحبتها ، مع أنكم كنتم بفضل الاسلام على مقربة من النجوم والكواكب ...) .

---

(١) كليلة ودمنة ـ ط دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

لقـد ذهب « أتاتورك » الى غـير رجعة ، وعندما مات خليفته « أينونو » رفض الشـعب التركى الاشتراك فى الجنازة •• وعندما حملـوه الى أحد المساجد للصلاة رفض الامام أن يصلى على جثتـه وترك المسـجد ! وظلـوا ينتقلون به من مسجد الى آخر حتى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة •• وما كـاد الشـعب يعرف ذلك حتى حاصر المسجد ، وهم بخطف الجثة • ولم تتم الصـلاة على جثمـانه الا فى حماية القوات المسلحة •• !

ان الايمان لا يموت بالقتل ! وان قطـرة واحـدة من دم شهيـد كافيـة لاشعال النار فى الجليد والثلج • وفى تركيا اليوم نداء جديد يتردد صداه مع كل فجر • انه نداء الايمان الذى انكمش داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القـرآن تنتشر وتزداد • ومجالس العلم تعود الى سابق عهدها فى المسـاجد ، وقـد تساءلت جريدة « لوموند » الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة فى تركيا فقالت :

ترى هل استيقظ الرجل الميت ؟ !

نعم قد استيقظ !!! فالشـعب الذى حمل لواء الجهاد ستة قرون دفاعا عن الاسلام لا يمكن أن يموت والأمة التى من رجالها رجال كمحمد الفاتح لا يمكن أن تقهر ••

وفى تركيا اليوم حزب يشترك فى الحكم ••• انه حـزب السـلامة أو الانقـاذ الذى يتزعمـه الدكتور نجم الدين اربكان •• وهذا الحزب لايقبل بغير الاسلام أساسا للحكم • وقانونا فى المجتمع • ومحبة واخـاء بين جميع المسلمين فى الشرق والغرب ••

ولو عاد (أتاتورك) الى الحياة مرة ثانية لرجمه الشعب •• ولن يفلت من القصاص الذى ينتظر أمثاله من القتلة والطغـاة الذين يعتبرون ـ شـعوبهم « قطيعـا » فى « مرعى » « السياسة » « وأرقـاما » فى حسـابات الغـرور والزعامة •• و « قـربانا » فى مذبح السلطان والحكم •• ؟

د . عبد الودود شلبى

مفتاح الإجابة

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم . وقال : يأيها الذين أمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء ، يارب يارب ومطعمه حرام ، ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام أنى يستجاب لذلك . أخرجه مسلم والترمذى .

قد يتصور المرء لأول وهلة أنه لاارتباط بين موضوعات هذا الحديث، فما الارتباط بين موضوع الأمر بالأكل من الطيبات ، وموضوع الدعاء ؟ . ولكن بشىء من البحث والتأمل يستبين الارتباط الوثيق بين الموضوعين والترتيب المنطقى بينهما ، وأن أولهما كالمقدمة لثانيهما وقد أشار الحديث الىهذا الارتباط ، لأن الموضوع الأول ، الأمر بالأكل من الطيبات ، أى من الحلال ، والموضوع الثانى ، عدم اجابة دعاء الداعى لأن كسبه حرام ، ومطعمه ومشربه وملبسه حرام .

والموضوع الأول وهو الأكل من الطيبات موضوع يهم الناس جميعا فهو يتعلق بمعاشهم ونشاطهم وكسبهم وسعيهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، واستقرار نظامهم ، ففى سبيل لقمة العيش وكسب المال يتعامل الناس ويتزاحمون ويتصارعون ويتخاصمون فالأمر بأكل الطيب أى الحلال أو المستلذ من الحلال قاعدة انسانية تبنى عليها قواعد الحياة عامة فاذا استقامت استقام بها بناء

البشرية فأكل الطيب أى الحـــلال يستدعى الحق والعدل والاحسان فى الأنشطة الانسانية عامة ، فى التجارة والزراعة والصناعة والتطبيب والتعليم وفى كل عمل يليه الانسان فى كل موقع كضرورة من ضرورات مجتمعه وحضـارته ، ولأهمية تلك القـاعدة ولأنها أصل من أصول الحياة تتفرع عنها قواعد الخير كلها ، كانت وصية الله الى جميع الرسل وجميع المؤمنين كما جاء فى الحـديث : ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقـال : يأيهـا الرسل كلوا من الطيبـات واعمـلوا صالحا . وقال عز وجل : يأيهـا الذين آمنوا كلوا من طيبـات ما رزقناكم واشكروا لله .

وللاشارة الى أهمية هذه القـاعدة فى الحيـاة البشرية قدمت فى الآية على العمل الصالح فقال تعالى : يأيها الرسل كلوا من الطيبـات واعمـلوا صالحـا وهما فى الواقع متلازمان ، فالأكل من الحلال يستلزم الصـالح من الأعمـال والعمل الصالح يستلزم الأكل من الحـلال والطيبـات التى أمرنا الله بالأكل منهـا كل ما خلقه الله وسخره مما تقوم به الحياة ويصح به الجسم وتستلذه النفس ، وليس هناك شيء على هـذا النحو الا أباحه الله ولم يحرم علينا الا ما كان ضارا مستعافى متقذرا فى نفسه أو مستكرها فى آثاره فقد حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنـزير والموقـوذة والمتردية والنطيحة وحرم علينـا كل ذى ناب أو مخلب من سباع البهائم والطيور وحرم علينا الخمر وما شابهها وحرم غير ذلك مما جاء فى القرآن والسنة وأثبت الطب والعـلم سـوء أثره فى العقول والأجسـام بعد أن ظل بعض الناس يجادلون فيه أحقابا طوالا ان الاسلام لم يحرم شيئا من مستلزمات الحياة وكل ما وضعه من القيود فى تناولها ألا نسرف فى التنـاول حتى لا تنقلب المنفعة مضرة وتعود النعمـة نقمـة ، والقـاعدة الضابطة لذلك قـوله تعـالى : « وكلـوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » وتحريم شيء من مستلذات الحيـاة تدينـا أمر مخالف للدين ، فالدين لم يحرم علينا الانتفـاع بها بل أمرنا بتناولها والتزود منهـا وليس هنـاك

شيء أقوى في الدلالة على ذلك من هاتين الآيتين اللتين أوردهما الحديث ، ففي هاتين الآيتين أمران ان لم يكونا للوجوب فهما للاباحة على أقل تقدير ، وقد زاد الرسول تلك الدلالة توضيحا فقال : ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين يعني أن الأمر كان للمرسلين أولا وهم أئمة البشر والمبلغون عن الله ، أمر البشر بالاقتداء بهم والأخذ عنهم وسلوك طريقهم فمن رغب عن مستلذات الدنيا من الصوفية والغالين فليسوا في ذلك على نهج الدين وانما ذلك اجتهاد شخصي باعثه الظن بأن ذلك أجدى في جهاد النفس وحملها على الطاعة طمعا في استكثار الثواب والسلامة من الزلل والفتن • وتأتي بعد ذلك قضية الدعاء واستبطاء الاجابة فيه ، ولقد قلنا قبل قليل ان بين القضيتين ارتباطا يظهر بشيء من التأمل ، فأكل الحلال كالمقدمة لاجابة الدعاء وكالمفتاح لهذه الاجابة فأكل الحلال يطهر البدن ، ويصفي النفس ويرقق القلب ويقرب الى الملأ الأعلى الى صفوف الملائكة وربما تجاوز بصاحبه الى مرتبة أعلى من مراتبهم في الفضل كما يقول بعض العلماء ، أكل الحلال اذا اقترن بالعمل الصالح وهو ملازم له كما قلنا ينقلان المرء الى منزلة القرب التي لا ينقطع فيها رجاء ولا يخيب معها دعاء • فهي درجة العبودية الخالصة التي يقول فيها سبحانه : «واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » •

فأسباب اجابة الدعاء ومفاتيحه هي : أكل الحلال أيا كان لونه وطعمه ، والعمل الصالح الذي أبانت الشريعة عن صلاحه فاذا تجرد المرء من هذه الأسباب فلابد أن يخيب رجاؤه كما اذا تجرد المقاتل عن السلاح فلابد أن ينهزم ، وهذا ما عناه الحديث بقوله : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده يارب ، يارب الخ •• يعني أنكم تخطئون الطريق الى الدعاء وتخطئون معرفة الأسباب ، فليس الطريق الى اجابة الدعاء ولا الوسيلة اليها شعورا تطول ووجوها تغبر ، وأقذارا تتراكم على الأبدان وتتجمع ، ليس شيء من ذلك هو

الطريق الى تحقيق الدعاء ، وما كان شيء من ذلك سمة القلوب الطاهرة التى تتجاوب معها السماء ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظف الناس ثوبا كما كان أطهرهم قلبا وكان أحب شيء اليه الطيب والعطر وكذلك كان أصحابه تعبق أردانهم بالغالية والمسك وما كانوا يفرطون فى النظافة ويرون ذلك مخلا بالمروءة والدين ، وكم من نظيف البدن والثوب طاهر السر والسريرة ، ليس التقذر سمة الدين بل هو سمة اضطراب العقل والجهل أو الغفلة عن ارشادات الدين فى شئون الدنيا، وموازين التقوى ليست فى هيئة اللباس وانما هى فيما ينطوى عليه القلب من ايمان ونقاء وصفاء يتفجر على الجوارح عملا صالحا نافعا لصاحبه وجماعته كما قال صلى الله عليه وسلم : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وخلاصة القول فى الحديث : ان التشعث والتقذر والتغبر ليس سبيلا الى اجابة الدعاء وانما السبيل اليها هو تصفية القلوب والنفوس وتطهيرها بأكل الحلال والعمل الصالح فمن ظن غير ذلك فهو مغرور مخدوع ، وكما يكون فى الشعث الغبر من هو طاهر القلب نقى السريرة قريب من الله يوجد كذلك من ذوى النظافة والهيئات من منحه الله مثل ذلك والله عليم بذات الصدور . هذا ما أمكننا أن نفهمه من الحديث فى سبب استبطاء اجابة الدعاء أو عدم اجابته . وقد علل العلامة « اسحاق بن وهب » فى كتابه «البرهان»ماذكر بعلة أخرى وهى وان لم تكن مساوقة لظاهر الحديث الا أنها ذات مغزى دقيق ربما لم يتعرض له أحد غيره ، وقد رأينا ألا يحرم منه القراء والكلام فى موضوع الدعاء لايستطال ، قال رحمه الله :

وهنا سر فى الدعاء فيه تنبيه لكثير من الناس على رشدهم ، وهو أن كل أحد مجبول على أن يهيء لنفسه أعلى المنازل وأشرف المراتب، فهو لا يسأل الله تعالى الا على قدر تمنيه وشهوته ، ولو أعطى الله عز وجل كل أحد ما يشاء كان الناس جميعا فى أعلى طبقة وأشرف منزلة ،

ولو صار الناس على هذا يوما واحدا لاستغنى بعضهم عن بعض ، ولو استغنى بعضهم عن بعض ما ترافدوا وما تعاونوا • ولو لم يترافدوا ويتعاونوا لبطلت الحكمة فى سياستهم ودخل الخلل والاضاعة على حمايتهم، لأن الصناع والتجار والمهان كانوا يصرفون عن صنائعهم وتجاراتهم ومهنهم ويستغنون عنها ، فيبقى كل واحد من الناس بغير معين ، واذا لحق ذلك كل واحد منهم دخل عليه من الضرر فى نفسه وأهله وماله وولده ما لا بقاء معه ، ولا صلاح بعده ، فاذا دعوت الله سبحانه فاعلم أنك تدعو حكيما يسوس الخلق ويديرهم بحكمته ، والحكيم لا يعطيك فى نفسك — وأنت جزء من خلقه — ما ينتقض به تدبيره فى سائر خلقه ويفسد به سياسته فى جميع ملكه ، لكنه يستجيب لك فيما ينفعك ولا يضر غيرك ، فاذا منعك فانما يمنع ما يفسد به تدبيرا لكل الذى أنت جزء منه كمنعه اياك لنفعك اذ كان حكم الجزء تابعا لحكم الكل •

ابو الوفا مصطفى المراغى

روى عن اسلم انه قال : « ان عمر بعثه مرة بابل من ابل الصدقة الى الحمى ، فوضع رجله على ناقة منها ، فلما راى عمر أنه قد وضع رجله على ناقة من الابل حسناء قال له : لا ام لك ، عمدت الى ناقة تغنى أهل بيت من المسلمين . فهلا ابن لبون بوالا ، أو ناقة شصوصا ؟ .

الطبرى جـ ٥ ص ١٨ .

وابن اللبون : هو الذكر من الابل الذى مضى عليه أكثر من عام ، والبوال كثير البول ، والشصوص : التى لا لبن لها .

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٢ —

فى البحوث والتشريع :

وفى مجال الانحراف عن الاسلام فى المؤلفات والبحوث التى تحدثت عنها وسائل الاعلام نجد الآتى :

١ ـ تقدمت احدى الباحثات بجامعة الاسكندرية برسالة للماجستير ، موضوعها (أصوات المد فى القرآن) ذكرت فيها أنه (من الطبيعى أن يستبدل الرسول عليه الصلاة والسلام فى النص القرآنى لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعا فى تلك البيئة ، أو يرى أنها تحمل شحنات من المعانى تفهم الفكرة أكثر أو أن يغير فى نظام الجملة ليجعلها أكثر وضوحا أو يكسبها بلاغة أكثر فى نظر القوم الذين يقرأ أمامهم) وتقول (على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبيح الاختلاف ولا يعمد الى التخفى ـ وكان يتسامح فى النص بعض الشىء ، وطبيعى أن يكون التسامح أيضا فى الجانب الأدائى ان لم يكن على نطاق واسع).

وناقش الرسالة الأساتذة : الدكتور حسن عون ، والشيخ أمين الخولى ، وابراهيم أنيس ، وبالرغم من أنهم أنكروا هذا الطعن فى القرآن الا انهم قرروا فى نهاية المناقشة منح الطالبة درجة الماجستير بتقدير جيد جدا .

ولم يوافق الدكتور حسن بغدادى مدير الجامعة على هذا الاجراء ، وأحال الموضوع الى مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب الذى قرر احالة الرسالة من جديد الى لجنة متخصصة من علماء الأزهر (الجمهورية ٢١ / ١١ / ١٩٦٥).

ويعلق الأستاذ محمد زكي عبد القادر على ذلك فيقرر : أن هذه ليست المرة الأولى التى يقع فيها الصدام بين القائلين بحرية البحث العلمى والقائلين بحماية العقيدة والدين ويؤكد حرصه على الأمرين، ويطالب بمراجعة الرسالة مرة أخرى على أن تقرر الحدود بين ما يمس العقيدة وما لا يمسها مع اطلاق حرية البحث فى النطاق الأخير •

وينبغى مناقشة تعليق سيادته من ناحيتين : الأولى أنه فى مثل هذا الموضوع لايوجد أى غموض فى تعرضه بالهدم لأساس الدين ، الثانية أنه من المشكوك فيه أن تكون الكاتبة قد اتبعت منهجا علميا سليما فى معالجتها للموضوع ، مما يؤكده قرار الجامعة باحالة الموضوع الى جهة متخصصة •

٢ ـ ويتصدى الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ـ فى روز اليوسف ١٩٦٥/١٢/٢٠ - لكتابة سلسلة مقالات حول المؤلفات العربية الحديثة عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يعرض فى حلقة العدد المذكور كتاب الدكتور محمد حسين هيكل •

وقارىء المقال مضطر الى ملاحظة:

ـ أن الكاتب يتجه الى ابراز بشرية الرسول ونفى الخوارق عنه ـ فيما عدا القرآن ـ ولست أدرى كيف يمكن القول ببشرية محمد (صلى الله عليه وسلم) • ـ بمعنى تجريدها من الخوارق ـ اذا كنا نسلم باتصاله بالوحى كما أنه اذا سلمنا بمبدأ الخوارق فى حياته صلى الله عليه وسلم فما وجه انكار الخوارق الأخرى اذا لم يقم هذا الانكار على أساس من البحث التاريخى للواقعة نفسها ؟ ••

٣ ـ كذلك يلاحظ القارىء ابراز الكاتب لمواقف الضعف التى اتهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم من الغافلين أو المغرضين على السواء ، دفاع المؤلف عنه •

كما يلاحظ القارىء أن الكاتب يضع عنوانا لسلسلة مقالاته هو : محمد

بالعقل وحده •• وأنه لم يذكر مرة واحدة فى مقاله صيغة الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام على كثرة ما ورد اسمه الكريم فيه •

وفى مقال أحمد عبد المعطى حجازى فى روز اليوسف ١٩٦٦/١/٢٣ الذى قدم فيه كتاب رسول الحرية للكاتب عبد الرحمن الشرقاوى : يبرز الكاتب تفسير المؤلف لاستجابة يثرب للدعوة الاسلامية بأسباب اقتصادية •

وفى نفس العدد رسالة للشيخ أمين الخولى يرشد فيها الى صورتين مرسومتين للرسول صلى الله عليه وسلم نشرتا فى بعض المراجع المعينة ، وكانت هذه الرسالة ردا على سؤال للكاتب هو هل نستطيع أن نتخيل محمدا ؟

وأكرر ما لاحظته سلفا من أن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ماكتبه هؤلاء ليس متبوعا بالصلاة والسلام •

وفى الأهرام ١٩٦٦/٢/١١ كلمة للدكتور عبد العزيز مطر نقد فيها الموسوعة العربية فيما جاء فيها عن المواد الاسلامية ، وبين خطأها فيما ذكرته فى مادة جهنم من أنها جاءت فى القرآن بتصويرها على هيئة حيوان هائل فغر فاه وكشف عن أنيابه وتأهب لالتهام الظالمين بأنها تتألف من دوائر متحدة المركز على هيئة فوهة البركان ••• وأنكر الكاتب ذلك ،وبحث عن المصادر التى استندت اليها الموسوعة وقرر أنها : دائرة المعارف الاسلامية فى نصها غير المترجم ، وكتاب تركى عنوانه (معرفت نامة) ••• وطالب اللجنة التى أشرفت على الموسوعة بضرورة تلافى هذه الأخطاء الفادحة •

وأثار الأستاذ محمد التابعى موضوع تحضير الأرواح تحت عناوين مختلفة منها (هل هناك حياة بعد الموت ؟) ومنها (حول خلود الروح) ، وفضلا عن أن هذه العناوين مضللة وتنقل التشكيك من دائرة ضيقة هى تحضير الأرواح ،

الى دائرة أوسع تشمل ـ ولو ايهاما ـ الحياة الأخرى ، فانه كان من الممكن أن يدور النقاش فى الموضوع المطروح للبحث فى نطاق لايتصل فيه السلب أو الايجاب بحقيقة أساسية من حقائق الدين ، الا أن القارىء لا يسعه الا أن يتوقف كثيرا أمام ما ورد بمقال آخر ساعة (١) من أن الأستاذ عبد الرازق نوفل أعد كتابا بعنوان (الحياة الأخرى) سوف يخرجه الى السوق فى رمضان المقبل ، يقرر فيه فيما يقرر أن (روح الانسان خالدة لأنها جزء من الخالق) .

وهذا القول لا تقره العقيدة الاسلامية التى تنزه الخالق وترى أن ليس كمثله شىء ولا يمكن لمثل هذا الحكم ان يستند ـ مثلا ـ الى اسناد الروح لله فى قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) ، فان هذا الاسناد لايعدو أن يكون على منوال اسناد الأرض لله فى قوله تعالى : (وأرض الله ..) أو قوله فى الحديث القدسى (..أرضى وسمائى) كما أن هذه الروح فى هذه الآية أو غيرها لايمكن النظر اليها بعيدا عن قوله تعالى : (قل الروح من أمر ربى ..) ، فهى من أمره وليست منه ، كذلك فاننى أعتقد أن هذا الحكم الذى ذهب اليه المؤلف لا يستند الى شىء مما ذهب اليه الصوفية ـ بعضهم ـ الذين ينساقون الى ما يشبهه وراء علة وجدانية ذوقية لاتحتمل المناقشة فى حين أن ماذهب اليه المؤلف يتناول الأمر من الناحية الموضوعية .

كذلك فقد جاء بالكتاب المذكور أن الروح بعد خروجها من الموت يسعد بها المؤمن (أما الكافر فقطعا سيضل ، والى أن يتعلم ويهتدى سيكون معذبا قلقا ..)

أهكذا يختصر الخلود فى جهنم الذى قررته الأصول الاسلامية الى مجرد فترة من الضلال والعذاب الناشىء عن القلق ، تنتهى بالتعلم والاهتداء ؟

---

(١) صادر فى الأسبوع من ١١/١٣ الى ١٩٦٥/١١/٢٦

وفى المجال العلمى لخصت الجمهورية ٣٠/ ٩/ ١٩٦٥ كتابا للعالم السوفيتى ل . روخلينى عن النوم والأحلام ، ينسب فيه الى قدماء المصريين نظرتهم الى النوم على أساس أن للانسان روحين : واحدة تخرج بالنوم ، وأخرى بالموت ، ويرفض هذه النظرة ويقرر أن التجارب العلمية تفسر النوم على أساس من التفاعل الكيميائى . ونذكر فى هذا المقام أن القرآن الكريم يقول : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) .

التشريع :

ومن منافذ الالحاد الكتابة حول مسائل التشريع :

حيث يفسر الدكتور رضا فرج فى مجلة الطليعة أكتوبر ١٩٦٥ القانون تفسيرا اشتراكيا فى رأيه ، فيقرر أن واقعية القانون ــ وهى أساس القوانين الاشتراكية ــ تقتضى ألا يوجد الا القانون الوضعى ، وأنه يجب التمييز بين الأفكار التى تعكس جزءا من الواقع الاقتصادى والتى يعبر عنها بالايديولوجية ، وبين الايديولوجية الخاطئة وهى التى لا تعكس أى واقع اقتصادى والتى تحاول أن تكسب لقاعدة القانون صفة مطلقة مطابقة لعدالة ثابتة لا تتغير ..

هذا واذا كان الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية لا يتناول المسائل التى وردت فيها نصوص صريحة فان القارىء ليتساءل عما اذا كانت هذه النصوص داخلة تحت أى من الايدولوجيتين اللتين يتحدث عنهما الكاتب ؟ من الواضح أنه يضمها فى الأيديولوجية الخاطئة .

وفى تحديد النسل ترمى السيدة أمينة السعيد المسلمين بالجهل فى كلمة لها بالمصور ٢٠/١٠/١٩٦٦ فى قولها (.. ملايين الجهال فى بلادنا هم الذين يرددون أن الله يرسل كل طفل برزقه) . وذلك فى ردها على مشكلة من المشاكل الواردة اليها حول تحديد النسل ، والأهم من ذلك أن هذا

القذف يتعدى الأشخاص الى العقيدة التى يؤمنون بها •

وبالرغم من أن بعض علماء الدين حاول أن يروج للدعوة الى تحديد النسل بتطويعها لبعض القواعد الاسلامية،فان ذلك لم يرض أصحاب هذه الدعوة لاختلاف المبدأ عند كل منهم •

ومما يدل على ذلك أن بعض أجهزة الاتحاد الاشتراكى استنكرت الأسس التى يرتكز عليها الشيخ محمد المدنى فى قوله (ان المقصود بتحديد النسل هو المحافظة على « المستويات » المعيشية ، فقد قال الله تعالى (قل من حرم زينة الله) • وذلك فى اجابة له بالتلفزيون عن كيف تتفق الدعوة الى التحديد مع أن الله هو المتكفل بالأرزاق•• وذكر الجهاز المشار اليه (انه سوف يبدو المقصود من التحديد التمكن من الزينة ، وليس دفع كارثة تهددنا فى أقواتنا وأرزاقنا ••) كذلك اعترض الجهاز المذكور على ما قاله فضيلته – بالتلفزيون أيضا – من أن مما يساعد على تحديد النسل ألا يقبل على الزواج الا من يستطيع القيام بمسئولياته وان الحديث النبوى يدعو غير المستطيعين الى الصوم والامتناع عن الزواج ••• وقرر الجهاز المذكور (ان الدولة لا تدعو الى الكف عن الزواج لما فى ذلك من تهديد للأخلاقيات) (الأهرام ١٩٦٦/٢/٢٧) •

وفى معسكر القيادات النسائية بالاسكندرية سئل الشيخ الشرباصى عن رأيه فى تنظيم النسل بعد أن أصدر مجمع البحوث الاسلامية (عدة قرارات تحرم تنظيم النسل) فرد على ذلك بضرورة التنظيم ، مستشهدا على ذلك بكلمة برناردشو : ان فى لحيتى شعرا غزيرا بينما رأسى أصلع •

كما رد على سؤال بشأن تقييد الطلاق بقوله : (ان مجلس الأمة سيناقش قانون الأحوال الشخصية فى دورته القادمة ، وان الرأى العام النسائى سيكون قوة فعالة فى تطوير هذه القوانين) • • الأهرام ١٩٦٥/٩/٢٢

وفى موضوع تحديد النسل نشرت أخبار ١٩/٩/١٩٦٥ رسالة فى يومياتها يدعو صاحبها الى تحديد النسل ، ويقرر أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) يحذر من كثرته فى قوله : (تردون على حوض يوم القيامة أرسالا وأمما فأقول بعدا بعدا سحقا سحقا) ولم يبين صاحب الرسالة ما اذا كان هذا الحديث يدل على كراهة الكثرة فى ذاتها؟

ويدعو صلاح حافظ الى رفع ولاية الرجل على المرأة بدعوى أنها تحرص على الفضيلة بدافع ذاتى لا أثر فيه للرجل .. (الأخبار ٢١/٩/١٩٦٥) .

وتنال قضية بيت الطاعة الاهتمام من الصحافة والمجلات والتلفزيون.

وقد ألهب هذه القضية المناقشة الدستورية التى جرت أخيرا (فى مارس ١٩٦٧) فى مجلس الأمة حول شرعية القرار الذى أصدره السيد وزير العدل بمنع تنفيذ أحكام الطاعة بقوة الشرطة .

ويحاول بعض المعلقين أو المعلقات أن يستطردوا عند التحدث فى هذه القضية الى مايمكن أن يوصف بأنه حملة موجهة الى الرجال يقوم بها معسكر نسائى متكتل ، ويذكى هذه الروح ما صرحت به سيمون دى بوفوار فى زيارتها لمصر من أن العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم ـ حتى فى هذا العصر الحديث ـ على مايشبه الأسس التى تقوم عليها العلاقة بين الرجل الأبيض والأسود (التلفزيون ، أقوال الصحف ٥/٣/١٩٦٧) .

فاذا أضفنا الى ذلك المبالغات التى يطالب بها بعض السيدات فيماينبغى أن يكون عليه قانون الأحوال الشخصية الجديد (الأهرام الأحد ٥/٣/٦٧) أمكننا أن نقول : ان ذلك كله قد يجر آثارا سيئة على طبيعة العلاقات فى داخل الأسرة المصرية ، وانه من المحتمل أن يجعل الرجال الذين يقدمون على الزواج يفكرون كثيرا قبل اقدامهم على ذلك ، وهذا كله لاتنكر آثاره السيئة على مستقبل

الأسرة المصرية ، وعلى المستوى الأخلاقى العام ..

واذا كان لنا أن نعلق على الغاء تنفيذ حكم الطاعة بالقوة فاننا نتساءل : أى شىء يكفل اذن تنفيذ هذا الحكم ، الذى هو حق مسلم به للزوج بمقتضى عقد الزواج ؟ ان القول بأن حرمان المرأة من النفقة هو نوع من العقاب لها على رفضها الطاعة ، قول مردود ، ذلك لأن الزوجة التى ترفض الطاعة تقرر سلفا — غالبا — استغناءها عن النفقة — فحرمانها منها بمثابة تحصيل للحاصل .

كذلك فأنه فى بعض البيئات التى ما تزال فيها مقاليد الفتاة بيد أسرتها — وهو واقع الأمر فى كثير من المناطق بالوجه القبلى وبعض المناطق الأخرى — يكون تنفيذ حكم الطاعة بالقوة أمرا ترغب فيه الزوجة نفسها نظرا لعجزها عن مقاومة استبداد أسرتها بها .

هذا عن ما يتوقع من آثار هذا القرار فى البيئات المتخلفة ، أما فى البيئات المتقدمة اجتماعيا فانه من المنتظر أن تتضاعف حالات رفض الطاعة فى المستقبل اذا لاحظنا أن الكثيرات كن يتفادين تنفيذ الحكم عليهن بالاستجابة السريعة للحكم الصادر ، بل كن يتفادينه بأن لا يسمحن بأن تتطور خلافاتهن مع أزواجهن الى أن تصل الى أبواب المحاكم ، وفى الاحصائية التى ذكرت على لسان السيد وزير العدل ثم على لسان السيد النائب مصطفى مراد فى المناقشة الدستورية المشار اليها خير شاهد على ذلك .

دكتور يحيى هاشم

مهمة الداعية الإسلامي وتكوينه العلمي

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي

مهمة الداعية الاسلامى فى الوقت الحاضر مهمة شاقة ، لم تكن فى يوم من الأيام أشق مما هى فى هذا الوقت . فالاسلام يواجه الآن أعداء تسلحوا بأسلحة جديدة ، وتبجحوا بأقوال مخترعة ، ثم أصبح لهم طابور خامس فى صفوف المسلمين .

فالعداوة بين اليهود والمسلمين عداوة قديمة ، وعلى الرغم من أنهم بشروا بنبى الاسلام قبل ظهوره ، ناصبوه العداء منذ وطئت قدماه أرض يثرب ، نافقوه فى محضره ، ودبروا لكيده فى غيبته ، وشاركوه فى بعض حروبه عن بعد وبطأوا المجاهدين عن قرب ، وظلوا طوال ما عاشوا على هذا الأسلوب، يأكلون من فتات موائد المسلمين ويضعون لهم السم فى الطعام ، لكن اليهود كانوا أمة مشتتة ، تعيش عرضا فى حياة الشعوب ، ولحقا على هامش التاريخ ، أما الآن فأصبحت لهم دولة قائمة فى قلب العالم العربى ، ولاذوا بأقوى دولة فى العالم ، وأكبر أمة تنتج الأسلحة الفتاكة . وعلى طريقتهم المألوفة يكيدون للاسلام كيدا لا ينقطع ، ويتفننون فى أساليب كيده تفننا لا يخطر لغيرهم ببال ،

والمذاهب المادية ، عارضها القرآن فى غير آية ، وفند أقوالها فى غير موقف ، لكنها كانت يومئذ تقوم على أشتات من الناس ، يجنح اليها من لم تقو عقولهم على هضم المعنويات ، أما الآن فأصبحت تحت رعاية الدولة الثانية فى العالم سعة وقوة أيضا ، لم يكن ثم من يدعو لها أو ينفق عليها ، ولم يكن حرب القرآن لها الا انارة للعقول ، وهداية للناس الى سبيل الرشاد ، لم يكن

من أعداء المسلمين أمة تدافع عن الالحاد ، أو دولة تدعو الى افكار وجود الله ، لكن الآن أصبح للماركسيين رابطة ، وأصبحت الأموال الطائلة تنفق لاستهواء الناس الى هذا المذهب ، والجهود الجبارة تبذل للفت أفراد أو فرد عن دين الاسلام .

والمستشرقون منذ العهد الصليبى يجهدون قرائحهم ويكدون أقلامهم لتشويه الاسلام ودمغه بأشنع العيوب ، وأنكى الاتهامات .

ومن المستشرقين يهود يعملون لأمتهم الناشئة الصغيرة ، وشيوعيون يتقربون الى الدولة الثرية الكبيرة ، وأولئك وهؤلاء لا يفوتهم سلاح النفاق الذى استعملوه فى عهد الرسول .

يتظاهر المستشرق اليهودى بظاهرة التفكير الحر ، ويتذرع لمآربه بذريعة البحث النزيه ، ويتظاهر الآخر الماركسى بأنه مسلم حسن الاسلام ، محب للدين الذى يعطف على الفقراء ، وينهض بالضعفاء ، ويسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات كأنه يرى ، ان دعوة الاسلام هى دعوة ماركس ، وليس على تابع محمد الا أن يكون من أتباع كارل .

وبهذه الأساليب لويت أعناق النصوص وحرفت الكلمات عن مواضعها وبها حورت أحداث التاريخ وأسندت الى غير أسبابها ، وكم جرد قوم من فضائلهم وأضيف الى آخرين ما لم يتصفوا به ولا هو من طبائعهم ، وكم دبجت مقالات واخترعت أحداث ، وتؤولت نصوص ، ولعل أصحابها جميعا أعلم الناس بما فيها .

وهناك أيضا مذاهب منحرفة ، منها ما يخلع على بعض المخلوقات صفات الألوهية ، أو يذهب فى وصفهم مذهب المسيحية ، أو يمزج بين الاسلام والوثنية ، وكل واحد منهم جميعا يرى أنه المسلم حقا ، والمتبع للقرآن صدقا ، حتى الذين اتبعوا نبيا كاذبا بعد محمد يزعمون أنهم أتباع محمد .

وهكذا ركام الباطل يلبس أردية الحق ، ولكنها جميعا أصبحت جيشا

مرموقا يهدد كيان الاسلام ، ويعمل جاهدا على تضليل المسلمين •

ودراسة أى من هذه المذاهب تبدى زيفه ، وتبصر الناس بحقيقته ، وتقضى على ما يقوم به أنصاره من ادعاء •

ازاء هذه المذاهب تبدو مهمة الداعية الاسلامى شاقة عسيرة اذ عليه أن يواجه هؤلاء جميعا بسلاحهم، ويخاطبهم باصطلاحهم، فلن يكفوا هجومهم على الاسلام الا بالهجوم على مذاهبهم ، ولا ينقطع نفاقهم الا بكشف حقائقهم أمام الناس ، وعلى ضوء تعاليم الاسلام •

واذن فلابد للداعية الأسلامى من دراسات خاصة نجملها فيما يلى :

١ ـ الدراسة العميقة للدين الاسلامى:

هذه هى الأساس الأول لما يقوم به الداعية الاسلامى ، وهى أمر ليس بالهين ، فالدراسة الاسلامية لاتعنى درس الفقه الاسلامى وحده، ولا درس العقيدة الاسلامية وحدها، مع أن درس أى من هذين يحتاج الى جهد كبير واطلاع منوع ، ولكن لابد من درس التفسير والحديث أدبا ونصوصا، فدرس النص القرآنى يعنى فهمه لغة ودلالة وتحليله بلاغة وأسلوبا ، أما درسه الأدبى فيستعرض جهود المفسرين وطرق دراستهم للنص ، والاسلوب الذى توصلوا به الى فهم ما فهموا أو استخلاص القاعدة التى استنبطوها ، وكذلك الأمر فى دراسة الحديث ، وتزخر المكتبة العربية الآن بفيض من كتب التفسير فى شتى مذاهبه ، ولكن أين هو الداعية الذى عناه درس هذا أو ذاك ؟

بجانب هذا لابد من دراسة التاريخ الاسلامى فى مصادره العربية الأولى ودرس التاريخ الاسلامى يكشف عن كثير من مغالطات المستشرقين وغير المستشرقين ، فهم يتلمسون الجوانب الواهية فيه ، والتاريخ الاسلامى دس فيه كثير من الأحداث ولفقت فيه آراء كثيرة لا أساس لها ،

ومنذ جهد الرسول لعب اليهود والمنافقون دورا واسعا فى تضليل الناس وتحريف النصوص ، ووضع أسباب غير حقيقية للآيات والأحداث جميعا ، ثم جاء الشعوبيون منذ امتداد الفتوحات الاسلامية ، فكثرت زرايتهم على العرب وعبثهم بتاريخ الاسلام ونصوص الاسلام ، حتى أصبح استخلاص الحقائق التاريخية فى بعض الأمور شيئا غير ميسور ولا هين المنال •

ومن الواضح أنه من أوليات هذه الدراسة درس تاريخ التشريع الاسلامى ورجال الفقه من ذوى الاجتهاد أو ممن لهم آراء فى ترجيح رأى على رأى كذلك تراجم الفقهاء والمحدثين ، والبارزين من الصحابة والتابعين •

وأعتقد أن هذا كله داخل فى مناهج كلياتنا الأزهرية لكن لست أدرى الى أى مدى والى أى حد يستوعب ؟ ولكن الذى أعلمه أنى ألاحظ أن المتقدمين الى مسابقات الابتعاث كثيرا ما يبدون خالى الأذهان من هذه الجوانب ، خصوصا الدراسة الأدبية والتاريخية لأى من هذه العناصر التى ذكرت •

٢ ـ درس الديانات الأخرى :

وهو ما يعنى به المقابلة بين الأديان ومقارنة بعضها ببعض ، فنحن درجنا على درس الدين الاسلامى وحده ، وايمانا منا بأن الديانات الأخرى باطلة ، وأن الله تعالى لم يرض غير هذا الدين الاسلامى ، لم يعننا أن نتعرف على دين سواه • والواقع أننا لا نتعرف الديانات الأخرى لنتعبد بها ، ولكن لأن معرفتها مما يفيدنا من طرق غير مباشرة • فموازنة العقيدة الاسلامية بالعقائد الأخرى تكفى وحدها أن تكون برهانا على صحة الاسلام وأن رسالته هى خاتمة الرسالات ، وأنه لا ينبغى أن يوجد بجانبه دين سواه ، ثم ان الثغرات الواسعة التى تجدها فى الديانات الأخرى مما لابد أن يواجه به أعداء الاسلام ، حتى يروا أننا نجرى فى ديننا على منطق سليم لا يوجد فى دياناتهم •

ويتبع درس الديانات الأخرى درس المذاهب الهدامة ، فأتباع الماركسية ينادون بالوفاق بين الماركسية والاسلام ، وبأن ماركس لو كان علم برسالة محمد لاعتنقها لأن دعوته لا تنبو عنها ، فاذا درسنا المذهب وجدنا أنه لا سيرة ماركس ولا أقواله ولا مبادئه مما يرضى منه الاسلام شيئا ، فاذا سلمنا جدلا بأن ماركس كان يرضى الاسلام مذهبا ويقره دينا ، فلم تتبع ماركس وتترك محمدا ؟ أليس الأصل أولى بالاتباع ؛ أو ليس منهجه أحرى أن يقتدى به ؟

هذه الدراسة تفيد الداعية الاسلامى دفاعا عن دينه وهجوما على خصومه ، ولا يفل الحديد الا الحديد .

٣ ـ دراسة تواريخ الامم التى احتكت بالمسلمين .

وهذا لا يعنى درس تاريخ الفرس والروم فى هذه الفترة دون أمم أخرى فتح المسلمون ممالكها . فالاسلام احتك بالمغوليين ، والأتراك والبربر ، والقوط ، ومسيحيى الغال وروما والبندقية ، ثم احتك بالصليبيين ولحملاتهم خلفيات وراء الاستيلاء على بيت المقدس ، ثم كانت الفتوحات العثمانية فى أوروبا ذات أثر رهيب جعل الامبراطوريات الكبرى الأوروبية تنشىء حلفا ، كان رباطه المسيحية والخوف من تقدم الاسلام .

وشىء آخر له أهميته ، وهو أن انتصارات المسلمين لم تكن معجزات ولم تنزل ملائكة الله تقهر لهم الروم فى مصر ولا البربر فى أفريقية ولا القوطيين فى أسبانيا ، ولو كانت هذه الانتصارات معجزة من السماء ما تراجعت هذه الفتوحات ولا خرج المسلمون من أسبانيا بعد ثمانية قرون ، ولكن ارتفاع الأمم أو انخفاضها أمر يقوم على نواميس طبيعية وقواعد اجتماعية كان من ميزات الاسلام أنه دعا اليها وهدى الى اتباعها ، وقد تنكبت هذه الأمم التى قهرها المسلمون عنها حين تمسك المسلمون بها ، وحين تخلى المسلمون

عنها زالت دولتهم وزال ملكهم من بلاد استقرت بها أقدامهم .

ونحن حين نستعرض أحوال هذه الأمم نقدم أدلة مادية على صلاحية الاسلام وما تقدمه قوانينه للناس من من رقى وسعادة .

والأمة أو الأمم التى يحتك بها الاسلام الآن هى الدول الشيوعية أنها تتذرع بدعاوى كاذبة جوفاء ، وتدعى أنها تعمل على اسعاد الشعوب واذابة الفوارق بين الطبقات، فما مدى ما تسعد به شعوب هذه الأمم وما مدى التقارب ، والاتحاد بين الطبقات فيها ؟

لاريب أن الموازنة بين رجل الشارع فى ظل الحكم الاسلامى ، ورجل الشارع فى ظل الحكم الشيوعى مما يصلح أن يكون ميزانا واضحا فى هذا المجال ، واذن فدرس المذهب الشيوعى ودرس آثاره ونتائج تطبيقه مما يعتبر سلاحاقويا بيد الداعية الاسلامى .

د . عبد الجليل شلبى

أخرج عمرو بن ميمون عن ابيه قال : اتى عمر بن الخطاب رجل ، فقال : يا امير المؤمنين انا لما فتحنا المدائن أصبنا كتابا فيه كلام معجب . قال : أمن كتاب الله ؟ . قال : لا ! فدعا عمر بالدرة فجعل يضربه بها ويقول : (الر . تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف آية : ١ — ٤ .

ثم قال له : انما أهلك من كان قبلكم انهم اقبلوا على كتب علمائهم واساقفتهم وتركوا التوراة والانجيل حتى درس وذهب ما فيهما من العلم .

(اشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم ص٤١٤).

حوار ذوى البصائر

للأستاذ السيد حسن قروت

جرى هذا الحوار بين خطيب عصره (شبيب بن شيبة التميمى) وبين أبى جعفر المنصور سنة ١٢٥ هـ زمن هشام بن عبد الملك ، وكان أبو جعفر حينذاك من رجالات بنى هاشم فى الثلاثين من عمره أديبا أريبا ، عالما لبيبا ، يعد نفسه للخلافة ، وكانت الدعوة العباسية قد تنفست فى خراسان ، واعتنقها كثير من أعداء بنى أمية ، ولها تنظيماتها ودعاتها ونقباؤها كما أعدهم وأرسلهم زعيمهم (محمد ابن على بن عبد الله بن عباس) والد أبى جعفر المنصور . ولكل من هذه الأسماء شأن أى شأن فى شئون الدين والسياسة العربية الاسلامية ، فعباس (١) الذى نسبت اليه الدولة العباسية عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر له التاريخ مواقفه الحميدة الرشيدة فى مناصرة نبى الاسلام ، منها موقفه ليلة (العقبة الأخيرة) فقد شهد لقاء الأنصار وأخذ لابن أخيه منهم ما يضمن له العزة والقوة والنصرة على أعدائه من الكفار وكفار قريش خاصة ، وكان فى ذلك الوقت على دين آبائه ، وكل أمر بعد ذلك كانت تضمره قريش وتتآمر فيه كان عباس ابن عبد المطلب ينهيه الى الرسول الكريم سرا فى المدينة وأسلم قبيل فتح مكة ، وتوفى زمن عثمان بن عفان . أما ابنه عبد الله (٢) فهو حبر قريش وصاحب التأويل فى التنزيل ، وفى خلافة ابن عمه على بن أبى طالب

(١) توفى سنة ٣٢ هـ

(٢) توفى سنة ٦٨ هـ

رضى الله عنه كان عاملا على البصرة له ، وولد له ولد ، فأحضره الى على الخليفة ، فنظر اليه وباركه ودعاه أبا الأملاك وسماه باسمه وأبو الأملاك (على) (١) شهد الأحداث الفاجعة التى جرت لبنى هشام فى عهد يزيد ابن معاوية ، وحين هاجم (مسلم بن عقبة (المرى) المدينة سنة ٦٣ هـ وأسرف فى قتل أهلها ، وأرغم الأحياء منهم أن يبايعوا ليزيد على أن كل واحد منهم قن له الا على بن الحسين ، فقال حصين بن نمير السكونى أحد قواد الجيش ومعه لواء كندة لا يبايع ابن أختنا (على ابن عبد الله) الا على ما يبايع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا ، فأجيب الى طلبه ، وأعفى على بن عبد الله ، ففخر بذلك قائلا :

أبى العباس قرم بنى قصى وأخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت كتائب (مسرف) وبنو اللكيعة
أراد بى التى لا عز فيها فحالت دونه أيد منيعة

وشهد على هذا حصار عبد الله ابن الزبير لبنى هاشم ضمن خمسة عشر رجلا على رأسهم محمد بن الحنفية هو على بن عبد الله ، وكان كثير الصلاة حتى لقب بالسجاد ، أنجب اثنين وعشرين رجلا كانوا زينة الدنيا ، منهم (محمد) (٢) تحمل زعامة بنى هاشم حين سلم اليه الأمر (أبو هاشم بن محمد بن الحنفية) فقام بالأمر ، وبعث الشيعة الى خراسان للانقضاض على بنى أمية واشتهر من أبنائه ابراهيم الامام قتله بنو أمية حين أحسوا بخطره ، وأبو العباس السفاح أول خليفة عباسى ، وأبو جعفر المنصور ، وأبو جعفر صاحبنا (٣) أكبر الأبناء غير أنه كان ابنا لأمة ، فجعلت البيعة لأخويه ابراهيم

(١) توفى سنة ١١٨ هـ
(٢) توفى سنة ١٢٥ هـ
(٣) ولد سنة ٩٥ هـ

والسفاح لخلوص نسبهما من الاماء ، ولهم أخ اسمه (العباس بن محمد) عاش حتى بايع الرشيد .

وهنا نترك الحديث لشبيب التميمى يقص علينا ما جرى بينه وبين المنصور ، وانك لتعجب لحديثه ، فهو من صميم ما يجرى الآن حين يتطلع صحفى لرجل نابه يعد نفسه لزعامة شعبه ، فيجرى معه حديثا ليستشف دخيلة نفسه ، ويتبين مراميه فى السياسة ووسائله الى الرئاسة .

قال : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينما أنا مريح ناحية المسجد اذ طلع من بعض أبوابه فتى اسمر رقيق السمرة ، موفر اللحية خفيفها ، رحب الجبهة ، أقنى بين القنا ، أعين كأن عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الأملاك ، بزى النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته ، واللب فى مشيته ، فما ملكت نفسى أن نهضت فى أثره سائلا عن خبره ، وسبقنى فتحرم بالطواف ، فلما سبّع قصد المقام ، فصلى ركعتين ، وأنا أرعاه ببصرى ، ثم نهض منصرفا ، فكأن عينا أصابته ، فكبا كبوة دميت لها اصبعه ، فقعد لها القرفصاء ، فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علىّ ، ثم شققت حاشية ثوبه ، فعصبت بها اصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه ، ثم نهض متوكئا علىّ ، وانقدت له أماشيه حتى أتى دارا بأعلى مكة ابتدره رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ، ففتحا له الباب فدخل ، واجتذبنى فدخلت بدخوله ، ثم خلى يدى ، وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما بتمام .. كل هذا وشبيب لا يعرفه . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف علىّ مكانك منذ اليوم ولا فعلك بى ، فمن تكون يرحمك الله — ؟ قلت : شبيب بن شيبة التميمى . قال : الأهتمى ؟ — نسبة الى الأهتم

من تميم — قلت : نعم ، فرحب وقرب ، ووصف قومى بأبين بيان وأفصح لسان . فقلت له : أنا أجلك — أصلحك الله — عن المسألة ، وأحب المعرفة ، — وهذه العبارة هى التى أعجبت عشاق الأدب فلا يخلو كتاب قديم منها — فتبسم أبو جعفر وقال: لطف أهل العراق ! أنا عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس. فقلت : بأبى أنت وأمى ما أشبهك بنسبك ، وأدلك على منصبك ، وقد سبق الى قلبى من محبتك ما لا أبلغه بوصفى لك . قال أبو جعفر له : فاحمد الله يا أخا بنى تميم فانا قوم انما يسعد الله بحبنا من أحبه ، ويشقى ببغضنا من أبغضه ، ولن يصل الايمان بقلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ، ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه — وهذا كلام من صميم الدعوة لبنى العباس — قال شبيب فقلت له : أنت توصف بالعلم وأنا من حملته ، وأيام الموسم ضيقة ، وشغل أهل مكة كثير ، وفى نفسى أشياء أحب أن أسأل عنها ، أفتأذن لى فيها ؟ جعلت فداك . قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون — (فى ريبة ممن يحادثنا) وأرجو أن تكون للسر موضعا ، وللأمانة واعيا، فان كنت كما رجوت فافعل. قال : فقدمت من وثائق القول والأيمان ما سكن اليه ، فتلا قول الله تعالى : « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم » ثم قال : سل عما بدا لك — وهنا دارت أسئلة حول السياسة ورجالها ، والخلافة فى بنى أمية — قلت : ما ترى فيمن على الموسم ؟ — وكان عليه يوسف ابن محمد بن يوسف الثقفى خال (الوليد) (١) فتنفس الصعداء وقال: عن الصلاة خلفه تسألنى أم كرهت أن يتأمر على (آل الله) من ليس منهم . تأمل (آل الله) قلت : عن كلا الأمرين قال : ان هذا عند الله لعظيم ، فأما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه ، فأد ما فرض الله عليك فى كل وقت مع كل أحد وعلى أى حال ،

---

(١) الوليد بن يزيد ولى الخلافة بعد هشام .

ان الذى ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك فى كتابه بأنه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل الناس ايمانا رحمة منه لك ، ولوفعل ذلك ضاق الأمر عليك ، فاسمح يسمح لك • قال : ثم كررت السؤال عليه فما احتجت أن أسأل عن أمر دين أحدا بعده ــ وهذا يدلك على غزارة علم أبى جعفر وتفقهه فى الدين ــ وهنا وصلا الى موضع السر ، وموطن الخطر • يقول التميمى : يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة • قال : لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها ، فنسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها ، فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها • قلت : أيتخلف أحد من العرب وأنتم سادتها ؟ قال : نعم ، قوم يأبون الا الوفاء لمن اصطنعهم ، ونأبى الا طلبا بحقنا ، فننصر ويخذلون كما نصر بأولنا أولهم ، ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم • قال : فاسترجعت • فقال : سهل الأمر عليك « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » وليس ما يكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم ، وحفظ أعقابهم ، وتجديدالصنيعةلهم ــ وهذه الرحمة من مطلب الدعاية ــ قلت : كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم ؟ قال : نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا ، وبغض الينا الغدر وان كان لنا ، وانما يشذ عنا منهم الأقل ، فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا ، وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم من أنفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسىء ، ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه ، فتذهب المنابزة ، وتخبو الفتنة ، وتطمئن القلوب • قلت : ويقال : انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة ــ وهذا من شائعات بنى أمية ــ ولذلك لم يفطن أبوجعفر لمراده فقال : قد روى : ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره • قلت : لم أرد هذا • قال : فمه ؟ قلت : تقعون بالولى وتحظون بالعدو • قال : من يسعد بنا من

الأولياء أكثر ومن يسلم لنا من الأعداء أقل وأيسر ، وانما نحن بشر وأكثرنا أذن ــ بضم الهمزة ــ ولا يعلم الغيب الا الله ، وربما استترت عنا الأمور فنقع بما لا نريد ، وان لنا لاحسانا يأسو به الله ماتكلم ، ويرم به ما تثلم ، ونستغفر الله فيما لا نعلم ، وما أنكرت من أن يكون الأمر كما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ، ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المدل ، وأخل المسترسل ، وتجانب المتقرب ، ومع الثقة تكون الثقة على أن العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا ، وانك لسئول ياأخا بنى تميم .

قلت : انى أخاف ألا أراك بعد اليوم . قال : انى لأرجو أن أراك وترانى كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت : عجّل الله ذلك. قال: آمين. قلت : ووهب لى السلامة منكم فانى من محبيكم . قال :آمين وتبسم وقال : لا بأس عليك ماأعاذك الله من ثلاث : قلت : وما هى ؟ قال :

١ ــ قدح فى الدين .

٢ ــ هتك للملك .

٣ ــ تهمة فى حرمة .

ثم قال : احفظ عنى ما أقول لك: أصدق وان ضرك الصدق ، وانصح وان باعدك النصح ، ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخفول ، ولا تخذل ولينا فانه منصور . واصحبنا بترك المماكرة ، وتواضع اذا رفعوك ، وصل اذا قطعوك ، ولا تستخف فيمقتوك ، ولا تنقبض فيتحشموك ، ولا تبدأ حتى يبدءوك ، ولا تخطب الأعمال ، ولا تعرض للأموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة ؟ ونهض شبيب لوداعه، ولكنه قال : أترقب لظهور الأمر وقتا ؟ قال أبوجعفر : الله المقدر الموقت ، فاذا قامت النوحتان بالشام فهما آخر العلامات . قال : وما هما؟ قال أبوجعفر : موت هشام العام ، وموت محمد بن على مستهل

ذى القعدة ، وعليه تخلفت، ومابلغتكم حتى أنضيت . يقول شبيب : هل أوصى ؟ قال : نعم: الى أخى ابراهيم. ومحمد بن على والد المنصور وابراهيم والسفاح . ويقصد بنوحتى الشام أن البكاء سيكون على رجلين أحدهما الخليفة وآخرهما عدو الخليفة (محمد العباسى) ولا أدرى كيف صادف هذا القول الواقع ؟ فقد ماتا وأظهر دعاة بنى العباس الدعوة بعنفها وعصفها فى خراسان .

وخرج شبيب بعد اجراء حديثه هذا ، فأرسل أبوجعفر وراءه مولى له حتى عرف منزله ، ثم بعث اليه بكسوة حسنة ، وقال له المولى : يأمرك أبوجعفر أن تصلى فى هذه . وافترقا ولم يلتقيا الا بعد سنوات تغيرت فيها مجريات الأمور. لم يحظ أحد من شيعة بنى هاشم ومن أنصارهم ولا من طلاب الأدب والمعرفة بمثل ما حظى به شبيب ؛ فقد وقف على مكنون سر الخليفة المنتظر ، وكان للأمانة راعيا، وللسر حافظا ،ولم يظهره الا بعد أن أظهره صاحبه ، والمتأمل فى هذا الحوار يرى أبا جعفر رجل دولة من قمة رأسه الى أخمص قدمه، فهو يثق بالنجاح فيما هومقدم عليه، وقد هيأ نفسه لشئون الخلافة ، وجعل له دستورا يسير عليه ووضع حدودا للأنصار والعمال وشئون الحرب والسلم ، ومعاملة الأعداء بعدأن تضع الحرب أوزارها ، واهتم بمبادىء ثلاثة : الرعاية الدينية ، والحفاظ على الملك ، وصيانة الحرمات ، والمتتبع لسياسة أبى جعفر أثناء خلافته يرى أنه نفذها تنفيذا لا هوادة فيه ، فمن تعرض لهتك ملكة أذاقه وبال أمره ، لايفرق بين قريب وبعيد ؟ فلم تعطفه رحم عمه (عبد الله بن على) ولا بلاء (أبى مسلم الخرسانى) فى خدمة الدولة فى القضاء عليهما ، ولا نذكر ماجرى للعلويين على يديه ، ولانقض أمان (ابن هبيرة) فذلك شىء يطول ذكره ، وانما نشير الى مدى تمسكه بتلك المبادىء التى أفضى بها الى شبيب التميمى قبل أن يلى الخلافة

بأحد عشر عاما منها سبعة كانت لبنى أمية ، وأربعة (١) لأخيه أبى العباس السفاح ، حتى أثناء خلافة أخيه كان صاحب الرأى والشورى وقيادة الجند على حين كان أخوه الخليفة مع ضعف ميزانية الدولة تتمثل فيه شمائل الترف والسماحة ، فيقبل الفكاهة والعبث من أبى دلامة الشاعر وزوجه .

ونعود الى شبيب ، وهل نسيه أبوجعفر ؟ يقول شبيب : غبت زمنا طويلا عنه ، فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدنيانى منه فى جماعة من قومى لأبايعه ، فلما نظر الى أثبتنى ، فقال : خليا عمن صحت مودته ، وتقدمت حرمته ، وأخذت قبل اليوم بيعته ، فأكبر الناس من قوله ووجدته على أول عهده بى . ثم قال : أين كنت عنى أيام أخى أبى العباس ؟ فذهبت أعتذر . قال : أمسك ؛ فان لكل شىء وقتا لا يعدوه ، ولن يفوتك — ان شاء الله — حظ مودتك ، وحسن سابقتك ، فاختر بين رزق يسعك ، أو عمل يرفعك . قلت : أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ ، انما نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال : ذلك لك . ثم قال : هل زدت فى عيالك بعدى شيئا ؟ — وكان قد سألنى عنهم — فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت : الفرس والخادم . قال : قد ألحقنا عيالك بعيالنا ، وخادمك بخادمنا ، وفرسك بخيلنا ، ولووسعنى لحملت لك من بيت المال ، وقد ضممتك الى (المهدى) وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك . وهكذا كان هذا اللقاء والحوار الذى جرى فيه سببا فى رفعة منزلة شبيب وكثرة ماله ، ولما مات المنصور سنة ١٥٨ هـ بقى مع المهدى فى خاصته يزداد رفعة ومالا . ومن المصادفات العجيبة أن اللقاء كان فى موسم الحج ، ووفاة المنصور كانت فى موسمه وهو محرم ، ودفن بالحجون . لقد كان أبوجعفر رجل دولة بنى العباس دون منازع ؟

السيد حسن قرون

---

(١) خلافته (١٣٢ — ١٣٦ هـ) .

محمد إقبال "تحية اليه فى ذكراه"

الداعية الإسلامى المجدد

١٢٨٩هـ - ١٣٥٦

١٨٧٣ - ١٩٣٨م

للدكتور عزت عيسى عبد الظاهر

كان العالم الاسلامى شعوبا وأوطانا فى النصف الأول من هذا القرن يعانى كثيرا من مظاهر التخلف ووطأة الغزو الاستعمارى والفكرى، وقد ظهر فيه مصلحون تنادوا على النهوض به فى كل مجال ، ومن هؤلاء المصلح الشاعر الفيلسوف الداعية المجدد (محمد اقبال) الذى نشأ وبرز فى بلاد الهند .

مولده :

ينتسب محمد اقبال الى أسرة يرجع أصلها الى براهمة (كشمير) وأسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون فى عهد الدولة المغولية على يد الشيخ (شاه همدانى) أحد أئمة المسلمين آنذاك ، ثم هاجر جده من قرية (لوهر فى كشمير) الى مدينة (سيالكوت من ولاية بنجاب) .

وفى هذه المدينة ولد داعيتنا المسلم المجدد من أبوين صالحين تقيين ، اذ كان أبوه متصوفا كادحا فى كسب رزقه عاملا لدينه ودنياه ، وكانت أمه على صلاح وورع حتى انها كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها اذ كان يعمل مع رئيس عرف بأكل الرشوة ، مع أن راتب وظيفة زوجها لم يكن من مال هذا الرئيس ولكن كذلك اقتضاها ورعها .

نشأته ومقوماتها :

وقد تميزت نشأة محمد اقبال بعوامل دفعت به الى ميدان الاصلاح والتجديد فى الفكر والحركة الاسلامية :

(أ) فقد حباه الله تعالى ذكاء نادرا ، وذهنا صافيا ، وعقلا واعيا ، فكانت لهذه المواهب أثرها فى نشأته واتجاهه .

(ب) وتربى فى أحضان والدين صالحين انعكس أثر صلاحها على نشأته وسلوكه فقد كان أبوه يقظا لنبوغ ابنه يتعهده بتوجيه الفكر والسلوك معا ، • ومما يذكره عنه الابن مبكرا قوله له حين رآه يكثر قراءة القرآن من صغره (يابنى ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك) وقد كان اقبال يعد وصية أبيه هذه له مما أثر فى حياته ، وكان لأمه وورعها أثر كبير فى سلوك ابنها حتى ليذكر أثرها فيه بقوله (ساميت النجم بتربيتك •• ••• وكان فخر الآباء والأجداد بيتك •••وكانت قدوة فى الدين والدنيا) ؛

وقد كان احساس اقبال بفضل والديه وأثرهما فيه عميقا فكان دائم العرفان لهما بالجميل ويقول فى شعره : (منيتى أن أضع جبينى على أقدام الوالدين) ؛

(جـ) وحين درج فى دور العلم ومراحله صادف كثيرا من الأساتذة الذين كان لهم أثر كبير فى توجيه فكره وسلوكه حتى أنه ليعبر كثيرا بالقول والعمل — وهو فى تألق مجده — عن فضل وأثر هؤلاء الأساتذة فيه •

منهم : الأستاذ (مير حسن) الذى كان له أثره — بعلمه وسلوكه — فى تربية اقبال وتوجيهه الى مواصلة طلب العلوم الحديثة بجانب العلوم الاسلامية ، وقد أشاد به اقبال كثيرا فى شعره، ولما عرض عليه لقب (سير) اشترط لقبوله أن يمنح أستاذه هذا لقب (شمس العلماء) فأجيب الى ما اشترطه •

ومنهم : (السير توماس أرنولد) صاحب كتاب (الدعوة الى الاسلام) فقد تتلمذ عليه اقبال فى الهند وفى انجلترا حتى ان (توماس) اختاره ليخلفه فى عمله بالجامعة حتى اضطر الى الانقطاع عنه بعض الوقت ، ولم يأل اقبال جهدا فى توثيق صلاته بالعلماء •

(د) كما نال اقبال اعجاب أساتذته وزملائه وتلاميذه بسعة علمه وكثرة اطلاعه وسداد رأيه فاتجهت اليه

الأبصار مبكرا ؟ ويصف لنا أمين مكتبة جامعة البنجاب نهم اقبال فى المطالعة فيقول : (انى لم أر أحدا مثل اقبال فى الحرص على مطالعة الكتب والنظر فيها والاستزادة منها) .

وقد حفظ كثيرا من القرآن الكريم ونال حظا كبيرا من الثقافة الاسلامية من كل فروعها ، كما نال قسطا وافرا من الثقافات الأوربية ، وتنقل فى جامعات أوربا ، ونال أعلى الدرجات العلمية .

هذه العوامل كلها : مواهبه ، وبيئته ، وأساتذته ، وقراءاته ، تضافرت على تكوين فكر اقبال وسلوكه .

منهجه فى الاصلاح والتجديد :

جمع اقبال بين ثقافات الشرق والغرب عن بصيرة وتفتح ، ودرس مناهجهما فى الاصلاح ، وعايش المجتمع الشرقى ، بروحانياته ، والمجتمع الغربى بمادياته ، ولم تذب شخصيته فى واحد منهما ، وأحس أن كلا المجتمعين فى حاجة الى اصلاح وتجديد للفكر والسلوك معا .

(أ) لكنه وهو ينهج سبل الاصلاح لم ينشده من خلال سبحات فكرية وأحلام شعرية مجردة يتأملها من برج عاجى أو انعزالى .

كما لم ينهج عمليا خلوا من فكر واضح متبلور فى عقله ونفسه .

وقد بدا له حينا أن يهجر الشعر الذى ضمنه فلسفته فى الاصلاح ، وأن يغامر فيما يغامر الناس فيه .

ولكن أشار عليه بعض أصدقائه وأساتذته — ومنهم توماس أرنولد — أن يدوم على نظمه .

ومن هنا فقد جمع اقبال فى منهجه التجديدى بين الفكر والعمل ، والأمل والجهاد ، والدعوة والاقدام ، فأنتج فى كلا الميدانين الفكرى والسلوكى .

(ب) وكانت دعوته للاصلاح موجهة لكل الناس بعامة وللمسلمين بخاصة ، ويقول فى احدى قصائده: (منيتى أن أكون خادم خلق الله

ما حييت ، لا أتمنى عمرا خالدا) ، وقد علم مواطنوه ذلك عنه حتى انه بعد احدى محاضراته فى مدينة (ميسور) قام أحد الأساتذة الهنادك يعقب عليه بقوله (يقول المسلمون : ان الدكتور اقبالا لهم ، والحق أنه لنا جميعا لا يختص جماعة أو دينا ، فان افتخر المسلمون بأنه أخوهم فى الدين ، فنحن نفتخر بأن اقبالا هندى) •

(جـ) وهو اذ يأخذ بكلا المنهجين الفكرى والعملى فانه كذلك يشارك فى كلا الميدانين باتناجه العقلى العميق والغزير وبجهده الدائب المتواصل حتى الممات •

ففى ميدان (الفكر) كان فكره عالميا جوالا جمع ما شاءت له سعته من معارف الشرق والغرب وأثمر روائع خالدة وآثاراً كثيرة بالانجليزية والفارسية والأوردية ، وترجم كثير منها الى العربية ومن انتاجه : هدية الحجاز ، أسرار الذات ، ما ينبغى أن تعملى يا أمم الشرق ، اصلاح الأفكار الدينية فى الاسلام وهو من أعظم ما كتب اقبال ــ وهو عبارة عن عدة محاضرات ألقاها فى مدراس وغيرها سنة ١٩٢٨م وجمعت فى كتاب وقد ترجم الى العربية باسم (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام)•

وقد أخذ من التاريخ الاسلامى أمثلة لفلسفته ، وصورا لشعره ، وكان كثير الاقتباس فى شعره وانتاجه من القرآن الكريم حتى لتحس أن القرآن كان على قلبه ولسانه •

وكان فيلسوفا نابغا وشاعرا فذا ظل شعره ــ وما زال ــ نشيدا يتردد بين مسلمى شبه القارة الهندية وكان بذلك كله من الذين يظهرون فى مواكب التاريخ الحضارى بين الحين والحين •••

وفى الميدان العلمى شارك كثيرا فى مجالات الاصلاح والنهضة فى بلاده ، وفى كثير من البلاد الاسلامية ، فكان العقل الواعى ، والحركة الدائبة وراء فكرة انشاء دولة باكستان الاسلامية حتى ليقول عنه مؤسسها القائد الأعظم محمد على جناح (كان اقبال لى صديقا ،

واماما ، وفيلسوفا ، وكان فى أحلك الساعات التى مرت بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة لم يزلزل لحظة واحدة قط) ؛ وانتخب فى الجمعية التشريعية بغير عناء ، ولا تزال خطبه ، ونشاطه فيها شاهدا له ؛ واشترك فى عدة مؤتمرات فى أوربا ، كما قدم الى القاهرة سنة ١٩٣١ واحتفلت به مجامعها الدينية والأدبية والعلمية وألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسلمين فى حفل كبير عن (تطور الفكر الاسلامى) ، كما زار الأزهر ، وشهد المؤتمر الاسلامى فى بيت المقدس ، وكان له جهد كبير فى سبيل قضيته وزار أسبانيا ورأى الآثار الاسلامية هناك ومن أعظمها وأخلدها (جامع قرطبة) واستأذن حكومة أسبانيا آنذاك للصلاة فيه ، وصلى فيه ، وكان لذلك روعته وأثره فى نفسه وصداه فى شعره ، وعمل بالتدريس فى كلية الحكومة ثم تركها بعد سنة ونصف واشتغل بالمحاماة بقدر ما يتكسب رزقه فقط ، وكان لا يقبل وكالة فى قضية حتى يعلم أن موكله محق فيها ، وأنه يستطيع أن يأخذ له بحقه ؛ • وقد سأله خادمه يوما عن سبب تركه العمل بالكلية الحكومية فقال له : (ان خدمة الانجليز عسيرة ، وأعسر ما فيها أنى لا أستطيع أن أحدث الناس بما فى نفسى مادمت فى خدمتهم ، وأنا اليوم حر ، ما شئت قلت) ، ومع ذلك لم يقطع صلته عن الجامعة بالعمل فى لجانها ومجالسها ، كما كان له نشاط كبير فى اصلاح التعليم وقد دعى لأفغانستان للنظر فى برامج التعليم هناك وشارك فى تقرير ما يجب عمله وأخذت الحكومة بآرائه ، ثم انه كان فى أوربا كثير التحدث عن الاسلام وثقافته وحضارته ، وألقى كثيرا من المحاضرات فى هذا ونشرتها له الصحف الكبيرة وكان شديد الأسف على جهل أهل الغرب الاسلام والفلسفة الاسلامية •

فلسفته ونظريته فى الاصلاح والتجديد :

١ ـ موقفه من الحضارة المادية فى أوربا : المتابع لفكر اقبال يرى أنه بدراسته الواسعة للثقافات الأوربية ومعايشته لمجتمعاتها لم يعجب بحضارة أوربا ولم تأخذه بهجرجتها وفيها يقول : يا ساكنى ديار الغرب ليست أرض الله حانوتا ،

ان الذى توهمتموه ذهبا خالصا سترونه زائفا وان حضارتكم ستبخع نفسها بخنجرها ، ان العش الذى يبنى على غصن دقيق لا يثبت) •

٢ ـ موقفه من روحانية الشرق :

دعا فى شعره الى نبذ التصوف الأعجمى الذى يؤدى الى السلبية فى الحياة ، وبشر بالتصوف العملى الذى يدعو الى العمل والجهاد شأن أئمة الصوفية المجاهدين واتخذ قدوة لذلك من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين الذين عدهم نماذج من المتصوفة العاملين لمجد دينهم ومجد الحياة والأحياء • وقد مجد فى أشعاره الشخصيات الاسلامية الرائدة ، فعد عمر وعليا رضى الله عنهما ممثلين للقوة فى الحق والاستقامة والعدل ، وعد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ممثلة للمرأة المسلمة فى ايمانها وجهادها وعنايتها بتربية أبنائها ورعاية زوجها •

٣ ـ وكانت المشكلة الأساسية عنده هى اعادة بناء الانسان فكان تركيزه فى اصلاحه وتجديده على بناء الشخصية الانسانية على نمط مؤمن حى ، وتمثل هذه الناحية فى فلسفته الاصلاحية نظريته التى أسماها (الذاتية) وكتب فى ذلك كثيرا ، ويعبر عن دوافعه الى هذا الاتجاه فى رسالة وجهها الى ولده وفيها يقول (ان فى عصرنا هذا قحطا فى الرجال ، وعسير فيه الظفر بلقاء رجال الله ، فان تكن سعيد الجد لقيت أحد أصحاب البصائر ، والا فاعمل بهذه النصائح ••) وتتلخص أفكاره فى نظريته هذه فى أن كمال الذات له ثلاث مراحل :

(أ) اطاعة القانون الالهى ، وأن التوحيد المطلق ينفى عن النفس الاستكانة للمخاوف والأطماع •

(ب) وضبط النفس ، ولا يكون الا بنفى الخوف والشهوات ، وأن هدف الانسان الدينى والأخلاقى هو اثبات الذات لا نفيها •

(جـ) والنيابة الالهية بتحقيق الانسان معنى خلافته عن الله فى الأرض ليعمرها باسم الله وحده

فالحياة رقى مستمر ، وجهاد لتحصيل الاختيار ، وهى تسخر كل الصعاب التى تعترض طريقها ، وأن الوقت هو الحياة ، وهذه المرحلة يكون الانسان فيها مسيطرا على العالم ، مسخرا قوى الكون نافخا الحياة فى كل شىء ، ويرد العالم الى الاخاء والسلام .

٤ - أما الأمة عنده فلا تنتظم بغير شريعة وسلوك ؛ وهو يرى أن شريعة الأمة الاسلامية هى القرآن ؛ وأن سلوكها مؤسس على الاقتداء بالآداب المحمدية .

وأركان الأمة الاسلامية عنده هى :

(ا) التوحيد : فهو سر الدين والشرع والحكمة والقوة والسلطان وهو الدواء الذى يميت الخوف والشك ويحيى العمل والأمل ويقهر كل صعب ويذلل كل عقبة فهو الروح فى أمتنا وبه الحياة والقوة ، ومقصد حياة المسلم هو اعلاء كلمة الله ، وتعاليم الاسلام واضحة بينة وهى أن ذاتا واحدة تستحق العبادة ، وأن كل الكثرة التى ترى فى العالم مخلوقة .

(ب) الرسالة الاسلامية الخاتمة : ومقصودها بعد التوحيد المساواة والحرية والأخوة بين بنى آدم حررت الانسان من العبودية لمخلوق مثله أيا كان ورفعت عنه الأغلال ؛ ولا تنتظم أمة بغير شريعة وشريعة الأمة الاسلامية القرآن ، وحسن سيرة الأمة يكون بالتأدب بالآداب المحمدية .

ويرى أن على المسلم اليوم عملا شاقا : عليه أن يعيد النظر فى الاسلام كله دون انقطاع عن الماضى ؛ وهو بذلك يرى أنه مع ضرورة مراجعة المسلم دائما لقضايا الاسلام وفهمها والتيارات الفكرية التى ترد اليها أو تصدر عنها فانه لابد مع هذا أن يكون هذا الاجتهاد مؤسسا على النظر للاسلام كله ، والبناء على الماضى دون ما انقطاع عنه حتى تتصل الحلقات الحضارية للفكر الاسلامى ولا تنبت فروع عن جذورها .

لقد ظل اقبال طول حياته ينفث فى النفوس حياة وقوة واباء وجهادا ودعوة الى الحرية وثورة على الجبروت وايقاظا للمسلمين خاصة

وتبصيرا لهم بمكانهم فى هذا العالم ومكانتهم فى تاريخه وحضارته ولقد ترك وراءه صدى واسعا ولا يزال الباحثون والمصلحون يجدون فى فكره وحركته التجديدية ما يشغل أقلامهم ويبين لهم عن سبل الاصلاح ، يقول عنه أحد معاصريه وهو مولانا أسلم الجراجبورى : ان اقبال أعظم شعراء المسلمين ، ان كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية ، ولقد هدى ناشئتنا سواء السبيل ، ان اقبالا حذق علوم الغرب ، ثم أبلغ المسلمين الرسالة التى بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن » .

تحية الى اقبال فى ذكراه وسلام عليه فى الدعاة العاملين ؟

د. حسن عيسى عبد الظاهر

عن الأسود بن ابى يزيد قال : كان الوفد اذا قدموا على عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ سألهم عن أميرهم فيقولون : خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم : فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ! فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه ؟ فان قالوا لخصلة منها : لا ، عزله !!

الطبرى جـ٥ ص ٣٣

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ١١ —

انتهينا فى العدد السابق من الكلام عن نظام الملكية ونبدأ فى هذا العدد الكلام عن الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية .

تحرص كل المجتمعات على أن توفر الاستقرار والأمن لجميع أفرادها بصرف النظر عن جنسياتهم أو مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية ولذلك تضع كل دولة قانونا للعقوبات يحدد على سبيل الحصر كل ما يعتبر جريمة ويحدد عقوبة لكل جريمة من هذه الجرائم طبقا للمبدأ السائد فى جميع التشريعات الوضعية « لاجريمة ولا عقوبة الا بنص » فكل فعل غير وارد فى قانون العقوبات لا يعتبر جريمة ولا يعاقب مرتكبه مهما كانت الأضرار الناتجة عنه ولا تسير المجتمعات الحديثة وفق قاعدة معينة فى تحديد الجرائم والعقوبات بل يتم وضع جداول الجرائم والعقوبات وفق أهواء الحكام والمصالح التى يرون هم حمايتها ولذلك نجد التفاوت الكبير بين العقوبات عن الجريمة الواحدة فى قوانين عدة دول فنجد مثلا انتقاد نظام الحكم فى دولة من الدول لا يكون أى جريمة على الاطلاق بينما يعتبر ذلك جريمة كبرى تصل عقوبتها الى الاعدام فى دولة أخرى ونجد أن عقوبة السرقة تختلف من دولة لأخرى بل تختلف فى نفس الدولة الواحدة تبعا لملكية الشىء المسروق وما اذا كان مملوكا للدولة أو الأفراد مع أن السرقة أمر واحد مهما اختلف الزمان أو المكان أو مالك الشىء المسروق ، كذلك نجد أن بعض الأفعال

تعتبر جرائم فى دول ولا تعتبر كذلك فى دول أخرى مثل ارتكاب الأفعال الفاضحة فى الطريق العام كما أن نفس الفعل يعتبر جريمة فى وقت أو ظرف معين ولا يعتبر نفس الفعل جريمة فى وقت آخر، فزنا الزوج فى القانون المصرى لا يعتبر جريمة ولا يعاقب عليه الا اذا تم فى منزل الزوجية ، ولا يعاقب عليه اذا تم فى أى مكان آخر ، والفتاة التى تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما لا تستطيع قانونا أن تبيع أو تتنازل عن أى شىء مملوك لها بينما تستطيع أن تبيع وأن تتنازل عن عرضها وعذريتها ولايكون ذلك جريمة، وتحدد بعض التشريعات هذه السن بستة عشر سنة فقط . وجريمة القتل مع أنها واحدة أيضا بالنسبة لجميع بنى الانسان نجد أن بعض التشريعات تحرص على ألا تعاقب القاتل بالاعدام بينما تفرق تشريعات أخرى فى العقوبة نتيجة وسيلة القتل العمد فتقضى بالاعدام ان كان القتل بالسم، أومع سبق الاصرار والترصد ، ولا تقضى بالاعدام فى غير ذلك من حالات القتل العمد مع أن القاتل فى جميع هذه الحالات متعمد للقتل ، كذلك لا تعاقب بعض التشريعات بالاعدام جزاء على القتل العمد الا اذا كان القتل بدافع سياسى ، بينما تأخذ بعض التشريعات بوجهة نظر مضادة فتقضى بالاعدام فى كل قتل عمد الا اذا كان الدافع له سياسيا فتجعل العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة فقط ، وتأخذ دول أخرى بوجهة نظر أشد غرابة فتقضى بالاعدام على مجرد الاتفاق على ارتكاب جريمة القتل متى كان الدافع لذلك دافعا سياسيا ولو لم يتم ارتكاب الجريمة أصلا ، ولا يخلو أى تشريع وضعى من هذه التناقضات الواضحة والتى يرجع سببها الى هوى الحكام وما يبتغون حمايته من مصالح وما يعتقدونه فى صالح مجتمعاتهم ودرجة فهمهم لمعانى الحرية والعدالة حتى أن بعض التشريعات تعاقب على الشروع أو الاتفاق على ارتكاب بعض الجرائم ولو لم يتم ارتكابها .

والى جانب هذه التناقضات التى أوردنا أمثلة محدودة لها نجد أن

هناك تناقضا واضحا وقعت فيه جميع التشريعات الوضعية ولم يتخلف منها عن هذا التناقض تشريع واحد فكل هذه التشريعات اهتمت بتعداد الأفعال المعتبرة جرائم وتحديد عقوباتها ، وأهملت الدوافع والعوامل المساعدة على ارتكاب هذه الجرائم فمثلا تعاقب معظم التشريعات على السكر ، وارتكاب الفواحش بقيود معينة والسرقة والقتل بينما تهمل الدوافع المحرضة على ذلك مثل: اباحة تصنيع الخمر والاتجار فيها وجعلها فى متناول الجمع ، واباحة الاختلاط وعرض الأفلام الجنسية المثيرة لكافة الغرائز والشهوات ، وعدم مراعاة التوافق المطلوب بين دخول الأفراد والحدود الدنيا اللازمة لنفقات المعيشة ، وتدبير مورد رزق لكل محتاج غير قادر على الكسب ، فكل التشريعات الوضعية لا ترى فى هذه الدوافع ووسائل التحريض أكثر من مجرد ظرف مخفف للعقوبة فقط للقاضى أن يأخذ به أولا يأخذ به حسب وجهة نظره وحده دون أى معقب عليه فى ذلك .

وأخيرا نجد أنه من التناقضات الكبيرة أيضا هذه الحصانة التى تفرض لبعض الأفراد والتى تمنع من رفع الدعوى عليهم الا بعد استئذان جهات معينة قد تسمح وقد لا تسمح فلا يقعون تحت طائلة العقاب مهما ارتكبوا من جرائم ، وحق العفو الذى بيد الحاكم والذى يملك بموجبه تعطيل حكم القضاء ضد أى مجرم فيمنع من تنفيذ العقوبة وأحيانا قد يتوسع الحاكم فى ذلك فيصدر عفوا شاملا يصبح بعده المجرم الجانى كأنه لم يرتكب جرما ولا اثما وليذهب المجنى عليه بعد ذلك الى الجحيم ، كما قد ينتهز الحاكم بعض المناسبات للافراج عن بعض المجرمين الذين لم يقضوا بالسجن كامل المدة التى عوقبوا بقضائها فى السجن على ما ارتكبوه من جرائم .

وفيما يتعلق بالعقوبات التى يحكم بها فى ظل التشريعات الوضعية فاننا نجد أنها تنحصر بين الاعدام والسجن ، أو الحبس والغرامة .

واذا ما دققنا النظر فى عقوبة الاعدام فاننا نجد أحيانا أن هذه

العقوبة تفرض فى غير قتل حقيقى وأحيانا لا تفرض وهناك قتل حقيقى وقد عانينا من هذه العقوبة فى مصر وطريقة فرضها فكم أعدم من أبرياء لغير جريمة تستوجب ذلك فى ظل الحكم السابق على ثورة التصحيح التى قادها الرئيس المصرى محمد أنور السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١

وأما عقوبتا السجن والحبس فتعنيان وضع المحكوم عليه فى مكان أمين مستوف للاشتراطات الصحية يختلط فيه بمجرمين آخرين قد يكونون من العتاة فى الاجرام وتصرف له فيه كميات معينة من الطعام لا تقل فى كمياتها ونوعياتها عن الغذاء الرئيسى لمعظم الناس كما يلقى فى هذا المكان العلاج اللازم ويسمح له فى السجن بالقراءة والكتابة والتدخين بقيود معينة ، وعموما قد تكون الحياة فى هذا المكان الأمين من ناحية نظافة المكان وأسلوب المعيشة أحسن بكثير من المكان الذى كان يعيش فيه المجرم قبل دخوله السجن خاصة بعد أن تزايدت صيحات الكتاب والمفكرين فى جميع أنحاء العالم بأن المجرم يعتبر شخصا مريضا يستحق العلاج والعناية بصرف النظر عن جريمته وآثارها ، وبعد أن أصبحت حكومات كثيرة تتفاخر بما أحدثته من تطوير فى سجونها يحقق الرفاهية للمسجونين فنسمع عن السماح لهم بالاستماع الى برامج الاذاعة ومشاهدة برامج التلفزيون ، واضاءة غرفهم بالكهرباء وزيادة مقادير اللحوم التى تقدم لهم فى وجباتهم الغذائية .

واما الغرامة فهى مبلغ من المال يحكم به على المجرم ويذهب بأكمله الى الدولة ولا يؤول منه شىء الى المجنى عليه، أوورثته الذين عليهم ان أرادوا تعويضا ماليا أن يطالبوا به الجانى . وهذه الغرامة باعتبارها دينا مستحقا للدولة تعتبر من الديون الممتازة التى تتقدم عن التعويض المستحق للمجنى عليه أو ورثته وتستوفى أولا من أموال الجانى فان لم تف أمواله بدفع الغرامة والتعويض معا قامت الدولة بتحصيل الغرامة ولا شىء بعد ذلك للمجنى عليه أو ورثته .

كذلك تأخذ جميع الشرائع الوضعية بمبدأ سقوط كل من الجريمة والعقوبة بالتقادم فتقضى بأنه اذا مضت مدة معينة على ارتكاب الجريمة ولم ترفع الدعوى ضد الجانى فانه يمتنع بعد ذلك رفع الدعوى عليه ، واذا حكم عليه بالعقوبة واستطاع الهرب مدة معينة ثم ظهر بعد ذلك فانه يمتنع تنفيذ العقوبة المحكوم بها عليه بعد مضى هذه المدة .

هذه هى أهم المبادىء والأسس التى يقوم عليها التشريع العقابى فى جميع الشرائع الوضعية .

اذا ما انتقلنا بعد ذلك الى بحث الوضع فى الشريعة الاسلامية فاننا نلاحظ أنها تهتم بتكوين المجتمع النظيف الذى يأمن فيه كل فرد على نفسه وماله وعرضه ودينه وعقله وهذه الأمور الخمسة هى مقومات الحياة وهى ما يعبر عنه فى الاصطلاح الشرعى بالضرورات الخمس أو المصالح المعتبرة فى الاسلام ، فكل ما يتخذه الحاكم من اجراءات لحمايتها يعتبر جائزا شرعا متى كانت هذه الاجراءات لا تكون مخالفة لأصل من أصول الشريعة . ولذلك لا يقتصر اهتمام الشريعة الاسلامية على مجرد تعداد الجرائم وتحديد العقوبات ولكنها تحرص قبل ذلك على تهيئة المناخ للحياة الفاضلة ولذلك حرصت الشريعة على التمسك بكل مكارم الأخلاق من تعاون وتعاطف وتراحم بين الأفراد الى جانب حظر كل ما يمكن أن يؤدى أو أن يكون سببا لارتكاب الجريمة فلا تقتصر أحكام الشريعة الاسلامية على العقاب على شرب الخمر وانما تمنع تصنيع الخمر وبيعها وتعتبر ذلك جريمة من الجرائم ولا تقتصر على العقاب على الزنا وانما تضع قيودا على اختلاط الرجل بالمرأة الأجنبية وتضع قيودا على رداء المرأة بل وعلى طريقة كلامها ومشيتها وزينتها ولا تقتصر على تحريم السرقة والعقاب عليها وانما تلزم الأغنياء بمساعدة الفقراء وتفرض الزكاة وتحصلها جبرا من المتمنعين عنها وتجعل لكل فقير ومحتاج حقا فى النفقة تؤديها له الدولة كما تحرم ألعاب القمار والربا وغير ذلك من

وسائل أكل أموال الناس بالباطل وهذا قليل من كثير تفرضه أحكام الشريعة الاسلامية لخلق المناخ الملائم لتكوين المجتمع الفاضل النظيف الى جانب العبادات المختلفة من صلاة وصوم وزكاة وما تؤدى اليه من النهى عن كل فاحشة ومنكر •

ولا يأخذ التشريع الاسلامى بهذا التعداد للجرائم كما تذهب الى ذلك الشرائع الوضعية ذلك أن وسائل ارتكاب الجرائم تتطور وتتجدد مع التقدم العلمى ولا يمكن حصرها كما أنه ليس من المتيسر فى المجتمعات الحديثة وخاصة التى تتبع النظم الديمقراطية فى حكمها أن تقوم فى أوقات متقاربة بتعديل قوانين العقوبات بها باضافة نصوص جديدة عن أنواع جديدة من الجرائم •

ولذلك فان التشريع الاسلامى يضع قاعدة عامة لتحديد ما يعتبر جريمة من الجرائم فيعرف الجريمة بأنها : ارتكاب كل فعل محظور منهى عن اتيانه أو الامتناع عن القيام بأى فعل مأمور به فالجريمة فى الشريعة الاسلامية قد تكون ايجابية كالقتل والسرقة والزنا وقد تكون سلبية كالامتناع عن سداد الزكاة ومصدر معرفة ما هو مطلوب عمله وما هو مطلوب الامتناع عنه هو الكتاب والسنة مع مراعاة القاعدة العامة فى النهى عن الفساد فى الأرض والاضرار بالناس وبذلك فان كل اعتداء على النفس أو العقل أو المال أو العرض أو الدين الاسلامى يعتبر جريمة معاقبا عليها فى الشريعة الاسلامية • ومع ايجاد كل الوسائل لخلق المجتمع الفاضل والنفوس القويمة فانه لا يوجد أى عذر لأى فرد للخروج عن تعاليم الاسلام والسعى للفساد فى الأرض والاضرار بالناس فان مثل هذا المخلوق غير جدير بأى عطف ولا يستحق أى رحمة ولذلك وجبت وقاية الناس منه فهو كالورم الخبيث يجب استئصاله لينجو باقى الجسد من خطر الهلاك ولذلك كانت العقوبة فى التشريع الاسلامى عقوبة رادعة تحقق الغرض منها فى وقاية المجتمع من هذه القلة المنحرفة وتخويف هذه القلة من آثار اجرامها لعلها تعاود التفكير فتقلع عن

تدبيرها فتنجو من العقاب وينجو الآخرون من شر هذا التدبير •

وفى نفس الوقت « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ـ النساء ٤٠ » ولذلك فان العقوبة فى تشريع الله يجب أن تكون عادلة الى أقصى درجة من درجات العدالة ولذلك تتميز العقوبة فى الشريعة الاسلامية بأنها رادعة وفى نفس الوقت عادلة وهاتان الميزتان لا يمكن اطلاقا توفيرهما فى أى تشريع وضعى •

ولذلك فالأصل فى العقوبة فى الشريعة الاسلامية هو القصاص أى أن تنزل بالجانى من العقاب مثل ما أنزله بالمجنى عليه لقوله تعالى « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ـ النحل ١٢٦ » وقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ البقرة ١٩٤ » •

فالعقوبات الاسلامية بشكل عام أساسها المساواة بين الجرم وعقابه ولذلك تسمى قصاصا فمن قتل انسانا عوقب بالقتل ومن فقأ عين انسان فقئت عينه وهكذا •

وهذه القاعدة تتميز بالفاعلية فى الردع ؛ لأن من يقدم على قتل أى انسان حينما يعرف أنه سيقتل عندما ينكشف أمره لا بد وأن يتردد فى ارتكاب القتل ويعدل عن جريمته وفى ذلك أكبر وقاية للمجتمع على عكس ما لو عرف مقدما أن النتيجة هى مجرد البقاء فى السجن بضع سنين وتتميز بجانب ذلك بشفاء نفس المجنى عليه وشفاء نفس ذويه فمن فقئت عينه لا يشفى قلبه أن يقضى الجانى بقية عمره فى السجن ولا أى مال يدفع له مهما كان قدره ولكن يشفى قلبه أن يجد الجانى مفقوء العين بعد ذلك ولذلك لا يوجد أى مجال للثأر فكأن قاعدة القصاص يترتب عليها الاقلال من ارتكاب الجرائم فى بادىء الأمر فاذا ما ارتكبت احدى الجرائم رغم ذلك لم يكن هناك مجال لارتكاب المجنى عليه أو ذويه أى جريمة للثأر من الجانى •

والقصاص لا يتصور الا فى جرائم الاعتداء على النفس بالقتل أو الجرح أو الضرب أما غير ذلك من صور الاعتداء فلا يتصور فيها القصاص

فلا يمكن معاقبة السارق بالسرقة ولا يمكن رد الاعتداء على العرض باعتداء مماثل لأن القاعدة أن « المعصية لاتقابل بالمعصية » ولذلك نص القرآن الكريم والسنة النبوية على جرائم معينة بالذات وتحددت لها عقوبات محددة لا يسمح بالتجاوز عنها ؛ أو التخفيف أو التشديد فيها مهما كانت الظروف ومهما تغير الزمان والمكان ، ومهما كانت شخصية مرتكبيها وهذه الجرائم هى الردة (الارتداد عن الدين الاسلامى) وقطع الطريق والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر ؛ ويطلق على هذه الجرائم جرائم الحدود وهى تمثل أكبر درجات الاعتداء على المصالح المعتبرة فى الاسلام وفيما عدا جرائم القصاص وجرائم الحدود فقد تركت الشريعة الاسلامية لولى الأمر تحديد الجرائم وفرض العقوبات التى تتناسب معها وتسمى فى الاصطلاح الشرعى بجرائم التعزير وهومقيد فى ذلك بأحكام الكتاب والسنة فى تحديد ما أمر الله به وما نهى الله عنه فهو لا يستطيع مثلا تحريم الطلاق أو تعدد الزوجات مهما كانت الدوافع على ذلك كما أنه عند تحديد العقوبة مقيد بأن تتناسب مع الجريمة وأن تكون العقوبة رادعة ومن شأنها منع الفساد فى الأرض فلا يعاقب على المخالفة الصغيرة بعقوبة غيظة ولا يعاقب على جناية كبيرة بعقوبة خفيفة وهو مقيد أخيرا بأن يكون الباعث على العقوبة بالتعزير حماية مصلحة عامة للمسلمين لا حماية مصلحة خاصة به أو تحقيق شهوة خاصة له باسم المصلحة العامة .

والأصل فى عقوبات التعزير أنها تكون عددا من الضربات على جسم الجانى بحيث لا يترتب عليها هلاكه ولكن لايوجد ما يمنع من أن يكون التعزير بالحبس أو النفى أو القتل أيضا حسب ما يقتضيه الأمر .

وسنتكلم فى الأعداد القادمة بالتفصيل عن كل من جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير .

والشريعة الاسلامية لا تلجأ أصلا الى عقوبة الحبس أو السجن كعلاج

للجريمة ففى جرائم الحدود وجرائم القصاص لا توجد عقوبة الحبس اطلاقا والحكمة فى ذلك أن فى السجن يزداد المجرم معرفة بفنون الجريمة وتتوثق علاقاته بغيره من المجرمين معتادى الاجرام وتهدر آدميته ويخرج من السجن أكثر ضراوة وأكثر استعدادا للجريمة ولذلك فانه ليس من المستغرب أن نسمع بين وقت وآخر بالقبض على سارق سبق له دخول السجن عشرات المرات والقبض على مجرمين ارتكبوا الجريمة فى اليوم التالى للافراج عنهم مباشرة ، هذا الى جانب أن الحياة فى السجون كما سبق أن قلنا قد لا تؤلم الكثيرين من معتادى الاجرام فلا يكون فى بقائهم فى السجن أى رادع لهم ، وأخيرا لاننسى من يعولهم الجانى ، كيف يعيشون اذا كان هو العائل الوحيد لهم وليس فيهم من هو قادر على الكسب ، انهم لاشك سينحرفون فى هذه الأحوال وستزيد قائمة المجرمين بعددهم ، كل ذلك الى جانب مايتكلفه انشاء السجون وحراستها والحياة فيها من أموال ولذلك حرص التشريع الاسلامى فى جرائم القصاص والحدود على عدم فرض هذه العقوبة على الاطلاق فمن يسرق تقطع يده ويعود الى عمله وهو لا شك سيفكر ألف مرة بعد ذلك اذا أراد أن يعود الى السرقة ، ومن شرب الخمر يجلد ثمانين جلدة ثم يرتاح فى منزله بضعة أيام تزول فيها آثار الضرب ثم يعود الى عمله لا يفكر أن يعود الى شرب الخمر مرة ثانية لأنه سيتذكر آلام الضرب فى كل وقت ، ولو أنك خيرت انسانا عاديا بين أن يجلد على ذنب ثم يعود بعدها الى عمله وأسرته وبين أن يسجن فلا شك أنه سيختار العقاب بالجلد وسيفضله عن السجن عشرات المرات ولذلك فان العقوبات الاسلامية الى جانب أنها تتميز بالعدالة والفاعلية فى الردع فانها تتميز بمراعاة الجانب الاقتصادى والاجتماعى ، فهى لايترتب عليها أى تعطيل للأفراد كقوى انتاجية ولا يترتب على تطبيقها تعريض بعض أفراد المجتمع للانحراف أو دفعهم

الى الجريمة نتيجة حبس عائلهم وبعده عنهم كذلك لا تعتبر العقوبات الاسلامية قاسية اطلاقا ؛ لأن كل فرد يستطيع أن يتجنبها بعدم ارتكاب الجريمة الموجبة للعقاب فالسارق هو الذى يتسبب فى قطع يده والزانى هو الذى يتسبب فى جلد نفسه أو رجمها وهكذا بالنسبة لجميع العقوبات .

ولا يعاقب على الجريمة فى الشريعة الاسلامية الا الجانى وحده ولو تعدد الجناة لعوقبوا جميعا بنفس العقوبة كما لو كان الجانى شخصا واحدا فلو اشترك مائة فرد فى قتل فرد واحد لعوقب المائة بالقتل فالاشتراك لا يخفف العقاب على المشتركين فى الجريمة ، كذلك لايمكن أن يتناول العقاب من ليس له اتصال بالجريمة .

والجرائم قد ترتكب بفعل ايجابى وقد ترتكب بالترك فالقتل قد يتم بالاعتداء بآلة تستخدم فى القتل وقد يتم بترك المجنى عليه دون ماء أو طعام وفى كلا الحالين يحاسب الجانى عن فعله الايجابى أو تركه المقصود ، لأن العدوان ظاهر فى كلا الحالين فلا فرق فى الشريعة الاسلامية بين الجريمة الايجابية والجريمة السلبية وعقوبتهما واحدة متى توفر قصد العدوان .

وتنقسم الجرائم الى جرائم مقصودةأو عمديةوجرائم غيرمقصودة أو خطأ . والجرائم المقصودة هى الجرائم التى يباشرها الشخص متعمدا ومريدا لها عالما بالنهىعنها وبأنها معاقب عليها فلابد أن تستوفى ثلاثة عناصر : هى العمد والارادة الحرة المختارة لفعلها والصادرة عن شخص مميز والعلم بالنهى عنها وعلى ذلك فجرائم الصبى والمجنون لا تعد عمدية ولا تجرى عليها أحكام الجرائم . ومتى تخلف أحد هذه العناصر الثلاثة تعتبر الجريمة غير مقصودة .. أى خطأ فلا يعاقب فى هذه الحالة بالقصاص أو الحد وانما يعاقب على الاهمال وعدم الاحتياط الى جانب العقوبات المالية .

وقد تتم الجريمة بالمباشرة وقد تتم بالتسبب فقد يأتى الجانى الفعل المنتج للقتل بنفسه وفى هذه الحالة يكون القتل بالمباشرة وقد لا يأتى الفعل بنفسه ولكن يرتكب فعلا آخر يكون سببا فى القتل فقد يشهد زورا ضد أحد الأفراد شهادة تؤدى الى اعدامه وتنفيذ حكم الاعدام فيه فهذا الشاهد يعتبر قاتلا بالتسبب . وقد اختلف الفقهاء فيما اذا كان يعاقب مرتكب الجريمة بالتسبب بنفس العقوبة فى حالة المباشرة فالحنفية لا يساوون فى العقوبة بين المباشرة والتسبب ، وكذلك الشافعية أما المالكية والحنابلة فيعتبرون الحكم واحدا فى المباشرة والتسبب على حد سواء وهو ما نميل الى الأخذ به .

وبالنسبة للمسئولية الجنائية أى المسئولية عن نتائج الفعل المكون للجريمة فان مناط ذلك هو الفعل والارادة الحرة المختارة ولذلك أجمع الفقهاء على أن الشخص الكامل العقل صاحب الارادة الحرة الذى يعلم نتائج عمله ويرتضيها يعتبر مسئولا مسئولية كاملة عن فعله ويعاقب على جريمته بكافة العقوبات سواء كانت مالية أو بدنية بالقصاص أو الحد ولذلك يشترط فى الجانى أن يكون بالغا عاقلا حيث قام التكليف فى الاسلام على العقل الكامل لا على مجرد التمييز لقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاث : عن الصغير حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق » فالاسلام لم يجعل لهؤلاء خطابا بالأمر والنهى وبذلك يسقط التكليف عنهم فلا يصح أن يوصف الفعل منهم بأنه معصية أو جريمة لأن أساس الجريمة أن يكون الفاعل له قصد كامل يعرف به ما يفعله ونتائج فعله وأن يكون قاصدا تحقيق هذه النتائج .

أما الاكراه عند الحنفية فلا يسقط التكليف ولا يتنافى مع الاختيار وان كان يتنافى مع الرضا فالمكره يختار ارتكاب الفعل ليتفادى الأذى المهدد به ولكنه لا يقبل نتائج هذا الفعل . ولذلك فهم يفرقون بين

نوعين من الاكراه فالاكراه التام (أو الاكراه الملجىء) وهو التهديد بالقتل أو اتلاف أحد الأعضاء أو كل المال يعدم الرضا ويمنع مسئولية المكره ، ويكون المكره وحده هو المسئول أما الاكراه الناقص (أو الاكراه غير الملجىء) كالتهديد باتلاف بعض المال أو بضرب لا يتلف النفس أو الأعضاء فلا يفسد الاختيار ويظل المكره فى هذه الحالة مسئولا الى جانب المكره . أما غير الحنفية فلا يفرقون بين الاكراه الملجىء والاكراه غير الملجىء فكل أنواع الاكراه تعدم الرضا وترفع المسئولية ونرى الأخذ بمذهب الحنفية من أن الاكراه غير التام لايسقط أى عقوبة لوجود القصد التام المختار من الفاعل حيث اختار لنفسه أخف الضررين فى نظره فليتحمل نتيجة هذا الاختيار أما الاكراه التام فى الأفعال فهو الذى يسقط المسئولية اسقاطا كاملا فى بعض الأحوال ولا يسقطها من كل الوجوه فى أحوال أخرى وذلك حسب الجريمة المرتكبة تحت تأثير الاكراه .

ويأخذ حكم الاكراه فى عدم المسئولية عن الجريمة حالة الدفاع عن النفس أو المال فحالته تشبه حال المكره فاذا كان الاكراه الملجىء من شأنه اسقاط العقوبة فالأولى اسقاط العقوبة عمن منع الجريمة عن نفسه اذا لم يكن أمامه من سبيل لدفع الأذى عن نفسه الا بارتكاب ما ارتكب . والدفاع عن النفس أو المال لا يسقط العقوبة فقط بل يسقط الجريمة أيضا لأن الدفاع عن النفس والمال أمر واجب لقوله صلى الله عليه وسلم : « من مات دون ماله فهو شهيد » .

وبالنسبة لسريان قواعد التجريم والعقاب الاسلامية فى الأقاليم المختلفة فانه يلاحظ أن العقوبات الاسلامية تنقسم الى قسمين :

قسم حددته النصوص الشرعية فى الكتاب والسنة وهى جرائم الحدود والقصاص وهذا القسم عام ونافذ فى جميع الدول الاسلامية وعلى جميع من يعيشون فيها من أفرادوجماعاتمهما اختلفتجنسياتهم وأديانهم فيما عدا عقوبة شرب الخمر

فهى لا تطبق بالنسبة لغير المسلمين عند أبى حنيفة ، ويخالف فى ذلك الشافعى ونرى الأخذ برأى الشافعى فى وجوب اقامة حد شرب الخمر على غير المسلم متى شربها فى بلد اسلامى لأن حدود الله قد وضعت لنظام الجماعة ولتكوين المجتمع الفاضل والفساد الناتج عن شرب الخمر لا يقتصر أثره على شارب الخمر بل يتعداه الى غيره لا فرق فى ذلك بين مسلم وغير مسلم .

أما القسم الثانى من الجرائم والعقوبات فهو جرائم التعزير وهذا القسم لا يلزم أن يكون واحدا أو متماثلا فى جميع الدول الاسلامية ولذلك يصح أن يكون لكل دولة فيها نظامها الخاص فى تحديد هذه الجرائم وعقوباتها بشرط أن تكون الجريمة معصية ثابتة شرعا ، وأن تكون العقوبة مناسبة للجريمة ومانعة لها فترك الزكاة مثلا يعتبر جريمة فى جميع الدول الاسلامية ولكن يمكن أن يختلف العقاب على تركها من دولة لأخرى حسب ظروف كل اقليم .

وأخيرا فان التشريع العقابى الاسلامى يخضع له جميع الأفراد المقيمين فى الدولة الاسلامية ولا يستثنى من العقوبة أى فرد مهما كان مركزه ولو كان هو خليفة المسلمين أو الحاكم لهم فلا يعرف الاسلام حصانة معينة لرئيس الدولة ولا لأعضاء البرلمان ولا يتوقف رفع الدعوى على اذن معين يصدر من أية جهة أو أية سلطة ، ولا يملك أحد مهما سما مركزه ولا تملك جهة مهما بلغت قوتها وأهميتها أن تعفو عن العقوبة أو الجريمة أو توقف تنفيذ عقوبة حكم بها القضاء .

ولا يقتصر سريان أحكام التشريع العقابى الاسلامى على المسلمين وغير المسلمين المقيمين فى الدول الاسلامية فقط بل انه يتعدى ذلك ليطبق على المسلمين المقيمين فى غير الدول الاسلامية لأن ولاية الدولة الاسلامية عامة على المسلمين أينما كانوا فمن يرتكب جريمة من المسلمين فى أى بقعة من الأرض فان حكم

الاسلام نافذ فيه أينما حل ولن يفلت من العقاب متى دخل أرضا اسلامية وثبت ارتكابه لجريمته، فالمسلم الزانى أو السارق فى دولة غير اسلامية يقام عليه الحد متى عاد الى أى دولة اسلامية ولا شك أن فى هذا المبدأ ابرازا لعظمة الاسلام وحرصه على تحقيق السلام والأمان حتى لغير المسلمين فلا عصبية فى الاسلام ولا تعصب للمسلم ضد غير المسلم فى أمر نهى الاسلام عن ارتكابه .

وأخيرا يلاحظ أن الفقهاء قد اختلفوا فى سقوط الدعوى عن الجريمة وسقوط الحق فى تنفيذ العقوبة بالتقادم فذهب الحنفية الى أن التقادم له أثره بالنسبة للجرائم سواء من حيث الادعاء أو من حيث سقوط العقوبة بعد الاثبات واختلفوا فى مدة التقادم فحددها بعضهم بشهر واحد وحددها بعضهم بستة أشهر وترك آخرون تقدير مدة التقادم للقاضى حسب ظروف كل قضية على حدة ، حيث قد يكون هناك عذر للتأخير فى الادعاء ، وذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل الى أن التقادم لا أثر له سواء فى سقوط الادعاء أو تنفيذ العقوبة وهو ما نرى الأخذ به .

هذه هى أهم الأسس فى التشريع الجنائى الاسلامى بوجه عام وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزيز حيث ان لكل نوع من أنواع هذه الجرائم أحكامه الخاصة .

حسن حسب الله

الصراع عملية غير إسلامية

للدكتور زيدان عبد الباقى

تحدثنا من قبل فى هذه السلسلة بعنوان «الرسول محمد..والعمليات الاجتماعية» عن ثلاث عمليات وهى: التعاون الاجتماعى الاسلامى ، والتنشئة الاجتماعية الاسلامية ، والتنافس الاجتماعى الاسلامى ... واليوم نتحدث عن الصراع الاجتماعى كعملية اجتماعية غير اسلامية .

والصراع عبارة عن : تضارب القوى الاجتماعية ونضالها ، وقد يكون هذا التضارب مستترا أو سافرا ، وقد يكون بين فردين أو فئتين أو جماعتين أو مجتمعين .. وهذان الفردان أو هاتان الجماعتان ، قد تكونان متكافئتين وحينئذ يكون الصراع متكافئا EQUAL CONFLICT وقد تكونان غير متكافئتين وبذلك يصبح الصراع غير متكافىء UNEQUAL وبالتالى يكون النصر حليف الجماعة أو الفئة الأقوى .

غير أن الصراع لا يتوقف بين المنتصرين والمنهزمين ، وانما يتحول الى سلسلة مستمرة من المصادمات المتجددة . ولما كان الصراع على هذه الصورة لا يمكن تجنبه باعتباره من ضرورات الحياة الاجتماعية ، فما هى الوسائل التى يمكن بها تحويله الى صراع بناء ؟
Constructive Conelict

ونجيب على هذا التساؤل بأن هذه الوسائل هى :

١ ــ أن يطغى جانب على آخر .. ولكن هذا ليس حلا للمشكلة ، لأن الجانب الضعيف سيستمر غير راض .

٢ــ استخدام أسلوب المساومة.. ولكن لما كان أى من الجانبين لا ينال كل ما يطلبه ، فان هذا لا يكون حلا بالمرة .

٣ ــ أن تحلل الخلافات فى كل جانب الى عناصرها ، ثم تجمع هذه العناصر مرة أخرى فى ترتيب جديد، بصورة يجد فيها كل طرف مايرضيه فان هذا هو الحل الأمثل .

والصراع الذى يحل على هذا النحو يعتبر ــ من وجهة نظر علم الاجتماع ــ عملا بناء ، لأن كل طرف يحصل بمقتضاه على ما يريد أو على أقصى ما يمكن أن يحصل عليه فى أفضل الحالات ، ومن ثم تنشأ علاقة جديدة تعود بالفائدة على الطرفين .. وانظر الى الرسول الكريم من خلال صراعه بالشكل الاسلامى مع القبائل عند نشأة المجتمع الاسلامى، وكان سنده فى دعوته صلى الله عليه وسلم ما تخلق به من أخلاق سامية وايمان مكين ، ونفس كاملة .. كان هذا سلاحه الذى واجه به غرور الجبابرة وصلف الطغاة من زعماء القبائل المعاندة ، ومؤامرات اليهود اللئيمة الخسيسة دائما ، وطغيان قريش الهادر الباغى ، فقد تغلب صلى الله عليه وسلم على كل هذه القوى الشرسة الباغية ، المتشكلة الألوان ، والمتعددة المرامى والأهداف بالحجة والاقناع بالحسنى من غير قوى مادية استجابة لقوله تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » فماذا كان يملك عليه الصلاة والسلام من قوة مادية أمام قيصر الروم وكسرى الفرس ، وأمام طغيان قريش والمؤمرات التى تحاك له من هنا وهناك ؟ لاشىء سوى الايمان بالله وانكار الذات وايثار الحق وعرفان الواجب .

هذا وقد استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو للعقيدة الاسلامية سرا ، خوفا من أذى قريش وبطشهم . ولذلك كان انتشارها فى أول الأمر بطيئا يمشى متعثرا . ويزداد الراغبون فيها فى حذر وعلى استحياء . وكان رسول الله يخشى أن تصطدم قريش بالمؤمنين به ، فأعد دار الأرقم بن أبى الأرقم وهو من سادة قريش السابقين على الاسلام ، مكانا يجتمع فيه بأصحابه يفقههم فى أمور دينهم ودنياهم ، وليعلمهم

أصول الرسالة ، وليحفظهم ما تنزل عليه من آيات الذكر الحكيم . فلما صدر اليه الأمر الالهى بعد ثلاث سنوات من الرسالة بأن ينذر عشيرته الأقربين، ونزل عليه قوله-تعالى شأنه- فى سورة الشعراء : « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » ومع ذلك فان بعض هذه العشيرة وكثير من الأقربين عادوه وتحزبوا ضده ، وكان على رأسهم عمه أبو لهب وامرأته حمالة الحطب اللذين اندفعا فى عداوته الى غير حد .

ومن جهة أخرى أغلظت له قريش فى الود عندما دعاهم ليعلن لهم تكليفه بالرسالة ، وأن الله أمره بأن يدعوهم الى عبادته وحده دون شريك ، والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمؤاخاة بين الناس ونشر العدل والمحبة .. أغلظوا له القول وجادلوه ، ووقفوا له بالمرصاد يحاولون صده عما هو ماض فيه ، وحاربوه بشتى الطرق والوسائل ليعجزوه عن السير قدما الى غايته . وما علموا أن الله ناصره ومنجز له وعده . ولذلك أنقذه سبحانه وتعالى بالهجرة الى المدينة ، ليحفظ عليه دينه ، ولينطلق به الى دنيا أرحب وأوسع .

وهنالك فى المدينة استخدم معهم مايعرف حاليا «بالصراع الاقتصادى» وهو أسلوب يشبه أسلوب الحصار الاقتصادى اذا استخدمنا المفاهيم الاقتصادية الحديثة ، فقد شرع الرسول الكريم الصراع الاقتصادى بصورة مؤقتة ومارسه ، حين لم تجد الوسائل السلمية والسلبية فى كف أذى المشركين من قريش . ويتمثل هذا الصراع الاقتصادى فى سرايا وغزوات « حمزة ، عبيدة ، الأبواء ، بواط ، العشيرة ، سفوان ، وعبدالله ابن جحش .. » واذا كانت أعمال هذه السرايا تشبه احكام الحصار لتهديد « اقتصاد » قريش تهديدا مباشرا ، يشعرها بقوة معسكر الاسلام ومن ثم يدفعها الى وجوب التفكير الجدى فى اجراء « حوار » مع تلك القوة الكبرى، لعله أن يؤدى

ـ بالسلم وبدون حرب ـ الى الاقتناع بترك الحرية لهذه الطليعة فى نشر رسالتها ، وتأدية البلاغ الذى عهد به اليها .. وكانت السرايا والغزوات الى جانب مهمتها تلك تؤدى مهمة أخرى لا تقل خطرا عن ذلك وهى « عقد الأحلاف والاتفاقيات مع القبائل المجاورة لما سوف يتلو من خطوات على طريق منازلة الشر ومجابهة القوة الغاشمة بالقوة الواعية» ولم ينس استخدام سلاح له مضاء فى المجتمعات القبلية وهو الشعر ، فنراه صلى الله عليه وسلم يقول لشاعر الدعوة حسان بن ثابت « شن الغارة على بنى عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام » .

غير أنه صلى الله عليه وسلم ازاء عداء أبى جهل لدعوته الى درجة الطيش ، حيث كان يغير على جماعات المسلمين باستمرار ، ويكمن لأى جماعة منعزلة ويقاتلها ، كما أغار على ضواحى المدينة وأتلف الزرع والحدائق . وظهر للنبى عليه الصلاة والسلام أن مشاعره العدوانية للاسلام لم تتغير وأن هدفه لايزال قائما على ضرورة قتل النبى صلى الله عليه وسلم . ومن ثم فلم يكن هناك الا حل واحد ـ من وجهة نظر الجانبين ـ وهو الصراع بالسيف بدلا من الصراع بالحجة والبرهان .

ولكن الأمر بالقتال لم يكن قد صدر للرسول بعد ، ولذلك لجأ عندما نزل بالمدينة الى عقد معاهدة مع اليهود من سكانها ومن سكان ماحولها ، وعمل على مسايرتهم والتودد اليهم والتغاضى عن كثير من سيئاتهم وتأمينهم على حريتهم ودينهم ودمائهم وأموالهم .. كما كان يجادلهم بالحسنى تارة وباللين تارة أخرى . وكان يخاطبهم ـ كما جاء فى القرآن الكريم ـ فى قوله تعالى : « ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » . كما كان يعاتبهم بآيات قرآنية أخرى مثل قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون »

فعل الرسول الكريم كل ذلك وأكثر منه مع اليهود ومع غيرهم لشيء واحد وهو تأمين شرهم ومحاولة ايقاف أو تحييد تحديهم وانضمامهم الى المشركين. ولكن متى كان لتلك الطائفة الباغية الضالة المضللة التى تنكرت لوحدانية الله وقدسيته ـ عهد تلك الطائفة التى عادت الأنبياء والمرسلين ، وتهكمت على الاسلام ورسوله .. متى كان لهذه الطائفة التى حقت عليها اللعنة أن ترعوى وتعود الى الحق ، ويستقيم تفكيرها مع المنطق السليم ... فقد ازدادت نيران الحقد غليانا فى قلوب اليهود، وازداد تهجمهم على الرسول والرسالة ، مما جعل الرسول الكريم يفكر فى أمرهم بعمق .. وكان الله أرحم وأشفق بنبيه من نفسه ، فلم يدعه طويلا فى تفكيره العميق ، ولم يتركه لقلقه وحيرته ، فقد أذن له الله جل جلاله بالقتال والجهاد (الصراع) لا حبا فى الدنيا ، أو طمعا فى جاه ، أو رغبة فى سيادة ، ولكنه جلت قدرته وتعالى شأنه شرعه للحيلولة دون الظلم ، ولدفع الأذى والعدوان، والله سبحانه وتعالى يقول : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» وفى قوله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، وقوله أيضا : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، وازاء كل ذلك اتخذ الرسول طريقا آخر من طرق الصراع لايعتمد على المجادلة بالحسنى ، وانما يعتمد على المبارزة بالسيف .

ومن القواعد السامية التى التزم بها فى صراعه بالسيف ، أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يكن يستعين بأهل الشرك على أهل الشرك ، وانما لم يكن يقبل فى صفوف كتائبه المظفرة الا « المؤمن » بالرسالة وبغاياتها السامية ، مهما يكن تعداد جيشه وعدته ، فى حاجة الى أعداد أخرى من المحاربين ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يريد بسلوكه الحصيف هذا للأجيال التى سوف تتلوا أن تتعلم أنه لا يتفانى فى

الزود عن رسالة كبيرة ، الا من يؤمن بهـا الايمـان كله ». وليس الذى « يسـاير الأمور » ويواكب مسيرتها كيفمـا اتفـق ، فاذا نجحت امتطى ظهرها ، واذا فشلت مضى فى سبيله بعيدا ودون ما التزام عميق وكامل بالرسالة .

وتخفق القلوب وتشرئب العقول، اذ تستذكر من ثنايا سيرتك البهية ، كيف رفضت - صلوات الله وسلامه عليك - فى غزوة « بدر » أن ينضم الى رجالك بعض الراغبين فى القتـال تحت رايتك ، لا عن ايمان بالرسالة وانما طمعا فى الفيىء ، وتطلعا الى اكتسـاب الغنائم ... فقـد أبيت بحزم أن ينضـم أولاء الى زمرة الخلص البررة من المجاهدين الا اذا أسلموا .. وفى « أحد » التى كانت فيها الحاجة ماسة أكثر الى أعداد من الرجال أوفر - نظـرت حولك فاذا بكتيبة مجهـزة بالأسلحة تقبل الى الساحة تبغى المضى فى الركب نحـو ميدان الجهاد - الصراع - الحـربى وتسأل مستفسرا عن هوية هؤلاء ؟ ! ويقال لك ، صلوات الله وسلامه عليك انهم رهط من يهود المدينة ، حلفاء لابـن أبى . ويظـن البعضـ فى معسكرك ، أنك قد ترضى - هذه المرة - بانضمامهم .. لكنك بمعهود استمساكك بالمبدأ : تأبى ذلك أيضـا وترفضه بذات الحزم وعين القوة ، وتزيد الأمر ايضاحا فتقول لمن حولك « لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ما لم يسلموا » وهكذا كان الرسول الكريم فى صراعه الشجاع لايحيد قط قيد شعرة عن القواعد الناصعة القويمة التى أرساها للجهاد الاسـلامى ، بل وللتنافس البنـاء أيضـا . تلك القواعد التى كانت تسترشد بقوله تعالى : « وأعدوا لهم مـا استطعتم من قـوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف الكم وأنتم لا تظلمون » .

وفى مواجهة كل هـذه الظروف سير الرسـول الكريم الجيوش وقام بغزواته التى بلغت ٢٧ غزوة بخلاف

السرايا التى بعث بها جنوبا وشمالا، شرقا وغربا على مدى عشر سنوات قضاها فى جهاد ــ صراع ــ دموى وايدلوجى ، قاتل فيها أعداءه ــ وجاهد فى سبيل دعوته ــ قتالا وجهادا هانت فى سبيله أموال المسلمين وأرواحهم وكل ما يملكون ، قتالا وجهادا كان يستقبله المسلمون بنفــوس راضية مطمئنة ،بل وكانوا يستعجلون خلاله الشهادة ليفوزوا بما وعدهم به ربهم من نعيم الدنيا والآخرة تحقيقا لقوله تعالى فى ســورة آل عمران : «ولا تحسبن الذين قتلوا فى ســبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بمــا آتاهم الله من فضــله ويستبشرون بالذين لم يلحقــوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضــل ، وأن الله لا يضيع أجــر المؤمنين» وهذاهو الجهاد ــ الصراع ــ الذى يقره الاسلام، جهاد ــ صراع ــ من أجل العقيدة والوطن ، وليس جهادا ــ صراعا ــ من أجل المال أو الجنس أو الجاه أو السلطان •

لقد خاض المسلمون غمار معارك ضــارية فى غزوات متعــددة بذلوا خلالها دماءهم ، وباعوا أرواحهم فى سبيل العقيدة وحمايتها من الأعداء ، وفى سبيل اعــلاء شــأن الاســلام والمسلمين والاحتفاظ به حيا يشــع نوره فى الصدور ، وفى سبيل رفع الراية الاسلامية عالية خفاقة ترفرف فى كل مكان ومن أجل تنقية الحياة نفسها من الفساد والظلم •

ولقد كان الرسول الكريم فى كل سنوات الجهاد ــ الصراع ــ هو المثل الأعلى فى الشجاعة والاقدام ،لاسيما فى مواطن الشدة وساعات الحرج • منها يوم « أحد » حيث كان يقف وسط الميدان يقود المعركة واستطاع الأعداء أن يصلوا قريبا منه ، فرماه أحدهم بحجــر كسر أنفه ورباعيته وشــجه فى وجهه حتى سالت منــه الدماء ••• وشاع وسط المعركة أن محمدا قــد قتــل فجزع كثير من المسلمين • ويروى فى ذلك أن أنس ابن النضير ، مر بقوم من المسلمين انكسرت نفوسهم ، وألقوا بسلاحهم

فقال لهم : ما تنظرون ؟ قالوا قتل رسول الله ، فقال : وما تصنعون بالحياة من بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل المشركين فما زال يقاتلهم حتى استشهد .. ووسط هذه الشدة سمع صوت الرسول الجريح وهو ينادى أصحابه فى شجاعة نادرة « الى عباد الله الى عباد الله » فاجتمع اليه نحو ثلاثين رجلا ، ومضى النبى يدعو المسلمين اليه ، واستطاع بالرجال القلائل الذين معه أن يعيدوا كفة المعركة الى صالحهم ، وأمرهم بأن ينزلوا قريشا من القمة التى احتلوها فى الجبل قائلا : ليس لهم أن يعلونا ... فقاتلوهم حتى أجلوهم عنها وانسحبوا ولم يكسبوا من المعركة شيئا » فالقائد موجود ولم ينقص منه الا قطرات من دمه الذكى . والعاصمة وهى « المدينة » سالمة والأرض لم يحتل منها شبر واحد .

وخرج المسلمون من هذه الحروب بدروس مستفادة ، تفيدهم فى معاركهم المقبلة مع أعداء الحق وأعداء الحياة . وقد سجل القرآن الكريم بعض هذه الدروس فى قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ولقد كانت قاعدة الصراع بالسيف هى تلك الآية الكريمة : « فمن اعتدى عليكم : فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فلقد كان الاسلام فى مجتمع عربى من سماته أن للعربى حمية ونخوة ، له كرامة ومكانة ، وليس من عاداته قبول الخنوع والمذلة والهوان ... أن يطلب من هؤلاء قبول المبدأ القائل : « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » لأن خصائص العربى تؤهله للتلاقى مع المبدأ الاسلامى القائل برد الاعتداء بمثله على الأقل ، ذلك المبدأ المبنى على الحرية والعزة والكرامة والجهاد فى سبيل الله والتفانى فى سبيل نصرة الرأى والعقيدة . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت اللازمة العربية للفرد العربى

فى حياته الصحراوية هى اعتماده على نفسه وقوة شكيمته فى رد العدوان عن نفسه وقد أكد الشاعر العربى « زهير » ذلك بقوله :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ولا جدال فى أنه صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة ... فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يعرفون له الشجاعة المنقطعة النظير. وكان الشجعان والأبطال هم الذين يجدون من أنفسهم الجرأة على الوقوف بجانبه فى ساحة الحرب ، لما يشاهدونه من شدة البأس وقوة صراعه فى مواجهة خصومه ... فعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « كنا اذا احمر البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الشجاع منا من يحاذى به » وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق ، ولقى القوم القوم ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ومن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يول ظهره مرة واحدة فرارا من أعدائه ، الثابت أنه ضرب أروع الأمثلة فى الشجاعة .

فقد وقف فى غزوة « أحد » يدعو الفارين من أصحابه قائلا : «الى عباد الله ، أنا رسول الله ، من يكر فله الجنة » وفى هذا يقول الله تعالى : « اذ تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم» أى يدعوكم فى الجماعة المتأخرة الذين ثبتوا مكانهم ، وظلوا يدافعون عن النبى صلى الله عليه وسلم ... وأيضا فى غزوة « حنين » بعد أن تفرق عنه المجاهدون من المسلمين ، ظل ثابتا لا يتزحزح أمام جيش كثير العدد كامل العدة .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى أسحق ، قال رجل للبراء بن عازب : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .. ان «هوزان» كانوا قوما

رماة ، وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهـزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم ، واستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر ، فقد رأيته ، وانه لعلى بغلته البيضاء ، وأن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .

والملاحظ أنه لا مكان للصراع المسلح فى الفلسفة الاسلامية الاجتماعية ، فان دين الله الأسمى ينهى ـ وبقوة ـ عن الحرب العدوانية، ولا يأذن بقتال الا من أجل دفع عدوان مؤكد مضاد : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وغزواتك يا سيدى يا رسول السلام وياعلم المجاهدين الأمجاد ، لم تكن الا من قبيل « العمل الدفاعى » والاجراء الوقائى ، الذى يحمى حرية العقيدة، ويحفظ للانسان المسلم ـ الى جانب حريته ـ كرامته وأمنه .

وهكذا لم يكن صراع بالسيف الا عندما استشرى خطر الأعداء واستفحل ظلمهم لمن آمنوا بالرسالة ... فكان الاذن الربانى بالقتال « صدا لخطر ماثل ... » وكان مع الاذن الوعد بالنصر الحق ، حيث يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » ولما وقع الصراع الفعلى بينه وبين المشركين ، كان الصراع النبيل ، صراع العقيدة السمحاء الفريدة التى سطعت لتحرر الانسان من اسار الجهل والضلال والعبودية فى أبشع صورها ... صراع مبدأ بزغ فى الأفق مستهدفا لرساء المثل العليا ، فهو الصراع الذى لا تمليه عصبية ولا تحفز عليه عنصرية ولا تشوبه أية شائبة من نوازع دنوية أو رغائب شخصية ... صراع جديد تماما ، يقول لمن أعمتهم الجهالة ، أن الحرية والكرامة والعزة أشرقت أنوارها ، فلا جدوى من أية محاولات يائسة لحجب اشعاعاتها يفكر فى شنها بعض

عشاق الظلام هواة الضياع والهوان فهم لا يخلو منهم زمان أو مكان « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

ولكم كان الذهول عنيفا ، والانبهار شديدا ، حينما تم النصر المبين ، وأسقط فى أيدى الذين حاولوا - ذات يوم - صد التيار فاكتسحهم التيار ، فظنوا أن الانتقام رهيب - لا محالة - آت ، بعد اذ لم يعد لهم حول ولا قوة ، فوقفوا مرتعدين ينتظرون أن تحل بهم الكارثة ، التى يوقنون من الأعماق أنهم يستحقونها .. واذا بك يا أشرف المرسلين تقول لهم ببساطتك الآسرة ، وبسماحتك الرفيعة الشامخة : «اذهبوا فأنتم الطلقاء » .. حقا ، ذلك هو فيض خلقك العظيم فى جهادك - صراعك - الاجتماعى: القوة كل القوة (فى ساحة الوغى) ومجالاته .. أماموطن العفو والرحمة، فليس أقدر منك من بنى الانسان على نشر الرحمة ، وعلى اشاعة المودة .. ولله در شوقى القائل :

فاذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

واذا غضبت فانما هى غضبة فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

هذا ويحذر القرآن الكريم من الصراع بمعنى الاعتداء على الآخرين بقوله تعالى : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ونجد دعوة الاسلام الى السلام باعتباره الأصل فى علاقة المجتمعات بعضها البعض « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولذلك نجد فى كتاب الله الموحى به الى نبيه ورسوله الكريم آخر ما انتهى اليه الفكر السياسى فى فض المنازعات الدولية عن طريق التحكيم والمصالحة والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية ، فان أبى أحد الطرفين أن يمضى فى اعتدائه لأخذ ما ليس من حقه ، فقد أصبح على الأسرة الدولية

أن تتدخل لردع العدوان ، فاذا تم ردع المعتدى ، فقد وجب الفصل فى النزاع على أساس من الحق والعدل. وفى هذا يقول القرآن الكريم : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

وهكذا كانت أسس الصراع الاسلامى وشرطه ، وكيفية فضه واقامة الصلح بين المتصارعين... الخ والى اللقاء فى المقال الرابع عن التكيف الاجتماعى الاسلامى .

د . زيدان عبد الباقى

« أهل العلم والدنيا »

كل من آثر الدنيا من اهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه ، وحكمه فى خبره والزامه ؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ماتأتى على خلاف اغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة ، والذين يتبعون الشبهات فانهم لا تتم لهم أغراضهم الا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا .

ابن القيم ــ الفوائد

رجال ومواقف :

القاضي العظيم..!

روى عمر بن هياج بن سعيد قال :

أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو فى مجلس الحكم ، فقالت :

أنا بالله ثم بالقاضى .

قال : من ظلمك ؟

قالت الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين .

كان لى بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن أبى ، وقاسمت اخوتى وبنيت بينى وبينهم حائطا ، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتى وساومنى فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط ، وأصبحت لاأعرف من نخلى شيئا ، واختلط بنخل آخوتى .

فقال : يا غلام أحضر طينة .

فأحضرها ، فختمها ، وقال لها :

ـ أمض الى بابه بالختم حتى يحضر معك .

فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال .

ـ قد أعدى القاضى عليك ، وهذا ختمه .

فقال : أدع لى صاحب الشرطة .

فدعا به ، فقال :

امض الى شريك وقل : ياسبحان الله ، ما رأيت أعجب من أمرك ، امرأة ادعت دعوى لم تصح ، أعديتها على ؟

قال صاحب الشرطة : ان رأى الأمير أن يعفيني من ذلك ؟

فقال : أمض ويلك .

فخرج وقال لغلمانه : اذهبوا وأدخلوا لي الى حبس القاضي بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة ، فقال القاضي لغلام المجلس :

ــ خذه بيده فضعه في الحبس .

فقال صاحب الشرطة : والله قد علمت أنك تحبسني فقدمت ماأحتاج اليه الى الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب الى القاضي وقال له :

ــ رسول أدى رسالة ، أي شيء عليه ؟

فقال شريك ، اذهبوا به الى رفيقه ، الى الحبس فحبس ، فلما صلى الأمير موسى العصر ، بعث الى اسحق بن الصباح الأشعث والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك ، وقال لهم :

ــ امضوا الى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي ، واني لست كالعامة .

فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم :

ــ مالي أراكم جئتموني في جمهرة من الناس فكلمتموني ؟

ثم سأل من في المسجد ؟

فأجابه جماعة من الفتيان ، فقال :

ــ ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس .

وقال لأصدقائه وجوه الكوفة : ما أنتم الا فتنة ، وجزاؤكم الحبس .

قالوا له : أجاد أنت ؟

قال : حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم .

فحبسهم . فركب موسى بن عيسى في الليل الى باب السجن وفتح الباب

وأخرجهم كلهم ،فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء ،جاءه السجان فأخبره، فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه :

ــ الحق بثقلى الى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم •

ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد • وبلغ الخبر الى موسى ابن عيسى فركب فى موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول :

ــ يا أبا عبد الله تثبت ، انظر ، اخوانك تحبسهم• دع أعوانى •

قال : نعم ، لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح مكانى حتى يردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فأستعفيه مما قلدنى •

فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس ، والقاضى واقف والله مكانه، حتى جاءه السجان فقال :

ــ قد رجعوا جميعا الى الحبس•

فقال القاضى لأعوان الأمير:خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم •

فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس فى مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة فقال :

ــ هذا خصمك وقد حضر •

فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه : قبل كل أمر أنا قد حضرت ، أولئك يخرجون من الحبس •

فقال شريك : أما الآن فنعم ، أخرجوهم من الحبس ، ثم قال للأمير: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟

ــ قال : صدقت •

ــ قال : ترد ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان •

ــ قال : أفعل ذلك كله •

ــ قال : لها أبقى لك عليه دعوى؟

ــ قالت : بيت الرجل الفارسى ومتاعه •

ــ قال موسى بن عيسى : ويرد ذلك كله •

ـ قال القاضي أبقي لك عليه دعوى ؟

قالت : لا ، وبارك الله عليك وجزاك خيرا .

قال : قومي .

فقامت من مجلسه ، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه ، وقال :

ـ السلام عليك أيها الأمير ، أتأمر بشيء ؟

فقال الأمير : أي شيء آخر ؟ (وضحك) .

فقال له شريك : أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع ؛ وهذا القول الآن حق الأدب .

فقام الأمير وانصرف الى منزله وهو يقول ، من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه .

التحرير

« لو كان اقل لنفهم »

كتب الامام عبد الرحمن بن مهدى حافظ العراق الى الشافعي يطلب منه ، وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ، ويجمع مقبول الأخبار فيه وحجة الاجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة ، فلما وصلت اليه الرسالة جعل يتعجب ويقول : لو كان اقل لنفهم . لو كان اقل لنفهم .

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٩ —

من تحليل التوجيه القرآني « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » عرفنا أن « الردع » هو النظرية الاستراتيجية الأولى للحرب في الاسلام التي تستهدف اعداد القوة لارهاب العدو واخافته من عاقبة عدوانه على الأمة الاسلامية، وعرفنا أن هناك ارتباطا وثيقا بين الردع والقوة من ناحيتين :

الأولى : أن القصد من اعداد القوة هو ارهاب الأعداء ، والثانية أن القوة هي التي تعطى الفاعلية للردع أى أنها لابد أن تشكل « طاقة تهديد كافية » لارهاب العدو .

ثم استخلصنا أيضا ضرورة توفر « القدرة الهجومية » للقوة التي نعدها ، وهو مايعبر عنه لفظ «الخيل» في الآية الكريمة لأن استخدام الخيل في مجال الصراع ذو طابع هجومي بالدرجة الأولى .

وقد تطورت محتويات القوة على مر العصور حتى أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وتقدمها العلمي والتكنولوجي وغير ذلك من العوامل المادية والمعنوية . أما عن متانة الاقتصاد ، فقد ربط الاسلام بينه وبين الاستراتيجية العسكرية برباط وثيق يتمثل فيما يلي :

١ ـ وحدة الأصل ، فالاقتصاد والقوة العسكرية ينتميان الى أصل واحد هو القوة التي أمر الله باعدادها في الآية الكريمة ، ويؤكد ذلك ورود

لفظ القوة مطلقا دون تحديد ، مما يجعله يتسع ليشمل كل مصادر القوة ولا ينحصر فى القوة الحربية فقط •

٢ ــ التكليف بالجهاد بالمال ، فقد اقترن الجهاد بالنفس بالجهاد بالمال (وهو عصب الاقتصاد) كما يفهم من قول الله تعالى :

« وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (التوبة ٤١) وقوله « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (الأنفال ٧٢) •

لقد فرض الله الجهاد بالمال وقدمه على الجهاد بالنفس فى أكثر الآيات القرآنية التى تحث على الجهاد وذلك لأهميته وخطره ، فقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس لأن الجهاد بالمال أمر لابد منه فى تزويد الجيش بمطالبه ، وهو كذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك فى الجهاد بماله ، اذا لم يجاهد بنفسه (١) •

ووجه آخر من الحكمة فى ذكر الأموال قبل الأنفس • هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا فى المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالبترول أوالطعام أوغيرهما) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم •

والجهاد بالمال يدعم نظرية الردع ويسندها وذلك لأن المال هو

---

(١) لا شك فى أن المجاهد بنفسه وماله معا فى طليعة المقربين الى الله ، أكثر من المجاهد بأحدهما فقط . « ولكل درجات مما عملوا » .

عصب الحرب كما يقولون ، فاذا رأى العدو أنه سوف يواجه قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ، ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركنا من أركان استراتيجية الردع الاسلامية ، ومن أجل هذا المعنى أجاز الاسلام لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس فى زمن الحرب ما تدعو الحاجة اليه .

والجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق أفضل منه فى الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام فى أول أمره فى حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلهما من الأجر والثواب .

قال عز وجل :

« وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (الحديد ـ ١٠) .

وفى فضل الانفاق فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

ثم ان الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد بالمال وعظيم أجره وثوابه والتى تكشف عن الربط بين الاستراتيجية والاقتصاد ، كثيرة ، نذكر منها :

ـ ورد عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله

فقد غزا » رواه الترمذى والبخارى ومسلم .

– وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة فى سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذى وحسنه والنسائى .

– وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » رواه البخارى . (ومثل الفرس كل عدة من عدد الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

– وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة(١) فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال الرسول : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » رواه مسلم والنسائى .

– وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله ، نودى من أبواب الجنة كلها : يا عبد الله هلم » (أى أن كل أبواب الجنة تنادى عليه ليدخل وهذا زيادة فى التكريم) رواه البخارى .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم فى سبيل الله : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير ، وأنفق أبوبكر جميع ماله فى سبيل الله ، وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين . وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة فى غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى فى آل محمد صاع

---

(١) الخطام : الزمام ، والناقة المخطومة هى التى فى انفها خطام اى زمام .

من طعام ، وانها لتسعة أبيات » والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته •

نخلص مما تقدم أن الارتباط الوثيق بين الاقتصاد والاستراتيجية العسكرية فى الاسلام يعنى أمرين فى غاية الأهمية هما :

الأول : أن سياسة التنمية الاقتصادية فى الأمة الاسلامية ، وان كانت تخضع لقوانين خاصة بها ، الا أنها يجب أن تراعى فى أهدافها وخططها الاعتبارات الاستراتيجية العسكرية •

الثانى: أن اقتصاد الأمة الاسلامية فى زمن الحرب ، يتقرر كلية وفقا للمتطلبات العسكرية ـ من أجل ذلك يجب أن يكون البنيان الاقتصادى قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها وهو ما يطلق عليه « اقتصاد حرب » •

ثم ان هذا التوجيه الاسلامى بالربط بين الاقتصاد والاستراتيجية يوحى بضرورة أن يشمل تنظيم الدولة الاسلامية :الأجهزة والمجالس المشتركة(١) التى تباشر مهمة التنسيق على أعلى مستوى- بين خطط التنمية الاقتصادية ومتطلبات الاستراتيجية العسكرية وتقرير الخطط الاقتصادية الكفيلة بتزويد القوات المسلحة بكافة احتياجاتها وقت الحرب •

كل ذلك يجعل « التعبئة الاقتصادية » سواء لموارد الدولة الواحدة ، أو لموارد الدول الاسلامية مجتمعة ، ضرورة حيوية للدفاع ورد العدوان •

---

(١) تسمى هذه الأجهزة عند بعض الدول: مجلس الحرب ـ أو مجلس الأمن القومى ـ أو مجلس اعداد الدولة للحرب الى غير ذلك من الاسماء التى وان اختلفت غير انها تتفق فى مضمون المهمة وهى تنسيق وتوجيه كافة طاقات الامة وامكانياتها السياسية والاقتصادية والمعنوية والعسكرية نحو تحقيق الغايات القومية من الحرب . وعادة ما تضم هذه المجالس اعلى القيادات السياسية والعسكرية فى الدولة .

والاسلام قد جعل هذه التعبئة الاقتصادية فريضة وتكليفا من خلال التكليف بالجهاد بالأموال والأنفس، فالمؤمنون يستجيبون لنفير الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف ، كما يفهم من قول الله تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين » انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (التوبة ٤٤ ــ ٤٥) •

ويجيز الاسلام ــ كما قدمنا لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس فى ساعات الحرب ماتدعو اليه الحاجة، ومن أمثلة ذلك ما يدخل فى اجراءات التعبئة (أو النفير العام) وقت الحرب من الاستيلاء على عدد من سيارات النقل المدنية أو السفن التجارية أو المبانى أو بعض مساحات من الأراضى لصالح المجهود الحربى •

وبهذا المفهوم أيضا فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ، بل هى تكافل عام مفروض على أبناء الأمة الاسلامية جميعا •

فالأمر ــ فى مجال التراحم ــ فى صدقات البر والتطوع ، موكول الى الضمائر ، أما فى التكافل العام : فالاسلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد (١) بالأموال والأنفس : على القادرين من أبناء الأمة تكليفا ملزما ، من نكص عنه ظلم نفسه ، وعق دينه وأمته •

ومن المفيد أن نتناول بالدراسة أركان اقتصاد الحرب فى الاسلام فى مقال تال ان شاء الله •

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) كاد بعض الفقهاء يعد « الجهاد » ركنا سادسا من أركان الدين .

علماء ... أولياء
الشيخ أحمد الملّوى : قطب عصره

للأستاذ أحمد نصار القوصى

كلما أعدنا النظر فى آثار الماضين وقلبنا صفحات تاريخ العلماء الذاهبين ، وقرأنا سيرهم المسطورة العطرة ، وقفنا طويلا أمام ما دون عن أولئك الأعلام الذين علموا وعملوا ، ثم أخذوا ـ بعد ماا كتملوا ـ ينشئون الدارسين ، ويفقهون الناس من حولهم فى دينهم ودنياهم أجمعين • ووجدنا أنور تلك الصفحات وأعظم ما صادفنا من الآيات ، انما هى لعلماء ذلك الأزهر الشامخ ، الباقى ـ ان شاء الله ـ على حراسة اللغة والعلم والدين بفضل الله ، الى آخر الزمان• فهم الذين جاءوا ، ما عاشوا ، بالروائع والبدائع ، وتركوا لنا ما فيه الغنية لتنوير الأذهان ، وتغذية الأرواح، مما يحيى النفوس، ويشرح الصدور : علوما رفيعة نافعة، وثمرات عقول كبيرة راجحة ، فى بيان واضح، وبرهان قاطع ، يقف القارىء حيالها خاشعا ، والدارس مقدرا معجبا ، راضيا عنهم كل الرضا ، ولا يملك المنصف الا أن يستمطر رحمات الله على رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ونصحوا لله ولرسوله ـ وللمؤمنين ، فأضافوا الى التراث المجيد كثيرا من الجديد ، وملأوا الدنيا هداية ونورا •

وهذا الفاضل المترجم ، تتأود روح الثناء من ذكره ، وتغرد ألسنة الأكوان بذكراه بين الخافقين •وهو واحد من الجلة ، وعلم من الأعلام وهب نفسه للعلم منذ صباه ، ودأب فى محرابه على الطلب ومواصلة الدرس والفحص ، حتى صار اماما مرموقا ، كما ألزم نفسه التقوى ،

فعاش فى الناس قدوة ، وقضى عمره المديد محاضرا مكثرا ، ومعلما متقنا ، وشيخا مباركا : يربى النفوس ويشحن القلوب بنور الايمان ، لم يثنه عن عزمه شاغل ولا غرض ، ولم يقعده عن القيام برسالته مرض .

فلله دره من امام عظيم فخر به الزمان وحرص أهل العلم على ما ترك من مؤلفات ، وحسبه مجدا الكثرة النابهون من تلاميذه ، الذين لمعت أسماؤهم ، وعلت مقاماتهم ، وكانوا جديرين بالانتساب اليه علما وتقى ، من أمثال أبى الأنوار الحفنى ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ الجوهرى ، وحسبه بعد السيرة العطرة الباقية بقاء الزمان ، ما منحه الله من قبول عنده ورضوان .

ولد ، رضى الله عنه ، فى فجر يوم الخميس الثانى من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة ، من أبوين عريقين فى النسب والشرف .

فهو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيرى الملوى الشافعى الأزهرى . وأمه آمنة بنت عامر بن حسن بن على بن سيف الدين بن سليمان بن صالح ابن القطب على المقراوى الحسنى .

عنى من صغره بالعلوم عناية فائقة ، وكان حقيقا باللحاق بأجداده المكرمين . وأخذ على الكبار من أولى المكانة الملحوظة فى الفضل من الشيوخ علماء المذاهب . فمن الشافعية : الشهاب أحمد الفقيه ، والشيخ منصور المنوفى ، والشيخ عبد الرءوف البشبيشى ، والشيخ محمد منصور الأطفيحى ، والشهاب الخليفى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ عبد الوهاب الطنطاوى ، وأبو العز محمد العجمى ، والشيخ عبد ربه الديوى ، والشيخ رضوان الطوخى ، والشيخ عبد الجواد المحلى ، وأبو الفيض على بن ابراهيم البوتيجى ، وأبو الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجى .

ومن المالكية : الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الورزازى ، والشيخ محمد الزرقانى ، والشيخ عمر بن عبد السلام التطاوى ،

والشيخ أحمد الهشتوكى ، والشيخ محمد بن عبد الله السجلماسى ، والشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ عبد الله الكنكسى ، والشيخ ابن أبى زكرى ، والشيخ سليمان الحصينى ، والشيخ الشبرخيتى .

ومن رجال الحنفية : السيد على ابن على الحسنى الضرير .

وقد كان محل تقدير عظيم من شيوخه الأجلاء جميعا فأجازوه .

ثم رحل الى الحرمين الشريفين ، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف من الهجرة ، وسمع له العلماء هنا لك فأقروه وشهدوا له بالفضل والسبق .

وعاد الى مصر ، فصار اماموقته، المشار اليه فى حل المشكلات ، المعول عليه فى المعقول والمنقول ، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة ، وجيلا بعد جيل ، لأن الله الذى استعمله بارك له فى عمره فعاش طويلا وسعد به الناس كثيرا .

وكان جيد التقرير ، قوى التحرير ، وله رضى الله عنه مؤلفات كثيرة فى علوم شتى : فى النحو ، والبلاغة ، والبيان ، والفقه ، والتوحيد ، والمنطق ، منها :

١ ــ شرح الأجرومية .

٢ ــ تعريب رسالة ملا عصام فى المجاز .

٣ ــ شرحان على السمرقندية .

٤ ــ شرح عقيدة الغمرى .

٥ ــ عقود الدر على شرح ديباجة المختصر .

٦ ــ نظم النسب وشرحها .

٧ ــ شرح على الياسمينية .

٨ ــ شرحان على متن السلم ــ كبير وصغير .

٩ ــ نظم الموجهات وشرحها .

١٠ ــ مجموع صيغ صلوات على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان ينظم الشعر أحيانا .

وقد كتب الله لمؤلفاته القبول ، فكان الأشياخ يقدرونها ، والطلاب

يستريحون لها ويقبلون عليها بنفوس راضية •

واستمر رضى الله عنه ، نبراسا يهتدى به ، وملجأ يرجع اليه ، حتى أصابته العلة ولزمته ، فانقطع فى منزله ، ولكنه لم يتوقف عن درسه ولا خلا مجلسه فكان يلقى دروسه كل يوم فى أنواع العلوم فى أوقات مختلفة ، وهو ملقى على فراشه • وكان العالمون يحجون اليه ، ويقرءون عليه ، وهو يملى عليهم ما يفيدهم ، ويستجيزونه فيجيزهم •

ومن الناس من كان يأتى لزيارته تبركا ، فيستجيب لهم ويدعو لهم بالخير • وفى سنواته الأخيرة كان صلحاء عصره يشهدون له بالصلة الوثيقة بالله ، لعظيم تقواه ، وصدقه مع مولاه ، ونصحه لمن يلقاه من المؤمنين • وقد عاش سليم الحواس ، حاضر الذهن ، وبقى على هذه الحالة مع مرضه الملازم نحو ثلاثين سنة •

وروى المؤرخون الذين كتبوا عن المشاهد أن عبد الرحمن كتخدا القزدغلى عندما سمع برواية أن المشهد الحسينى لم يثبت دفن الرأس الشريف فيه ، أراد أن يتحقق من ذلك ، فاختار لهذه المهمة اثنين من كبار العلماء هما الشيخ الجوهرى الشافعى والشيخ الملوى المالكى ، اللذين أخبرا بما شاهداه بداخل البرزخ عيانا (كرسى من الخشب الساج ، فوقه طست من الذهب المغطى بالحرير الأخضر ، عليه كيس من نفس الحرير بداخله الرأس الشريف) • ولما علم بذلك عبد الرحمن كتخدا وتحقق من وجود الرأس الشريف بالمشهد الحسينى بنى المشهد والمسجد •

ولم يبق شيخنا الملوى بعد هذا التحقيق الا أياما معدودة ، فقد وافاه الأجل فى منتصف شهر ربيع الأول سنة احدى وثمانين ومائة وألف من الهجرة ، ودفن بصحن المسجد الحسينى فى موضع قريب

من المحراب ، تكريما له . وقد حزن عليه علماء عصره وعارفو فضـــله ، ورثاه الشيخ عبـد الله الادكاوى بقصيدة ختمها بهـذا البيت المؤرخ ، على عادة الشعراء فى ذلك العصر :

رحـم الله العــالم الربانى
٢٤٨ ٦٦ ١٧٢ ٢٩٤
عالـم لاح أحمــد الملوانى
١٤١ ٣٩ ٥٣ ١٦٨
١٨١١ هـ

أحاطت به كرامات الله ،وحفلت به ملائكة الرحمن ، وجزاه الله عن العلم وأهله أضـعاف ما قـدم من صالح الأعمال ، وجعـل مقره مـع الصالحين فى عليين . آمين .

أحمد نصار القوصى

« من محاسن القول »

عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه أنه خرج يســعى فى المدينة بالليل فراى نارا موقدة فى خباء ، فوقف وقال : ياأهل الضوء ، وكره ان يقول يا أهل النار .

وسئل العباس أنت أكبر أم رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ فقال : هو أكبر منى وانا ولدت قبله .

« ابن القيم »

من الفقه المقارن :

حكم قراءة البسملة فى الصلاة

للدكتور / ابراهيم دسوقى الشهاوى

— ٢ —

الخلافية الثانية : هل البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة ، أو آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة ؟

اختلف القائلون بأن البسملة قرآن – فى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة أو أنها آية مستقلة على قولين :

القول الأول : أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، ذهب الى ذلك الشافعية وبعض الصحابة وبعض التابعين .

القول الثانى : أنها آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور ، ذهب الى ذلك الحنفية ، والحنابلة ، وبعض الصحابة وبعض التابعين .

الادلة

استدل أصحاب القول الأول : على أن البسملة آية من سورة الفاتحة ومن كل سورة بأحاديث كثيرة من السنة نذكر منها ثلاثة ، لقوة ظهورها فى المطلوب .

الحديث الأول : مارواه الدارقطنى وابن خزيمة والحاكم عن ابن أبى مليكة يقرأ : الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فقطعها آية آية، وعدها عد الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية، ولم يعد صراط الذين أنعمت عليهم آية . فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة فتكون آية من كل سورة ، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح للحجية . فان فى سنده عمر بن هارون البلخى ، وهو ضعيف كما قال الحافظ .

ودفع هذا الرد : بأن عمر بن هارون قد ذكره كثيرون فى الثقات فجميع رواة الحديث ثقات فهو حجة .

الحديث الثانى : مارواه الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : اذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، انها أم القرآن ، والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم ، احدى آياتها .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة فتكون آية من كل سورة ، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح للحجية لأمرين :

الأمر الأول : أن راويه وهو نوح ابن بلال قد تردد فيه ، فرفعه مرة ، ووقفه مرة أخرى ، وصحح وقفه على رفعه غير واحد من أئمة الحديث .

ودفع هذا الأمر : بأن الرفع مقدم على الوقف . لأنه زيادة من الثقة وهى مقبولة .

الأمر الثانى : أن فى سنده عبد الحميد بن جعفر ، وفيه مقال : فقد تكلم فيه ابن الجوزى والثورى .

ودفع هذا الأمر : بأن الامام أحمد وابن معين قد وثقا عبد الحميد ابن جعفر فضلا عن أن متابعة نوح ابن بلال له ما تقويه . ولهذا قال اليعمرى والحافظ : أن جميع رواته ثقات ، وعلى هذا فالحديث صحيح صالح للحجية .

الحديث الثالث : مارواه الدارقطنى عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه سئل عن السبع المثانى ، فقال الحمد لله رب العالمين ، قيل : انما هى ست فقال : بسم الله الرحمن الرحيم .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة ، فتكون آية من كل سورة ، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه قول صحابى ، وليس بحجة .

ودفع هذا الرد : بأن لهذا الحديث حكم الرفع ، لأنه ليس للاجتهاد مجال فى عد آيات القرآن . وقد تقوى بحديثى أبى هريرة وأم سلمة المتقدمين .

واستدل أصحاب القول الثانى : على أن البسملة ليست آية من الفاتحة وانما آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور ، بأحاديث كثيرة من السنة ، نذكر منها :

الحديث الأول : ماروا أبو داود عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أنه قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه ، بسم الله الرحمن الرحيم .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أنه صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم كانت تنزل على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أول كل سورة للفصل بينها وبين ما قبلها ، وتنزيلها يستلزم قرآنيتها .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه من مراسيل سعيد بن جبير ، والمرسل ليس بحجة .

ودفع هذا الرد : بأن هذا الحديث رواه البزار باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، وقال : الذهبى فى تلخيص المستدرك بعد أن ذكر الحديث عن ابن عباس : أما هذا فثابت ، وصححه أيضا الحاكم على شرط البخارى ومسلم فالحديث صحيح وصالح للحجية .

الحديث الثانى : مارواه مسلم عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستفتح الصلاة بالتكبير ، والقراءة بالحمد لله رب العالمين .

ووجه الدلاله من هذا الحديث : أن البسملة لو كانت آية من سورة الفاتحة ما تركها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع العلم أن قـراءة سـورة الفـاتحة جميعهـا فرض من فرائض الصلاة ، فترك قراءتها دليل أنها ليست من الفاتحة •

ورد هذا الاستدلال : بأن مراد السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ « بالحمد لله رب العالمين » السورة نفسهـا لا هـذا اللفظ فان سـورة الفاتحة تسمى « بالحمـد لله رب العالمين » كمـا ثبت فى صـحيح البخارى ، فلا حجة فى الحديثعلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة•

الحـديث الثالث : مـا رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسـائى وأبو داود عن أبى هـريرة ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، فهى خداج ، يقولها ثلاثا فقيل لأبى هريرة : انا نكـون وراء الامـام ، فقال : اقرأ بهـا فى نفسـك ، فانى سمعت رسول الله ــ صلى اللهعليه وسلم ــ يقول : قال الله ــ عز وجل ــ قسمت الصلاة بينى وبين عبـدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى ، فـاذا قـال : الرحمن الرحيـم ، قـال الله : أثنى على عبدى ، فاذا قال : مالك يـوم الدين ، قال الله : مجدنى عبدى ، وقال مرة : فوض الى عبدى ، واذا قال : اياك نعبـد وايـاك نستعين ، قـال : هـذا بينى وبين عبـدى ، ولـعبـدى مـا سأل ، فـاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضالين قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل •

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن المراد من الصلاة فى قـوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » الفاتحة وسميت بذلك لأن الصلاة لاتصح الا بها ، وقد عد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الفاتحة ولميذكر

بسم الله الرحمن الرحيم ، فلو كانت البسملة من الفاتحة لعدها وبدأ بها ، ولما تحقق التنصيف لأن ما هو ثناء وتمجيد أربع آيات ونصف وما هو للعبد آيتان ونصف لأنها سبع آيات بالاجماع •

ورد هذا الاستدلال : بثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن التنصيف عائد الى جملة الصلاة لا الى الفاتحة لتبادر ذلك من حقيقة اللفظ •

الوجه الثانى : أن التنصيف عائد الى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة •

الوجه الثالث : أن المعنى ، فاذا انتهى العبد فى قراءته الى الحمد لله رب العالمين فحينئذ تكون القسمة فى ست آيات : ثلاث ثناء وتمجيد لله وثلاث دعاء وتضرع للعبد فليس فى هذا الحديث ما يدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست من الفاتحة •

القول الراجح

والراجح ما ذهب اليه أصحاب القول الأول من أن البسملة آية من الفاتحة لقوة أدلتهم وسلامتها مما ورد عليها •

هذا والناظر فى أدلة الخلافية الأولى وهى هل البسملة قرآن أم لا وفى أدلة الخلافية الثانية وهى هل البسملة آية من الفاتحة أم لا : يتبين له :

أولا : أن القول الراجح فى الخلافية الأولى هو أن البسملة قرآن •

ثانيا : أن القول الراجح فى الخلافية الثانية هو أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة •

وعلى هذا يكون الراجح فى حكم قراءة البسملة فى الصلاة أنها فرض من فرائض الصلاة حيث ترجح أنها قرآن وأنها آية من الفاتحة • مع العلم بأن الراجح أن قراءة الفاتحة فرض من فرائض الصلاة كما فى المسألة الثانية والله أعلم بالصواب •

د/ابراهيم دسوقى الشهاوى

الخوانك والتكايا والربطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ١ —

كان للحضارة الاسلامية منذ صدر الاسلام مظاهر بمنشآت تخدم الدين أو العلم • أو التكافل الاجتماعي أو تجمع بين هذه الخدمات والوظائف• فكانت المساجد، والمدارس، والخوانك التكايا ، والرباطات والبيمارستانات والسقايات والأسبلة وغيرها •

وكان تقليدا للعرب منذ صدر الاسلام أن يقيموا مسجدا جامعا فى كل مدينة يفتحونها أو ينشئونها •

وكانت الفسطاط ثالثة المدن التى أنشأها العرب ٢٠/٢١هـ • بعد البصرة ١٤هـ • والكوفة ١٦هـ • فلما فتحت الأمصار كتب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الى ولاته بالجهات أن يتخذ كل منهم مسجدا للجماعة •وأن يجعلوا للقبائل مساجد • فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة •

وقال عمرو بن العاص : لا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق يعنى الحاكم أو الوالى •

وجعل مسجد جامع واحد للمدينة أدعى لتحقيق وحدة المسلمين واجتماعهم • وظل هكذا الحال حتى زمن المعتضد بالله العباسى (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) فأنشأ فى دار الخلافة مسجدا خاصا كان يصلى فيه الجمعة خوفا من الصلاة فى المسجد العام للمدينة •

ثم تعددت بعد ذلك المساجد الجامعة فى المدينة الواحدة نتيجة لاتساع المدن وتكاثف سكانها •

وكان أمير الاقليم يؤم الناس فى الصلاة • فاذا منعه مانع • أناب عنه صاحب الشرطة أو من يراه • وكانت امامة الصلاة أهم وظائف الوالى الذى يعينه الخليفة •

وكان الخليفة أووالى الاقليم يلقى خطبة الجمعة • وكانت هذه الخطبة فضلا عما فيها من الوعظ والارشاد فيها توجيه واعلان لبعض سياسة الحكم •

ولم تكن وظيفة المسجد الجامع قاصرة على الصلاة • بل كان أيضا مكان ندوة يجتمع فيها المسلمون بين أوقات الصلاة لتدبر شؤونهم وتبادل الآراء •وفيه كانت تلقى دروس فى الفقة والتفسير والحديث وغيرها • فى حلقات يعقدها شيوخ المادة متطوعين • ويلتف حول الشيخ السامعون •

وقد بلغ عدد هذه الحلقات فى جامع عمرو بالفسطاط فى القرن الرابع الهجرية ١١٠ حلقات يستمر بعضها من بعد صلاة العشاء الى ثلث الليل • وذكر المقريزى أنه كان بهذا الجامع قبل وباء سنة ٧٤٩ هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه • وتناقص عدد الحلقات بجامع عمرو يرجع الى تكاثر انشاء المدارس المختلفة •

وعندما دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ وأنشأوا الجامع الأزهر رتب العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) بضعة وثلاثين فقيها للتدريس فيه فى هيئة حلقات • وأجرى عليهم المرتبات والأرزاق • وبذلك أصبح الأزهر أقدم جامعة استمرت للآن فى جميع العالم تتولى الدولة الانفاق على التدريس فيها •

وكان يدرس بالأزهر فضلا عن التفسير ، والحديث ، وعلوم اللغة فقة المذاهب الأربعة وليست هى المذاهب الأربعة التى نعرفها الآن • ولكنها كانت مذهب الشافعى • ومذهب مالك ومذهب الشيعة الامامية • ومذهب الشيعة الاسماعيلية •

ويحدثنا التاريخ أن الحاكم بأمر الله الفاطمى ابن العزيز استقدم من بغداد الحسن بن الهيثم (٣٥٤ -

٤٤٢هـ) عالم البصريات الشهير الذى تعلمت منه أوربا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح وتشريح للعين وكيفية تكوين الصور على شبكتها وأسماء أجزائها. وكان ابن الهيثم يقيم بالأزهر . وتوفى ابن الهيثم بالقاهرة ودفن بها .

وأنشأ الحاكم بأمرالله سنة ٣٩٥ هـ دار الحكمة لدراسة وتدريس العلوم المختلفة .

ولما قضى صلاح الدين الأيوبى على الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ . وألغى المذهب الشيعى رسميا من مصر . ووجد فى الجامع الأزهر منطلقا للدعاية لهذا المذهب . عطل خطبة الجمعة من الازهر : مرتكنا على فتوى من قاضى قضاة الشافعية بأنه لا تجوز خطبة الجمعة فى أكثر من مسجد فى مدينة واحدة ـ هى القاهرة الفاطمية ـ واكتفى بجعلها بالجامع الأنور المعروف الآن بجامع الحاكم بأمر الله بحجة أنه أكثر اتساعا من الجامع الأزهر .

وظلت خطبة الجمعة معطلة من الجامع الأزهر حتى أعادها الظاهر بيبرس فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ـ بعد اصلاحات وترميمات بالجامع استغرقت مايقرب من عامين وارتكن بيبرس على فتوى من قاضى قضاة الحنفية . وكان هذا من الأسباب التى جعلت بيبرس ينشىء نظام المذاهب الأربعة . الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى ولكل مذهب قاضى قضاة يعين قضاة المذهب. والتقدم لقاضى قضاة الشافعية .

وكان تعطيل صلاح الدين للأزهر كما يبدو قاصرا على خطبة الجمعة فقد ذكر العالم العربى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى الذى أقام بمصر من سنة ٥٨٣ ـ سنة ٦٠٢ هـ فى كتابه الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر المعروف (بمختصر تاريخ مصر) : وكانت سيرتى فى هذه المدة أن أقرىء بالجامع الأزهر من أول النهار الى الساعة الرابعة . ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره . وآخر النهار أرجع الى الجامع الأزهر . ويقرىء قوم

آخـرون • وفى الليل اشـتغل مع نفسى ••• الخ •

وفى هذا ما يدل على أن الطب كان من العلوم التى تدرس بالأزهر •

وأخذ صلاح الدين ومن تلاه من الأيوبيين وأمراء دولتهم فى انشـاء المدارس فى أنحـاء القاهرة للمذاهب المختلفة •

فأنشـأ صـلاح الدين خمس مدارس • منها اثنتان بجـوار جامع عمرو بالفسـطاط للفقهين الشـافعى والمـالكى • وثالثة بجوار مقام الامام الشافعى للفقه الشافعى• ورابعة بجهة الصاغة حاليا للفقه الحنفى•والخامسة بجوار ضريح الامام الحسين •

وأنشـأ أخـوه العـادل مدرسـة بالفسـطاط للفقه المـالكى • وأنشأ ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه مدرسـة بالفسـطاط للفقه الشـافعى عرفت بمنـازل العز لأنها بدار بهـذا الاسـم كانت تملكها السـيدة تغريد زوجـة المعـز لدين الله الفاطمـى • وأنشأ الكامل ابن العـادل المدرسـة العظيمة والباقيـة للآن بين القصرين لتدريس الحديث الشريف • كمـا انشأ الصـالح نجم الدين أيوب بن الـكامل المدرسة الصـالحية لتدريس فقه المذاهب الأربعـة • وآثار هـذه المدرسة باقية للآن بخان الخليلى •

ولا أريد أن أسترسل فى ذكـر المدارس التى أنشأها الأيوبيون وأمراء دولتهـم فى مدة حكمهـم القصـيرة (٨١ عاما) ولكن نقول اجمـالا ان المقريزى ذكر ٢١ مدرسة أنشئت فى عهدهم كما ذكر ٤٣ مدرسة أنشئت فى عهد دولتى السلاطين المماليك حتى دخول العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ •

وكانت هـذه المدارس تجمع بين وظيفتى الجامع والمدرسة وهندسـة انشائها تقريبا واحدة • فهى عبـارة عن أربعة ايوانات مسـقوفة بجوانب المسـجد الأربعة • يتوسطها مسـطح مكشوف • وفى هذه الايوانات كانت تعقـد حلقـات الدروس • وخلف بعض هـذه الايوانات كانت الغرف لخدمة الأغراض المختلفة فى المدرسة•

الخوانك والرباطات والتكايا والزوايا:

ثم أدخل صلاح الدين فى القاهرة نظـام الخوانك • وهى جمع خانكاه

لفظ فارسى بمعنى بيت • وهى أماكن لتخلى الصوفية فيها للعبادة • وقال المقريزى انها حدثت فى الاسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة •

ولكنه قال أيضا (الخطط جـ٢ ص ٤١٥) : أن أول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة فى خلافة عثمان بن عفان (٢٤ـ٣٥هـ) • فقد عمد الى رجال من البصرة قد انقطعوا للعبادةولم يكن لهم مايشغلهم عنها من تجارة أو غيرها • فبنى لهم الدور وأجرى عليهم مايقوم بمحصالهم الدو وأجرى عليهم ما يقوم بمصالحم من مطعم ومشرب وملبس • وأراد والى البصرة أن يقربهم اليه • فقال له زيد : ما تريد من هؤلاء القوم ؟ قال : أريد أن أقربهم • فيشفعوا فأشفعهم • ويسألوا فأعطيهم • ويشيروا على فأقبل منهم • فقال لا ولا كرامة • فتأتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك • وتشركهم فى أمرك • حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم • فطاحوا لا الى الدنيا ولا الى الآخرة • قوموا فارجعوا الى مواضعكم•فقاموا وأمسك الوالى فما نطق بلفظة •

والرباطات أو الأربطة : جمع رباط ووظيفته قريبة من وظيفة الخانكاه ، وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ، ثم أطلق على كل ثغر على حدود البلاد الاسلامية ينتظر أهله فرص الجهاد للغزو أو الدفاع •

ثم أنشئت الرباطات داخل البلاد لانقطاع بعض اناس فيها للعبادة ، وقيل فى تفسير الآية الكريمة (اصبروا وصابروا ورابطوا) أى جاهدوا • وقيل أيضا أى واظبوا على الصلاة وترقبوا مواعيدها •

وكانت بعض الرباطات قاصرة على النساء •

وبطل استعمال لفظ الخانكاه بعد دخول العثمانين مصر (٩٢٣) • واستعمل بدله لفظ التكية ـ جمعها تكايا وهى بمعنى الخانكاه • وأغلب التكايا فى القاهرة أنشئت فى العهد العثمانى • يقيم فيها (فقراء) الصوفية من الأعاجم ويطلقون عليهم لفظ الدراويش •

ويدخل فى هذا المعنى أيضا الزوايا • فالزاوية أصلا جامع صغير

يقيم فيه أحد مشايخ الطرق الصوفية ويجتمع عليه مديدوه فيلقى عليـهم دروسه • ويعقدون فيها (حضرات) أسبوعية بالأذكار والأدعية •

وتختلط هـذه المعانى جميعها مع بعضها فبعض الخوانك والتكايا ذكرها المقريزى ، وعلى مبارك فى الجوامع أو المـدارس أو الزوايا • فالجـامع أو المدرسة قد يشمل أيضا خانكاه بمعنى أماكن لتخلى الصوفية •

وقبل أن نتكلم عن الخوانك فى القاهرة الاسلامية يحسن أن نقـدم لها بكلمـة موجـزة عن الصـــوفية والتصوف •

الصوفية والتصوف :

قال الامام أبو القاسم عبد الكريم ابن هـوازن القشـيرى (الرسـالة القشيرية ص ٨) : اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسـمية علم سوى صـحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم • اذ لافضيلة فوقها • فقيل لهم الصحابة • ولمـا أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين • ورأوا فى ذلك أشرف سمة • ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين• ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد • ثم ظهرت البدع • وحصل التـداعى بين الفرق • فكـل فريق ادعوا أن فيهم زهادا • فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفـاسهم مع الله تعالى الحافظـون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصـوف • واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة • اهـ •

والتصـوف طريق اسـلامى اتبعه كثير من علمـاء الاسلام الأفاضـل • يقـوم على الاجتهـاد فى التعبـد • والتقشف فى الحيـاة • والبعد عن الشهوات • والتعمق فى فهم الأصول الدينية • والتفـانى فى محبة الذات الالهية وطاعتها •

واختلفوا فى أصل التسمية فأرجعها البعض الى اقتصار المتصوفين على لبس

الصوف مع خشونته دليلا على التقشف .

وقال البعض انها من الصفا . لما فى طريقها من صفاء النفس والبعد عن الشهوات ، وقال آخرون : انها من الصفة وهم قوم كانوا يقيمون بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة متفرغين للعبادة حيث لاعمل ولا دار لهم ، يخرجون للجهاد متى كان ثم يعودون لعبادة بالمسجد وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يصلهم ويقوم بما يلزمهم من طعام وكساء .

وقال غيرهم انها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية ومعناها الحكمة . وقالوا تعليلات واشتقاقات أخرى للتسمية .

واتبع طريق التصوف كثيرون من أئمة الاسلام المشهود بفضلهم وورعهم . وفى أقوالهم المأثورة عنهم حكم بليغة . وفهم عميق . وسمو روحانى . وحض على مكارم الأخلاق بكافة الصور . وايمان مطلق بقدرة الخالق . ورضا كامل بكل ما يفعل . وعبادتهم محبة للذات الالهية وتقرب اليه تعالى لا طمعا فى ثوابه أو خشية عقابه .

وبين الصوفية والفقهاء تنافس أو خلاف . فبعض أعلام الصوفية لم يتلقوا العلوم الشرعية بترتيبها وأوضاعها وعن شيوخ معينين كما تلقاها الفقهاء . ولكنهم يقولون ان العلم نوعان . علم منقول . وهو علم الفقهاء . وعلم لدنى أى من عند الله سبحانه وتعالى يوحى به الى قلوب وعقول من يشاء من الواصلين اليه . فينطق به اللسان . وهو علم الصوفية . وان علم الصوفية هو علم الشريعة . وان كل صوفى فقيه ولا عكس .

وقال الامام القشيرى (الرسالة القشيرية ص ٥٠) : الشريعة أمر بالتزام العبودية . والحقيقة مشاهدة الربوبية . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول . وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة انباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده . والحقيقة أن تشهده . والشريعة قيام بما أمر . والحقيقة شهود لما قضى وقدر . وأخفى وأظهر . اهـ .

ولم يعرف عن أئمة الصوفية أنهم حرموا حلالا • أو حللوا حراما • أو أنهم خرجوا عن الكتاب والسنة • ولكن مجاهدتهم فى الزهد والعبادة قد جعلت من صفاء نفوسهم قوى روحانية يستشفون بها بعض الحقائق التى قد يدق ادراكها عن الفقهاء •

ونسبت اليهم ولاية وكرامات • كما اندس فى طرقهم بعض أدعياء موهوا على البسطاء بالأقوال والأفعال • ما رفعوهم بما موهوه فوق مراتب النبوة • وجعلت بعض العقلاء ينظرون الى التصوف نظرة من الشك هو بعيد عنها كل البعد • كما أن طبيعة المبالغة عند الناس زادت فيما نسب للصالحين منهم من كرامات حتى خرجت عن حد المعقول •

وقد قال المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ٤١٤ وقد توفى سنة ٨٤٥ هـ) : ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون الى علم أو ديانة • والى الله المشتكى • ا هـ •

وكان الوضع الاجتماعى للشعوب الاسلامية • وهى تحت سيطرة الحاكمين المستبدين المعتمدين على القوة العسكرية يساعد على التماس سيادة أخرى أكثر رحمة وأقرب انسانية • هى السيادة الروحية • وكان هذا من أسباب انتشار الطرق الصوفية وتعددها •

ويطلق الصوفية على أنفسهم اسم الفقراء • ولطرقهم اصطلاحات وتعبيرات مثل النفحة والقبضة والخرقة وغير ذلك مما تحفل به كتبهم •

والأصل فى الطرق الصوفية أن الشيخ له مريدون • ويتدرج المريدون فى مراتبهم بتلقينهم الأسماء السبعة اسما بعد اسم • وكلما رأى الشيخ فى المريد طاعة فى الله واخلاصا فى العبادة وتفانيا فيها وتلاوة أوراد بتسبيحات معينة فى أوقات معينة كل يوم عددا من المرات ومداومة على حلقات الذكر لقنه الاسم التالى • وبعد ذلك يجيز الشيخ له بتسليك ـ أى اعطاء العهود لغيره •

وأخذ المريد للعهد من شيخه له صور وصيغ تختلف باختلاف

الطرق. وتتلخص في أن يتطهر المريد ويمسك الشيخ بيده اليمنى يد المريد اليمنى ويعاهده على طاعة الله وعبادته .

وقيل ان الأصل في الطرق أن عليا بن أبي طالب قال للرسول (ص) أن يدله على أقرب الطرق لله تعالى . فقال له : يا على . عليك بمداومة الذكر في الخلوات . قال على : هذه فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون . فقال الرسول (ص) : لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله . فقال على : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال : أغمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات . ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع منك . فقال الرسول (ص) مغمضا عينيه رافعا صوته ثلاث مرات : لا اله الا الله . وعلى يسمع . ثم قال على مغمضا عينيه رافعا صوته ثلاث مرات . لا اله الا الله والرسول (ص) يسمع .

ثم لقن على بن أبي طالب أباسعيد الحسن البصري (توفى سنة ١١٠ هـ) . الذى لقن حبيبا بن محمد العجمى المعروف بالفارس (توفى سنة ١١٩ هـ) . الذى لقن أبا سليمان داود بن قصير الطائى (توفى سنة ١٦٢ هـ) . الذى لقن أبا محفوظ معروفا بن فيروز الكرخي (توفى سنة ٢٠٠ هـ) . الذى لقن أباالحسن السرى المغلس السقطى (توفى سنة ٢٥٣ هـ) الذى لقن ابن أخته أباالقاسم الجنيد بن محمد الزجاج (توفى سنة ٢٩٧ هـ) .

وعن الجنيد تفرقت سائر الطرق (١) .

وقالوا لكل بلاد رجال . وان لكل رجال قطبا يحكم عليهم بمشيئة الله . وقالوا في مراتب الوصول : النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون الأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أو الأقطاب أربعة والغوث واحد .

---

(١) تاريخ الجبرتي ج ١ ص ٢٩٧ ، طبقات الشعراني ج ١ صفحات ٣١ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ ، ٢٨٣ و ج ٢ صفحات ٤٣ ، ١٦٧ ، ٣٣٩

وقالوا أن سـكن النقباء بـلاد المغرب • وسـكن النجبـاء مصر • وسكن الأبدان الشـام • والأخيار سواحون فى الأرض • والعمـد أو الأقطـاب الأربعة فى زوايا الأرض • والغوث بمكة (١) •

واذا عجز من فى مرتبة عن نفاذ أمر لجأ الى من فى مرتبـة أعلى • فهى دولة لهـا حكامها ووزراؤها وقضاتها وأحـكامها وتعدد درجات قضائها •

والشـائع بين عامة الصوفية فى مصر أن العمد أو الأقطاب الأربعـة هم : السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ — ٥٧٠ هـ) مدفون فى أم‌عبيد بالعراق، السـيد عبد القـادر الجيلى (٤٧٠ — ٥٦١ هـ) مدفون ببغداد ، السيد أحمد البدوى (٥٩٦ — ٦٧٥ هـ) مدفون بطنطا ، السـيد ابراهيـم الدسـوقى (٦٣٣ — ٦٧٦) مدفون بدسوق •

وقـد ذكر على باشـا مبـارك فى الخطط الطرق التى كانت موجـودة فى أواخـر القرن المـاضى وتابعـة لمشيخة البكرية وعددها تسعة :

١ — الأحمدية نسبة الى السيد أحمد البدوى ولها ١٦ فرعا وعلمها وزيها أحمران •

٢ — الرفاعيـة نسبة الى السيد أحمد الرفاعى ولها ٣ بيوت وعلمها وزيها أسمران (١) •

٣ — القـادرية نسبة الى السيد عبد القادر الجيلى وعلمها أخضر •

٤ — البراهمـة نسبة الى السيد ابراهيم الدسوقى ولها فرعان وزيها أخضر •

٥ — الشاذلية نسبة الى أبى الحسن الشاذلى ولهـا ١٣ فرعا وأعلامهـا مختلفة •

٦ — الخلوتيـة نسبة الى السيد مصطفى البكرى ولهـا أربعة فروع ولا علم لها وزيها الطاووق •

---

(١) نور الأبصار فى مناقب النبى المختار ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٢) الفرق بين الفروع والبيوت أن لكل فرع شيخا ولكن يجوز أن يكون شيخ واحد لعدة بيوت .

٧ ـ الميرغنية : نسبة الى محمد عثمان الميرغني والعلم والزى أبيضان .

٨ ـ السعدية : نسبة الى سعد الله ابن جباوى بن موسى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ والعلم والزى أخضران .

٩ ـ النقشبندية : نسبة الى بهاء الدين محمد شاه نقشبند المتوفى سنة ٧٩١ هـ .

وهناك طرق أخرى كثيرة مثل المولوية : نسبة الى مولانا جلال الدين الرومى المتوفى فى قونية سنة ٦٧٢ هـ

الكلشنية : نسبة الى الشيخ ابراهيم الكلشنى المتوفى سنة ٩٤٠ هـ ، ـ البكتاشية نسبة الى سيد محمد الحاج بكتاش المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ،

السهروردية : نسبة الى شهاب الدين سهروردى المتوفى ببغداد سنة ٦٣٢ هـ .

السنوسية : نسبة الى سيد محمد على السنوسى المتوفى سنة ١٢٧٦ .

الملامتية : نسبة الى سيد محمد نور العربى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ .

وغيرها كثير فى مصر وسائر الدول الاسلامية .

(يتبع)

محمد كمال السيد محمد

أن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ يسهل على كثير أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان ، وان كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيعون ان يعملوا ، ولكن قليلا منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف .

.... حسن البنا ـ رسالة المؤتمر الخامس

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٠١ ـ وينكرون أن يقال : فلان يزيد عن أخيه مالا أو علما أو نحو ذلك ، بتعدى الفعل بعن ، ويصرون على أنه ان تعدى فبعلى فقط كما فى قوله تعالى « أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا » وقول ذى الاصبع العدوانى .

وأنتم معشر زيد على مائة
فأجمعوا أمركم طرا فكيدونى

وفى الحق أنه يتعدى بعن كما يتعدى بعلى ، قال أبو البقاء فى كلياته ، والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى ، لأن نقص يتعدى به وهو المقابل له ، والعرب تحمل الشىء على ضده ، وها هو ذا قبيصة الجرمى الفارس الشاعر الجاهلى يقول فى ممدوحه :

يزيد نبالة (١) عن كل شىء
ونافلة (٢) وبعض القوم دون

٣٠٢ ـ ومن أخطائهم أنهم اذا ألحقوا أداة التعريف بالأسماء التى أولها ألف وصل كابن ، وابنة واثنين، واثنتين سكنوا لام التعريف، وقطعوا ألف الوصل محتجين بقول قيس بن الحطيم .

اذا جاوز الاثنين سر فانه
بنث (٣) وتكثير الوشاة قمين (٤)

---

(١) النبالة : الذكاء والنجابة .

(٢) النافلة : الغنيمة والعطية وما تفعله مما لا يجب عليك .

(٣) النث : الافشاء وعدم كتمان الأسرار .

(٤) قمين : حقيق وجدير .

والصواب أن تسقط همزة الوصل ، وتكسر لام التعريف ، والعلة فيه أنه لما دخلت أداة التعريف على هذه الأسماء صارت همزة الوصل حشوا ، والتقى فى الكلمة ساكنان : لام التعريف والحرف الساكن الذى بعد همزة الوصل ، ولهذا وجب كسر لام التعريف .

أما البيت المذكور فمحمول على ضرورة الشعر ، على أن فيه رواية أخرى هى : اذا جاوز الخلين .

٣٠٣ — ويقولون : نقد فلان برىء ، وهذه كلمة شكر بريئة ، وكل من هذين التعبيرين غير سليم ، لأن البراءة لا يوصف بها غير الأناسى كما فى قوله تعالى :

« أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ، وقوله «انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله »» .

ووجه الكلام أن يقال : نقد فلان خالص ، وهذه كلمة شكر خالصة ، أى من شوائب الرياء وسوء النية .

٣٠٤ — ويقولون للرجل الذى يعمل بكلتا يديه : أعسر أيسر ، وللمرأة هذه حالها : عسراء يسراء ، وكلا التعبيرين خطأ ، والفصيح أن يقال للرجل أعسر يسر ، بفتح كل من الياء والسين ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعسر يسرا ، ويقال للمرأة : عسراء يسرة بفتحات .

٣٠٥ — ويقولون : أصيب فلان بتخمة فيسكنون الخاء خطأ ، والصواب فتحها ، ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر ، وهى سوء مغبة الطعام ، وقلة استمرائه .

تقول: تَخِم الرجل من بابى ضرب وعلم اذا أصابته تُخَمَة وقد أتخمه الطعام والطعام متخمة وزان مرحمة أى يتخم منه ، وأصلها موخمة قلبت الواو تاء .

٣٠٦ : ويقولون : لفلان الرئاسة على قومه بالهمزة مع كسر الراء ، والفصيح أن يقال له الرياسة بالياء بدلا من الهمزة ، فقد قالت العرب : رأس فلان قومه يرأسهم رياسة فهو رئيسهم وريِّسهم وزان قيم .

أو يقال : له الرآسة بالهمزة الممدودة مع فتح الراء • فقد ورد عن العرب قولها : رأس فلان القوم رآسة ، أى شرف قدره عندهم فاتخذوه رئيسا عليهم ، جمعه رؤساء كشريف وشرفاء قال النمر بن تولب:

ويوم الكلاب (١) رأسنا الجموع
ضررا (٢) وجمع بنى منقر (٣)

ويقال : رأسنا فلانا بالفعل المضعف ترئيسا اذا جعلناه رئيسا فارتأس وترأس علينا ، ورأسوه على أنفسهم ، كما يقال : تأمَّر عليهم ، وأمروه اذا جعلوه عليهم أميرا ، والرئيس وزان سكّيت الكثير الترؤس •

أما الرئاسة بالهمزة فهى مقبض السيف كالرئاس بدون هاء ، يقال :

خذ برئاس سيفك ورئاسته أى بقائمه ، ومن المجاز قولك لغيرك : رُميت منك فى الرأس اذا ساء رأيه فيك •

٣٠٧ ـ ويستعملون خطأ كلمة مجرد وزان معظم فى غير ما وضعت له ، فيقولون مثلا نريد أن نراك فى المطار بمجرد وصول طائرتنا اليه ، وفهم الطالب الاجابة بمجرد توجيه السؤال اليه ، ولقى أخى صديقه بمجرد خروجهمن المنزل ، وكل هذه التعبيرات وأمثالها لا نصيب لها من الصحة ، لأن للتجريد معانى عدة لا تمت بصلة الى المعنى الذى يقصدون اليه •

فهو القشر كما فى قولك : جردت التفاحة تجريدا اذا قشرتها فهى مجردة ، وهو التعرية كما فى قولك : جردت فلانا من ثيابه تجريدا اذا نزعتها عنه وعريته فهو مجرد منها ، وهو الحلج كما فى قولك : جردت القطن تجريدا اذا حلجته فهو مجرد ، وكذلك هو التكليف كما فى قولك جرد فلان للقيام بكذا اذا

---

(١) الكلاب : اسم ماء له يوم •
(٢) ضرارا : مضارة وعلى الرغم منه •
(٣) منقر : ابو بطن من تميم •

كلفه ، ومن المجاز قولك جرد الجندى سيفه تجريدا اذا أخرجه من غمده ومطاوع هذا الفعل التجرد تقول جردته من كذا فتجرد منه ، وقولهم : فلانة بضة المجرد أى بضة عند التجرد ، وتقول : تجرد أخى للبحث فى الأدب أو تجرد للعبادة اذا جد فى ذلك فهو متجرد ، والأنثى متجردة ، ومن هذا سميت امرأة النعمان بن المنذر بالمتجردة •

ويقال : تجردت السنبلة من لفائفها اذا خرجت منها فهى متجردة •

ولتأدية المعنى الذى يبتغونه يجب أن يستبدل بكلمة بمجرد ظرف زمان فيقال : نريد أن نراك فى المطار حين وصول طائرتنا ، أو وقت وصولها ، أو ساعة وصولها اليه ، وكذا يقال فى التعبيرين الأخيرين •

٣٠٨ ــ واننا لنرى ونقرأ عبارة غير مستقيمة نشرت فى كثير من الأماكن حتى على حيطان مراكب (الترام) وارتضاها كثير من المثقفين هى شهادات الاستثمار لها ربح وفير اذ فيها غلطتان •

احداهما أن كلمة الاستثمار لم ترد فى اللغة ، فلم تقل العرب استثمر الرجل ماله استثمارا ، وانما قالت ثمَّر الرجل ماله تثميرا بالفعل المضعف اذا نمَّاه وكثره ، وثمر الله مالك تثميرا اذا بارك فيه وكثَّره ، وأثمر الرجل اذا كثر ماله وقالت : ثَمَرَ الرجل بالفعل الثلاثى اذا تموَّل ، ومال ثمِر وزان فرح اذا كان مباركا فيه ، ومال مثمور اذا كان كثيرا ، وأثمر القوم وثمروا ثمورا اذا كثر مالهم وعلى هذا يجب أن يستبدل بالاستثمار فى عبارتهم كلمة التثمير فيقال شهادات التثمير والغلطة الأخرى كلمة وفير فهى لم ترد عن العرب ، ولذا يجب أن يقال لها ربح وافر أو موفور اسم فاعل أو اسم مفعول من الثلاثى ، أو موفر اسم مفعول من وفره توفيرا اذا جعله كثيرا ، أو مستوفر اسم مفعول من استوفره اذا كثره وذخره •

٣٠٩ ــ ويقولون : استكبر فلان علينا كما يستكبر على زملائه ،

يعنون أن الخيلاء قد ركبته فعد نفسه عظيم القدر فلم يأبه بأحد •

والحق أن هذا الفعل لا تستعمل معه على البتة وانما له حالتان احداهما أن تستعمل معه عن فيقال : استكبر عنا كما يستكبر عن زملائه ويؤيد هذا قوله تعالى : « وكنتم عن آياته تستكبرون » وقوله : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته » •

والحالة الأخرى أن يستعمل بدون حرف الجر كما فى قوله سبحانه « أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم » •

وقد يأتى هذا الفعل متعديا كما فىقولك : استكبرت الشىء اذا رأيته كبيرا وعظم عندك •

٣١٠ ــ ويقولون : رجل حران ، وامرأة حرانة، يعنون شدة الحر ضد البرد ، أو شدة الحرارة ضد البرودة ، وهذا خطأ ، لأن الحران هو العطشان ، تقول حر الرجل يحر من باب ظل أى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع حرة ذا عطش فهو حران وهى حرى أى عطشى ، وأحر الرجل اذاصارت ابله حرارا •

والصواب أن يقال له : حرير أو محرور وهو من تداخلته الحرارة سواء أكانت من الغيظ أم من غيره والمرأة حريرة أو محرورة ، ويقال : حر اليوم والطعام يحر من باب تعب ، وحر حرا وحرورا بالضم من بابى ضرب وقعد فهو حار ، والاسم الحرارة •

وتقول : حررت يافلان اذا أصابه الحر أو الحرارة بفتحهما أو الحرور بالضم ، وحر الرجل الماء أسخنه وجعله حارا •

٣١١ ــ ويقول كثير من النحاة : ان التمييز اسم بمعنى من مفسر لما انبهم ، والحق أن كلمة انبهم لم تسمع فى كلام العرب ، والصواب أن يستبدل بها استبهم •

قال الراغب : ان انبهم غير مسموع ، لأنه بزنة انفعل ، والمطاوع بهذا الوزن خاص بما فيه علاج ، نحو كسرته فانكسر ، وجذبته فانجذب ، وهذا ليس فيه علاج •

يقال : استبهم عليه الأمر اذا استغلق ، واستُبهم على فلان بالبناء للمجهول اذا أرتج عليه فلم يستطع الكلام ، ومن المجاز قولك : هذا أمر مبهم أى لا مأتى له ، وهذا كلام مبهم أى لا يعرف له وجه .

٣١٢ ـ ويخطىء الخاصة حين يقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا صُمودا مشرفا فى معركتهم مع الأعداء ، وأنزلوا بهم كثيرا من الهزائم حتى أجبروهم على الفرار مندحرين وفى هذه العبارة غلطتان .

احداهما أن الصمود مصدر أنشأه العامة ، أما المصدر السليم فهو الصمد وزان العدل وله معنيان أحدهما القصد ، تقول : صمدت الأمير من باب نصر صَمْدا اذا قصدته ، فالأمير مصمود وصَمَد(1) بالتحريك ، ومن هذا قوله تعالى « الله الصمد » والآخر الضرب تقول : صمده بالعصا اذا ضربه بها .

والغلطة الأخرى قولهم مندحرين ، والصواب أن يقال : مدحورين أى مطرودين وفى التنزيل « قال اخرج منها مذموما مدحورا » فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا وأنزلوا بهم الهزائم حتى فروا مدحورين .

٣١٣ ـ ويقولون لمن لا غيرة له على أهله مُعرس بصيغة اسم المفعول ، أو عَرْس وزان بغل وهذا خطأ صراح ، لأن هاتين الكلمتين ـ على الرغم من أنهما عربيتان سليمتان ـ تحمل كل منهما معنى لاصلة له بالمعنى الذى يبتغونه .

فالمعرس هو الموضع الذى يُعرس فيه المسافر ، أى ينزل نزلة يستريح فيها ثم يرتحل ، قال :

وقد كان ذا نخل وزرع وحامل
وأمسى وما فيه لباغ مُعرَّس

---

(1) مثل : صمد بمعنى مصمود : قلم بمعنى مقلوم ، وولد بمعنى مولود ، وحفر بمعنى محفور ، ونقض بامعنى منقوض ، وخبط بمعنى مخبوط ، كل اولئك فعل بمعنى مفعول .

أما العرس فهو عمود فى وسط الفسطاط ، وكذلك هو الفصيل الصغير ، جمعه أعراس .

ولتأدية المعنى المراد ينبغى أن يقال : هو ديثوث وزان فَرُّوج ، مأخوذ من ديثه اذا ذلّله ، تقول : داث الشيء ديثا من باب باع اذا لان وسهل ، ويعدى بالتضعيف فيقال : ديّثه غيره .

ويقال له أيضا : قمعوث وزان زنبور ، وطزع وزان كتف .

٣١٤ ــ ويقولون : فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان .

احداهما : أن كلمة الجنيه لاوجود لها فى العربية ، والفصيح أن يقال له : الدينار المصرى وأصله دنّار بتشديد النون ، أبدلت من احدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر من نحو كذاب ، وكلام ، وحمال ، ولهذا يرد فى الجمع الى أصله فيقال دنانير .

والغلطة الأخرى كلمة ريال ، اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وانما معناها اللعاب ، تقول : رال الصبى يريل ريالا اذا سال لعابه ، ومثله الروال بضم الراء ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى المصباح وقيل : ان الروال لعاب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، المرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب .

٣١٥ ــ ويقولون : شاركه السفر ، وشاركه السراء والضراء ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين ، والفصيح أنه لا يتعدى بنفسه الا الى مفعول واحد ، ويتعدى الى الثانى بفى ، سواء أكان ثلاثيا أم كان مزيدا .

فمن الثلاثى يقال : شركه فى الميراث شركة ، والاسم الشرك بالكسر ، جمعه أشراك ومن المزيد يقال : شاركه فى التجارة ، وشاركه فى سرائه وضرائه كما فى قوله جل شأنه « وشاركهم فى الأموال والأولاد » وأشرك الرجل أخاه فى عمله ، ومن هذا قوله سبحانه « وأشركه فى أمرى » وكذا يقال : اشتركا فى الصناعة ، وتشاركا فيها .

والشريك جمعه شركاء كحكيم وحكماء ، وحليم وحلماء ، ويجمع أيضا على أشراك كشريف وأشراف ،

ويتيم وأيتام ، والمرأة شريكة ، والنسوة شرائك ككريمة وكرائم أما الفعل الذى يحمل معنى المشاركة ويتعدى بنفسه الى مفعولين فهو شاطر تقول : شاطرته ماله اذا ناصفته ، وأخذ كل منكما شطر هذا المال ، ومن هذا قولهم فى التعزية تشاطركم الأحزان •

٣١٦ ــ ويقولون : الكرسى عبارة عن عصى من الخيزران ، أو عيدان من الخشب يركب بعضها فى بعض ، والسجادة عبارة عن صوف منسوج ، والمنزل عبارة عن بناء من الآجر أو من اللبن مسقف بالخشب ، له أبواب ونوافذ ، وكل هذه التعبيرات خطأ والفصيح أن كلمة عبارة ــ فضلا عن أنها حشو لم يأت بجديد فيما سقنا من الأمثلة ــ لها معنى آخر هو التعبير عما يختلج فى الصدر تقول : فلان حسن العبارة أى البيان ، وعبرت عن فلان تعبيرا وعبارة اذا تكلمت عنه وبينت أهدافه واللسان يعبر عما فى الضمير عبارة أى يبين •

ويقال : عبرت الرؤيا عبرا وعبارة من باب كتب أى فسرتها ، ومن هذا قوله تعالى «ان كنتم للرؤيا تعبرون» وعبرتها بالتثقيل تعبيرا مبالغة ، والاسم العبارة •

٣١٧ ــ وسمعت بعض من نالوا قسطا موفورا من الثقافتين العربية والدينية يقول كلما عنى الانسان بأمور دينه كلما كان من المقربين عند الله ، وتكرير كلما خطأ صريح ، اذ لا يجوز تكرير أى أداة من أدوات الشرط فى عبارة واحدة وكلما هذه أداة شرط غير جازمة ، ولا يليها الا الماضى كما فى قوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه » وقوله « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا »ويشاركها فى عدم الجزم والاختصاص بالماضى لما فى قوله سبحانه : « ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم » وقوله « ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه »

٣١٨ ــ ويقولون لأولادهم:لاتسيرا فى الطريق الا على الرصيف ، والفصيح أن يقال الا على الطوار بفتح الطاء وكسرها ، وطوار الطريق هو ما انقاد معه من طوله ، وللطريق طواران

أحدهما عن يمين السائر فيه ، والآخر عن يساره ، وطوار الدار ما كان ممتدا معها .

أما الرصيف فله معنى لا يمت بصلة الى المعنى الذى أرادوه ، تقول هذا عمل رصيف اذا كان محكما رصينا ، وهذا جواب رصيف اذا كان قويا لا يرد ولا ينقض .

٣١٩ـ ويقول العامة وبعض الخاصة: فلانة عضوة فى الوزارة ، أو فى جماعة كذا فيوهمون ، اذ يؤنثون العضو وهو اسم جامد لا يقبل الهاء فى آخره

وأصل وضع الهاء فى آخر الاسم انما يكون للفرق بين المذكر والمؤنث فى الأوصاف المشتركة بينهما ، نحو صائم وصائمة ، ومنصور ومنصورة ، وكريم وكريمة

أما دخولها على الجامد فسماعى فى ألفاظ قليلة معدودة ، منها أسد وأسدة ، وذئب وذئبة وسبع وسبعة ، ورجل ورجلة .

٣٢٠ ـ ويقولون : سوف لانكذب فيما نتحدث ، وسوف لا نقول الا حقا ، يعنون أنهم لا يكذبون مستقبلا ،

قال صاحب الصحاح عند الكلام على سوف : ولا يفصل بينها وبين الفعل لأنها بمنزلة السين فى سيفعل ونحو هذا فى لسان العرب وفى شرح القاموس ، ومما يدل على هذا قوله تعالى : « قال سوف أستغفر لكم ربى » وقوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، وقال صاحب المغنى : انها كالسين بيد أنها تنفرد عنها بدخول اللام عليها كما فى قوله تعالى . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وقوله : « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » وبأنها قد تنفصل بالفعل الملغى كما فى قول الشاعر :

وما أدرى وسوف اخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء

ولاصلاح عبارتيهم ينبغى أن يستبدل بسوف كلمة (لن) فيقال : لن نكذب فيما نتحدث ولن نقول الا حقا ولك أن تقول : لا أكذب فيما أتحدث ولا أقول الا حقا ، لأن المضارع يتخلص بعد (لا) للاستقبال

عباس ابو السعود

باب الفتوى

تقديم الشيخ محمود محمد رسلان

الاجهاض

السؤال

سيدة تسأل ، هل يجوز لها الاجهاض بعد أن تيقنت من الحمل؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • وبعد :

فان كثيرا من النساء يقعن فى هذا الأمر الخطير ، اما لجهلهن حكم الله فيه ، واما تهاونا فى دينهن الذى يحرم هذا الأمر ، ولقد تناول هذا الموضوع كثير من الفقهاء ، واتفقوا على أن اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة ، لا يحل لمسلم أن يفعله لأنه جناية على حى ، متكامل الخلق ، ظاهر الحياة ، قالوا: ولذلك وجبت فى اسقاطه « الدية » ان نزل حيا ، وعقوبة مالية أقل منها ان نزل ميتا •

ولكن الفقهاء قالوا أيضا : اذا ثبت من طريق موثوق به ــ كطبيب مسلم حاذق ــ أن بقاءه بعد تحقق حياته هكذا ، يؤدى لا محالة الى موت الأم ، وكان لا منقذ لها سوى اسقاطه كان اسقاطه فى تلك الحالة متعينا ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذه لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة ، ولها حقوق وعليها حقوق ، وهى بعد هذا وذاك عماد الأسرة ، وليس من المعقول أن نضحى بها فى سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته ولم يحصل على شىء من الحقوق والواجبات •

قبل نفخ الروح :

أما اسقاطه قبل نفخ الروح فيه ــ أى قبل تمام أربعة أشهر كما

يقولون ــ فقد اختلفوا فيه ، فرأى فريق أنه جائز ولا حرمة فيه ، زاعما أنه لا حياة فيه ، فلا جناية ، فلا حرمة ، ورأى آخرون أنه حرام أو مكروه لأن فيه حياة النمو والاعداد .

وقد عرض الامام الغزالى لهذه المسألة ، وفرق بينها وبين مسألة منع الحمل وهذه عبارته .

قال : ــ بعد توجيه ــ رأيه فى منع الحمل : « وليس هذا ــ يريد منع الحمل ــ كالاجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة ، وتستعد لقبول الحياة ، وافساد ذلك جناية ، فان صارت نطفة ، فعلقة كانت الجناية أفحش ، وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا » .

ومن لطائف توجيهه فى هذا المقام أن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة بمثابة « الايجاب والقبول » فى الوجود الحكمى فى العقود ، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لايكون جانيا على العقد ، ومتى اتصل القبول بالايجاب كان الرجوع بعد اتصالهما وتكون العقد بهما رفعا للعقد وفسخا وقطعا فهذا قياس ذاك .

الفقهاء يعترفون بحياة مادة التلقيح :

ومن توجيه الامام الغزالى ومن وافقه فى حرمة اسقاط الجنين بعد اتصال النطفة بالبويضة نرى أن علماء الشريعة يرون كما يرى علماء الطب وان اختلفت كلماتهم فى التعبير أن مادة التلقيح ذات حياة ذاتية ، تخوض بها الميدان ، وتكافح فى سبيل الاتصال بهدفها (البويضة) حتى تعتنقها وتطرد عنها ما سواها ، وقد رتبوا على هذه الحياة أحكاما وآثارا منها الحكم بالضمان على كاسر بيض الصيد غير المذر ، لأنه ــ كما يقولون ــ أصل الصيد ومادته .

أما الحيـاة التى لا تكون الا فى الشهر الرابع فهى الحيـاة الظاهرة التى تحسها الأم بحـركة الجنين ، والتى عبر عنها الحديث بنفخ الروح.

التقـاء النظـرة الشرعية بالنظـرة الطبيـة :

ولعل العلماء الذين نفوا الحيـاة قبل نفخ الروح يريدون هذه الحياة الظـاهرة وهم فى الوقت نفســه لا ينكرون أن المـادة حيـة ، وأن حياتها تمكنها من الاتصال بماء المرأة (البويضة) ومن هنا نسـتطيع أن نقرر أن أختلاف العلمـاء فى جواز الاسقاط فى مبدأ الحمل مبنى على عـدم التنبه لهـذه الدقائق والاحاطة بها أو أن حرمة الاسـقاط فى تلك الحالة ليست كحرمته عند تكامـل الخلق ، والاحساس بالحمل ، واذن تكون المسـألة ذات اتفاق بينهم على حرمة الاسـقاط فى أى من أوقات الحمـل ، وللضرورات تقـديرها وحكمهـا ، كذلك فى أى وقت من أوقاته ، وبذلك يتبين بوضوح التقاء النظرتين الشرعيـة والطبيـة ، ا هـ بتصرف من كتاب الفتاوى ص ٢٦٣ـ ٢٦٥ للمرحـوم الشـيخ محمـود شلتوت .

الحلف بالطلاق

السـؤال

ما حكم الحلف بالطلاق؟ وماحكم من قال : « على الطـــلاق » أو « الطلاق يلزمنى » ان لم أفعل كذا، أو تفعـل كذا ، أو ان كلمت فلانة فعلت كذا أو أنت طالق ؟ ، وهـل من حلف بغير الله يكون كافرا ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فمن الآفات التى تحل بالمسـلمين ضيق الصدر ، وبدلا من أن يبحث المسلم عن مخرج يفرج به عن نفسه اذا به يوقعها فى مشاكل تجـره الى الحلف بالطلاق فيقع فى الاثم .

ولقـد جـاء فى قانون المحـاكم الشرعية الصادر فى ١٩٢٩ م وهو أن

الطلاق المقترن بعدد ، كأن يقول الرجل لامرأته : «أنت طالق بالثلاث» لا يقع به الا طلقة واحدة رجعية ، وأن الحلف بالطلاق كقول الرجل : « على الطلاق » ، أو « يلزمنى الطلاق » لغو من الكلام لا يقع به شيء ، وأن الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه ، والرجل لا يريد الطلاق ولا وطر له فيه ، وانما يريد التهديد والتخويف ـ كذلك لا يقع به شيء .

الحلف بالطلاق حرام وليس كفرا :

والذى نراه من جهة أنه حلف بغير الله ، فيكون الحالف به كافرا تطبيقا لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف بغير الله فقد كفر » هو أن الحديث قصد به المبالغة فى الزجر عن الحلف بغير الله ، وقد كان العهد عهد تعظيم لغير الله من المخلوقات أو المصنوعات ، وعلى هذا لا يكون الحلف بالطلاق كفرا ، اذ ليس فيه معنى التعظيم الذى كان منظورا اليه فى ذلك العهد ، وانما هو عبث بألفاظ اليمين ، وحلف بغير ما شرع الله الحلف به : قال صلى الله عليه وسلم :

« من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» وقال : «ان الله ينهاكم: أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

وأصح الآراء فى الحلف بغير الله ولو نبيا مرسلا ، أو ملكا مقربا أنه حرام وأنه لا ينعقد ، وأن كفارته التوبة والاستغفار .

الخلاصة :

ومجمل القول فى هذه المسألة هو :

أولا : الطلاق بالثلاث لا يقع الا واحدة رجعية ويرد الرجل زوجه اليه بقوله : « أرجعت زوجتى الى عصمتى » أو بالمخالطة والمعاشرة وهى تقوم مقام القول .

ثانيا : الحلف بالطلاق ، كعلى الطلاق لا يقع به طلاق أصلا .

ثالثا : الطلاق على فعل شيء أو تركه ـ منه أو منها أو من أجنبي ـ لا يقع به أيضا شيء ولو فعل المحلوف عليه متى كان القصد التهديد والتخويف • ولم يقصد الطلاق •

رابعا : الحلف بغير الله حرام ولا تنعقد به يمين ، ولا يكفر به المسلم الا اذا كان بمخلوق يعتقد الحالف تعظيمه كتعظيم الله ، أو أن له فعلا كفعل الله وتأثيره ، ويجدر بالمؤمن ألا يقترب من الحرام فضلا عن أن يقع فيه • وهذه الأحكام هي التي صحت عندنا دلائلها ، وهي التي نفتي بها ، وهي التي اختارها مقننو الأحوال الشخصية ، وهي التي يجب أن يعلمها الناس جميعا ، فيريحوا أنفسهم من هذه البلبلة التي يقعون فيها ، بالفتاوى المختلفة ، فليس الاسلام ذا شغب في التفريق بين الرجل وزوجه ولا ذا شغب بتكفير المسلمين ، والحق أحق أن يتبع والله أعلم اهـ بتصرف من المصدر السابق ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩

محمود محمد رسلان

فلا يلومن الا نفسه

عن بديل قال : قال عمر بن الخطاب : من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيرة في يده . ضع امراخيك على احسنه حتى يأتيك منه مايغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من اخيك المسلم شرا وانت تجد لها في الخير محملا ، وما كافات من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وعليك باخوان الصدق فكثر في اكتسابهم فانهم زين في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء .

كتاب الشهر:

الحقيقة في "الأخلاق المتبولية"

بقلم: الدكتور يحيى هاشم
المدرس بكلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله ومن اتبع هداه الى يوم الدين • وبعد :

يتعرض الأزهر اليوم لهجمة حقود، أشبه بالتي كانت بالأمس عند ما اقتحمت خيول نابليون صحن الأزهر ومحاريبه المطهرة ، انتقاما من قيادته لحركة التحرير من الاستعمار الفرنسي • واليوم تأتيه الهجمة فى صورة حرب نفسية انتقاما من قيادته لحركة التطهير الفكرى التى يقوم بها ضد مراكز الغزو المذهبى الالحادى •

ومن المحاريب التى تتعرض لهذه الهجمة الحقود كتاب من أندر الكتب وأعمقها ، وأكثرها أثرا فى اصلاح الحياة الفكرية والاجتماعية للمسلمين ، أشار شيخ الأزهر بتحقيقه ونشره ، فقامت قيامة الغضب المأجور ، لتشوه الكتاب ، وتسىء أبلغ الاساءة الى صاحبه •

والكتاب هو «الأخلاق المتبولية» للامام أبى المواهب عبد الوهاب ابن أحمد الشعرانى ، يقع فى ثلاثة مجلدات ، تبلغ صفحاتها أربعمائة وألفا ، قام بتحقيقه ونشره أخيرا الزميل الفاضل الدكتور منيع عبد الحليم محمود المدرس بكلية أصول الدين •

ولقد اطلعت على الكتاب اثر الهجمة التى تعرض لها ، فلم أزدد الا يقينا بحاجتنا الى وقاية وجودنا العلمى الاسلامى بأسوار الوقار العلمى والتخصص •

وسأحاول فى هذا المقال أن أضع الكتاب فى موضعه الصحيح ، اسهاما منى بجهد متواضع فى معركة الدفاع عن قلعة الاسلام وتراثه وحقائقه •

الأخلاق المتبولية التى صنفها الامام الشعرانى فى هذا الكتاب تلقاها عن نحو سبعين شيخا من أصحاب الشيخ ابراهيم المتبولى ، من كبار الصوفية :

مثل الشيخ على الخواص ، والشيخ عبد القادر الدشطوطى المتوفى فى عام ٩٣٠ هـ تقريبا ، والشيخ محمد المنير

المتوفى فى تاريخ مقارب لما ذكرناه، والشيخ زكريا الانصارى والشيخ برهان الدين القلقشندى ،، وغيرهم ممن يقول عنهم المؤلف (قرأت عليهم كتب الشريعة من فقه وتفسير وحديث وتصوف وغير ذلك ، حتى درجوا كلهم الى رحمة الله ،، وهم عنى راضون ، وذلك من أكبر نعم الله تعالى على • ولما درجوا أظلمت مصر وقراها فان بعضهم كان كالشمس وبعضهم كان كالقمر وبعضهم كان كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات الجهل ليلا ونهارا « ج ١ ص ٨٧ » •

وينظر المؤلف الى كتابه نظرة ينبغى أن توضع كأسوة لكتابنا ومؤلفينا عندما تحدثهم أنفسهم بالرغبة فى التأليف •

يقول الشعرانى (قال العلماء بالله تعالى) :

كل من لم يفتح الله تعالى على قلبه بالعلوم الغريبة الجديدة فليس له أن يؤلف كتابا ، لأن غاية ملاك هذا أنه جمع بين كلام الناس وجعله مؤلفا •

وقد كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول لأصحابه اذا حكوا له كلاما عن أحد من السلف «لاتطعمونا القديد وأطعمونا اللحم الطرى » •• وما درج السلف الصالح الا على تأليف ما لم يسبقهم أحد اليه •

وكانوا يقولون : من أراد جمع كلام الناس فليدل المريدين على الأصول التى أخذ عنها مؤلفه ، ويستريح من التعب فى الكتابة وتضييع الزمان وتسويد الورق •

وعلى هذا الأساس من اعتبار التأليف مهمة جليلة يجب أن تقوم على احترام الآخرين ، وتقديم الجديد النافع لهم ، أقدم الامام الشعرانى على تأليف كتابه •

والشعرانى اذ يشعرك بطرافة الكتاب وجدته يقول :

« ••• ولا يضرك غرابتها — أى الأخلاق المتبولية — من حيث غرابة طريقها ، فانها أخلاق محررة على الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح ، كتحرير الذهب والجوهر •• لا يقدح فى معانيها الا جاهل أو معاند أو مائل عن طريق الحق لأجل غرضه الفاسد ، وان كان كلام البشر من الأمة لا يخلو عادة عن

خطأ وسهو ، ولكن الحكم للأغلب فافهم » جـ ١ ص ٨١

وفى اعتقادى أن الكتاب لايتصف بالجدة والطرافة فحسب ، ولكنه من شأنه أن يحدث ــ بعد هذا النشر ــ آثارا عميقة ويحتل مكانا بارزا فى علمى الأخلاق والتصوف فى الاسلام

وسأحاول هنا أن أتناول الكتاب من خلال ما يقدمه فى مجال هذين العلمين ..

النظرة الواقعية فى الأخلاق :

أما فى علم الأخلاق فان الكتاب يقدم منهجا فريدا غير معهود فى علم الأخلاق الاسلامى الذى لا يزال يستمد نظرياته من الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات .. مع محاولة التوفيق بينها وبين الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأخلاق . ان الأخلاق المتبولية تقدم منهجا واقعيا عمليا فى علم الأخلاق يتفق مع أحدث المناهج ..

يقول المؤلف عن كتابه :

(انى ألفته بحسب الوقائع والحوادث) جـ ١٠ ص ٩٥

ويقول (.. وكل مؤلف لايذكر فى مؤلفه الا ما يحتاج اليه أهل عصره اذ الاخلاق تحدث فى كل عصر بحسب حدوث الوقائع من أهله .) جـ ١ ص ٩٥ .

ويقول (ان نفع الانسان كله ــ انما يكون من أهل عصره) جـ ٣ ص ٣٠٠ .

ويقول (ومن أخلاقهم : معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه الا من يشاكله) جـ ٣ ص ٧٨ .

والكتاب بهذا المنهج يتفق مع أحدث المناهج العلمية فى دراسة الأخلاق ، وان كان لا يقع فيما تقع فيه من فقدان المصدر الثابت ، والغاية العليا .

فهذه المناهج العلمية المستحدثة كما هو معروف ترفض القيم النهائية ، التى تعتصم بها الأخلاق التقليدية والتى لابد من أن تعتصم بها ، سواء من ناحية المبدأ ، أو من ناحية الغاية ، وهى تنكر من ثم ــ الأخلاق الدينية ، أو الأخلاق

الميتافيزيقية ، الا أن تكون جزءا من الواقع الاجتماعى الذى لا يثبت على حال .

أما الأخلاق المتبولية فهى أخلاق اسلامية مستمدة من الكتاب والسنة، وتستهدف التخلق بأخلاق القرآن.

ومع ذلك فهى مع ارتباطها بالقيم الاسلامية الثابتة الخالدة ،ترتبط من حيث التوجيه والتربية والصياغة بالواقع .

ومن هنا فان المنهج الأخلاقى الشعرانى منهج دينى علمى معا ، أو منهج جامع بين الثبات والتطور، ويجد فيه أصحاب المنهج العلمى الحديث زيادة توفر لهم النظرة العلمية ، وتحميهم من ضلال الالحاد فى الوقت نفسه .

وهذه فضيلة من فضائل الكتاب، ويدله على علم الأخلاق الاسلامية من شأنها أن تسهم فى تطوره الذاتى اسهاما رائعا .

ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الاتجاه ما يسوقه المؤلف من تفصيلات فى قواعد السلوك وآدابه، تدخله فى باب التوجيه العلمى المرتبط بالواقع .

يقول الشيخ الشعرانى :

(ومن أخلاقهم اذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من رءوس العلماء والصوفية كالاجتماع فى وليمة أو انتظار جنازة أن لا يدخل أحدهم ذلك المحفل الا انا علم أن أهل المحفل لا يرفعون رتبته فى التعظيم والاجلال فوق من كان حاضرا هناك من العلماء والصالحين ، فمتى علموا ذلك أو غلب على ظنهم فمن الأدب عدم الدخول لما قد يترتب على ذلك مفسدة أعظم من مفسدة عدم الدخول .

ولا يجوز للممتنع من الدخول بشرطه أن يظن بذلك العالم أنه قد يتأثر من ترجيح غيره عليه ... فان ذلك سوء ظن به ...) جـ ٣ ص٢٧

ويقول : (من أخلاقهم منع عيالهم من حضور الولائم التى يجتمع فيها من لا ينضبط على قواعد الشريعة

من الرجال والنساء .) . جـ ٣ ص ١٢٨ .

ويقول : (ومن أخلاقهم اذا كانوا فى وليمة وفقد أحدهم نعله أن يخرج ساكتا ولا يعلم صاحب الوليمة بذلك .) جـ ٣ ص ٨٢ .

ومن شواهد ذلك أيضا ابرازه لقاعدة التدرج فى التربية الاخلاقية، يقول :

(من أخلاق سيدى ابراهيم المتبولى وأخلاق أصحابه رضى الله عنهم أجمعين :

أن يربوا أصحابهم بالتدرج رحمة بهم ...) . جـ ١ ص ٢٠٦

وهو لا يرسل هذه القاعدة على اجمالها وانما يبين التدرج المطلوب تفصيلا من ص ٢٠٦ الى ص ٢١٩

أما عن ارتباطه بمصدر ثابت وغاية عليا للأخلاق ، فانه يوضح ذلك بقوله :

(اعلم يا أخى أن مرادنا بالأخلاق المحمدية حيث أطلقناها فى هذا الكتاب وغيره ما يعم الصريح والمستنبط من نص أو قياس ...

اعلم أن القوم كلهم قد أجمعوا على أن من خرج عن السنة المحمدية قيد شبر فى ملبسه أو مأكله أومنامه أو قوله أو فعله فليس هو من القوم ولو تزيا بزيهم وهم برءاء منه فى الدنيا والآخرة) جـ ١ ص ١٠٤ .

التخلق باخلاق الله :

ويوضح الامام الشعرانى أن الغاية العليا من الأخلاق تجتمع عند التخلق بأخلاق الله ، موضحا المراد بذلك :

فيقول (فى الحديث : تخلقوا بأخلاق الله أى بتنظيره فى الاسم فقط دون الكنه والحقيقة فان ذلك لا يصح لأحد من الخلق ولو ارتفعت رتبته .) جـ ١ ص ٩١ .

ثم يذكر رأى السهروردى رضى الله عنه فى قول السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (كان خلقه القرآن.) حيث يفسر قولها ذلك على أنها (احتشمت مع الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله عز وجل وعبرت بالمعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال ...) الخ .

كما يذكر قول سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله (.. يتحقق العارف بالتخلق بأخلاق الله).

ويذكر قول الشيخ أبى القاسم الكركانى : (أن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعارف) .

وقول الشيخ الكبير أحمد بن الرفاعى : (اذا بلغ العبد الكمال صار صفة من صفات الحق جل وعلا) .

ثم يعقب على ذلك كله ببيان مراد القوم من التخلق بأخلاق الله أو صفاته وبما يوضح انضواءه تحت مفاهيم الاسلام الحقة اذ يقول : (ان العارف يأخذ من كل اسم الهى وصفا يناسب ضعف بشريته وقصورها ، مثل أن تأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى الرحمة على قدر قصور البشر . وكل اشارات المشايخ فى الأسماء والصفات — التى هى أعز علومهم — على هذا المعنى والتفسير ، وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد ، فتأمل فانه نفيس) .

وهذا من ضمن المواضع التى تجعل الكتاب اسهاما حقيقيا فى بيان التزام الصوفية بالكتاب والسنة ، ورد كل من ينحرف عن ذلك .

وهو بعد أن يوضح الغاية العليا من الأخلاق يقدم النموذج الفعلى الواقعى لها فى أخلاق الرسول ويقدم المؤلف موجزا جميلا دقيقا لأخلاق الرسول فى حوالى عشرين صفحة من أمتع ما يتاح لقارىء الأخلاق الاسلامية .

ثم يقدم المؤلف بعد ذلك الأخلاق المتبولية فى مجموعة ضخمة من من القواعد السلوكية العملية التفصيلية تبلغ ما يقرب من ألف قاعدة ، وهى تحسب فى باب الأخلاق الاسلامية بعامة ، ولا يكاد يقتصر منها على الصوفية الا القليل .

كرامة العمل :

ومن القواعد البارزة فى هذه الأخلاق قاعدة تكريم الصوفية للعمل :

يقول : (ومن أخلاقهم اكرام أهل الحرف النافعة كالقنواتى ،

والفران ، والمداوى ، والجزار والطباخ ، ونحوهم ، فانهم من أهل الفضل علينا ... وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى : يقوم للقنوانى ، والزبال ، ويقول : ان هؤلاء لهم الفضل علينا ... والقيام لأهل الفضل محمود) . جـ ٢ ص ٣١٤ .

يقول : (ومن أخلاقهم عدم الأكل من طعام من يأكل بدينه ، من الفقراء الذين لا كسب لهم وانما يكرمهم الناس لأجل صلاحهم ودينهم ، فان ذلك الطعام لا يخلو من الشبهات قطعا ...) جـ ١ ص ٤٨٠

(ومن أخلاقهم عدم أكلهم من طعام النذور أو الاعراس الواسعة ، أو طعام العزاء ... ونحو ذلك ...) جـ ١ ص ٤٨١

ويقول : (ومن أخلاقهم شهودهم أن القائمين فى الكسب بالبيع والشراء ، وعمل الحرفة أفضل ممن لا حرفة له منهم ، ولو كانت أعمالهم كالجبال لأن من لا حرفة له من الفقراء ربما أكل بدينه ، ويرجع ثواب تلك الأعمال التى تقوى عليها بطعامهم فى صحايفهم ، فيخرج من الدنيا صفر اليدين من الأعمال الصالحة . وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله يقول : قد أكرم الله المحترفة بأمور فضلوا بها على المتعبدين من غير حرفة) . جـ ١ ص ٣٨١ . وانظر ما يقرره الامام الشعرانى عن شيخه يقول : (وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين خارج الحسينية ويأكل من كسبه ولا يقبل من أحد شيئا ولو كان أعز أصحابه) جـ ١ ص ١١١ .

الاقبال على الحياة مع الزهد فيها :

ومن القواعد السلوكية الأخلاقية التى يقررها المؤلف فى أخلاق الصوفية قاعدة الاقبال على الحياة مع الزهد فيها .

ان المؤلف يتحدث عن منهج الصوفية فى ترك بعض المباحات من أجل الترقى فى المقامات ... ولكنه فى نفس الوقت يشير على المريد بأن يتناول (... بعض الشهوات

أى المباحة ـ للمداواة لنفسه اذا نفرت من العبادات بالكلية ، فان لسان حال النفس يقول لصاحبها : كن معى فى بعض أغراضى والا صرعتك) وفى الحديث مرفوعا :

« ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » جـ ١ ص ١٧٠ . ولكن عليه أن يحول هذه المباحات التى يتناولها الى طاعات بأن (ينوى بجميع المباحات خيرا ليثاب على ذلك) ص ١٧٠

ويضرب الأمثلة لذلك : فينوى بالنوم فى القيلولة التقوى على قيام الليل . وينوى بلباس الثياب الفاخرة اظهار نعمة الله عليه ... وكذلك يأكل اللذيذ من الطعام والباردالحلو من الشراب لأجل استجابة أعضائه لشكر الله تعالى بعزم ١ هـ . ص ١٧٠

ويحكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى قوله لأصحابه : (كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، وألبسوا ألين الثياب ، فان أحدكم اذا فعل ذلك وقال : « الحمد لله » يستجيب كل عضو فيه للشكر ، بخلاف ما اذا أكل خبز الشعير بالملح ، ولبس العباءة ونام على الأرض وشرب المالح الساخن وقال: الحمد لله فانه يقول ذلك ، وعنده اشمئزاز وبعض السخط على مقدور الله عز وجل .

ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز والسخط الذى عنده يرجح فى الاثم على من تمتع بالدنيا بيقين ، فان المستمتع بالدنيا فعل ما أباحه الله ، ومن كان عنده اشمئزاز وسخط فقد فعل ما حرم الله .) (جـ ١ ص ١٧١) .

وهم يدعون مع ذلك الى الزهد، لكنهم ينظرون اليه نظرة اسلامية أصيلة ، يقول الشيخ الشعرانى : (ومن أخلاقهم كثرة زهدهم فى المطاعم والملابس والمناكح والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع ملابستهم لها ، فيأكلون ويلبسون وينكحون، ويركبون الخيل المسومة ويسكنون القاعات المرخمة وهم مع ذلك

زاهدون فيما خولهم الله فيه من النعم ، فليس الزهد بخلو اليد كما يفهمه بعضهم • وانما الزهد بالقلب فافهم •

اذ لو كان المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا لنهى الشارع عن التجارة وعن عمل الحرف ، ولم يكن يأمر أحدا بها ، ولا قائل بذلك) (ج ١ ص ٣٥٧) •

فهذه النظرة المتوازنة بين « الحضور » فى هذه الحياة الدنيا ، وبين « الزهد فيها » هو الذى يحقق نظرة الاسلام الى التعامل مع أمور الدنيا ، بحيث تكون ملكا للمسلم قادرا عليها ولا يكون هو ملكا لها واقعا فى حبائلها •

فأين ذلك مما يراد للصوفية من اتهام بأنها تعمل على الكسل والخضوع للظلم الاجتماعى؟ لعمرى تلك شنشنة يبرأ منها الاسلام وتبرأ منها الصوفية على حد سواء ، وهى تأتى ممن يعملون على ازاحة القيم الدينية الصحيحة من التأثير فى حياتنا الاجتماعية •

حسن الظن :

ومن أبرز القواعد الاخلاقية فى الكتاب دعوة المؤلف الى حسن الظن بالناس بعامة والدفاع عن الأنبياء والأولياء والعلماء بخاصة •

وان ما كتبه الامام الشعرانى فى تقرير عصمة الأنبياء ودحض مانسب الى بعضهم زورا ••• والدفاع عن الأولياء والاعتذار عن العلماء المعروفين بالتقوى والصلاح لهو من أجمل ما كتب فى هذا المقام • أنظر فى هذا الكتاب الجزء الأول من ص ٢٧٧ الى ٣٣٧

وهو يقول (وذكر الامام النووى فى مقدمات شرح التهذيب : أنه ينبغى للانسان أن يحمل أفعال شيخه التى ظاهرها الفساد على نحو من سبعين محملا حسنا ••• ولا يعجز عن هذه الأجوبة الا قليل التوفيق) (ج ١ ص ٣٣٠) •

ثم يقول عن احسان الظن بالناس بعامة :

(من ثمرة تطهير العبد من المعاصى الباطنة عدم وقوعه بعد ذلك فى سوء الظن بأحد من المسلمين قياسا على نفسه هو ...) (جـ ١ ص ١٨١) .

ومحل حسن الظن بالناس انما هو فى الأعمال التى يحتمل فيها الخير والشر ، من الأعمال القلبية المتعلقة بالنيات ،) أما الأقوال التى صرح الشارع بتحريمها فلا يجوز لمؤمن أن يحمل صاحبها على محمل حسن ، كشرب الخمر ، والأكل من الحرام) جـ ١ ص ١٨٢

ويقول كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : (عليك يا أخى بحسن الظن بالمسلمين ما استطعت فان الله تعالى لا يسألك فى الآخرة : لم حسنت ظنك بعبادى وانما يسألك عن سوء ظنك بهم) جـ ١ ص ٢٣٤

النظرة الصوفية الى العصاة :

ومن القواعد الأخلاقية البارزة فى الأخلاق المتبولية قاعدة الرحمة بالعصاة ...

يقول :

(ومن أخلاقهم أن لايشتغلوا بسب من وقع فى شىء مما أخبر به الشارع — صلى الله عليه وسلم — أنه يكون بين يدى الساعة .

بل يدعـون لمن وقعت على يديه ويستغفرون له ...) جـ ٣ ص ٣٨

وأنه ليسـبق عصرنا فى اقـرار النظرة العلاجية للمخطئين اذ يقول :

كان سيدى على الخواص رحمه الله يقـول : البلاء فى الدين أشـد من البلاء فى الجسـد فارحموا العصاة وادعوا لهم ، فان غالب الناس لايكاد يرحم أحدا منهم كما يرحم من ابتلى ببلاء فى جسـده أو تحـولت عنه نعمة ...) جـ ١ ص ٢٣٣

ثم يوازن الشعرانى بـين هـذه الرحمـة وبين ضرورة العقوبة حيث يقول : (وعاملهم — أى العصاة — ظاهرا معـاملة القـاسى زجرا لهم ، وأنت راحم لهم فى الباطن ، عمـلا بالشريعة والحقيقة) جـ ١ ص ٢٣٤

قواعد للسلوك الاجتماعى :

وتأتى فى الأخلاق المتبولية قواعد سلوكية من أجمل القواعد التى نحتاج اليها فى توجيه حياتنا الاجتماعية العملية .

ومن ذلك قاعدة المؤاخذة على النسيان الذى يمكن تجنبه ، لصدوره عن حالة نفسية تستحق المؤاخذة .

يقول (ومما استندوا اليه فى مؤاخذة المريد بالنسيان كون المريد لا يقع فى النسيان .. الا لتساهله فى المقدمات ، بدليل أن الانسان لما تتوجه همته الى تحصيل أمر يصير لا يكاد يأخذه نوم ، بل ينام يحلم بذلك طول ليلته) جـ ١ ص ١٧٥

ومن هذه القواعد ذات الصلة الوثيقة بالحياة الاجتماعية :

(عدم مساعدة أحد من اخوانهم على تولية شىء من الوظائف التى لا خلاص لهم فيها بميزان الشرع الشريف الآن ، ... فينبغى لمن يريد مساعدة أحد فى توليته المناصب التى لا خلاص فيها أن لا يبادر الى مساعدته اذا سأله فى ذلك بل يتربص ويتروى ويشاور الاخوان فى ذلك ، ثم ان وثقوا كلهم بدينه وخيره وعدم أخذه الرشا ، ولم يروا فى البلد من هو أصلح لذلك فهناك يساعدونه على التولية ...) جـ ١ ص ٢٣٦

ومن أخلاقهم الاجتماعية :

(اذا سافروا الى بلاد الريف وخافوا أن يتعبوا الناس أن يسافروا ليلا تخفيفا على أهل البلاد) ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فيقول : (وقد تساهل بعض اخواننا فى ذلك ، فما وصل بلاد الغريب حتى صار معه نحو خمسمائة نفس ...) جـ ١ ص ٢٤٨

ومن هذه القواعد اللازمة للسلام الاجتماعى :

(عدم كثرة امتحانهم لأصحابهم .. وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : اياكم وكثرة الامتحان لأصحابكم ، فان الله تعالى لم يمتحن من عباده الا النادر خوفا أن يفضحهم بين يديه) جـ ١ ص ٣٧٤

ومن القواعد البناءة فى مجال الأسرة ما يقوله :

(ومن أخلاقهم خدمة زوجتهم وأمتهم اذا مرضت ..

فعلم أن من لم يخدم زوجته أو جاريته أو غلامه اذا مرض ، فهو لم يشم من أخلاق الصالحين رائحة ... ولا يرون بعد ذلك لهم عليه فضلا ...) جـ ١ ص ٤٣٢

اخلاق اسلامية عامة :

وبالجملة فانه يقدم لنا لائحة مفصلة بالأخلاق الاسلامية بصفة عامة ، نوجز بعضها فى ما يقوله من أخلاقهم :

- قيامهم بواجب حق والديهم جـ ١ ص ٥٧٠
- عدم وقوعهم فى خديعة أو غدر جـ ١ ص ٥٨٤
- كثرة تواضعهم ... جـ ١ ص ٦٢٠
- أن يحفظوا حرمة اخوانهم فى غيبتهم جـ ١ ص ٦٢٣
- اهتمامهم باكرام الضيف جـ ٢ ص ٦٢٨
- كثرة الشفقة على خلق الله .. جـ ٢ ص ٤٨
- مراعاتهم الاحسان الى اليتيم جـ ٢ ص ٥٨
- عدم اغترار أحدهم بكثرة أتباعه جـ ٢ ص ٨٠
- حسن سياستهم لزوجاتهم وعدم الغفلة عن تعليمهن أحكام دينهن جـ ٢ ص ٨٨
- حسن سياستهم لمن شرد عنهم من أصحابهم جـ ٢ ص ٨٥
- شدة عطفهم على الحيوان جـ ٢ ص ١٣٥
- حماية أصحابهم ممن يظلمهم جـ ٢ ص ١٠٥
- كثرة خوفهم من أكل الحرام والشبهات جـ ٢ ص ١٤٥
- عدم المجادلة جـ ٢ ص ١٨٨
- كثرة المشاورة جـ ٢ ص ١٩٠
- عدم هجرة أحد من المسلمين فوق ثلاث جـ ٢ ص ٢٠٣
- سترهم لعورات المسلمين جـ ٢ ص ٢٢٤

• كثرة تفتيشهم عن عيوبهم الكامنة جـ ٢ ص ٤٦٢

• صبرهم على تحمل الأذى جـ ٢ ص ٢٨٨

• عدم قبول هدية من لا يتورع فى مكسبه جـ ٢ ص ٣١٦

• الاكثار من الأعمال الصالحة جـ ٢ ص ٣١٩

• مراعاة حق الجار جـ ٢ ص٣١٨

• عدم الاستماع للوشاة جـ ٢ ص ٣٤١

• تأليفهم بين المتشاجرين جـ ٢ ص ٢٤٧

• اخلاصهم العمل لله عز وجل جـ ٢ ص ٤٢٦

• شدة التباعد عن الظلم جـ ٢ ص ٤٥٥

• صدق التوبة جـ ٣ ص ٣٨

• محبة القرب من العلماء العاملين جـ ٣ ص ٥٣

• البعد عما يستقبح عرفا جـ ٣ ص ٥٦

• اخلافهم الوعيد لا الوعد جـ ٣ ص ١١٤ •

• ملازمة المراقبة لله جـ ٣ ص١٢٠

• مشاركة المسلمين فى البلاء النازل عليهم فى سائر أقطار الأرض اذا بلغهم ذلك جـ ٣ ص ١٤٣

• غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه جـ ٣ ص ١٦٢

• عدم مبادرتهم الى سوء الظن بأحد المسلمين جـ ٣ ص ١٦٩

• اطعام الطعام وافشاء السلام وسقى الماء واغاثة الملهوف جـ٣ ص ١٨١

• عدم اصغاء أحدهم الى قول عدو أو حاسد فى عرض خصمهم جـ ٣ ص ٢٦٨

• عدم تجسسهم على عيوب اخوانهم جـ ٣ ص ٢٧٣ أهـ •

هذا عن الرؤية الأخلاقية للكتاب• لكن الكتاب له رؤية صوفية يعتبر من خلالها عطاء كريما غنيا للحركة الاصلاحية الصوفية حيث يقدم مجموعة من الآراء والمفاهيم الصوفية فى صورة متوازنة دقيقة تلتقى فيها الحقيقة بالشريعة فى أدق صورة من صور اللقاء •

انه يقدم مجموعة من النظرات التصحيحية النقدية تبرز ضرورة ارتباط التصوف بقواعد الكتاب والسنة ، كما تصلح منارا للتفتيش فى أحوال صوفية عصرنا ، وفى توجيههم الى التصوف الاسلامى الصادق .

كما يقدم مجموعة من المفاهيم الصوفية من أبرزها مفهوم الكرامة، والحضرة الالهية ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ، وضرورة الشيخ للمريد ...

فى التقيد بالكتاب والسنة :

يحكى المؤلف عن شيخه زكريا الانصارى قوله : (لا يخلو كلام القوم من ثلاثة أحوال : اما أن يوافق صريح السنة فهذا لا كلام لأحد فيه واما أن يخالف صريح السنة فهذا لا يجوز لأحد العمل به . واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف) جـ ١ ص ١٥٥

ويقول (سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ما ثم عند المحققين حقيقة تخالف شريعة أبدا ، انما كل واحدة تأتى مؤيدة للأخرى فى نفس الأمر حتى أنهم أجمعوا على قولهم : حقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة) جـ ١ ص ١٦٦

ويقول المؤلف عن أخلاق الصوفية :

(ومن أخلاقهم التى أجمعوا عليها ونفذت بها وصاياهم الى سائر أقطار الأرض أنه لا يجوز لأحد التصدر فى طريق القوم لارشاد المريد الا بعد تبحره في علوم الشريعة المطهرة والحقيقة ، من تفسير وحديث وفقه وأصول ، ... بحيث يعد لمناظرة العلماء ، ورد المبتدعة ..) جـ ١ ص ٢٥٥

ويقول (ان التبحر فى الشريعة : هو أساس طريق الحقيقة ، وانهما متلازمان ملازمة الظل للشخص .) جـ ١ ص ٢٥٨

نظرة المؤلف النقدية للصوفية :

فى تقديرى أن الكتاب يعبر عن نظرة المؤلف النقدية للصوفية فى عصره ، أو لمن يأتى منهم بعد عصره ، انه بعد أن يتحسر على وفاة مشايخه الذين اعتبرهم كالشموس والأقمار والنجوم ، فيهتدى بهم فى

(ظلمات الجهل ليلا ونهارا) يحذر المريدين والأشياخ فى عصره .

فيقول : (اياك يا أخى اذا عملت شيخا فى هذا الزمان أن تظن بنفسك أنك على قدم واحد مع هؤلاء الأشياخ الذين أدركناهم فى النصف الأول من القرن العاشر أو يخطر ذلك ببالك) جـ ١ ص ٨٩

ثم يقول وهو يقدم كتابه (ان هذه الأوراق التى رقمناها فى هذا الكتاب كالسيف القاطع لعنق كل مدع الطريق فى هذا الزمان لما فيها من الموازين والمحكمات التى تفلس المدعين للطريق) .

ومن أغراضه فى تأليف كتابه انه يجعله مقياسا للصوفى الحقيقى ، يقول (... فلا تظن بنفسك ذلك الا بعد مرورك على أخلاقهم التى ذكرناها عنهم فى هذا الكتاب ورؤيتك نفسك متخلقا بها .)

ثم يقول (واعلم يا أخى أن كل من تخلق بأخلاق هذا الكتاب كان معدودا من متصوفة القوم وكأنه صحب جميع الأشياخ الذين أخذوها عن سيدى ابراهيم) .

ومما يدل على أن الشيخ الشعرانى انما ألف كتابه فى اطار نظرة نقدية تستهدف اصلاح حال الصوفية فى زمانه ، وفيما يأتى بعد زمانه ، قوله عن كتابه :

(أعرض يا أخى ما ذكرناه لك فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم وحالك ، وذلك لأن الصادقين اختفوا من شدة فساد الزمان وما ظهر الا بعض المدعين .) جـ ١ ص ٩٧

ويروى عن الشيخ المتبولى نقده لبعض الصوفية اذ يقول :

(كان رضى الله عنه يعيب على من يشتغل بالأسماء الالهية لعلة دنيوية ويقول : من فعل ذلك فهو كعبدة الأصنام) جـ ١ ص ١١٨

واذ يطوف الشيخ الشعرانى بكبار الصوفية ممن سبقوا مقتطفا من أزهار ورعهم وعبادتهم ، يذهب الى مدعى التصوف فى عصره ليقول عنهم (وما بسطت لك يا أخى هذا المحل الا مبالغة فى زجر هؤلاء المدعين عن الدعوى لارادة الطريق ، فضلا عن كونهم من المشايخ ، فضلا

عن كون أحدهم قطبا ، وقد أفتى بعض المتأخرين بأنه لا يجوز لنا الاقتداء بغالب هؤلاء المشايخ الذين ظهروا فى النصف الثانى من القرن العاشر ، ولا الوقوف عند أقوالهم لجهلهم بقواعد طريق القوم فان من قواعدها التضلع من الكتاب والسنة حتى يصير يقطع مشايخ الاسلام بالحجج فى مجلس المناظرة) جـ ١ ص ١٥٣

ويواصل المؤلف مهمته النقدية فيقول (وقد دخل على شخص وأنا أكتب فصار يتكلم فى الفناء والبقاء والهجر فقلت له : يا أخى هذا الذى تقوله انما يكون معرفته للانسان بعد السلوك على وفق الشريعة المطهرة بالأعمال الزكية والأخلاق المرضية اللائقة بالسالك ، فقل لى : ما شروط الوضوء ؟ وما شروط الصلاة ؟ وما شروط الصوم ؟ وما واجبات الحج ؟ فتلجلج وما درى ما يقول ، فقلت له : لم لا تجبنى عما سألتك ؟ فقال : لم أقرأ شيئا فى علم الفقه ، فقلت له : فاذن أنت من اخوان الشياطين ، ثم انقطع عنى من ذلك اليوم) ثم يقول : (... وقد كثر هذا الحال فى المنتسبين الى الفقر فى هذا الزمان ، وربما يقول أحدهم : الفقهاء محجوبون عن الله بعلمهم ، وذلك كفر فانه جعل الهدى يحجب عن الله ، والضلال يوصل الى حضرة الله ، نسأل الله العافية ...) جـ ١ ص ٢٦٠

وهو يقول : (ان العلوم الكشفية : لا تأتى قط الا موافقة للشريعة لأنها اخبار بالأمور على ما هى عليه فى نفسها ...) جـ ١ ص ١٠٥

ويقول (سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كيف ينسب القوم الى مخالفة السنة وهم مجمعون على أنه لا يجوز لأحد منهم الاقدام على فعل أو قول حتى يعلم مستنده من الكتاب والسنة) جـ ١ ص ١٠٨

ثم يقول :(وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

(الزموا طريق السلف الصالحين ، واحذروا من طريق المتأخرين ... تركوا المجاهدات لنفوسهم وصارت لهم مسالك ... كثيرة التعب قليلة

المنفعة جعلوها بجهلهم نهاية التحقق، وغاية التـدقيق فهى فى نفس الأمر سراب بقيعة ، يحسبه الظمـآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ...) جـ ٢ ص ١٢

وهكذا تتناثر هـذه النظـرات النقدية فى ثنايا الكتاب ، وأنت خبير بأنها تتنـاول جوانب مختلفة للنقد ، منها ما يتعلق بالخلق ، ومنها مايتعلق بالتكسب ، ومنها ما يتعلق بالتقيد بالشريعة ومنها ما يتعلق بالتعلم ...

وهكذا يترجح لدينـا أن المؤلف انما أراد من كتابه أن يكون ثورة اصلاحية بين صفوف الصـوفية فى عصره تقـوم على مبادىء الارتباط الوثيـق بالشريعـة ، والأخـلاق المستنبطة منها .

مسالة الكرامات :

يأتى ذكر الكرامات فى الكتـاب عرضا وتكاد تكون محصـورة فى مقدمته ، وذلك فى مقـام التعريف بالمشايخ الذين يأخـذ المؤلف عنهم كتابه ...

والمؤلف اذ يروى حـديث بعض مشـايخه عمـا أفاض الله عليهم من العلوم بطريق خارق للعادة يذكر فى الوقت نفسه ما يقيدون به ذلك كله من قيـود اسـلامية فيروى ما قاله الشيخ ابراهيم المتبولى :

(.. وعزة ربى قـد أعطانى الله ذلك وأنا ابن أربع سنين ، فلم ألتفت الى ذلك لأننا لم نخلق لذلك ، وانما خلقنا للعمل بالكتاب والسنة واقتفاء أثر الأئمة) جـ ١ ص ٩٩

ويروى أيضا عنه قوله ــ بعـد أن يذكر طرفا من خوارق العادات التى أنعم الله بها على كبار الصوفية :

(.. وعزة ربى هذا أمر قد أعطانيه الله عز وجـل وأنا دون البلوغ فلم أقف معه ، وانما الشـأن يا ولدى فى الاقبال على ربك بحيث لا يكون لك عنه اعراض فى ساعة من ليـل أو نهـار ، ووالله ان قـول العبـد : سـبحان الله مرة واحدة أفضـل من اطلاعه على ملكوت الدنيا والآخرة على التفصيل) جـ ١ ص ١١٥

ويقول :

(ومن أخلاقهم كراهتهم وقـوع الخوارق على يديهم فى هذه الدار .

لأن محل ذلك انما هو الدار الآخرة حين يعطى أهل الجنة أن أحدهم يقول للشيء كن فيكون • فمن اختار وقوع الخوارق على يديه فقد اختار العرض الفانى على الجوهر الباقى) جـ ١ ص ٤٢٧

ويقول أيضا :

(ومن أخلاقهم عدم اظهار الكرامات الا لغرض شرعى ••) جـ ٢ ص ٣٩٩

ويقول :

(وربما ظن بعض الناس أن صاحب الكشف من أرباب الأحوال أعلى مقاما من ذلك العارف الذى لا كشف له ، وليس كذلك ، لأن علو المقام انما هو بحفظ الأنفاس مع الله تعالى ، والاستقامة على الشريعة المطهرة وأما الكشف والطيران فى الهواء والمشى على الماء فليس فى ذلك أجر فانه لم يرد قط حديث « أن من كشف له عن كذا كتب له حسنة ••) جـ ١ ص ٤٤٦

ويقول :

(اذ الكاملون لا كشف لهم ، رحمة من الله بهم لاسيما اطلاعهم على زلات الناس •) جـ ١ ص ٤٤٦

ويقول :

(ومن أخلاقهم عدم التعشق الى معرفة الأمور المستقبلة ، فلا يطلبون شيئا من ذلك بخلاف أرباب الأحوال •) جـ ١ ص ٤٤٦

وأرباب الأحوال هؤلاء هم الذين يقول عنهم (انهم من أقسام المجاذيب فى عدم التكليف •) ويقول فى شأنهم : (والمتشرع لا يتبع هؤلاء فى مثل ذلك أبدا •) جـ ١ ص ٤٥٢

والمؤلف يوضح نظرة الصوفية الى حقيقة الفعل فى الكرامة ، اذ يبين أنهم يعلمون بحق ــ أن خوارق العادات لا تختلف عن غيرها من أفعال الله تعالى التى تجرى على سنن الله ، أو ما يسمى اليوم قوانين الكون والطبيعة (فلا فرق عندهم بين الكرامة وبين سائر الأفعال الواقعة فى الوجود •) جـ ١ ص ٤٢٧ وهم يقررون أنهم لا فعل لهم فى خرق العادة (وغاية أمرهم أنهم محل

لبروزها فقط ، والفعل فيها لله تعالى وحده •)

ويقول : (ان العلوم الكشفيــة لا تأتى قط الا موافقة للشريعة لأنها اخبــار بالأمور على ما هى عليــه فى نفســها كما هــو الأمر فى الشريعة المطهرة •) ج ١ ص ١٠٥

وفى هــذه القيــود الكفــاية كل الكفاية لكل من يتخوف من الاشتغال بأخبار الكرامات •

ان الامام الشــعرانى فى هـــذه النصوص التى يرويها عن شيخه يضع المقــاييس لصــحة الأخذ بمــا يروى عن الكرامات •

الأول : أن لايكون الالتفات اليها ، وانما الى العمل •••

الثانى : أن يكون العمل أساسا بما جاء فى الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح من الأئمة •

الثــالث : عرض الأمر كلــه على الكتــاب والســنة ليؤخذ منه ما يتفق بهما ، ويرفض ما يختلف •

واذا تم الأخذ بهذه المقاييس فأى محظور يقوم على الكرامات فى اطار الجو الاسلامى ؟

يقــول امــام الحرمين أبو المعــالى عبد الملك الجوينى رضى الله عنه عن الكرامات فى العقيدة النظامية :

(قد كثر خبط النــاس فى اثباتها ونفيهــا ، وقد ألفت فى اثباتها والرد على منكريها كتابا •

وأنا الآن أذكر لبــابه فى أسطر ان شاء الله تعالى فأقول :

خوارق العــادات ليســت من فعل العباد، وانما هى من فعل الرب تعالى وتقــدس • فمــن فطر الســـموات والأرض وســيطوى السمــاء ويبدل الأرض غير الأرض ويســير الجبــال ويفجر البحــار ، وينشر الموتى قادر على أن يأتى ببديعة :

وليس فى فرض الاتيان بها قدح فى النبوات ، فانا ذكــرنا أن المعجزة لاتدل بعينها ، وانما من حيث تقع على وفق الدعوى فى النبوة ، فاذا لم تقع دعوى النبوة أوقع الله تعالى مايشاء ، مايعتاد ومالا يعتاد ، فليس فى تجويز

الكرامات قدح فى النبوات اذا وقعت الاحاطة بوجه دلالة المعجزة •

وماجاز فى قدرة الله ولم ينخرم به الاعجاز وقد نطق به القرآن وتواترت به الأخبار فلا يجحده الامرتاب •) اهـ من العقيدة النظامية ص ٥٢

ان أى حظر يقوم بعد ذلك على الكرامات بدعوى أنها من باب الخرافات والأساطير انما يكون مرجعه الى قيم غير اسلامية ، يعتنقها المنكرون عن وعى بمصدرها ومدلولها ، أو ينساقون اليها — عن غير وعى — متأثرين بالسموم الالحادية التى تسربت الى بعض الأوساط من المثقفين وأشباههم •

ان هؤلاء ينكرون الكرامات لمجرد انها تقوم على « خرق العادة » « أو » خرق قوانين الطبيعة ان هؤلاء — اذا لم يتناقضوا مع أنفسهم — لابد انهم ينكرون «الوحى» لأنه «خرق للعادة» ولقوانين الطبيعة ، ولابد انهم ينكرون « القرآن » باعتباره كلاما لله سبحانه وتعالى فهو « خرق للعادة ولقوانين الطبيعة » ولابد انهم ينكرون ، ماجاء عن خلق آدم ، وعن خلق عيسى ، وينكرون البعث والجنة والنار ، والسمعيات المشابهة ، لأن فى ذلك كله تجاوزا للعادة ولقوانين الطبيعة •

ان النقاش مع هؤلاء يجب ان ينتقل من الجو الاسلامى الى جو الالحاد بصفة عامة •

ومثل هؤلاء كثر لغطهم منذ قام الاعداد لحرب أكتوبر على ادخال عنصر الايمان فى نفوس القادة ، والجنود ، ومنذ أعطى التفسير للنصر فى هذه الحرب على انه يرجع الى القوة الروحية الكامنة فى الايمان بالله وفى نداء الله « الله أكبر » •

ومنذ ذلك الوقت هاج المنكرون واستنفروا معهم السذج لكى يفرضوا تفسيرهم الالحادى على ساحة النصر، ثم ليفرضوا قيمهم على أفق المستقبل•

وهؤلاء يدعون العلم ويريدون أن يذيعوا بين الناس — زورا وبهتانا — ان الايمان بالله ، ورسله وكتبه واليوم الآخر ، والغيبات بصفة عامة يتعارض مع العلم •

وهم فى هذا يجهلون الدين والعلم معا ••

أما انهم يجهلون الدين ، فلان الدين — وأعنى الدين الاسلامى —

يقر القوانين الطبيعية على أنها من سنة الله سبحانه وتعالى ، ومن وضعه جل علاه ، وانه انما وضعها لمصلحة البشر ولكى تستقيم حياتهم على نسق ثابت معلوم ينأى بهم عن الاضطراب والقلق والتمزق .

واذا كانت قوانين الطبيعة موضوعة بارادة من الله فثباتها يرجع اليه سبحانه ، وهو الضامن الوحيد لها وهو الذى يخرقها ان أراد تذكيرا لعباده وردا لهم الى مصدر الأشياء فى الكون .

ومن ثم فانه سبحانه وتعالى وضعهم أمام أمثلة لخرق العادة لاتنكر ، من خلق آدم أولا ، وخلق عيسى ثانيا ومن الوحى القائم بين أظهرهم دائما « القرآن » وهو يضعهم أيضا أمام أمثلة تتجدد لهذا الخرق . لا ينكرها الا معاند متعصب .

وهذا الخرق لا يعنى غير هذا التذكير الذى أشرنا اليه ، وهو لا يعنى البتة أن يتخذ نسقا أو نمطا للحياة الدنيا ، ولقد رأينا كيف أن الصوفية يدركون ذلك، وكيف عبر عنهم الامام الشعرانى فيما رواه عن شيخه فى قوله : « فلم ألتفت الى ذلك لأننا لم نخلق لذلك » .

فكتاب الأخلاق المتبولية فى هذا الصدد يعتبر اسهاما اسلاميا أصيلا فى وضع مسألة الكرامات فى وضعها الاسلامى الصحيح ، يتجنب الانكار والتزيد فى وقت واحد ، وأن محقق الكتاب لبين موقفه من هذه المسألة بما يتفق مع الرؤية الاسلامية الصوفية الصحيحة اذ يقول : (يعتبر المتصوفة أن ظهور الكرامات وخوارق العادات على يد أى منهم دلالة على انه لازال فى مبدأ أمره ، بل ان كثيرا من المتصوفة الذين قطعوا فى الولاية مراحل كبيرة قد لا تجرى هذه الخوارق على أيديهم ولا يلقون اليها بالا ...) .

أما أن منكرى الكرامات على النحو الذى ذكرناه ينكرون العلم فى الوقت نفسه ، فلأنهم مازالوا مع « رجعيات » العلم فى القرن السابع عشر، والثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر ..

أما العلم « الحديث » فله موقف آخر :

لقد قال نيوتن عن القوانين الكونية (هذا هو أسلوب الله فى العمل ، فالله يجرى مشيئته فى الكون بواسطة أسباب وعلل ..) .

ونحن جميعا نشاهد المغناطيس وهو يشد نحوه الحديد . وقد أقام العلماء نظريات كثيرة لشرح هذه الظاهرة . ولكن أحدهم كتب يعلق على هذه النظريات قائلا : (اننا لا نعرف لماذا يشد المغناطيس الحديد نحوه) ربما لأن الله أصدر الى المغناطيس أمرا بذلك .

وان العلم الحديث أصبح يسلم اليوم بحقائق ما كانت تخطر على البال من قبل الا من باب الخرافة أو المستحيل .

لقد أثبتت النظرية النسبية أن الأطوال تنكمش،وان الجسم يختفى، وان كتلة الجسم تزداد الى ما لا نهاية وأن الحادثة الواحدة تحدث فى أوقات مختلفة بالنسبة لاختلاف المكان وان الزمن يختلف بطئا وسرعة بالنسبة .. لاختلاف الكتلة فى الكبر والصغر .

كذلك أثبت البحث العلمى الحديث (أن الذرة حرة فى أن تعمل هذا أو ذاك فى اطار علاقة هيزنبرج لعدم التحدد . وكل أحكامنا عنها تشير الى احتمالات لا الى يقينات) .

ولقد دخل أخيرا فى مجال البحث العلمى ما يسمى «السيكوترونات» أو تفاعل الطاقات النفسية عن بعد، وهى كما يقول الدكتور رجداك (يمكن أن تقودنا الى حافة ثورة جديدة فى العلم) . والظواهر التى يدرسها هذا العلم وهى التخاطر والمعرفة عن طريق الاتصال الروحى والتحريك عن بعد أصبحت من الظواهر التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى عن طريق اعادتها وتكرارها فى أى وقت ، لدى أشخاص وهبوا قابلية ممتازة للمشاركة المباشرة فى الأحداث « السيكوترونية » .

ولقد كان العالم النفسانى يونج هو الذى اقتنع بأن الانسان فى مجموعه لا يمكن أن يفهم فهما كاملا اذا أهملنا دراسة قدراته فى التخاطر وغيره من الظواهر المماثلة . وهناك

علماء النفس الذين يدرسون الظواهر الروحيـة ، ومن هؤلاء هولوس ، وسرماديو وروهايم ، وفودور ممن أضافوا اسهامات متعددة لفهم التخاطر فهما جديدا ..

ولقد أثبت شارلز ٠ ١ ٠ موسى العالم فى الرياضيات والفلسـفة والحاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا ويرأس تحرير « مجـلة دراسـات فى الوعى » بالـولايات المتحـدة ، أثبت الظاهرة المسـماة بالتلباثية التى تعنى نقـل الرغبات أو الصور أوالخواطر دون استخدام الحواس الخمس ، وأنها أصبحت حقيقة ثابتة ببراهين قوية لدى كثير من العلماء ..

ويقول : (لا يزال البرهان ثابتا ومتـوافرا بكثرة سـاحقة على أن وراء الأبعاد المعروفة للزمان والمكان عالمـا آخـر له ظواهره وطـاقاته الخاصة به) .

ثم يتحدث عن التجارب التى تقع للانسان خارج حدود الجسم فيقول (ان الخبرات التى تقع خارج حدود الجسم ـ وبدون تعاطى أى عقـار من عقـاقير الهلوسـة ـ قد سـجلت فى تقـارير مستفيضة .. والدليل الذى لا نزاع فيه على وجود هذه التـجارب هو صـدور حـركات سيكلوجية أمامشهود عيان وفىأثناء تواجـد الشـخص فى حالة خارج حـدود الجسم ، وهـذه الحركات تحدث على مسافات بعيدة منالجسم الذى يحدثهـا وتكون مصحوبة فى الوقت نفسه بوصف دقيق للموقـع الذى انتقل اليه الشخص بغير جسم والذى لم يكن معروفا له من قبل).

ثم يتحـدث عن خاصـية « الاسـتشفاف » التى تتمتـع بهـا بعض الحيوانات (عنـدما تتلمس طريقها عائدة الى بيوت أصحابها من أماكن غير مألوفة تبعـد عنهـا بمئات الكيلومترات) .

ثم يقرر قائلا (هناك أيضا شواهد متزايدة على أن وعينا الذى تمتـد علاقتـه بالجسـم الى الجزئيات فى أجسامنا يمكن أن يؤثر فىالجزئيات الموجودة خارج حـدود أجسـامنا

بمعنى أنه يمكننا أن نحرك الأشياء دون أن نلمسها ، وبدون أن نستخدم أدوات كهربائية أو مغناطيسية أو أية أدوات أخرى فى هـذه العملية أى أننا قادرون على الحركة السيكلوجية أو تحريك الأشياء من بعيد) .

ويقول الدكتور ـ هيروشى موتاياما الذى يعمل مديرا لمعهد علم النفس الدينى فى طوكيو (ان قدرة بعض الأشخاص ـ أو بتعبير أدق ـ بعض الأجهزة العصبية لبعض الأفراد على اشعاع ما يطلق عليه حديثا قـدرة كشفية خاصة قد أصبحت فى متناول الاختبار والقيـاس بواسـطة بعض التجهيزات الكهربية الخاصة) .

ويقـول ان الشخص الذى يتمتع بالقدرة الكشفية (يستطيع أن يتحكم بارادته فى أعضـائه الداخليـة وفى وظائف جهازه العصبى الذاتى) .

ويقول الدكتور سـتانلى كريبنر فى بحثه الذى ألقاه فى المؤتمر الدولى العشرين ؟ الذى عقـد فى طوكيـو عام ١٩٧٢ .

(ان التجارب أثبتت انه يمكن احداث انتقال الشعور بين الأفراد عن بعد (التلباثى) فى الأحلام فى المعمل العلمى) وان الذكـور أفضـل من الاناث فى اسـتقبال هـذا الشـعور . وأن المسافة فى هذا الانتقال لا تمثل عائقـا ما . وان الأهداف التى تنقـل عندما تحتوى على محتوى عاطـفى أو دينى تكـون أكثر فعـالية من الأهداف الخالية من ذلك ..

وتقول الدكتورة ايفون دويليس التى شرعت فى اجراء بحوثها منذ عام ١٩٦٦ على الأشخاص الذين حرموا نعمة الابصار : (انه فى بعض الحالات الاستثنائية يستطيع أشخاص معينون أن يـروا ألـوانا موضـوعية دون الاستعانة بعيونهم) وتؤكد أن هذه الظواهر موجودة وان طابعها الكامن أمر لا سـبيل الى انكاره وانها تؤلف جزءا ممتدا من الوعى طمسته حياتنا المتحضرة المزعومة ، وان لهـا مجالا واسعا من التطبيق الممكن .

وأخـيرا فما رأى المنـكرين للكرامات ـ بالرغم من الحدود التى

حصرها فيها الامام الشعرانى ـ فى هذه البحوث والآراء التى تعبر عن أحدث ما وصل اليه العلم « المادى » الحديث ؟؟

اننا ان أحسنا الظن بهؤلاء المنكرين جاز أن نرى فى سذاجتهم وتخلفهم الفكرى شبها بتخلف أعضاء اللجنة العلمية البريطانية التى قدمت تقريرها الى البرلمان البريطانى فى عام ١٨٧٨م عن اختراع المصباح الكهربائى ، قالت فيه ان الاختراع الجديد (.. غير جدير بالتفات رجال العلم أو رجال الأعمال . ومن المستحيل ادخال النور الكهربائى فى البيوت . وأية محاولة للاقدام على هذه الفعلة هى محاولة غير مجدية تماما لأنها تتحدى قوانين الكون . على هذا يشهد ويجمع أكبر وأبرز العلماء) .

المراد بحضرة الله :

يقرر المؤلف المفهوم الاسلامى الصحيح لهذه المسألة فيقول (المراد بحضرة الله تعالى حيث أطلقت بين القوم هى شعور العبد أنه بين يدى ربه عز وجل ويصير تعالى يراه ، فما دام يتشعر ذلك فهو فى حضرة الله ، فاذا حجب عن هذا المشهد خرج من الحضرة ، سواء كان فى الصلاة أم خارجها) جـ ١ ص ١٨٠ .

ويقول : (فعلم أن دخول هذه الحضرة انما هو بالقلوب والأجسام تبع لها) ص ١٨١ .

ويقول: (ومن أخلاقهم شدة الحط والزجر والتوبيخ والهجر لمن يقول: ما ثم الا الله. فان اطلاق هذا اللفظ ينبنى عليه هدم الشريعة كلها . وقد كان الشيخ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه يقول : لو كنت سلطانا لضربت عنق كل من يقول : ما ثم الا الله ، أو ما ثم فاعل الا الله ..) جـ ١ ص ٤٦٣

مسألة رؤية الرسول يقظة :

حصول هذه الرؤية ومعناها :

يقول الشيخ الشعرانى : (وممن أدركته أنا من الأشياخ الذين اشتهر عنهم رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة سيدى محمد

المغربى شيخ الجلال السيوطى ، ولكنه كان يقول :

(المراد باليقظة انكشاف الحجاب عن القلب بطى المسافة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يصير جليسه وهو فى قبره الشريف) .

ـ لاحظ أن ذلك انما هو بكشف الحجاب عن القلب لا بالحضور الجسمانى ـ ثم يقول أيضا (... لا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى الى ذلك الولى، لأن ذاته الشريفة منزهة عن كلفة المجىء والرواح فى البرزخ ..) .

ثم يقول عن الحضور المعنوى لرسول الله (فلا يوجد نور شريعته فى مكان الا وهو صلى الله عليه وسلم حاضر فيه ، هكذا يدركه أهل الكشف) ج ١ ص ١٢٠

ويضع الشيخ الشعرانى شروط هذه الرؤية وحدودها فيقول : (وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله : ما شروط الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة .. ؟ فقال : بين العبد وبين هذا المقام مائتا ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون ألف مقام ، فلابد لمن حق له مقام الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاوز المقامات كلها ، فهو أمر عزيز فى وجوده ، فى هذا الزمان انتهى ..) ج ١ ص ١٢٣

واذا كان الشيخ الشعرانى يضع هنا شرطا به يعز نوال هذه الرؤية ، مما يعتبر توجيها نقديا لمدعى الصوفية فى عصره أو من بعد عصره ، فهو بعد ذلك يضع المقياس الحاسم الذى يجعل من التخوف من قبول هذه الرؤية فى الجو الاسلامى نوعا من السطحية ، أو محض انكار لفضل الله ، انظر قوله :

(فان قيل : فهل للعلوم والآداب التى يأخذها الولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قررناه مرتبة الأحاديث الواصلة الينا على يد الرواة من المحدثين ؟ .

الجواب : ليس لها مرتبة الشريعة الظاهرة لعدم عصمة الولى فى كشفه، لكن للولى العمل بها فى نفسه بعد عرضها على قواعد الشريعة ، وليس له أن يأمر الناس بالعمل بها) . جـ١ ص ١١٦ .

هكذا يقرر الشيخ الشعرانى أن ما يتلقاه الولى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الرؤية ليس تشريعا للناس ، كما أنه ليس تشريعا للولى فى خاصة نفسه الا بعد ظهور موافقته لما جاء فى الشريعة الظاهرة ..

ثم يبين الشيخ الشعرانى جدوى مثل هذا التلقى فيقول (..فيه زيادة اليقين بصحة ما قال بعض العلماء انه ضعيف من الأحاديث مثلا أو النقول ..) .

ثم يضع مثل هذه الرؤية فى مكانها الصحيح اذ يقول :

(فهو فوق ما يراه النائم ودون شريعته الظاهرة) .

ثم يزيد الضوابط التى وضعها أحكاما فيقول :

(وقد أجمع القوم كلهم على أن الشريعة التى بين أيدينا أصح مما يأخذه الولى من طريق الالهام عن الله تعالى بلا واسطة ، فان ابليس قد يلبس على الولى ..) جـ ١ ص ١١٦

فأى محظور بعد ذلك فى تقبل هذه الرؤية فى اطار هذه الضوابط ، الا أن يكون لجاجا فى غير طائل ، أو محض انكار لفضل الله ، على عباده ؟ .

أما ن يكون انكارها لكونها أمرا خارقا للعادة فذلك ما أوضحنا الرأى فيه فى مسألة الكرامة .

حول اهمية الشيخ للمريد :

يقول الشيخ الشعرانى :

(وأما بيان الدهليز الذى يدخل منه الى مقام التخلق بأخلاق هذا الكتاب فهو السلوك على يد شيخ كامل فى علم الشريعة والحقيقة ..

ومحال أن يقدر الانسـان على صعود السطح العالى بلا سلم الا أن تحصل له جذبة الهية) جـ ١ ص ١٢٧

ثم يقول (وهذا الذى ذكرناه من التخلص من صـفات النفـاق أمر لا يهتدى الانسان بغير شـيخ الى الخروج منه ..) جـ ١ ص ١٢٩

وهـذا الذى يذكره الشـيخ الشعرانى فى أهمية الشيخ يرجع الى الدور التربـوى التطبيقى الذى لا غنى عنـه فى التربيـة اذ يقول (.. فهو كمن حفظ كتب الطب مع جهـله بالداء والدواء ..) يعنى الاقتصار على الجانب النظرى واهمال الجانب العملى التطبيقى .. ولاشك أن الجانب الأخـير لا يتـلقى من الكتب ، وانما يؤخذ على يد معـلم أو شيخ ..

كذلك يشير الشيخ الشعرانى الى دور الشيخ فى نقل المريد من مرحلة السلوك الظاهرى الى مرحلة الوصول الى حقيقة السلوك وباطنه ــ وذلك مما لا يتلقى من الكتب ــ اذ يقول: (لو أن مريدا عبد الله تعالى كما بين السماء والأرض بغير شيخ فعبادته كالهباء المنثور) .

لا لأن الشيخ واسطة بين العبـد وربه كمـا يوهم بذلك من يقتطع النص ويقف به عند هـذه الكلمة ، وانما للدور التربوى الذى يقوم به الشيخ فى نقل مريده من ظاهر السلوك الى حقيقته ، يقول الشيخ الشعرانى فى تعليقـه (.. لأنه ــ أى المريد الذى لا شيخ له ــ لا يهتدى لمعرفة تطهيره من دسائس الأعمال الظاهرة فضلا عن البـاطنة . بل ولا يعرف الطريق الموصـلة لذلك حتى يطلب معرفة كيفية التطهير لأن طريق القوم غالبها غيب غير محسوس ولا يكاد يدركهـا الا من كشف الله تعـالى حجابه ..) جـ ١ ص ١٢٩

ويضرب الشيخ الشـعرانى المثال لذلك من الحديث النبوى الشريف اذ يقول : (كما ورد فى حديث العابد الذى عبـد الله تعـالى فى جزيرة خمسمائة عام وقال له الحق تعالى - ادخل الجنة برحمتى ، فقـال : بل بعملى) ــ وفى هذا الحديث الذى

أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد: ان الله تعالى حاسب هذا العبد على ما لقى من نعم فى مقابل عمله حتى بين له أنه انما يدخل الجنة برحمته تعالى .

والشاهد فى ذلك ما يقوله الشيخ الشعرانى :

(فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أول مادخل فى الطريق أن العبد لا يدخل الجنة الا برحمة الله دون عمله ، وكان لزم الأدب مع الله تعالى) ج ١ ص ١٣١

ويبين الشيخ الشعرانى فى موضع آخر هذه الأهمية التربوية لدور الشيخ مع مريده ، اذ يأخذ بيده فى الترقى بين المقامات التى شم - أى الشيخ - روائحها ...

أما المريد الذى لا شيخ له فانه يحال بينه وبين الترقى لأنه (واقف مع نفسه ، لا يرى فوقه مقاما ، لعدم شمه وزكامه) ج ١ ص ١٣٢

ومن فوائد الشيخ عند الصوفية ما يحكيه الشيخ الشعرانى عن شيخه الخواص (... اختصار الطريق على المريد واراحته من شدة التعب من غير ترق ..) ج١ ص ١٣٩

ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فى هذا الموضع اذ يقول لمدعى التصوف (ولو أن هؤلاء كان لهم شيخ لبين لأحدهم عيوبه ونقائصه وكان يخاف من الله تعالى أن يدعى كمال مقام الاسلام) ج ١ ص ١٥٢ ولقد أوضح الشيخ الشعرانى أن الاستمساك بالشيخ لا يرجع الى اعتباره واسطة ولكن الى اعتباره من باب موالاة من والى الله ومعاداة من عاداه ، وهذا مأمور به شرعا ، وفى الحديث الصحيح (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .) ج ١ ص ٢٦٧

وهنا نقطة هامة تتضح بتفهم دور الشيخ ، يقول الشعرانى (وكان لسان حال كل شيخ أن يقول لمريديه ياأولادى انما أربيكم بشرع نبيكم وما أستنبط منه ، فأقول لكم : قال نبيكم صلى الله عليه وسلم كذا ، أو قد استنبط العلماء من شرع نبيكم كذا وليس لى من ذاتى شرع أتمشيخ عليكم به) ج ١ ص ٢٢٠

كما يتحدد مقام الشيخ ، يذكر قاعدة من الأخلاق المتبولية تنكر مظاهر التقديس للأشخاص يقول الشعرانى : (من أخلاقهم كراهتهم لتقبيل أحد يدهم •••• وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : لا ينبغى لفقير أن يمكن أحدا من تقبيل يده أو التمسح بثيابه الا اذا صار فى مقام الحجر الأسود • فقيل : وما مقام الحجر الأسود ؟ فقال : مقام من حفظ عهود جميع من استلمه ، ويحمل خطايا بنى آدم عنهم ويفديهم بنفسه ، ولو أسود بذلك وجهه بين الناس) : ج ١ ص ٢٢٧ ومعنى هذا تعليق الأمر على مستحيل •

ومن هذا يتبين اسهام الشيخ الشعرانى فى ايضاح أن تمسك الصوفية ـ أو بعضهم ـ « بالشيخ » انما يرجع الى ضرورة تربوية عملية، يندر أن يجدها المريد فى علومه النظرية ، وهو بذلك يرفع عن هذا المبدأ الصوفى توهم أن يكون الشيخ واسطة بين العبد وربه ، ويضعه فى موضعه الصحيح باعتباره مبدأ تربويا لاغنى عنه فىأى منهج للتربية فىالقديم أو فى الحديث ، فى الصوفية ، أو فى غيرها من المجالات التى تتصدى للتربية المنهجية الصحيحة•ومع ذلك فان كتاب الأخلاق المتبولية يبين أن اتخاذ شيخ للطريق ليس من ضرورات التصوف باطلاق ، كما يتوهم البعض •

يقول رواية عن شيخه على الخواص :

(وممن بلغنا من المتقدمين أنه لم يكن له شيخ ـ غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أربعة لاخامس لهم فى الشهرة • وهو الشيخ عبد الرحيم القناوى ، والشيخ أبو السعود ابن أبى العشائر (توفى سنة أربع وأربعين وستمائة) والشيخ أبو مدين والشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله عنهم •

وأما من لم يشتهر بذلك بين العلماء فكثير •••) •

وهكذا فالشيخ ابراهيم المتبولى صاحب هذه الأخلاق هو نفسه لم يكن له شيخ •

ثم يقول فى عبارة واضحة (... وان من رزقه الله تعالى سلامة الباطن من هذه الأمراض المهلكة كالأئمة المجتهدين وأضرابهم لا يحتاج الى شيخ فى الطريق ، لأن هذا قد عمل بما علم على وفق السنة . وهذا هو غاية ما يطلب بالسلوك) . ص١٤٢

الحديث عن النفس :

وبعد : فان الأخلاق المتبولية التى يقدمها الشيخ الشعرانى فى كتابه هذا ، ليست كلاما نظريا ، ولكنها تطبيقات الشيخ فى حياته الواقعية كما ذكر ذلك عن نفسه .

وهنا قد يتساءل البعض عن مغزى حديث الشيخ عن نفسه على هذا النحو ؟

يقول الشيخ الشعرانى (كما أنى لم أذكر فيه شيئا من أخلاقى الا ما أذن فى افشائه بين الاخوان ليقتدوا بى فيه ، فان كل من دعا الى خير ولم يكن متخلقا به قبل الناس ربما قالوا بلسان الحال والمقال :

كيف تدعونا الى التخلق بشىء عجزت أنت عن التخلق به مع علمك وصلاحك وقدم هجرتك ؟

فيقل نفع الناس به عادة ، وان كان ذلك ليس بشرط فى الداعى وانما هو كمال فافهم .

وقد ذكرت فى التقرير مرارا أن سبب ذكرى للأخلاق التى تخلقت بها وعدم كتمى لها ما سمعته من جماعة من الاخوان حين أمرتهم بالزهد فى الدنيا والتورع فى المطعم والملبس والمنطق وغير ذلك ، فقالوا لى :

أرنا أحدا تخلق بذلك حتى نقتدى به ... فتأثرت لذلك غاية التأثر وشرعت بعون الله تعالى فى ذكر بعض ما من الله تعالى به على .

وقلت لهم : انظروا فى هذه الأخلاق فكل خلق رأيتمونى متخلقا به فاتبعونى فيه ، وما لم أتخلق به فأنا واياكم فيه على السواء . فهذا هو سبب ذكرى للأخلاق التى كان الأولى بنا كتمها عادة ، لولا حرصى على حصول الخير للاخوان فاياك أن تظن بى سوءا أو تنازعنى فى قصدى فتقع فى الاثم . لوقوعك فى أعراض

الفقراء بغير علم ولا غرض صحيح)• ج ١ ص ٩٠

وفى هذا الكفاية فى الاجابة عن السؤال •

خاتمة :

ولقد توقع الشعرانى لكتابه أعداء كثيرين يقول :

(ان كل من صدق فى طلب الطريق فلابد من أن ينجذب على الأذى له جماعات كثيرة من الأشقياء من الانس والجن لينفروه عن طريق أهل الله تعالى •

وأما الكاذب فى طلبه فقد كفى ابليس المؤنة لاحباط عمله بالرياء والنفاق ، فلم يحوجه لأن يسوس أحدا بالأذى لأنه لم يدخل الطريق ولا شمها ••) •

ثم يقول : (وأسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يحفظ هذا الكتاب من كل حاسد وعدو ، يدس فيه

ما ليس من كلامى مما يخالف ظاهر الشريعة لينفر الناس عن النظر فيه •••) ج ١ ص ٩٦

ويقول الامام الشعرانى رواية عن أبى تراب النخشبى المتوفى عام ٢٤٥ هـ : (اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله •••) •

وليس هذا التكريم لأولياء الله راجعا الى امتياز عنصرى أو طبقى خاص بهم وانما هو ـ طبقا لتعليل الامام الشعرانى ـ (لأنه لو أقبل على حضرة الله لعرف أهلها • ومن هو المقدم فيها وكان يحترمهم ضرورة ، فانه ماعادى أحد أولياء الله وهو يعتقد ولايتهم أبدا ، وانما يعاديهم حين يحجب عن مقامهم وحينئذ يرميهم بالنفاق والرياء والزندقة • فافهم) ج ١ ص ١١٠

ولعلنا بعد هذا العرض الموجز لهذه الأخلاق ندرك خطر الكتاب منهجيا ، ونفاسته موضوعيا ، كما ندرك ثراءه فى توجيه حياتنا الاجتماعية المعاصرة الى الأخلاق الاسلامية الصافية فى أسلوب تربوى عملى • وفى توجيه الصوفية الى التصوف الاسلامى الصحيح •

وندرك أن تشويه الكتاب لا يخدم الا أغراض العاملين على توجيه مجتمعنا من قاعات مظلمة بالالحاد ، مسممة بالحقد .

ومن الطريف أن الشيخ الشعرانى رضى الله عنه لم يغفل أشباه هؤلاء ، عندما وضع القاعدة السلوكية للصوفية ، التى يقول فيها :

(ومن أخلاقهم كثرة الاستعاذة بالله تعالى من شر الحسد كلما أقبلت الخلائق عليهم بالاعتقاد وقبول الشفاعات ، خوفا من أن تعمل الحسدة لهم المكايد فيؤذوهم ويشغلوهم عن عبادة ربهم بذلك ولو لحظة . ومن تأمل من الفقراء الآن وجد نفسه كالبهلوان الذى يمشى على الحبل بقبقاب وجميع أهل مصر مثلا واقفون ينتظرون له زلقة من فوق الحبل) ج ٢ ص ٥٠٢

ويقول كأنه ينظر بنور بصيرته الى شىء مما يدور فى عصرنا :

(فاياك يا أخى أن يقوم بك الحسد فلا تنتفع بشىء من هذا الكتاب فيفوتك خير الدارين كما يقع فيه كثير من أصحاب الأنفس الردية) . ج ٣ ص ٣٠١

وبالله التوفيق ؟

د : يحيى هاشم حسن فرغل

الأزهر الشريف

يدعو الراغبين من الناشرين والأفراد

فى اقتناء « المصحف الشريف »

طبعة الأزهر

إلى التقدم بطلباتهم إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسـلامية بإدارة الأزهر – القاهرة – لحجز الكميات المطلوبة لهم بسعر التكلفة وهى :

١٠٠ قرش للنسخة الواحدة المجلدة .

٨٠ قرشا للنسخة الواحدة غير المجلدة .

وهناك تخفيض خاص بالنسبة للمشترى بالجملة .

وتورد القيمة نقدا أو بشـيك باسم الأمين العام لمجمع البحوث الإسـلامية .

إلى السادة الراغبين فى الاشتراك

يمكنهم الاتصال بهـــذه

الشركة أو المؤسسة	اسم المسئول	العنوان
الدار العامة للطبوعات	السيد / عبد الرحمن الكيالى	شارع آيار ٢٩
الشركة العربية للتوزيع	السيد / عبد المنعم مصطفى	
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان	السيد / عبد الكريم ميكى	شارع الرشيد ـ ساحة الوثبة
وكالة التوزيع الأردنية	السيد / رجا العيسى	
وكالة المطبوعات	السيد / عبد الله حرمى	٢٧ شارع فهد السالم
مكتبة جدة	السيد / أحمد عمر يا بزيد	برحة نصيف
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان	السيد / عبد الرحمن الجريسى	شارع خالد بن الوليد
دار التوزيع	السيد / أبو بكر أرباب	
دار الفرجانى للطباعة والنشر والتوزيع	السيد / محمد بشير الفرجانى	٥٣ شارع عمرو بن العاص
مكتبة الخراز	السيد / الشعالى الخراز	شارع عمرو بن العاص
الشركة التونسية للصحافة	السيد / محمد العلانى	٣ نهج المغرب
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	Youssef A. Boudàoud	3, Boulevard Zirout
الشركة الشريفة للتوزيع والنشر	السيد / برادة محمد	١ ساحة باندونج
مؤسسة ١٤ أكتوبر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان	السيد / عبد الله أحمد العود	سكة الملك سليمان
محلات القائد التجارية	السيد / أحمد القائد محمد	باب مشرف
المكتبة الوطنية وفروعها	السيد / فاروق محمد عبيد	
دار العروبة للطباعة والصحافة والنشر	السيد / عبد الله حسين نعمة	
المؤسسة العمانية للصحافة والنشر	السيد / سليمان محمد الطائى	
مكتبة ومطبعة دبى	السيد / خليفه جمعه النابودة	
مكتبة القدس	السيد / محمد خضر عطا الله	
المكتبة الحديثة	السيد / عبد الله محمد خليفة	
مؤسسة محمد أحمد بن سلم	السيد / محمد أحمد بن سلم	
مكتبة سمنتر	السيد / حبيب على مدونة	

مجلة الأزهر خارج جمهورية مصر العربية

المكاتب والوكالات الآتية

ص.ب	البلدة	المنطقة	تليفون	تلغرافيا
٢٣٦٦	دمشق	سوريا	١١٣٧٣٦	مطبوعات
٤٢٢٨	بيروت	لبنان	٢٤٧٩٠٠	عربتوزيع
	بغداد	العراق	٦٠٥٦١	دوثا
٣٧٥	عمان	الأردن	٣٠١٠٩١	جوردستاق
١٠١٩	الكويت	الكويت	٣٢٢٩٦	مطبوعات
٩٥٠	جدة	السعودية	٢٢٥٧٨	توزيعات
١٤٠٥	الرياض	السعودية	٢٥٥٧٣	التوزيع
٣٥٨	الخرطوم	السودان	٨٠٥٨٣	دار جرائد
١٣٢	طرابلس	ليبيا	٣٨٣٦٠	الفرجانى
٢٨٠	بنغازى	ليبيا	٣٣٦٩	الخراز
	تونس	تونس	٢٤٢٤٩٩	SOTUPRESS
	الجزائر	الجزائر	٦٣٩٢٦٧	SREDA-ALHBR
٦٨٣	الدار البيضاء	المغرب	٢٦٠٧٥١	سوشبرس
٤٢٢٧	عدن	اليمن الديمقراطية	٢٥٧٧٣	كريتر
٨٤	الحديدة	اليمن العربية	٢٤٨٥	القائد
١٤٠٥	المنامة	البحرين	٤٢٧٢ — ٥٤٣٩	المكتبة الوطنية
٦٣٣	قطر	الدوحة	٢٢٢٨	صحافة
٤٦٣	مسقط	عمان	٢٧٠٥ — ٢٤٦٣	الوطن
٦٢٦	دبى	دولة الإمارات	٢٤٠٠٥	الصحافة
١١٨٠	العين	أبو ظبي دولة الإمارات		
٣٨٧	أسمرة	ارتريا		
١٧٦٤	أديس أبابا	أثيوبيا	١١٠٦٦	بن سلم
٩٣٦	مقديشو	الصومال	٣٥٦٦	سمانترز
٧٨٨	جيبوتى	الصومال	٢٠٩١	

الشركة أو المؤسسة	المسئول	العنوان
شركة الخليج المحدودة	السيد زياد سعيد فهيم	102 Queens Way, London W.2
مكتبة ماجيرى		Nouvelles Messageries de la Presse Parisienne. III, Rue Résumur Paris (2e). France
مكتبة كيوسك		S.A. Le Kiosque. II, Mauberstrasse. Berne-Suisse.
شركة سارباخ W.E Saarab ach		5 Köln I, Postfash 1510, Fallerst2, Germany
موراده وشركاه Morawa & Co.		Buchkandling and Zeilungsburo, Wienl Willzeile II, Austria
وكالة هلينيك للتوزيع Hellenique de Distribution		67, Kallirois, Athem 410.
	» إبراهيم الجندى	Niktor Bendixgade 20, 4 T.V.
مركز نشر الحضارة العربية الأفريقية	» أدولف سيريكو	558 Casella Postal. Rome
Rashed Sales Co.	Mr. ALBERT RASHED	191 Atlantic Ave. Brooklyn New York.
	» على عبد الرحمن أمين الرافعى	M'D, East News. Wiclaudale Canada
Ali Baba Oriental Div. Frddy Import and Export. Co.	» جورج فرج سعد	12003 Lavrention BLVD (Comer Şalsberry) Box 64 Snowdon Montroal
	» أحمد ربيع شديد	A.V. Churdul 129, GR 1004 R/O. DE Yanciro
Rassan Trading Co.	» مكرم عبد النور	74 Railway Rd Sundanbam N.S.W. 2044 Australia

البلدة	المنطقة	ص . ب	تليفون	برقيا	بيانات أخرى
لندن	إنجلترا		229.2273	Al Gulf	
باريس	فرنسا	136—02			
بال	سويسرا	Kiosque			
فرانكفورت	ألمانيا (غ)	161626	234631	Saarabach koln	
فينيسيا	النمسا				
أثينا	اليونان	315	94.24.330	Dlstrico	
كوبنهاجن	الدانمارك	2125	(451)13.30.45	Distriplad	
روما	إيطاليا	C.E.C.A.	461849		
نيويورك	الولايات المتحدة				
تورنتو	كندا		6419		
مونتريال	كندا				
	البرازيل		3661		
سيدني ملبورن	إستراليا	590			

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٤٣٥ س ١٩٧٧-١٢٠٠٢

ENGLISH SECTION

the year not less than one third of the bills presented for cashing (so that presentat.ons of the bius to the bank for cashing should not be abused in such a manner as to affect the liquidity of the monetary bala-nce at bank).

In the light of what we have explained, Islamic Banks are legal intermediate links between those who possess liquid funds and the buisness men who are in need of money. Large amounts of liquid funds are accunmulated in these banks. They are the deposits of the banks.

Those who have a surplus of liquid funds deposit it in the banks hoping a return. This return should not be an interest or usury. It should be derived from participa-tion

القراض أو المشاركة

Allah says in Chapter "The Cow" : verses 278-280 what means : (You who believe ! Be careful of your duty to Allah, fear Him, and give up what remains of your demand for usury, if you are true believers.)

(But if you do it not, take notice of war from Allah and His Apostle, But if you turn back and repent, then you shall have your capital sums, neither shall you make the debtor suffer loss, nor shall you be made to suffer loss).

(And if the debtor is in straitness then let there be postponement until he is in ease ; and that you remit it as charity is better for you if you know.)

((يايها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين .

فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من اللهورسوله وان تبتم فلـكم رءوس اموالـكم لا تظلمون ولا تظلمون)

وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون .
(البقرة : ٢٧٨ — ٢٨٠)

This means that the balance of ininterest which may be due at the time when the prohibition was made known must be given up.

Besides, this is an ultimatum of war for the liberation of debtors unjustly dealt with and oppressed.

profit, if the investment fails to achieve any returns. His share is only part of the profits and if there are no profits he has no share.

The Islamic Substitute.

The preference of the Islamic substitute as refleced in the participation of risk, can be summed up as follows :

1 — The co-participation of the bank with borrowers in their productive activities will absoutely necessitate the mobilization of the banks technical experties in quest of the best field for investments or the search for the most rational methods, thus bringing about the cooperation of funds and production in the national economic development

2 — The fund-older who deposits his money in an Islamic bank will make use of his funds on the basis of participation in the risk, and will consequently gain the fair profit, commensurate with the part contributed by his funds to economic development. In this way the saver can be enouraged to continue saving which is the basic factor of captal accumulation.

3 — In clearing the Moslem funds of usurious interest (Riba) which is fixed in advance the Moslems will get rid of their Passivity when depositing their funds and waiting the payment of the fixed interest.

4 — *Purifying the transactions* of Islamic banks of all prohibitions

The non-Islamic Banks practise numerous banking activities of which some are not tainted by usury such as the commission they charge on the collection of cheques or letters of credit or current accounts. What they charge is in return for the services they render to their clienth. There are two operations practised by these banks which are usurious : The first is giving loans at fixed interest, asd this could be replaced by the Islamic bank by giving loans on the basis of reciprocation of the clients risks through the "Al Kirad"

The second operations is dis counting the bills. The Islamic banks can deal with this kind of operations by clearing it of the suspicion of usury in the following manner: The Islamic Bank pays the counter-value of the bill to the beneficiary without discounting the interest due on its duration untill the expiry date on three conditions :

A — That the invoice or the document indicative of the commodity be enclosed with the bill as is applied in some countries.

B — That the beneficiary figuring on the bill have the current account with the bank.

C — That the balance on this account should average throughout

The Investment of the Islamic Bank's Funds.

In dealing with the investment of the Islamic Bank's Funds on the basis of participation is an alternative for interest we would like to say that such an arrangement was approved and organized by the rules of Shariah.

These rules ensure more benefits for Muslims, protect them and uphlod the interests of the Islamic nation and add to its resources.

Participation contract provides for many fundamental rules that govern the relationship between depositors (clients) and the Bank as well as between the bank and owners of investment projects.

These rules could be summed up as follows .

(a) Parties to the contract of participation where the investor could be the Bank itself in case of deposits, or the money owner in the case of loans, shall divide the profits according to the percentage they both agree upon, on condition that the share of each shall be in general terms such as "half" one third" or "a quarter" for one party while the rest goes to the other.

(b) A pre-condition that guarantees a specific profit for any of the parties invalidates the foundations of participation because the actual returns might not be sufficient to cover that pre-determined profits. The rule is that any pre-condition specifying profit or other obligations contradictory to the rules of Islam shall invalidate participation and bear the signs of usury which the bank rejects as a non-Islamic economic system.

(c) The bank or the investing party is entitled to collect its share out of the profits only. It is against Shariah to take share of the in vested capital.

(d) The investing party is entrusted with the money. On the one hand he is deputizing for the money owner, and on the other hand he shall share in profits.

(e) The investing party deserves his share in profits in a Legal participation because of the work he carries out. He gets his share of the profits in compensation for the effort and work he exerts.

The money owner deserves his share of the profit because he participated with his money.

(f) Damage and losses shall be born by the money owner alone, and if a pre-condition is included to make them the joint responsibitity of both the owner and investor, the pre-condition is null and void. The important thing is that the investing party shall have no

The Quran draws a distinction between trading and usury. In trade the capitalist takes the risk of loss along with the hope of profit, but in lending money on usury the whole of the loss is suffered by the borrower while the capitalist can count upon his profit even in the case of loss in the actual concern.

Hence, trading or sale stands on quite a different footing from that of usury.

The prohibition is to receive any interest on coney lent, but if any one had actually received any interest before the prohibition, he was not required to pay it back, because such a procedure would have hopelessly upset business. Usury took away the blessing thereof. Usury also signifies the bloting out of a thing.

Usury is condemned, while charitable deeds are commended nad praised as being the real source of the prosperity of a natiin.

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم »

(البقرة : ٢٧٦)

Interest on Loans for Production or on Laans for Consumption

Interest either on loans for production or loans for consumption or waste are utterly and expressly prohibited by Islam. The Holy Prophet Mohammed (may Allah's blessings and prayers be upon Him) forbade the believers to derive any advantage from loans. (Riba), usury or interest is any increase through illegall means such as usury, bribery, profiteering fraudulent trading etc. All unlawful grasping of wealth at other people's expense is condemned. Economic selfishness and many hinds of sharp practices, individual national and international come within this scope. The principle is that any profit which we may seek should be through our own exertions and at our own expense, not through exploiting other people or at their expense.

Allah says in Chapter Al-Rum XXX/39 what means :

(That which you lay out for increase through the property of other people, will have no increase with Allah ; but that which you lay out for charity, seeking Allah's countenance (Allah's Good pleasure), it is these (persons) that shall get a recompense manifold).

This verse states that people who seek to increase their wealth by means of getting interest or money i.e. they seek an increase of their wealth at the expense of other men's property ; but that a Muslim should seek an increase of his wealth by giving it ? for the sake of Allah, to help his brother man.

« وما ءاتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون »

(الروم ٣٩/٠)

THE ISLAMIC BANK AND THE PROHIBITION OF USURY

By

Dr. M. Abdul Monem El-Gammal

The Islamic bank differs from other non Islamic banks in more than one respect.

These differences could be summed up in following :

1 — Application of the principle of participation (Mudarabah or Musharakah).

2 — The bank,s transation will be carried out in accordance with Islamic Jurisprudence (Shari'ah). Islamic alternatives will be introduced to replace existing banking transactions that do not confirm with the of Islam.

3 — Prevention if usurious dealings :

What is usury or interest in the eyes of Lslam ?

Usury (literally, an excess or addition) means an addition over and above the principle sum that is lent. It includes interest which is prohibited according to the Muslim Laws. Usury is an illegal transaction.

Islam refuses to allow the rich to grow richer by reducing the poor to still greater poverty which is the real aim of usury. Usury moreover, promotes habits of idleness; but its worst effect is on morals as it causes man to be obsessed by selfishness.

Allah says in chapter (the Cow) 11/275-276 what means :

(Those who devour usury (take usury and dispose of it) cannot arise on the Day of Resurrection except as one whom the devil has pristrated by his touch does rise. That is because they say, trading is only like usury, while Allah has allowed trading and forbidden usury. Those who after receiving guidance from their Cherisher desist, shall be pardoned for the past ; their case is for Allah to judge. But those who repeat the offence are the companions of the fire. They will abide there in forever).

« الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

(البقرة : ٢٧٥)

Allah says in chapter (the Cow) II, 276 what mans :

(Allah does not bless usury, and He causes charitable deeds to prosper. And Allah does not like any ungrateful sinner).

Message was revealed. The mission of the Messenger of Allah, as defined by the Quran is education and purification :

"He teaches them the Book and Wisdom and purifies them.

2 — From its very inception commencing with the first revelation "Read," Islam was an ally to knowledge.

3 — The encouragement to seek and pursue knowledge as propounded in the Quran and the Sunnah of the Prophet (peace be upon him) is above compassion. There is no inducement of this kind both in honour and dignity, in the highest literature of the world.

4 — The knowledge propounded by the Quran and Sunnah is knowledge of everything beneficial in the physical and metaphysical worlds and in the sphere of faith and morals.

5 — The scientific methods adopted by the modern civilization is taken from Islam as acknowledged by Rogrers Bacon; the true father of the modern method.

6 — There is no contradicition between religion and science because of the two different spheres they operate in. The sphere of religion is faith in God and the sphere of science is matter ans substance. It is our fervent hope that the Muslim Nations respond to the Call of of the Almighty and His messengers and acquire knowledge, the basis of their revival and their motto in performing their duties and fulfilling the objects of their mission.

from Islam is incompiete and deficient.

The exper:mental method only operates on matter and stops at the Natural Phenomena. This is an Islamic Method but it is not the complete method adopted by Islam. A Muslim does not stop at the Natural Phenomena as his goal and final object and does not limit h:s activies there. The aim and final object of the Muslim is what the Almighty has said, "To Allah Belongs the final End".

Whil Europe lim:ts it:elf to the world of matter, Islam encourages humanity to another source if knowledge and enl:ghtment; the heart or sipirt or insight. Islam draws the attention of mankind towards inspiration, revelation and intuitive enlightment. In th:s way Islam combines the modern science with what the poet al-Bosairy said.

"The eyes, ears and heart, all are responsible to know the Truth".

The eyes and the ears are the bas:s of experimental knowledge which ons:sts of observations, tests and calulations while the heart is the basis of spirtiual knowledge. God induces the Muslim to seek knowledge through observation and experiment and in the same way prevails upon him to draw inspiration from revelat:on. Islam encourages a Muslim to elevate h:mself by following True Guidance and the spiritual light of the heart. Th:s he should do by imbuing himself with noble attr:butes and exercising them in his morals. God-conciousness, sincerity, love for mankind and assisting people in all virtuous deeds.

Since Islam, in its scientific aproach is wider, more accomative and by far more penetrative thain modern civilization, it is therefore obvious that it differs from it fundamentally and basically in its intentions and mot:ves a nd objects and goals.

Modern civil:zation advocates the idea that knowledge has no relation with eth:cs and morals. In other words it shows that knowledge and morals have nothing to do with each other and so it has no relevance to virtue and evil.

Islam, on the other hand, brands the foundations of knowledge with virtue and morals its objective soaked in nobility. According to Islam knowledge brings you closer to the Alm:ghty and imposes upon man to worship Him. Knowledge in Islam is an attribute of God and in an Islamic atmosphere it means the "Reading, chanting and remembering in God's Name".

In conclusion we would like to summarize our discussion by brief points :

1 — In Islam, knowledge is part of the object for which the Divine

only, in fact our knowledge is indebted to Arab culture. Stil more than this we are indebted to the very existance of Arab knowledge and culture. For as far as the old world is concerned we are fully aware that it had no room for knowledge at all. The astronomy and mathematics that flourished in Greece were all foreign. They had gained these knowledges from others but never in their long history did these sciences become dissolved in their Greek culture wholly.

The Greeks had organized the religions, had generally spread their laws and had drawn their theories. But the manner and methods which they adopted for their research were all foreign. Their perseverence and tolerance, their ways of procuring positive information and concentrating on them, their detailed curriculums for education, their continuous observations and research experiments were absolutely foreign to the Greek temperament. In the old world during the times of the Greek Empire knowledge had got very close to no other city but Alexandria.

"But what we call knowledge today only appeared in Europe as a result of the new spirit and new ways which themselves resulted from observations, experiments, tests deductions and the development of mathematics in a way totally unknown to the Greeks. This spirit and these scientfic methods were all bestowed upon Europe by the Arabs."

Dr. M. Iqbal has the following to say:-

"Where did Rogers Bacon get his knowledge from ? He got it from the Islamic Universities of Spain The fifth chapter of his book" Lepas Majus" which is dedicated to optics is in reality a part of Ibn Haitham's book "Kitab el-Manazer" (Book on Optics). The book of Bacon in general is a telling witness of his being influenced by Ibn Haitham.

What we have presented so far as realities of Arab Civilization, in methods and sciences, has become so popular and well-known among the judicious minded authorities, that there is no further need for any evidence in this respect.

The very inventor of the method of investigation, observation and tests has acknowledged the fact that Europe is indebted to Islam for the scientific method it has adopted. This is also acknowledged by all unbiased authorities. This, then, finalizes the conclusion and there is no room for any misgivings for anybody. With all this it must be pointed out that the Islamic method is by far much more complete, compact and accommodative. What Europe has taken

same method that they will continue making progress in the future both in quality and quantity. This method owes its origin, as is famously known to Francis Bacon.

Students of European history and European thinkers do not share this view. They attribute this method to Rogers Bacon more than anyone else. Scientists and Research students are of the opinion that Rogers Bacon was more penetrating and precise in explaining and implementing the investigation on any method. Against the view of many of his countrymen, he eloquently and in unambiguous words explicitly acknowledges the fact that this method was pursued by the Arabs and by their culture to which he is indebted.

This reality which the Western writers have tried to obliterate and conceal is being openly brought to light by some judicious modern thinkers. In his book "The Construction of Humanity" Professor Brifolt, traces the roots of Western civilization. He writes :

"Rogers Bacon studied the Arabic Language and Arabic sciences at Oxford by his tutors from Andalous. Neither Bacon nor his followers have the right to place the crown of inventing the experimental method on themselves ; Rogers was none other than a messenger among the messengers of the Islamic method who conveyed it to Christian Europe. On the other hand Rogers himself was never tired of admitting that to get to the truth it is impertive upon his contemporaries to stuy the Arabic Language and sciences. The discussions and counter-discussions regarding who the original founders of this method are, reflects one of the great adultrations and concotions in the origin European Civilization."

The Arabic method of experiments flourished in Europe during the time of Bacon. It was on a very wide scale and students throughout Europe flocked to learn it. In this respect Brifolt has the following to say ;

"Knowledge brought by the Arab Civilization, remains to be the most important contribution to the modern world but its fruits were in maturing. The genuis created by the Arab Culture in Spain did not bloom to its full until a long time had elapsed after that civilization had disappeared in darkness."

It is not only knowledge that was responsible to bring back life to Europe. In fact there were many other influences of the Islamic Civilization that sent their batteries of illumination to European life. Brifolt has the following to say in this respect :-

"Our knowlege is not indebted to the knowledge brought by the Arabs, in their breath-taking discoveries and unique conceptions

SCIENTIFIC METHODS BETWEEN ISLAM AND MODERN CIVILIZATION

By

Dr. Abdul Haleem Mahmoud
The Grand Sheikh of Al-Azhar

There is no doubt that modern civilization has come into existence with intense rapidity by the adoption of two methods in the pursuit of knowledge. Both differ from each other and are opposite in nature. A cold war exists between these two methods. They are :

1. The Baconion Method based on experiments, tests and observaions of matter and substance.

2. The Rational Method or the De Cartias Method which is explained by the rationalists as the swift movement of the mind to the object desired.

Both these methods developed in an atmosphere of antagonism to the Aristotlian method.

Both these methods see the Aristothan method as that of picture and form and they have no relation whatsoever to reality and implementation. That is why they called it Pictorial Rationalism meaning the logic of the picture and form and not the essence.

The Baconian method is a scientific method and the Carte method is a philosophical and an exprimental one. Modern civilization is based on the latter method and it would therefore behove us to limit our discussion on this method. The latter method is based on investigation of particles and substances which can be subjected to experiment, failing which they can be placed under observation to allow decision to be taken ; a decision showing the general laws that operate in them. In other words, to come to some conclusions about the general laws that operate in the Natural Phenomena.

The field of investigation is nature and its substances for investigation is done on them. The instrument that is applied in these fields is sensory because its function is to investigate and observe the perceptible. The modern European culture and all that it stands for is based on the foundation of this method of investigation and observation. In chemistry, astronomy and all fields of matter and sub stance, this remains their basic and fundamental method. It is on the

tives. He gave it to the missionaries and asked them to go to Kodungalur (Cranganmore), Darmaftan and Fandera. He asked them not to speak about his illness. Shortly after this, the King died.

"Two years after the death of the King, Sharaf bin Malik started for Malabar with his brother, nephew, and his brother, nephew, and his wife and children. Soon after their arrival in Kodungalur they presented the royal epistle to the Governor who granted them lands, gardens and fields as per the Kings order.

"Malik bin Dinar and his nephew Malik bin Habib settled in Kodungalur and built a mosque there. Afterwards Malik bin Habib moved to Kollam (Quilom), where he built a mosque. Leaving his family in Kollam, he travelled to Hubli Mawari. After building a mosque there, he visited Pakanoor, Mangalur and Kanjerkode. He erected mosques in all these places and returned to Hubli Mawari."

From this account it is clear that it were Arabs who first took the light of Islam to South India. They were the pioneers in this field and the first Muslims that settled there.

Historical research has brought to light the following facts : the first, the advent of Islam in India was not the result of a colonial movement nor was it a wave of military conquest ; secondly, the small groups of Muslims that entered India as conquerors, were not Arabs except, of course, the army that conquered Sind under the leadership of Muhammad Bin Qasim; thirdly, nowhere in India did Islam spread by force or coercion. The liberal and broad mindedness of the Hindu rulers of those, days, and the Indian character that bows its heads before piety, and purity, were equally the factors that helped in the growth of Islamic Call in India. If in some parts of India Muslims have been living continuously for 12 centuries or more, by and large, there is hardly any part in this vast country where they have not been living for at least seven centuries.

In his "Tuhfat Al Mujahidin", Sheikhh Zain Al Din bin Abdel Aziz relates how Islam found its way in Malabar (Kerala). He says that since time lomg past, Jewish and Christian communities had settled in Kodungalur (Cranganore), the ancient capital of Malabar (Kerala).

"The Jews settled here were probably those who Kaikhusur the King of Iran had banished from the land. They crossed to Persian Gulf, and settled in Cochin. Forester had a slightly different account of the Jewish settlement in Malabar. He says "In 369 A.D. a group of Jews migrated from the Island of Miorea in Spain. They were about seven or eight thousand persons. They reached the coast of Malabar and settled in Cochin. As for Christians, history records that St. Thomas preached Malabar, and that western Christians from Syria and Chaldea also came there.

"Years after this, a group of Muslims passed by Malabar on their way to Ceylon to visit the footprint of Adam, when the news of their arrival reached the King, he received them and made inquiries about the Prophet. An elderly man replied to his questions and gave him an account of the Prophet's life and teachings, and the miracle of the spliting of the moon.

"The King believed him and embraced Islam. He confided to the man that on their way back home, he would accompany them to Arabia to visit the Prophet. He asked his Arab friends not to speak about it to anyone in Malabar.

After their return from Ceylon the King embarked along with his visitors. He then sent for his members of his household and his ministers and told them that he would spend a week in contemplation. He appointed his ministers to rule the Kingdom during his absence and wrote down their duties in clear terms.

"The ship sailed with them. They spent the night and the following day in Fandarina. They then sailed till they reached Darmafatan where they spent three days. They again sailed and reached Shahar. Here they stayed for many days during which period, they arranged to send a mission to Malabar, to call people to Islam and build mosques there. At this time, the king fell seriously ill. He gathered around him the missionaries and urged them to go a head with their mission. The missionaries who were Sharaf bin Malik, brother of Malik bin Dinar and his nephew Malik bin Habib bin Malik replied to him and said :

"O King, we know not your country, we had decided to go because you are with us''. The King thought for moment. He then wrote a letter in Malayalam to his rela-

goods from Syria and Alexandria and export it to markets in their countries.

Arabs and Egyptians in those days acted as the media between India and Rome and Greece in commercial relations. The godown of Indian produce was Safar in Hedramaut. Traders from this place had direct business contact with South India. That is why we find coconut-tree and betel plant growing there. These trees were imported from Malabar (Kerala) and grown there. Roman traders living in Egypt began to pour into India. They made Malabar their business centre. Pleny says, "Ships From Egypt would reach India in two months and ten days".

After the migration of the Prophet to Medina, hundreds of Arab Tribes entered the fold of Islam, in a short period. Great men sent their deputies to prophet to announce their acceptance of the new faith. In the 9th and 10th years, after the Hijra, the people of Yemen and Hadrament embraced Islam in large numbers. These were all traders. Their trade at this time reached the peak of progress. They were exporting their goods to the Persian Gulf, Egypt, Sind, Konkaram, Malabar, Ceylon, Sabij (Java), China and other far off countries. In every country they visited they preached the new faith. Thus came the voice of Islam to India and Ceylon in the first century of Hijrah.

During the reign of Caliph Abdel Malik bin Marwan (A.H. 65-86) a group of Muslim traders came to Ceylon and settled there. There lived in Harmaz, a town in the Persian Gulf a persian sailor named Buzurg bin Shahroyar. In his book : "The Wonders of India which is an account of his voyage, he writes as follows :—

"When the people of Ceylon heard about the Arabian Prophet, they sent a distinguished man to Arabia to enquire about the new prophet and to bring them news about him. The man arrived in Arabia in the reign if Caliph Umar (634-644 A.D.). He met the Caliph and discussed with him the mission of the new Prophet. He started for Ceylon with complete information of the new faith. But he died in Makran and his Indian servant, who was with him, returned to Ceylon and told the people all that he had seen and heard.

"He conveyed to the people what information his master gathered about Islam, the Prophet of Islam and the Caliphs Abu Bakr and Umar. About Umar, he said he is a brave and pious man. He puts on patched clothes and sleeps in the mosque" (Wonders of India), p. 156).

MAJALLATU'L AZHAR
(AL-AZHAR MAGAZINE)
MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

SAFAR 1397	ENGLISH SECTION	FEBRUARY 1977

SPOTLIGHT ON THE "ADVENT OF ISLAM IN INDIA" AND THE FACTORS THAT HELPED IN ITS GROWTH

By
Dr. Mohiaddin Alwaye

Today Muslims are the second biggest religious group in India. The 70 million Muslims who are the third biggest Muslim community in the world have a prominent role in the field of spreading Islamic Culture and Arabic literature in the Sub-continent of India, as well as in consolidating the everlasting relations between India and the Arab and the Islamic world.

Any study of Islam in India has two different aspects ; the first aspect is the Muslim conquest of India, and the second one deals with the entry of Islam in India by peaceful movements. The last aspect of study is more extensive, more glorious and has left more lasting marks in the history of India. Islam does not owe its spread in the length and breadth of the country to the Kings, the Emperors, and the Conquerors ; but it owes its spread to the individual efforts of the many preachers and saints to spread the faith of Islam in this land. These individual efforts began before the first conquest of Sind at the hands of Muhammad Bin Qasim (A.D. 712-A.H. 91).

The following account of Islam in India will, it is hoped, throw some light on the spread of Islam in the sub-Continent of India, and the factors that helped in its spread.

The Arab had contact with the West coast of India many centuries before the advent of Alexander the Great. Indian produce was exported to coast ; of Arbian peninsula through the Persian Gulf from where Arab traders carried it to Todmar in Syria, and to Alexandria in Egypt, through Hijaz and Yemen. Western traders would buy the

مدير التحرير
والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث – السنة التاسعة والأربعون – ربيع الاول سنة ١٣٩٧ هـ – مارس سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٤ —

انتهينا فى ما كتبناه سابقا – عن موقف الاسلام من الفن – من الحديث عن الأدب شعرا ونثرا .

وانتهينا من تحديد موقف الاسلام من الأصنام تقام ، ومن التماثيل تنصب فى الميادين العامة أو فى غيرها .

وقلنا فى نهاية المقال الأخير ما يلى :

« بقى بعد ذلك أهم جانب من الوجهة العلمية البحته – نحب أن نتحدث عنه ، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام ، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية ، وفى جوازات السفر ، والصور الخاصة بالذكريات وصور الأبناء للآباء ، أو صور الآباء للأبناء » .

وانى أتحدث الآن عن هذا الموضوع وأنا أعلم أنه مثار نزاع

حاد ، يهدأ شيئا فشيئا على توالى الأيام ، ولكن هدوءه لا يرجع الى اقتناع المانعين بل الى طغيان الموجة وقصورهم عن مقاومتها .

ونحن لا ننظر - فى اعلان رأينا - الى وضع قائم ، أو الى طغيان العوج ، أو الى حاجات فى المجتمع تقتضى التحليل ، وانما نرجع فى رأينا الى الوثائق والى آراء أسلافنا وقد اختلفوا هم الآخرون اختلافا كثيرا محللين أو محرمين ، ونحن نبدأ بحديث صحيح رواه الامام « البخارى » فى صحيحه ، قال :

حدثنا قتيبة حدثنا « الليث » عن « بكير » عن « يسر بن سعيد » عن « زيد بن خالد » عن « أبى طلحة » صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه صورة » قال يسر ثم اشتكى « زيد » فعدناه ، فاذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت « لعبيد الله الخولانى » ربيب « ميمونة » زوج النبى صلى الله عليه وسلم :

ألم يخبرنا « زيد » عن الصور يوم الأول ؟ فقال « عبيد الله » : ألم تسمعه حين قال : الا رقما فى ثوب ؟ وقال « ابن وهب : أخبرنا عمر وهو ابن الحارث » حدثه « بكير » ، حدثه « يسر » ، حدثه « زيد » حدثه « أبو طلحة » عن النبى صلى الله عليه وسلم :

وهذا الحديث الشريف هوالأساس الذى يقوم عليه رأينا ، ويقول الامام النووى :

« وذهب بعض السلف الى أن الممنوع ماكان له ظل ، وأماما لاظل له فلا بأس باتخاذه مطلقا ثم يعقب الامام النووى على ذلك بقوله :

« وهو مذهب باطل »

ولكن الامام « ابن حجر » صاحب فتح البارى يعقب على ذلك قائلا عن مذهب « بعض السلف » هذا :

« المذهب المذكور نقله » « ابن ابى شيبة » عن « القاسم بن محمد » بسند صحيح ولفظه :

عن « ابن عون » : قال دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت

فى بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء .

ففى اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر، اذ يحتمل أنه تمسك فى ذلك بعموم قوله « الا رقما فى ثوب » فانه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة تعليق الستر المذكور مركبا من كونه مصورا ، ومن كونه ساترا للجدار ، ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه عند مسلم فأخرج من طريق « سعيد بن يسار » عن زيد بن خالد « الجهنى » قال : دخلت على « عائشة » فذكر نحو حديث الباب ، لكن قال : فجذبه حتى هتكه وقال :

« ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ، قال فقطعنا منه وسادتين « الحديث » » .

فهذا يدل على أنه كره ستر الجدار بالثوب المصور ، فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذى لا يستر به الجدار .

« والقاسم بن محمد » أحد فقهاء المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذى روى حديث النمرقة ، فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل الحجلة ما استجاز استعمالها اهـ .

ويقول الامام ابن حجر :

وقد أخرج « ابن أبى شيبة » من طريق « أيوب » عن « عكرمة » قال : كانوا يقولون فى التصاوير فى البسط والوسائد التى توطأ ذل لها .

ومن طريق « عاصم » عن «عكرمة» قال : كانوا يكرهون ما نصب على التماثيل نصبا ، ولا يرون بأسا بما وطئته الأقدام .

ومن طريق « ابن سيرين » « وسالم بن عبد الله » « وعكرمة بن خالد » ، « وسعيد بن جبير » فراقهم أنهم قالوا : لا بأس بالصورة اذا كانت توطأ .

ومن طريق عروة أنه كان يتكىء على المرافق فيها التماثيل : الطير ، والرجال .

ويخلص الامام « أبو بكر بن العربى » المذاهب فى التصوير فيقول:

« حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع،

وان كانت رقما فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقا على ظاهر قوله في حديث الباب « الا رقما في ثوب » .

الثاني : المنع مطلقا حتى الرقم .

الثالث : ان كانت الصورة باقية على الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز .

قال : وهذا هو الأصح .

الرابع : ان كان مما يمتهن جاز وان كان معلقا لم يجز .

ولقد حمل « أبو على الفارسى » لفظ المصورين في الأحاديث التى تتحدث عن عذابهم على « المشبهة »

وقال : انهم المراد بقوله : « المصورون » أى الذين يعتقدون أن لله صورة كما يقول ، ويقول « أبو محمد الجوينى » !

« ان نسج الصورة في الثوب لا يمتنع ، لأنه قد يلبس » .

وقال البعض : ان التصوير على الأرض ونحوها جائز .

وبعد . فان الآراء في هذا النوع من الفن لم تجمع على الحل ولا على التحريم .

ونحن نميل الى الحل مستندين الى الحديث الشريف ومتناسقين مع كل الآراء التى ذهبت الى الحل واننا مطمئنون كل الاطمئنان الى ماذهبنا اليه على الرغم من أن كثيرين يخالفوننا في الرأى ، وكل مجتهد مخلص مأجور .

ولقد كتبت مجلة المسلم نقلا عن كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ « محمد كرد على » ، ما يلى .

« أقر الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النقود التى كان يستخدمها العرب في الجاهلية ، وكانت ترد من الممالك المجاورة وهى مصورة .

وضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكلها .

وضرب « معاوية » دنانير عليها تمثال متقلد سيفا .

واستعمل « زيد بن خالد » سترا فيه صور .

وكانت المنسوجات اليمنية فيها تصاوير •

وصنعت الصور فى دارى « مروان ابن الحكم » وسعيد بن العاص » •

وهكذا لم يحرم الاسلام صناعة نافعة فى كثير من العلوم والفنون اهـ •

لعله أصبح واضحا الآن موقف الاسلام من :

١ ـ الفن من زاوية الشعر •

٢ ـ الفن من زاوية النثر الأدبى

٣ ـ الفن من زاوية التصوير « الفوتوغرافى » والتصوير بالرسم •

٤ ـ الفن من زاوية الأصنام والتماثيل •

ولعله من المستحسن أن نذكر رأى « أفلاطون » فى موضوع الفن ونذكر رأى أفلاطون بالذات لأنه كان فنانا وأقصد بذلك أنه كان أديبا ممتازا فى أسلوبه الرائع الجميل •

وكان أديبا ممتازا فى هذه القصص التى كان ينشرها هنا وهناك ، ويعبر بها عن أدق مسائل الفلسفة فى صورة حوار أو فى صورة سردية •

لقد كان « أفلاطون » ـ فى عرف جميع الذين أرخوا له ـ أديبا من الطراز الأول •

وكان فيلسوفا ، وكثير من مؤرخيه وضعوه على رأس الفلسفة ويسمونه « أفلاطون » الخالد ويسمونه « أفلاطون » الالهى ، ويفضله كثيرون على « أرسطو » •

انه فنان يبدى رأيه فى الفن •

وهو فيلسوف يزن رأيه فى الفن بميزان دقيق •

ولكنه حين يبدى رأيه فى الفن لا يبديه كأديب فقط ، ولا كفيلسوف فحسب ، وانما يبديه كأديب وكفيلسوف ، ويبديه أيضا كمصلح اجتماعى له رأيه فى المجتمع المثالى ، وكيف يتحقق •

ومن أجل كل ذلك كان رأى « أفلاطون » له وزنه ، وبخاصة لأنه لايتحدث باعتباره ممثلا للدين ، أو عالما من علمائه ، يتحدث

« أفلاطون » عن الجمهورية المثالية ، ويتحدث عن الطبقات التى تتكون منها الجمهورية ، وعما ينبغى أن تكون عليه كل طبقة .

وعند حديثه عن الطبقة الفضية وهى طبقة الجند : تعرض بصورة خاصة ، وبصورة عامة الى الواجب فيما يتعلق بموضوع الفن ، وبدأ بالشعر ، وبدأ فى الحديث عن الشعر بما يجب أن يسمح به من الشعر ومما نحب أن يتنبه اليه القارىء فى تأمل رأيه فى الشاعر اليونانى «هومير» وفى الشاعر اليونانى « هزبور » وفى قصة الالياذة ، وفى قصة الأوديسا .

وذلك أن من أدبائنا من رفع شأن هؤلاء رفعة لا تكاد تضارعها رفعة أديب آخر ، وأشاد بالشاعرين وبالقصتين اشادة بالغة ، فى مقابلة ذلك نذكر رأى مواطنهما « أفلاطون » ، اذ يتحدث عن ثقافة الجندى .

وكان مما قال فى ذلك (١) .

يجب على الذين يتولون بناء المجتمع المنشود أن يميزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربى فيفصلوهم طائفة مستقلة ويتعهدوهم بالتربية ، عليهم أن يرتبوا لهم رياضة بدنية تنشئهم أصحاء أقوياء وعليهم أن يغذوا نفوسهم بالآداب والفنون فتكون التربية واحدة للجميع الى حوالى الثامنة عشرة وتكون سهلة لذيذة ؛ لأن الاكراه لايكون للرجال الأحرار .

وتكون فاضلة : تبدأ بالقصص الجدية البريئة الحاثة على الخير ، وتستبعد منها قصص «هوميروس » ، « وهزيود » ومن نحا نحوهم من الشعراء . فانها مرذولة من حيث المادة ، ومن حيث الصورة .

أما من حيث المادة فقد سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أخبار الخصومات وقبيح الأفعال ، وبما لا تفتأ تردده من أن الرجل

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية .

العادل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الأخرى ، مما يوهن العزيمة ويقعد عن الجهاد فى سبيل الوطن .

وأما من حيث الصورة فان الفن يقوم بالمحاكاة ، ويخلق المحاكاة ، والشعر بألفاظه وأوزانه يحاكى كل شيء القوى الطبيعية والحيوانات والبشرية ، والنزعات الرفيعة والشهوات الدنيئة ، فيبعث فى النفس مثل ما يصف من العواطف والأفعال والمحاكاة المتصلة تصير عادة ، فتلقين الحراس القصص القديمة يفسد طبيعتهم فنحن مع اعجابنا بمحاسن هذا الشعر ، ننعته بأنه معلم وهم ، ونعمد الى صاحبه فنضع اكليلا على رأسه ونشيعه الى حدود المدينة فننفيه منها ونحن نترنم بمديحه ولا نستبقى غير الشاعر عف اللسان سديد الرأى هادىء النسق ، يحاكى الخير ليس الا .

وينتقل أفلاطون « من الهوميرى » الى الفن بالاجمال ويتحامل عليه ويتعسف فى نقده فهو لا يرى الفن شيئا أول له قيمة فى ذاته ولكنه يضعه فى المرتبة الثالثة بعد المثال أو الوجود الحق ، وبعد صورته المحسوسة المتحققة فى الطبيعة ، فان الفن يحاكى الوجود الطبيعى ، وهذا الوجود يحاكى المثال ، فالفن صورة الصورة وشبح الشبح : يصنع النجار السرير محاكيا مثال السرير ،ويصور المصور سرير النجار فهو ليس حاصلا على العلم الحق الذى موضوعه المثال أو الشيء بالذات ولا على الظن الصادق ، وانما هو جاهل مخادع يأخذ على نفسه محاكاة الأشياء الطبيعية فيبرزها مشوهة فى غير نسبها الحقيقى من حيث المقدار والشكل .ولكنه لا يخدع الا عن بعد ، ولا يخدع الا الجهلاء ،كذلك قال فى الشاعر ، فانه لو كان يعلم حقا ما يتظاهر بعلمه ، لكان يعمل بدل أن يقول ، لكان يقود الجيوش أو يشرع القوانين ، « وهو ميروس » لم يفعل شيئا من ذلك ، ولكان يؤثر أن يحيا حياة مجيدة ، « وهوميروس »

ارتضى لنفسه أن يكون قصاصا للحياة المجيدة وراوية •

فالفن بالاجمال أداة ايهام وتخييل، والشعر دجل كالتصوير ، اذا نزع عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحبا فقيرا ، يستطيب وصف العواطف ، وهى متقلبة متنوعة، ولا يجد له موضوعا فى العقل الثابت الهادىء ، فيهيج العواطف ، ويشل العقل ، مثله مثل طاغية يقلد السلطة للأشرار ويضطهد الأخيار ، فانه يوحى بالعطف على أفعال وانفعالات رديئة ويضعف اشرافنا على الجزء الشهوى من النفس ، فيحرك فينا البكاء تارة ، والضحك طورا،ويدفعنا ونحن نشهد التمثيل الى استحسان ماننكره فى الحياة الحقيقة والى التصفيق لما نغضب له فى الواقع •

« والتراجيديون » لا يرمون لغير احراز اعجاب الجمهور ، والجمهور لا يميل الى الأشخاص الحكماء المرزنين ، بل يطلب أشخاصا شهويين متقلبين تملأتقلباتهم وشهواتهم القصة ، فيلهو بها ويميل معها الى كل جانب •

-وأما « الكوميديا » فهى رديئة بالذات ، تضحك من اخواننا فى الانسانية ، وتنمى حاجة المزاح والسخرية •

واذن فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن ، وجميع الفنانين من شعراء ومغنين وممثلين ومصورين وغيرهم ، فيخلق بيئة كلها جمال سليم رزين ، وينشىء مواطنين كاملين يتوجهون الى الفضائل عفوا ، ويصون نفوسهم من كل خدش ، اذ ليست الغاية من الفن توفير اللذة ، بل التهذيب والتطهير •

هذا هو رأى « أفلاطون » وهو رأى يشبه فى كثير من جوانبه الرأى الاسلامى ، بيد أن الرأى الاسلامى يمتاز بالدقة والاتزان ، والبعد عن جو الأساطير •

دكتور عبد الحليم محمود

ميلاد عالم جديد

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

اذا تساءلنا ما هو اليوم ــ من أيام التاريخ ــ الذى يستحق من الانسانية أعظم تقدير واجلال ويستحق أن يذكر فلا ينسى ويستحق أن يعتبر اليوم الخالد والخط الفاصل فى أدوار التاريخ ، وبين عهد وعهد ، بل بين عالم وعالم ؟

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى تشترك فى اجلاله والاحتفال به وابداء السرور فيه الانسانية على اختلاف طبقاتها واختلاف أممها وشعوبها ، واختلاف نزعاتها وفلسفاتها لأنها سعدت فيه بعد شقاء طويل ونهضت فيه بعد عثرة دامت قرونا .

واذا تساءلنا ماهو اليوم الذى يعتبر ميلاد العالم الجديد وفاتحة العهد السعيد ، ورمز انتصار الفضيلة على الرذيلة ، وقوى الخير على قوى الشر ، والعدل والمساواة ، والرحمة والمواساة على الشقاوة والقساوة ، والهمجية والضراوة ، وانتصار الحياة المنظمة والشريعة الكاملة على شريعة الغابات وقانون العصابات وبالاختصار انتصار العلم والايمان على الجاهلية بأوسع معانيها انتصارا خالدا ..

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى ولدت فيه قوة جديدة نشيطة لمكافحة الشر وصد تيار الفساد لتكوين المجتمع الجديد القائم على الايمان والعمل الصالح والتقوى وخدمة الانسانية ، مؤلفة من أفضل رجال « أقل الناس تكلفا وأبرهم قلوبا وأعمقهم (١) علما » . يغامرون

(١) من كلام سيدنا عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الصحابة .

بحياتهم وامكانياتهم وما هم فيه من رفاهية وسعة عيش وهناء بال فى سبيل سعادة المجموع البشرى ، واخراجه من ظلمات العصر القديم الى نور العصر الجديد ، ومن عبادة الناس جميعا الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها،ويتحملون فى سبيله كل غائلة وخسارة وكل تطور وانقلاب ، لا يثنيهم عن ذلك عداء أو خلاف ، ولا يحملهم على عكس ذلك وداد أو صداقة « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (١) .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى ولدت فيه الأمة العربية ولادة جديدة بل ولدت فيه لأول مرة وظهرت على مسرح التاريخ أول مرة ، واستحقت أن تسمى « الأمة » أول مرة فقد عاشت قبل ذلك قبائل متشتتة ، وعصابات متناحرة ، وسيادات متحاربة ، وشعبا يعيش على حاشية الأمم وفى عزلة عن العالم ، لا شأن له فى مجارى الأمور أو مصير الأمم ، وسياسة الدول ومناهج الحياة وأخلاق المجتمعات ، واتجاه الانسانية وميولها ، ولا سهم له فى المكتبة العالمية ، غير قصائد قيلت فى حوادث محلية وأغراض تافهة تجلت فيها عبقريته اللغوية ، وحريته الفردية ، وقوته فى التعبير وسعة لغته ، يقولها فتنتشر فى باديته وحواضره ، وتبلغ أوج التقدير والاحترام، فتعلق فى الكعبة من غير أن يطلع عليها الأدباء والمثقفون فى خارج الجزيرة العربية أو تنقل الى لغات العالم المتمدن ، ويعرف هذا الشعب بصدق لهجته وقوة عارضته وجودة خياله وشغفه بالحرية والمساواة والبساطة والتقشف فى الحياة ، وشدة القتال فى الحروب وحسن الثبات ، والمحافظة على الأنساب ، أفضل أخلاق وسجايا ومواهب يعرف بها شعب من الشعوب البادية فاذا بهذا الشعب المنطوى على نفسه القابع

---

(٢) سورة المائدة الآية ٥٤ .

في بطون جزيرته ، يصبح أمة تقرر مصير الأمم ، وتغير اتجاه العالم وتفرض على المجتمع الانساني مدنيتها المقتبسة من الدين الجديد المتشبعة بروح التقوى والأمانة وتصبح لغتها المحصورة في جزيرتها لغة العالم الجديد المقدسة يحرص على دراستها واتقانها والتفنن في علومها وآدابها كبار الأذكياء في العالم ، وتصبح معرفتها والتفقه فيها واجبا من واجبات الدين وشعارا من شعائر المتدينين ، لا يبلغ بغيرها رجل الى ذروة الشرف ، ولا يقلد منصبا من المناصب في القضاء والفتوى والتعليم .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى تجدد فيه الأمل في الانسانية ومستقبلها ، وغلب التفاؤل على التشاؤم المؤسس على المآسى والمهازل ، التى قام بها الانسان في كل بقعة من بقاع البسيطة وفي كل أمة من الأمم والمؤسس على سخافة الانسان في العقل والعقيدة والعمل ، ومحاولته لتدمير المدينة وعبادة الانسانية حتى يئس الانسان نفسه من مستقبله ، وحرم نفسه حق البقاء وجدارة الحياة ، واستحق العقوبة العاجلة وانقراض الجيل الانساني ، ولكن بطلوع فجر هذا اليوم استحق أن يفسح في أجله ، ويمد في حياته ، ويعتمد عليه ، في بناء المجتمع الجديد ، وفي احياء ما اندرس من الفضائل والمعاني السامية ، وفي اعادة كرامة الانسان الى الانسان ، وفي الأخذ على يد الظالم والانتصار للمظلوم ، وفي الحياة الجديدة التى تليق بشرفه وتتفق مع غاية خلقه ، ومع أهداف هذا الكون ، وكان هذا اليوم تمديدا لحياة الانسان على هذا الكوكب ، وفرصة جديدة له في البقاء والازدهار ، يدين لهذه المنة كل من ولد بعد هذا اليوم . وكل من عاش في العصر الذى يليه .

كان الجواب من غير نزاع ومن غير تردد ، هو اليوم الذى ولد فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

انه هو اليوم الذى وجدت فيه الانسانية الايمان الذى فقدته وأفلست

فيه من مدة طويلة الايمان بفاطر هذا الكون ووحدانيته ، والايمان بمصيرها وبالبعث بعد الموت بعد ما يئست من مستقبلها وتهالكت على هذه الحياة وعبادة الشهوات ، والايمان بسلسلة الرسل وهداة السبل ، بعد ما تسلط عليها الدجالون المحترفون ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والايمان بقيمة الانسان وكرامته بعد ما أنكرتها وثارت عليها وامتهنتها أمام الأحجار والأشجار ، والحيوانات والأنهار والملوك والأمراء والأغنياء والأقوياء ، فأصبحت تؤمن بأن الدنيا خلقت لها وانها خلقت لله ، وأن لافضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى الا بالتقوى كل بنى آدم من آدم وآدم من تراب ، وأصبحت تؤمن بالحقوق والواجبات ، فلكل حق وعليه واجب وليكن رفيقا فى المطالبة بحقه مقتصدا فى التمتع به ، قويا نشيطا فى أداء واجبه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » والنساء شقائق الرجال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، الى آخر ذلك من التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة ، التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وبفضلها وجد المجتمع الرشيد السعيد الفاضل الكامل الذى لايوجد له نظير فى التاريخ وعلى أساسها يقوم هذا المجتمع فى كل عصر ومصر وفى كل زمان ومكان .

ولم يكن هذا اليوم ظهورا لهذه المبادىء وتعريفا بهذه التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة ، فقد كان ذلك مرارا فى فترات مختلفة من الزمان – وان لم تكن فى هذا الطور الكامل – وكانت صيحات ترتفع حينا بعد حين ثم تغيب فى دياجير الظلام ويبتلعها المجتمع الفاسد ، لأنه ليس وراءها فرد يجازف لأجل ذلك بحياته وأسرته وكل ما يتمتع به من شرف ومركز ومتعة ، ولم يكن وراءها جماعة تراهن فى سبيل ذلك بكل ما تملكه من حاضر أو تؤمل فيه من مستقبل ، ولكن البعثة المحمدية كانت مقرونة ببعثة أمة جديدة ، أمة تعيش لهذه الدعوة المقدسة وتعيش على هذا الجهاد المقدس ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١) أمة تهب نفسها لهذه الدعوة وتربط حياتها بحياتها .

ويتزعم هذه الأمة الجديدة الخالدة - التى نيطت بها هذه الدعوة - العرب الذين آمنوا بصاحب هذه الرسالة الجديدة بصدق واخلاص ، ووضعوا أيديهم فى يده وحكموه فى نفوسهم وأموالهم وأملاكهم وأخضعوا له رغباتهم وارادتهم ، فكانوا أصحابه الأولين وجند الله المنصورين وحملة هذه الدعوة وأمناءها ورسلها وأصحاب النصيب الأوفر فى فقهها ووعيها ، والاستماتة فى سبيلها وتحمل الخسائر والنكبات لأجلها ، حتى ارتبط مستقبل هذه الدعوة بمستقبلهم ، وبقاؤها ببقائهم حتى استطاع الرسول وساغ له أن يقول فى ساحة بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد » (٢) .

ومكن الله لهؤلاء العرب فى الأرض وأعزهم بعد الذل وأغناهم بعد الفقر ، وقواهم بعد الضعف ، ووحدهم بعد الفرقة وأسبغ على لغتهم المحصورة فى جزيرتهم القدسية الدينية ، وكتب لها الانتشار فى العالم ، وغرس حبها فى القلوب حتى امحت أمامها كثير من اللغات ، وكانت لغة الشرق الأوسط الوحيدة ، ونطق بها بنو آدم من ضفاف دجلة الى الجبل الأطلس ، وأصبحت لغة الدين والعلم والتأليف فى العالم الاسلامى الجديد الفسيح ومنح العرب مركزا سيبقى معهم على رغم الحركات الشعوبية فى العالم الاسلامى ، والقوميات المتطرفة ما داموا متدينين بدين الاسلام مؤمنين بتعاليمه ، عاملين بفرائضه ، عارفين بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فضله ومنته ، مصدقين بأنه هو الذى نال به الانسان الكرامة ونال به العرب الشرف والزعامة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام غزوة بدر .

هذا هو العالم الجديد الذى يعيش فيـه النـاس ويغتبطون به ويتمتعون فيـه بالحرية والمساواة ، وكثير من الحقوق التى كانت مهضومة مهجورة فى العالم القديم ، وتتقدم فيه المدنية الى الأمام وهذا هو العالم الذى يعيش فيه العرب متمتعين بمركز جديد ، وبحياة جـديدة وبلاد لا صلة لهم بها الا عن طريق الاسلام وطريق محمد عليه السـلام ولا عهـد لهم بها الا بعد البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية .

ولا نشعر فى غالب الأحيـان أن مصدر هذا الانقلاب ومصـدر هـذه السعادة التى نتمتع بهـا جميعـا هو هذا الحادث السعيد الذى حدث فى هذا اليوم ، ولادة محمـد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خاتم الرسل وامام الكل ومنير السبل .

ان ذلك اليوم ، هو اليـوم الذى يحق أن تنشـد فيـه الانسانيـة فى اعتزاز واهتزاز وبلاغة وايجاز :

ولد الهـدى فالـكائنات ضـيـاء
وفـم الزمان تبسـم وثنـاء (١)

ابو الحسن النـدوى

---

(١) حديث أذاعته محطة دلهى الهند بمناسبة شهر ربيع الأول .

قال بعض الحكماء :

لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ، ولا المروءة فتشمت بك الأعداء . قال الشاعر :

من فارق الصبر والمروه   أمكن من نفسـه عـدوه

دراسات قرآنية :

نبي الهدى ومنقذ البشرية

للأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

سورة الأنبياء — الآية ١٠٧

فى صبيحة اليوم الأغر – الثانى عشر من ربيع الأول – ومن مشرق السنا والجلال ، أشرق جبين المصطفى الهادى على الربا والبطاح ، ليطوى بنور هداه ظلمات الوثنية والجهالة ، ويكشف للناس آفاق العلم والعرفان ، ويرشدهم الى مناهج الخير ومسالك السعادة فى الدنيا والآخرة ، ورحم الله العباس ابن عبد المطلب اذ يقول :

وأنت لما ولدت أشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو
ر وسبل الرشاد نخترق

وكان ميلاده الشريف بعد حادثة الفيل بخمسين يوما ، تلك الحادثة التى جعلها الله ارهاصا لنبوته ، وتكريما لقبلته ، حيث أرسل على غزاتها « طيرا أبابيل• ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول » •

طيب منبته صلى الله عليه وسلم

كان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب ، عظيم النسب ، جليل الأرومة ، طاهر الأصول ، اذ تبرأ نسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد آخر مثل آياته الغر الميامين ، فى عوالى الهمم ومحاسن الشيم ، روى الامام على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن

ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شىء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر بقرب مولد رسول من بنى اسماعيل ، موطنه وادى فاران بمكة ، وقد ذكرت علاماته التى يتميز بها ، وفى جملتها أن بين كتفيه خاتم النبوة ، وكان اليهود يتوقعون ظهوره فى الفترة التى ولد فيها ، فقد كانوا يعرفون حساب النجوم ، وقد ظهر لهم من حسابهم أنه يولد فى ليلة معينة :

روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه قال : (كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام ، وكان يقول : يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ، فكان لا يولد مولود الا ويسأل عنه ، فلما كانت صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فناداه فأشرف عليه ، فقال عيصا : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين ، ثم قال : فما سميته ؟ قال محمد ، قال : والله لقد كنت أشتهى أن يكون ذلك المولود فيكم يا أهل هذا البيت بثلاث خصال ، أنه طلع نجمه البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كان بمكة يهودى يتجر

فيها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش • هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لا نعلمه ، قال : ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس ، فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه ، فقالوا اخرجى لنا ابنك ، فأخرجته ، وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشيا عليه،فلما أفاق قالوا : مالك ويلك ؟ قال : ذهبت النبوة من بنى اسرائيل) أخرجه الحاكم •

وهذه العلامة التى تحدث عنها اليهودى هى خاتم النبوة الذى بين كتفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده أن هذا الخاتم كان كزر الحجلة ، وأنه كان ينم مسكا ، أى تخرج منه رائحة مسك بقدرة الله تعالى •

العالم قبل مولده الشريف

كان الناس قبل مولده صلى الله عليه وسلم يتخبطون فى الظلام ، ويعيشون فى الأوهام ، ويقضمون الضريع والزقوم ، ويحيون حياة الدواب والسوائم ، وكانت الأوثان تقدس فى المعابد والبيوت وتقدم لها القرابين ، وتراق فى مذابحها النسائك ، وانك لتعجب أن يصنع الناس آلهتهم بأيديهم ، ثم يخروا لها ساجدين ، فكيف استساغوا أن يعبدوا ما صنعته أيديهم ، والآلة يخلق غيره ولا يخلقه سواه •

انك لتعجب أن يتضرعوا اليها حين شح الأمطار ، راجين منها أن تجعل المزن تروى وديانهم ، حتى ينبت الكلأ وترعى الماشية ويشربوا من عذب مياهها •

وانك لتدهش أن يستنصروها فى الحروب ، ويستشفوا بها اذا سقمهم السقام ، ويسترزقوا بدعائها ان ضاق بهم الرزق– مع انها عودتهم ألا تجيب لهم مطلبا ، ولا تحقق لهم أملا وصدق الله تعالى اذ يقول : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» ويقول :«قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » •

لقد كان عابدوها يقيمون بأنفسهم الحجة على ضعفها ، فانهم كانوا يتركونها ويدعون القادر العليم اذا اشتدت عليهم المحن ، لشعورهم بعجزها عن تلبية دعائهم ، لكنهم كانوا يعودون الى تقديسها بعدأن يكشف الله ضرهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة النحل : « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » ويقول فى سورة الاسراء « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً» وكانت الخمر أم الكبائر شرابهم المفضل ، يدفنون فى سكرتها همومهم ، ويبررون بها عبثهم ونزقهم ، وينشرون فى نشوتها هذرهم ومجونهم ، وما فطنوا الى أنهم حين يعاقرونها يفتكون بعقولهم ويحطمون ارادتهم ، ويقضون على كبودهم وأعصابهم ، وينفقون أموالهم فى ضررهم •

وكانت الدعارة فاشية بينهم ، وبخاصة امائهم ، وكانوا يقيمون لهم خياما خارج دورهم يغشاهن فيها آثموهم ، وما كانوا يرون عيبا فى أن يجعلوا أعراضهن مرتزقا لهم •

ولما أرادت قريش جمع المال لبناء الكعبة ، طلب رؤساؤهم أن لا يكون مال حصل عليه من يقدمه من اثم بغى — راجع حديث عائشة فى كتاب النكاح من البخارى ، فقد تحدثت فيه عن أنكحة الجاهلية ومآثمهم فيها •

وكانت المظالم منتشرة ، فالقوى يستعبد الضعيف ويسخره ، ويتخذ منه دابة ذلولا ، فلا يرعى فيه انسانية ، ولا تسترحمه به شفقة •

وكانت الحرب سجالا بين القبائل فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان يسيطر على العالم أمتان — الفرس والرومان — يتنازعان فيه على السيطرة والسلطان ، ويتنافسان فى الظلم والطغيان •

وكانت السجايا الكريمة كاسدة البضاعة ، والأخلاق الذميمة رائجة بين الناس — الى غير ذلك من المفاسد

فكان من الحكم البالغة أن يبعث الله خاتم النبيين ليقضى على تلك المفاسد وينشر الهدى بين الناس ، حتى يذروا ما هم عليه من الانحلال والانحراف فى العقيدة والسلوك .

نشاة الرسول صلى الله عليه وسلم

ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم يتيما ، فقد مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، ثم فقد أمه وسنه خمس سنين وذلك حين عادت به من زيارة أخوال أبيه من بنى عدى بن النجار فلحقتها منيتها بالأبواء وهى فى طريقها الى مكة ، روى الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع ، له خمس سنين عند رأسها ،فنظرت الى وجهه وقالت أبياتشعر ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا) الخ .

وقد نشأ صلى الله عليه وسلم فى كفالة جده عبد المطلب زعيم قريش منذ ولد ، ثم لم يلبث أن توفى وكانت سنه حين مات جده ثمانى سنين ، فكفله عمه أبو طالب الذى آلت اليه زعامة قريش .

ومع هذا اليتم المتتابع فقد نشأ صلى الله عليه وسلم بعيد الهمة عزوفا عن صغائر الأمور ، سامى النفس رصين التصرف رفيع الخلق ، بعيدا عن صغار الأطفال وسذاجة تصرفهم ، ولاعجب فى ذلك فقد نشأ فى مدرسة الرحمن الرحيم ، تصنعه العناية الالهية ليكونخاتمالمرسلين ، وقد كانتآثار هذه العناية بادية عليه فى أمره كله ، ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : (قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش يا أبا طالب : أقحط الوادى وأجدب العيال ، فهلم فاستسق ، فخرج أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ الغلام بأصبعه وما فى السماء قزعة (١) فأقبل السحاب من هاهنا

---

(١) أى قطعة من السحاب ، وهى واحدة القزع .

وها هنا ، وأغدق وأغدودق ، وانفجر له الوادى ، وأخصب النادى والبادى)
وفى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة الأرامل (١)

ثم سافر الى الشام مع أبى طالب مرتين : احداهما فى الثانية عشرة من عمره ، والثانية فى الثامنة عشرة وقد حدثت له ارهاصات وكرامات عجيبة فى الرحلتين ، كتظليله وحده بالغمام لا يشركه فيه غيره من الركب ، وتسليم الجمادات عليه ، وغير ذلك ، ولما رآه بحيرا الراهب احتضنه وقال: هذا هو النبى الذى بشرت به التوراة، وأوصى عمه أن يحافظ عليه من اليهود .

وقد تجلى من صفاته فى نشأته الصدق والأمانة ورجاحة العقل ، حتى عرف بذلك بين الناس ، فأصبحوا يلقبونه بالأمين ، فعهدت اليه خديجة بتجارة لها فى رحلة الى الشام ، فسافر ومعه غلامها ميسرة ، فرأى منه فى تلك الرحلة من كريم الشمائل وعظيم الخوارق مالم يشاهد مثله ، فلما عادا بالتجارة الرابحة أخبر ميسرة مولاته خديجة بما رآه من عجائبه ، فخطبته الى نفسها وتزوجته ، وأنجب منها أولاده عدا ابراهيم فمن مارية القبطية .

موقف قريش من بعثته

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربعين بعثه الله للناس بشيرا ونذيرا ، ومع أن قريشاً يعرفون تاريخه المجيد فانهم أعرضوا عما دعاهم اليه من توحيد الله وشريعته وأغروا به سفهاءهم ، حسدا له ، واستمساكا بما ألفوه من عبادة الأوثان تقليدا للآباء دون حجة ولا برهان ، وكانوا يقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الرشد والهدى

---

(١) الثمال بمعنى الملجأ ، والمراد بالأرامل المساكين من رجال ونساء ، واكثر ما يطلق على النساء ، وعصمته للأرامل منعه لهم من الضياع .

ثلاثة عشر عاما ،فلم يؤمن به فيها سوى عدد قليل من الرجال والنساء ، ولعل موقفهم هذا من حكم الله تعالى ، فانهم لو سارعوا الى الايمان به لقال العرب : هؤلاء قوم أرادوا أن يملكوا العرب ، فدفعوا رجلا منهم فادعى النبوة ، ليكون ذلك وسيلة الى سيطرتهم على الناس،وحينئذ ينفرون من دعوته ولا يقبلون عليها .

فلذلك جعل الله موقف قومه منه سلبيا ، وادخر له قوما يقتدونه بالمهج والأرواح ـ وهم أهل المدينة ، فهيأ لقاءهم به فى مواسم الحج قبيل الهجرة فشرح الله صدورهم فآمنوا فى شغف ولهفة ، وبايعوا الرسول على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم ، ثم هاجر اليهم وتبعه مسلمو مكة ، وهناك وجدوا أنصار المدينة قد نشروا الاسلام فى ربوع المدينة بمعاونة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم مبعوثى الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ، وهناك آخى النبى بينهم وبين المهاجرين ، فصنعت هذه المؤاخاة العجب العجاب من نشر دين الله فى الجزيرة العربية ، وسقوط دولة الوثنية فى مكة ، ودخول أهلها فى الاسلام والحمد لله رب العالمين .

يمن اليتيم ورحمته للعالمين

من حكم الله السامية أنه اختار خاتم النبيين يتيماً، ليشعر بآلام اليتامى النفسية ، ويعظم احساسه بحاجتهم الى العطف والرعاية ، ويسمو اكباره لفضل الوالدين ، فلذلك كان معنيا بأمر هؤلاء وأولئك بعد أن شرفه الله بالرسالة ، وقد أيده الله بوحيه فى هذه العواطف الرحيمة فأمعن فى الحث على العناية بهم ومن ذلك قوله فى شأن اليتامى « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » وقوله « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقوله « وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »ومن ذلك قوله فى شأن الوالدين « وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما

جنـاح الذل من الرحمـة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

وقد امتـد حنـانه الى كل فقـير وضعيف وحيوان ، وبلغ من رحمته بالفقراء أن جعـل أهل الحى الذى يبيتون فيه جياعا آثمين ، وبلـغ من عطفه على العامل الضعيف أن أوصى بأن يعطى أجره قبل أن يجف عرقه .

وبلغ من عنايته بالحيوان أنه قال : « فى كل ذى كبد حراء صدقة » وقال « دخلت امرأة النـار من أجل هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتهـا تأكل من خشـاش (١) الأرض » .

وقد اشتمل الكتاب الذى أنزله الله عليه ــ القرآن العظيم ــ على تشريعات فيهـا من التكافل الاجتماعى ما يعتبر مفخرة لدين الاسلام .

ومن حكم الله تعالى أنه اختـاره أميا ، ليكون العلم الذى حواه القرآن معجزته الكبرى ، وفى هـذا المعنى يقول الشاعر :

كفاك بالعـلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وما أعظم ما اشتمل عليه هـذا السجل الالهى من فنون العلم ، فهو فى القمة من الفصاحة والبلاغة ، وفى الذروة من الصدق فى أخبار الماضين الى جانب ما حواه بين دفتيه من أعدل قواعد التشريع وأعلى مناهج الأخلاق، وأسـمى أساليب التربية والتـأديب ، وكل ذلك أو بعضه لايستطيع أن يأتى به الجم الغفير ممن وصلوا الى أعلى الثقافات ، فكيف يستطيع أن يأتى به أمى نشـأ فى أمة جاهلـة غارقة فى الوثنية والتفاور والتناهب ، وغشيان المـآثم والمعايب ، ان ذلك يدل بلا أدنى ريب على أنه من وحى الله وليس من صـنع البشر ولا غـيرهم من الجن ، وصـدق الله تعـالى اذ يقـول : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثـل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» لقد نادى القرآن بتوحيد الخالق ، وأرشد العقول الى أنه «لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبين ضعف آلهتهم ، وصور ضعفهـا بما لا غاية وراءه ، حيث يقول « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعـوا له وان يسـلبهم

(١) خشـاش الأرض حشراتها .

الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، وهداهم الى المثل العليا من مكارم السلوك ونفرهم من المفاسد والمظالم بأوضح بيان ، وأجل ارشاد ، فأفاقت العقول من سكرتها ، وصحت من سباتها واتجهت نحـو العقيدة المستقيمة ، وتلاشى الشرك أو كاد .

وقد أجبر منطقه السديد أصحاب عقيدة التثليث على محاولة توحيـد ثالوثهم ، فزعموا أن الثلاثة اله واحد وما يغنيهم هذا فتيلا .

وحوى هـذا الكتاب العظيم من قواعد التشريع ما يصلح لكل اقليم ولـكل زمان ومـكان الى أن تقـوم السـاعة ، وقد اسـتطاع الفقهـاء أن يستنبطوا من نصوصه بمعونة السـنة النبوية ، موسوعات فى الفقه الاسلامى اشتملت على الكثير من فروع العبادات والمعـاملات ، والزواج والطلاق ، والعفو والعقاب وغير ذلك ، ولو أن فقهاء جيلنا درسـوا فقههم وفتاواهم وأقضيتهم ، لأخرجوا للنـاس قوانين تريح قلوبهم وتسـعدهم وتحـل مشكلاتهم ، وتخرس ألسنة الدعاة الى التجـديد والانحـراف عن الفقه الاسلامى ، فقد بلغت فتاوى كل امام مئـات الألوف ، ولـم يتركوا باباً الا طرقوه ، ولا مشكلة يمكن أن تطرأ على المجتمع الاسلامى الا حلوها .

ومن أمثـلة موسـوعاتهم كتـاب الحاوى للفقيه الشافعى الامام الماوردى وهو كتـاب مخطوط يقع فى نحو عشرين مجلدا ، وكذلك فعل الامام السيوطى وغيره من أئمة الفقه على اختلاف مذاهبهم .

ولقد فتح القرآن والسـنة أبواب العلم على اختلاف فروعه ، فانتشر فى البلاد التى شع فيها نور الاسلام العلم والحضـارة ، فعـز أهلهـا بعد ذل وعلموا بعد جهـل ، واجتمعوا بعد تفرق ، وآمنـوا بعد خوف ، وكل ذلك بفضـل رسالة هـذا الرسـول العظيم ، الذى تربى فى مدرسة الله وكلاءته ، فصلوات الله وسلامه عليك يا منقذ الانسانية من المهالك ويا من أرسلك ربك رحمة للعالمين .

مصطفى محمد الحديدى الطير

برناردشو

يكرم نبي الإسلام

للدكتور عبد الودود شلبي

(انني اعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم باجمعه لتم له النجاح فى حكمه ولقاده الى الخير ، وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة) .

برناردشو

لا نعد « برناردشو » كاتبا وفيلسوفا انجليزيا عظيما فحسب ، بل هو فى طليعة المفكرين والفلاسفة فى العالم أجمع .

ومن أخص خصائص هذا الفيلسوف الكبير أنه جرىء الى أبعد حد وصريح الى أبعد حدود الصراحة .. فاذا أبدى رأيا فى يوم من الأيام ، فهو رأى يؤمن به كل الايمان ويعتقد بصحته وصوابه الى حد كبير .

وفى أثناء سياحته فى بمباى بالهند كتب رسالة أوضح فيها رأيه فى صلاحية الدين المحمدى لجميع الأمم، فى كل زمان ومكان ... وشاد بفضل هذا الرسول وعظمته وعبقريته قائلا :

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته العظيمة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان .

ثم استطرد يقول :

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا فى الغد القريب ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم .

ولقد صور « أكليروس » فى القرون الوسطى الاسلامى بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهـل ، أو بسبب التعصب الذميم ، ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينـه ، وكانوا يعتبرونه خصـما للمسـيح ، ولقـد درسته باعتباره رجلا عظيما ، فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسـيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الانسانيـة ، وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حـل مشـكلاته بطريقة تجلب الى العـالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال « كارلايل » ، « جوت » ، « جيبون » القيمة الذاتية لدين محمد . وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوربا من الاسلام . ولكن أوربا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبـدأت تعشق عقيدة محمـد . وفى القرون القادمة قـد تذهب أوربا الى أبعد من ذلك ، فتعترف بفائدة هـذه العقيدة فى حل مشاكلهـا . بهـذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى » .

وفى الوقت الحـاضر دخل كثير من أبناء قومى من أهل أوربا فى دين محمد ، حتى ليمكن يقال ان تحول أوربا الى الاسلام قد بدأ) ..

هكذا وصف أكبر كاتب انجليزى الاسلام ونبيه الكريم .

هكذا شهد له أكبر فلاسفة أوربا .

لقد سجل « برنارد شو » كلماته هذه بعد بحث وتفكير وروية ، بعد أن عرف أن دين هذا النبى وضع لكل مشكلة اجتمـاعية واقتصـادية الحل المناسب لها الذى يصلح لكل زمان ومكان .

ولقد سجل هـذا الكاتب الـكبير كلماته بعد دراسة عميقة لقواعد هذا الدين وما فيه من آيات بينات ، ولولا أنه درس هذا الموضوع دراسة عميقة وافية لمـا قال :

« لقـد بدأت أوربا الآن تعشـق الاسلام ... ولن يمضى القرن الحادى والعشرون حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين به فى حل مشاكلها ...

لقد نظر « برنارد شو » الى العرب قبل الدعـوة المحمدية فوجدهم فى فسـاد وفوضى ووحشـية وهمجيـة

وحرب وقتال دائم ، يقتلون البنات وينظرون الى النساء نظرة احتقار وسخرية . ورآهم أشد الأمم تباهياً بالأنساب وتسامياً بالآباء ، فكانت كل قبيلة تزعم أنها الفريدة فى مفاخرها. وقد غلوا فى هذا الاتجاه حتى جعلوا لابلهم وخيولهم أنسابا يرفعونها بها على سائر الخيول والابل .... فما بالك بمن بعد عنهم من القبائل والشعوب واختلف معهم فى اللغة والتقاليد ، ثم نظر اليهم بعد دعوة هذا النبى الكريم ، فوجدهم خلقا جديدا ، لا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، ووجدهم فى تقدم ورقى وحضارة تمتد أطرافها فى الشرق والغرب ، ورأى كيف دانت لهم الممالك والأمصار فى سهولة ويسر .. وكيف رضيت به الشعوب على اختلاف أجناسها .. وكيف ازدهرت العلوم وانتعشت الفنون على أيديهم ورأى كيف أضحت المرأة انسانا محترما لها ما للرجال من احترام وحقوق .

لقد درس « برنارد شو » أمة محمد صلوات الله عليه فوجدها قائمة على الأصول الأدبية والمبادىء الأخلاقية، لا على الأمور المعيشية والمطالب المادية كما هو الحال فى المدنية الأوروبية ، فرأى بذلك أول أمة فى تاريخ العالم قامت على مبادىء سامية وأسس روحانية عالية .

لقد رآها أمة ديمقراطية بأوسع معانى الكلمة..رآها ديمقراطية لأنها لم تعترف بالفروق الطائفية والامتيازات الاوستقراطية ، رآها أمة لا تفرق بين ذكر وأنثى وبين سيد ومولى الا بالخير والعمل الصالح المنتج .. رآها أمة تؤمن بتكافؤ الفرص،وتفتح الباب أمام العاملين من كل بيئة وجنس ولون لكى ينال قصب السبق كل من سمت همته وعلت كفايته .

لقد درس « برنارد شو » أمة هذا النبى فوجدها دستورية ؛ لأن الحكومة قيدت فيها بكتاب آلهى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه أعظم صفات الأمم الدستورية . وقد حقق هذا الكتاب كل أغراض الحكومة الدستورية فجعل الحكم شوريا ، وحذف الامتيازات الفردية،والطائفية، والجنسية ، ومحا الفوارق فى الحقوق

والواجبات بين مختلف الطبقات ، وأخضع الجميع لمبادىء واحدة لا فرق بين حاكم ومحكوم ، وأبيض وأسود ، وذكر وأنثى ..

هذه هى الأمة التى قامت على الدعوة المحمدية .

ألا يحق «لبرنارد شو» أن يصف هذا النبى الكريم بأنه منقذ الانسانية ؟

ألا يحق له بعد هذا كله أن يقول:

« اننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم له النجاح فى حكمه ولقاده الى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة » .

* * *

درس « برنارد شو » الحياة الاسلامية وأدرك أنها قائمة على التكافل والتضامن والتعاون بين الأفراد والشعوب ، ورأى فى ذلك سر النجاح .

فالمرأة والرجل متكافلان فى الحياة الدنيا من نفس واحدة بعضهما من بعض يتمم كل واحد منهما الآخر وأساس الصلة بينهما المودة والرحمة والرجال أنصاف تتلمس أنصافها الأخرى فى مخادع النساء ومن تزوج فقد عصم نصف دينه وفى كل هذه المعانى يقول القرآن الكريم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وفى موضع آخر: « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .. « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ..

والغنى والفقير والعامل والممول متكافلون فى هذه الحياة يشد بعضهم أزر بعض ويتعاونون على البر والتقوى فللفقير حق معلوم فى مال الغنى . وفى ذلك تدعيم للمجتمع أولا والأسرة ثانيا والدولة ثالثا ، وأكبر الكبائر فى الاسلام أن يبيت الرجل شبعان وجاره جائع ، وأجر العامل حق مكفول ، ومن ظلمه أجره أو أخره عنه فقد أثم اثما عظيما ، وتعرض لعقاب الدنيا

وخزى الآخرة . وعلى الفقير والعامل أن يصدقا وينصحا ويؤديا عملهما كاملا فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

والحاكم والمحكوم متكافلان ، على الحاكم العدل والمساواة والرعاية ، وعلى المحكوم الطاعة والنصيحة والمعاونة .. « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

هكذا كان التكافل وحسن التعامل قوام الحياة الاجتماعية التى جاء بها الاسلام الحنيف . فماذا فعلت المطامع والأهواء والنظم الأرضية المادية التى طلعت بها أوربا على الناس يوم أن انتهت اليها قيادة البشرية ؟

بدلت نعمة الله كفرا وأحلت التنافر والتخاصم محل هذا التكافل والتعاون وفشلت فى تحقيق العدالة والاخاء والسلام على وجه الأرض .

ألايحق بعد هذا كله أن يسجل « برنارد شو » كلمته الخالدة وبقوله : « وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة والطمأنينة التى هو فى أشد الحاجة اليها » .

وهذه الصيحة التى أطلقها«برنارد شو » عن الاسلام ونبيه ، تتفق الى حد كبير مع خطبة « المستر كاين تلر » التى ألقاها فى حفل كبير جامع حيث قال :

« يمتد الدين الاسلامى الآن من مراكش الى انقرة ، ومن زنجبار الى الصين ، ويخطو فى داخل أفريقيا خطوات كبيرة وتعتنقه أمم كثيرة ، وقد خطا بنفسه وثبتت قدمه فى الكونغو التى صارت بلادا اسلامية بأجمعها (وخاصة البلاد السودانية وهى أشدها بأسا) . أما فى الهند فان التمدين الغربى الذى كان يهدم أركانالوثنية فانه يمهد الطريق للدين الاسلامى لاغير ، فأهل الهند البالغ قدرهم ٢٥٥ مليون نسمة ،

منهـم ٥٠ مليونا الآن مسـلمون ، وسـكان أفريقيـا بأجمعهم أكثر من النصف منهم مسلمون .

وهذا يدل على أن الاسـلام فى تزايد وانتشار .

ثم استطرد يقول :

لقد أفاد الاسلام التمدن أكثر من النصرانية ، ونشر راية المساواة والأخوة . وهـذه الأدلة نذكرهـا نقـلا عن تقارير المـوظفين الانجليز وعمـا كتبه أغلب السياح عن النتائج الحسـنة التى نتجت من الـدين الاسلامى وظهرت آياتها منه ، فانه عنـدما تدين به أمـة من الأمم السودانية تختفى من بينها فى الحال عبـادة الأوثان واتباع الشيطـان والاشراك بالعزيز الرحمن ، وتحرم أكل لحم الانسـان وقتـل الرجال ووأد الأطفال ، وتضرب عن الكهانة ويأخذ أهلها بأسباب الاصلاح وحب الطهـارة واجتناب الخبائث والرجس والسعى نحو احراز المعـالى وشرف النفس ويصبح عندهـم قرى الضيف من الواجبات الدينية ، وشرب الخمر من الأمور البغيضة ، ولعب الميسر والأزلام محرمـة والـرقص القبيح ومخالطة النساء اختـلاطا دون تمييز بغيضـا ، ويحسبون عفة المـرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل .

أما الغـلو فى الحـرية والتهتك وراء الشهـوات البهيمية فـلا تجيزه الشريعة الاسلامية ، والدين الاسلامى هو الدين الذى يعم النظام بين الورى ويقمع النفس عن الهوى ، ويحرم اراقة الـدماء والقسوة فى معامـلة الحيوان والأرقاء ، ويوصى بالانسانية ويحض على الخيرات والأخوة يقول بالاعتـدال فى تعدد الزوجات وكبح جماح الشهوات) ..

حكم قضائي بالفصل بين الزوجين إذا كان أحدهما شيوعيًا !

للدكتور عبد الودود شلبي

الشيوعية اذا ثبتت مسقطة للحضانة

عدد الدعوى ١٠١/٩٦٠ تلسلسل **٢٥٨** سجل **٨**

تشكلت المحكمة الشرعية السنية فى البصرة بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ م من قاضيها السيد « علاء الدين خروفه » المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت حكمها الآتى :

المدعية ـ (خ•م)

المدعى عليه ـ (ع•ع) وكيله المحامى « عبد الله الريحانى » •

الشخص الثالث الأولى ـ (ن•ع)

الشخص الثالث الثانية ـ (أ•أ)

ادعت المدعية أن المدعى عليه كان زوجها ، وقد طلقها ، وترك فى حضانتها ابنته المسماة (ث) ، وتبلغ من العمر سنة وثلاثة أشهر بدون نفقة ، ولا منفق شرعى ، لذلك تطلب الحكم بنفقة كافية للطفلة المذكورة ، وتحميله مصاريف المحاكمة ، وفى نتيجة المحاكمة الوجهية العلنية ، اعترف وكيل المدعى عليه بأن المدعية كانت زوجة موكله ، وقد طلقها ، وأن الطفلة المذكورة ابنته منها ، إلا أنه دفع بأن موكله قد أقام عليها الدعوى باسقاط حضانتها ، فى هذه المحكمة بعدد ١٨٠/٩٦٠ وذلك لأنها تعتنق المذهب الشيوعى الهدام ، ولا يحق لها حضانة الطفلة المذكورة ، حيث يخشى على الطفلة من التلقين بهذه المبادىء المخالفة للشرع الحنيف » •

أجابت المدعية بأنها غير شيوعية ، وأنها مسلمة تؤمن بالله وبرسوله ، أجاب وكيل المدعى عليه ، أن المذكورة حكم عليها بغرامة قدرها ثلاثون دينارا فى محكمة جزاء البصرة ، بالدعوى

الجزائيـــة ٨١/٦٠ بتهمــة ايوائهـا شخصا مطلوبا للعدالة ، وقــد صــدق تمييزا • كمـا أن لديه بينـة على أن المذكورة معتنقة «المذهب الشيوعى» وتد استمعت المحكمة الى شـهادات رجال أمن منطقة البصرة ، وبعض الشهود الآخرين ، كما اطلعت على اضـبارة الدعـوى الجزائية ، وقررت ادخال أم المدعية ، وأم المدعى عليـه شخصين ثالثين فى الدعـــوى ، أجاب وكيل المدعى عليه أن أم المدعية تسكن مع المدعية نفسها ، وأنها كانت قد أخفت وتسترت على شخص هارب من وجه العدالة ، وقد أيد الشهود أن الشخص الثالث (أم المدعية) أفادت أمام أفراد الشرطة ، الـذين حضروا لالقـــاء القبض على المتهم الهـــارب ، الذى وجد نائما فى دارها ، ووجهه متجه نحو الحائط : أفادوا أنها قالت لهم (هذا ولدى) • وقد اعترفت هى بذلك وأقرت أنها قالت هذه العبارة ولـكنها قصدت منها أنه ولدها ، لأنهـا أكبر منه سنا ، وطلبت تسليم البنت اليها ، وكرر الطرفان أقوالهما ، ولما لم يبق ما يقال ، أفهم ختام المحاكمة •

القرار ـ ثبت للمحكمة من جريان المرافعة الوجاهية العلنية ومن كتـاب مـديرية الأمن لمنطقـة البصرة المـرقم ٨٦٨٠ والمـؤرخ ١٨/١٢/١٩٦٠ أن المدعية • (خ•م) يسـارية شيوعية تجتمع مع الشـيوعيين ، وترافقهم ، وقد تأيد ذلك بشهادات الشهود الذين استمعت اليهم المحـكمة ، وبينوا نشاط المدعية فى الدعوة لهذا المذهب والترويج اليـه ، والدفاع عنـــه ، بحـرارة فضـلا عن الايمان به •• وبالرجوع الى كتب هذا المبدأ ونشراته وأقوال زعمائه نجد أنه قد ورد فى كتاب (سيرة لينين) تأليف «داودشب» باللغـة الانجليزية صفحة ١٩١ طبعة ١٩٤٨ فى فصل الحركات الحربيـة للشـيوعيين ما يلى : ونحن نقـول ـ والكلام الى « لينين » ـ مؤكدين أننا لا نعتقد بالله ، وأننـا نعلم حق العلم بأن الروحانيـين والملائكـيين ، كانوا يتكلمون باسم الله كى يروجوا أغراضهم الخاصة (الاستثمارية) • وجاء فى مجلة « الشباب السوفياتى » فى عـــددها الصـــادر ١٨ تشرين أول ١٩٧٤ :

(نحن لا نستطيع أن نقف من الدين موقفا محايدا ، وانما يتعين علينا أن تنشر الدعوة ضد الدين ، ومن واجب الشباب تحرير عقولهم من خرافة الدين ، فالدين كما علمتنا المبادىء الشيوعية عمل هدام) ، وتقول صحيفة « البرافدا » لسان الحزب الشيوعى فى عددها الصادر يوم ٢٦ نيسان / ١٩٤٩ : (نحن نؤمن بثلاثة : « كارل ماركس » • و « لينين » • و «ستالين » • ولا نؤمن بثلاثة أشياء • الله • والدين • والملكية الخاصة) وقال «لينين» فى سنة ١٩٠٥ : (الدين هو أفيون الشعوب ، فالدين ورجل الدين يخدران أعصاب المظلومين والفقراء ، ويجعلانهم يرضخون للظلم) وقال فى سنة ١٩٠٢ فى الدين : (كلما تحررنا من نفوذ الدين ازددنا اقترابا من الواقع الاشتراكى ؛ ولهذا تحررت عقولنا من خرافة الدين) ، وقال فى سنة ١٩١٣ : (ليس صحيحا أن الله ينظم الأكوان ، وانما الصحيح أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الانسان ؛ ليبرر عجزه ، ولهذا فان كل شخص يدافع عن فكرة الله هو شخص جاهل عاجز) • وقال « ستالين » سنة ١٩٢٨ : (يجب أن تقوم التربية فى المدارس على أساس انكار فكرة الله) ثم قال فى سنة ١٩٣٧ : (يجب أن يكون مفهوما أن الدين خرافة ، وأن فكرة الله خرافة وأن الالحاد مذهبنا) • وقال سنة ١٩٤٤ : (نحن ملحدون ، ونؤمن بأن الله خرافة ؛ نحن نؤمن أن الايمان بالدين يعرقل تقدمنا) ، وبناء عليه : « فان الشيوعية كفر بالله ، وشرك به سبحانه وعدم اعتراف بالدين والأخلاق ، ودعوة الى التحلل من القيم الروحية التى دعا اليها الاسلام ، فتكون الشيوعية متعارضة ، ومتنافية مع الدين الاسلامى ، وهى معه على طرفى نقيض • وهما ضدان لا يجتمعان ، وبالتالى تكون الشيوعية متنافية ومتعارضة مع شروط الحضانة التى نص عليها فقهاء الاسلام » •

وحيث ان الدعية (خ•م) شيوعية ، يضاف الى ذلك أنها سبق وأن حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ، بغرامة ، قدرها ثلاثون دينارا ، وعند عدم الدفع فحبسها بسيطا لمدة شهرين

بقرارها المرقم ٨١/٩٦٠ والمؤرخ ٢٠/٦/١٩٦٠ وفقا للمادة ١٣٧ من ق ع ب ، بدلالة المادة ١٣٥ والمادتين ٥٤ ، ٥٥ من ق ع ب ، وقد صدق هذا الحكم بقرار محكمة تمييز العراق المرقم ٤٩٣/ تمييزية /٦٠ والمؤرخ ٢٠/١١/١٩٦٠ فيكون الحكم قد اكتسب القطعية ، وتكون المدعية قد ارتكبت فعلا مخالفا للشرع ، والقانون ، وذلك بايوائها شخصا أجنبيا في بيتها ، لا يمت اليها بصلة قرابة ، فضلا عن أن يكون محرما لها ، ويكون فعلها هذا مؤيدا لشهادة الشهود ، وبناء على كل ما سبق ، قررت المحكمة رد دعوى المدعية (خ٠م) بشأن طلبها النفقة ٠ لابنتها (ث) ، البالغة من العمر سنة وعشرة أشهر ، من المدعى عليه (ع٠ع) ٠ والحكم عليها باسقاط حضانتها ، وتسليمها البنت المذكورة ، الى الشخص الثالث الثانية أم أب البنت المذكورة ، وتحميل المدعية كافة مصاريف المحاكمة ، وأجور المحاماة ٠ أما الشخص الثالث الأولى (ن٠ع) والتي هي أم المدعية فقد ثبت من اقرارها ، واعترافها أمام هذه المحكمة ، ومن شهادة الشهود أنها أفادت أمام الأفراد الذين حضروا لالقاء القبض على المتهم الهارب الذي وجد في بيتها وبيت ابنتها ، أفادت (هذا ولدي) وحيث ان هذه العبارة لا يمكن أن تفسر الا بأنها محاولة للتستر على رجل هارب ، مطلوب للعدالة ، ولا يمكن أن يقصد بها أثناء التفتيش على المتهم ، بأنها قالت هذه العبارة (هذا ولدي) ؛ لأنه أصغر منها سنا كما حاولت أن تفسر عبارتها ، فهو شخص غريب عنها ، وعن ابنتها ، ليس محرما عليهن جميعا ، ووجوده معهن أمر لا يقره الشرع ، لا سيما وأن الشهود أجمعوا على أنه لم يكن في الدار سواه ، والمدعية وأمها وأختها ٠ ٠ وان عمل هذه المرأة لا يتفق أيضا مع شروط الحضانة التي نص عليها الفقهاء ؛ لذلك قررت المحكمة عدم تسليم الطفلة موضوعة الدعوى الى والدة المدعية ، (الشخص الثالث ن٠ع) ورد دعواها بذلك حكما وجاهيا قابلا للتمييز ، وأفهم علنا ٢٢/١٢/١٩٦٠ ٠ وقد ميزته المدعية فأصدر مجلس التمييز الشرعي السني قراره التالي: العدد ـ ٤٢

اجتمع مجلس التميز الشرعى بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٣٨٠ الموافق ٢٢ كانون الثانى سنة ١٩٦١ برئاسة السيد « حسن على » وعضوية السيد « سالم سليمان حافظ » والسيد « عطا حمدى الأعظمى » وأصدر باسم الشعب قراره الآتى :

أصدر قاضى المحكمة الشرعية فى البصرة حكما وجاهيا بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ بعدد اضبارة ٦٠/١٠١ يقضى برد دعوى المدعية (خ٠م) بشأن طلبها النفقة من مطلقها المدعى عليه (ع٠ع) لبنتها الصغيرة (ث) والحكم باسقاط حضانتها ، وتسليم البنت المذكورة الى جدتها لأب (أ ٠ أ) التى دخلت فى الدعوى شخصا ثالثا ، ورد دعوى الشخص الثالث الأولى (ن٠ع) جدة الصغيرة لأم ضم البنت اليها ، وذلك لثبوت كون المدعية - تعتنق المذهب الشيوعى - وتجتمع مع الشيوعيين وترافقهم ، وتروج لهذا المذهب ، وتدافع عنه ، وأنها سبق وأن حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ؛ لايوائها أجنبيا فى بيتها ، لا يمت اليها بصلة قرابة ، وتكون والدتها متسترة عليها ، فميزته المدعية المحكوم عليها ضمن المدة القانونية مطالبة نقضه ، لما ذكرته فى لائحتها ، ولدى التدقيق والمداولة وجد أن أم الأم أحق بالحضانة ، من أم الأب ، الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها ، وحيث ان المحكمة لم تحقق عن توافر هذه الشروط فى أم الأم من عدمها بصورة كافية ، فيكون حكمها بتسليم الطفلة (ث) البالغة من العمر سنة ونصف قبل التحقيق من ذلك غير صحيح ، فقرر بالأكثرية نقض الحكم ، واعادته الى محكمته لتحقيق هذه الجهة ومن ثم اصدار حكمها وفق الشرع - ٥ شعبان سنة ١٣٨٠ الموافق ١٩٦١/١/٢٢

وبعد المرافعة وجمع الطرفين أصدرت المحكمة الشرعية السنية القرار التالى :

تشكلت المحكمة الشرعية السنية فى البصرة بتاريخ ١٩٦١/٥/٣ من قاضيها السيد « علاء الدين خروفة »

المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت قرارها الآتي :

المدعية ـ (خ٠م) ٠

المدعى عليه ـ(ع٠ع) وكيله المحامي « عبد الله الريحاني » ٠

الشخص الثالث الأولى ـ (ن٠ع)٠

الشخص الثالث الثانية ـ (أ٠أ) ٠

كانت هذه المحكمة قد أصدرت قرارا بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ يقضي برد دعوى المدعية (خ٠م) بخصوص طلبها النفقة لطفلتها (ث) من مطلقها المدعى عليه وذلك لأنها شيوعية ، وقد حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ، لايوائها شخصا مطلوبا للعدالة ، وقد اكتسبت حكم المحكمة المذكورة درجته القطعية وذلك بعد أن ثبت لهذه المحكمة أن الشيوعية لا تتفق ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، وهي وشروط الحضانة على طرفي نقيض ، كما أسقطت المحكمة حق حضانة أم المدعية (الشخص الثالث الأولى) لأنها أرت أمام هذه المحكمة أنها أفادت أمام الهيئة التي حضرت لالقاء القبض على المتهم الهارب والذي وجد في دارها أفادت هذا (ولدي) وقد تأيد ذلك بشهادة ابنتها (المدعية) عليها وحكمت بتسليم الطفلة المذكورة الى الشخص الثالث الثانية (أ ٠ أ) وقد ميز هذا الحكم ، فورد منقوضا بقرار مجلس التمييز الشرعي فيما يخص الشخص الثالث وقد جاء في أسباب النقض (وجد أن أم الأم أحق بالحضانة من أم الأب الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها) وبناء عليه قررت المحكمة اتباع القرار التمييزي ، وبلغت الطرفين على الحضور ، وفي أثناء ذلك قدمت المدعية عريضة الى رئاسة محكمة استئناف البصرة تطلب نقل هذه الدعوى من هذه المحكمة وقد رفض طلبها وأجريت المرافعة النيابية وفق الأصول ، وفي الجلسة الختامية ورد طلب من محكمة تمييز العراق الموقرة يتضمن ارسال هذه الدعوى بناء على وقوع الطلب لنقلها ، وقد أرسلت الاضبارة ، ولم تحسمها المحكمة في تلك الجلسة ، رغبة منها في اتاحة الفرصة للمدعية وقد رفض طلبها كذلك ، بقرار محكمة التمييز

المرقم ٤٣٣ (نقل دعوى) ٩٦١ وبعد اعادة الاضبارة لاحظت المحكمة أن تزكية بعض الشهود لم تتم ، فأكملتها وأفهمت ختام المحكمة .

القرار - انه لم يخف على هذه المحكمة أن أم الأم أولى بالحضانة من أم الأب ، لذلك قررت المحكمة ادخال أم الأم من تلقاء نفسها ، وبدون أن يقع طلب من أحد الخصوم ، وذلك بعد أن رأت أن الأم المدعية قد توافر فيها ما أسقط حضانتها ، ولما رأت المحكمة أن الشخص الثالث الأولى (أم الأم) لم تتوافر فيها شروط الحضانة ، قررت ادخال أم الأب (الشخص الثالث الثانية) فى هذه الدعوى ؛ لأن الأخيرة تأتى بعد الأولى فى التسلسل الشرعى ، ومع ذلك ، وعملا بقرار مجلس التميز الشرعى السنى المرقم ٤٢ والمؤرخ ١٩٦١/١/٢٢ فقد دعى الطرفان ، فتبلغت المدعية ، ولم تحضر ، وعملا بأحكام المادة ٥٧ من قانون المرافعات المدنية والتجارية ، قررت المحكمة بالطلب اجراء المرافعة بحقها غيابيا وعلنا ، وتبلغت الشخص الثالث الأولى ولم تحضر ، وبالطلب أجريت المرافعة بحقها غيابيا ، وحضر وكيل المدعى عليه ووكيل الشخص الثالث الثانية وأجريت المرافعة الغيابية العلنية ، وحيث ان المحكمة قد استمعت الى تسعة شهود ، ذكر الأول أن أم الأم تحضر حفلات مع بنتيها يختلط فيها الرجال والنساء وذكر الثانى : أنها راضية عن ابنتها ، وعن اجتماع بعض الشيوعيين فى بيتها ، وبعلمها وذكر الثالث : (أنها تسكن مع بنتيها خ و ر ... والمشهور عندنا - أنهما شيوعيتان ، وأمهما كذلك ، وأنها تحضر الحفلات ... وتؤيد مسلك بناتها ، وهذا معروف للقاصى والدانى) وشهد الرابع : (أن المذكورة قالت عن المتهم الذى وجد فى بيتها : انه ولدى ، وحين أيقظته اتضح أنه هو المتهم الهارب ، ولم يكن ولدها) وشهد الخامس : (أنها كانت تجلس على باب الدار الذى وجد فيها المتهم) وشهد السادس : (أنه كان مع الهيئة التى دخلت دار المذكورة حيث وجد فى بيتها المتهم ، فادعت أنه ابنها ، وبعد أن ألقى القبض عليه تبين أنه المتهم الهارب) وشهد كذلك : (أنه

يعرف هذه المرأة ، وأنها قد جعلت دارها وكرا للشيوعين) وشهد السابع: (أنها كانت تخرج مع بناتها اللائى هن شيوعيات ، الى الحفلات السياسية ، والمسيرات ، وانى أعرف أنها موافقة على سلوكهن) وشهد الثامن : (أنه كان يشاهد شخصا شيوعيا أدانته المحاكم ، يدخل دار (خ) (المدعية) ووالدتها موجودة ، هو وجماعة معه ويجتمعون فى هذه الدارساعة ونصف ساعة ، ثم يخرجون .. وانى أشهد أن هؤلاء كانوا يدخلون دار (خ) ويجتمعون بحضور والدتها (الشخص الثالث الأولى) ، وبغياب زوج (خ) وشهد التاسع:(أنه كان يشاهد بعض المدرسين يدخلون هذه الدار ، ويجتمعون فيها بحضور (ن . ع) وأعرف من هؤلاء (وذكر شخصا) وقد سجن وفصل ... ومن الطبيعى أن هذه الوالدة راضية بسلوك بناتها). وبعد أن عدل هؤلاء الشهود سرا وعلنا وأضيف الى شهادتهم اقرار المذكورة (ن.ع) أمام هذه المحكمة ، أنها قالت للهيئة الرسمية التى حضرت لالقاء القبض على المتهم الهارب الذى لجأ الى بيتها (هذا ولدى) ، فى حين أنه كان غريبا عنها ، وشهادة ابنتها المدعية ضدها . لقد جمعت المحكمة هذا القرار وتلك الشهادات،وعرضتها على شروط الفقهاء التى اشترطوا توافرها فى الحاضنة ، فوجد أن فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والامامية مجمعون على أن الفسق مسقط للحضانة وأن الحاضنة يجب أن تكون أمينة على الطفل ، بحيث يكون المحضون مأمون عليه فى حوزتها ، ورد ذلك فى : أولا : حاشية « ابن عابدين » ج ٢ ص ٦٨٨ طبعة دار الكتب ثانياً : « البحر الرائق » شرح « كنز الدقائق » لابن نجيم ، ثالثا : ــ المدونة الكبرى لامام دار الهجرة « مالك بن أنس » ح ٥ ص ٣٩ ، رابعاً « العقود الدرية » تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين ج ١ ص ٥٢ خامساً : « الفتاوى الهندية » ج ١ ص ٥٦٢ سادساً : « تبيين الحقائق » شرح كنز الدقائق للعلامة « الزيلعى » ج ٣ ص ٤٦ ، سابعاً : الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ ثامناً : « العقد المنظم للحكام » للقاضى « محمد عبد الله » ج ١ ص ١٣٥ وقال : (وكل من

له الحضـانة من أب أو ذات رحم أو عاصب وليس له كفالة ، ولا مرضعة بحرز ولا يؤمن فى نفسه فلا حضانة له وتنتقل لمن فيه تلك الأوصاف قرب أو بعد . يضيع أولاده ، ويدخل عليهم رجالا يشربون فينتزعون منه)، تاسعاً : أحكام الأحوال الشخصية » فى الفقه الاسلامى . تأليف الدكتور « محمد يوسف موسى » ص ٤٠٧ وقال : (فسوء السلوك الذى يخشى من أثره الخطر على الطفل يمنع من الحضانة ، كما يمنع منهـا العجز عن القيـام بتعهـد الطفـل) ، عاشرا : « الشريعة الاسلامية » فى الأحوال الشخصية للدكتور « عبـد الرحمن تاج » شيخ الأزهر السابق ص ٤٥٤ طبعـة ثانيـة ، حادى عشر : شرح الأحكام الشرعيـة فى الأحوال الشخصية تأليف «محمد زيد الابيانى» طبعة أولى ج ٢ ص ٦٦ ، ثانى عشر : الأحوال الشـخصية فى الشريعـة الاسـلامية تأليف « محيى الدين عبد الحميد » ص ٤٠٥ ، ثالث عشر : الأحـكام الجعفرية فى الأحـوال الشخصية تأليف « عبد الكريم الحلى » ص ٩٩ ، رابع عشر : كتاب الجواهرى فى باب الحضـانة ، خامس عشر : الاختيار شرح المختار تأليف « عبد الله الموصلى » ج٢ ص ٢٥٢، سادس عشر: لسـان الحكام المطبوع بهامش معين الحكام ١٢٤٨ ، سابع عشر : منهاج الصـالحين تأليف « السـيد محسن الحكيم » ج ٢ ص ٢١٢ ، ثامن عشر: الفقرة الثانيـة من المـادة السادسـة والخمسـين من قانون الأحـوال الشـخصية العراقى رقـم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ ، تاسع عشر : الفصل ٥٨ من مجلة الأحوال الشـخصية فى تونس : عشرون ، المـادة ١٣٧ من قانون الأحوال الشخصية فى سورية الصـادر فى سـنة ١٩٥٣ التى قالت (يشترط لأهليـة الحضـانة البلوغ والعقل والقدرة على صيانة الولد صحة وخلقا) وغير ذلك من الكتب الفقهية .

وبناء عليه وحيث تأيد بالبينة المعدلة سرا وعلنا أن هذه المرأة (ن.ع) قد توفى عنها زوجها وهى تعيش على نفقة بنتيها ، وتسكن معهما وحيث ورد فى صفحة ١٣٧ من العقد المنظم للحكام (لا حضـانة للجـدة اذا سكنت مع

ابنتها ـ ويعني اذا كانت البنت ساقطة الحضانة ـ وهي الرواية المشهورة عن «مالك» وبها العمل واختياره المتأخرون من البغداديين وغيرهم) ولذلك فان تسليم الطفلة ـ موضوعة الدعوى ـ الى أم الأم يكون معناه تسليمها الى الأم نفسها ، في حين أن الأخيرة ساقطة الحضانة ، وحيث ان عمل هذه المرأة ـ المدعية ـ وأمها يعتبر فسقا في نظر الشريعة الاسلامية ؟ لأن امرأة تخفي في بيتها رجلا أجنبيا عنها ، فضلا عن أن يكون متهما هاربا من وجه العدالة ، وتسمح له أن يلجأ اليها ، ويعيش معها ، وحين يراد القبض عليه تحاول التستر عليه ، فتوصد دونه باب دارها ، وحين يضيق الخناق عليها ، تفتح الباب ، ولكنها تمعن في تضليل العدالة ، فتقول للهيئة الرسمية (هذا ولدي) .. ان امرأة هذا فعلها لهو الفسق بعينه ؛ لأنها شريكة لابنتها المدعية التي أدانتها محكمة الجزاء واكتسب الحكم درجته القطعية ولو أن هذه المرأة (أم الأم) قدمت للمحكمة المذكورة ومعها شهادة هؤلاء الشهود ، فضلا عن اقرارها واعترافها لأدينت هي أيضا ، واذا لم يكن هذا العمل فسقا يوجب اسقاط الحضانة فأي نوع من الأعمال يعتبر فسقا اذن ؟ لذلك واستنادا الى كل ما تقدم فقد حصلت للمحكمة قناعة تامة بأن أم الأم الشخص الثالث الأولى (ن.ع) لم تتوافر فيها شروط الحضانة ، فقرر اسقاط حضانتها ، ورد دعوى المدعية (خ.م) بخصوص طلبها النفقة لابنتها (ت) من المدعى عليه (ع.ع) واسقاط حضانتها والحكم عليها في الدعوى المرقمة ١٨٠/٦٠ الموحدة بهذه الدعوى بتسليم الطفلة المذكورة الى أم الأب الشخص الثالث الثانية (أ . أ) لأنها تأتي بعد الأولى في التسلسل الشرعي ، وتحميل المدعية كافة مصاريف المحاكمة وأجور المحاماة حكما غيابيا بحق المدعية ، والشخص الثالث الأولى قابلا للاعتراض والتمييز ووجاها بحق المدعى عليه والشخص الثالث الثانية قابلا للتمييز وأفهم علنا . ١٩٦١/٥/٣

وقد اعترضت عليه المعترضتان (خ. م.ون.ع) فأصدرت المحكمة القرار التالي :

العدد ٩٦٠/١٠١

تسلسل ٣٥٣ صحيفة ٩١

تشكلت المحكمة الشرعية السنية بالبصرة بتاريخ ١٩٦١/٥/٣١ من قاضيها السيد « علاء الدين خروفة » المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت قرارها الآتي :

المعترضتان :

١ - (خ٠م) وكيلهما المحامي عاكف الأمين

٢ - (ن٠ ع)

المعترض عليهما :

١ - (ع٠ ع) وكيلهما المحامي عبد الله الريحاني

(أ ٠ أ)

كانت هذه المحكمة قد أصدرت حكما غيابيا بتاريخ ١٩٦١/٥/٣ يقضي باسقاط حضانة (خ٠م) و (ن٠ع) واعترضت عليه المعترضتان ضمن المدة القانونية فقبل اعتراضهما شكلا ، وبوشر بالمرافعة وجاها وعلنا ، وكرر وكيل المعترضتين لائحة اعتراضه ، وطلب الحكم وفقه ثم أجاب عنها وكيل المعترض عليه الأول ، ووكيل المعترض عليها الثانية وكرر الطرفان أقوالهما وأفهم ختام المحاكمة .

القرار - لاعتراض المعترضتين وحضور وكيلهما وجريان المرافعة العلنية ، وحيث ان وكيل المعترضتين طلب اعادة استماع شهود خصمه وحيث أن المحكمة قد استمعت الى هؤلاء الشهود بعد أن بلغت المعترضتين بيوم المرافعة ، فلم تحضرا ، وأجريت المرافعة بحقهما غيابا وعلنا وفق المادتين ٥٦ ، ٥٧ من قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ٨٨ لسنة ١٩٥٧ وحيث ان وكيل المعترضتين ، لم يأت بدفع جديد يؤثر على قرار المحكمة السابق كما نصت عليه المادة ١٧٩ من القانون المذكور وحيث أن المحكمة حققت الجهات التي ذكرها الوكيل المذكور، لذلك قررت المحكمة رد اعتراض المعترضتين (خ٠م) و (ن ٠ ع) وتأييد الحكم الغيابي السابق المرقم ٩٦٠/١٠١ والمؤرخ ١٩٦١/٥/٣ وتحميل المعترضتين كافة مصاريف

المحاكمة وأجور المحاماة واللوائح حكما وجاهيا ، قابلا للتمييز ، وأفهم علنا ١٩٦١/٥/٣١ . ثم ميزته المدعية للمرة الثانية ، فأصدر المجلس القرار الآتي :

مجلس التمييز الشرعي :

العدد ـ ٢٩٨

أصدر قاضي المحكمة الشرعية في البصرة حكما وجاها ، بتاريخ ١٩٦١/٥/٣١ وبعدد اضبارة ١٠١/٩٦٠ خلاصته أن المحكمة كانت قد أصدرت اعلاما بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ يقضي برد دعوى المدعية (خ.م) بشأن طلبها النفقة من مطلقها المدعى عليه (ع.ع) لبنتها الصغيرة (ث) والحكم باسقاط حضانتها وتسليم البنت المذكورة لجدتها لأب (أ . أ) التي أدخلت في الدعوى شخصا ثالثا ورد دعوى الشخص الثالث الأولى (ن . ع) والجدة لأم ضم البنت اليها ، وذلك لثبوت كون المدعية شيوعية ، تجتمع مع الشيوعيين، وترافقهم وتروج لهذا المذهب ، وأنها سبق أن حكم عليها من قبل محكمة الجزاء لايوائها أجنبيا في بيتها لا يمت بصلة القرابة ، ولكون والدتها متسترة عليها ، فنقض تمييزا بالقرار المرقم ٤٢ والمؤرخ ١٩٦١/١/٢٢ لأن أم الأم أحق بالحضانة من أم الأب الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها ، فكان على المحكمة التحقق من ذلك بصورة كافية ، واتباعا لذلك أعيدت المحاكمة وبنتيجتها وبعد استماعها البينة على عدم أهلية الجدة لأم للحضانة ، وأنها شيوعية ، وقناعة المحكمة بعدم أهليتها للحضانة ، قناعة تامة ، قررت رد دعوى المدعية (خ.م) بخصوص طلبها النفقة لابنتها (ث) من المدعى عليه (ع.ع) واسقاط حضانتها ، والحكم عليها في الدعوى المرقمة ٨٠ / ٦٠ الموحدة بهذه الدعوى بتسليم الطفلة المذكورة الى أم الأب الشخص الثالث (أ.أ) لأنها تأتي بعد الأولى في التسلسل الشرعي ، بعد ثبوت عدم أهلية الجدة لأم للحضانة ، فلما بلغت به المدعية والشخص الثالث الأولى اعترضتا عليه ، فرد اعتراضهما ، لعدم وروده وأيد الحكم الغيابي المعترض عليه فميزته المعترضتان المحكوم

عليهما ضمن المدة القانونية ، طالبتين نقضه كما ذكرناه فى لائحتهما ، ولدى التدقيق والمداولة وجد أن الحكم صحيح ، فقرر بالاتفاق تصديقه .

١٩ محرم/١٣٨١ المرافق ١٩٦١/٧/٢

ثم طلبت المدعية من وزارة العدل اعادة النظر فى قرار مجلس التمييز فأصدرت القرار التالى :

الجمهورية العراقية .

وزارة العدل .

ديوان التدوين القانونى .

الرقم – ع ن/٦٤٧ .

التاريخ ١٩٦١/٨/١٦

الى رئاسة مجلس التمييـــز الشرعى

كتـابكم ذو الرقم ٤٤٤ والمؤرخ فى ١٩٦١/٧/٢٣ نعيـد اليكم مع كتابنا هذا ـ الأوراق « التمييزية التى لها علاقة » بـ (خ٠م) المرسلة الينا بكتـابكم المشار اليـه أعلاه ونعلمكم بعـدم وجود أسبـاب تستدعى اعادة النظر فى قرار مجلس التمييز الشرعى السـنى ذى الرقم ٢٩٨ الصادر فى ١٩٦١/٧/٢

رشيد محمود

وزير العدل

وبهذا يكون هذا الحكم قـد اكتسب القطعية . . .

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضـلا من الله ورضـوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

دراسة شاملة للعالم الإسلامي

للأستاذ أحمد حسين

— ٣ —

والآن وبعد أن استعرضنا الذى كان عليه المجتمع الاسلامى منذ نصف قرن وكيف أصبح اليوم فباستطاعتنا أن ننتقل الى القسم الأخير من حديثنا وهو ما ينبغى أن يكون عليه العالم الاسلامى

رجال الدين وماذا يقولون :

فأما رجال الدين فى طول العالم الاسلامى وعرضه فهم يعرفون الطريق واضحا كفلق الصبح وهم يذكرون به صباح مساء من وجوب تطبيق الدين وأحكامه فى كل شأن من شئون الحياة ، فى الكل والتفاصيل ابتداء من التشريع والتعامل ، حتى كيفية الأكل ، واللبس ، وعلماء الدين والوعظ مشكورون مأجورون فيما يدعون اليه بل هو واجبهم الذى يجب عليهم أن يلتزموه وأن لا يتهاونوا عن أدائه لحظة واحدة ، وسوف ينتفع دائما بعلمهم ووعظهم ملايين وملايين وسوف يتحقق هذا الذى يدعون اليه ، كله أو بعضه فى قليل أو كثير من أجزاء المجتمع الاسلامى •

بعض المبادىء والقيم الثابتة للحضارة:

على أنى أريد أن أضغط على بعض المبادىء العامة التى عرفها الانسان منذ كان انسانا ، والتى قامت عليها الحضارات منذ عرف الأنسان الحضارة حيث انهارت الحضارات كلها وبدون استثناء عندما تخلت عن هذه المبادىء والقيم وهذا ما يجعلنا نحكم عن يقين أن الحضارة الغربية فى طريقها الى الزوال بعد أن خلت من هذه المبادىء والقيم •

الايمان بالغيب :

الايمان بالغيب بمعنى أننا خلقنا بمعرفة قوة تعلونا ، وحيث نحس نحن بعجزنا وقصورنا ، وضعفنا ، وجهلنا ، وقصر حياتنا فهذه القوة الخالقة هى القدرة كلها ، وهى العلم كله ، وهى الكمال كله ، وهى الخالدة الباقية ، حيث يفنى كل شىء كان أو سيكون الا هو سبحانه أما نحن البشر فمبعوثون بمعرفة هذه القوة بعد موتنا ، فمحاسبون على ما عملنا فى هذه الدنيا ان خيرا فخير وان شرا فشر ، هذا الايمان فى جوهره بعيدا عن أى تفصيل هو سر الحضارة ، بل الاجتماع البشرى مجرد الاجتماع .

فهذا الايمان ضرورى ليتعايش البشر فى سلام ، اذ يقوم فى داخل كل انسان الرقيب والموجه الذى يضبط تصرفات الانسان ويكف أذاه عن الآخرين .

ومن الناحية الأخرى فان هذا الرقيب والموجه الداخلى هو الذى يدفع الانسان للقيام بصالح الأعمال ، ومن هنا أمكن للبشر أن يتجمعوا ويتعايشوا وينشئوا ويعمروا ويكونوا الحضارة الانسانية وما عليك الا أن تدرس الحضارات البشرية التى عرفها الانسان منذ كان انسانا ، لتتأكد وتستيقن أنها قامت على هذا ــ الايمان وهذه العقيدة ، ولن أحدثك عن مصر القديمة ومدى ايمانها بالبعث والحساب لا ولن أحدثك عن الحضارة الاسلامية وكيف قامت على هذا الأساس فأى مسلم أيا كان شأنه يعلم ذلك ، ولكنى سأحدثك عما أصبح يغيب عن بال الكثيرين وهو أن هذه المدينة الغربية التى يعجبون بها كل هذا الاعجاب قد قامت وأزهرت وحققت كل هذا الذى حققته فى ظل الايمان بالغيب بكل فروعه ، فالاسبان والبرتغال فعلوا ما فعلوا تحت لواء الصليب ، وطاف ماجلان حول الكرة الأرضية ووصل كولمبس الى أمريكا فى غمرة من الحماسة الدينية ، وقسم البابا (وهو ليس الا قوة روحية) قسم الدنيا بين أسبانيا والبرتغال باسم الدين وعندما نهضت انجلترا وفرنسا وهولندا ليلحقوا بهم نهضوا فى ظل نهضة دينية ، وكل منجزات العلم الحديث قام بها أناس اما من صميم الكنيسة ، واما من رجال امتلأت قلوبهم ايمانا بالله .

وقد أتيح لى أن أزور انجلترا وهى فى أوج عظمتها (الثلاثينيات) فكانت تبهرنى بتدينها ووقارها ومعنوياتها وأتيح لى أن أزور الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية فوجدت فيها بعض مظاهر التدين الذى كان يسود حياتها ، حيث كان القانون يفرض أن تكون نسخه من الكتاب المقدس فى كل حجرة فى أى فندق من الفنادق ، وكيف أن بعض الأمور التى تمارس ببساطة فى باريس ولندن ، كاحتراف البغاء شىء لا وجود له فى طول أمريكا وعرضها وحيث تباع كتب الجنس وصورة ومجلاته فى باريس ولندن فقد كانت نيويورك مبرأة من كل ذلك .

فالمجتمع أى مجتمع لكى ينجح ، يجب أن يكون متمسكا بالقيم والأخلاق والمبادىء الخيرة التى تعارف عليها البشر منذ كانوا بشرا وهو ما لا سبيل اليه الا عن طريق الايمان بالله وأنا اليه راجعون فمحاسبون .

الادعاء بأن التربية والقوانين يمكن أن تكون بديلا :

ولقد تصور الماديون الذين يعتبرون الايمان بالغيب من ضروب السذاجة التى لم تعد تليق بالانسان المتحضر وان التربية كفيلة بغرس الأخلاق الحميدة ، والقوانين الزاجرة كفيلة بنزع الانحرافات الشريرة ونسوا أن الأخلاق الخيرة والتصرفات غير الشريرة هى ثمرة من ثمار الايمان بالغيب ، فالدين وحده والخوف من الحساب فى الحياة الآخرة هو الذى حدد هذه الحدود واذا كان زعمهم بأن التربية والقوانين الوضعية يصلان الى نفس النتيجة فذلك ان صح ـ فانما يصح لفترة مؤقتة ونتيجة لتأصل هذه القيم فى المجتمع بالفعل ، وبدأ الانحراف فى المجتمعات المادية بجعلهم المنفعة : «براجماتيزم» هى أساس كل شىء ، فالدين واجب لأنه نافع ، والصدق خير لأنه نافع وارتكاب الشر مرذول لأنه غير نافع وهكذا وانطلقت المجتمعات المادية بعض الوقت بهذا المفهوم وسرعان ما بدأ أفراد هذه المجتمعات لا يكادون يصبحون فى منأى عن تطبيق القانون حتى يفعلوا ما يشاءون ، وأصبح الكذب والنصب والاحتيال والسرقة وحتى القتل نفسه لا شىء عليه متى

حقق نفعا وتحصن من تطبيق القانون، وهذا التطور فى المعسكر المادى الغربى ، حدث مثله فى المجتمع المادى الشرقى ، حيث قيل ان الأخلاق وآداب السلوك هى من مخلفات الماضى وهلوسات البورجوازية ، وان تأصل التربية الاشتراكية فى النفوس كفيل بحسن سير المجتمع ، وكما حدث فى المجتمع المادى الغربى حدث فى المجتمع الشرقى حيث سار فترة على هدى القيم الانسانية السالفة ثم لم يلبث أن أعلن افلاسه على ما قدمنا .

والذى يهمنا أن نسجله هو أن أغلى ما يمتلكه العالم الاسلامى اليوم هو ايمانه بالله والغيب ، وأنه فى كل ما يفعل يرجو ثواب الله ويتقى عقابه، فلا يتصور مسلم أن التقدم منتهى التقدم هو فى محاكاة الغرب المادى أو الشرقى فهما فى طريقهما الى التدهور ، وبقى أن يعلم المسلم أن ما يبهره من مظاهر الحضارة الأوربية سواء فى ذلك شرقها وغربهامن حيث هى نظافة وعمل فليس ذلك من مبتكرات هذه الحضارة ، وانما هى أصول ثابتة لأى مجتمع حضارى وقد سبق الاسلام بذلك كله فقامت العبادات الاسلامية كلها وبالتالى الحضارة الاسلامية كلها على النظافة والنظام والعمل وما ينبغى أن يعود المسلمون اليه فيتفوقوا على العالم المادى .

الأسرة والفضيلة :

ولست أريد أن أدخل فى تفاصيل كل ما أمر به الدين أو نهى عنه فقد قدمت أن هذه مهمة يقوم به سادتنا من رجال الدين والوعظ ، ولكنى أريد أن أركز على موضوع الأسرة ، ابتداء من طاعة الوالدين حتى صلة الأرحام ، ذلك أن الحضارة المادية سواء فى ذلك شرقها أو غربها تقوض دعائم الأسرة بشتى الصور والأشكال ، واذا كان الايمان بالله والغيب هو الركيزة الأولى لقيام الحضارات فان الأسرة القوية المتماسكة المتضامنة هى الركيزة الثانية .

وتنبثق الفضيلة والطهارة وآداب السلوك من العلاقات الأسرية وتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على ضوء

ما أمر به الدين أو نهى عنه ، وجرت عليه الانسانية منذ صاغت مجتمعا متحضرا ولا يتصورون أن اطلاق الغرائز والانهماك فى الجنس ، بدعوى الحرية والتحرر أنه سمة التقدم بل هو آية التدهور والتخلف ذلك أن البشرية لم تخرج الى دور الاستقرار العمرانى والحضارى ، الا بعد أن هديت لهذه المبادىء والأنظمة والقيود ، ومرة أخرى لا يتصور متصور أن اشباع الغرائز ، والتعلق بماديات الحياة والتحرر من كل القيود هى أفكار جديدة وليدة ما وصل اليه العقل البشرى من نضج ورقى ، وانما هى مبادىء قديمة قدم الحضارات الانسانية ومن يطالع أسباب انهيار الحضارة الرومانية منذ ألفين من السنين ، فسيرى نفسه وكأنه يطالع ما يجرى هذه الأيام فى غرب أوربا أو شرقها .

دورة الحضارة :

ومنذ كان الانسان انسانا فقد أدرك أن كل شىء يدور فى هذه الدنيا فالكائن الحى من التراب والى التراب يعود ، والصغير يكبر حتى اذا كبر يعود صغيرا وهكذا ، والحضارة كأى شىء آخر ، تنمو وتعظم ثم تندرس لتنمو فى مكان آخر على نفس الأسس والقواعد وقد تلقت الحضارة الأوربية الأمريكية عناصرها من الحضارة الاسلامية حيث تدهور المجتمع الاسلامى لانسلاخه من هذه العناصر، وتصور الأوربيون أن الأمور قد انتهت اليهم فى النهاية لتبقى الى أبد الآبدين ، وطلع «داروين» بنظرية النشوء والارتقاء وأن الجديد أصلح دائما من القديم لأنه ثمرة التطور والارتقاء ونادى ماركس بمثل ذلك فى الحياة الاجتماعية ووجد الأوربيون فهم فى كلا القولين ما أشبع غرورهم فهم وحدهم الناس ، وها نحن أولاء نرى شمس الحضارة تغيب عن انجلترا لتعود من جديد الى عماية الماضى .

فلا شىء فى الطبيعة يسير دوما للأمام وانما هو فلك دوار ، والحضارة كأى شىء فى هذه الدنيا تدور ، وقد طلعت الحضارة مما

سمى شرقا ـ (الصين ومصر وبابل وفينقيا) ثم سارت فتوسطت العالم القديم ـ » الاغريق والرومان « ثم عادت الى الشرق فى صورة الاسلام هذه المرة لتنتقل بعد ألف من السنين الى غرب أوربا وأمريكا، وهى فى طريقها الآن الى الشرق البعيد مرة أخرى (اليابان والصين) فعلى العرب ، على العالم الاسلامى كله أن يتهيأ من جديد للاضطلاع بدوره الحضارى وما عليه الا أن ينقل آلات الغرب فقط وأن يزداد تمسكا بقيمه الروحية والحضارية الانسانية ، وعلى رأسها كلها الايمان بالله والغيب وكل ما ينبثق من ذلك من أعمال صالحة وأخلاق وفضيلة ...

احمد حسين

الدم كاداة للشم :

اذا حقن الانسان بمادة ذات رائحة فى احدى الشرايين فانه لا يلبث ان يشعر برائحتها اقوى مما لو شمها بأنفه وذلك لان الدم يحمل هذه الرائحة الى أعصاب الشم بداخل الأنف .

وتستعمل هذه الطريقة عند اختيار المرضى الذين اختلت حاسة الشم بواسطة الأنف للتحقق مما اذا كان من الممكن علاج هذا الداء ، فاذا تمكنوا من ادراك رائحة هذه الأمصال بواسطة الدم فان ذلك يثبت أن أعصاب الشم بداخل الأنف لازالت سليمة ولكن لا تصلها الرائحة بالطريق الطبيعى لانتفاخ او تورم يحول دونها ، ويمكن اعادة حاسة الشم اليهم اذا ازيلت هذه العوائق من الطريق العادى .

(مترجمة عن مجلة (umschau) الألمانية)

طريق النجاة

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودي

هناك سؤال قد أصبح اليوم عقدة مقلقة لكل شخص منكم ولسكان الأرض جميعا ، وهو : ما للأمن والسلام قد طار عن حياتنا نحن البشر ؟ وما للنوازل والكوارث تنزل بنا بين كل يوم وآخر ، وما لحياتنا قد أصبحت علينا وبالا وتكدر علينا صفوها ؟ وما لكل أمة منا تتشابك وتتصادم مع أمة أخرى ؟ وما لكل بلد في هذا العالم قد أصبح في صراع عنيف مع بلد آخر ؟ وما للانسان قد تحول ذئبا مفترسا ضاريا للانسان ؟ وما للمئات الآلاف من أفراد البشرية يذهبون ضحايا الحروب ؟ وما للتجارات والصناعات التي تتجاوز قيمتها عشرات الملايين من الجنيهات تبدد وتذهب هباء منثورا ؟ وما للمدن والقرى نراها تتحول قفارا مع مرور الأيام ؟ وما للأقوياء يأكلون الضعفاء ؟ وما للأغنياء ينهبون الفقراء ويمتصون دماءهم .. أما الحكومة ففيها الظلم ، وأما المحكمة ففيها الحيف وقلة العدالة ، وأما الثورة ففيها البطر والغطرسة ، وأما السلطة ففيها الاستكبار والرعونة ، وأما الصداقة ففيها قلة الوفاء ، وأما الأمانة ففيها الخيانة ، وأما الأخلاق فانها خالية من التجرد والاخلاص قد أصبح الانسان متهما في نظر الانسان ، وقد ارتدت اللادينية أقنعة الديانة ، وقد توزع بنو آدم الى مالا يحصى من الطوائف ، وكأن كل طائفة منها أصبحت تعتبر من أعمال البر والثواب أن تضر بغيرها من الطوائف عن طريق الخداع والغش والظلم والعدوان والخيانة والغدر وعن أى طريق ممكن آخر فما منشأ كل هذه المفاسد والمساوىء وأين مأتاها ؟ أما مملكة الله ، ففيها — حيثما سرحنا نظرنا — الأمن

والسلام ، فالنجوم فيها الأمن والسلام والهواء فيه الأمن والسلام ، والماء فيه الأمن والسلام ، والأشجار والدواب فيها الأمن والسلام .... ولكن ما للانسان من بين كل هذه المخلوقات قد أصبحت حياته محرومة من هذه النعمة نعمة الأمن والسلام؟

هذا سؤال عظيم قد استعصى على الناس علاجه ، ولكن بودى أن أجيب عنه عن كامل ثقة وطمأنينة .

« ان الانسان قد قلب حياته وجعلها متنافية مع الحقيقة والواقع ، فهو - لأجل هذا ، يعانى ما لا يوصف من المحن والمصاعب ، ولن يجد سبيلا الى الأمن والسلام حتى يجعل حياته متفقة منسجمة مع الحقيقة والواقع » .

ان أحدكم اذا زعم بأن باب القطار الجارى باب من أبواب داره ثم فتحه منه وادعا مطمئنا كما يخرج من أبواب داره الى فنائها ، فان سوء زعمه وفساد فهمه لن يحول باب القطار بابا من أبواب داره أبدا ولن يحول المكان الذى يسقط فيه باحة داره أبدا اذ أن الحقيقة لن تتغير قيد أنملة بزعمه الباطل وفهمه الخاطئ .. ولا بد ، اذا ما خرج من باب القطار الجارى بسرعة متناهية أن تظهر النتيجة الطبيعية المحتومة لهذا الاجراء شاء أو لم يشأ مهما أبى الاعتراف ، ببطلان زعمه حتى بعد تكسر رجليه وتشجج رأسه .

وهكذا تماما ... اذا زعمتم فى أنفسكم أن هذا العالم لا اله له أو اذا زعمتم آلهة متعددة لأنفسكم أو آمنتم بأحد غير الله الها لأنفسكم ، فان الحقيقة لن تتغير أبدا بزعمكم أو ايمانكم بالباطل ، اذ لابد أن يبقى الله هو الاله الوحيد لهذا العالم ، ولابد أن تبقى كل مملكته هذه التى انما تعيشون فيها رعايا خاضعين لأمره ، فى قبضته هو . غير أن الأسلوب والمنهاج الذى تبنونه لحياتكم من جراء سوء زعمكم وفساد فهمكم هذا ، لابد أن تذوقوا وباله وتواجهوا عاقبته الوخيمة ، ولو أبيتم حتى بعد مكابدتكم المحن والكوارث ، أن تعترفوا ببطلان هذا المنهاج أو الأسلوب لحياتكم .

استحضروا مرة أخرى وجددوا في أذهانكم ما ذكرت لكم آنفا تعرفوا أن الله ما أصبح الها لهذا العالم لأن أحدا غيره جعله الها لهذا العالم ، وهو في غنى عن أن تؤمنوا بألوهيته أو تأبوا الايمان به ، فهو الاله الوحيد لهذا العالم آمنتم به أو لم تؤمنوا وألوهيته قائمة بذاتها ، وهو الذي خلقكم وخلق هذا العالم ، وما كل شيء من الأرض والشمس والقمر وسائر الموجودات في هذا العالم الا خاضع لأمره ، وما كل قوة عاملة في هذا العالم الا منقادة لسلطانه متبعة لمرضاته ، وما كل شيء تعتمدون عليه في المحافظة على حياتكم الا في قبضة قدرته ، بل ليس حتى وجودكم أنتم الا طوع لأمره سائر على مشيئته . وهذا واقع ليس لكم أن تغيروه بحال ، وهو واقع حتى ولو أبيتم الاعتراف به ، وهو واقع حتى ولو أغمضتم عنه أعينكم ، وهو واقع حتى ولو تبنيتم لانفسكم زعما منافيا له تماما ففي كل هذه الصور لا يتغير الواقع قيد شعرة بيد أن كل ما يحصل من الفرق ، فانما هو انكم اذا اعترفتم بهذا الواقع ورضيتم لأنفسكم نفس المكانة التي هي لكم في هذا الواقع يستقيم أمر حياتكم ، ونلتم الأمن والسلام ، وظفرتم بالسكينة والطمأنينة ، وزال عن حياتكم كل زيغ واعوجاج . واذا رضيتم لأنفسكم بمكانة أخرى متمردين على هذا الواقع ، فلا بد أن تكون عاقبة أمركم عاقبة من زعم باب القطار الجاري بابا من أبواب داره وخطا خطوة الى خارجه ، فأنتم الذين تصابون بالحدث الأليم ، وأنتم الذين تكسر أرجلكم ، وأنتم الذين تشج رءوسكم على حين أن الواقع لن يتغير أبدا ولن يزال كما هو الآن .

ولكم أن تسألوني الآن : ما هي مكانتنا الحقيقية وفقا لهذا الواقع ؟ فأقول متوخيا الاختصار :

اذا كنت تربي خادما بالانفاق عليه ، فما هي المكانة الحقيقية لهذا الخادم ؟ أهي غير أن يقوم لك بواجب الخدمة ويطيع أمرك ، ولا يعمل عملا الا وفقا لمرضاتك ، ولا يتعدى حدود

الخدمة ؟ أية وظيفة عسى أن تكون للخادم سوى الخدمة ؟ واذا كنت رئيسا في مكتب وكان لك في ذلك المكتب مرءوس فما هي مكانة ذلك المرءوس سوى أن يطيعك ولا يزعم لنفسه شركة في الرئاسة ؟ واذا كنت صاحبا لعقار فماذا تكون مشيئتك في ذلك العقار ؟ أتكون سوى أن تنفذ فيه ارادتك ولا يقع فيه شيء مهم أو غير مهم لا تريده ؟ واذا فرض ملك من الملوك نفسه على البلاد التي تعيش فيها وكان مستبدا بكل الوسائل والقوى فأية مكانة عسى أن تكون لكم مع وجود ملك كهذا ؟ أتكون سوى أن تقتنع بالمعيشة كرعية من رعاياه ؟ ولا تخرج من طاعة القانون الملكي ؟ واما اذا ادعيت لنفسك حق الملكية وأنت تعيش في ظل هذا الملك أو اتبعت أمر أحد غيره معترفا له بالملكية ، فلا بد أن تعتبر من البغاة العصاة ولا يخفى عليك المعاملة التي يعامل بها العصاة البغاة . لكم أن تدركوا بهذه الأمثلة على أكمل وجه ما هي مكانتكم الحقيقية في مملكة الله هذه ؟

– هو الذي خلقكم ، فمن الطبيعي أن لا تكون لكم وظيفة سوى أن تتبعوا مرضاة خالقكم .

– وهو الذي يربيكم وتنالون الراتب من خزانته ، فلا مكانة لكم سوى أن تكونوا خدمه .

– وهو رئيسكم ورئيس كل من في هذا العالم ، فلا مكانة لكم في هذه الرئاسة سوى أن تكونوا على كامل طاعة وانقياد .

وما هذه الأرض ولا كل هذه السماوات الا عقاره ، فلا ينفذ ولا ينبغي أن ينفذ في هذا العقار الا ارادته ، ولا يحل لكم أن تنفذوا فيه ارادتكم ، ولا بد أن تذوقوا وبال أمركم اذا ما هممتم أن تنفذوا فيه ارادتكم .

وما سيادته في هذه المملكة الا قائمة بقوتها الذاتية ، وما كل ما في السماوات والأرض من المصالح أو الدوائر الا في قبضة يده وما أنتم أنفسكم ، طوعا وكرها ، الا رعاياه على كل حال . وليس لكم ولا لأي انسان في هذا العالم ، عظيما كان أو حقيرا ، مكانة سوى أن يكون من

رعاياه ، وقانونه هو القانون النافذ فى هـذه المملكـة ، وحكمه هو الحكم الجـارى فيهـا ، ولا يحل لأحد من الرعايا أن يطلق على نفسه صـفات لا يجوز اطلاقها الا على الله أو يدعى أنه دكتاتور مستقل بأمره ، ولا يحل لفرد أو مجلس نيابى أو تشريعى أو تأسيسى أن ينفذ فى هذه المملكة قانونه دون قانون الله ويقـول لرعايا الله : اتبعوا قانوننا هذا،ولا يحل لحكومة انسـانية أن تنفـذ فى هـذه المملكة أحكامها مستغنية عن أحكام الله وتقول لعباد الله : اتبعوا أحكامنا هذه ، ولا يحل لبشر أو لطائفة من البشر أن ترضى بأن تكـون رعايا لأحـد من الذين يدعون لأنفسهم السيادة كذبا وزورا بدل أن تكون رعايا لله الملك الحقيقى ، أو أن تعترف بقانون وضعه المشرعون الكـاذبون نابذة قانون الله الملك الحقيقى وراء ظهرها ، أو تتبع أحكام هـذه الحكومات معرضة عن أحكام الله الحاكم الحقيقى .

ان الله آخذ بناصيتكم وناصية كل فرد من أفراد الانسـانية ، فله أن يجره اليه متى شاء ولا قبل لأحد فى مملكة السماوات والأرض بأن يفر منها ، وليس بامكانكم اذا هربتم منها أن تأووا الى مكان ، وانكم لو تفرقتم ذرا بعـد تواريكم فى التراب ولو تحولتم رمادا متناثرا فى الفضاء ولـو كنتم غذاء للأسـماك فى البحر بعد القاء أنفسكم فيه ، فان الله لابد أن يجمعكم من كل مكان ، لأن كل شيء من الهواء والأرض والماء والأسماك خاضـع لأمره لا قبل له بأن يعصيه بحـال .. لابـد أن تأتـوا جميعـا مأخـوذين من كل حـدب وصـوب باشارة منه ، ثم لابد أن يسألكم فردا فردا : كنتم رعاياى فمن أين جعلتم من حق أنفسكم أن تدعوا السـيادة والحاكمية Soverinty ومن أين جئتم بصـلاحيات لتنفيذ الأحكام فى مملكتى ؟ ومن أنتم حتى تنفذوا فى مملكتى قانـونكم ؟ وكيف رضـيتم لأنفسكم أن تعبدوا غيرى وكنتم من عبادى ؟ ولقد كنتم من خدمى ولكنكم أطعتم أحكام غيرى ، وقد كنتم تنالون الراتب من خزانتى ولكنكم اعتقدتم فى غيرى أولياء رازقين لكم وقد كنتم تعيشـــون فى مملكتى ولكنكـم

رضيتم لأنفسكم بقوانين غيرى واستسلمتم لقيادته ، فكيف جاز لكم هذا البغى والعصيان ؟ .

قولوا لى بالله ياإخوانى!من منكم يملك ما يدفع به هذه التهمة عن نفسه ؟ وأى محام يستطيع أن ينجيكم من بطش الله بحيله ومراوغاته القانونية ؟ وأى شفاعة ترجونها لتسلموا من عقوبة هذه الجريمة : جريمة البغى والعصيان ؟

وليست المسألة هنا مسألة الحق فحسب ولكن هنا مسألة أخرى أيضا ألا وهى : هل من الممكن أن يكون الانسان فى مملكة الله هذه أهلا للسيادة أو التشريع أو الحكم ؟ انكم لتعرفون عن أى جهاز من الأجهزة ، مهما كان حقيرا ، أنه اذا تولى تشغيله رجل جاهل به فانه لابد أن يخربه . وعلى سبيل المثال مروا رجلا لا يعرف فن قيادة السيارة أن يسير لكم السيارة ، فانكم لا تلبثون أن تعرفوا عاقبة هذا الحمق . فتأملوا : اذا كان هذا الحال لجهاز صغير من الحديد يستحيل تشغيله بدون معرفة صحيحة ، فكيف يكون من الممكن بالنسبة للانسان ، وفى كل ناحية فيه ما لا يحصى من العقد والمعضلات ، فكيف يكون من الممكن أن يقوم بتسيير جهاز الانسان المرتبك المتداخل أناس لا يعرفون أنفسهم تماما فضلا عن أن يعرفوا غيرهم ؟ وأمثال هؤلاء المتعالمين من الناس حين ينصبوا أنفسهم لمهمة التشريع ، وأمثال هؤلاء السفهاء حين يستعدون لتسيير دفة الحياة الانسانية فهل تكون عاقبة ذلك مختلفة عن عاقبة تسيير رجل جاهل السيارة أدنى اختلاف ؟ ومن هنا فان البقاع الأرضية التى يطيع سكانها القوانين الوضعية بدل أن يطيعوا قانون الله ، والتى ينفذ فيها بعض الناس أحكامهم مستغنين عن طاعة الله ، ويتبع الآخرون هذه الأحكام ، لا أمن فيها ولا سلام ولا استقرار ولا طمأنينة ولاتجرى فيها أجهزة الحياة الانسانية بتوافق وانسجام : تقتل فيها النفوس وتسفك الدماء ويزدهر فيها الظلم والجور والعدوان والنهب والسلب . وقد أصبح فيها الانسان يمتص دم أخيه الانسان وتدهورت فيها الأخلاق وقد أفضى بها الأمر الى أن القوى التى كان وهبها الله للانسان ، عادت

تتصرف في ما يرجع على الانسان بالشقاء والدمار والهلاك بدل أن تتصرف في ما يرجع عليه بالسعادة والأمن والرفاهية . فدار العقاب هذه التي قد أعدها الانسان لنفسه بنفسه في هذه الدنيا ، ليس لها من سبب سوى أن الانسان عبثا حاول أن يتولى تسيير جهاز لا علم له بتركيب أجزائه ، ان هذا الجهاز لا يعرف أسراره الا الذي قد صنعه ، وهو يعرف طبيعته وهو الذي يعرف كيف يمكن أن يسير بتوافق وانسجام . أما الآن فان كف الانسان نفسه عن ارتكاب هذه الحماقة والتزم باتباع القانون الذي قد شرعه الذي صنع هذا الجهاز ، فعسى أن يصلح من جديد ماقد فسد حتى الآن ، والا فلا علاج لما هو فيه الآن من المصائب والمهالك ومهاوى الشقاء والخسران وأسباب الويل والثبور .

ابو الأعلى المودودى

خطب سعيد بن شريك بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : **أيها الناس ، ان الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق .**

فحائط الاسلام : الحق ، وبابه العدل . ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ؛ وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذ بالعدل .

❋ ❋ ❋

هجا أبو الهول الحميرى الفضل بن يحى ثم أتاه راغبا اليه ، فقال له الفضل : ويلك : بأى وجه تلقانى ؟ ! قال : بالوجه الذى ألقى به ربى وذنوبى اليه اكثر ، فضحك ووصله.

القائد الأعظم "محمد علي جناح"

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي

محمد على جناح والد باكستان هو أبوها الذى ولدها ، ومات وهى طفلة لم تسلخ من العمر غير عام واحد ولباكستان قبل محمد على جناح أعمام وأجداد،لسنا بصدد التعرض لذكرهم والحديث عنهم ، وان كان كل واحد منهم يستحق الذكر العاطر وطول الحديث .

ولد محمد على جناح فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦م وهو من أسرة ترجع الى أصل برهمى ، ولكنها تحولت الى الاسلام قبل أن يولد هذا الزعيم بثلاثة أجيال ولعل جد أبيه أو ربما جد جده هو أول من اعتنق الاسلام من أسرته فاعتنقه أبناؤه وحفدته من بعده (١) .

وليست كلمة جناح هى لقب الأسرة الأصلى ، ولا هى اللفظ الذى يسمى به فى غير اللغة العربية ، ولكن هذا الاسم يبدأ بجده والد أبيه فقط فقد كان نحيف الجسد معروفا كما يقول الانجليز gount ـ ويقابل هذه الكلمة فى اللغة الكوجراتية ، (كلمة «) جنه » jenneh فأطلق الناس عليه هذا الاسم ، وتسمى به أبناؤه وحفدته ، وفى اللغة العربية طوعت الكلمة الى جناح ـ كما طوعت كلمات كثيرة فى القديم والحديث .

وكان أبوه يسمى « بونجا جنه » وهو الابن الثانى لأبيه .

وكان محمد على الابن الثانى أيضا لأبيه .

---

(١) ومذهبهم الاسلامى هو المذهب الشيعى الاسماعيلى النزارى .

كانت أسرته تحترف تجارة الجلود ، وتصديرها ، وكان لهم شركة كبيرة ذات فروع في بلدان الهند ، وكان أبوه مديرا لأحد فروعها في كراتشي منذ سنة ١٨٦٢ وفيها ولد له هذا الابن الزعيم •

تلقى محمد على دراسته الأولى في أحد مكاتب كراتشي ، ثم انتقل الى بومبي ليتعلم في مدرسة ابتدائية وفيها أيضا تلقى تعليمه الثانوى في مدرسة تتبع الجماعة الاسلامية ، ثم عاد الى كراتشي فدخل مدرسة السند العالية ـ وهى مدرسة تعادل مايسميه الانجليز high school or grammer school ومنها حصل على الشهادة التي تؤهله لدخول الجامعات (١) ، وكانت نية أبيه أن يكتفي بتعليمه دون هذه المرحلة كي يعمل معه في أعمال التجارة ، ولكن أحد الانجليز كان في زيارته فلاحظ ما عليه التلميذ من نجابة وذكاء واقترح على الوالد أن يبعث به الى احدى جامعات أمريكا ، ولكن والده أرسله الى انجلترا ليدرس القانون فقضى هناك أربعة أعوام تعلم خلالها من الجامعة ومن غير الجامعة •

عرف عن محمد على منذ طفولته أنه كان شغوفا بالقراءة وكان وهو دون العاشرة يسهر الليل في قراءته، فلما كان في انجلترا كان يقضى معظم أوقاته في مكتبة المتحف البريطاني بين المراجع القديمة والبحوث الحديثة ، والى جانب هذه الدراسة القائمة على الاطلاع والتنقيب اشترك في جمعية تحمل اسم شاعر انجلترا العظيم شيكسبير كانت تقرأ رواياته وتدرسها وتمثلها ، وقد مارس هذه الدراسة ومثل بعض الشخصيات واستفاد من ذلك جودة الالقاء وحسن الخطابة حتى كان يتكلم في البرلمان وبين الناس فينسى نفسه وهو يضغط على مخارج الحروف ويجود نبرات صوته فيؤثر على مستمعيه من الشعب ورجال القضاء والحكومة ، وكان خصومه يسمونه الممثل ، ولكن ذلك لم يكن يغيظه ولا يأنف منه لأنه يدل على معزته •

(١) حصل عليها من معهد البعثة الكنسية المسيحية سنة ١٨٩٤ م •

وأول مشاركة له في الأعمال الوطنية هو اشتراكه مع زملائه الطلبة في ترشيح - « دادا بهاى ناروجى » - نائبا لأحدى الدوائر البرلمانية بالهند وكان - « دادا » - هو المشرف على الطلبة الهنود المبعوثين في الهند وقد أعجبهم تصرفه وسلوكه ، فطلبوا ترشيحه ، ولكن لورد « سلسبورى » احتقر الشيخ الهندى وقال انه من السود الملونين ، وكان دادا ذا بشرة بيضاء ناصعة البياض ، وهاجت هذه الكلمة سخط محمد على جناح النفسى اذ رأى أن سلسبورى فرض عليهم المهانة وفرض عليهم السواد حتى ولو كانوا بيضا ، وثارت في هذه الأيام قضية أيرلاند وطلب أبناؤها الاستقلال الذاتى ، وكانت في ذلك الوقت أمرا كبيرا في نظر رجال السياسة البريطانية ، وحاربها المحافظون وكثيرون من الأحرار ، ولكن « جلادستون » من بين رجال السياسة البريطانية ناصر هذه القضية ، وكان من خصوم سلسبورى ، فزاد اعجاب جناح به ، وأحب خطبه وحججه ، واتخذ من موقفه فيما بعد - حججا له في قيام باكستان ، لأن (الأير لندين) نجحوا أخيرا في مسعاهم ، وجزيرة أيرلاند بقعة صغيرة واتسعت في سياسة الانجليز الى حكومتين فأحرى بشبه القارة الهندية أن تسع حكومتين .

وعاد الى وطنه بعد أربعة أعوام قضاها في انجلترا حصل فيها على شهادة جامعية ودرس القانون ، ولكنه الى جانب القانون - وهذه موهبته الخاصة - كان قد قرأ كثيرا من الأدب وتعشقه كما قرأ التاريخ وأطال التأمل في مواقفه السياسية وهو اختط لنفسه خطة كان ينصح بها طلاب الهند بعد كبره وشهرته - وهى أنه لا يجمل بالطالب أن يزج بنفسه في المشاكل الكبرى تعجلا للشهرة أو انقيادا للعاطفة ، ولكن عليه أن يستكمل دراسته باتقان وأن يكون نفسه علميا قبل أن يخوض المشاكل بدون درس واع وفهم عميق .

اشتغل جناح بعد عودته الى بلده بالمحاماة والشئون السياسية ، وأحرز في كل منهما حظا يرفعه الى مكانة الزعامة ، وقضى على ذلك نحو عشرين عاما يهتم بشئون بلاده ، وأخصها

شئون المسلمين ، وناهز الأربعين أو تجاوزها وهو لما يتزوج هل كان ذلك لعدم العثور على الزوجة المناسبة أم أن الموضوع نفسه لم ينل من تفكيره مكانا ؟

قد يكون ذلك لأحد الأمرين أولهما معا . وفى سنة ١٩١٦ كانت جلسات العصبة الاسلامية وحزب المؤتمر فأخذ مكانا مرموقا فى الهند ، وكان محمد على جناح يدير هذه الجلسات ، ويوجه حوارها ويجيب على أسئلتها ، وكان السير «دتشا بتيت» من أكبر أغنياء الفرس يقيم فى بمبى وله بها وفى غيرها أعمال تجارية وكان يشارك فى تيارات الهند الفكرية والسياسية وكان يحضر هذه الجلسات ومعه ابنته الذكية الجميلة « (رتن بتيت) » فأعجبت بمحمد على جناح ذكاء وبلاغة ونبلا ، الى جانب سمعته ورجولته وكانت دون العشرين من عمرها فرغبت فى الزواج منه ، وشجعتها تربيتها الأوربية أن تفاتحه فى هذا الطلب ، فراجعها طويلا ، ولكنها كانت على صغر سنها ــ ذكية عميقة التفكير ذكرت له أنها تقدر غضبة أهلها عليها لأنها تدين بالديانة الزرادشتية، وعيشها معه سيحرمها عيشة والدها الرافهة الثرية ثم يحرمها بعد من ميراثها منه وتم الزواج ، وشكا والدها الى المحكمة ولكن المحكمة رأت أن الفتاة تجاوزت السادسة عشر فهى فى حل من أمرها وأرادوا احراج الرجل بالكلمات الجارحة ليتخلى عن هذا الزواج . . فقالوا : انك تطمع فى ثرائها وتخدعها لجمالها . ولكن الفتاة أعلنت أنها هى التى طلبت الزواج منه ، وأنها تتنازل عن كل ما لها عند أبيها ، ثم زادت فأعلنت أنها أصبحت مسلمة ، ولكن عيشة الزوجين السعيدين لم تطل أكثر من عشرة أعوام ، دهم الموت بعدها الزوجة الوفية المثقفة فماتت وهى دون الثلاثين (٣٠) سنة ١٩٢٩ وتركت طفلة فى الخامسة من عمرها أو دون ذلك بشهور .

المدرسة الوطنية فى الهند :

محمد على جناح فرع من فروع شجرة كبيرة ،أو عضو بارز من أعضاء أسرة عديدة الأعضاء ، كانت تعمل كلها لاستخلاص الهند من أيدى المستعمر الانجليزى أولا ولاستقلال

مسلمى الهند مما يعانونه من ضغط وارهاق سواء من المستعمرين أو الطوائف الدينية الأخرى .

وأبرز أعضاء هذه الأسرة قبله هو السيد أحمد بهادر خان الذى عاش بين عامى (١٨١٧ ، ١٨٩٨) فقد كان مصلحا كبيرا ، وكان يرى اصلاح الهند والهنود والنهوض بها يأتى عن طريق التربية السليمة والثقافة العميقة ،وهو يعتبر بداية المدرسة لأمر الزعماء الذين قبله كانوا ينشدون دائما مشادة الانجليز والاشتباك معهم، ويرون أن فى هذه المضايقات المستمرة مايزعزع كيانهم ويعجل بخروجهم. أما أحمد خان فكان يرى مهادنة الانجليز ، ويرى أن استعمارهم للهند ولغير الهند انما هو نتيجة تفوقهم العلمى والصناعى ، وتربيتهم السليمة ، ولو كانت الشعوب التى استعمروها تكافئهم فى علمهم ومقدرتهم العقلية ما استطاعوا أن يحتلوها ، لهذا كان ينشد بداية الكفاح من تربية الشعب أولا .

وقياما بهذا المنهج أنشأ جمعيات وأصدر صحفا ، ولما سافر الى انجلترا قابل الكاتب الانجليزى كارلايل ،وحدثه عن الاسلام وشرح له كثيرا من جوانبه الاصلاحية ويقال أن الفصل القيم الذى كتبه كارلايل الأبطال وعبادة الأبطال قد يكون راجعا الى المعلومات التى استقاها من السيد أحمد خان ، أو لتأثره بحديثه عن الاسلام .

وجاء بعد السيد أحمد خان ــ سيد أمير على ــ وهو حلقة وسط بين أحمد خان ومحمد على جناح ، وقد لاقى كل منهما، وكان أجرأ من أحمد خان وأكثر ايجابية ، فهو لا يرى أن الاصلاح يكون عن طريق التربية وحدها بل لابد من الجانب العملى ولابد من المشاركة فى التيارات السياسية ، وكان أمير على يرى أن اصلاح المسلمين فى الهند لا ينبع عن الاسلام نفسه ، وجهله ما شاهده من اصطدام الطوائف الدينية من هندوك ، وصينين ، وبوذيين ، ووردسينين ، وشيعة ، وسنيين .. الخ حمله كل ذلك الى

الدعوة الى التسامح من ناحية والى شرح مبادىء الاسلام من وجهة نظره هو من ناحية أخرى وقد أخرج فى ذلك كتبا تعتبر من أرقى وأعلى الأساليب فى اللغة الانجليزية. وأهمها كتابه « روح الاسلام » ، « وكتابه « تاريخ العرب » ولكلا الكتابين أثر كبير فى الفكر الانجليزى وتصوير الاسلام بصورة أدنى الى حقيقته ، وأخذ على أحمد خان أنه قال : ان القرآن أوحى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمعنى لاباللفظ ، وأخذ على أمير على أنه قال : ان الاسلام لا يقر الا زوجة واحدة ولايبيح التعدد ، ويبدو أن كل ذلك راجع لعدم مقدرة الرجلين الكافية على فهم اسرار اللغة العربية ، ولتأثر أمير على بحياة الانجليز ، ولعله من هذا التأثر المفيد أنه طالب بتعليم البنات ونادى بترقية المرأة الهندية .

وجاء محمد على جناح حين كانت الهند قد قطعت شوطا ، ورأى أنه لا داعى لضياع الوقت ، وأنه من خير المسلمين وغير المسلمين أن يكون للمسلمين دولة على حدة .

محاربة الاسلام :

اشتعلت فى الهند سنة ١٨٥٧ ثورة عارمة قتل فيها كثير من جنودهم وخربت منشآتهم وقطعت السكك الحديدية وهكذا : ولم يكن كثير من زعماء الهند راضيا عنها ولكن الانجليز وهم يبحثون أسبابها ونتائجها ركزوا كل شىء على الاسلام .

قام على آثار هذه الثورة انشاء المؤتمر الوطنى والتمثيل النيابى فيه ورأى الانجليز ابعاد المسلمين منه نهائيا ، والمسلمون يومئذ قلة لا يستطيعون القيام وحدهم بثورات وكان من المسلمين من يتولى الوظائف الكبيرة فأبعدهم الانجليز عنها ، أما الوظائف الصغيرة فأكثروا فيها من البوذيين والبراهمة والهندوك وجعلوهم يضايقون المسلمين .

وفى سنة ١٩٠٦ أنشئت جمعية العصبة الاسلامية كصدى لتجاوب الشكوى وأنين المسلمين مما يتحيفهم من ظلم ، وكانت دعوة غاندى قد حامت حولها الشبهة أنها تتعصب

للبوذيين وأن موقفه من المسلمين لا يختلف عن مواقف الأوروبيين منهم، وكانت الهند مرآة لتجاوب الاصداء الاسلامية ، من حركة وهابية أو فرائضية أو مناداة بعموم الخلافة فزادت هذه المسلمين خلافا واضعافا ، وجرأت عليهم خصومهم من الأوروبيين ومن الطوائف الدينية الأخرى .

ازاء هذا الموقف الحائر وارتباك الناس بين مناد بوحدة الطوائف الهندية ومناد بانفصال المسلمين وحدهم تطلع الناس الى شخصية حازمة تجمع هذا الشتات فى الرأى ولعل الشاعر محمد اقبال كان أشد الناس وأسبقهم تأثرا بمحمد على جناح ليكون الربان الذى يقبض على سكان السفينة فى تلك الظروف .

حتمية الانفصال :

سئم المسلمون جميعا من الدعوة الى الوحدة، وأقنعتهم التجارب العديدة أنهم لابد أن تكون لهم دولة مستقلة

وكان محمد على جناح بعد أن رأى أعمال بهادرخان ، وسميه أحمدخان، وأمير على وغيرهم قد اتجه الى هذا الرأى ، وظلت السنون تقنع الناس باتباعه .

وكان تعصب البراهمة وتقداستهم الحيوانات مما يثير المشاكل بينهم وبين المسلمين وقد كان من عاداتهم أن الرجل اذا مات أحرق واحرقت معه زوجه ، ولما ألغى ذلك بقرار سنة ١٨٢٩ تذمر البراهمة وقاموا بثورات وهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وأن الحيوانات العديدة بها أرواح آدميين، وكل ذلك لا يقره المسلمون فكيف يمكن أن تندمج الطائفتان .

وكان محمد على جناح لايعجبه طريقة غاندى ويرى أنها سلبية فالمغزل والشاة لا أثر لهما ازاء المصنع الانجليزى ، وبدلا من غزل ثوب بالمغزل يعد مصنع صغير ينمو مع الأيام .

لهذا دعا محمد على جناح الى استقلال باكستان ، ودعا الشباب المسلم الى التسلح بالعلم والأخلاق والفضائل الاسلامية أولا ، ومن هذه الوجهة

تلاقى المصلحين السابقين لكن حركته كانت أسرع وأجدى •

وأهم ماساعده على نجاحه والتفاف الناس حوله هو صراحته وصدقه

ثم اخلاصه كل الاخلاص لوطنه ولدعوته • ثم كانت آراؤه ومواقفه البرلمانية وأعماله فى المحاماة قد كونت له سمعة وثبتت شخصيته فى نفوس الشعب كله مسلمين وغير مسلمين •

وولدت باكستان سنة ١٩٤٧ ، ولكنها بحكم حدودها الجغرافية تعتبر وليدة منذ الأبد وكما قال أول قائد ورئيس لها • « ان قيامها وسيلة وليس غاية وان قيامها بداية عمل لانهاية عمل » •

وأغرق الرجل المخلص نفسه فى تنفيذ برامجه ومناهجه ، وكان قد ناهز السبعين أو جاوزها • وبعد قيام باكستان بعام واحد كان الرجل النحيل الشيخ فى (باوخستان) فأثقله مرضه فعادت به طائرة الى بلده بعيد الغروب وكانت روحه أيضا على وشك الغروب وفى الساعة العاشرة أو نحوها صعدت روح القائد العظيم الى بارئها وبقى جثمانه النحيل على فراشه •

وتوافد الشعب الباكستانى فى طوابير منظمة ، يملى عليها الخشوع والاجلال خفوت الصوت وترتيب الخطى لتلقى النظرة الأخيرة على جثمان زعيمها وبانيها ، ولكن هذا الخفوت كان يقطعه النشيج المتوالى والعبرات المنهلة ، والزفرات المكبوتة

ومات محمد على جناح وبقيت مبادئه وأخلاقه ونصائحه •

وها نحن الآن بعد مائة عام من ميلاده نحتفى به - نحتفى بجهاده وسيرته وأعماله، وهكذا سجل العظماء يحوى من يحيون بعد الممات ومن تظل له أعماله تستفيد منها الأجيال وليست نهايتهم الا نهاية أجساد • ولا نهاية لمبادئهم وسيرتهم •

الدكتور عبد الجليل شلبى

الخوانك والتكايا والرباطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق معنى الخوانك والرباطات والتكايا والزوايا وأن الخوانك عرفت في حدود الأربعمائة من سني الهجرة وأنه قد بطل استعمال هذا اللفظ منذ الفتح العثماني واستعمل بدله لفظ التكايا وهي تؤدي نفس الوظيفة .

وكانت الخوانك مظهرا من مظاهر البر الدائم والصدقة الجارية يتولى منشؤوها بالأوقاف عليها برعاية عدد من المنقطعين لعبادة الله تعالى رعاية كاملة شاملة كل حاجات معيشتهم من مأكل وملبس ومشرب حتى الصابون لغسيل ملابسهم . والمزين لقص شعورهم والأدوية لعلاجهم وغير ذلك مما سنراه في سياق البحث باذن الله .

ولا يزال اسم الخانكة باقيا لقرية بهذا الاسم في محافظة القليوبية جنوبي أبي زعبل بحوالي كيلو متر وشمال شرقي سرياقوس بحوالي كيلو متر ونصف وهذا الاسم نسبة الى خانكاه سرياقوس التي أنشأها الناصر محمد ابن قلاوون وهي من أعظم الخوانك ولكنها ليست من موضوع هذا البحث فهو قاصر على الخوانك في القاهرة .

وذكر المقريزي في الخطط ٢٢ خانكاه سرياقوس المذكورة و١٨ رباطا بالقاهرة والفسطاط والقرافة و٢٥ زاوية وذكر علي باشا مبارك ٢٠ تكية وما يقرب من مائتي زاوية . وبعض التكايا والزوايا التي ذكرها علي مبارك من ضمن ماذكره المقريزي ونحن

نقصر البحث فى هذا المقال باذن الله على الخوانك والرباطات بحى الجمالية أما الزوايا فلن نذكر منها الا ماكان أصلا خانكاه أورباطا ، وقد نستطرد لتفسير بعض الأسماء التاريخية للجاورات المحيطة بها •

وقد ذكر المقريزى فى هذا الحى خمس خوانك ورباط وذكر على مبارك تكيتين قال عن احداهما آنها احدى المدارس التى ذكرها المقريزى•فنحن نقصر هذا المقال على الثمانية المذكورة•

١ ـ خانقاه سعيد السعداء :

هى أقدم الخوانك فى القاهرة أنشأها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) • وكانت تعرف بالخانكة الصلاحية وبدويرة الصوفية

واسم سعيد السعداء نسبة الى أن موقعها كان دار القنبر أو عنبر أو بيان الملقب بسعيد السعداء عتيق المستنصر بالله الفاطمى وأحد الأستاذين المحنكين بالقصر وقتل سنة ٥٤٤هـ •

وموقعها الآن بشارع الجمالية بالقرب من الثقافة بشارع التمبكشية (راجع الخريطة) •

واسم التمبكشية نسبة الى أنه كانت هناك تجارة للطباق الذى يدخن فى النرجيلة (الشيشة) والشبك والعامة يسمونه التمباك أو التونباك • ويؤيد هذا أنه بالقرب من مدرسة وجامع الجمالى أى جمال الدين يوسف الاستادار (قتل سنة ٨١٢ هـ) وكالة اسمها وكالة الدخان لمبيع الدخان • وهذه الوكالة من انشاء الأشرف برسباى سنة ٨٢٥هـ •

أما اسم الجمالية فهناك رأيان • أحدهما أنه نسبة لأمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى والذى حرفت العامة اسمه بشارع مرجوش والرأى الثانى أنه نسبة الى جمال الدين يوسف الأستادار المذكور •

وكانت دار سعيد السعداء مقابل دار الوزارة فلما استوزر رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح اليها من دار الوزارة سردابا تحت الأرض يصلها بها •

وظل هذا السرداب موجودا حتى عهد المقريزى وقال أنه يقال ان به

حية عظيمة . وحدد موقعه وهذا الموقع الآن برأس حارة الميضة . أو بالقرب منها. جنوبى مدرسة الجمالية التى أصلها جامع ومدرسة قراسنقر .

وبعد رزيك المذكور سكن دار سعيد السعداء الوزير شاور السعدى ثم ابنه الكامل.حتى استولى صلاح الدين على الحكم وقضى على الفاطميين جعلها خانكاه برسم (الفقراء الصوفية والواردين فى البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت للفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد) . وأوقف عليها أوقافا عديدة.وعين لها شيخا ورتب لكل من الصوفية كل يوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال . وثلث رطل لحم فى مرق . ويعمل لهم الحلوى كل شهر ، ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كل منهم سنويا أربعين درهما للكسوة وكان عدد الفقراء بها ٣٠٠ صوفى

وتولى مشيختها . كبار العلماء المعدودين . وكان شيخها يلقب بشيخ الشيوخ . وظل هذا اللقب قاصرا على شيخ هذه الخانكاه حتى أنشأ الناصر محمد بن قلاوون خانكاه سرياقوس المذكورة . فلقب شيخها بشيخ الشيوخ فأصبح هذا اللقب يطلق على كل شيخ لأى خانكاه .

وكان صوفية هذه الخانكاه يخرجون جميعا لصلاة الجمعة فى الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم عند باب النصر فى هيئة مهيبة . وكان الناس يقدمون من الفسطاط وأنحاء المدينة لرؤية هذا الموكب من الصوفية كى تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم . وكان يتقدم الموكب شيخ الخانكاه وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة فى سكون وخفر حتى الجامع الحاكمى فيدخلون ويصلون تحية المسجد وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرأون القرآن فى خشوع حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الأجزاء منهم ويشتغلون فى الانصات للخطبة وبعد الصلاة يرفع قارىء منهم صوته بتلاوة ماتيسر من القرآن . ثم يقوم شيخ الخانكاه فيدعو للسلطان صلاح الدين ولواقف هذا المسجد وسائر المسلمين ثم يعودون الى الخانكاه .

رسم كروكى

يبين الخوانك وبعض الآثار التاريخية بحى الجمالية

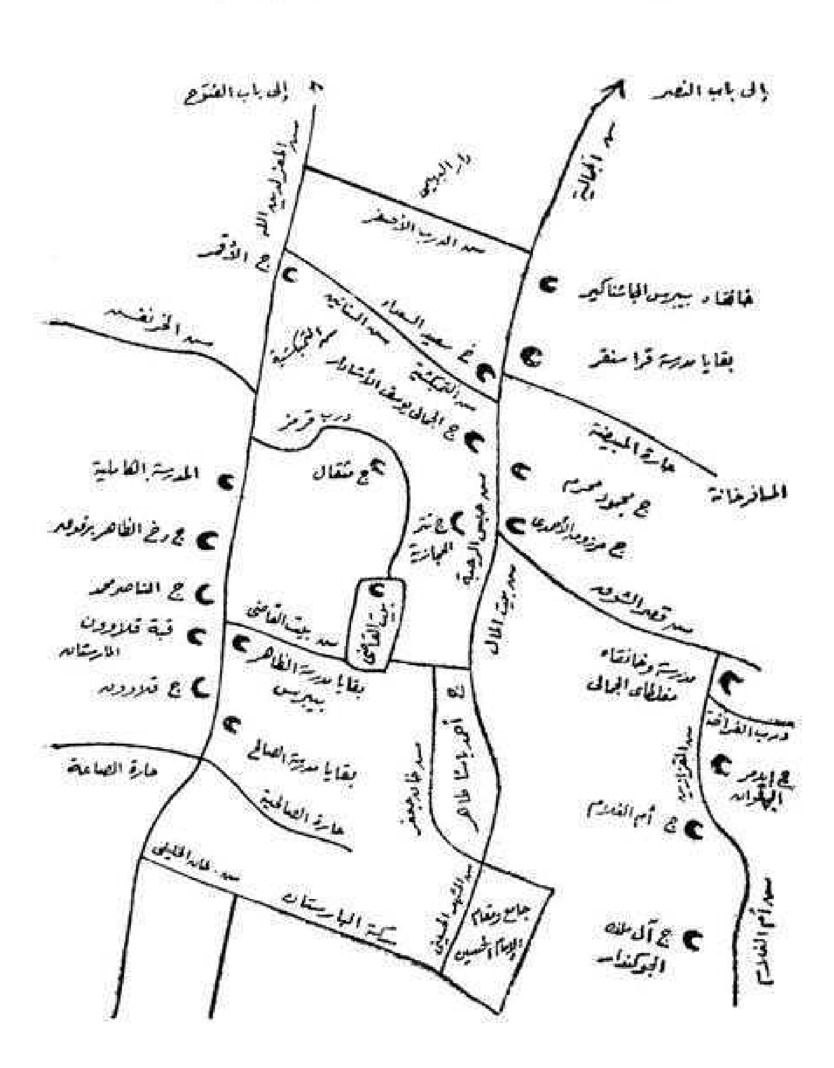

وظل حال الخانكاه مزدهرا حتى حصل شغب فى نظارة أوقافها بسبب عجز الموارد عن النفقات فتولى نظارتها (أى نظارة أوقافها وهذا غير المشيخة) (يلبغا السالمى) سنة ٧٩٧هـ فاستعرض صوفيتها الموجودين بها فقطع مرتبات من كان مشهورا بالمال وزاد المنقطعين من الفقراء • فقطع نحو الستين رجلا فقام أحدهم بالاعتراض على يلبغا واتهمه بالكفر • فعذر وضرب وحبس وتحامل السالمى فأمر صوفيتها بالصلاة فى الجامع الأقمر وهو على رأس حارة السفانين امتداد شارع التمبكشية وكان قد جدده وأبطل صلاتهم بالجامع الأنور فلزموا ذلك حتى انتهت أيام يلبغا فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمر وأيضا لم يعودوا للاجتماع بالجامع الحاكمى •

ولم تكن للخانكاه عند انشائها مئذنة • ولم تبن لها مئذنة الا بعد سنة ٧٨٠هـ •

ونقل على باشا مبارك عن السخاوى (فى الضوء اللامع من أعيان القرن التاسع) أن الأمير تغرى بردى أجرى تجديدات عديدة فى هذه الخانكاه أو الجامع (توفى سنة ٨٤٦هـ) كما نقل أيضا أنه مدفون بساحتها ١٤ رجلا من الصوفية الأتقياء ذاكرا تراجمهم ومؤلفاتهم وبعض كراماتهم (الخطط التوفيقية حـ ٤ ص ١٠٢) وكانوا يتبركون بالدفن هناك • وأخبرنى أحد الموجودين بها الآن أن عدد المدفونين ٤٣ صوفيا ولعلها مبالغة •

وكما شهدت هذه الخانكاه عزا ومجدا فقد أصابها من الدمار ما تأسى له النفس • فقد تهدمت مبانيها وتحولت الى أنقاض • وعلت قبور هؤلاء الصالحين أنقاض وأتربة يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار • وتبرع أخيرا الاتحاد الاشتراكى فاسكن فيما بقى من قاعاتها بعض العائلات الفقيرة فزادوها خرابا على خراب •

ولا يزال على بابها يافطة مكتوب عليها جامع سعيد السعداء وهذه للذكرى • فليس هناك جامع بالمعنى المعروف •

٢ ـ خانقاه المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير :

بشارع الجمالية على يمين المتجه الى باب النصر بعد خانكاه سعيد السعداء بقليل (راجع الخريطة) . وكان موقعها من ضمن دار الوزارة الكبرى فى عهد الفاطميين .

وقال المقريزى عنها : انها أجل خانكاه بالقاهرة شأنها وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة . وقال ان منشئها السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير أنشأ بجوارها رباطا وكانت مساحة الخانكاه والرباط والقبة نحو فدان وثلث . وكان بالخانكاه ٤٠٠ صوفى وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت . وقال عن بنيانها ان ما يدل على متانته واحكام صنعته انها لم يلزمها أى ترميم لغاية وقته (المقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ) .

وقد بدأ المظفر بيبرس الجاشنكير فى انشاء الخانكاه والرباط سنة ٧٠٦ قبل أن يتولى السلطنة . وأتمها أثناء سلطنته التى لم تطل (من ذى الحجة سنة ٧٠٨ الى رمضان سنة ٧٠٩) بعد السلطنة الثانية للناصر محمد بن قلاوون .

والجاشنكير كانت احدى الوظائف الكبرى فى دولة السلاطين المماليك . واللفظ مركب من كلمتين أعجميتين جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى . وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفا من أن يكون مسموما (صبح الأعشى للقلقشندى) .

ومما يذكر عن هذه الخانكاه أنه كان بالقبة التى بها قبر منشئها ثلاثة شبابيك على الشارع . ومن جملتها شباك كان يجلس فيه الخليفة العباسى ببغداد . ففى خلافة المستنصر بالله الفاطمى فى مصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ) أمكن للبساسيرى وزير القائم بأمر الله العباسى التسلط على الحكم وخطب بالجمعة أربعين أسبوعا للمستنصر الفاطمى فى بغداد . وأرسل البساسيرى للمستنصر هذا الشباك وعمامة القائم بأمر الله فجعل المستنصر هذا الشباك بدار الوزارة . فلما أنشأ بيبرس هذه الخانكاه جعله

فيها ، ثم بدا لأحد نظارها ازالة هذه الشبابيك الثلاثة وجعل موضعها حوانيت من أجل الريع .

وذكر ابن اياس فى حوادث سنة ٧٠٥ أن بيبرس صرف ١٧٠٠ دينار على نسخ ختمة مكتوبة بماء الذهب فى سبعة أجزاء فى ورق قطع البغدادى بقلم الشعر برسم هذه الخانكاه فكانت هذه الختمة من محاسن الزمان وأودعها بها .

ورتب بيبرس للمقيمين بالخانكاه والرباط الرواتب اليومية من الخبز واللحم والحلوى . وجعل فيها مطبخا لذلك . ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرس وعنده عدة من المحدثين . ورتب فى الشباك الكبير المذكور القراء يتناوبون قراءة القرآن فيه ليلا ونهارا . وأوقف الأوقاف العديدة لذلك . بدمشق والقاهرة والجيزة والصعيد والوجه البحرى وعقارات بالقاهرة .

ولما عاد الناصر محمد بن قلاوون للحكم فى سلطنته الثالثة هرب بيبرس الى الصعيد . ثم حاول السفر للخارج فقبض عليه عند غزة وحمل الى الناصر فوبخه وعنفه وأمر بحبسه فى مكان بالقلعة . وتوفى بيبرس فى نفس الليلة ١٥ ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ فدفن بتربة الفارس أقطاى . ثم نقل الى تربة كان بناها لنفسه بسفح المقطم . ثم بعد مدة طويلة نقل مرة ثالثة الى قبته بهذه الخانكاه . وذكر المقريزى أنه أدرك شيخا من صوفيتها أخبر أنه حضر نقل بيبرس من تربته القرافة الى الخانكاه . وأنه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه .

ومحا الناصر اسم ركن الدين بيبرس من الطراز الذى بظاهر الخانكاه فوق الشبابيك وعطلها نحو ١٧ سنة . ثم أعيد فتحها سنة ٧٢٦ وأعيدت لها أوقافها ورواتب صوفيتها .

وفى سنة ٧٧٦ فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد حصل شراقى لبعض أراضى أوقافها . فعطل مطبخها وبقى راتب الخبز مع مبلغ سبعة دراهم شهريا بدل اللحم والحلوى . زيدت فيما بعد الى عشرة دراهم . وفى سنة ٧٩٦ شرقت

الأراضى ثانية فأبطل الخبز أيضا واستبدل بفلوس •

وهـذه الخانكاه حاليا فى حالة لا بأس بها أرضيتها من الرخام • وبدائر صحنها أماكن الخلوة للصوفية • وقد عددت بها عشرة أبواب • والخلوة عبارة عن غرفة صغيرة جدالاتزيد عن ٢ × ٢ متر • كما أن الخانكاه من ثلاثة أدوار وتقل كثيرا فى مساحتها عما ذكره المقريزى • ولعل المساكن زحفت على الرباط الذى كان بجوارها •

وأصبحت الخانكاه مجرد جامع مثل باقى الخوانك •

٣ ـ الخانكاه الظاهرية أو جامع الظاهر برقوق •

موقعها بين القصرين بشارع المعز لدين الله • جنوبى المدرسة الكاملية • وشمال جامع ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون • وذكرها على مبارك ضمن المدارس باسم المدرسة البرقوقية • وذكرها المقريزى بين الخوانك وقال انه تكلم عنها بين الجوامع • ولكنه لم يذكرها هناك •

هذه الخانكاه بدأ فى انشائها الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق سنة ٧٨٣ هـ وانتهى منها سنة ٧٨٦ • وبرقوق حكم من سنة ٧٨٤ ـ سنة ٨٠١ هـ • وعزل سنة ٧٩١ ولكنه تمكن من العودة للحكم سنة ٧٩٢ • ويعتبر أول السلاطين البرجية أو الشراكسة • وقيل أنه لقب بالظاهر لأنه بويع بالسلطنة بعد صلاة الظهر ١٩رمضان سنة ٧٨٤ هـ •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٧٨٨ عن هذه المدرسة: أن حجارتها كانت تقطع من الجبل وتسحبها الأبقار بعد وضعها على عجل وهى التى يسمونها الحجارة العجالى •

وفى هـذا الخبر ما يفسر البيتين الآتيين عن هذه المدرسة :

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة
فاقت على ارم بسرعة العمل

يكفى الخليلى أن جاءت لخدمته
صم الجبال بها تمشى على عجل

وهى من أجل الخوانك أو المدارس بنيانا وأجملها زخرفة . تصعد اليها من الشارع بعدة درجات . ثم تدخل فى طرقة ملتوية تؤدى الى الصحن . الذى به فسقية من رخام محملة على ثمانية عمد من رخام . وأرضية الصحن من رخام ذى ألوان متعددة وبأشكال هندسية مختلفة .

وعلى يمين الداخل الى الصحن ايوان القبلة به دكة المبلغ من رخام محملة على ثمانية عمد من رخام . ودكة القارىء من خشب مطعم بالعاج . والمنبر من عهد منشئه بكتابة عليه أنشأ هذا المنبر الظاهر برقوق أبو سعيد عز نصره . وسقف هذا الايوان محمول على أربعة عمدضخمةمن الحجرقطر الواحد منها متر تقريبا . والقبلة من رخام عليها قبيبة محملة علىأربعة عمد من رخام . والسقف به نقوش عربية فى غاية الابداع وتحته ازار به آيات قرآنية بالذهب واللازورد .

وفوق حائط القبلة أربعة شبابيك من الحديد المشغول والزجاج الملون مكتوب بها اسم منشئها وألقابه . بالترتيب من اليمين : عز مولانا — السلطان الملك — الظاهر برقوق . أما الرابع فمكان الكتابة مكسور . وفوق المنبر الطاقةالتقليدية المستديرة من الحديد المشغول والزجاج الملون . ويحيط بالصحن ثلاثة ايوانات أخرى صغيرة . وأبواب غرف لخلوة الصوفية يعلوها دوران بهما شبابيك مطلة على الصحن .

وفى الصحن فى مواجهة الداخل باب بداخله فناء مسقوف مشغول سقفه بنقوش عربية بالذهب واللازورد . وبه ضريح يقال أنه ضريح الظاهر برقوق . ويقال أيضا أنه ضريح ابنته فاطمة . ولكن على باشا مبارك ذكر أنه دفن بتربته بالصحراء .

وشرقى القاهرة الفاطمية بالقرافة المعروفة هناك بقرافة قايتباى خانكاه الناصر فرج بن الظاهر برقوق . لم يذكرها المقريزى ضمن الخوانك. كذلك لم يذكر خانكاه الأشرف برساى (٨٢٥ — ٨٤١ هـ)

ولا خانكاه الأشرف اينال (٨٥٧ ــ ٨٦٥ هـ) وهما بالقرافة المذكورة .

ذكرها المقريزى من ضمن الخوانك . وأيضا المدارس . وقال أنها بالقرب من درب راشد ويسلك اليها من رحبة باب العيد . وموقعها الآن بشارع قصر الشوق المتفرع من شارع حبس الرحبة الذى هو امتداد بشارع الجمالية . والخانكاه فى نهاية هذا الشارع وبه بابها . أما باب الدورة فمن درب خلفها اسمه درب الفراخة (راجع الخريطة) .

قصر الشوق أو قصر الشوك :

واسم قصر الشوق من الأسماء القديمة . وكان أصلا قبل انشاء القاهرة الفاطمية اسمه قصير الشوك (بصيغة التصغير) لمكان كانت تسكنه قبيلة بنى عذرة . ثم أدخل القائد جوهر هذا المكان ضمن القصر الشرقى الفاطمى الكبير وعرف فيما بعد بقصر الشوك . حيث أن الفاطميين بنوا فى حدائق القصر الكبير ــ الذى كانت مساحته حوالى السبعين فدانا (١) ــ عدة قصور عرفت بالقصور الزاهرة . وكان قصر الشوك أحد هذه القصور . وحرفت العامة هذا الاسم الى قصر الشوق لأنه ألطف فى التعبير والمعنى . ولكن المراجع التاريخية تذكره باسم قصر الشوك .

وشارع قصر الشوق هو الذى ذكره المقريزى باسم درب راشد نسبة الى يمين الدولة راشد أحد غلمان العزيز بالله بن المعز لدين الله . كما أن درب الفراخة ذكره المقريزى باسم درب نادر نسبة الى سيف الدولة نادر أحد غلمان العزيز أيضا ، وتوفى نادر سنة ٣٨٢ هـ .

وكان القصر الشرقى الكبير يحتوى على عدة قصور كما ذكرنا . وكان له تسعة أبواب أحدها باب قصر الشوك . سمى بهذا لمجاورته لهذا القصر . وقد حدد المقريزى موقعه فى الكلام عن المدرسة البيدرية

(١) هكذا ذكر على مبارك فى الخطط . ولكن ما لدينا فى الأطوال حسبما سنذكره فى أبواب القصر لا يعطينا غير ٪ هذه المساحة تقريبا .

(نسبة الى بيدر أيدمر البهلوان وهى الآن جامع أيدمر البهلوان) فقال هى برحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك بينه وبين المشهد الحسينى ٠ ا هـ ٠ فيفهم من هذا أن هذا الباب كان شرقا من هذا الجامع بقليل ٠ وكانت رحبة الأيدمرى هذه من ضمن رحبة قصر الشوق التى ذكرها المقريزى وقال أنها كانت رحبة كبيرة قبلى القصر الشرقى الكبير ممتدة من باب قصر الشوك الى دار الحاج آل ملك والمدرسة الملكية ٠ ا هـ ٠ والمدرسة الملكية هى جامع آلملك الجوكندار وكانت داره بجوارها ٠

ابواب القصر الشرقى :

وللاستطراد نذكر باقى أبواب القصر الشرقى التسعة ٠ فقد كان هناك : (١) باب الديلم وهو المؤدى للمشهد الحسينى ثم (٢) باب قصر الشوك المذكور ٠ ثم (٣) باب الزمرد سمى بهذا لمجاورته لقصر الزمرد أحد القصور الزاهرة ٠ وموقعه الآن جامع تتر الحجازية وهى بنت الناصر محمد بن قلاوون ثم (٤) باب العيد وموقعه بالقرب من جامع الجمالى يوسف الاستادار ٠ وسمى بهذا لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيدين فى المصلى الكبير خارج باب النصر ٠ ثم (٥) باب الريح وكان بالقرب من خانكاه سعيد السعداء ٠ ثم فى الجانب الغربى للقصر على شارع المعز لدين الله حاليا (٦) باب البحر مقابل المدرسة الكاملية وسمى كذلك لأن الخليفة كان يتوجه منه الى المقس حيث الآن ميدان رمسيس وكانت هناك المياه النهرية للقاهرة لأن النيل كان يجرى فى زمن الفاطميين خلف موقع جامع أولاد عنان الذى هدم أخيرا وأقيم مكانه مسجد اسمه جامع الفتح بشارع الجمهورية ٠ وكان الخلفاء يذهبون هناك لتوديع الأسطول الخارج للغزو أو لاستقباله بعد الغزو ٠ وكان طريقه من هناك الى فرع دمياط الى البحر الأبيض ٠ وكان عدد قطع الأسطول فى أول عهدهم ٦٠٠ قطعة ٠ ثم (٧) باب الذهب وهو أهم الأبواب ويفضى الى قاعة الذهب التى هى بمثابة ما تعرفه بقاعة العرش وكان موقع هذا الباب محراب مدرسة

الظاهر بيبرس البندقدارى جنوب شارع بيت القاضى . ثم فى الجانب القبلى(٨)باب الزهومة وموقعه بحارة الصالحية جنوبى مدرسة الصالح نجم الدين أيوب . وسمى بهذا الاسم لأنه كان يدخل منه ما يلزم لمطابخ القصر من لحوم وطيور وخضراوات وفواكه ووقود وغيرها . ثم (٩) باب تربة الزعفران حيث مقابر الفاطميين موقعها حاليا خان الخليلى .

حبس الرحبة :

وشارع حبس الرحبة المتفرع منه شارع قصر الشوق المقصود منه رحبة باب العيد . وكانت رحبة متسعة يفصلها عن رحبة قصرالشوك السابق ذكرها خزانة البنود . وهى احدى خزائن الفاطميين . والبنود هى الأعلام . وكانت بهذه الخزانة فضلا عن الأعلام والعصائب ثروات هائلة من السيوف والرماح والدرق والقضب من فضة وذهب وغيرها من آلات الحرب . وكان بها ٣٠٠٠ عامل . وأسهب المقريزى فى وصفها (الخطط جـ ١ ص ٤٢٣) . واحترقت سنة ٤٦١ هـ . فعملت بعد ذلك سجنا . واستمرت كذلك فى أواخر عهد الفاطميين وعهد الأيوبيين . وفى عهد السلاطين المماليك أسكنوا فيها الأسرى من الفرنج المأسورين بالبلاد الشامية ففسدوا وأفسدوا وتجاهروا بالمحرمات بأنواعها فأخليت منهم وهدمت سنة ٧٤٤ على يد الأمير نائب السلطنة الحاج آل ملك الجوكندار .

وحبس الرحبة ذكره المقريزى فى اللف ولم يذكره فى النشر . أعنى عده من ضمن السجون . ولكنه لم يدخله فى التفصيل . فلعله اسم آخر لسجن خزانة البنود .

نعود الى ما قبل الاستطراد الى الكلام عن خانكاه مغلطاى الجمالى فنقول أنه أنشأها سنة ٧٣٠ الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانكاه للصوفية . وقال المقريزى ان شأنها كان كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس

القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية ٠ وتلاشى أمرها لسوء ولاة أمورها وتخريبهم أوقافها ٠ وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها ٠ اهـ٠

وبعد ٤٥٠ عاما تقريبا من عهد المقريزى ذكرها على مبارك ضمن الزوايا باسم زاوية الجمالى وقال ان شعائرها معطلة لتخربها ٠

ويبدو أنها رممت أخيرا ترميما بسيطا فهى مقامة الشعائر ولكن دون أن يكون لها أى مهابة أو تبدو عليها أى عراقة تاريخية ٠

ومغلطاى الجمالى المذكور أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقى فى خدمته حتى بعثه أميرا للركب الى الحجاز ٠ ثم عينه استدارا ٠ ثم أضاف اليه الوزارة فى سنة ٧٢٤ ــ سنة ٧٢٨ ٠ ثم صرف منها وبقى استدارا ٠ ثم سافر الى الحجاز وتوفى فى طريق العودة سنة ٧٣٢ فصُبِّر جثمانه وحمل الى القاهرة فدفن بهذه الخانكاه ٠

وقال المقريزى انه كان حسن الطباع محبا للخير ٠ وكان يقبل الهدايا ٠ فجمع مالا كثيرا ٠ ولكن لم يعرف عنه أنه صادر أحدا ٠ أو اختلس مالا ٠ وخلف أولادا غير صالحين ولا مصلحين ٠

٥ ــ الخانكاه الشرابيشية :

ذكرها المقريزى وقال أنها بالدرب الأصفر فى آخر المنحر الذى كان للخلفاء أنشأها الصدر الأجل نور الدين على بن محمد بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى اليسار وخلف ثروة كبيرة ٠ ولم يذكر تاريخ وفاته ولا تاريخ أنشائها ٠

وقال على مبارك ان هذه الخانكاه قدزالت وفى محلها الآن الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب الأصفر وقال فى موضع آخر ان دار السحيمى آلت بالشراء الى

السيد محمد امام القصبى شيخ الجامع الأحمدى .

ودار السحيمى موجودة للآن تابعة لهيئة الآثار المصرية بوزارة الثقافة. يقصدها السواح والدارسون برسم دخول قدره عشرة قروش . وهى جديرة بالمشاهدة لما فى تنسيق غرفها الفسيحة بسقوفها المزخرفة وأرضياتها وفسقياتها الرخامية ونوافذها بزجاجها الملون ومشربياتها بالخرط والتعشيق محكمى الصنعة وآثاثاتها العربية المختلفة ما ينقل للمشاهد بوضوح ما كانت عليه الحالة المعيشية لذوى اليسار فى القرن الماضى . وما كان فى هندسة البيوت فى تلائم مع طقس البلاد وطبيعة الحجاب . فالنوافذ تطل على فناء فى الداخل ولا فتحات فى الخارج الا باب الدخول . فيشعر المرء فى الدار بسكينة وهدوء بعيدا عن كل جلبة أو ضوضاء . وبفنائها حديقتان للرجال والنساء وبها أشجار يزيد عمر بعضها عن القرنين من الزمان .

وجنوبى الدرب الأصفر كان المنحر الذى يذبح فيه الخلفاء الفاطميون الأضحية فى عيد الأضحى. وقد ذكرت فى مقال سابق من مقالات (صفحات من تاريخ القاهرة) انه بلغ عدد الذبائح فى أحد الأعياد فى ثلاثة أيام العيد ١٧٦٤ رأسا من نياق وجاموس وبقر وأغنام . وأن الخليفة كان ينحر بعضها بنفسه .

٦ ـ رباط البغدادية :

كان بالدرب الأصفر تجاه خانكاه بيبرس الجاشنكير . انشأته تذكار باى خاتون بنت الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ للشيخة الصالحة زينب المعروفة ببنت البغدادية . وكان وقفا على النساء . وقال المقريزى وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهن . لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات .

وقال على مبارك ان هـذا الرباط قد زال بالكلية .

٧ ــ تكية درب قرمز أو جامع مثقال:

ذكرها على باشا مبارك وقال انها هى المدرسة السابقية التى ذكرها المقريزى وأنها معروفة بجامع درب قرمز وقال انها (الآن) معطلة .

والمدرسة السابقية المذكورة بناها الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية . وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية ورتب فيها قراءات وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه أيتام المسلمين.وولى المذكور تقدمة المماليك سنة ٧٦٣ . ثم غضب عليه سنة ٧٦٨ فنفى الى أسوان . ثم أعيد لوظيفته فظل بها حتى مات سنة ٧٧٦ هـ . وكانت المدرسة بجوار داره . والموقع من ضمن القصر الشرقى الكبير .

وهذا الجامع الآن تصعد اليه بعدة درجات . وغير معطل.بل أعيد ترميمه أخيرا فعاد الى حالة جميلة بنقوش زاهية أنيقة حتى أصبح من التحف الاسلامية . وحصل هذا الترميم فى سنة ١٩٦٣ ــ ١٩٧٦ م. بالتعاون بين هيئة الآثار المصرية ومعهد الآثار الألمانى بالقاهرة .

ودرب قرمز يبدأ من شارع المعزلدين الله عند زاوية بين القصرين ويتجه الى الشرق حتى الجامع المذكور مع بعض الانحناءات . ثم يسير جنوبا حتى ميدان بيت القاضى فى سرداب مقبو تحت جزء من هذا الجامع .

٨ــ تكية السنانية :

ذكرها على مبارك ضمن التكايا وقال انها بالجمالية بالقرب من خانكاه سعيد السعداء . ولم يترجمها.وقال (جـ ٢ ص ٢٣) فى الكلام على درب قرمز ان به التكية المعروفة بتكية درب قرمز بداخلها أشجار ومبانى جديدة وبجوارها ضريح الشيخ سنان ثم المدرسة السابقية التى تعرف بجامع درب قرمز . ا هـ .

وموقع هذه التكية الآن بدرب قرمز على يسار الداخل من بين

القصرين قبل الوصول الى المدرسة السابقية المذكورة .

وسنان باشا المنسوبة له هذه التكية هو سنان باشا بن على بن عبد الرحمن تولى الولاية على مصر مرتين ٩٧٥-٩٧٦، ٩٧٩ - ٩٨٠هـ. وأرسلته الدولة العثمانية للحرب فى اليمن وتونس وانتصر فيها . وتولى الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة فى تركيا) أربع مرات . وله آثار عديدة من مساجد وربط وتكايا بمصر والشام وتركيا . منها جامع سنان باشا ببولاق . وتوفى سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) .

محمد كمال السيد محمد

اهمية الحاكم فى المجتمع

قال الأفوه الاودى :

البيت لا يبتنى الا له عمد (١)
ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد واعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

---

(١) العمد : الأعمدة .

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٣ —

فى الجانب الاخلاقى والاجتماعى :

ومن أخصب المواقع افراخا للالحاد ، الحديث عن وضع المرأة فى الاسلام وفى هذا الاتجاه جاء بالأهرام فى ١٩٦٥/١١/٢١ تحقيق عن المرأة التركية تضمن حديثا للسيدة عزيزة جونفير حرم سفير تركيا فى القاهرة قالت فيه (ان الدين لله وكل واحد منا حر فى عقيدته وان كانت المرأة المسلمة لا تقبل كثيرا على الزواج من غير دينها مما يدل على أن المرأة مهما تحررت فهى أكثر محافظة من الرجل ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للأجيال القادمة ... الخ) • وأنه لشديد الوضوح ما يوحى به هذا الحديث من الربط بين الالحاد والتحرر •

وفى آخر ساعة ١٩٦٥/١١/٢٤ تحقيق عن السنغال تحدث فيه الكاتب عما سماه سهولة العلاقة بين الجنسين فى أفريقيا « دعا فيه الى أن تكون نظرتنا الى هذه النظرة موضوعية ، هذه النظرة (التى تجعل الزائر فى نهاية الرحلة يتراجع عن نظرته الآثمة) ويرى المسألة سواء فى ناحيتها الايجابية أو السلبية (مجرد تقاليد موروثة ••) •

وأعتقد أن مثل هذه النظرة التى يدعو اليها المؤلف — لأغراض الحادية لا يمكن أن تتوافر مع مجهودات الدولة فى بناء شباب سليم •

أما السيدة أمينة السعيد فتنصح فى احدى المشكلات الواردة اليها ،

باللجوء الى الزواج العرفى تخلصا من حكم القانون بسقوط حق الحضانة من المرأة عندما تتزوج مرة ثانية (المصور ١٩٦٥/١٢/٣) وهذه النصيحة على ما تتضمنه من احتجاج خفى على موقف الشرع فى أحكام الحضانة ، فانها دعوة الى الهروب من القانون .

وفى اعلان عن فيلم تقول صباح الخير ١٩٦٥/١٢/٢ (هل أبقى التحول الاشتراكى فى بلادنا مكانا للرجعية ؟ لقد قضى عليها نهائيا الا من بعض التصرفات الاجتماعية التى تتمثل فى أب جاهل يفرض على ابنته المراهقة رقابة قاسية ، يحرمها من الحب ، بل يحرمها من الدراسة ويحبسها فى البيت عندما يراها تحب ابن الجيران ..) .

ان هذا لون من التيارات الالحادية الخطرة التى تعمل فى نفس الوقت على هدم أخلاق مجتمعنا .

ولا شك أن المنابر الصحفية التى يتسلقها بعض الكتاب للتوجيه فى حل المشاكل الشخصية هى من أكثر المواد الصحفية جاذبية وتأثيرا فى نفس الوقت .

ولنأخذ عينة من هذه التوجيهات، ولتكن من مجلة لصيقة بالأسرة : مجلة حواء لنرى أية قيم ينبعث عنها هؤلاء فى توجيهاتهم ، وأية نتائج يدفعون اليها .

حواء ١٥ يناير ١٩٦٦ — بريد حواء .

المشكلة الأولى : لفتاة تشكو من قيود عائلتها المتدينة ، التى تمنعها من الخلوة بخطيبها ، ويتضمن الرد على صاحبة المشكلة تنديدا بالأذهان المتخلفة التى تظن أن الأخلاق يمكن أن تتربى بالسخرة أو العقوبة أو الاعتقال .. الخ .

المشكلة الثانية : لفتى متدين يشكو من أن بعض جاراته يحاولن لفت نظره بطرق شتى ، ويتضمن الرد تنديدا بما فى لا شعوره من خيالات مريضة ، دفعه اليها تقوقعه ..الخ.

المشكلة الثالثة : لفتاة تشرف على شئون اخوتها الذكور بدلا من والدتهم المتوفاة وتلاحظ عليهم بعض الانحرافات : فالأكبر على صلة

بنسوة كثيرات يبتززن نقوده والمتوسط يعرف العديدات من البنات ويخرج معهن يوميا،والأصغر يعرف واحدة والأخت منزعجة .

لذلك، ترجوالنصيحة ،والنصيحة المزجاة هى : أن الأخت تثقل على نفسها ، وأن الأخوة وان كان سلوكهم (ليس صوابا ١٠٠ فى المائة) الا أنه عادى تقريبا ، ومألوف ولا داعى للانزعاج من هذه الأمور ..

هكذا ...

هذا فى نفس الوقت الذى تضع فيه الدولة مشاكل توجيه الشباب على أعلى المستويات .

وقد خصصت مجلة الطليعة فبراير ١٩٦٦ عدة مقالات لبحث مشاكل الشباب ، ولم تعط أهمية للتربية الدينية وتضمن مقال الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل تنويها بالاختلاط وعدم الفصل بين تعليم البنات والبنين .

كما تضمن مقال الدكتور فؤاد زكريا : ان السلبية والفراغ الفكرى هو ما يدفع الشباب الى الانتماء لجماعات دينية متعصبة ، أو الى عصبيات رياضية مدمرة ، ونوه بالوضع الخطير الذى وصلت اليه مظاهر التعصب فى هذا المجال الأخير .

وتدعو مجلة صباح الخير فى أعداد متوالية الى تعميم نظام الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم ، (صباح الخير ٦ ، ١٣ ، ١٩٦٦/١/٢١

وتواصل صباح الخير دعوتها الى تعميم الاختلاط فى جميع المراحل ، وتسخر من المعارضين ، ومن أفكارهم ، مثل : ما اجتمع رجل وامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما » ـ لعن الله الفتنة ومن أيقظها ـ المايوه عيب ... الخ (صباح الخير فبراير ١٩٦٦) .

وبعنوان (الاختلاط ضرورة اجتماعية) كانت الدعوة الى ندوة عامة اشترك فيها بعض الكتاب

والمشتغلين بالتعليم (الأخبار ١٩٦٦/٢/٢٤) .

وان المرء ليتساءل كيف تتوقى الآثار المدمرة للأخلاق التى تنشرها المجلات فى الصور الداعرة التى يندى لها الجبين ، ومثالها ما جاء فى آخر ساعة ١٩٦٦/٣/٣٠ ؟

ونجد مصداق هذا التدمير فى مشكلة عاطفية لفتاة سقطت وهى بصدد اصطياد زوج ، حيث تذكر الفتاة فى خطابها لروزاليوسف ١٩٦٦/٤/٧ أن جانبا من المسئولية فى مأساتها يرجع الى ما تنشره الأفلام والمجلات والأغانى من اثارة وتحلل ، وحيث يوافق الكاتب على ذلك فى رده عليها .

ويبدو أن التخفف من قسوة الحكم على جريمة الزنا ، واللامبالاة الاجتماعية بهذا النوع من الآثام ، والميل الى اعتبار الآثام الخلقية داخلة فى اطار الحرية الشخصية : أمور تأخذ الآن طريقها فى صميم المجتمع ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، هذا ما يتبين من مختلف الردود التى نشرتها روزاليوسف ١٩٦٦/١/١٧ من مختلف المواطنين فى ردهم على مشكلة عاطفية لزوجة منحرفة .

وينصح أحد الكتاب ـ يوسف ادريس ، الجمهورية ٥/٢١ ـ فتاة تشكو من حبها المصحوب بالحرمان، بأن تخفف من حرمانها كوسيلة للتخلص من شدة عاطفتها ، ، يقول للفتاة (حتى تلك القبلة ـ التى أتمنى أن تكون مجرد قبلة ـ تخافها الفتاة الى الدرجة التى لا تسمح بها لفتاها الا بعد عام ونصف من العلاقة ، وربما لو كانت قد جربتها منذ الأيام الأولى لانتهت قصة الحب واستراحت ، ولكن هكذا نعلم شبابنا وفتياتنا أن يقاوموا الحياة وكأننا نأمرهم بالامتناع عن الطعام نفسه أو الماء من أجل السيرة الحسنة ...) .

لا أظن أن هذا يحتاج الى تعليق .

ثم .. ما هى الفكرة الأساسية التى تحرك المرأة فى اقبالها على الموديلات الحديثة ؟

من النادر أن نجد اعترافا بأنها الحصول على اعجاب الرجل والفوز به . وهذا الاعتراف النادر نجده بالأهرام ٢٢/ ٤ ، ٦/٥

لكن الغريب حقا أن يحاول الداعون الى الحشمة الارتكاز على هذه الفكرة نفسها ــ كما تفعل الأهرام فى بعض الأحيان ــ والأغرب من ذلك أن تشارك مجلة دينية فى نفس الاتجاه ، تقول مجلة المسلم فى عددها الأخير عن الجيب القصير (أن طولها لا محافظ ، ولا أنثوى ، فالأنوثة مع الاحتشام والحياء والرقة ...) .

وفى رأيى أن هذا طريق مسدود لا يمكن أن يقنع المرأة بالاحتشام ، فهى أعرف من الجميع بالطريق الى الفوز باعجاب الرجل ، واننا اذا أردنا أن نفوز باقناع واحدة منهن بالاحتشام فلن يفيد غير الوضوح والصراحة واستقامة الكلمة ، والاحتكام الى كلمة الله (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ... الخ) ، فاذا لم يفلح ذلك فلا فلاح من بعد .

واذا كانت هذه هى كلمة الله فان المرء ليتحسر عندما يجد أحد قراء هذه الكلمة يقول فى برنامج تليفزيونى (انه لا يطلب الى بناته التستر بالطرحة ، لأنه لا يحب (المداريين) . التليفزيون ١٩/ ٥ .

كذلك نأسف على ما جاء على لسانه فى موضوع آخر ــ موضوع الحج الى بيت الله أنه لا يقبل الرجوع اليه مرة أخرى (لأنه مش واخد على البهدلة) ..

وفى مجلة رسالة اليونسكو فى عددها العربى رقم ٦٩ مارس ١٩٦٧ نجد مقتطفات من كتاب حضارة العالم بقلم « دينيه ماهى » المدير العام لليونسكو ونجد فى هذه المقتطفات دعوة ملحة الى مكافحة مادتى الاثارة والفضائح فى وسائل الاعلام .

وفى هذا الصدد نذكر ما نقلته الأهرام بتاريخ ١/٣/١٩٦٧ عن صدور بعض القوانين فى الأرجنتين والتى تشدد على مراعاة الآداب العامة .

وليس أقل أهمية من ذلك فى صدد الكشف عن التيار الالحادى فى المجال الاجتماعى الأخلاقى ، أن نشير الى الأثر العميق الذى يتوقع أن تتركه زيارة جان بول سارتر للقاهرة فى مجال الصراع بين قوى الايمان وقوى الالحاد ، خاصة اذا لاحظنا الحفاوة العظمى التى لقيها فى الأوساط الثقافية والاعلامية المختلفة • ولا يقلل من خطورة هذا الأمر أن يقال : أن سارتر ضمير العصر ، أو داعية الحرية ، أو نصير الثورة أو صديق الاشتراكية ، فكل هذه المفاخر ، من شأنها أن تجعل أثر هذه الزيارة فى تقوية التيار الالحادى أعمق وأخطر •

ولابد أن نشير هنا الى ما يمكن أن تتركه زيارة سارتو وسيمون من آثار فى مجال العلاقة بين الرجل والمرأة اذا لاحظنا أن العلاقة بين الكاتبين لا تقوم على أساس الزواج ولا على أساس من الحب الملتزم بالاخلاص (الأهرام ١٩٦٧/٢/٢٦)• واذا أضفنا الى ذلك مناداة الكاتب محمد عودة فى الجمهورية بتاريخ ١٩٦٧/١/١٩ بأن يضم الكتاب الذى تزمع وزارة الثقافة اصداره عن هذه الزيارة (فصلا عن هذه العلاقة الملهمة الفريدة التى جمعت بينهما •

وهى علاقة قد لا يفهمها البعض عندنا بمقاييسنا الشرقية ، وذلك كما لا يفهمها أيضا البعض فى أوربا المحافظة : ولكنها احدى العلاقات التاريخية التى تقوم على أعمق وأصدق ما تقوم عليه العلاقة بين الرجل والمرأة ، وقد أغنت الحياة الأدبية والعاطفية للعصر كله ، وهى علاقة لابد أن يفهمها ويستشعرها شبابنا وفتياتنا ، لأن الثورة الاشتراكية هى أيضا ثورة فى أهم علاقة انسانية وهى العلاقة بين الرجل والمرأة •••) •

هذه دعوة الى أن تكون العلاقة بين سيمون وسارتر مثلا أعلى للعلاقة بين الرجل والمرأة ومثل ذلك هدم للمجتمع والدين على السواء •

د : يحيى هاشم

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٩ —

فصل المقال فى زكاة الورق النقدى :

فى هذه المجلة الغراء (عدد رمضان سنة ١٣٩٦ ص ١٠٧٢) نقل الأستاذ الفاضل محمود محمد رسلان فتوى فى هذا الموضوع كتبها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ طه حبيب فى هذه المجلة حينما كانت تسمى نور الاسلام منذ خمس وأربعين سنة ، وخلاصة هذه الفتوى أن الورق النقدى (البنكنوت) يبعد أعتباره نقودا وضعية مصنوعة من الورق على غرار النقود المصنوعة من النحاس والنيكل وما شاكلهما من المعادن غير الذهب والفضة ، وهى النقود التى كانت تسمى فلوسا ، كما يبعد اعتبارها سندات بودائع كأن حاملها دفع الى البنك المبالغ المثبتة بها ليحفظها البنك لديه .

فالأقرب أنها سندات (أى ايصالات) ديون ، فالورقة ذات الجنيه أو خمسة الجنيهات أو ما فوقها كانت عند اصدارها منذ ثمان وتسعين سنة شمسية سندا بدين حال يتعهد البنك لحامله بدفع جنيه ذهبى مصرى أو خمسة جنيهات أو ما فوقها عند الطلب ، والورقة ذات الخمسين قرشا أو الخمسة والعشرين قرشا سند بقروش فضية مصرية تدفع عند الطلب ، فاذا اشترى الانسان شيئا بهذه الأوراق لم تكن هذه الأوراق ثمنا لهذا الشيء ، وانما تكون حوالة على البنك ينتقل بها الدين الى البائع (مثال) ذلك أن يشترى انسان شيئا بجنيه ثم لا يدفع للبائع جنيها ذهبيا وانما يدفع له الورقة ذات الجنيه التى كانت تدل على أنه دائن

للبنك بجنيه ، فاذا أخذها البائع لم يكن آخذا للثمن ، وانما يكون محالا على البنك فيصير هو الدائن للبنك بالجنيه بدلا من المشترى ، وهكذا تكون جميع المعاملات بهذه الأوراق من قبيل الحوالة •

اذا علم هذا فالأوراق التى يضعها الانسان فى خزانته أو يودعها شخصا ليحفظها اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول ولم يقبضها ذهبا أو فضة — فان حكم زكاتها هو حكم زكاة الديون ، وقد اختلف الفقهاء فى زكاة الديون : (فالشافعية) قرروا أن الدين الذهبى أو الفضى اذا كان حالا — أى غير مؤجل — وكان على ملىء — أى غنى — وكان ذلك الملىء مقرا ، أى معترفا بالدين مستعدا لسداده عند الطلب — وجبت زكاته عند انتهاء الحول متى كان بالغا النصاب ، ولا يتوقف وجوب دفع الزكاة على قبض الدين من البنك ذهبا أو فضة ، لأن التمكن من القبض فى قوة القبض بالفعل • فهذا المذهب (أعنى مذهب الشافعى) صريح فى وجوب أداء زكاة هذه الأوراق من غير توقف على قبضها ذهبا أو فضة •

وأما المذاهب الثلاثة : الحنفى ، والمالكى ، والحنبلى فلو سلكنا فى تطبيقها المسلك الحرفى لكانت نتيجة ذلك أنه لا يجب أداء الزكاة فى هذه الأوراق مطلقا ، وذلك لأن الدين فى المذاهب الثلاثة لا يجب أداء الزكاة فيه الا اذا قبض من المدين ذهبا أو فضة ، وهذه الأوراق يستغنى حاملها عن الذهاب الى البنك وقبض بدلها لأنه يستطيع أن يقضى جميع حوائجه دون أن يخطو خطوة واحدة الى البنك لأنها أصبحت فى عرف الناس نقودا ، وبهذا يعلم أن التطبيق الحرفى لزكاة الديون فى هذه المذاهب الثلاثة تطبيق سيىء لا يرضى به الا البخلاء الذين يحبون التخلص من الواجبات ، ولهذا وجب على المخلصين من الحنفية والمالكية والحنابلة أن يوجبوا الزكاة فى هذه الأوراق وان لم يقبض بدلها كما قال الشافعية ، ولا يقول لهم قلدوا المذهب الشافعى ، وانما نقول لهم لاحظوا الفرق الجلى بين الديون التى

فى هذه الأوراق والديون العادية التى تقولون بعدم وجوب أداء زكاتها الا بعد قبض بدلها . ان هذه الديون أعنى الديون التى تدن عليها هذه الأوراق كما يتعامل بأعيان الذهب والفضة بخلاف الديون العادية فان أوراقها لا تنفع حاملها فلا يستطيع التعامل بها فيسعى لقبضها ممن عليه الدين وحينئذ يدفع زكاتها ، ولو قلنا ان أداء زكاة الأوراق النقدية يتوقف على قبض البدل لما وجب أداء زكاتها أصلا.

ولم يصرح فضيلة الشيخ طه حبيب بهذا الذى قلناه ولكنه (قال فى بيان المذهب الحنفى) ما نصه : « واذ قد علمت أن الامام الأعظم أوجب الزكاة على الدائن فى ديونه ، فلا بعد فى وجوب الزكاة فى قيمة الأوراق المالية (البنكنوت) على حاملها متى بلغت نصابا وحال عليها الحول ، وأنها تجب فيها على السنين الماضية قبل القبض لأنها سندات بدين قوى ميسور الحصول على القيمة فيه » اهـ . وهذه العبارة ليست صريحة فى وجوب أداء الزكاة قبل القبض فقد بين سابقا أن مذهب الامام أبى حنيفة هو وجوب الزكاة وجوبا خاليا عن وجوب الأداء ما لم يقبض الدائن أربعين درهما ، وهذا الوجوب عرضة للسقوط عند عدم القبض لما علمت من أن حامل هذه الأوراق يستطيع أن يقضى بها جميع حوائجه دون أن يتقدم بها الى البنك ليأخذ بدلها (وقال فى بيان المذهب المالكى) ما نصه:«ومذهب المالكية : أن الدين اذا لم يكن ثمن عرض وكان حالا فيزكيه عن كل سنة ولو قبل قبضه» اهـ . والذى يرجع الى كتب المالكية يعلم أنهم لم يوجبوا أداء الزكاة فى الديون قبل قبضها ذهبا أو فضة .

(وقال فى بيان المذهب الحنبلى) ما نصه: «وقال الحنابلة : ان من له دين على ملىء باذل من قرض أو دين عروض تجارة أو ثمن بيع وحال عليه الحول ، فكلما قبض شيئا أخرج زكاته عما مضى . وفى الدين على غير ملىء روايتان : الصحيح من المذهب أنه كالدين على الملىء فيزكيه اذا قبضه عما مضى » اهـ. ومقتضى

هـذا أن الأوراق لا يجب عند الحنابلة تزكية ما تدل عليه من الدين الا بعد أن يقبض الدين ذهبا أو فضة ، ومعلوم أن حملة هذه الأوراق يمكنهم بعد مكثها حولا أو أكثر أن يقضوا بها جميع مصالحهم طول حياتهم دون قبض الذهب والفضة، وهذه ثغرة ينفذ منها البخلاء كما تقدم . فالفتوى لم تحسم النزاع كما رأيت ، وهذا أمر يؤسف له .

ولو رجعنا الى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لوجدناه قد تنحى عن التطبيق الحرفى فى المذهبين الحنفى والمالكى ، وعبارته فى بيان المذهب الحنفى « الحنفية قالوا : الأوراق المالية (البنكنوت) من قبيل الدين القوى الا أنها يمكن صرفها فضة فورا فتجب فيها الزكاة فورا » ا هـ وهذه عبارة جيدة فقد احتوت على الاستدراك ، وهو «الا أنها ..» الخ ، فهذا الاستدراك صريح فى أن الحنفية لم يطبقوا المذهب تطبيقا حرفيا بل جعلوا الدين الذى فى هذه الأوراق أقوى من الدين القوى العادى لأنها يمكن صرفها فضة فورا فتكون كأعيان الفضة ، وعبارته فى بيان المذهب المالكى « المالكية قالوا : أوراق البنكنوت وان كانت سندات دين الا أنها يمكن صرفها فضة فورا وتقوم مقام الذهب فى التعامل فتجب فيها الزكاة بشروطها » ا هـ ، وهذه العبارة كسابقتها فهى تفيد أن المالكية الذين نظروا فى هذه الأوراق لم يطبقوا عليها حكم زكاة الدين العادى بل جعلوها كالذهب فأوجبوا زكاتها من غير توقف على قبضها فضة أو ذهبا .

ومما يؤسف له أن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لما حكى المذهب الحنبلى لم يتحرج عن تطبيق حكم زكاة الدين تطبيقا حرفيا فقد قال : « الحنابلة قالوا لا تجب زكاة الورق النقدى الا اذا صرف ذهبا أو فضة ووجدت فيه شروط الزكاة » وبهذا تبين أن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قد أحسن صنعا فى بيان المذاهب الثلاثة الحنفى والمالكى والشافعى ولو تباحث جامعه مع بعض الفقهاء الحنابلة لأمكن القول

فى المذهب الحنبلى بما قالا به المالكية والحنفية فانهم ليسـوا أقل ورعـا وتقوى منهم ، وقد جاء فى كتـاب الدين الخالص أن القـول بعـدم وجوب الزكاة فى هذه الأوراق قبل قبض قيمتها مردود بأنه مناف لمـا تقتضيه حكمة التشريع وفيه ضـياع لحق الفقير وهـدم لأجـد أركان الاسـلام وهو الزكاة التى شرعت طهرة للمال ولصاحبه ورأفة بالفقير وعطفـا عليه وبه يكون التحـاب والتآلف والتعاطف والتراحم •• وانا نجد الآن الأوراق المالية مكدسـة فى البنـوك والخزائن وتمكث على هذا السنين الطوال لا يصرف منهـا الا ما تدعو الحـاجة الوقتيـة الى صرفه ، فلو قلنا بعدم الزكاة فيهـا لأنها ليست ذهبا ولا فضة لما وجبت الزكاة على أحد ، وهذا غير معقول، والمعقول أن مالك النصاب من الورق المـالى وحال عليه حول كامل لزمه زكاته باعتبار زكاة الفضة لأن الذهب غير ميسور الآن • هذا ما ندين الله تعالى به وهو الحق الصريح بلا مرية• وقانا الله تعالى من رذيلة البخل : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » • اهـ •

ومـؤلف الدين الخـالص هو فضيلة الشيخ الكبير محمود خطاب السبكى وقد طبع الطبعـة الأولى سنة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥٠م •

وبعد ، فهذه كلمات متممات :

(الكلمة الأولى) حينما أصـدرت الأوراق المصرية (فى ٢٥ يونية سنة ١٨٩٨ م) كانت كلمة «جنيه» فى عرف المصارف والجمهـور معناها الجنيه الذهبى المصرى ، وكلمة «٥٠قرشا» و « ٢٥ قرشا » معناها القـروش المصرية الفضية ، فيؤمئذ كان نصاب الأوراق ذات الجنيهـات هو نصاب الذهب ، وهو مقدار من الجنيهات يبلغ وزن الذهب الخالص فيها ٢٠ دينارا أى ٨٩ جرام وسبع ــ بضـم السين ــ ، ونصـاب الأوراق ذات القـروش هـو نصـاب الفضـة ، وهـو مقـدار من الريالات أو كسـورها يبلغ مقـدار الفضـة الخالصة فيها ٢٠٠ درهم أى ٦٢٤ جراما ، ولما قامت الحرب العـالمية الأولى سـنة ١٩١٤ م صار الذهب يرتفع سعره شيئا فشيئا فضـلا عن

اختفـاء الجنيه الذهبى المصرى من السوق ، فصار من غير المعقـول أن يدفع البنـك جنيها ذهبيا فى مقابلة الورقة التى كتب عليها « جنيه » وصار معنى الجنيه فى عرف البنـك والجمهور مائة قرش ، وكان القرش الفضى قد اختفى أيضـا ، ولـكن بقيت مضـاعفاته وهى : القرشان ، وخمسة القروش ، وعشرة القروش، والعشرون قرشا ، فكان المعقـول أن يكون نصـاب جميـع الأوراق المصرية هو نصاب الفضة لأنها هى التى يتعهـد البنـك بدفعها لحامل الأوراق ، ولهـذا كان من العجيب أن يفتى بعض شيوخنا واخواننا أن نصاب هـذه الأوراق هو نصـاب الذهب الى الآن ، (ولعل عذرهم فى هـذا) أن الأوراق النقـدية فى الأسواق العالميـة كانت تنسب الى الذهب ، وكان لهـا سعر رسـمى ثابت وسـعر عرفى يختلف كل يوم باختلاف العرض والطلب ، واختلاف علاقات الدول بعضها ببعض ، ثم ألغى السـعر الرسـمى الثابت ولم يبق الا السـعر الذى يختلف فالجنيـه مثلا يساوى فى زمننا هذا (٣٣٣ر٠) من الجـرام من الذهب الخـالص تقريبا (وهذا العذر غير مقبول) لأن كلمة جنيه يجب أن يراعى فيها عرف البنك الذى يصدرها ، ومعلوم أن البنـك لا يدفع لحـامل الورقة شيئا من الذهب أصلا وانما يدفع له نقودا فضية أو ما يساويها من النقود النيكلية أو النحاسية .

(وقد حدث فى عصرنا هذا ما لم يكن فى الحسبان) حيث ارتفع سعر الفضة فألغيت النقود الفضية وحل محلها نقود من النيكل وما خلط به مما ليس ذهبا ولا فضة فصارت كلمة الجنيه وكلمة القرش تطلقـان على هذه النقود التى كانت تسـمى عند الأقدمين فلوسا ، وكان هذا الحادث المفاجىء سببا لعودة البخـلاء الى الظهور ، فقالوا ان الأوراق النقدية انما وجبت زكاتها لأنهـا سـندات ديون ذهبية أو فضـية ، وقد زالت هذه الصفة عنها فأصبحت سـندات ديون فلسية ، وقد ذهب جمهـور الفقهـاء الى أنه لا زكاة فى الفلوس

وان راجت ، فاذا لم يكن فى الفلوس العينيــة زكاة فكيف تجب الزكاة فى ديونها ؟

(وهذا الذى قالوه) جمود لا يليق بالمتقين ، فعلماؤنا الأقدمون انما قال جمهورهم بعدم الزكاة فى الفلوس لأنها لاتشترى بها الا السلع الرخيصة حيث كان الذهب والفضــة تشترى بهما الأشياء الثمينة النفيسة ، ومعلوم أن الذهب والفضــة اليوم صــارا سلعتين تشتريان بعد أن كانا ثمنين يشترى بهما ، وقد حلت الأوراق محل الذهب والفضــة ، فالأوراق القليلة العدد الخفيفة الحمل يشترى بها الأراضى والقصــور والأدوات الضخمة واكتنازها يؤدى الى تخلف اقتصاد الدولة وهى الصفة التى من أجلهــا شرعت الزكاة فى الــذهب والفضة اللذين يحبسان حولا فأكثر فليست الديون التى فى هذه الأوراق كالفلوس المعدنية التى لا يؤبه لها . على أن الفلوس المعدنية يجب الآن بعد زوال النقــود الفضية والذهبية أن يقــال بوجوب الزكاة فيها ، ولكل زمن حكمه .

(الكلمة الثانيــة) اذا علمنا أن نصاب هــذه الأوراق كان نصاب الذهب ، وبعــد غلاء الذهب صار نصابها نصاب الفضة ، فماذا بعــد غلاء الفضة وبعد صيرورتها سندات ديون من النيــكل والنحــاس ونحوهما ؟

(الجواب على هذا) أن مصلحة الفقير التى من أجلها وجبت الزكاة تقتضى أن يكون نصــاب الأوراق الآن هو أقل النصــابين ، ومعلوم أن نصاب الذهب الآن يقــرب من ٢٧٥ جنيهــا ؛ لأن جــرام الذهب الخــالص الآن يقــرب من ٣٠٩ قروش) ، ونصاب الفضة يقرب من ٦٨ جنيها ؛ لأن جرام الفضة الخالصة يقرب من ١١ قرشا) .

(الكلمة الثالثــة) أول من قال ان الأوراق النقــدية سندات ديون هو الأستاذ أحمــد بك الحســينى حينما كان يشرح كتــاب الأم للامام الشــافعى رضى الله عنه ، فانه لمــا وصل الى الجزء المتمم للعشرين من الشرح المذكور المســمى « مرشــد الأنام لبر أم الامام » ووصل فيــه

الى مبحث زكاة الدين بحث فى القوانين الوضعية المدنية والاقتصادية ، وكان خبيرا بها لأنه كان محاميا دارسا لهذه القوانين ـ أداه اجتهاده الى أن هذه الأوراق سندات ديون لحامليها وشرح ذلك سنة ١٣٢٩ هـ فى كتاب سماه « بهجة المشتاق فى بيان حكم زكاة أموال الأوراق » وقد ارتضى كثير من علماء عصره ومن يليهم حتى يومنا هذا بهذا الرأى مع أنه رأى اجتهادى ، ولو نظر اليه الناظر بعين الناقد الخبير لأمكنه أن ينقضه ويستمسك بما هو متعارف بين الجماهير من أن هذه الأوراق نقود وضعية أو جعلية والجملة التى كتبت عليها وهي «أتعهد أن أدفع لحامله : كذا ـ لدى الطلب » لا يلزم منها أن تكون هذه الورقة سندا بدين ، فان من المحتمل جدا أن يكون هذا التعهد ضمانا ليثق الجمهور بهذه الأوراق لأنها لما وضعت للتعامل ولم تكن لها قيمة حقيقية كانت بحاجة الى ما يدفع خوف الناس من التعامل بها ، فالخائف يقال له ان البنك مستعد أن يدفع لك قيمتها فلماذا الخوف ؟ والرصيد الذى فى البنك انما هو لتأكيد هذه الثقة ، وتوقيع محافظ البنك نيابة عن الحاكم انما هو لزيادة الثقة لأن للبنك فروعا أو وكلاء فى البلاد الأجنبية فهى تثق بالبنك أكثر من ثقتها بالحكومة ، والتعريف الفرنسى لهذه الأوراق كالصريح فى ذلك ففى بهجة المشتاق ص ٦٨ « نص قاموس لاروس وهو أكبر وأشهر قاموس للغة الفرنسية الآن فى تعريف أوراق البنك حيث قال : ورقة البنك هى ورقة عملة قابلة لدفع قيمتها عينا لدى الاطلاع لحاملها وهى يتعامل بها كما يتعامل بالعملة المعدنية نفسها غير أنه ينبغى أن تكون مضمونة ليثق الناس بالتعامل بها » اهـ .

فهذا التعريف لكلمة «بنكنوت» أى « ورقة البنك » يفيد أن للورقة مظهرا ومخبرا ، أو صورة وحقيقة ، فمظهرها أو صورتها سند بدين يتعهد البنك بدفعه لحاملها ، ومخبرها أو حقيقتها ورقة نقدية جعلية جعلها الحاكم نقودا يتعامل بها كالنقود المعدنية ، ولأنها لا قيمة لها فى ذاتها

احتاجت الى ضمان ليثق الناس بها فكان هذا الضمان هو تعهد البنك بدفع قيمتها ووجود رصيد من الذهب فى البنك ، وتحديد العدد الذى يصدر منها ومنع الزيادة عليه ، ومما يؤكد ذلك أن البنك لم يقترض من الحكومة شيئا ولم يشتر منها شيئا بثمن فى الذمة ، فكيف يكون مدينا ، ومما يؤكد ذلك أيضا أن بعض الدول تكتب على الورقة أن حامل هذه الورقة قد أودع البنك مبلغ كذا ، مع أن حامل الورقة لم يودع البنك شيئا فهى كلمة كتبت للثقة لا غير .

(وها هنا يصيح صائحون) فيقولون : يلزم من هذا ألا تكون فيها زكاة ، كما أن الفلوس لا زكاة فيها ، (واننا نهدىء من روعهم) فنقول : ان الأئمة الأربعة يعترفون بالقياس لا سيما الجلى منه ، وهذه الأوراق بعد جعلها نقودا وشيوع التعامل بها قد أشبهت الذهب والفضة فى أمرين :

(الأمر الأول) الثمنية للأشياء النفيسة،فالذهب والفضةحينماأوجب الشارع فيهما الزكاة كانا ثمنين لنفائس الأشياء ، وهذه الأوراق أثمان لجميع الأشياء النفيسة،ولافرق الا أن الذهب والفضة ثمنان طبيعيان وهذه الأوراق أثمان وضعية وعرفية ، وهذا الفرق لا أثر له ما دامت حوائج الناس تقضى بهذه الأوراق بلا توقف .

(الأمر الثانى) أن اكتناز الذهب والفضة حين مشروعية الزكاة فيهما كان يؤدى الى جمود اقتصاد الدولة وتخلفه ، وفى هذا اضرار بالأمة لا سيما الفقراء منها ، فوجبت الزكاة فى الذهب والفضة اللذين يختزنان حولا كاملا ، تعويضا للفقراء عن بعض ما أصابهم من الضرر، ولا شك أن الأوراق النقدية الآن تتصف بنفس هذه الصفة .

فاذا اشتركت هذه الأوراق مع الذهب والفضة فى علة وجوب الزكاة وجب القول بوجوب الزكاة فيها متى بلغت نصابا وحال عليها الحول ، ولو كان الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أحياء فى زماننا هذا لم يسعهم الا القول بوجوب الزكاة فى هذه الأوراق وان اختلفوا فى

الفلوس لأن الفلوس المفردة لم تكن تشتر بها سوى الأشياء الحقيرة ولم يكن اكتنازها من عادة الناس ، ولا يؤدى اكتناز بعض الناس لها الى تخلف اقتصاد الدولة .

على أن القول بعدم وجوب الزكاة فيها (أى الفلوس المعدنية) انما كان عند تعامل الناس بالنقود الذهبية والفضية ، واذ بطل الآن التعامل بهما وحلت الأوراق محلهما وهى من جنس الفلوس وجب القول بأن الزكاة الآن تجب فى الفلوس المفردة اذا بلغت نصابا ، ولكل زمان حكمه كما سبق .

هـذا ، وبقيت كلمات كثيرات فى المسألة لا يتسع لها المقام ، ونشكر للأستاذ رسلان أن أتاح لنا الفرصة لنفضى ببعض ما تجيش به صدورنا ، وبالله التوفيق .

على حسن البولاقى

العدل :

قال صلى الله عليه وسلم :

عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة .

وقالوا : عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان.

قالت الحكماء : الناس تبع لامامهم فى الخير والشر .

صورتان لصنفين من الناس

للأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، ان أعطى رضى وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان فى الحراسة ، كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » ، أخرجه البخارى:تعس: خاب وخسر • الخميصة : كساء أسود له اعلام • انتكس : عاوده المرض بعد البرىء منه • اذا شيك فلا انتقش : المنقاش : ما تستخرج به الشوكة ونحوها ، وهو دعاء عليه بأنه اذا أصابته شوكة لم يستطع اخراجها بمنقاش يتيسر له • عنان الفرس : لجامه • متنه : ظهره حراسة الجيش : مقدمته • ساقته مؤخرته • ان استأذن لم يؤذن له الخ يعنى أنه تغلق الأبواب دونه ، ولا تقبل شفاعته لازدرائه فى أعين المترفعين وهو عند الله عظيم •

لم يجد النبى صلى الله عليه وسلم فرصة الا انتهزها فى توجيه الناس الى الخير وهدايتهم الى الرشاد ، وتحذيرهم من الشر ، وتنبيههم الى طرق الوقاية منه ، فهذه رسالته وتلك أمانته ، وهو امام المرسلين فى حمل الرسالة وأداء الأمانة وفى هذا الحديث يعرض لبيان حال صنفين من الناس ويبين منزلتهما وموقفه منهما ، وفى طوايا ذلك البيان وعظ وتذكير ، ومدح وذم ، واستهجان واستحسان ، وسخط ورضا ودعوة الى الخير واستنهاض اليه وتحذير من الشر

وتنفير منه ، وقد عبر عن كلا الصنفين برجل منه ووجه اليه الكلام • والمراد بالعبارة كل من شابهه وسلك طريقه أما أحد الرجلين وهو الرجل الذى استحق ما وصف به واستحق دعاء النبى عليه فهو الرجل المادى الذى شغفه حب المال وشغلته المادة فى شتى أشكالها وصورها فيخطف بصره بريق الدينار والدرهم كما يخطفه وشى الثوب ونقشه فلايقعد عن طلب ولا يستحيى من سؤال ، وذلت نفسه وغاض حياؤه فلا يبالى ما يلقى من اغضاء وازدراء ، همه ان يصل الى ما يريد فان أعطى رضى وامتدح وان منع ذم وجرح ، ومن كان هذا منهجه فى حياته وخلقه فشأنه أن يكون ضنينا شحيحا لا خير فيه لقريب أو بعيد وهو فى جميع أحواله مذموم ، مذموم فى طريق جمع المال ،مذموم فى استخدامه والتصرف فيه ، ومن هنا كان مستحقا لدعاء النبى صلى الله عليه بالتعسة والخيبة وفقدان المواسى والمعين والولى والناصر وان نزلت به نازلة لم يجد من يواسيه بل يترك بما هو فيه لأنه لم يستصنع الناس بمعروف ولم يدنهم بجميل فيؤدوه اليه وهو بينهم كالنبت الطفيلى يتمنون لو يقتلع من جذوره ليستريحوا من تطفله ، وما أبلغ التعبير عن هذا الرجل فى الحديث بأنه عبد الدينار وعبد الدرهم وما أقربه الى حقيقته وجوهره ، وأدله على خسته ونذالته فكأنه يقول عن هذا الرجل وأمثاله انه معروض للاستعباد من كل من يعطيه ما يشتهيه ولعل هذه العبارة تلوح بمعنى آخر وهى ان هذا الصنف من الرجال قد انصرف عن عبادة الله الى عبادة المال واشتغل به عنه •

وفى مقابل هذا الصنف المبغوض يذكر الحديث صنفا آخر هو الصنف المرتضى المحبوب صنف الأحرار الأعزة الزهدة الذين عزفوا عن المال ولم تستعبدهم الصور والأشكال ولم يهتموا بجمال هندامهم وتصفيف شعورهم وتطرية وجوههم ولم يتعرضوا لطلب الحوائج عند السادة وذوى السلطان والجاه ليفيدوا من مالهم وجاههم ، وانهم لتقتحمهم العيون فلا يؤبه بهم

وان استأذنوا للدخول على ذوى الشأن لم يؤذن لهم وان استشفعوهم لم يقبلوا شفاعتهم، ومالهم ولهذا كله يعنون — بتشديد النون — به أنفسهم ويشتغلون به عما وقفوا جهودهم عليه فقد وقفوا جهودهم على سبيل الله، وسبيل الله هى نصرة دينه وجهاد عدوه ، ونصرة الحق والعدل فهم دائما مستعدون لخوض المعارك دفاعا عن هذه الأهداف النبيلة ، أيديهم على أعنة خيولهم اذا استنفروا كانوا نسورا واذا قاتلوا كانوا أسودا ، فالغاية سامية ، والمقصد عزيز لا يسألون أين مكانهم من الجيش وما مراتبهم فيه ولا يتحرون مكان الأمن منه فحيثما أقيموا قاموا وحيثما أمروا أطاعوا ، همهم أن يكون لهم نصيب فى القتال أينما كانوا سواء كانوا فى الحراسة أى مقدمة الجيش أم فى الساقة أى مؤخرته •

ففى أى مكان يستطيع المسلم بايمانه وخلوص نيته أن يؤدى واجبه ويبلغ غرضه ويرضى ربه ، والرجل من هذا الصنف خليق بدعاء الرسول له أن ينزله الله أسمى المنازل ويضعه فى أعلى الدرجات •

لقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم صورتين لصنفين من الناس ، أولاهما كالحة معتمة والأخرى مضيئة مشرقة ، والخطوط العريضة للأولى هى الحرص والجشع والامتهان والابتذال واستبدال الحرية الانسانية بعبودية ذليلة ممقوتة فى سبيل المال والكسب المادى ، والخطوط العريضة للصورة الثانية حب الله والآخرة والطمع فى الثواب ونصرة الحق والزهادة فى المال ومظاهر الحياة والتوفر على هذا القصد وانحصار الهم فيه وعدم المبالاة بما يعترض من المخاطر والمصاعب وقد قصد الرسول من رسم هاتين الصورتين الواضحتين أن يمتحن المسلم عزيمته وايمانه واخلاصه ليضع نفسه فى أى الصورتين فان جاهد نفسه وهواه وانتصر على شيطانه فلا شك أنه يضع نفسه فى الصورة التى ارتضاها الله وسوله وان خارت عزيمته وغلبه شيطانه اختار ما كرهه رسول الله

وباء بالتعسة والخيبة وهى ما دعا به رسـول الله ولا شك أن الامتحان بالاختيار عسير وهو فى حاجة الى مجاهدة وطول اصـطبار ، وبقـدر المشقة يكون الثواب وبكثرة الرعاية والتعهد يجود الغراس وتحلو الثمار .

وقد روى هذا الحديث بروايات وألفاظ مختلفة ليس بينها اختـلاف فى المعنى ولا زيادة على ما تضمنته هذه الرواية .

وقد عنى بهـذا الحديث علمـاء البلاغة لمـا فيه من الصـور البيانية ومن هؤلاء الامام الشريف الرضى فى كتابه المجازات النبوية ومما قاله فيه هذا الكلام مجاز وذلك أنه عليه عليه الصلاة والسلام جعل الرجـل القوى الطبع الشديد الجشع الذى يرضى باعطاء ما سأل ويسخط بمنع ما طلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض ، لأنه باعطاء هذه الأشـياء يسـترق ويملك ويمتهن ويسـتبذل . فجعله عليـه الصلاة والسلام عبدا لهـا على المجاز وهو فى الحقيقة عبد لباذلها . ومن معروف كلامهم ، فلان عبد الطمع ، وخادم الأمل اذا كان ذليـلا لمن وجه أمله اليه وضارعا لمن علق طمعه به .

ابو الوفا المراغى

التجربة والوقار :

فى الحديث ان اول من رأى الشيب ابراهيم الخليل عليه الصـلاة والسلام ، فقال : يارب ، ماهذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى :

الوقار ، فقال : يارب ، زدنى وقارا .

لقاء الغرباء..!

للدكتور عبد الودود شلبى

حين جمعت متاعى راحلا عن هذا العالم ،
قال الجميع اننا نعرفه جيدا . لكن أحدا لم
يعرف شيئا عن هذا المسافر . من أين جاء ؟
ومع من تكلم ؟ وماذا قال ؟

العلامة اقبال

لا أدرى متى كان لقاؤنا الأول يا غريب ! كل ما أذكره لا يتجاوز حدود المكان الذى تم فيه هذا اللقاء ... لقد حدث ذلك فى ضاحية (الزيتون) وفى بيت الامام الراحل ... الشيخ محمد الأودن ، وفى هذه الحجرة المتواضعة على يمين الداخل الى البيت ..

لم تغب عنى هذه الصورة .. فلم أزل أذكر جمجمة « سمك القرش » المعلقة فى صدر الحجرة .. لقد أهداها اليه رجل يونانى ... فقد كان الشيخ انسانا يتسع قلبه لمحبة الناس من كل الدنيا ..

وما أظنك يا غريب نسيت هذه العبارة التى كتبها الشيخ تحت هذه الجمجمة .. ؟ اننى لا أتذكر ما كتب جيدا ... غير أنى حين استعيد صورة أسنانها الحادة تنفعل نفسى بأشياء غريبة ، وترتعد مفاصلى من الخوف فى شدة ..

رحم الله شيخنا الأودن ... لقد تأخر عنا كثيرا فى هذه الليلة ... كان معه رجال لم نعهدهم فى بيته من قبل .. ثم انصرفوا وقد بان فى وجوههم السرور والبشر .. وقد حضر الشيخ الامام بعد ذلك وقال كل شىء ... كانوا مجموعة من الناس مسهم الضر ! وضاقت بهم الحياة حتى أشرفوا على الموت .. فأرشدهم الى الشيخ رجل من أهل

الصلاح والخير ، وفى ساعة أو أقل تغير فى هؤلاء النـــاس كل شىء .. لقــد أعاد اليهــم الايمــان والأمل والســكينة ، وأشــاع فى القلوب الخائفة الأمن والطمأنينة ..

لقــد تذكرت الآن تاريخ هــذا اللقاء..حدث ذلك منذ ثمانية عشر عــاما بالضــبط .. ان الذكريات تعيش فى حجرة مغلقة داخل النفس.

ولهــذه الحجرة مفاتيح يصعب الاحتفــاظ بهــا فى كل وقت ، ثم تتداعى هذه المفاتيح وتتساقط بكلمة عابرة من غير قصد .. !

كنت تحدثنى عن مأساتك الدامية فى هذا الوقت . لم أكن أصــدق أن الجالس أمامى انسان حكم عليه بالموت .. فقد كان اباؤك وكبرياؤك يمنعانى من المضى فى الحــديث الى نهاية الشــوط .. وكم ناقشتك فى التنازل بعض الشىء .. فقد كنت أرى ما لا تراه من قسوة تجاوزت كل حد .. وأشعر بما تحمــل من تبعــات تنفتت من تحتهــا جبــال الجرانيت والصخر .. وقد ذكرتك آنذاك بـ « رجال » كانوا فى نظرك قمة فى المثالية والفكر .. ثم هانوا وسقطوا فى أعين الصــغير والكبير فى أرض مصر .. غير أن مثاليتك أذهلتنى .. وحديثك عن الحيــاة والســعادة زلزل كيــانى .. اننى أحيــانا أتعلق مثلك بهذه القيم .. وأتظــاهر بالحفــاظ على كثير من المثل . غير أنى أضعف وأتهاوى حين يتعلق الأمر بصياح طفل ينتظر عودة أبيه الغائب .. أو دمعة فتاة كسيرة الجناح ضعيفة الجانب .. أما أنت فلا أدرى .. ؟ هل كان ذلك منك تفريطــا فى العاطفة ؟ أم افراطا فى التضحية ؟

* * *

لا شىء من هذا ولا ذاك .. فاذا كنت تضعف وتتهاوى أمام صــياح طفــل أو دمعــة فتاة .. فقد كنت ولا أزال أكثر ارهافا وحساسية فى نظرى الى مثل هذه الأشياء .. هل تتصور انسانا يجرى وراء أمه حتى لا تذبح دجاجة؟! فاذا كان هذا نظرى الى ما أحل الله فكيف بما هو من خصــائص الفطــرة ، وأخلاق أهل الصلاح والتقوى ؟ .. لقد وقف

« مولانا محمد على » يقول للقاضى الانجليزى فى محاكمة كراتشى الشهيرة :

اذا لم يصدق الناس مع ربهم فاستباحوا مخالفة أمره .. أتنتظر منهم بعد ذلك صدق ولائهم للوطن أو الملك ؟ ربهم الذى وهبهم .. الشرف .. العقيدة .. الاخلاص .. حتى الملك .. لا .. الله فوق كل شىء .. الله فوق الاخلاص .. الله فوق الملك .. الله فوق الوطن .. الله فوق بلادى ووالدى ، ووالدتى وطفلى ..

ان القضية هنا تتعلق بشىء أهم من لقمة العيش ، والتنازل هنا لا يكون ايثارا للعافية .. بل تهاونا فى الايمان والحق والفضيلة .. ان كلبا واحدا لم يمت جوعا . وشعبنا الطيب يحفظ من هذه الأمثال كثيرا .. غير أنى أذكرك بقصة ذهابى الى بيت الشيخ الامام فى هذا اليوم .. وسترى كيف تطورت هذه « القصة » الى « قضية » ؟ وكيف انتهى الصراع بين الباطل والحق فى النهاية .. ؟

* * *

لقد فقدت وظيفتى كما تعلم .. صدر قرار باغتيال الأرزاق من أعلى السلطة ! لم يكن لى دخل أعيش به فى هذه المحنة .. طرقت أبواب المدارس الخاصة .. فآثرت التشرد والجوع على العمل فى هذه المهنة.. هل تتصور ؟ رجل مثلى يعمل بخمسة جنيهات فى الشهر ؟ لقد كان الخادم يحصل على أضعافها فى هذه المدرسة .. وفى يوم أرسل الى « الشيخ » لمقابلته فى الكلية .. وجدته فى انتظارى بجامع الخازندارة .. ومن هناك ذهبنا سويا الى مكتب فخم فى وسط مدينة القاهرة ..

عرفنى بمدير الشركة ، وعرض عليه قصتى بصراحة .. فوافق المدير على الحاقى بوظيفة فى العلاقات العامة .

وغداة هذا اللقاء ذهبت الى مقر هذه الشركة .. سؤال عن الاسم..

وســـؤال عن المؤهل •• وســـؤال ثالث عن التجربة والخبرة •• وفى النهاية توقف المدير عن الحركة •• وتراجع بمقعده الى الوراء فى عظمة •• !

ــ يا أستاذ •• أنت رجل مثقف •• انك كبير على هــذا العمل الصغير أيها السيد ! •• شكرته على هذه النصيحة •• وأبديت ارتياحى لهذه الصراحة ، ولم أكد اتهيؤ للخروج حتى ــ تشبث بذراعى فجــأة •• وأعادنى الى المقعد بقوة ••

ــ ما هــذا ؟ قلت للسيد المدير فى دهشة !

ــ يا أستاذ هل صدقتنى ؟

ــ اللائــق • • • والواجب أن أصدقك • فأنت رئيس هذا العمل ، وأعرف الناس بمن يصلح أو لا يصلح له فى المستقبل ••

ــ لا ••• لا • أنت رجــــل « خام » •• ان الحياة لم تعد بهذه البســاطة •• ولم يعــد للصــدق والشرف مكانة •• كنت مثلك أثق بالناس •• فلان سبقنى الى الترقية بسنوات •• وفلان أصبح من كبار الملاك •• وآخرون أصبحوا وزراء ورؤســاء مؤسسات •• أكذب •• أخــدع •• ان من لا يتذأب أكلته الذئاب •• ! ومضت فترة صــمت ثقيلة •• دقيقــة كانت أطــول من ســنوات فى ســجن •• ثم وقفت معتذرا وقلت :

ــ الآن فقط ••• يجب أن أذهب •• ؟ !

* * *

وفى مساء هذا اليوم ذهبت الى منزل الشيخ •• لقد قابلنى عاتبــا أو شبه غاضب •• ما هــذا الذى فعلته يا بنى ؟ لقد أخبره صــاحبنا بعكس ما حدث وسمع الشيخ منى كل شىء •• ضرب كفا بكف •• ثم اســتدار ممسكا بالتليفـــون الى الخلف •• منعته من التحــدث •• وحملت التليفون بعيدا عن المجلس •• لقد كانت لى دالة عليه كما تعرف •• واستجاب ــ رحمه الله ــ لرجائى بعدم تصعيد الموقف ••

ان الأمر هنا لا يتعلق بوظيفة أو موظف •• أنكون أقل ايمــانا من

الطير ؟ ان نفسا لن تموت قبل استيفاء الأجل والرزق .. لقد فرغت من هذه القضية مع نفسى تماما .. وصدقنى حين أقول لك .. انى عدت ذات مرة الى البيت .. لم يكن ما فى جيبى يزيد عن قرش.. قرش واحد هو ما بقى معى الى منتصف الشهر .. كان أخى فى الجامعة وكنت المسئول عنه بعد وفاة والده .. تصور .. نفسان ينتظرهما على الغذاء قرش واحد .. ؟ لم تطرف عيناى خوفا .. ولم يخفق قلبى يأسا .. أبدا والله أبدا .. صليت الظهر .. وانتزعت من المكتبة كتابا أتسلى به الى وقت العصر وكانت المفاجأة التى لا تمحى أبد الدهر .

وجدت ثلاثة جنيهات فى الكتاب.. وجاء أخى بعد ذلك بمكافأة لى من احدى المجلات ..

وسجدت .. سجدت على الأرض ايمانا برب الأرض والسماوات ..!

* * *

نعود الى حديثنا فاستمع منى .. استمع منى أنا « الغريب » كما تسمينى .. ان الغربة الحقيقية هى غربة النفس والقلب .. ان غربة الأهل والوطن قد تحتمل .. آه لو تعرف كم أحببت ولا كيف أحب ؟ ان قلبى لا يتسع للشحناء والبغض.. وأنا فى هذا التصرف « أنانى » اذا شئت ! لا تعجب ودعنى أفسر لك.. ان البغض يا صديقى مرض .. هل تشعر بشىء حين يبغضك أحد ؟ انك لن تشعر بشىء .. ولكن صاحب القلب الأسود يقتل نفسه من حيث لا يشعر .. ان هذا المرض .. مرض البغضاء والكراهية يقتل أهله .. فاذا كنت أوثر الحب على الكراهية فلأننى أحب نفسى أولا وقبل كل شىء .. سمها أنانية .. أو مثالية فالحب كلمة لا حدود لها فى اللغة .. المهم أن تفهم لماذا أحب الحب .. ولماذا أبغض الكراهية والحقد .. !

وسواء أكانت هذه الغربة فى (النفس) أم فى الشعور والقلب أم فى المعاملة والأسلوب فانى لا أفعل ذلك التزاما بفلسفة ..

انني مسلم يدين بدين الحب .. بالاسلام فطرة الله فى كل قلب فاذا رأيت من الناس مجافاة لهذا الاسلام حــزنت .. وكم تعرضت لمواقف صعبة بسبب هذا التصور .. أصدقاء كثيرون لم يعودوا أصدقاء .. أساتذة لى صاروا عنى غرباء .. قادة وزعماء لم يتجـاوزوا فى نظرى « دمية » فى متحف الشمع . !

كنت أجـد فى جـانب الله كل راحة .. آه لو تعرف حلاوة الايمان حين يستعلى .. ودموع الســحر والناس نيام فى جوف الليل .. وقد صار النـاس ــ كما يقـول الامام على ــ على أربعة أصـناف : منهم من لا يمنعه عن الفســاد الا مهانة نفســه ، ومنهم المصلت بسيــفه ، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية ، ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضــؤولة نفسه . فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس أهــل الزهــادة ... وبقى رجــال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد ناد ، وداع مخلص ، وثكلان موجع . وقد وعظوا حتى ملوا .. وقتــلوا حتى قلوا ..

فاذا كان الناس على عهده كمــا يقول ــ رضى الله عنه ــ فكيف بهم على عهدنا كما ترى وكما تسمع ؟ ان الايمان يا صاحبى ليس سلعة فى دكاكين الطلب والعرض ، انه منحة من الله رب السموات والأرض .. وقد تحملت الكثير فى سبيل ذلك .. كان من الممكن أن أكون «(قارون)» لو شئت ..

لست أعنى (قارون) موسى كما تعلم .. انما أقصــد الثراء الذى ينبهر به المفلســون من الفضــائل والنبل .. ! وقد كان الثمن بسيطا لهذا (التقرون) ان شئت .. أن تقول للبصل مثلا أنت أيهــا البصل أحــلى وأجمــل من التفاح .. ! وللجاهل الجبان ، يا خير من عرفت البشرية فى الرأى والعلم والكفاح !

غــير أنى لم أفعل .. تجاوزت بالاباء والكرامة مرحلة انعدام الوزن .. أنهم يســمونها ســذاجة ...

والبعض يقول حماقة . .وآخرون يفسرون النزاهـة والعفة بآراء هى أبعد ماتكون عن الحق والعدالة..

اننى غريب حقا .. ألست تنادينى بهذا الاسم .. ؟ غير اننى أستأذنك فى العـودة الى « قصـة المـدير الشهم » ..

منذ ثمانية أشهر ذهبت الى مخبز لشراء بعض الخبز . فكانت المفاجأة التى لم تكن فى الحسبان والعقل ..

لقد وضـع الخبـاز ما اشتريته فى لفافة ، ولم أكد أصل الى البيت حتى رأيت عجبا ... وانتشى قلبى الحزين فرحا وطربا ..

« نحن الموقعين على هذا أدناه .. نشـهد بأن المدير فلان الفلانى قد اختلس من ميزانية الشركة مبلغـا وقـدره ـ كذا ألفا من الجنيهـات ـ وأنه لجأ الى وسائل رخيصة فى حركـة الترقيات والتعيينات ، وقد أدى عمله هذا الى الكثير من الخسائر والأخطاء .. الأمر الذى يستوجب احالته الى النيابة وعرض هذه الوقائع على الجهات المعنية فى الدولة .. » .

لقد كـان المديـر المعنى بهـذه الشـكوى هو الذى حدثتك عنـه وكانت اللفـافة التى أخذتهـا من الخباز صـورة من القضية المرفوعة عليه .. لقد سقطت عن الرجل كل الأقنعـة .. وظهـر على حقيقته فى النهاية .. وكان الثمن ياصـاحبى سبع سنوات فى ليمان طره .. !

بم تفسر ذلك ؟ سـتقول انهـا مصادفة .. أى مصـادفة تلك التى تقع بعد ثمـانى عشرة سـنة ؟ وفى مكان لا عهد لك به ولا صلة ؟ ومن انسـان لا يعرف من قصـتك هذه كلمة واحدة ؟

ان القدر ياصاحبى لايهزل .. ، ومن عنده مفـاتح الغيب لا تأخذه سـنة ولا نوم .. وسـواء أكانت المصادفة هى تفسيرك لكل ما حصل، أو كـان ذلك تدبيرا من الله منـذ الأزل .. فالدم يطالب الدم كمـا يقول المثل ، والمـال الحرام يطارد صـاحبه حينما حـل أو نزل ...

* * *

ألا ما أتفه الحياة حين تخلو من الرجال الذين يزرعون فى القــلوب شجرة المحبة ، وما أوحشها دنياحين يصــطبغ كل شــىء فيهــا بالغدر والخديعة ..

لقــد ضربت فى مشــارق الأرض ومغاربها ...

عرضــت قلبــى عسى أن يشــتريه أحد ...

فتحت صدرى لمن يرغب ...

اننى أحترق بنار شوقى وحبى...

وأعجب أن أعيش فى عصر لا يعرف الاخلاص ...

أنا غريب فى الشرق والغــرب ...

أعيش وحدى ...

وأغنى وحدى .. ! !

دكتور عبد الودود شلبى

قال غيلان : لا تكن كعلماء زمن الهرج — أى الفتن — ان علموا انفوا ... وان علموا عنفوا ... وقد قيل : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم . فقد جهل .

وقال ابن عطاء الله : اى علم لعالم رضى عن نفسه ؟ واى جهل لجاهل : لا يرضى عن نفسه ؟ .

حسان الهند غلام على آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

فى عددين سابقين كانت لنا جولتان مع شاعرنا غلام على آزاد حيث تحدثنا فيهما عن اصله ونشأته وشخصيته واعماله ولقبه الشعرى « حسان الهند » وطرف من علاقاته مع العلماء والأدباء من عرب وهنود ، وعن اغراض شعره ومنهجه فى المديح النبوى ومكانته بين المادحين ملقين بعض الاضواء على سبقه وتفوقه كما حددنا طريقته فى الغزل وتلمسنا فى شعره مقاييس الجمال ورأيه فى الحب وها نحن نواصل ما انقطع من هذا الحديث .

— ٣ —

الغزل الصوفى :

لأهل التصوف رموز واصطلاحات لا يعرفها غير المتخصصين وأهل الطريق ولاشك فى أن من يقرأ غزل ابن العربى فى ترجمان الأشواق ، وابن الفارض فى ديوانه لا يستطيع أن يفهم المقصود منه دون الرجوع الى تفسيره وشرحه ومعرفة الرموز الصوفية التى استعملها كل منهما ، وقد جاءت فى شعر آزاد رموز صوفية كثيرة مما جعلنا لا نشك لحظة فى أنه قصد بكثير من غزله الى ماقصد محيى الدين ابن العربى ، وابن الفارض فى ديوانيهما وذلك للاعتبارات الآتية :

أولا : يحس القارىء عندما يصل الى خواتيم كثير من قصائده

الغزلية أن الشاعر بعيـد عن الغزل بمعناه الواقعى وذلك مثل قوله :

اذا أخـذ الله الخلائق فى غـد
فمن لى سوى العشق المقدس شافع

وقـوله :

أرتاح فى جنة الفردوس يوم غد
نار الصبابة عندى أوضح الحجج

ثانيا : يلمح فى غـزله الى بعض أعلام العشق الالهى كرابعة العدوية مثل قوله :

نهج الغـرام على أربابه سـهل
طوته رابعـة فى حالة العـرج

ثالثا : نراه وهو عالم الدين الذى يذوب حبا فى المصطفى يفضل الغزل على المدح ولن يكون ذلك الغزل الا تصوفا ، يقول :

مدحتك اخلاصا ووجهك مقصدى
وان كنت مشغولا بحسن التغزل

ويقـول :

تخير آزاد المشـوق تغـزلا
أقـل قليـل شعره فى المـدائح

رابعا : فى غزله حقائق صـوفية لا يمكن أن تؤول بغزل واقعى مثل قـوله :

عش يا أخانا بالحقيقـة شـاغلا
ان لم يكن فاشغل بحسن مجاز

لا تنتهـج الا طـريق صبابة
ان كنت تطلب أتـوم المعجـاز

فن الصـبابة ما أدق بيـانه
متحير فيه الامام الرازى

طوبى لمن بارى وقاتل نفسه
فأبادها وهو الشجاع الغـازى

ان كلمة الحقيقة وحسن المجاز نص فى الغزل الصوفى وأيضا اشارة الشاعر الى حيرة الامام الرازى فى فن الغـزل لا يمـكن أن يـكون المقصـود منه غير الغزل الصـوفى اذ لا يمكن أن يتحير فقيه يستنبط الأحـكام ويفسر الآيـات فى فن الغزل الواقعى ولذا نجـزم بـأن المقصود من فن الصبابة فى قول آزاد الغزل الصـوفى الرامز خاصة وأن الامام الـرازى لم يكن يعنى بأمر الباطن كثيرا .

خامسا : ان صــورة آزاد أمام حبيبته وما فيها من مذلة وخضوع توحى بأن هذه المحبــوبة من عالم آخر فانظر اليه يقول :

ما موضعى الا محـل نعالهـا
أما البســاط فموضـع العظماء

ويقول أيضا :

فهل أحظى بمجلسها المعـلى
وأجلس ثم فى صـف النعـال

وأيضا :

لكل محب فى حماهن موضـع
تعين فى صـف النعال مقاميـا

وأغلب الظن والحالة هـذه أن الشاعر يتخذ من المحبوبة والبساط والنعال رموزا يمكن أن نقول فيها: ان المقصود من المحبوبة فى هـذه الأبيـات النعلية الذات المحمـدية ومن البســاط مقامات الواصـلين ومن النعال مقامات الدارجين على الطريق ولمـا كان شاعرنا سـالكا فى أول الطريق فقد خص نفسـه بمواضـع النعـال وانه ليرجو أن يجلس على البساط ويترقى الى مقام أعلى . وسوف نذكر طائفة من غزله هنا لنحاول تفسير رموزها ونرجو أن نقع على الحقيقــة أو نقترب . يقول فى الفراق :

بكت أهل الأباطح يوم سـاروا
وأسرع سائق الـكوم العتـاق

فــلا والله ما نبـغى حيـــاة
وان طالت بنـا بعـد الرفـاق

فـؤادى يـوم سـارت عيسهم
عن مـنى متمرغ اثـر النيـاق

أسـير وأدمعى تسرى ورائـى
الى أسـماء سـاكنة العراق

ألا آزاد لا يخـشى أوامـــا
رسول الله يوم الحشـر سـاقى

لقد بكى أصحاب المقامات حزنا على تخلفهم حين رأوا اخوانهم على الطريق يواصـلون الـترقى الـى مقامات أرفع . والسائق فى البيت الأول هو المـلك المقرب والـكوم العتاق هى همم السالكين يحدو بها الملك وقد سـاروا من مـنى الى الزوراء مقـام القطب كما يقـول ابن العربى :

أحب بـلاد الله لى بعـد طيبـة
ومكة والأقصى مدينـة بغدان

ومالى لا أهوى السلام ولى بها
امام هدى دينى وعقدى وايمانى

وقد سكنتها من بنيات فارس
لطيفة ايساء مريضة أجفان

ويقول آزاد فى الشوق :

أحن شوقا الى بستان كاظمة
أظله عارض الأقياظ منسكبا

يا ليتنى أرتوى يوما بمنهله
وأجتنى من نخيل المنحنى رطبا

الله الله لا أنسى مطوقة
أورت فؤادى بالتغريد فالتهبا

وبستان كاظمة هو رياض المعارف الالهية والعارض المنسكب هو هبوطها والشاعر هنا يتشوق الى مقام تلك المعارف ، ويدعو لها بالدوام ويتمنى أن يرتوى من معينها ويتمتع بثمارها وهذا مقام عيسوى مريمى لقوله تعالى :
« فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا •وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا » ، والمطوقة فى البيت الثالث هى الروح حيث طوقت بالميثاق فى قوله تعالى :
«واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . فهى لا تزال تذكره بذلك العهد فيلتهب قلبه شوقا الى الوصال .

ويدعو شاعرنا الى قتل العذول فى قوله :

هلموا الى قتل العذول فانه
لمنهاج أرباب الصبابة قاطع

على خلاف ابن الفارض الذى يترفق به ويدعوه الى العشق كقوله:

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى
فاذا عشقت فعند ذلك عنف

فان لم يستطع اقناعه طلب منه أن يتركه لشأنه :

ان رمت اصلاحى فانى لم أرد
لفساد قلبى فى الهوى اصلاحا

ولست أظن أن آزاد يدعو الى قتل ذلك الانسان الذى يلوم المحبين وانما يرمز به الى النفس الشهوانية التى تحاول دائما أن تردى به وتقعده عن التهويم فى عالم الروح.

أما صـورة الفراش يتهافت على النـار فقـد أثارت مشـاعر آزاد فرددها فى مواضع كثيرة معجبا بها حينا متمنيا مكانة الفراش أحيـانا أخـرى ، واذا رجعنـا الى الأدب العربى علمنا أن هذه الصورة عند الفـراش انمـا تستعمل فى معـنى الطيش وعـدم الدراية واذا فلابد لآزاد أن يرمز بها الى شىء آخر . يقـول :

يأيهـا المصـباح نـور مقـلتى
أنـا هائـم فى الليـلة الليـلاء

واجعل فراشك فى ضيائك فانيا
ابقـاؤ فى صـورة الافنـاء

واذا كان الصـوفيون يفسرون المصباح فى قوله تعالى : « المصباح فى زجاجة » بالروح فاننا يمكن أن نعـرف ما الذى يمكن أن يتحـد بالروح فيحقق وجوده وبقاءه وهو تلك اللطيفـة الانسانية التى رمز اليها الشاعر بالفـراش وعلى ذلك يمـكن أن نقـول ان الحبيب أو المصـباح الذى يدور ، أو تدور اللطيفة الانسانية حوله هو الروح بمعنـاها الـكامل والافنـاء من جانبهـا عبـارة عن اماتة دواعى الضرورات الجسدية وهـذا الموت هو الحياة على وجه التحقيق ، ولأن فى الانسان تلك اللطيفة فانه يبارك ذلك الفنـاء ويسـعى اليـه فاذا ما اتصل الجزء بالكل نزع الانسان خـلائق الجسد وتحلى بالأخـلاق الالهية كما يقول آزاد :

أخذ الفراش من السراج صياغه
نور البقـاء من الفنـاء يـلوح

شعر الخمر :

يقول فى خمرية الديوان الثانى :

معتقـة اذا جليت ترينـا
صـباح العيد فى وقت المسـاء

ثوت فى دنهـا المحروس أبهـى
من العـذراء فى خـدر الحياء

الى أن يقول :

عليـكم بالشـواء اذا شـربتم
تقـووا بالغـذاء عـلى الدواء

ذروا أعداءكم فى النـار طـرا
فان كبـودهم خـير الشـواء

أيا أصحابنا هذا هنيء
لكم لا أكيد الشرف النواء

ألا آزاد عبد مستحق
سقاه الله صهباء الولاء

الخمر عند الصوفية طريق الكشف وقد وصفها آزاد بالقدم يشير بذلك الى أن طريق الكشف قد سلكتها النفس قديما قبل أن تتردى فى سجنها الترابى المتمثل فى الجسد فاذا ما عاد الانسان ووصل الى أول هذه الطريق سقطت عنه قيود الزمان والمكان فلا صباح ولا مساء ، والخمر توجب السكر والسكر غيبة بوارد قوى فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب[1] والسكر هو المرتبة الرابعة من مراتب التجلى كما يقول ابن العربى فأولها الذوق ثم الشرب ثم الرى ثم السكر ، وشاعرنا آزاد ينصح الشاربين أن يصيروا على حال الشرب حتى يصلوا الى المرحلة التى بعدها كما يوصيهم أن يتركوا الأعداء ـ الشهوة واللذة والانشغال ـ فى نار قلوبهم المتأججة بالشوق والهيام حتى تنضج ليأكلوها مع الشرب ، واذا مافعلوا ذلك قطعوا كل صلة لهم عن حالة الصحو ولم يلتفتوا الى ما وراءهم من ظلمة الجسد .

أسلوب الشاعر :

ألفاظه سهلة واضحة الا فى بعض القوافى ، والى جوار السهولة نجده يختارها بعناية ويحاول فى كثير من الأحيان أن يلقى بالألفاظ ظلالا ويوحى من خلالها بمعان أكبر من مدلولها اللغوى كقوله :

لقد أومى الى قتل الأسارى
بأصبعه المخضب بالرقون

وقوله :

أيا صبا أنت فى القيعان سائرة
وأنت ألطف خلق الله تكوينا

أتوصلين الى الدهناء أدخنة
من الأوار الذى بالجزع يكوينا

وقوله فى الاسراء :

لقد تجاوز سبعا وهى ما انخرقت
كناظر العين فاستيقظ ولا تنم

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٨

غير أن مما يعيب ألفاظه أنه يستعمل مصطلحات العلوم كقوله :

سناه مبدأ آثار مكونة
والابتداء مدار الحكم فى الجمل

وقوله :

تاج القضايا الموجبات هو الهدى
رأس السوالب ماله من ثانى

الأعجميات :

من البديهى أن استعمال الأعجمى يعيب الأسلوب الا أن يريد شاعر أن يتظرف فيستعمله على سبيل الندرة كما فعل الأعشى وأبو نواس وغيرهما لكن آزاد استعمل الأعجمى تظرفا حينا ورغبة فى نقله الى العربية أحيانا أخرى مثل قوله :

أقبلت أعجمية سحرا
فقلت بالفارس آنزديك

فكلمة آ بمعنى تعالى وكلمة نزديك بمعنى قريب •

وقوله :

سقى الله الجواسا كينه ينمو
بغير الماء فى الصيف الصميم

فالجواسا شجيرة هندية تنمو وتخضر فى حرارة الشمس الشديدة وتجف وتيبس بالمطر • وغير ذلك كثير •

أبو قلمون :

هو نوع من البديع اخترعه الأمير خسرو الدهلوى أو هو التورية بين لغتين فأكثر ولم يفعل آزاد فيه سوى أن وضع له الاسم وحدد أنواعه وأورد له الأمثلة كقوله :

يسكن عرفك الأذكى هيامى
فمل لله يا غصن البشام

فكلمة مل فى العربية أمر من مال يميل وفى الهندية أمر أيضا بمعنى الق • وقوله :

لقد رمتنى بسهم اللحظ مقلته
حتى رأيت دمى من جرحه خرجا

فكلمة دم معروفة فى العربية وفى الفارسية بمعنى النفس ويصح ارادة المعنيين ، وقوله :

لقد أحببتها حبا عظيما
وودرى دائما بى بى أمامة

فكلمة بى للتفدية أى أفدى بنفسى أمامة وتكرارها للتأكيد هذا فى العربية أما فى الهندية فان كلمة بى بى لقب تعظيم للمرأة وتصح ارادة المعنيين على سبيل التورية ، وقوله :

ظلم المتيم أملح الغزلان
يعفو المهيمن عن حبيب جانى

فكلمة جانى فى العربية اسم فاعل من الجناية وبالفارسية مركبة من جان بمعنى الروح وياء النسب بمعنى حبيب روحى وتصح ارادة المعنيين على التورية بين اللغتين ، وقوله .

يا رب كيف نرى فى قومنا عارا
فاقطع وتين عدو ظالم مارى

فكلمة مارى فى العربية ماض بمعنى جادل وفى الهندية ماض بمعنى ضرب وفى الفارسية بمعنى لنا أى ملكنا وتصح ارادة أى معنى من المعانى فى اللغات الثلاث على سبيل التورية .

ومن مظاهر الأسلوب عند آزاد : الحكمة ، والمثل ، والتضمين وطرق التعليل ، والافحام ، والتأكيد بأنواعه والمبالغة والقصة الشعرية وسوف لا نعطى أمثلة حتى لا يطول بنا الحديث .

استخدام الصورة :

للصورة عند آزاد هدفان : أولهما فنى يجلو به المعنى ويخرجه فى اطار جميل مؤثر كقوله :

عينى تسيل ولم أملك صيانتها
كستلى قدح فى كف مرتعش

وقوله عن احدى قصائده :

قصيدتى هذه حسناء جالسة
على الأريكة فى حلى وفى حلل

أما ثانى الهدفين فهو : اقناعى يحاول به التأثير حتى يصل الى التسليم من قبل المخاطب كقوله :

لا نقص بى ان ذبت فى نار الهوى
قدر الأهلة بالهزال جليل

اثر البيئة :

اذا كان كل أديب صورة لعصره ومرآة لمجتمعه فان آزاد فى شعره العربى كان مقلدا لشعراء العرب يتخيل خيالهم ويعيش بأفكارهم

ويتنقل معهم من احساس الى احساس وينزل بخياله الى الأماكن العربية ويتعشق العربيات ولاشك أنه بهذا كان يعبر عن بيئته التى تتجه بكل كيانها الى الأمة العربية وتدين بوجودها الى هذا الدين الذى نبع فى الجزيرة العربية ، ومع ذلك فقد انتشرت فى أشعاره آثار البيئة الهندية بمعتقداتها وعاداتها بتضاريسها ونباتها مثل قوله :

لقد التظى فى الهند قوم بالهوى
ورأوه من رب الورى احسانا

نار الهوى أضحت عليهم جنة
كسمندل فى أرض هندستانا (1)

فقد أشار الى التصوف الهندى والى نوع من الطيور الهندية لا يحترق بالنار ، وقوله فى الفراق :

لا أرتجى بعد التحرق راحة
ستفرق الأرياح شمل رمادى

وقوله :

لقد احترقت وما ترحم مشفق
حصلت هذا النفع من قبساتها

وغدا رمادى فى الفلاة مفرقا
بتوجه الأرواح من حضراتها

فصورة الاحراق ثم تذرية الرماد المتخلف فى الهواء تأثر بالعقيدة الهندية المعروفة منذ قديم ، وقد يحتفظ أهل الميت بجزء من الرماد ليوضع فى صدر البيت أو غرفة الجلوس بجوار صورة المتوفى ولهذا أيضا أثر فى شعر آزاد :

قال لى ليلا فراش مغرم
انى لهمت بشمعك المأنوس

فأوان يقتلنى ويحرق جثتى
أودع رمادى قبة الفانوس

وفى الهند ينزل المطر غزيرا فى فصل الصيف فيلطف الجو وينعش الصدور ، وقد تعارف أدباء الهندية

---

(1) السمندل : طائر كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ودابة أو دويبة كما يقول فرهنك عميد وفى كتاب «أردولغت» ذكر أنه يفرز مادة تطفىء النار فلذلك زعموا انه لا يحترق .

على أن موسم المطر يثير العواطف ويهيج الأشجان فاذا ما ظهر السحاب فى السماء كبداية لهذا الموسم أسرع كل حب فالتقى ولاذ بالوصال مهما بعدت الشقة وطال السفر ولذا فان هذا الموسم يأتى نارا على المرأة التى نأى عنها حبيبها او انفصل ، وقد ترجم آزاد فى هذا المعنى شعرا هنديا منه :

زارت سعاد بلا وعد فقلت لها
يا مرحبا بك من ألقاك فى التعب

قالت لقد جاءنى غيم وكلفنى
أنى أجوب اليك الأرض بالهدب

فقلت كيف طويت الأرض ماشية
وقت الدجى وسكوب الدمع من سحب

قالت هدانى شعاع البرق مرحمة
فمثله سرت فى القيعان والكثب

فقلت سيرك فى جنح الدجى غلط
بلا شريك رفيق فى خطى الطلب

قالت خيالك طول الليل كان معى
فى حالة عن تجاه العين لم يغب

وأنشأ فى هذا المعنى أيضا قوله:

جاء السحاب وليس ودى حاضرا
من لى بارجاع الحبيب اليا

أسبلت دمعا فانيا من مقلتى
حتى بكى الغيم الرقيق عليا

وقوله :

سحقا لغادية بالغيث تحرقنى
من أين ماء فراح حل الحرقا

فعل السحائب ارسال الحيا كرما
فما لهذى الغوادى تمطر البرقا

واذا كان آزاد قد قال هذه الأبيات على لسان امرأة هندية أو أكثر فان هذا يعطى صورة أخرى عن المرأة فى الأدب الهندى حيث تكون هى الطالبة للرجل المتغزلة فيه العاملة على امالته .

ويشير الى طبيعة أرض للهند فى قوله :

همت برجس من الأوثان طائفة
ادارة الروث أقصى همة الجعل

والى طرف من حياة أهلها :

عجبت من شيمة المصباح فى الظلم
ينور الجو الا موضع القدم

الاوزان والأشكال الشعرية :

لم تخرج أوزانه عن الأوزان العربية الا ما ندر مثل استعمال

وزن الدوبيت فى القصيدة الكاملة والمقطوعة وأشهر بحور شعره الطويل والكامل والبسيط والخفيف والوافر أما الموسيقى الداخلية فقد كان للمديح النبوى فيها أوفى نصيب حيث يقول مثلا :

وبلغت خير الأرض أرض تهامة
فرحا برؤية لعلع وحراء

بالبيت طفت وجئت زمزم والصفا
وأتيت كل مواطن الآلاء

ثم ينتقل مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم :

قد جئت بابك خاشعا متضرعا
ما لى وراءك كاشف الضراء

أحسن الى ضيف ببابك واقف
شأن الكرام ضيافة الغرباء

اننا نحس بنفس الشاعر تكاد تطير من الفرح ونسمع أنفاسه تتصاعد فى سرعة حينا وفى هدوء حينا آخر عندما يرى أمله قد تحقق فيطوف ونطوف معه ونرتوى من زمزم كما يرتوى ثم نحس باللهفة والشوق وهو على باب الحبيب تتصاعد نبضات قلبه لتتآلف مع دقات يده فى موسيقى حية موحية .

أما الأشكال الشعرية فقد استعمل منها: القصيدة ، والمقطوعة ، والموشح ثم انه أدخل من الفارسية أشكالا شعرية الى القريض العربى وذلك مثل الحاجب والمردف والمستزاد .

الحاجب : هو كلمة معينه يختارها الشاعر ويكررها بين قافيتين فى كل بيت من القصيدة كقول آزاد .

لقد ذقت فى الحب المرير حلاوة
لسانى عن التبيان والله قاصر

قسمت الأسى فى العاشقين لأنه
لدى من المنان والله وافر

اذا قلت الأحزان بين قلوبهم
فحزنى للنقصان والله جابر

فالحاجب فى هذه الأبيات هو لفظ الجلالة الله والقافية الأولى هى النون قبله والقافية الثانية هى الراء فى آخر كل بيت .

المردف :

الترديف عند العرب عبارة عن حرف لين قبل الروى لكن الترديف الذى يعنيه آزاد والذى نقله عن الفرس عبارة عن كلمة مستقلة تتكرر بعد الروى كقوله :

العشق لب والدهاء نواثر
لب النواة عن النواة بعيد

شأن الغرام أجل من شأن الحجا
قدر العقيق عن الحصاة بعيد

ان جارت الحسناء فهو تفضل
هذا الشكور عن الشكاة بعيد

فكلمة بعيد هى الردف .

المستزاد :

يعرفه آزاد بأنه كلام موزون يستزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزءان أو جزء واحد بعد المصراع الثانى كقوله :

ألبس ياذا الجلال جيد الورقاء
... طوق الصفراء

تملى كرما على أسير الغماء
... ذكر الزوراء

وقوله :

ولت عنى وأقبلت فى الرؤيا
هل يحصل من لقائها فى الحلم
... جبر النقصان

لا تطفىء غلتى سوى باسمة
فافت أسنانها بماء شبم
... حب الرمان

وقد دعا آزاد شعراء العربية أن يحذوا حذوه فى استعمال هذه الأشكال ، ولكن لم يستجب له أحد فيما نعلم وفى رأينا أن هذه الأشكال لن يكتب لها نصيب فى العربية لما فيها من قيود تتمثل فى القوافى المتعددة ، واذا كان العرب يحاولون أن يتخلصوا من قافية واحدة أو يطوروها فكيف يمكن أن يستسيغوا بيتا له قافيتان هذا بالاضافة الى أن هذه القيود تحد من المعانى وتتحكم فى فكر الشاعر وتقعد بخياله ، ويمكن تلخيص رأينا فى هذه الأشكال بأنها لزوم مالا يلزم .

الخيال :

هو الذى يتولى التجارب الشعرية ويخرجها من حالة غامضة الى واقع غاية فى الوضوح أو كما يقول بعضهم هو المعبر بين المادة والروح ، وبقدر ما يكون الخيال بعيدا عن سلطة العقل بقدر مايكون له من الروعة والجمال وقد أدى به شاعرنا فى سذاجة جينا وفى روعة وابداع أحيانا يقول :

طيف الحبيب الى فى ليل سرى
نبأ بصبح فى الطريق له انبرى

رد الصباح الى الحبيب خياله
وأغار فى عين المحب على الكرى

وقد يغرب فى الخيال مؤلفا من الصورة الواحدة صورا تحتاج الى تدبر وتأمل كقوله :

جن ليل حالك لا ينتهى
أين صبح هاتك ستر الدجى

ليس ذا ليل بل الدهر اكتسى
كسوة سوداء فى موت الضحى

شابت الصقعاء حتى ربطت
عينها النجلاء ظلماء العمى

صاد سهد جارح فى الليل اذ
طار من وكنيه خفاش الكرى

ومن الخيال المبدع قوله :

أتى تاجر سوق الأبيرق مرة
يبيع عقيقا للنواظر جاليا

رآه غنى فاشتراه منافسا
ونظمه فى وسط عقد مباهيا

وغنت على غصن البشام حمامة
غنا رقيقا فى الطبائع ساريا

فذاب عقيق العقد من نغماتها
الى أن غدا فوق الترائب جاريا

تحيرت الأبصار فى الحجر الذى
تبدل ماء بالترنم قانيا

فقال فطين ليس ذلك جوهرا
سنيا بهيا فى الجواهر غاليا

ولكن فؤاد هائم من متيم
تذكر عهدا بالأبيرق ماضيا

فذاب على صوت الحمام تحزنا
وأصبح فى نهج الصبابة فانيا

عدوان على شعر آزاد :

ولا يفوتنا هنا أن نسجل أن الأمير صديق حسن القنوجى صاحب المئات من المؤلفات العربية قد أغار على أشعار آزاد فسرق منها ما شاء له منتهزا غياب صاحبها عن الحياة من ناحية وعدم ذيوع أشعاره — لكونها لم تطبع — من ناحية أخرى ولست هنا متحاملا على السيد القنوجى ولكنى أحيل القارىء الى كتابه اتحاف النبلاء ففيه جملة صالحة من الأشعار العربية حاول بها أن يبرهن على شاعريته فأخذ ما أخذ وسرق ما شاء له من شعر آزاد ! ! وسوف أعطى مثالا واحدا يصدق على كل ما فعل القنوجى أو فعل له يقول :

يا غادة فتنتنى أين مرعاك
وحيثما أنت عين الله ترعاك

انى عشقت وما عشقى بمبتدع
الانس والجن والأملاك تهواك

فهو قول آزاد :

ياظبية فتنتنى أين مرعاك
وحيث أصبحت عين الله ترعاك

انى لهمت وما أمرى بمبتدع
الآس والبان والغزلان تهواك

فأنت ترى أن هذا لا يمكن أن يكون من توارد الخواطر ولوسلمنا بذلك جدلا فى هذين البيتين فهل يمكن أن يتفقا معا على هذه الصورة فى قصيدة كاملة لقد فات صديق حسن أن الحق سيعود يوما الى نصابه وكأنى بآزاد يعنيه بقوله :

حاز الجواهر من كنزى ويكتمها
هل يختفى سارق المصباح فى الظلم

* * *

مكانة آزاد :

اذا قارنا شعر آزاد بغيره من معاصريه ــ العصر التركى ــ وجدنا أنه قمة لا يكاد شاعر من معاصريه أن يسمو اليها فقد استطاع على الرغم من ظروفه وظروف العصر والبيئة أن يذلل البديع ويخضعه وأن يستقى معانيه من منهل العربية الصافى على اختلاف العصور الأدبية فأدى فى جزالة وقوة فى الوقت الذى استعبد البديع معاصريه فانحسروا وضاقت عليهم طرق التعبير وسدت فى وجوههم منافذ المعانى ، لقد كان شاعرنا آزاد فحلا ورائدا من طراز البارودى ولكن لم تسلط عليه الأضواء حيث وجد فى بيئة غير مستعدة لاستقباله فلم يكن له من الشهرة أى نصيب .

وأخيرا لا يسعنا الا أن نقول : ان غلام على آزاد البلكرامى وشعره ثروة أدبية ولغوية يجب القيام عليها والافادة منها فالى الهيئات والجامعات والجماعات العربية والأدبية وأصحاب القدرة من القائمين على شئون التراث أوجه هذه الدعوة أمانة واخلاصا

د. عبد المقصود شلقامى

خواطر تاريخية

مأساة النفس الزكية

للأستاذ الشيخ السيد حسن قردن

« محرج مظلوم » لخص (محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب) مأساته فى هاتين الكلمتين وان كانت تلك المأساة فى حاجة الى كتاب ، وقد وصفها فى ساحة المعركة وسيوف بنى أبيه تنوشه من كل جانب ، ولو سئل عنها وهو فى فسيح الأمل وبلهنية العيش ما عدا هاتين الكلمتين ، لكن المؤرخ لها يجد فيها وقائع كثيرة ، وأحداثا مثيرة ، وأقل ما توصف به : أنها قطعت وشائج رحم كان يجب ألا تقطع ، وحبائل ود ينبغى أن تصان ، ومكارم مروءة كان من الحتم أن تبقى ، وفوق كل ذلك أخوة الدين والنسب ؛ فلم يكن من المتوقع أن يتعادى بنو (عبد المطلب) فيكون بين أبناء العباس ، وأبناء أبى طالب صراع ونزاع حول الخلافة تراق فيه الدماء ، وتنتثر الأشلاء ، وأن تنقسم شيعة بنى هاشم الى فريقين متناحرين ، ويكون الأخ لأخيه عدوا مبينا ؛ انه الملك ، والملك عقيم كما يقول (عبد الملك بن مروان) من أجله يستبيح الانسان قتل كل من ينازعه فيه ــ ولو كان أحد أبنائه ــ وما جرى بين النفس الزكية (محمد ابن عبد الله) وأبى جعفر المنصور يصدق عليه قول ابن مروان حين قتل ابن عمه (عمرو بن سعيد). لقد قالوا فى عداوة بنى هاشم وبنى أمية وأكثروا حتى قالوا على طريقة الكهان ــ قالوا : ان هاشما وعبد شمس ولدا توأمين ، فولد (هاشم) ورجله ملتصقة بجبهة (عبدشمس) فلم يقدر على نزعها الا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولديهما دماء فكانت الدماء التى جرت بين هاشم

وأمية بن عبد شمس • هذه أسطورة أراحت قائليها فجعلتهم لاينظرون الى الواقع ، وأن العداوة كانت فى سبيل الملك، وان غطوه بغطاء نظيف (الخلافة) ومن أين لى بأسطورة مثل هــذه فيما جرى بين العلويين والعباسيين؟ لن تجــدها ، ولكنك تجد مكانهــا حقيقة ثابتة ، وهو حب الملك والتفرد به ، ومن أجله كان ماكان مما يؤلم النفوس ، ويجرى العيــون دما ــ وفى هذا العهد وقبله ارتفعت أصوات صادقة تعارض بالكلمة والسلاح مبدأ تحــويل الخــلافة الى ملك • أعلن عبد الرحمن بن أبى بكر أمام معاوية انكاره لبيعة يزيد قائلا : أتجعلهــا كسروية ، يريد بذلك معارضته لوراثة الخلافة ، ونادى عبد الله بن الزبير بجعــل الأمر شورى بين المسلمين ، وهــو ما نادى به الخوارج ؛ لكن ينتهى الأمر عند جميعهم ــ ما عــدا الخوارج ــ الى الرضــا بالوراثة ؛ فهى حرام ان بعدت ، وحــلال ان قربت ، وكان بنو هاشم فى مقــدمة الثائرين على بنى أمية ، ينكرون غصبهم للخلافة الاسلامية ، ومن أجل ذلك تعرضوا لمواقف أحزنت معــاصريهم ومن جاء بعدهم ، فلما انتقل الملك اليهم كان من العقــل والأصلح أن يوفقوا بين مطامعهم ورغبات الرعية، ولهم من صنيع أبى بكر رضى الله عنه قدوة صالحة ، فقد حصر أبو بكر الخلافة فى قريش؛ لأنهم أقرب الناس رحما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تعــرف العرب هــذا الأمر الا لقريش، ومن هنا كان على الهاشميين من عباســيين وعلويين أن يتشــاوروا ، ويتخذوا مبدأ يسيرون عليــه دون اختلاف ودون اراقة الدماء ، فيجعلوا الخلافة للأصلح منهم ، وما نقــوله اليوم على طريق التمنى لا يرضى أبا جعفر المنصور ، فقــد وصلت اليــه الخلافة ببيعة أخيــه (أبى العبــاس السفاح) فكيف يتركها لمحمــد بن عبد الله العلوى ؟ ومن أين جاءت تلك المأساة ؟

قال الرواة : لمــا ضعف أمر بنى مروان بعد هشام وصــارت الدولة الاسلامية كدار اشتعلت فيها النيران فى جميع أركانها لا تخمــد ولا يقدر

على اخمادها ، ثورات من الأسرة الحاكمة يقتل بعضهم بعضا ، وثورات من الخوارج ، وثورات من العلويين وأبناء جعفر بن أبى طالب . اجتمع الهاشميون بمكة فى موسم الحج ، وانضم اليهم نفر من سادة قريش خوفا على الدين والدولة ، وأجمع رأيهم على اختيار محمد بن عبد الله الملقب (بالنفس الزكية) بعد القضاء على مروان بن محمد ، وبايع أبو جعفر محمدا ، كما بايعه الحاضرون؛ وواقعة مبايعته جاءت على لسان أكثر من واحد ممن شهد الاجتماع ، وبايع النفس الزكية ، من ذلك ما جرى بعد مقتله بالمدينة ، فلما قبض على (عثمان ابن محمد بن خالد بن الزبير) وأدخل على أبى جعفر المنصور . قال أبو جعفر: هيه يا عثمان : أنت الخارج على أمير المؤمنين والمعين عليه ؟ قال : بايعت أنا وأنت رجلا ، فوفيت ببيعتى ، وغدرت ببيعتك ، فأمر به فضربت عنقه . وفى رواية عن ابنه محمد قال : أدخل أبى على أبى جعفر، فقال له : أين المال الذى عندك ؟ قال : دفعته الى أمير المؤمنين ــ رحمه الله ــ قال أبو جعفر : ومن أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله. قال أبايعته ؟ قال : نعم ، كما بايعته، قال : يابن اللخناء ؟ قال : ذاك من قامت عنه الاماء ، فأمر به فضربت عنقه ، والذى قامت عنه الاماء أبو جعفر المنصور؛ لأن أمه أمة بربرية اسمها (سلامة) فالرجل صاحب حق، بويع بالخلافة قبل أن تقوم للهاشميين دولة ، وكان من المبايعين صاحبه أبو جعفر كما قدمنا ، لذلك كان من هم أبى جعفر القضاء على محمد وأخيه ابراهيم ، ولم لم ينظر الى أبيهما (عبد الله بن حسن) ؟ لأنه كان ممن حضروا وبايع كما بايعوا .

يقول عبد الله بن أبى عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر : لما استخلف أبو جعفر لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد، فدعا بنى هاشم رجلا رجلا ، كلهم يخليه (١) فيسألهم عنه ، فيقولون : يا أمير المؤمنين ، قد علم أنك قد

---

(١) يخليه : يكلمه خاليا .

عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ولا يجب لك معصية ، وما أشبه هذه المقالة الا (حسن بن زيد) العلوى ، فانه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، فانه للذى لا ينام عنك ، فر رأيك ، قال ابن عبيدة : فأيقظ من لا ينام ؛ لذلك كان يقول بنو عبد الله بن حسن : اللهم اطلب حسن بن زيد بدمائنا ، وقد ساقنا هذا الخبر من حفيد عمار بن ياسر الى كلمة النفس الزكية:محرج، نعم انه محرج مطارد من أبى جعفر يود القبض عليه يشق النفس ليتخلص منه ، وتخلص له الخلافة ولأبنائه من بعده ، انه نادم على حضوره اجتماع الهاشميين بمكة ومتابعتهم فى بيعة محمد بن عبد الله ؟ فى يده السلطة والقوة والمال ، قد استراح من عمه (عبد الله بن على) وأبى مسلم الخراسانى ، وابن هبيرة فلم يبق الا محمد ؟ ومحمد أعظم من هؤلاء جميعا فله شيعة فى كل مكان ولو ظهر لاتبعه جند وفرسان ، لقد أيقظ (حسن بن زيد) من لا ينام ، ولا تأخذه رأفة فى سبيل الملك ، كل شيء هين الا الملك أعلنها قبل أن يلى الخلافة، وأعلنها حين استوى خليفة مبايعا ، وها هو ذا يأخذ فى بناء بغداد ، فتجيئه الأنباء بظهور محمد بن عبدالله. أوقف البناء ، واستعد للصراع وسفك الدماء ، وهو مسئول عنها فلولا الحاجة فى طلب هذا المحرج ما حدث ما حدث ، ولرضى محمد بالواقع . ماذا يصنع محمد والشرط يبحثون عنه فى كل سبيل، وكل وجه ؟ طاردوه فى المدينة ، فنزل بئرا وجعل يعاون أصحاب الدلاء ، وهرب الى جبل جهينة فسابقوه اليه فأعجل ومعه زوجه فوقع ابنه الرضيع على الحجارة فقضى نحبه وهو يجرى ملتفتا اليه ؛ صار كأنه مجرم مطالب بجريمته ، والناس من حوله يطلبون اليه أن يعلن الخروج على عدوه ، وقبائل كثيرة ، ومدن مجيرة تريد منه أن يكون فيها ، فأبى المقام الا فى المدينة وليكن ما يكون ، وخرج أخوه ابراهيم الى البصرة ، وجاءت الأسلحة منها ، ودفع دفعا الى الظهور ، وهذا ما أراده أبو جعفر وجد فيه ، ولذا

قال : أنا أبو جعفر استخرجت الثعلب من جحره ، ولم يخرج هذا الثعلب الا بعد أن قبض على أبيه وأعمامه ومن لفه لفهم ، وفى مقدمتهم : (محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) لأنه أخو عبد الله ابن حسن لأمه ، وأمهما فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه ، ولقد لقى محمد العثمانى من العذاب ما لم يخطر على بال حتى قال عبد الله بن حسن حين رأى عذابه وما أصابه : انا لله وانا اليه راجعون ؟ ! والله ان كنا لنأمن به فى سلطانهم ، ثم قد قتل ن سلطاننا . قالوا : والسبب فى قتله أنه احتيج الى رأسه ؛ أمر أبو جعفر بضرب عنقه ، ثم بعث به الى خراسان، وبعث معه الرجال يحلفون بالله انه محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليسكن ثائرة خراسان ، ومن العجيب أنه حين قتل محمد بن عبد الله العلوى وجه أبو جعفر برأسه الى خراسان مع ابن أبى الكرام (رجل من آل أبى طالب) فلما قدم به ارتاب أهل خراسان وقالوا : أليس قد قتل مرة وأتينا برأسه ؟ ثم عرفوا الحقيقة ؛ فكانوا يقولون: لم يطلع على كذبة غيرها من أبى جعفر ، فالثائر اسمه محمد ابن عبد الله ، والعثمانى اسمه محمد ابن عبد الله ، وكلاهما ينتميان الى فاطمة بنت رسول الله ، فمن هنا جاءت حيلة أبى جعفر وتعميته على أهل خراسان ، ولكن الكذب لا يدوم خفاؤه ، وصاحبه مدحور وان بدا عزيزا قاهرا ، أليس محمد بن عبد الله مضطرا الى اعلان خلافته ؟ أليست أسرته جميعها فى سجون أبى جعفر؟ وماذا بقى له من الدنيا ؟ لقد أقدم حين لم يجد مفرا من الاقدام ،فقبض على والى المدينة وحرسه وأودعهم السجن ، وكون مجلس الاستشارة وشئون الحرب، ووجه الى مكة رجلا من آل أبى جعفر بن أبى طالب ليأخذ مكة ويكون واليا عليها هو (الحسن ابن معاوية) وكان شجاعا فاستولى عليها ولم يصب واليها بسوء كما أمر الخليفة النفس الزكية ، أما المدينة فقد جعل عليها عثمان بن محمد الزبيرى ، وعلى قضائها عبد العزيز المخزومى وعلى شرطتها أبا القلمس

من آل عمربن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر الزهرى ، واستعد لأبى جعفر وجنده والحرب أولها الكلام فتبودلت رسائل بينـه وبين أبى جعفر ، واذا تأملتها وجدت كلا منهمـا يرغب ويرهب ، ويعطى الأمان ويتهـدد ، ويذكر حقـه فى الخلافة بالانتساب الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا ذكرمحمد أنه ابن بنت رسول الله ، وابن على الوصى والامام وأنه تنقل فى الحرائر ولم يكن فى أصـــوله اماء ، رده أبوجعفر بأن الله لم يجعل النســاء كالعمـومة والآباء ، وقـد بعث الله محمداعليه السلام وله عمومة أربعة فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنـــان أحدهما أبى العباس ــ وأبى اثنان أحدهما : أبوك ــ أبو طالب ــ فقطع الله ولايتهما منه ، وقـد علمت أن مكرمتنا فى الجاهلية سـقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته ، وقد طلب الخـلافة غير واحد من بنى عبـد المطلب فلم ينلها غير ولده ، فالسقاية سقايته ، والخـلافة فى ولده ، فلم يبق شرف ولا فضـل فى جاهلية ولا اسـلام فى دنيا وآخرة الا والعبـاس وارثه ومورثه • واذا اسـتند محمد الى حقهم فى الشيعة قائلا : انما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا كانجواب أبىجعفر: طلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم • وهذا الحوار عن طريق الرسـائل عظيم الأثر فى الناحية التاريخية والأدبية ، ومن شـاء أن يطلع عليـه فى تاريخ الطبرى الجزء السـابع ، والكامل للمبرد الجزء الثانى ، يدرك منهعقلية الرجلين ، وتاريخ الأسرة الهاشمية ، وما من شك فى أن الاحتجاج بالنسب مفيد ومطلوب ، لأن كليهما يعتد على بنى أمية به ، وكذلك أمية تعتد به على سائر قريش ، ولكن محمدا بن عبد الله العـلوى ترك أمرا هاما فى رسالته وهو مبايعة المنصـور له فى اجتماع مكة ، لأن النسب يجمعهما ، والعرب لا تفرق بين على والعبـاس فكلاهما قريب القرابة وثيق الصلة ، العباس عم الرسـول وعلى ابن عمه، وليس أبنـاء على جميعا من نسـل فاطمة الزهراء ، وقد مال بالشـيعة

أبوهاشم العلوى الى ممحد بن على العباسى ولم ير فى ذلك ضيما له ولا حرجا لأسرته ؛ فالمهم سلطان الهاشميين عنده ، وسيان أبناء على أو جعفر أو العباس •

ومحمد بن عبد الله يمتاز بشىء يعطيه ما لم يعط غيره وهو المبايعة قبل قيام الدولة ، وقد رأى هذا غير مجد ، لأن القائمين بأمر الشيعة بايعوا أبا العباس السفاح ، فبطل أمره ، ووهنت بيعته ، ولم يخرج وانما أخرج ، وكان ما كان من القتال وسقوط الأبطال فى المدينة والبصرة والأهواز وما يليهما •

قلت : ان أبا جعفر كان حريصا على أن يلى أمور المسلمين ، فلما وجه عيسى بن موسى لقتال محمد ــ وكان ولى العهد ــ قال : لا أبالى أيهما قتل صاحبه ، وفطن عيسى لغرضه ، فقال له : شاور عمومتك • قال له : امض أيها الرجل ، فو الله ما يراد غيرى وغيرك وما هو الا أن تشخص أو أشخص ، ود أبو جعفر قتل عيسى ليخلو له وجه الخلافة لابنه (المهدى) ؛ وأخذ أبو جعفر يوصيه ويكثر ، فقال له : الى كم توصينى ؟

انى أنا الحسام الهندى
أكلت جفنى وفريت غمدى
فكل ماتطلب منى عندى

وسار بجيشه يريد المدينة وكانت عدته أربعين ألفا ، وعلى رأسه المحارب حميد بن قحطبة ، وكان المتفائلون فى النصر من أنصار خليفة المدينة كثيرين • أليست الحجاز فى يده ؟ أليست البصرة ، والأهواز ، وواسط فى يد أخيه ابراهيم ، وصاح الشاعر الزبيرى عبد الله بن مصعب يقول :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن
هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل أن ترتد ألفتنا
بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضى دولة أحكام قادتها
فيها كأحكام قوم عابدى وثن

فانهض ببيعتكم تنهض بطاعتنا
ان الخلافة فيكم يابنى حسن

لاعز ركن نزار عند نائبة
ان أسلموك ، ولا ركن لذى يمن

ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا
عودا ، وأنقــاهم ثوبا من الدرن
وأعظم النــاس عنــد الله منزلة
وأبعد الناس من عجز ومن أفن (١)

وما بلغ جيش عيسى ضــــواحي المدينــة حتى بانت قوته وقوة أهــل المدينة ، وظهــر أن فرسان محمــد قليلون ، لذلك حفروا خندقا حول المدينــة ، وسرعان ما عقــد جسرا عيسى بن موسى ، ولم يشــأ أن يبدأ القتال الا بعد أن يعطى الأمان لمحمد ان أراد . ومن اللافت للنظــر أن بجيش عيسى نفرا من آل أبى طالب. قال الرواة : وقف عيسى على ذباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه فقال : خذ عشرة من أصحابك، وقــال : ليقم عشرة منــكم يا آل أبى طالب ، فقام معه عشرة ، منهم : القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن على . وقال : انطلقوا الى القوم فادعوهـــم وأعطوهــم أمانا ، وبقى أمان الله ، فخرجوا حتى أتوا سوق الحطابين ، فدعوهــم ، فسبهم أهل المدينــة ورشــقوهم بالنبل ، وقالوا : هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه ، فقال: القاسم بن الحسن بن زيد: وأنا ابن رســول الله ، وأكثر من ترون بنو رسول الله ، ونحن ندعوكم الى كتــاب الله وســـنته ، وحقن دمائكم والأمان لكم ، فرجع أهل المدينة الى السب ، والرشــق بالنبال .. فقــال القاسم لعيسى ما تنتظر؟ انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى حميد بن قحطبة فكان القتال . وعلى رغم قلة أصحاب محمد ، فقد ظهرت بطولات يحسب حسابهــا ، كان ابن خضــير من ولد مصــعب بن الزبير بطــلا ، وكان أبو القلمس من نسل عمر رضى الله عنــه بطلا ، وغيرهمــا مما يفصــله التــاريخ ، وحسبى أن أذكر تلك المبارزة . قالوا : خرج القاســم بن وائل من الخندق رجل من أنصــار محمــد فبرز له (هزار مرد) قائد من قواد عيسى وهو خراسانى، فلما رآه القاســم هابه فرجــع ، فبرز له أبو القلمس فضربه على عاتقه فقتله فقال : خذها وأنا ابن (الفاروق) فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلت خيرا من ألف فاروق ، وهذا يدل على ضعف الوازع الدينى فى جيش

---

(١) افن : ضعف راى .

العباسيين ، وظهرت بطولة محمد بن عبد الله فى ذلك اليوم فقتل سبعين فارسا بسيفه ، ودعا حميد بن قحطبة الى مبارزته وانتسب له ، فأطراه حميد وقال له أبارزك حين تنتهى هذه الأغمار واستأذن ابن خضير الزبيرى امامه - حين رأى الخلل فى أصحابه ، وأن السيف قد أفناهم ، وكانوا فى عدة أهل بدر - فدخل على رباح بن عثمان الرئ وأخيه فذبحهما ، وكان رباح والى المدينة للمنصور فوضع فى السجن ، ثم رجع فأخبر محمدا ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . واندفع محمد يقاتل فأحيط به من كل جانب ، فبرك لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول ويحكم ، أنا ابن نبيكم ، محرج مظلوم . فتعاوروا عليه فقتلوه ، واحتز رأسه حميد بن قحطبة ، فأتى به عيسى ... وكم ترك مصرعه من مآسى ودموع ، وحزن لا يبرح . وبلغ خبر مصرعه أخاه ابراهيم فقال :

أبا المنازل ياعبر (١) الفوارس من
يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهم
أو آنس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ، ولم أسلم أخى لهم
حتى نعيش جميعا أو نموت معا

وانتصر ابراهيم على عيسى بن موسى غير أن القدر أراد له غير ما أراد . أتاه نشاب فى حلقه وهو منتصر فأرداه قتيلا فقال : « وكان أمر الله قدرا مقدورا ، أردنا شيئا وأراد الله غيره » .

وبكت المدينة ، وران على الساحة الاسلامية حزن خيم زمنا طويلا على مصرع المهدى ، والنفس الزكية محمد بن عبد الله الحسنى العلوى . قالت : كلثم بنت وهب قال : (عبد الوهاب بن يحيى الزبيرى) :

رحم الله شبابا
قاتلوا يوم الثنية (٢)

قاتلوا عنه بنيا
ت وأحساب نقية

فر عنه الناس طرا
غير خيل أسدية

(١) يصفه بالقوة فيهم ومنهم .
(٢) موضع مقتل محمد .

قالت فزاد الناس :

قتــل الرحمــن عيسى
قاتــل النفس الزكيــة

وكانت وفاته فى الرابع عشر من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع ، رحمه الله فقد أحرجه أبوجعفر وظلمه حتى جعل منه خارجا على الدولة ، وأزعج أسرته فصاروا مصــدر القلق لدولة بنى العبـاس فخرج يحيى أخــوه فى خراســان وادريس فى المغرب الأقصى وصارت له دولة اسمها دولة الأدارسة ، ولله فى خلقه شئون .

السيد حسن قرون

المراجع :

(١) تاريخ الرسل والملوك ؛ للطبرى .
(٢) الكامل ؛ للمبرد .
(٣) العقد الفريد ؛ لابن عبد ربه .
(٤) أبو جعفر المنصور ؛ للأستاذ على ادهم .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

*** تامل حكيم شيبه فقال :**

مرحبا بزهرة الحنكة ، ويمن الهــدى ، ومقدمة العفــة ، ولباس التقوى .

الذوق الصوفي في فهم القرآن الكريم

للأستاذ الشيخ عبد الحفيظ فرغلي القرني

سمع صوفي قارئا يردد قوله تعالى: « ومن نعمره ننكسه في الخلق » فقال معلقا : ومن نعمره بحبنا ننكسه في خلقنا .

وهذا التعليق ينبهنا الى أذواق الصوفية التي تلوح لهم حين ترد على أسماعهم الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة ، أو أبيات الشعر المأثور أو الأدب المنثور وغير ذلك من الحكم والمواعظ ، بل ربما فهموا من الأقوال العابرة معنى يتفق مع ما يدور بخواطرهم ويشغل أذهانهم ويحكى وجدانهم ، ومن هذا القبيل ما يرويه « ابن عربي » في كتابه محاضرة الأبرار قائلا : ماشيت بعضهم بقرطبة أمام دار السلطان ، فاذا جماعة من الأجناد خرجوا من الدار يقولون : جاءت الرسل من قلعة رباح ، فاهتز من كان معه وجدا وقال : يا أخي أما تسمع لهؤلاء الأجناد ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا ؟ قال : قالوا جاءت الرسل عليهم السلام يقولون : من أقلع عن معصية ربح ما عند الله .

هذا ما فهمه الصوفي يحكي به حاله ويشرح وجدانه عند كلمة عابرة سمعها من شخص عابر . فما باله اذا كان المسموع قرآنا نزل من عند المحبوب الأعلى الذي يجاهد الصوفيون أنفسهم للوصول الى معرفته والفوز بقربه؟ ومتى كانت العبارات المسموعة فيها اشارات صادقة ورموز ناطقة — على حد تعبير ابن عطاء الله السكندري في حكمه حيث يقول : العبارات قوت لعائلة المستمعين ، وليس لك الا ما أنت آكل — فان القرآن الكريم أولى بالمحققين أن يجدوا فيه غذاءهم الروحي ، ومددهم النوري ، وحبلهم القوى الذي يصلهم بالمتكلم ويربطهم به ، وهذا المدد هو الذي يجعل القرآن حاضرا في أرواحهم ، ماثلا في أذهانهم يستشهدون به على وقائع الأحوال ويتمثلون به فيما يمر بهم

من أحداث وأخبار ـ وتصوير القرآن الكريم بالقوت مستمد من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ، ويروى مأدبة بفتح الدال وضمها ، قال القرطبى ـ رحمه الله ـ من روى مأدبة بالضم أراد الصنيع الذى يصنعه الله عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه ، ومن رواها بالفتح ذهب الى الأدب .

وهذا الفهم الذى يفهمه الصوفية من القرآن هو ما يعنون به « المستنبطات » . وهى ـ كما يقول الطوسى ـ رحمه الله ـ فى كتابه اللمع : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله ـ عز وجل ـ ظاهرا وباطنا ، والمتابعة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظاهرا وباطنا ، والعمل بظواهرهم وبواطنهم فلما عملوا بما علموا ورثهم الله علم ما لم يعلموا ، وهذا علم مواريث الأعمال التى يكشف الله تعالى بها لقلوب أصفيائه من المعانى المذخورة والأسرار المخزونة وغرائب العلوم وطرائف الحكم مالايدركه غيرهم .

واذن فالشرط الأساسى لهذه الادراكات الخاصة هو العمل ، استنادا الى الأثر الشريف : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وهذا الأثر يلتقى مع مفهوم الآية الكريمة: «واتقوا الله ويعلمكم الله » وأسرار القرآن الكريم وأنواره لاينالها الا عالم عامل بعلمه مصداقا لقوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » وقوله تعالى : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

أحوال السامعين للقرآن الكريم :

والصوفى حين يسمع القرآن الكريم يسمعه على أطوار مختلفة . فمنهم من يسمع كأن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يلقيه ، فيتمثل حينذاك حالة النبوة الكاملة التى أرسل بها الى البشر هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذن وسراجا منيرا .

ومنهم من يسمعه على أن جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذى يقرؤه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستحضرا عند ذلك مفهوم هذه

الآية : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » .

ومنهم من يسمعه على انه من الحق جل وعلا ، متمثلا فى ذلك قوله تعالى : «وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة » ومستحضرا عظمة الخالق واشاراته الى خلقه بما هو نافع لهم فى عاجلهم واجلهم . وللصوفية مع ذلك عند سماع القرآن حال توارثوه من توجيه الله تعالى — للمؤمنين، حيث يقول : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » وامامهم فى ذلك بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — الصديق أبو بكر — رضى الله عنه — الذى كان اذا قرأ القرآن لا يكاد يسمع صوته من البكاء . حتى قالت ابنته السيدة عائشة — رضى الله عنها — حين طلب النبى — صلى الله عليه وسلم — فى مرضه أن يصلى أبو بكر بالناس : ان أبا بكر رجل أسيف لا يكاد يسمع صوته من البكاء . وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على قدمهم من أمته .

ومحققو الصوفية يقرءون القرآن بفهمه ، فيتمثلون معانيه ويطبقونها على أحوالهم فتزعجهم آيات التخويف وتؤنسهم آيات الرجاء ، وقد يبدو هذا التأثر واضحا أحيانا وربما استتر مع تمكن الحال وقوة الاحتمال . فقد حكى أبو الحسن محمد بن أحمد عن أبيه — فيما يورده الطوسى فى كتابه — قال : خدمت سهل بن عبد الله ستين سنة ، فما رأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر والقرآن أو غير ذلك . فلما كان آخر عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية » فرأيته ارتعد وكاد يسقط ، فلما رجع الى حا صحوه سألته عن ذلك ، فقال : نعم قد ضعفنا ، وقرأ أحد تلاميذه سورة الفرقان ، فلما بلغ الى قوله تعالى : « الملك يومئذ الحق للرحمن » اضطرب وكاد يسقط ، فلما سئل عن ذلك قال : قد ضعفت، وحين سئل عما يوجب قوة الحال أجاب : لا يرد عليه وارد الا وهو يتغلب عليه بقوة حاله، فمن أجل ذلك لا تغيره الواردات وان كانت قوية ،

ولذلك أصل فى العلم وهو قول أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ حين سمع رجلا يبكى عند قراءة القرآن فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب • يعنى اشتدت وثبتت •

اختلاف المدارك فى فهم القرآن عند سماعه وتلاوته :

وكلمات الله قوت لقلوب عباده ــ كما سبق الاشارة ــ وغذاء لأرواحهم فكل يأخذ من هذا القوت على حسب استعداده ، فمنهم من يقف عند ظاهر اللفظ ، ومنهم من يستبطن معناه ويدرك منه ما لا يدرك غيره من دقائق الاشارات ولطائف الأسرار •

وهذا الادراك جاء من زيادة الفهم المتحصل لهم من العمل المثمر والعبادة المخلصة ، فان ذلك يثمر عند أرباب القلوب ثمارا يانعة عبر عنها العارف بالله الشيخ نعمة الله بن محمود النخجوانى فى مقدمة تفسيره « الفواتح الآلهية والمفاتح الغيبية » بقوله : « من استشعر بحكم القرآن واعتبر من عبره فقد استهدى منها الى معارفه وحقائقه ورموزه واشاراته ومكاشفاته ومشاهداته التى ما نزل عموم من عند الله الا لأجلها » •

وقد وردت اشارات كثيرة للصوفية حول آيات القرآن الكريم ، بل ان منهم من وضع تفسيرات كاملة ضمنها ما تحصل له من فهم وذوق خاص به • قال ابن عربى رضى الله عنه فى مقدمة تفسيره « طالما تعهدت تلاوة القرآن وتدبرت معانيه بقوة الايمان، حتى استأنست بها فألفتها وذقت حلاوة كأسها وشربتها ، تنكشف لى تحت كل آية من المعانى ما يكل بوصفه لسانى، لا القدرة تفى بضبطها واحصائها ، ولا القوة تصبر عن نشرها وافشائها ، فتذكرت قول النبى الصادق ـ عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق ــ ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع • وفهمت أن الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل والحد هو ما تتناهى اليه الفهوم من معنى الكلام والمطلع ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام ، وقد نقل عن الامام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه ــ أنه قال: لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لا تبصرون».

وليس من الممكن أن تحصر العقول في فهم واحد للقرآن الكريم، فالقرآن بحر زاخر بالأسرار وكل يستخرج منها على حسب استعداده ومقدرته وهبة الله له . وقد ورد في بعض الآثار أن القرآن يحشر يوم القيامة بكرا، وهذا هو الاعجاز الذى تحدى الله به البشر ، ولقد قال أحد الصوفية وهو سهل بن عبد الله رضى الله عنه : لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله وكلامه صنعته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وانما يفهمون على مقدار مايفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ الى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق لأنها محدثة مخلوقة، وشبيه بهذا القول قول العالم الجليل الشيخ عبد ربه سليمان في كتابه فيض الوهاب جـ١ :«ولا يخفى عليك اجماع عقلاء الأمة من المحققين على أن في طى ظواهر الآيات القرآنية اشارات خفية تنكشف لأهل التحقيق من رواسخ العلماء ، ومعرفة ذلك بمحض الايمان وكمال العرفان » .

وليس مرد فهم الصوفية لآى القرآن الى الرأى والهوى ولكنه الفتح والوهب ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القول في القرآن بالرأى وورد في ذلك « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » ومعنى هذا الحديث فيما يرويه القرطبى عن ابن عطية « أن الرجل تسأله عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر فان القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه » .

فأضاف الغزالى في الاحياء :« من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء في الحكم برد الخلق كافة الى درجته ، لأن الاخبار والآثار تدل على أن في معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم . قال على -

رضى الله عنه ــ الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ، فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟» •

ولقد كان المحققون من الصوفية من أدق الناس فى فهم أسرار القرآن واشاراته التى يمنحها الله للعاملين المخلصين ، وقد فصلوا أحوال الناس عند سماع القرآن على الوجه الآتى :

ــ من الناس من سمع القرآن فغفلوا عن مراميه وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » » •

ــ ومنهم من سمعوا فأجابوا وأنابوا ، وهؤلاء هم الموصوفون بقو تعالى:« واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » •

ــ ومنهم من سمعوا فتفكروا وعلموا فأثمر العلم خشية وورعا وهم الموصوفون بقوله تعالى:« انما يخشى الله من عباده العلماء » •

ــ ومنهم من سمع فأقبل بهمته على الله وحبه الخالص وقلبه الحاضر وهم الموصوفون بقوله تعالى:« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » وهؤلاء هم الذين يستمعون الى القول فيتبعون أحسنه ، وليس معنى هذا ، المفاضلة بين الآيات لأن فيها حسنا وأحسن ، ولكن المفاضلة فيما ينكشف لهم من أعاجيب بعضها حسن وبعضها أحسن •

ما يقبل وما يرد من استنباطات الصوفية :

وللصوفية شروط فيما يستنبطونه من فهوم تتلخص فى عبارة الطوسى: « أن لا يقدموا ما أخر الله،وألا يؤخروا ما قدم الله وألا ينازعوا الربوبية أو يخرجوا عن العبودية وألا يكون فى استنباطهم تحريف للكلم عن مواضعه » •

وهذه الشروط مخرجة للشطحات التى لا تستقيم مع آداب الشريعة وأنوار الحقيقة • قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : ربما تتكشف الحقيقة لقلبى أربعين يوما فلا آذن لها أن تدخل الا بشاهدين من الكتاب والسنة •

وهذه دقة مابعدها دقة،فان أحدهما كان يكفى ولكنها الحيطة الواجبة والدلالة على أن الكتاب وسع كل شىء وقد فصلت السنة ما أجمل فيه، كما

فيعبارته دلالة أيضا علىعلمه الواسع وادراكه ما خفى على كثير غيره .

ويؤيد عبارة « الدارانى » قول سهل بن عبد الله رضى الله عنه : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل .

وعلى ذلك فاناستنباطاتهم لابد أن يجدوا لها ما يوافقها من الآثار لأنها لا تتعارض مع ما يشير اليه المفسرون فى تفسيراتهم المتداولة .

فالفهم الذى فهمه الصوفى من قوله تعالى:« ومن نعمره ننكسه فى الخلق » لا يتعارض مع التفسير التقليدى من أن التعمير كبر السن ، والتنكيس الضعف ، على نحو ما اشار اليه مثلا ابن كثير رضىالله عنه بقوله: « يخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط » .

فهل استنباط الصوفى من أن التعمير بالحب ينكس صاحبه فى الخلق يجافى هذا التفسير ؟ لا ، ولكنه فهم آخر أملته حالة وجدانية شاهدها الصوفى من قرائن الأحوال من أن المحب دائما مذهول عن نفسه، وكلما ازداد حبه ، ازدادتولهه ووجده وسروره ؛ مما يترتب فيتأذى منه الناس،وكثيرا ما يزدرونه ويحتقرونه ، والأثر الشريف يؤيد ذلك بقوله : « رب اشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره » وفيما يرويه معاذ ابن جبل رضى الله عنه : « ان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابو لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » .
وعلى هذا الفهم فالتعمير ليس مرده فى اللغة الى العمر وهو الزمن بل الى العمارة والزينة .

ولكن هناك استنباطات يردها محققوا الصوفية لأنها لا تستقيم مع المنهج الذى اشار اليه الطوسى فى صدر هذه العبارات ومن هذا القبيل الأمثلة الآتية :

ـ سئل بعضهم عن قوله عز وجل « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه ما ساءنىالضر .

ـ وفسر بعضهم « يتيما » فى قوله تعالى «ألم يجدك يتيما فآوى»

بأن اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التى لا يوجد مثلها .

ــ ومن هــذا الضرب ما ورد فى ايقاظ الهمم من فهم بعضهم من قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون» فقد فهمها كما يأتى : من جعل الله حبه وهواه ، وأضـــله الله عن غيره على علم به ، وختم على سمعه وقلبه بحبه فلا يسمع غيره ولايحب سواه، وجعل الله على بصره غشاوة فلايبصر الا به ولا يرى الا نوره ، فما يهديه هذه الهداية أحد بعد الله . فهــذا الفهم فيه اقتطاع للآية الكريمة عن سياقها لأنها وردت فى حق الكافرين الذين اجترحوا السيئات الذين جعل الله سواء محياهم ومماتهم ، وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .

ــ ومن ذلك قول أحدهم فى معنى قوله تعالى:«قل انما أنا بشر مثلكم»: أنا بشرمثلكم عندكم.قال صاحب اللمع تعليقا على ذلك وأمثاله : هذا وأشباه ذلك خطأ وبهتان على الله تعالى وجهل.

امثلة من الاشارات المستحسنة :

ولكن هناك اشارات تتجاوب معها الأرواح لأنها صادفت شوقا لهــا ، وترجمت عن معنى مخــزون وســر مصــون ، فمن أمثلة ذلك ما قاله أبو العباس بن عطاء رضى الله عنـه حين سئل : الى ماذا سكنت قلوب العــارفين ؟ فأجاب الى أول حرف من كتاب الله وهو الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ، فان معناه أن بالله ظهرت الأشــياء وفيه فنيت وبتجليه حسنت وباستتاره قبحت وسمجت ، لأن فى اســمه الله هيبته وكبرياؤه ، وفى اسمه الرحمن مودته ومحبته ، وفى اسمه الرحيم عونه ونصرته .

وللحــروف القرآنية أسرار عند الصوفية أشار الى بعضها المحققون منهم كابن عربى فى الفتوحات المكية، والــدباغ فى الابريز . وقــد قال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه فى أسرار الحروف :كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قــدر قربك وحضــورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر، اذا سمعت قوله : ألم ذلك ، فللألف علم يظهــر فى الفهم غير ما يظهــر فى اللام ، وعلى قــدر المحبــة

وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت فى الفهم .

وحضور القلب مهم جدا فى معطيات القرآن بنص محكم آياته « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ذلك أن الله لا يعطى أسرار كتابه لمعرض عنه أو غافل فى أثناء تلاوته أو شاغل قلبه بسواه ، وقد سمع « الشبلى » رحمه الله هذه الآية ففهم منها فهما يتناسب مع حاله ، ذلك أن حب الله كان شغله الشاغل ، فقد فهم من قوله تعالى « لمن كان له قلب » أى لمن كان الله تعالى قلبه ، وأنشد على الأثر :

ليس منى اليك قلب معنى
كل عضو منى اليك قلوب

وقد كان الشبلى صوفيا عالما فانيا فى الله وله أذواقه الخاصة فى فهم آياته ، قرىء عنده « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فقال : أبصار الرءوس عن محارم الله .

ومما ورد فى اللمع : كان أبو العباس بن عطاء يرى أن المحب يسقط عنه التعذيب ووجود الألم بصفات البشرية استنادا الى فهمه من قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » .

ومن هذا الفهم الدقيق لاشارات القرآن ما حددوا به مراتب الذكر على حسب ورودها فى الكتاب العزيز ، فقد قال الله تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » ثم قال فى آية أخرى : « اذكروا الله ذكرا كثيرا » فهو أخصر من الأول ثم قال فى آية ثالثة : « فاذكرونى أذكركم » فصار الذاكرون متفاوتين فى ذكرهم كتفاوتهم فى المخاطبة لهم فى الذكر ، أو على حد تعبير أحدهم المذكور واحد والذكر مختلف ومحل قلوب الذاكرين متفاوت .

وقال ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه « القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد « الله » عن لفظ الجلالة أنه اسم الله الأعظم لأنه يدل على معنى حيثما أسقطت منه حرفا ، فان أسقطت الألف صار « لله » ، ولله ملك السموات والأرض ، وان ذهبت منه

اللام الأولى صار « له » وان ذهبت منه اللام الثانية صار « هو » وقال : الناس درجات فى معرفة الله ، فمن عرفه من جهة الايمان أطاعه ، ومن عرفه من جهة اليقين آثره ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه ، ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته ومزيدا فى حقيقة توحيده فهو محجوب والمحجوب مفقود .

وقال الصوفية عن الروح الوارد فى القرآن : الروح روحان ، روح به حياة الخلق ، وروح به ضياء القلب وهو الروح الذى قال الله عز وجل عنه: « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » .

وفى الحديث عن الرزق قال قوم سبب الرزق التكلف والعناية وهو قول القدرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى وهو ظاهر القرآن : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » أما الفهم الصوفى فى ذلك فان سبب الرزق هو الخلقة لقوله تعالى « خلقكم ثم رزقكم » فلم يخص مؤمنا دون كافر . قال أبو زيد ــ فيما يروى الطوسى ــ رحمهما الله: أثنيت على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيرا ، فقال العالم : من أين معاشه ؟ فقلت : لم أشك فى خالقه حتى أسأل عن رازقه . فخجل العالم وانقطع .

وفى الآية الكريمة « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » ، قال أبو يزيد ، السابق مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على باب الهيبة ، والمقتصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل مقتول بسيف الحرص مضطجع على باب العقوبة .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الافراط والمقتصد مشتمل بالكلاءة والاحتياط والسابق بالخيرات ساجد على البساط للملك الوهاب .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الافراط والمقتصد مشتمل بالكلاءة

والاحتياط والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط . الظالم لنفسه بتلويح الاشارة محجوب ، والمقتصد بتصريح الاشارة مكنوف . والسابق بالخيرات بتصحيح الاشارة محبوب .

وجاء فى اللمع : سمع أحد الصوفية قول الله تعالى : «كلا ان معى ربى سيهدين » فأنشد :

لقد وضح الطريق اليك قصدا
فما أحد أرادك يستدل
فان ورد الشتاء فأنت صيف
وان ورد المصيف فأنت ظل

ويعلق القشيرى فى رسالته على قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » قائلا : الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حسنت سرائرهم بالمشاهدات ، والذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا الى سرائرهم اللطائف ، والذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث المواصلات .

كما يقول عن قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة .... » : المساجد بيوت الارادة ، فالعابد يصل بعبادته الى ثواب الله والقاصد يصل بارادته الى الله .

ومن أجمل الأذواق فى الفهم ما يقدمه لنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد ربه بن سليمان القليوبى فى كتابة فيض الوهاب فى قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » فهو يقول : طالما تمنى النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمن به الخلق أجمعون حتى لايفلت أحد الى النار ،وكان حريصا على ذلك كل الحرص ، فسلاه الحق عز وجل وأساه باخوانه الأنبياء والمرسلين .

ومعنى هذا أن الشيطان كعادته يحاول أن يقف دون تحقيق أمانى الأنبياء والمرسلين فى هداية الخلق بافسادهم وتزيين طرق الغواية لهم ، ولكن الله ينسخ ما يلقيه الشيطان فى نفوس بعض الناس فيهتدون

ويبصرون ، وبذلك يحكم الله آياته بحفظ عباده من غواية الشيطان وجعل القائه فتنة لمن سبقت عليهم الشقاوة وهم الذين كفروا .

وهذا الذوق أجمل ماقيل فى تفسير هذه الآية فان مختلف ما رأيناه فى التفاسير ومن بينها القرطبى وابن كثير والكشاف يدور حول قصة الغرانيق ، وهى لا تستقيم مع عصمة النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ الله اياه من وسوسة الشيطان ، وقد أثبت الله فى محكم كتابه عدم تمكن الشيطان من عباده المؤمنين فضلا عن صفيه ورسوله الأمين .

وقد حاول بعض المفسرين رضى الله عنهم تأويل هذه الآية تأويلا يتناسب مع حفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما أشار اليه القرطبى منقولا عن ابن العربى من أن فى بمعنى عند ، والمعنى ألقى الشيطان فى نفوس الكفار عند تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قرظ القرطبى هذا الوجه وأثنى عليه .

ومن أذواق الشيخ عبد ربه أيضا وهومسبوق بأذواق الصوفية وبعض المفسرين الذين لا يقفون عند حدود اللفظ مايفهمه من قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » فيقول : يخرج الصالح من الطالح ويخرج الطالح من الصالح مستشهدا بقوله تعالى لابراهيم عليه السلام : « انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » وقد يخرج من المؤمن كافرا كنوح وابنه ، ومن الكافر مؤمنا كآزر وابنه ابراهيم عليه السلام .

فواتح السور :

ومن استنباطات الصوفية التى فهموها من القرآن الكريم ماتحدثوا به فى فواتح السور من أمثال «ألم» و «ألر» وقد أختلف العلماء فى بيان مراميها حتى قال بعضهم فى «الر» مثلا هى حروف من الرحمن ، وبعضهم: هى أوائل حروف أسماء الله ، فالألف من الله ، واللام من اللطيف ، والراء من الرحمن .. وهناك أقوال كثيرة أخرى .

ولكن بعض الصوفية فهموا منها أنها تشير الى الانسان الكامل الحقيق بتوجيه الخطاب اليه فى قوله تعالى

« ذلك الكتاب لاريب فيه » وفى قوله تعالى : « تلك آيات الكتاب الحكيم » .

ونعود فنقول ان هذا الفهم لا ينفى الفهوم الأخرى، وهناك فهم آخر فهمه الشيخ عبد ربه أيضا فى « كهيعص وحمعسق » نجده فى فيض الوهاب جـ ٥ وخلاصته: ان الحروف الخمسة فى « كهيعص » لها تعلق بالأحرف الخمسة فى « حمعسق » اذ كل حرف من هذه الحروف ينبىء عن حالة خاصة نجدها فى آيات من القرآن يبدأ أولها بحرف من حروف « كهيعص » وينتهى بحرف من حروف « حمعسق » . وهذه الآيات يخبر الله فيها عن حال الدنيا والآخرة ، وحال الناس فى اليوم الآخر .

ومصيرهم فى الآخرة ، وتفسير ذلك فيما يلى :

١ - فى تصوير الدنيا قال تعالى . « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » فالحرف الأول (ك) والحرف الأخير (ح) .

٢ - وان الذى صنع ذلك وأجراه « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » فالحرف الأول (هـ) والأخير (م) .

٣ - وبعد انتهاء الدنيا لا تكون الا الآخرة « يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » فالحرف الأول (ى) والأخير (ع) .

٤ - هناك يتضح لكل نفس ما عملت « علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » فالحرف الأول (ع) والأخير (س) .

٥ - ثم أخبر الله عن حسرة الكافرين « ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » فالحرف الأول (ص) والأخير (ق) .

نقول : هذا فهم توصل اليه الشيخ عبد ربه - رحمه الله - من طول تدبره وكثرة قراءته للقرآن الكريم وليس فيه ما يعارض نصا صريحا واردا فى معنى هذه الحروف التى كثرت الأقوال فى مراميها ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ولا تعارض بين آياته لدى الذى أعطاه الله نورا وهدى ويقينا .

ومن الفهم الصوفى للقرآن ذلك الفهم الذى نجعله حسن الختام فى قوله تعالى فى صفة المؤمنين : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون » يقول ذلك الفهم : ان الاشراك هنا المقصود به الشرك الخفى الذى يعارض القلوب من رؤية الطاعات وطلب الأعواض ؛ لأنه هو الذى يستقيم مع وصف المؤمنين بالخشية والايمان وكثرة الوجل والايقان بلقاء الله والمسارعة فى الخيرات ، وهذه صفات خالصة لأصحاب القلوب النقية المبرأة من رجس الشرك وأهواء الكفر ، فالشرك المنفى اذن هو الشرك الخفى الذى يلابس قلوب الطائعين من رؤية ثمرات الأعمال . قال الحلاج رضى الله عنه : علامة العارف أن يكون قلبه فارغا من الدنيا والآخرة ، وسئلت رابعة رحمها الله عن الجنة فقالت : الجار ثم الدار .

هذه لمحات من فهم الصوفية لاشارات القرآن الكريم وارداته لم يهتدوا اليها الا بالفتح والالهام الذى جاء ميراثا لجهاد متواصل وعمل دائب صاحبه الاخلاص والحب واليقين والتدبر فى آيات اللطيف الخبير .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قال بعض الحكماء :

اربعة من علامات اللؤم :

افشاء السر ، واعتقاد الغدر ـ تبييته والتواؤه ـ ، وغيبة الأحرار ، واساءة الجوار .

أنكروا أحاديث
الحاق بعض الموتى بالشهداء

للأستاذ الشيخ محمد نجيب المطيعي

نعم لم يتركوا شيئا الا اعترضوا عليه ـ حتى الصلاة لم تسلم من سخفهم وهرفهم ـ ولندع جانبا ذلك الحدث المعيد بكلية دار العلوم الذى لغا فى حديث موسى وملك الموت فى جريدة الجمعة من صحيفة الأخبار اذ لو استشم رائحة العلم بأوليات الكلام لعلم أن الملائكة جواهر نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الشريفة مما أشبعنا موضوعه بحثا وأجبنا على كل ما يندهش له أمثاله من المقلين فى بضاعتهم المغترين بما أوتوا من ضحالة واقلال فى أعداد الأزهر من مقالات (البخارى المفترى عليه) فليرجع اليها من شاء الحق وأراده محضا .

نعم لندعه ولنلفت نظره ومن اغتر بشغبه الى ما أشرنا اليه من أعداد الأزهر الماضية ولنأت الى شبهات جديدة أثاروها على السنة بالنيل من حديث الامام البخارى : حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة التبوذكى الحافظ حدثنا عبد الواحد ابن زياد العبدى حدثنا عاصم الأحول حدثتنى حفصة بنت سيرين وهى أخت محمد بن سيرين مولاة أنس بن مالك قالت : قال لى أنس ابن مالك رضى الله عنه : يحيى بن سيرين بم مات ؟ قلت : من الطاعون قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطاعون شهادة لكل مسلم) ثم قال : حدثنا أبو عاصم عن مالك امام دار الهجرة عن سمى (بضم السين وفتح الميم وتشديد التحية) مولى أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومى عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد) فقد قالوا : كيف يتساوى الشهيد فى ساحة الجهاد فما الدور الذى قام به المبطون ؟ وقد أخرج الحديث الأول مسلم فى صحيحه أيضا وأخرج الحديث مالك والترمذى وهو رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء خمسة المطعون، والمبطون ، والغريق، وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله) •

وأخرج مسلم عن أبى هريرة مرفوعا (ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد قال : ان شهداء أمتى اذن لقليل ! قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات من البطن فهو شهيد ، قال ابن مقسم : أشهد على أبيك يعنى أبا صالح أنه قال : والغريق شهيد) •

وقد بنى هؤلاء المنكرون انكارهم على ما يأتى :

١ ـ أن الشهيد هو من زج بنفسه فى ساحة الوغى •

٢ ـ وأن اسمه يستمد معانيه من صفة الشهادة التى انتهت بصاحبها لى الموت قتيلا فى معركة •

٣ ـ لماذا يستأثر بالشهادة المبطون والمطعون ويترك مريض السرطان والكوليرا والسل والسكتة ، واذا قصد بالمبطون كل هؤلاء فمن هو الميت العادى ؟ !

٤ ـ حدد الله تعالى الشهداء فى قوله: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون الخ الآية) فاذا كان هؤلاء المرضى موتهم شهادة فلماذا لم يذكرهم الله •

٥ ـ اذا كان ميت الفراش ببطنه أو بالطاعون يتساوى مع من القى بنفسه فى ساحة الموت اختيارا ودفاعا عن الحق فهل تعتبر هذه التسوية عدالة من الله ؟

ونحن بدورنا نمسك أذن قائل هذه الاعتراضات بالابهام والسبابة قائلين له فى دعابة صافية تنضح بها عواطفنا عندما يجهل صغارنا فيحطمو أمتعة البيت •

كلا يابنى ان الشهيد لاينحصر فى دائرة ضيقة هى القتل وحده وان كان هذا الشهيد هو الشهيد عندنا وعند الله ، وله شروط أهمها أن يقتل والطعنات فى صدره لافى ظهره ،فاذا قتل والطعنات فى ظهره فانه لايكون شهيدا عندنا ، وقد يكون شهيدا عند الله تعالى اذ قد يعلم الله تعالى من أمره أنه كان متحرفا لقتال،أوينوى التحيز الى فئة يكثر جمعها ويعظم سوادها وحينئذ يكون شهيدا عند الله ، أمانحن فبالمقاييس الشرعية الصحيحة ، والأمارات الحسية الظاهرة لانحكم على المولى ظهره أو المدبر بالشهادة •

فمعرفة الشهيد يابنى لاتأتى الا من قبل من رفعه الى هذا المنصب المبارك ومادام رب العباد تبارك وتعالى هوالذى عرف الشهيد وأوضح نعته وحليته فى حومات الوغى،فانه كذلك قد ألحق بهؤلاء الشهداء على قلتهم شهداء لانستطيع نحن لمجرد كونهم ماتو على النحو الذى وصف فى الحديث أن نعطيهم أحكام الشهداء وانما شهادتهم موكولة الى ربهم الذى يعلم السر وأخفى • فقد يشوب مرضهم شائبة من الجزع أو عدم الرضى أو النفاق وهؤلاء لانمنحهم نحن درجة الشهادة وانما الذى يمنحهم هو الله ، وانما يذكرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن من أصيب بهذه الأمراض فصبر واحتسب ثم مات كان فى درجة الشهداء •

ولنضرب لذلك مثلا من مناصب أهل الدنيا ياولدى ، فان فريقا من الناس يمنحهم رئيس الجمهورية درجة وزير ومع ذلك يجتمع مجلس الوزراء بدونهم وتقال الوزارة أو تستقيل فلا نحس بذكرهم ولا نعلم أين مكانهم لأنهم قد اصطلحوا على التفرقة بين الوزير الأصيل ومن فى درجة الوزير •

فاذا كان بعض الناس يكرمون بمنحهم درجة من يحتلون مقام هذه الدرجة ويتسنمون ذراها على الحقيقة فكيف برب الأرباب مع من خلقهم من تراب ، وهو يرزق من يشاء بغير حساب •

أما قولك بأنه لماذا لا يعتبر من تسرطن أو تكولر شهيدا ؟ قلنالك : ان الكوليرا ضرب من وباء الطاعون

وكذلك السرطان قد يكون صاحبه مبطونا .

أما الاعتراض بأنه اذا كان هؤلاء يعدون من الشهداء عند الله فمن ذا الذى يكون غير شهيد فانا نقول : عامة الموتى يموتون حتف أنوفهم ، ومع ذلك فهناك رجاء أن يكون « أولئك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

أما الاعتراض بأن ذلك يتنافى مع العدالة الآلهيةفتلك ياولدى جرأةمنك على من يؤتى الفضل من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويفعل ما يريد .

وأعلم ياولدى أننا لم نعرف الشهيد الا ممن نزل عليه الوحى وأنه مماقاله من نزل عليه الوحى ماورد عن اثنين وعشرين صحابيا واليك بيان مارووه وهومممايفيد التواتربل‌دون‌هذا العدد يثبت التواتر،وقد اتفق جمهورالعلماء على أن التواتر يثبت بوروده عن‌عشرة فما فوق فما بالك اذا بلغ أكثر من ضعف هذا النصاب .

فعن عبادة بن الصامت قال : « دخلنا على عبد الله بن رواحة نعوده فأغمى عليه فقلنا : رحمك الله ان كنا لنحب أن تموت على غير هذا ، وان كنا لنرجو لك الشهادة . فدخل النبى صلى الله عليه وسلم) ونحن نذكر هذا فقال : وفيم تعدون الشهادة ؟ فأرم القوم وتحرك عبدالله فقال : ألا تجيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أجابه هو ، فقال. نعد الشهادة فى القتل فقال : ان شهداء أمتى اذن لقليل ، ان فى القتل شهادة ، وفى الطاعون شهادة ، وفى البطن شهادة ، وفى الغرق شهادة ، وفى النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة » رواه أحمد والطبرانى واللفظ له قال المنذرى : ورواتهما ثقات .

وعن ربيع الأنصارى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد ابن أخى جبر الأنصارى ، فجعل أهله يبكون عليه فقال لهم جبر : لاتؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصواتكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعهن يبكين ما دام حيا فاذا وجب فليسكتن فقال بعضهم : ماكنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل فى سبيل

الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : أو ما القتل الا فى سبيل الله ؟ ان شهداء أمتى اذن لقليل ، ان الطعن شهادة والبطن شهادة والطاعون شهادة والنفساء بجمع شهادة ، والحرق شهادة ، الغرق شهادة وذات الجنب شهادة (رواه الطبرانى ورواته محتج بهم فى الصحيح .

وعن راشد بن حبيش رضى الله الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على عبادة بن الصامت يعوده فى مرضه فقال صلى الله عليه وسلم : أتعلمون من الشهيد من أمتى ؟ فأرم القوم فقال عبادة : ساندونى فأسندوه فقال يا رسول الله الصابر المحتسب فقال صلى الله عليه وسلم : ان شهداء أمتى اذن لقليل : القتل فى سبيل الله عز وجل شهادة ، والطاعون شهادة والغرق شهادة ، والبطن شهادة ، والنفساء يجرها ولدها بسرره الى الجنة ، قال : وزاد أبو العوام : سادن بيت المقدس ، والحرق ، والسل » رواه أحمد باسناد حسن وراشد بن حبيش صحابى معروف ، والسل هو داء يحدث فى الرئة يئول الى ذات الجنب .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خمس من قبض فى شىء منهن فهو شهيد ، المقتول فى سبيل الله شهيد والغريق فى سبيل الله شهيد ، والمبطون فى سبيل الله شهيد ، والمطعون فى سبيل الله شهيد ، والنفساء فى سبيل الله شهيد » رواه النسائى .

وعن جابر بن عتيك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت رضى الله عنه فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع فصاحت النسوة وبكين ، وجعل ابن عتيك يسكتهن فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : دعهن فاذا وجب فلا تبكين باكية . قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : اذا مات قالت

ابنته والله انى لأرجو أن تكون شهيدا،فانك كنت قد قضيت جهازك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله قد أوقع أجره قدر نيته ، وما تعدون الشهادة ؟ قالوا : القتل فى سبيل الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله : المبطون شهيد، والغريق شهيد ، وصاحب الجنب شهيد ، والمطعون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حيان فى صحيحه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فقال : كان عذابا يبعثه الله على من كان قبلكم، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، ما من عبد يكون فى بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد) رواه البخارى وعن أبىعسيب رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانىجبرائيل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون الى الشام فالطاعون شهادة لأمتى ورجز على الكافر » رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورواة أحمد ثقات مشهورون .

وعن أبى منيب الأحدب رضى الله عنه قال : (خطب معاذ بالشام فذكر الطاعون فقال : انها رحمة بكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم اللهم اجعل على آل معاذ نصيبهم من هذه الرحمة ، ثم نزل عن مقامه ذلك ، فدخل على عبد الرحمن بن معاذ فقال عبد الرحمن: الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال معاذ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) رواه أحمد باسناد جيد .

وليس هذا من تمنى البلاء بقدر ما هو اذكاء لفضيلة الصبر فىالنفس وتوطينها علىالرضى بالقضاءبصورة تحوله من رجز الى رحمة ، فتقر النفس ويهدأ الخاطر ، ويسكن

الجـأش ، ويشـيع فى الوجـدان السكينة والايمان .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستهاجرون الى الشام فتفتح لكم ، ويكون فيـكم داء كالدمل أو كالخزة يأخذ بمراق الرجل يستشهد اللـه به أنفسـهم ويزكى به أعمالهم ، اللهم ان كنت تعلم أن معاذا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطه هـو ، وأهل بيته الحظ الأوفـر منـه ، فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد فطعن فى أصبعه السبابة فكان يقول: ما يسرنى أن لى بها حمر النعم » رواه أحمد عن اسماعيل بن عبيـد الله عن معاذ ولم يدركه ، ولا يضر عدم ادراكه له فى حشد الأحاديث المتواترة .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فناء أمتى بالطعن والطـاعون فقيـل : يا رسـول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن ، وفى كل شهادة » رواه أحمد بأسانيـد أحدها صـحيح وأبو يعلى والبزار والطبرانى .

وعن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه رضى الله عنه قال : « ذكر الطاعون عنـد أبى موسى فقـال : سألنـا عنه رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقال : وخز أعـدائكم الجن وهـو لكم شـهادة » رواه الحـاكم وقال : صـحيح على شرط مسلم وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال : « يختصم الشهداء والمتوفون على فرشـهم الى ربنـا فى الذين يتوفون فى الطاعون فيقـول الشهداء : قتلوا كما قتلنا . ويقول المتوفون على فرشـهم : اخواننـا ماتوا على فرشهم كما متنا ، فيقول ربنا تبارك وتعـالى : انظـروا الى جراحهم ، فان أشبهت جراح المقتولين فانهم منهم ومعهم ، فاذا جـراحهم قد أشبهت جراحهم» رواه النسائى.

وعن عتبة بن عبد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « يأتى الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء فيقول : انظروا فان كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً كريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك » رواه الطبرانى فى الكبير لا بأس به فيه اسماعيل بن غياش وهو ثقة فى الشاميين وهذا منها ، ويشهد له حديث العرباض بن سارية قبله .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فى الطاعون الفار منه كالفار من الزحف، و من صبر فيه كان له أجر شهيد » رواه أحمد والبزار والطبرانى واسناد أحمد حسن

وعن أبى اسحق السبيعى رضى الله عنه قال : قال سليمان بن صرد لخالد بن عرفطة أو خالد بن سليمان رضى الله عنه أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قتله بطنه لم يعذب فى قبره فقال أحدهما لصاحبه : نعم » رواه الترمذى وقال: حسن غريب وابن حبان فى صحيحه وقال : خالد بن عرفطة من غير شك .

وهناك يا ولدى من يقتل فى ساحة غير ساحة الوغى كأن يذود عن عرضه أن يثلم أو عن ماله أن ينهب أو عن دمه أن يهدر فعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح .

وأخرجه البخارى عن عبد الله ابن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل دون ماله فهو شهيد » رواه البخارى والترمذى . وفى رواية للترمذى : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو

شهيد » وفى رواية للنسائى : « من قتل دون ماله مظلوما فهو شهيد »

وعن سويد بن مقرن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل دون مظلمته فهو شهيد » رواه النسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى؟ فقال : فلا تعطه مالك . قال: أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : قاتله قال : أرأيت ان قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد . قال: أرأيت ان قتلته ؟ قال : هو فى النار» رواه مسلم والنسائى ولفظه قال :

« جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت ان عدى على مالى ؟ قال : فأيشد بالله قال : فان أبوأعلى ؟ قال : فأنشد بالله قال : فان أبوا على ؟ قال : فأنشد بالله قال : فان أبوا على ؟ قال : فقال : فان قتلت ففى الجنة ، وان قتلت ففى النار» .

هذه أحاديث هى بعض ما ورد فى هذا المعنى ولم يسعفنى الوقت لاستقصى ما أخرجه صاحب مجمع الزوائد ولا ما فى مشكاة المصابيح ولا فى مصنف عبد الرازق ففيها جميعا مزيد من هذه الأخبار التى لا ينكرها الا من عمى بصرا وبصيرة نسأله تعالى العفو والعافية والى اللقاء فى أحاديث أخرى ينكرها الجاهلون .

محمد نجيب المطيعى

قال بعض العلماء : الحسد اول ذنب عصى الله به فى السماء – اى حسد ابليس لآدم – ، واول ذنب عصى به فى الأرض – اى حسد ابن آدم آخاه حتى قتله –

من روائع العلامة إقبال :

برلمان إبليس ..!

ان الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس الشورى ، وتباحثوا فى سير العالم وأخطار الغد وفتنه ، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسى ومهمتهم الشيطانية فتذاكروا فى فتن وأخطار قد احدقت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتناذروا شرها ، فذكر أحدهم الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا

فقال الثانى : لا يهولنك أمرها فانها ليست الا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى اذ رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها ، فالهينا بلعبة الجمهورية ، وليس الشأن فى الأمير والملك ، ان الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص ترتكز فيه الملوكية وفرد يستبد بالسلطان ، وانما الملوكية أن يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفا الى متاع غيره ، سواء فى ذلك الشعب والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهورى وجهه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان ؟

فقال الآخر : لابأس اذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا اليهودى الذى يدعى كارل ماركس ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكنه يحمل عند أتباعه كتابا مقدسا هل عندك نبأ أنه أقام العالم وأقعده وأثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الامارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس ياصاحب الفخامة ، ان سحرة أوربا وان كانو مريديك المخلصين ولكنى لم أعد أثق بفراستهم ، ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة

من مزدك (الزعيم الفارسى) الاشتراكى قد كاد يأتى على العالم بقواعده فاستنسر البغاث ، وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح انا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية وها هى قد استفحلت وتفاقم شرها ، وها هى الأرض ترجف بهول فتنة الغد ، ياسيدى ان العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن ..

فتكلم رئيس المجلس « ابليس » وقال : انى أملك زمام العالم وأتصرف به كيف أشاء ، وسيرى العالم عجبا اذا حرشت بين الأمم الأوربية فتهارشت تهارش الكلاب، وافترس بعضها بعضا كما يفعل الذئاب ، واذا همست فى آذان القادة السياسيين وأساقف الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية فكونوا على ثقة أن الخرق الذى أحدثته الفطرة بين الانسان والانسان لا يرفؤه المنطق المزدكى (الفلسفة الاشتراكية) لا يخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء والصعاليك السفهاء .

ان كنت خائفا فانى أخاف أمة لاتزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لايخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا، وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم ، أنا خبير أن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ويضىء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة (محمد صلى الله عليه وسلم) انى أحذركم وأنذركم من دين محمد (صلى الله عليه وسلم) حامى الذمار،

حارس الذمم والأعراض، دين الكرامة والشرف، دين الأمانة والعفاف ، دين المروءة والبطولة، دين الكفاح والجهاد، يلغى كل نوع من أنواع الرق ، يمحو كل أثر من آثار استعباد الانسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك ، يزكى المال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين فى أموالهم (١) أمناء الله وكلاء على المال ، وأى ثورة أعظم وأى انقلاب أشد خطرا مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر والعمل يوم صرخ أن الأرض لله لا للملوك والسلاطين .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس ، وليهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه ، فخير لنا أن يبقى مشتغلا بمسائل علم الكلام والالهيات وتأويل كتاب الله والآيات ، اضربوا على آذان المسلم فانه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره واجتهدوا أن يطول ليله ويبطىء سحره ، اشغلوه يا اخوانى عن الجد والعمل حتى يخسر الرهان فى العالم . خير لنا أن يبقى المسلم عبدا لغيره ، ويهجر هذا العالم ويتنازل عنه لغيره زهدا فيه ، واستحقارا لخطره يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتحرسه ...!!!

---

(١) « انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » الحديد الآية : ٧

من تاريخ اللغة العربية .. فى مواجهة التحديات !

للدكتور الشيخ محمد أحمد العزب

— ١ —

حين تواجه اللغة العربية زحفا هاجما من جديد، يدعوا الى (الاقتصار على الجملة الاسمية) و (قبول المفردات العامية فى اللغة المكتوبة) و (الاكتفاء فى جمع المذكر السالم بصيغة الياء والنون) و (توحيدصيغة الأسماء الخمسة فيقال «أبو» فى الرفع والنصب والجر) و (جمع الكلمات والتراكيب العامية) الى آخر هذه القائمة الجديدة القديمة فى آن (١) ، حين تواجه اللغة العربية هذا الزحف الهاجم الجديد ، فى محاولة كاسرة لبتر الصلة بين العربى وتراثه الفكرى والأدبى والعقائدى ، فان وعينا بمنابع هذه الحركة الهاجمة وبتاريخها على أرض هذه المنطقة يبدو صميميا الى مدى هائل بالفعل لأن الوعى بجذور حركة ما يضىء منادح الرؤية حولها ، ويجعل من فهمها الصوابى مقدمة صوابية لمواجهتها وتعرية أساليبها الفاجعة ، مهما كان فى وعينا بتاريخ هذه الحركة من جرح آنى لمشاعرنا القومية والعقائدية .. أن تراثنا يمكن
القومية والعقائدية .. ان تراثنا يمكن
(اذا نجحت هذه المحاولات) أن يستحيل الى تاريخ غير ناطق ولا مفهوم، فلنفتح أحداقنا جيدا ، ولنقرأ تاريخ الحركة العدوانية بمزيد من الاستبصار والتأمل وتعقيل الأحاسيس، لأن فورة الغضب فى هذا الصدد ، أو بيانات الاستنكار والتربص الفكرى الساذج ، يمكن أن ترضى انتفاخ غرور مرحلى ، ولكنها ستستحيل فى

---

(١) مؤتمر بيروت للتعداد الاحصائى المنعقد فى الفترة من ١٤ الى ١٦ يوليه ١٩٧٣

التاريخ الى دليل نقيض وليس الى دليل صديق !!

ان الذين يهاجمون (ولكن صرحاء) يتسلحون بمنطق العقل والمعاصرة ، انهم لا يحيلون فى كل قضاياهم على أسلافهم كما تفعل نحن، ولكنهم يخاطبون عصرهم بلغة هذا العصر ، بفلسفة هذا العصر ، بهموم جيله الرافض والفاقد لمحتوى عقائدى يملأ وجدانه بالألق ، وحياته بالجدوى ، وآفاق مستقبلة بأحلام الحلول .. ان أسلافنا الذين نحيل عليهم يملكون أروع صيغ المنطق الحضارى المدعوم بأروع صيغ المنطق العقائدى ، هذه مسلمة لا يستطيع غير مكابر أن يجادل فيها أو يتصدى لانكارها ، ولكن أجيالنا الطالعة فى اطار محدودية الثقافة والامتداد اللغوى والفهم لطبيعة الأشياء ، ربما يميلون الى منطق المعاصرة أكثر مما يميلون الى منطق الاحالة على التاريخ، وهنا يبرز دورنا نحن ، أن عبئنا الفادح يبدأ من هنا ، من محاولة استقطاب كل مفاهيم تاريخنا الفكرى والأدبى والعقائدى ، ثم صياغته (بمنطق العصر) وصولا الى تحديد أكثر ايجابية ، والى ترشيد أعمق فعالية ، فى مواجهة هذه التحديات.. ثم للوصول الى مناطق الفعل فى هذه العقول الشابة التى تستجيب بحكم تكويناتها الفكرية والثقافية للغة العصر وانماطه الفكرية والفنية !!

ان بحثى الجاهد عن (التاريخ المعاصر) لحركة التحدى ربما يبدأ من مطالع القرن العشرين ، ولقد كان فى استطاعتى أن أقف عند تاريخ التحدى وتاريخ مواجهة التحدى معا ، لولا أننى أريد أن استنفر جهودا جديدة ، وبشكل موضوعى يتناول الظاهرة بمزيد من التحليل والتأمل والمواجهة ، فان هذا المنطق وحده هو القادر بالتدليل العلمى القاطع على أننا نعيش عصرنا الهائل ، مسلحين بوعينا الذاتى وبوعى كل العصور .. اذن فسأركز على تاريخ التحدى ، لتعلم أجيالنا الطالعة الى أى مدى حاولت جهود منظمة أن تقتلعنا من اطارنا اللغوى، ربما ليسهل عليها بعد أن تقتلعنا من اطارنا الوجودى ، وهذا هو جوهر المأساة !!

– ٢ –

حين كتب (ولهلم سبيتا) سنة (١٨٨٠) كتابه (قواعد العربية العامية فى مصر) باللغة الألمانية ، متنبئا فى هذا الكتاب بموت الفصحى وصيرورتها الى العامية (كما ماتت اللاتينية من قبل) لم تكن هذه أول رجة تعرضت لها اللغة العربية ، فقد خاضت عبر عصورها عديدا من المعارك اللافحة وانتصرت فى النهاية على كل الجبهات •

– ٣ –

وحين لم تلق دعوة (سبيتا) صدى متجاوبا • انبرت مجلة (المقتطف) سنة (١٨٨١) تدعو الى كتابة العلوم بالعامية ، زاعمة أن الفصحى لغة النخبة وليست لسان الجميع ، فاذا أرادت الأمة أن تعطى المقولات العلمية لجماهيرها وليست لنخبة من هذه الجماهير فحسب • فينبغى أن لا تتردد فى رفض العربية الفصحى ، وينبغى أن لا تتردد كذلك تحت أى من العوامل فى احتضان العامية لغة تعبير وتفسير وتطوير !!

– ٤ –

ولقد آزرت هذه الحركة عناصر مد استعمارى هدفت الى تطويق اللسان العربى وعزله تماما عن مجالات الفعل، كان أبشعها فى المشرق سنة (١٨٨٩) جعل التعليم فى المدارس العصرية باللغة الانجليزية •• وكان أحطها فى المغرب (ربما على مدى التاريخ) محاولة الاستعمار الفرنسى سرقة اللسان العربى وفرنسة الشارع والمكتب والمدرسة وصفحات الكتب !!

– ٥ –

ويمضى المخطط الى غايته ، فيدعو المهندس الانجليزى للرى فى مصر (ويلكوكس) الى احلال العامية محل الفصحى ، ولا يطرح دعوته فى هذا الصدد على نحو عفوى قد يظن هنا لأول وهلة ، ولكنه يؤسس هذه الدعوة على عناصر من الفكر الاجتماعى الذى يمكن أن يشد اليه قطاعات من العامة والمثقفين على السواء ، فهو يتساءل : (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الى الآن ؟) ويجيب بأن العربية الفصحى هى السبب الكامن

من وراء هذا التخلف •• لأنها لغة ترف ذهنى وليست لغة ابداع علمى• ولأنها لغــة عزلت الجماهير الهائلة عن محاولات الفعل والخلق ، ويزعم أن الحل الذى لا بديل عنــه ، هــو طرح هذه اللغة ، والابحار مع العامية الى نهايات المطاف !!

– ٦ –

وفى سنة (١٩٠١) ينشر القــاضى الانجليزى (ولمور) كتابه (العربية المحكية فى مصر) تنويعا على هــذا اللحن الأســاسى : (ضرب العربية الفصحى والترويج للعامية) !!

– ٧ –

وفى سنة (١٩٢٥) يعــود (وليم ويلكوكس) الى الميدان من جديد ، عديد من السنوات ، لقد عاد ليترجم الانجيــل الى العــامية (١٩٢٥) •• ولينشر رسالة بالانجليزية يزعم فيها أن ســورية ومصر وشــمال أفريقية ومالطة تتكلم البونيــة لا العربيــة وليؤلف بالعــامية كتابه : (الأكل والايمان) الذى تظر منه ثلاث طبعات الى سنة (١٩٢٩) (١) •

– ٨ –

وينحسر المد الخارجى ليتيح للمد الداخلى (على مســتوى نوعى) أن يحتل مواقعه ، وأن يوجه طاقاته فى محاولة الاقتلاع •• ففى الربع الثانى من القرن العشرين يحمــل الكــاتب المصرى (سلامة موسى) لواء هــذه الدعوة ، ويضيف الى مقولات الغابرين مقولات محدثة ، على جانب هائل من الخطــورة والتحدى •• ان خطورة هــذه المقولات تأتى من جهة كونهــا مقولات رجل يكتب بالعربية ،ويعرف كيف يركــز على مناطق الاثــارة والتشــويه •• وهــو يلخص بنفســه مقولاته فى هذه السطور :

١ – يجب أن نكبر من شــأن لغتنا العربية ، وان نوليهــا أعظم اهتمامنا لأنهــا وســيلة التفكــير ، ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة •

٢ – كان فن البلاغة العربية – ولا يزال الى الآن – فن التعبير عن العاطفة والانفعال ، ونحن لا نفكر حين ننفعل أو نستسلم للعاطفة – التفكير الحسن،

---

(١) انظر : عائشة عبــد الرحمن –لغتنا والحياة – ص ١٠١–١١١ .

ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفكير العلمى والفلسفى •

٣ ـ المجتمع الحسن هو الذى يقوم على العقل وحل المشكلات بالمنطق ، فنحن فى حاجة الى بلاغة جديدة تؤدى الى دقة الفهم العلمى لايجاد مجتمع علمى ، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية ، وبين الكلمة الموضوعية••

٤ ـ اللغة هى تراث قديم ، تحمل كلماتها معانى الحياة البدائية (الحياة من الحيا والروح من الريح) أو تحمل معانى السحر (علا نجمه ، وأفل نجمه) بل هى حافلة بأحافير ورواسب يجب أن نتوقى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد •

٥ ـ كان المجتمع العربى القديم يستند الى العقائد والتقاليد ، وكان مجتمعا حربيا يحتاج الى لغة العواطف والانفعالات التى تحرك الارادة ، ولذلك أصبحت بلاغته كذلك ، وهى لهذا السبب صغيرة القيمة فى خدمة مجتمعنا الذى نحاول أن نجعله يسير على مبادىء المنطق والعقل والعلم •

٦ ـ داء الأدب واللغة عندنا هو الكلاسكية ، أى التليدية ، وهى تؤدى عندنا الى محاولة استرداد الأمس بالتعبير والتفكير •

٧ ـ المبالغة فى هذه الكلاسكية تؤدى الى تحجر اللغة ، كأنها لغة الكهنة فى المعابد ، فتقطع الصلة بينها وبين المجتمع •

٨ ـ فى لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدى الى ارتكاب الجرائم (الدم ، والعرض ، فى الصعيد) أو الى كراهية بعضنا بعضا (كافر، نجس) والكلمات الجنسية التى تؤدى الى خيالات الحشاشين ، وعلينا أن نقى عقولنا من هذه الكلمات •

٩ ـ للكلمة ايحاء اجتماعى للخير أو الشر ، فيجب أن نستغل اللغة للتوجيه الحسن للأمة والفرد ، والبلاغة القديمة ـ بلاغة العاطفة والانفعال ـ مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعى الحسن ، ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة •

١٠ ـ لن نستطيع الانتفاع بذكائنا الا اذا كانت اللغة ذكية أيضا ، أى

تؤدى المعانى الدقيقة فى العلوم والفلسفات . ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص المعانى حتى تمنع الالتباس، ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات (مثل بلدة للمدينة ، وبلد للقطر) .

١١ - الكلمات الحسنة فى اللغة الحسنة تبنى الأخلاق ، حتى ليصح أن نعد الكلمة شعارا ننضوى اليه كما لو كان راية فى جهاد ، وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وأمثالها ما نبنى به المجتمع الحسن .

١٢ - علينا أن نزيد فى لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصرى ، فنؤلف الكلمات التى تخدم الرقى وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة .

١٣ - البلاغة الجديدة هى بلاغة المنطق الذى يرشدنا الى توقى الخطأ، والتفكير السديد هو التفكير العلمى الموضوعى الذى يقوم على التجربة، واللغة الحسنة هى التى تؤدى المعنى فى دقة هندسية ووضوح اقليدى .

١٤ - نشأت فى عصرنا الحديث لغتان جديدتان ، احداهما لغة العلوم، فيجب أن نأخذ كلماتها جميعها بلا ترجمة ، ولغة كوكبية أخرى ينطق بها كل متمدن فى الدنيا ، مثل التليفون ، والتلغراف ، وسينما توغراف ، والراديوفون ، فيجب ألا نقاطعها ، لأنها لغة كوكبية جديدة لا تملكها أمة دون أخرى .

١٥ - كل انسان متمدن يجب أن يتعلم ثلاث لغات : لغته الأصلية التى تعلمها من أمه ، ولغة العلوم التى تكتب بها الجيولوجية والبيولوجية والفسيولوجية والكيمياء الخ ... ولغة هذا الكوكب كما ترى فى كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب .

١٦ - يجب أن نستبصر بحركة الأستاذ « أوجدين » فى الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات التى لا تتحمل الشكوك فى معانيها ، وأن نيسر تعليم اللغة العربية للعربى وللأجنبى .

١٧ - لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة

أو المشتبة ؛ وهى تحتاج من الوقت لتعليمها نحو ثمانية أو عشرة امثال الوقت الذى تحتاجه اللغة الانجليزية.. فيجب أن نتجه نحو تيسيرها بالاقلال من القواعد والشذوذات بل ومن الكلمات .

١٨ ـ اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الأمة الى الأمام مئات السنين ، ويكسبها عقلية المتمدنين ، ويجعل دراسة العلوم سهلة ، وهو خطوة نحو الاتحاد البشرى (١) .

هذه هى آراء (سلامة موسى) كما لخصها هو فى كتابه الهاجم : (البلاغة العصرية واللغة العربية).. وهى آراء لا تزيد قامتها على مجرد الغضب الشعرى الذى لا يؤسس مقولاته على منطق التفكير العلمى بما هو تأمل ومقدمات ونتائج .. ان (سلامة موسى) هنا يثير جعجعة لا طحنا ، أمشاج من الملاحظات الهامشية التى لا تتصل اتصالا مباشرا بصميم اللغة ، ولا تدخل فى جذر العلاقات العضوية بين شكل المصطلح العربى ومحتواه من حيث هو بناء وظيفى حمل فكر عصور تمددت فى كل عصور التاريخ ، ورفدت الحركة الحية للحضارة الانسانية بمزيد من المشاعل الكاشفة .. ولكن خطورة آراء (سلامة موسى) تأتى من جهتين : أولا لأنه مفكر عربى قد يظن أن معاناته مع الحرف العربى والجملة العربية والتفكير بالكلمة العربية هو ما أوحى اليه هذا الغضب الهادم على لغة فقدت اقتدارها على معاونة الكاتب فى عطائه الفكرى .. وثانيا لأن الكاتب يخلع على آرائه أردية التوق الى اصلاح اجتماعى من خلال اللغة ، ويوهم بأن ما يحركه فى هذا الغضب ليس القصور عن استيعاب سر اللغة وانما هو محاولة ربط هذه اللغة بأهم منجزات التطور الحضارى الذى يموج به العالم المعاصر .. ان خطورة آراء (سلامة موسى) تأتى من هاتين الوجهتين ، وهى خطورة قد

---

(١) سلامه موسى ـ البلاغة العصرية واللغة العربية ـ ص ١٨٥ وما بعدها ؛ ط ٤

يغيم مضمونها فى ذهن المتلقى المعاصر فيقع فى أسارها غاضبا أو مفتونا !!

- ٩ -

ويلفتنا العنصر الأخير فى هذه الدعوة (اتخاذ الخط اللاتينى) الى تيار آخر لا يقل ضخامة واستفحالا عن تيار الدعوة الى عامية اللغة ، وذلك هو تيار الدعوة الى نبذ الحرف العربى ، والكلمة العربية ، والجملة العربية ، والسياق العربى ، واستبدال كل أولئك بالحرف اللاتينى الذى لا يعانى (كما يقولون) من تشوش الحرف العربى ، وبالكلمة اللاتينية التى لا تعانى من تسيب الكلمة العربية ، وبالجملة اللاتينية التى لا تعانى من تعقيدات الجملة العربية ، وبالسياق اللاتينى الذى لا يعانى من همجية السياق العربى !!

ولقد يكون من المفيد أن نلقى كذلك نظرة هادئة على تاريخية الدعوة الى هذا الاتجاه الآخر ، فان ذلك قمين بتحديد نوعية القضية ، وتحديد نوعية مسارها الصاعد أو المتعرج فى ذهنية رعيل من المفكرين والكتاب ، الذين لا نستطيع ــ مهما كانت مسافات الخلف بيننا وبينهم ــ أن ننفيهم وجوديا من تاريخ حركة الفكر العربى الحديث ايجابا وسلبا .. كما أننا نرفض من خلال منطق المنهج العلمى أن نغلق أبوابنا فى وجه أى من الأشياء ما لم نؤسس حركتنا فى هذا الصدد على منطق المقولة والسبب ، أو النتائج والمقدمات .

فى وهج الدعوة الى العامية بديلا عن الفصحى ، طلع (أمين شميل) بدعوته الى الهجرة الكاملة ، ليس من فصحى العربية الى عامية العربية وانما من الشكل العربى الى الشكل اللاتينى ، وقد بنى تصوراته فى هذا المجال على عديد من الأسباب :

منها : أن اللغة أداة تعبير ، فاذا عجزت هذه الأداة عن النهوض الحضارى بوظائفها الطبيعية فليس هناك ضير من طرحها جانبا ، واحتواء أداة غيرها أرقى وأقدر .. واللغة العربية وصلت من مراحل التطور الى العجز الكامل عن مواكبة

هذا التطور ، ولذلك فلابد للمشتغلين بها من العبور عليها الى لغة أجنبية أكثر قربا من التطور الحضارى .

ومنها : أن اللغة العربية ماضية فى طريقها الى الموت كما ماتت من قبلها لغات كانت لهـا نفس الخصـائص والمكونات، كاليونانية ، والسريانية، والكلدانية ، والقبطية .

ومنها : أن محاولة البعث فى هذا الصدد للغـة ماتت أو هى تموت ، ضرب من اللاجدوى التى تشغلنا عن أشـياء صميمية ينبغى أن نوفر كل جهودنا للعمل فى مجالها الحقيقى .

ومنها : اللذة العقلية التى نحصلها من درس لغتنا لا تمـلأ بطن جائع واحـد ، فلنتابع ركضنا على طريق الأهم ، ولنعـرف جيدا أن تراثنـا الذى نحرص عليه موجود (وعلى مستوى صوابى أروع) فى اللغات الأوربية الأرقى ، فلا خوف من ضياع شىء اذا كان هناك ما يخـاف عليه بالفعـل .

ومنها : أن الكسـاد المـادى والمعنوى جميعا منوط بأولئك الذين يجهدون أنفسهم فى دراسـة اللغـة العربيـة ، وأن الانفتاح والامتلاء جميعا منوطان بأولئك الذين يعملون فى مجال اللغـات الأوربية الحية ، ودعـونا مـن طنغـولة اللهث وراء (الوطنية) فان الوطنية الحقة قائمة فى المعانى لا فى الألفـاظ ، أعنى فى صيانة حقوق الأفراد ، وأحكام العدل والتسوية ، والالتفـات الى الأمة ولغتها ، وعدم اعطاء خبز بنيها لغيرهم) (١) .

— ١٠ —

ويأتى — بعد حين — (عبدالعزيز فهمى) لينوع على نفس هذا اللحن الأساسى ، فيدعو الى العدول الكامل عن الحـرف العربى الى الحـرف اللاتينى توخيا للسهولة المنشودة ، والاحكام المـلائم لحـركة الفكر الحـديث ، والاستغناء عن عبثيـة الضبط بالشكل الى صوابية الضبط بالحروف .

(١) التنكيت والتبكيت — العدد الخامس — ١٨٨١ .

ويشترك فى هـذه الدعوة (على مستويات متفاوتة) لفيف من الكتاب والأدباء والمفكرين ، من أمثـال : قاسم أمين • وأحمد أمين ، ولطفى السيد ، وبهى الدين بركات •

ولكن (سـلامة موسى) يلتقط هـذا الخيط ، ويشن حملة ضارية على الحرف العربى ، ويؤكد أن من أفـدح عناصر الجـذب الوراثى فى تاريخ المنطقة هو رفضنا لارتقاق لغة حضارية ، حية واستمساكنا بأحافير لغةالصحراء والناقة والحجاب والدم والجنون ، الى آخر هـذه القائمة التى تصرخ بها كتابات سلامة موسى بلا ملال !!

وواضـح هنا أن هـذه الدعوة مؤسسة أكثر من سابقتها على منطق أكثر احـكاما وتركيزا ، الا أن أصحابها قـد نسـوا بالفعل حقيقة أكثر صميمية ، هى أن هذه اللغـة العربيـة التى يدعون الى الهجـرة الكاملة من اطـارها لا يمـكن أن تكون هى المسئولة عن تخلف العالم العربى ، فهى نفس اللغة التى وقفت معطياتها الشـكلية والمضمونية على قمة المد الحضارى أجيالا بلا توقف ، واذن فامكانية الفعـل الحضـارى مكنوزة فى أعماق هذه اللغة ، فقط هى فى انتظـار الفارس القادر على تفجير هـذه الامكانيات ، والعصر المؤهل لتلقى هـذا العطاء ، والبيئة المعاونة على تمديد حركة الفعـل فى شكل ظاهر وليس فى شكل مجرد انتفـاض !!

وليتنا نقـرأ جيدا تاريخ هـذه الحركات الهاجمة،ليس لمجرداستيعابه فذلك أخف أنواعه ثقـلا ، ولكن لتوجيه ردود فعلنا فى هذا المجال ، أن الفكر اللغوى من وجهة منهجية (فى هذه الدعوات) ربما لا يقـدر على النهوض ، ولكن ربطه بمعـاناة الانسان العـربى ، وبكم التخلف الحضـارى الذى نحيـاه ويكيفه ، وبالتوق الخالب الى مواكبة التطور التقنى فى هذا العالم اللاغط ، كل أولئك يعطى هذه الدعوات امكانية النفوذ الى عناصر من الجيل الآتى هى مفتـونة بحيوية المنطق الرابط بين اللغـة والانسان ، وحضـارة

الفكر العامل على تضويىء المسافة التى كادت أن تحترق بين همـوم التعبير اللغـوى وهمـوم انسـان المرحلة !!

- ١١ -

ثم يأتى من ينادى بتسكين أواخر الكلمـات ، هروبا من صـعوبات الضبط ، وانفلاتا من قوانين الحركة فى اللغة ، وهى دعوة بائرة من أول الطريق ، لأنها انزلاق باللغـة الى مجاهيل الخلط بين الفاعلية التى تكون للفاعل والمفعولية التى تكون للمتلقى ، فاذا جاز أن يقال ان السياق قد يعطى تحديدا فى هذا المجال ، فان الأكثر جـوازا أن يقال آن السياق قـد لا يعطى تحديدا ما ••• ربمـا يعطى السياق تحديدا فى حالة ما اذا كان الفاعـل مذكرا والمفعـول به مؤنثا لدلالة الفعل على طبيعة الفاعل •• ولكن هذا السياق نفسه عاجز تماما عن أى لون من التحـديد فى حالة ما اذا كان الفـاعل والمفعول به من جنس واحـد •• لدلالة الفعـل على طبيعتين متسـاويين فى وقت معا •• فان قيل ان المقدم يبقى فاعلا والمؤخر يبقى مفعولا • فاننا نقول : ان التضحية بواحدة من خصـائص اللغة وهى التقديم والتأخير فى مقابل لاشىء أمر غير مقبول بالضرورة !!

- ١٢ -

ثم يأتى أخـيرا مؤتمـر بيروت (١٩٧٣) الذى أشرنا اليه فى مطلع هذه السـطور ، ليجدد الدعوة ، ويعيدها جذعه ، كأنما لتتواصـل حلقـات الزحف فلا يفلت جيل من الأجيال من محاولة خطفه من لغته وضرب كل ملكاته الابداعيـة فى محاضن تكوينهـا البدئى ، وصرف طموحه الفكرى عن ملاحقة التطور العالمى فى مجالات الثقـافة والعلوم الى نوع من الجدل الدائرى الذى لاتفضى مقدمته الى نتيجة ، ولاتترتب منه نتيجـة على مقـدمة • وهكذا يسقط جيل بكامله فى آبار الفراغ !!

- ١٣ -

هـذه خلاصـة موجزة لأشرس التحديات التى واجهتها اللغة العربية منـذ أواخر القرن التاسـع عشر

وأوائل القرن العشرين حتى الآن ــ وهى تحديات قاسية من غير شك ، لأن تأسيسها على هذا النحو المنهجى المخادع يمكن أن يشد اليه كثيرا من اهتمامات أجيالنا الطالعة، ان منطق المواجهة الذى ندعو اليه يرفض أن يملأ حنجرته بالزعيق ، لأن الأجيال الطالعة تتحمس طرائقها بمزيد من الوعى الذى يتمشق الكلمة الهادئة ، والفكرة الناضجة ، والحوار المسلح بمنطق العصر وهمومه الهائلة، لا يكفى أن نسود بياض الصفحات بوابل من الشتائم القارصة ، وانما ينبغى أن تتوجه أساسا الى الفكر النقيض بمحاولة استيعاب أصوله وخصائصه وغاياته ، وتعرية ما فى هذه الأصول من مغالطات فكرية ومنهجية ، وفضح ما فى هذه الخصائص من تناقض وتشويه ، وادانة ما فى هذه الغايات من طوايا وعدوانية وهدم !!

ان قدرتنا على ادارة حوار نابغ ومنهجى هو تدليل أكاديمى غير مدفوع على اقتدار لغتنا العربية وتأبيها المستمر على كل محاولات الانتقاص ، ان علمية الحوار تعنى علمية اللغة وحضارية المنطق تعنى حضارية اللغة ، وتعصير الفكر الجدلى حول أى من القضايا يعنى اقتدار هذه اللغة على الهجرة الحية الفاعلة فى ذاكرة كل العصور !! •

– ١٤ –

أعلم أن رعيلا مخلصا وجادا من الغيورين على اللغة العربية قد تصدى لبعض هذه الدعوات ، ولكن ذلك أصبح الآن غير كاف بشكل يقينى ، لأن الذين يضربون العربية يطورون كل يوم من أسلحتهم ، ويختارون لذلك شكولا من الابداع لا تنحصر فى مجرد الحوار الفكرى الناهض على المقولة والسبب والنتيجة ، وانما يصطنعون ألوانا من الفكر والفن ، ويضمنون هذه الألوان ما شاءوا بشكل مباشر مرة ، وبشكل رامز وايمائى مرات ومرات ••

من هنا تنبع ضرورة الاستنفار الجديد ، ليس على مستوى آحاد

من رجال الفكر اللغوى وحدهم وانما على مستوى رعيل متكامل من رجال الفكر واللغة والأدب والفن والفلسفة والحضارة والاجتماع والنفس والدين ، وليت يكون ذلك كله من خلال منهج علمى يستقطب الظاهرة ويحللها ويرد على مفرداتها ، ويقيم من مقولاته الدافعة شيئا يشبه النظرية المتكاملة التى تربط فى جدلية مطلقة بين اللغة والأمة والتراث بأضلاعه المثلثة (الماضى والحاضر والمستقبل) ، والتى تجعل من حركة الحلول فى اللغة بسماتها الخاصة وقوانينها الذاتية حلولا فى التاريخ والحضارة ، والتى تصوب الفهم المغلوط فى كثير من قضايا الفهم اللغوى من حيث الربط الجدلى بين التخلف الآنى وتخلف التفكير اللغوى ، ثم من حيث الاصرار المهاتر على أن أجرومية اللغة العربية باهظة التعقيد فى غير طائل وبلا مبررات !!

ان الجهود التى ينبغى أن تبذل فى هذا الصدد ، تأصيلا للعلاقة الحميمة بين اللغة والوضعية الحضارية للأمة ، وتمكينا لفهم أن الحلول فى اللغة حلول فى التاريخ والحضارة ..

وتأكيدا لحيوية العربية وبعدها الموضوعى عن حركة الألتياث والتعقيد .. ان الجهود التى ينبغى أن تبذل فى هذا الصدد مدعوة بلا ملال الى التزام روح المنهج العلمى ، والى تعقيل كل الأحاسيس فى عالم يرفض أن يواجه قضاياه بمزيد من الزعيق والضجيج ، وهى مدعوة الى الأطلال الحضارى على كل مقدماتها ونتائجها واضعة فى حساباتها دائما انها تخاطب عصرا له منطقه ، وأجيالا لها همومها ومقولاتها وطرائق تفكيرها جميعا .. أن ذلك وحده يكون كافيا بشكل يقينى ربما لخلق حركة فصل شاملة ، تضع اللغة على مستوى صميمى مع حركة وجودها على الأرض ، حفاظا عليها ، وتأصيلا لها ، ومقاتلة تحت كل راياتها المنتصرة .. وهذا هو مناط الحركة فى كل أندفاع بالفكر والجسد فيما نعنى بكلمة الأندفاع !!!

د. محمد احمد العزب

حول الثقافة الإسلامية
في المجتمع الإسلامي المعاصر

للأستاذ طه محمد كسبه

مقدمة :

لا تتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان الاسلام هو ذلك الفكر الذى خرج على العالم فأوجد دولة اسلامية قوية البنيان ، وابتدع حضارة ما يزال الحديث عنها يجوب الآفاق وخلق انسانا جديدا قد تكون من الروح والجسد هو الانسان المسلم .

ولعل من الأشياء التى تحسب للاسلام أن أساس حضارته ليس ناشئا عن تمجيد العقل كما فعل الاغريق ، ولاهو تمجيد القوة ، وبسط النفوذ والسلطان كما كان الشأن عند الرومان ، كما أنها ليست فى الاهتمام بالقدرات الجسدية والحربية والنفوذ السياسى كما كان الحال عند الهنود والصينيين ، كما أن أساس حضارته ليس ناتجا عن الافتتان بالعلوم المادية والاستفادة مما فى الكون من ماديات العصر ـ لدرجة التقديس ـ كما هو منهج الحضارة الحديثة المتوارثة عن اليونان والرومان .

انما أساس هذه الحضارة الاسلامية ، أساس فكرى ، على نسق يشمل جميع شعب الحياة الانسانية فى الفكر والعمل ، فى العلم والعقل ، فى الروح والمادة ، فى الشخصية الانسانية والاجتماعية .

ولهذا فان الحضارة الاسلامية ـ كانت ولم تزل ـ حضارة مستقلة ، كاملة ذات دستور شامل محدد يختلف اختلافا جذريا عن مكونات الحضارة الغربية ، مثلما اختلف مع الحضارات القديمة الفارسية والهندية والرومانية .

واذا كان أساس الحضارة الاسلامية ـ كما قلنا ـ أساسا فكريا ، فان الاسلام لا يعادى العلم الذى هو طريق الحضارة، ولايعادى القوة السياسية والعسكرية لأنها أداة ومظهر من مظاهر الحضارة ، الا أن الاسلام بهذا الشمول ـ الذى يمثل بعدا أساسيا من أبعاده ـ يضع المنهج الملائم والسليم ، والمقومات الأساسية لقيام حضارة اسلامية قائمة على الفكر الذى هو جماع كل مظاهر الحضارات حتى يكون أساسها قويا متينا وشامخا ولذلك فاننا نرى أن حضارة الاسلام حضارة باقية متجددة ، لا يصيبها الشلل أو تعتريها الشيخوخة .

ولأن الفكر أساس حضارة الاسلام ، لذا فاننا نجد أن الثقافة الاسلامية احدى مستلزمات تكوين هذا الفكر ، بمعنى أن هذا الفكر الاسلامى هو الوعاء الذى يحتوى هذه الثقافة ، ويضمها اليه ، ذلك أن الفكر الاسلامى يتخذ من الثقافة الاسلامية ومكوناتها أدوات تعبير وأشكالا يستخدمها للوصول الى تكوين الانسان المسلم .

لكن .. ماذا تعنى الثقافة؟ وماهى مصادر الثقافة الاسلامية ومقوماتها؟ ثم ما هى الخصائص المميزة للثقافة الاسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى ؟

فى مفهوم كلمة الثقافة :

والثقافة تعنى الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعلم ، والثقيف هو الفطين الحاذق وتثقف ثقافة صار حاذقا ، ثقف الكلام بمعنى فهمه بسرعة ، وثقف الصبى أى هذبه وعلمه والثقاف هى المرأة الفطنة ، والثقافة هى الحذق والفطنة ، وهذا ما تعنيه الثقافة كمصطلح لغوى فى قواميس اللغة .

والثقافة فى المصطلح الحديث ومفهومها الحضارى فى عصرنا الحاضر تعنى حالة من التفاعل بين عوامل كثيرة أهمها القانون والسياسة والصناعة والتجارة «والتكنولوجيا» وشتى فنون التعبير والاتصال والأخلاق .

وتعنى كلمة الثقافة عند المفكرين المحدثين الحصيلة الطبيعية للقراءات الواعيــة والدراسة المستمرة لأفكار الآخــرين ومشا عــرهم ونظرياتهم وتجاربهم ، أى أنها أعمق من مجرد التعليم والتقديم ، حيث انها تمنح الانسان حياة متعــددة الألوان بدلا من حياة واحدة وأعمارا مع العمر .

والثقــافة بمفهومها الحضــارى وتأثيرها الاجتمــاعى هى التى تمنح الأمة طابعها المميز فى فهمها لطبيعــة الحياة والتزامات الانسان وتجــديد مركزه فى المجتمع ومعرفة علاقاتــه بأقرانه فى وطنه ، وبالناس خــارج وطنــه وكيفية تفاعله مع القــوى والعناصر الانسانية الكونية .

وعليه فالثقافة بهذا المعنى وهــذا التأثيرهى مجموعة من القيم الخلقية والتقاليد الاجتماعية التى يتلقاهــا الفرد فى مجتمعة منذ ميلاده الى حين وفاته ، وهى المحيط الذى يعكس حضارة معينة تضم ثمرات الفكر من علم وفن وقانون وأخلاق .

وكــذا ، فان «الثقــافة ليست معلومات محفوظــة ولاتطبيقــات منقولة،بل هى فى مفهومها الصحيح شىء يجاوز المهارة أو البراعة فى أى ناحية من نواحى العلوم النظرية أو العملية والثقافة مرادفة لحضور القلب ويقظة الروح ، وهما لا يكونان الا مع الضمير الحى والعقل الناضــج والقلب السليم ، ومتى اســتيقظ الوعى والضمير فى الانسان أصبح النظر والعمــل عنــده متــلازمين لايفترقان ، وأصبحت حياته مصداقا لأفكاره ، فبعد عن الآلية والأنانية وقصد الى الغايات بأفضل الوسائل واتجه الى الجوهر والمخبــر دون وقوف عنــد المظاهر والاغــراض والأساس المتين الذى تقوم عليــه الثقافة الواعية ثقافة القلب والعقل والحس ــ هو الاعتقادبالقيم الروحية والمبادىء الأخلاقية ، فلسنا نتصور أنــانسانا ــ واعيا لاتصدر أفكاره وأعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة تقوم على الايمان ، أى على الرابطة الأخلاقية التى تدفع الناس الى أن يفكروا ويعملوا متساندين مترفعين على بواعث الأنانية والاثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة (١) .

---

(١) من محاضرة الدكتور عثمان أمين بعنوان (الثقافة والحضارة) .

والثقافة الاسلامية هى تلك التى تستمد مقوماتها وأصولها الرئيسية من :

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ التراث النبوى المستمد من سيرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، قولا وفعلا وتقريرا ، أمرا ونهيا ، ترشيدا وتوجيها .

٣ ــ التراث الاسلامى الذى خلفه المسلمون على اختلاف بيئاتهم ومشاربهم على مر العصور منذ العهد النبوى الى يومنا هذا .

أى أن الثقافة الاسلامية قرآنية المصدر ، سنية التوجيه ، تاريخية النسب ، اسلامية الملامح والقسمات .

وفى هذا يقول د . عبد الكريم غشمان : أن الثقافة الاسلامية (تجمع بين الغايات .. والوسائل وبين العلم والايمان ، وكونها تستمد كيانها من مبادىء الدين لا يعنى تخليها عن العقل والعلم ، فاعتماد الثقافة الاسلامية عليها واحتفاؤها بهما أمر لا يحتاج الى بيان ، فالدين ليس بديلا عن العلم والحضارة ، ولا عدوا لهما ، وانما هو اطار محدد ومنهج لهما فى اطاره الذى يحكم شئون الحياة) [1] .

خصائص هذه الثقافة :

وخصائص هذه الثقافة الاسلامية التى تتميز بها عن مثيلاتها من الثقافات الغربية والشرقية تتلخص فى :

(١) أنها ثقافة انسانية عالمية ، تنظر الى الناس بمقياس واحد ، لا تفسده قومية أو عنصرية ، وحيث لا امتياز لجنس على جنس ، ولا لون على آخر ، ذلك أن الرابطة التى تربط بين الناس فى مفهوم الثقافة الاسلامية هى العقيدة والسلوك الراشد والعمل الصالح على عكس الثقافة الغربية التى يسيطر عليها طغيان العنصرية والعصبية القومية وفكرة الجنس المتميز على كل الأجناس .

---

(١) د. عبد الكريم عثمان من كتابه (الثقافة الاسلامية) .

ففى القرآن الكريم نقرأ :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) .

وفى السنة النبوية الشريفة نقرأ :

«سلمان منا آل البيت — لوجاء الأعاجم بعمل ، وجئتم بغير عمل كانوا أولى بمحمد منكم ، لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) .

وغاية الثقافة الاسلامية غاية انسانية تبحث فى الانسان وعنه ، لانها تريد أن تضع الأصول والأسس وتقنن للبشرية وتضع لها ثقافة وفكرا انسانيا فى المقام الأول .

(ب) انها ثقافة متدينة بمعنى ان الدين قوامها وأساسها ، ذلك ان هذه الثقافة تنتسب الى دين شامل هو منهج كامل للحياة البشرية بكل مقوماتها وبكل تجاربها ، هذا الدين — الذى تنتسب اليه وتنبع منه — نظام يشمل التصور الاعتقادى الذى يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الانسان فى هذه الحياة ويفسر العلاقة التى تربط الانسان بالكون والطبيعة من حوله ، هذه الثقافة الاسلامية الربانية التلقى ، النبوية التوجية ، التاريخية النسب ، الاسلامية الملامح والقسمات ، ثقافة تصدر عن ذلك التصور الاعتقادى الذى يشمل الانظمة الواقعية فى هذه الحياة من اخلاق واجتماع وسياسة واقتصاد وخلافه .

وفى هذا نقرأ قول القرآن الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (٢) .

وفى السنة النبوية الشريفة نقرأ كذلك :

الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق) (٣) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٢) سورة النساء آية ٥٩ .
(٣) رواه الشيخان .

ونقرأ أيضا :

(ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكةوالكتاب والنبيين) (١) .

(جـ) انها ثقافة ايجابية وبناءة، تدفع الى الأمام والى التقدم والرقى فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما اشتملا عليه من مبادىء وقيم وتوجيهات قد وفرت لهذه الثقافة معينا لا ينضب من المقومات والأسس التى أصبحت مادة خصبة أضيفت الى تراث العرب والمسلمين على مر العصور لتشكل فى النهاية ثقافة العرب الاسلامية ، ويقول الباحث الاسلامى الاستاذ أحمد محمد جمال «ومن مزايا هذهالثقافة الاسلامية انها متجاوبة متفاعلة تمنح الفرد الحرية الكاملة لتحقيق مقامه كخليفة فى الأرض يواجه الكون والحياة باحساس رضى ونظرةودود ويد عاملة منتجة وفكر متأمل بحاث » . ، ونستشهد بقول د. عبد الكريم عثمان حين قال : ان هذه الايجابية ناتجة عن مبادىء الاسلام التى لا تتمثل فى مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة ، وانما هى فى صميمها قوة بناءة وحركة دافعة الى النمو والتطور والانطلاق الى تحقيق الذات فى هذه الحركةفى اسلوب نظيف .

نلمح هذا حين تتأملهذه الكلمات والآيات البينات :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٢) .

ونقرأ أيضا متأملين :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٥ .

صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (١) .

ونقرأ قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«واعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

* * *

ان من الأمور والاشياء التى تحسب لهذه الثقافة الاسلامية انها اثرت بشكل مباشر وايجابى فى خلق وتكوين شخصية تؤمن بافكار ومبادىء وتمارس عادات وعبادات ذا نوع من السلوك معينة — تتمثل فى الايمان بالله وبالرسول وبالكتاب والملائكة واليوم الآخر ، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتمارس من خلال هذه العادات والعبادات والسلوك ما لايمكن بحال من الأحوال نعتها أو وصفها الا بانها اسلامية بحيث شكلت فى النهاية الشخصية الاسلامية ، أو بمعنى ادق شكلت شخصية المسلم التى تميز عن أى شخصية أخرى ، وهذا كله تحت تأثير الثقافة الاسلامية التى هى نظرية سلوك . ذلك ان الاسلام يؤلف حضارة وثقافة دينية متكاملة تمد تلك المجتمعات التى ينتشر فيها بعناصر تماسكها ووحدتها ، وهذا لم يمنع هذه الثقافة الاسلامية من ان تتخذ دائما أشكالا وصورا وأنماطا مختلفة باختلاف المجتمعات التى تعيش فيها بمعنى أنها لم تكن ثقافة جامدة تحاول أن تصب المجتمعات والشعوب الاسلامية فى قالب واحد ومن ثم تنتج عن هذا كله صور مختلفة شاركت كلها فى تكوين الثقافة الاسلامية .

والثقافة بهذا المفهوم تشكل فى كيان الاسلام أحد مظاهره ، أو أحد أبعاده ذلك اننا نقول ان الاسلام دين ودولة .. وثقافة ، أى أنه عقيدة وشريعة ، وكيان سياسى وحضارة بحيث تكون هذه العناصر الثلاثة

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ — ٣٢ .

التى لا يمكن الفصل بينها أو تجزئتها ــ الاسلام . رسالة الله الخاتمة الى عباده على الأرض فى كل زمان ومكان .

* * *

انهذه الثقافة الاسلامية فىعصرنا هذا ، فى حاجة دائمة الى البعث والى التجديد ، وبث الروح فيها حتى تستقيم ، ذلك أن هذه الثقافة قد أصابها بطش الغزو الفكرى والثقافى الذى نزل على المسلمين وعلى أرضهم وديارهم ودينهم سعيا نحو محو الشخصية الاسلامية،وتدمير المجتمع الاسلامى نفسه ، وتفريغه من مضمونه الروحى والاسلامى .

هذا الغزو الفكرى والثقافى من الضرورى ، بل ومن الحتمى أن يواجه بحسم وحتى لا تترك المجال متسعا ورحبا لعبث العابثين من المفتونين بثقافات الغرب المادية والمعجبين بحضارة الغرب والشرق من دعاة الفكر المادى المشبوه .

أدعو لهذا وفى ذهنى أن نضع نصب أعيننا مجموعة من الأفكار أطرحها حتى تستقيم حياتنا فى مجتمع أسميناه مجتمع العلم والايمان ، ذلك انه من الواجب أن نعمل على احياء التراث العربى والاسلامى وازالة التراب الذى يعلوه ، واذكاء الوعى لدى جماهير المسلمين وتقوية شخصيتهم الاسلامية وتنميتها ، وحثهم على التمسك والاعتزاز بهذه الشخصية التى تحفظهم من الضياع والتفتت، واعادة النظر فى أشكال التعبير الثقافى والاعلامى فى المجتمع المسلم وتشكيلها على أساس جديد بحيث يراعى فى ذلك ابراز الملامح الاسلامية الأصيلة ، فضلا عن التصدى ــ وهذا أمر أولى ــ لهذا الغزو الفكرى والثقافى ومواجهته والقضاء على مظاهره والحيلولة دون خطر انتشار محاولات التغريب التى تجرى على أرضنا لديننا وتاريخنا وشخصيتنا الاسلامية .

والله ولى التوفيق .

طه محمد كسبه

باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

كتابة القرآن الكريم :
بالحروف اللاتينية

السؤال ؟

ما قول سادتنا العلماء فى كتابة القرآن بالحروف اللاتينية المعروفة؟.

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فلا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة » خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية. فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى - كما يفهم من الاستفتاء - لوقع الاخلال والتحريف فى لفظه، وتبعهما تغير المعنى وفساده.

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف . وأجمع علماء الاسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير معناه ، ممنوع منعا باتا ، ومحرم تحريما قاطعا .

وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم، ومن بعدهم الى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا يتبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة » لا تجوز . والله أعلم .

* * *

القنوت بعد الركوع :

السؤال ؟

ما الحكم فى صلاة مالكى يؤم الناس فى صلاة الصبح ، وقد اعتاد أن يقرأ القنوت بعد الرفع من الركوع

الأخير ، ومن المأمومين من يتــابعه فى ذلك ، ومنهم من يخرساجدا ؟

الجواب :

صلاة هذا الامام صحيحة عنــد المــالكية ، الا أن فيهــا مخالفــة للأفضل، وهوأنالقنوت قبل الركوع الأخير على المشهور .

وأما المأمومون ، فمن تابع الامام منهم فأمره واضح ، ومن خر ساجدا وتركه ، فانه يجب عليه أن يرجع الى الامام ليخفض بخفضه ، ويســجد بسجوده . فان لم يرجع ، واستمر ساجدا حتى أدركه الامام ، وأخــذ فرضه معه ، صحت صــلاته . وان رفع من السجود قبــل أن يأخــذ فرضه مع الامام عامدا أو جاهلا ، بطلت صلاته ، والله أعلم .

* * *

فى الميراث :

الســؤال ؟

رجل توفى عن بنتين ، وابن ابن ، وأولاد أخ شقيق ، فهل يحرم أحد من هؤلاء من المــيراث ، أو يرثون جميعا ؟ واذا ورثوا جميعــا فمــا نصيب كل ؟

الجواب :

الميراث لابنتى المتوفى ، وابن ابنه **وليس لأولاد الأخ الشــقيق شىء ،** فان أولاد الأخ الشقيــق ان كانــوا ذكورا فهم محجوبون بابن الابن ، وأن كن انــاثــا ، فهــن من ذوات الأرحام .

أما البنتان فلهما الثلثان فرضا ، وأما ابن الأبن ، فله الثلث تعصيبا ، والله أعلم .

* * *

الســؤال ؟

أمرأة توفيت عن زوج ، وعن أم، وعن أخت من أبيها ، وأخت وأخ من أمها ، وعن أولاد أخيها ذكورا من أبيها ، وعن أولاد عمها ذكــورا أو اناثا ، فمن يرث ، ومن لا يرث ؟

الجواب :

الميراث للزوج والأم والأخت من الأب والأخ والأخت من والأم ، ولاشىء لأولادالأخ من الأب الذكور ، وأولاد العــم الذكــور والانــاث لاستغراق الفروض التركة .

أما الزوج ففرضه النصف ، وأما الأم ، ففرضها السدس ، وأما الأخت

من الاب ، ففرضها النصف ، وأما الأخ والأخت من الام ، ففرضهما الثلث ، لكل منهما السدس .

فبعد أن كانت التركه تقسم الى سته أقسام ، قسمت الى تسعة ، وصار النصف ثلثا ، والسدس تسعا ، والثلث تسعين ـ بضم التاء وفتح العين ـ للزوج نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة ، وللأخت من الأب نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة أيضا ، وللأم سدس عائل ، هو واحد من تسعة ، وللأخ والأخت من الأم ، ثلث عائل ، هو اثنان من تسعة ، لكل منهما واحد ، والله أعلم .

* * *

السؤال ؟

امرأة توفيت عن أختها فقط ، فما نصيب الأخت اذا انفردت ، ولمن يكون الباقى ؟

الجواب :

هذه الأخت ترث التركة كلها : ترث نصفها فرضا ، ونصفها الآخر ردا ، والله أعلم .

* * *

الحلف بالمصحف :

السؤال ؟

رجل حلف على المصحف ألا يشرب «العرقسوس» مثلا ثم شرب فهل هذه يمين شرعية يلزمه أن يكفر عنها ؟

الجواب :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الحلف بالمصحف يمين شرعية اذا أراد الحالف كلام الله القديم ، أو أطلق .

ومذهب الحنفية أن الحلف بالمصحف ليس يمينا شرعية . وقال العينى من الحنفية :

« وعندى لو حلف بالمصحف ، أو وضع يده عليه ، وقال : وحق هذا فهو يمين ولا سيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبت العوام فى الحلف بالمصحف» وأقره على ذلك صاحب النهر .

فعلى أن الحلف بالمصحف يمين ، يلزم الحانث أن يكفر ، وعلى أنه غير يمين لا يلزمه ذلك ، والله أعلم .

الرضـاع :

السـؤال ؟

بنت رضعت ثلاث مصّات ، فهل يحل لأبناء المرضعة التزوج بها ؟

الجواب :

اذا كان الرضاع فى مدته الشرعية، فلا يحل لأبناء المرضعة التزوج بهذه البنت عند الحنفية والمـالكية ، لأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم عندهم .

ويحل لهم التزوج بها عند الشافعية والحنـابلة لأنه لا يحرم عنـدهم الا خمس رضعات متفرقات ، وليست مشبعات كما سبق ذكره فى هذا المقام.

محمود رسلان

قالت عائشة ـ رضى الله عنها :

« مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق اللسان واداء الأمانة ، وصـلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف وحفظ الذمم للجـار ، وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء » .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

• يحتفل العالم الاسلامى بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتقيم مشيخة الأزهر و الأوقاف والطرق الصوفية والوزارات والهيئات والمؤسسات والجيش والشرطة والجامعات والمدارس احتفالات بهذه المناسبة الكريمة ، كماتقام احتفالات بجميع مساجد الجمهورية ، يلقى فيها العلماء والمفكرون المحاضرات التى تتناول هذه الذكرى ومكانتها والدروس المستفادة منها .

• صدر كتابان عن الشيوعية فى الفترة الأخيرة : أحدهما لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بعنوان (فتاوى عن الشيوعية) .. والآخر بعنوان (الشيوعية والشيوعيون) لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية .

والكتابان يكشفان وجه الشيوعية القبيح ، وكفرها الصريح ومعاداتها السافرة للأديان ، ومحارباتها لكل القيم والأخلاق .

• مثل مصر والأزهر فى المهرجان الرابع لمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم الذى أقيم فى السودان مؤخرا ، فضيلة الشيخ خلف السيد على ، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية . وفضيلة الشيخ زكريا الزوكة وكيل ادارة الدعوة ، كما حضره وفود من جميع دول العالم الاسلامى ، وقدمت فيه البحوث والدراسات حول القرآن الكريم ، ووزعت فيه الجوائز على حفظة القرآن الكريم فى حفل خاص أقيم لهذا الغرض .

• وضع الأزهر لائحة جديدة لتنظيم البعثات الى الخارج للوعظ والتدريس روعى فيها سد الثغرات التى كانت فى اللائحة القديمة .

• رفضت لجنة دروس قرآنية بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

المحاولات الجارية الآن لكتابة القرآن الكريم فى نصه العربى بالحروف اللاتينية .

وحول هذا قال فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الجمهورية الأسبق : (ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، على رسول عربى أمين ، نطق به عربى ، وأمر بكتابته بالعربية فقرىء بها ، وكتابته بحروف عربية فكتب بها ، وأجمع على ذلك المسلمون كافة فى أربعة عشر قرنا ، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يكتب بحروف غير عربية ، لاتينية كانت أو غير لاتينية .

ومحاولة ذلك ، اثم كبير ، وخطر جسيم ، وكيد لكتاب رب العالمين ، والله لا يهدى كيد الخائنين) .

• يدرس الآن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية مع السيد اللواء محمد حسن شديد رئيس قبائل الحويكات واللجيوات والصبحا الرغبة التى تقدم بها رؤساء القبائل البدوية الى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر لاقامة مراكز ثقافية ضخمة من مالها الخاص ، مساهمة منها فى نشر الدعوة الاسلامية ومكافحة النزعات الالحادية والدعوات التبشيرية الهدامة .

• اتخذ المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى فى اجتماعه مؤخرا عدة توصيات حول القرآن الكريم والتربية الدينية ، ومن أهمها :

١ ـ ضرورة أن تأخذ التربية الدينية مكانتها فى خطط وبرامج التعليم بكافة أنواعه ومستوياته ، مع اعتبار التربية الدينية مسئولية تشارك فيها كافة أجهزة الدولة وفى مقدمتها الأزهر ووزارة التربية والتعليم والأوقاف والثقافة .

٢ ـ تفضيل من يحفظ القرآن الكريم عند الاختيار للوظائف الدينية والاشرافية فى الأزهر والأوقاف والوزارات والهيئات ووظائف المأذونين .

٣ ـ تخصيص مكافآت تشجيعية مجزية تمنحها الدولة للطلبة الحافظين للقرآن الكريم ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة .

٤ ـ احتساب سنة اعتبارية فى أقدمية كل موظف يحفظ القرآن الكريم عند التعيين .

٥ ـ معاملة من يحفظ القرآن الكريم كله عند التجنيد معاملة ذوى المؤهلات العليا وذلك لتشجيع الشباب على حفظ القرآن الكريم •

• تبرع أستاذ سابق بجامعة الاسكندرية بقطعة أرض تبلغ قيمتها ستمائة ألف جنيه مصرى لانشاء مركز اسلامى بأسيوط، يضم مسجدا ومعهدا لتعليم الصبية الصناعات والحرف ومكتبا لتحفيظ القرآن الكريم •

السعودية

• أصدر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية مرسوما لتنظيم جباية الزكاة الشرعية الواجبة فى النقد وعروض التجارة •

ويقضى المرسوم بأخذ نصف القدر الواجب بواسطة الأجهزة المتخصصة فى المملكة وترك النصف الآخر للخاضعين للمرسوم لاخراجه بمعرفتهم للمستحقين ، واستثنى المرسوم الشركات المساهمة التى تقرر أن تجبى منها زكاة أموالها كاملة •

• وافق جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية على اعتماد مائة وخمسة وأربعين ألف ريال لبناء واستكمال أربعة مساجد كبرى فى كل من أندونسيا وغانا وسوريا والسودان •

• تبرع الأمير السعودى نواف بن عبد العزيز بمائة ألف جنيه للمساهمة فى انشاء فرع لجامعة الأزهر فى محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية •

الكويت

• أشهرت طالبة روسية بجامعة الكويت اسلامها ونطقت بالشهادتين ، ثم قالت وأشهد أن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم دينا حقا من عند ربه تعالى •

وهكذا ، نرى الاسلام ينير القلوب فتهتدى به ، وتدخل ساحته عن رضا واقناع بعد طول دراسة وأعمال فكر واطلاع ، وبذلك تخرج من الظلمات الى النور باذن ربها •

السنغال

※ أطلقت السنغال على معهد تعليم المكفوفين المنشأ حديثا بها اسم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله •

••

ومن الجدير بالذكر أن حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية قد

قدم للاتحاد الوطنى للمكفوفين بالسنغال دعما ماديا يقدر بحوالى ٤٠٠ ألف ريال •

غينيا

* أرسى حجر الأساس لأول مركز اسلامى فى غينيا بيساو ، وذلك فى حفل كبير أقيم لهذا الغرض رأسه السيد الرئيس لويز كابرال ، وحضره وفود تمثل ٢٦ دولة اسلامية وعربية •

فرنسا

* قررت فرنسا انشاء معهد للفن والدراسات العربية والاسلامية بها ، وستخصص له أحد القصور التاريخية ، ويضم معهدا للآثار •

انجلترا

* أصدر بريطانيان هما دبريا شهل ولوسيان جوفلين كتابا عن الهندسة فى الفن الاسلامى بشمال أفريقيا •

ومن الجدير بالذكر أن المؤلفين تناولا فى كتابهما دخول الاسلام فى مصر وبلاد المغرب وربطا بين الفنون الهندسية وتطورها وبين التاريخ السياسى والاجتماعى فى الشمال الأفريقى تحت راية الاسلام •

المانيا

* صدر فى ألمانيا الاتحادية أول مؤلف عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ضمن سلسلة المكتبة العربية الكلاسيكية التى تصدرها باللغة الألمانية دارهورست أردمان للنشر •

وتقوم هذه الدار أيضا بنشر كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى أجزاء باللغة الألمانية •

امريكا

* أرسل مكتب رابطة العالم الاسلامى فى الأمم المتحدة دفعة من المصاحف الشريفة الى سجون تكساس عن طريق المركز الاسلامى فى مدينة هيوستون ، وذلك لتوزيعها على الأفراد المسلمين الذى يقضون فترات الأحكام عليهم داخل سجون تكساس •

ومن الجدير بالذكر ، أن هذه الخطوة تأتى فى اطار برنامج المكتب لمساعدة المسجونين المسلمين فى أمريكا وتزويدهم بالمصاحف الشريفة والكتب الاسلامية •

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

أسباب انتصارات الرسول القائد
عليه الصلاة والسلام

بقلم اللواء الركن
محمود شيت خطاب

يفاخر المشرعون بالنبى صلى الله عليه وسلم مشرعا فذا ، ويفاخر السياسيون به سياسيا محنكا ، ويفاخر به الحكام والقضاة حاكما عدلا وقاضيا عادلا ، ويفاخر به العسكريون قائدا عظيما .

ولعل الظروف العصيبة التى يجتازها العرب من المحيط الى الخليج، والمسلمون من المحيط الى المحيط ، تحتم على العسكريين أن يذكروا النبى صلى الله عليه وسلم قائدا مجاهدا ، ويذكروا العرب والمسلمين بأعماله الباهرة فى ميدان القيادة والجهاد .

والمتتبع لحياة النبى صلى الله عليه وسلم ، منذ بعث رسولا الى أن التحق بالرفيق الأعلى، يجد أن حياته المباركة فى مكة المكرمة كانت توحيدا من أجل الجهاد ، وحياته الكريمة فى المدينة المنورة كانت جهادا من أجل التوحيد.

لقد قاد النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة المنورة ، فقد خرج الى غزوة (ودان) وهى أول غزوة قادها بنفسه فى صفر فى السنة الثانية الهجرية ، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته فى رجب فى السنة الثامنة الهجرية . وقد نشب القتال بين المسلمين بقيادته وبين المشركين واليهود بتسع غزوات : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف ، بينما فر المشركون فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ومع ذلك لم يخفق الرسول صلى الله عليه وسلم فى أى معركة خاضها المسلمون بقيادته،وحتى غزوة (أحد) لم تكن اخفاقا للمسلمين من الناحية العسكرية ، اذ كانت نصرا سوقيا (استراتيجيا) واندحارا تعبويا (تكتيكيا) نتيجة لمخالفة الرماة أمر الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كما هو معروف .

أسباب الانتصارات

ما هى اذن أسباب انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل معركة خاضها ؟ تتلخص الأسباب العسكرية فى ثلاث : قيادة ممتازة هى قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وجنود ممتازين هم المسلمون الأولون ،

قيادة ممتازة وحرب عادلة هي حرب المسلمين لأعدائهم .

ان مجمل صفات القائد الممتاز كما ينص عليها كتاب (نظامات الخدمة العسكرية) وهو أوثق المصادر العسكرية الحديثة : « القابلية على اعطاء القرار السريع الصحيح – الشجاعة الشخصية – الارادة القوية الثابتة – تحمل المسئولية بلا تردد – معرفة مبادىء الحرب – نفسية لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار – سبق النظر – معرفة نفسيات المرؤسين وقابلياتهم – ثقة رجاله به وثقته برجاله – المحبة المتبادلة بينه وبين قواته – شخصية قوية نافذة – قابلية بدنية – ماض ناصع مجيد » .

هذه هي صفات القائد الممتاز وهي مستخلصة من دراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ ، لذلك فهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة ، فليس من الممكن أن تتوفر في شخص واحد .

وسأحاول تطبيق هذه الصفات على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، استنادا الى تاريخه العسكري المجيد .

١ – قرار سريع صحيح :

لابد للقائد من اصدار القرارات السريعة ، لأن المواقف العسكرية تتبدل بسرعة خاطفة ، وصحيحة حتى تؤدي الى النصر ولا تؤدي الى الكوارث ولكن اصدار مثل هذه القرارات يستند الى عاملين : القابلية العقلية للقائد أولا ، والحصول على المعلومات التفصيلية الدقيقة عن العدو ثانيا .

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية النادرة التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وسلم ، تلك القابلية التي لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين ، فهو الذي بشر وأنذر ، وكافح وناقش عقليات كبيرة ، ووحد أمة ، وغرس عقيدة ، فهل يمكن أن يتم ذلك بنجاح باهر الا لعقلية جبارة نافذة ؟

أما الحصول على المعلومات عن العدو ، فيكون بدوريات الاستطلاع ، والقتال وبالعيون ، واستنطاق الأسرى ، والاستطلاع الشخصي ، وباستشارة ذوي الرأي .

لقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم في ارسال السرايا والغزوات

قبل غزوة بدر الكبرى ، هوالحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة والطرق المؤدية الى مكة والتعرف بسكانها وعقد الأحلاف معهم .

وفى غزوة بدر أرسل دورية استطلاعية لمراقبة عودة قافلة أبىسفيان وأرسل دوريات استطلاعيةأمامقواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل دوريتى استطلاع قبيل وصوله الى بدر ، وقام بالاستطلاع الشخصى ليتأكد من قوة قريش والمواضع التى وصلت اليها .

كما استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من استنطاق الأسرى الذين أسرتهم احدى الدوريات قبيل معركة بدر ، فعلم منهم بأسلوبه الرائع فى الاستنطاق ، الموضع الذى وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

٢ ـ شجاعة نادرة وارادة قوية :

شجاعته بارزة فى كل معاركه ، وفى كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

قراره قبول معركة بدر شجاعة نادرة ، وثباته أمام عشرة آلاف من الأحزاب فى غزوة الخندق شجاعة فذة ، وثباته مع عشرة رجال من أصحابه يوم حنين شجاعة تجل عن الوصف .

وقد نزل فى غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفى ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « انا كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ، وهو أقربنا الى العدو » .

وثبات النبى صلى الله عليه وسلم وحده ، تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحى عليه حتى التحاقه بالرفيق ، دليل على ارادته القوية الثابتة التى لا تتزعزع .

وذهب رجال قريش الى عمه أبى طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن أخى ! ان قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، فأبق على نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ! » ، فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : « والله ياعم ! لو وضعوا

الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، •

ان حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها أمثلة رائعة للارادة القوية الثابتة

٣ ـ نفسية لا تتبدل :

لم تتبدل نفسية النبي صلى الله عليه وسلم في حالتي النصر والاخفاق ، فقد كان مسيطرا على أعصابه سيطرة أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة في أشد المواقف حرجا في أحلك الظروف •

لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ولأصحابه في (أحد) من كل جانب ، ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الأحزاب (خاصة) بعد غدر اليهود، ولم يكن ذلك سهلا يوم (حنين) عند انهزام المسلمين وبقائه مع عشرة من رجاله فقط أمام زحف المشركين•

٤ ـ سبق النظر :

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمتع بمزيد سبق النظر في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى •

أصر على قبول شروط هدنة (الحديبية) ، لأنه فكر وسبه النظر، فعرف بفكره الثاقب ، أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين ، فهي تؤمن لهم الاستقرار الذي يتيح لهم الفرصة لانتشار الاسلام ، وهذا ماحدث فعلا، اذ كان جيش المسلمين ألفا وأربعمائة رجل في غزوة (الحديبية) ، فأصبح عشرة آلاف رجل في غزوة فتح مكة بعد سنتين •

٥ ـ الرجل المناسب للعمل المناسب :

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسيات أصحابه وقابلياتهم ، لأنه نشأ بينهم كأي فرد عادي يشاركهم في السراء والضراء •

لقد كان يعرف أن بين أصحابه أبطالا مغاوير ، فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبي دجانة، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان ابن ثابت ، فتركه مع النساء يوم (أحد) والخندق ، واستفاد من شعره البليغ• وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة ، ومن بينهم من يستطيع قيادة غيره ، ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي

بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع انجازه •

لم يعط أحدا أكثر مما يستحقه ويناسب قابلياته ، ولم يكلف أحدا أكثر مما يطيق ويقدر عليه •

٦ - الثقة المتبادلة :

كانت ثقة أصحابه به عظيمة جدا ، ويكفى أن نذكر موقف المسلمين فى صلح الحديبية ، اذ لولا ثقتهم العظيمة به لرفضوا هذا الصلح •

وكانت ثقته بأصحابه عظيمة جدا ، ويكفى للدلاله عليها أنه زج رجاله فى غزوة (بدر) بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قوته •

ولا يمكن أن يزج القائد رجاله فى معركة لا يعرف مصيرها على أعداء متفوقين تفوقا ساحقا الا اذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدا •

٧ - المحبة المتبادلة :

ظهرت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصابه ، ومحبة أصحابه له فى كل غزواته ، بل فى كل موقف له فى السلم والحرب •

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه فى غزوة (أحد) حين أحدق به المشركون من كل جانب فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال بأجسادهم •

٨ - الشخصية القوية النافذة :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى لمفاوضة النبى صلى الله عليه وسلم فى (الحديبية) ، فعاد الى قريش يقول: « يا معشر قريش ! انى جئت كسرى فى ملكة وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد : لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه ، وانهم لا يسلمونه لشيء ابدا » •

بهذا الوصف الرائع ، يصف مشرك شخصية النبى صلى الله عليه وسلم •

فما هى اسباب الشخصية القوية النافذة التى كان يتجلى بها النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام؟

لقد كان متواضعا حليما ، رؤوفا رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع أحد من أصحابه أن يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يستطيع أحد منهم أن يديم النظر الى وجهه المنير ، ولا يستطيع أحد منهم أن يرد له أمرا أو يتردد فى تنفيذه •

٩ ـ القابلية البدنية :

كانت للنبى صلى الله عليه وسلم قابلية بدنية فائقة ، وقد كان أصحابه يلجأون اليه كلما استعصت عليهم صخرة صلبة قاسية فى حفر (الخندق)، وقال لصاحبيه اللذين كانا معه يتعاقب الثلاثة على بعير فى طريقهم من المدينة الى (بدر) : « ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد شارك أصحابه فى حراساتهم وفى استطلاعاتهم وفى مسيرتهم الطويلة الشاقة فى كل شهور السنة ، وأظهر فى كل ذلك تحملا وجلدا وصبرا عجز عنه أقوى الأقوياء .

١٠ ـ الماضى الناصع المجيد :

كانت العرب تعتد بالنسب العريق، والنبى صلى الله عليه وسلم فى قريش أشرف العرب ومن بنى هاشم أشرف قريش . كذلك كان أشرف العرب حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف .

أما سيرته الشخصية قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأترك سير وليم موير يتحدث عنها ، وهو ليس عربيا ولا مسلما ، حتى يتهم بالتحيز والانحياز .

قال موير : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا فيما ينسب الى محمد فى شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ، على صورة نادرة الوجود بين المكيين » .

١١ ـ مبادىء الحرب :

مبادىء الحرب ، هى الجوهر الذى ينشىء فى القائد (السجية) الصحيحة السليمة فى تصرفاته العسكرية ، وهى التى تكوّن عناصر مسلك القائد فى الحرب بصورة طبيعية غير متكلفة .

كان يطبق مبدأ : اختيار المقصد وادامته ، وقد ظهر ذلك فى أول معاهدة عقدها مع سكان المدينة بعد هجرته اليها ، وكما ظهر بعد ذلك فى كل غزواته .

وكان يطبق مبدأ : التعرض ، ويمكن اعتبار كل غزواته وسراياه تعرضية عدا غزوتى : أحد والخندق،

اذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم فى منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين •

ان التعرض ليس معناه التحرش، بل معناه الروح الهجرمية التى يتحلى بها القائد ، لأن الدفاع وحده لا يؤدى الى نصر حقيقى بل الى نصر موضعى فقط فى حالة نجاحه ، أما التعرض فيؤدى فى حالة نجاحه الى النصر ، فهو يتعرض حين يتأكد من أن التعرض هو أنجع وسائل الدفاع •

وكان يطبق مبدأ : المباغتة ، فباغت أعداءه بالزمان والمكان وبالأساليب القتالية الجديدة وبالأسلحة الجديدة •

وكان يطبق مبدأ : حشد القوة ، فقد عمل منذ نزل الوحى عليه جاهدا لنشر الدعوة ، ثم هاجر الى المدينة لجمع رجاله فيها ، ولم يبدأ الجهاد عمليا الا بعد حشد قواته هناك •

وكان يطبق مبدأ : الاقتصاد بالمجهود ، وهو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر •

وكان يطبق مبدأ ، الأمن ، وهو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا •

وكان يطبق مبدأ : التعاون ، وهو توحيد جهود الأسلحة والقطع المقاتلة والادارية لبلوغ الغرض فى الحرب •

لقد كانت غزواته نموذجا عاليا للتعاون بين المسلمين قبل القتال وفى أثنائه وبعده •

وكان يطبق مبدأ:ادامة المعنويات، فكانت معنويات المسلمين عالية دوما مما سهل لها احراز النصر •

وكان يطبق مبدأ: الأمور الادارية وقد قرن الاسلام الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال ، بل يلاحظ فى آيات الجهاد تقديم بذل الأموال على بذل الأرواح مما يدل على اهتمام الاسلام بالامور الادارية •

جنود ممتازون

١ ـ مزايا الجند المتميز :

تتلخص مـزايا الجنـدى المتميز بما يلى :

عقيدة راسخة ، ومعنويات عالية، وضبط متين ، وتدريب جيد،وتنظيم سليم ، وتسليح جيد .

تلك هى مزايا الجنـدى المتميز فى كل زمان ومكان ، فهل كانجنود النبى صلى الله عليه وسلم يتحلون بهذه المزايا العـالية ، التى تجعلهم جيشـا قويا رصينا ، وهـل كانوا يختلفون فى شىء من ذلك عن العرب الذين ينتمون اليهم ؟

والحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هـذه المزايا الرفيعة ، فقد بذل غاية الجهد ليغرس كل هذه المزايا فى نفوس المسلمين ، وبذلك كتون منهم قـوة لا تغلب ، وكانوا قبل حين كغيرهم فى القبائل الأخرى، تطغى عليهـم الانانيـة الفـردية ، ولا يعرفون معنى الضبط والنظام ، وليستلديهم عقيدةبالمعنى الصحيح.

ليس من السهل أبدا ، أن ينجح انسان فى تبديل نفسية رجاله فى حال الى حال الا بعون الله ، ونجاحه هذا هو معجـزة واقعية أكبر وأعظم من معجزات الخيال .

٢ ـ تفصيل المزايا :

(أ) عقيدة راسخة :

آمن المسلمون برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم يقاتلون لحماية ماآمنوا به من العدوان حتى تكون كلمة الله هى العليا،وفى سبيل الدفاع عن عقيدتهم التى آمنـوا بهـا كل الايمان ، تركوا أوطانهم وأموالهم وعرضوا أنفسهم للخطر ، وقاتلـوا حتى أولادهم وأهليهم وعشيرتهم .

لقد بذلوا كل شىء رخيصـا فى سبيل الدين الذى اعتنقوه .

التقى الآباء بالأبنـاء والأخـوة بالأخـوة والأهـل بالأهـل خالفت بينهم المبادىء ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصـديق رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبـد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبـة

ابن ربيعة مع قريش وكان ابنه حذيفة مع المسلمين .

وعندما استشار النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير أسرى (بدر) ، قال عمر : « أرى أن تمكنى من فلان ، قريب عمر ، فأضرب عنقه ، وتمكّن عليا من أخيه عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه ، وتمكن الحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين » .

ولما سحبوا جثة عتبة بن ربيعة الذى قتل يوم (بدر) لتدفن فى القليب ، نظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ابنه حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه . فقال له : « يا حذيفة ! لعلك قد دخلك فى شأن أبيك شىء » ؟

قال حذيفة رضى الله عنه: «لا والله يارسول الله فما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك » .

وفى غزوة بنى المصطلق ، حاول عبد الله بن أبى رأس المنافقين أن يثير الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، فاصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بالحركة فورا حتى لا يستفحل أمر الفتنة .وعند وصول المسلمين الى المدينة ، تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبى يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمره بقتل أبيه لأنه حاول اشعال نار الفتنة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عنه قائلا لولده المؤمن : « انا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » .

وفى غزوة بنى قريظة طلب يهود حضور أبى لبابة لاستشارته ، فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم له بالذهاب اليهم . وسأله يهود : «هل ينزلون على حكم محمد ؟ » ، قال لهم : « نعم » ، وأشار الى حلقه كأنه ينبههم الى أن مصيرهم الذبح .

لم يعرف أحد من المسلمين بأشارة أبى لبابة هذه الى حلقه حين استشاره

يهود ، لكنه أدرك لفوره بأنه خان الله ورسوله باشارته تلك ، فمضى هائما على وجهه حتى ربط نفسه الى سارية فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبقى على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

وقبيل غزوة الفتح جاء أبو سفيان ابن حرب الى المدينة، فقصد دار أم حبيبة ابنته وزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنها طوت الفراش عن والدها ، لأنها رغبت بالفراش عن مشرك نجس ولو كان هذا المشرك أباها الحبيب .

لقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله ، حتى تخلل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالعباءة، وكان يملك أربعين الف دينار قبل الاسلام.

فما الذى يدفع لمثل هذه الأعمال الرائعة غير العقيدة الراسخة والايمان العميق ؟

وهل يقاتل أصحاب مثل هذه العقيدة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا أهواء الجاهلية وعصبية الأنانية وحب الفخر والظهور ؟

ان عقيدة المسلمين بسمو أهدافهم جعلتهم يستميتون فى القتال دفاعا عن تلك الأهداف .

(ب) معنويات عالية :

لا قيمة لأى جيش مهما يكن ضخما فى عدده ، دقيقا فى تنظيمه ، متميزا فى تسليحه ، مالم تكن معنوياته عالية .

كان الجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية مجهزا بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا ، وكان تنظيمه دقيقا وعدده كبيرا ، ولكن معنوياته كانت منهارة،فأصبح عبئا ثقيلا على الألمان ، فكان الحلفاء يطلقون على المواضع التى يحتلها الايطاليون تعبير:(الفراغ العسكرى) ،لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال ، كلما حاق بهم الخطر الحقيقى أو الوهمى .... فكان وجودهم وعدم وجودهم سواء .

شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل معركة (بدر) وفى أثنائها ، وقوى معنوياتهم ، حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم فى

العدد ، فكانت معنـويات المسلمين عالية فى تلك المعركة .

حتى معنويات الأحـداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما جرى فى تسابق ابنى عفراء لقتل أبى جهل .

هل كان بامكان المسلمين الانتصار فى غزوة (بدر) والقيام بمطـاردة المشركين بعد يوم فى غزوة (أحد)، والثبات فى غزوة الأحزاب ، والاقدام على غزوة (تبـوك) ، لو لم تكن معنوياتهم عالية جدا ؟

وكما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على رفع معنويات أصـحابه بشتى الطرق والمناسبات ، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق والمناسبات أيضا،وما كانت غـزوة (الحديبية) و (عمـرة القضاء) وغزوة (تبوك) الا معارك معنويات لا معارك ميدان .

ان عمرة القضاء فتحت قلـوب أهل مكة ، لأنها حطمت معنوياتهم ، وغزوة الفتح فتحت أبوابها .

كما أن نتيجة غزوة (تبـوك) اندحـار معنـوى للروم ، وبذلك اطمأن العرب الى أن بامكانهم مقاتلة الروم،وكانوا سابقا يظنون أن ذلك من المستحيلات .

لقد استهدف الرسـول صلى الله عليه وسلم فى كل غزواته تحطيـم معنويات أعدائه،بل انه كان يستهدف تحطيم المعنـويات أكثر ممـا كان يستهدف تحطيم القوى المـادية لأنه كان يطمع دائما فى عودة أعدائه الى الصراط المستقيم والهداية ، فيحرص على بقائهم أحياء طمعا فى هدايتهم: «اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون» .

ان أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت معارك معنـويات تؤثر فى النفوس والقلوب ، لا معارك خسائر تؤثر فى الأرواح والممتلكات.

ويجب ألا ننسى هنا أثر اعتقـاد المسـلمين بالقضـاء والقدر فى رفع معنوياتهم لاقتحام الأخطار بشجاعة خارقة ، لأن القدر سيكون حتمـا والشهيد فى الجنة ، وانما هى احدى الحسنيين ، النصر أو الشـهادة : (قل هل تربصون بنا الا احـدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنـده أو بأيدينا) .

(ج) ضبط متين :

كان المسلمون يطيعون النبى صلى الله عليه وسلم اطاعة لاحدود لها، وينفذون أوامره حرفيا بدون تردد وبكل حرص وامانة مهما تكن ظروفهم صعبة وواجباتهم شاقة •

وليس هناك ما يسوغ ذكر أمثلة على قوة ضبط المسلمين ، لأن الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولان الاطاعة فى الاسلام دين : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)•

(د) تدريب راق :

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتدريب أصحابه على الرمى وركوب الخيل ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من ترك الرمى بعد ما علمه ، فانما هى نعمة كفرها)•

ولم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمى وركوب الخيل وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الفردى ••• بل دربهم على تشكيلات مسير الاقتراب وأساليب القتال وواجبات الحراسات والخفراء وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الاجمالى •

اتخذ التشكيلات التعبوية المناسبة فى مسير الاقتراب فى كل غزواته ، فأمن بذلك الحماية اللازمة لقواته وحرم العدو من مباغتتها •

وقاتل بأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر) ومعركة (أحد) وفى أكثر غزواته الأخرى ، ونظم المواضع الدفاعية وراء (الخندق) فى غزوة الأحزاب وأمن حراسة النقاط الخطيرة فى ذلك الخندق •

وقام بقتال المدن والأحراش فى قتاله ضد يهود ، كما قامت سرية أبى سلمة رضى الله عنه بالهجوم فجرا على بنى أسد ، والنجاح فى هذين القتالين يدل على تدريب راق•

كما قام بمسيرات طويلة شاقة فى مختلف الظروف والأحوال ليلا ونهارا ، مما يمكن اعتباره تدريبا عنيفا •

كل هذا التدريب الفردى والاجمالى والتدريب العنيف ، جعل

تدريب المسلمين راقيا ، وجعلهم قادرين على القتال بكفاية فى مختلف الظروف والأحوال .

(هـ) تنظيم سليم :

كان جيش المسلمين مؤلفا من المهاجرين والأنصار ومسلمى أكثر القبائل المعروفة حينذاك ، ومعنى ذلك : أن جيش المسلمين كان مؤلفا من كل القبائل العربية لا من قبيلة واحدة ، لهذا فان انتصاره لا يُعد فخرا لقبيلة دون أخرى ، كما أن اخفاق أية قبيلة فى التغلب عليه لا يُعد عارا عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، انما كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغيرهم .

اننى أعتقد أن هذا التنظيم الذى لا يخضع الا للعقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومة جيش المسلمين حرصها على مقاومة قبيلة خاصة ، وهذا سهل مهمة المسلمين فى القتال .

(و) تسليح جيد :

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج جيدا ، بعد أن كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوة الخندق .

يكفى أن نسمع وصف الكتيبة الخضراء التى كان على رأسها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقد كان أفرادها لا يُرى منهم الا الحدق من الحديد .

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على صناعة السلاح فقال : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صناعة المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والمعد له ، فارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الىّ من أن تركبوا » .

حرب عادلة

١ ـ معنى الحرب العادلة :

« هى حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الانسانية ، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب

احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن » •

هذا هو معنى الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر قوانين الحرب والحياد فى القانون الدولى •

الحرب العادلة اذاً ، حرب دفاعية لا عدوانية ، تستهدف تحقيق سلم دائم ، أغراضها انسانية ، تحترم حياة وأملاك الأبرياء ، وتعامل الأسرى والرهائن بالحسنى •

ان شروط الحرب فى الاسلام قبل أربعة عشر قرنا كانت أكثر عدلا مما تنص عليه مصادر القانون الدولى فى القرن العشرين ؛ فهى بالاضافة الى ذلك لا تثيرها العنصريات ولاحب الأمجاد ، وليست لأغراض مادية أو استعمارية ، وتدافع عن حرية الرأى والعقيدة •

٢ ـ تفصيل معنى الحرب العادلة :

(أ) حرب دفاعية :

ارتكبت قريش كل الظلم والعدوان ضد المسلمين عندما كانوا فى مكة ، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم وأهليهم والهجرة من مكة الى الحبشة أولا والى المدينة أخيرا تخلصا من هذا الظلم والعدوان •

هاجر أكثر المسلمين من مكة فرارا بعقيدتهم فقط ، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل ومال ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبيتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين فى الأرض من المسلمين الذين عذبتهم قريش ولقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب •

حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، لاقى التكذيب والاهانة واستمع بصبر عجيب الى دعايات قريش الكاذبة ضده ومكافحتها العنيفة للدين الجديد •

وقد نجا الرسول صلى الله عليه وسلم من مؤامرة قريش المحكمة التى دبرتها لاغتياله ، كما نجا من مطاردة قريش له فى هجرته من مكة الى المدينة متحملا المشاق والأهوال •

فأى ظلم وعدوان أكبر من هذا الظلم والعدوان الذى أصاب المسلمين ؟ ولكن الرسول صلى الله

عليه وسلم عندما فتح مكة قال لقريش : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » !!

لم يقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا الا مضطرا لقتاله ، وكل غزواته كانت لرد اعتداء خارجى أو داخلى لاحباط نية اعتداء ، ولم يجد من عدو ميلا للسلام الا بادر الى تشجيع هذا الميل ، والارتباط بهذا العدو بالمحالفات .

ان دراسة أسباب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بروح محايدة بعيدة عن الهوى ، تثبت أن المسلمين لم يعتدوا على أحد ، لأن الله لا يحب المعتدين .

كما أن تلك الدراسة تثبت أن المسلمين لم يريدوا بقتالهم اكراه الناس على الدخول فى الاسلام ، فقد بقى كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح وشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (حنين) ، وكان المسلمون يعرفون أن هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الأولى ، ومع ذلك لم يجبرهم أحد على تبديل دينهم : (لا اكراه فى الدين) ... (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ !

من هؤلاء صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وكلدة بن الجنيد .

ألم يكن بامكان المسلمين أن يجبروا هؤلاء على اعتناق الاسلام ، بعد أن استسلمت قريش وفتحت مكة أبوابها للمسلمين ؟ ؟

ان القول بأن هدف القتال فى الاسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند الى الواقع ، ولكن هدف القتال هو حماية حرية نشر الدعوة ، وحماية الدعوة واقرار السلام ، وشتان بين الهدفين .

ومع أن الحرب الاسلامية دفاعية لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، الا أن هذا الدفاع غير مستكن ، بل هو دفاع تعرضى كما يسمى فى المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبدءون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم المضاد لسحق قوات المعتدين .

(ب) حرب لتوطيد السلام :

أظهر مشركو المدينة ويهودها بعيد هجـرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ميلا الى السلم ، فشجع الرسول صلى الله عليه وسلم هـذا الميـل السلمى وعقـد معهم معاهدة أمنت لجميع سكان المدينة حرية الرأى والأمن •

وقد حالف الرسول صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أظهرت رغبتهـا فى السلام كما فعـل مع بنى ضمرة فى غزوة (ودان) ومـع بنى مدلج فى غزوة (العشيرة) ومـع قريش فى غزوة (الحديبية) •

بل كان الرسـول صلى الله عليه وسلم يبذل كل جهده لتحقيق أهدافه السـلمية ، حتى لو أدى ذلك الى تذمر قسم من أصحابه ، كما حدث فى غزوة (الحديبية) •

ان السـلام يضمن الاستقرار ، وقـد انتشر الاسلام فى فترة صلح (الحديبية) ــ وهى فترة سلام ــ انتشارا عظيما بين الناس لم ينتشره فى أيام الحرب ، بل ان انتشاره فى أيام السـلام كان أضعافا مضاعفة لانتشاره فى أيام القتال •

ان الجنوح الى السـلم دين : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) ، فلا عجب اذا رأينا الرسول صلى الله عليه وسـلم يقبل بل يشـجع كل العروض السلمية التى تقـدم بهـا أعداؤه فى كل مكان وزمان •

ان السلم فى الاسلام هى القاعدة الثابتة ، والحرب هى الاستثناء •

ولكن الاسـلام يدعو للسـلام لا للاستسلام : يسالم من يسـالمه ويعادى من يعاديه ، فلا يعتدى على أحد ولا يظلم أحـدا ، ولا يرتضى للمسلمين الظلم والعدوان •

(ج) حرب انسانية :

اولا : احترام الأبرياء :

لم يتعرض الرسـول صلى الله عليه وسلم لغير المقاتلين فى غزواته ، وحرص على صيانة واحترام أرواح وأموال الأبرياء •

لمـا استسلم بنو قريظة ، قتـل المسـلمون الرجـال الذين قاتلوهم

(فعلا) لأنهم خانوا عهودهم وعرضوا المسلمين للفناء . اما الأطفال والنساء من بنى قريظة فلم يصابوا بأذى ، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من يهود لم يصابوا بسوء أيضا .

والمرأة الوحيدة التى قتلت من بنى قريظة ، هى التى قتلت مسلما بقذفه بالرحى من فوق سطحها ، فكان قتلها عقابا لها على جنايتها هذه ، كما هو واضح ومعروف .

ولما خرج المسلمون لغزوة (مؤتة) أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم بألايقتلوا النساء والأطفال والمكفوفين ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار .

ان البرىء لايؤخذ بجريرة المذنب: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، هذا هو مبدأ الاسلام الذىلا يحيد عنه.

ثانيا : الأسرى والرهائن :

أسرالمسلمون سبعين أسيرامن قريش فى غزوة (بدر) ، فقسم ثمانية وستين أسيرا من هؤلاء على أصحابه قائلا : « استوصوا بالاسارى خيرا » .

ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال ، أما الفقراء فأطلق سراح قسم منهم دون مقابل ، وكلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيرا ، لأنهما أجرما بحق المسلمين وعذب المستضعفين منهم وشنعا على الاسلام ، فكان قتلهما لجرائمهما لا لأنهما أسيرن .

ان هذين الأسيرين كانا (مجرمى حرب) كما يطلق عليهما فى التعابير العسكرية الحديثة وعقابهما كان جزاء لما جنت أيديهما من ذنوب وآثام .

كما فادى الرسول صلى الله عليه وسلم الأسيرين الذين وقعا بأيدى سرية عبد الله بن جحش ، فأسلم أحدهما وعاد الثانى أدراجه الى مكة آمنا .

ذلك ما طبقه المسلمون بحق الأسرى ، وهو ما ينطبق على أحدث قوانين معاملة الأسرى فى العصر الحاضر .

أما الرهائن ، فلم يرو التاريخ أن المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن أمانة ، والقرآن الكريم يقول : (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

ثالثا : الجرحى والقتلى :

كان قسم من أسرى المشركين فى غزوة (بدر) الكبرى جرحى ، وقد اعتنى المسلمون بتمريضهم عنايتهم بجرحاهم سواء بسواء .

ولم يهمل المسلمون قتل المشركين فى (بدر) ولم يتركوهم فى العراء ، وقد دفنهم المسلمون كما دفنوا قتلى المسلمين .

أما المشركون فقد مثلوا بشهداء المسلمين فى (أحد) أفظع تمثيل .

٣ ـ حرب عقيدة :

(ا) لا اغراض شخصية :

لم تعلن الحرب فى الاسلام لأغراض شخصية ، لأن الاسلام فى حقيقته دعوة للمصلحة العامة وتقديم للصالح العام ، ولو أدى ذلك الى تناس مصالح الأشخاص .

ولم تعلن هذه الحرب لأطماع شخصية وحب السيطرة والأمجاد ، فقد بعثت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هادىء ، فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : « يا ابن أخى : انك منا حيث علمت من المكان والنسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم : فرقت به جماعتهم ؛ فاسمع منى أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها . ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا » . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكترث بكل هذا الاغراء .

واشتدت عداوة قريش ، وعظم على أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم فراق قومه وعداوتهم له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياعماه ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يردد دائمـا قـوله تعالى : (قل : انمـا أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) ، ولم يترفع أبدا عن الفقـراء والضـعفاء والمساكين والخدم ، وسيرته فى كل ذلك مضرب الأمثال •

ان حماية حرية نشر العقيدة هى التى أثارت الحرب فى الاسلام ، ولم يكن من أسباب اثارتهـا الأغراض الشخصية من بعيد أو قريب •

(ب) حرب لا عنصرية :

ليس الاسـلام دينا لقبيـلة دون قبيلة ، ولا لأمة دون أمة ، ولا للعرب دون العجم ؛ ولكنه للناس جميعـا للعالمين !••• (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) ، فالاسلام يعمل لفكرة جليلة ، فكرة وحـدة الناس تحت لواء الاسـلام •

انه دين يقاوم العصبية والتعصب ويكافح العناصر والأجناس ، لأنـه يريد أن يجمع العالم كله على صعيد واحد : لتوحيد كلمتهم وتوحيد الله •

(انما المؤمنون أخوة) ، و « ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى» ، و « سلمان منا آل البيت » ، كلها معناها : ان الاسـلام قومية ودين تنصر فيـه كل قوميـة وكل دين ، هو دنيا ودين •• سيف وكتاب •• مذهب فى الحياة •

ان الحـرب الاجماعية التى دعا اليها الألمـان ترتكز على العنصرية الجرمانية ، وهناك التفريق العنصرى بين البيض والسـود فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى جنوب افريقية وغيرها من البلاد ، كل هذا يجرى فى القرن العشرين عصر النور والمدنية والذرة والصواريخ عابرة القارات•

أما الاسلام قبل أربعة عشر قرنا، فقد قاوم العنصريات والأجناس ودعا الى توحيـد الأهداف ، فمن آمن بالاسلام كان دمه وعرضـه وماله حراما على المسلمين : « المسلم أخو المسلم » •

كان الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش ، ولكنه قاتل قريشا حين اعتدت على المسلمين ! وكان عربيا،

ولكنه قاتل قومه العــرب دفاعا عن الاسلام •

ولمـا تصدى الروم لعرقلة دعوته، قاتلهم • وبعـد أن التحق بالرفيق الأعلى ، قاتل خلفاؤه الفرس والروم وغيرهم من الأقوام والأجناس •

والذين كانوا أعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسـهم قبـل اسلامهم ، انصـهروا بعد اسـلامهم بالمسلمين ، فأصـبح عليهـم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين •

ان الاسـلام ساوى بين الناس فى الدنيا وفى الآخرة ••• أمام النـاس وأمام الله : (ان أكرمكم عند اللـه اتقاكم) •

(ج) حرب لا مادية :

لم يكن من أغـراض القتـال فى الاسـلام الاستحواذ على المـادة والبحث عن الأسـواق والخامات واسترقاق المرافق وفرض الاستعمار •

خرج المسلمون للتصـدى لقافلة أبى سـفيان بن حرب العائدة من الشام فى غزوة (بدر) الكبرى لأنهم أرادوا أن يحرموا قريشا من طريق مكة ـ الشـام التجارية فيؤثرون بذلك فى أوضاعها الاقتصادية حتى يخففـوا من غلواء عـدوانهم على المسلمين •

ولكن تلك القافلة أفلتت من أيدى المسلمين ، ومع ذلك اصطدمت قواتهم بالمشركين ، وكان بامكانهم العودة الى المدينة بأمن وسـلام بكل يسر وسهولة •

ولو كانت النـاحية المـادية هى التى دعتهم للخروج الى (بدر) ، لعادوا أدراجم عندما علموا بوصول قافلة قريش سالمة الى مكة •

وبعـد غـزوة (حنين) ، انتظر الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى شهر قدوم وفد هوازن اليه ليعيد اليهم ماغنمه المسلمون من أموالهم ، ولكنهم لم يحضروا ، فاضـطر الى تقسيم الغنـائم ، وأعـاد السـبى الى وفـد هوازن الذى وصـل بعد تقسـيم الغنائم على الناس •

ولكن ما هو نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنائم؟ انه الخمس، وهذا الخمس مردود عليهم ، لأنه يصرف فى مصالحهم العسكرية وغير العسكرية ، فهل أبقى الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا من المال ؟

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ، وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل، وماسقوه شرب» .

وقالت : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقالت : « كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ، ان هو الا التمر والماء » .

وقالت : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندى شىء يأكله ذو كبد ، الا شطر شعير فى رف لى . وتوفى ودرعه مرهونه عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير »

ذلك ما أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأهله من متاع الدينا، ولو كانت له رغبة فى المادة ، لأبقى لنفسه مال زوجه خديجة ، وهو مال كثير !!

ان الأهداف الرفيعة تتعب الأجساد والنفوس فى الحصول عليها ، وقد أتعب الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وأهله وأصحابه فى سبيل أهداف الاسلام ، ليكون أسوة حسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان .

٤ ـ حرب مثالية :

ان تعريف الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر القانون الدولى ، بالرغم من أنه حبر على ورق بالنسبة لكل الحروب قديما وحديثا ، الا أنه قاصر عن الوفاء بحق تعريف القتال فى الاسلام .

ان أصح تعبير يمكن اطلاقه على تلك الحرب هو : الحرب المثالية .

مثالية : لأن أهدافها الدفاع عن حرية الرأى وتوطيد أركان السلام: تصون أرواح وأموال الأبرياء

والضـعفاء ، وتعطف على الأسرى والرهائن، وتواس المرضى والجرحى، ولا تمثل بالقتلى بل تدفنهم كقتلاها، ولا تثيرها الأغـراض الشخصـية ولا العصـبية ولا المنـافع المـادية ولا الاستغلال والاستعمار .

فاذا لم تكن هذه الحرب مثالية ، فأى حرب فى التاريخ كله يمكن أن يطلق عليها هذا التعبير ؟

لاعجب اذن اذا استطاعت هـذه الحرب أن تسيطر على العقول بالمثل العليا قبل أن تسـيطر على الحصـون والقلاع بالسلاح والرجال .

ان هـذه الحرب المثالية ، جعلت جـراح المغـلوبين تلتئم بسرعة ، فينضمون طائعين الى الغالبين، ليكون الغالبون والمغلوبون جميعا تحت راية واحدة ، هى راية الاسلام .

ولو كانت حربا ظالمـة لمـا دام الظلم ، لأن الظلم لا يدوم ، وان دام دمر الغالب والمغلوب ، فهل يفقـه الظالمون ذلك ، أم على قلوب أقفالها؟!

ولكنها كانت حربا عادلة الى حدود المثالية ، فاستجاب العرب لأهدافها العـالية ، ثم حملوا رسـالة تلك الأهـداف الى العـالم ، واستجاب لهـا الفرس والروم وكثير من الأمم والقـوميات الأخرى ، ثم حمـلوا بدورهم مشعل هدايتها شرقا وغربا، فاستنار الشرق بنور الاسـلام على حين كان الغرب فى دياجير الجهـل والظلام .

اللواء الركن : محمود شيت خطـاب

الأزهر الشريف

يدعو الراغبين من الناشرين والأفراد

فى اقتناء « المصحف الشريف »

طبعة الأزهر

إلى التقدم بطلباتهم إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بإدارة الأزهر — القاهرة — لحجز الكميات المطلوبة لهم بسعر التكلفة وهى :

١٠٠ قرش للنسخة الواحدة المجلدة .

٨٠ قرشا للنسخة الواحدة غير المجلدة .

وهناك تخفيض خاص بالنسبة للمشترى بالجملة .

وتورد القيمة نقدا أو بشيك باسم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢٠٠٢-١٩٧٧-١٠١٨

they should have with the people of the Book and with the belligerent powers and with their own allies. In others they were taught, trained and organised to carry out their obligations as vicegerents of the Lord of the Universe. Some gave instructions for their guidance, and warned them of their weakness and exhorted them to sacrifice their lives and properties in the way of Allah. Others taught the moral lessons they needed in defeat and victory, adversity and prosperity, war and peace. In short, these traned them to carry on the missionary work for the propagation of Islam as the successors of the Holy Prophet. Then some discourses invited to Islam the people of the Book, the hypocrites, the unbelievers and the blasphemers, or rebuked them for their hardheartedness or warned them of the doom in store for them or admonished them for neglecting lessons from the stories and events of the past, so as to leave no excuse for their sticking to the wrong ways of life.

This is the background of the surahs that were revealed during the ten years at Al-Madinah. It is obvious that their style had to be different from that of the Makki Surahs.

ENGLISH SECTION

which have always been universally accepted and which have always formed the basis of the enlightened Divine civilization.

Several changes took place during the Makki stage of the Movement. It spread wider and wider, days by day, and the opposition to it became stronger and stronger in the same proportion. By and by, it came into contact with the people of different creeds and different ways of life and this gave rise to new problem. The discourses, therefore, began to deal with various new topics as well. This explains the difference of their style from those of the earlies ines.

This is the background of the Surahs which were revealed during the thirteen years of Makki life.

MADANI SURAHS

After facing opposition for thirteen years in Makkah, the Islamic Movement found a new centre in Al-Madinah where it became possible to collect all its followers from the various parts of Arabia and to unify and strengthen them. Accordingly, the Holy Prophet and the majority of the Muslims migrated to Al-Madinah.

Then the movement entered its third stage under totally changed conditions. Now that the Muslim Community had succeeded in founding a regular state, an armed encounter enused with the exponents of the old order of ignorance. Besides this, the Jews and the Christians came into conflict with it, even though they also professed to be the followers of Prophets. It had also to deal with different kinds of hypocrite Muslims who had somehow or other entered its fold. But inspite of all those obstacles, The movement succeeded in subduing the whole of Arabia after a hard struggle of ten years and was in a position to extend its universal message of reform to the outer world.

As, by and by, several changes took place in this stage also, and every changed condition had its own special problems, so Allah revealed to the Holy Prophet the kind of discourses required for any particular occasion. That is why some of these were couched in the fiery rhetoric of a warner and the others in the form of the royal edicts of the lawgiver. Some adopted the method of a teacher, trainer and reformer and taught the principles and the methods of organizing a community, of building up a state and of constructing a good civilisation for the conduct of different affairs of life. Others gave instructions for dealing with the hypocrites or the unbelievers, who had come under the protection of the Islamic State. Then in some of these discourses, the Muslims were taught the kind of relations

Islam. The world, therefore, could not help feeling the moral superiority of the Movement that was so thouroughly transforming the characters of its followers.

All through this long and bitter struggle, Allah continued to reveal, according to the requirements of the occasion, inspiring addresses which highly influenced the thoughts and conduct of the hearers. On the one hand, these adresses instructed the Muslims in their primary duties, infused into them the spirit of loyalty and devotion to bind them together as members of the Muslims Community and taught the ways of piety, high morality and purity of character and trained them to be true missionaries of Islam. On the other hand, these messages consoled, comforted and encouraped the Muslims with promises of succes in this world and of eternal blis in the Hereafter. They urged them also to exert their utmost in the way of Allah with fortitudemendurance and courage. The Muslims were so imbued with the spirit of sacrifice for this noble cause that they were ready to bear every kind of affliction and fight against the bitterest oppsition. At the same time, these addresses administered warnings to those people who were opposing the movement and those who were indifferent to it. Examples were oited from the history of the neighbouring peoples as proof thereof. Their attention was also drawn to the ruins of the habitation by which they used to pass during their journeys : these were held cut as object lessons. They were asked to observe the phenomena of Nature they saw day and night on the earth and in the heavens as a proof of the Unity of God and of the inevitable Hereafter.

The early addresses exposed the plasphemy of the idolaters and their association of partners with Allah and their worship of the old trajitions so vividly as to convince all fair-minded persons of their error. They refuted their misconception that they were independant of God and not accountable to Him in the Hereafter with such clear reasoning as to leave no doubt in their hearts and minds. Every doubt was dispelled and every objection answered and every inticacy and complication, in which they were entangled and in which they were involving others, was unfolded and unravelled. In short these addresses proved clearly and conclusively that the old days were based on ignorance and were utterly void of. Side by side with this, the dis-believers were admonished for their immorality, their wrong ways of life and customs of ignorance and their opposition to the Truth and their persecution of the Believers. These early addresses also put forward those basic principles of culture and morality

They were so charming that they attracted the attention of the hearers, who began to repeat them because of their beauty and elegance. Though universal truths were enunciated in these messages, they were given a local colour and were supported by arguments; examples and illustrations from the environment with which its first addresses were quite familar. In order to impress the adresseeg effectively, these early addresses were confined to their own history, their traditions, their monuments, their beliefs, their morality and their evil ways.

This early stage of the Movement lasted for four years or so with the result that a few good people accepted its message and formed the nucleus of the future Muslim Community. But the large majority of the Quraish began to oppose it because, in their ignorance, they thoght that it his hard at their vested interests and lusts and the old traditions of their forefathers. The message of the Quran, however, went on spread ing beyond the boundaries of Makkah and reached other clans.

Then the Movement entered its second stage which continued for nine years of so and fierce struggle began with the old order. Not only the Quraish but also the majority of its upholders also rose up to kill the Movement employing all sotrs of weapons or at least to supress it They made false propaganda and levelled accusations and raised frivolous bojections , against it. They spread suspicions and doubts in other to alienate the common people from it They hindered strangers from listening to the Holy Prophet and inflicted all sorts of cruelties on those who accepted Islam. They boycotted the Muslims socially and econmically in order to intimidate and coerce them. Their persecution had been so unbearable that some of them had to leave their homes twice for Abyssinia, and at last all of them had to migrate to Al-Madinah But in spit of persecution and hindrances, the Movement went on spreading. There was hardly a family or a household left in Makkah from which one person or the other had not accepted Islam. Naturally this produced bitterness in the hearts of the oponents of Islam. The persecution became all the more bitter when they saw that their own brothers, nephews, sons, daughters, sisters, etc., had accepted Islam and became its faithful and strong supporters and were ready to defend it even with their lives.

The Movement also got impetus from the fact that it was drawing into its fold the best from among people who became the embodiments of virtue after accepting

concerned is to expound the reality, to remove misunderstandings and mis-conceptions about it, to impress the Truth upon the minds, to warn them of the consequences of wrong attitudes and to invite humanity to the right way. The same is true of the criticism of the creeds, of the moral systems, of the deeds of men and communities and of its discussions of the problems of Melaphics etc. That is why it states or discusses or cites a thing only to the extent relevant to its aims and objects and leaves out unnecessary and irrevelant details and turns over and over again to its Central Theme and to its invitation round which every other topic revolves. When the Quran is studied in this light, no doubt is left that the whole of it is a closely reasoned argument and there is continuity of subject throughout the Book.

BACKGROUND.

One cannot understand fully many of the topics discussed in the Quran unless one is acquainted with the background of their revelation. One should know the social, historical or other antecedents or conditions which help explain any particular topic. For, the Quran was not revealed as a complete book at one and the same time ; nor did Allah hand over a written dopy of it to Muhammed (Allah's peace be upon him) at the very beginning of his mission and command him to publish it and invite people to adopt a partidular way of life. Morever, it is not a literary work of the common conventional type that develops its central theme in a logical order ; nor does it conform to the style of such a work. The Quran adopts its own style to suit the guidance of the Islamic Movement that was started by Allah's Messenger under His direct command. Accordingly, Allah revealed the Quran piece-meal to meet the requirements of the Movement in its different stages.

MAKKI SURAHS

When the Holy prophet was commanded to start his mission at Makkah, Allah send down such instructions as the Messenger needed for his own training for the great work that was entrusted to him. The Quran imparted also the basic knowledge of the Reality and gave brief answer to the common mis-understandings that misled to adopt wrong ways of life and invited them to accept the basic principles of morality and adopt the right attitude that alone leads to the sucess and welfare of humanity.

These early messages consisted in short and concise sentences and were couched in a very fluent and effective language to suit the taste of the people to whom they were first addressed. Their excellent literary style was so appealing that it touched their very hearts.

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE 'QURAN'-II

By

Maulana Abul A'ala Maududi

Central Theme

Now that we have come to know the nature of the Quran, it has become easier to determine the subject it deals with, its central theme and its aim and object.

The subject it deals with is Man: it discusses those aspects of his life that lead either to his real success or failure.

The central theme that runs throughout the Quran is the expotion of the reality and the invitation to the Right Way based on it. It declares that Reality is the same that was revealed by Allah Himself to Adam at the time of his appointment as vice-gerent, and to all the Messengers after him, and the Right Way is the same that was taught by all the Messengers. It also points out that all theories contradictory to this reality, inented by people about God, the universe, Man and his relations with God and the rest of His creation, are all wrong and that all the ways of life based on them are erroneous and lead to ruinousconsequences.

The aim and object of the revelations is to invite Man to that Right way and to present clearly the guidance which he lost because of his neglegance or has perverted by his wickedness.

If the reader keeps these three basic things in mind, will find that in this Book there its no incongruity in the style, no gape in the continuity the subject and no lack of interconnection between its various topies. As a matter of fact, this Book is not irrelevant anywhere with regard to its Subject, its Central Theme and its aim. From its very beginning to its end, the different topics it deals with are so intimately connected with its Central Theme that they may be likened to the beautiful gems of the same necklace, despite their different colours and sizes. The Quran keeps the same object in view, wether it is relating the story of the creation of the earth or of the heavens or of Man or is reffering to the manifestation in the Universe or stating events from human history. As the aim of the Quran is to guide Man and not to teach nature study or History or Philosophy or any other sciene or art, it does not concern itself with these latter subjects. The only thing with which it is

confemably to their original from, God would establish her power on earth, entitle her to victory, and fulfil the Promise He had announced in His Holy Book :

"God hath promised such of you as beleive and do good works that He will give them the succession in the earth as He gave the successions to those before them, and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safety after their fear. They shall worship Me ; they shall not associate aught with Me. Those who disbelieve, henceforth, they are miscreants". (XXIV, 55).

But if the Muslim Nation failed to adhere closely to the teachings of the Islamic Message, there would be no reason to justify her existence, neither would be there any meaning for her survival. Were she to be blotted out, there would be no regret for her disappearnace. The world not, then, lose, through her annihilation, any essential elemant for righteous life.

Nevertheless, the Muslim Nation had come into being so as to stay and to survive. He is liable to be disciplined by God from time to time, so as to return to Him. Such correction is done to individuals, in order that they might revert, in penitence and surrender, to their Lord ; as it is done to groups so as to take refuge in Him, through the application of His Message, and compliance with His Principles.

in Truth and Justice". (VI, 116). That is to say that God's Word is fulfilled in truth, respecting the articles of Faith, and fulfilled in justice, as regards, legislation.

Out of this can be perceived the logical argument in God's saying : "But nay, by thy Lord, they will not believe (in truth) until they make thee judge in all disputes between them, and find within themselves no dislike of that which thou decidest, and submit with full submission". (IV, 65).

The Islamic Message declared that mildness and mercy be an integral part of good conduct. "Belivers) are compassionate amongst each other". (XLVIII, 29).

Compliance with these definite principles, as they had been Divinely laid down, expounded in the Holy Book, and put into practice by the Prophet, until they had been made self-evident, without the slightest shade of ambiguity, had become incumbent duties, identified with (the basic rule of) enjoining what is right and forbidding what is worng.

As to the physical aspect of the Message, we find that it had admitted the means for safe-guarding its principles against all sorts of (interference and) aggression. (In this respect, God the Almighty says .) "Make ready for them all thou canst of (armed) force" ? (VIII, 60).

This rule intended for defence and the repulse of aggression, requires that the Nation have recourse to all possible means in the fields (of science), such engineering, chemistry, medicine, etc. ; besides industry that has to be fully developed, and laboratories for scientific research that have to be adequately equipped.

It is to be remarked that those in charge of conveying a Message should yield an effective power for the defence and maintenance of what they endeavour to propagate.

Thus, the Islamic Message had been precisely determined and defined by God, Glory be to Him.

It is a Message that imposes the incumbent duty of sustaining it by physical force.

It is a message that imposes the incumbent duty of sustaining it by physical force. It has to be upheld and maintained in its clear and pure form by those who enjoin what is right and forbid what is wrong.

These princples, (emanating from the Divine Message), as precisely and distinctly by the Holy Quran and the Prophetic Sunna, account for the rise of the Muslim Nation ; and are at the same time, considered as the reason that justifies her existence, persistence, and survival.

So long as the Muslim Nations puts these principles into effects,

It is solely their deep faith to which goes the credit of their victorious march (and miraculous advent), as it is also due to their strainous efforts to apply the teachings of the Message that had established the unty of the Muslim Nation.

"Verily, this your "ummat", (nation) is one nation, and I am your Lord, so worship Me'' XXI, 92). And verily this nation of yours is one nation, and I am your Lord, so keep your duty unto Me''. (XXIII, 52).

Thereby, the borders and obstacles, facing the Faithful had been annihilated. The first region to be unified was the Arabian peninsula. Then, there came into existence the (mighty) Islamic Nation, covering a tremendous area. The Message had established unity within the sphere of the articles of faith.

Yet the Message was not confined to man's testimony that there is no god but God. It rather tended to raise him up to a higher degree of sublimity His profession of God's Unity means, as well, that he testifies that God be the Witness of everything he adheres to or leaves aside, in his speech and silence, movement and quietness. He believes that God is the Testifier of his intents, and his works. His Lord, be He Exalted, domintes the fram of his life. Thus, he follows what God had decreed, and complies with what is pleasing to Him.

This is the unity underlying bondage to God. Once the unity of bondage is practised by the believer or the nation, the means of access to God, be He Exatded would certainly be secured (as stated is the reported saying) : "If he asked me, I would bring to being what he asked for, and if he sought My Refuge. I would protect him."

The Islamic Message declared that beotherhood should be the guiding principle for the believers in their mutual relationships (conformably to God's Saying in the Quran): "The believers are naught else than brothers" "(XII, 10).

The atmosphere of fraternity and fellowship among the believers is the ideal they have to seek in their relationships, and the predominating principle in co-operation in all sorts of good works.

The Islamic Message established, as well, justice in law, the norms of which are not human but Divine since the code embodied in the Message does not emerge from human speculation which is liable to be either righ or worng. It is an Infallible Revelation coming from the Almighty.

God, be He Exalted, says : "Perfected is the Word of the Lord

foremost Aspect of this Divine Care is that the Almighty had made it, through its Divine Style, Miraculous Eloquence, and Unremitting Revelation, the source of guidance to the Muslim Nation.

One more Aspect is that God, Glory be to Him, had made secure its preservation. "We have, without doubt, sent down the Message, and We will assuredly guard it (from corruption)," (XV ; 9)

This Protection (God had afforded), has rendered the Holy Quran an ever-existing Reminder to the world at large up to the Day of Judgement. It is the Quran which has always disproved in reigorous logic and self-evident arguments, the pretensions of anyone who might arise to pose as a prophet after Muhammad.

With its Divine Style, and God's Guarantee to guarc it (against corruption and alteration), the Holy Quran shes the mere spculation about the need of novel Dlvine Message.

God, be He Exalted, said of His Blessed Messenger that he is "the Seal of the Prophets," (XXXLLL, 40). The fact that the Arabic word khatam, seal is read by vocalising the letter (t) by both "fatha" and "Kasra" (Khatam and Hatim) the two readings being reported by consecutive narrators to have been uttered by the Prophet this fact closes all the gaps in the face of those who attempt posing as prophets through fraud and imposture.

God had sent down the Holy Quran in a divine Style out of the Care had bestowed upon the Islamic Message. One of the Features of God's Providence, revealing the individuality of the Muslim Nation is the fact that the Prophet, before his death, had effectively applied the teachings of the Message.

Thus the Islamic Message, after having been, in its initial stages a theoretical Call, had come to be a practical one. It had been turned into a concrete fact, seen and feard. It had been tried, and the trial proved a success.

When the Message came to be applied, it could remove all the hinderances in its way. It had swept away, in its sacred advance, all sorts of falsehoods. The world of corruption submitted to the sway of righteousness.

An Orientalist, depicting the impression gained by those who read the history of the arly conquests of Muslims, won through the application of Islamic teachings, raised the question: Had Muslims either conceived the world to be of a small size, or had the earth been easily rolled up underneath their feet, Yet earth's regions had never been circumscribed, nor had they been rolled up underneath their feet .

revealed to the Messengers, whilst people of jihad strive with their swords for the preservation and maintenance of these Divine Revelations.

Imam Ahmad ibn Hanbal reported (in his monumental Musnad), through a genuine chain of narrators, on the authority of Jabir, that 'Umar ibn al-Khattab, (once) went to the Prophet, with an epistle he had taken from certain scripturеries, and read it to him. Thereupon, the Prophet was exasperated and said : "Are you swayed by suspicion and mistrust ? By Whom my soul is in His Hands, I have brought to you what is pure and unsullied. Do not ask the (the Scripturеries) about anything. They might tell the truth, and ye excuse them of lying, or that they might tell you a falsehood, and ye take it for granted. By Whom my soul is in His Hands, had Moses been living, he would not have done anything save following me."

The traditionist Abu Ya'la reported a lengthy narrative at the end of which 'Umar is reported to have said : "I set out to the Scripturеries from whom I copied and epistle on a piece of skin. On my return the Prophet asked me about what I was holding in my hands. I answered it was an epistle I had copied to add somehting to our knowledge.

"The Prophet became so incensed that his cheeks were redened. He called the Muslims for a congregational prayer. The Ansars asked whether the Prophet had been made angry, and clamoured for their weapons. They gathered round the Prophet's pulpit.

"Then, the Prophet addressed the Muslims, saying : Opeople : I have been given the substantial maxims, and the most conclusive apophthegms. Discourse had been summed upt to me, and made highly succinct. I have brought you a clear and pure Message; so do not be confused, and beware of being deceived by those who are subject to distraction.

"Umar said . Thereupon I rose up and said : I am content with God as my Lord, with Islam as my Faith, and with you as Messenger. Then the Prophet came down the pulpit".

The prophet endeavoured as much as he could to make the Muslim individuality pure and clear in accordance with the terms he had uttered.

This definite and evident individuality is the sole raison d'etre that explains and justifies the origin, continuity and survival of the Muslim Nation.

This Nation had been formed for the sake of what had been considered as the Seal of all Divine Messages. God., be He Exalted, had accorded this Message much more care than any other. The

JIHAD AND LEARNING : THE ISLAMIC MOTTO

By

Dr. Abdul Haleem Mahmoud

The Grand Sheikh of Al-Azhar

(excerpted from one of his speeches)

When the Egyptian army started to encounter the enemy, in Mansourah, (in 1249 A. D.), eminent Egyptian "Ulemas, set out to that town. They were headed by 'Izzul-Din ibn Andul Salam, and amongst whom Majdul-Din al-Qushairi, Muhyul-Din ibn Suraqah, Majdul-Din of Akhmim, Abul-Hassan al-Hafiz al-Mundhiri, and al-Kamal ibn al-Qadi Sadrul-Din.

These saintly scholars, noted for their fervent religious zeal, used to join the warriors to raise up their morale, offer guidance, praise God, and give glad tidings either about of the two glorious things, promised by God, namely victory or (martyrdom which entitles them to) Paradise. Yet, these eminent scholars had never hesitated, in crucial circumstances, to join hands with the mujahids in engaging the enemy.

Their mere walking in the streets, and visits to the camps, were intended to remind the warriors that they have to win either victory or Paradise, thus arousing their zeal, strengthening their faith, and emphasizing the forms of jihad that had characterized the early ages of Islam, during the Prophet's lifetime, and the reign of his rightly guided Caliphs, God be pleased with them.

When these eminent scholars felt satisfied with the adequacy of the measures and means, mustered for defence, they used to hold meetings at night worship and pray God to accord victory to Muslims. At the conclusion of these prayers, they preoccupied themselves with studying one of the standard works on Islam. It is because their motto had been : jihad and learning.

This Islamic motto : jihad and learning had been stated and explained in a reported tradition, corroborated by the entire intellectual atmosphere of Islam. Abu Nu'aim repoted on the authority of Ibn 'Abbas that the Prophet had said : "People well-nigh to the rank of prophethood are those who are noted for their learning, and those who are noted for their jihad".

As to the learned, it is because they guide people to what had been

rulers calling them to accept Islam. He reorganised the community, and created a fraternization between immigrants and Madinans. The prophet journeyed several times with a view to win the neighbouring tribes and to conclude with them treaties of alliance and mutual help.

After seven years of the Hijra, the prophet entered Mecca as a conqueror. He, who was once a fugitive and persecuted, now came to prove his mission by deeds of mercy. The city which had treated him so cruelly, driven him and his faithful band for refuge amongst strangers, which had sworn his life and the lives of his devoted disciples, lay at his feet. But in the hour of triumph every evil suffered was forgotten, every injury inflicted was forgiven, and a general amnesty was extended to the pouplation of Mecca. The ninth year of the Hijra was noted for the deputations which flocked into Madina to render homage to the prophet. Deputations began to arrive from all sides to tender the allegiance and adherence of tribes. The conquest of Mecca decided the fate of idolatory in Arabia.

when the prophet went to Mecca, in the 10 th year of the Hijra for Haj, he met more than 140,000 Muslims there, who had come from different parts of Arabia to fulfill their religious obligations. He addressed them his celebrated Sermon, in which he gave a resum of his teachings. The Mission of Prophet Muhammad was now achieved He inspired a nation, steeped in barbarism, sunk in a degrading and sanguinary superstition, with the belief in One Sole God of Truth and Love. He united those disunited warring nation by the ties of brotherhood and charity. The humble preacher, who only the other day been hunted out of the city of his birth, and been stoned out of the place where he had betaken himself to preach God's words, had, within the short space of few years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradation to a conception of purity and justice.

The Prophet spent the last year of his life in Madina. He settled the organisation of the provinces and tribal communities which had adopted Islam and become the component parts of the Muslim State. The distinctive superiority of Prophet Muhammad lies in the fact that the whole work of his Mission was achieved in his lifetime. On Monday, 12th Rabie' Awwal, 11 A.H., (8th June, 632 A.D.) the spirit of the great prophet took flight to the 'Highest Companion'. His life and work are not wrapped in mystery. Nor has a fairy tale been woven round his personality. His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed.

When the Quraishites were throughly alarmed that Muhammad's preaching had taken a serious revolutionary movment. Their power and prestige were at stake. They were the custodians of the idols whom Muhammad denouced, they were the leaders of the worship which Muhammad opposed. Their very existence depended upon their maintaining the old institutions intact. The new preacher's tone was 'intensely democratic, in the sight of his Lord all human beings were equal. This levelling of old distinctions was contrary to all their traditions. So urgent measures were needed to stifle the movement before it gained further strength. They accordingly decided upon an organised system of persecution.

The fury of Quraish became unbounded. They ultimately decided the assassination of the Prophet. On the night agreed upon to carry out the assassination plot, the prophet miraculously left his house, and fled together with his companion, Abu Bark, from the city of their birth. They lay hide for several days in a cave of 'Mount Thour,' a hill to the South of Mecca. On the evening of the third day the fugitives left their cave and endeavoured to reach 'Yathrib' by unfrequented paths. But even here the way was full of danger. The heavy price set upon Muhammad's head had brought out many horse-men from Mecca seeking for the helpless wanderers. The fugitives continued their journey and after three days of journey reached the territories of Yathrib. The prophet and his companion reached the village called "Quba," situated only two miles to the south of 'Madina,' on Monday 12th Rabie Awwal (622-A.D). Here he was, joined by Ali, who had been severely maltreated by the idolators after their disappointment after Muhammad's escape. The prophet stayed for four days at 'Quba' and then entered, attended by a number of his disciples, the city of 'Madina' on Friday 16th Rabie Awwal.

Thus was accomplished the 'Hijra'. This event naturally marked the greatest development in the history of Islam. Though Umar instituted the Offical era of the Hijra, according to some traditions, the custom of referring to events as happening before or after Hijra originated with the prophet himself.

The name of the city of 'Madina' was 'Yathrib' until the advent of the Prophet. It was established by an Amalikite Chief known as Yathrib, then its name was changed and was called 'Madinath el-Nabi' or for short 'Madina'. After the Hijra, the prophet launched an extensive programme for the propagation of his Mission. He addressed letters to the foreign

Abdul Muthalib, on his death-bed the grandfather had confined to Abu Thalib the charge of his brother's child, and in the house of Abu Thalib, Muhammad passed his early life.

His early life was not free from the burden of labour. He had to go often into the desert to watch the flocks of his uncle. with all his affection for his people, in his ways and mode of thought he seemed far removed from them, isolated in the midst of a chaotic society with his eyes fixed on the moving panorama of a depraved age. The lawlessenss rife among the people of Mecca, the frequent quarrels among the tribes and the immorality of the people, naturally caused feelings of intense horror and upset in the mind of Muhammad. In the 25th year of his age, Muhammad travelled into Syria as the business agent of the noble Quraishite lady, Khadija.

The prudance and capability with which he discharged his duties made a favourable impression on Khadija. A marriage was soon after arranged between Muhammad and Khadija, a kins woman of his. In spite of the disparity of age between him and his wife, there existed the tender devotion on both sides. It is worthwhile to say that this marriage brought him that repose and exemption from daily labour which he needed in order to prepare his mind for his great work. But beyond that it gave him a loving heart, that was the first to believe in his mission, that was ever ready to console him in his despair, and to keep alive with him the flame of hope when no men believed in him.

Muhammad's soul was soaring aloft, trying to peer into the mysteries of creation, of life and death, of good and evil, to find order out of chaos. For years after his marriage, it had been his habit to go sometime with his family, for prayer and meditation to a cave or the 'Mount Hira', which is now called the 'Mount if Light. Solitude had indeed become a passion with him. Here in this cave he often remained whole nights plunger in the profoundest thought and meditation.

At the age of 40 the Prophet Muhammad received the first revelation. Thenceforth, his life was devoted to humanity. Khadija was the first to believe in the revelation and to accept his Mission. After Khadija, Ali was the next disciple. The Quraishtes opposed the Mission of the Prophet and the hostile Quraish stoped the Prophet even from offering his prayers at Ka'ba, and they persued him wherever he went. Amidst all these rials, Muhammad never wavered, he worked on steadily full of confidence in his Mission. Several times he was in imminent danger of his life at the hands of Quraish.

# MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Rabie Awwal 1397	ENGLISH SECTION	MARCH 1977

THE SIGNIFICANCE OF THE MONTH OF 'RABIE' AWWAL'

By

Dr. Moh.addin Alwaye

The Muslims all over the world receive and celebrate nowadays this Arabic month - of 'Rabie' Awwal' - with great enthusiasm. It witnessed the following important events in the history of Islam, and in the history of humanity as a whole:

1- witnessed the birth of Prophet Muhammad. He was born on Monday, 12th of Rabie' Awwal.

2- The 'Hijrah' of the prophet from Mecca to Madina after thirteen years of his Mission. The departure of the Prophet from Mecca to Madina commenced on the 4th of Rabie' Awwal and he reached the famous place called 'Quba' in the south of Yathrib (Madina) on Monday, 12th Rabie Awwal.

3- On Monday, 12th 'Rabie Awwal' (11 A.H.) the prophet breathed his last in this world after he had well accomplished his mission.

On the occasion of 'Rabie Awwal' it is good to review these important events that took place in this month.

The Prophet Muhammad (peace be upon him) was born on the 12th of Rabie Awwal, in the 'Year of the Elephant, which marked the destruction of the Abyssinian army (29th of August 570 A.D.). His birth was towards the end of the fortieth year of the reign of 'Kisra Anushiruan' of Persia, and the end of the year 818 of the era of the Seleucidea. It is reported that his birth was attended with several portents and miraculous signs. His father had died before he was born. He was bereft of his mother when only six years of age. Three or four years later he lost his grandfather

مدير التحرير والإدارة
الدكتور عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ، ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع — السنة التاسعة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هـ — أبريل سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٥ —

انتهينا فى المقالات السابقة — بتوفيق الله تعالى — من موقف الاسلام من الفن وفى هذا البحث نحدد — باذن الله — موقف الاسلام من العلم .

ونقول ابتداء اننا سوف لا نأخذ كلمة « العلم » بالمفهوم الحديث فحسب ، والمفهوم الحديث هو الذى تأخذ به أوربا ، وتأخذ به جامعاتنا المصرية وغيرها من الجامعات حينما تستعمل كلمة العلم .

وهذا المفهوم هو :

العلم : هو القواعد التى بنيت على الملاحظة والتجربة والاستقراء .

وهو بهذا المفهوم يختص بالجانب المادى ، ان دائرته الكون : السماء والأرض ، وما بين السماء والأرض .

أما ما وراء هذا الكون ، وأما ما قبل هـذا الكون ، وأما ما بعـد هـذا الكون فان العلم – بالمفهوم الحديث – لا يتعرض له ، وذلك لأنه لا يدخل تحت دائرة الملاحظـة والتجربة والاستقراء .

ولعـل القارىء يدرك من هذه الكلمات السابقة أن العلـم بهذا المفهـوم الأوربى لا يتـأتى له أن يحـكم على ما ليس فى دائرته ومن أجـل ذلك فان العالم – أى عالم – لا يستطيع انكار الألوهيـة ولا البعث ولا الغيبيات علىوجه العموم

والعـالم الذى ينـكر – بصفته كعالم – وجود الله ، أو ينكر البعث فانه يكون قد خرج عن صفته كعالم ولا يوصف فى أجواء العلمـاء الا بأنه مهـرج ، وأنه ليكفى أن ينكر بصفته كعالم – شيئا من الغيبيات أن يسحب العلمـاء ثقتهم فيـه ، وينبذونه من محيطهم .

وذلك لأنه ما دامت قـد حددت دائرة العلم بأنه ما بنى على الملاحظة والتجربة ، أى ماكان مجاله المـادة فانه اذا تعرض عالـم لما ليس من اختصاصه على أنه علم فانه يكون بذلك قد خرج على أوضاع العلماء فى مفهوم العلم ،وخرج على مبادئهم المقررة فى دائرة العلم : وهى المادة.

قلنا اننـا لا نأخذ مفهوم العلم بالمعنى الأوربى ، بل سنأخذ مفهوم العلم بالمعنى الاسـلامى ، ومفهوم العلم بالمعنى الاسلامى أوسع دائرة، انه المعـرفة بكل نافع من الأمور ، انه المعرفة بالكون وبما وراء الكون بالوجود المـادى وبالوجود الروحى انه المعرفة بالآفاق وبالأنفس ، وفى نطـاق ذلك يدخل العلم بالمـادة ، أو العلم بالمفهوم الحديث .

وهذا المفهوم الحديث للعلم هو اصطلاح حديث : فما كانت كلمـة العلم فيما مضى – فى أوربا وغيرها تعنى القوانين التى تسير عليها المادة فحسب ، وانما كانت الكلمة مطلقة، فلما كانت النهضة الأوربية الحديثة قسـمت أنواع المعـرفة ، بحسب ملكات الانسـان وشعوره ، وذلك لتسهل التفرقة بين مجالات المعرفة ، وليسهل الحكم فى كل مجال .

هناك المجال الذى يسرح فيه الحس ، ويجتلى معالمه وهو المادة ، وسمى العلماء المحدثون مجال الحس علما (وهناك مجال يلعب فيه الوجدان والذوق الدور الأول ، وسمى العلماء المحدثون هذا المجال فنا) •

وهناك مجال هو من شأن العقل البحت ، وهذا المجال ينقسم الى قسمين :

(أ) قسم الرياضة وهو يقين كله •

(ب) قسم الالهيات حينما تقوم على العقل وحده ، وقسم الأخلاقيات بمعناها الواسع حينما تنبع عن العقل وحده وهذا القسم هو الفلسفة •

أما ما كان مرده الى البصيرة والوحى وصلة الانسان ــ النبى أو الرسول ــ بالله تعالى فانه الدين وليس الدين قواعد خاصة بالمادة ، وان كان يتحدث عنها ــ عرضا ــ أحيانا •

وليس الدين من أجل أذواق تتصل بالفن ، وان له فى ذلك توجيهات أحيانا •

وليس مصدر الدين ــ كمنبع ومرجع ــ العقل وان كان ما أتى به يقره العقل كله • ومبادئه لا تتناقض مع العقل •

واذا كنا فى مقالنا هذا نأخذ العلم بالمفهوم العام ــ كل نافع من المعرفة ــ فاننا ننبه الى أن كل ما أسس على القرآن والسنة فهو فى نطاق المجال الدينى ، وأن مقالنا هذا انما كان لبيان موقف الاسلام من العلم بالمفهوم العام ، ولا يمنع ذلك من أن التفرقة ما زالت قائمة بين مختلف مفاهيم المعرفة •

ونعود من جديد ونتساءل :

ــ ما موقف الاسلام من العلم ؟

ان الله سبحانه قد رسم مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى :

« يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » •

انها العلم والخلق : العلم الى غاية هى الحكمة ، والخلق الى غاية هى التزكية •

وهـذه المهمة الكريمة تبـدو فى وضوح فى الكلمات الأولى للوحى الالهى• ان الوحى بدأ بقوله تعالى:

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقـرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقـلم ، علم الانسان ما لم يعلم » •

وأول كلمة فى الوحى هى «اقرأ» وتتكرر كلمة : اقرأ فى هذه الآيات الأولى من الوحى ، وتتـكرر مادة العلم ، ويذكر فيها القلم أداة من أدوات التعليم •

ثم كان أول قسم أقسم الله سبحانه وتعالى به فى القرآن الكريم انما هو القسم بالقلم وما يسطر بالقلم ، يقول تعالى :

« ن ، والقلم وما يسطرون » •

وتتوالى الآيات الكريمة حاثة على العلم ، آمرة به ، مبينة آدابه وشروط النبوغ فيه ، مشيدة بالعلماء ، مبينة مكانتهم •

أما هـذه المكانة التى وضع الله العلماء فيها فانها أسمى مكانة عند الله سبحانه وتعالى لعباده •

ان الله سبحانه يقول مبينا مكانة العلماء :

«شهـد الله أنه لااله الا هـو والملائكة وأولو العلمقائما بالقسط»

وفى هذه الآية الكريمة قرن الله سبحانه وتعالى العلماء به وبملائكته فى شهادة التوحيد ، أى وضعهم فى أسـمى مكانـة ايمـانية وذلك أن أسمى مكانة ايمانية انما هى شهادة التوحيد ، انها :

« أشهد أن لا اله الا الله »

أما الحث على العلم فى القرآن الكريم فان هذا الكتاب العزيز يبين أن الانسـان حتى فى الحالـة التى يمنحه الله فيهـا النبوة والرسـالة لايزال بحاجة الى المزيد من العلم •

ان الله سبحانه وتعالى ــ فى القرآن الكريمــيأمر الرسول صلى اللهعليه وسـلم بأن يجعـل من شـعاراته الاستزادة فى العلم ، فيقول له :

« وقل ربى زدنى علما » •

والقرآن يتحدث عنقصة لسليمان عليه السلام مع طـائر من الطيور يقول الطـائر فيها لسليمان عليـه السلام « أحطت بما لم تحط به » •

ويذكر القرآن قصة موسى عليه السلام لما علم أن فى هذا العالم كائنا هو أعلم منه ، فصمم على أن يذهب اليه مهما يكلفه الأمر قائلا لفتاه : « لن أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » ، وسافر موسى عليه السلام سفرا شاقا مجهدا يقول عنه : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » .

وكان هذا السفر بحثا عن الأستاذ ، وطلبا للعلم ، والتقى موسى بالأستاذ ، وهنا تتبين بعض الآداب فى طلب العلم ، وبعض الشروط التى ينبغيأن تتوافر لطلب العلم . ونقتصر هنا على شيء قليل مما توحى به القصة .

ان موسى عليه السلام يقول فى رقة وفى أدب جم ، يجب أن يتوافر فى التلميذ بالنسبة لأستاذه :

« هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » ؟ .

انه بدأ بكلمة « هل » ولم يقل : أريد ، أو أنا عازم ، انه التواضع بالنسبة للأستاذ .

ثم قال : « أتبعك » ولم يقل : أرافقك ، أو أصاحبك ، أو أزاملك ، كلا ، وانما قال : « أتبعك » .

واقتضى شرف منزلة العلم أن يعجم الأستاذ عود موسى عليه السلام ليرى ما اذاكانت تتوافر فيه الشروط المطلوبة ، فقال فى صورة هى أقرب الى الاستثارة منها الى الرفض :

« انك لن تستطيع معى صبرا »

والصبر على العلم هو من شروط طلب العلم الأساسية ، حتى لقد عرف بعضهم العبقرية بأنها صبر طويل وما من شك فى أن الصبر على العلمهووسيلة الاكتشافوالاختراع والابداع والعبقرية .

وأجاب موسىعليه السلام مؤكدا عزمه على الصبر ، ومبينا أنه سيلتزم بمايجب أن يلتزم به التلميذ الصادق من آداب التلمذة، فقال: «ستجدنى ان شاء الله صابرا » ، ثم أضاف عليه السلام : « ولا أعصى لك أمرا » .

وهــذه القصة تبين شرف العلم بأمور ، منها : أن يسافر الانســان من أجله • وأن يجرى الانســان وراء تحصــيله حتى ولو كان من هؤلاء الذين منحهم اللــه مرتبــة النبوة •

ونبين شيئا من شروطه وآدابه ، ومنهــا : الصبر الطويل • ومنها : التأدب مع الأســتاذ ولقــد تابع رســول الله صــلى الله عليه وسلم القرآن الكريم فى التوجيه نحوالعلم وأعلن رســول الله صلى الله عليــه وسلمأنالطريق الى العلم هو الطريق الى الجنــة ، يقول صــلوات الله وسلامه عليه فى ذلك :

من سلك طريقا يبتغى فيه علما ، سهل الله له به طريقا الى الجنة ،وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ،وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضــل القمر على سائر الكواكب ،وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لــم يورثوا دينــارا ولادرهما ، وانما ورثوا العلم،فمن أخذه أخذ بحظ وافــر •

وقد يتساءل انســان عن نوعية العلم الذى يدعو اليه الاسلام •

وذلك له مقال تال ان شاء الله •

دكتور عبد الحليم محمود

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم ركعا ســجدا ، يبتغون فضــلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » •

أهمية الدعوة

للواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الداعية الأول أشرف الأنبياء والمرسلين ورضى الله عن أصحابه الدعاة الأولين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين •

زار أحد الدعاة ، قبل اثنتى عشرة سنة (١٣٨٥ هـ) أقطار غربى القارة الافريقية ، فسأل أحد رجال الدين[1] الاسلامى فى قطر من تلك الأقطار عن ولده الذى كان يلقاه حين يحل فى دار أبيه الشيخ ، فأجابه متنهدا : « لقد تمدن ! » •

وتعبير : فلان تمدن ، فى تلك الأصقاع ، أصبح من التعابير الشائعة ، ومعناه : « تنصر فلان » ، وهو يطلق على المسلم الذى ارتد عن دينه ، فأصبح نصرانيا ، فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، كما يطلق على غير المسلم الذى اعتنق النصرانية أيضا •

وسبب اقتران : « التنصر » بالتمدن فى هذا التعبير ، هو أن الارساليات التبشيرية فى افريقية ، التى تعتمد على المؤسسات الدينية المسيحية فى تمويلها ، وعلى الدول الاستعمارية ، وعلى شبكات المخابرات الأجنبية ، وشركات النفط الاحتكارية ، والبيوت المالية الكبرى ، وعلى الصهيونية العنصرية

---

(١) رجل الدين : هو عالم الدين الذى يعمل باخلاص ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو الى الله ، فكل رجل دين هو عالم دين ، وليس كل عالم دين هو رجل دين ، فقد يكون هذا العالم لا يعمل بعلمه ولا يؤدى واجباته الدينية •

ودولة العدو الصهيونى (١) ، قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات ، فى المناطق المهمة الحيوية من افريقية، وحرمت غير المسيحيين من الانتماء اليها وتلقى العلم فيها ، فأصبح لزاما على غير المسيحيين من مسلمين وغيرهم ، أن يعتنقوا المسيحية أولا، وأن يثبتوا تمسكهم بها ثانيا ، من أجل قبولهم تلاميذ وطلابا فى تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشيرية ، حتى ينالوا شهاداتها العلمية بعد تخرجهم فيها ، تلك الشهادات التى تؤهلهم لتسلم المناصب الحكومية فى الدولة ، وترفعهم الى المكانة المرموقة فى المجتمع وتفتح أمامهم أبواب العيش الرغيد .

من هنا اقترن التنصير بالتمدن ، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات افريقية فى الوقت الحاضر مسيحيا ، وأمه ووالده واخوته وأخواته وأهله وعشيرته لا يزالون مسلمين ، وقد أقام فى كل قرية ومدينة كنيسة حتى ولو كانت القرية أو المدينة مسلمة ، وحارب المسلمين فى عقيدتهم وأرزاقهم تعصبا لدينه ، وفتح بلاده على مصراعيها للمبشرين .

وقد عقد مؤتمر اسلامى مسيحى فى ليبيا فى ٣٠ محرم الحرام سنة (١٣٩٦ هـ) ، مثل فيه الجانب الاسلامى اثنا عشر عالما ، ومثل فيه الجانب المسيحى اثنا عشر عالما من الكاثوليك على رأسهم كاردينال ممثلا للبابا ، فكان من ضمن ممثلى الكاثوليك اثنان من الأفارقة كانوا مسلمين وأصبحوا اليوم من كبار رجال الدين المسيحيين !

والغريب أن هذه الارساليات التبشيرية ترسلها حكومات قد تكافح الدين فى بلادها ، ولكنها ترسلهم الى افريقية وغيرها ، حتى يكونوا عملاء لها ، وقد ثبت مما لا يدعو للشك ، أن قسما من المبشرين عملاء للمخابرات، ودعاة للاستعمار الجديد الذى تفرضه بلادهم على الدول النامية ، كما ثبت أن الصهيونية العالمية ودولة العدو الصهيونى

(١) العدو الصهيونى : هو اسرائيل ، ولم أقل اسرائيل حتى لا يكون ذلك اعترافا ضمنيا بها ، بل أقول : دولة العدو الصهيونى .

تمول كثيرا من الارساليات التبشيرية فى افريقيـة وغيرهـا ، مكافحـة للاسـلام والمسـلمين لأن انتشـار الاسلام يهدد مصالحها ويؤدى الى أن يشارك معتنقو الاسلام اخوانهم المسلمين فى الوطن الاسلامى عداوتهم للصهيونية العالمية والعدو الصهيونى بشكل أو بآخر ، كما هو معلوم .

أما معتنقـو المسـيحية فيوالون الاستعمار والدول الاسـتعمارية ، وذلك الاسـتعمار وتلك الدول مرتبطان عضويا بالصهيونية العالمية وبدولة العدو الصهيونى .

لقد سافر وفد رسمى من العراق الى أقطار شرقى ووسط افريقيـة فى أوائل عام ١٣٩٦ هـ ، فحـدثنى أحد أعضائه : أن القائمين على نشر العربية والاسلام دينـا ، والمقاومين للدعايات الصهيونية ضـد الاسلام والمسلمين ، والمؤيدين للدول العربية ضد دولة العدو الصهيونى ، أكثرهم من خريجى الجـامعات الاسـلامية كالأزهر الشريف والجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ثم تساءل هـذا العضو وهو وزير : هل تعرف شيئا عن الجامعة الاسـلامية فى المدينـة المنورة ؟ .

وكنت قد نشرت قبل سـنوات بحثا عن : أهمية الدعوة الاسلامية فضحت فيه تقريرا سريا كتبه سفير أمريكى فى دولة افريقية جـاء فيه : (ان عمامة فى هذا البلد ، أخطر من قنبلة ذرية) .

ان الدعوة الاسـلامية لم تبـق خدمة للاسلام عقيدة وتشريعا ولغة بل أصبحت ضرورة سيـاسية دفاعا عن العرب والمسـلمين ، ومصـاولة لأعدائهم الكثيرين ، ونشرا للغة القرآن الكريم .

– ٢ –

ولكنى أحرص حرصا بالغا على فضح ما نشره قسـم من المبشرين والمستشرقين فى تقاريرهم ومؤلفاتهم (ان الاسـلام بخـير فى افريقية) بخاصة وفى الأماكن الأخرى بعامة ، وأنه ينتشر انتشارا كاسحا فى تلك الأصقاع بدون دعاة وبغير تخطيط فعال للدعاة .

ومن المذهل حقا ، أن المسلمين صدقوا هذه الفرية ، وأخذوا يرددونها بحماسة وثقة ،ثم استناموا قريرى البال غير مكترثين بالنشاط التبشيرى بالرغم من طاقاته الضخمة ماديا ومعنويا .

وهدف هؤلاء المبشرين والمستشرقين من نشر هذه الفرية ، هو تخدير المسلمين من جهة ، واستثارة المؤسسات والدول المستفيدة من التبشير ، من جهة أخرى ليدفعوا المال الوفير دعما للمبشرين واسنادا للتبشير .

لقد اطلعت على تقرير كتبه أحد السفراء العرب ، وهو من الذين أثق بهم ثقة مطلقة وأرتضى دينهم وأمانتهم يقول السفير فى تقريره لوزارة خارجية حكومته : (انه لا اسلام فى افريقية بعد عشرين عاما ، اذا لم يحارب المبشرون بأساليبهم ، وتكون الدعوة للاسلام جدا لا هزل فيه ويكون الدعاة فى مستوى المسؤلية لهم (قضية) يؤمنون بها،ويدافعون عنها ، فهم عناصر (دعوة) لاعناصر (دعاية) وارتزاق) .

ان الفكر الاسلامى الأصيل غير واضح المعالم فى البلاد العربية والاسلامية نفسها ، فقد أصبح مشوها الى أبعد الحدود ، بفعل العصور المظلمة التى مربها المسلمون وبتأثير الاسرائيليات التى اقتحمت حرم الاسلام ، والخرافات التى شوهت مبادئه ،وترسبات الاستعمار الفكرى البغيض الذى هو أخطر أنواع الاستعمار على الاطلاق .

فما أحوج المسلمين اليوم الى دعاة من الطراز الرفيع . يفقهون الفكر الاسلامى الأصيل ويفهمون روح الاسلام الصحيح ، ويجلون عنه الصدأ والغبار ، ويعيدونه كما أنزله الله منهجا مثاليا للحياة الدنيا والآخرة !

ان حصون المسلمين تنهار فى الداخل ، فأكثر شبابنا غير متمسكين بتعاليم الاسلام ، وأكثرهم لا يكادون يعرفون عن الاسلام شيئا مذكورا . أما الفكر الاسلامى الأصيل ، فهم بعيدون عنه كل البعد، وقد قرأوا المؤلفات المريبة التى كتبها أعداء الاسلام من مستشرقين

ومستغربين (١) على حد سواء،والتى تزعم أن الفكر الاسلامى غير صالح لهذا الزمان ، أو أن الفكر الاسلامى عالة على أفكار الحضارات القديمة والحديثة والأمم الخالية ، والعصرية فصدقوا تلك المزاعم واعتبروا هذا الدس الرخيص أمـرا مسلما بـه وحقيقة ناصـعة ، ثم نام علمـاء المسلمين عنهم ، فلم يؤدوا واجباتهم كما ينبغى الا من رحم الله ، وقليل ما هم !

وقد دأبت على حضـور مجالس شيوخنا الأجلاء ودروسهم ، لا أكاد أرى جمعا من الناس حولهم الا وانضم الى ذلك الجمع متلهفا لسماع شئ جديد ، ولكننى لم أسمع غير دروس فقهية تدور حول العبادات فقط ، أما الاسلام الحركى ، اسلام الجهاد، اسلام الفتـح ، اسلام التضـحية والفداء ، اسلام الحيـاة والمجد ، فلا أكاد أسمع عنه شيئا ذا بال !

ان الفكر الاسلامى الأصـيل ، يعانى من هجمات خارجية خطيرة ، يخطـط لهـا الاستعمار الجديد ، معتمـدا على المبشرين والمستشرقين والصهيونية العـالمية والمـاسونية والمبـادئ الهـدامة والمذاهب المستوردة ، وعلى دعاة الانحـلال الخلقى والالحاد والعلمانية وغير ذلك من أعداء الاسلام .

ولو أن غير الاسلام تعرض لهذا الضغط الفظيع والهجمات القاسية ، لسحق سحقا ولمـا بقى له أى أثر فى الوجود وأى تأثير فى التوجيـه الى الله .

ولكن الفضـل فى بقـائه صلبا شامخا ، لله ولهـذا القرآن الذى تكفل الله بحفظه ، فلله الحمد والمنة ولكتابه العزيز .

---

(١) المستغرب : العربى والمسلم الذى ينقل آثار المستشرقين الى العربية او الى اللغات الأخرى الشائعة بين المسلمين ويلقنها طلابه وتلاميذه مبهورا بها مصدقا لها ، دون تمحيص .

ومن المؤسف حقا أن ينقل هؤلاء تلك الآراء وينسبونها الى أنفسهم ، ولو عزوها الى أصحابها لهان الأمر ، ولكنهم يسرقون ويدعوه ، فما أفقههم كتابا ومفكرين !

ولعل آثار المستشرقين التى تجزل المدح والثناء للفكر الاسلامى ، هى أكثر خطورة وضررا من آثارهم التى تكيل القدح والنقد ، لأن المدح والثناء يخدر الرأى العام الاسلامى ويلفته عن حاضره ومستقبله ، وشفاء أمراض مجتمع ما ، لا يمكن أن يتم بذكر أمجاد ماضيه فحسب ، بل بالعمل المثمر الجاد الدائب للحاضر والمستقبل •

لقد بهر الغرب المسلمين بتفوقه فى العلوم التطبيقية ، فأراد قسم من علماء المسلمين أن يقحموا آيات الذكر الحكيم فى المجال العلمى ، ليزعموا أن القرآن الكريم سبق علماء العصر فى نطاق العلوم التطبيقية وغير التطبيقية أيضا •

ان هذا التشبث يضطرنا الى شرح مشكلة الاسلام والعلم بشكل جديد، يناسب سمو الدين ومنطق العلم ، بحيث لا نبحث فى الآيات الكريمة : هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء وتحليل الذرة مثلا ! وانما نتساءل : هل فى روح هذه الآيات وروح القرآن ما يعطل حركة العلم ؟ أم فى روحها وروحه ما يحث عليه ويشجعه؟

ومن هذا المنطلق ، يجب أن نتساءل : هل يستطيع القرآن أن يخلق فى المجتمع الاسلامى المناخ المناسب للروح العلمى ، وأن يطلق فيه الأجهزة النفسية الضرورية للتقدم العلمى من ناحية وتبليغه من ناحية أخرى ؟

ولست أعرف كتابا مقدسا كرم العلم والعلماء كما كرمهما القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم : «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ! (١) •

كما أن المناخ العلمى الذى هيأه القرآن الكريم للمسلمين ، هو الذى جعلهم يقودون الحضارة العالمية قرونا طويلة ، بشهادة حتى أعداء الاسلام •

ان المواد الأولية لبناء أفكار حية ، متيسرة فى القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الاسلامى العظيم •

---

(١) الآية الكريمة فى سورة الزمر : (٣٦) .

وهـذه الأفكار كفيلـة بإظهـار الشخصية الاسلامية على حقيقتها : قوية لا تضعف ، متماسكة لا تتفتت ، أخلاقية لا تنفسخ ، عزيزة لا تهون ، لها طابعها المميز الواضح الأصيل ، وهى كفيلة بأن تثبت أمام تيـارات الصراع الفكرى الجارف ، لأنهـا تعنى دون غيرهـا بالمـادة والروح والعقل والوجدان ، فهى لا تقتصر على المـادة وحدها ، أو على الروح وحـده ، أو على المـادة والعقـل وحدهما ، لأنها سيف وكتاب ، مسجد وثكنة ، جامع وجامعة ، دنيا وآخرة ، مادة وروح .

فلمصـلحة من تتخلى عن هـذه الشخصية المتميزة الباهرة ، لنتقمص شخصية غريبة عن ديننـا وتقاليدنا ووجـداننا ، شخصية شرقية مادية ملحدة ، أو شخصية غربيـة مادية مستغلة ؟

— ٣ —

ان العالم الاسلامى تخلص أو كاد أن يتخلص — من الاسـتعمار العسكرى ، والاستعمار السـياسى والاسـتعمار الاقتصادى ، ولكنه لا يزال يرزح تحت أثقال الاستعمار الفكرى ، ذلك الاستعمار المتمثـل فى الحضارة الغربية ، وهى حضارة مسيحية كما هو معروف .

لقد ضاعت معالم الشـخصية الاسلامية فى خضم هذه الشـخصية الغربيـة المسيحية ، لأن المسـلمين عاشوا فى فراغ فكرى ردحا طويلا ، فتسربت اليهم حضـارة الغـرب المسيحية وحضارة الشرق الالحادية أيضا بشتى الوسائل لتملأ هـــذا الفراغ .

ان الأفكار الاسلامية الحية ، هى التى تعيد للمجتمع الاسلامى مكانته المرموقة ، لأن ما يصيب أى مجتمع من نكبات يكون من جراء ضحالة أفكاره ، لا من جراء قلة أشيائه .

لا بد من وضع الأسس الاسلامية الرصينة فى المجتمع الاسلامى الضائع بين حضارة الغرب وحضارة الشرق ، بحيث تكون هـذه الأسس منهجـا كاملا للحياة ، باستطاعته مصـاولة الصراع الفكرى الرهيب .

ولا بـد مـن تقنين الشريعـة الاسـلامية (١) الغراء ، بحيث تبز القـوانين الوضـعية الحديثة وتنقذ المسـلمين من فجور تلك القوانين الكافرة المستورة •

والسـبيل الى ذلك هو تعـاون السلطـات الحاكمـة مع العلمـاء ، العاملين المخلصين والالتزام بالشريعة الغراء نصا وروحا •

ان السلطات الحاكمة مطالبةاليوم بتدارك المجتمع الاسلامى فى التميع والانهيار ،فليس من المعقول أنتبيح الخمور والزنى الربا بلادو فىاسلامية دينها الاسلام !

ولقد سجل التاريخ صفحاتباهرة للحكامالذين وحدوا من أجلالجهاد، وجاهدوا من أجل التوحيـد ، حين نسيت السلطات التى فكـرت فى مصالحها الذاتية وتنكرت لمصـالح شعوبها والاسلام ، وما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى •

والعلماء اليوممطالبون أن يتخذوا من العلم (عبادة) ، كما فعل السلف الصالح من علمـاء المسلمين ، وألا يتخذوه (تجارة) كما فعل العلماء الذين نسوا الله فنسيهم •

وليس كل من درس علوم الدين يعتبر عالما • فالعالم فىنظرى لا بد من أن يكون متينا فى علمه ، عاملا بعلمه ، مخلصا فىعمله ، محافظا على كرامة العلماء ، معتبرا العلم (عبادة) من أجل العبادات •

أما الذى درس العلم للارتزاق ، فهو تاجر علم لا عالمـا عقديا •

ان التاريخ يذكر بمزيد من التقدير والاعجاب ، جهود الخليفة الأموى عمر بن عبد العـزيز رضى الله عنه فىنشر الاسلام وتطبيق تعاليمه بأمانة واخلاص •• فقد نقص خراج مصر فى عهده لدخول الأقباط فى دين الله أفواجا ، فاقتـرح والى مصر على الخليفة : ألا يعفى الذين يدخلون الاسلام من الجزية ، ولكن الخليفة

---

(١) تعمل لجنة خاصة باشراف مجمع البحوث الاسلامية فى مجال تقنين الشريعة الاسلامية وقد قطعت شوطا فى هذا التقنين ، واسجل هذه المفخرة لهذا المجمع العظيم •

الورع أبى أن يجيب هـذا الوالى الى طلبه قائلا : « ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا » .

ولا تزال هذه الكلمة ترن فى سمع الزمن حتى اليوم وستبقى .

وعين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سنة مئة الهجرية اسماعيل ابن عبدالله واليا على شمالى افريقية، وبعث معه عشرة علماء ليفقهوا البربر فى أمور دينهم ، ولا يزال التاريخ يذكر هـذا العمـل الدينى بأعظم التقدير .

وقد أوفـد عمر بن عبد العزيز الدعاة الى (السـند) التى فتحها محمد بن القاسم ، فاستجاب كثير من زعماء السند لدعوة الخليفة التقى الورع، ودخلوا فى دين الله أفواجا.

وما يقال عن (السند) يقال عن بلاد ما وراء النهر (نهـر سيحون ونهر جيحون)، فقد استجاب كثير من أهلها للدعاة ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وقد امتاز عهـده بحركة تحول واسعة النطاق الى الاسلام ، فنظم حركة ملؤها الحماسة فى نشر الدعوة، وقـدم للشـعوب لونا من ألوان التشجيع ، حتى انه كتب الى ملك الروم (ليـو) الثالث يدعوه الى الاسلام ، وألغى الضرائب التعسفية المفروضـة على المسـلمين وغـير المسلمين .

ولم يقتصر تقـدير خدمات عمر ابن عبدالعزيز على المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور، بل جاوز تقديره الى المؤرخين المسيحيين ، فقد كان أحـدهم حين يذكر هـذا الخليفة الصـالح يتبع اسمه دائما بتعبير : رضى الله عنه .

لقـد أمضى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى الحكم أقل من ثلاث سنوات ، ولكنه شغل المؤرخين فى أيامه ومن بعده أيضـا ، لأنه كان مؤمنا حقا ، وكان ايمانه (ايجابيا) فنشر دعوة الله شرقا وغربا ، فرفع الله ذكره فى كل مكان وزمان .

وعاش فى عهده علماء كثيرون من التابعين، ولكن الذين تفرغوا للدعوة لا يزالون وحدهم يذكرون بالاجلال والاكبار ، ولا تزال آثارهم باقيـة حتى اليوم .

فما أحرى أن يكون عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مثالا يحتذى به أصحاب السلطان من العرب والمسلمين اليوم وغدا . وما أحرى أن يكون علماء عمر بن عبد العزيز الدعاة رضى الله عنهم مثالا يحتذى به علماء الدين العرب والمسلمين اليوم وغدا .

— ٤ —

ان الطريق أمام العاملين المخلصين للعودة الى الاسلام عقيدة وتشريعا فى الداخل ، ونشره بين الناس فى الخارج ، مفتوح على مصراعيه .

والعرب والمسلمون مطالبون بحق الله عليهم فى الدعوة الى دين الله ، فقد أنعم الله عليهم بخيرات هائلة ، حتى أصبح العرب بخاصة أغنى أمة فى الأرض . فمن حق الله عليهم أن يشكروه بالدعوة عملا لا بالكلمات ، وهذا الشكر العملى هو بالعودة الى الاسلام من جديد ، ونشره فى الخارج لاعلاء كلمة الله .

ان الانحراف عن الاسلام فى الداخل له نتيجة حتمية واحدة هى : انهيار الحكومات وتفشى الفتن والاضطرابات ، وتدفق الدماء البريئة وغير البريئة أنهارا ، وصدق الله العظيم : « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال » .

وسنة الله الخالدة ، كما نص على ذلك القرآن الكريم ، اذا هجرنا الاسلام وتنكرنا لتعاليمه ، أن يستبدل بنا غيرنا ، ثم لا يكونوا من أمثالنا .

انى أنذر وأحذر ، فهل من سميع مجيب ؟ ! .

ان حانات الخمور ونوادى الميسر وعلب الزنى وصالات الرقص والرقوق الخليعة متفشية فى البلاد العربية والاسلامية .

فاذا طولب الحكام بايقاف هذه المباذل التى تناقض ما أمر الله به ، قالوا : اننا بحاجة ماسة الى العملة الصعبة .

وجاءت تلك العملة بارادة البشر ولكن ارادة رب البشر بعثت دودة القطن فى بلد ، وانشبت القلاقل والفتن فى بلد آخر ، فذهبت العملة الصعبة الحرام ، وخسرت البلاد أضعاف أضعافها .

كما أن أكثـر الدول العربيـة والاسلامية التى لا تتقيد بشريعة الله، فقدت الأمن والاطمئنان ، وأصبح الحكم فيها غير مستقر •

ولم تدخل التعليم الدينى الالزامى فى مدارسها ومعاهـدها وكلياتها ، فحصـل فـراغ فكرى فى رءوس أبنائها ، فملأوه بالمبـادىء الوافدة والأفكار الهدامة •

وقلدنا الغرب والشرق فى مأكلنا وملبسنا وسلوكنا ، فذابت شخصيتنا الاسلامية واندثرت معالمها ، فأصبح المسلمون يحملون هذه الصفة اسما وهم بالحقيقة فى حضارتهم نصارى أو ملحدون لأن الحضارة الغربيـة مسـيحية ، والحضـارة الشرقيـة ملحدة •

وتزعزع نظام الأسرة الاسلامية فأصبحت فتياتنـا لعبا ، وفتياننـا خنافس ، الا من أدركه الله برحمته

ولست أقصد بالحضارة الشرقية والغربية ، ما جاء فيهـا من علوم تطبيقية وعلوم نظرية ، فهذه يتحتم علينا تعلمها واتقانها •

ولكننى أقصد بالحضارة الشرقية والغربية ، القسـم الخاص منهـا بالسـلوك والأخـلاق والعقيدة ، فلدينـا من تعاليم ديننا وتقاليـدنا العريقة ما يغنينا عن الحضـارات المستوردة فى هذا المجال •

ان العودة الى الاسلام بمـا فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء يعيد الينا مكانتنا بين الأمم ويصون حقوقنا ، ويجعل منا أمة لا تقهـر أبدا • كما يعيد الى بلادنا الأمـن والاطمئنان والرخاء والسعادة والى المسلمين الشخصية الاسلامية المتميزة والى أفرادنا نسـاءا ورجالا الخلق الكريم والسـلوك الرفيـع ، والى الأسرة الاسـلامية التماسك والقوة والتعاطف والشرف •

أما الدعوة الى الاسلام فى الخارج فتجعل للمسلمين اخوانا يشاركونهم فى السراء والضراء وحين البأس ، ويجعل من المسلمين الجدد حلفـاء طبيعيين للمسلمين يتبنون أهـداف المسلمين المشروعة بأمانة واخلاص •

ان الدعوة الى الاسـلام واجب دينى بنص القرآن والحديث، وواجب وطنى لأن الذى يصبح مسلما يدافع عن حقوق المسلمين بحماسة ويعتبر لغة القرآن لغة مقدسة •

والدعوة الى الاسلام واجب انسانى ، لأن الاسلام رفع من قيمة الانسان وكرمه ، ويهدى للتى هى أقوم ، ويقتلع الشر من جذوره ، وينشر الفضيلة والطهر والمحبة والسلام، ويقضى على عوامل الفساد، ويكرم بنى آدم فى الدنيا والآخرة .

فمن سيكون خليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الحكام المسلمين فى القرن العشرين ؟

ومن سيكون من علماء المسلمين خليفة دعاة عمر بن عبد العزيز فى القرن العشرين ؟

وصدق الله العظيم : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوهم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيهاخالدون)(١) .

— ٥ —

ولكى نضع الأمور فى نصابها ، لا بد من ذكر مقترحات لنشر الدعوة داخليا وخارجيا .

اولا : فى الداخل :

(ا) لاينبغى أن تقف الحكومات الاسلامية متفرجة ، وهى ترى آثار الاستعمار الفكرى تخرب عقول المواطنين وقلوبهم ، فلابد من وقوفها موقفا حازما ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن .

(ب) واذا وقفت الحكومات الاسلامية موقف المتفرج ، فلابد للآباء أن يصونوا أهليهم من الانحراف ، ورب العائلة الذى يتهاون فى واجباته التربوية خائن وجبان : خائن لأن أهله أمانة فى عنقه ، وجبان لأنه لا يستطيع توجيههم الى حيث أمر الله .

(جـ) على الحكومات الاسلامية تطهير أجهزة اعلامها المسموعة والمرئية والمكتوبة فى كل ما يدعو الى التفسخ والانحلال ، فقد بلغ السيل الزبى ، ولا أزيد .

(د) على الحكومات الاسلامية أن تدخل الدين فى التعليم ، وأن تطهر كتب التدريس من كل مايتناقض مع الدين الحنيف .

(هـ) على الحكومات الاسلامية أن تطبق الشريعة الغراء فى محاكمها وتنصر حدود الله على المنحرفين .

---

(١) الآية الكريمة من سورة يونس (٢٦) .

(و) من الضرورى تخصيص مبالغ جسيمة من ميزانية الحكومات الاسلامية للدعوة فى الداخل والخارج ، وأن تنشأ كليات للدعوة تخرج الدعاة العاملين المخلصين .

(ز) على الحكومات الاسلامية الاتفاق على تشكيل هيئة الدعوة العالمية لارسال الدعاة وتنسيق مهام الدعوة ووضع مناهجها وتنفيذها ، وتشكيل صندوق الدعوة لدعم الدعوة والدعاة ماديا .

ثانيا : فى الخارج :

(ا) من الضرورى اختيار الدعاة الذين يمكن أن يكونوا أسوة حسنة وقدوة لغيرهم ، وأن تكف الحكومات والمؤسسات الاسلامية عن اختيار المرتزقة ، الذين يهمهم جمع المال أكثر من نشر الاسلام، واعمار الجيوب أكثر من اعمار القلوب .

(ب) على المؤسسات الدينية المعنية بالدعوة ، أن تكون مؤسسات (دعوة) لا مؤسسات (دعاية) ، وأن تعمل فى مجال الدين ولا تعمل فى مجال السياسة ، وأن تخصص أموالها لمعالجة القلوب لا لاملاء الجيوب .

(جـ) على المؤسسات الدينية التى لها نشاط خارجى فى الدعوة ، أن تحارب المبشرين بنفس سلاحهم ، بالعيادات والمستشفيات السيارة والمستشفيات الثابتة والمستوصفات وبالمدارس والمعاهد والجامعات ، وبالمعسكرات والمخيمات .

(د) على الحكومات الاسلامية أن تنسق جهودها فى مجال الدعوة، فتعقد مؤتمرا لوزارة الأوقاف لغرض تنسيق تلك الجهود ، وجعل هيئة الدعوة العالمية مسئولة عن الدعوة فى الخارج ، كما هو الحال فى مجلس الكنائس العالمى الذى يشرف على ارساليات المبشرين ، وكما هو الحال فى هيئة (الفاتيكان) فى روما .

ويجب أن يسند الدعاة سياسيا من الحكومات الاسلامية ، حتى لا يصبحوا معرضين لأخطار الطرد والاضطهاد والسجن والتعذيب.

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

محمود شيت خطاب

الكتاب الذى لا أنسى فضله

للعلامة أبو الحسن الندوى

أتحدث اليوم عن كتاب كانت منته — ولا تزال — عظيمة على وانى دائم الترحم على صاحبه العظيم الذى أتحفنى عن طريق هذا الكتاب بمنحة هى أغلى الأشياء عندى بعد الايمان، بل هو جزء من أجزاء الايمان، وهو كتاب « سيرة رحمة للعالمين » لمؤلفه القاضى محمد سليمان المنصور فوزى رحمة الله عليه، ولهذا الكتاب قصة عجيبة!

لقد كان أخى الأكبر (١) — وهو الذى تولى تربيتى وتثقيفى بعد وفاة أبى — وقد توفى وأنا فى التاسعة من عمرى — موفقا كل التوفيق فى اختيار الكتب التى كان يحب أن أطالعها فى صغرى، فقد قدم الى فى أول ما قدم كتاب « سيرة خير البشر » لمؤلف هندى، وكان حريصا على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر فى تكوين السيرة والعقيدة والخلق وغرس الايمان، ولقد نشأت لذلك على حب كتب السيرة والحرص على اقتنائها ومطالعتها.

وقع بصرى مرة على اسم كتاب « رحمة للعالمين » وكنت كثير النظر فى الفهارس واعلانات الكتب، وأرسلت طلبا لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتى الصغيرة — وأنا فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرى — عن شرائه، ولكن الصغار — خصوصا فى العصر الذى أتحدث عنه —

---

(١) هو الدكتور السيد عبد العلى الحسينى مدير ندوة العلماء فى لكنؤ الهند — توفى فى ٢٨ ذى القعدة عام ١٣٨٠ هـ.

لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد ، انما ينساقون مع الغرائز والعواطف ..

وجاء ساعى البريد وهو يحمل هذا الكتاب فى ما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة ورأيت أننى لا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب وادفع ثمنه واعتذرت أمى — بارك الله فى حياتها — مع حرصها على ارضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود ، لأنها لم تكن تملكها فى ذلك الحين .

ورأيت فلم أر لى مساعدا وشفيعا فى هذه المهمة الا الشفيع الذى طالما لجأ اليه الأطفال ، وعرفوا أن شفاعته لا ترد ، ذلك الشفيع الذى لجأ اليه سيدنا عمير بن أبى وقاص الصغير ، فقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم شفاعته وأجازه للقتال فى بدر ، ذلك شفيع الدموع والبكاء البزى، الذى لا يزال وجيها مسموعا عند الله وعند عباده الصالحين .

وكذلك كان ، فقد رق لذلك قلب أمى الحنون ، واجتهدت فى دفع قيمة الكتاب والحصول عليه ، وأخذت الكتاب ..

بدأت أقرأ الكتاب،وبدأ الكتاب يهز قلبى ، وليست بهزة عنيفة مزعجة ، انما هى هزة رقيقة رفيقة ، وبدأ قلبى يهتز له ويطرب ..

وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التى ألفت فى حياة الأبطال والفاتحين الكبار وبين هذه الكتب التى ألفت فى سيرة الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — فالأولى هزة تغير على القلب وتزعجه ، والثانية هزة تنبعث من النفس وتريحها ..

وبدأت تتجاوب نفسى لهذا الكتاب وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد ، وشعرت فى أثناء قراءتى لهذا الكتاب بلذة غريبة ، انها لذة تختلف عن جميع اللذات التى عرفتها فى صغرى — ولم أزل مرهف الحس قوى الشعور — فلا هى لذة الطعام الشهى فى الجوع ، ولا هى لذة اللباس الجديد فى يوم العيد ، ولا هى لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية والاشتغال المرهق،

ولا هى لذة الانتصار والظفر فى المباراة ، ولا هى لذة زيارة صديق قديم أو زائر كريم ، انها لا تشبه لذة من اللذات انها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها ، وأعترف أنى لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة وأعبر عنها بكلمة ، ان غاية ما أستطيع أن أقول انها لذة الروح وهل الأطفال لا يحملون الأرواح ؟ ولا يشعرون باللذة الروحية ؟ بلى والله ! بل ان الاطفال أشف روحا وأصح شعورا ، وان عجزوا عن التعبير ..

كنت أقرأ فى هذا الكتاب المعجب المطرب خبر من كان يسلم من قريش فتنهال عليه أنواع العذاب فكان يحتمل كل ذلك فى ثبات وصبر بل فى لذة وسرور ، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء ، وكثير ممن يعدون فى الحياة سعداء ، وهو أن تضرب على الحق وتضطهد فى عقيدة وتهان فى سبيل الدعوة ، وأن هذه اللذة لا تعدلها لذة القوة والظفر والحكم ، ورأيت نفسى تتمنى أن تسعد بهذه اللذة وبهذه الكرامة ولو مرة فى العمر ..

وقرأت قصة مصعب بن عمير وكان مثال الترف والأناقة فى اللباس والبذخ فى المعيشة وهو فتى قريش الناعم ، يخرج بمكة وعليه ثياب تقوم بمائة من الدراهم ، ويتبعه الغلمان ويصبح حديث الوادى ، ثم يضع يده فى يد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيخرج من كل هذا النعيم والترف ويتخشن فى اللباس ويتقشف فى المعيشة ، وقد يضطر الى أن يمسك رداءه بشوك السمر ويدمع هذا المنظر عين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ويذكر ما كان عليه مصعب من رقة المعيشة ونعومة الحياة ، ويقتل فتى الفتيان فى أحد فلايخلف الا كساء اذا غطى رأسه به انكشفت رجلاه ، واذا غطيت رجلاه انكشف رأسه ، فيقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ غطوا رأسه وضعوا على رجليه الاذخر .

قرأت هذه القصة ، فسلكت قلبى وأسـرت نفسى وعـرفت أن وراء العيش النـاعم واللبـاس الفاخر ، والطعـام الأنيق والقصر الشـامخ حاجة تقاصرت عنهـا همم الأثرياء والملوك ولذة جهلهـا أصحاب الشهوات والمعدات ، ورجعت الى نفسى فوجـدتها تطمح الى هـذه الحاجة وترغب فى هـذه اللـذة ، ووجدتها أكثر اجلالا لهذه الحقيقة منهـا لمـلابس الأغنيـاء والمظاهر الجوفاء .

وقرأت قصـة الهجرة النبوية ، قصة لا أعرف أنى قرأت قصة أكثر تأثـيرا وأجمل تصويرا من هـذه القصـة التى يحكيها المؤلف ، فى صدق وبساطة ، يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم المدينة وقد تعلقت به القلوب وطمحت اليه الأبصار ، وتتقدم قبيلةقبيلة وتقول فى صدق واخلاص يا رسول الله ، هلم الينا الى العدد والعدة والمتعة ، فيقول ــ فداه أبى وأمى ــ خلوا سبيلها « أى الناقة » فانها مأمورة، ثم تبرك على باب مسجده اليـوم وتأبى أن تقـوم ويأبى الله الا أن يكون هذا الشرف الذى ليس فوقه شرف الا لأبى أيوب الأنصـارى ، فيحتمل أبو أيوب رحله فيضعه فى بيته ، وأقرأ سرور أبى أيوب بهذه الكرامـة التى سـاقها الله اليـه واخلاصه فى ضيافته أقرأ كل هذا وأجد قلبى قد تركنى ورافق ناقة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيدخل فى ركابه المدينة وأجـد كأنى أشاهد كل ذلك بعينى ، وأجد أن كل ما قرأتأو سمعت مندخول الملوك والفاتحين والعظماء والأغنيا قد تضاءلواضمحل وأن كلماعرفته من حب واخلاص من رجل لرجل قد ذاب وغاب واتسم هـذا المنظر فى نفسى وفى ذاكرتى .

وقرأت قصـة أحد ، قصـة لم يعرف التاريخ أعظم منها وأغـرب منها وأجمل منهافىالوفاء والاخلاص والبطولة ، والايمان واليقينوالخلق الكريم ، وقد هز قول أنسبنالنضر رضى الله عنه للذين جلسوا وألقوا بأيديهم وقالوا : قتل رسول اللهــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : فماذا

تصنعون بالحياة بعده ، موتوا على ما مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وقول القائل .... انى لأجد ريح الجنة من دون أحد ، والذى كانت أمنيته الأخيرة أن يصل الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو فى آخر عهده بالدنيا فحملوه اليه وهو يجود بنفسه ولفظ نفسه الأخير بين قدمى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكيف ترس أبو دجانة رضى الله عنه بنفسه دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ، الى غير ذلك من أحاديث الحب والتفانى ، وهكذا أتابع قراءتى لهذا الكتاب ، وقد يغلبنى البكاء فأبكى ، وقد تملكنى السرور والطرب فأطرب ..

ان الحسنة التى لا أنساها لهذا الكتاب وصاحبه المخلص ، أنه أثار فى قلبى كامن الحب الذى لا لذة فى الحياة بغيره ، و لاقيمة للحياة بغيره ، وقد صدق الشاعر الفارسى(١) حيث قال : « قاتل الله ذلك اليوم الذى مضى ولم أذق فيه لذة الحب ، ولا بارك الله فى الساعة التى مضت ولم تهب فيها نفحة من نفحات الحب ، وسحقا للحياة اذا قضيتها كلها فى تحكيم للعقل والخضوع للمنطق .

بل ان الحب هو محصول الحياة ولب اللباب ، وقد أجاد القائل الذى يقول (نظرت فى هذا العالم فاذا هو بيدر (٢) واسع ونظرت فيه فاذا « الحب » هو الحب الوحيد وكل ما عداه فهو تبن وحشيش ، وهشيم وحصيد) .

هذا هو « الحب » الذى امتاز به من امتاز من الأبطال ونوابغ الرجال والعبقريين بين أقرانهم وأمثالهم ، وعاش به من عاش من الضعفاء وأوساط الناس وخلف آثارا عجز عن انتاجها أقوى الرجال وأغناهم ، وملكه الرجال فقهروا الأمم وملكته الأمة فقهرت العالم .

هذا هو « الحب » الذى أفلست فيه هذه الأمة فى العهد الأخير

---

(١) هو شاعر الفارسية البارع الأمير خسرو .
(٢) البيدر الموضع الذى يجمع فيه الحصيد ويداس .

فملكت مالا طائلا وعلما واسعا وجاها عريضا ودولا كثيرة ، ولكنها أفلست فى « أكسير الحياة » فأصبحت جسدا ميتا تحمله الحياة على أكتافها ..

هذا هو « الحب » الذى كان أعظم الطبقات افلاسا فيه الطبقة العصرية المتعلمة فى هذه الأمة : فكانت أجوفها روحا ، وأضعفها مقاومة ، وأخفها وزنا وأكدرها حياة وأضلها عملا ..

وشكرا لهذا الكتاب وصاحبه ، لأنه أثار فى نفسى كامن الحب وحركه ، وشكرا على أنه وجه هذا الحب المنبعث ، المتحرك الى من يستحقه بما فطر عليه من معانى الحسن والاحسان ، ومعجزات الجمال والكمال ، الذى لم يخلق الله فى هذا الكون ــ وهو الخلاق المبدع ــ أجمل منه سيرة وصورة ، وأقوم منه خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ..

ان مصيبة هذه الأمة البائسة أنها قطعت صلتها عن القلب وحرمت لذة الحب ، وقد صدق شاعر الاسلام محمد اقبال اذ قال :

(ان كارثة المسلمين فى هذا العصر أنهم يحملون القلوب ولا يعرفون المحبوب أنهم يملكون مادة الحب ، ولا يعرفون من يشغلونها به ويوجهونها اليه) .

سلام عليك يا سليمان ، لقد وجدت فى كتابك نعمتين لا أعدل بهما نعمة بعد نعمة الاسلام ، انما هما الحب الطاهر ، ونعمة هدفه الصحيح ويا لها من نعمة (١) .

ابو الحسن الندوى

---

(١) مقال نشرته مجلة « البعث الاسلامى » التى تصدرها ندوة العلماء فى لكنؤ الهند ــ وهى حلقة من سلسلة الكتب التى عشت فيها ، كتبها المؤلف لهذه المجلة .

طريق النجاة

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودى

— ٣ —

انكم اذا أمعنتم النظر فى هذه القضية بحب واهتمام ، فلابد أن تجدوا لفساد حياتكم مبعثا آخر عدا الجهل .

ان مقدارا يسيرا من العقل كاف لتدركوا : أن ليس الانسان عبارة عن فرد أو أسرة أو أمة ، بل الناس كلهم من أى جنس كانوا أو الى أى أرض ينتمون أناس على كل حال ولهم جميعا حق الحياة ، ومن حقهم جميعا أن تتحقق لهم حاجاتهم ، ومن حقهم جميعا أن يتمتعوا بالأمن والعدالة والعز والكرامة . فان كانت « الرفاهية الانسانية » عبارة عن شىء فما هى بعبارة عن رفاهية فرد أو أسرة أو أمة مخصوصة ، وانما هى عبارة عن رفاهية أفراد الانسانية كلهم أجمعين ، والا فليس لكم أن تقولوا ، اذا كان فرد منهم فى الرفاهية وكان عشرات منهم فى البؤس : ان الانسان سعيد . كما أن السعادة اذا كانت عبارة عن شىء فما هى بعبارة عن سعادة فرد أو طبقة أو أمة مخصوصة ، وانما هى عبارة عن سعادة أفراد الانسانية كلهم أجمعين ، وليس لكم أن تقولوا ، اذا كان فرد منهم سعيدا ، وكان عشرات منهم أشقياء ، ان الانسان سعيد .

اذا صح هذا ، فتفكروا : كيف وبأى طريق يمكن أن تتوفر السعادة والرفاهية الانسانية ؟ ولا سبيل لحصولها فى نظرى الا اذا تولى وضع نظم الحياة الانسانية من كان أفراد الانسانية كلهم متساوين فى نظره كأسنان المشط ، ولا يقرر الحقوق لهم جميعا الا من كان فوق كل غرض شخصى ولم يكن مشغوفا

بأغراض فرد أو أسرة أو طبقة أو بلد أو أمة بصفة مخصوصة ، ولايطيع الجميع الا من كان لا يخطىء فى اصدار أحكامه لجهل ولا يستغل سلطات الحكم والسيادة استغلالا جائرا انجرافا وراء الأهواء ولاكان عدوا لهذا وصديقا لذلك أو مناصرا لهذا ومعارضا لذاك ، ومائلا الى هذا ومتذمرا من ذاك .. لا يمكن أن تقوم العدالة فى الأرض الا هكذا ، ولا يمكن أن ينال كل أفراد الانسانية وكل أممها وشعوبها وكل عناصرها وطبقاتها حقوقها الا هكذا ، ولا يمكن أن يزول الظلم والعدوان عن وجه الأرض الا بهذه الطريقة ..

اذا صح ما قلت ، فانى أسألكم: هل من الممكن أن يوجد فى الدنيا انسان نزيه كهذا ، ومحايد كهذا وتظيف كهذا ، وبرىء من كل مواطن الضعف الانسانى كهذا ؟ فلعل أحدا منكم لن يتجرأ على أن يجيب عن سؤالى هذا بالاثبات .. اذ ليس هذا الا من شأن الله جل وعلا ، وما لأحد غيره أن يشاركه فيه .

أما الانسان ، فمهما كان بالغا من العظمة والقوة لا يخلو عن أغراض شخصية ومصالح ذاتية ، ويربطه بأحد من الناس ما لا يربطه بأحد غيره ، وهو يحب أحدا من الناس ويبغض غيره . فهذا الضعف البشرى ، من المستحيل أن يكون أحد من أفراد الانسانية بريئا منه بحال ومن هنا فان البلاد التى تطبق فيها القوانين الوضعية دون قانون الله ، ويتبع أهلها أحكام البشر دون أحكام الله ، ويوجد فيها الظلم والجور والعدوان بصورة من الصور ..

انظروا الى هؤلاء الملوك وأفراد البيوتات الملكية الذين خصوا أنفسهم بحقوق امتيازية قسرا ، وقد جعلوا لأنفسهم من العز والكرامة والمكانة الرفيعة وموارد الدخل والحقوق والسلطات مالا يشاركهم فيه أحد من غيرهم . فهم فوق القانون ولا يجوز أن تقام عليهم دعوى ، ولهم أن يفعلوا ما شاءوا وشاءت أهواؤهم ، اذ لا يحل لأحد أن يرفع أمرهم الى المحكمة ولا لأية محكمة أن تأمرهم

بالمثول لديها للدفاع عن أنفسهم . وأن الدنيا كلها تشهد أنهم يخطئون ولكن ما يقوله القائلون ويؤمن به المؤمنــون : « ان الملك منزه من الخطأ وأن الدنيا كلها تشهد أنهم أناس كغيرهم خلقوا من لحم ودم كأى فرد من أفــراد البشر الا أنهم يفرضون أنفسهم آلهة لغيرهم يجلسون فوقهم جميعا والناس يقومون أمامهم مكتوفى الأيدى خاضــعين فزعــين كأنهــم هم الذين بأيديهــم رزقهم وحياتهم ومماتهم ، انهــم يمتصون دماء رعاياهم وينهبون أموالهم بكل وسيلة مشروعة وغــير مشروعة ثم يبذرونهــا تبذيرا فى ما يتخــذون لأنفســهم من القصــور والمراكب وأدوات الترف والزينة والتفرج ، حتى ان كــلابهم لتتناول من ألوان الطعام والشراب مالا ينــاله الرعايا الذين يدفعون اليهم الضرائب من مكاسبهم . فهل هــذا عدل ؟ وهل هذا طريق يكون من سنة عادل ، حقوق جميع البشر ومصالحهم فى نظره متســاوية ؟ وهــل يرجى من هؤلاء أن يضعوا للانسانية وأفرادها قانونا يقــوم على مبادىء الحــق والعــدالة ؟

انظــروا الى هؤلاء البراهمــة ومشايخ الطرق .. انظروا الى هؤلاء الأمراء الأغنياء والمترفين والمرابين . انظروا الى أصحاب المصانع الكبيرة وملاك الأراضى الواســعة الشاسعة .. كل هؤلاء يعتقدون أنفسهم أنهم فوق عامة أفراد الانسانية ، ومن هنا فان كل ما وضع فى الدنيا من القوانين والشرائع تحت نفوذهم وسلطانهم ، يعطيهم من الحقوق مالا يعطيه لعامة الناس كأنهم أطهار وغيرهم أنجاس ، وهم أشراف وغيرهم أراذل ، وهم أعــلون وغــيرهم أسفلون ، وهم لينهبوا ويسلبوا وغــيرهم لينهبوا ويسلبوا ، ويضحى فى سبيل أهواء نفوسهم بكل شىء من نفوس عامة الناس وأموالهم وأعراضهم . فهل من الممكن القول بأن هذه الضوابط قد وضعها منصف ؟ أو لا ترون فيها الأثرة والانحيــاز بصراحة ؟ أو من الممكن أن يتم وضع قوانين عادلة فى مجتمع يسيطر عليه أمثال هؤلاء ؟

انظروا الى هــذه الأمم الحاكمة التي قد استعبدت أمما غيرها معتمدة على ما لديها من القوة فأى قانون من قوانينها وأى نظــام من نظمها لا تسرى الأثــرة فى عروقــه ؟ ان أفرادها يعتبرون أنفسهم أناسا من الدرجة العليــا ، بل يعتقدون أنهم هم الناس دون غيرهم . أما أفراد الأمم الضعيفة فمــا هم فى نظرهم أناس بمعنى الكلمة ، وان كانوا من الدرجة السفلى . لأجل هذا فانهم يعتقدون أنفسهم فوق غيرهم من كل جهة ، ويرون من حقهم أن يضحوا فى سبيل أغراضهم بمصالح غيرهم. وهذا اللون موجود فى كل ما تم وضعه فى الدنيا من القوانين وواقع تحت نفوذهم وتأثيرهم .

هــذه نبذة يسـيرة من الأمثلة ذكرتها لكم على سبيل الاشارة . ولا يسمح المقام بذكر التفاصيل ، وكل ما أريد بيانه لكم والقاءه فى روعكم هو أن الانسان حيثما نصب نفسه للقيام بعملية وضع القــانون فى الدنيا ، فان الجور والظلم قــد حصل فعلا ولم يكن من حصــوله بد ، فمن النــاس من قــد أعطوا أكثر من اللازم من حقوقهم المشروعة ومنهم من لم يحرموا من حقوقهم المشروعة فحسب بل لم يدخر جهد فى حطهم عن مستوى الانســانية ويرجع السبب فى ذلــك الى مافى الانسان من ضعف ، وهــو حين يتصدر للقضــاء فى أمر ما تتجاذبه مصالح ذاته أو أسرته أو ســلالته أو طبقته أو شعبه أو أمته ، ولا يجد فى قلبه من العطف والرعاية مايجد لنفسه وذويه أثنــاء تقرير الحقوق وتحديد المصالح .

فقولوا لى بالله، هل ثمة من علاج لهذا الظلم والعدوان غير أن نضرب عرض الحائط بكل ماوضع الانسان من القوانين والنظم للحياة الانسانية ونصبح لانؤمن الا بقانون الله الحى القيوم الذى لا يفرق بين انســان وانسان ، وان كان ، فانما هو باعتبار أخلاقه وأعمــاله لا باعتبار جنســه أو طبقته أو قوميته أو لونه .

كيف السبيل الى السلام ؟

سادتي وأخواتى : ان هذه القضية لها ناحية أخــرى لا أبيح لنفسى أن أصرف عنهــا النظر : مما لا يخفى عليكم أن هناك أمرا وحيــدا هو الذى بامكانه أن يضع حدا لجماح

الانسان وشراسته فى هذه الدنيا ألا وهو شعوره بما عليه من التبعة والمسئولية . فان أيقن شخص فى هذه الدنيا بأن له أن يفعل مايشاء وليس هناك من يسأله عما يفعل ولا هناك فوقه قوة تعاقبه على مايفعل فلا جرم ، لن يكون ثمة حد لجماحه وشراسته . وكما أن هذا صحيح فى مايتعلق بفرد ، فانه صحيح كذلك فى ما يتعلق بأسرة أو أمة أو سكان الأرض جميعا . وذلك أن أسرة ما حين تطمئن بأن ليس لأحد أن يسألها عما تفعل ، تتعدى حدودها المشروعة وتأبى أن تقف عند حد من الحدود وان طبقة كذلك حين تأمن على على نفسها كل مسئولية واستجواب، لا يرد عنها شىء من ظلم الآخرين والاعتداء على حقوقهم ، وأن أمة أو دولة حين تجد نفسها قد بلغت من القوة والعظمة حيث لاتخاف على نفسها مغبة اعتداءاتها تشرع فى افتراس من حولها من الأمم الضعيفة كما يفترس من الذئب الغنم فى الغابة . وهذا من أهم أسباب ما يوجد فى الدنيا اليوم من القلق والاضطراب . فما دام الانسان لايؤمن بأن هناك فوقه من لا بد أن يسأله عن أعماله وتصرفاته وأنه قوى قادر على معاقبته ، من المحال البتة أن ينغلق فى الدنيا باب الظلم ويسودها الأمن والسلام الصحيح .

وقولوا لى الآن: أى قوة غير قوة رب العالمين من الممكن أن تكون قوة رادعة كهذه؟ أما أبناء البشر أنفسهم فمن المحال أن يكون أحد منهم بالغا هذه الدرجة من القوة ، لأن كل انسان — فردا كان أم طائفة — تنزلونه هذه المنزلة ، من الممكن أن يتحول هو نفسه الى حر طليق لايعرف لأعماله ولتصرفاته حدا، ولا يؤمن منه أن يصير هو نفسه أكبر فرعون فى الأرض، ولا يستبعد منه أن يستخدم دواعى الأثرة والانحياز ليرفع أناسا ويضع آخرين . لقد ألف الغرب عصبة الأمم لمعالجة هذه المعضلة ولكنها ما لبثت الا قليلا حتى تحولت عصبة للأمم خاصة بالبيض . وبعد أن صارت أداة فى يد دول قوية أباحت لنفسها أن تعبث بحقوق الأمم الضعيفة ولا تنصفها من الأمم القوية كلما ظهر الخلاف بينهما . فهل من شك بعد هذه

التجارب فى استحالة بروز قوة من بين أبناء البشر أنفسهم يكبح خوف المسؤولية أمامها جماح الدنيا بأسرها أفرادا وأمما ودولا ؟ ان قوة كهذه لابد أن تكون خارجة عن الدائرة الانسانية وفوقها . وقوة رب العالمين هى التى تقدر أن تحقق هذا الأمر . فان كنا لانريد لأنفسنا شرا فلا مناص لنا البتة من أن نؤمن بالله ونسلم أنفسنا الى حكومته العادلة رعايا خاضعين منقادين لانعصى له أمرا ، ولا نعيش فى هذه الحياة الا مستيقنين بأنه سبحانه وتعالى يعلم كل ما ظهر أو خفى وكل ما جل أو دق من أمورنا ، وانه لابد أن يأتى علينا يوم نقوم فى محكمته ليحاسبنا عن كل أعمالنا وتصرفاتنا التى قمنا بها فى حياتنا الدنيا . وأى والله ... لا سبيل هناك غير هذا السبيل لنعود أناسا صالحين متمتعين بالأمن والسلام .

شبهة :

وقبل أن أنهى هذه الخطبة أرى لزاما على نفسى أن أزيل شبهة ربما تكون تخالج قلب كل شخص منكم وهى : أن مملكة الله لما كانت تبلغ من العظمة والهيمنة حيث ليس كل شىء من ذرة فى الأرض الى الشمس والقمر الا فى حوزتها ، وانه لما لم يكن الانسان فى مملكته مجرد عبد خاضع لأمره فكيف أمكن الانسان أن يخرج من طاعته ويعلن نفسه ملكا على رعاياه وينفذ فيهم قانونه ؟ وما لله لا يمسك بيده ولا يعاقبه ؟ ان هذا السؤال سوف أرد عليه بمثل بسيط :

هب أن ملكا يرسل أحدا من رعاياه نائبا من قبله على مديرية من مديريات مملكته ... ما المملكة الا مملكة الملك وما الرعايا الا رعايا الملك وما كل شىء من القطار والبرق والهاتف والجيش وسائر الأجهزة الا بيد الملك ، وأن سلطة الملك محيطة بتلك المديرية من كل جانب ، فما رئيس تلك المديرية « أى نائب الملك » بشىء يذكر بازاء الملك ، وللملك ، كلما شاء ، أن يرغمه على أن لا يحيد عن أمره ولا قيد شعرة . الا أن الملك يريد أن يمتحن عقل ذلك الرئيس ومروءته وكفاءته ، فيرخى

عنانه ويترك أمره على غاربه ويوسع له فى غيه ليظن أن لا قوة هناك فوقه .

وهذا الرئيس ان كان عاقلا وفيا شاعرا بالواجب ، فانه لن يعتقد نفسه الا أحد رعايا الملك وخدمه على رغم ارتخاء العنان ، ولن يحكم فى مملكة الملك الا وفقا لقانون الملك ، ولن يمارس ما أعطاه الملك من السلطات والصلاحيات الا وفقا لارادة الملك . وبهذا السلوك القائم على مبدأ الوفاء والولاء تتحقق أهليته ولابد أن يرفعه الملك درجات ويجعله من خدمه المقربين الى جنابه حين يجده أهلا للمراتب العليا هكذا .

ولكن هب أن ذلك الرئيس سفيه عديم العقل والمروءة شرير النفس لا يقيم للوفاء وزنا ، وان أفراد الرعايا الساكنين فى تلك المديرية جهال جبناء سفهاء ، فهو حين يرى حبله على غاربه وعنانه مرتخيا من قبل الملك ، ونفخ فى أوداجه شيطان الغرور والخيانة ، وتداعب نفسه فكرة الاستقلال والخروج من طاعة الملك فيعتقد نفسه مالكا لتلك المديرية ، ويتصرف فى أمورها على هواه مستغنيا عن الملك وقوانينه ، وأفراد الرعايا الجهال يعترفون له بالسيادة والاستقلال لمجرد رؤيتهم أنه هو الذى يعطيهم الرواتب ، وأن بيده الشرطة والمحاكم ، وأن فى قبضته أغلال السجون وأعواد المشانق وأن عنده من السلطات ما يستطيع أن يجعلهم به سعداء أو أشقياء فى حياتهم .

أما الملك فهو غير غافل عن سلوك ذلك الرئيس الخائن وسلوك أولئك الرعايا الجهال جميعا ، وهو ان شاء أخذه وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، الا أنه يريد أن يمتحنه ويمتحنهم جميعا ، فيسلك مسلك الأناة والحلم والامهال والانتظار فيرخى العنان فى وجوههم حتى يبدو للعيان كل ما يكنون فى نفوسهم من مواطن الخيانة والغدر ، ويغلقوا على أنفسهم كل باب من أبواب الاعتذار . انه قوى عزيز لا يخاف أن يتقوى ذلك الرئيس ويستفحل شأنه حتى يبلغ

حيث يسلبه عرشه ، ولا يخاف كذلك أن يفلت هؤلاء الرُعايا الخـائنون الخـارجون من طاعتـه بزعمهم من متناول يده .

فلا حاجة به أن يقضى فى شـأنه وشـأنهم على عجـل ، فيملى لهم ويوسع فى غيتهم الى سنة تلو سنة، حتى اذا أعلنوا كل ما تنطوى عليه نفوسهم من الخبث والشراسة على أكمل وجـه وأوفره ، يفـاجئهم ، بعذابه ؛ وحين يأتى عذابه لا يستطيعون رده بحيلة ولا يجدون سبيلا للتوبة والاعتذار .

سادتى واخوانى أنا وأنتم وكل هؤلاء الذين جعلهم الله رؤسـاء فى أرضه نواجه هذا الامتحان ، وكلنا ممتحنون فى عقلنا ومروءتنا وشعورنا بالواجب ووفائنا، فعلى كل واحد منا أن يقرر عند ذات نفسه: هل يحب أن يكون وفيا أم خائنا لملكه الحقيقى ؟ أما أنا فقد قررت عند نفسى أن أتبع سبيل الاطاعة والوفاء ، وأنا خارج من طاعة كل من قد خرج من طاعة الله . فمن شاء منكم فليسلك طريق الطاعة والوفاء ومن شـاء فليسلك طريق المعصية والخيانة . ففى جانب متاعب ومنافع يستطيع القوم والبغاة ايصالها اياكم ، وفى الجانب الآخر متاعب ومنافع يقدر الله أن يصيبكم بهـا فلكم أن تختـاروا احـدى السبيلين . قل هـذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى.

وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين ..

ترجمه عن الأردية

خليل الحامدى

قال حكيم : لا توجد العظمـة بين الرجال الا حيث يوجـد الصبر .

دراسات قرآنية :

آية الله في سبأ - حضارة العرب

سد مأرب - سيل العرم

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له » .

الآيات : ١٥ - ١٩ من سورة سبأ .

البيان

سبأ أمة عربية عريقة المجد والحضارة ، يعيش في أرضها الآن اخواننا اليمانيون - من سلالتهم - وهؤلاء ينتسبون الى جدهم سبأ الذى انحدرت من سلالته قبائلها وفصائلها .

جاء في حديث شريف عن فروة ابن مسيك قال : (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله أخبرنى عن سبأ ، أرجل هو أم امرأة ، فقال : هو رجل من العرب، ولد عشرة : تيامن منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد ، وكندة ، ومدحج والأشعريون ، وأنمار - ومنهم بجيلة - وأما الذين تشاءموا فعاملة، وغسان ، ولخم ، وجذام) .

وفى شرح قصيدة عبد المجيد بن عبدون لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى البسنى ، أن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك اليمن .

وكانت مأرب (بوزن مسجد) عاصمة لمملكة سبأ.وكانت مساكنهم فى هذه المملكة آية عظيمة على وجود الخالق سبحانه ، وعلى ما تمتاز به مقدوراته جل وعلا من جمال بديع ، كما أن تدمير هذه المساكن العامرة الجميلة واغراق كثير من أهلها لعصيانهم ، آية على أنه عزيز ذو انتقام .

وقد شرح الله آيتـه فى مساكن سـبأ بقـوله « جنتـان عن يمين وشمال » والمراد من الجنتين جماعتان عظيمتان من البساتين ، جماعة عن يمين مساكنهم ، وجماعة عن شماله — كما قاله قتادة — واطلاق الجنة على كل جماعة منهما ، لتقارب جنـاتها وتضامها كأنها جنة واحدة .

وقيل ان المعنى أن كل واحد من أهل سبأ كان له جنتـان ، احداهما عن يمين مسـكنه ، والأخـرى عن يساره .

وعلى أى حال فان قراهم ومساكنهم كانت فى ريف رائع ، وخصب ممتع ، تحيط بها البساتين والجنان ، ويفوح من أزاهيرها العبير ، وتتـدلى من أغصـانها الثمار ، واستحقت لذلك أن يقول الله تعالى لهـم فى شأنها « كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » (1) .

أى قال الله لسبأ على لسان نبيه الذى بعثـه اليهم : كلوا من رزق مولاكم الذى رباكم بنعمه وأخرج لكم من أرضه هذه النعم مباحة لكم ، وما لأحد من خلقه يد فى انبات زرعها ولا انشاء شجرها ، « أأتتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » وعليكم أن تقابلوا رزق ربكم بشكره على نعمته ، بالايمان الصادق ، والعمل الصالح ، والذكـر المستقيم ، فهـذه البلدة المحوطة بالبساتين والبقول والأرزاق ، بلدة طيبة الهواء ، عذبة المـاء وافرة النعم ، حسنة المناخ ، قليلة الأسقام وربكم الذى رزقكم هذه النعم وطلب شكركم عليها ، رب عظيم الغفران لذنوب الشـاكرين التى تفرط منهم ولكن القوم لم يصغوا لدعوة نبيهم اياهم الى شـكر المنعـم سـبحانه « فأعرضـوا » عنهـا وأصروا على اعراضهم .

« فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

قال المغيرة بن حكيم وأبو ميسرة: العرم جمع عرمة ، وهى كل ما بنى أو سنم ليمسك المـاء ، ويقال لهذا

---

(1) من الاتفاقات النادرة أن لفظ (بلدة طيبة) بحساب الجمل واعتبار هاء التانيث بأربعمـائة كما ذهب اليه كثير من الأدباء وقع تاريخـا لفتح القسطنطينية : قاله الألوسى .

البناء بلغة الحجاز المسناة ، وعن ابن عباس وغيره هو اسم للوادى الذى كان منه السيل ، وبنى السدفية : اهـ (١) .

روى أنه بنى فى عهد بلقيس ، وكانت مياه المطر تتجمع فى مكان بعيد عن أرضهم وتأخذ سبيلها اليهم فى ثلاثة أيام ، فتفيض عليهم وتغرق أرضهم ، فأمرت بلقيس ببناء سد بين جبلين ذى فتحات وأبواب فوقها قناطر ،وعدد هذه الفتحات اثنتا عشرة فتحة ، تصب كل فتحة منها فى نهر ، أى أن تلك البلاد كان بها اثنا عشر نهرا متفرعة عن مخارج هذا السد ، يقول المؤرخون : انه بنى بالصخر القار ، ولعلهم يريدون بكلمة القار مادة سوداء تشبه القار فى لونها ، ولكنها أشد ثباتا وقوة منه بحيث تحتمل ضغط الماء ولا تتحلل ، وقيل : ان الذى بناه هو حمير أبو القبائل اليمنية ، وقيل : بناه لقمان بن عاد ، ورصف أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان طوله فرسخا .

وكان هذا السد يسمى سد مأرب ، نسبة الى مدينة أثرية يقوم السد الى جوارها ، وقد صور هذا السد الطيار المصرى الأول (أنيس باشا) رحمة الله تعالى عليه ، وكان ذلك فى عهد الامام يحيى حميد الدين امام اليمن ، ونشرت الصحف وقتئذ صور بقاياه الى جوار مدينة مأرب ، وكان منظرها ينم عن عظمة مهندسيه وعراقتهم فى فن البناء ، والعبقرية فى الهندسة ، فى هذا الوقت الواغل فى القدم ، حيث كان الغربيون وقتئذ يشبهون العجماوات ، ويعيشون كالسوائم .

وقد دعتهم هذه المدنية الى اقامة حياتهم على أرفع طراز من الرفاهية والسعة والنعمة ، حتى كانت المرأة العادية تخرج وعلى رأسها المكتل فارغا ، وتعود به مليئا من الثمار التى تساقطت فيه من الأشجار أثناء سيرها ــ كما قاله بعض المؤرخين .

---

(١) وقيل العرم بمعنى الصعب الشديد ، واضافة سيل اليه من اضافة الموصوف الى صفته على رأى من أجازها .

ولما أعرض هؤلاء المترفون عن شكر نعم الله تعالى ، وأصروا على الاعراض بعد أن وعظهم نبيهم انتقم الله منهم ، فأرسل عليهم سيلا شديدا قويا حطم سد مأرب القوى العظيم وترتب على ذلك غرق بساتينهم وقراهم وموت كثير منهم ، وبدلهم بذلك ما قص الله تعالى حيث قال :

« وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذَوَاتَىْ أُكُل خَمْط وأثل وشىء من سدر قليل » •

والأُكُل الثمر ، والخمط الحامض أو المر ، والأثل ضرب من الطرفاء — على ما قاله أبو حنيفة اللغوى والسدر — كما قال الأزهرى — سدران : سدر لاينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول ، وله ثمرة عفصة لا تؤكل ، وهو الذى يسمى الضال ، وسدر ينبت على الماء ، وثمره النبق ، وورقه غسول يشبه شجر العناب : اهـ •

واختلف فى المراد منه هنا ، فقيل الثانى ، ووصف بالقليل لأنه لو كثر لكان نعمة لانقمة فان ثمره مما يطيب أكله ، وانما أوتوه تذكيرا للنعم الزائلة ، لتكون حسرة عليهم ، وقيل المراد به المعنى الأول ، لأنه هو الأنسب بالمقام ، ولكن صاحب هذا الرأى لم يذكر حكمة لوصفه بالقلة ، والظاهر المعنى الأول •

وخلاصة معنى هذه الجملة : وأذهبنا جنتيهم بسيل العرم ، وأتينا بدلهما بجنتين ذواتى ثمر حامض أو مر ، وصاحبتى ضرب من الطرفاء وقليل من شجر النبق جزاء لهم على اعراضهم عن شكر ربهم ومبالغتهم فى الكفر •

« وهل نجازى الا الكفور » أى وما نجازى هذا الجزاء الشديد المستأصل الا المبالغ فى الكفران أو الكفر « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة » •

بعد أن حكى الله تعالى فى الآيات السابقة ما أنعم الله تعالى به على أمة سبأ فى مساكنهم ومواضع اقامتهم ، وأنهم كفروا بنعمة الله تعالى ، فعاقبهم باغراق بساتينهم الجميلة بسيل العرم ، وابدالهم بها أشجارا لا غذاء فيها ولا جمال الا القليل ، بعد أن حكى الله ذلك ،

جاءت هذه الآية الكريمة وما بعدها لبيان ما أنعم به عليهم من النعم فى أسفارهم ومتاجرهم ، وأنهم لما كفروا بتلك النعم ولم يقدروها قدرها عوقبوا بالحرمان منها .

والمراد بالقرى التى بارك الله تعالى فيها : قرى اقليم الشام ، فقد بارك فيها بكثرة أشجارها وثمارها والتوسعةعلى أهلها،وعن ابن عباس أنها قرى بيت المقدس – وهو قريب من المعنى الأول – وقيل غير ذلك ، والمعول عليه هو المعنى الأول ، حتى قال ابن عطية : ان اجماع المفسرين عليه ؛ والمراد بالقرى الظاهرة التى كانت بين مساكنهم وبين الأرض المباركة : القرى المتقاربة – كما قال قتادة ، ومعنى ظهورها أن من كان فى احداها تظهر له التى تليها لشدة تقاربها ، وقال المبرد : القرى الظاهرة المرتفعة على الآكام والظراب (أى الروابى) وتعتبر أشرف القرى وأعلاها شأنا ، وقال غيره : ظاهرة بمعنى معروفة ، وتعرف القرية لحسنها ورعاية أهلها لمن يمر بها ، ومعنى تقدير السير فيها ، أن نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين محسوب ، بحيث يعرف من وصل الى قرية أنه سيصل الى التى تليها بعد قدر معين من الزمان أو من المقاييس المعروفة وقتئذ .

والمعنى : وجعلنا بين أهل سبأ وبين قرى الشام المباركة الكثيرة الخيرات ، قرى ظاهرة على الروابى والآكام ، أو متقاربة بحيث تظهر كل قرية لأهل القرية التى تليها ، وجعلنا نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين زمنا ومقياسا ، بحيث يعلم كل مسافر بالتجربة متى يصل الى مقصده ، ويعلم المقاييس التى يمر بها ، وكانت درجة القرب بينها الى درجة أنهم يسيرون فيها ليالى وأياما آمنين ، فلا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات،فان من يفكر فى الاعتداء ، يخشى وصول النجدة للمعتدى عليه من مكان قريب .

والأمر فى قوله تعالى « سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » اما على حقيقته على لسان نبى لهم ، واما على سبيل المجاز ، بأن ينزل تمكينهم من السير المذكور وتهيئة أسبابه منزلة أمرهم

بذلك ، وعلى كل فالأمر للاباحة ، « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » الآية

النفس البشرية مولعة بتغيير الواقع وان كان خيرا لها مما تريده، فهؤلاء لما طالت بهم مدة التنعيم . بطروا وملوا ما هم فيه ، وآثروا الذى هو أدنى على الذى هو خير — كما فعله بنو اسرائيل ، حيث طلبوا العدس والبصل بدلا من المن والسلوى ، وقالوا لموسى عليه السلام « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفولها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » .

وهؤلاء السبئيون فعلوا مثل ذلك ، حيث لم تعجبهم بلادهم المتقاربة ، فقالوا لو كانت متاجرنا أبعد ، لكان ما نجلبه منها أشهى وأغلى ، فاجعل البلاد يا ربنا متباعدة تفصلها المفاوز والقفار ، وهم فى طى هذه الرغبة ، يضمرون أن يتفاخروا فى أسفارهم بركوب الرواحل الفارهة ، والتزود بالأزواد الفاخرة، والتكبر على الفقراء العاجزين عن ذلك ، فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة ، وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب.

وقولهم «ربنا باعد بين أسفارنا»: اما أن يكون بلسان المقال ، واما أن يكون بلسان الحال .

فان كفرهم بنعم الله ينادى بتعجيل العقوبة لهم بالحرمان منها بتخريب العامر ، وابعاد المقاصد ، فكأنهم طلبوا ذلك بألسنتهم .

والمعنى الاجمالى للآية : فقال أهل سبأ بلسان المقال أو الحال : ربنا باعد بين أماكن سفرنا حتى نرتحل اليها ويطول ارتحالنا ، وقد ظلموا أنفسهم ببطرهم على نعمة الله، وتعريض أنفسهم للحرمان منها ، فجعلناهم بما أنزلناه بهم من العقاب أحاديث يذكرها الناس على سبيل الاستغراب ، وذلك أننا مزقناهم كل تمزيق وفرقناهم فى الأرض كل تفريق ، ان فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار عظيم الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى ، فانها عبرة لكل معتبر ، وذكرى لكل

مدكر ، وعلامة على طريق الحياة يهتدى بموعظتها الصابر الشكور .

ولقد حدث هذا التمزيق بارسال سيل العرم عليهم ، واغراق بلادهم ، فحملهم ذلك على الارتحال ، فارتحل أولا جفنة بن عامر الى الشام وأولاد قيلة — الأوس والخزرج — الى يثرب (وهى المدينة) وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأزد السراة الى السراة ، وأزد عمان الى عمان ، وأولاد مالك بن فهم الى العراق ، ونزل أولاد ربيعة بن حارثة ابن عامر بن عمرو تهامة ، وسموا خزاعة : الى غير ذلك من القبائل والفصائل ، وفيهم ضرب المثل : تفرقوا أيدى سبا ، وذهبوا أيدى سبا — وروى أيادى سبا — والمراد من الأيدى والأيادى الأولاد ، لأنهم أعضاد الرجل لتقويه بهم ، وفى المفصل : الأيدى الأنفس كناية أو مجازا — قال فى الكشف : وهو حسن .

وفى الكشاف : لحق غسان بالشام، وأنمار بيثرب ، وجذام بتهامة ، والأزد بعمان ، وفى التحرير : أن قضاعة نزلت بمكة ، وأسد بالبحرين وخزاعة بتهامة .

وقد تقدم فى أول هذا المقال حديث تفرقهم فى جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لفروة بن مسيك ، وأرجو أن يكون فى حديثهم عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

قال على — كرم الله وجهه — : لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمن .

وقال أيضا : الصبر مطية ، لا تكبو وسيف لا ينبو .

الإسلام والغرب :

شعوب غير مسلمة أحياها الإسلام وشعوب مسلمة أبادها الشيوعيون

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

— ٥ —

الى الذين زين لهم النفاق ان يصفوا الشيوعية بصفات الاسلام وان يخلعوا على حواريى ماركس صفات القديسين .

الى الذين وصفوا الماركسية بالرحمة وحب الانسان لانه انسان .

الى الذين يجارون بملء حناجرهم أن الماركسية هى انصاف الانسان من ظلم الانسان وجو الاديان .

الى هؤلاء جميعا اقدم هذه السطور الوجيزة من تاريخ الشيوعيين وتاريخ الاسلام .

غير واحد من المستشرقين وغير المستشرقين الذين كتبوا عن الاسلام ذكروا سماحة المسلمين الفاتحين وحسن معاملاتهم للبلاد التى دخلوها واسترعى نظرهم جميعا ما كان لهذه المعاملة الكريمة من أثر فى اجتذاب الأهلين الى الاسلام وحبهم لمبادئه وحكامه على السواء . ولم يكن المسلمون لهذا يكرهون الكتابيين على اعتناق الاسلام ، ولكن الذين دخلوا الاسلام من الكتابيين ومن غير الكتابيين كانوا يتحولون الى دعاة له وهذا سر ما نجده من أن كثرة كاثرة من أعلام الفكر الاسلامى ليسوا من العرب ، بل من البلاد الأجنبية المفتوحة .

تنفس سكان سوريا الصعداء حين أزال العرب كابوس الحكم الرومانى ونير استعباده ، وكان ملاحوهم هم الذين غزوا قبرص والقسطنطينية وجزر البحر الأبيض . وعقد بعض السكان معاهدة مع عبد الملك بن مروان دفعوا بمقتضاها

له الجزية ، فلما شغلته الحروب الداخلية رد لهم ما دفعوا وقال : انه لا فراغ لديه اذ ذاك لحمايتهم ، ولا يستطيع أن يأخذ مالا لا يقابله عمل ، وقد حضر اليه هؤلاء يرجونه قبول الجزية والابقاء على معاهدتهم لأنهم يفضلون حكم العربى المسلم على حكم الرومانى المسيحى .

وكان قبط مصر عيونا لعمرو بن العاص قبل فتحه مصر ، وأعوانا له فى حرب الروم ، وقد منحهم الحاكم المسلم حرية العقيدة وأعطاهم أمانا على كنائسهم وصلبانهم ، وترك لهم اختيار النحلة التى يريدون ، وكان الرومان يجبرونهم على اعتناق المذهب الملكانى ، ويذيقونهم فى سبيل هذا الاكراه سوء العذاب ومن قبط مصر نشأ فقهاء اسلاميون ودعاة للاسلام ومحاربون للدفاع عنه .

والبربر سكان افريقية استعصوا طويلا على الرومان ، فلما أخضعهم قادة المسلمين كانوا هم الذين مدوا الفتح الاسلامى نحو الغرب ، وهم الذين فتحوا الأندلس باسم الاسلام .

وهكذا وهكذا فى كل بلد دخله الاسلام .

وكانت كنائس المسيحيين تجاور مساجد المسلمين .

وكانت مساجد المسلمين فى الأندلس جامعات تحيى النشاط العقلى والتفكير الحر ، وكانت أضواؤها الثقافية تكافح كلمات العصر الوسيط ولقد رثى جيبون — المؤرخ الرومانى الشهير — لحال أوروبا كلها يوم أن انتصر شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقى فى موقعة « بواتيه » قال : لو كانت نتيجة المعركة على العكس مما حدث ، وانتصر المسلمون لانتشرت مساجدهم فى شمال أوروبا وفى انجلترا ، ولكانت مآذنها الشاهقة تحل محل الشرفات التى تعلو الكنائس والكاتدرائيات ، ولكانت أصوات الآذان الشجية الحنون تردد أصداؤها بدلا من رنين الأجراس الرهيب ، ولتقدم ظهور الجامعات فى اكسفورد ، وكامبردج مئات من السنين ، ولتقلص لذلك ظل العصور الوسطى وانقرضت خرافاتها سريعا .

ولقد تقهقرت الحضارة الأوروبية ثمانية قرون يوم أن أعلن فرديناند وازابيلا مراسيم تقضي بالغاء شعائر الاسلام في كل بلادهما وكان انتصار القشتاليين على المسلمين هو انتصار الجهل على العلم ، والخرافة على العقل .وأرغم المسلمون على التنصر وأذيقوا كثيرا من الاهانات والعذاب الأليم ، بل بثت العيون على من يؤدون شعائر اسلامية في بيوتهم ، واعتبرت الصلاة خرقا لقوانين البلاد، وأغلقت مساجد المسلمين وهدم أكثرها وأبقى على بعضها لتكون متاحف أثرية لامتاع السياح والزائرين .

والأمر كذلك في مساجد اليونان والمجر والصرب والبلقان .

وكل هذا يعتبر أمرا هينا اذا قورن بما فعله الروس الشيوعيون بالمسلمين وقد فعلوا مثله بالمسيحيين والبوذيين، هذا لأن الشيوعية صديق الانسانية وتحترم الأديان !! ؟

وحقائق التاريخ أكبر من أن يطمسها المنافقون .

لقد أباد ستالين المؤسس الثاني للشيوعية في روسيا ، ومثبت دعائمها وكيانها العملي بعد أن وضع لينين لها كثيرا من القواعد والنظريات ، وماذا فعل ستالين .. ؟

أباد سبعة أجناس ، أو سبع امبراطوريات ، فسيعها ومحاها من التاريخ ، ومحا أيضا أسماءها ومعالم حضارتها ، وكان بينها ثلاثة أوأربعة شعوب مسلمة . هؤلاء هم : قبائل الشيشين والانجش ، وكانوا متجاورين مترابطين ، والكولاكيين، والتتار .

كانت لأولئك امبراطوريات مستقلة في شمال القوزاق، وتاريخهم يرجع الى فترة تسبق تاريخ روسيا بزمن طويل ، كانوا يحيون حياة ذات حضارة ، ولكنها حياة جبلية تقوم على الرعي والزراعة وتبادل التجارة ولهم منتجات صناعية ، ولم يكونوا لهذا منقطعين عن العوالم الحديثة الكبرى وكانوا على صلة خاصة بمسلمي آسيا وراء البحر الأسود وبحر قزوين وكانوا على عاداتهم القبلية وحياتهم البدوية أباة للضيم يعتزون باستقلالهم ، ولا يقبلون سيطرة دولة أخرى عليهم .

وكانت هذه الامبراطوريات السبع مع أجناس أخرى أقل أهمية تشغل مساحات ممتدة وتجعلها أراضيها تمثل حاجزا بين بعض الدول الكبرى وبعض ، ولعله لهذا الموقع كانت الدول تتحاشى غزوها وابتلاعها فعدوان دولة كبيرة عليها يثير جارتها من الناحية الأخرى، وأهمها الصين والألمان ، وهم أيضا لم يكونوا عزلا ولا مستكينين •

ولما ظهرت روسيا فى التاريخ اعتبرتهم من رعاياها ، وأنها تملك الأراضى التى يشغلونها ، وقامت بين الشيشيين والأنجوش ، وبين الامبراطورة كاترين العظمى حروب لم يقصروا فيها ولم تستطع هزيمتهم، كذلك حاربوا بعدها بعض القياصرة الكبار • وعندما قامت ثورة روسيا بعد الحرب العالمية الأولى أعلن هؤلاء سخطهم على النظام الشيوعى ، ولما تبوأ ستالين كرسى الحكم فى روسيا أظهروا كراهيته وكراهية أسلوبه فى الحكم •

وفى سنة ١٩٣١ اعتقلت السلطات الروسية منهم نحو ٣٥٫٠٠٠ خمسة وثلاثين ألفا ورمت بهم فى سجونها، كما اعتقلت من الكولاكيين ، وكان تبكير روسيا الى الاعتداء على هذه الدول الاسلامية قبل غيرها ، ــ كما هو واضح ــ لما بين الاسلام والشيوعية من عداء •

وظل هؤلاء يناضلون فى سبيل حريتهم •

وفى سنة ١٩٣٦ كانت سياسة هتلر قد تبدت واضحة للدول الأوربية الكبرى ، فبدأت تتخذ سياسة ودية مع مستعمراتها وأصدقائها من الدول الصغيرة ، وكان نقض هتلر لمعاهدة « لوكارنو » واحتلاله مناطق الالزاس واللورين داعيا لكل الدول الأخرى أن تجدد علاقاتها بجيرانها ولذا أعلنت روسيا اعترافها باستقلال الششن والانجش والكولاك •

وعندما قامت الحرب واحتل الجيش الألمانى أجزاء واسعة من الأراضى الروسية لم تصل موجة فتحه الى هذه البلاد ولكن كانت قريبة منها،

وفى سنة ١٩٤٤ سنحت الفرصة لاستالين بكل ما كان يرجو •

كانت ميزان الحرب قد رجحت فى جانب الحلفاء وبدت هزيمة الألمان فى الأفق القريب ، وجلا الجيش الجرمانى فعلا عن الأراضى الروسية، وكانت اليابان ما تزال صامدة تشغل أذهان الصينيين •

دبر استالين حينئذ خطته وهى خطة تكشف أخلاق الشيوعيين ومدى استهانتهم ببنى الانسان فى سبيل مصالحهم الشخصية •

قاد الجنرال « سيروف » طوابير طويلة عديدة من الجيش الأحمر نزلت فى هذه البلاد قراها ومدنها، وأعلن أنهم عائدون من الجبهة ليستريحوا فى مكان هادىء بعيد عن القتال ، وغصت بهم مساجد المسلمين والمستشفيات والمدارس ، ورحب بهم الأهلون وراح بعضهم يقدم لهم الحلوى والهدايا • وبعد أيام ــ وفى وقت واحد ــ قامت فرق موسيقية وجماعات من جنود الترفيه ــ بأعمال بهلوانية وألعاب فى الميدان العام فى كل قرية ومدينة، وهرع الناس ليروا هذه الألعاب ، وحينئذ خرجت الجنود المسلحة من مرابضها فأحاطوا بهذه الجموع ، وأعطيت كل أسرة ساعتين تتهيأ خلالهما للرحيل ، وفتحت عربات نقل كبيرة لتحملهم الى أقرب محطات للسكك الحديدية ؛ أجلوا عن بلادهم جميعا ، لم يترك منهم طفل ولا أنثى ولا شيخ هرم ولا امرأة عاجزة ، وفى المحطات استقبلتهم قطارات خاصة أعدت لهم ، كانت قطارات بضاعة أو على الأصح قطارات حيوانات ليس بها مقاعد ولا فرش ، ودع اليها هؤلاء القوم دعا وكدسوا كما تكدس الأمتعة على غير نظام ، وبعد أن تأكد القائد من خلو البلاد من أية نسمة انسانية أمر أن يتحرك القطار ، لم يعرف اذ ذاك الى أين كان اتجاهه ، ولكن عرف، أن حمله الثقيل كان يخف يوما بعد يوم ، فكانت له مواقف فى غير المحطات يرمى فيها بجثث الموتى ، ويتركون فى العراء فاما جمدهم البرد أو نهشتهم الضوارى أو تخطفهم كواسر الطيور •

كانت رحلة القطارات فى شهر يناير والجليد معقود حولها وليس هناك ما يحمى الركاب من عنف المميت ، فضلا عن ذلك لم يكن لديهم ما يكفى من الطعام ، واستغرقت الرحلة ما يقرب من أسبوعين ، ولكن الى أين ؟

تبين بعد ذلك أنه لم يذهب بأفراد الأسرة الواحدة الى مكان واحد بل ألقى ببعض فى أواسط آسيا المترامية الجوانب ، وبعض الى القرغيز وبعض الى سيبريا ، وكانت كلها مناطق خربة لم تؤهل بسكان ، وقلما جرؤ واحد من هواة الصيد الى الذهاب اليها لشدة البرد ووحشة المكان وقسوة البيئة وخلوها مما تقوم عليه الحياة ، وحتى بعض السيارات التى وزعتهم على أماكنهم بعد انتهاء السكك الحديدية ولم تسترجع لم تكن ذات فائدة ، اذ لا يمكن استعمالها .

ما مقدار الذين ماتوا وما مقدار الذين بقو ؟ لا يعرف أحد .

وبعد ذهاب هؤلاء هدمت مساجدهم وغيرت أسماء بلادهم وأسماء شوارعهم ، بل شاء «عدل» ستالين و « رحمته » أن تمحى أسماؤهم من دائرة المعارف الروسية، ومن قواميس البلاد ، أما زعماؤهم وذوو الأسماء المعروفة منهم فأعدموا رميا بالرصاص ، واتهموا جميعا بالتعاون مع النازيين ، ولما قالوا ان النازيين لم يصلوا بلادهم أجيبوا من قبل الحاكم العسكرى الروسى بأنه كان فى نيتهم أن يتعاونوا معهم !!

وهو منطق شيوعى ، يدل على الرحمة والانسانية !!

وكان من هؤلاء أفراد نزحوا الى موسكو والى عواصم روسية أخرى ، واندمجوا فى الشعب الروسى ، وكان منهم متطوعون فى الجيش ، وهؤلاء سحبوا بدقة ونفوا أو أعدموا .

وهكذا انماثت هذه الأجناس وأبيدت من الوجود ومن التاريخ .

ولم تتحدث عنهم صحيفة روسية واحدة ، ولم تشر اليهم أية اذاعة لذلك لا علم الروس بهم ولا علم بعضهم ببعض .

ولما كشف خروتشوف عن مخازى استالين بعد موته بأكثر من ثلاثة أعوام ؛ قال انه سيعيد هذه الشعوب الى الحياة ؛ ولكن أين هى هذه الشعوب .. ؟

ونفس المصير لاقت الأجناس الأخرى .

وحولت مساكن أولئك وهؤلاء الى مدن روسية ، وسميت أسماء جديدة .

وهذه صفحة من التاريخ الماركسى نضعها أمام الصفحة التى قدمنا من تاريخ الانسان .

وفى استطاعة الشيوعيين ومن يعبدون ماركس من دون الله أن يصفوا هذه الأعمال بالانسانية .

وفى استطاعتهم أن يقولوا ان ستالين كان من محبى الاسلام .

وفى استطاعتهم أن يشتموا شيوخ الاسلام من بقى منهم ومن غبر ،

وفى استطاعتهم أن ينكروا كل هذا الكلام .

ولكن من آمن بستالين كفر بكروتشو ، ومن آمن بكروتشو كفر باستالين ، ويكفى الايمان بالمادة ومتاع الحياة ! !

« يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

وانه لذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين .

د. عبد الجليل شلبى

قال خالد بن الوليد : ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان النصر مع الصبر .

وقال حكيم : الضعيف الصبور قوى بصبره ، والقوى الجزع ضعيف بجزعه .

كيف نؤمن بالقرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي

عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » أخرجه الترمذى .

القرآن كتاب الله أنزله على نبيه محمد ليكون معجزة له ودلالة على صدقه فى نبوته ، وليكون الدستور العملى للبشرية عامة فى دينها ودنياها ، فللقرآن جانبان : جانب أنه معجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وجانب أنه دستور عملى اشتمل على كل ما يحتاج اليه البشر مما قدر الله أن يكون كافيا لهم فى تصحيح عقائدهم وتزكية أخلاقهم وتنظيم أعمالهم ومعاملاتهم ليعيشوا هانئين متعاونين سعداء لا تمزقهم الخلافات ولا المنازعات ، ولا تزيغ بهم الأهواء .

والمسلم مطلوب منه التصديق بهذين الجانبين ليكون مسلما صحيح الاسلام ، مطلوب منه أن يصدق أن القرآن منزل من عند الله ليكون معجزة محمد الدالة على صدقه وأنه معجزة لكونه أعجز الفصحاء عن أن يأتوا بمثله ، ولا يلزم كل مسلم أن يعرف حقيقة اعجازه ، وانما يلزم ذلك من كان على علم بوجوه الاعجاز فى البيان وان لم يكن فى هذه المرتبة فيكفيه أن يسلم بما يسلم به أهل المعرفة والنظر ، وقد تواتر : أن أهل المعرفة والنظر من فصحاء العرب لعهد الرسالة أقروا بذلك وسلموا به ، ومطلوب منه أن يشهد بأنه أنزل بلفظه ونصه ، وأنه وصل الينا كما أنزل لم تنله يد التحريف والتبديل كما نال الكتب السابقة . ووصل بالطرق العلمية الصحيحة التى تؤكد القطع بوصوله كما أنزل ،

وهى طريقة التواتر المعترف بها من جميع العلماء المنصفين ، وأقوى دلالة من ذلك وأصح ، شهادة الله واخباره أنه قد تكفل بحفظه من التغيير والتبديل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . والقرآن من ناحية أنه كتاب هداية ودستور اصلاح بشرى وتنظيم للعلاقات الانسانية فى جميع الميادين وفى جميع الأزمان حوى من الأغراض والمقاصد والأحكام والقواعد ما هو كفيل بتحقيق حياة هانئة سعيدة لو استقاموا عليها ولم يتناولوها بالتأويل المفسد والتحريف المضل .

* * *

لقد تضمن القرآن كثيرا من الأغراض والمقاصد ، ففى القرآن بيان للعقائد الصحيحة المتعلقة بالايمان بالله وبما له من صفات الكمال والايمان بالملائكة والرسل وبكتبهم وباليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء وفى القرآن قصص عن الأنبياء والأمم وما كان بين هؤلاء وأولئك من معاناة وكفاح ، وفيه وعد ووعيد وزجر وتأديب ، وفيه الأحكام العملية التى تنظم صلة العباد بالله ، وترشد الى ما ارتضاه لنفسه فى طاعته والانقياد اليه من صلاة وزكاة وصيام وحج وما يتعلق بها مما لا بد لها منه ، وفيه أحكام تضبط سلوك الناس فى شئونهم الضرورية فى حياتهم الخاصة من مطعم وملبس ومسكن وتزاوج ، وفى حياتهم العامة من معاملات ومبايعات ومعاهدات ونحو ذلك مما لا بد منه فى توفير العمران وتيسير حياة الانسان ، وقد انتدب علماء المسلمين لتصنيف ذلك فى موضوعات خاصة أجملها بعضهم وفصلها آخرون تيسيرا للرجوع اليها ففيما يتصل بموضوع التعبد جعلوا لأحكامه عنوانا هو ، العبادات ، وفيما يتعلق بموضوع البيع والشراء والرهن والهبة ونحوها جعلوا له عنوانا هو المعاملات ، وفيما يتعلق بموضوع الزواج والطلاق جعلوا له عنوانا هو الأحوال الشخصية ، وفيما يتعلق بموضوع الحرب والسلم والصلح جعلوا له عنوانا هو السير والجهاد وجميع هذه الأحكام العملية قد تضمنها القرآن تصريحا أو اشارة أو ايماء

وقامت السنة الصحيحة القولية والعملية ببيانها وتوضيحها كما قال سبحانه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .

وقد تكفلت هذه الأحكام ببيان جانب الحلال وجانب الحرام من الأعمال ، وأشارت فى كثير من الأحيان الى علل ما أحل منها وما حرم لتطمئن النفوس الى القصد التشريعى منها وتنشط اليها،وأهملت ذلك فى بعضها اعتمادا على الادراك الانسانى لتلك المقاصد . ونلاحظ أن الجانب العقائدى فى القرآن الكريم وخاصة ما يتعلق بفكرة التوحيد والبعث قد حظى بأكبر قسط من بيان العلل والدلائل وضرب الأمثال ، ولعل ذلك لخفاء الفكرة فى أذهان الناس عنها واستبعادهم اياها لغلبة الحس عليهم وطول ما ألفوه فيما خالفها ، ثم لأن الاقتناع بها أساس لما ينبنى عليها من تكاليف الله : أوامره ونواهيه ، لأنهم اذا لم يؤمنوا بوجود الله ، واصطفاء بعض خلقه لتبليغ تلك الأحكام فلن يكون لتلك الأحكام مصدر ذو سلطان يخشونه ويرجونه ويرغبون فى ارضائه بالقيام بها ، ومما ذكر فى القرآن من الأحكام مقرونا بالعلة قوله سبحانه : « يآيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » وقوله سبحانه : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» ومما جاء من الأحكام معللا فى السنة ما روى فى الموطأ عن سعد بن أبى وقاص قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى من وجع اشتد بى ، فقلت : يارسول الله: قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ فقال رسول الله : لا ، فقلت : الشطر قال : لا ، ثم قال رسول الله : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

والقرآن كنص منزل من الله الى محمد بوساطة جبريل ، له قداسته وجلاله وتقديره حيث انه كلام الله رب العالمين ، من ليس له شبيه ولا نظير ، قد تعبدنا الله بتلاوته أى طلب منا أن نعبده بتلاوته ، ووعدنا المثوبة على تلك التلاوة كما قال رسول الله فيما روى الترمذى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وعن ابن مسعود رضى الله عنه : من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ويزيد الثواب ويتضاعف بالتدبر فى معانيه والبحث عن اشاراته ومراميه .

والقرآن ككتاب هداية وأحكام مطلوب من المسلمين أن يؤمنوا بأحكامه ويعتقدوا أنها من عند الله فيحلوا ما أحلته ويحرموا ما حرمته تصديقا وعملا ، فمن لم يؤمن بها بل جحدها واستهزأ بها ، فليس مؤمنا بنص هذا الحديث : ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، ومثله من حرم حلاله لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » الا أنه لا يخرج المؤمن بالتفريط فيها والكسل عن تنفيذها من الايمان مادام مصدقا بها معتقدا صحتها وصحة مصدرها وهو القرآن .

وتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله اغتصاب لسلطة المشرع الأعظم واعتداء على حقه وافتراء عليه كما قال سبحانه : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » .

واعتساف بعض الأحكام ومحاولة تطبيقها على ما لا تتناوله ولا تدل عليه نوع من ذلك الاستحلال الذى يشير اليه الحديث ، واحاطة محرمات القرآن بهذه القداسة ، والتغليظ فى وعيد من اعتدى عليها أو استهان

بها من مصلحة الجماعة واقامة لها على الجادة فى سيرها لما فى ايجابها أومنعها من الفوائد فى سائر ما تناولته من شئون الطعام أو المبايعة أو المعاشرة أو الاعتداء على نفس أو عرض أو اعانة على ظلم ونحو ذلك مما شملته آيات القرآن الكريم ، واذا كان الله يبغض التغير فى أحكامه بتحليل الحرام أو تحريم الحلال ، فان بغضه لتحريم الحلال أشد لما فى ذلك من التضييق على المسلمين ، وقد جاء ذلك العمل قرينا للشرك فى بعض الأحاديث ان وجوب الايمان بالقرآن وجوب للايمان بنصه واعجازه ومقاصده وبخاصة أحكامه ، والايمان بها يستدعى تصديقها والعمل بها عن اخبات ورضا والاخلال بأحد هذين العنصرين يفضى الى الكفر أو العصيان ونعوذ بالله منهما .

ابو الوفا المراغى

من قواد الاسلام : قتيبة بن مسلم الباهلى :

فى سنة ٩٦ هـ سار قتيبة الى حدود الصين على رأس جيش كثيف . ولما قرب منها ارسل الى ملكها وفدا برئاسة (هبيرة بن المشمرج الكلابى) وبعد مراسلات ... قال ملك الصين :

انصرفوا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف ، فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا أبعث من يهلككم ..

فقال له هبيرة : « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله عندك وآخرها فى منابت الزيتون ... وترك بلاده وغزاك ؟ واما الموت فلسنا نركهه ولا نخافه » .

فأجابه ملك الصين : « فما الذى يرضى صاحبك ؟ » قال هبيرة : « انه قد حلف الا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية » .

فقال الملك : « فانا نخرجه من يمينه . نبعث اليه بتراب ارضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض ابنائنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية يرضاها » .

ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب ، واربعة غلمان من ابناء ملوكهم ثم اجاز الوفد ، فساروا حتى قدموا على قتيبة ، فقبل الجزية ، وختم الغلمان ، وردهم ، ووطىء التراب ثم عاد الى مرو . ا هـ الطبرى جـ ٨ ص ١٠٠ — ١٠١ .

الصبر فى القرآن

لفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى

الصبر من أبرز الأخلاق القرآنية التى عنى بها الكتاب العزيز فى سوره المكية والمدنية . وهو أكثر خلق ــ بضم الخاء ــ تكرر ذكره فى القرآن .

يقول الامام الغزالى فى كتاب « الصبر والشكر » من « ربع المنجيات » من كتابه : « احياء علوم الدين » : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا (١) .

وينقل العلامة ابن القيم فى « مدارج السالكين » عن الامام أحمد قوله : الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا (٢) .

وكذلك ينقل أبو طالب المكى فى « قوت القلوب » عن بعض العلماء قوله : أى شىء أفضل من الصبر ، وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ؟ !

ولا نعلم شيئا ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر (٣) !

والناظر فى « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » يجد مادة «ص ب ر» بكل مشتقاتها قد وردت فى القرآن مائة مرة وبضع مرات .

ولا تنافى فى رأيى بين هذه التقديرات على اختلافها ، وبين الاحصاء الرقمى للمعجم المفهرس ، لأن الموضع الواحد قد ذكر فيه مادة « ص ب ر » أكثر من مرة فيحسبها

---

(١) احياء علوم الدين ج٤ ص ٦١ط . دار المعرفة بيروت

(٢) مدارج السالكين ج٢

(٣) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧ .

بعضهم موضعا واحدا ، وبعضهم موضعين أو أكثر . مثال ذلك فى قوله تعالى فى أواخر سورة «النحل» :

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله » (١) فالمادة هنا ذكرت أربع مرات فى آتين، بحيث يمكن أن تحسب موضعا واحدا ، وأن تحسب موضعين باعتبارين . وفى قصة موسى مع العبد الصالح فى سورة الكهف، (٢) تردد ذكر الصبر عدة مرات ، ويمكن اعتبارها كلها موضعا واحدا .

وقوله تعالى : « والصابرين والصابرات » (٣) موضع واحد بلا شك .. وهكذا .

والصبر فى اللغة : الحبس والكف . ومنه : قتل فلان صبرا ، اذا أمسك وحبس .

ومنه قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم (٤) » أى حبس نفسك معهم .

ويقال الصبر : الجزع . كما فى قوله تعالى على لسان أهل النار : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » (٥) .

وهو فى القرآن يعنى : حبس النفس على ما تكره ، ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » .

وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتى ، ولهذا تتسع دائرة الصبر فتشمل مجالات رحبة أكثر مما يقف عنده ــ عادة كثير من الناس اذا ذكرت كلمة « الصبر » .

ويقول الامام الغزالى :

« اعلم أن الصبر ضربان » :

أحدهما : ضرب بدنى ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها ، وهو

(١) سورة النحل الآية ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) الآيات ٦٧ وما بعدها .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٤) سورة الكهف الآية ٢٨
(٥) سورة ابراهيم الآية ٢١

اما بالفعل ، كتعاطى الأعمال الشاقة، اما من العبادات أو من غيرهـا .

واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشـديد ، والمـرض العظـيم ، والجراحات الهائلة .

قـال الغزالى : وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع .

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخـر ، وهـو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى .

ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة.

وان كـان على احتمـال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر .

فان كـان فى مصيبة اقتصر على اسم « الصبر » وتضاده حالة تسمى « الجزع والهلع » وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت ، وضرب الخدود ، وشـق الجيوب وغيرها .

وإن كان فى احتمال الغنى سمى « ضبط النفس » وتضـاده حـالة تسمى « البطر » .

وان كان فى حرب ومقاتلة سمى « شجاعة » ويضاده « الجبن » .

وان كان فى كظم الغيظ والغضب سمى « حلما » ويضاده «التذمر» .

وان كـان فى نـائبة من نوائب الزمان مضجرة ، سمى «سعة الصدر» ويضاده « الضجر والتبرم وضـيق الصدر » .

وان كـان فى اخفاء كلام سمى « كتمـان السر » وسمى صـاحبه « كتوما » وان كـان عند فضول العيش سمى « زهدا » ويضـاده « الحرص » ..

وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى « قناعة » ويضـاده « الشره »

فأكثر أخـلاق الايمان داخل فى الصبر .

ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال « هو الصبر » لأنه أكثر أعمـاله وأعزها ، كمـا قـال « الحج عرفة » .

وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك، وسمى الكل صبرا فقـال تعالى : « والصـابرين فى البـأساء (أى

المصيبـة) والضراء (أى الفقـر) وحين البأس (أى المحاربة) أولئك الذين صـدقوا ، وأولئـك هـم المتقون » (١) .

فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ، ومن يـأخذ المعانى من الأسـامى يظـن أن هذه الأحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها ، من حيث رأى الأسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم ، وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعـانى أولا ، فيطلع على حقائقها ، ثم يلاحظ الأسـامى فانها وضعت دالة على المعانى .

فالمعانى هى الأصـول والألفاظ هى التوابع . ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد أن يزل » (٢) وهذا كلام نفيس ، وتحقيق جليل .

ومن هنـا نفهم كيف جعل القرآن الصبر وحده مناط الفلاح فى الآخرة ودخول الجنة واستحقاق التحية من الملائكة ، وذلك فى مثل قوله تعالى فى شأن الأبرار من عباده : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » (٣) وفى شأن عباد الرحمن « أولئك يجزون الغرفة » أى الجنة ، « بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » (٤) وفى شأن أولى الألباب من عباده الأخيار « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (٥) . فالصبر هنـا يحمل فى طياته جملة شعب الايمان وأخلاق الاسلام .

الصبر خصيصة انسانية :

ولما كان الانسـان هو المخلوق العاقل المكلف المبتلى ، كان الصبر خصيصة من خصائصه المميزة .

يقول الامـام الغزالى فى تحليل معنى الصبر وبيان حقيقته :

« الصبر خاصية الانس ، ولا يتصور ذلك فى البهائم ولا الملائكة ، أمـا البهائم فلنقصـانها ، وأما الملائكة فلكمالها .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧
(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦ — ٦٧
(٣) سورة الانسان الآية ١٢
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٥
(٥) سورة الرعد الآية ٢٤

وبيانه : أن البهائم سلطت عليها الشهوات ، وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها ، حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة « صبرا » .

وأما الملائكة عليهم السلام،فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ، ولم تسلط عليهم شهوة صادفة صادة عنها ، حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الانسان فانه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة ، لم يخلق فيه الاشهوة الغذاء الذى هومحتاج اليه ، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح (الشهوةالجنسية) على الترتيب . وليس له (يعنى فى طفولته) قوة الصبر البتة.اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند آخر ، قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما . وليس فى الصبى الاجند الهوى كما فى البهائم.

ثم يبين الامام الغزالى أن اللهتعالى بفضله وسعة جوده ، أكرم الانسان ورفع درجته عن البهائم ، فأمده ــ عند مقاربةالبلوغ ــ بقوتين:قوة تهديه الى معرفة الحقائق الكبيرة ، بها يعرف الله ورسوله ، ويعرف المصالح المتعلقة بالعواقب وبها يتميز عن البهيمة التى لا تهتدى الا الى مقتضى شهواتها فى الحال فقط فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة .

وقوة أخرى مكملة للأولى تؤيد الانسان وتشد أزره فى معركته مع الهوى وجند الشيطان ، بها يدفع فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة ، حتى يدفع عداوتها عن نفسه .

قال الغزالى :

« فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها (باعثا دينيا) ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها (باعث الهوى) وليفهم أن القتال

قائم بين باعث الدين وباعث الهوى، والحرب بينهما سجال ، ومعركة هذا القتال قلب العبد. ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة . فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله ، والتحق بالصابرين . وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين (١) » هـ .

ضرورة الصبر

وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر ، الى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية ، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة ، بل هو ضرورة لازمة للانسان ليرقى ماديا ومعنويا، ويسعد فرديا واجتماعيا ، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا الا بالصبر .

الصبر ضرورة انسانية :

فالصبر ضرورة دنيوية ، كما هو ضرورة دينية .

فلا نجاح فى الدنيا ، ولا فلاح فى الآخرة الا بالصبر .

فى الدنيا : لا تتحقق الآمال ، ولا تنجح المقاصد ، ولا يؤتى عمل أكله ، الا بالصبر ، فمن صبر ظفر، ومن عدم الصبر لم يظفر بشىء .

لولا صبر الزارع على بذره ما حصد ، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى .

ولولا صبر الطالب على درسه ماتخرج ، ولولا صبر المقاتل فى ساح الوغى ما انتصر . وهكذا كل الناجحين فى الدنيا انما حققوا آمالهم بالصبر ، استمرأوا المر، واستعذبوا العذاب واستهانوا بالصعاب ، ومشوا على الشوك ، وحفروا الصخور بالأظافر ، ولم يبالوا بالأحجار تقف فى طريقهم. والطعنات تغرس فى ظهورهم ، وبالشراك تنصب للايقاع بهم ، وبالكلاب تنبح من حولهم ، بل مضوا فى طريقهم غير وانين ولا متوقفين . مغضين الأعين على القذى ، ساحبين الذيول على

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٢ ـ ٦٣

الأذى ، متذرعين بالعزيمة . مسلحين بالصبر ، وصدق الشاعر القائل :

وقل من جد فى أمر يحاوله
واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

قد يعثرون ثم لا يلبثون أن ينهضوا ؛ وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا قد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل . وقد يفشلون مرة ومرة فلا يلقون السلاح ولا يستسلمون لليأس ، ولا يفقدون نور الأمل . شعارهم قول الشاعر الحكيم :

لا تيأسن وان طالت مطالبه
اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

لقد عرف عشاق المجد ، وخطاب المعالى ، وطلاب السيادة ، أن الرفعة فى الدنيا كالفوز فى الآخرة ، لا تنال الا بركوب متن المشقات ، وتجرع غصص الآلام والصبر عن كثير مما يحب ، وعلى كثير مما يكره . وبدون هذا لا يتم عمل ، ولا يتحقق أمل ، ومن تخيل غير هذا الطريق كان كالذى قال لابن سيرين : انى رأيتنى فى النوم أسبح فى غير ماء ، وأطير بغير جناح !! فقال له : أنت رجل كثير الأمانى والأحلام : تتمنى ما لا يقع ، وتحلم بما لا يتحقق !!

وفى شعر الحكم نقرأ كثيرا فى هذا المعنى . يقول أحدهم :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويقول المتنبى ، وقد كان طموحا لمنصب الولاية :

لا يبلغ المجد الا سيد فطن
لما يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر ، والاقدام قتال !

وفى قصيدة أخرى يقول مخاطبا نفسه :

ذرينى أنل ما لا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب ، والسهل فى السهل !
تريدين ادراك المعالى رخيصة
ولابد دون الشهد من ابر النحل !!

واذا كانت هذه طبيعة الطريق الموصل الى العلا والمجد ، فلا سبيل

الى اجتيازها الا بالصبر ، ولا يقدر عليها الا الصابرون •

والصبر مفتاح ما يرجى
وكل صعب به يهون
فاصبر وان طالت الليالى
فربما أسلس الحرون
وربما نيل باصطبار
ما قيل : هيهات لا يكون

هذا اذا نظرنا الى النجاح فى الدنيا • فكيف اذا نظرنا الى الفلاح فى الآخرة ؟ ! ان الحاجة الى الصبر تبدو هنا أوكد ، والضرورة اليه أشد وألزم •

يقول أبوطالب المكى فى كتابه « قوت القلوب » :

« اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة ، وسبب النجاة من النار ، لأنه جاء فى الخبر : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات• فيحتاج المؤمن الى صبر على المكاره، ليدخل الجنة ، والى صبر عن الشهوات ، لينجو من النار (١) »•

وفى مقام آخر يقول : « واعلم أن كثرة معاصى العباد فى شيئين : قلة الصبر عما يحبون ، قلة الصبر على ما يكرهون (٢) » •

الصبر اذن ضرورة للناس عامة وللمؤمنين خاصة •

والقرآن يشير الى ضرورة الصبر وأهميته ، حين يحدثنا عن خلق الانسان وما حف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة •

يقول تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » (٣) •

ويقول : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » (٤) أى فى شدة ومشقة ، لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة الممزوجة اللذات بالآلام ، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسئولية وأمانة التكليف ، التى

---

(١) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠٠
(٢) المرجع السابق
(٣) سورة الانسان الآية ٢
(٤) سورة البلد

تنوء بحملها السموات والأرض والجبال وما يعانيه من الناس من حدة اللسان ، وأذى اليد وحسد النفس .

ضرورة الصبر للمؤمنين :

واذا كان هذا شأن الانسان بصفة عامة ، فأهل الايمان — على وجه خاص — أشد تعرضا للأذى والمحن والابتلاء فى أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم فقد اقتضى نظام الكون أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ، كذلك جعل الله لآدم ابليس ، ولابراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولمحمد أبا جهل . وأمثاله « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين » (١) « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (٢) .

وكذلك يكون المؤمنون من أتباع الأنبياء ، هم أشد الناس بلاء بعد الأنبياء الأمثل فالأمثل .

ومن ظن أن طريق الايمان مفروشة بالأزهار والرياحين ، فقد جهل طبيعة الايمان . بالرسالات ، وطبيعة أعداء الرسالات .

ولعل هذا الحسبان أو الوهم داخل نفوس بعض المؤمنين فى العهد المكى بعد أن أصابهم من العذاب ما أصابهم ، فنزل قوله تعالى فى سورة العنكبوت « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ! ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » (٣) .

بل فى العهد المدنى نجد القرآن المدنى ينفى مثل هذا الحسبان الواهم فى مثل قوله تعالى فى سورة البقرة: « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين

---

(١) سورة الفرقان
(٢) سورة الأنعام
(٣) سورة العنكبوت الآيات من ١ ــ ٣

آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ! ألا ان نصر الله قريب » (١) .

الجنة اذن لا بد لها من ثمن ، وهى سلعة الله ، وهى سلعة غالية فلا مفر من الثمن . وقد دفعه أصحاب الدعوات من قبل ، فلا بد أن يدفعه اخوانهم من بعد . وهذا هو ثمن الجنة : الصبر على البأساء تصيب الأموال والضراء تصيب الأبدان ، والزلزلة تصيب النفوس. ولابد أن يبلغ هذا الزلزال النفسى من الشدة الى حد يقول عنده الرسول ـ أى رسول ـ والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ يستبطئونه فقد طال انتظارهم له ، وطالت فترة الأذى عليهم ، وطالت شماتة العدو بهم ، فمتى يجىء اذن نصر الله الموعود ؟ !

وفى أعقاب غزوة أحد ، التى مس المسلمين فيها من القرح ما مسهم ، وفقدوا سبعين شهيدا من أبطالهم ، ينزل القرآن فيقول : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (٢) .

وفى سورة التوبة : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ؟ » (٣) .

ومن هنا أمر القرآن المؤمنين أن يستعينوا بعدتى الصبر والصلاة على ما يواجههم من محن فى سبيل دعوتهم ، فقال تعالى فى سورة البقرة : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » (٤) ثم عزاهم فيمن فقدوا من أحبابهم ممن اتخذهم الله شهداء فقال : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون » (٥) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٢
(٣) سورة التوبة الآية ١٦
(٤) سورة البقرة آية ١٥٣ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٥٤

ثم بين ما ينتظرهم من ألوان البلاء مؤكدا ذلك بلام القسم ، ونون التوكيد ، اذ يقول : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون » (١) .

فالبلاء هنا بلاء عام ، يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات ، ومن لطف الله تعالى ورحمته هنا أنه جعل البلاء « بشىء من الخوف والجوع ونقص .. الخ » وتنكير « شىء » هنا — كما يدل عليه السياق — للتقليل والتحقير ؛ لأن ما هو أكثر وأكبر لا يطيقونه ، فمسهم بشىء قليل ضئيل من البلاء ، تخفيفا عنهم، ورحمة بهم ، وتقديرا لضعفهم .

ومثل هذا التأكيد على ضرورة البلاء للمؤمنين خاصة ماجاء فى قوله تعالى « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٢) . وهنا نجد الآية تقرن بين أهل الكتاب والمشركين فى ايذاء المؤمنين ، مع اختلافهما فى الدين والوجهة ، ولكن هذا الاختلاف يزول عندما يكون العدو هو أهل الايمان والتوحيد . كما رأينا اليهود يتفقون مع المشركين الوثنيين فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما نرى فى عصرنا كيف تتفق الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ، والصليبية الغربية والشرقية على أمة الاسلام ودعوة الاسلام ، ولهذا قال علماؤنا : الكفر كله ملة واحدة ، وقال الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض (٣) » .

الدكتور يوسف القرضاوى

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥ ، ١٥٦

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦

(٣) سورة الأنفال

لغتنا العربية
ماذا يراد بها ؟!

لفضيلة الأستاذ الدكتور على حسن العمارى

لا يجهل أحد من المعنيين بالدراسات الاسلامية والعربية أن هناك جهودا مضنية من أعداء الاسلام للقضاء عليه ، وأن من أهم الوسائل لتحقيق هذه الغاية القضاء على اللغة العربية التى هى لغة القرآن ، أو اضعافها ، أو التهوين من شأنها وبخاصة عند الناطقين بها .

وقد اتخذت هذه الوسيلة مظاهر مختلفة ، أو قل انها جاءت على حلقات متتابعة ، فقد عمد الاستعمار الى فرض لغته على بعض الشعوب ، والى منعه من التكلم بالعربية ، وفى بعضها الآخر رغَّب بشتى الوسائل المادية والأدبية فى تعليم لغة المستعمر ، والتهوين ما أمكن من شأن اللغة العربية ، ولما تقلص ظل الاستعمار سلك الأعداء طرقا أخرى ، فدعوا أول ما دعوا الى سيادة اللغة العامية فى الكتابة والخطابة والاذاعة ، وكان لهذه الدعوة أنصار بعضهم سيء النية ، وبعضهم غفل عن الأهداف الخبيثة التى يخفيها الدعاة اليها ، ثم جاءت فتنة كتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية ولكنها ماتت فى مهدها .

ولما لم تفلح هاتان الدعوتان ، أو بعبارة أدق لم تؤتيا الثمار المرجوة منهما عمد هؤلاء الذين يعملون بدأب وجد على التخلص من العربية الى خديعة أخرى ، وان لم يتخلوا عن جهودهم فى الدعوة الى العامية والى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، أعنى التخلى نهائيا عن الحروف العربية ، واحلال الحروف اللاتينية محلها .

أما الخدعة الجديدة ، وأقول — بادىء ذى بدء — انى لا أتهم الذين خدعوا بها بسوء النية ، وانما أتهم الذين لقنوها لهؤلاء سواء عن طريق الدراسة فى الجامعات الأجنبية أو عن طريق ما يذيعون من أبحاث عن اللغة العربية .

أما هذه الخدعة فهى تثبيتهم فى أذهان بعضنا أن لنا لغتين منفصلتين: احداهما لغة تراث ، والأخرى لغة عصر ، ودعوتهم الى أنه ينبغى أن نجعل الأساس فيما نكتب ونخطب ونتكلم لغة العصر ، ولا نسى مع ذلك أن نستعين بالمناسب من لغة التراث ، والنتيجة الحتمية لهذا أن نبتعد شيئا فشيئا عن لغتنا الأصيلة ، ونحل محلها ما يسمونه (لغة العصر) ، وهم لا يقصدون بها لغة التخاطب .

أقول قد خدع حتى بعض كبار كتابنا بهذه الدعوة حتى قال أحدهم: نحن لانعيش عيشة العباسيين فكيف نتكلم لغتهم ، وقال أحد رجال التعليم : ان فصحى العصر هى لغة التأليف الجيد فى شتى مناحيه ، وأنها تختلف كثيرا عن فصحى التراث ، وأنه لكى يتخلص الدارس من المأساة التى هى الدرس البلاغى القديم ينبغى أن تعرض فصحى العصر بلاغتها فى التعبير كمنهج مدرسى ، وحينئذ لايحس المتلقى (أن مقررات لغته القومية تحمله الى غابة حوشية من الألفاظ أو جزيرة مهجورة من التعابير والدلالات) . وحتى ليقول كاتب عن البلاغيين القدماء : انهم تاريخ عظيم أكثر منهم رؤية مستقبلية .

وكان نتيجة لهذه الخدعة ، أو مقدمة لها أن أوقعوا فى أذهان كثير منا أن دراسة اللغة العربية من أصعب الدراسات، ولقد سمعت أحد أعضاء مجمع اللغة العربية يقول ان الأدب الجاهلى كله غامض ، وقرأت لكاتب فى أحد المجلات الأسبوعية قوله : ان مناهج اللغة العربية فى مدراسنا صيغت من خلال رؤية جامدة للغة والتراث ، وعداء صريح للواقع الأدبى واللغوى الذى تزخر به البيئة من حولنا ، ومن خلال اختيارات كانت تعكس أذواقا بعد بها العهد ، وتغير من حولها الزمان .

ويتضح من كل ذلك أن بين أيدينا قضيتين : الأولى دعوى أن لنا لغتين احداهما لغة تراث ، والأخرى لغة عصر ، والثانية أن علينا أن ندرس لغة العصر ، ولا ننظر الى البلاغة القديمة الا على أنها تاريخ ، ولا الى مناهج اللغة العربية فى مدارسنا الا على أنها صيغت من خلال رؤية جامدة .

وأبادر فأقول : انه حسن وجميل أن تطرح هاتان القضيتان للبحث والدرس حتى يتبين المخدوعون مدى ما فى دعوتهم من أضرار بلغتنا وديننا وعروبتنا ، ولكن من غير الحسن أن يرمى علماؤنا الذين وضعوا مناهج اللغة العربية ـ وأكثرهم من كبار الأساتذة ـ بانهم جامدون ، وبأنهم معادون لواقعنا الأدبى ، ولا أن يوصف الذين يرون أن لغتنا العربية لغة واحدة ، حفظها القرآن الكريم ، والتراث العربى من التمزق والضياع ، أن يوصف هؤلاء بأنهم (ينظرون نظرة تتصف بالجمود فى مواجهة الواقع الحى ، وبأنهم تحت شعار كثيف من دعاوى الغيرة والحرص والحفاظ اتخذوا موقفا متعصبا ، بالغ الجمود والتحجر ، من محاولة وضع لغتنا الجميلة فى اطارها وموضعها الصحيح من قضايا العصر) .

فهذا كلام تعودنا سماعه كثيرا ، ولعل الغرض الأول منه اثناء هؤلاء الذين يصمونهم بالتعصب عن مواقفهم الحازمة ازاء مايراد بالعربية أو بالاسلام من ضيم ، ومع الأسف فان بعضنا يحب أن يوصف بأنه مجدد ، أو بأنه ـ على الأقل ـ غير معاد للجديد ، فيقف مواقف لا تليق بالرجال .

وأحب أن يعلم الجميع أن الذين يصفونهم بالمتعصبين للقديم ، أو بالمحافظين لا يرفضون الجديد متى كان صالحا ، وانما يرفضون الضار المفسد ، وان الكثيرين منهم لايعنيهم أن يوصفوا بأنهم محافظون فذلك شرف لا يتخلون عنه ، وقد عاصرت معارك كثيرة بين المحافظين ومن يزعمون أنهم مجددون كان النصر فى نهايتها للمحافظين ، وتبين لكل ذى عينين أن الحق كان فى

جانبهم « وصدق الله العظيم » (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) •

ويكفى أن أشير هنا اشارة خفيفة ! (قضية من القضايا الكبرى التى كان النصر فيها للمحافظين تلك قضية المحاولات المختلفة لتغيير النحو العربى ، فقد رأينا (احياء النحو) و (تحرير النحو) و (النحو المنهجى) و (النحو الجديد) و (نحو عربية ميسرة) وبحمد الله تعالى لم تثبت طريقة من هذه الطرق للبحث والدرس ، وماتت جميعها ، ولفظتها دور العلم ، وعدنا الى نحو (سيبويه) نبسطه ونيسره ، ونلتزم قواعده •

ثم أعود الى ما بدأت به •

ان أساس الخطأ فيما يتعلق بالقضية الأولى أن منا من ينسون أو يتناسون أن اللغة العربية ليست كغيرها من اللغات الأخرى التى تنتقل بفعل الزمن من حال الى حال مغايرة ، وان ما نراه اليوم من وجود مستويات فى اطار اللغة الصحيحة ليس حديثا ، فقد كانت هذه اللغة فى عصورها المختلفة ذات مستويات تقترب أو تبتعد ، ولكن يجمعها كلها اطار واحد يتمثل فى المفردات والتراكيب والقوالب التى تصاغ فيها هذه التراكيب ، والصور البيانية التى ان اختلفت مظاهرها فلم تختلف أصولها •

ولن تخرج اللغة عن هذا الاطار أن مفردات كثيرة أو قليلة دخلتها من لغات أخرى ، ولا أن صورا للتعبير ابتدعت ما دامت كلها لم تخرج عن قوانينها التى نحرص عليها أشد الحرص •

ولقد دخل على العربية فى عهودها القديمة كلمات أجنبية هضمتها وصيرتها من مفرداتها ، كما اتخذ الفقهاء والنحاة وعلماء الكلام معانى جديدة لمفردات عربية ذات معان قديمة ، ولم يقل أحد انه أصبح للعرب لغتان ، بل يقول الجاحظ فيما أضافه علماء الكلام من مفردات ليس لها نظير فى العربية ، (وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية

ما لم يكن له فى لغـة العرب اسم فصاروا فى ذلك سـلفا لكل خلف ، وقدوة لكل تابع) (١) .

ويشير هذا الأديب الى أن لكل طبقة من الناس كلاما ، ويقول انه من الخطأ أن تكلم طبقة بألفاظ طبقة أخرى ، ويصف هذه الاختلافات ، فيقول : (وكلام الناس فى طبقات، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات ، فمن الكلام الجزل والسـخيف ، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيـل ، وكله عربى ، وبكل ذلك تكلموا) (٢) .

والداء الذى يجب أن نقضى عليه هومحاولة احلال مايسمونه (فصحى العصر) محل مايسمونه لغة التراث، وما يذهب اليه بعضهم من وجوب التخلى عن بعض قواعـد النحو ، والبدعة الأولى تتمثل فى قول بعض الباحثين ان فصحى التراث تنزع الى تقليد القديم ، ومحاكاة أسـلوب القرآن الكريم ، والحديث الشريف ووصايا الخلفـاء والبلغـاء ، وان فصحى العصر تحررت من هذا كله ، وان الفصحى المعاصرة تنتظم خواص اللغة العربية الأساسية ، فهى تراعى قواعد الاعراب فى جملتها ، وتسير بصورة عامة على قوانين نظم الكلام العربى لمـا ألفناه فى عصور العربية الأصيلة ، ولكنها ضمت الى ثروتها اللفظيـة أعدادا هائلة من الكلمات والصيغ ، كما استخدمت أنماطا من نظم الكلام ، وتأليفـه جاءت على ضرب غير معهود فى العربية بحسب المنصوص عليه فى كتب اللغة .

ويخلص الباحث الى وجوب أن تعـلم فصحى العصر فى مدارسـنا ومعاهدنا .

ومن عجب أن يقول الباحث (ان فصحى العصر تحررت من محاكاة أسلوب القرآن والحديث الشريف) فكيف يكون هذا تحررا ؟ والتحرر انما يكون من قيد ثقيل مكروه ،

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤

ولو قال ـ مثلا ـ حرمت ، أوتخلت أو ابعدت لكان قوله مقبولا ، ولكن كيف يسميها (فصحى) مع هـذا التحرر أو هذا الحرمان ، بل كيف تكون (فصحى) وقـد استحدثت أنماطا لا يقرها المعهـود من كتب اللغة ؟ •

والقضية : هل الحديث عن لغـة عربية أو عن لغـة أخرى ؟ ان كان الأول فنبـغى أن تراعى قواعـد الاعراب جملة وتفصيلا ، وألا يخرج الكلام عما هو معهود من كتب اللغة، وان كان الثانى فما ينبغى أن نحفل بأى حديث عن لغة غير لغتنا •

وهذا يجرنا الى البدعة الثانية ، وهى القول بالتخلى عن بعض قواعد الاعراب • لقـد قرأت فى احـدى (المحاضر) التى لخصت ما دار فى جلسة لجنة ألفت للنهوض باللغـة العربية هذه الكلمات : (وتساءل الحاضرون عما اذا كان من الضرورى أن نصمم على الفصحى ، وأشاروا الى ضرورة أن يثق الناس فى أنفسهم وهم يتكلمون ، وأن يشـعروا أن خطأهم فى اللغة مقبول، وأن الاصرار على اللغة الصحيحة قد يعطل انطلاق التفكير ، والمهم وضـوح التعبير وأداؤه ، والانصراف للبحث والتفكير ووضوح الفكر ، وهـذا أهم من البحث وراء مطابقة العبارة لقواعد النحو) •

هذا لون من تفـكير بعض من يوكل اليهم النهوض باللغة العربية، فليس المطلوب فى رأيهم أن ترتفـع بالمتكلم ، وتلزمه بمراعاة قواعـد الاعراب وبخاصة اذا كان خطيبـا أو مذيعا ، ولكن المطلوب أن ندلله ونجعله فى حل من هذه القواعد ، لأنه عاجزعنها ، ولأنها تعوق تفكيره عن الانطلاق •

انه لأمر مؤسف حقا أن يقال مثل هذا الكلام ويسجل فى لجنة تبحث طرق النهوض بالعربية ، كأن الذى قاله جاء الى اللجنة ليأخذ قرارا يبيح له أن يتخلى عن قواعد العرب أو عن بعضها •

ولا نطيل فى رفض وتهجين هذا المذهب الأخير ، وانما نمضى لنبين لمـاذا نرفض أن يقال لغة عصرولغة

تراث ، وأن تكون لغـة العصر هى التى تدرس فى دور العلم عندنا :

أولا : ان ذلك يوحى بأن لغـة التراث لغة صعبة التحصيل ، ثقيلة على الأسماع ، متأبية على الأذهان،

وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة فلغتنا ليست مستغلقة ، وهى بغير شك ليست أصعب من الانجليزية ، وآدابها ليست بعيدة عن أذواقنا ، ومؤلفاتها لم تكتب باللغـة العبرية أو الفارسية ، بل كتب كثير منهـا بأسلوب لا يستعصى على الأفهام ، واذا كان العرب قد عبروا فى أدبهم عن العواطف الانسانية ،والانفعالات البشرية وعن المثـل العليـا فى الفضائل ، والصـغائر الدنيـا فى الرذائل، واذاكانت حكمهم ووصاياهم لم تصدر الا عن عقول حصـيفة . اذا كان كل ذلك فكيف نحـرم أنفسنا وأجيالنا من هذا التراث ، وكيف نصـف لغته بأنها عسـيرة الهضم ؟ !

ثانيا : خطورة الدعوة الى لغـة عصرية لها خصـائصها ومميزاتهـا تكمن فى أنه سيجىء بعد مائة سنة أو أقل أو أكثر من يعتبرون هـذه (العصرية) عندنا (لغة تراث) ، ويدعون الى لغة عصرهم ، وبذلك لايمضى زمن طويل حتى يبعد العرب والمسلمون عن لغتهم التى نزل بهـا القرآن ، ودون بها أعظم مفاخرهم .

ثالثا : نحن فى أشد الحاجة الى أن نظل نفهم القرآن والحديث ووصايا الخلفاء والبلغاء وماخلف المتقدمون من علم وأدب ، ولن يتـأتى لنـا ذلك الا بدراسة نحـوهم وبلاغتهم ولغتهم .

رابعا : نحن لا نعيش وحدنا فى هذا العالم العربى ، ولا نضع مناهج قاصرة على مدارسـنا ومعاهدنا ، وانما ننظر فى الحقيقة الى اخوان لنا فى مختلف الأقطار العربية ، واذاكان الأمر كذلك فكيف نجعـل لغتنـا العصرية فى مصر ، بل ربما كانت لغة القاهرة وحدها تلك التى يدعون اليها هى مجال الدراسة ؟ ان اللغة التى تجمعنا جميعا هى اللغة العربية الصحيحة الفصيحة .

وأحب أن أقول للذين يشككون فى مدى جـدوى دراسـة البلاغة

العربيــة ، والآداب القـديمة انهم لم ينظروا نظرة شاملة ، فهم فى البلاغة انما نظروا فى منهج واحد من مناهجها ، ولو نظروا فى المنهـج الآخر الذى يمثله عبد القـاهر الجرجانى وابن الأثير لمـا دعوا الى وصف هـذه البلاغة بأنها (تاريخ أكثر منها رؤية مستقبلية) .

وأما الأدب فقـد فاتهم أن أول شرط وضـعه القـدماء حتى علماء البـلاغة المتـأخرون . أول شرط وضعوه لبلاغة الكلام هو الوضوح .

واذا كان فى الأدب العربى بعض القصائد التى تحتاج الى معاناة فى فهمه ففيــه آلاف القصـائد التى لا يحتاج من يدرسها الى كشف فى المعاجم الا قليلا .

ثم من قال ان علينـا أن نعفى المدرس أو الطالب من الدرس والنظر والبحث ؟ وهل العلم والأدب أغنية مبتذلة يتلذذ بها السامع وهو مستلق على فراشه ؟ !

ان الذى حقق النبوغ لمن نبـغ من العلماء أو الأدباء انما هو المعاناة التى تحمـلوها فى البحث والتنقيب والتحصيل .

ولمـاذا يجهـد الطالب جهده ، ويستعين بأسرته وأساتذته ليكون على مستوى رفيع فى دراسة الرياضة أو الكيمياء ، ولا يعطى اللغة العربية الا أيسر المجهود ؟

وهل من مهمة المشرعين ، وواضعى المناهج أن يجعلوا ضـعف الطالب والمثقف فى اللغـة العربيـة مذهبا يصدرون عنه أو مهمتهم الأولى أن تستقيم الألسنة على التعبير الصحيح ، وتعتاد الأقلام على التعبير الفصيح ؟

د. على حسن العمارى

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٤ —

فى الفنون :

فى القصة نشرت الأهرام ابتداء من عددها الصادر فى١١/٩/١٩٦٥ قصة لنجيب محفوظ بعنوان «ثرثرة على النيل» .

وبالحلقة الأولى تظهر شخصية المدعو (أنيس زكى) — والتسمية هنا غامضة فى دلالتها على عقيدته — وهوموظف مهمل لادمانه المخدرات، لذلك ينتقده رئيسه ، ولكن هذا النقد يوجه اليه فى عنف وقسوة تدفع الى ذهنه صورا من القسوة فى التاريخ ويختار المؤلف هذه الصور من عصور المماليك وحدهم، ويدفع بطله الى تساؤل غريب هو: (ترى هل يوجد للمعز لدين الله ورثة يمكن أن يطالبوا ذات يوم بملكية القاهرة ؟) .

وأقف هنا لأقول : ان تعمد استدعاء صور القسوة الحاكمة من عصر اسلامى مع التجاهل الكامل لعصور الفراعنة مثلا — وهى أقرب فى تصويرها للظلم الى ذهن المصرى المسلم — يلقى ظلا كئيبا ونقدا غير مباشر للحكم الاسلامى بصفة عامة.

كذلك أشير الى أن التساؤل الانكارى عن وريث للمعز ، يدفع الى الشعور أو الى اللاشعور بالتخوف، من رجوع الحكم الاسلامى .

كذلك ظهرت فى هذه الحلقة شخصية (عم عبده) وهو خفير العوامة التى يسكنها أنيس زكى على النيل وقد رسمت هذه الشخصية فى صورة تؤذى المقدسات الدينية وتضع من قيمتها ، فهذا الخفير يقرر فى حواره أن قرة عينه

فى الصلاة ، كذلك يظهر من حواره أنه بنى بيده مصلى بجوار العوامة، والى جانب ذلك نرى أن هذا الرجل نفسه يقوم بقيادة فتيات الليل الى سكان العوامة وان الساكن يدعوه، ياخفير الملذات هذا الجمع بين هذين السلوكين فى شخصية واحدة وبأسلوب لا يوحى بالغرابة يشعر باحتقار قيمة عليا من قيم الدين الاسلامى وهى الصلاة .

وقد عاد احسان عبد القدوس الى نشر القصص الجنسية ، وفى قصته بروز اليوسف ١٩٦٦/٣/١٧ نجد تبريرا للخيانة الزوجية ، حيث تتم وفقا لتحليل منطقى : اذ للزوجة جانبها الاجتماعى العام ، وهذا تخصصه للزوج ، وجانبها الفردى الخاص ، وهذا تتصرف فيه كيف تشاء ، كما نجد العلاقة بين الزوجة والخليل تستمر الى الشيخوخة فى اطار من الوفاء والرقة والاخلاص والحرص على سلامة العلاقة الزوجية التى تسير فى خط مواز لا تتعرض فيه لأية أخطار .

فى المسرح :

١ - شاهدت مسرحية « الانسان الطيب» المترجمة عن برتولد بريخت، والمعروضة بمسرح محمد فريد فى فبراير ١٩٦٧

ولا ينبغى أن نغفل عما تتضمنه هذه المسرحية - من تنديد وسخرية بالأديان ، السماوية ، والحكم عليها بالفشل فى حل مشاكل الانسانية..

ان الآلهة فى المسرحية (وهم ثلاثة هبطوا من السماء الى الأرض لدراسة عن الانسان) نجدهم فى الأوضاع الآتية :

لا أحد يتقبلهم من علية القوم وأعيانهم - ليس عندهم ما يعينون به الانسان الطيب غير ازجاء وصايا جافة آلية متحجرة - يثورون على تشويه الانسان للطبيعة وخلقه حياة صناعية - ليس لديهم سلطة لتنفيذ ما يريدون فى وصاياهم - أغبياء فى تصرفاتهم - يشعرون بعجزهم عن مواصلة البحث فى حياة الانسان ؛ فيهجرون هذا البحث ويعودون الى السماء .

ونجد هجوما عليهم من المجتمع الذى نزلوا اليه يحشون :

فوصاياهم لا تنفع ــ وجزاء من ينفع الناس طبقا لوصاياهم أن يجتث قبل الأوان ــ وتعاليم السماء لاتفيد ضد الجوع ــ ولماذا لا يجىء الآلهة فى شكل لجنة لأجل كسب حق وجبة غذاء ، ولأجل أن ينجدوا فردا تعيس الحظ من البشر ــ « وحنفية » ملكوت السماوات (المطر ..) سايبه ، لو أصلحها الآلهة لا نصلح حال المحرومين ــ وصفحات الكتاب المقدس لاتصلح أن تكون فراشا لنوم من لا ملجأ له ــ وكاهن الزواج الذى يمثل ارادة الآلهة ليس الاتاجر زواج ــ ونقل وصايا الآلهة هو الذى غطى الانسان فى الوحول ــ وأن يعالمهم شيئا هو « غلط » ولا مفر لهم من أن يعترفوا بضرورة التخلى عن وصاياهم ولو مرة فى الشهر ــ وهم يضربون عندما يتدخلون لحل بعض المشاكل ..

ولقد هالنى أن توضع فكرة الأديان السماوية هذا الوضع :

وحاولت أن أجد فيما كتبه مخرج المسرحية الأستاذ سعد أردش تفسيرا لذلك ، فقرأت مقالة عن مسرح بريخت بمجلة المجلة عدد مارس سنة ١٩٦٧ ولم أجد فيه شيئا يلقى الضوء على هذه القضية ، ثم وجدت فى النشرة التى توزع على رواد المسرح هذه الكلمة للمخرج : « ان الآلهة هم آلهة المجتمع الرأسمالى .. » الخ والواقع أننى تحيرت فى فهم المقصود من هذه العبارة ، ووجدت أنه اذا كان المقصود أن هؤلاء الآلهة يمثلون ــ لا العقيدة الدينية السماوية ــ ولكن قيم الرأسمالية ، فى عبادتها للمال..الخ فان ذلك لا يستقيم مع ما جاء فى المسرحية ، لأسباب منها :

١ ــ ان ذلك لايفسر لماذا اختار المؤلف أن يكونوا ثلاثة بالتحديد ؟

ان هذا العدد يجد تفسيره فى العقيدة السماوية الدينية ، اما كرمز للعقيدة المسيحية فى تثليثها ، واما كرمز للأديان السماوية الثلاثة ..

٢ ــ ان الآلهة فى هذه المسرحية يطلبون فى وصاياهم ما تهتم به

الأديان أساسا كطاعة الوالدين وحب الجار .

٣ ـ ان الآلهة فى هذه المسرحية يغضبون لعدم الوفاء بحق العامل وهو ما لا يتصور أن يكون فى ظل القيم الرأسمالية .

٤ ـ ان أغنياء القوم وأعيانهم يتحاشونهم ..

٥ ـ انهم فى الوقت الذى يعلنون فيه افلاسهم ينتصر الاتجاه الذى يمثله فى المسرحية شخصية ابن العم ذى السلوك الرأسمالى ..

٦ ـ انهم يتضايقون من التصنيع ..

٧ ـ انهم يقنعون بأن يعيش فى الأرض انسان واحد طيب ..

انتى شديد الاقتناع بأن هؤلاء الآلهة يمثلون فكرة الدين السماوى أيا كان هذا الدين ، واذا كان المؤلف يربط بينهم وبين قيم المجتمع الرأسمالى، فان هذا يعنى أن القضاء على المجتمع الرأسمالى ينبغى أن ينسحب اليهم أيضا. وليس صحيحا أن يقال: ان المؤلف قد يكون قاصدا بذلك المسيحية بالذات فانه وان كان من الراجح انه راجع الى المسيحية فى تصوره للدين الا أن الاطلاق الذى اتسمت به فكرة الألوهية فى المسرحية ، يجعل تأثيرها شاملا لأى دين سماوى هذا فضلا عن انه ليس من المؤكد حتى الآن، ان الهجوم من قبل المحدين على دين بعينه قد يفيد دينا آخر .

وفى نفس هذا الاتجاه ، بل وفى صورة أشد وضوحا ولا تحتمل المداراة ، مسرحية « الشيطان والرحمن » لجان بول سارتر التى أعيد نشرها ضمن مجموعة من مسرحياته تهدف الى القول بعدم وجود اله ..

فى التليفزيون :

منذ أكثر من سنتين نشر الأستاذ عباس صالح سلسلة مقالات بمجلة الكاتب أعاد فيها تصوير المرحلة الأولى من تاريخ الاسلام ـ عهد النبوة والخلفاء الراشدين ـ طبقا للمنهج المادى التاريخى ، وجعل

الصراع يدور فى هذه المرحلة ، خافتا تارة وصاخبا تارة أخرى بين ماسماه اليمين واليسار . وذكر أن أبا بكر رضى الله عنه كان يميل الى اليمين وان عمر كان يميل الى اليسار، وان عثمان كان يميل اليهما ، بينما كان على قمة اليسار .

وفى هذا الضوء ــ فيما أعتقد ــ ألف الأستاذ مصطفى كامل تمثيلية عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، والتى أرسلت على شاشة التليفزيون مرتين فى خلال الأسبوعين الأخيرين (مارس ١٩٦٧) ..

وفى هذه التمثيلية نجد أن أبا ذر هو أول اشتراكى فى الاسلام ، وان المسلمين يفاجأون بانتخاب أبى بكر للخلافة لانتمائه الى الأغنياء ، ولكنهم يرضون عنه بعد ذلك لتمسكه بتنفيذ سنة الرسول ، وأنهم يفرحون لانتخاب عمر وأن طبقة الأغنياء تتكاتف وتتآمر على قتل عمر ، ويتم لها ما أرادت ليعتلى عثمان الخلافة، فيحزن المسلمون ويدور الصراع بين طبقة الأغنياء الشرهين الى المال ، وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف (الصحابى الجليل) .. وبين طبقة الفقراء وعلى رأسهم أبو ذر .. الخ المسرحية .

نجد فى هذه التمثيلية اعادة تقييم الصحابة لا على أساس من المقياس الاسلامى التقليدى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولكن على أساس فلسفة الصراع بين طبقة الأغنياء والفقراء .

ان كان فى هذا وفاء بمقتضيات الفكر الماركسى فمن المنكر أن فيه وفاء بمقاييس الاسلام . ان التمثيلية لم تقف عند حد تجريح جملة من الصحابة تجريحا عنيفا شديدا مثل أبى سفيان ومعاوية والقريبين منهما ، بل انها تناولت من الصحابة بهذا التجريح بعض من وردت لهم شهادة الرسول بأنهم أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مثل عبد الرحمن بن عوف ، لمجرد أنه من الأغنياء فهل مما يفيد الأمة الاسلامية فى عصرها الحديث ــ وقد قاربت على نسيان خلافاتها التاريخية القديمة ــ أن تعود الحرب

جذعة ، ليقال متعصبون لأبى بكر ، ومتعصبون لعمر ، ومتعصبون لعلى وأمويون .. الخ . أم أن الخير كل الخير ، فى أن يتم سحب ذيل النسيان على هذه الخلافات ليعود المسلمون الى تنظيم حياتهم على أسس خالصة من كتاب الله وسنة رسوله ؟

ان اثارة هذه الخلافات واذكاء نارها من جديد ، بدعوى البحث عن جذور الاشتراكية فى حياة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، ليس مما يفيد قضية الاسلام أو قضية الاشتراكية العربية فى شىء ، ذلك لأن الاشتراكية العربية ان تكن تبدأ فى الاسلام فى أبى ذر،فان الأمر اذن بدعة وكل بدعة ضلالة .. الخ ،وان كانت جذورها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك : أى الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك هو السند الذى يحق للاشتراكيةالعربية أن تستند اليه ، وعندئذ لا يكون من الضرورى الاستناد الى أبى ذر ، وما يجره ذلك من الخوض فى سيرة الصحابة الذين من الخير لنا ـ قبل أن يكون من الخير لهم ـ أن نحتفظ لهم فى نفوسنا بعاطفةالتقدير والاحترام .

وهناك مسرحية « الرجل اللى ضحك على الأبالسة » ، وهى تعرض على شاشة التليفزيون صورة ساخرة لملكين يناقشان ميتا الحساب ، وفضلا عن أن تمثيل شخصية الملك لم يسلم به بعد ، فان الملكين فى هذه المسرحية يقوم بدورهما ممثلان فكاهيان يعيشان مواقف ساخرة ، ويتعرضان للخديعة من الميت الذكى الماكر ، ويضعان قداسة الحقائق الدينية فى موضع لا تحسد عليه ، ولا يغير من هذه الحقائق شيئا أن يكون عنوان المسرحية « الرجل اللى ضحك على الأبالسة » فواقعها « الرجل اللى ضحك على الملائكة » وهو الاسم الذى كان مقررا لها من قبل ..

وفى سهرة بالتليفزيون مساء ١١/١٦ أذيع فيلم يتعرض لشخصيتين من علماء الدين كانا محل سخرية لتمسكهما ببعض الأفكار التى يؤمنان بها ولا شك أن

هذه السخرية لا تقتصر على الرجلين فى ذاتيهما ، وانما تمتد الى عقيدتهما

فى الاذاعة :

وأثارت احدى المسلسلات الاذاعية (شىء من العذاب) موجة من الاستنكار والاشمئزاز ، لما تحويه من خلاعة وبذاءة ، (الأخبار ١٧/١، الجمهورية والأهرام ٢٠ / ١ الجمهورية ٢٤ ، ٢٨/١/١٩٦٦) .

فى السينما :

وانه من فضول القول التنبيه الى الاتجاهات الجنسية الهدامة السائدة فى الأفلام السينمائية المعروضة فى بلادنا ، محلية أو أجنبية ..

وعلى عجل أذكر ما أثير حول الفيلم الأمريكى (قبلنى يا غبى) حيث وصفته جريدة الجمهورية بأنه « فيلم مدمر » ، وتمكنت وزارة الثقافة من ايقاف عرضه بعد مضى أكثر من عشرة أيام على بدئه ، كذلك أذكر تعليق الأخبار ١/٥/١٩٦٦ على الفيلم العربى (مبكى العشاق) ووصفها له بأنه (يشكل خطرا شديدا على سلامة بناتنا ..) .

لكن الأمر الذى يفزع له المرء فى هذا المجال ، أن نجد فى هذه الاتجاهات الجنسية ، فيلما يعرض الشذوذ الجنسى فى حياة البطل .

ذلك هو فيلم الخادم — ولقد جاء فى تعليق لأحد النقاد نشرته الجمهورية فى ١٩/٥/١٩٦٦ . عن العلاقة بين بطلى الفيلم : السيد والخادم (... هنا يذبل الورد فى البيت ، ويرتمى السيد على فراش خادمه باكيا ... وتتضح نزعاته الجنسية الشاذة فى وضعه الحركى على الفراش ، وصور نجوم كمال الأجسام المعلقة فوقه ، ... وتتضح العلاقة وتزداد بينهما عمقا وتعقدا وتبلغ ذروتها عندما يحقق (باريت) الخادم لـ (تونى) السيد رغباته الجنسية الشاذة التى تكتمل بها عبادته لجسده ...) .

وبعد تسعة عشر يوما ونصف من بدء عرضه جاء فى الأهرام ٢٣/٥ ما يفيد أن وزارة الثقافة قررت وقف عرض الفيلم ، ثم جاء أخيرا بالأهرام ٣١/٥ ، أن الوزارة لا مانع لديها من اعادة عرضه ..

هذا واذا كانت سلامة العقيدة تتأثر بسلامة سمعة الداعين اليها وبسلوكهم ومنزلتهم الاجتماعية فان الأمر يصبح مهما وخطيرا عندما تعد الشركة العامة للانتاج السينمائى فيلما عن حياة « سيد درويش » يصور فيه جانب من حياته بملابسه الأزهرية الكاملة فى مواقف جنسية فاضحة . كيف يمكن بعد ذلك أن رجل الأزهر بارتداء زيه الأصيل ؟ وكيف يواجه المجتمع بهذا الزى ؟ لقد شاركت أفلام من قبل فى حركة الانتقاص من مهابة هذا الزى ؟ ولكن الأمر كان يقتصر على مواقف هزلية ، لا تسفل الى مستوى البشاعة التى يقدمها هذا الفيلم .

ولنا بعد ذلك أن ننوه بالأصوات التى ترتفع فى بعض الأحيان منادية بوضع حد لهذه الاثارة ، ونشير فى هذا الصدد الى تحقيق بجريدة الجمهورية ٢/٣/١٩٦٧ ، يندد بالأفلام الجنسية ، وبوقاحة المسئولين عن الدعاية لها ، اذ يعرضون لوحات واضحة عنها فى أماكن تجمع الشباب كالجامعة ويشير التحقيق الى أن الضيق بالاثارة الجنسية فى الأفلام يوجد فى أشد البلاد تحررا من التقاليد : فى أمريكا وفى باريس وفى ايطاليا ..

الشعر :

ويجد الالحاد مرتعا خصبا فى بعض تجاوزات الشعراء ... حيث نجد فى بعض جرائدنا (الجمهورية ١٦/١٢/١٩٦٥) من يتهم القوة المهيمنة على الحياة والموت بالسكر والعربدة فى رثائه لزميل له قائلا (من نحن أمام الموت ؟ نحن كوب مملوء فى قبضة سكير ، يهتز فنسقط فى صمت) .

ونوع آخر من الهجوم الصريح على مقدسات دينية مقطوع بها ، يتمثل فى أولئك الذين يتكلمون عن القدر فى معرض شعرهم أو تعليقاتهم على الأحداث : من ذلك عبارات (قدر يلعب بمصائر الناس) (ضحكات القدر) الأخبار ٢٦/١/١٩٦٦ ، (القدر الغشوم) طبعة فبراير ١٩٦٦ . والأهم من هذا الهجوم أنه يقابل فى كثير من الأحيان بالابتسام الهادىء ..

الكاريكاتير :

وقــدمت روزاليوســف ١٩٦٦/٢/١٤ تحقيقا عن تحضير الأرواح ، أرفقته بنكتة كاريكاتيرية عن الحياة الأخرى وشركات التأمين على الحياة ، تقول النكتة : (أصل اذا كان صحيح فيه حياة ثانية وان الجسـم يفنى وبتفصـل الروح عايشة ، يبقى ضرورى نعيد النظر فى نظـام التأمين على الحيـاة) ، وواضح أن روح التهكم على الحياة الأخرى بادية من النكتة .

كذلك تضمنت آخـر سـاعة ١٩٦٦/٢/١٩ صفحةبعنوان (فتاوى الفكاهة) تناولت فيها مسائل دينية، كالهدف من خلق العالم ، وطريقـة حساب الملائكة والله للناس ...

ونشــرت روزا ليوســف ١٩٦٦/٢/٢٨ على غلافها صـورة ضخمة لعمامة ومن تحتها قرد قمىء يحـاول أن يلبسها مكتوب عليـه « الحلف الاســلامى » ومن تحت ذلك كله كتبت عبارة « شد العمة شد تحت العمة قرد » ، وفى عددها الصـادر فى ٣/١٤ كتب الأسـتاذ أحمد حمروش مقررا أن من الخطأ الظن بأن المقصود بهذا الكاريكاتير التعريض بغير الحلف الاسلامى .

وقــد سـاهم مجـلة الاذاعة والتليفـزيون (١٩٦٥/٩/١٨ فى التنديد باتجاه الاخوان المسلمين الى العنف والارهاب ، وعبرت عن ذلك برسوم كاريكاتيرية جاء فيها أحدهم فى موقف الصلاة وهو يقول (نويت أقتـل أربعين واحـدا الله أكبر) ، ومفتيهم يقول (من رأى منكم وطنيا فليقتـله بقنبـلة فان لم يسـتطع فبمسدس ، فان لم يستطع فبخنجر ، وهذا أضعف الايمان) على نسق الحديث المعروف .

وهذا لا يقتصر فى سخريته على الأشـخاص ، وانمـا يمس القيم الدينية فى ذاتها ..

د. يحيى هاشم

الأمانة

للأستاذ محمد حسن محمد التهامي

بسم الله الرحمن الرحيم :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » ، والعارفون مدركون لله بحقائق الايمان بشواهد مكنون غيب السموات واللوح فى تجليات الكون والخلق وهيمنة الفطرة السوية التى خلق الله عليها الخلق وأودعها فى ضمائرهم وأرواحهم يشهدها المؤمنون شهودا وتشف معه الحجب فيوقنون بأن الأمر كله لله ومرده اليه ويعرفون أنهم خلفاء الله فى الأرض من بعد آدم عليه السلام وأنهم فى دار الرحيل هذه أسماء وتجليات ينفذ بها قضاء الله وقدره فهم الذين وصفهم الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى لا تخلو الأرض منهم أولئك خلفاء الله فى بلاده وعباده » .

* * *

وعمرت الأرض ببنى آدم وهم فى سعيهم سواء : منهم العارف برسالته فيؤديها من مقام العبودية لله عز وجل والمعرفة به على صراط من شهود الربوبية وتمام الرهبة والخشية ــ فمن كان بالله أعرف كان له أخوف ــ ان يخطىء يتب مما بدأ منه من همة غشيتها نوازعه فيطرح النوازع ويقمع المطامع ليفىء الى الله حتى يجعل التوفيق حليفه ، ومنهم الغافل الذى يدعى على الناس وعلى الله ما لم ينزل به من سلطان ولم تع بصيرته بواطن الأمور والتجليات فيضل ضلالا بعيدا .

وكما يقول أهل التصوف والمعرفة فان عبادة الله الحق هى العمل بالعلم على وجه اليقين ، بأن الله الفعال لما يريد وثقة بأنه هو الموفق والهادى الى صراطه المستقيم وذلك « لكيلا تأسو على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ان الله لايحب كل مختال فخور » ويعلمنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » وقدر النفس هنا مدى علمها بما خلقت له حتى لا تفتح عينها على سراب لا يوصلها الا الى حتف بغير عمل ولا تتاج اللهم الا الأمانى والحذر من الاقدام والسعى فكان جهاد النفس أسمى عند الله من جهاد العدو فالانسان بالنفس لا بالجسم انسان ومن لم ينهها عن هواها فهو الى ضلال وخسران :

ومن أباح النفس ما تهواه
فانما معبوده هواه

فاذا ما علم الانسان برسالته علما موروثا فى دينه وايمانه أو مكتسبا من خبرته وجهاده أو منفوحا به عطاء من ربه وهداية لروحه وتبصرة منه سبحانه لخلصائه من عباده وأصفيائه من زهاده والذاكرين له دوما فى عليائه ، فانه يصبح ممن أقامهم الله لخدمته وملأ قلوبهم بهيبته « ممن يعملون لله قياما بأحكام الظواهر ويعملون بالله قياما باصلاح الضمائر » مهما اختلفت مظاهر قيامهم بأمانة الحق : انهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم من سلوك الطريق لأنهم على بينة من ربهم ، ولا هم يحزنون من فعل الدنيا الفانية فيما حولهم من ظروف أو مؤثرات ، فهم عند مقام سيدنا على : « يا دنيا غرى غيرى » لا تغرهم اذا ابتسمت ولا تفجعهم برمية رمح أو طعنة سنان أو سوط لسان :

لا يفرحون اذا نالت رماحهم
وليسوا بمجازيع اذا نيلوا

وما أحرانا بأن نعى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته عن ثقل الولاية وعبئها وتحذيره من تضييعها : « انها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا

من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها »و« اذا ضيعت الأمانة انتظروا الساعة » وفسر تضييعها « اذاوسد (أسند)الأمر الى غير أهله» مصداقا لقول الله عز وجل لخليله ابراهيم عليه السلام : « انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين » أى لايشمل عهده سبحانه الظالمين منهم ، اذ لا يصلح لها الا البررة الأتقياء لأنها أمانة من الله وقد نهانا عن التفريط فيها :

« ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا اللهوالرسول وتخونوا أماناتكموأنتم تعلمون » •

ولعل من سمات هذا العصر كثرة ما جاءنا فيه من تحديات من ثقافات ومدنيات • ولعل الله تعالى بما أودع فينا منقدرة علىالفكروطاقة للتذكر قد وهبنا أيضا القدرة على التحرك بفكرنا على هدى من الله وبصيرة من ارادته جل وعلا وعلى قبس من ماضينا وماضى الأمم ، نبراسها فى مسيرتها علىمر الأجيال نحوالمستقبل لا سيما أن كان ذاك الماضى ساطعا فى مجده دافقا فى أصالته تاريخا عاشته ضمائرنا وقلوبنا وذاكرتنا : من الشباب فى تطلعاته وآماله الى الكهولة فى حكمتها على القرار والخطوة التى تصنع التاريخ أو تضيف الى مجد هذه الأمة المزيد •

ان هذا التحدى للعصر ـ وان تميزت أحداثه بسرعة التلاحق والتوالى ـ يوجب علينا الحكمة والروية وأن نذكر كل ما وعته ضمائرنا وعقولنا ثم نحتسب عملنا لله تعالى ونتوكل عليه فى حساب مواقع خطواتنا فى مسيرة التاريخ ورسالته •

انالتحدى الفكرى الذىيواجهنا فى هذا المقام هو المدلول العقائدى والثقافى حول التوحيد والموحدين ـ وهذا التحدى أمانة العارفين بالله وولاة الأمور فى ميدان العقيدة اليوم ـ لقد نزلت كل الأديان السماويةبالتوحيد والتفريدوالتجريد توحيد الله وحده وافراده بالألوهية وتجريده عن اشراك سواه معه فى الربوبية : « قل هو الله أحد • الله الصمد لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد » ونزل القرآن الكريم

مهيمنا على الكتب السماوية السابقة ومصححا لما دخل عليها من اضافات شابت التوحيد بمفاهيم بشرية عاطفية توجب علينا ان نتوقف عندها حتى نصحح مسار الفكر المعاصر واعادته الى جادة التوحيد ، وبعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق فرقانا وتبيانا هاديا للناس بشيرا ونذيرا وبلاغا لرسالات الله وكرامة لأمته وشرفا لأنصاره وأتباعه وأنزل عليه الكتاب نورا وسراجا لاتغيب أنواره وعزا لاتهزم أنصاره وحقا لاتخذل أعوانه ومنهاجا لايضل نهجه ولا الأخذ به فهو دستور الأمة فى معدنه وأحكامه وهو التيسير لمسيرة الحياة فى عدل بلا اثارة وهو فجر العرفان بحضارة انسانية آدمية ومنتهاها وهو مشكاة أنوار المعارف النورانية الدنيوية منها والأزلية تنزيل من رب العالمين وصدق به المرسلون .

لقد أخذ الله العهد والميثاق على بنى آدم فى عالم الأرواح : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة اذا كنا عن هذا غافلين» عهد وميثاق بالاقرار بالربوبية أكده سبحانه وتعالى بأخذ الميثاق على أنبيائه ورسله الذين اجتباهم لهداية البشر الى التوحيد « واذأخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » : عهد وميثاق بنصرة رسوله خاتم النبيين فلن يقبل الله من عباده الا توحيده وتنزيهه عن الشرك به ، وهذا هو جوهر الرسالة المحمدية ورسالات الأنبياء المبعوثين قبله جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم : « خير ما قاله الأنبياء من قبلى لا اله الا الله وقولوا لا اله الا الله تفلحوا » فذاك هو الركن الجامع للأديان السماوية كلها وما أظهره العهد القديم والجديد وليس أبلغ فى هذا المقام من قول الحق سبحانه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم

ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وهذه الدعوة الموجهة الى اخواننا المؤمنين من أهل الكتاب تدل على فكر المؤمنين واتساع مداركهم حول رسالتهم لاصلاح البشرية جميعا فان آمنوا بوحدانية الله استوى لهم الطريق الى الجنة كقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة والأنصار : « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » والمستيقن عند الصحابة أن اللسان لاينطق حقا الا بما آمن به القلب وصدق فيه النية .

ولعل النجاشي « أصحمة » أنصع برهان على من هداه الله من أهل الكتاب الى توحيده فحين جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة . سلم أنت فانى أحمد اليك الله ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وانى أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفر ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءوك فأقرهم (أكرمهم) ودع التجبر فانى أدعوك وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى » .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وكتب الجواب للنبى صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله . من النجاشى الأصحم بن أبجر : سلام عليك يانبى الله ورحمة الله وبركاته ـ الله الذى لا اله الا هو هدانى الى الاسلام . أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد

على ما ذكرت وقد عرفنا مابعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصداقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وأرسلت اليك بابنى (أرها) ابن الأصحم بن أبجر فانى لا أملك الا نفسى وان شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله » .

كما كان المقوقس عظيم القبط ممن يحملون أمانة التوحيد فى مصر فى ذلك الوقت كظاهر كتابه وممن يؤمنون بمبعث النبى الذى قد أهل زمانه وحين ندب صلى الله عليه وسلم الناس عند منصرفه من الحديبية سنة ٧ هـ ــ ٦٢٨ م قائلا : « أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله ؟ وثب اليه حاطب بن أبى بلتعة وقال : « أنا يا رسول الله » فقال : « بارك الله فيك يا حاطب وأعطاه الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وأعطى حاطب الكتاب الى المقوقس بالاسكندرية وقال له : « كان قبلك رجل (يعنى فرعون) زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه ، وهو الاسلام الكافى الله به فقد ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به » .

ضم المقوقس الكتاب الى صدره وجعله فى حق ــ بضم الحاء ــ من عاج ودعا كاتبا يكتب بالعربية وأملاه رد الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك

أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » .

وكان مع الهدية صدقة وكانت الجاريتان اختين وذلك اختبارا لدعوى النبوة فالأنبياء تقبل الهدية ولا تقبل الصدقات وتتورع عن الجمع بين الأختين فقبل النبى صلى الله عليه وسلم الهدية ووزع الصدقة على الفقراء وأخذ السيدة مارية لنفسه وأهدى أختها « سيرين » لحسان بن ثابت .

ومما رواه ابن عبد الحكم أن المقوقس خلا بحاطب ليلة وسأله عن صفة النبى فلما ذكرها حاطب قال المقوقس له : « قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج فى العرب أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ولا أحب أن يعلم بمحاورتى اياك . وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من ذلك حرفا فارجع الى صاحبك .

كان النجاشى مؤمنا حمل الأمانة فى مكنون ضميره وأعلنها للنبى صلى الله عليه وسلم وكان المقوقس ممن يحملون أمانة التوحيد وينتظرون تجديد دعوتها على الأرض اذ بشرت التوراة والانجيل برسول من بعد عيسى عليه السلام اسمه أحمد عليه الصلاة السلام وكانت الارهاصات ونبوءات الكتب السماوية السابقة قد تواترت بقرب ظهور نبى ، وكانت أوصافه صلى الله عليه وسلم تملأ قلوب العابدين وتشغل بالهم فتتشوف أرواحهم الى ظهور أنوار النبى المنتظر : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى

أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

ولا أظنني أذهب بعيدا فى فكرى اذا تصورت عودة سيدنا المسيح عليه السلام الى الأرض ليعيش عصرنا هذا ينشر فكره الذى أتى به فى رسالته الأولى أو أن تعيش أفكاره على ألسنة خلفائه من علمائه — والعلماء ورثة الأنبياء — فماذا يمكن أن يكون تصورنا لفكره الالهى ؟ — رسولا ونبيا لكى نقتبس منه المادة والطريق الذى أجمع عليه كل الأنبياء والرسل ؟ ولا شك فى هذا المقام أنه التوحيد المطلق فخير ما قاله الأنبياء والرسل : « لا اله الا الله — مصداقا لقوله تعالى فى قصص ابراهيم أبى الأنبياء : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وحمل الأمانة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده وتطلع المسلمون الى نشرها بعد معركة تبوك وانحسار ظل الروم الغزاة عن الجزيرة العربية واشتاقت قلوب المؤمنين الى انقاذ القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين من أيدى الروم وانقاذ البشرية من ضلالاتهم وكفرهم وزندقتهم التى غشيت كل الناس من أهل الكتاب وأفقدتهم الأمن البشرى . وفتح الله القدس على أيدى الفاروق عمر ورجاله ولم يجد مسيحيو الشرق فى ذلك الفتح الا الأمن والسلام والاقرار بما آمن به المقوقس من ظهور الرسول المنتظر من بعد عيسى عليه السلام والدين الذى يملأ الدنيا عدلا وقسطا بعد أن امتلأت جورا وظلما وكانت اتفاقية عهد ايليا (القدس) آية معبرة عن ذلك المعنى كله فى عهده فقد أقام العلاقة مع أهل الكتاب من اتباع المسيح عليه السلام سواء من دخل منهم تحت راية التوحيد ومن بقى على دينه عن طواعية وتآلف فى الفكر والهدف

نورده هنا فى هذا المقام لنتذكر قدر ايمان كل من الطرفين بواجبه وحدوده فى حمل أمانة المسيرة البشرية نحو تعايش سلمى .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم الله أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانها وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله وأنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية » .

وختم عمر الكتاب بتوقيعه ثم أشهد عليه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان .

وحرص عمر على ألا يصلى داخل كنيسة القيامة لكن صلى قريبا من الصخرة المقدسة ووضع عمر بهذا العهد قاعدة أساسية للتعايش السلمى مع أهل الكتاب وكيفية ممارسته .

ولقد كانت مصر — منذ الأزل — محل عناية الله تعالى فقدر هداية أهلها الى الطريق السوى والايمان الصحيح فاستقبلت أنبياء الله بالترحاب واحتضنت رسالات السماء تباعا الى أن ظهرت أنوار الرسالة المحمدية وأهلت عليها بهالة نورانية .

ورنت أبصار الصحابة رضوان الله عليهم منذ أن بشرهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بفتح الأمصار وتمت لهم فتوح اليمن وفارس والشام — الى فتح مصر

يحدوهم اليقين ويظللهم الايمان بما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث تكررت عن مصر وأهلها وفتحها على أيدى المسلمين يقين ثابت يكمن فى قلب كل مسلم بأن الفتح آت فى يوم قريب :

ـ ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة .

ـ ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما .

ـ اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر رضى الله عنه ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم فى رباط (جهاد) الى يوم القيامة .

وفتح الله مصر على يد عمرو بن العاص الذى سبقت له زيارتها قبل الفتح قادما من القدس برفقة أحد الرهبان ولمس أهميتها وأحاسيس أهلها وكان الصلح الذى عقده مع المقوقس بعد الفتح :

« لهم أرضهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم وألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» نسخة مماثلة للعهدة العمرية « ففى العهدين معا أمان للبيع والكنائس واتفاق على خروج من يريد من أهل البلاد مع الروم وأمان من اكراه أهل بيت المقدس على مساكنة اليهود فى العهدة العمرية يقابله أمان من اكراه أهل مصر على مساكنة النوبة .

وتفيأ أهل مصر سماحة الاسلام وعدالته وبادر عمرو بكتابة أمان لبطريرك الأقباط بنيامين خاصة وللقبط عامة : « ان الموضع الذى يكون فيه بنيامين البطريرك الذى للنصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدير حال بيعه وسياسة طائفته وعلى الذين بأرض مصر والذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخفر لهم ذمة » فلما سمع بنيامين هذا عاد الى الاسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ١٣ سنة منها عشرة سنين لهرقل الرومى الكافر وثلاث سنين قبل أن يفتح المسلمون

الاسكندرية لابسا اكليل الصبر وشدة الجهاد كما يقول ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين فى عصر الفاطميين ودعا عمرو البطريرك وتحدث اليه فخرج بنيامين ولسانه يلهج بالحمد والثناء ، وقال للقبط :

(عدت الى بلدى الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف واطمئنانا بعد البلاء . وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة (الروم) وبأسهم وليس أبلغ من التعبير عن فرح القبط بحسن معاملة العرب لهم من قول ساويرس : « انهم فرحوا كما تفرح الأسخال اذا حلت قيودها وأطلقت لترشف من لبان أمهاتها » وذلك أنهم ذاقوا الأمرين على يد الروم فعلى سبيل المثال سحب الروم القبط المسجونين داخل حصن نابليون أثناء حصاره وقطعوا أيديهم ونكلوا بهم تنكيلا جعل الأسقف حنا النقيوسى يقول عنهم : « اعداء المسيح الذين دنسوا برجس بدعهم وفتنوا الناس عن ايمانهم فتنة شديدة لم يأت بمثلها عبدة الأوثان ولا الهمج وعصوا المسيح وأذلوا أتباعه فلم يكن فى الناس من أتى بمثل سيئاتهم ولو كانوا من عبدة الأوثان » .

دخل المصريون فى دين الله أفواجا وأعلنوا كلمة التوحيد وصاهرهم العرب فامتزجت الأمشاج وتوثقت الوشائج وصار للمصريين ذمة ورحم وأصبحت مصر درة العالم الاسلامى ومنارة الحضارة الاسلامية وقلعة العروبة ودرعها صمدت لكل من أراد بها سوءا وردت التتار والصليبيين على أعقابهم وتحققت عن مصر أحاديثه صلى الله عليه وسلم : « ما ينطلق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » وحفظ القبط عهدهم مع المسلمين فحرم الصليبيون عليهم دخول بيت المقدس وما كان ذلك ليحدث الا لايمان القبط الباطن بالأمانة .

انى أبادر من قلبى بمشاركتى فكر اخوانى واستفساراتهم عن بعض ما جاء فى برقية علماء العالم الاسلامى

الذى انعقد مؤتمرهم بالمدينة المنورة بشأن الدعوة واشترك فيه علماء أكثر من ٦٠ دولة تعاطفوا مع مصر وحزنوا لما أصابها فى أحداث يناير ثم ناشدوا مصر أن تبقى العقيدة الاسلامية مستقلة نقية لا يشوبها شىء وأن يتولى تأليف كتبها علماء المسلمين وحدهم حفاظا عليها وحماية لها « وتمنوا أن تؤدى مصر الاسلامية دورها التاريخى » فاذا كان هذا فكر ومطلب لجمهرة العلماء ووقفنا نحن على مشارف تحد عصرى لمفهوم التعايش العقائدى بين الناس وأرادت مصر أن تتصدر مقام الريادة فى هذا الفكر الجديد فعلينا أن نتدبر مواقع خطواتنا لنقف على أرض صلبة من الايمان والعدل وصيانة الأمانة وكأننا فى عهد يشبه الى حد كبير عهد العهدة العمرية اذ أنه مدخل جديد فى التعايش بنمط تدعو اليه ضرورة من ضرورات العصر فالاطار الذى قد يحقق ذلك التطلع المتطور هو أن نعنى فى مرحلتنا هذه بألا نعكر صفاء ايمان كل مؤمن ولا نقاء عقيدته .

ولعل المقصود من التفكير فى تعليم شبابنا الأديان السماوية هو تثقيف الدارسين فى مراحل النضوج الفكرى وتمكينهم من معرفة تاريخ الأديان السماوية والرسالات وسير رسل الله جميعا عليهم الصلاة والسلام والتطور التاريخى لنزول الرسالات ومسايرتها للفكر البشرى وتطور حياة الجماعة على الأرض والفلسفة الكامنة فى كل دين ورجالات كل دين باعتبارهم أصحاب أمانة ورجالات تاريخ وهذا هو المدخل السوى لتثقيف أبنائنا وشبابنا . أما أن نتحدث عما يمكن وينبغى أن يتضمنه تعليم الدين الاسلامى الحنيف فاننا نشترك جميعا فى فكر واضح حول مشتملات هذا العلم بادئين بالقرآن الكريم وحفظ آياته والأحاديث النبوية الشريفة المختارة وشروحها كمادة أساسية لتثبيت معالم العقيدة فى القرآن والسنة ولعل التحدى الفكرى الحقيقى هو ما ينبغى اضافته على ذلك بما نختاره لشبابنا فى مجالات علمية واجتماعية أخرى مثل تعليم التاريخ الاسلامى والسيرة النبوية

من المغازى والفتوحات الاسلامية ـ المجتمع الاسلامى من أخلاقيات ومعاملات ـ جغرافيا العالم الاسلامى، الحضارة الاسلامية، علوم الاجتماع الاسلامى ونظام المجتمع فى الاسلام، والأسرة ، ودراسات مقارنة بين نظام المجتمع فى الاسلام وغيره ، من المجتمعات ، الطبائع البشرية ومقومات اصلاحها بالعقيدة والعمل، الأدب والقصص الاسلامى ـ تاريخ الشعوب والأمم من القرآن الكريم، مقومات الدولة الاسلامية فى الاقتصاد ونظام الحكم والبيعة ، الفكر المعاصر فى اقامة المجتمع الاسلامى الراقى وعلى هذه الوتيرة من آفاق الفكر العميق فى بناء فكر شبابنا المسلم وهم رجال المستقبل وقادته وهذا كله بجانب علم التوحيد وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالقدر الكافى واللازم لكل مرحلة فهما وحفظا حتى تكتمل حصيلة هذا العلم نضوجا يفتح آفاق الفكر ويغذى مشاربه بعلوم تضيف الى فكرنا علما تبنى عليه حضارتنا المتطورة ومجتمعنا المستنير وعناصر ايماننا الموروثة والتى ينبغى أن يضيف اليها هذا العصر علما جديدا مكتسبا يفتح أفق الاجتهاد بما يفيد المجتمع فى حاضره وآجله وبما يسمح لشبابنا أن يتناقش بفكره المثقف الواعى بأمله وتطلعاته وأسلوب أنفاذه .

تلك بعض أمانة علمائنا نحو هذا الجيل والأجيال اللاحقة وهى غرس وتأصيل الأركان لمعالم الايمان الدينى فى نفوسهم فى المقام الأول ثم منهج آخر للتثقيف والتعريف بالرسالات الأخرى ولعلها ليست جديدة أو مستحدثة على تاريخنا ولكنها تطوير لما سبق لنا أن درسناه وتعلمناه ولكنه غاب عن مناهجنا حقبة من الزمن اختلطت فيها الأمور على الناس ـ منهاجا لايزال ينتظر رجاله الآخذين به . ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض .

والعارفون بالله يتحملون أمانة التبليغ كل حسب رسالته وطاقته اقتداء بأولى العزم من الرسل،

والعارفون بهذه الأمانة يجهرون بالدعوة اليها، وان أظلمت عقول الناس فى عصور الظلمة المادية أو طمس البصيرة من الالحاد وهو خلو السريرة من أنوار الربوبية .

اللهم اجعل فى قلبى نورا أدخل به الى رضوانك وفى بصرى نورا أرى به سر الوجود فى تجلياتك وفى سمعى نورا أطلع به على مكنون سر أسمائك يا ألله ، اللهم زدنا من امداد نورك قدرا نلحق به بالصفوة من خلصائك اللهم ثبتنا على الايمان يقينا بأنه لن يصيبنا الا ما كتبت لنا .

اللهم امنح علماءنا والعارفين بأماناتهم القوة والتوفيق فى الجهر بحقائق التوحيد : دعوة وفكرا يقود البشرية الى مرضاتك فلا تزيغ عن صراطك السوى ، فان أفلحوا فتلك مشيئتك يا ألله أن يهتدوا ونعوذ بك يا ألله من ردة لاتنفع معها ندامة واعملوا فكل ميسر لما خلق له .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

محمد حسن محمد التهامى

العبد الحر

وعبودية القلب وأسره هى التى يترتب عليها الثواب العقاب فان المسلم لو أسره كافر او استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك ، اذا كان قائما بما يقدر عليه من الواجبات ومن استعبد بحق ، اذا أدى حق الله وحق مواليه فله اجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالايمان لم يضره ذلك . واما من استعبد قلبه فصار عبدا لغير الله ، فهذا يضره ذلك ، ولو كان فى الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس » رواه الشيخان .

ابن تيمية ـ العبودية

خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي

لفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا

أتقدم بهذا البحث الموجز عن خصائص اللغة العربيـة فى التعبير العلمى اسهاما منى فى الذود عن هذه اللغة التى لم يفتأ خصومها لحظة عن رميها بالقصور والعجز على الرغم مما هـو ثابت لديهـم بالأدلة التى لا تحتاج الى برهنـة عن أن العالم مدين بحضارته ونهوضه الى حضارة الاسـلام التى قامت فى عصـور ازدهاره فى بغداد والأندلس والتى وفت العربية بجميع متطلباتها فى هذه الحقبة بصورة لا تدع مجالا لريب مرتاب ، وما أجدرنا أن نتذكر قول شاعر النيل المرحوم الأستاذ محمـد حافظ ابراهيم وقد أحس بهذا الألم فتحدث بلسانها قائلا :

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقـول عداتى

وسعت كتاب الله لفظـا وغاية
فما ضـقت عن آى به وعظـات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسـيق أسـماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشـائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وان المقام يقتضى ايضـاح ذلك ليعلم الناشئة قدر لغتهم فيقبلوا على درسها بايمان ويسهموا فى العمـل على دعمها بالمصطلحات الجديدة بعزم أكبر، وانه ليجدر أن أوجه نظر السادة أعضـاء المؤتمر(١) الى أن العنوان الذى وضع للمؤتمر لا يتناسب مع المهمة الملقاة على عاتقه فانه يبدو لمن وضحت أمامه الصورة المطلوبة أن القصد هو توحيد المصطلحات فى البلاد العربية بعد اخضاعها للنظـام العربى ، ولهذا الاخضاع طرق كثيرة منها الاشـتقاق والنحت والنقـل

(١) اعضاء مؤتمر التعريب .

والتجوز والتعريب وهـو ما يعرف عند العلماء حديثا بالاقتراض اللغوى فالتعريب أحد هذه الوسائل ولذلك يحسن أن نطلق عليه اسم مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية العربيـة أومؤتمر تنمية الثروة اللغوية العربية أو أى اسم يراه المؤتمر فيكون ذلك متفقا مع رسالته وهو تذليل الصعاب أمام الدارسين فى شتى الأقطار العربية حتى لا يشتط بهم النوى وتتمزق النزعات كما أنه بعد أن وضحت تلك الملاحظات أود أن أوضح المراد من هذا العنوان وهو خصـائص اللغة العربية فى التعبير العلمى فالمقصود منه الافصاح عن العوامل التى يعتمد عليها فى نقل المصطلحات المستحدثة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية بحيث يرتبط به الدارسون ويلتزمه الباحثون فى جميع الأقطار العربية ليرتبط الجميع برباط علمى موحد، وهذا يتطلب أن يكون الاطلاع عليه دقيقا ومحددا وأن يكون الأسلوب موضحا للحقائق مبرزا للسمات بعيدا عن الغموض والابهام ومن هنا يبدو

أن المراد من الأسـلوب العلمى : الأسـلوب الذى يتخـذ لتوضيح الحقائق، وابرازها فى صورة واضحة وهذا يقتضى الدقة والتحديد وهاتان السمتان قد اتبعهما رواد الحقيقـة وسـار على غرارها أبناء العربية فى هذا السبيل وأن اللغة العربية قـد قامت بهـذا الغرض ووفت بهـذا المنهج فى عصورها المختلفة ، ويتأكد من ذلك كل من يتأمل هذه الدراسة وأننا اذا أردنا تبين ذلك فلنرجـع الى عصور العربية المختلفـة لنتأكد من ذلك ففى العصر الجاهلى تبـدو العربية معبرة عن بيئتها من وصف للصحراء ولياليها ومن الحب الذى تملك قلوب بنيها وتعرض للأسفار وجوب للقفار واهتـداء للسـارى بنجومها مبرزين صفات دوابهم من الجمال والخيول وأن معلقة امرىء القيس وهى على مقربة من أذهانكم تؤكد هذا المنحى وتبرزه فى صورته الواضحة كما أنهم يتجهون أحيانا الى وصف الشراب والمنادمة كما هو

موجود فى صدر معلقة عمرو بن كلثوم .

ألا هبى بصحنك فاصبحينا
ولا تبقى خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحص فيها
اذا ما الماء خالطه ثخينا

كما وقت بمتطلبات هذه الأمة مما أخذته من الأمم الأخرى من اللباس والرياش والعطور وان تركنا بداوة الحجاز وسرحنا الطرف قليلا فى الحضارة العتيقة التى تحدث بها الركبان وسارت بذكرها الأزمنة وهى التى قامت ببلاد اليمن يبدو لنا وفاء تلك اللغة بهذه المتطلبات وقيامها بالتعبير عن هذا التقدم الحضارى فى هذه البقعة التى حدثنا بها القرآن الكريم فى سورة سبأ وهى قوله جل ثناؤه .. « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور » .

فلما أشرقت شمس الاسلام وكان له آثار بعيدة المدى فى حياة العرب وعاداتهم ومعتقداتهم ولغتهم فقد حرم عبادة الأصنام ودعاهم الى عبادة الله ووضع لهم نظما جديدة فى عبادتهم وحياتهم وأبدلهم بتحياتهم المتداولة مثل قولهم .. عم صباحا وعم مساء بالسلام الذى هو أمن واطمئنان كما أوضح لهم الطريق السوى للعبادة وقد وفت العربية بذلك وفاء تاما معتمدة على وسائل كثيرة :

١ ـ نقل الألفاظ من معانيها اللغوية المعروفة لفصحائها فى الجاهلية الى معان جديدة كالمسلم والمؤمن والكافر والصلاة والصوم والزكاة والحج فأصبحت المدلولات الجديدة أقرب الى الأذهان من المعانى اللغوية القديمة فالصلاة مثلا يفهم السامع منها أداء الركعات على الوجه المطلوب وهو الذى أوضحه هذا الدين من المعنى الأصلى المعروف فى اللغة وهو الدعاء .

٢ ـ استحداث ألفاظ وتراكيب اقتضتها مناسك الدعوة الجديدة كالمنافق الموضوع أصالة للجحر الذى يتخذه اليربوع للخروج منه عند حضور الصائد لاصطياده مستعملا فيمن يظهر غير ما يبطن واستحدثت كذلك تراكيب كقوله جل ثناؤه : « ولما سقط فى أيديهم » . كناية عن الندم والحسرة .

٣ ـ اماتة ألفاظ وتراكيب لاماتة مدلولاتها كألفاظ التحية السابقة وكأسماء الأنصبة فى الغنائم كالنشيطة الموضوعة لما يغنم الغزاة فى الطريق والفضول لما يبقى من الغنائم مما لا يقبل القسمة والمرباع لربع الغنيمة فاستعيض عن ذلك بما أنزله الله فى محكم كتابه فى سورة الأنفال من قوله : « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين » الخ الآية ومن استعراض ذلك تبدو صورة وفاء هذه اللغة باحتياجات المجتمع الجديد فلم تقف جامدة بل لبست ثوبها الجديد فى صورة مشرقة تدل على ما للعربية من مرونة هيأت لها طريق التعبير عن كل مستحدث .

ولم يكن الأمر فى ظل دولة الخلفاء وبنى أمية بأشق من سالفه فان وفاة الرسول قد أحدثت خلفا بين صفوف المهاجرين والأنصار وقد حسم أبو بكر بكلمته الخالدة ألا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش فلاتنفسوا عن اخوانكم ما حباهم الله من فضله فقد انصاع الجميع لمقالته وواجهوا الصعاب التى جدت بعد وفاة الرسول كحرب المرتدين وقد صحب هذه الأحداث تطور فى المصطلحات ففى مضمار السياسة والادارة استحدثت ألفاظ من صميم العربية وجلبت ألفاظ من خارجها فوجد : الخليفة ، وأمير المؤمنين ، والمشير ، ووجد لفظ الديوان الذى تعددت نظمه لاتساع الدولة خارج الجزيرة فوجد ديوان الحجاز والجند والأعطيات كما استحدثت ألفاظ فى ميدان الحروب فوجدت الكراديس الفصائل العظيمة من الفرسان ، والصائفة لمن يغزون صيفا والشاتية لمن يغزون شتاء كما استحدثت فى عهد معاوية

ألفاظ تدل على الأدوات الجديدة المستخدمة فى الحروب كالعرادة التى أطلقت على الآلة المستخدمة فى رمى الحصون بالحجارة .

ومما يجدر التنويه عليه أن مصطلحات العلوم قد بدأ ظهورها فى هذا العصر ، فوجدت أغلب ألفاظ التوحيد والفقه كما وجدت مصطلحات النحو كالمبتدأ والفاعل .وقد أمكن للغة أن تساير الركب الحضارى الجديد بروح قوية وعزم أكيد باتباع أيسر الطريقتين وهما نقل الألفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة ، أوبتعريب الألفاظ مع اخضاعها فى النطق للنمط العربى .

ظل الأمر على هذا المنوال الى أن تمكن العباسيون من القضاء على دولة بنى أمية وتسلم زمام الأمرعلما بأن سياستهم كانت قائمة على اقصاء العرب وتقريب الأعاجم فأسندوا المناصب الرفيعة كالوزارة اليهم . وقد أدلوا بدلوهم فى المعترك بجد ونشاط لمؤازرة الحكم الجديد للوصول بالأمة الى أعلى الدرجات. وظلوا يعملون فى مضمارهم الى أن ولى الحكم الخليفة العالم (المأمون) الذى وضع نصب عينيه أن يصل بالأمة الى المستوى الرفيع عن طريق العلم والمعرفة فوجد أمامه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية ، فشجع العلماء والمترجمين على القيام بهذه المهمة وسخا عليهم ببدر المال استحثاثا لجهودهم فى نقل هذه العلوم من طب وفلسفة ورياضة وأخلاق الى العربية. وقد اعتمدوا فى مواجهة هذه المتطلبات على الطرق القويمة فى تنمية الثروة اللغوية فاستخدموا الاشتقاق والتجوز والنحت والابدال والقلب لتذليل المصطلحات التى واجهتهم ويبدو ذلك فيما نقل عنهم . وبعد أن كانت بحوثهم فى ميدان الطب مقصورة على الكى والحجامة تفتحت الآفاق أمامهم فعرفوا من الأمراض الصرع والصفراء والذبحة ، وفى الأدوية وجدت المسخنات والمرطبات والمبردات .

وفى ميدان الفلسفة وهى ناحية جديدة نقلت من اليونانية تعرف الحد والرسم والكون والظهور وفى الرياضة وجد المثلث والمربع والمستطيل • وفى السياسة استخدم السفاح والمنصور والمعتصم وقد كان للتعريب أثر كبير فى مضمار هذه النهضة ، ففى الأدوية أخذوا من اليونانية الصقمونيا والمصطكى ومن الفارسة أخذوا البابونج والزرنيخ •

وفى الفلسفة وجد الهيولى والمغنطيس والقانون وجميعها من اليونانية •

ولم يقف الأمر عند المصطلحات بل امتد أيضا الى التراكيب فأخذوا من اليونانية ما يلى :

١ ــ تركيب الألفاظ مع لا النافية وادخال أداة التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللا ضرورة •

٢ ــ صوغ الاسم من الحروف والضمائر كالكمية والماهية والكيفية •

٣ ــ نقل الألفاظ من الوصفية الى الاسمية كالمائية والخاصية • فنرى أن اللغة قد زهت وازدهرت بازدهار العلوم ونقل المعارف الى العربية فكانت العربية مطواعة لتلقى تلك النهضة وتقبل هذه الأوضاع بروح قوية وعزم أكيد •

ولم يكن الوضع فى الأندلس بأقل منه فى بغداد بل ان النهضة كانت على أوسع نطاق وأدقه وان من يتتبع مؤلفات العلماء من ذلك الوطن ويقرؤها بأسلوبها العربى الفصيح ليتملكه الاعجاب والدهشة ولولا سقوط بغداد فى يد التتار والأندلس فى يد الفرنجة لظل للعرب وللغتهم زمام السبق ومكان الفوق الا أن ما حاق بهما تبعه ركود علمى ولغوى •

ظل الأمر على ذلك الى أن صحت الأمة العربية من غفوتها ونهضت من رقدتها فوجدت التطور العلمى وأرادت أن تدخله فى بلادها باللغة العربية ولكن الاستعمار وقد بسط أجنحته على تلك البلاد فأراد أن يشعر العرب بعجزهم عن اللحاق بهذا التطور كما أراد أن يثبت أن لغتهم عاجزة عن الوفاء بهذه

المصطلحات وعن التعبير عن هـذه المتطلبات فرضخت الأمم المستعمرة بهذا الوضع وتقبلت الدراسة بلغة المستعمر الى أن أذن الله لها بفجر جديد تتنسم فيه نسيم الحرية وتعيد الى لغتها ما كانت تتمتع به فى عصور النهضات السابقة .

والآن وقد تخلصت الأمة العربية من براثن الاستعمار وأفاء الله عليها من فضل ونعمة يهيئان لها سبيل النهوض والرقى . وقد بدأ العلماء فى مواجهة هذه الصعاب راجين تذليلها ابقاء على العربية وحفاظا لها من أولئك المتربصين لها بغية القضاء عليها وعلى دين الله الذى حفظ لها هذا الرونق وأبقى لها ذلك الجمال الذى يتبينه الدارسون لها .

ولكن اللـه الذى أنزل كتابه على نبيه أكد ضرورة حفاظه عليه فقال فى محكم كتابه : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون» واننا وقد وضح لنا وفاء العربية فى عصورها السابقة بما طلب منها فلم تضن على بنيها بمصطلح ، ولم تقف جامدة أمام نهضة . واننا وقد أصبحنا أمام نهضة علمية جبارة وجب علينا أن نساير ركب هذه الحضارة بعزمات أقوى من السيوف وأمضى من البواتر . وان هذه اللغة التى وفت بمتطلباتها فيما مضى لجديرة أن تقف متربعة على عرش العلوم معلنة أنها أرحب صدرا وأوسع أفقا فى القيام بما يناط بها من مصطلحات وما يرد اليها من مستحدثات ، وانه ليجدر بنا أن نقف وقفة أمينة فى الحفاظ على لغتنا ليتلقاها أبناؤنا بصورة كريمة مشرقة ناهجين نهج سلفنا فيما اتبعوه ابان النهضات من سلوك الطرق السليمة لتنمية الثروة اللغوية وهى يسيرة ليست بالعسيرة ، ونجعلها فيما يلى مع الاشارة الى ما جد فى اللغة مما يمكن استخدامه للتذليل والتيسير .

وأول هذه العوامل الاشتقاق وهو ضرب من التوليد والتنمية يساعد على أن يؤخذ من اللفظ الواحد عدة ألفاظ ويسعفنا فى هذا المقام الاستعانة باسم الآلة لمواجهة المستحدثات كما ننهج النهج الذى أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى

اجازة الاشتقاق من الأسماء الجامدة كمكهرب وممغنط وجماذ ، كما أجاز السابقون مذهبا ومفضضا •

كما تتجه الى الطريق الأمثل فى اجازة نقل الألفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة بدلا من اللجوء الى استعمال الألفاظ الأجنبية وفق استعمالها فى لغاتها • فمثلا قد أصبح لفظ القطار لا يقصد منه الا تلك الآلة البخارية بعد أن كانت مستعملة فى قافلة الابل وكذلك السيارة وغيرها • كما نلجأ الى اتخاذ النحت وسيلة لتحقيق هذا الغرض من اتباع توليد لفظ من لفظين أو أكثر للدلالة على ما نحت منه رغبة فى الاختصار كقولهم البسطة والطلبقة والدمعزة ، فقياسا عليه قال المحدثون الفنقلة والغذلكة والحرذمة والدرعمى والكلغرى • ولاستخدام الوسائل الأخرى من القلب والابدال •

فان شق الأمر وصعب استخدام هذه الوسائل فليكن لنا أسوة بأسلافنا من اجازة استخدام المصطلح الأجنبى مع اخضاعه للنظام العربى كلما أمكن ذلك • وان الجأتنا الضرورة أبقينا على صورته الواردة وهو ما يعرف لدى العلماء باسم التعريب • وتعرف كل هذه العوامل المؤدية الى اثراء اللغة بالاقتراض اللغوى فان كان من صميمها عرف بالاقتراض اللغوى الداخلى ، ويشمل كل عوامل التنمية اللغوية عدا التعريب ، وان كان من خارجها عرف بالاقتراض اللغوى الخارجى أو الدخيل وهو ما يعرف بالتعريب •

وبذلك يتيسر للغة أن تفى بحاجة المجتمع العربى ولذلك نأمل عقد المؤتمرات اللغوية الدورية فى أرجاء الوطن العربى للاتفاق على المصطلحات التى تجد ليعرفها جميع الدارسين وتشيع بينهم ولا تصبح غريبة فى أى وطن عربى بحيث اذا التقوا فى أى وطن منها لم يكن منها مصطلح غريبا عنهم •

ومن هنا تتضح قدرة العربية على الوفاء بجميع المصطلحات الوافدة من جميع اللغات فى شتى العلوم والمخترعات •

كما نرجو أن يرتبط الدارسون على اختلاف أوطانهم برباط علمى وثيق لا يبعده مصطلح غريب وخاصة وقد رأينا ما فعله الاستعمار قديما من سيطرة لغاته من انجليزية وفرنسية وايطالية للقضاء على وحدة هذه الأمة .

واليوم وقد أدركنا تلك الحقائق ناصعة يجدر بنا أن يلتئم شملنا ويتضامن علماؤنا باذلين أقصى جهودهم فى الحفاظ على الأمجاد القديمة للغتهم والابقاء على الرباط المتين وهو العربية التى ربطت بين أبنائها وجعلتهم أمة واحدة كما قال جل ثناؤه : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » ولذلك يرجى منهم حديثا أن يثوبوا الى رشدهم ويعودوا الى صوابهم وقد تحقق ذلك والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبنا وهادينا .

د. ابراهيم محمد نجا

فوائد الذكر

ـ وهو أيسر العبادات وأفضلها ، وهو غراس الجنة ، ويؤمن العبد من نسيان ربه سبحانه ويعم الأوقات والأحوال وليس شىء من الطاعة مثله ، وهو نور للعبد فى دنياه وقبره ويوم حشره ، وبه تخرج أعمال العبد وأقواله ولها نور وهو رأس الولاية وبريقها ، ويزيل خلة القلب ويفرق غمومه وهمومه وينبه القلب من نومه ويثمر المعارف والأحوال الجليلة والذاكر قريب من مذكوره ، والله معه ، وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله .

ابن القيم ـ الوابل الصيب

نقض كلام المبتدعة فى :

١ - حديث : إنما الشؤم فى ثلاثة

٢ - حديث : شفاء عين على بن أبى طالب

لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى

وجه فريق الرفض وعدم التسليم بصحة جميع ما فى البخارى من المسند المتصل الى هذين الحديثين من النقد الذى نزل الى درجة النقض ثم هوى الى درك البذاء . وقد بنوا رفضهم للحديث الأول على ما نجمله فى الآتى :

١ ـ ان الشؤم من خصال المشركين لعدم ايمانهم بالله وقضائه وقدره .

٢ ـ ما ذنب الدار التى جعلها الله ستارا ووقاية ومأوى لصاحبها ، وما ذنب الفرس ، وما ذنب المرأة .

٣ ـ هذا التشاؤم يتعارض مع قوله تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

٤ ـ وعلى ما تقدم يكون المسلم الذى يتشاءم مساويا للمشركين .

ثم يخلص صاحب هذا الرفض لتقرأعين من يعمل لحسابهم بقصد أو بغير قصد الى أن هذا الحديث مفترى على النبى صلى الله عليه وسلم حتى يسرى الشك فى السنة الى المؤمنين ونحن ان شاء الله ذاكرون لك طرقه وألفاظه ورواته ليحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

قال الامام البخارى : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر أن أباه عبد الله بن عمر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الشؤم فى ثلاثة : فى الفرس والمرأة والدار » حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبى حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : «ان كان

الشؤم فى شىء ففى المرأة والفرس والمسكن » وأخرجها أيضا البخارى فى كتاب النكاح كما أخرجهما فى كتاب الطب ، وأخرجها مسلم فى كتاب الطب وأخرجها ابن ماجه فى النكاح وأبو داود فى الطب والترمذى فى الأدب والنسائى فى الخيل ، ومالك فى الموطأ فى الاستئذان وأحمد فى المسند ج ٣ : ٨ ، ٣٦ ، ١١٥ ، ١٢٦ .

وحديث مسلم من طريق أبى الطاهر وحرملة بن يحى التجيبى عن ابن عمر مرفوعا « لا عدوى ولا طيرة وانما الشؤم فى ثلاثة : المرأة والفرس والدار » ورواه أيضا من طريق جابر بن عبد الله مرفوعا : « ان كان فى شىء ففى الربع والخادم والفرس » وأخرجه أبو داود من طريق ابن عمرو سعد بن مالك وعمرو بن مسيك ومثل هذا الحديث كما أوردنا فى هذه المدونات التى ذكرناها لا يخرج متنه عما ذكر .

وهذا الحديث حكمه عندالمحدثين حكم المشهور أو المستفيض ، هذا من حيث الحكم الفنى عليه من الناحية الاسنادية . أما من جهة المتن فاليك ما قاله أئمة المسلمين فى معناه حتى يتضح لكل ذى عقل أن الحديث ليس فيه هذه الظلمة التى تغشى على قلوبهم وقد صدق من قال :

وكم من قائل قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

وسوف يكون ما نزجيه لأولى الألباب مما تقربه أعينهم وتنشرح له صدورهم ، ولا يعنينا بعد ذلك أمر الرافضين للسنة ، ولا مضيهم فى بدعتهم :

على بعث القوافى من أماكنها
وما على اذا لم يفهم البقر

فقوله صلى الله عليه وسلم فى الراوية التامة : « لا عدوى ولاطيرة وانما الشؤم فى ثلاثة الحديث يدل صدره على نفى تأثير العدوى والطيره وما يتشاءم به الناس انما هو فى هذه الأمور الثلاثة . والتشاؤم هو الشىء المكروه من قول أو فعل أو مرئى . وكانوا يتطيرون بالسوانح

والبوارح ، فينفرون الظباء والطيور ، فان أخذت ذات اليمين تبركوا بـه ومضـوا فى سفرهم وحوائجهم ، وان أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بهـا فكانت تصدهم فى كثير من الأوقات عن مصـالحهم ، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر ، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا طيرة) .

وفى حديث آخر (الطيرة شرك) أى اعتقـاد أنها تنفـع أو تضر اذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها ، فهو شرك ، لأنهم جعلوا لها أثرا فى الفعل والايجاد وقال النووى بعد هـذا : قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » وفى راوية انما الشؤم فى ثلاثة المرأة والفرس والدار وفى راوية « ان كان الشؤم فى شىء ففى الفرس والمسكن والمرأة » وفى رواية « ان كان فى شىء ففى الربع والخادم والفرس » .

واختلف العلماء فى هذا الحديث فقال مالك وطائفة . هو على ظاهره ، وان الدار قـد يجعـل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك ، وكذا انما المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ، ومعناه قد يحصل الشؤم فى هذه الثلاثة كما صرح به فى رواية (ان يكن الشـؤم فى شىء) وقال الخطـابى وكثيرون : هو فى معنى الاستثناء من الطيرة ، أى منهى عنها الا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فـرس أو خادم فليفـارق الجميع بالبيـع ونحوه وطلاق المرأة . وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانهـا وأذاهم .

وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب .

وشؤم الفرس ألا يغزو عليها فى سبيل الله ، وقيل : حرانها وغـلاء ثمنها .

وشؤم الخادم سـوء خلقه وقلة تعهده لمـا فوض اليه .

وقيل : المراد بالشؤم هنا عـدم الموافقة ، واعترض بعض الملاحـدة بحديث (لا طيرة) على هذا ، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص

من حديث (لا طيرة الا فى هذه الثلاثة) قال القاضى : قال بعض العلماء : الجامع لهذه الفصول السابقة فى الأحاديث ثلاثة أقسام :

(أحدها) ما لم يقع الضرر به ، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة ، فهذا لا يلتفت اليه ، وأنكر الشرع الالتفات اليه وهو الطيرة .

(والثانى) ما يقع عند الضرر عموما لا يخصه ونادرا لا متكررا كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه .

(والثالث) ما يخص ولا يعم ، كالدار والفرس والمرأة ، فهذا يباح الفرار منه .

وقال العلامة القسطلانى فى ارشاد السارى : (الفرس اذا لم يغز عليه أو كان شموسا والمرأة اذا كانت غير ولود أو غير قانعة أو سليطة، والدار ذات الجار السوء أو الضيقة أو البعيدة من المسجد لا تسمع الأذان ، وقد يكون الشؤم فى غير الثلاثة فالحصر فيها كما قاله ابن العربى بالنسبة الى العادة لا بالنسبة الى الخلقة . وقال الخطابى : اليمن والشؤم علامتان لما يصيب الانسان من الخير والشر ، ولا يكون شىء من ذلك الا بقضاء الله وهذه الأشياء الثلاثة ظروف جعلت مواقع لاقضية ليس لها بأنفسها وطبائعها فعل ولا تأثير فى شىء الا أنها لما كانت أعم الأشياء التى يقتنيها الانسان ، وكان فى غالب أحواله لا يستغنى عن دار يسكنها وزوجة يعاشرها وفرس مرتبطة ولا يخلو عن عارض مكروه فى زمانه أضيف اليمن والشؤم اليها اضافة مكان وهما صادران عن مشيئة الله عز وجل اهـ

من هذا الذى سقناه عمن يحسن فهم الخطاب النبوى الكريم نلمس سوء القصد وفساد الاعتقاد عند من يتعمد انكار السنة بهذه الصورة الزرية ، ويتخبط فى نقضها بروح مجافية للمنهج العلمى الرصين، الذى لا تعتريه مراهقة فكرية ولا رعونة جهلوية .

الحديث الثانى من الحديثين وهو ما أخرجه البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز عن أبيه أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول

اللهصلىالله عليه وسلم قال: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه» قال: فبات الناس يدوكون(١) ليلتهم أيهم يعطاها،فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يشتكى عينيه يارسول الله قال : فأرسلوا اليه فأتونى به ، فلما جاء بصق فى عينيه ودعاله فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ،فأعطاه الرايةفقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال : انفذ علىرسلك حتى تنزل بساحتهم ثمادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك منأن يكون لك حمر النعم »

ويكذب الشقى الخبر الذى أخرجه البخارى رضى الله عنه فى كتاب الجهاد وفى كتاب فضائل الصحابة وفى المغازى وأخرجه مسلم فى الجهاد وفى فضائل الصحابة وأخرجه الترمذى فىالمناقب وأخرجه أحمد فى جـ ١ صـ ١٨٥ وجـ ٤صـ٥٢ وجـ ٥ صـ ٣٣٣ وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقدبنى هذاالشقى نقضهالحديث على أسس مردها على منهج الحادى لايؤمن بالمعجزات ويزعمونأنالنبى صلى الله عليه وسلم ليس لهمعجزات سوى القرآن ولكى تكتمل المؤامرة على الاسلام وتتضح أبعادها يأتى أحد هؤلاء الرائين صواب عدم قبول السنة وينادى باعادة النظر فى الدين كله من فوق منبر من منابر الأوقاف ويصنف كتيبا يطفح بالالحاد يبسط فيه قضية اعجاز القرآن من وجهة نظر هؤلاء النافين عن النبى صلى الله على وسلم جميع المعجزات خلا القرآن فيأتى هذا بدوره فينفى الاعجاز البلاغى عن القرآن ويقول وبكل وقاحةمتصدية لقواعد البلاغةومذاق اللغةوبدهيات العقول ان عبارة العرب فى الجاهلية

(١) يدوكون بالواو : اى يخوضون .

أنفى للقتل) أبلغ من قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .

فانظروا ياعباد الله كيف تتم لمعزوفة بكل أنغامها على يد هذا الجوق المنسجم النغم الضارب على وتيرة تختلف آلاتها ولا تشذ منها نغمة على نغمة فهذا يهدم السنة بدعوى عدم موافقتها لعقله وينفى المعجزات لعدم وجود معجزة سوى القرآن ، ويأتى آخر فينفى اعجاز القرآن وبهذا يتم لهم مرادهم من تقويض دعائم الدين وهدم ركائز الايمان .

ولا أدرى من أى جانبى الفحوى فى الحديث يؤتى لقد ركز هؤلاء على عبارة (فبصق فى عينيه) نعم أيها الرعناء بصق ودعا الله تعالى وبصاقه صلى الله عليه وسلم مبارك رغم أنوفكم ودعاؤه مستجاب رغم مكابرتكم .

واذا كنتم تريدون من القرآن هاديا اذا سلمتم بأنه كتاب هداية ففيه الدليل عليكم ، والحجة الناطقة على أنكم بعيدون عن مواطن الانصاف .

لقد قال الله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا) فهذا ماء المطر وصفه الله تعالى بأنه مبارك ، فهل ماء المطرأفضل من ريقه صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى فى بيته المحرم : (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا !) .

فهل تكون حجارة البيت وحيطانه مباركة والنبى صلى الله عليه وسلم ليس مباركا .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى عينه ودعا له وأعطاه الراية واندفع على الى ساحة الوغى مزودوا بهذه البصقة المباركة من فم يتلقى الوحى ويحكيه للناس ، من فم يشافه ملكا ذا قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ثم بدعاء صالح أن يتم الله نعمة الشفاء فيستجيب الله دعاء نبيه ويشفى عليا من رمده ، فلما تركزون على معنى واحد من معانى الخبر ولا تعيرون دعاء النبى صلى الله عليه وسلم التفاتا حتى تكتمل لكم عناصر السخرية ، ويتجرد الخبر من كل ما يصد عنه عدوانكم وبغيكم .

واذا رجعنا الى سيرته صلى الله عليه وسلم وجدناها حافلة بذخيرة

لاتنفد من أدعيته صلى الله عليه وسلم التى أكرمه الله تعالى باجابتها .

« وذلك لأن الله تعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه مما فوض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية عونا على ماكلفهم ، وآية على من أنكرهم فدخل بهذا الامتياز فى أقسام الاعجاز .

فمن أعلامه صلى الله عليه وسلم فى الاجابة أنه لما تلا (والنجم اذا هوى) قال عتبة بن أبى لهب : كفرت بالذى دنا فتدلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ـ يعنى الأسد ـ فخرج عتبة مع أصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا فى طريقهم زأر الأسد فجعلت فرائص عتبة ترعد فقال أصحابه من أى شىء ترعد فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال : ان محمدا دعا على وما ترد له دعوة ولا أحدا أصدق منه لهجة ، فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الأسد يستشهى رءوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة .

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين السبعة من قريش الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل السهمى ، والأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وفكيهة بن عامر الفهرى والحارث بن الطلاطلة ، والأسود بن الحارث ، وابن عيطلة كانوا يكثرون الاستهزاء ويواصلون عليه الايذاء وكان لا يقرأ الا مستسرا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى (ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ثم لما هاجر أصحابه الى الحبشة رغب الى الله تعالى أن يكفيه أمر هؤلاء المستهزئين فنزل قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) قال الماوردى : وفى قوله فاصدع بما تؤمر تأويلان (أحدهما) امض لما تؤمر به من ابطال الشرك (والثانى) أظهر ما تؤمر به من الحق .

وفى قوله (وأعرض عن المشركين تأويلان (أحدهما) استهزىء بهم (والثانى) لاتهتم باستهزائهم ، انا كفيناك المستهزئين يعنى بما عجلناه من اهلاكهم .

فأما الوليد بن المغيرة فانه ارتدى بردائه شوك فذهب يجلس عليه فقطع أكحله فنزف فمات لوقته ، وأما العاصى بن وائل فوطىء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات من يومه ، وأما الأسود بن عبد يغوث فقد كان صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه بالعمى وثكل ولده ، فأتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت حدقته على وجهه ،وقتل ولده زمعة يوم بدر فأعمى الله بصره وأثكله ولده ، وأما فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد ، وأما الحارث بن الطلاطلة فانه خرج لبعض حوائجه فضربه السموم فى الطريق فاسودمنه ومات ، وأما الأسود بن الحارث فأكل حوتا مملوحا فأصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات ، وأما ابن عيطلة فاستسقى فمات .

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف)فقطع الله عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وأجدبت الأرض وماتت المواشى واشتووا القد وأكلوا العلهز فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه فعطف ورغب الى الله تعالى فمطروا .

والأمثلة لاتحصى على اكرام الله تبارك وتعالى لنبيه واستجابته لدعائه وقد روى الماوردى عن مسلم الملائى عن أنس قال : أتى أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله لقد أتيناك ومالنا بعير يئط ولاصبى يصطبح ثم أنشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها
وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

وألقى بكفيه الصبى استكانة
من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامي والعلهز الفسلي
وليس لنا الا اليك فرارنا
وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم اسقنا غيثا مغيثا سحا طبقا غير رايث ، تنبت به الزرع وتملأ به الضرع ، وتحي به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون فما استتم دعاءه حتى التقت السماء بأروقتها حتى شكا الناس من الغرق وطلب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقر به أعينهم .

محمد نجيب المطيعي

القرآن هو الدليل

قال بعض المتكلمين افنيت عمرى فى الكلام اطلب الدليل وانا لا زداد الا بعدا عن الدليل فرجعت الى القرآن أتدبره وأتفكر فيه واذا انا بالدليل حقا معى وانا لا أشعر به فقلت والله ما مثلى الا كما قال القائل :

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الحبيب وما اليه وصول

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

- ٩ -

نظام الملكية

انتهينا من الكلام عن المسئولية المدنية ونبدأ فى هذا العدد الكلام عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية .

وقد وجدت الملكية منذ وجد الانسان على ظهر الأرض لقوله تعالى: « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ـ البقرة ٢٩ » والانسان يميل بمقتضى غريزته الى حيازة ما هو فى حاجة اليه ليستأثر به وليجده عند الحاجة اليه دون منازع لأن الشيوع مثار نزاع والحيازة الفردية حافز على العمل والتنمية والادخار للمستقبل والطمأنينة على استثمار المجد بنتيجة اجتهاده ولهذا لم يستطع أى نظام من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغاء كل صور الملكية الفردية حتى أن الأنظمة الشيوعية لم تستطع ذلك فنجد القانون المدنى للاتحاد السوفييتى الذى صدق عليه مجلس السوفييت الأعلى فى ١١ يونيو ١٩٦٤ والمعمول به ابتداء من أول أكتوبر ١٩٦٤ والنافذ فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتى ينص فى المادة ١٠٥ منه على أنه « يجوز أن تكون فى الملكية الشخصية للمواطنين الأموال المخصصة لتلبية حاجاتهم المادية والثقافية ويجوز لكل مواطن أن يمتلك ملكية شخصية ، دخل العمل والمدخرات وبيت السكن أو جزء منه والمزرعة الصغيرة وأدوات التدبير المنزلى والاستعمال اليومى المخصصة لاستهلاك المواطن وراحته » .

فلا يمكن تجاهل مبدأ الملكية الفردية فى أى مجتمع من المجتمعات ومن هنا كانت عناية التشريع الاسلامى بتنظيم حق الملكية تنظيما يحفظ حقوق الفرد وحقوق الجماعة على أساس متواز بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ولا يخفى على أحد أثر التنظيم القانونى للملكية على الانتاج فى أى مجتمع من المجتمعات وأثر ذلك على تقدم ورفاهية المجتمع وبالتالى سلوك أفراده وقد أثبتت التجارب العملية الى أى مدى نجح التنظيم الاسلامى للملكية فى خلق مجتمع فاضل لا تشيع فيه الجريمة ولا يسوده الحقد مهما بلغ فيه التفاوت بين الثروات •

ويتناول الكلام عن نظام الملكية فى الاسلام نطاق الملك ومداه وأنواعه وخصائصه والقيود التى ترد عليه وأسباب كسب الملكية وفقدها وحمايتها •

فبالنسبة لنطاق الملك فى الشريعة الاسلامية فالملاحظ أنه لا يصلح محلا للملك الا مالا متقوما •

والمال هو كل شىء أو منفعة أو حق تعارف الناس على أن له قيمة مالية • أما المال المتقوم فهو ما كان غير محظور امتلاكه أو الانتفاع به شرعا فالخمر والخنزير مال غير متقوم بالنسبة للمسلمين ولذلك لا يجوز لمسلم امتلاك شىء منهما أما بالنسبة لغير المسلم فلهما قيمة مالية معترف بها ولذلك يجوز لغير المسلم تملك الخمر والخنزير وان كانا يعتبران مالا غير متقوم فى الشريعة الاسلامية • كذلك لا يصلح أن يكون محلا للملك أى شىء يكون معدوم المنفعة كبعض الحشرات مثل النمل والذباب كما لا يصح أن يكون محلا للملك الأشياء التى تكون منفعتها محرمة شرعا كآلات الطرب والغناء عند من اعتبر الغناء محرما من الفقهاء وآلات ألعاب القمار التى يقتصر الانتفاع بها على هذا الغرض المحرم شرعا •

أما مدى ما يمتد اليه الملك فان الملك حينما يتعلق بأى عين من الأعيان سواء كانت عقارا أو منقولا فانه يمتد الى منافعها وثمراتها

وتتاجها وجميع ما يتولد منها فيما عدا العشب الذى ينبت فى الأرض من غير صنع مالكها والماء الذى ينبع منها وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » فلا يملك شىء من ذلك الا باحرازه.

وقد اختلف الفقهاء فيما يحويه باطن الأرض المملوكة لأى فرد من معادن كالحديد والنحاس وغيرها أو من سوائل كالزئبق والبترول أو أحجار عادية أو أحجار كريمة كالماس والياقوت فذهب بعضهم الى أنها لا تتبع ملكية الأرض لأنه ليس لمثل ذلك تملك الأرض وتطلب عادة وانما تعتبر كل هذه المعادن والسوائل والأحجار ملكا للدولة (أشهر أقوال المالكية) وذهب آخرون (الحنفية والشافعية والحنابلة وبعض المالكية) الى أن هذه المعادن اذا وجدت فى أرض مملوكة كانت تابعة لها وملكا خالصا لمالك الأرض ونرى الأخذ بهذا الرأى الذى يتفق مع مقتضيات العصر وما تحتله المناجم والمحاجر وآبار البترول من أهمية كبرى فلم تعد الأرض تمتلك لمجرد الزراعة أو اقامة المبانى كما كان الأمر فى القرون الأولى من الاسلام .

وبالنسبة لأنواع الملك فهناك عدة تقسيمات : أولها : ملك العين وملك المنفعة . فملك العين هو ملك ذات الشىء ويسمى أيضا بملك الرقبة . وقد يكون مالك العين هو مالك المنفعة فى ذات الوقت فيسمى الملك هنا ملكا تاما يبيح لصاحبه حق التصرف المطلق فيما يملكه فيجوز له أن يبيعه أو يهبه أو يوصى به أو يؤجره أو يعيره أو يرهنه ، أما ملك المنافع أو الحقوق أو ملك الرقبة فقط فهو ملك ناقص لأنه لا يكون لصاحبه حق التصرف المطلق كما هو فى الملك التام .

ومن أهم صور الملك الناقص فى الشريعة الاسلامية « الوقف » والوقف معناه لغة الحبس ، وشرعا حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة . ويؤخذ من هذا التعريف أن الوقف يترتب عليه خروج العين الموقوفة فورا عن

ملك جميـع النـاس حتى الواقف نفسه ولا يصح التصرف فيها تصرفا يجعل للغير حقا ثابتا عليها فلا يجوز بيعها ولارهنها ولا هبتها ولاالوصية بهـا ولا غير ذلك من التصرفات .

والوقف نوعان : أهلى ، وخيرى .
فالأهلى : ما كان أولا على شخص معين أو أشخاص معينين سواء أكان هـو الواقف وذريته أم غيرهم من الأهـل والأقارب أو غـيرهم من الأجانب عن الواقف كطلبة العـلم مثـلا بشرط أن يكون مآل المـال الموقوف فى جميع الأحوال الى جهة بر لا تنقطع . أما الوقف الخـيرى فهـو ما كان من أول الأمر موقوفا على جهـــة خـيرية كالمسـاجد والمستشفيات والملاجىء .

ويصح وقف العقار والمنقول على السـواء كمـا لا يشترط التشريع الاسلامى انتماء الواقف أو الموقوف عليهم للاسلام .

والتقسيم الثانى لأنواع الملك هو مالا يجوز تمليكه ولا تملكه وهـو ما خصص للمنافـع العـامة ما دام مخصصا لذلك فلا يثبت لأحد فيه ملك خاص وانما يعد ملكا لمجموع الشعب يتعلق به حق الناس جميعا وذلك كدور العبادة والمستشفيات الحكومية والأنهار والطرق العـامة والمبانى الحكومية ونحو ذلك وهو ما يعبر عنه بالملك العام أما غير ذلك من الأعيان فيقبل التمليك والتملك متى كان مالا متقوما كما سبق أن ذكرنا وهـو ما يعبر عنـه بالملك الخاص .

وينقسم الملك من ناحية صورته الى قسمين:ملكية متميزة أو مفرزة، وملكية شائعـة . والملكية المتميزة هى ما كان محلهـا يختص به مالك واحـد كملكية شخص لبيت بأكمله أو لطبقة معينة من طبقاته أو لقطعة أرض محددة ، أما الملكية الشائعة فهى نتيجـة اشتراك مجمـوعه من الأشخاص فى ملكية شىء واحد دون افراز لنصيب كل منهم كملكية فرد واحد مثلا لسدس قطعة من الأرض فهـذه النسبة التى يمتلكها تكون شائعة ومنتشرة فى جميع أجزاء هذه القطعة من الأرض ويكون كل جزء

من هــذه الأرض مهمـا صغر غير مختص بأحد من الشركاء بل تتعلق به ملكياتهم جميعا .

وبالنسبة لخصائص الملك والقيود التى ترد عليه فالأصل فى الملكية أنها حق مطلق جامع لكل فائدة يمكن استيفاؤها من الشىء المملوك ، وأن هــذا الحق المطلق مقصــور على صــاحبه فلمالك الشىء أن يستأثر بجميع مزاياه وأن يمنع غيره من أن يشــاركه فى ذلك . وهــذا الحق المطلق المقصور على صــاحبه حق دائم لا يقبل التوقيت . وقد اختلف الفقهــاء فى دوام حق الملكية فيرى الحنفية والشافعية فى أشهر أقوالهم أن الملك يعتبر دائما لا ينتهى بمعنى أن الأشياء المملوكة لايمكن اعتبارها أموالا مباحة لا مالك لها اذا ما تخلى عنها أصحابها فلا يتملكها من يضع يده عليها،ولهم قول آخر:ان الأموال المملوكة تصبح مباحة متى تخلى عنها أصحابهــا فتسقط ملكية صاحبهــا ويتملكهــا من يســتولى عليهـــا بالاستيلاء ، والذى نراه هو الأخذ بأشهر أقــوال الحنفية والشــافعية ويؤيدهم فى ذلك المــالكية وأكثر الفقهاء وهــو ما يتفق مع مقتضيات العصر لأن فى الأخذ بالرأى القائل بدوام ملك العــين وعــدم انتهائه يحفظ للنــاس أمــوالهم ويقلل من التنازع والتناحر بينهم . أما بالنسبة لتوقيت حق الملكية فيجب التفرقــة بين ملكيــة العين أو ملكيــة الرقبة وملكية المنفعة ، فملكية العين لا تقبل التوقيت ولا يجــوز الاتفــاق على توقيتها ، والا اعتبر مثل هذا الاتفاق باطلا ، أما ملكية المنفعة فانها تقبل التوقيت حســب الاتفــاق فهى فى الاجارة مثلا مؤقتة دائما بمدتها وفى الوصية مؤقتــة بحيــاة الموصى له أو بالمدة المحددة للانتفاع .

أما القيــود التى ترد على حــق الملكية ، فالأصل العام هو أن جميع ما جاءت به الشريعة الاسلامية من حقوق وأحكام مقيد بشرط عــدم الضرر لحديثه صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والملكية حق من هذه الحقوق ولذلك تخضع لهذا الأصــل كبقية الحقوق الأخــرى

ولذلك لا يترك لها الحبل لتكون أداة للتسلط على الناس ومن هنا جاز تقييد حرية المالك فى طرد المستأجر وتقييد حريته فى تحديد الأجرة فى هذا الزمان الذى سيطر فيه الجشع وحب المال على الناس فأفقدهم الكثير من مظاهر المودة والرحمة التى يحرص التشريع الاسلامى على الحفاظ عليها .

والقيود على الملكية نوعان: قيود تتعلق بحق التملك ذاته فتحدد مقدار ما يتملكه الفرد من نوع معين من الأعيان، أو حظر تملك بعض الأفراد لبعض الأعيان مثال ذلك ، قوانين تحديد الملكية الزراعية بوضع حد أقصى لما يمكن أن يملكه كل فرد من أطيان زراعية أو حظر تملك الأجانب للأطيان الزراعية .

وهذا النوع من القيود لا تعرفه الشريعة الاسلامية على الاطلاق فلكل انسان أن يملك من المال ما يستطيع أن يتملكه دون حد أقصى فى ذلك .

أما النوع الثانى من القيود فهو: قيود فى سلطة المالك على ملكه وطريقة انتفاعه به والشريعة الاسلامية تبيح من هذه القيود كل قيد يحقق الصالح العام لمجموع المواطنين مثل منع بيع الأسلحة بدون ترخيص والتسعير الجبرى للمواد الغذائية متى كان هذا التسعير يحقق فائضا مناسبا للبائع ومنع الاحتكار والزام ملاك الأراضى الزراعية بزراعة مساحات معينة من أراضيهم بمحاصيل معينة وتحديد ساعات العمل والشروط الخاصة بمزاولة العمل أو المهنة أو التجارة وغيرها ، فكل هذه القيود متى كان الدافع اليها العمل على تحقيق المصلحة العامة ومنع الضرر عن الناس وتوفير الحماية والأمن والراحة لهم كان فرضها مباحا بل ومطلوبا فى الشريعة الاسلامية .

وقد عرفت الشريعة الاسلامية نظرية التعسف فى استعمال الحق هذه النظرية التى عرفتها القوانين الوضعية حديثا فلا يمكن لمالك الأرض أن يقيم عليها حائطا لا ينتفع به أو يكون انتفاعه به انتفاعا ضئيلا ويكون فى اقامته اضرارا

كبيرا بجاره لأن استعمال الحقوق فى الشريعة الاسلامية مقيد بمراعاة المبادىء الآتية :

١ ـ الضرر يزال .

٢ ـ يتحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد .

٣ ـ يجب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

٤ ـ دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٥ ـ الضرورات تبيح المحظورات .

ومالك الأرض وان كان مدى ملكه كل ما يعلو أرضه وكل ما هو تحتها الا أنه ليس له أن يمنع مرور الطائرات أو مد أسلاك الكهرباء وغيرها فوقها ولا منع اقامة الانفاق تحتها متى كان ذلك يبدأ من أقصى ارتفاع أو عمق تصل اليه منفعته بها .

وبالنسبة لأسباب كسب الملكية وفقدها وحمايتها فالملك يكتسب اما باختيار المالك واما بغير اختياره .

وأسباب كسب الملكية بغير اختيار المالك تنحصر فى الميراث فالوارث يتملك حصته فى تركة مورثه بمجرد الوفاة دون توقف على قبوله أو رفضه للتركة غاية ما فى الأمر أن الوارث لا يسأل عن ديون مورثه الا فى حدود ما آل اليه من ميراث .

أما أسباب كسب الملكية (أعيان ومنافع) باختيار المالك فهى العقد (مثل البيع والهبة والوصية والزواج والاجارة والاعارة) والوقف والشفعة ووضع اليد على الأموال المباحة (الأموال التى لا مالك لها وتبيح الدولة تملكها لأى فرد يحرزها مثل الصيد والاحتطاب والاستسقاء من الأماكن المباح فيها ذلك) والفىء والغنيمة .

والفىء هو ما تستولى عليه جيوش المسلمين من أعداء الاسلام من أموال بغير قتال، أما الغنائم فهى ما تستولى عليه جيوش المسلمين نتيجة المعارك الحربية . وحكم الغنيمة أن يأخذ بيت المال خمس الأموال المنقولة ويوزع الأربعة

أخماس على المقاتلين من المسلمين الذين حضروا المعارك «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ــ الأنفال ٤١ » أما العقارات فتؤول الى الدولة ويصرف ريعها فى مصالح المسلمين ولا يقسم أى جزء منها على المقاتلين . وأما حكم الفىء فالأصل فيه هو أيلولته بأكمله الى الدولة ليصرف جميعه فى مصالح المسلمين الا أنه يجوز لرئيس الدولة الاسلامية أن يطبق بشأنه نفس حكم الغنيمة .

ولا يفرق التشريع الاسلامى بين العقار والمنقول فى طرق اكتساب الملكية أو فقدها . ومتى ملك انسان شيئا ملكا تاما بسبب من الأسباب السابقة فانه لا يجوز أن ينتزع منه ما ملكه الا برضائه الكامل الصحيح وذلك فيما عدا الحالتين الآتيتين على سبيل الحصر. الحالة الأولى : أن يكون المالك مدينا دينا واجب الأداء وامتنع عن أدائه فيباع من ملكه رغما عنه مايفى بهذا الدين ويدخل ضمن هذه الديون نفقات الأقارب وكذلكزكاة المال ، وهى لا تجب الا على كل حر مسلم ولا يشترط فى وجوبها العقل ولا البلوغ فهى تجب فى مال الصبى والمجنون . والحالة الثانية:هى حالة نزع الملكية للمنفعة العامة ويشترط فى هذه الحالة أن تكون هناك منفعة حقيقية للجماعة لا يمكن تحقيقها ولا الوصول اليها الا بنزع ملكية عين معينة بالذات كشق ترعة أو مصرف أو فتح طريق عام أو توسعة مسجد ويشترط فى هذه الحالة تعويض المالك التعويض الحقيقى لقيمة الملك « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ــ الأعراف ٨٥ » وأن يدفع هذا التعويض فورا فان رفض المالك قيمة هذا التعويض أودع مبلغ التعويض فى خزانة الدولة تحت تصرفه لحين الفصل فى قيمة التعويض فلا تنفرد الدولة بتقدير التعويض ولا بتحديد تاريخ أو طريقة سداده ولا يسمح التشريع الاسلامى بالمصادرة اطلاقا لأى مال يكون امتلاكهمشروعا وتمت ملكيته بسبب مشروع مهما كان سبب استيلاء الدولة على هذا المال ولو كان لتوسعة المسجد الحرام

« ولا تأكلــوا أموالــكم بينــكم بالباطل ـ المؤمنون ٥١ » ولا يفقد انسان ملكه بتركه أى مدة مهما طال الزمن ولو وضع غيره يده عليه أى مــدة مهمــا طالت فانه لا يكسب ملكيته فالتشريع الاسلامى لايعترف بالتقــادم الطويل أو القصير كسبب من أسباب كسب الملكية أو فقدها سواء بالنسبة للعقــار أو المنقــول وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبطل حــق امرىء مسلم وان قدم » ويكفل التشريع الاسلامى للملكية حماية لا يكفــل مثلها أى تشريع وضعى فالى جانب وسائل حمــاية الملكية المعروفة من منــع الاعتــداء على الملك والزام المعتدى بالتعويض وعقاب السارق جنائيا فان التشريع الاسلامى ينفرد بقطع يد السارق جزاء على الاعتداء على الملكية بالسرقة وتطبيق هــذا الحد من الحــدود له أكبر الأثر فى صيانة أموال النــاس بل وأرواحهم أيضا وسنتكلم عن ذلك تفصيلا عند الكلام عن الجــرائم والعقوبات فى الأعداد القادمة .

ومن وســائل حمــاية الملك فى التشريع الاســلامى الزام المــالك بعدم تبذير ماله وعدم انفاقه فى غير مصلحة فجعل الله للحاكم حق التدخل فى هــذه الحالة بالحجر على السفيه المبذر لمــاله .

واذا فقــد شىء من مالكه وعثر عليه آخر فانه يلزم بالتقاطه والمحافظة عليه ومحاولة التعــرف على مالكه لتسليمه اليه فان لم يمكنه ذلك دفع بهذا الشىء الى أجهزة الأمن بالدولة وفى حــالة اليــأس من العثور على مالك هــذا الشىء أو وارثــه فان ملكيته تؤول الى الدولة .

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عــن نظــام الملكية فى القــانون الانجليزى .

حسن حسب الله

من عظماء الرجال :

شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام

للأستاذ محمد أحمد سالم

كان خطر التتار قد عاد يتهـدد بلاد الاسلام بأشد مما كان فى أيام جنكيزخان ، فقد انحدر منهم جيش كبير بقيادة طاغيتهم الجديد هولاكو فعصفوا بالدولة الاسـماعيلية فى فارس ، ثم زحفوا على بغداد فقتلوا الخليفـة أشنع قتلة ، ثم مضـوا يسفكون الدماء، وينتهكون الأعراض وينهبون الدور ، ويخربون الجوامع والمساجد ، وعمدوا الى ما فيها من خزائن الكتب العظيمة . فألقوها فى نهر دجلة حتى جعلوا منها جسرا مرت عليه خيولهم ، واستمروا على ذلك أربعين يوما . وأمر هولاكو بعد القتلى بعد ذلك فبلغت عدتهم زهاء مليونى نفس .

سرت أنباء هـذه الفـاجعة التى حلت بعاصـمة المسلمين الكبـرى فاهتز لها العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه وامتحن الله بها قلوب ملوكه وأمرائه ليعلم من يثبت منهم على دينه، فينتدب لجهاد أولئك البغاة المشركين .

ولم يكد الملك المظفر قطز يسمع بما حل ببغـداد من نكبة التتار ، ويتحفز هولاكو للانقضاض على سائر الاسلام ، واقتراب الخطر من مصر حتى ثارت شجونه وأخذ يفكر فى تدبير المال اللازم لتقويـة الجيش المصرى ، وتكثير عدده ، وتجهيزه بالعدد والأسلحة وآلات القتـال ، وجمع الذخائر والأقوات، والأرزاق الكافية لاعاشته وتموينه ، اذ ليس ببيت المال ما يكفى للقيام بهذا الأمر العظيم . فخطـر بباله أن يفـرض ضريبة على الأمة ، وأملاكهـا لجمع المال اللازم : فعقد مجلسـا حضره العلماء والقضـاة والأمراء والوزراء والأعيان ، وفى مقدمتهم الشيـخ عز الدين بن عبد السلام، فاستفتى الملك المظفر العلماء فى جواز فرض الأموال

على العامة لانفاقها على العساكر ، فتهيب العلماء فى الافتاء ، وخافوا ان هم أفتوا بالجواز أن يغضبوا العامة عليهم ؛ وان أفتوا بالمنع أن يبوءوا بغضب السلطان ، فظلوا يتدافعون الافتاء حتى صدع ابن عبد السلام بفتياه العظيمة ،فسكت سائر العلماء ، وانفض المجلس على ذلك .

وكانت الفتيا صريحة فى وجوب أخذ أموال الأمراء وأملاكهم حتى يساووا العامة فى ملابسهم ونفقاتهم، فحينئذ يجوز الأخذ من أموال العامة، أما قبل ذلك فلا يجوز.فحار الملك المظفر فى الأمر ، لأنه ان سهل عليه الأخذ من أموال العامة فليس من اليسير عليه أن يأخذ من أموال الأمراء دون أن يحدث ذلك شغبا فيهم قد يوقد فى البلاد فتنة يصعب اطفاء نارها ، فبعث الى الشيخ ابن عبد السلام ، وشرح له صعوبة الأخذ من أموال الأمراء ، وتلطف معه ليفتيه بجواز الأخذ من أموال العامة اذا صعب الأخذ من أموال الأمراء . فلم يرض ابن عبد السلام وقال له : «لا أرجع فى فتواى لرأى ملك أو سلطان » ، وذكره بالله وبالعهد الذى قطعه على نفسه أن يقوم بالعدل،وينظر لمصلحة المسلمين، وأغلظ له فى ذلك . حتى لم يشك الحاضرون أن السلطان سيقبض عليه ، فما كان من الملك المظفر الا أن اغرورقت عيناه بالدموع ، وقام الى الشيخ فقبله على رأسه . قائلا : « بارك الله لنا ولمصر فيك . ان الاسلام ليفتخر بعالم مثلك ، لا يخاف فى الحق لومة لائم » .

ولم ينم الملك المظفر ليلته ، فقد قضاها ساهرا يفكر فى طريقة يحمل بها الأمراء على تسليم ما عندهم من ذهب وفضة، وفى الصباح دعا وزيره يعقوب بن عبد الرفيع وتشاور معه طويلا . ثم اتفقا على أمر نوى التصميم عليه . ودعى الأمراء المماليك الى مجلس بالقلعة ، فلما حضروا جميعا دخل عليهم المظفر فقاموا له، وحياهم جميعا ، ثم بسط لهم القضية التى دعاهم من أجلها . وكان مما قاله لهم : « ان الأمراء اغتنوا من أموال الأمة ، وامتلأت خزائنهم بالذهب والفضة حتى ان فيهم لمن يجهز بناته بالجواهر

واللآلىء ، ويتخذ الاناء الذى يستنجى به فى الخلاء من فضة ، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر . كل ذلك والأمة صابرة عليهم ، راضية بهم . وها هو ذا العدو على الأبواب قد أقبل يريد القضاء عليها ، وعلى دينها وشرفها وعرضها ومالها ، وليس فى بيت المال ما يكفى لتجهيز الجيش اللازم لرد العدو فكان علينا أن نأخذ من أموال الأمة لبيت المال . اذ لا سبيل لنا غير ذلك ، ولكن الشرع الشريف أفتانا بأنه لا يجوز لنا ذلك حتى ننزل نحن — معشر الأمراء والحكام — عما احتجناه من أموال الأمة ، ونرد لبيت المال ما كنزنا من ذهب وفضة وجواهر وغيرها ، مما يفضل عن حاجتنا ، فاذا أحصينا ذلك ولم يكف كان لنا حينئذ أن نأخذ من أموال العامة ، وانى ما دعوتكم الآن الا لتساعدونى على تنفيذ حكم الشرع فى وفيكم ، ثم فى الأمة حتى نبرأ الى الله من مظالمنا ، ونخرج للجهاد فى سبيله وقد رضى عنا ورضينا عنه ، فينصرنا على عدونا ، ويثبت أقدامنا يوم اللقاء » .

وبعد حوار وجدل صاح القوم جميعا « لا نطيع السلطان ، ولا ننزل له عن أموالنا وأملاكنا » ونظروا الى أبواب القاعة فوجدوها قد غلقت عليهم فاستقروا فى مجلسهم ، وعند ذلك نهض السلطان من مجلسه وقال لهم : « سأمهلكم ساعة تراجعون فيها وحدكم لتنزلوا عما عندكم من أموال الأمة راضين قبل أن تنزلوا عنه صاغرين » .

وكان الملك المظفر قطز قد دبر فرقة من رجاله الأشداء الأمناء لكبس بيوت الأمراء المماليك ، وكسر خزائنهم ، وحمل ما فيها من الذهب والفضة والجواهر الى بيت المال ، وخصص كلا منهم لبيت من بيوتهم ، وأمرهم أن ينتظروا اشارته بذلك . فلما مضت الساعة ولم يتفقوا على شىء أشار الى رجاله فانطلقوا ينفذون تدبيره .

وأحصى ما جاء من عند الأمراء فوجد أنه لا يكفى لتقوية الجيش وتموينه فعند ذلك أمر الملك المظفر باحصاء الأموال وأخذ زكاتها من أربابها ، وبأخذ كراء شهرين من الأملاك والعقارات المستأجرة ،

وبفرض دينار على رأس كل قادر من سكان القطر المصرى ، فاجتمع من ذلك فى بيت المال نحو ستمائة ألف دينار •

ولما انتهى الملك المظفر من ذلك عهد الى وزيره يعقوب بن عبدالرفيع أن يباشر تقوية الجيش المصرى بالأسلحة والعدد وآلات القتال ، وتكثيرعدده بتجنيد الشباب الأقوياء من أهل مصر ، واستقدام العربان والبدو وتجنيدهم، وتفريق الأموال فيهم ، وأمره بانشاء المصانع الكبيرة لصنع الأسلحة والمجانيق وغيرهامن العدد الحربية فىجميع أرجاء البلاد، وبشراء الجياد العربية العتيقة ، والبغال القوية ، والابل الهجان •

وراح الشيخ عز الدين بن عبد السلام يعد الأمة اعدادا روحيا لقتال التتار فأنشأ ديوانا كبيرا للدعوة الى الجهاد فى سبيل الله يضم اليه من يختارهم من خطباء الجوامع • فيلقنهم ما ينبغى لهم أن يخطبوا الناس به على المنابرليدعوهم الى الجهاد ، ويبينوا لهم فضائله ، ويفصلوا لهم ما أنزل التتار ببغداد وغيرها من الخراب والدمار ، وما اقترفوه فيها من سفك الدماء ، ونهب الأموال ، وانتهاك الأعراض والحرمات ، وتهديم الجوامع والمساجد ، وقتل الأطفال الرضع ، والشيوخ والعجائز ، وبقر بطون الحوامل • ويبعث من ذلك الديوان الوعاظ يطوفون بالقرى ، ويدعون أهلها الى الجهاد ، ويوقدون فى قلوبهم نار الحماسة لله والوطن ، وكان الشيخ ابن عبد السلام لايجيز أحدا من هؤلاء الخطباء والوعاظ بالانطلاق لعمله حتى يحفظ سورتى الأنفال والتوبة من القرآن عن ظهر قلب، فكان من جراء ذلك أن صارت المنابر والجوامع والأندية ومجالس القرى تعج بآيات القتال من القرآن الكريم حتى كاد الرجال والنساء والأطفال يستظهرونها حفظا •

وهكذاكان لموقف شيخنا عزالدين ابن عبد السلام أثره العظيم فى كسب المعركة ، واحراز النصر • رحم الله الرجل ، وأسبغ عليه فيض رضوانه، ولله در أمير الشعراء شوقى اذ يقول :

كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا

محمد احمد سالم

رسائل من العالم الإسلامي

إعداد وتقديم: الدكتور عبد الودود شلبي

● **أتاتورك مرة ثانية :**

للأستاذ عبد الستار الهوارى ـ **القاهرة**

● **الحوار مع الأديان الأخرى :**

للدكتور M. M. AHSAN

THE ISLAMIC FOUNDATION 223 LONDON RD LEICESTER

● **المسلمون فى لبنان : « وحدة الأمة والقيادة »**

للأستاذ عز الدين بليق ـ بيروت

● **هل يمكن الوصول الى « توحيد الله » بالعقل ؟**

للأستاذ عبد الرافع مضنون حمص ـ سوريا

لا يزال الجدل قائما فى العالم الاسلامى حول الحركات التى وقعت فى ربوعه باسم التجديد والاصلاح وبخاصة تلك الحركات التى قادها رجال أفرغوا محتويات هذه الحركات من كل مضمون اسلامى أودينى .

وكان من أهم هذه الحركات التى شغلت بال المفكرين والباحثين حركة «مصطفى كمال» الذى أجهض دولة الخلافة ، وأقام نظاما تخلص به من كل المقومات الاسلامية التى جعلت من تركيا دولة عظمى تؤثر بسياستها فى مجريات الأحداث ، ويحسب لها ألف حساب فى الشرق والغرب .

ولقد كان من أعز الأمنيات لدى أعداء الاسلام أن تسقط هذه الدولة وتتقاسم أملاكها وألويتها تلك

الامبراطوريات التى نشأت فى الغرب متخذة من الدين شعارا تلهب به مشاعر المتعصبين ضد الاسلام أو على الاقل افراغ هذه الدولة من عنصر القوة الذى استطاعت به غزو أوربا واعلاء راية الاسلام فوق أبراجها وقلاعها .

وحانت هذه الفرصة للطامعين فى دولة الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بهزيمة المانيا وحليفتها تركيا وتوصل الغزاة الأجانب الى شبه اتفاق على تجريد تركيا من هذا السلاح بقيام نظام للحكم يحقق أهدافهم التى يسعون اليها، وخططوا طويلا لتحقيقها ...

ولم يكن مقالنا عن « أتاتورك » الا توضيحا لهذه الحقيقة التى بدأت تتكشف للعيان فى تركيا نفسها ، وتقديرا للشعب المسلم الشقيق الذى بدأ يتحرر من أغلال هذه المؤامرة ويعمل على محو آثارها ...

واذا كان ماكتبناه فى هذا الشأن قد أغضب المستشار الصحفى فى سفارة تركيا فان رسائل القراء من مختلف العالم الاسلامى تزيدنا يقينا بأن الحق لايعدم فى هذا العالم نصيرا ، وأن الشعب التركى أعز علينا من أى قائد أو زعيم مهما كان كبيرا ...

وفى واحدة من هذه الرسائل يقول الاستاذ عبد الستار الهوارى :

اذا رجعنا الى تاريخ الانقلاب التركى بقيادة مصطفى كمال نجد أن زعماء هذا الانقلاب قد اتبعوا ذات الطريقة التى اتبعها زعماء الانقلاب الروسى البلشفى ، بل ان الحركتين كأنما كانتا على موعد زمنى متقارب كما أن ترويج الدعوة لهذه الحركة أو تلك بالكتابة والنشر هى واحدة تقريبا .. والهدف هو اخضاع العقلية الآسيوية أولا ، ثم القضاء عليها ثانيا ، لتحل محلها العقلية الأوربية بأيديولوجياتها المادية الالحادية .. ومن بين الكتب التى ظهرت آنذاك كتاب يعده زعماء الانقلاب التركى انجيلا يوحى اليهم بكل مايحتاجون اليه من مبادىء الرقى والنهوض، كما يعد الماركسيون

والبلاشفة كتاب (كارل ماركس) انجيل النظام الشيوعى .

والكتاب التركى الذى نعنيه اسمه (كتاب مصطفى كمال) وضعه مؤلف اسمه «قابيل آدم» ومن الواضح من الكتاب واسمه أن الآراء التى بثت فيه والمبادىء التى دافع عنها هى هدم للدين الاسلامى الحنيف وكفر بكل ماجاء به من شرائع وسنن ، وقد أفلح مؤلف الكتاب فى أن يجعل مؤلفه هذا دستورا عاما للعقلية التجديدية فى أنحاء الشرق كله ، على أن تصفى من بعض ما فيها من نزعات التطرف والافراط .

بدأهذا المؤلف كتابه هذابتلخيص عام عن حصر الكلام فى العقلية التى قامت عليها الثورة التركية فقال : ان العقلية الأوروبية هى العقلية التى تنسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ونحن انما نتبع ماتوحى الينا به هذه العقلية بحكم أننا موجودون فى هذه الحياة .. أما العقلية الآسيوية ، فالعقلية التى تلائم الحياة الآخرة ، فاذا انتقلنا الى الحياة الباقية فهناك نتبع ما توحى به هذه العقلية أى العقلية الأوروبية .

ان الأمم الحية فى العصر الحاضر تعيش فيما يلى حدودنا الغربية ، بينما يعيش فى الشرق مجموع من الأمم لم يعترف لها بحق الحياة فى عصر من عصور التاريخ .. ان الناس فى الشرق والغرب يتفقون فى كل الصفات العضوية ، فمن أين حدث ذلك الفرق البين الواقع بين الناس فى الغرب والشرق ؟

لم يكن لمذاهبنا القديمة سوى قاعدة منطقية واحدة ، ولم تتكون فيها سوى عقلية بعينها ، وتلك القاعدة وهذه العقلية لم ينصرفا طوال الأعصر عن شىء واحد ، هو أن يرجعوا بكل شىء استنتاجا واستقراء الى الكتب الدينية ، هذا بينما كانت العقلية الغربية تنظر فى الحياة بعين انسانية وتنظم الحياة على مقتضى ماترى هذه العين من حقائق الوجود ، وأنه لمن أشد الأشياء خطرا أن نبحث الحياة الغربية بعقلية شرقية .. لأن من الجائز أن يغوينا هذا النهج فنقبل جزءا من الحياة الغربية ، أو أجزاء نكيفها تكييفا خاصا أو نرفض قبول ناحية من نواحيها ، أو نكل تطبيق شىء منها الى المستقبل ، ثم نقول ان لدينا

من الحياة الغربية أجزاء وتنفا ، وما من شك فى أن هذا النهج كان سببا فى وقوع أكبر المصائب وأعظم النوائب والكوارث التى انتابت تركيا فى الماضى، ولقد عملنا بأقصى الجهد لكى نوفق بين الناحيتين ، فدلت التجاريب على أن التوفيق بينهما مستحيل..فان أهل الغرب يعتقدون بأن الناس للناس (أى انسانيون). بل ان مطامعهم الأولية فى الحياة تنحصر فى أن يعيشوا فى هذه الدنيا على أكمل وجه تتطلبه الرجولة الكاملة، أما أهل الشرق فموقنون بأن الناس ملك لله ،ويحاولون دائما أن يحققوا وجود الحياة الأخرى فى هذه الحياة .. ولا شك أن هاتين النظرتين لايمكن التوفيق بينهما ، على أننا لم نعترف بهذه الحقائق فى الماضى ولم نواجهها بما تتطلب من الشجاعة الأدبية والاستقلال فى الرأى ، ومن أجل هذا كله نجد أنفسنا فى أشد الاحتياج لأن نصطبغ بصبغة العقلية الأوروبية الحديثة ، وما من سبب لذلك التنابذ الشديد الذى قام بين فريقى الأمة الا وجود هذه العقلية فى ناحية ، حيث تقوم فى ناحية أخرى العقلية الدينية العربية .. وهذا أخطر ما تتعرض له الجمهورية التركية من الأحداث .

ويمضى مؤلف الكتاب الكافر الملحد مشددا الحملة على الدين الاسلامى بأقسى وأعنف مما حمل عليه زنادقة الغرب الملاحدة .. بل ان الدين المسيحى كذلك لم ينج من حملته فنراه يقول :

ان المبادىء التى استمدت من مكة ومن رمال البادية هى التى أعاقت تركيا عن التقدم ستة قرون طوال ، لقد حكمت هذه المبادىء الشعب التركى عقليا ومدنيا واجتماعيا وعلميا وسياسيا واداريا ومدنيا ، وعلى الجملة احتكمت فى كل مظاهر حياته ، ولقد استنفدت المدارس كل موارد تركيا المالية ، ولكن ماذا كانت طبيعة الأشياء التى تدرس بين جدرانها ؟ لم يدرس بينها حرف واحد من اللغة التركية ، بل كانت العربية هى الأساس ، وأكب الناس على دراسة مقاطع من القرآن وتفسيرات فيه أربت على المئات والألوف من الصفحات التى كتبها واضعوها وحكموا فيها منازعهم وشهواتهم تحكيما ،وكذلك

دارسوا الحديث .. تلك الأحاديث التى وضعها وانتحلها رجال من مختلف الأمم ، وفى مختلف الأزمان .

بيد أن هذه الأساليب التعليمية لم يكن لها من صلة بالشعب التركى ولا بلغته ولا بثقافته ، بل لم يكن لها من صلة بالحياة ذاتها وليس من تاريخنا من شىء هوأدعى الى الخجل من أن تفرض السراى — الباب العالى — على الشعب التركى أسلوبا تعليميا عربيافى قوامه ومبناه ، ومن الغريب أننا خضعنا لهذا الأسلوب خضوع العبيد والاماء ستة قرون طوال .

لقد وضعت المذاهب علما قدسيا بنته على تفسيرات خاصة فسرت بها الأحاديث وآيات القرآن،أما رجالها فقد أعلنوا الحرب والنضال على كل من حاول أن يخرج عن هذه الدائرة وبهذا سد باب العلم وحظر على الناس ولوجه .

ان الحاجة تدعونا الى أن نلغى العقلية الآسيوية وأن نحل محلها العقلية الأوروبية ، اننا تواجهنا الآن مصاعب ومشكلات كتلك التى قامت فى وجه الثورة الفرنسية ؛ لهذا وجب علينا أن نستخدم الوسائل الثورية ، وليس فى الدنيا ثورة حبت أعداءها بنعمة الحرية ، انما الحرية الشخصية تكون بيقين حقا للجميع بعد أن تضع الثورة أوزارها وتثبت أصولها ، لهذا لا نستطيع أن نترك بذرة الحركات الرجعية تنمو حبتها فى العصر الحاضر ... والا فان الثورة لن تنجح .

ان الحضارة الأوروبية تقوم على ثلاث أسس عظمى (الأول) حقوق الانسان .. و (الثانى) الثقافية القومية ، و (الثالث) الاقتصاد والمالية القومية .. ولنبحث كلا من هذه الأسس على حدة :

أولا : حقوق الانسان.. تنحصر فى أن كل شخص تابع لرعوية الحكومة يولد ويعيش حرا ، وهذا هو المبدأ الجوهرى الذى تقوم عليه كل جماعة متحضرة ؛ وهذه الحرية تطبق على كل المعاهد التى يقوم عليها النظام الاجتماعى .

فرديا وعائليا وحكوميا .

(١) الحرية الفردية .. تقيد هذه الحرية بكل الأشياء التى لا يجب لشخص أن يستعملها ضد شخص غيره ، ولم يبق فى أوروبا أمة واحدة لم تقبل مبدأ الحرية الفردية محددا هذا التحديد ، ومن غير الحرية الفردية وحرية الغير وحرية النشر ، لا يمكن أن تمضى أمة متحضرة فى سبيل الارتقاء .

(٢) أما الوجه الثانى من أوجه الحرية الفردية فذو علاقة بالحياة العائلية .. أما العقلية الأوروبية فقد حلت هذه المشكلة أيضا ، فان الحياة العائلية فى أوروبا انما تقوم على مبدأ التساوى فى الحقوق ، لأن الحياة لم تعط الرجل حقا أكبر ولم تحرم المرأة حقا مهما كان نوعه ، فان الحياة مرح وسعادة ، اذ وجب أن تعطى المرأة حرية الرجل ، والرجل حرية المرأة .. وليس على غير هذا الأساس تقوم الحياة العائلية الحرة ، وهذه العقلية بالطبيعة ترفض الاعتراف بحق تعدد الزوجات ، وتسع بالضرورة مبدأ مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل فى الاجتماع ، المرأة والرجل أحرار فرديا .. وما الزواج الا اشتراك يحدث بتوحيد مصالحهما وحقوقهما بمحض الاختيار ، والطلاق عبارة عن فسخ هذه الشركة .. اذ وجب أن يكون للزوج والزوجة نفس هذه الحقوق المشتركة ، والزواج موجه بكليته الى خير الجماعة ، ويجب أن يقوم على هذه المبادىء .

(٣) حرية الحكومة .. بحكم وجود أكثر من فردين اثنين فى هذه الحياة فرض نظام الحكم ، ولهذا لزم أن تقوم الحكومة على صورة تضمن حق كل الناس ، ووجب أن يمثل فى نظاماتها كل شخص من أشخاص الرعية ، وهذه هى الديموقراطية ، ينبغى للحكومة أن تمثل شرائع الأفراد وأن تقوم حفيظة على مصالح الجماعة ، وأن مصالح الجماهير لا يجب أن تعبث بمصالح الأفراد ، ولا يجب أن تعبث مصالح الأفراد بمصالح الجماهير ، وعلى هذا لاترى حكومة أوروبية تستطيع أن تفكر فى أن تعتدى على مصالح الأفراد .

ثانيا : الثقافة القومية .. اننا نعيش اليوم فى عصر القومية ، ولم نصل بعد الى عصر « الانسانية » ان الحضارة الأوروبية تستهدى فى كل أعمالها وحركاتها بوحى القومية وحدها ، اذن يجب علينا أن نسير على نهجها ونعمل عملها ، لم تعترف أمة بحق أخرى بعد ، ولم تشفق أمة على غيرها ، ولم يهب شعب لنجدة آخر ، وما الحروب الطاحنة التى قامت فى أوروبا الا دليل حى على صحة ما نذهب اليه، ولقد حاول البعض أن يفسر موقف أوروبا العدائى ازاءنا بأنه راجع الى بواعث دينية ، وهذا ليس بصحيح فان الحضارة الأوروبية ليست بشعوبية مسيحية ، ولا هى بجمعية نصرانية ، فان مثل هذه الأساليب التفكيرية قد زالت وانمحت من الذهنية الأوروبية ، وليس أسخف من الحركات التى تقوم مناقضة لهذا المبدأ فى تاريخ الدنيا الحديثة ، وما جمعية الأمم الا مثال محزن يؤيد صحة مذهبنا ، فان العقلية الانسانية لم تقم بعد فى ضمائر الشعوب ، ولهذا يتعذر علينا أن نعمل مؤتمين بموحيات المنطق الانسانى ، ليس لدينا الا القومية والمنطق القومى وحدهما ، وهذا هو نتيجة التناحر على الحياة ، وما التناحر الا أساس الحياة فى كل مكان ، هذا مبدأ ثابت لا مبدل له.

ثالثا : الاقتصاد القومى .. ان الاعتراف بحقوق الانسان قد مهد السبيل للحضارة الحديثة ، فان الثقافة القومية قد خلقت فى الناس طابعا خاصا ، أما الاقتصاد القومى فقد حفظ ذلك الطابع وزوده بالقوة التى بها يستطيع أن يشغل فى نظام هذه الدنيا أعلى مكانة ، اذن فسنادة الحضارة الحديثة فى الواقع هو الاقتصاد القومى ، وكل الدنيا انما تعمل اليوم على هذا المبدأ ، وهذا نظام لم تتمتع به كل الأمم على السواء .. انه نظام يكاد يكون خاصا بأسرة الأمم الأوروبية .. وهو فى الواقع نتاج للعقلية الأوروبية .

ان هذا مبدأ من أقوى المبادىء التى قامت عليها الحضارة الحديثة وهو مبدأ على أية حال مخالف

تمام المخالفة للمبـادىء التى قامت عليها حياة الشعوب القديمة .. أما اذا كانت الشيوعية قد قامت خلال الزمان الذى ظهر فيه المسيح مثـلا لكفت حاجات الناس لعهده ، ولكنها كانت تحفظ على الجماعات طابعها الفـطرى الأول على الدوام ، فان المسـيحية اتبعت مبدأ الانتاج على قدر الكفاية والكفاف ، أما مبادىء الاقتصاد الحديث فمناقضة لهـذا المبدأ تماما ، انها لا تقوم على قاعدة الانتاج على قدر الحاجة ، بل على مبدأ الاستهلاك بقـدر الانتاج ، والفرق بين المبدأين شاسع بعيد ، انها تزيد الانتاج وفى الوقت ذاته تنوع فيه .

هذا هو نظام الحضارة الأوروبية وليس من حقنا أن نبحث فيما اذا كانت حضارة بحق أم أنها بربرية وحشية ، كلا .. يكفينا أن الحياة الانسانية تقوم على هذا الوجه فى العصر الحاضر ، والواجب على تركيا أن تندمج فى هذه الأسرة المتحضرة وأن تقـيم حقـــوقها وثقـافتها واقتصادها على أسس أوروبية .. ان الحيـاة منطق صرف ، وجهـد متواصل ، ولكنها بينـة الطـرق ممهودة السبيل .

هذا هو الدسـتور الأتاتوركى الذى داس كل الأديان السـماوية ومجد الشـيوعية وفرض الالحـاد والكفر والزندقة والفجور ،باعتبارها مبـادىء عصرية تحضرية ، واعتبر المبادىء الروحية السامية مبـادىء رجعيـة لا تتفق وطبيعة الانسـان العصرى ، ومن أسف أنه على أثر صدور هذا الكتاب وجد له معجبون كثيرون مسلمون للأسف الشـديد قد أرادوا أن يمهدوا للأخـذ به لولا الوقفـات التاريخية الخـالدة للأزهر الشريف وشيوخه الأجـلاء الذين كشفوا هذه الدعوات الزائفة وأخمـدوا الفتنـة فى مهـدها .. والتاريخ خير شاهد على هذه المواقف ومنها موقف الأزهر من كتاب مثل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » والذى اعتنق كثـيرا ممـا جاء فى (كتاب مصطفى كمال) .

حفظ الله الأزهر منارة هـادية للضـالين ، وحارسـا أمينا للدين وشرعه القويم ، وساهرا على حماية

الاســلام والمسلمين من المفسدين الضالين المضللين .

عبد الستار الهوارى

* * *

واذا كان الحوار بين الأديان هو قضية العصر فى هذه المرحـلة من تاريخ البشرية فنحن المسلمين أولى الناس بتبنى هذه القضية ... فان ديننا دين يعترف لأصحاب الديانات جميعـا بحقهم فى حرية العقيدة ، وحقهم فى الحياة الكريمة ، وحقهم كمواطنين يعيشون بيننا كاخـوة ، وموقف الاسلام بالنسبة لهـــذه القضــية أوضــح من أن يناقش ، ومبادؤه وتعاليمه فى ذلك أسمى من كل ما عرف .. أو سوف يعرف ..

ومن البديهى .. أن اليهـودية لا تعترف بالمسيح كنبى مرســل ، والمسيحية لا تعترف لمحمــد بهذه الحقيقة ، والاسلام يعترف بموسى والمسيح اعترافه بمحمــد ، ويعتبر انكار نبوة هذا الرسول أو النبى انكارا لنبوة محمد ورسالته نفسه . ومن ثم فان تعــاليم الاســلام هى الوحيدة التى تشمل الجميع بالاخاء والسماحة والمحبــة وتضمن للجميع الأمن والأمان فى كل ناحية من نواحى الحياة الخاصة والعــامة .

وحول هذا الحوار ، وما يمكن أن تؤدى اليه من تعاون عام لصالح الانسانية . كتب اليـنــا الدكتــور DR. M. M. AHSAN « محمد أحسن » من لندن قائلا :

* *

الأخ الدكتور رئيس تحرير مجلة الأزهر .. حفظه الله تعالى .

الســلام عليــكم ورحمــة الله وبركاته .

وبعــد ..

لوحظ فى الآونة الأخيرة من هذا القرن الميلادى ظاهرة محسوسة هى أن المنظمات المسيحية العــالمية ــ خاصــة المجلس العــالمى للكنائس والفاتيكان ــ ترغب فى الحوار مع المسلمين . وأن هذه الجهات فعلا عقدت عدة اجتماعات للحوار دعى اليها المسلمون والمسيحيون ، وممن دعى من المسلمين للاشتراك فى هذه الندوات كانت المؤسسة الاسلامية. ومثل المؤسسة فى هــذه المؤتمرات الأستاذ بروفيسور خورشيد أحمد الذى تبنى موقفا حاسما فى جميع هذه المواقع وصرح أنه لا يمــكن

أن تعود هذه المؤتمرات والندوات الحوارية بشيء من الفائدة ، حتى يتغير موقف العالم المسيحى تجاه المسلمين والعالم الاسلامى والى أن يحصل هذا التبدل الواقعى فينبغى على الجانب المسيحى — ان كان مخلصا فى الحوار — أن يتوقف عن تشويه صورة الاسلام فى شخصية رسول المسلمين . وأن يرجع الى منابع الاسلام الأصيلة اذا أراد معرفته ، وليطهر الجو الذى يوجد الريب والخوف ويؤكد الشبهات.

وأن يدين الأعمال التى تقوم بها المنظمات التبشيرية باسم المسيحية وباسم الخدمة الانسانية فى العالم الاسلامى ، والتى لها علاقات قوية مع مكاتب مخابرات القوى الكبرى .

* وفى يونيو عام ١٩٧٦ م عقد فى تشامبزى مؤتمر الحوار بين المسلمين والمسيحيين بالتعاون مع المؤسسة الاسلامية ، والذى كان رئيسه الأستاذ برفيسور خورشيد أحمد ودكتور ديودكر « واشترك فيه عدد من رجال الديانتين الاسلام والمسيحية » واشترك فيه عدد من رجال الديانتين حسب التفصيل الآتى :

١ — الاستاذ خورشيد أحمد ، المدير العام للمؤسسة الاسلامية بانجلترا .

٢ دكتور اسماعيل الفاروقى ، أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة تمبل — فلادلفيا .

٣ — قسيس مائيكل فتزجرالد ، رئيس شعبةالعلوم العربية ، بجامعة روما .

٤ — بروفيسور يوسف هجر ، أستاذ فى جامعة دمشق .

٥ — بروفيسور اهرومى ، مدير المعهد الدينى بجاكرتا .

٦ — الأستاذمحمد عرفان ، مدير مجلة امبيكت اللندنية .

٧ — دكتور ديودكر ، محاضر فى العلوم الاسلامية ومدير مركز دراسات العلاقات المسيحيةوالمسلمة — بكليات سلى أوك — برمنجهام.

٨ — على محسن بروانى ، نائب رئيس الوزراء السابق ، فى زنجبار.

٩ — دكتور اشتياق قريشى ، رئيس جامعة كراتشى السابق .

١٠ ــ دكتور محمد رشيدى ، أستاذ العلوم الاسلامية ، بجامعة أندونيسيا .

١١ ــ بشب كنيث كيرج ، الأستاذ فى جامعة سسكس ــ انجلترا .

١٢ ــ بشب آرن ردوين ، بشب الكنائس المتحدة ــ بباكستان .

١٣ ــ دكتور صبحى صالح ، نائب مفتى لبنان .

١٤ ــ دكتور لامين سانح ، محاضر فى العلوم الدينية ــ بجامعة لاكوس .

واشترك فى هذا المؤتمر كمراقبين :

١٥ ــ اميليو كاسترو ، رئيس التحرير لمجلة التبشير المسيحى العالمى .

١٦ ــ دكتور جان تائلر ، مندوب المجلس العالمى للكنائس .

وقرىء فى المؤتمر خمس مقالات حسب التفصيل الآتى :

١ ــ بشب آرن ردوين ــ طبيعة التبشير المسيحى ومنهجه وأسلوبه .

٢ ــ دكتور اسماعيل الفاروقى ، طبيعة الدعوة الاسلامية ومنهجه وأسلوبه .

٣ ــ دكتور لامين سانح ــ التجارب المسيحية عن الدعوة الاسلامية .

٤ ــ على محسن بروانى ــ التجارب الاسلامية عن التبشير المسيحى .

٥ ــ دكتور محمد رشيدى ــ دور التبشير المسيحى فى العالم الاسلامى .

وتباحث المؤتمرون فى هذه المقالات وقرروا اشياء واعترفوا بالحقائق وقد نشرت نصوص هذه المقالات وملخص المحاورات فى مجلة التبشير المسيحى العالمى ، للمجلس العالمى للكنائس ، والجدير بالذكر ان هذا العدد الخاص لشهر اكتوبر ، أعده ورتبه الأستاذ خورشيد أحمد

ودكتـــور ديودكر كمديرين نازلين « ضيفين » •

كما أصـــدر المؤتمر بيانا متفقا عليه ، اعترف فيه الجانب المسيحى بالحقائق المرة عن المنظمات التبشيرية وأعمالها الشنيعة ، وأعلنوا عزمهم لمنعهم عن هذه الاجراءات الجارحة بكل ما فى وسعهم كما اعترف أعضاؤه المسيحيون بحق المسلمين بأن يعيشوا حيـــاة دينيـــة طبق مبادىء اسلامية حيثما كانوا ، وأشياء وأمورا أخرى يجدها القارىء فى بيان المؤتمر •

❊ ❊

وحول الوضع الاسلامى فى لبنان وما يجب أن تكون عليــــه قيـــادة المسلمين فى هذا القطر الشقيق كتب الأستاذ عز الدين بن بليق يقول فى رسالة له من بيروت :

الاسلام دين التوحيد ودين الوحدة، ودين التعاون على الخير والعدالة والرحمة وكل مكارم الأخلاق دين الأمة الواحـــدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) بل انه يطلب من المسلمين ان يكونوا دائما كالجسد الواحد ، وأن تكون لهم قيادة واحدة ، مهما كثر عددهم أو قل ، ولو كانوا ثلاثة أشخاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم أحدكم » ويقول : « يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار » بل انه يقول بصريح العبارة : « من مات وليس فى عنقه بيعه (١) مات ميتة جاهلية » ، ويطلب من المسلمين أن يطيعوا القيادة متى كان القائد مطيعا لله ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالـــق • وقـــوله : « اســـمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبـــد حبشى كأن رأســـه زبيبة » ويطلب الينا الطاعة الدائمة ما لم نؤمر بمعصية ، فاذا أمرنا بمعصية فلا سمع ولا طاعة ــ أى لو أمرنا بالاعتداء على الناس بالقتـــــل والضرب أو القنص ، ــ والاعتـــداء على أموالهم بالسرقة أو النهب ، والاعتداء على أعراضهم أو اتهامهم ظلمـــا وعـــدوانا بشىء غير صحيح •• الخ ــ اذا طلب منا ذلك فلا سمع ولا طاعة، وأما طاعتهم بالمعروف

(١) لجماعة المسلمين الواحدة أو لحكومة وطنية •

فواجب لاشك فيه وصدق الله سبحانه (ولا يعصينك فى معروف) وصدق رسوله : « انما الطاعة فى المعروف » .

وبما أن الأمة المسلمة أمة واحدة ، مأمورة من الله سبحانه وتعالى أن لاتتفرق شيعا وأحزابا لأن ذلك تذير السوء والضعف والفتنة ، وأن تظل كتلة متراصة فى السراء والضراء وفى السلم والحرب (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) كان واجبا على المسلمين — كل المسلمين — وعلى زعمائهم وعلمائهم ووجهائهم اقامة ذلك التجمع الواحد الموحد الذى يجب ايجاده لصالح الشعب ، كل الشعب ، ولايكون ذلك لمصلحة المسلمين دون المسيحيين لأن رسالة الاسلام رسالة انسانية لاتعرف العصبية ولا الطائفية ولا الحزبية ولا العشائرية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه أنفعهم لعياله » كما يقرر الله سبحانه وحدة الأصل الانسانى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ، ويضع لهم أسس العلاقات بينهم ويحدد أقدارهم (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

واذا عرفنا ان الاسلام يطالب بأن يكون للمسلمين جماعة واحدة وقيادة واحدة فمن هى هذه القيادة التى يجب علينا الانضواء تحت لوائها جنودا فاعلين مؤثرين ؟ وهنا يبرز السؤال : من هو قائد المسلمين وممثلهم وأميرهم ؟ .

هل يمثل المسلمين سماحة المفتى الشيخ حسن خالد ؟

أم سماحة الامام موسى الصدر ؟

أم سماحة شيخ العقل محمد أبو شقرا !

أم يمثلهم المجلس الشرعى الاسلامى الذى يرأسه سماحة المفتى ؟

أم يمثلهم المجلس الاسلامى الأعلى الذى يرأسه الأستاذ شفيق الوزان ؟

أم يمثلهم المكتب التنفيذى لاتحاد الجمعيات والهيئات الاسلامية ؟

أم يمثلهم دولة رئيس مجلس الوزراء الحالى أم السابق أم الأسبق ؟

أم يمثلهم حزب من الأحزاب السياسية ؟

أم جماعة من الجماعات الدينية ؟.

من يدلنى على من يمثل المسلمين فى لبنان وله منى جزيل الشكر ومن الله الأجر الكبير .. ؟

ان الله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

فمن هم ولاة الأمر منا حتى نطيعهم ؟

من هم أئمة المسلمين لنقدم لهم النصيحة أو نأخذ منهم النصيحة لأن « الدين النصيحة» قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

دلونى على الراعى المسلم لأذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » .

دلونى على الأمير المسلم لأذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة » .

دلونى على الوالى المسلم لأقول له : ان رسول الله ينذر « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » .

دلونى على طالوت المسلمين لينضم تحت لوائه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق .

وعندما تدلونى على من يمثل المسلمين وتعرفونى به فسأتوجه بعد ذلك بالخطاب لنفسى وللمسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وبالاسلام دينا بحديث رسول الله : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وأحدثهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة

له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتـــة جاهليـــة » وفى رواية « ومن مـات وهو مفـارق للجماعة فانه يموت ميتة جاهلية » .

وأبصرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يرويه عبد الله ابن عمر : «عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشر ، اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليـه وسلم » الصـلاة جامعة » ، فاجتمعنا الى رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : « انه لم يكن نبى قبلى الا كان حقا عليه أن يدل أمتـه على خير مايعلمـه لهم وينـذرهم شر ما يعلمه لهم ، وان أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولهـا وسـيصيب آخـرها بلاء وأمـور تنكرونهـا ، وتجىء فتنـة يرقق بعضها بعضا ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليـأت الى الناس الذى يحب ان يؤتى اليه ، ومن بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جـاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

(رواه مسلم)

ومتى عرفت من يمثل المسلمين فى هذا البلد سـأتوجه له بالسـؤال والفتوى : ما هى الوطنية ، وماهى القومية ، وماهى التقدمية ، وماهى الاشتراكية ، وماهى الشيوعية ، وماهى الديمقراطية ، وماهى العلمانية . ؟ ومن هى الجماعة المسلمة الواحدة الموحدة ، ومن هو طالوتها . . ؟ (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) .

وبما أن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم كما يقـول ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيجب على الأقل أن يسعى بذمتهم أعلاهم أو أميرهم أو ممثلهم الذى انتخبوه عن مشـورة ورضى لا عن قهر وغلبة .

يقول رسول الله ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ : « يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ فى النار » .

ويقـول الله سبحانه وتعـالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا •• ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون •• ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (ان الذين فـرقوا دينهم وكانـوا شيعا لست منهم فى شىء) • (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون) • (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والـذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)• يامثل المسلمين ••

(ان الدين عند الله الاسـلام) (ومن يبتغ غير الاسلام دينـا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صـالحا وقـال اننـى من المسلمين) •

والاسلام لايعرف الطائفية••ولا التفرقة العنصرية ولا الحـزبية ولا العشائرية ولا الفئوية ، ولكن يعرف الأخوة الانسانية والأخوة الايمانية والوحـدة والتوحيد (وأن هـذه أمتكم أمة واحدة) •

والمسلم قد تحددت علاقته بأخيه المسلم على قاعدة « المسلم من سلم المسـلمون من لسـانه ويده ••• كل المسلم على المسلم حرام دمـه وماله وعرضه » •

والمـؤمن للمـؤمن كالبنيـان المرصوص يشد بعضه بعضـا •• « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » •

وعلاقة المسـلم بالمواطن علاقـة حسن الجوار وعهد الأمان وعهـد الذمة ، والقاعدة الشرعية (لهم مالنا وعليهم ما علينا) أى أن أموالهـم ودماءهم وأعراضهم حـرام علينـا كحرمة المسلمين سواء بسواء •

ويحذرنا رسول الله صلى اللـه عليه وسلم « ألا من ظلم معاهـدا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ ماله بغير

طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة» وويل لمن كان رسول الله خصمه يوم القيامة .

وعلاقة المسلم بالكافر المستأمن (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) .

أما من أراد العدوان ونقض العهد فعند ذلك يتغير موقف المسلمين منه (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سواء أتى هذا العدوان من الخارج أو من الداخل ، من المسلمين أو من غير المسلمين (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) ويكون قتالنا ردا للعدوان لا اعتداء على الأبرياء (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

ومن القواعد الأولية فى الشريعة الاسلامية أن المسئولية الجنائية شخصية فلا يسأل عن الجرم الا فاعله ، ولا يؤخذ امرؤ بجريرة غيره مهما كانت درجة القرابة أو الصداقة بينهما . وقد قرر القرآن الكريم هذا المبدأ العادل فى كثير من آياته من ذلك قوله تعالى : (ولا تكسب كل نفس الا عليها) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (وأن ليس للانسان الا ما سعى) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (من يعمل سوءا يجز به) .

وجاءت أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تؤكد هذا المبدأ حيث يقول : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » وحيث يقول لأبى رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » .

فمن قاتلنا قاتلناه ، ومن حمل علينا السلاح قاومناه بالسلاح ، أما من لم يحمل السلاح فى وجهنا وبقى على عهده لنا بقينا على عهدنا له (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

يا ممثل المسلمين ..

ان على من يتصدى لقيادة الأمة أن يأخذ بأيديها الى شاطىء الأمان، وان عليه أن يكون ربانا ماهرا وسيكون مسئولا عن غرق السفينة بين يدى الله عز وجل ، ورسول الله

ــ صـلى اللـه عليـه وسـلم ــ يقـول : « كلـكم راع وكلـكم مسئول عن رعيته ، الامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى بيتـه وهو مسئول عن رعيتـه ، والمـرأة راعيـة فى بيت زوجهـا ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

يا ممثل المسلمين ..

ان على من يتصدى للقيادة أن يحسن القيـادة وأن يتولى قيـادة السفينة الى شـاطىء الأمان ، وأن لا يسمح لأحد بخرقها حتى لا يغرق ويغرق ركابها .

ان على قائد السفينة أن يستقيم أو يستقيل ، وخـير له أن يستقيل اذا كـان لا يسـتطيع القيـادة ، أو لا يحسنها ، حتى لا يهلك نفسه ويهلك ركاب السفينة معه ، ورسول اللـه ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ يقـول لمن يتـولى القيـادة : انها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

والآن من يدلنى على من يمثـل المسلمين فى لبنان لأقول له أولهم : (استقيموا .. أو استقيلوا) .

عز الدين يليق

* *

ومن « حمص » فى سوريا كتب الينا الأستاذ عبـد الرافع مضنون معلقا على مقال نشر فى مجلة الأزهر حول عقيدة التوحيد وهـل يمكن الوصول اليهـا بالعقل وحده دون حاجة الى رسول أو نبى ؟

يقول الأخ الفاضل فى رسالته :

الأخ رئيس تحرير مجلة الأزهر :

خلال مطالعتى لعدد ذى القعدة سنة ١٣٩٦ ، وجدت بعض الأخطاء فى مقال الدكتور عبد الرحمن عميرة ــ الحياةوالكون بين الدين والعلم ــ وقـد رأيت لزاما على أن أنبه الى هذه الأخطاء التى تكررت كثيرا فى الآونة الأخيرة والتى تمس عقيدتنا

الاسلامية فى الصميم • وفيما يلى هذه الأخطاء :

١ ـ جاء فى الصفحة ١٤٥٢ ما يلى :

بل ان البشرية فى تاريخها الممتد فى القدم ، وجد فيها الواحد بعد الواحد الذى اهتدى الى التوحيد الخالص وسائر فطرة الله التى فطر الناس عليها •

ان هذا القول يعنى أن الانسان يهتدى الى التوحيد بعقله وبجهوده الخاص ، وهذا ما جاء به ابن الطفيل فى قصة حى بن يقظان • والحقيقة هى أن التوحيد متوارث بين الأجيال ، اذ أن آدم عليه الصلاة والسلام عرف التوحيد لا بعقله وانما بما أوحى اليه • ولو كان العقل كافيا للهداية الى التوحيد لما كان الواحد بعد الواحد فقط هو الذى اهتدى للتوحيد ، وانما القاعدة ـ حينئذ ـ أن يهتدى الجميع ويشذ الواحد بعد الواحد •

٢ ـ جاء فى الصفحة ١٤٥٣ ما يلى :

وهذا الذى قاله « اكزنوفس » قاله آحاد غيره قبل مبعث الرسالات والرسل • قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا الى القول بالتثنية ، وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم الى السلبية ، واهتدى اليه اخناتون فى مصر القديمة ، فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر ، ومع ذلك أخذت البشرية تتخبط وتتوه فى ركام من الضلالات ، حتى كانت الديانات السماوية فحددت للبشرية طريقها •••

ان هذا القول يتضمن انكار الرسالات والرسل قبل الرسالة التى تعارف الناس عليها فى الوقت الحاضر على أنها أولى الديانات السماوية وهى رسالة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام • فالواقع هو أن الرسالات والرسل سبقت البشر باعتبار أن أول مخلوق من البشر هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ، وفكرة التوحيد نزلت مع آدم عليه الصلاة والسلام وعلمها أبناءه وعرفهم

بخالقهم ولكن الانسان ــ على مر الأجيال ابتعد عن الحقيقة شيئا فشيئا الى أن ضــل ضلالا بعيدا • وكلما ضل الناس أرسل الله لهم رســولا يهــديهم الى الحــق والى الصراط المستقيم وقــد ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرة من الرسل منذ ادريس عليه الصــلاة والســلام الى خاتم الأنبيــاء والرســل ثم ان تعبــد الديانات السماوية نفسه هــو تعبد خاطىء، لأن كل الديانات على اختلافها واختلاف عقائدها وطقوسها حسبما نقلت الينا ــ هى أديان سماوية فى الأصل ، ثم حرفها الناس ــ من بعد ــ الى الوثنية وعبادة الأصنام والأشجار والكواكب والعوامل الطبيعية على اختلاف أنواعها ، فالصين والهنــد والفرس وكل الأمم القديمة ، لابد من وجود رســل أرسلهم الله اليهم لهدايتهم • فاذا اعتبرنا أن الرسالات السماوية لنا وحــدنا تكون قــد جعلنا أنفسنا شعب الله المختار الذى اختصه الله بالهداية •

وصحيح أن القــرآن الكريم لم يذكر هؤلاء الرسل صراحة ، ولكنه نوه عنهم بقوله سبحانه وتعالى فى سورة النساء: (ورسلاقد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما • رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) •

كمــا قال ســبحانه فى ســورة « غافر » •

(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليــك ومنهم من لــم نقصص عليك ، وما كان لرســول أن يأتى بآية الا باذن الله ، فاذا جاء أمر الله قضى بالحــق وخسر هنالك المبطلون) ••

ان هــذه الآيات تــدل دلالة واضحة على وجود رسل غير الذين نعــرفهم بأسمائهم وعرفنا قصصهم وهؤلاء الرسل هم الحجة على أممهم التى ضلت الطريق بعدهم ، ولهذا قال سبحانه وتعــالى : (وما كنــا معذبين حتى نبعث رسولا) •

٣ ـ جاء فى الصفحة ١٤٥٤ ما يلى :

لقد عاشت البشرية ردحا من الزمن وهى تفتش عن الخالق لهذا الكون لتتوجه اليه بالعبادة وتخصه بالنسك ولكنها تاهت وضلت ، فتصورته مرة رعدا وبرقا ، وأخرى صنما وحجرا ، وثالثة شجرا وكوكبا ، فلما جاء الدين وضع حدا لهذه الاضطرابات وأرشد البشرية : الى الخالق المالك الموجد المبدع ـ ان هذا المقطع يتضمن عدة أخطاء وهى :

(أ) ان الدين طارىء حديث جاء فى الفترة الأخيرة من البشرية وهذا خطأ واضح كما نوهنا سابقا .

(ب) ان قبول فكرة تأخر الدين حتى الأزمنة الأخيرة يعنى وصف ذات الله سبحانه وتعالى بالظلم حيث أنه جل وعلا ترك البشرية فى السابق بدون هداية وسوف يعذبهم على أمور فوق مداركهم .

(ج) ان فكرة تفتيش البشر من الخالق هى فكرة جاء بها الفلاسفة وهى بعيدة كل البعد عن جوهر الدين .

وهذه الفكرة تنطوى على موافقة لنظرية النشوء والتطور التى جاء بها داروين والتى تفسر الدين على أنه من وضع البشر بعد أن تطورت مداركهم الى مستوى التوحيد وهى فكرة مرفوضة جملة وتفصيلا ..

د . عبد الودود شلبى

بيت العنكبوت

انما الدنيا بلاء
ليس فى الدنيا ثبوت
انما الدنيا كبيت
نسجته العنكبوت
كل من فيها لعمرى
عن قريب سيموت
انما يكفيك منها
أيها الراغب قوت

الخوانك والتكايا والرباطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٣ —

ذكرنا فى المقال السابق الخوانك والتكايا والرباطات بحى الجمالية وما ذكرناه كان فى موضع القصر الشرقى الفاطمى الكبير أو فى مجاوراته .

فلما قضى صلاح الدين الأيوبى على دولة الفاطميين أسكن أهله وأمراء دولته فى قصورهم . ثم نقل الكامل بن العادل الأيوبى (وهو ابن أخى صلاح الدين حكم ٦١٥ — ٦٣٥ هـ) مقر الحكم الى القلعة . زحف العمران نحو مقر الحكم الجديد . وأهملت تلك القصور فاندرست . ثم تحولت الى مساكن وأحياء . وأنشئت فيها الجوامع والمدارس والخوانك المختلفة . مما ذكرنا بعضها فى المقال السابق .

والجزء الذى سنعالجه فى هذا المقال باذن الله . هو مابين باب زويلة والقلعة . وقد ذكرنا فى مقال سابق (المقال ١٠ من سلسلة صفحات من تاريخ القاهرة) ما على جانبى امتداد الشارع الأعظم (المسمى حاليا شارع المعز لدين الله) خارج باب زويلة حتى الحلمية من جوامع وآثار مهمة . فنحصر فى هذا المقال ما هو شرقى امتداد الشارع الأعظم حتى القلعة .

واذا ألقينا نظرة على الرسم الكروكى المرفق بهذا المقال نجد شارعا رئيسيا على يسار الخارج من باب زويلة هو شارع الدرب الأحمر . وامتداده شارع التبانة حتى زاوية معروفة باسم زاوية عارف باشا فيتفرع الى فرعين متجهين أيضا جهة القلعة : الفرع الأول اسمه شارع باب الوزير وامتداده شارع

المحجر وسكة المحجر عند دار المحفوظات . والثانى شارع سوق السلاح وينتهى الى جامعى الرفاعى والسلطان حسن .

وقد وقع الفرنسيون هذا الوضع لهذه الشوارع دون تغيير يذكر بخرائطهم للقاهرة ١٧٩٨ــ١٨٠١ م.

وهذا الشارع كان طريق السلاطين المماليك عندما يشقون القاهرة فى المناسبات المختلفة فيدخلون من باب النصر أو باب الفتوح . ويسيرون فى الشارع الأعظم حتى باب زويلة . ثم ينعطفون يسارا بشارع الدرب الأحمر حتى القلعة.

وكانت هذه المساحة التى نعالجها فى هذا المقال مقابر . ولم يكن معمورا منها بالسكن الا ما كان قريبا من امتداد الشارع الأعظم بالحارات التى سبق ذكرها فى مقالاتنا السابقة (١٠ و ١١ من صفحات من تاريخ القاهرة) .

فعمرت هذه الجهة بانتقال مركز الحكم الى القلعة. وسكنها الأمراء والأعيان . وأنشأوا بها الجوامع والخوانك المختلفة مما تزخر به هذه المنطقة. وسنذكر منها أهمها . مع ملاحظة أن بعض الجوامع أو المدارس التى ذكرها المقريزى كانت أيضا خوانك.ولم يذكرها ضمن الخوانك كما سيتضح من هذا المقال. وفى هذا مايحقق ماسبق ذكره أن وظيفة الجوامع والمدارس والخوانك كانت متداخلة فى بعضها . فأغلبها يؤدى فى تصميمه وانشائه الغرض من الجمع بين العلم والعبادة . وسنجد أن جميع ما فى هذه المنطقة أنشىء بعد عهد الأيوبيين . ولذلك نجد من الفائدة للقارىء أن نتتبع أهم الآثار فيها . سواء كانت مدرسة أو جامعا أو خانكاه أو تكية دون التقيد بعنوان المقال .

١ ــ جامع قجماس الاسحاقى الشهير بجامع ابى حريبة :

بشارع الدرب الأحمر على يسار المتجه الى القلعة على رأس حارات معروفة باسم حيضان الموصلى وسعدالله وبير المش .

هذا الجامع أصله مدرسة أنشأها قجماس الاسحاقى . الذى كان أصلا

من مماليك الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧) هـ وتدرج فى الوظائف حتى وصل الى نيابة الشام وتوفى سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) .

وذكر على مبارك أن انشاء هذا الجامع سنة ٦٨٦ هـ . وهو خطأ فى النقل يتضح من ذكره بعد ذلك التاريخ الصحيح المذكور لوفاته ولعله قصد سنة ٨٨٦ هـ .

وقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور وفاته فى شوال سنة ٨٩٣ فى الشام . وقال عنه : وكان دينا خيرا فى غاية الاحتشام مع لين الجانب . وهو الذى أنشأ المدرسة التى عند الدرب الأحمر بقرب سوق الغنم . وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة غير ذلك . اهـ .

وسوق الغنم كانت عند جامع أصلم (أصلان) بالدرب المحروق. كما أنه كانت سوقا أخرى للغنم بالقرب من جامع ألماس بحى الحلمية بموقع جزء من شارع القلعة الحالى.

وعرف الجامع المذكور أخيرا بجامع (أبوحريبة) نسبة الى العارف بالله الشيخ أحمد الشنتناوى . نسبة الى شنتنا من أعمال المنوفية. وهذه النسبة لشيخه فى الطريق . ويقال ان أصله من قنا وينتهى نسبه الى الشيخ عبد الرحيم القنائى . وتوفى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) ودفن بالجامع المذكور .

وتجدد الجامع المذكور فى عهد عباس حلمى الثانى فى أوائل القرن الحالى تجديدا كاملا أعاد اليه زخارفه ونقوشه .

٢ ـ الخانكاه المهندارية :

بشارع الدرب الأحمر على يمين المتجه الى القلعة . وذكرها المقريزى ضمن الخوانك . كما ذكرها ضمن المدارس. وقال : انها على رأس حارة اليانسية تجاه مصلى الأموات أنشأها شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهندار سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) . وجعلها مدرسة وخانقاه . وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين (الآن) . اهـ .

والمهنـدار أعجمية مركبـة من كلمتين: مهمن بمعنى الضيف،ودار بمعنى ممسك . وهى وظيفـة من اختصاص متوليها استقبال الضيوف القـادمين على الدولة وانزالهم فى فى المنزلة اللائقة بهم ومراعاة مايلزم لهم من واجبات الضيافة .

وذكر على مبارك هذه الخانكاه أو المدرسـة ضمن الزوايا مما يدل على أنه قد تضاءل شأنها فى وقته . وقال : ان سليمان أغا القازدوغلى أنشأ بهاسنة١١٣٥هـ (١٧٢٣م)مئذنة ومنبرا . وقال : انها (الآن) عامرة مقامة الشعائر وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيـدين . ولها مطهرة داخلية ومنارة ولها أوقاف تحت نظر الديوان .

وهذه الخانكاه أوالمدرسة صغيرة المساحة وأصبحت مجرد مسـجد للصلاة . وتدخل من بابه الى طرقة تؤدى الى صـحن مسقوف . وبه أربعة ايوانات صغيرة . وعلى يمين الداخل ايوان القبلة. وبه المنبر عليه تاريخ ١١٣٩ هـ . وبدائر الصـحن خمس غرف صغيرة كانت لخلاوى الصوفية . وليست به دورة للمياه لأنها معطلة .

٣ ـ جامع الطنبغا المارداني :

هـذا الجامع من أعظم جـوامع القاهرة . أنشأه ألطنبغا المـاردانى من أمراء دولة النـاصر محمد بن قلاوون . ويعرف ألطنبغا الساقى . قدّمه الناصر وأمره وزوجه ابنته. ولمـا تولى المنصـور أبـو بكر سنة ٧٤٢ بعد أبيه الناصر . زادت مكانته عند المنصور . ولكنه كان ميالا للفتنة . فأوقع بين المنصـور وبين الأمير قوصون . وكان الأخير أتابك العساكر . وهو أكبر الأمراء مقاما وبيده الحل والعقد لكل الأمور مما دعا قوصـون الى القبض على السلطان ونفيه الى قوص . حيث أمر بقتله هناك . وتولى بعده أخوه الأشرف كجك وله من العمر سبع سنين (١) .

---

(١) حكم الناصر محمد بن قلاوون وحده ٤٤ سنة تقريبا . وحكم بعده ثمانية من أولاده ومدة حكمهم جميعا حوالى العشر سنوات .

رسم كروكى

عن الخوانك والتكايا وبعض الآثار التاريخية من باب زويلة إلى القلعة

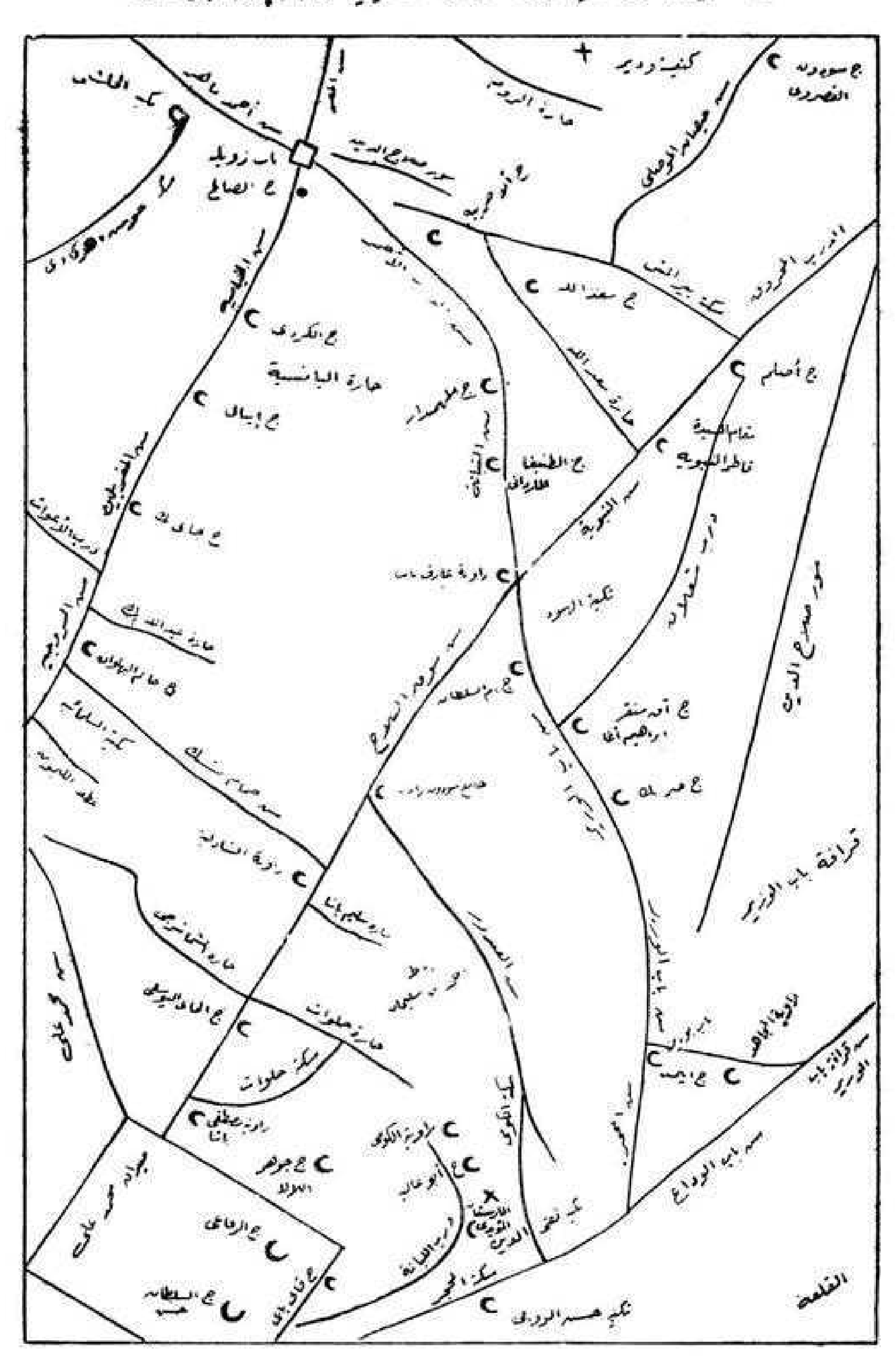

وقيل : ان كجك معناها الصغير . فكأن والده ألهم بتسميته كذلك لأنه سيتولى الملك صغيرا .

ثم ساءت سيرة قوصون فتآمر الأمراء ضده حتى تمكنوا من القبض عليه ونفيه الى الاسكندرية حيث قتل هناك .

وكان ألطنبغا من المتآمرين فقد سهر ليلة المؤامرة عند قوصون وشاغله بالحديث والسمر حتى تمكن المتآمرون من عمل الانقلاب .

وعزل كجك وتولى بعده أخوه الناصر أحمد . وتزايدت عظمة ألطنبغا وعلت مكانته عنده . فحقد عليه بعض الأمراء . فأخرجوه من مصر الى نيابة حماة . ثم نقل الى نيابة حلب . فأقام بها يسيرا حتى توفى سنة ٧٤٤ هـ .

وقال المقريزى عنه : انه كان شابا طويلا رقيقا حسن الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا . اهـ .

وقد ذكرنا فى مقال سابق أن لفظ ألطنبغا مركب من كلمتين : ألطن معناها الذهب وبُغا معناها فحل . فكأن الاسم معناه الفحل الذهبى .

وتدخل الى هذا الجامع الى طرقة تؤدى الى صحن سماوى . وعلى يسار الداخل ايوان القبلة يفصله عن الصحن حاجز من الخشب المخروط بصنعة جميلة وبهذا الايوان عدد من العمد الرخام . وقبة القبلة محمولة على عمد من الجرانيت الأحمر .

والقبلة من رخام مشغول بالصدف . والمنبر من خشب مطعم بالصدف والشبابيك من حديد مشغول وزجاج ملون . ودكة المبلّغ من رخام محملة على اثنى عشر عمودا من الرخام .

وقد حصل تجديد هذا الجامع فى عهد عباس حلمى الثانى فى المدة من ١٣١٤ ـ ١٣٢١ هـ (١٨٩٦ ـ ١٩٠٣ م) بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية .

وهذا الجامع أنشأه ألطنبغا سنة ٧٤٤ هـ كما تدل عليه لوحة بجانب المنبر . وهذا التاريخ يدل

على انتهاء العمل فيه على الأغلب . فكأنه أنشأه فى أواخر حياته .

وتوجد حاليا مرمة وتجديدات بالجامع الهدف منها فصل الايوان المقابل لايوان القبلة عن الجامع للانتفاع به فى بعض الخدمات الاجتماعية والتعليمية .

٤ ـ زاوية عارف باشا :

هذه الزاوية عند مفارق شوارع التبانة وسوق السلاح وباب الوزير . وقد ذكرها على مبارك ضمن الزوايا وقال : انه جددها عارف باشا سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) لأنها بقرب داره . وعمل لها مطهرة ومراحيض وبجوارها محلات موقوفات عليها وشعائرها الاسلامية مقامة من ريعها .

وهى معطلة الآن . ويتعرض لملكيتها وملكية المحلات المذكورة بجوارها بعض الأشخاص . ونعتقد أنه لا محل لدعواهم فثابت من خطط على مبارك أنها زاوية للصلاة والعبادة كما أن خرائط المساحة لمدينة القاهرة أثبتت لها هذه الصفة .

وبعد ذلك تتبع الفرع الشرقى من امتداد شارع الدرب الأحمر والتبانة وهو شارع باب الوزير .

٥ ـ تكية الهنود :

بشارع باب الوزير على يسار المتجه الى القلعة .

وذكر على باشا مبارك تكية الهنود فى الخطط التوفيقية (جـ٢ص١٠٣) عند الكلام على شارع المحجر الذى حدده بأنه يبدأ من قبلى جامع أيتمش وآخر زاوية حسن الرومى . وقال: وهناك تكية أخرى (يعنى غير تكية حسن الرومى) تعرف بتكية الهنود تجاه ضريح الشيخ سليمان عن يمنة من سلك من المنشية الى القلعة وشعائرها مقامة وبها جملة دراويش من أهالى بخارى ويعلوها عدة مساكن وفى حدها البحرى مدفن تابع لها به عدة قبور .

ثم كرر هذا الكلام (جـ ٦ ص ٥٧) عند الكلام عن التكايا .

وهذا الوصف لاينطبق على موقع تكية الهنود الموضح بالرسم الكروكى المرفق . فاما أنه رحمه الله أخطأ فى

تحديد الموقع . واما أنه كانت هناك تكية أخرى بهذا الاسم زالت بتوسعة الشوارع هناك بجهة ميدان محمد على .

وتكية الهنود الموضحة بالرسم المرفق بشارع باب الوزير مقابل جامع أم السلطان . وقد تعطلت وظيفتها وأصبحت الآن دار حضانة للأطفال ووحدة تنظيم الأسرة لخدمة الأم والطفل .

٦ ــ جامع ام السلطان :

بشارع باب الوزير مقابل تكية الهنود . وذكره المقريزى ضمن المدارس . فقال انها خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها (الآن) بالتبانة . وموضعها قديما كان مقبرة لأهل القاهرة . أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الأشرف بن حسين سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩م) وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية . وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة . وفيها دفن ابنها الملك الأشرف بعد قتله . اهـ .

والأشرف شعبان المذكور هو ابن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون . وأبوه لم يل السلطنة . وحكم الأشرف من سنة ٧٦٢ ــ سنة ٧٧٨ هـ . وقتل ودفن بهذا الجامع .

وكانت أمه تزوجت بعد أبيه بالجاى اليوسفى صاحب الجامع بسوق السلاح . وسيأتى ذكره فى المقال التالى باذن الله .

وخوند بركة كانت أمة مولدة . فلما تولى ابنها الأشرف السلطنة عظم شأنها . وخرجت للحج سنة ٧٧٠ هجرية فى تجمل زائد وبذخ شديد . وعادت سنة ٧٧١هـ من الحج فخرج السلطان بعساكره وأمراء دولته لاستقبالها وكانت محسنة كثيرة الخيرات والصدقات . وتوفيت فى ٢٨ ذى القعدة سنة ٧٧٤ هـ ومن المصادفات ما قاله أحد الشعراء :

فى ثامن العشرين من ذى قعدة
كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره
ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال اذ مات الجاى اليوسفى فى عاشوراء سنة ٧٧٥ هـ كما سيأتى فى ترجمته بأذن الله .

وقد أصبح الآن جامع أم السلطان مقرا لمدرسة أم السلطان الابتدائية ولمدرسة الارتقاء المشتركة .

ويقابل هذا الجامع بجوار تكية الهنود سبيل ومدفن ابراهيم خليفة جنديان ـ وبنيه وبين التكية حارة صغيرة . ومكان هذا المدفن أصبح مدرسة تعرف بمدرسة صلاح الدين تابعة للمعاهد الأزهرية .

٧ ـ جامع آق سنقر المعروف بجامع ابراهيم اغا ومشهور بالجامع الأزرق :

هذا الجامع له بابان أحدهما بشارع باب الوزير والثانى بدرب شغلان أنشأه آق سنقر السلارى الناصرى سنة ٧٢٧ هـ كما تدل عليه كتابة على بابه بدرب شغلان .

وآق سنقر هذا أصله من مماليك المنصور قلاوون . ثم آل الى الأمير سلار فنسب اليه . وبعد نكبة سلار آل للناصر محمد بن قلاوون فقربه وزوجه ابنته . وعينه نائبا لصفد . ثم نائبا لغزة . وبعد الناصر تولى أولاده : المنصور أبو بكر ثم الأشرف كجك ثم الناصر أحمد كما سبق ذكره . وكان لآق سنقر يد كبرى فى تعيين الناصر أحمد . فعينه نائبا للسلطنة . ولم تطل أيام الناصر أحمد فخلع وتعين بعده أخوه الصالح اسماعيل فظل آق سنقر أيضا نائبا للسلطان . ثم تغير عليه السلطان اسماعيل المذكور لاتهامه بالميل الى الناصر أحمد . فقبض عليه فى المحرم سنة ٧٤٤ هـ . وكان هذا آخر العهد به .

وآق سنقر هذا غير آق سنقر شاد العمائر المنسوبة اليه قنطرة سنقر التى كانت على الخليج المصرى بدرب الجماميز . وقد سبق أن ذكرنا أن آق معناها أبيض . وسنقر اسم طير من طيور الصيد كالصقر . فكأن معنى الاسم الصقر الأبيض .

وقال المقريزى عن هذا الجامع انه قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة وكان موضعه فى القديم مقابر أهل القاهرة . وأنشأه الأمير آق سنقر الناصرى

بناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة . ورخمه . واهتم فى بنائه اهتماما زائدا حتى كان يقعد على عمارته بنفسه . ويشيل التراب مع الفعلة بيده . ويتأخر عن غذائه . وأنشأ بجواره مكتبا لأقراء الأيتام المسلمين القرآن . وحانوتا لسقى الناس والدواب . وأوقف عليه ضيعة من قرى حلب تغل فى السنة نحو سبعة آلاف دينار . وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء وبنى بجواره مكانا ليدفن فيه . ونقل ابنه فدفنه هناك . وقال : وهذا الجامع من أجل جوامع مصر .

وعرف هذا الجامع بجامع ابراهيم أغا . لأن ابراهيم أغا مستحفظان كان ناظرا عليه وبنى لنفسه به قبرا كتب عليه تاريخ انشائه سنة ١٠٢٣ هـ (١٦١٤ م) .

وبالجامع المذكور ضريحان آخران أحدهما لمنشئه آق سنقر . والآخر باسم علاء الدين . ولعله ابن آق سنقر الذى نقله اليه كما ذكر .

وعرف أيضا هذا الجامع بالجامع الأزرق لأن بعض جدرانه كسبت بالقيشانى الأزرق على ارتفاع أربعة أمتار تقريبا .

٨ - جامع خير بك :

هذا الجامع بشارع باب الوزير على يسار المتجه الى القلعة . ويقول عنه العامة الخير بكلى . والحى هناك اسمه الخير بكية .

أنشأه خير بك الملقب بأمير الأمراء سنة ٩٢٧ هـ . ويذكره بعض المؤرخين باسم خاير بك بن بلباى الجركسى .

وخير بك هذا هو الخائن الذى مكن للسلطان سليم العثمانى بخيانته من الانتصار على السلطان الغورى فى معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ والاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) . وكافأه سليم بتعيينه واليا على مصر ولقبه بأمير الأمراء . وكان وقت المعركة نائبا فى حلب فسهل لسليم الأمر وانخذل بقواته أثناء المعركة . واستمر فى ولايته على مصر حتى سنة ٩٢٨ هـ . ودفن بجامعه المذكور .

وكان ظالما سفاكا للدماء عرف بالقسوة البالغة فى أحكامه . وبالخضوع الكامل للعثمانيين . ولعل من أسباب هذا الخضوع الخوف على نفسه وعلى ابنه الذى كان رهينة تحت يد السلطان العثمانى فى استانبول .

وكانت داره جنوبى الجامع . وهذا الجامع الآن متخرب ومعطل . وبه سكان يقولون ان الذى صرح لهم بالسكن النائب علوى حافظ نائب الدرب الأحمر ورئيس مجلس الحى بسبب أزمة المساكن .

٩ ـ جامع ايتمش البجاسى :

ذكره المقريزى ضمن المدارس باسم المدرسة الأيتمشية . وقال انها بداخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الأمير الكبير أيتمش البجاسى سنة ٧٨٥ هـ وجعل بها درس فقه للحنفية وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع . ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا . وهى مدرسة ظريفة . وقال ايتمش هذا هو ابن عبد الله كان أحد المماليك اليلبغاوية . ا هـ .

واكتفى على مبارك بنقل ما ذكره المقريزى وأضاف انه يقال أنه توفى بأرض الشام .

ونضيف نقلا عن ابن اياس فى بدائع الزهور أن المنصور على بن الأشرف شعبان سنة ٧٨٠ هـ عين أيتمش البجاسى أمير أخور بدلا من برقوق الذى عين أتابك للعساكر . (وهو الظاهر برقوق فيما بعد) .

وأمير أخور كانت احدى الوظائف الكبرى . ومتوليها من شأنه مباشرة الاسطبلات السلطانية بما فيها من خيل وبغال وجمال وغير ذلك من لوازمها من سروج وعدد وعلف وعليق .. الخ .

وفى سنة ٧٨٤هـ لما تولى برقوق السلطنة أول مرة بعد خلع الصالح أمير حاج الذى تولى بعد وفاة أخيه المنصور على سنة ٧٨٣هـ تعين أيتمش أتابك العساكر بدلا من

برقوق • وظل بهذه الوظيفة حتى قامت فتنة يلبغا الناصرى فى الشام سنة ٧٩١هـ فأرسله برقوق على رأس حملة فانهزم وأسر فى دمشق • وهذه الفتنة انهزم فيها برقوق وهرب واختفى وأعيد الصالح أمير حاج الى السلطنة • ثم عاد برقوق الى الحكم سنة ٧٩٢ هـ •

وهذا الجامع بشارع باب الوزير على ناصية حارة قصيرة اسمها حارة الطوربة (هكذا • والمقصود طبعا تربة • وهو خطأ على محافظة القاهرة تصحيحه) وتؤدى هذه الحارة الى باب الوزير • وهو باب مقبو خلفه مقابر باب الوزير وعلى يسار الخارج منه ضريح طراباى الشريفى • وعلى يمين شارع قرافة باب الوزير الذى يبدأ من باب الوزير زاوية محمد المجاهد التى قال عنها على مبارك ان مقابلها خانقاه قوصون • وهو خطأ سنبينه فيما بعد باذن الله •

ويبدأ جنوبى جامع أيتمش شارع المحجر متجها نحو القلعة • وسيرد ذكره فى المقال التالى ان شاء الله •

(يتبع)

محمد كمال السيد محمد

آثار قدرة الله

ان أعجب لشىء فلهؤلاء الذين يرون آثار قدرة الله فى كل شىء وفى أنفسهم ثم لا يؤمنون به ولا يفهمون عنه ، ان الفهم عن الله تعالى هى حقيقة الايمان به . وقد كنت اقرأ هذه الكلمة فى الكتب فأراها غامضة حتى فتح الله على قلبى بابا من ابواب هذا الفهم فعرفت حقيقة أنه ليس الايمان بل هو أول المعرفة وبدء طريق الوصول .

حسن البنا ــ مذكرات الدعوة والداعية

صور من البلاغة
في تفسير الكشاف للزمخشري

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي

يقول جار الله أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (٤٦٧ — ٥٣٨ هـ) فى مقدمة(١) تفسيره : « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل » : « ثم أن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذى لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذى علم ، كما ذكر الجاحظ فى كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وان برز على الأقران فى علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وان بز أهل الدنيا فى صناعة الكلام ، وحفظ القصص والأخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصرى أوعظ ، والنحوى وان كان أنحى من سيبويه واللغوى وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعانى وعلم البيان ، وتمهل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة فى معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين : تحقيق ، وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ، ورد ورد عليه

(١) مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري : ج ١ ص ك

فارسا فى علم الاعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وان خفى مكانها ، لاكزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع الى مضايقه ، ووقع فى مداحضه ومزالقه » .

فى هذه المقدمة يجعل الزمخشرى علم المعانى وعلم البيان مختصين بالقرآن الكريم ويجعل أقدر العلماء على التفسير من برع فى هذين العلمين ، « وتمهل فى ارتيادهما أزمنة » ، وكان « متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر » ، وهو بذلك يجعل الأساس فى التفسير علمى المعانى والبيان وان كان قد أشار الى ما ينبغى على المفسر مع امتلاكه زمام هذين العلمين أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، ومن هنا فان تفسيره الكشاف قد جاء حافلا بصور من البلاغة يجليها فى مقدرة بالغة ، ويظهر آياتها فى دقة متناهية ، ونحن نشير فى هذا المقال الى أمثلة من هذه الصور البلاغية التى حفل بها تفسيره الكشاف .

فقد قال فى تفسيره(١) قول الله تعالى فى سورة فاتحة الكتاب : « اياك نعبد واياك نستعين » : فان قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، قد يكون من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » ، وقوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه » وقد

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١١ – ١٢

التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة
كليلة ذى العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءنى
وخبرته عن بنى الأسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ، لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل: اياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة ، لانعبد غيرك، ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به . فان قلت : لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته ، فان قلت : فلم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ، ليستوجبوا الاجابة اليها ، فان قلت لم أطلقت الاستعانة ؟ قلت : ليتناول كل مستعان فيه ، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله : « اهدنا » بيانا للمطلوب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا : « اهدنا الصراط المستقيم » وانما كان أحسن لتلائم الكلام ، وأخذ بعضه بحجزة بعض .

بهذا القول يعرض الزمخشرى ما فى الآية الكريمة من الالتفات بنقل أسلوب الكلام من الغيبة الى الخطاب ، ولكنه لا يقف عند هذه الصورة من الالتفات فى الآية بل يتجاوزها حين يشير الى بعض صور الالتفات فى آيات أخر وفى أبيات امرىء القيس الثلاثة ، وهو

وان لم يستوف صور الالتفات كلها الا أنه قد نبه الى نكتته العامة ، ثم دل على نكتته الخاصة بهذا الموضع من الآية الكريمة فى روعة بالغة تومىء الى بصره النافذ وذوقه الناضج كما يعرض من خلال تفسيره للآية ما يفيده التقديم فيها من التخصيص حين يقول: « لا نعبد غيرك ولا نستعينه » وهو يدل بذلك على ما يتضمنه التقديم من النفى عن الغير مع الاثبات للمذكور بمقتضى التخصيص المستفاد من التقديم ، واشارته الى ما فى الآية من التخصيص اشارة سريعة لم تتجاوز الدلالة عليه بنفى العبادة والاستعانة عن غيره سبحانه وتعالى.

وكذلك يعرض التلاؤم والتوافق بين ألفاظ هذه الآية وألفاظ ماقبلها وما بعدها من آيات السورة بحيث يصبح من المحال مع هذا التلاؤم أن تستبدل بكلمة من الآيات كلمة أخرى أو أن تحول كلمة من مكانها، وذلك بأن نسق السورة يؤدى الى هذه الوحدة الكاملة بتوافق ألفاظها وتلاؤمها بحيث لا يتأتى أن يحول لفظ منها عن مكانه كما لا يتأتى أن يغنى لفظ آخر عن لفظ من آيات السورة ، « لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزه بعض » وقال فى تفسيره[1] قول الله تعالى فى سورة البقرة : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون » : لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى ، ولأمر ما ، أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٤ — ٥٦

الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ومن سور الانجيل سورة الأمثال ، والمثل فى أصل كلامهم : بمعنى المثل وهو النظير ، يقال : مثل ومثل ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل ، ولم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير ، فان قلت : مامعنى: « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » وما مثل المنافقين ، ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وكذلك قوله : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها ، ولله المثل الأعلى : أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة، « مثلهم فى التوراة » أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن .. ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام ، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ، ألا ترى الى قوله : « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ، ويتهدوا بها فى طرق العبث ، فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، فان قلت : كيف صح فى النار المجازية أن توصف بأضاءة ما حول المستوقد ؟ قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره » .

فى هذا التفسير يبين الزمخشرى قيمة التمثيل وتأثيره فى تقريب المعنى وتوضيحه حتى يبدو المعنى المتخيل محققا والمتوهم متيقنا والغائب

كأنه مشاهد فضلا عما فيه من تبكيت الخصم وقمع الجامح ، ولهذا كثر التمثيل فى كلام الله سبحانه وتعالى، وفى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نبه الى أن المثل فى الآية مستعار للحال أو الصفة أو القصة على نحو ما استعير الأسد للمقدام، وهو بهذا يشير الى أن استعارة المثل للحال أو الصفة أو القصة استعارة تصريحية أصلية ، ويشير الى أن حالة المنافقين الذين قالوا كلمة الاسلام لم يجاوزوا بها أطراف ألسنتهم وبقيت قلوبهم مظلمة بالكفر شبهت بحالة من استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، فكما أن المنافقين لم ينتفعوا بكلمة الحق التى أظهروها كذلك لم ينتفع المستوقد بالنار التى أضاءت ما حوله لأن الله ذهب بنورهم فأصمهم وأبكمهم وأعماهم ، والمشبه والمشبه به كل منهما صورة مركبة من عدة أمور امتزج بعضها ببعض حتى حدث لها بالتركيب صورة جديدة غير التى كانت لكل منها على الانفراد والشبه منتزع من هذه الأمور العدة التى تداخلت ، فليس الشبه مأخوذا من المستوقد وحده حتى يضاف اليه اضاءة النار ما حوله وليس مأخوذا منه والضوء من حوله حتى يضاف اليه ذهاب الله بنوره وتركه فى عمى وضلالة وظلام ، فالتشبيه فى الآية من قبيل تشبيه التمثيل المركب الذى ينتزع فيه الشبه من عدة أمور متداخلة بعضها فى بعض وممتزجة امتزاجا يحدث لها صورة جديدة غير التى كانت لها على انفرادها ومثل ذلك قوله تعالى فى شأن اليهود الذين حفظوا التوراة ولم ينتفعوا بها : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقد أشار الى جواز أن تكون النار مستعارة للفتنة أو لعداوة الاسلام على حد الاستعارة التصريحية الأصلية يدل لاستعمالها فى هذا المعنى مجازا قول الله تعالى: « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » وقد قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار من الاطفاء ترشيحا.

وكذلك أجاز أن تكون النار مستعملة فى معناها الحقيقى ويكون الضالون العصاة قد أوقدوها ليستعينوا بضوئها على بعض المعاصى ويمضوا بها فى طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، ويمضى فى بيان المناسبة بين حالى المنافقين والمستوقد فيقول : « فان قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت : فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة ، وتورطوا فى حيرة ، فان قلت : وأين الاضاءة فى حال المنافق؟ وهل هو أبدا الا حائر خابط فى ظلمات الكفر ؟ قلت : المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ،ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ، ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق ، والأوجه أن يراد الطبع لقوله : « صم بكم عمى » وفى الآية تفسير آخر : وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم ، أما قوله تعالى « صم بكم عمى » فيقول فى تفسيره : « فان قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟ قلت : طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان ، ويجوز للأسخياء الا أن هذا فى الصفات وذاك فى الأسماء ، وقد جاءت الاستعارة فى الأسماء والصفات والأفعال جميعا ، تقول : رأيت ليوثا ، ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام ، وأضاء الحق ، فان قلت: هل يسمى مافى الآية استعارة؟ قلت : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول

اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام » (١) .

وهكذا نرى فى تفسير الزمخشرى ذلك المعرض لصور من البلاغة يدل على مكانها من الآيات بذوق البليغ المتمكن وحس الأديب الذى يمضى فى تفسيره على بصيرة بمواطن البلاغة فى صورها التى تحفل بها آيات القرآن الكريم فى أعلى درجاتها البالغة حد الاعجاز .

ويمضى الى قوله تعالى : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شىء قدير » .

فيقول : « ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ، وايضاحا غب ايضاح ، وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع ، أنشد الجاحظ :

يوحون بالخطب الطوال وتارة
وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٢) وهو بهذا يشير الى ما ينبغى مراعاته مما يقتضيه المقام من الايجاز أو الاطناب ثم أخذ فى توضيح التمثيل فى هاتين الآيتين فقال : « فان قلت : قد شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد نارا ، واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق ؟ قلت : لقائل

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧ — ٥٨

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٩ — ٦٠

أن يقول : شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، ومايصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى : أو كمثل ذوى صيب ، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها مالقوا فان قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات ؟ وهلا صرح به كما فى قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء » وفى قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

قلت : كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » ، « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل » والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة ، لا يتكلف الواحد واحد شىء يقدر شبهه به ، وهو القول الفحل والمذهب الجزل ، بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها ، كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها ، كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة » الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة : وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة ، وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب ، وكقوله : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر ، فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض

ومصيره شيئا واحدا فلا ، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ، فان قلت : الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك : « كمثل ذوى صيب » هل تقدر مثله فى المركب منه ؟ قلت : لولا طلب الراجع فى قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره ، لأنى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام ، فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ، ألا ترى الى قوله : « انما مثل الحياة الدنيا » الآية كيف ولى الماء الكاف ، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، ومما هو بين فى هذا قول لبيد :

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلا قع

لم يشبه الناس بالديار ، وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية، فان قلت : أى التمثيلين أبلغ ؟ قلت : الثانى ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر ، وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون الى الأغلظ فان قلت : لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟ قلت : أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك ، وذلك قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله : « أو كصيب » معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين ، وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ،

فبأيتهما مثلتهما فأنت مصيب ، وان مثلتهما بهما جميعا فكذلك » (١) .

أرأيت كيف صار التفسير عند الزمخشرى معرضا حافلا بصور البلاغة ذات التأثير البالغ ، ثم أرأيت كيف يصور التشبيه فى المثلين على التعدد بمقابلة كل أمر بما يناسبه ثم يضرب عن ذلك صفحا ليختار تصوير التشبيه على التركيب بتداخل الأمور بعضها فى بعض وامتزاج بعضها ببعض تلك الأمور التى تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا أى أن صورها المفردة قد تلاشت حين تداخلت وامتزجت وتكون منها صورة أو كيفية جديدة غير تلك التى كانت لكل منها على انفراده ، والزمخشرى لا يكتفى بما فى الآيات التى يفسرها من تشبيه مركب أو متعدد ولكنه يأتى بالشواهد لكل نوع فى آيات أخرى وفى أبيات من الشعر .

وقال فى تفسيره قول الله تعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » : « النقض : الفسخ وفك التركيب ، فان قلت : من أين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة: « يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى أن الله عز وجل أعزك وأظهرك ان ترجع الى قومك » وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس، واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش » (٢) .

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٦٠ — ٦٢

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٩٠

وهو يشير بهذا القول الى الاستعارة المكنية التى يحذف فيها المشبه به ويرمز اليه بذكر شيء من لوازمه ، واثبات لوازم المشبه به للمشبه فى الآية انما جوزه عند الزمخشرى اطلاق العرب الحبل يريدون به العهد على نحو ما جاء فى كلام ابن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة حين قال : يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا يريد عهودا فقد استعار الحبال للعهود ، من أجل ذلك جاز اثبات النقض للعهد ، وقد شبه عهد الله فى الآية بالحبل المتين ثم حذف المشبه به (الحبل المتين) ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو النقض ، وصح ايقاع النقض على المشبه المذكور (عهد الله) لأن العهد يسمى حبلا على سبيل الاستعارة أو بعبارة أخرى لأن الحبل يطلق ويراد به العهد على سبيل الاستعارة ومن هنا جاز ايقاع النقض عليه .

وهكذا يحفل تفسير الكشاف للزمخشرى بتجلية صور البلاغة فى الآيات الكريمة تجلية مؤيدة بمثل هذه الصور فى آيات أخرى وفى شواهد من شعر العرب على نحو ما رأينا من صورتى التعدد والتركيب فى مثلى المنافقين ، وهو بذلك يدل على مقدرة فائقة فى لمح صور البلاغة والوقوف على أسرارها البالغة حد الاعجاز فى دقة متناهية .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

د. محمد عبد الرحمن الكردى

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٢١ ـ ويقولون : هـذا شيء مهول ، يعنون أنه مخيف مرهب ، وهـذا التعبير فاسد ، لأنه ضـد ما يقصدون اليه .

والصواب أن يقال : هـذا شيء هائل اسم فاعل من هاله الأمر اذا أفزعه وأزعجه وها هو ذا شـوقي قد وقع في هذا الخطأ حين قال :

تظـل مهولات البـوارج دونه
حوائر ما يدرين ماذا تخرب

وكلمة مهولات جمع مهولة اسم مفعول من هالهـا الأمـر هولا اذا أصيبت بالفزع والرعب وعلى هذا تكون البوارج خائفـة لا مخيفة ، وذلك ضد ما يقصد اليه الشاعر اذ أنه يريد أن يقول : ان البـوارج مخيفة مرعبة ، ولكنه لم يوفق في التعبير حين قال مهولات ، والبوارج المهولات لا تستطيع أن تخرب وانما كل همها أن تفر وتسرع في الهرب فكان عليه أن يقول : تظل هائلات البوارج من اضـافة الصـفة الى الموصوف أي البوارج الهائلات ، وهذه هي التي يمكنها أن تخرب .

٣٢٢ ـ ويقولون : علقت المرأة على وليدها حجابا يقيـه السوء ، ويعصمه من العين ، وهذا غير سليم لأن للحجاب معاني لا تمت بصـلة الى المعنى الذي يبتغونه .

١ ـ فهو الستر، تقول منه ضرب الحجاب على النساء ، قال تعالى في الشمس : « فقال اني أحببت حب الخـير عن ذكـر ربي حتى توارت بالحجاب» وقال: « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» .

٢ ـ وهو الجـلدة التي تحجب بين الفؤاد والبطن ومنه تقول: هتك

الخوف حجاب قلبه وهـذا خوف يهتك حجب القلوب .

٣ ــ وهو المانع كما فى قولهم: ما لدعوة المظلوم حجاب ، ولهـذا الرجل الصالح دعوات تخرق الحجب حتى تبلغ العرش .

٤ ــ وهو الجبل، تقول لصديقك: أقعد فى ظـل هـذا الحجاب ، أى الجبل .

وأصل الحجاب جسم يحول بين جسدين وقـد استعمل فى المعـانى فقيل : العجز حجاب بين الانسـان ومراده والمعصية حجاب بين العبـد وربه ، ولتأدية المعنى الذى يريدونه ينبغى أن تستعمل العبارات الآتية :

(١) علقت المرأة على وليـدها تميمة وهى خرزة رقطـاء تنظم فى سير وتعلق فى العنق ، جمعها تمائم، تقـول : تممت فلانة مولودها اذا علقت عليه تميمة ، وفى الحـديث « من علق تميمة فلا أتم الله له » .

(٢) علقت الوالدة على ابنها عوذة، أو تعاذة ، أو تعويذا ، ومن هـذا سميت سورتان فى القرآن بالمعوذتين، لأنهمـا تعوذان قارئهما ، وتعصمانه من كل سوء .

(٣) رقت المرأة وليدها رقية بضم الراء فقالت باسم الله أرقيك والله يشفيك ، جمعها رقى كمدية ومدى، قال كثير لعبد الملك بن مروان :

وما زالت رقاك تسـل ضغني (١)
وتخرج من مكامنها ضبـابى (٢)

٣٢٣ ــ ويقـولون : تـكافل الأصدقاء ، ونحن نتكافل فى بنـاء مسجد ، يعنون المعـاونة ، وكـلا التعبيرين خطأ لأن هذين الفعلين لم يردا عن العرب ، وانما ورد قولها : كفله كفالة ، وكفله تكفيلا اذا عاله. وأنفق عليه ، وتقول : كفلت الصبى اذا علته وقمت بشئونه ، ومنه قوله تعالى : « أيهم يكفل مريم » وقوله : « وكفلها زكريا» واسم الفاعل كافل

---

(١) الضغن : الحقد

(٢) الضباب : جمع ضب وهو الغل الداخل شبه بالضب الممعن فى جحره قال سابق البربرى :

ولاتك ذا وجهين يبدى بشاشة
وفى صـدره ضب من الغـل كامن

وكفيل، والجمع كفل كركع، وكفلاء كرحماء ويقال أكفله اياه اذا ضمنه، والمكافل المجاور والمحالف ،والمعاقد، والمعاهد والكفل بالكسر النصيب ومنه قوله تعالى «ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» •

ولتأدية المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : تعاون الأصدقاء على كذا واعتونوا قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » أى يقال أعان بعضهم بعضا على كذا ، كما فى قوله سبحانه: «وأعانه عليه قوم آخرون» أو عاون بعضهم بعضا معاونة وعوانا بالكسر، ومثل المعاونة المساعدة ، والاسعاد، ومن هذا قولك . أسعدت النائحة الثكلى اذا أعانتها على البكاء أو يقال: ظاهر بعضهم بعضا مظاهرة، أو تظاهروا ، أو استظهر بعضهم ببعض ، أو استعان بعضهم ببعض ، أو تعاضدوا ، أو تضافروا على الشيء •

وعن على رضى الله عنه قوله : « عجبت من تضافرهم على باطلهم وفشلكم عن حقكم » •

٣٢٤ ــ ويقولون : استسغنا طعامنا وشرابنا ، وهؤلاء لم يستسيغوهما ، وكثيرا ما ينطقون بكلام غير مستساغ ، وكل هذه التعبيرات يشوبها الفساد ، اذ لم يرد فى اللغة دخول السين والتاء على هذا الفعل ولا على ما يشتق منه ، ولم تستعمل العرب الا الفعل الثلاثى والمزيد بالتضعيف ،والمزيد بالهمزة•

فمن الثلاثى يقال : ساغ الشراب يسوغ من باب قال سوغا اذا سهل مدخله فى الحلق ، قال :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص (١) بالماء الفرات(٢)

والشراب سائغ أى سهل الابتلاع كما فى قوله جل شأنه « هذا عذب فرات سائغ شرابه » •

ومن المجاز قولك : لا يسوغ لك أن تتكلم بما يؤذى غيرك •

---

(١) اغص : اشرق واجرض .
(٢) الفرات : الماء العذب جدا .

وكما يقال : سغت الشيء من باب قال فهو سائغ يقال سغته سيغا من باب باع فهو سيغ بفتح السين وكسر اليـاء مشـددة كما فى قول عويف القراف :

فسـوف أجزيك بشـرب شربا
لا سـيغا ولا هنيـا عـذبا

مما عرضنا استبان لكل أديب أن الثلاثى يأتى لازما ومتعديا •

ومن المضعف يقال : سـوغه له تسويغا اذاجوزه له وأباحه، وسوغ له كذا أعطاه اياه •

ومن المزيد بالهمز تقول : أسغت له كذا أسيغه اساغة اذا جعلته سائغا فهو مسـاغ بصيغة اسم المفعول ، ومنه قوله تعالى « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » أى يبتلعه •

٣٢٥ — ويزعمون خطأ أن الفعل الرباعى لابد أن يتفق فى معناه مع الثـلاثى ما داما مصوغين من مادة واحدة كما فى قولك : دبر النهـار وأدبر اذا ولى وذهب، وزهق العظم زهوقا اذا اكتنز مخه كأزهق والحق أن بعض الأفعـال يخـالف رباعيها الثلاثى حتى لقـد يـكون بينهما تناقض فى المعنى ، منها :

(١) قسط وأقسط ، تقول قسط يقسط قسطا وقسوطا اذا جار وظلم فهو قاسط ومنه قوله تعالى « وأما القاسـطون فكانوا لجهنم حطبا » وأقسط اذا عدل فهو مقسط ومنه قـوله سـبحانه « ان اللـه يحب المقسطين » •

(٢) دلا وأدلى ، تقول : دلوت دلوى اذا نزعتها وأخرجتها من البئر وأدليتها اذا ألقيتها فى المـاء لتستقى ومن هـذا قوله تعـالى « وجاءت سـيارة فأرسـلوا واردهم فأدلى دلوه » •

(٣) ترب وأترب ، تقول : ترب الرجل من باب فرح تربا اذا افتقر كأنه لصـق بالتراب ، وأترب اذا استغنى كأنه اجتمع له من المـال قدر التراب •

(٤) ضاف وأضاف تقول ضفت فلانا اذا نزلت عليه ضيفا ، وأضفته اذا أنزلته ضيفا عليك •

(٥) فرى وأفرى ، تقول : فريت الشيء اذا قطعته لاصلاحه ، وأفريته اذا قطعته على وجه الافساد ، يقال: لقد أفريت وما فريت ، أى أفسدت وما أصلحت •

(٦) خفر وأخفر ، تقول : خفرت فلانا اذا حميته وأجرته وكنت له خفيرا، وكذا خفرت بعهده اذا وفيت به ، وأخفرته اذا نقضت عهده وغدرت به •

(٧) هجم وأهجم ، تقول : هجم المرض على فلان أو هجمه اذا دخل عليه بغتة ، وأهجم الله المرض عنه اذا جعله يقلع ويفتر •

(٨) ونمى وأنمى ، تقول : نميت الحديث اذا بلغته علىوجه الاصلاح والخير، وأنميته اذا أذعنته علىوجه النميمة والافساد ، وكذا نميته بالتضعيف •

(٩) جار وأجار ، تقول : جار فلان فى حكمه اذا ظلم فهو جائر ، وأجاره اذا أنقذه وأعاذه فهو مجير ومن ذلك قوله جل شأنه « يغفر لكم ويجركم من عذاب أليم » •

(١٠) عان وأعان ، تقول : عانه من باب باع فهو عائن اذا أصابه بالعين ، والعيون والمعيان من كان شديد الاصابة بالعين ، وأعانه اذا قدم اليه المعونة •

(١١) وبسل وأبسل ، تقول : بسل بسالة فهو باسل أى شجاع ، وأبسله اذا أسلمه للهلكة ، وفى التنزيل «أن تبسل نفس بما كسبت» أى تهلك •

(١٢) خفى وأخفى، تقول: خفيت الشيء اذا أظهرته وأبنته ، وأخفيته اذا سترته وأضمرته ومن هذا قوله تعالى « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » •

(١٣) نذر وأنذر ، تقول نذر لله كذا اذا أوجبه على نفسه ومنه قوله تعالى « انى نذرت للرحمن صوما » وأنذره بكذا اذا أبلغه بما يخيفه ومنه قوله سبحانه « انا أنذرناكم عذابا قريبا » •

(١٤) حد وأحد ، تقول : حد السيف يحد بالكسر حدة اذا صار حادا ، وأحدت المرأة اذا امتنعت عن الزينة والخضاب حزنا على وفاة زوجها •

٣٢٦ – ويقولون لما يغطى الصدر (صديرى أو سديرى) بكسرهما ، والعرب تسميه صدرة بالضم والصدار وزان كتاب ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر .

تقول : لبست المحد الصدار ، وأخضل الدمع صدارها ، وهو ثوب يغطى به الرأس والصدر والمحد هى المرأة التى تركت الزينة للعدة .

ومن المجاز قولك : هؤلاء صدرة القوم أى مقدموهم بصيغة اسم المفعول ، ومنه تقول صدر فلان فتصدر ، أى قدم فتقدم .

٣٢٧ – ويقولون للثوب الذى تجلى فيه العروس ليلة زفافها (فستان العرس) ، والصواب أن يقال له : معرض العروس وزان منبر ، وهو أفخر الملابس عندها أو من أفخرها .

٣٢٨ – ويقولون لما يغطى به السرير ، ولما تلبسه بعض النسوة (ملاية) بكسر الميم ، والفصيح أن يسمى ملاءة بالضم ، والجمع ملاء بحذف الهاء .

ومن معانى الملاءة البياض : تقول : على فلانة ملاءة الحسن ، قال ابن ميادة :

بذتهم ميالة تميد
ملاءة الحسن لها جديد

غازل فتى من العرب امرأة حضرية فلم تستجب له ، فقال لها ، والله مالك ملاءة الحسن ولا عموده ، ولا برنسه ، فما هذا الامتناع ؟ يعنى بملاءة الحسن بياضه ، وبعموده الطول ، وببرنسه الشعر ، وقال ذو الرمة :

أقامت بهحتىذوىالعود فىالثرى
وساق الثريا فى ملاءته الفجر

أى طلعت مع بياض الفجر . وقال :

وكان لوصل الغانيات ملاءة
تملأنها عصرا ودهرا من الدهر

٣٢٩ – ويقولون لثوب من الحرير يتلفع به (لاسه) والصواب أن يقال له لاذة بالذال بدلا من السين ، والجمع لاذ بدون هاء .

٣٣٠ – وينكرون أن يقال لضرب من الأكسية عباية بفتح

العين ، ويصرون على أن هذا اللفظ عامى ، وعلى أنه لا يقال الا عباءة بالهمزة ، والحق أن كلا منهما عربى صحيح •

٣٣١ ــ ويقولون للقلنسوة المدورة التى تغطى الرأس (طربوش أو طاقية) والصواب أن يقال لها كمة بالضم وزان قلة ، وجمعها كمم كقلل ، تقول : اعتم فلان على الكمة ولا تحسن العمة الا على الكمة •

٣٣٢ ــ ويقولون لثوب واسع دون الملحفة أو هو الملحفة (جلابية) ويجمعونه على (جلاليب) والفصيح أن يقال له جلباب وزان سرداب ، أو جلباب بكسرتين مع تشديد الباء الأولى وزان سنمار، جمعه جلابيب كما فى قوله سبحانه « يدنين عليهن من جلابيبهن » تقول : تجلببت المرأة اذا لبست الجلباب •

٣٣٣ ــ ويقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا فى معركتهم مع الأعداء صمودا مشرفا وأنزلوا بهم الهزائم حتى فروا مندحرين ، وفى هذه العبارة غلطتان :

احداهما : أن الصمود مصدر أنشأته العامة ، أما المصدر السليم فهو الصمد بفتح فسكون ، لأن فعله من باب نصر ، وله معنيان : أحدهما القصد ، تقول : صمدت الأمير صمدا اذا قصدته فهو مصمود ، وصمد بالتحريك ، ومن هذا قوله تعالى « الله الصمد [1] » لأنه يقصد فى كل الحوائج والآخر الضرب ، تقول : صمده بالعصا صمدا اذا ضربه بها •

والغلطة الأخرى قولهم مندحرين والصواب أن يقال مدحورين أى مطرودين من دحره يدحره من باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، كما فى قوله تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » وقوله « قال اخرج منها مذموما مدحورا » •

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء

---

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا كولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ، وقبض بمعنى مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب .

ثبوتا مشرفا حتىأجلوهم مدحورين، أو حتى أجبروهم على الفرار فولوا مدبرين .

٣٣٤ ــ ويقولون : صادرت الحكومة مال هذا اللص ، اذ تبين لها أنه سرقه واستولى عليه عنوة وهذا خطأ ، لأنالمصادرة لها معنيان لا صلة لكل منهما بالمعنى الذى يريدونه :

أحدهما : المطالبة كما فى قولك : صادرت فلانا على ألف دينار اذا طالبته به .

والآخر : الفراق بالكسر ، أو الفرقة بالضم كما فىقولك صادرت هذا الرجل من هذا الأمر على نجح، أى فارقته وأنا ناجح فيما فعلت .

وصودر فلان علىمال يؤديه ، أى فورق على أن يؤدى هذا المال الذى ضمنه ، وتصادروا على ما شاءوا أى افترقوا على ما اتفقوا عليه ، ويلاحظ فى كل التعبيرات السابقة أن المصادر بصيغة اسم المفعول انما هو الانسان لا المال .

ولكى يؤدى المعنى المبتغى ينبغى أن يقال : استصفت الحكومة مال هذا اللص ، أى حجزته منه وأخذته كله .

ويقال : ماله صادر ولا وارد أى ماله شىء ، ولمن يبتدىء أمرا ثم لا يتمه : فلان يورد ولا يصدر ، فاذا أتمه قيل : أورد وأصدر .

٣٣٥ ــ ويقولون: صرح الرئيس لفلان بالسفر ، وأعطاه تصريحا بذلك،يعنون أنه أباحه له والفصيح أن يقال : أذن له فى السفر ومنحه اذنا بذلك .

أما التصريح فهو تبيين الأمر وكشفه ، تقول : صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، ولقيته مصارحة أى مجاهرة ، وصرح النهار اذا انكشف سحابه وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصه ، وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر اذا ذهب زبدها ، ومن هذا قولهم : لبن صريح أى خلص وذهبت رغوته .

٣٣٦ ــ ويقولون : جرد الخازن ما فى المخـــزن ، والصراف ما فى الخزانة جردا ، وهــذا خطأ ، لأن الجرد معناه الازالة ، تقول : جردت الشىء من باب نصر جردا اذا أزلت ما عليه ونزعته عنه ، ومن هذا يقال: رجل أجرد اذا لم يكن على جسده شعر ، وأهل الجنــة جــرد مرد ، وفرس أجرد ، وخيل جرد ، ولبن أجــرد اذا نزعت رغوته ، وهــذه جريدة أى سعفة أزيل عنها الخوص .

ويقال لجلاء آنية الصفر جراد ، لأنه يزيل ما عليهــا من الصــدأ والأقذار ، ولمن يلبس الخلق : ما عليه الا بردة جرد ، لأنها اذا خلقت انتفض ماعليها من زئير واملاست .

ومن معانى الجرد الفرج والذكر والبقية من المال كالجرادة ، وأغلب الظن أنهم صاغوا تعبيرهم مستأنسين بأن علماء اللغة أطلقوا كلمة الجرد على البقية من المــال ، وما أبعــد الفرق بين الاطلاقين ، فهم يريدون المصــدر ، واللغويون يقصــدون الاسم ، على أن المعــدود المحصى ليس مقصورا على الباقى ، وانمــا هو عام .

ولتــأدية المعنى الذى يبتغــونه ينبغى أن يقال : أحصى الخازن ما فى المخزن والصراف ما فى الخزانة ، أو عــده ، أو حفظه ، وفى التنزيل قوله تعالى « لقد أحصاهم وعدهم عدا » وقوله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

٣٣٧ ــ ويجمعون الحــر بكسر الحاء وتشديد الراء بمعنى فــرج المرأة على أحرار ، مدعين أنه كسر وأسرار وهذا خطأ ، والفصيــح أن يجمع تكسيرا على أحراح ، وسالما على حرون ، وذلك لأن أصله حرح وزان ملح ، حذفت الحاء التى هى لام الكلمة ، لأن العرب استثقلت وجود حاء قبلها ساكن ، ثم عوض عنها راء وأدغمت فى عين الكلمة .

وانمــا قيل ذلك لأنه يكسر على أحراح ، ويصغر على حريح ، وكل من جمع التكسير والتصــغير يرد الكلمة الى أصلها .

وقد يستعمل الحــر استعمال يد ودم من غير تعــويض كما فى قول الشاعر :

كل امرىء يحمى حــره
أســـوده وأحمــره

٣٣٨ ـ ويكسرون الخصى وزان غنى وهو من سل خصياه على أخصياء ، مدعين أنه كذكى وأذكياء ونبى وأنبياء ، ولكن ذلك لم يسمع ، والصواب أن يقال فى تكسيره خصية وخصيان بكسرهما قال سيبويه : شبهوا خصيا وخصيانا بظليم وظلمان .

والخصية بالضم واحدة الخصى ، وقال أبو عمر : الخصيتان البيضتان والخصيان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان ، وقال الأموى : الخصية البيضة فاذا ثنيت قلت خصيان ولم تلحقه التاء ، ومثله الألية اذا ثنيتها قلت أليان بغير تاء وهما نادرتان تقول : خصيت الفحل أخصيه خصاء بالكسر والمد اذا سللت خصييه فهو خصى فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل ، وجمع الخصية خصى كمدية ومدى ، وتقول : خصيت الفرس اذا قطعت ذكره فهو مخصى وخصى .

٣٣٩ ـ ويقولون : دعم فلان رأى صديقه تدعيما ، يعنون أنه قواه ، وهذا التعبير غير سليم لأن الفعل الرباعى لم يرد سواء أكان مزيدا بالهمز أم مزيدا بالتضعيف ولم تستعمل العرب الا الثلاثى ، ولذا يجب أن يقال : دعم فلان رأى صديقه دعما من باب نفع اذا قواه .

ويقال : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم .

والدعمة ، والدعامة ، والدعام بكسرهن عماد البيت والخشب المنصوب للتعريش .

تقول : هذا بيت مدعوم ومعمود ، فالمدعوم هو الذى يميل ويريد أن يقع ، فيسند اليه ما يستمسك به ، والمعمود هو الذى يتحامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين .

ويقال: ادعم الحائط على الدعامة اذا اتكأ عليها ، ومن المجاز قولك : فلان دعامة قومه أى سيدهم وسندهم ، قال الأعشى :

كلا أبوينا كان فرعا دعامة

وأقام فلان دعائم الاسلام ، ودعمت زملائى دعما أى أعنتهم وقويتهم ، وأنا أدعم على والدى فى

أمورى أى أستند ، ولا دعم بى أى لا قوة ولا تماسك ، قال :

لا دعم بى لكن بليلى دعم
جارية فى وركيها شحم

٣٤٠ ــ ويجمعون النجى وزان غنى وهو من تساره ــ على أنجياء كأغنياء وأوفياء ، وهذا خطأ على الرغم من قياسيته ، لأنه لم يسمع.

والصواب أن يقال فى جمعه أنجيه ، كما فى قول سحيم بن وثيل اليربوعى :

انى اذا ما القوم كانوا أنجية
واضطربت أعناقهم كالأرشية

تقول : أنا نجى فلان أى مناجيه دون أصحابه ، وانتجيت فلانا اذا خصصته بمناجاتك ، وجعلته نجيك.

قال الأخفش : وقد يكون النجى جماعة كالصديق ، كما فى قوله جل شأنه « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا » وقول جرير :

يعلو النجى اذا النجى أضجهم
أمر تضيق به الصدور جليل

وهو فى الغالب مفرد كما فى قوله سبحانه « وقربناه نجيا » وقول بشر :

أجدك ما تزال نجى هم
تبيت الليل أنت له ضجيع

وتقول باتت فى صدره نجية قد أسهرته ، وهى ما تناجيه من الهم ، وبات الهم يناجيه وبات الهم له نجيا .

وقوله تعالى « واذ هم نجوى » جعلهم هم النجوى ، والنجوى فعلهم ، كما تقول :

هؤلاء قوم رضا والرضا فعلهم

ويقال : اجتمع القوم أنجية أى متناجين ، وشهدت منهم أندية فوجدتهم أنجية .

عباس ابو السعود

تصحيح

فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ من هذه المجلة وضع اسم الدكتور عبد الودود شلبى خطأ تحت مقالين هما : برنارد شو يكرم نبى الاسلام . وحكم قضائى بالفصل بين الزوجين اذا كان احدهما شيوعيا .

فلزم التنويه

بـاب الفـتـوى

تقديم الشيخ محمود محمد رسلان

ترجمة خطبة الجمعة

السؤال

هل تجوز ترجمة خطبة الجمعة ؟ وهل يصح للخطيب أن يخطب بالعربية ثم يترجمها الى لغة أجنبية أخرى قبل الصلاة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فخطبة الجمعة يجب أن تكون باللغة العربية ، فى المشهور من مذهب الشافعى ويجب أن يسمعها أربعون من أهل الجهة وان لم يعرفوا لغة الخطيب أو لم يفهموا معنى الخطبة فانه لا يشترط فهم معناها ، ويمكن الاقتصار على القائها بالعربية ولا يضر عدم سماع غير الأربعين ، ويمكن ترجمتها للمصلين بلغتهم وذلك بعد الصلاة ، لا قبلها محافظة على الموالاة بين الخطبة والصلاة ، فليتنبه لذلك .

والخلاصة : أنه يمكن الاقتصار على الخطبة بالعربية وان لم يسمعها جميع الحاضرين ، وان لم يفهموها ، فانه لا يشترط سماع الجميع ولا فهمهم للخطبة ، وأما بعد الصلاة فللامام أن يترجمها ، وكذلك لغيره منفردا أو متعددا ، وان عملت دروس بعد الصلاة تلقى فى نواحى المسجد وما اتصل به يبين فيها موضوع الخطبة أو غيره كان ذلك حسنا ومفيدا . والله أعلم . انتهى بتصرف من مجلة نور الاسلام ج٤ ع الثانى ١٣٥٠هـ ص٣١٢ ومابعدها للمرحوم الشيخ يوسف الدجوى .

حكم منكر ربوبية الله

السؤال

هل كل منكر ربوبيته تعالى من ذرية آدم عليه السلام ـ أوعابد لغيره أو مشرك به مأخوذ يوم القيامة باقراره على نفسه يوم أن قال له : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ؟ وهل هذه الشهادة خاصة ببنى اسرائيل الحاقا بالآيات السابقة أو عامة لكافة البشر لقوله تعالى :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » •

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد :

لقد كان من مزيد نعمة الله تعالى على بنى آدم أن جعل لهم الأرض مستقرا ومتاعا الى حين ، ثم اليه موجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون • ولكن لما كان ذلك لا يتم الا اذا كانوا عالمين بوجوه المنافع التى تصلح بها حياتهم فى الدنيا والآخرة قضت حكمته الالهية أن يتم نعمته عليهم بأن يهديهم الى ما ينفعهم فيفعلوه ، والى ما يضرهم فيجتنبوه ثم ان تلك الهداية الالهية نوعان :

١ ـ هداية تشريعية •

٢ ـ هداية فطرية •

فأما الهداية التشريعية ، فانها تكون بالوحى وارسال الرسل وانزال الكتب السماوية فيها تبيان كل شىء من مصالح الدين والدنيا ، وأما الهداية الفطرية فانها تكون بما أودعه الله تعالى فى فطرة بنى آدم، وبما جبلهم عليه من العقول والمدارك حتى صاروا مستعدين بأصل جبلتهم للايمان به ، والاقرار بربوبيته وتوحيده والاعتراف بأنه هو الذى يرجى ثوابه ويرهب عقابه ثم انه سبحانه قد بدأ هذه السورة « سورة الأعراف » بذكر الهداية

التشريعية التي أنزلها على عبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — لينذر بها الناس كافة ويذكرهم بما ينفعهم ويأمرهم باتباع ما أنزل اليهم من ربهم وذلك قوله تعالى : « كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » الآيات ثم ذكر سبحانه بعد ذلك ما شاء أن يذكره مما يتصل بهذه الهداية المحمدية ثم قضى عليها بذكر الهداية التشريعية التى أوصاها الى بعض رسله الكرام فذكر من قصصهم مع أممهم ما فيه عبرة وعظة لقوم يتفكرون ثم ختم سبحانه ذلك القصص بقصص سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام — مع بنى اسرائيل والمصريين مبينا ما كان من تلك الأمم جميعا من ايمان وكفر وطاعة ومعصية وما جازى به كل فريق منهم جزاءا وفاقا .

بعد أن أتم سبحانه الكلام فى الهداية التنزيلية التشريعية اتبعها بذكر الهداية الفطرية فى قوله عز وجل : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » الآيات . فبين أنه تعالى شأنه كما هدى بنى آدم كافة بما أوحاه اليهم على لسان رسله الصادقين كذلك هداهم عامة هداية فطرية بما ركب تكوينهم عليه من العقول والمدارك والمشاعر والوجدان حتى صاروا جميعا أمة واحدة فى أصل الخلقة مستعدين غاية الاستعداد بحسب تركيبهم الآدمى لمعرفة ربهم وانه وحده الههم الذى لا تصرف فيهم لغيره بخير ولا شر ، ولا بثواب ولا عقاب لهذا لم يكن لبنى آدم مناص من أن يشهدوا على أنفسهم بلسان مقالهم أو حالهم أن الله جل ذكره هو ربهم لا اله لهم غيره ، بيده نواصيهم واليه مآبهم وعليه حسابهم كل ذلك لئلا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة ، كما حكى الله سبحانه ذلك بقوله : « أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

بهذا يتضح لك غاية الاتضاح أن قول الله تعالى :«واذ أخذ ربك» الآيات بيان للهداية الفطرية التى فطر الله الناس عليها شاملة لبنى اسرائيل وغيرهم وأما الخاصة بهم

فانما هى الآيات من قوله تعالى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى » الآية الثالثة بعد المائة الى آخر قوله تعالى : « واذ نتقنا الجبل فوقهم » الآية الحادية والسبعين بعد المائة .
ثم أعلم أن الثواب والعقاب جزاءان قضى الله تعالى بهما فضلا وعدلا على عباده بعد أن تتحقق الهدايتان : التشريعية والفطرية معا ، فكان من تمام رحمة الله تعالى وعظيم رأفته بعباده أنه لم يجعل الفطرة الآدمية والعقول الانسانية وحدها مناطا للجزاء والمؤاخذة ، بل حاط الفطرة وصان العقول بما يحفظها من الزغل والخطأ واتباع الشهوات ، وكان ذلك بالهداية التشريعية بالوحى وانزال الكتب السماوية وارسال الرسل مبشرين ومنذرين ، كما قال سبحانه : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » أى لم يكن من سنتنا وبالغ حكمتنا أن نعذب أحداً تعذيبا دنيويا مستأصلا ، ولاأخرويا الابعد أن نبين لهم سبل السعادة والشقاء، وحينئذ تكمل لبنى آدم الهدايتان: هداية الفطرة ، وهداية التشريع ، ولا يكون اذ ذاك لأحد عذر ولا حجة .

وكما قال تعالى أيضا مبينا للهدايتين المذكورتين : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ». فقوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » بيان للهداية الفطرية .

أى كانوا جميعا متساويين فى أصل فطرتهم وخلقتهم وما أودعناه فيهم من القوى والعقول .

وقوله سبحانه: «فبعث الله النبيين» الآية بيان للهداية التشريعية التنزيلية. وصفوة القول : أن مناط الثواب والعقاب ، والرضا والمؤاخذة الواردة فى دين الله تعالى ، انما هو الهدايتان المذكورتان معا كما جاء فى الآيات التى تلوناها عليك .

والله هو الهادى الى سواء السبيل.
انتهى بتصرف من نور الاسلام ج٦ع الثانى ١٣٥٠هـ للأستاذ حسن منصور وكيل مدرستى القضاء الشرعى ، ودار العلوم سابقا .

محمود محمد رسلان

أخبار العالم الإسلامي

للأستاذ ابراهيم حامد النويهي

مصر

* اعتمد فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الدراسات الأولى للجنة العليا لتطوير مناهج الأزهر المشكلة برياسة فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وهى :

١ ـ انشاء ادارة عامة لتحفيظ القرآن الكريم ، وسيتولى فضيلة الامام الأكبر الاشراف المباشر عليها، وامدادها بكل ما تحتاج اليه ، مع وضع نظام جديد فى التحفيظ له حوافز مجزية للطلاب وللمحفظين ، وتجرى لطلابها امتحانات عامة تؤهل لالتحاقهم بالتعليم الاعدادى الأزهرى ، بعد حفظ القرآن الكريم كله ، أو الالتحاق بمعاهد القراءات التى تؤهلهم للالتحاق بجامعة الأزهر، بحيث يتدرج الطالب من كتاب القرية الى الجامعة ..

٢ ـ التوسع فى انشاء معاهد القراءات فى المرحلتين الاعدادية والثانوية والتخصص ، وانشاء كلية جديدة فى جامعة الأزهر باسم كليه علوم القرآن الكريم ، يلحق بها الخريجون من تخصصات معاهد القراءات التابعة للأزهر .

٣ ـ دعم دراسات تحفيظ القرآن الكريم لطلاب المرحلتين الاعدادية والثانوية وكليات جامعة الأزهر الشريف ، بحيث يتم الامتحان فى حفظ القرآن الكريم تحريريا فى كل عام .

٤ ـ الغاء دراسة المستوى الخاص واستبعادها من مناهج المعاهد الأزهرية لاتاحة الفرصة لتعميق العلوم العربية والاسلامية والحضارية ..

٥ ـ تقديم كتب التراث الاسلامى فى طبعات جديدة مبسطة ومحققة

لاشباع الفراغ الفكرى والأدبى فى نفوس الشباب ..

٦ ـ الاستعانة بوسائل الاعلام المصرى فى ابلاغ الدعوة الاسلامية بهذه الوسائل، لنشر المبادىء الدينية والخلقية على اتساع رقعة القرى والبلاد المصرية ..

* تجرى الآن اتصالات بين فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وبين الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التربية والتعليم بشأن المناهج الدينية الجديدة التى تعدها وزارة التربية والتعليم بأسلوب مبسط لتدريسها بالمدارس ، اعتبارا من العام القادم ..

وقد تقرر أن يقوم الأزهر بمراجعة هذه الكتب ، كما تقوم كليات الأزهر بدعم مدارس الوزارة وامداد هيئات تدريسها بالخريجين المؤهلين ..

وكان فضيلة الامام قد استقبل بمكتبه بادارة الأزهر فى شهر فبراير الماضى السيد وزير التربية والتعليم وصرح فضيلته بعد هذا اللقاء بأن لقاءاته مع الوزير ستستمر حتى يتحقق الهدف الذى رسمه الرئيس محمد أنور السادات لتعميق المفاهيم الدينية فى نفوس الجيل الجديد عن طريق التعليم الدينى والتربية الدينية، وتأهيله لحمل المسئولية فى دولة العلم والايمان ..

* افتتح فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مسجد القوات الجوية بالغردقة ، الذى أقامته بالجهود الذاتية ، وذلك يوم الجمعة ٣٠ من صفر ١٣٩٧ هـ ـ ١٨ من فبراير سنة ١٩٧٧ م .

وقد شهد الافتتاح القائد العام للقوات الجوية وعدد كبير من القادة والضباط والجنود ، وعدد من كبار علماء الأزهر ..

وألقى فضيلة الامام الأكبر بعد الصلاة محاضرة تناول فيها رسالة المسجد ودوره فى مسار الدعوة الاسلامية .

* ألقى فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر كلمة فى الحفل الذى أقيم بسفارة الهند بالقاهرة وحضره لفيف من سفراء الدول لتأبين المغفور له فخامة

الرئيس الراحل فخر الدين على أحمد ، قال فيها :

(كان فخر الدين على أحمد ثانى رئيس هندى مسلم ، وكان أخا شقيقا وزعيما مؤمنا ، يفيض قلبه بالوطنية ، وبالايمان الراسخ بمبادىء السلام والصداقة بين الهند وشعوب العالم جميعا) ..

وتحدث السيد سفير الهند بالقاهرة أشوك سين تشيب فأشاد بجهاد المغفور له الراحل وتسامحه الدينى ودوره البارز فى خدمة الهند، فقال:(لقد مست قلوبنا وقوت من عزيمتنا فى هذه الخسارة الفادحة رسالة المواساة والعطف التى تفضل فخامة رئيس جمهورية مصر العربية فبعث بها الى رئيسة وزرائنا ، وقراره الكريم باعلان الحداد الرسمى فى أنحاء مصر أسبوعا ، وايفاد زعيم بارز سعادة الدكتور حافظ غانم نائب رئيس الوزراء للاشتراك فى تشيع جنازة رئيس الهند الراحل ، مما يكشف مرة أخرى عن رابطة الصداقة الدائمة التى تربط بين بلدينا) ..

كما أشاد السيد السفير فى كلمته بالاحتفال الذى أقامه الأزهر الشريف للرئيس فخر الدين على أحمد حين زار مصر فى ديسمبر ١٩٧٥م ..

* أمام فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أشهرت الآنسة سوزان ماكس مكادى الأمريكية الجنسية اسلامها ، بعد دراسة عميقة للدين الاسلامى وفهم لمبادئه السامية وأحكامه الصادقة .. واختارت أن يكون اسمها سوزان محمد .

وقد أهداها فضيلة الامام الأكبر بعد أن أشهرت اسلامها مصحفا شريفا ومجموعة من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية ..

تهنئة للأخت سوزان محمد ، ودعاء لها بالتوفيق فى ظل الاسلام ، وهدى كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ..

* طالب المجلس القومى للتعليم فى اجتماعه يوم ١٥/٢/١٩٧٧ برياسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة بتحقيق عدد من المبادىء الهامة لتحقيق التربية الدينية فى مختلف مراحل التعليم وهى :

١ ــ أن تتحول المدارس الى مراكز

للاشعاع الدينى فى أثناء شهر رمضان ويتولى المدرسون والطلاب تنظيم نشاط هذه المراكز .

٢ ـ الاهتمام بمناقشة الاتجاهات الالحادية عبر منهج علمى وعقلى يبدأ من أول درجات السلم التعليمى ويتطور مع نمو عقل الطالب .

٣ ـ التركيز على المعاهد الدينية للفتيات .. لضمان سلامة الأجيال القادمة ..

٤ ـ اعداد مادة للأخلاقيات فى الشهادات العامة تضم درجاتها الى المجموع الكلى ..

٥ ـ اعداد منهج موحد فى الشهادات العامة يكون مقصورا على الأخلاقيات التى تتفق عليها جميع الأديان ، ويمكن الاستشهاد فيها بالنصوص الدينية لكل دين ويمتحن فيها جميع الطلبة ، وتضم درجات الامتحان الى المجموع الكلى ..

٦ ـ ضرورة الاسراع فى اعداد أساتذة متخصصين فى فلسفة الأديان لمواجهة الغزوات الفكرية الدخيلة..

* قرر أعضاء مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر التبرع بمكافأة شهر للمساهمة فى اصلاح المواصلات التى امتدت اليها يد المخربين ،وذلك فى الاجتماع الذى عقد برياسةفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر يوم ٧٧/٢/٢٣ لبحث أسباب تأخير عقد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة ، وموضوع فيلم محمد رسول الله الذى يعرض خارج البلاد باسم (الرسالة) .

* أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرارا بندب الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية للعمل أمينا عاما للمجمع وذلك لخلو المنصب باحالة فضيلة الشيخ خلف السيدعلى الى المعاش .

* أصدر السيد ممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء قرارا بتعيين الدكتور عبد المنعم النمر مديرا عاما لتفتيش العلوم الدينية والعربية للمعاهد الأزهرية بالأزهر بالفئة الأولى ، كما أصدر قرارا بتعيين فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان مديرا عاما للوعظ من الفئة الأولى.

السعودية

*عقد بالمدينة المنورة فى أواخر شهر صفر الماضى المؤتمر الاسلامى العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذين سيقومون بدعوة الناس الى الخير وتبصيرهم بالدين الحنيف .

وقد حضره وفود من مختلف دول العالم الاسلامى للاشتراك فى المناقشة وابداء الآراء فى خطط الدعوة الاسلامية لتؤتى ثمارها المرجوة منها .

وقد وجه المؤتمر برقية الى الرئيس محمد أنور السادات استنكر فيها أعمال الشغب والتخريب التى وقعت فى مصر ، هذا نصها :

(فخامة الرئيس محمد أنور السادات ... حفظه الله ..

ان المؤتمر الاسلامى العالمى المنعقد فى المدينة المنورة لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ، والذى اشترك فيه علماء أكثر من ٧٠ دولة ، يستنكر بشدة أعمال التخريب التى يقوم بها الشيوعيون فى مصر العربية الاسلامية ، ويطلبون من فخامتكم حل الحزب الشيوعى « اليسار » حتى لا يكون للشيوعيين مكان مشروع فى بلد دينه الاسلام ، كما يناشد فخامتكم أن تبقى العقيدة الاسلامية مستقلة نقية لا يشوبها شىء) .

قبرص

* طالب السيد رءوف دنكتاش زعيم القبارصة الأتراك بالعناية بالتربية الدينية فى المدارس القبرصية ، وقال فى تصريح له : أن اخواننا الأتراك الذين حضروا لمساعدتنا فى الشئون الدينية يؤدون عملهم بجد ونشاط .. وأعلن أنه تم فتح مدارس للأئمة والخطباء لتحفيظ القرآن الكريم .. وقال : ان المتخرجين من هذه المدارس ستسند لهم الناحية الدينية .

اسبانيا

* قدم وفد يضم خمسة من سفراء الدول العربية برياسة السيد سفير الجزائر فى مدريد مشروع انشاء مركز اسلامى الى الملك خوان كارلوس الأول .

وسوف تقدم الحكومة الأسبانية الأرض التى سيقام عليها المركز وسط مدريد ، وستقوم ٤٢ دولة اسلامية بتمويل بناء المركز ، ومن المقرر أن يشتمل المركز على مسجد كبير ومركز ثقافى ومكتبة وقاعات للمحاضرات .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

لا مناص من تطبيق الحدود الشرعية

للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وبعد :

يعلم الذين يتابعون تفسيرى للقرآن الكريم الذى بدأته بعون من الله وتوفيقه منذ أكثر من أربع سنوات وينشر على التوالى فى مجلة « منبر الاسلام » أننى لا أخوض فى المباحث الفقهية تاركا اياها للمتخصصين فى هذا الفرع والذين يتوفرون على دراسته ، هذا منهج التزمته وأنا بصدد تفسير القرآن الكريم ، ولكننى أجىء اليوم على صفحات مجلة « الأزهر » ويكفى اسمها ، شهادة على أنها تمثل أعظم جامعة اسلامية وأقدم دار للعلم فى الدنيا كلها لأطرح على صفحات هذه المجلة العظيمة أن الساعة قد حانت لتنهض كلية الشريعة وكل مشتغل بالتشريع الاسلامى من علماء الاسلام بصياغة مبادىء الشريعة الاسلامية فى مواد مقننة فى الأمور الجنائية مما يسميه الله تعالى فى كتابه الكريم «الحدود».

تطبيق الاحكام الشرعية آت لا ريب فيه :

•• فأما أن أحكام الشريعة الغراء سوف تطبق فهذه مسألة لا شك فيها عندى فهى الأصل والأساس . وهى التى كانت مطبقة فى مصر الى ما قبل الاحتلال البريطانى وما كانت مجموعة القوانين المدنية التى صدرت فى ظل الاحتلال تستطيع أن تستقر الا لأنها لم تكن على خلاف الشريعة التى اعتادها الناس فى معاملاتهم المدنية ، خصوصا وقد أضيف اليها ما اعتاده الناس من أنظمة شرعية كحق الشفعة مثلا أو نظام الوقف ، أو ما كان يسمى «بالبيع الوفائى» وذلك كله فى الوقت الذى ظلت فيه « الأحوال الشخصية » محكومة مائة فى المائة بالشريعة الاسلامية ، أى أن التشريع كان ينقسم الى ثلاثة أقسام : أحوال شخصية ، ومعاملات مدنية ، ومجموعة جنائية ، ولنبين موقف هذه الأقسام الثلاثة فيما يلى :

قوانين الاحوال الشخصية :

وهذه كانت وهى الآن وسوف تظل الى أبد الآبدين ان شاء الله

مستندة الى الشريعة الاسلامية كما قدمنا ، لأن الأمر فيها يستند الى العقيدة التى هى أعظم مقومات الانسان ، ومن هنا رأى الانجليز بكل سلطانهم أن لا يتعرضوا لهذا القسم من التشريع ، ولقد ظلت المحاكم الشرعية تقوم بدورها فى مصر على سبيل الاستقلال ، الى أن ألغاها الحاكم المصرى وضم قضاتها الى المحاكم العادية ، ولكن الأحوال الشخصية ظلت كما كانت دائما تستمد كيانها من الشريعة الاسلامية .

المجموعة المدنية :

أما المجموعة المدنية التى تتصل بالمعاملات بين الناس ، فقد سكت عنها الناس وقبلوا أن يقال لهم : انها مستمدة من القانون الفرنسى وليس من الشريعة لسبب بسيط جدا وهو أن مجموع أحكامها لا يختلف فى جوهره عما اعتادوه وألفوه .

وما زلت أذكر بفخر واعتزاز كيف كان « الشيخ أبو الفتح » يدرس لنا الشريعة فى كلية الحقوق « قسم المعاملات » وكان يروعنى ويأخذ بلبى مدى التطابق بين ما ينص عليه القانون المدنى وبين أحكام الشريعة ، مع تفوق الأحكام فى الشريعة ، وهو ما تنبه له فقيه هذه الأمة عبد الرزاق السهورى عندما عدل مع آخرين القانون فجعل الشريعة الاسلامية نصب عينيه وهو يعدل القانون ، وانتهى به الأمر أنه عندما دعى لبعض البلاد العربية ليضع لها قوانينها المدنية استند فى وضعها الى الفقه الاسلامى باعتباره هو الأشمل والأكمل .

الاقرار للشريعة الاسلامية :

والاعتراف بعظمة التشريع الاسلامى مسألة لم يستطع أكثر الناس عداوة للاسلام الا أن يعترفوا به ، وكان أقصى ما قالوه للغض من هذه العظمة : أن الشريعة الاسلامية تأثرت بالقانون الرومانى ، حيث كانت جزيرة العرب التى بعث فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه فيها القرآن هو المكان الوحيد فى الدنيا الذى لم يمتد اليه سلطان الرومان المادى والمعنوى وهو يتألف من بيئة صحراوية لها تقاليدها وعاداتها من دون العالمين ، واذا كان المسلمون قد فتحوا الدنيا

بعد ذلك شرقا وغربا وورثوا فيما ورثوا حضارة من سبقوهم ، فقد تأثروا بما حولهم بكل شىء ماعدا الشريعة التى كانت رسالتهم تتلخص فى حملها للعالمين ، واذا كان فقهاء الشريعة الاسلامية راحوا يقننون على امتداد أربعة عشر قرنا فقد كان اعتمادهم فى ذلك أولا وأخيرا على القرآن والسنة ، ويتصور أقوامأن الاجماع والقياس مصدران من مصادر التشريع الاسلامى ، وهو تصور خاطىء ، فلا اجماع ولا قياس فيما يخالف القرآن والسنة ومعنى هذا أن القرآن والسنة هما مصدر التشريع الاسلامى ، وكبار أئمة الفقة الاسلامى يحنون الرؤوس جميعا أمام السنة اذا ثبتت ، فباطل مازعموه من تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى ، وانما حملهم على هذا الزعم ورعة ما صادفوه من تفوق التشريع الاسلامى « فتمحكوا » بحكاية التأثر بالقوانين الرومانية ليغضوا من شأن عظمة التشريع الاسلامى والفقه الاسلامى المستند اليه .

ولما كان لا يصح سوى الصحيح مصداقا لقوله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » فقد انتهت المؤتمرات الدولية لاعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع للدنيا كلها .

لماذا قبل المصريون القانون المدنى :

ونعود الى ما كنا بسبيله من أن المجموعة المدنية التى صدرت فى أيام الاحتلال والتى استمدت أحكامها من القانون الفرنسى الذى استمد بدوره أحكامه من القانون الرومانى لم تصدم المصريين عند التعامل فهى لم تخرج عما ألفوه ، وكان الشىء الوحيد الذى انطوى عليه القانون المدنى مما يخالف أحكام الشريعة هو موضوع الربا ، وما كان القانون المدنى ليجرؤ على اباحته فقد انطوى قانون العقوبات على جريمة الربا الفاحش ولما كان المصريون فى ذلك الوقت نهبا للربا الفاحش الذى وصل الى حد ٣٠٪ فقد سكت المصريون عن قانون يجعل أقصى الفوائد المسموح بهاهو من خمسة

الى سبعة فى المائة ، وظل الشعب فى معاملاته ينأى بنفسه عن التعامل بالربا .

المجموعة الجنائية :

نصل الآن الى القسم الثالث من التشريعات الوضعية التى عاصرت الاحتلال هنا وهنا فقط ، نجد تعطيلا صريحا لا لبس فيه ولا غموض للحدود الشرعية فاستبدلت عقوبة قطع اليد فى السرقة بالحبس والسجن ، كما تغير الموقف تماما بالنسبة لجريمة الزنا ، وفى جريمة القتل أسقط حق أولياء الدم فى أن يتقاضوا الفدية أو أن يعفوا ، ولما كان فى هذا الأمر تجاوز خطير فقد نشأت جرائم الأخذ بالثأر التى لا تزال مستمرة حتى الآن ، كما استشرت جرائم السرقة بصورة لم يشهدها المجتمع المصرى فى كل تاريخه من قبل .

على أن واضع القوانين الجنائية لم يستطع وما كان له أن يغفل الشريعة الاسلامية ، حتى وهو يريد أن يتجاوزها ، فنراه فى مقدمة قانون العقوبات ، يقول بالنص :

« لا عقوبة على كل عمل ارتكب بنية سليمة عملا بحق مقرر بمقتضى الشريعة الغراء » .

وقد حاولوا فيما بعد أن يقصروا هذا النص على حالة تأديب الزوج لزوجته والأب لأولاده ، ولكن ذلك كله وهم وعبث قيل فيما بعد ، ولكن النص صريح فى أن لاعقاب على أى عمل ارتكب بنية سليمة بمقتضى حق مقرر فى الشريعة كما تضمن القانون استشارة المفتى قبل الحكم باعدام انسان .

والمهم أنه حتى بالنسبة لقانون العقوبات الذى أغفل الحدود الشرعية لم يستطع وما كان له أن يصادر وجوب احترام الشريعة الاسلامية .

ولا كلام لى فى قوانين الأحوال الشخصية وما يتصل بها من أحكام المواريث والوصايا والقوامة والأوقاف وغيرها ، فهذه كانت وستبقى شرعية مائة فى المائة كما لا قول لى بالنسبة للمجموعة المدنية

فى المعاملات،فتفوق الفقه الاسلامى فى هـذه الناحية ، سيجعل اتخاذه أساسا فى المعـاملات مسألة أعوام معـدودة والمجتمع الاسـلامى فى طريقه الى اسقاط الربا فى معاملاته .

وجـوب تطبيق الشريعة الاسـلامية فى الحدود :

وانمـا اخـترت مجـلة الأزهر بالذات لأسـتحث المسـلمين على وجـوب الاسراع باقامة الحـدود الشرعية كما نص عليها القرآن وعلى رأسها قطع يد السارق .

وأبادر لأكشف الزيف والنفـاق فى الادعاء بأنهـا عقـوبة قاسـية ولنسـتعمل تعبير المعترضين بالذات حيث يصـفون عقـوبة قـطع يد السارق بأنها « وحشية » ووجـه النفاق هنا : أن الانسانية لم تشهد فى كل تاريخهـا جـرائم وحشـية ترتكب بطريقة منظمة وشرعية كما يجرى فى أيامنا هذه ، ولن أتحدث عن الأمثلة فهى أكثر من أن تعـد ويصـبح كل حديث عن قـطع يد سارق زجرا لغيره أنه وحشى . هو من الناحية الاسلامية لون من ألوان الكفر ، وهو من الناحية الانسانية العـامة نفاق وثرثرة وشقشقة فما أكثر الأيدى التى أصبحت تقطع من الآلات فى المصانع ناهيك بالأيدى والأرجل التى تقطع تحت عجـلات القطارات والسيارات والأجساد التى أصبحت تمزق تمـزيقا مخيفـا فى حـوادث الطائرات ، وكل هـذه أصبحت أمورا عادية فى حيـاتنا ، فالتحدث بفزع عندما يقـال تقطع يد سارق لايقاف السرقة هو فزع من لا ايمان له .

وأى اعتراض يمكن أن يسـاق ضد هذه العقوبة هو مجرد لغـو وشنشنة لا تثبت أمـام التحليـل البسيط .

فمن الاعتراضات التى تواجهك على الفور عنـدما تقول تقطع يد السارق ، القول بدون تفكير « اذن سنقطع يد أكثر الناس » .

تجربة من السعودية :

أما نحن فلن نلقى الـكلام على عواهنه فأكثر الناس لا يسرقون ، ولا يسرق الا أقل من القليل وعندما

تقطع يد واحــدة فسيتحول هــذا القليل الى نادر وما دون النادر •

وليس هناك ما هو أسخف من القول : ان ذروة العقـوبات وهو الاعدام لم يمنــع الناس أن يقتلوا والجواب على ذلك أنه لولا عقوبة الاعــدام لقتل كل انســان لأوهى الأسباب •

بقى أن قطع يد السارق أشــد زجرا من الاعدام نفسه فالموت هو نهاية كل حى: الأبرار والأشرار على الســواء ؛ وليس كذلك قطع اليد فمن لا يسرق لا تقطع يده •

فمهما قيل عن شدة العقوبةفهذا هو المقصود بها وكل من يستهولها أو يستكثرها فما عليه الا أن يبتعد عن السرقة ، بل لا يفــكر فيهــا ، وأمامنا تجــربة حية لا أحسب أن البشرية شهدت لهــا مثيلا من قبل، ففى بلاد الحجاز ، حيث كان الناس يحجون الى بيت الله الحرام ، كان الحجاج يسرقون وينهبون ويقتلون قتلا ، فى غير تأثم أو تحرج وكان البدو يرون أن ذلك حقهم الطبيعى واضطرت مصر من ناحية والشــام من الناحية الأخــرى والعراق من ناحية ثالثة أن ترسل كل منها قوات مسلحة لحماية الحجاج والويل لمن يبتعد ولو بضعة أمتار عن القــافلة التى تســير فى حماية الجيش فموتا كان يموت بعد أن يسرق وينهب ، وجاء عبد العزيز آل سعود ووضع نهاية لكل ذلك ، واليوم يســافر الحجــاج ويشرقون ويغربون وهم آمنــون على أنفســهم وأموالهم وأعراضهم متصورين أن ذلك أمر طبيعى جدا ونســوا أن ثمن ذلك كان اقامــة حــدود الله ، فانقلبت الصــورة من النقيض الى النقيض وحجاج بيت الله لا يشهدون اليوم قطع يد أحد ، حيث تم هذا مرتين أو ثلاث منذ أربعين سنة وانتهى كل شىء •

فعندما نتحــدث عن قــطع يد السارق فانمــا هما يدان أو ثلاثة تقــطع ثم يتــوقف كــل شىء • وما أبخس هــذا الثمن لتخــليص مجتمع بأسره من السرقة •

بعض الضوابط :

فلندع اذن شقشقة المشقشقين ، وولولة المولولين ، فانما يفعل ذلك من لا يؤمنون بأن القرآن تنزيل من اللــه الذى يعــلم دون غيره أين يوجد صلاح البشر فلنمض قــدما فى اقامة الحــدود وليشرع فقهــاء الدين وعلماؤه ليضــعوا الضوابط والقواعد لاقامة حدود الله وأسمح لنفسى بأن أحدد بعض الأمور التى يتعين على الدارســين أن يبحثوها استعدادا ليوم قريب ســوف تنفذ فيه هذه الحدود ان شاء الله .

وأول ما يجب تحديده على ضوء القرآن والسنة وأقوال سائر فقهاء الدين من ســائر المذاهب بمــا فى ذلك فقه الشيعة الذى يعتمد عــلى القرآن والسنة ، واذا كان هذا هو ما درج عليه العمل فى الأمور المدنية فمن باب أولى عندما يتصل الأمر بالعقوبات التى تصل الى حد قطع اليــد .

وأذكر أن أحــد علمــاء مصر الأفاضل قد حاول منذ قرابة نصف قرن أن يفسر حد «قطع يد السارق» بأن المقصود به هو كف يد السارق عن السرقة وقد أهاج الدنيا وقتئذ ولكنه اجتهاد على كل حال (ربما يكون قد أراد به أن لا يظهر مصر الاسلامية بمظهر الدولة التى تعطل حدا من حدود الله) ومسألة قطع يد الســارق مسألة ليست محــلا للاجتهاد فهى عقــوبة نص عليهــا القرآن الكريم وطبقت بالفعل ولدينا الأحاديث الثابتة الصحيحة فى غضبة رسول الله صلى الله عليــه وسلم عندما حاول البعض أن يتشفع فى قطع يد سارق وقال كلمته المدوية على مر الزمن والتى تنطق بأنه رسول الله حقا وصدقا ، ومن هنــا فقد حفظها المسلمون جميعا كجــزء من تراثهم الغالى وحضارتهم التى تعلو على كل الحضارات :

« والله لو سرقت فاطمــة بنت محمد لقطع محمد يدها » .

فمسألة قطع يد السارق ليست محلا للاجتهاد فضــلا عن الايقاف، والتعطيل .

دفع بعض الأقوال :

وهناك بعض الأقوال اليوم يقولها بعض من لا نشك فى اخلاصه لدينه وشديد حرصه على رفعة الاسلام، ومن هنا فهو يسوق الرأى الذى يتصور أنه الأحجى والأجدى والقاعدة الشرعية بنص القرآن هى أن تكون الدعوة الى الله « بالحكمة » والحكمة هذه مسألة تقديرية تختلف بحسب الزمان والمكان والظروف والملابسات .

وهذا الرأى الذى يقال هوتوفير الجو الاسلامى والتربية الاسلامية أولا ثم قطع يد السارق بعد ذلك، وعندنا : أنه متى توصلت أغلبية المجلس التشريعى الى أن الوقت حان لنشرع فى تنفيذ الحد المعطل ، فان ذلك يكون هو كل الجو والتربية الاسلامية المطلوبين ، اذ لا توجد لدينا وسيلة ولا يمكن أن توجد وسيلة غير هذه فعلى علماء المسلمين ـ شيوخهم وشبابهم ـ أن يصلوا الى هذه النتيجة .

سيدنا عمر وموضوع السرقة :

وثمة قول يتردد وأصبح يساق باعتباره من المسلمات وهو :أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عطل حد قطع يد السارق فى عام المجاعة، ومعاذ الله أن يعطل سيدنا عمر ومن هو فوق سيدنا عمر حدا من حدود ، والا لما كان سيدنا عمر ! ؟

والذى حدث فى منتهى علمى (وقد عشت طول عمرى أنقب فى هذه المسألة) أنه جىء لسيدنا عمر بخادم ادعى عليه من يعمل عندهم ، أنه سرق بعض ما أكله ، وبعد تحقيق القضية صرف سيدنا عمر الموضوع كله وزجر السادة الذين جاءوا اليه بالخادم الذى سرق ، وهددهم اذا أجاعوا خدمهم فى المستقبل ، فسوف يعاقبهم هم ، هذه الحادثة هى التى تروى عن سيدنا عمر تصرف فيها التصرف الكامل المثالى الذى يبقى الى أبد الآبدين مشعلا من النور يضىء الطريق أمام البشر .

ونلاحظ بداءة ذى بدء أنه لم يعطل حدا من حدود الله وما كان له أن يفعل وحاشاه ، حقا ان السادة فى ذلك الزمان تصوروا وكانوا يحبون أن تقطع يد من سرقهم

بزعمهم فلما أن حقق سيدنا عمر الواقعة تبين له أن لا سرقة هناك فالخادم يعمل عند من اتهموه وهم مسئولون عن اطعامه فلما لم يفعلوا امتدت يده الى ما يسد به غائلة الجوع ، أى أن الخادم كان فى حالة ضرورة والقاعدة الشرعية الثابتة بنص القرآن أن الضرورات تبيح المحظورات «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه» .

فسيدنا عمر رضوان الله عليه لم يعطل حدا من حدود الاسلام بل أعمله عندما طلب من السادة أن يطعموا أتباعهم والا عاجلهم هم بالعقوبة .

ولقد كنت (وغفر الله لى) ممن كان يردد هذا القول غير الصحيح من أن سيدنا عمر أوقف حد قطع يد السارق فى عام المجاعة ، ولعل فى اعترافى بهذا الذنب واستغفارى عنه يكون درسا للشباب أن لا يتسرعوا فى اصدار الأحكام .

من هو السارق :

والآن وقد فرغنا من مناقشة رأيين قال بهما بعض من نجله ونحترمه ، نعود لجوهر قضيتنا والذى يتلخص فى وجوب اعمال حدود الله ويكون المبحث الأول الذى يجب أن يبحثه أولو العلم والمتخصصون هو تعريف من هو السارق ، ففى تصورنا مثلا (ولا نلزم به أحدا ولا نقول عنه : انه عين الحقيقة) وانما هو مجرد تصور نطرحه ليكون تحت نظر الباحثين ، وهو : أن السارق والسارقة هما من أصبحت صفة السرقة اسم لهما وهذا لا ينطبق الا على من اعتاد السرقة ، وفى الصورة التى مرت بنا فى الحادثة التى وقعت أيام سيدنا عمر لم ير فى المتهم أنه سارق والا لما تردد لحظة فى قطع يده ، فهذا الحادث يفرض علينا فرضا أن نحدد : من هو « السارق » وأرى فى كل الأحوال أن لا نبدأ بقطع يد الا من اعتاد السرقة ، أى أصبح يوصف بـ (السارق) ، ومرة أخرى أذكر بأننى لا أفتى فلست من أهل الفتوى وانما هو رأى أسوقه ليكون تحت نظر الباحثين واستغفر الله عما أكون قد وقعت فيه من خطأ عن حسن قصد .

ما هو القدر المسروق :

ثمة موضوع آخر للبحث للوصول فيه الى التحديد :هو القدر المسروق •

فليس يكفى أن يقال : انه « كذا درهم » ثم يقال والدرهم يساوى اليوم « كذا » ؛ ان المسألة أدق وأخطر من أن تساق بهذه البساطة فأنا مثلا — وأتحدث عن تجربتى الشخصية — عشت وأهل بيتى عيشة رغدة جدا فى آخر الثلاثينات بخمسة قروش فى اليوم (لحم وخضار وخبز وفاكهة) وهو مالا يقل مقداره اليوم عن جنيهين أو ثلاثة ، فتحديد قدر يساوى هذا الذى كانت تقطع بسرقته الأيدى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة أساسية ، وهو أمر لا يستعصى على الباحثين ، والمهمأن الموضوع لا يجب أن يغيب عن التقدير •

ادرأوا الحدود بالشبهات :

بقى أننى عشت طول عمرى كمحام أستطيل فى مرافعتى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرأوا الحدود بالشبهات » وهو أمر علوى سماوى ؛ أن نسعى جاهدين بالتوقف، عن اقامة الحد لمجرد الشبهة ، فليس الأمر انتقاما ولا هو تشفف انما هو زجر يراد به الاصلاح والقاضى مأمور أمرا أن يدرأ اقامة الحد لدى أى شبهة تقوم فى نفسه •

والخلاصة :

أختمهذا البحث بما ابتدأت به من أنتطبيقالحدود الشرعية آت لاريب فيه فعلى مجمع البحوث الاسلامية وعلى كل علماء المسلمين أن يستعدوا بالدرس والاستفادة من كل أقوال من سبق من الفقهاء وأن يضعوا ما يشاءون من الضوابط والتعريفات ، والمهم أن يد السارق يجب أن تقطع وأن تعرف الدنيا كلها أن حضارة مصر تقوم على تنفيذ الأمر الالهى وهو « قطع يد السارق » •

والله ولى التوفيق •

احمد حسين

الفهـــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٩٢٩/١٩٧٧-٢-١٢٠٠

Deputy Prime Minister to participate in the funeral of the late President of India. This demonstrates once again the bonds of ever lasting friendship that exist between our two countries." Ambassador Chib also recalled the special meeting organised at the Al Azhar University when President Fakhruddin Ali Ahmed visited Egypt in December 1975. He mentioned the speech made by the late President on that occasion in which he had highlighted the similarity of approach between India and Egypt in the matter of religious tolerance.

(Continued from page 14)

before, the Shiite sect does not recognize custom as a Law, whereas the Hanafi sect under certain circumstances considers custom as a legal rule ; e.g., fruits can be measured on trees on the basis of custom although the weigh of the fruit may not be known. According to the Sunni Sect ; whenever a tradition exists as a result of custom, if such custom changes then the tradition also changes. For instance, at the time of the Prophet of Islam, wheat, barley and dates were measured in bulk but when this custom was changed the form of measuring changed accordingly as well.

THE SILENCE OF LAW.

Does custom become a Law when the law remains silent ? In the Civil procedure code of Iran (Article 3) it is stipulated that, during instances where the Law remains silent in a particular case, the judge may resot to custom and thus has accepted custom as common practice. But according to Islam, the lack of rule in certain cases does not necessarily allow custom to control.

ENGLISH SECTION

AL-AZHAR CONDOLES ON THE DEATH OF PRESIDENT FAKHRUDDIN ALY AHMED

The Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Abdul Haleem Mahmoud, sent cables of condolence to the Indian Prime Minister, Mrs. Indira Ghandi, and the New President, Mr. Jatti, on he death of the late President of India, Fakhruddin Ali Ahmed. A delegation consisting of the deputy Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Abdul Rahman Bisar, Dr. Abdul Jaleel Shalaby, the secretary general of the Islamic Research Academy, and Sheikh Abdul Hakeem Naana, the Director of the office of the Grand Sheikh, attended the condolence meeting held at the Indian Embassy, Cairo, to pay homage to the late President Fakhruddin Ali Ahmed.

The President of India H.E. Mr. Fakhruddin Ali Ahmed passed away at 0852 hours on Friday, February 11, 1977 after a heart attack.

The Government of India have declared a period of 13 days as official mourning.

The funeral of the Late President was held on Sunday the 13th February, 1977 afternoon.

A condolence meeting was held at the Indian Embassy residence at 12 P.M. on February 13, 1977, to pay homage to the late President of India His Excellency Mr. Fakhruddin Ali Ahmed. Speaking at the occasion His Eminence Dr. Mohammad Abeul Rahman Baisr, Deputy Grand Sheikh of Al Azhar said : "Mr. Fakhruddin Ali Ahmed, the second Muslim President of friendly India was a great patriot and a good Muslim who had deep faith in the principles of peace and firendship between India and all the nations of the world." Also present at the function were H. E. Ambassador Abbas Seiful Nasr, former Arab League Ambassador to New Delhi. Ambassador Seiful Nosr, said : "The loss is not only for India but for the entire world particularly the Arab world whose true and steadfast friend President Fakhruddin Ali Ahmed was. He gave unflinching and steadfast support to all Arab causes throughout his life."

Speaking at the occasion H.E. Ambassador Ashok Sen Chib said : "We are heartened and touched by the message of sympathy sent by the President of Egypt to our Prime Minister and by his action in declaring an official state of mourning throughout Egypt for one week and for sending an eminent leader H. E. Dr. Hafez Ghanem,

meaning understood by customary Law."

3. To interpret the intention of the contracting parties where the purpose is not clearly specified, and the law does not carry a stipulation about the purpose. Under such circumstances resort to custom becomes inevitable as provided for by articles 369, and 375-382 of the Civil Code of Iran.

Neither the Ottoman Civil Code (which is in fact the Law of a Moslem country based upon Hanafi sect and does not incompass all Moslem communities rules because there exist a great difference between how the Islamic Governments function and what Moslem do as well as the Moslem Law) nor other descriptive books annotating it have ever regarded custom as a source of Law. For example ; Eben Najim's book gives us a long narrative on custom with a great deal of examples how custom would operate in Islamic legal System. Exceptions are found in this book in cases pertaining to running water, the bulky nature of goods, and money interst, but in general, custom is not accepted as Law. There are several instances in this book where custom is regarded as Law, e.g. eating fruit that falls from trees, presenting gifts to judges before they are appointed and the giving of special gratuitues to judges, school teachers or priests. Use of food and drink for guests is also one of the cases mentioned in this book which is considered a custom.

Types of Customs

There are various types of cutom; some Islmic other have enumerated nine kinds of customs, but we will only consider two of them.

1. Oral and practical custom.

An oral custom is an act that means the normal exclamatory utterances of the people. A practical custom normally occurs in transactions ; e.g., the delivery of gas cylinder to consumer's place.

2. Common and particular custom.

A common custom is one that is practiced by all the people. A particular custom is one that is practiced by a special group of people. For example, inviting guests to a wedding party is a common custom, whereas payment of nursing money is a particular custom exercised in certain localities. Custom can be caled common or particular from the standpoint of time too.

CONFLICT BETWEEN CUSTOM AND LAW

In case of conflict between a custom and religious Law which one would prevail ? As stated

• Continued on page 16 •

The Ottoman Civil code accepts custom as the basis of Law but Ottoman Civil Law cannot be accepted as the basis of Islamic Law. The Hanafi sect recognizes custom and their values as previously stated Ebn Nejim has regarded custom as essential as does the Ottoman Civil code. Ebn Abideen has also analyzed the matter and has regarded common custom as valid but has hesitated in recognizing particular cusome as valid.

THE VALIDITY OF CUSTOMS IN SHIITE SECT.

What does the Shiite profess about the compulsory nature of customs ? According to one of the contemporary Islamic scholars of the shite sect, in Islam, customs carry no legal value and therefore cannot be considred as a religious order. A custom can be a means to express ideas or decisions in a certain matter. For example if a porter customarily carries goods to your front door you cannot expect him to carry those goods into the house. You may only request him to do so contrary to custom.

CONCLUSION :

Custom in Islamic Law does not substitute the Law, however it might be used as a guidance for decision making. If no Law could be traced to cover a particuler case, the judge is not allowed to pass his judment solely upon a custom. i.e. custom may be taken into consideration in the decision making process, but never as a valid basic rule. A custom can be utilized under the following circumstances :

1. Construing the Law, for instance, with regard to determining the age of maturity a custom may help us in ascertaining whether or not a particular person has attained he age of maturity or not.

Furthermore, an operative mistake would affect the validity of a contract, however, to determine whether a particular item is a part of the object of a transaction or not custom should be resorted to, e.g. when the optician sells a pair of eyeglasses, custom will define whether the glass case is included as part of the object of sale. A landowner may, at the expense of his neighbor, utilize his property provided that such utilization is essential to satisfy his needs or required to guard himself against a loss. The Civil Code of Iran specifies that certain categories of litigation should be setled in accordance with custom.

2. Custom also plays a major role in determining the meaning of contract terms and legal documents. Article 224 of the Civil code says :

"The wording of a contract shall be interpreted according to the

to constitute a custom.

2. Acceptability : Only those acts are accepted by pablic which are considered to be normal. Eccentric personal or group behavior and tastes, therefore can not be regarded as the bases for custom. For instance, hippie style clothing has not yet become accpted because it is not compatible with the sensible behavior of the majority of people.

3. Imperative nature : any practice whose observance is regarded to be compulsory is an imperative custom ; e.g. in Iran a man makes offer to a woman for marriage. If an act is not regarded mandatory then it would not be a custom. Hence it is generally accepted that the following acts are not custom : wearing a wedding ring, and wearing mourning clothes.

Examples of custom in transactions

1. Once an order is placed with a tailor for a suit all material except the lining is provided by the tailor ; (e.g. needles, thread, sleeves, and buttons). If the tailor furnishes the lining he charges extra for it.

2. Tipping shop attendants and asistants in the bazar used to be a custom in the past.

3. Another example of a custom is when a shopkeeper supplies his customers with bags for goods bought by them, whereas the customer should produce carton for goods bought ; if they are large and bulky. While some stores furnish their customers with carton but it is not a repetitive act and therefore has not become a custom.

THE VALIDITY OF CUSTOM IN HANAFI SECT

Some writers on Islamic Law maintain that custom cannot be recognized as a basic source of Law as laid down in the Holy Quran, but it might be considered as a Pre-requisite element of Islamic legal system upon the following grounds :

1. A number of traditions have been established on the basis of custom e.g., measuring wheat and barley by containers since they are considered bulk goods.

2. Some customs of the Arabs were accepted by the Prophet, and incorporated into the written Law of Islam :

3. With the progress of Islam and the conquest of other lands, all customs and traditions which were not in agreement with the Holy Quran and the Tradition of the Prephed, were abolished. Only those customs and traditions were approved which contributed to public welfare and order.

CUSTOM AND ITS SIGNIFICANCE IN ISLAMIC LAW

by

Dr. Abul Hassan Muhammadi

Faculty of Law, Tahran University, Iran

(The views expressed in the article are those of the author, and do not necessarily represent the views of the Magazine)

The vital and indispensable role which custom plays, in many legal systems has attracted the keen attention of prominent scholars of jurispodence, thus enriching this practical source of Law.

Custom as a source of Law, has always played an important role in the formation and development of social relation. This has been true in British and American Law, in Roman Law to a great extent, and in French and Iranian Law to a lesser degree.

The purpose of this article is to discuss and analyse only a few aspects of the subject in Islamic Law.

Study and research of matters that are considered compulsory custom can be classified as follows.

Some of Islamic scholars have dealt with custom in their books extensively among them we can name : Ibn Najim and Ibn A'bideen of the Hanafi sect, and Soiuti of the Shafei sect.

The Ottoman Civil code which followed Hanafi rules recognized custom and its validity. Article 36 of al-Majalleh is based on the theory

Definition of Custom.

Custom is defined in numerous ways by various scholars. It is described, in principle, as a practice agreable to common sense which has been repeated over generations and whose observance is considered to be compulsory

Elements of Custom

The three major elements of custom as derived from the above definition are as follows : Repetition. Acceptability and Imperative nature.

1. Repetition : A practice can be assumed as custom if it is repeated over a long period of time. For instance, it is considered a custom to entertain guests with food and beverage because as an act of courtesy, this has been repeated over many generations. While, on the contrary, giving gift to them has not

faces ... and (wash) your feet" as is done at the time of performing ablution with naked feet. The second reading, that is .... means ...... "wash your faces and wipe your heads and (wipe) your feet" with wet hands. The second reading allows one to wipe one's feet with wet hands, provided that one had washed one's feet and put on thick socks after the performance of the previous ablution. This concession holds good for 24 hours at home and for 72 hours during a journey. It is obvious from the two instances that in the variant readings, there is absolutely no contradiction in essence. On the other hand, they make the meanings all the more comprehensive. And the same is true of all the other variant readings.

orally because of the general illiteracy and scarcity of paper. Little difficulty was, however, felt by the literate Arabs in deciphering this script. Therewere thousands of such persons who had learnt the whole of the Quran by heart from the Holy Prophet himself and his Companions. They followed and taught the same reading that they had learnt - from the Holy Prophet and his Companions.

Hadrat Uthman not only sent an authenticated copy of the Quran to the different centres of Islam, but also sent a Qari along with it in order to preserve that correct reading which was taught by the Holy Prophet himself.

—With the passage of time it was felt that there should be vowel points to preserve the correct reading of the Quran. Accordingly, at the instance of Zaid, the Governor of Basrah (45 to 53 A. H) dots were assigned for vowel points. Then during the rein of Abdul Malik (65-85 A.H.) Hajjaj bin Yusuf appointed scholars to assign new symbols for vowel points and dots to distinguish between the similar letters. The same practice continues to the present time.

From the above historical facts, it must have become clear that the reading of the Quran (with a few minor variation) is the same as practised and taught by the Holy Prophet. All the scholars and Qurra of the Quran have been unanimous in asserting that only that reading will be authentic which (a) conforms to the script of the copy circulated by Hadrat Uthman and (b) complies with the levicon of Arabic, its usages, idioms and grammar, and above all (c) is traceable by genuine and contiuous links to the Holy Prohet himself. That is why there are only a few variations in its reading and those are not contradictory in their meaning but enlarge their scope and make them more comprehensive. Thus there is absolutely no doubt that the Holy Prophet himself practised those various reading in the instances which exist today and they make the meanings more comprehensive.

For example, let us take the two authentic readings of (a) verse 3 of Al-Fatihah and (b) verse 6 of Al-Ma'dah. One reading of 1 : 3, that is means the "master of the Day of the Judgement" and the other reading means, "the Sovreign of the Day of Judgement". It is obvious that these two reading make the meaning of the verse all the more clear. (c) One reading of V : 6 that is, means" .....wash your

such a possibility did not exist at that time, it was an act of most prudent foresight to make the Quran safe and secure against any possible alteration in the future by burning all other copies.

The Quran, which is now in use allover the world, is the exact copy of the Quran which was compiled by the order of Hadrat Abu Bakr and copies of which were officially sent by Hadrat Uthman to different places. Even today many very old copies are found in big libraies in diffent parts of the world and if anyone had any doubt as to whether the Quran has remained absolutely safe and secure against every kind of change and alteration, he can compare any copy of the Quran with any of these copies and reassure himself. Moreover, if one gets a copy of the Quran from a bookseller, say, of Algeria in Africa in the West and compares it with a copy obtained from a bookseller, say, of Java in the East, one will find both the copies to be identical with each other and also with the copies of the Quran made during the time of Hadrat Uthman. If even then anyone has any doubt left in his mind, he is advised to take any copy of the Quran from anywhere in the world and ask anyone, out of the millions who know the Quran by heart, to recite it word for word from the beginning to the end. He will find that the recitation conforms word for word to the written text. This is a clear and irrefutable proof of the fact that Quran which is in use today is the same Quran which was presented to the world by Muhammad (Allah's peace be upon him). A sceptic might entertain doubt about its revelation from Allah, but none can have any doubt whatsoever regarding its authenticity and immunity and purity from any and every kind of addition or omission or alteration, for there is nothing so authentic in the whole human history as this fact about the Quran that it is the same Quran presented by the Holy Prophet to the world.

Now let us consider the case of the variant reading of the Quran for their existence has created the misunderstanding that it has not remained intact. The following facts will help us to understand their nature and extent :

1.—The Arabic script adopted by the amanuenses of the Holy Prophet during his lifetime had neither dots nor vowel points. The same was the case with the copy of the Quran compiled by Hadrat Zaid during the time of Hadrat Abu Bakr and also with its copies circulated by Hadrat Uthman.

2.—Though the correctness of the Quranic text was ensured in written form, the work of its propagation was done

clear proof of the fact that he must have followed some order. And we have already cited a Tradition to the effect that Hadrat Zaid attended the second of these two last recitals. Likewise those Companions, who had committed the whole of the Quran to memory, must have done it in some order and that, too, could not have been any other but one followed and taught by the Holy Prophet.

Imam Malik says, "The Quran was compiled in the way the Companions heard it from the Holy prophet." Moreover, at several places, the Quran speaks of itself as a Book. For example, in surah Muzzammil, an early Makki revelation, Allah says to the Holy Prophet, '.......... recite the Quran in order ....' LXIII : 4. This also shows that the Quran was meant to be a Book from the beginning of the revelation and a book must follow some order.

D fference of Dialects

Though Arabic was the common language of the whole of Arabia, there existed some variations in the dialects of different parts and tribes.

For obvious reasons the Quran was revealed in the dialect of the Quraish of Makkah. However, the Arabs living in different parts of the country were, at first allowed, for the sake of facility, to recite it according to the dialect of their own clan or distrcit but this did not produce any difference in its meanings. But when Islam spread beyond the boundaries of Arabia and the Arabs came into contact with the non-Arab Muslims, the Arabic language gradually began to be influenced by its new environment. Then it was feared that the different dialects of the Quran might give rise to various kinds of mischief and might cause disputes among persons having different dialects. They might even begin to accuse one another of tampering with the Quran. Moreover, there was danger that the pure and beautiful Arabic of the Quran might be alltered or changed by those Arabs who came in contact with non-Arabs. Therefore, caliph Uthman, in consultation with other Companions of the Holy Prophet, decided that the authenticated copies of the Quran compiled by the order of Hadrat Abu Bakr, should alone be used in the whold of the Muslim world, and the use of all other copies in any other dialect or idiom should be prohibited. As a precautionary measure, he had all the other existing copies burnt to ward off any possibility of future confusion and misunderstanding. For instance, some of the Companions had noted down explanatory words and comments on the margins of their copies and it was feared that these might get mixed up with the original text of the Quran. Though

memory. Then it occurred to Hadrat Umar that necessary steps should be taken to preserve the Quran intact in its original form against any every kind of danger and that it was not wise to depend exclusively upon those who had learnt it by heart. He, therefore, urged that it was essential to put the whole of it in black and white in the form of an authenticated book. He tried to impress the necessity of this step on Hadrat Abu Bak, who at first showed hesitation to do what the Holy Prophet had not done. But after some discussion, he agreed to it. Accordingly, he entrusted this work to Hadrat Zaid bin Thabit who also showed hesitation at first like Hadrat Abu Bakr and for the same reason, but at last he was convinced and he undertook this historic work.

And he was best qualified for this work. He had frequently acted as an amanuensis to the Holy Prophet and was one those Companions who had learnt the Quran directly from him. Moreover he also was present on the occasion when the Holy Prophet recited the whole of the completed Quran to angel Gabriel. Arrangements were, therefore, made to collect and gather all the written pieces of the Quran left by the Holy Prophet, and those in the possession of his Companions. Then with the cooperation with those Companions who had committed the whole or any part of the Quran to memory word for word, all the written pieces were compared with each other for verification. Hadrat Zaid would not take down anything in his manuscript unless all the three sources tallied with one another. Thus was compiled one correct, authenticated and complete copy. This authenticated copy of the whole Quran was kept in the house of Hadrat Hafsah (Hadrat Umar's danghter, and one of the wives of the Holy Prophet) and it was procalimed that anyone, who desired might make a copy of it or compare with it the copy he already possessed.

As regards the sequence of the surahs, Zaid followed the same order that was followed by the Holy Prophet himself because he could not and would not have followed any other. He was so particular about following the Holy Prophet in every-thing he did, that, at first, he hesitated to undertake the work of the compilation just because this had not been done during the life-time of the Prophet.

It is therefore, wrong to suppose that the surahs were arranged in the existing order after the death of the Holy Prophet. The very fact, that the Holy Prophet recited the whole of the Quran twice before Gabriel during the last Ramadan of his life, is a

In this connection, another thing should also be kept in view. It does not suit the purpose of the Quran that all the surahs dealing with similar topics should be grouped together. In order to avoid one-sidedness at any stage of its study, it is essential that the Makki surahs should intervene between the Madani surahs and that the Madani surahs should follow the Makki surahs, and that the surahs revealed at the earliest stages of the Movment should come between those revelaed in the later stages so that the entire picture of the complete Islam should always remain before the reader. That is the wisdom of the present order.

It should also be noted the surahs of the Quran were not arranged in the present order by this successors but by the Holy Prophet himself under the guidance of Allah. Whenever a surah was revealed, he would send for one of his amanuenses and dictate it word for word and direct him to place it after such and such and before such such surah. Like-wise in teh case of a discoure or passage or verse that was not meant to be an independent surah by itself, he would direct him to the exact place where it was to be put in the surah of which it was to form a part. Then he used to recitie the Quran during the Salat (prescribed prayer) and on other occasions in the same order and direct his Companions to remember and recite it in the same order. Thus it is an established fact that the surahs of the Quran were arranged in the present order on the same day that the Quran was completed by the one to whom it was revealed under the guidance of the One who revealed it.

Compilation

Allah who revealed the Quran Himself made arrangements for its safety and security for ever.

No sooner was a passage of the Quran revealed than it was recorded on leaves of date-palm, bariks of trees, bones, etc., at the dictation of the Holy Prophet and all these pieces were put together in a bag. Besides this, some of his Companions themselves wrote these pieces for their own use. At the same time, the Muslims committed these passages to memory as they had to recite them during Salat which was obligatory from the very beginning of Islam.

Though many Companions had committed the whole of the Quran to memory during the life-time of the Holy Prophet, it had not been compiled in book form. But immediately after his death, an event occured that necessitated this work. A furious storm of apostasy broke out and many of the Companions, who went to war to suppress it, were killed. Among these martyrs were some of those who had committed the whole of the Quran to

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF QURAN - III

By

Moulana Abul Aala Maududi

ORDER

A little thinking in the light of the difference between the Makki and the Madani surahs will also answer the question why the surahs of the Quran were not arranged in the sequence in which they were revealed. This question is also important because it has been used by the enemies of Islam to create misunderstandings about the Quran and make ridiculous conjectures about the present arrangement of surahs. They are of the opinion that "Muhammad's (Allah's peace be upon him) followers published it, without any discernable order as to chronology or otherwise, merely, trying as would seem, to put the longest chapters first ......"

Such conjectures as this are based on ignorance of the wisdom underlying the order of the Quran. Though it was to be the book for all times, it had to be revealed piece-meal in twenty-three years according to the needs and requirements of the different stages through which the Islamic movement was passing. It is obvious that the sequence of the revelations that suited the gradual evolution of the movement could not in any way be suitable after the completion of the Quran. Then another order, suited to the changed conditions was needed. In the early stages of the movement the Quran addressed those people who were totally ignorant of Islam and, therefore, naturally it had first of all to teach them the basic articles of Faith. But after its completion the Quran was primarily concened with those who had accepted Islam and formed a community for carrying on the work entrusted to it by the Holy Prophet. Obviously, the order of the complete Book had to be different from its chronological order to suit the requirements of the Muslim Community for all times. Then the Quran had, first of all, to acquaint the Muslims thoroughly with their duties concerning the regulation of the their lives. It had also to prepare them for carrying its message to the outer world which was ignorant of Islam. It had also to warn them of the mischiefs and evils that appeared among the followers of the former prophets so that they should be on their guard against them. Hence Al-Baqarah and similar Madani surahs, and not Al-'Alaq and similar Makki surahs, had to be placed in the beginning of the Quran.

gathering and synthesising the knowledge and experience of many peoples. One of the most important Arab innovations was the compass. The properties of a magnetised needle were known to the Chinese, but it was the Arabs who first floated one in a glass basin filled with water.

From the aerliest days of Islam the Arabs had also been familiar with the quadrant, and the astrolabe, which were soon adopted by western sailors as well. The oldest astorlabe that has come down to us is perhaps that made by Ahmed ben Khalf in approximately 950. This device, later perfected in the English navy, was adopted in Europe under the name of arablest (al-Bilistri). Apart from the astrolabe already mentioned, with its sight-level, the dependence of western nautical science on that of the Arabs is shown by other Arab words found in a number of Mediterranean languages and brought this into English.

It was partly owing to the great naval victories that, less than a century after Prophet Muhammad's death, the Arabs controlled the seas from the Bay of Biscay to the Indian Border with China, and from the Arab Sea to the Cataracts of the Nile. The result was a huge, ever-increasing volume of mercantile and other traffic accompanied by an equally flourishing merchant maring. During the Abbasid period (749-1258) the ports of Baghdad, Basra, Siraf and Alexandria became great centres of sea borne trade.

In the West an Arab fleet, sacked the coast of France in the year 934—935 took Genoa and sailed along the coast of Calabria. Arab ships sailed to Spain and in 958 they followed the Atlantic coast to Europe. In 969 the Mediterranean fleet was reinforced by a large number of units built at Maqs, the port of Cairo.

In the east, Arab traders carried Islam to Indonesia and from Bsra they thrust out as far as China. The intercontinental traffic was on such a scale that the Arab Caliph al-Rashid (786—809) even planned improvements to the, canal across the Isthmus of Suez, thus anticipating de Lesseps' project.

naval victory was in 649, when Mu'-awiya conquered Cyprus. At Alexandria, in 652, Abdullah repulsed a Byzantine fleet supperior in both men and ships (about five hundred vessels). The two admirals finally destroyed this fleet completely at Phoenix in 655 ; the Emperor Constans 11, who was at the head of the Christian fleet, only just managed to escape.

The Mediterranean, then, also known to the Arabs as the Sea of Syria, was Muslim. In 668 an Arab fleet of two hundred vessels conquered Sicily, which had already been sacked by the Arabs in 652.

A consequence of trade and conquest and a logical outcome of the pilgrimages of Mecca and of the qibla was the development of geography. Ptolemy's Geography had been translated into Arabic in the ninth century and the great Arab geographers, among whom was Khwarizmi, 'flourished at this period. In the next century the most distinguished were Istakhir, Ibn Hawqal, Maqdisi and Hamadani. The greatest of the eastern Muslim geographers, Ya'qut, lived from 1179 to 1229 ; his colossal work greatly influenced the knowledge of astronomy and geogrophy in Europe. There are many references to Islamic voyages in the works of the Muslim geographers, especially in those of the travellers, al-Sharaf, al-Idrisi (1100-1165) and Ibn Battuta (1304-1377). Thus we know that there was little travel on the Mediterranean and the Black Sea, but a great deal on the Caspian Sea.

Arab navigation during the Middle ages was restricted to coasting. Indian sailors probably brought most of the cargo to Aden, whence Arab ships carried it across the Red Sea (at different periods to Qolzum-Suez near the Ptolemaic Canal of the Two Seas that linked the Red Sea with the Nile and was reopened for use in the seventh century ; to Tor in the Sinai; to Aidhab ; to Kosseir — these being Egyptian customs ports, perhaps the only ones).

In 1377 Ibn Khaldun wrote : 'Ships are bodies (constructed with the help) of geometry fashioned after the form of a fish and the way a fish swims in the water with its fins and belly. The shape is intended to make it easier for the ship to brave the water. Instead of the animal motion that the fish has, the ship is moved by the winds'.

The most important voyages were made by the Islamised populations of Africa, Persia and India, while the true Arabs made only coastal voyages, from port to port in the Red Sea. However, Arab navigators contributed significantly to the development of marine science, astronomy and geography in Europs as well as in their own countries,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RABIE THANI 1397	ENGLISH SECTION	APRIL 1977

THE ROLE OF ARAB NAVIGATION IN THE SPREAD OF ISLAMIC CALL

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

If the word 'Arab' is taken to mean all Semitic tribes stemming from the Peninsula. the Phoenicians can be considered an Arab race of first-rate navigators. They migrated from central Arabia to the Mediterranean coast about the middle of the third millenium B.C. They were of Amorrean stock and once they bad settled on the centarl North African coast, they became renowned for their trading voyages and their colonies on the coasts of Italy, France and Spain.

If, however, we take 'Arabs' to mean only the Ismaelites, the first evidence of navigational skill leads to 'the mercantile power of south Areabian pre-Islamic kingdoms of Saba, Minea. Qataban, Hadra maut and Himyar.

These grew up at the geographic centre of the great civilizations of the period, Egypt, Babylon, the Sind, Greece, Rome and Byzantium. Continuing export and import made South Arabia one of the richest countries of the ancient world. Much of the merchandise was transported over the great caravan route that led from South Arabia through Mecca and Medina to the Mediterranean.

Arab navigation parallels the conquests and expansion of Islam. Following their ocoupation of Egypt, the Arabs reinforced their naval strength with the Byzantine fleet, which they had just conquered. The first Muslim fleet had been built in the shipyards of Alexandria by Abdullah ibn Sa'd ibn Abi Sarh, Governor of Egypt (A.D. 645). With his co-admiral Mu'aiya, Governor of Syria, he launched a series of attacks against the Byzantine fleet. The first great Arab

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة التاسعة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٧هـ — يوليو سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٦ —

قلنا فى نهاية مقالنا السابق :

قد يتساءل انسان عن نوعية العلم الذى يدعو اليه الاسلام ...

ان العلم الذى يدعو اليه الاسلام هو العلم بالطبيعة . والاحياء ، والكيمياء ، والطب وغير ذلك من العلوم المادية ، وهو بالضرورة أيضا علم الدين ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ... وان الآية الكريمة :

(انما يخشى الله من عباده العلماء)

انما وردت فى معرض الحديث عن الكونيات المادية .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) .

وما من شك فى أنه بمقدار تعمق الانسان فى الجانب العلمى على أساس من الايمان وفى صدق واخلاص تكون خشيته لله : ذلك

أنه يرى من نواميس الكون ، ومن الاتقان فى الخلق ، ومن الحكمة فى التدبير ما يجعله يسجد لمبدع الكون ومنسقه .

وان هؤلاء الذين يتصلون مثلا بعلم التشريح من قرب ، أو يتخصصون فيه ، يرون من الاحكام المحكم ، ومن الدقة الدقيقة فى مختلف الأجهزة الجسمية ، وفى مفردات هذه الأجهزة ما يضطرهم اضطرارا الى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والابداع .

وليس علم التشريح وحده هو الذى يبهر العالم المتبحر فيه ، وانما يبهر علم الفلك العالم الفلكى : انه يرى هذه النجوم التى لا تكاد تعد ، تسير فى هذه السعة الكونية الهائلة فى ترتيب وتناسق واحكام :

(لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) ...

وعالم الأحياء وهو يتأمل عوالمه ، ويفاجأ كل يوم بجديد وغريب وبديع فيها .

ان هؤلاء جميعا وغيرهم يجدون أنفسهم لا محالة أمام صنع الله الذى أتقن كل شىء صنعا فيقولون مع القرآن الكريم :

(تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

وصدق الله اذ يقول :

(انما يخشى الله من عباده العلماء) .

لقد أحدث الاسلام فى الدنيا — بموقفه هذا من العلم — نهضة علمية ، كان من ثمارها الحضارة الاسلامية التى كانت تسمى البحث فى الطبيعة ، وفى الكون : هذه التسمية الجميلة :

« العلم بسنن الله الكونية » .

فعلم الطبيعة فى الصورة الاسلامية ، هو العلم بسنن الله الكونية .

وقد يتساءل انسان عما اذا كان الاسلام أطلق العلم اطلاقا أم قيده بقيود ؟

ان (اقــرأ) التى افتتح الله سبحانه بها وحيه الكريم قيدت منذ المبـدأ ـ مباشرة ـ بأن تكون : ﴿ باسم ربك ﴾ .

والعلم فى الاسلام ـ هذا العلم بالدين وبالمـادة ـ لا يقيـده فى الاســلام الا أن يكون فى اتجـاه ربانى .

ان الاســـلام يوجب أن تكون أسس العلم متسمة بالخير ، ويوجب أن تكون غاياته منغمسة فى الخير ، ويجعل من العـلم قربى الى الله ، ويجعل منه عبـادة لله ، انه سبحانه يجعله باسمه الكريم .

ومن الملاحظات الدقيقة فى هــذه الكلمـات التى كانت فى افتتـاح الوحى أن الله سبحانه لم يقل : اقرأ باسم الله ، وانما قال : (اقرأ باسم ربك) أى اقــرأ باسم المربى ، أى (اقرأ) فى إطار التربية الالهية .

ومنذ اللحظات الأولى فى الاسلام اتســم العـلم بالخير ، واستهدف الخير ، لم يستهدف العلم الاسلامى فى يوم من الأيام التنكيل بالانسانية، أو الاستعلاء ، أو التسابق من أجل ايجاد وسـائل التدمير والتخريب ، كلا .. وانما هو قراءة باسم المربى، وكان العلم الاسلامى من أجل ذلك ضرورة ، وليس ترفا .

وقد يتساءل انسان أيضا عما اذا كانت هــذه النهضــة العلمية التى دوت فى أرجـاء العــالم منطلقة عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لها أثر فى النهضة الأوربية؟

وعن ذلك نترك العالم الانجليزى الكبير الأستاذ (بريفولت) صاحب كتاب (بنـاء الانسانية) يتحدث ، وهو عالم منصف ، أنصف الحضارة الاسلامية بعد أن ظلمهـا الغربيون قرونا متعددة ... انه يقول :

ان « روجر بيكون » درس اللغة العربية ، والعلم العربى ، والعلوم العربية ، ، فى مدرسة « اكسفورد » على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس، وليس « لروجـور بيــكون » ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى فلم يكن روجـر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج

الاسلاميين الى أوربا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة . والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى ، هى طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية . وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا وانكب الناس فى لهف ، على تحصيله فى ربوع أوروبا) .

ويقول : (لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . ان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام . ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوربية) .

ويقول : (فانه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره ــ أى فى العلوم الطبيعية وفى روح البحث العلمى) .

ويقول : (ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه الينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم الى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، انه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعلم القديم كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود . وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم ولم تتأقلم فى يوم من الأيام فتمتزج

امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية . وقد نظم اليونان للمذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة . وجمع المعلومات الاجابية وتركيزها والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبى كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم الا فى الاسكندرية فى عهدها الهلينى . أما ما ندعوه العلم فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات الى صورة لم يعرفها اليونان . وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب الى العالم الأوربى) .

عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

امواج البحر :

« المدارس ، والمساجد ، والبيع ، والكنائس ، ووزارة الداخلية ، هذه كلها لن تهزم الشاطىء .

فأمواج النفس البشرية كأمواج البحر الصاخب ، تنهزم ابدا لترجع ابدا .

لا يهزم الشاطىء الا ذلك « الجامع الأزهر » ، لو لم يكن قد مسخ مدرسة ! فصرخة واحدة من قلب الأزهر القديم ، تجعل هدير البحر كانه تسبيح .

وترد الأمواج نقية بيضاء ، كأنها عمائم العلماء . وتأتى الى البحر باعمدة الأزهر للفصل بين الرجال والنساء . . . .

يا لحوم البحر : سلخك من ثيابك جزار . . . !

« وحى القلم جـ ٢ »

نظرات فى سورة يوسف

للعلامة أبو الحسن الندوى

ما أجمل قصة يوسف الجميلة الرائعة التى حكاها الله تعالى كاملة مفردة فى سورة يوسف ، ويوسف كله جمال فى حياته وسيرته ، وفى أخلاقه وتصرفاته وفى ضعفه وخموله ، وفى مجده وأبهته ، وفى صبره واحتماله ، وفى رجائه وايمانه ، وفى وعظه ودعوته ، وفى صفحه وكرمه ، وفى سماحته وسخائه ، وفى بدايته وفى نهايته ، وكل حديث عن يوسف جميل جليل ، حلو عذب .

فياطيب اخبار وياحسن منظر :

نطالع فى القرآن سورتين جليلتين ، نزلتا لتسلية النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، الذين كانوا يعيشون فى أقسى الظروف التى جربها فرد أو جماعة فى تاريخ الانسانية الطويل ، والنبوءة بالمستقبل المشرق الباهر الذى لا يبلغ اليه قياس الأذكياء ، لا كهانة الكاهنين ولا طموح الطامحين ، احداهما سورة يوسف والأخرى سورة القصص ، وكلتاهما مكيتان الا أن الأولى تتناول شخص الرسول الكريم ، وتبشر بمستقبله العظيم ، والأخرى تتناول جماعة المؤمنين ، المضطهدين المعذبين وتنبىء بانتصارها وازدهارها ، وسيادتها ، وقيادتها ، وقد كان المجتمع الاسلامى المستضعف الممتحن فى مكة فى حاجة ملحة الى ذلك لتقوية عقيدته وايمانه ، وثقته بمركز التوجيه ، ومصدر الاشعاع ، وثقته بمستقبله المضمون المكفول ، وكان الذين يحاربون هذه الدعوة وزعيمها ، وأتباعه ، ويسومونهم سوء العذاب ، ويتكهنون بزوالهم السريع وفنائهم القريب ، فى حاجة كذلك الى هذه النبوة الجريئة المجلجلة ، الخالعة

للقلوب ، فسورة يوسف تبدأ بقوله تعالى: « لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين (١) » ، ويتوسط السورة بقوله : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (٢) » وتختم السورة بقوله : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » ، وكلها اشارات لطيفة بل تصريحات مكشوفة بالفتح العظيم الذي يبدد الظلام ويننفى الأوهام ويشق الطريق الى الأمام ، ويجعل من الشخص الضعيف الطريد المجفو سيد الأمة وملك البلاد وقابض الزمام .

وتبدأ سورة القصص بالاعلان الملكى الصارخ المفزع : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٤) » ويتوسط السورة قوله : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين (٥) » ، وختم السورة بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٦) » فجاءت السورتان على تفاوت بين زمن نزولهما — ولكن كلتيهما نزلتا بمكة — بلسما لجروح المسلمين لا يعرف وقعهما فى القلوب، وسحرهما فى النفوس الا من عاش فى ذلك المجتمع المخنوق ، المرهق بالجراح والمتاعب ، وفقه القرآن وعرف أسلوبه ، وتذوق معانيه ، ولا تزالان مادة سكينة وسلوى ، وثقة وبشارة لكل داعية مجفو ،

---

(١) سورة يوسف ٧
(٢) سورة يوسف ٩٠
(٣) سورة يوسف ١١١
(٤) سورة القصص ٥
(٥) سورة القصص ٥٨
(٦) سورة القصص ٨٣

محارب ، ولكل دعوة مضطهدة مطاردة ، ولكل جماعة مؤمنة ، تتألب عليها القوى ، ويتنمر عليها الأعداء ويرمونها عن قوس واحدة :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون (١) » .

لقد اجتمع ليوسف شخصيا ، ولبنى اسرائيل مجموعة جميع الأسباب والظروف الموجبة لخيبتهم واخفاقهم فى كفاح الحياة ، والخمول والضياع ، والفناء والانطواء والبقاء على وضع ذليل ، فقد بيع يوسف كعبد رقيق ، واشترى بثمن بخس دراهم معدودة تدل على رخص السلعة ، وهوانها فى عين البائع والمشترى ، ودخل فى قصر عزيز مصر عبدا رقيقا لا يعرف أحد نسبه ، وطيب أرومته ولا كرم معدنه ، ثم اتهم بتهمة خلقية شنيعة كثر عنها الحديث ، وتناولتها الألسن ، وشاعت فى المجتمع ، ودخل السجن متهما ، لا مدافع عنه ولا مزكى له ، كل ذلك كان كفيلا بتخلفه فى المجتمع ، وبقاءه فى غياهب السجون تحيط به هالة الأراجيف والاشاعات ، والظنون والشبهات والاحتقار ، والامتهان ، ويزيد فى محنته وبلائه أنه غريب فى مصر لا يتمتع بوطنية وجنسية ولا يتصل بالشعب الحاكم والأسرة الحاكمة بنسب أو دم وهو فرد من أفراد شعب ينظر اليه الشعب المصرى المتمدن الراقى ، المتغطرس ، نظرة هوان واحتقار ، ولا يرى فردا من أفراد هذا الشعب المتخلف كفوا لوظيفة كبيرة ، فضلا عن السيادة والقيادة ، وتقلد وزارة أو صدارة ، كل ذلك كان كافيا ليجعل مستقبل هذا الشاب الغريب ، مظلما يائسا ، ويختم على حظه ومصيره ختما لا تفضه يد بشر ولاحيلة عقل .

ولكن يوسف قد خرج من كل ذلك خروج السيف من الجلاء ، والابريز الخالص من النار ، وسطع نجمه وبزغ نوره كطلوع البدر فى الليلة الظلماء ، وقد ذكر يوسف فى

---

(١) سورة هود ١٢٠ ـ ١٢١

صدقه النبوى ، وفى بلاغته النادرة ، وقد تساءل اخوته الذين فوجئوا برؤيته على عرش مصر ومعرفته بعد جهل طويل ، وقالوا فى دهشة وفزع: « انك لأنت يوسف » ؟ ، قال : «أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين»(١)، انه هو التقوى والصبر اللذان قد تجليا فى يوسف بأروع مظاهرهما وأبدع آياتهما حتى أصبحت قصة يوسف رمزا للتقوى والصبر وعنوانا لهما .

وهذه قصة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقصة أمته ، وقصة الدعاة فى أمته ، فى كل زمان ومكان ، وفى كل جيل وعصر .

وقد اشتملت قصة يوسف على فصول كثيرة من المحنة والبلاء ، قلما تجتمع فى قصة رجل واحد ؛ ذلك ليكون درسا وعبرة ، لكل داعية فى كل محنة ، ولكل مؤمن فى كل نكبة ، ثم انتهت هذه القصة الجليلة بفصل رائع ونهاية عظيمة تغمر النفوس ثقة وايمانا ، وسكينة وحنانا ، وتطمع الطامعين فى رحمة الله ، ولطيف صنعه ، ودقيق حكمته .

انسان تبتدىء قصته من التعرض لحسد الاخوة وبنى الأب ، ومكيدتهم ، ومعرتهم التى قلما تعرض لها انسان ، فمن حضانة الوالد الشفيق الرفيق ورعايته الى ظلام الجب ووحشة الصحراء ، الى رق القساة الذين يبيعونه بثمن بخس دراهم معدودة ، الى خدمة عزيز مصر ومكيدة امرأته ومؤامرتها ، الى التهمة الشنيعة التى هو منها برىء كبراءة الذئب من دمه ، الى محنة السجن ، والقالة التى تشيع فى البلد الى الخروج منه مكرما مبجلا ، مطلوبا مدعوا الى تقلد أعظم مركز وأدقه فى حكومة متمدنة وبلد راق ، الى احتياج الاخوة الذين جازفوا بحياته ، الى رفده وبره ، واعترافهم بجنايتهم وخيانتهم ، الى الاجتماع بالأخ الشقيق ، والأب الشفيق ، وقرة عين برؤيتهم ، والاجتماع بهم بعد فرقة طويلة ، والاستئناس بهم بعد وحشة طويلة ، وقرة عينهم كلهم برؤية مجد بيتهم ، وسلطان عشيرتهم ،

---
(١) سورة يوسف ٩٠.

قصة ذات فصول ، كل فصل آية فى الجمال والجلال ، وفى الدقة والكمال ، كل فصل حلقة جميلة محكمة فى سلسلة حوادث ، قدرها العزيز العليم صنع الله الذى أتقن كل شيء .

وتتسم قصة يوسف بأربع خصال سيطرت على حياته كلها ، هى النزاهة والاستقامة ، وكبر النفس وعلو الهمة ، والحكمة والفقه ، والانابة والعبودية ، لقد كان يوسف نزيها مستقيما فى جميع المراحل والتجارب التى مر بها فى حياته ، كان نزيها مستقيما فى قصر العزيز يوم امتحن امتحانا تزول له الجبال الراسيات ، فقد تهيأ له من أسباب الاغراء والاستهواء – من الجمال والمال والسلطان والشباب ، والصحة والأمن من كل شبهة وتهمة – ما لو تهيأ أقله لأحد لكان كافيا لفتنته ، وقد كان مطلوبا أشد الطلب ، وألحف الطلب، ولكنه تمرد على كل ذلك ،وثبت على كل ذلك ، وقال كلمته الخالدة التى تجلى فيها الكرم ، وصفاء المعدن ، والاعتراف بالاحسان ، وتجلى فيها الايمان بالغيب ، والعلم بسنن الله ونتائج الأعمال : « معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون (١) » ؛ وكان نزيها مستقيما فى السجن فى معاملته برفاقه ، ومن تولى أمرهم حتى حاز ثقتهم ، واستولى على قلوبهم حتى خاطبوه بقولهم : « يوسف أيها الصديق (٢) » ، وقالوا : «انا نراك من المحسنين(٣)»، وكان نزيها مستقيما فى ولايته وفى تصرفاته حتى أحبه أهل البلاد ، وسرى بحديثه الركبان ، فقال له بنو يعقوب الغرباء البعداء : «انا نراك من المحسنين (٤) » .

وكان كبير النفس عالى الهمة حين عصى سلطان النفس ، وسلطان الشباب ، وسلطان الجمال ، وسلطان ربة البيت ، وآثر الباقى على الفانى،

---

(١) سورة يوسف ٢٣
(٢) سورة يوسف ٤٦
(٣) سورة يوسف ٧٨
(٤) سورة يوسف ٧٨

والغيب على الشهود ، وحفظ السيد الغائب فى حرمته ، وفى أعز متاعه ، وكان كبير النفس عالى الهمة حين آثر شقاء السجن على سعادة القصر ، والتعب على أساس الأمانة ، على الترفه على أساس الخيانة ، وقال : « رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه (١) » ، وكان كبير النفس عالى الهمة ، حين جاءته الدعوة الكريمة من تلك البلاد ، وصاحب العرش ، فرفضها واعتذر عن قبولها فى كبر نفس وعلو همة ، وقال : « ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة التى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (٢) » ، وكان كبير النفس عالى الهمة ، حين لم يقبل أن يعيش مدللا مترفها يأكل من فتات مائدة الملك ، فطلب أن يتولى أدق مركز فى حكومة مصر ، وقال فى ثقة بمواهبه التى أكرمه الله بها : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم (٣) » وكان كبير النفس عالى الهمة ، واسع الأناة ، صبورا حين لم يفش سره لاخوته ، حتى جاءت المرحلة التى أذن الله له فيها ، فقال : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون (٤) » .

وتجلت حكمته وفقهه فى موعظته البليغة التى واجه بها صاحبيه فى السجن ، وهى من قطع الدعوة الحكيمة ، والموعظة الحسنة الخالدة فكأنها قطعة من نفسه ، وقبس من التى لا يقدر عليها غير الأنبياء ، جماله كلما تأمل فيها عاقل رزق سلامة الذوق ، ورقة الشعور ، وصفاء الوجدان ، بهر بجمالها وتناسبها ، جاءه زميلان من أصحاب السجن يحكيان له رؤياهما ، وقد شغلت الرؤيا فكرهما وأفزعتهما : فليس لهما هم غير هذه الرؤيا ، وقد واجههما يوسف مواجهة مؤسسة على الحكمة البليغة ، والمعرفة العميقة لطبائع الانسان ، ودخائل النفس مواجهة تجلت فيها الحكمة ، والرحمة ، والرقة ، والصرامة ، لقد كانا قبل كل شىء

---

(١) سورة يوسف ٣٣
(٢) سورة يوسف ٥٠
(٣) سورة يوسف ٥٥
(٤) سورة يوسف ٨٩

فى حاجة الى العلم . بأنهما لم يخطئا فى الاختيار ، وانهما انما يخاطبان الخبير العليم الذى هو « صاحب الاختصاص » فى هذا الموضوع ، وذلك أول ما يحتاج اليه المريض حين يقصد الطبيب ، والتلميذ حين يختار المعلم وكانا فى حاجة الى أن يعرفا أن حاجتهما ستقضى فى أقرب مدة ، وفى أول فرصة ، وهى حاجة المريض والمنكوب ، والطالب الصادق ، فجمع بين ذلك يوسف ، وقال مطمئنا مسليا مؤكدا :

« لايأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى (١) » ، وهكذا اطمأن الرجلان ، وارتاحا الى علم يوسف ، والى أن غرضهما سيتحقق قريبا .

وعرف يوسف أن آذانهما وقلوبهما قد تفتحت له ، وانها لا تتفتح فى كل وقت ، وأنهما قد تهيئا لسماع ما يلقى اليهما من قول، وما يخاطبهما به من حكمة ، فقد نشطت الآذان ، ورقت القلوب وتفتق الشعور ، فانتهز يوسف هذه الفرصة السانحة الغالية التى ليست الا كوميض البرق ، فصمم على أن يدخل فى هذه الآذان المفتوحة ، وفى القلوب الرقيقة كلمة حكمة ودعوة ، هى أهم لهم وأنفع من ارتباطها بهذه الأحلام ، ولكنه لم يرد ، وهو الحكيم العطوف أن يغير على هذه القلوب وأن يهاجمها مهاجمة عنيفة ، فينغلق الباب المفتوح ويجمح القلب الأليف ، فوصل الدعوة بمعرفته التى كان فى حاجة الى ذكرها صلة رفيقة رقيقة ، وتدرج منها الى الدعوة الى التوحيد تدرجا لم يثقل على قلب المستمعين ، ولم يشعروا بهذا الانتقال اللطيف ، بل جاء كالماء الزلال السلسال ، الذى لا يستثقله العطشان ، بل يتهافت عليه الانسان الظمآن ، فقال واصلا بقوله ذلكما مما علمنى ربى : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٢) » ، وذلك سر معرفته وسبب كرامته ، ثم قال

---

(١) سورة يوسف ٣٧

(٢) سورة يوسف ٣٧

وقد تهيأ له الجـو ، واستعدت له القلـوب ، : « واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولـكن أكثر الناس لا يشكرون (١) » ، ثم تقدم قائلا وقد نشطت الآذان والقلوب ، وأساغت السابق وتهيأت للاحق ، :

« يا صـاحبى السـجن أأربـاب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبـدون من دونه الا أسـماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهـا من سلطان ان الحكم الا لله ، أمر أن لا تعبـدوا الا ايـاه ذلك الدين القيم ولـكن أكثر النـاس لا يعلمون (٢) » .

وهنا عرف يوسف أن الوجبـة الأولى قد تمت ، وأنـه ليس من الحكمة أن يزيد فيها ويطيل الكلام ويقف طـويلا بينهم وبين ما جاءوا له ، فهذا هـو التناسب الذى لا يشـعر به الا الأنبيـاء والعلمـاء الربانيون ، وقـد جاء فى حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا ، وكان مما أوصى به داعيين من الدعاة أرسلهمـا الى اليمن . يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فهنالك

وقف يوسـف وبدأ يؤول لهمـا أحلامهما ، فقال: « ياصاحبى السجن اما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان(٣) » وبذلك جاءت هذه الموعظة البليغة نموذجا رائعـا لدعوة الأنبيـاء ، ومعجزة باهرة من حكمهم ، ومادة لاتنقطع لأصول الدعوة وحكمتها ، ومناهجها فى كل عصر .

وتجلت انابته وعبوديته فى جميع مراحله فلم يصـلف ولم يتبجح ، ولم يرجع الفضـل الى نفسه وقوة مقاومته ، فقـال وقـد استطاع أن يستعصى على هذا الجو من الاغراء والاستهواء وثبت فيـه كالصخرة الصماء (وان لا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين)(٤).

---

(١) سورة يوسف ٣٨
(٢) سورة يوسف ٣٩
(٣) سورة يوسف ٤١
(٤) سورة يوسف ٣٣

وقال حين ثبتت براءته ونزاهته : « وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم » (١) وتجلت هذه الانابة والعبودية ، والافتقار يوم بلغ الى قمة مجده ، وأوج سعادته ، والى القارىء الكريم تفصيل ذلك ـ :

يتربع يوسف على أريكة مصر ذات النيل السعيد ،والخصب المزيد ويتم له الأمر والنهى فيها ويتم له من المجد والعظمة ، ونفوذ الكلمة وبسطة السلطان ، مايتم لأكبر حاكم وأعظم وال فى الدنيا ، فهو الرجل الذى يخشى ويرجى ، وتأتيه الدنيا راغمة صاغرة ، ثم لا يشغله كل ذلك عن التواضع ، لا يشغله عن ربه وعن معرفة نفسه ، وعن تذكر مصيره ، ولا يذهله عن قيمته وحقيقته ، ولا يذهله عن ايثار الآخرة على العاجلة ، والباقية على الفانية وعن ايثار آبائه الفقراء الزاهدين الذين عاشوا فى شظف من العيش ، وفى تقشف من الحياة على الأمراء الباذخين ، والملوك الجبارين الذين جلسوا على عرش مصر وغير مصر .

لقد تقلد يوسف العزيز أعظم منصب وأكرم مركز فى حكومة مصر المتمدنة الواسعة ليخدم عيال الله ، وليرفه البلاد والعباد ، وليؤدى الأمانة الى أهلها ، لقد فعل يوسف كل ذلك بحكم الضروة ومقتضى المصلحة الواقعة فكان فيه برا تقيا ، أمينا قويا ولكن قلبه لم يتعلق بذلك ، ولكن الملك لم يسترقه ولم يتملك قلبه ، انه بقى يحن الى معيشة آبائه الزاهدين ، قائما بدعوتهم ، محافظا على أماناتهم ، ولما علا نجمه ، وكمل مجده ، وتم اقباله ، فاض لسانه وجنانه بالحمد والشكر والاعتراف والدعاء ، الأثير الحبيب ، والأمنية اللذيذة العزيزة ، فقال :

« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض ، أنت وليى

---

(١) سورة يوسف ٥٣

فى الـدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (١) » •

وهكذا كانت نهاية هـذه القصة الجميلة الرائعة ، فكانت خير نهاية لقصة انسان مؤمن عريق فى الكرم وبيت النبوة ، ولانسان عظيم ونبى كريم •

وهـذه الخصـال الأربع ميراث النبوة ، وطبيعة الأنبياء وأفضل ما يتجمل بها الدعاة الى الله ، وخلفاء الأنبياء ، والربانيون فى كـل عصر وجيل ، وهى سلاح الدعوة الماضى وكنزها الذى لاينفد، ومددها الذى لاينقطع ومفتاح خزائن الله فى كـل عصر ومصر ، وهو المنهاج الـذى يجب أن يكون موضوع الدراسة ومـادة التقليد •

وسيرة محمـد ـ صلى الله عليه وسـلم ـ من أشـبه السير بسيرة يوسف ، فكلاهمـا من معدن كريم وأثيرحبيب ، وكلاهماحسد وعودى وكيد له ، وكلاهما أقصى من وطنه وكلاهما لبث مختفيا متواريا ، ذلك فى غيابة الجب ، وهذا فى ظلام الغار وكلاهمـا بلـغ ما أراد الله به من الكرامة فى موطن الغربة ، وفى دار الهجـرة وكلاهما أمـد أعـداءه الحاسـدين الـكائدين بالميرة والقوت فى عام المجـاعة وكلاهمـا جاءه اخوتـه الحاسدون ، وقالوا له: «تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين(٢)» وكلاهما كان جوابه : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهـو أرحم الراحمين (٣)، وهكذا كانت سورةيوسف مرآة وضيئةيرى فيهارسول الله ـ صلىالله عليهوسلم ـ قسمات وجهه المنـير ، وملامح مستقبله الزاهر ، ويقرأ فيها قصته وما يؤول اليه أمره فى الغد القريب كما كـانت سورة القصص مـرآة صافية يرى فيها الصحابة والمسلمون فى العصر الأول ، والمسلمون الذين يلقون عنتـا ، ويواجهون اضطهادا وتعذيبا ، وسخرة ومحاولة القضاء على مقومات شخصيتهم ، مـلامح وجوههـم ، وصورة مستقبلهـم ، وصدق الله العظيم :

(لقدكان فىقصصهم عبرة لأولى الألباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهـدى ورحمـة لقوم يؤمنون) (٤) • **ابوالحسن الندوى**

(١) سورة يوسف ١٠١
(٢) سورة يوسف ٩١
(٣) سورة يوسف ٩٢
(٤) سورة يوسف ١١١ •

دراسات قرآنية :

الأشهر الحرم - لماذا حرمت ؟

هل حرمتها باقية ؟ - رجب مضر

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

(التوبة : الآية ٣٦)

البيان

أفادت هذه الآية الكريمة أن عدد الأشهر فى السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، وأن ذلك النظام فى كتاب الله منذ خلق الله السموات والأرض .

واختلف العلماء فى تفسير المراد من كتاب الله ، فمنهم من قال : هو اللوح المحفوظ ، ومنهم من قال : هو ما كتبه الله وأوجبه من الأخذ بهذه العدة لايتجاوزونها ،

والذى يبدو أن المراد به ماكتبه الله وأوجبه تنجيزيا يوم خلق السموات الأرض من النظام الزمنى الذى تدور عليه معرفة عدد السنين والحساب ومصالح الناس فى كوكبنا الأرضى ، ويشهد لذلك قوله تعالى : « يوم خلق السموات والأرض » فهو يشير بذلك الى أن ذلك النظام مقدر وثابت ومنفذ منذ بدء الخليقة لمصلحة البشر .

وهكذا شأن الله تعالى فى ملكه ، فقد أعد لكل كوكب ما يليق به من النظم التى يصلح بها منذ بدء الخليقة « فتبارك الله أحسن الخالقين »

ومن هنا تظهر فائدة النص على أن السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، فلولا أن الله تعالى يريد بذلك الاشارة الى أن ابداعه وتنجيزه الدورة القمرية الشهرية والسنوية لمصالح عباده منذ خلق السموات

والأرض لما كان هنا داع للنص على عدد شهور السنة ، فانه أمر معروف

وقد فهم من هذا التأويل : أنه لا ينبغي تفسير كتاب الله بعلمه أو قدره الأزلي ، فانه سابق على خلق السموات والأرض ، واذا كان كذلك فلا يصح توقيته بيوم خلق السموات والأرض ، وانما الذي يوقت بذلك هو الكتاب التنجيزي الذي كتب يوم خلق السموات والأرض وفق علمه الأزلي القديم جل وعلا .

وكما أن النص على عدد شهور السنة القمرية يشير الى ما ذكر ففيه فائدة أخرى ، هي ابطال زيادة بعض العرب شهرا أو شهرين في السنة ، لتكون ثلاثة عشر شهرا ، أو أربعة عشر ، فربما تأزمت الأمور بينهم ،فيحللون ذا الحجة،ويؤخرون تحريمه الى شهر يجعلونه بعده وقبل المحرم ، فتزيد السنة بذلك شهرا ، محافظة منهم على أن تكون الأشهر الحرم أربعا ، وربما فعلوا ذلك في ذي القعدة وذي الحجة ، فتزيد السنة شهرين ، ولهذا نص على أن السنة اثنا عشر شهرا في الكتاب والسنة تأكيدا للتشريع ، حتى يمتنعوا عن النسيء لتبقى الأشهر الحرم في مواقيتها وليؤدي الحج في شهر الحجة الذي نسأوا تحريمه .

وأحيانا يدور بهم اللعب بالأشهر الحرم حتى يجعلوا ذا الحجة مكان شهر ذي القعدة ، ولهذا حج سيدنا أبو بكر بالناس في ذي القعدة حيث جعلوه مكان ذي الحجة ، وصرفوا الناس للحج فيه ، وقرأ أبو بكر على الناس سورة التوبة ، وفيها أبطل الله هذا النسيء ، وأعاد الشهور المحرمة الى مواضعها ، وذلك بقوله تعالى : « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا » الآية وفي السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في ذي الحجة وقال : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا »

وقد نص الله في هذه الآيه على أنه جعل منها أربعة أشهر حرما

يحرم فيها القتال ، وبين أن ذلك هو الدين القيم ـ أى المستقيم ـ

وكان ذلك فى شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وظل العرب يتوارثون احترامها من بعدهما ، ويكفون عن القتال فيها منذ عهدهما وكان الرجل منهم يلقى قاتل أخيه أو أبيه فلا يتعرض له ولا يؤذيه .

رجب مضر

والشهور الأربعة الحرم واحد منها فرد ـ وهو رجب ـ وثلاثة سرد ، هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم،وقد بينها النبىصلى اللهعليه وسلم فى حجة الوداع بقوله: «يأيها الناس ان الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئتة يومخلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضربين : جمادى وشعبان ـ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » رواه الامام أحمد ، كما رواه أصحاب السنن بهذا المعنى .

وأخرج الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ورجب مضر » .

واضافة رجب الى مضر ، لأنهم كانوا يحافظون على موضعه بين جمادى وشعبان ، بخلاف ربيعة ، فانهم كانوا يجعلونه فى موضع رمضان ، ويعطونه اسم رجب .

رجب منصل الأسنة

كان العرب يطلقون على رجب (منصل الأسنة) أى مخرجها من أماكنها فىالرماح والسهام(١)، أخرج البخارى عن أبى رجاء المطاردى قال : « كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو خير منه ، ألقيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به فاذا دخلشهر رجب قلنا: منصل الأسنة، فلم ندع رمحا فيه حديدة،ولاسهما فيه حديدة الا نزعناها ، فألقيناه »

---

(١) يقال : نصله وانصله اخرجه : قاموس .

الأشهر الحرم وقت هدنة

كانت الأشهر الحرم وقت هدنة فلا يتقاتلون فيها ، لأن حرمتها موروثة منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وقد شرع الله تحريم القتال فيها ليثوب المقاتلون الى رشدهم بعد أن يحصوا قتلاهم ، ويدركوا مقدار خسارتهم فربما اتجهت نفوسهم الى المصالحة وقبول سعى الخيرين من زعماء القبائل وحكمائهم لانهاء الشقاق بينهم .

ولم يجعلها الله مجتمعة بل قسمها قسمين ، قسما قصيرا هو شهر رجب ، وقسما طويلا هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،

والحكمة فى طول هذا القسم أنه تعالى جعله ميقاتا لمقدم الحجاج وأدائهم مناسكهم وعودتهم الى بلادهم ، وذلك يحتاج الى مدة طويلة ، لأنهم يفدون اليه من كل فج عميق ، فوفر الله تعالى لهم من الوقت ما يكونون فيه آمنين على أنفسهم وأموالهم ذهابا وعودة .

(فلا تظلموا فيهن انفسكم) وحرمة القتال فيها

اختلف المفسرون فيما يعود اليه ضمير (فيهن) فمنهم من أعاده الى جميع شهور السنة ، ونسب هذا الى ابن عباس ، والمعنى على هذا الرأى ما يلى : فلا تظلموا أنفسكم فى جميع الشهور الاثنى عشر بفعل المعاصى وترك الطاعات ، أو بجعل حلالها حراما ، وحرامها حلالا كما فعل المشركون .

ومنهم من أعاده الى الأشهر الحرم ـ وروى هذا عن قتادة ـ واختاره الفراء وأكثرالمفسرين ـ والمعنى على هذا ـ فلا تجوروا على أنفسكم فى الأشهر الحرم بالقتال فيها ، فان ذلك يجعلكم آثمين مستحقين للعقاب ، وفى ذلك مافيه من الضرر العائد عليكم (أنفسكم).

والجمهور على أن حرمة القتال فيهامنسوخة بآيات الترخيص فيه ، كقوله تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » وقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآية.وقوله:« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

عليكم » وقوله : « اقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل » حيث لم يقيد الأمر بقتالهم بزمان ولا بمكان ، بل أطلقه .

وتخصيص الآية للأشهر الحرم بالنهى عن ارتكاب المعاصى فيها — مع أن المعاصى منهى عن ارتكابها دائما — لأن ارتكابها فيها أشد قبحا منه فى سواها .

ويرى عطاء بن أبى رباح أن حرمة القتال فى الأشهر الحرم باقية لم تنسخ ، فلا يحل الغزو فيها ، كما لا يحل القتال فى الحرم ، الا أن يعتدى على المسلمين معتدٍ فيحل قتاله حينئذ ، لأنه دفاع عن النفس ، ولأن هتك الحرمة ليس منهم بل من البادىء — ومع استناده الى تلك الحجة العقلية ، استند الى قوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام الحرمات قصاص » أى والحرمات يجرى فيها القصاص ،فاذا كان العدوهو البادىء فهو المعتدى بهتك الحرمة ،فيحل قتاله قصاصا ، والجزاء من جنس العمل

ورأى الجمهور أحق بالقبول لما تقدم ، وسواء أكان قتالنا لأعداء الاسلام لرد عدوانهم ، أم لاتقاء عدوان يبيتون له ، فكل ذلك مشروع فى الأشهر الحرم على سواء، قال تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين » فهذا النص يبيح البدء بقتال من علمنا أنهم يبيتون النية لغزونا أو لأى نوع من أنواع الخيانة التى تضر بمصالح المسلمين ، ولم يقيد الاباحة بشهور الحل ولا برد الاعتداء ، فهذا الاطلاق يعطى المسلمين الحق فى البدء بقتالهم ولو فى الأشهر الحرم ، ومن هنا لايصح قصر حل قتالهم فى الأشهر الحرم على ما اذا اعتدوا علينا فيها — كما قال عطاء —

واستدل بعض العلماء على جواز قتال الأعداء فى الأشهر الحرم — وان لم يبدئونا به — بأن النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف ، وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة الحرام فعمل الرسول دليل على جواز القتال فيها ابتداء .

والحق أن قتال الرسول لهؤلاء وحصاره اياهم ، كان ردا على اعتدائهم الذى جمعوا له ـ كما سنبينه ـ ولم يكن بدءا، فالصواب فى الاستدلال على الجواز هو ما تقدم .

قصة هوازن وثقيف

تتلخص هذه القصة فى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ، ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا ، وارتضوا على القبيلتين أميرا للحرب هو مالك النصرى ، فحشد خلقا كثيرا من مختلف القبائل ، وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ، ثم الابل فالبقر فالغنم ، ليدافع كل مقاتل عن نفسه وأهله وماله ولايفر ، فقال له مالك ابن الصمة : ـ وكان مشهورا بأصالة الرأى ـ وهل يرد المهزوم شىء ، ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، فلم يقبل مشورته .

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعدادهم لحربه على هذا النحو ، توجه اليهم بجيشه الذى فتح به مكة ، وانضم اليه ألفان ممن أسلم من أهل مكة فى غزوة الفتح ، وكان فيهم ثمانون من المشركين ، فكانوا جميعا اثنى عشر ألفا ، وقد أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا ، فان مقدمة المسلمين لما توجهت نحو العدو خرج لها كمين من شعاب الوادى ، ونضحهم بنبل كالجراد ، فهزمت المقدمة فانهزم بهم من خلفهم وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وقليل من المهاجرين والأنصار ، وبلغت الهزيمة بعضهم مكة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن ينادى الأنصار ـ وكان جهورى الصوت ـ فقال : يامعشر الأنصار . ياأصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى فأقبلوا سراعا نحوه صلى الله عليه وسلم ، فلما اجتمع حوله عدد عظيم ، كروا على أعدائهم ، فانهزموا أمام المسلمين هزيمة منكرة وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون فبلغت غنائمهم أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية

فضة ، وذهبا كثيرا : ولما تجمع من بقى من ثقيف وهوازن بالطائف وتحصنوا بحصونها ، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى عليهم . حتى لايثيروا المتاعب للمسلمين مستقبلا، فحاصرهم ثمانى عشرة ليلة ، وكانوا يضربون المسلمين بالنبال من حصونهم ويقذفونهم بالحديد المذاب ، وكان مع المسلمين دبابتان أعدوهما لينقبوا الجدار وهم فيهما ، فمنعهم هذا الحديد المذاب، من أداء ماعتزموه .

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم وأعنابهم ، فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ، فناداه أهل الحصن أن اتركها لله وللرحم ، فأمر المسلمين بالكف عنها .

ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن تمنعهم شديد ، وأن الفتح لم يأذن الله فيه ، استشار نوفل بن معاوية الديلمى فى الذهاب أو البقاء فقال يارسول : الله : ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته ، وان تركته لم يضرك ، فأمر رسول الله عليه وسلم بالرحيل عنهم ، فطلب منه بعض أصحابه أن يدعو عليهم، فأبى وقال: «اللهم اهد ثقيفا وائتنى بهم مسلمين فاستجاب الله دعاءه ، فقد جاء وفد هوازن بعد بضع عشرة ليلة من ترك الحصار،واعتذروا للرسول، وطلبوا منه أن يرد عليهم نساءهم وأموالهم وأولادهم ، وأسلم منهم كثير ، فأجابهم الى ما سألوا ، وأمّر عليهم مالك بن عوف النصرى الذى كان قائد هذه الحرب ضد المسلمين بعد أن هداه الله الى الاسلام ، ثم جاءه وفد من ثقيف تائبين معتذرين وأسلموا ، وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم ، فأمّر عليهم عثمان بن أبى العاص .

فمما سبق تعلم أن قتال الرسول وحصاره لهم كان ردا على تجمعهم لقتاله ، ولم يكن بدءاً « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»

أوجبت هذه الحملة الشريفة على جميع المسلمين أن يقاتلوا المشركين جميعاكما يقاتلونهم جميعا ، وقتالهم فرض عين على كل مسلم قادر اذا كثر المشركون المقاتلون ، ولم تكتف الجيوش الاسلامية المعدة لقتالهم ، وفيما عدا ذلك فرض كفاية .

ومتى عين الامام أو نائبه بعض المسلمين للقتال تعين عليهم ، ووجب عليهم امتثال أمره ، وتعتبر أوامر الخدمة العسكرية فى سن معينة أوامر تكليفية ملزمة ، لصدورها عن رئيس الدولة ، فاذا طلبت فئة ذات سن تتفق مع هذه القوانين، وجب عليها المجىء طواعية من غير معاناة للدولة فى احضارهم قسرا ، فان قبلت من الناحية الصحية ، وجب عليها أن تمارس التدريب الذى يؤهلها لملاقاة العدو ، عملا بقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ومن يتخلف عن ذلك يجوز أن تطبق عليه قوانين التعزير الرادعة .

« واعلموا أن الله مع المتقين »

ختم الله الآية بهذه الجملة ، ليحمل المسلمين على تقوى الله تعالى حتى يكون معهم بالنصر والمعونة ، والمراد من المتقين من يتقون الله تعالى بترك المعاصى وفعل الطاعات، ويدخل فيهم جنود الجيش دخولا أوليا ــ نظرا لسياق الآية .

ومن تقوى الجندى لله تعالى ، أن يكون مطيعا لقائده ، منفذا لأمره ، مقبلا على تدريبه بروح راضية وشجاعة متجددة ، وأن يخلص لدينه ووطنه فى لقاء العدو ، فلا يتراخى ولا ينهزم ، ولا يفكر فى شىء سوى النصر العزيز لجيشه وأمته ، وذلك الى جانب الصلاة فى أوقاتها ، والثقة بوعد الله بنصر المؤمنين ، والتزامه آداب الحرب التى سنّها رسول الله والسلف الصالح من بعده .

وقد وعد الله تعالى المتقين بأن يكون معهم بالنصر والتأييد ، أما غيرهم فلا مكان لهم فى وعد الله ، فان هزموا لا يلوموا الا أنفسهم ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول: « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الاقتصاد الإسلامى يقوم على العمل والاقتصاد اليهودى يقوم على الربا وعلى المسلمين اليوم أن يختاروا

للأستاذ أحمد حسين

العمل جوهر الاسلام :

كل شىء فى الاسلام يدل على أنه تنزيل من لدن عليم حكيم ، عليم بكل شىء ، وما يقوم به وعليه أى شىء ، وهــو حكيم مدبر يدبر كل شىء ويعلم الانسان من خلال الهامه دائما ووحيه من خلال رسله أحيانا ، كيف يدبر الانسان أحواله المعيشية بما يصلحها ، وكان آخر ما علمه الله سبحانه وتعالى على لسان رســوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ان الحياة لا تقوم الا بالعمل وعلى العمل ، وأن لا قيمة للانسان الا بالعمــل ، فاذا كان الــكون ، والانسان بعض هــذا الكون يقوم على عنصرين: الروح والمادة ، النظر والعمل ، فان الاسلام قد عنى أول ما عنى بتعميق هذا المفهوم فى نفوس معتنقيه ، فما ذكر « الايمان » الذى هو بمثابة الروح الا وشفعه بذكر « العمل » الذى هو بمثابة الجسد ، وكما أننا لا نرى روحا بلا جسد ، كما أنه لا يوجد جسد حى بغير روح فكذلك لا يتصور أن يوجد ايمان بغير عمل ، كما لا يوجد عمل بغير ايمان من نوع ما ، ولا أحسب أن القرآن الكريم اشتمل على صيغة مثل قوله تعــالى : « الذين آمنوا وعمــلوا الصالحات » .

وحرص القرآن الكريم على أن يجعل الأمر بالعمــل فرضا فى عنق كل مسلم ، لا يتحلل منه الا بالعجز ، فقال وقوله الحق : « وقل اعملوا » حتى فى يوم الجمعة خشى القــرآن الكريم أن يحذو فيه المسلمون حذو اليهود ، فيجعلوا من يوم الجمعــة كالسبت عند اليهــود حيث جعلوا ذروة العبــادة لله هى التوقف عن

العمل ، فقال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ويضيق بنا المجال لو رحنا ننقل من القرآن دعوته الى العمل ، كما يضيق بنا المجال أكثر ، لو رحنا ننقل عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه ماذا قال ، أو فعل ليظهر خطورة العمل ووجوبه ليقوم المجتمع فضلا عن أن يزدهر ، وحسبنا أن نشير الى السورة الجامعة المانعة « والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » •

وقد حاول أقوام فى عصور التدهور أن يقصروا الأعمال الصالحة على الصلاة والصوم ، حيث بنى الاسلام على خمسة أركان لا يتصور قيام ركنين منها الا على أساس مزاولة النشاط العمرانى والاقتصادى وهما ركنا الزكاة والحج ، فالزكاة غير متصورة الا مع من زاد دخله على احتياجاته والدخل لا يجىء فضلا عن أن يزيد الا من العمل ، فعندما يقرر القرآن الكريم فريضة الزكاة فهذا معناه أنه يوجب العمل والاستثمار ولا يغفى الا العاجزين ، واليد العليا خير من اليد السفلى •

ركن الحج :

وما يقال عن معنى ركن الزكاة يقال عن ركن الحج ، فعندما يقرر القرآن الكريم « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » والاستطاعة تعنى فى الدرجة الأولى القدرة المالية ، ولا سبيل للقدرة المالية الا من خلال العمل •

ومرة أخرى لا نريد أن نخرج عن سياق بحثنا ، فنلخص الأمر كله فى أن الاسلام جعل « قوة العمل » هى الركيزة الأولى والأساسية ، لقيام المجتمع الاسلامى •

اجتهادات فى موضوع الربا :

وفى أواخر القرن الماضى (التاسع عشر) والنصف الأول من القرن الحالى صدرت بعض اجتهادات فى موضوع « الربا » وكان خير المواقف هو موقف من توقف عن أن يصدر حكما عاما شاملا حتى يدرس الموضوع دراسة مستفيضة : وقد كنت أنا نفسى واحد من هؤلاء الذين توقفوا ، والحق أنه

لا الدراسة السريعة والعاجلة ولا الدراسة المستأنية المستفيضة بالتى تغير فى قليل أو كثير من تحريم الاسلام للربا « بالثلث والرقعة والنسخ والفارسى أيضا » فالاسلام يحرم الربا (أى تقاضى فوائد رأس المال) فى كل صورها وأشكالها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها حتى لقد قيل: ان قبول الدائن لهدية من المدين قد يكون فيه شبهة الربا فالأمر كما قدمنا ليس فيه الا قول واحد لم يختلف فيه مسلم عن مسلم فى جميع عصور الاسلام السابقة .

ربا الفضل :

وأنا أعذر كل من اجتهد فى موضوع الربا وأقدر كل التقدير نواياهم الطيبة ، فقد كانوا بازاء ظاهرة سادت الدنيا باعتبارها الأصل الذى لا تقوم الحياة الاجتماعية الا به فقالوا ما قالوا ، أو سكتوا عن بعض ما هو قائم ، أو أفتوا بصنوف من المعاملات أخرجوها من الربا ، مع أنها من صميم الربا ، أقول اننى أفهم ذلك وأقدره ولكن الشىء الذى لا أستطيع الا أن أشجبه هو التلويح بأن فى الربا نوعان ، أحدهما ربا الفضل وأن الكثيرين أجازوا هذا النوع الأخير، وقد وقعت أنا نفسى ضحية لتصور أن هناك اختلاف على بعض صنوف الربا ، مما جعلنى أسمح لنفسى أن لا أتعجل اصدار حكم فى القضية ريثما أدرسها ، فلما جاء أوان الدراسة ودرست ، رأيت أن استعمال تعبير «ربا الفضل» والتلويح به فى موضوع الربا ، كمسألة خلافية ، مسألة ما كان يصح أن ينزلق اليها مسلم عادى فضلا عن عالم نحرير ، حقا عندما تطالع ما كتبه هذا العالم الفاضل ، لم يخرج فيه عن الحقيقة وأثبت حكم الشرع فيما أسماه « ربا القرآن » وأنه حرام حرام قولا واحدا لا ثانى له ، ثم انتقل يتحدث عن « ربا الفضل » فقال فيه ما قال مما لم يخالف فيه قرآنا أو سنة ، ويبقى التلويح كما قدمت بحكاية « ربا الفضل » وأن بعض الآراء تجيزه وقد تصور انسان مثلى : ان الموضوع اذن فى حاجة الى دراسة.

وكان ان شرعت فى تفسـير آية الربا من سورة البقرة ، وكان ان لم أجد سوى التحريم العـام المطلق بالاجماع حتى لقـد وصـل الأمر بالبعض الا أن يبالغوا من باب سد الذرائع فيقولون بما لم يقل به أحد فقد خرج عن كل معقول ومنقول ، يقولون: انك اذا ذهبت الى الصائغ واشتريت منه حلية ذهبية بأكثر مما فيها من ذهب خالص فان هذا يكون ربا، وعبثا تقول لهم: انهذه الزيادة هى أجر العامل الذى حول المعدن الى حلية فأنفق وقته وجهـده وفنه فى عملية التحويل ، فالزيادة هنـا ليست فوائد تزاد على رأس المـال لمجرد أنه مال ، وانما الزيادة هنـا هى أجر العامل الذى عمل •

يقـول المتشددون « نخشى أن يكون فى ذلك ربا » وهـذا حقهم يحترزون لدينهم كمـا يشـاءون ، ولكن أن يلوح بقولهم هذا على أنه ربا وأن البعض لا يرونه حـراما ، أقول: اناستعمال هذه الصورة على أنها من أنواع الربا المباح « مسألة فيها نظر » •

الربا كما جاء فى القرآن :

وردت كلمـة « الربا » بمعنـاه الفنى المنهى عنـه ثمـان مرات فى القرآن واليكها :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » • ٢٧٥ البقرة

ــ « ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا » • ٢٧٥ البقرة

ــ « وأحـل الله البيع وحـرم الربا » • ٢٧٥ البقرة

ــ « يمحـق الله الربـا ويربى الصدقات » • ٢٧٦ البقرة

ــ « اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » •
٢٧٨ البقرة

ــ « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » •
١٣٠ آل عمران

ــ « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » •
١٦١ النساء

ــ « وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله » •
٣٩ الروم

وهــذه آيات صريحة وقاطعة فى أن كل ما يؤخــذ زيادة على رأس المال ، قل أو كثر فى مقابل اقراضه ، أو تأجيل سداده هــو حرام تحريما مطلقا لا ينازع فى تحريمه الا كافر بالاسلام .

من أى سبيل اجتهد المجتهدون :

وقد كان سبيل الاجتهاد عند من اجتهدوا نهى الله سبحانه وتعالى عن أكل الربا « أضعافا مضاعفة » وهو ما ورد فى سورة آل عمــران ، ثم استعادوا صورة لما كان يفعله بعض العــرب فى الجــاهلية عندما كانوا يطالبون المــدين بالدفع فان شــاء الارجاء يضاعف الدين وهكذا .

واستخلصوا من ذلك: أن المحظور هو الاستغلال الفــاحش للمدين ، ورتبوا على ذلك أن الفوائد عندما تكون زهيدة ويكون المقترض قويا وغنيا ، وأنه انمــا يأخــذ النقــود ليستثمرها فى المشروعات النافعــة فــلا يــكون ذلك من نوع الربا المحظور ؟؟

الربا هــو كل زيادة لا يــكون مصدرها العمل :

وكل هــذه الاجتهادات لا غناء فيها وقد جاءت نتيجة أمرين :

١ ــ التصور بأن العلة فى تحريم الربا هــو الحيلولة بين الأغنيــاء واستغلال فقر الفقراء .

٢ ــ التصور بأن التعامل بالربا أصــبح أســاس المعــاملات ومن المستحيل الاستغناء عنه .

ونحن نخالف كلا الرأيين .

فنتصور أن العلة فى التحريم هى اعتبار الاسلام أن العمل وحده هو سبب زيادة المال ، فأصبح لا يجوز لمن لم يعمل شيئا أن يقاسم من يعمل ثمــرات جهــده الا أن يقاسمه فى الخسارة فى حالة حصولها ، اذ بهذا وبهذا فقط يكون شريكا فى العمل أما أن يتقاضى فوائد محددة كسب المشروع أو خسر فهذا هــو الربا « قولا واحدا » .

ومن هنــا أجاز الفقهــاء عقــد المضاربة ، ولم يحرموا على من يملك المــال أن يعطيه لمن لا مال عنــده ليستثمره على ســبيل المشــاركة واستنادا الى قاعدة « الغنم بالغرم » أما أن يشترط المقرض ، أن يكون

له الغنم وللمقترض الغرم فى حالة الخسارة فلا وألف مرة لا ، وليس هذا قولى وانما هو قول « الحق » تبارك وتعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ونجىء الى السبب الثانى الذى دفع بعض مجتهدى القرن التاسع عشر لاجتهادهم وهو تصورهم أن تقاضى الفوائد أصبح من الأمور التى يستحيل الاستغناء عنها ، وهذا التصور هو ما يجعل أصحابنا معذورين الى حد كبير فقد فقدت مصر استقلالها واحتل الانجليز مصر ليكفلوا للدائنين سداد فوائد ديونهم .

أما نحن والحمد لله وقد شهدنا مصرع الامبراطورية الانجليزية ، وبعد أن أصبح المسلمون هم أغنى الأغنياء والذين يمدون أقوى الدول بالمال ، فالأمر أصبح واضحا فى نفوسنا مثل فلق الصبح ، ولذلك نعلنه فى قوة ووضوح وصرامة ، عن اقتناع عميق: ان فى ذلك صلاح البشر ، وقد كان يكفينا أن يكون مجرد ذكر القرآن الكريم لذلك ، كفيل بهذا الاقتناع ولكن شاءت نعمة الله وفضله علينا أن يرينا التجربة رأى العين ، لتطمئن قلوبنا .

الربا صناعة يهودية :

فأما القول بأن الحياة الاقتصادية لا تسير ولا يمكن أن تسير بغير نظام الفوائد أى « الربا » ففرية وأكذوبة يهودية استطاعوا فى غفلة من الزمان أن يروجوها ويخدعوا بها البشر الى حين ، والا فقد عاشت البشرية ألوف السنين ، وازدهرت الحياة الاقتصادية بدون أن يكون التعامل بالربا هو الأساس لكل ذلك وقد عاشت الحضارة الاسلامية ما عاشت فى الشرق والغرب بدون ربا وليس الا عندما ضعف العالم الاسلامى ونهضت أوروبا نهضتها الحديثة منذ ثلاثة قرون تقريبا أن استطاع اليهود أن يخدعوهم وأن يصوروا لهم حكاية أن الحياة لا تسير الا من خلال الربا وتحول النظام الذى أبغضه البشر مذ كانوا بشرا ، وحرمه الله من فوق سبع سموات ، الى أساس التعامل فى الدنيا كلها ، وتحول اليهود الى أسياد للبشر ، وجلسوا فى مقاعدهم

الوثيرة والعالية ، يجمعون ثروات الدنيا ، بغير عمل أو جهد أو مخاطرة من أى نوع كان ، ان الذين حلموا بانشاء دولة يهودية تصوروا أن اليهودى كغيره من البشر ، يمكن أن يعمل وأن يكدح ليكسب رزقه من العمل زراعة كان أو صناعة ، ولم يزد الأمر عن تجربة تصوروا أنهم سيصبحون من خلالها سادة العرب كخطوة فى الطريق لسيادة البشر ، واليوم وبعد أن ثبت فشل التجربة ، فالعرب هم الصاعدون ، وهم فى كل يوم أكثر غنى وأكثر علما ، أقول : ان تجربة اسرائيل فى طريقها الى النهاية ، فما كان اليهودى ليرضى أن يعمل فيكون فلاحا أو صانعا وانما سبيله هو أن يجمع المال ليسود الناس الذين هم عبيد له ، انظر اليهم فى أمريكا حيث يعمل شعب بأكمله ليل نهار ليحصلوا هم فى نهاية الأمر على ثمرة جهده عن طريق الفوائد فكل شىء فى أمريكا يحصل عليه بطريقة التقسيط والتقسيط يعنى « الكمبيالات » والفوائد .

وتظل العملية تتسلسل وتتصاعد لتنتهى فى النهاية الى تكديس الثروة فى أيدى اليهود ، فعلى العالم الاسلامى اليوم وقد جاءت النقود الى يده أن يستمسك بتعاليم دينه فيعلن الاقتصاد الاسلامى الذى يقوم على العمل المباشر أو مشاركة العاملين على أساس « الغنم بالغرم » أما اقراض المال فى مقابل الفوائد فهذا هو الربا وعلينا أن نتركه لليهود وفقنا الله لما فيه الخير والصواب .

احمد حسين

الله اكبر :

النفس اسمى من المادة الدنيئة ، واقوى من الزمن المخرب، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام . لا تنحرفوا ، هذا هو النهج . لا تتراجعوا ، هذا هو النداء . لن يكبر عليكم شىء ما دامت كلمتكم : الله اكبر . . . !

« وحى القلم ج ١ »

حتمية الحل الإسلامى

للدكتور عبد الجليل شلبى

أوضاعنا الراهنة :

تطالعنا صحافتنا كل يوم بأخبار **مزعجة ومخزية** ومحزنة ، مديرون **لمؤسسات** ورؤساء لهيئات يقدمون **للمحاكمة** متهمين بالسرقات **والاختلاس** والنهب والتزوير والكسب غير **المشروع** ، ونرى أشخاصا كانوا **من الخاملين** ، أو الأوساط الفقيرة **أصبحوا** يتمتعون بثراء واسع ، ورخاء **مادى** كبير ، هذا يملك عددا من **السيارات** والناس يحشرون حشرا **فى** عربات الأوتوبيس ، وذلك له **سكنى** فاخرة أو عدة مساكن **بالقاهرة** عدا ما له من المساكن **المحجوزة** فى المصايف بينما يعانى **الآخرون** ندوة المساكن ودفع المبالغ **الباهظة** رشوة للحصول على **مأوى** .

هذا نوع من المفارقات التى تصم **آذاننا** وتقذى أعيننا فى كل يوم !

والى جانب ذلك نسمع أيضا ونقرأ عن مفزعات ومخزيات أخرى ، من هتك الأعراض والاسراف فى المجون والشراب والاخلاد الى ملذات الجسد واشباع الشهوات .

وبينما نجد قوما يطحنهم الفقر وتعوزهم كسرة الخبز ووجبة الطعام الرخيص نجد آخرين يقيمون الحفلات الخليعة والليالى الحمراء ويسيل المال تحت أقدامهم سيلان الماء .

وهكذا ... وهكذا .

لقد جر ذلك على مصر سمعة سيئة ، وهوى بها الى حضيض لابد أن تنتشل منه ، والا قضى عليها بالفناء .

هبط مستوى التعليم فى جامعاتنا وأصبحنا نعيش على كلام مكرور ومع كثرة الأسباب التى أدت لهذا

الهبوط لا ينبغى أن نغفل من بينها انحلال عزائم الشباب وشغل جانب كبير من عقولهم بالمغريات المادية ونزعات الغرائز الدنيا ، فحياتنا الحاضرة وما سميناه فيها بالحياة الفنية كفيل أن يشغل الأذهان ويلفت العقول عن حقول الثقافة وتحصيل العلوم .

كان الناس ينزحون الى مصر من البلاد البعيدة والقريبة للتعليم والاستفادة من مشهورى علمائها ، ولكن الكثيرين الآن يفدون الى مصر لاشباع غرائزهم بالملذات والشهوات ، وأصبحت فى القاهرة أماكن معروفة يقصدها رواد الملاهى ومحبو العربدة ومن لا يتنزهون عن الحرام .

أصيب شبابنا ونشؤنا بانهيار الأخلاق واغفال المثل العليا ، واهمال المعنويات ، وشباب اليوم هم قادة المستقبل ، والمستقبل القريب ، فعلى أى منهج يا ترى سوف يقودون الناس .

أصيب المجتمع كله بالتفكك وانقطعت الروابط بين طبقاته ، وماذا عسى أن تكون الرابطة بين طاعم ومحروم ، ومتمرغ فى النعيم وقابع بين براثن البؤس وأنياب الشقاء... ؟

هذا هو الذى فتح عقول النشء للدعوات المادية الهدامة ، وأفسح المجال لدعاة الماركسية وجواسيس اسرائيل .

وأى شىء يحول دون هذه المهلكات . لا ثقافة ولا أخلاق ولا دين .

لم يكن ذلك شائعا فى مصر من قبل فما أسباب فشوه فينا . ؟

لا ريب أن هذه المساوىء العديدة لم تقم الا على حساب الدين ، ولا ريب أنها تقوى وتمتد بقدر ما تضعف الدعوة الدينية والروح الدينى ، ومشاعر الخوف من رب العالمين .

جاهلية مستحدثة :

اذا نحن وازنا بين ما يجرى فى حياتنا من تيارات الفساد والانحراف ، وبين ماكان سائدا بين العرب ابان البعثة المحمدية وغداة ظهور الاسلام نجد التشابه واضحا

وقويا فى كثير من الأمور . جاء فى حديث عبد الله بن جعفر الى نجاشى الحبشة وهو يصف ما كانوا عليه وما دعاهم اليه الاسلام . أنهم كانوا يشربون الخمور ويستبيحون الزنا ويأكل القوى منهم الضعيف ... والاسلام دعاهم الى صدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار ، ونهاهم عن أكل مال الأيتام وقول الزور (١) ـ وجاء مثل هذا الحديث فى كلام المغيرة بن شعبة الى المقوقس فى مصر (٢)

هذه الأخلاق التى حرمها الاسلام من شأنها أن تنيم الضمائر وتهون على الشخص استباحة ما حرم الله وكلها شائعة بيننا الآن

لهذا لا ينبغى أن تعجب لفشو هذه الأخلاق بعينها فى مجتمعنا .

هناك من استمرأوا الكسب الحرام والحصول على المال من غير كد وشقاء . فبينما تنمو العصابات التى تقطع الطرق فتنهب وتغتصب وتسرق فى الشوارع ومن البيوت نجد اللصوص الشرفاء فى المكاتب يجيدون التزوير ، ويقبلون الرشا ويبحثون عن طرق المحسوبية والوصول .

اسباب هذا التدهور :

اننا نجنى الآن ثمرة مرة لغرس غرسناه بأيدينا ، ونميناه بمجهودنا ورجونا ـ وقد غرسناه شوكا ـ أن نجنى منه فاكهة وأبا ، والمرء لا يجنى من الشوك العنب .

ولينا وجهنا نحو دعاة الالحاد وأنصار الماركسية ، ولم يقف أمرنا عند حدود الصداقة الشخصية بل فتحنا مدرسة كبيرة تدرس تاريخ ماركس وأعمال لينين وتمجد رسل الشيوعية والالحاد ، حرصنا كل الحرص على اخفاء تاريخهم الأسود الأثيم وخلعنا عليهم تاريخا مشرقا مزيفا لا يعرفه التاريخ ، وبقدر ما مجدنا هؤلاء عملنا على الحط من كرامة الاسلام ، وجرأنا الشعب

(١) انظر الحديث بطوله فى سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥

(٢) هذا الحديث فى حسن المحاضرة .

الساذج والمنتفع الماركسى على النيل من الدعاة المسلمين .

وفى الوقت التى غصت فيه السجون بمن انتموا الى الاسلام ، وأعلنت شتائم رجال الدين على أمواج الأثير أغدقت الخيرات المادية على من يدرسون الالحاد .

ونتيجة ذلك كله أن استهان الناس بالدعوة والدعاة ، فلم يبق لهؤلاء مكانة الداعى التى تستوجب طاعته، ولا للدعوة الأثر العميق الذى يؤثر فى السلوك ويوجه الى الصراط المستقيم .

بجانب هذا قيد أسلوب الدعوة، وحيل بينها وبين أى نقد للمجتمع أو توجيه للحاكم الى طريق الرشاد. فهانت دعوة الدين بقدر ما اشتدت دعوة الالحاد ، وتغلبت العوامل التى تشغل عن الله على العوامل التى تدعو اليه ، فلا غرو أن خدرت المشاعر النبيلة فى الناس ومات ضميرهم ، واستيقظنا فجأة فاذا بيننا أوكار الشيوعية وجواسيس اسرائيل واذا صحافة ثرية تعمل فى تبجح على تمجيد ماركس وتنفق فى سخاء على أنصار لينين ، وتنفق جهدا أوسع للنيل من الاسلام ودعاة الاسلام .

نحن قتلنا الحارس الذى كان يحمينا ويريح حكومتنا من هذا البلاء .

لم يكن هذا الحارس الا الضمير الذى يعرف الله ، ويدرك أن عين الله ترقب ما يعمل الناس من حيث لا يشعرون . مخافة الله التى تدفع الموظف أن يعمل حتى يحصل على رزق حلال ، كانت كفيلة أن ترده عن التزوير حتى لا يحصل على مال حرام . كانت كفيلة أن تجعله حريصا على اتقان عمله واجادته ايمانا منه بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . كانت كفيلة أن تحول بينه وبين ظلم الآخرين والاعتداء على ممتلكاتهم لأنه يعلم أن الله لا يحب المعتدين .

حتمية الحل الاسلامى :

الأزمة التى يعانيها مجتمعنا الآن اذن هى أزمة الضمير ــ وما لم نعمل على احياء هذا الحارس الذى قتلناه فاننا نحن بمدرجة الفناء السريع ، ولا سبيل الى علاج هذا الفساد

الا عن طريق القانون الاسلامى •
ولا ينبغى أن نفكر فى حل سواه ،
ولا نقول هذا الكلام انسياقا وراء العاطفة أو لمجرد التقليد ولكن لدينا من أدلة التاريخ وواقعيات الأحداث ما يؤيد ما نقول ، ولنرجع قليلا الى الوراء لنرى كيف خلق الاسلام من العرب — وكانوا أذل أمة على الأرض — أعز شعب وأسعده وأرقاه •

عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله ورسائله الى رؤساء القبائل وملوك الشعوب وأباطرة الدول الكبيرة سخر منه الكثيرون حتى هم الحارث الغسانى — وهو من أتباع الرومان وأذنابهم — أن يقوم بحملة لتأديب هذا العربى الذى جرؤ على دعوته لاتباعه وانضوائه تحت لواء الاسلام • وأرسل كسرى فعلا بعض أتباعه لقتل محمد • وحين أرسل سعد بن أبى وقاص رسلا لمقابلة كسرى يزدجرد ازدراهم كسرى وقال لهم : « ما الذى أقدمكم هذه البلاد •• ؟ •• انى لا أعلم أمة فى الأرض كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم ، فان كان عددكم كثر فلا تغرنكم كثرته ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا حتى تخصبوا وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم •• » •

ولكن لم يمض على ارسال النبى كتبه الى كسرى وهرقل أربعة أعوام حتى كان الجيش الاسلامى يقتطع منهما أخصب أراضيهما ، وحتى كان كل من يزدجرد وهرقل يفر من بلد الى آخر تاركا على الرغم منه بلاده للمسلمين •

لولا ظهور الاسلام ما كان للعرب هذا الموقف ، ولا كان لهم بين الدول الكبرى مكان •

أكانت معجزة هبطت بها الملائكة؟

كلا • ولكن نهضات الأمم ورفعتها وتقدمها على غيرها كل ذلك يتبع قوانين اجتماعية ونواميس خاصة ، وقد دعا الاسلام الى هذه النواميس ، ووضع قانونا محكما من شأنه أن يرقى بالأمم ويسعد الأفراد والجماعات •

وقوانين الاسلام قامت على العقيدة فى الله تعالى والايمان باليوم

الآخر والحساب والجـزاء على كل ما يعمل الانسان • ولهذا لا يمكن أن تفصل هذه القوانين عن العقيدة• فاذا نحن ضمناها قوانيننا الوضعية فقدت قداستها واستهان بها الناس

نحن نحافظ على قوانين الله طاعة له سبحانه وتعـالى وعبادة فاذا هم الواحـد منا بكسرها شعر بوخـز الضـمير ، وأحس أنـه ارتـكب معصية وان ملائكة اللـه أحصتها عليه ، وعين الله ترقبه وهو يخالف تعاليمه • انه دائما يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه •

هذا سر ما شاع بين المسلمين من الايثار ، وسر ما درجوا عليـه من انكار الذات وعمـل الفرد لصالح المجتمع ، فهو لا يستغل مال الأمة لنفسه ، بل يجود بماله لصـالح الأمة •

وقـد استعرض غير واحـد من المستشرقين والمؤرخين غير العـرب تاريخ الاسلام ، ولم يخفوا دهشتهم لهـذا الانفسـاح السريع للدولة الاسلامية الناشئة، اذ قبل أن يكتمل قرن واحد على وفاة محمد صلى الله عليه وسلم صاحب هـذه الدعـوة كانت للمسلمين دولة أوسع من الدولة الرومانية فى عز مجـدها وواسـع امتدادها ، هذا ولم تظفر الشعوب التى كانت تخضع لروما أم الشرائع بمثل ما ظفرت به الشعوب الاسلامية من رخاء وسعادة وحرية واطمئنان •

ولم تقم الدولة الاسـلامية على امتـداد حربى وقـوة عسكرية ، ولكنها أنشأت مدنية وحضـارة ، ونهضة علمية واجتماعية لم تظفر بها دولة أخرى فى هذا الزمن القصير !

كم قرنا قطع اليونان حتى عرفوا الفلسفة والحضارة ؟

كم قرنـا قطـع الرومان حتى أصبحوا أمة لها كيان حضارى ؟

كم قرنا قطع الانجليز فيمـا بعد حتى صاروا شعبا له ثقافة وعلوم ؟

ولكن الاسلام وثب بالعرب وثبا ، ومع هـذا لم يكونوا أمـة ذات تاريخ ولا كانت أرضهم مهـد فكر وعلوم ، ولكن ليظهر جلال الاسلام وأثره اقتضت حكمة الله وارادته أن يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى قوم ما أنذر آباؤهم ولا جاءهم قبله من نذير •

هذا القانون السماوى اذن هو القانون الوحيد الذى يجب أن تتجه اليه لينتشلنا وينقذنا مما تورطنا فيه .

انه قانون جرب ، وأثبتت تجربته صلاحه وأثره الفعال السريع ، وقد جربنا نتيجة اهماله والتخلى عنه .

ارتمينا تارة فى أحضان الماديين وأخرى فى تراب الرأسماليين فلم تعد علينا هذه ولا تلك الا بالذلة والهوان .

والماديون الماركسيون يدخرون للاسلام أقوى ما لديهم من معدات الحرب وأشد ما يستطيعون من وسائل الكيد والعداء ، ولقد كشفت الأحداث الأخيرة عما يبيتون ، فلينظر نوابنا المشرعون فى البرلمان وحكامنا فى كل مرافق الحكم ماذا علينا أن نفعل ازاء هذا العدو اللدود ، ولن يجدوا غير الاسلام وقانون الاسلام .

ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

د . عبد الجليل شلبى

أيتها الشرقية :

« احذرى يوانت النجم الذى اضاء منذ النبوة ، أن تقلدى هذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل .

ان المراة الشرقية هى استمرار متصل لآداب دينها الانسانى العظيم . هى دائما شديدة الحفاظ حارسة لحوزتها؛ فان قانون حياتها دائما هو قانون الأمومة المقدس .

هى الطهر والعفة ، هى الوفاء والأنفة ، هى الصبر والعزيمة ، هى كل فضائل الأم .

فما هو طريقها الجديد فى الحياة الفاضلة ، الا طريقها القديم بعينه ؟

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« وحى القلم ج ١ »

المسلم الإيجابي

للواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت .

هذا المسلم ، يطبق الأركان الخمسة ، التى بُنى عليها الاسلام ، فهو مسلم لا شك فى اسلامه .

وهو يُكثر من ارتياد المساجد ، فلابد أن نظن به خيرا .

هذه الأركان الخمسة ، تؤثر فى المسلم الذى يلتزم بتطبيقها (عبادة) لا (عادة) ، فتظهر آثارها عليه سلوكا ومعاملة وأخلاقا ، وهى سمات المسلم الحق التى يتميز بها على غيره من المسلمين الملتزمين بتطبيق أركان الاسلام الخمسة (عادة) لا (عبادة) ، وعلى غيره من المسلمين .

ان تطبيق الأركان الخمسة كعبادة ، تؤثر فى المسلم تأثيرا حاسما ، فتجعل منه مسلما (ايجابيا) يفيد نفسه ، ويفيد اخوته فى الدين أفرادا ، ويفيد المجتمع الاسلامى جماعات وأمة .

وتطبيق هذه الأركان الخمسة كعادة ، تؤثر فى المسلم تأثيرا فرديا ، فتجعل منه مسلما (سلبيا) : يفيد نفسه ، ولا يفيد غيره من المسلمين أفرادا وجماعات وأمة .

وأريد بالمسلم الايجابى : المسلم الحق ، المسلم الصحيح ، المسلم الذى يفكر لغيره كما يفكر لنفسه ، ويخدم المصلحة العامة كما يخدم

مصلحته الخاصة . فاذا تناقضت المصلحتان فرط فى مصلحته الخاصة من أجل المصلحة العامة .

وأريد بالمسلم السلبى : المسلم الجغرافى . والمسلم بالوراثة . المسلم الذى يفكر لنفسه ولا يفكر لغيره ، ويخدم مصلحته الخاصة ولا يخدم المصلحة العامة ، فاذا تناقضت المصلحتان فرط فى المصلحة العامةمن أجل مصلحته الخاصة .

ولست أعرف دينا سماويا ولا عقيدة وضعية ، كالاسلام دينا جماعيا لا فرديا ، يأمر بايثار المصلحة العامة . وينهى عن الاستئثار بالمصلحة الشخصية ، فهو دين ايثار لا دين استئثار ، يقدس مصلحة الأمة ، دون أن ينسى مصلحة الفرد ، والمجتمع الاسلامى مجتمع أخوة فى الله وفى سبيل الله ، وصدق الله العظيم : (انما المؤمنون اخوة) ، وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

وشتان بين المسلم الايجابى الذى يهمه أمر المسلمين ويسعى لخيرهم ، والمسلم الذى لا يهمه أمر المسلمين ولا يسعى لخيرهم ، وصدق رسول الله : « من لم يهمه أمر المسلمين ، فليس منهم » .

— ٢ —

كيف تؤثر الأركان الخمسة التى بُنى عليها الاسلام فى المسلم اذا اتخذها (عبادة) ، فيصبح مسلما ايجابيا ؟

الركن الأول : الشهادة .

أشهد أنلا اله الا الله:تنقذ الفكر من عقيدة الشرك والوثنية ، وتنير القلب بنور التوحيد والايمان .

الله الواحد : هو الذى يحيى ويميت ، وهو الذى يصل ويقطع ، ويعطى ويمنع ، بيده الخير كله ، وهو الرزاق العليم .

عقيدة التوحيد ، تجعل المسلم لا يعبد الا الله ، ولا يستعين الا به : (اياك نعبد واياك نستعين) ، فلا يخاف الا الله ولا يخشى سواه .

ومن الواضح أن أثر هذه العقيدة فى المسلم ، هو تحليه

بالقوة والشجاعة والاقدام . لا يضعف أمام عبد مثله ، ولا يخافه أو يخشاه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: هو الأسوة الحسنة والقدوة ، وهو القائد والرائد والامام والزعيم والرئيس والمثل الأعلى ، وهو التطبيق العملى لتعاليم الاسلام بشيرا ونذيرا وسلوكا وخلقا ومعاملة .

انه القدوة الحسنة فى شمائله للمسلم ، يقتدى به ويضع شمائله الكريمة نصب عينه .

الركن الثانى : اقامة الصلاة ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله الا بعدا .

والصلاة تعلم المسلم : النظام ، ودقة المواعيد ، والنظافة ،والخشوع ، والتواضع والتآلف ، والطاعة ، والضبط .

الركن الثالث : ايتاء الزكاة ، والزكاة تطبع المسلم بطابع السخاء والكرم ، وتنقذه من البخل والحرص ، وتعمق فى المسلم سجية التعاون ضمن نطاق المجتمع الاسلامى ، وتضع مبادىء الضمان الاجتماعى فى حيز التنفيذ ، وتذيب الفروق بين الطبقات ، وتجعل الصراع الطبقى فى المجتمع الاسلامى مستحيلا .

الركن الرابع : صوم رمضان ، والصوم تدريب عملى على تحمل المشاق ، وممارسة فعلية على الصبر الجميل ، وتذوق الجوع والعطش من الذين لم يتذوقوها من الأغنياء حثا لهم على معونة الفقراء .

الركن الخامس : حج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا : مالا وصحة وأمنا ، والحج يعلم الإيثار ، ويمرن النفوس على الخلق القويم ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وينقى النفوس والقلوب معا من أدران المعاصى والذنوب ، ليبدأ الحاج صفحة جديدة من حياته : مستقيما كما أمر الله ، صالحا مع الله ومع نفسه ومع الناس .

ولا يمكن حصر تأثير أركان الاسلام الخمسة فى مثل هذا النطاق الضيق من الكلمات ، وحسبى أن أعدد جزءا قليلا من الخطوط العريضة عن أثر هذه الأركان .

هذه الأركان الخمسة ، تجعل من المسلم شجاعا لا يجبن ، عادلا لا يظلم ، متواضعا لا يتكبر ، مطيعا لا يعصى ، آلفا لا يكره ، منظما لا يرتبك ، معمرا لا يخرب ، صادقا لا يكذب ، كريما لا يبخل ، مخلصا لا يخون ، صابرا لا يجزع ، مؤثرا لا مستأثرا .

طاهر الذيل ، عف اللسان ، نظيف القلب واليد واللباس ، دقيق المواعيد ، متعاونا مع اخوته ، متحملا للمشاق ، باذلا نفسه وماله فى سبيل الله ، يتحلى بخلق القرآن الكريم .

هذه الأركان اذا تمسك بها المسلم (عبادة) ، انعكست على سلوكه مع الناس ومعاملتهم ، فأثرت فيه سلوكا وأخلاقا ومعاملة ، بحيث يصبح عنصرا باهرا فى المجتمع الاسلامى المتميز .

— ٣ —

هذا المجتمع الذى يتكون من أمثال هؤلاء الأفراد ، لا يمكن أن يقهر أبدا فى الحرب ، ويقود الناس فى مجال العلم والفكر والحضارة فى السلم .

وحين تمسك المسلمون بالاسلام عقيدة وتشريعا ، قادوا العالم قرونا طويلة عسكريا وعلميا وفكريا وحضاريا ، وفتحوا البلاد شرقا وغربا فى اثنتين وثمانين سنة (١٢ هـ — ٩٤ هـ) ما لم يفتحه فاتح فى كل عصور التاريخ ، وبقى فتحهم (مستداما) كما لم يبق غيره من الفتوح .

فى القديم غزا الاسكندر الأكبر ممالك واسعة ، وغزا اليونان والفرس والروم قديما ، وكونوا أمبراطوريات شاسعة ، ولكنها ذهبت مع الريح .

وحديثا غزا الاستعمار ممالك واسعة ، فأين أصبحت الامبراطورية البريطانية والفرنسية ؟

ووحد الاسلام شبه الجزيرة العربية ، وفتح بلادا شاسعة امتدت

مـن سيبيريا شـمالا الى المحيط جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، فبقى الاسلام فى كل بلد فتحه المسلمون منذ القرن الأول للاسلام حتى اليوم .

والاسـلام الذى انحسر عـن الأندلس دون سائر الأقطار الأخرى بفعـل محـاكم التفتيش والتصفية البدنية والعنف ، بقيت آثاره فى تلك البلاد أيضا فكرا وحضارة وتقاليد .

ولست أنسى يوم سـافرت على متن طائرة صينية ، فوجدت المضيفة ترعى الركاب المسلمين رعاية فائقة ، فأردت أن أقدم لها هدية نقدية جزاء رعايتها ، فاعتذرت بأدب جم ولطف ، ثم قالت : « أنا مسلمة والحمد لله ، وتركت والدتى مريضة ، فان كان لابد من هدية ، فلتكن قصاصة من الورق تكتب عليها بالعربية المقدسة: بسم الله الرحمن الرحيم ، لأقدمهـا لوالدتى المريضة هدية ، لعلها تشفى بفضل الكلمة المباركة ولغة القرآن الكريم المقدسة » .

ويوما قلت لنفسى : بالله ! أيبقى الاسلام هكذا متغلغلا فى أعماق أعمـاق النفوس ، بعد كل ما عاناه المسلمون من ضغط وارهاب !!

وقد اجتاح التتار بلاد المسلمين ، فلما دخل هولاكو بغداد ، وقع ابنه فى حب ابنة جمال فقير ، فأراد أن يتزوجهـا ، ولكن الجمـال الفقير رفض عـرض ابن هولاكو قائلا : لا أزوج ابنتى من كافر . أما ابنته فقالت للأمير الذى هـام بحبهـا : أتناول السم اذا أجبرت على الزواج بك ، ولن أكون لك وأنا على قيـد الحياة الا اذا أسلمت !!

ومن المذهـل حقـا ، أن التتار أسلموا بعد سنوات معدودات من غزوهم بلاد المسلمين فابتلعهم هـذا الدين وأصبحـوا مـن حماته ، والمفروض أن تسود عقيدة الغالبين على المغلوبين لا أن تسـود عقيدة المغلوبين على الغالبين .

وقديما قالوا : «ويل للمغلوب» ، ولكن الاسلام شىء آخر .

— ٤ —

ولم يتغير الاسلام ، وكيف يتغير والكتاب العـزيز قـد تكفـل الله

بحنظه ، والحديث الشريف قد تكفل السلف الصالح بتسجيله ؟

ولكن المسلمين غيروا مابأنفسهم، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

كانوا سادة الدنيا ، فأصبحوا عبيدا فى بلادهم ، وكانوا قادة الفكر ، فأصبحوا مستعمرين فكريا .

سادوا بالاسلام ، وقادوا بالاسلام ، لأنهم تمسكوا به (عبادة) ، فكانوا بشرا أطهر من الملائكة ، كأنهم تعاليم الاسلام مجسدة فى بشر يمشون على الأرض : يعملون للآخرة ولاينسون نصيبهم من الدنيا ، يتمنى أحدهم أن يموت قبل صاحبه .

فلما غير المسلمون ما بأنفسهم ، لأنهم تمسكوا بالاسلام (عادة) أو هجروه ، أصبحوا مسلمين بالاسم لا بالفعل ، وبالجغرافيا لا بالواقع ، كأنهم ثياب المرء معلقة على مشجب الثياب بدون صاحبها ، قشورا بلا لباب ، وأشباه الرجال ولارجال ، يعملون للدنيا لا للآخرة ، ويفكرون فى أنفسهم لا فى غيرهم ، يتمنى أحدهم أن يموت صاحبه قبله .

بالاسلام ساد المجتمع الاسلامى الايثار ، وبقشوره ساد هذا المجتمع الاستئثار .

بالاسلام كان المجتمع الاسلامى مفخرة الدنيا ، وبدونه أصبح هذا المجتمع مستنقع الدنيا .

قرأ فرنسى القرآن الكريم ، وعكف على كتب الدين ، فأعلن اسلامه ، وهاجر من بلاده الى ديار المسلمين ، فوجد كل مخازى فرنسا فى البلد الاسلامى الذى هاجر اليه مع مخاز اضافية ليست موجودة فى فرنسا ، فلما لمس الواقع الذى عاشه تنهد قائلا : أين الاسلام ؟ !

وليس مايعانيه المجتمع الاسلامى اليوم ذنب الاسلام ، ولكن ذنب الذين هجروه من المسلمين .

وجاءت أجنبية أعلنت اسلامها وهى تطبق تعاليم الاسلام فى الاحتشام الى بلد اسلامى لتعيش فى مجتمع الحشمة والفضيلة ، فصعقت

حين رأت المسلمات فى البلد الاسلامى عاريات كاسيات ، يأمرنها بالتبرج وينهينها عن الاحتشام .

لقد أصبح المسلمون ، بتصرفاتهم غير الاسلامية ، موضع اتهام للاسلام عقيدة وتشريعا ، فقال أعداء الاسلام: لو كان الاسلام يرفع من شأن معتنقيه ، لما تأخر المسلمون !

والسيف الصارم البتار ، اذا كان بيد الجبان الرعديد ، يذل ويشقى ويتهم . وهو حرىّ بالعز والسعادة والاعجاب .

وقديما تهكم غبى بسيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، قائلا : أهذا سيفك الذى ذاع صيته فى الآفاق !! فقال عمرو : اذا كان بيد صاحبه لا بيدك .

— ٥ —

ان المجتمع الصالح ، أساسه الفرد الصالح فهو يتكون من أفراد صالحين ، يفعلون ما يقولون ، أو يفعلون أكثر مما يقولون أو يفعلون ولا يقولون ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أقل الناس كلاما ، وأكثرهم عملا ، وكان خريجو مدرسته من الصحابة عليهم رضوان الله كذلك ، والمهم فى الأمر كله الاخلاص فى العمل ، والحرص على المصلحة العامة أكثر من الحرص على المصلحة الخاصة ، أو الحرص على المصلحة العامة كالحرص على المصلحة الخاصة على الأقل .

والمجتمع الفاسد ، أساسه الفرد الفاسد ، فهو يتكون من أفراد فاسدين ، يقولون ما لا يفعلون ، أو يقولون أكثر مما يفعلون ، أو يقولون ولا يفعلون ، ومن فقه المرء اختصاره فى خطبة الجمعة مثلا ، كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما كان يفعل خريجو مدرسته من الصحابة رضوان الله عليهم ويفعل السلف الصالح من العلماء العاملين المخلصين ، فيؤثرون فى المستمعين بأعمالهم لا بأقوالهم ، لأنهم كانوا أسوة حسنة وقدوة صالحة بالأعمال لا بالأقوال ، لأن الأقوال التى تتجسد أفعالا فى النفوس هى التى تؤثر فى النفوس الأخرى ، ولا تبقى أقوالا بغير أفعال ، التى قد تصل الى الآذان ولكنها لا تصل أبدا الى الوجدان .

والاسلام كفيل بجعل المسلم الذى يطبّق أركانه (عبادة)

لا (عادة) ، عنصرا صالحا ليكون مع أمثاله مجتمعا اسلاميا صالحا متميزا لا فى محيطه فحسب ، بل فى العالم كله ، كما فعل الاسلام بالفرد والمجتمع فى الصدر الأول للاسلام ، والتاريخ الاسلامى خير شاهد وأعظم دليل على ذلك .

وثمرة تطبيق تعاليم الاسلام (عبادة) هو التحلى بالخلق الحميد والمعاملة الحسنة ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على حبيبه وصفيه ونبيه ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام فى كتابه العزيز فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) ، ووصفه بقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وزبدة ثمرة التطبيق العملى لأركان الاسلام (عبادة) ، هى ما نص عليه القرآن الكريم : (انما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم) ، وما نص عليه الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

وهذا هو الاختبار للايمان : أن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه ، فاذا اقتصر حبه على نفسه ، فهو ليس بمؤمن .

- ٦ -

كيف أتصور المسلم الايجابى أو المسلم الحق على النطاق الفردى ؟

يفشى السلام ، وتحية المسلم لأخيه المسلم هى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ويطعم الطعام ، وبخاصة الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى ، فيشرك اخوانه بما يُعد من طعام ، ولايبخل به على المحتاجين والجياع ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن بالله وباليوم الآخر ، مَنْ بات شبعان وجاره جائع » .

واذا كانت لديه ملابس تفيض على حاجته ، فمن الحرام أن يبقيها مكدسة على المشاجب واخوته يشكون البرد والعرى .

واذا كان لديه مسكن ، ووجد أخاه بلا مسكن ، ولا قدرة له على استئجار مسكن له ، فمن الضرورى أن يسكن أخاه ويؤويه .

وعيادة الأخ المريض واجبة ؛ ومساعدته ماديا ليستعين بالمال على استقدام الطبيب وشراء الدواء واعالة الأهل واجب أيضا . واذا كان يعرف طبيبا حاذقا ، فمن الواجب أن يستقدمه الى أخيه المريض أو يستصحب أخاه المريض الى ذلك الطبيب .

واذا كان أخوه أعزب ، وكان يعرف عائلة ذات دين ، فلا بد أن يدله على البنت التى تناسبه ، واذا كانت لديه بنت فليس من المعيب أن يعرضها على أخيه الأعزب .

واذا كان أخوه يعيش فى أفراح شاركه أفراحه ، واذا كان فى أتراح شاركه أتراحه ، واذا مرض عاده ، واذا مات مشى خلف جنازته وقدم التعازى لأهله .

يفرح لفرح أخيه ، ويحزن لحزنه ، واذا أصابته مصيبة خفف عنه ، واذا وقع فى مشكلة عاونه على حلها .

واذا خاصم أحدا نصره ظالما بارشاده الى الحق ، ومظلوما بأخذ الحق له . واذا جافى أحدا صالحه مع الذى جافاه ، واذا عادى أحدا أصلح ذات البين .

واذا كان بحاجة الى سند عند ذى سلطة أو جاه ، أعانه على قضاء حاجته ، وقد استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم أعرابى مشرك كان له دين فى ذمة أبى جهل ، فمشى عليه الصلاة والسلام مع الأعرابى المشرك الى ألد أعداء الاسلام والمسلمين أبى جهل ، حتى استخلص له حقه .

واذا جاءته هدية من أخ له ، أو كان فى سفر ، أو جاءه ريع مزرعته ، فلابد أن يهدى مما أفاء الله به عليه الى ذوى القربى واخوته فى الدين .

يهش لأخيه حين يلقاه ، ويصونه حين يغيب ، ويدافع عنه اذا اغتيب ، ويدفع عنه السوء والأذى .

لا يغش أخاه بائعا أو مشتريا ، وينصحه اذا استنصحه أو اذا لم يستنصحه ، ويؤدى الأمانة ، ويصون الكرامة ، ويفى اذا وعد ، ويعفو اذا توعد ، ويصفح عمن ظلمه ،

ويقيل العثرات ، ولا يتطلع الى العورات •

ذلك غيض من فيض مما يأمر به الدين الحنيف ، لاشاعة المحبة والثقة والتعاون فى المجتمع الاسلامى •

وكل ما أوردته له شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الأئمة والأعلام ، وله أمثلة حية من التاريخ الاسلامى العظيم •

وحسبى أن أذكر مثالا واحدا مما حدث بعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، يوم آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، حيث شاطر كل أخ من الأنصار أخاه من المهاجرين ماله ومسكنه وملبسه ، وقد بلغ التعاون بين الاخوة المسلمين حدا لا مثيل له فى سائر الأمم ، اذ عرض الأنصار الذين كانوا متزوجين بأكثر من واحدة زوجاتهم على المهاجرين الذين لازوجات لديهم ، قائلين : « اختاروا من تشاءون من الزوجات ، لنطلقهن ليكن زوجات لكم » •

هذا هو المسلم الايجابى أو المسلم الحق الذى أثرت فيه أركان الاسلام وتعاليمه ، أما المسلم الذى يؤدى الفرائض ثم لا يفكر الا فى نفسه ومصالحها ، ولا يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، فأمره جد عسير •

– ٧ –

أما تصورى للمسلم الايجابى على النطاق الجماعى الذى هو أهم بكثير من النطاق الفردى ، فالحديث عنه ذو شجون •

ان الجندى يُدَرَّب تدريبا فرديا فى الجيش ليصبح عنصرا مفيدا فى حضيرته وفصيلته وسريته وفى كتيبته ولوائه وفرقته وفيلقه وجيشه ، متعاونا مع رفاقه فى السلاح ، متحملا واجبه بكفاية فى أثناء التدريب الاجمالى أيام السلام وفى ميدان القتال أيام الحرب •

والتدريب الفردى هو الأساس للتدريب الاجمالى ، ولكن التدريب الفردى هو (الوسيلة) والتدريب الاجمالى هو (الغاية) •

ولا يستطيع أن يؤدى الجندى واجباته فى التدريب الاجمالى ،

ما لم يتقن التدريب الفردى اتقانا فائقا .

ولكن أى جندى متفوق فى تدريبه الفردى ، لا يؤدى واجبه كاملا فى التدريب الاجمالى وفى ميدان القتال ، لا قيمة له فى العسكرية ولا وزن له فى الجندية .

وما يقال عن التدريب الفردى فى العسكرية ، يقال عن تطبيق أركان الاسلام فرديا ، فاذا ما طبق المسلم تلك الأركان ، ثم انصرف الى نفسه دون أن يؤدى واجبه كاملا فى خدمة المجتمع الاسلامى أيام السلام وفى الجهاد أيام الحرب ، لا قيمة له فى المجتمع ولا وزن له فى الاسلام .

وصدق الله العظيم : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) .

وصدق الله العظيم : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

وصدق الله العظيم : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ، فهم فى ريبهم يترددون) .

تلك صفات الذين يتهربون من الجهاد بأنفسهم وأموالهم : لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وارتابت قلوبهم !!

وصدق الله العظيم : (يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عين من ماء عذب ، فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشِّعْبِ ، ولا أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه

وسلم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لا تفعل ! فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاما » .

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله ، خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى الجهاد فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، لو أنفقت ما فى الأرض ، ما أدركت فضل غزوتهم » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... واذا تركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله ، خير مما طلعت عليه الشمس » .

وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ رابط لله حارسا ، من وراء المسلمين ، كان له أجر مَنْ خلفه ممن صام وصلى » .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لم يغز ، ولم يجهز غازيا ، أو يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله ، حرم الله سائر جسده على النار » .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ، ومن ترك الجهاد فى سبيل الله ، ألبسه الله الذل ، وشمله البلاء ، وديس بالصغار ، وسيم بالخسف ، ومُنع النصف » .

ولن أحاول تفسير آيات الجهاد وأحاديثه التى أوردتها ، لأنها واضحة وضوح الشمس ، وهى تؤكد أن الأمر خطير للغاية ، والتخلى

عن الجهاد له أثره فى ايمان المؤمن فردا وفى مصير الأمة ، والمسلم الايجابى هو المجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله ، وكل اعتذار عنه من وساوس الشيطان •

- ٨ -

هذا المجتمع الاسلامى ، يتحلى أفراده بمناعة ضد الحرب النفسية ، وهم لا يرددون الاشاعات ويقضون عليها فى مهدها ، ولا يتعاونون مع المستعمرين ولا الخونة والعملاء والمريبين ، يخلصون لعقيدتهم ويتفانون فى سبيلها ، يعملون لاعلاء كلمة الله ويدافعون عن الأرض والعرض •

فأى مجتمع سيكون أكثر نورا وأعظم قوة وأشد تماسكا من هذا المجتمع الاسلامى ، لو تمسك أفراده بأهداب الدين الحنيف (عبادة) لا (عادة) •

ان هذا المجتمع سيسود العالم ويقود الدنيا ، كما فعل أسلافه من قبل •

ولكن الاسلام أصبح غريبا فى موطنه ، وأمسى مهجورا من معتنقيه ، والبقية الباقية من الذين يؤدون فرائضه ونوافله يؤدونها (عادة) لا (عبادة) ، فلا تؤثر فيهم ولا تعمل عملها فى نفوسهم •

ان الاسلام عقيدة وتشريعا ، والقرآن الكريم عقيدة وتشريعا ولغة ، والحديث الشريف عقيدة وتشريعا وسلوكا وأخلاقا ، لها أثر هائل فى النفوس والعقول معا ، اذا طبقت نصا وروحا •

فلا تعجب من اجماع الشرق والغرب بما فيهما من عقائد متناقضة وتيارات، لا تتفق على شىء ، اتفاقا فوريا بحماسة واصرار ، اتفاقها على مصاولة الاسلام عقيدة وتشريعا ، وسلوكا وأخلاقا ، ولغة وتراثا ، مصاولة حاسمة شرسة فى كل زمان ومكان ، وبكل طريقة وأسلوب •

والمجتمع الاسلامى فى الوقت الحاضر ، بما فيه من تخلف وفوضى، خير حليف لأعداء الاسلام •

وقد حرصت على التطرق الى تمسك المسلم الايجابى ، باتقان عمله فى كل ميدان ، تنفيذا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله

يحب اذا عمل أحدكم عملا ، أن يتقنه » أو كما قال ، فى آخر هذا البحث ، نظرا لأهمية اتقان العمل فى بناء المجتمع الاسلامى وقوته وتميزه •

لقد شيد جدى دارا قبل مائةسنة، ولا يزال قائما فى مدينة الموصل ، لا يستطيع أحد أن يغرس مسمارا فى جداره •

وشيد والدى دارا قبل خمس وثلاثين سنة ، فتهدم الدار وعفى عليه الزمن •

وقلت لوالدى عليه رحمة الله : « لماذا سارع البلى الى دارك ، وبقى دار أبيك قائما ؟ » •

وتنهد الوالد قائلا : « دار جدك بنتها أيد متوضئة ، وقد قامت والعمال يذكرون الله ••• » •

« ودارى بنتها أيد لم يمسها الوضوء مرة ، وقد قامت والعمال يتغنون مع المذياع » •

وهكذا خسرنا الدنيا والآخرة ، حين تخلينا عن تعاليم الدين الحنيف •

أين الخيرات التى كنا ننعم بها ؟ أين الصناعات المحلية التى كنا نباهى بها ؟ أين دور العلم التى كانت تشع بالنور ؟ أين راحة الضمير الذى كنا نسعد به ؟ أين الخيرات والبركات ؟

كيف يتقدم مجتمع لا يخلص فيه الفلاح فى مزرعته ، والعامل فى عمله ، والتاجر فى معاملته ، والبائع فى بيعه ، والموظف فى مكتبه ، والتلميذ فى مدرسته ، والطالب فى جامعته ، والمعلم فى تدريسه ، والأستاذ فى كليته ؟؟ !!

ان خوف الله وخشيته ، كانت تدفع المسلم الايجابى الى الاخلاص فى عمله ، فيفيد نفسه فردا ، ويفيد الاقتصاد الوطنى ، فتشيع السعادة والرفاهية ، ويتقدم المجتمع حثيثا الى أمام ليس فى الاقتصاد فحسب، بل فى النواحى السياسية والعسكرية والاجتماعية والعلمية والفنية •

ان تطبيق تعاليم الاسلام (عبادة)، تسمو بالفرد والمجتمع على حد سواء ، فلمصلحة من يترك المسلمون دينهم أو يتمسكون به (عادة) ؟ !

ان الاسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء ، الاسلام الحركى الذى يخشاه أعداء المسلمين ، هو الذى يؤثر فى الفرد المسلم والمجتمع الاسلامى ، وهو الذى يقود المسلمين الى المجد ، ويغير حالهم من حال الى حال .

وهو الذى يجعل الفرد المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويحب للمصلحة العامة أكثر مما يحبه لنفسه ، وحينئذ يصبح الفرد المسلم والمجتمع الاسلامى ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، فتذوب الفروق الفردية بين الأفراد والفروق الطبقية بين الأمة ، وصدق الله العظيم : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وليس شريفكم نسبا ولا أغناكم مالا ، ويومئذ يصبح الصراع الطبقى خرافة ، اذ ليس فى المجتمع الاسلامى الحق صراع طبقى ، لأن الاسلام يعصمه من الانهيار الى هذا الدرك الأسفل من الصراع .

ان مساجدنا تعانى انفجارا ضخما من المصلين والحمد لله ، ولكن لاعبرة بالكمية ، والاختبار العملى هو طرح هذا السؤال : كم يبقى من هؤلاء المصلين حين نطالبهم بدفع عشرة جنيهات لمصلحة عامة للمسلمين؟ وكم يبقى منهم حين نطالبهم بالجهاد بذلا للأموال والأنفس اعلاء لكلمة الله ؟

ان تعداد المسلمين اليوم ، ألف مليون نسمة ، فكم عدد الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله من هؤلاء ؟ ؟

ان ثمرة تطبيق الاسلام العملية ، هو الجهاد ، هو خدمة المجتمع الاسلامى والحرص على مصلحته العليا ، هو تفوق هذا المجتمع على غيره فى شتى المجالات .

ان العبرة ليست بالكمية ، بل العبرة بالكيفية .

لقد استطاع الاسلام حشد أربعين بالمئة من تعداد المسلمين فى الصدر الأول للاسلام .

وحشد العرب فى حرب ١٩٦٧ ثلاثة بالألف فقط على حين حشد العدو الصهيونى أحد عشر بالمئة !

ولو عاد العرب والمسلمون الى الاسلام ، لقال يهود كما قال أسلافهم من قبل : (ان فيها قوما جبارين) .

وأرجو أن يردد كل عربى وكل مسلم قول الله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال) ، وقد ظلمنا أنفسنا بما لا مزيد عليه .

أفلا تذكرون ؟ !

محمود شيت خطاب

الشباب المتمدن :

أيتها الشرقية : « احذرى هؤلاء الشبان المتمدنين باكثر من التمدن ... يبالغ الخبيث فى زينته ، وما يدرى أن زينته معلنة انه انسان من الظاهر ... ويبالغ فى عرض رجولته على الفتيات ، يحاول ايقاظ المرأة الراقدة فى العذراء المسكينة !

ليس لامرأة فاضلة الا رجلها الواحد ؛ فالرجال جميعا هم مصائبها الا واحد .

واذا هى خالطت الرجال ، فالطبيعى أنها تخالط شهوات، ويجب أن تحذر وتبالغ .

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« وحى القلم جـ ١ »

العلماء المنتسبون إلى بلدتى نسف وبزدوه

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى

١ ــ مقدمة :

فى التراث الثقافى العربى نوع فريد من الكتابة التاريخية تميز به المسلمون وهو تواريخ الحواضر الاسلامية ، أو ما أسماه السخاوى فى كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ بالتواريخ المحلية • وقد أورد عنها ثبتا ضافيا رتب فيه هذه الحواضر ترتيبا هجائيا • وذيله المستشرق فرانز روزنتال بحواش وتعليقات جزيلة الفائدة عن هذه المؤلفات ومظان وجودها وما نشر منها •• وذلك فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ليدن سنة ١٩٥٢ م والترجمة العربية ، بغداد سنة ١٩٦٣ م ص ٦١٣ : ٦٥٧) •

وليست هذه الكثرة من المؤلفات عن تواريخ الحواضر الاسلامية صادرة عن نزعة اقليمية أو ما يسمى حديثا بالنعرة الوطنية وذلك من جانب مؤلفيها • وانما هى من قبيل التعلق بالحاضرة التى ينتمى اليها المتصدى لكتابة تاريخها بما يدفعه الى تعديد فضائلها والترنم بمآثرها• فهى اشادة مستحبة لا ضير فيها ولا غبار عليها • وقد عبَّر عن هذا المعنى لسان الدين بن الخطيب فى مقدمة كتابه : الاحاطة فى أخبار غرناطة بقوله (حـ ١ ص ٧) : « فداخلتنى عصبيه لا تقدح فى دين ولا منصب ، وحمية لا يُذَم فى مثلها متعصب » • ولدينا فيما يتعلق بهذه العناية بالتواريخ المحلية ماينفى وجود أية نزعة اقليمية ، وهو ذلك الشعور الفياض بوحدة العالم الاسلامى على تعدد الدول التى انقسم اليها • ويتجلى لنا ذلك فى كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين

عند ذكر المدن التى يزورونها أو يكتبون عنها فيستهلون الحديث عنها بالدعاء لها بقولهم حرسها الله تعالى ووقاها من كل سوء . فهم يبتهلون الى الله بهذا الدعاء كما لو كانوا من صميم أبنائها المنتسبين اليها الحريصين على عزتها ومنعتها .

وقد خلّف لنا المسلمون تراثا ضخما عن تواريخ هذه الحواضر فى مختلف بقاع العالم الاسلامى سواء كانت تقع فى قلبه أو فى أطرافه النائية . عمدوا فيها الى بيان ازدهارها أو بما أسماه ابن خلدون باستبحار العمران فيها والاشارة الى التقلبات الطارئة عليها ، ثم الافاضة فى تراجم العلماء المنتمين اليها بل والذين رحلوا اليها وأقاموا بها .

والكاتب عن حاضرة ما من بين هؤلاء يبدأ بنبذة تاريخية عن نشأتها ومؤسسيها ثم تخطيط طرقاتها وأحيائها ومبانيها العامة من المساجد والمدارس وغيرها . أى أنه يتناول مايسمى حديثا بتاريخها الطبوغرافى . وقد بلغ هذا النوع من الكتابة التاريخية ذروته فى مصر ، كما يتضح لنا ذلك فى كتابات ابن زولاق والمقريزى والناسجين على منوال هؤلاء فى العصر الحديث كما فى كتاب الخطط التوفيقية لعلى مبارك وخطط الشام لمحمد كرد على .

وبعد أن يفرغ الكاتب من تاريخ تخطيط الحاضرة يترجم للنابهين من رجالاتها وللأعلام من علمائها ، فيذكر شيوخ هؤلاء ممن تلقوا عليهم العلم ، ثم من أخذوا عنهم وبيان مؤلفاتهم وتاريخهم العلمى . وبذلك يتحول جانب كبير من تواريخ هذه الحواضر الى معجمات زاخرة بتراجم الأعلام . كما يتجلى ذلك فى تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر . ويلاحظ أن لبعض هذه المؤلفات متابعة مطردة عن طريق التذييل عليها بكتابة تراجم الأعلام الذين اشتهروا بعد وفاة مؤلف الحاضرة ، كما صنع الدُبَيثى وابن النجار فى التذييل على تاريخ بغداد وكذلك المعقبون على تاريخ دمشق لابن عساكر .

هذا وقد سبق السخاوى فى سرد المؤلفات الخاصة بتواريخ الحواضر

الاسلامية صلاح الدين الصفدى وذلك فى مقدمة كتابه الوافى بالوفيات ، ولسان الدين بن الخطيب فى مقدمة كتابه الاحاطة بتاريخ غرناطة . وفيما يتعلق بمظان وجود هذه المؤلفات فإنه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع : نوع يعد للأسف من الكتب المفقودة التى ضاعت فيما ضاع من كتب التراث العربى . ولكن يعزينا عن فقدها أنه توجد أحيانا فقرات منقولة عنها فى مؤلفات أخرى كما فى كتاب الانسان للسمعانى ومعجم البلدان لياقوت .

أما النوع الثانى فلايزال مخطوطا لم ير النور بعد . والنوع الثالث نشر كاملا أو ناقصا على درجات متفاوتة من الضبط والتحقيق . ومن النوع الأخير تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ جرجان للسهمى وتاريخ بخارى للنرشخى وتاريخ أصبهان لأبى نعيم صاحب الحلية وتاريخ ثغر عدن بقلم بامخرمة ، وأخبار مكة للأزرقى ووفاء الوفا بتاريخ دار المصطفى للسمهودى ومعالم الايمان بتاريخ القيروان والعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين لتقى الدين الفاسى .

ولكثرة المنتسبين الى حاضرة ما، وخاصة اذا كانت من الحواضر النائية فى أطراف العالم الاسلامى مثل نسف وتزدوه . فانه يتعذر على القارىء الحديث التفرقة بين من أنجبتهم هاتان الحاضرتان من العلماء . فكتاب العقائد النسفية على كثرة الشروح والتعليقات المتراكمة على متنه لم يذكر الشارح ولا المُحَشّى ولا المقرر شيئا عن مؤلفها وتاريخ سنة وفاته للتفرقة بينه وبين علماء نسفيين آخرين كتبوا فى موضوع العقائد مثل نجم الدين عمر النسفى . بل هناك شك فى نسبة كتاب العقائد اليه أثاره أبو الحسنات اللكنوى فى كتابه الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (ص ١٩٤ ، ١٩٥) اذ نسبه الى محمد بن محمد بن محمد أبى الفضل المعروف بالبرهان النسفى المتوفى عام ٦٨٧هـ وجاء فيه أن تصنيف البرهان النسفى مشهور بالعقائد النسفية وهو الذى شرحه سعد الدين

التفتازانى وأنه قد نسبه صاحب كشف الظنون الى أبى حفص عمر النسفى المتوفى عام ٥٣٧ هـ .

يضاف الى ذلك أن الدارسين المحدثين لكتب التراث الاسلامى قلما يتطلعون الى معرفة البلدان التى ينتمى اليها مؤلفوها . سعياً منهم لربط الماضى بالحاضر فلا يسألون عن موقع هذه الحواضر فى الخوارط الجغرافية وعما فعل الله بها . أو لاتزال عامرة مزدهرة أم دائرة عفّى عليها الزمن ؟ وأين توجد أماكنها أو أطلالها ، بالنسبة لحدود الدول الحديثة ؟ وتكثر هذه الأسئلة فيما يتعلق بالحواضر الاسلامية فى آسية السوفيتية .

هذا وقد عنى المستشرق البريطانى جى لسترانج Guy Le Strange (١٨٥٤ ــ ١٩٣٣ م) بالجغرافية التاريخية للحواضر الاسلامية فى مشرق العالم الاسلامى وذلك فى كتابه : « بلدان الخلافة الشرقية» الذى نشره فى كمبردج سنة ١٩٠٥ م . وقد اعتمد فيه على كتابات الجغرافيين والرحالة العرب والفرس . وزود كتابه بالكثير من الخوارط الجغرافية الدقيقة . ويتناول كتابه صفة العراق والجزيرة وايران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الاسلامى حتى أيام تيمور . وقد نقله الى العربية وأضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية الأستاذان بشيرفرنسيس وكوركيس عواد ونشراه ببغداد سنة ١٩٥٤ وهو من مطبوعات المجمع العلمى العراقى .

ويقول لسترانج فى حديثه عن مدن القسم الجنوبى من كوْرة بأذغيس (ص ٤٥٦ من الترجمة العربية) « انها قد زالت اليوم جميعا من الخارطة ، وانه يصعب تعيين مواضع أسمائها التى عرفت بها فى العصر الوسيط ، أو مطابقتها مع أسماء الخرائب الحالية » .

وشاهد ابن بطوطة أثناء تجواله فى بلاد ما وراء النهر فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى آثار التخريب الذى أحدثه المغول ابان

غزوهم لها . فقال فى مهذب رحلته (جـ ١ ص ٣٠٤) : « لما ثار المسلمون على جنكيز خان فى بلخ وفيما وراء النهر كر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها . ثم فعل مثل ذلك فى ترمذ ، فخربت ولم تعمر بعد ، لكن بنيت مدينة على ميلين منها وهى التى تسمى اليوم ترمذ » .

ويقول عن سمرقند : « انها مدينة مبنية على شاطىء واد يعرف بوادى القصارين وانه كانت على شواطىء هذا الوادى قصور عظيمة وعمارة تنبىء عن علو همم أهلها . فدثر أكثر ذلك . وكذلك المدينة خرب أكثرها ولا سور لها ولا أبواب عليها » .

وفى حديث ابن بطوطة عن بخارى يقول : « انها كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد ، خربها اللعين جنكيز خان ، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة الا القليل . وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به » . وأضاف عبارة تدل على أن أهل بخارى كانوا قبل الغزو المغولى لا يكتفون بكتابة أسماء المتوفين من علمائهم على قبورهم وانما يضيفون اليها أسماء مؤلفاتهم يقول ابن بطوطة (جـ ١ ص ٣٠٥) : «وزرت ببخارى قبر الامام البخارى مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين وعليه مكتوب : هذا قبر محمد بن اسماعيل البخارى وقد صنف من الكتب كذا وكذا . وكذلك على قبور علماء بخارى أسماؤهم وأسماء تصانيفهم » وأضاف ابن بطوطة : « وكنت قد قيدت من ذلك كثيرا وضاع منى فى جملة ما ضاع لما سلبنى كفار الهند مالى » .

٢ ـ مدينتا نسف وبزدوه :

تقع مدينتا نسف وبزدوه فى الخارطة رقم ٩ من كتاب لسترانج ما بين خطى عرض ٣٨ و ٣٩ شمالى خط الاستواء . وهما بين نهرى الصغد ونهر جيحون الذى يعرف فى المصورات الجغرافية الأجنبية باسم Oxus كما يعرف أيضا باسم آموداريا . أما النهر الكبير

الآخر الواقع الى الشمال ويعرفه العرب باسم سيجون ، فيعرف عند الفرنجة باسم يكتارتس Jaxartes أو سرداريا . وبين هذين النهرين نهر الصغد. ومكان نسف وبزدوه يقع حاليا فى جمهورية أوزبكستان السوفيتية .

ومن كتب عن نسف المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم الذى ألفه سنة ٣٧٥ هـ فقد كتب يقول (ص ٢٨٢ : ٢٨٣) : « نسف ويسمونها نخشب لها فهندز (أى قلعة) خراب وربض عامر فى مستواه ، والنهر يشقها ودار الامارة على ضفته عند رأس القنطرة . ولها ربض الجامع عند الأسواق ، وهى كثيرة الأعناب الجيدة والمزارع العذبة الطيبة .. الا أن ماءها ضيق ونهرها ينقطع (أى لا يجرى فيه الماء على مدار السنة) . وأهلها غاغة وبها عصبيات وحشة وهم قوم سوء يصلحون للشرط . وكسبة أكبر منها وبزده أصغر » .

ونقل ياقوت المتوفى عام ٦٢٦ هـ ما كتبه كل من الاصطخرى والمقدسى عن نسف وذلك فى كتابه معجم البلدان (جـ ٨ ص ٢٨٧) وأضاف يقول : « وقد خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم فى كل فن ، منهم : أبو اسحاق ابراهيم بن معقل بن الحجاج بن خداش النسفى ، كان من جلة العلماء وأصحاب الحديث. كتب الكثير ، وجمع السنة والتفسير وروى عنه كثير من العلماء ومات سنة ٣٩٤هـ (والصواب سنة ٢٩٤هـ نقلا عن السمعانى فى الأنساب ظهر الورقة ٥٥٩) .

وقال ياقوت فى مادة نخشب فى معجم البلدان (جـ٨ص٢٧٣) : «انها مدينة نسف نفسها ... بينها وبين سمرقند ثلاث مراحل ينسب اليها الحافظ عبد العزيز بن محمد النسفى النخشبى أحد الأئمة مات سنة ٤٥٦ هـ ».وترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٣ ص ٢٩٧).

وقال السمعانى المتوفى عام ٥٦٢هـ فى كتابه الأنساب فى مادة النسفى (ظهر الورقة ٥٥٩) : « هذه النسبة الى نسف وهى من بلاد ماوراء النهر

يقال لها نخشب ، أقمت بها قريبا من شهرين ، وسمعت بها جماعة ، وخرج منها من العلماء فى كل فن جماعة لا يحصون . ولقيت منهم جماعة وسمعت منهم » . ثم ذكر السمعانى من علماء نسف أبا اسحاق ابراهيم بن معقل الذى سبق ذكره ، وابنه أبا عثمان سعيد بن ابراهيم ، وأبا على الحسين بن الخضر الذى ترجم له السمعانى فى الأنساب (وجه الورقة ٤٢٩) اذ كتب يقول: « كان امام عصره بلا مدافعة . وقد أقام ببغداد مدة ، وتفقه وتعلم وناظر الخصوم . وله قصة فى مسألة توريث الأنبياء مع المرتضى مقدم الشيعة . ومات ببخارى لما قارب الثمانين سنة ٤٢٤ هـ . وقد زرت قبره غير مرة بمقبرة كلاباذ » .

وفى مادة النخشبى قال السمعانى فى الأنساب (ظهر الورقة ٥٥٦) : « هذه النسبة الى نخشب ، وهى بلدة من بلاد ما وراء النهر ، عربت فقيل لها نسف . وقد ذكرتها فى النون والسين وأذكرها هاهنا الآن لئلا يظن الناظر فى كتابى أنى لم أذكرها . والمشهور بهذه النسبة شيخ عصره بلا مدافعة أبو تراب النخشبى.واختلف فى اسمه والأشهر أن اسمه عسكر بن حصين وقيل عسكر بن محمد بن حصين . كان من جملة المشايخ المذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع ، توفى سنة ٢٤٤هـ».وترجم أبو نعيم الأصبهانى لأبى تراب النخشبى فى حلية الأولياء ترجمة مستفيضة (جـ ١٠ ص ٤٥ : ٥١) أورد فيها ما أثر عنه من أقوال دقيقة فى التصوف . وهذه الترجمة على اسهابها لم يرد فيها تاريخ وفاته . كما ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٠٨) فى وفيات سنة ٢٤٥ هـ . ومن طريف ما جاء فيها أن أباتراب النخشبى « اجتمع بالامام أحمد بن حنبل ، فجعل الأمام أحمد يقول فلان ضعيف فلان ثقة . فقال له أبو تراب : لاتغتب العلماء . فالتفت اليه الامام أحمد وقال له : ويحك هذه نصيحة ليس هذا غيبة » .

وأضاف السمعانى « ان لبلدة نسف تاريخا كبيرا فى مجلدتين

ضخمتين جمعهما أبو العباس المستغفرى الحافظ النسفى» ، وكرر ذلك فى موضع آخر من كتابه الأنساب (وجه الورقة ٥٦٠) اذ يقول : « وقد جمع لرجالها أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفرى النسفى الحافظ كتابا مشبعا يشتمل على ثمانين طاقة أو أكثر » .

ويهمنا أن نعرف شيئا عن مؤرخ نسف هذا . وقد ترجم له السمعانى فى الأنساب فى مادة المستغفرى (ظهر الورقة ٥٢٨) فقد كتب يقول : « المستغفرى هذه النسبة الى المستغفر وهو اسم لبعض أجداد المنتسب اليه ، وهو أبو على محمد ابن المعتز بن محمد بن المستغفرى النسفى .. توفى سنة ٣٧٤هـ . وابنه أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز ابن محمد بن المستغفرى النسفى ، خطيب نسف ، كان فقيها فاضلا ، ومحدثا مكثرا صدوقا ، يرجع الى فهم ومعرفة واتقان ، جمع الجموع وصنف التصانيف ورحل الى خراسان وسرخس ونيسابور ومرو ، وسمع جماعة كثيرة ... روى عنه جدى الأعلى القاضى أبو منصور السمعانى وكانت ولادته سنة ٣٥٠ هـ ووفاته سنة ٤٣٢ هـ .

وترجم السمعانى لابن مؤرخ نسف فقال : « وابنه أبو ذر محمد ابن جعفر المستغفرى ، كان خطيب نسف ، ولى القضاء بعد أبيه ، وأسمعه أبوه جماعة من الشيوخ ، وكان من أهل العلم والخير . ذكره أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبى الحافظ فى معجم شيوخه وقال أبو ذر المستغفرى ابن شيخنا أبى العباس سمع أبا الفضل يعقوب ابن اسحاق السلامى ، وأبا محمد عبد الملك بن ابراهيم بن رافع . وكان صحيح السماع » .

هذا وقد ذكر السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ كتاب تاريخ نسف لأبى العباس جعفر بن محمد المستغفرى وذلك فى كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٥٢ من كتاب علم التاريخ عند المسلمين بقلم روزنتال) وهذا قد يرجع وجود كتاب تاريخ نسف فى حياة السخاوى . ولكنه

بعد جانبا من الكتب المفقودة بدليل أن روزنتال فى تعليقه على عبارة السخاوي فى الحاشية رقم ٩ يقول : « لقد اقتبس من هذا الكتاب (أى كتاب تاريخ نسف) السمعانى فى صفحات » ذكرها فى كتاب الأنساب وأورد أرقام هذه الصفحات . ولم يذكر روزنتال مظان وجود كتاب تاريخ نسف مما يدل على أنه من الكتب المفقودة .

ومن علماء نسف ممن ذكرهم السمعانى فى الأنساب فى مادة مكحولى (وجه الورقة ٥٤١) : « هذه النسبة الى مكحول وهو اسم الجد . وهم جماعة منهم : أبو البديع أحمد بن محمد بن الفضل النسفى المكحولى ، سمع أباه أبا المعين المكحولى ، وأبا سهل الاسفراينى ، وأحمد المقبرى . وكان بارعا فى الفقه ، مات ببخارى سنة ٣٧٩ هـ وحمل الى نسف . ثم ترجم السمعانى « لأخيه أبى المعالى معتمد بن محمد بن مكحول روى عن جده (الصواب عن أبيه) أبى المعين، وسمع أبا سهل الاسفراينى ، وروى عنه كتاب أخبار مكة وغيره وكانت ولادته سنة ٣٤٦ هـ ووفاته سنة نيف وثلاثين وأربعمائة » .

٣ - المستدرك فى تراجم علماء نسف:

ممن لم يذكرهم السمعانى فى الأنساب ولا ياقوت فى معجم البلدان .

١ - محمد بن أحمد أبو جعفر النسفى . له تعليقة فى الخلاف ، توفى عام ٤١٤ هـ ترجم له ابن قطلوبغا المتوفى عام ٨٧٩ هـ فى كتاب تاريخ التراجم (طبع بغداد سنة ١٩٦٤ م ص ٥٢ رقم ١٥٦) .

٢ - الحسين بن خضر القاضى أبو على النسفى . له الفوائد والفتاوى وكان امام عصره توفى عام ٤٢٤ هـ ترجم له أبو الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى فى كتابه الفوائد البهية فى علماء الحنفية (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ص ٦٦) .

٣ - هناد بن ابراهيم بن محمد ابن عمر أبو المظفر النسفى . روى عنه الخطيب الذى ترجم له فى تاريخ

بغداد (جـ ١٤ ص ٩٧ : ٩٨ رقم ٧٤٤٠) وقال : « كان يقدم بغداد فى الأحايين وولى القضاء وكان آخر عهدى به سنة ٤٥٠ هـ » . وترجم له ابن قطلوبغا فى تاريخ التراجم (رقم ٢٤٨) وقال : « انه سمع ورحل وخرج الفوائد وروى عنه الخطيب وأشار الى تصنيفه توفى عام ٤٦٥ هـ » . هذا ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته لأنه توفى بعده بعامين .

٤ ــ ميمون بن محمد بن محمد ابن سعيد بن مكحول بن أبى الفضل أبو المعين النسفى المكحولى، توفى سنة ٥٠٨ هـ . وقد نسى السمعانى أن يترجم له فى مادة مكحولى . وقد ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ٢٤٠) . وقد وصفه بالامام الزاهد العالم البارع . ونقل عن نجم الدين أبى حفص عمر النسفى ــ وسترد ترجمته فيما يلى ــ أنه قال فى كتابه القند فى ذكر علماء سمرقند (والقند هو عسل قصب السكر اذا جمد) عن أبى المعين ميمون النسفى : « كان عالم الشرق والغرب يغترف من بحاره ويستضاء بأنواره » .

وليس هذا من قبيل المبالغة فقد ترك لنا مؤلفات مهمة فى علم الكلام رجع اليها المستشرق الهولندى فنسك A.J. Wensinck فى تأليف كتابه العقيدة الاسلامية (بالانجليزية بكسبردج سنة ١٩٣٢م). وقد ذكرها فيما يلى (ص ٢٨٣) : ١ ــ العقائد مخطوطة برلين تحت رقم ١٩٤١ ، ٢ ــ المناجاة مخطوطة ليدن تحت رقم ٦٦١ ، ٣ ــ التمهيد لقواعد التوحيد ، مخطوطنا القاهرة تحت رقمى ٢٢٨٦ ، ٢٤٩٧ ، ٤ ــ تبصرة الأدلة مخطوطتا القاهرة تحت رقمى ٢٢٨٧ ، ٦٦٧٣ ، ٥ ــ بحر الكلام ــ رسالة صغيرة طبعت فى القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٥ ــ عبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم الفضلى القاضى النسفى : قال ابن قطلوبغا فى ترجمته (تاج التراجم رقم ١٠٥) : « انه تفقه ببخارى وله كتاب المنقذ من الزلل فى مسائل الجدل ، وكتاب الفحول فى علم الأصول ، وتعليق الخلاف.

وأضاف أنه برع فى علم النظر ، وناب فى القضاء بخراسان وانفرد بالفتوى وأن كتابه فى الأصول يعرف بكفاية الفحول ، وتعليق الخلاف يوجد فى أربع مجلدات وله فصول فى الفتاوى . توفى عام ٥٣٣هـ وترجم له أيضا صاحب الفوائد لبهية فى ص ٩٨ .

٦ ــ نجم الدين أبو حفص عمر ابن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن لقمان النسفى: ترجم له صاحب شذرات الذهب (حـ ٤ ص ١١٥) فى وفيات سنة ٥٣٧ هـ وقال : يقال ان له مائة مصنف . كان فاضلا مفسرا أديبا . وقال ابن قطلوبغا فى ترجمته (تاج التراجم رقم ١٤٠) : انه سمع الحديث وله كتاب طلبة الطلبة فى اللغة على ألفاظ كتب فقه الحنفية . ومن كتبه : كتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار روى فيه عن خمسمائة وخمسين شيخا ، وكتاب القند فى ذكر علماء سمرقند[1] الذى سبق ذكره . كما ألف كتابا فى تاريخ بخارى .

ونقل صاحب الفوائد البهية عن السمعانى قوله فى ترجمته له (ص ١٥٠) « انه صنف التصانيف فى الفقه والحديث ونظم الجامع الصغير (لمحمد بن الحسن الشيبانى) وطالعت مجموعاته فى الحديث » . ولم أعثر على هذا النص فى كتاب الانساب للسمعانى فى النسخة الزنكوغرافية الضخمة التى نشرها مرجليوث فى لندن سنة ١٩١٢ م ولعلها فى مخطوطات أخرى من كتاب الأنساب . وأضاف صاحب الفوائد البهية : أن نجم الدين عمر النسفى قيل له : مفتى الثقلين ؛ لأنه كان يعلم الانس والجن .

---

(١) ذكر السخاوى كتاب القند فى الاعلان بالتوبيخ ص ٦٣٣ وعلق على ذلك روزنتال فى الحاشية رقم ١٩ بقوله لقد كثر النقل عن القند كما صنع البغدادى فى تاريخ بغداد مخطوطة باريس رقم ٦١٥٢ والسمعانى فى الانساب فى ترجمة أحمد بن اسماعيل بن نصر (ص ١٩٤ ب) وانظر أيضا كتاب تاريخ التركستان حتى الغزو المغولى (بالانجليزية) بقلم بارتولد (لندن سنة ١٩٢٨ م) . ويفهم من تعليق روزنتال : أن كتاب القند من الكتب المفقودة .

هذا وقد فات المترجمين لنجم الدين عمر النسفى أن يذكروا من بين مؤلفاته كتابه الشهير فى العقائد، الذى كان يدرس فى الأزهر والمعروف باسم العقائد النفسية . وقد عنى بتحقيق هذا الكتاب المستشرق كيورتن Cureton ونشره فى لندن سنة ١٨٤٣ م . وقد رجعنا فى تصحيح نسبة هذا الكتاب الى نجم الدين عمر النسفى الى الطبعة التى نشرت للعقائد النسفية فى القاهرة سنة ١٩١٣ م وعليها شرح سعد الدين التفتازانى مع حواش وتقارير للخيالى، وعبد الحكيم والعصام ، وهذا ينفى ما زعمه أبو الحسنات أن العقائد النسفية من تأليف محمد بن محمد البرهان النسفى .

٧ ــ محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل المعروف بالبرهان النسفى : ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ١٧٠) وقال انه لخص تفسير الفخر الرازى وان له كتبا فى علم الخلاف ونقل عن الذهبى قوله : انه كان أوحد عصره فى الخلاف والفلسفة . وكان زاهدا . توفى ببغداد سنة ٦٨٧ هـ .

٨ ــ حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : هذا من أعلام نسف المتأخرين ترجم له ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (ج ٢ ، ص ٣٥٢ رقم ٢١١٨) وذكر أنه توفى عام ٧٠١ هـ وقال : « انه علامة الدنيا وأحد الزهاد المتأخرين ، له التصانيف المفيدة فى الفقه والأصول . من مؤلفاته :

(١) المستصفى فى شرح المنظومة (٢) كتاب النافع وشرحه المنافع فى شرح النافع . (٣) كتاب الكافى وشرحه : الوافى فى شرح الكافى . (٤) كنز الدقائق وهو متن مشهور فى الفقة . (٥) المنار فى أصول الفقه .

الفقه . (٦) العمدة فى أصول الدين :

وقد حققه المستشرق كيورتن ونشره فى لندن سنة ١٨٤١ م .

كما ترجم لأبى البركات ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ٨٦) وذكر مؤلفاته التى أوردها ابن حجر وأضاف أنه شرح كتاب المنار وسماه الكشف وشرح العمدة وسماه الاعتماد .

ولكن يلاحظ أن كلا من ابن حجر وابن قطلوبغا لم يذكرا أن لأبى البركات النسفى كتابا فى التفسير أسماه : « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » . وهو المعروف بتفسير النسفى . وقد وصفه حاجى خليفة فى كشف الظنون بقوله : « انه وسط فى التأويلات ، جامع لوجوه الاعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والاشارات ، موضح لأقاويل أهل السنة والجماعة خال من أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل » . هذا وقد طبع تفسير النسفى أكثر من مرة . وأدق طبعاته هى تلك الطبعة المحققة التى أخرجتها وزارة المعارف المصرية فى سنة ١٩٣٦ م .

وفى تاريخ وفاة أبى البركات النسفى خلاف بين من ترجموا له . فقد ذكر ابن حجر كما أسلفنا : أنه توفى عام ٧٠١ هـ وقال ابن قطلوبغا انه كان ببغداد سنة ٧١٠ هـ وذكر أبو الحسنات فى الفوائد البهية (ص ١٠٢) أنه توفى عام ٧١٠ هـ .

هذا ولم نجد لأبى البركات ترجمة فى فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ ولا فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى المتوفى عام ١٠٨٩ هـ .

* * *

٤ - العلماء المنتسبون الى بزدوه :

جاء فى كتاب الأنساب للسمعانى فى مادة البزدوى (ظهر الورقة ٧٨)

« البزدوى بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وفى آخرها واو . هذه النسبة الى بزده وهى قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف على طريق بخارى . والمشهور بالانتساب اليها :

« الحسن (الصواب أبو الحسن) على (بن محمد) بن الحسين بن

عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى ، فقيه ما وراء النهر ، وأستاذ الأئمة ، وصاحب الطريقة على مذهب أبى حنيفة . روى الحديث (بياض بالأصل بنحو ثلاث كلمات) ، روى لنا عنه صاحب أبو المعالى محمد بن نصر بن منصور المدينى الخطيب بسمرقند ، ولم يحدثنا عنه سواه .

« وكتب عن أبيه أبى ثابت (الصواب وكتب عنه ابنه أبو ثابت) الحسن بن على كتاب المسند لعلى ابن عبد العزيز البغوى . وكان يرويه عن أبى الحسن على بن حرام البخارى ، وروى لنا عن أبى على الحسن بن عبد الملك النسفى أيضا ، أخوه على (أخطأ السمعانى أو الناسخ هنا باضافة اسم على) أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوى القاضى الصدر . أملى ببخارى الكثير ودرس الفقه وكان من فحول المناظرين ، روى لنا عنه أحمد بن محمد بن الحسين البزدوى القاضى بمرو وقدمها حاجا . (وممن ينتسب اليها) أبو محمد عبد الكريم بن موسى ابن عيسى البزدوى جد أبى الحسن السابق ذكره . »

وفيما أورده ياقوت فى معجم البلدان فى مادة بزده (حـ ٢ ص ١٦٣) ما يدل على أنه نقل عن السمعانى . فقد ذكر من المنتسبين الى بزده أو بزدوه أبا الحسن على ابن محمد وابنه أبا ثابت . ولكنه قال فى ترجمة أبى ثابت انه ولى القضاء بسمرقند كما وليه ببخارى ثم عزل فانصرف الى بزده فسكنها وسمع الحديث ورواه وأضاف أنه مات بسمرقند سنة ٥٥٧ هـ .

ويبدو لنا أن المشهورين من علماء بزدوه ينتمون الى أسرة واحدة نذكرهم فيما يلى على ترتيب سنى وفاتهم :

١ ـ أبو محمد عبد الكريم ابن موسى بن عيسى البزدوى : جد فخر الاسلام الآتى ذكره . أخذ عن علم الهدى أبى منصور الماتريدى وعن أبى بكر الجورجانى . ترجم

له صاحب الفوائد البهية (ص ١٠١) وقال انه توفى عام ٣٩٠ هـ .

ومن أحفاد أبى محمد عبدالكريم وذراريه .

٢ ــ أبوالحسن على بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى ، فخر الاسلام ، الامام الكبير الجامع بين أشتات العلوم ، امام الدنيا فى الأصول والفروع ، له تصانيف كثيرة معتبرة منها : المبسوط فى احدى عشرة مجلدة ، وشرح الجامع الصغير وشرح الجامع الكبير ، وكنز الوصول الى علم الأصول ، ويعرف بأصول البزدوى وتفسير القرآن .

هذا وقد شرح عبد العزيز البخارى كتاب كنز الوصول وسمى شرحه كشف الأسرار ، طبع فى استنبول فى أربع مجلدات فى سنة ١٣٠٨ هـ . وتاريخ وفاة أبى الحسن المثبت فى هذه الطبعة هو سنة ٤٨٣ هـ ولكن صاحب الفوائد البهية قال فى ص ١٢٤ انه توفى عام ٤٨٢ هـ .

٣ ــ أبو اليسر محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى : أخو على بن محمد السابق ذكره ، برع فى العلوم أصولا وفروعا ، وانتهت اليه رياسة الحنفية بما وراء النهر . قال فى حقه نجم الدين أبوحفص عمر النسفى فى كتابه القند فى ذكر علماء سمرقند : « كان أبو اليسر شيخ أصحابنا بما وراء النهر ، وكان امام الأئمة على الاطلاق ، والوفود اليه من الآفاق ، ملأ الشرق والغرب بتصانيفه فى الأصول والفروع » توفى عام ٤٩٣ هـ . ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ١٩٨) وصاحب الفوائد البهية (ص١٨٨) هذا ولأبى اليسر كتاب أصول الدين وسنتحدث عنه فيما بعد .

٤ ــ أحمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى صدر الأئمة أبو المعالى البزدوى : أخو أبى اليسر ، تفقه على والده ، وسمع من أبى المعين ميمون بن محمد النسفى ، ولقى الأكابر ، وولى القضاء ببخارى مدة ، وكان اماما

فاضلا فقيها مناظرا . توفى بسرخس سنة ٥٤٢ هـ وترجم له صاحب الفوائد البهية (ص ٣٩ ، ٤٠) .

٥ ـ الحسن بن على بن محمد القاضى أبوثابت البزدوى : ولد بسمرقند سنة ٤٧٦ هـ ، ولما مات أبوه على بن محمد ، حمله عمه أبواليسر محمد بن محمد البزدوى الى بخارى . ولما مات ابن عمه أحمد بن محمد القاضى صدر الأئمة ، ولى القضاء ببخارى وبقى على ذلك مدة . ثم انصرف الى بزدوه حيث توفى عام ٥٥٧ هـ . (الفوائد البهية ص ٦٣) .

❊ ❊ ❊

لعل خير ما نختتم به الحديث عن علماء بزدوه هو أن نعرض لكتاب أصول الدين بقلم أبى اليسر البزدوى المتوفى عام ٤٩٣ هـ . وقد عنى بتحقيق هذا الكتاب المستشرق الألمانى هانز بيتر لنس Hans Peter Linss اذ قدمه لنيل درجة الدكتوراه فى بلده ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٦٣ م ، ويقع فى مائتين وستين صفحة من القطع المتوسط عدا ٣٢ صفحة مقدمة وفهارس وثلاث صفحات تصدير باللغة الانجليزية .

وكتاب أبى اليسر مماثل فى عنوانه كتاب أصول الدين لأبى منصور عبد القاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ . (طبعة استنبول سنة ١٩٢٨ م ويقع فى ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط) والأخير أوسع مادة من كتاب أبى اليسر فقد ذكر البغدادى خمسة عشر أصلا من أصول الدين وقسم كل أصل الى خمس عشرة مسألة فتكون الجملة ٢٢٥ مسألة . أما أبواليسر فقد قسم كتابه الى ست وتسعين مسألة من المسائل الكلامية ثم ذيلها بما يقرب من ٢٤ صفحة تشتمل على موجز فى مقالات الفرق المختلفة .

وذكر أبواليسر فى المقدمة الباعث له على تأليف كتابه وهو أنه وجد كتب المتقدمين التى تناولت علم التوحيد ممتزجة بمسائل الفلسفة

وأنها لذلك تعد مملوءة بالشرك وان كانت وضعت باسم التوحيد ، وعنده أن هذا ينطبق أيضا على كتب المعتزلة التى تثير الشكوك وتوهن الاعتقاد وكذلك كتب المجسمة. ثم أشار الى أن أباالحسن الأشعرى ألف كتبا كثيرة لتصحيح كتب المعتزلة . ثم استدرك قائلا : « ان أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأوا أباالحسن الأشعرى فى بعض المسائل مثل قوله التكوين والمكون واحد » . ولكن المؤلف أباح مع ذلك النظر فى كتبه .

وذكر أبو اليسر كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى وقال : « ان به قليل انغلاق وتطويلا ، وفى ترتيبه نوع تعسير وانه لولا ذلك لاكتفينا به » . وأضاف : أن بعض أهل سمرقند صنفوا تصانيف فى هذا الباب ولكنها فى نظره غير كافية . ولهذا رأى أن يؤلف كتابا مختصرا فى هذا العلم ليقف عليه العامة والخاصة . ومما حثه أيضا على تأليفه ما ظهر فى بلاده من أقوال أهل الزيغ والبدع .

هذا وقد توخى أبواليسر فى عرض المسائل الست والتسعين التى يشتمل عليها كتابه أن يناقشها وأن يثبت فيها وجهة نظر أهل السنة والجماعة . وطريقة المؤلف فى معالجة الموضوعات الكلامية تحبب القارىء فى قراءة كتابه .

وفيما يلى بعض الملاحظات على تحقيق المحقق للكتاب وتقديمه له :

١ ــ قال المحقق فى ص ١٠ من المقدمة تحت عنوان سيرة أبى اليسر البزدوى : « روى السمعانى أن البزدوى ولد سنة ٤٢١ هـ . » وبالرجوع الى كتاب السمعانى لم نعثر على ما يقوله المحقق .

٢ ــ قال المحقق فى ص ١١ من المقدمة : « ولم يذكر البزدوى من أسماء هذه الكتب سوى كتاب الموجز » بهمز الواو فى المؤجز وليس فى اللغة كلمة مؤجز بالهمز .

٣ ــ قال المحقق فى نفس الصفحة، « وكتب عن تاريخ الطرق » . ولم نفهم المراد من تاريخ الطرق .

٤ ـ ذكر المحقق فى ص ١٢ : اسحق بن ابراهيم بن راهويا ـ والصواب ابن راهويه •

٥ ـ ذكر المحقق فى ص ١٢ أن البزدوى كان عند استناده الى الأحاديث النبوية يرجع الى الجامع الصحيح لأبى مسلم والصواب مسلم ، أى مسلم بن الحجاج القشيرى •

٦ ـ يقول المحقق فى ص ١٣ : على نهر يكارتس • ويلاحظ أنه ذكر الاسم الحديث لنهر سيحون الذى كان يعرفه العرب بهذا الاسم وكان يحسن بالمحقق أن يثبت الاسم العربى القديم ولا بأس بعد ذلك من اضافة الاسم الحديث لهذا النهر •

٧ ـ يقول المحقق فى ص ١٤ : « وقد ألف (البزدوى) بجانب أصول الدين أبحاثا قضائية » • والصواب أبحاثا فقهية • ويبدو أن المحقق يخلط بين الفقه والقضاء •

٨ ـ فى ص ١٤ بعد أن ذكر المحقق نجم الدين محمد النسفى (والصواب نجم الدين عمر بن محمد النسفى) قال : انه كان من أكبر علماء القضاء فى عصره • والمراد علماء الفقه والكلام •

٩ ـ اعتمد المحقق فى كتابة سيرة أبى اليسر البزدوى على الترجمة البالغة الايجاز التى أوردها ابن قطلوبغا فى كتابه تاج التراجم ، ولم يحاول التنقيب عنها فى معجمات التراجم الأخرى مثل كتاب الفوائد البهية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات اللكنوى الذى رجعنا اليه • وهناك مرجع آخر عظيم الأهمية فى تراجم العلماء الأحناف وهو كتاب الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، بقلم عبد القادر بن محمد ابن نصر الله أبو محمد محيى الدين القرشى المتوفى عام ٧٧٥ هـ • وقد طبع هذا الكتاب فى مجلدين فى حيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ •

١٠ ـ لم يعترف المحقق فى الحواشى بالأعلام غير المشهورة الذين ورد ذكرهم فى كتاب أبى اليسر مثل محمد بن هيصم ،

وعبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ص ٢) كما لم يضبط أسماءهم مثل الاسفزاوى (ص ١) المنسوب الى بلدة أسفزار . وضبطها ياقوت فى معجم البلدان (حـ ١ ص ٢٢٩) بفتح الهمزة وسكون السين ، وتضم الفاء وتكسر ، وزاى وألف وراء . وقال هى مدينة من نواحى سجستان من جهة هراة .

١١ ـ ومن أخطاء المتن ص ١١: « وكذلك ما يعلم بيداءة العقول من غير رؤية ولا تفكر » .

والصواب : ما يعلم ببداهة العقول من غير روية ولا تفكر .

١٢ ـ هذا والكتاب يخلو من الحواشى فى ذيل الصفحات مما يدل على أن المحقق لم يخدم النص .

على أن المحقق يلتمس له العذر لأنه غريب على الثقافة العربية . ومع ذلك فاننا نشكر له عنايته بتيسير هذا الكتاب للمشتغلين بدراسة علم الكلام .

عبد العزيز عبد الحق حلمى

احذرى ... !

« احذرى أيتها الشرقية وبالغى فى الحذر ، واجعلى أخص طباعك الحذر وحده .

احذرى تمدن أوربا أن يجعل فضيلتك ثوبا يوسع ويضيق ؛ فلبس الفضيلة على ذلك هو لبسها وخلعها ...

احذرى فنهم الاجتماعى الخبيث الذى يفرض على النساء فى مجالس الرجال أن تؤدى أجسامهن ضريبة الفن ...

احذرى تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة ، انها انتهاء المرأة بغاية الظرف والرقة الى ... الى الفضيحة .

احذرى تلك النسائية الغزلية ؛ انها فى جملتها ترخيص اجتماعى للحرة أن ... تشارك البغى فى نصف عملها .

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« من وحى القلم جـ ١ »

دروس من الإسراء والمعراج

للدكتور رءوف شلبي

من امتيازات خوارق العـــادات فى ظل الدين الخاتم أن المعجــزات لا تمر لتقرع العقل فى حين واحــد من الزمن فتــدك أعناق الجــاحدين وتأخذ بيد المستعدين للهداية وتقوى ايمان الذين صدقوا ، بل ان المعجزات فى ظل الدعــوة الاســلامية تمتــد وظائفها امتداد الدعوة فتظل تعطى للمؤمنين وغيرهم على السواء دروسا وعبرا كمــا ينحدر المــاء العــذب السلسبيل من علو مرتفــع ثم يمضى فى طريقه ليروى الاكبــار الظــامئة ويســقى الحقــول المحترقة ويزين الأرض خضرة وبهجة •

ولقد كان حدث الاسراء والمعراج فعلا خارقا للعادة وســيظل أمرهما فوق تقــدم العــلم والتكنولوجيا فعلا معجزا فى كل شىء لأنه حدث له دلائل يستشف منها دروس تنفع المسلمين ما دام على الأرض انسان يشهد أن لا اله الا الله •

الدرس الأول :

الالتزام والتسليم

والدرس الأول الذى نســتخلصه من حادث الاسراء والمعــراج هــو الالتزام بمبادىء التصديق الذى أعلنــه المسلم أنه يصــدق محمدا صلى الله عليه وسلم فى تلقيه الوحى والرسالة من عند الله •••

فاذا كانت العقيدة صادقة والتزم صاحبها بالاستمرار فى هذا الصدق تجاه صاحب الرسالة فانه لا يحوله عن هذا التصديق وهــذا الصــدق شىء مهما كانت الأحوال والملابسات

التى تحاول أن تعوق صدقه وايمانه وقد ظهر ذلك جليا فى موقف سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه عندما أخبره القوم وهم فى حالة دهشة ، لقد قال لهم : « لئن كان قاله فقد صدق ؟ فما يعجبكم من ذلك ؟ « فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه » ا • هـ

لقد كان صدق أبى بكر وتصديقه للنبى صلى الله عليه وسلم على مستوى التزم لكل ما يترتب على ذلك التصديق وذاك الصدق من شتى الأمور ، ذلك لأنه استقر فى طمأنينة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا وصدقا ، فانه يأتيه الوحى وأن خبره صادق ومعصوم • وعلى هذا فكل ما يقوله فهو حق وهو صدق وما عليه بناء على صدقه وتصديقه الا أن يؤمن بمجرد أن يقول محمد صلى الله عليه وسلم خبرا ما غيبيا أو غير غيبى •

واستقر فى علم الدعوة أن الالتزام هو السمة الخاصة فى تربية القيادة للعمل الاسلامى ، وان أى جماعة اسلامية لا تضع فى حسابها أعداد القيادة على هذا المستوى فقد تجافت مع أول الدروس المستفادة من معجزة الاسراء والمعراج •

الدرس الثانى :

وحدة العقيدة وافراد الله بالعبادة

تقول الروايات المعنية بسرد وقائع الاسراء والمعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء جميعا أماما •

لقد ائتموا به وكان لهم اماما •• من هذه الامامة نستخلص درسا أساسيا مقصودا فى حادث الاسراء والمعراج ذلكم الدرس هو أن عقيدة الأنبياء واحدة ، انهم جميعا يدعون الى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما يغايره ذاتا وصفاتا وأفعالا •

ان الله جل جلاله هو مالك الملك ، وهو وحده خالق كل شىء ، وهو وحده الآخذ بنواصى المخلوقات كلها ، وهو وحده جل شأنه على كل شى حفيظ •

انه وحده الأحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا ولد ..

لقد اتحدت عقيدة الأنبياء جميعا وصلوا خلف خاتمهم الذى جاء ليصحح ما أفسده الأتباع الذين لم يلتزموا بما يوجبه مبدأ التصديق بالأنبياء ، لقد جاء ليصحح عقيدة التوحيد تلك العقيدة التى حملها جميع الأنبياء الى البشرية يقول الله تعالى :

« واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » ٤٥ ــ الزخرف

«وما أسلنا من قبلك من رسول ألا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ٢٥ ــ الأنبياء

« قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين .

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ١٠ ــ ١١ ابراهيم

وأهمية هذا الدرس أنه يتواءم تماما مع دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب والعرب الى تصحيح العقيدة وابطال مزاعم ان لله ولدا سواء كان الولد فى مفهوم العرب الذين قالوا ، ان الملائكة بنات الله ، أو فى مفهوم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ، أو فى مفهوم النصارى الذين قالوا : ان عيسى ابن الله فاذا ما وقف أنبياء هذه الأمم مأمومين خلف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الأقصى فقد أعلن أنبياؤهم وحدة العقيدة التى جاءوا بها وأنها هى عقيدة الاسلام التى جاء بها خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويكون ذلك الدرس أساسا لمناقشات طويلة ستأتى مع أهل الكتاب عند انتقال الدعوة من مكة بعد الاسراء والمعراج الى المدينة المنورة التى نزلت فيها الصور الطوال التى تعالج قضية التوحيد مع أهل الكتاب فى سورة آل عمران والمائدة والنساء والبقرة ... الخ .

ووحدة العقيدة التى نستخلصها دروسا من حادث الاسراء والمعراج تجعل من الأمة الاسلامية رقيبا وحاميا ومنافحا ووكيلا عن امام الأنبياء فى حماية وحدانية الله فى قلوب البشر من تأويل الجاهلين وتشكيك الضالين ، والحاد الشيوعيين ، وتحريف المنتحلين ..

ويبقى فى عنق الأمة الاسلامية وفى مقدمتها علماء الاسلام فى كل قطر وفى مقدمتهم الأولى علماء الأزهر بمصر والعالم الاسلامى .. ويبقى فى عنق هؤلاء جميعا مسئولية الدفاع عن التوحيد الخالص فى الاعتقاد والثقافة والسلوك والاجتماع .. فان العقيدة ليست لفظا ينفوه به بل هى ركيزة فى القلب تظهر آثارها على السلوك والفكر وحياة المجتمع .

وما أفضلها من وظيفة وما أثقلها من مسئولية لو رعاها العلماء لما باتوا يفكرون فى قيم الأرض والمادة والمناصب . ولأحالوا تفكير العداوات والمشاحنات الى مودة واجتماع يتآلفون من أجل صد تيارات الالحاد والتشويش على صفاء العقيدة ويا ويل قوم يدخلون فى هذا الحديث .

« آفة الدين ثلاثة .. فقيه فاجر ، وامام جائر ، ومجتهد جاهل » .

ولقد حذر الله الأمة الاسلامية من الاختلاف والشقاق والتدابير فقال تعالى :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه البخارى فى كتاب الأدب .

وانها لدعوة صريحة أوجهها الى علمائنا الأجلاء لا سيما الشباب عليكم بالالتزام والاتحاد تأسيا بالسلف الصالح لنبنى منا للاسلام جيشا فكريا فقد استشر الالحاد فى وطن الاسلام الأكبر .

الدرس الثالث :

تنفيذ ميثاق الأنبياء

في الأزل البعيد أخذ الله على الأنبياء ميثاقا غليظا أن ينصروا محمدا ويبشروا به يقول الله تعالى : «واذا أخذالله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا أقررنا .. قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» .
٨١ ــ آل عمران

قال ابن كثير في تفسيرها :

قال ابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس وقتادة والسدى : يعنى عهدى .. وقال محمد بن اسحاق أى ميثاقى الشديد المؤكد .. ثم قال ابن كثير :

قال على ابن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما : «ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمر أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه» اهـ

وقد وثق ابن كثير هذا التفسير بما رواه من أحاديث تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم أكد هذا المعنى فقد روى الامام أحمد عن عبد الرزاق عن جابر الشعبى عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى مررت بأخ لى يهودى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا أعرضها عليك ؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن ثابت قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول لله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى ضللتم انكم حظى من الامم وأنا حظكم من النبيين .

يقول ابن كثير : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه

عليه دائما الى يوم الدين ، هو الامام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم وبهذا كان امامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا فى بيت المقدس .

ومن رحمات الله التى لا تحصى هيأ الله لأنبيائه الذين أخذ عليهم الميثاق فرصة لتنفيذه فجمعهم الله على وفق علمه وارادته وقدرته فى بيت المقدس لأنه طاهر يومذاك من الأوثان والأصنام وليس غيره بعد المسجد الحرام مسجد وهو مسجد بناه نبى من الأنبياء الذين يصطفون فى الصلاة خلف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .. من أجل أن يعلنوا بصورة عملية أنهم صدقوا محمدا وآزروه فقد حملوا أخباره الى حواريهم كما ينص القرآن فيما بعد حادث الاسراء والمعراج على هذا ، اذ يقول الله تعالى :

« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وتكون الارهاصات السابقة على الرسالة التى لمح بها بحيرا ونسطورا من الدلائل التى تصدق ميثاق الأنبياء الذى قطعوه مع الله أن ينصروا محمدا وينشروا أخباره بين أممهم ليصدقوه أن أدركوه ..

وآية تنفيذ هذا الميثاق ان الأمة الاسلامية هى الحفيظة على ميراث الأنبياء جميعا ، وانها الأمة التى من حقها أن تجعل من نفسها المدافع عن كرامة الأنبياء ، ولهذا خصها الله بخواتم البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ٢٨٥ ــ البقرة

فنحن أولى الناس جميعا بعيسى ابن مريم وموسى ، وهارون ، نضعهم فى موضع النبوة الصحيح لا افراط ولا تفريط .

الدرس الرابع :

الاعتراف بخاتم الرسالة والنبوة

لقد تمت تجربة هداية البشر بمناهج عدة بعث الله بها الرسل

وكان آخر هـذه المناهج هو منهج الرسالة الاسلامية التى حملها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهـو منهج شـامل يحـاول أن يصحح أخطاء الذين مضوا من الأمم •

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعهـا ولا تتبـع أهـواء الذين لا يعلمون » ١٨ ـ الجاثية •

وأهواء الذين لايعلمون هى التى جعلت من منهاج الدعوة الاسلامية «قيما» على ماسبق من الرسـالات يقول الله تعالى :

«وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجـل مسـمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبـع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل اللـه من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير» ١٤ ـ ١٥ الشورى•

فهل بعد هذا المنهج تحتاج البشرية الى شىء سواه ؟ كان لا بد من اعلان ذلك صريحـا ، وكان الاعـلان من الاتباع بقول لكنه ليس هو الأصل فى الموضوع اذ أصحاب الرسالات هم الأحق بالشهادة على أن البشرية لا تحتاج من بعد سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم الى نبى ولا الى رسول •• فكانت معجـزة الاسراء والمعراج ليلتقى النبى صلى الله عليه وسلم بهـم أماما فيعلنوا له التبعية ويستقبلوه حيث وضـعهم اللـه فى سماواته العليا ليقـولوا له مقـالة واحدة فيما يرويه البخارى: (مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح أومرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح) •

فأى نبى يستحق الابتعاث للخليقة من بعد محمد صلى الله عليه وسلم الذى أسرى به وعرج به الى السماء وتهيأت له الأكـوان فرحا وحبـا وانسـجاما ، وتغيرت له الأجـواء والسموات وقـوانين الـكون عزة وابتهاجا •

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج أن الأنبياء جميعا فى بيت المقدس ، وفى السموات العلا قد اعترفوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وهو خاتم المرسلين •• وليس من بعد منهجه منهج آخر تحتاج اليه البشرية الى يوم الدين •

الدرس الخامس :

تمام التصور للتشريع مستقبلا

من الامتيازات الخاصة بالتشريع الاسلامى انه يأتى فى غالب أحكامه بناء على حاجات الأمة :

قال تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر» «يسألونك عن اليتامى••» « يسألونك عن الشهر الحرام ••» والقوانين تستمد احترامها من اقتناع المجتمع بها والمحافظة على احترام القوانين تصدر من ثقة الأمة فى عدالتها وتحقيق آمالها •

والتشريع الاسلامى يحافظ على هذه الامتيازات فكان تدرج الأحكام وكان تدرج الحكم الواحد على عدة مراحل توطئة لاستقرار تام للحكم حسبما يرغب المسلمون دون شعور مستقبلا فى التمرد عليه •

وقد عافانا الله تعالى من تجارب الأمم السابقة يقول الله تعالى :

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » ٢٦ ــ النساء •

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج فى هذا المجال هو للمرائى التى رآها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

لقد رأى : ملكا بيده صخرة يضرب بها هامة الآدمى فيقع دماغه جانبا وتقع الصخرة جانبا ان ذلك مثال للذين ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير أوقاتها •

• ورأى ملكا بيده كلوب ــ بتشديد اللام ــ من حديد يضعه فى شدق آدمى حتى ينتهى الى أذنه •

وذلك مثال الذين يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم ••

• ورأى نهرا من دم يفور كالمرجل وعلى حافتيه ملائكة بأيديهم نار كلما طلع طالع قذفوه بها فيقع فى النهر فيشتعل الى أسفل ذلك النهر انه مثال للذين أكلوا الربا •

• ورأى بيتا أسفله أضيق من أعلاه وفيه قوم عداة تفور من تحتهم النار ، وقد أمسك النبى صلى الله عليه وسلم بأنفه من نتن ما وجده من ريحهم •

وذلك مثال للزناة ، انه مثال نتن فروجهم التى تلذذت بالحرام عن الحلال •

• ومر النبى صلى الله عليه وسلم بتل أسود عليه قوم محنيون تنفخ النار فى أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم • وهو مثال للذين يعملون عمل قوم لوط •

• ومر كذلك بنار مطبقة موكل بها ملك لا يخرج منها شىء الا اتبعه حتى يعيده فيها ••

وهو مثال لنار جهنم •

• وعلى النقيض من ذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم روضة خضراء فيها رجل جميل حوله الولدان فهى صورة لحياة سيدنا ابراهيم •

• ورأى شجرة ورقها كآذان الفيلة وتلك صورة منازل النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين •

• ورأى نهرا عليه جسر من ذهب وفضة وعلى حافة النهر منازل لا منازل أحسن منها وهذا هو حوض (الكوثر) الذى أعطاه الله له وحواليه منازل أمته عليه أفضل الصلاة والسلام •

هذه المرائى لها أهمية فى التشريع هى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن ينتقل الى المدينة المنورة ويصبح عدد المسلمين كبيرا وكثيرا سوف يحتاجه المجتمع الى نوع من التشريع يضبط السلوك فكانت هذه المرائى •

١ ـ ليكون التشريع منطلقا من رؤية بواقع فلا يكون التشريع نابعا من فراغ كما تكون القوانين الوضعية .

٢ ـ لتكون التشريعات متناسبة مع ظروف المجتمع النفسية والعقدية .

٣ ـ لتكون التوعية الاجتماعية واعية فتربط بين الشخصية الاسلامية فى الدارين الدنيا والآخرى .

٤ ـ لتبقى آيات صدق النبوة مستمرة اذ لم يتحول السلوك الاجتماعى عن الصورة التى رآها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ لبيان أن أحكام القرآن الكريم جاءت لعلاج أمور تظهر تلقائيا فى المجتمع ، وان علاج هذه الأمراض الاجتماعية لا يكون الا بعلاج قرآنى لأنه هو الذى فيه للناس شفاء .

والدرس المستفاد أن التشريع الاسلامى هو الذى يضمن سلامة الحياة الاجتماعية ، وأن الطمأنينة التى يبحث عنها الانسان فى الدنيا وفى الآخرة انما هى فقط فى التشريع الاسلامى الحنيف ..

الدرس السادس :

مستوى العلاقة بين الله ورسوله

فى الحياة العادية يجد الناس عدة أنواع من مستويات العلاقات وكلها تخضع لمستوى الطرفين فى الأحوال الاجتماعية والفكرية .

ومع أن القرآن الكريم استفاض فى توضيح بشرية النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى :

- آلم يجدك يتيما فآوى .
- فانك بأعيننا .
- وانك لعلى خلق عظيم .
- قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .
- يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .
- قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى .

فبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ليست كبشرية الناس لأن الناس العاديين معادن ، فما بالنا بالنبوة ؟ كيف تكون بشريتها ؟

ولقد وصفها الله فى اطار رعايته وتأديبه واحسانه وفضله ووحيه .

ووصفها بأنها بشرية نورانية وان صاحبهما نور ، وانه سراج منير .

ولكن العلماء خاضوا فى أحاديث شتى فيما يتعلق بالاسراء والمعراج .

هل كانا بالروح والجسد معا أو كان الاسراء بهما معا والمعراج بالروح فقط .. الخ .

ولقد نسى العلماء أن الفعل موضوع فى الدائرة الالهية «سبحان الذى أسرى بعبده » .. فكان ينبغى أن يدرك العلماء أن الاسراء موضوع فى جو فاعلية الخالق الذى اذا أراد شيئا قال له : كن فيكون.

وعلى هذا الأساس فالاسراء والمعراج كانا بالنبى صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاه للرسالة وخلقه مهيئا لكل ظروفها ان فى الأرض أو فى السماء ان فى النوم أو فى اليقظة .

وهذه البشرية النبوية لا ينبغى أن يخرج عنها النبى صلى الله عليه وسلم فى أية مرحلة من مراحل الرسالة .

فهو نبى ببشريته النبوية قبل الاسراء وهو كذلك عند الاسراء وعند المعراج .

وهو كذلك بعد الاسراء وبعد المعراج .

والذين يتصورون أن النبى صلى الله عليه وسلم عرج به الى السماء بقانون خاص غير قانون بشريته النبوية يصطدمون مع نص صريح فى القرآن ويقعون فى خطأ جسيم تردى فيه مانعو الرسالة للبشر المصطفى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهو يرد على الكفار مقالتهم:

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ؟

قال الله تعالى لهم :

• ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون •

• ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون •

٨ ــ ٩ الأنعام

فالقرآن يقطع بأن الأنبياء لا بد وأن يكونوا من البشر ؟ لأن وظيفة الملائكة مع البشر غير وظيفة الأنبياء مع الناس ولو تنزلت السماء على اقتراح أهل الأرض فجعلت الرسول ملكا لما صح أن يكون محلا لحمل الأحكام اذ الأحكام الشرعية تحتاج الى القيادة والقدوة والأسوة فكان الله يجعل الملك رجلا ليصح التكليف والارسال فلو خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج عن بشريته النبوية التى بها يتلقى الوحى عن الله فكيف يتحمل فرضا لتنظيم الصلوات خمس مرات فى اليوم والليلة ••

أيتلقاها بملائكيته المستحدثة فيه؟ أم يتلقاها ببشرية مؤقتة بعد الملائكية التى عرج بها ؟

ولماذا نخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بشريته النبوية ألنسهل على الناس تصور وقوع المعراج ؟ •

ان هذا الأمر لا ينبغى فى تصور أمر خارق للعادة •

فالأمور الخارقة للعادة لا تبسط وانما يجب الايمان بها كما أخبر عنها المعصوم المرسل من قبل الله تعالى••

والذى يؤكد الاعجاز فى معجزة الاسراء والمعراج هو تغيير المدار فى طريق المعراج فالله تعالى يغير قوانين الكون فى المسار الذى يسر فيه موكب النور تكريما للنبى المصطفى الخاتم وابقاء على بشريته النبوية التى بها يتلقى الوحى عن الله ، والتى بها بعث للعالمين رحمة ونورا وسراجا منيرا •

ويكون ذلك أبلغ فى تصوير معجزة الاسراء والمعراج ــ لقد

غير اللـه الكون فى مسـار موكب المعراج تكريما لنبيه وضيف حضرته العلية .

وهذا أجل من تغيير النبى بحيث يتـلاءم مع قوانين الطبيعة والكون لأن آية التكريم والاعجاز تكمن فى تغيير قوانين الكون من أجل مسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم ومعراجه لا أنه هـو الذى يتغير .

اذ لو تغـير لحق للذين قالوا : أبعث الله بشرا رسولا أن يعترضوا ولقد أكد القرآن الكريم على لسان جميع الرسل رد هـذا الاعتراض باثبـات البشرية لهم ، قال اللـه تعـالى :

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنـا أن نأتيكم بسـلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون . (١٧ـ ابراهيم)

والذين يصـعدون الى القمـر لا يغـيرون ذواتهم وانما يغـيرون البيئة المحيـطة بهم حتى تتـلاءم ذواتهم العادية مع المبيئة القمرية .

أليس الله ورسوله أولى بالحفاظ على ذات النبى صلى الله عليه وسلم وتغيير قوانين الكون لمعراج رسوله المصطفى .

بل أليس للـكون الذى تجلى بهجة ليلة مولده الشريف أن يأنس بمسراه ومعراجه فيتبدل له تكريما لموكبه اليتيم .

ان الدرس الذى نسـتفيده من الاسراء والمعراج فيما يتعلق بادراك العلاقة بين الله جل شـأنه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم هو أن الله اصطفاه وجعله رحمة للعاملين فليس للعقل أن يحدد هذه العلاقة الا فى اطار النصـوص التى تجعل من بشرية الرسول صلى الله عليـه وسلم بشرية النبى المصطفى الذى اختاره الله للعالمين بشيرا ..

وبالله التوفيق .

د. رءوف شلبى

في مناسبة مرور ثمانين عاما
على وفاة السيد جمال الدين

الوطن عند السيد جمال الدين المشهور بالأفغاني

للدكتور محمد السعيد جمال الدين

لم يختلف الناس حول شخصية من الشخصيات قدر اختلافهم في نسبة السيد جمال الدين وفي موطنه، فهو جمال الدين الافغاني عند البعض والأسد أبادى الايراني عند البعض الآخر، بينما ينظر اليه أناس على أنه تركي من استنبول .

ولقد كان هذا الاختلاف سببا في وجود أشكال عديدة لاسم هذا الرجل العبقري الفذ، قد تصل الى أربعة عشر شكلا، فهو يسمى :

جمال، وجمال الدين، وجمال الدين الاستنبولي، وجمال الدين الأسد أبادي، وجمال الدين الحسين، وجمال الدين، الحسين الاستنبولي، وجمال الدين الحسين الأفغاني الكابلي، وجمال الدين الحسين الأفغاني، وجمال الدين الحسين الرومي، (نسبة الى بلاد الروم، وهي آسيا الصغرى) وجمال الدين الحسين الطوسي، وجمال الدين الحسين الكابلي، وجمال الدين السعد آبادي [1] . وغير ذلك من الأشكال التي ان دلت على شيء فانما تدل على أن السيد جمال الدين منسوب الى أكثر من بلد، فهو منسوب الى تركيا، والى ايران، والى افغانستان، بل هو ينتسب الى أكثر من مدينة في البلد الواحد .

---

(١) أنظر : أصغر مهدوى، ايرج افشار : مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور به أفغاني، شهران ١٢٤٢ ه.ش.ص ١٥٨ .

حقا ، لقد طاب للسيد جمال الدين أن يشتهر بالافغانى ، لكنه أكد بصورة عملية وبتنقلاته الكثيرة فى بلدان العالم الاسلامى وفى أوربا وآسيا ، انه انسان لا يحده وطن ولا يحتويه مكان ، وأن العالم كله من شرق وغرب وطن له .

وكان حريصا على أن يلقب بالسيد للدلالة على كونه ينتمى الى تلك العترة الطاهرة التى تصل فى نهايتها الى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكى يؤكد أنه فوق الخلافات المذهبية وأنه انما يستمد عقيدته ومذهبه من مصدر الالهام المتجدد على الدوام من القرآن الكريم ، ومن سيرة جده المصطفى عليه الصلاة والسلام .

لم يكن السيد جمال الدين الذى وقف حياته على ايقاظ الأمة الاسلامية وعلى أحكام وسائل الربط بين شعوبها ، معنيا بالتجزئة والتفرقة ، وانما كانت عنايته بالوحدة والشمول .

يقول هو عن نفسه « لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق وأهله .. وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه أمرهم. فالشرق الشرق ؛ فخصصت جهاز دماغى لتشخيص دائه وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل داء انقسام أهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم .. الخ (١) .

والسيد جمال الدين الى جانب سعيه نحو الوحدة الاسلامية لم تكن تهمه الأوطان قدر ما كان يهمه الانسان ، وقدر ما كانت تهمه صياغة الانسان .

فعندما قدم السيد جمال الدين الى مصر ، أقبل اقبال السحاب على

---

(١) خاطرات جمال الدين لمحمد باشا المخزومى .

الأرض المستعدة ، ما لبث بعد أن نزل المطر أن أنبتت نباتا حسنا أخذ يتكاثر شيئا فشيئا حتى ملأ جنبات وادى النيل . لقد كان هناك عند قدوم الافغانى الى مصر عدد من الشباب الباحث عن الحقيقة ، التواق الى المعرفة ، يحس فى نفسه بتعطش لا يجد من يرويه ، وحزن لا يعثر على من يسليه . فلما جاء السيد وجدوا فيه طلبتهم ، فأنسوا اليه والتفوا حوله ووثقوا فيه وأسلموا جنانهم له ، فصاغ منهم رجالا يندر أن يأتى بمثلهم الزمان.

يقول الشيخ محمد عبده فى مقدمة رسالة بعث بها الى السيد جمال الدين بعد خروجه من مصر : « ليتنى كنت أعلم ماذا أكتب لك ، وأنت تعلم ما فى نفسى كما تعلم ما فى نفسك ، صنعتنا بيديك ، وأفضت على موادنا صورها الكمالية ، وأنشأتنا فى أحسن تقويم ، فيك عرفنا أنفسنا ، وبك عرفناك ، وبك عرفنا العالم أجمعين (١) » .

كان همه منصرفا اذن الى صياغة الانسان وتربية جيل جديد ، جيل يمضى ــ كما يقول الشيخ محمد عبده ــ يمضى على مقتضى منهج السيد جمال الدين « سعيا فى الخير واعلاء لكلمة الحق وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة (٢) .

أما مسألة الانتساب الى وطن من الأوطان فلم تشغل بال السيد جمال الدين كثيرا ، فالعالم كله وطن له ، لأنه انسان ، والانسان هو سيد المكان ، وليس المكان سيدا للانسان .

ولقد فهم السيد رسالته « وما تتطلب من جهاد ، وما تقتضيه من أعباء ، فلم يرتبط بأسرة ، ولم يستعبده مال ، وعاش لأفكاره ومبادئه ، تكفيه أكلة واحدة فى اليوم كله (٣) » ويروى محمد باشا

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك .. تصوير ١٣٤ .

(٢) ايضا .

(٣) أحمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، طبع مصر ١٩٤٨

المخزومى فى كتابه « خاطرات جمال الدين » أن السلطان العثمانى عبد الحميد ، استدعى السيد الى الاستانة سنة ١٨٩٢ ، فوصل اليها وكان فى انتظاره الياور السلطانى ، فسأله : أين صناديقك أيها السيد ؟ فقال : ليس معى غير صناديق الثياب وصناديق الكتب . فقال الياور : حسنا ! أين هى ؟ فقال السيد : صناديق الكتب هنا (وأشار الى صدره) ، وصناديق الثياب هنا (وأشار الى جبته) .

وقد قال « كنت أول عهدى أستصحب جبة ثانية ، ولكن لما توالى النفى صرت أستثقل الجبة الثانية ، فأترك التى على الى أن تخلق (يعنى الى أن تبلى) فأستبدل بها غيرها » .

وهكذا لم يربط السيد جمال الدين نفسه بشىء من متاع الدنيا حتى يكون حرا طليقا لا تقيده قيود أو تحده حدود .

يقول الشيخ عبد القادر المغربى أحد تلامذة السيد فى كتاب أصدره بعنوان : « جمال الدين الأفغانى — ذكريات وأحاديث » كان السلطان العثمانى يريد أن يجعل «الاستانة» وطنا للسيد ، ولكن كان هذا أمر لا محصل له فى نظر السيد جمال الدين : لأن الاسلام بطبيعته يعلم بأن بلاد الاسلام مهما اتسعت رقعتها . وترامت أطرافها تكون كل قرية أو بقعة منها وطنا للمسلم الذى ينزلها . فأهلها اخوته ، وحكومتها حكومته ، ويعنيه من أمرها ما يعنى سكانها أنفسهم ، فله أن يشتغل بسياستها ، وينتقد حكامها ، ويرفع صوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيها . وهذا ما كان من جمال الدين طول حياته التى عاشها ، فقد كان أفغانيا فى الأفغان ، ايرانيا فى ايران ، هنديا فى الهند ، حجازيا مصريا فى الحجاز ومصر ، تركيا فى بلاد الترك . وكان اذا سئل السيد عن وطنه أجاب : « ليس لى وطن ، على أنه لا وطن اليوم للمسلمين . يشير بهذا الى أنهم غرباء فى أوطانهم ما دام الأجانب مسيطرون عليهم . لا جرم أن شيخنا الأفغانى كان فى حياته

وجولاته فى بلاد الاسلام رمزا قائما بنفسه الى وحدة الممالك الاسلامية وأن سكانها شعب واحد ، يعيشون فى وطن واحـد . ولذا كان أكبر غرض يسعى اليه هو اقامة حكومة اسلامية قوية ينضوى الى رايتها جميع شعوب الاسلام هذا كانهمه الأكبر ، وهدفه الأعظم .. الخ[1].

ولقد أدرك المفكر الاسلامى الكبير محمد اقبال هذا الجانب الانسانى فى دعوة السيد جمال الدين الاصلاحية ، فنظم فيه أشعارا جميلة رائعة أحاطت بفكر الأفغانى وجمعت أطرافه . وقد نظم اقبال هذه الأشعار فى مشهد من مشاهد منظومته الفارسية « جاويد نامة » «أو رسالة لخلودى»حيث تخيل نفسه وهو يلتقى بالسيد جمال الدين فيحدثه السيد عن روح الاسلام العالمية وعن المخاطر التى تنطوى عليها ظاهرة الوطنية ، وعن أنها ظاهرة دخيلة على المسلمين أتت اليهم من الغرب ، يقول جمال الدين لاقبال :

ان سادة الغرب ــ وكلهم مكر وخداع ــ علموا المسلمين البعد عن الدين ، وعن روحه العالمية .

ان الغربيين يفكرون فى المركزية، ويسعون نحو الوحدة ، ولكنكم ــ معشر المسلمين ــ تفكرون فى الانقسام والتجزؤ . قل لى بربك.. ما معنى الشام وفلسطين والعراق ؟ ليس لهذة المناطق معنى الا فى الحظيرة الاسلامية . فليس ثمة اختلاف بين شعوبها .

لو كان فى مقدورك أن تميز بين الخير والشر ، لما ربطت قلبك بالطوب والحجر والآجر » .

ما الدين ؟ هو السمو عن وجه التراب ، والتعالى على الماديات ، لكى يتعرف الانسان على ما بين جوانحه من روح طاهرة بريئة من أوضار المادة .

ان من قال « هو الله » لايحتويه هذا النظام الكونى ذو الأبعاد فالروح لاتحتويها الجهات ، والرجل الحر بمنأى عن كل قيد .

---

(١) عبد القادر المغربى : جمال الدين الأفغانى ذكريات وأحاديث ، طبع مصر سنة ١٩٤٨ ص ٥٢ .

ان الرجل الحر ينهض صائحا من التراب المظلم ، والصقر لا يليق به أن يكون فأرا .

اذ أن المؤمن ينفر بفطرته من العلائق المادية ولا يقضي حياته في الجحور كالفئران وانما يحلق عاليا في السماء شأنه شأن الصقر ، لا تحده حدود .

يواصل الأفغاني حديثه الى اقبال عن الوطنية موضحا أنه بذلك لا ينادي بطرح محبة الوطن ، ولا يدعو الى التخلي عن الدفاع عنه والذود عن حياضه ، فهذا شيء أبعد ما يكون عن مقصده ، انما هو يتحدث عن الوطنية فحسب باعتبارها نظرية للحياة قائمة بذاتها . فيقول :

سأحدثك عن تلك القبضة من التراب التي سميتها الوطن ، أو ما يقال عنه مصر وايران واليمن .

فهناك علاقة بين الوطن والشعب ، فمن تربته نما هذا الشعب . لكنك اذا دققت النظر في هذه العلاقة فستجد أن ثمت حقيقة أدق من الشعرة . ولأضرب لك مثلا يسيرا بالشمس . فرغم أن الشمس تشرق من المشرق ، مجلية نفسها في جرأة وتألق فانها تظل تحترق وتتوهج بما فيها من نار داخلية حتى تفر من قيد المشرق والمغرب ، وتقف في كبد السماء عند انتصاف النهار فتصبح لا شرقية ولا غربية » .

« انها بزغت من مشرقها ثملة بالتجلي ، لكنها ظلت تواصل سيرها الحثيث ، الى أن استولت على الآفاق كلها عند انتصاف النهار وسيطرت من عل على الشرق والغرب ، ففطرة الشمس اذن بريئة عن الشرق وعن الغرب برغم كونها «مشرقية» على سبيل النسبة (١)» .

كذلك كان السيد جمال الدين ، منسوبا الى وطن من الأوطان الاسلامية ؛ لكن فطرته كانت كفطرة الشمس لا هي شرقية ولا هي غربية وانما عالمية ، وقد كان العالم كله وطنا له .

د : محمد السعيد جمال الدين

(١) محمد اقبال : رسالة الخلود أوجاويدنامة ، ترجمة الدكتور محمد السعيد جمال الدين طبع مصر سنة ١٩٧٤ ص ١٤٤ — ١٤٥ .

بلاغة الأسلوب النبوى

للأستاذ الشيخ منشاوى عثمان عبود

اختار الله تعالى أفرادا من صفوة البشر ، وأرسلهم الى عبادة ، وحملهم أمانة التبليغ عنه ، والدعوة الى دينه ، واخلاص العبادة له سبحانه ، والاستمساك بهديه القويم ، وسلوك صراطه المستقيم ، وتبشير من استجاب بحسن الثواب وانذار من أعرض بسوء العقاب .

وأداء هذه المهمة السامية لايكون الا بأن يتوفر لكل رسول القدرة على صحيح البيان ، وحسن الأداء ، وفصاحة اللسان ، وبلاغة المقال ، ووضوح الحجة ، وقوة البرهان .

من أجل هذا طلب أحد الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من ربه أن يطلق لسانه لينطق بالكلام المستبين ، والقول السديد ، كى تصدقه العقول ، وتذعن لدعوته القلوب ، ــ وطلب أيضا ارسال أخيه معه باعتبار أنه أفصح منه لسانا ، وأقوى بيانا ، ليكون له عضدا أو نصيرا فى مواقف الجدال والحجاج .

قال تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ــ عندما أرسله ربه الى فرعون وقومه ــ : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . واجعلى وزيرا من أهلى . هرون أخى . اشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى »(١) .

وقال تعالى على لسان موسى أيضا ــ فى بيان وجه حاجته الى أخيه : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون »(٢) .

---

(١) سورة طه ٢٠ الآيات من ٢٥ ــ ٣٢ .

(٢) سورة القصص ٢٨ آية ٣٤ .

فليس مراد سيدنا موسى أن يقول له سيدنا هرون ـ فى حال تكذيب القوم له : صدقت ، لأن هذا القول لا يقتضى انسانا فصيحا، اذ يقدر عليه الفصيح وغيره .

وانما المراد أن يعاونه باقامة الحجج ، والرد على شبه المبطلين والمنحرفين ، والانتصار على الطغاة والمفسدين .

جاء فى كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ عند تفسير قوله تعالى : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله » الآية.. ما نصه :

« معنى تصديق موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه ، لا أن يقول له : صدقت ، ألا ترى الى قوله : « هو أفصح منى لسانا فأرسله » وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان ، لا لقوله : صدقت ، فسحبان وباقل فيه يستويان » اهـ .

واذا كانت بلاغة القول أمرا لازما بالنسبة لكل رسول من الرسل السابقين ـ فهى بالنسبة لرسولنا الأكرم أشد لزوما ، وأقوى حاجة ، وأعظم أثرا .

ولا يخالج المؤمن ريب فى أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه كان المثل الأعلى فى فصاحة اللسان، وبلاغة القول ، وروعة البيان ، فان هذا تقتضيه حكمة العلى الكبير ، ويتطلبه مقام الرسول الكريم ـ فقد اصطفاه ربه لحمل رسالة عامة خالدة ، فكان لابد أن يمنحه مقوماتها وخصائصها ، ويهبه وسائل تبليغها والاقناع بها ، والنهوض بأعبائها ، بعثه فى أمة عربية تعتز بالفصاحة ، وتتبارى فى البلاغة ، وتمجد البيان ، فتسموا بأهل الاجادة والبراعة فيه الى أعلى مناصب الرفعة والتكريم ، فاقتضت الحكمة الالهية أن يؤيد الرسول بالمعجزة الباهرة ، وأن تكون تلك المعجزة من جنس ما يشغل فراغ القوم ، ويأخذ بألبابهم ، فأنزل عليه القرآن الكريم ، فبهرهم بجزالة

المعنى ، وفخامة اللفظ ، وحسن السياق واحكام النظم ، فخر أئمة البيان صاغرين أمام روعته ، وأذعنوا لاعجازه ، واقتضت الحكمة الالهية أيضا أن يكون هذا الذى أنزل عليه القرآن المعجز فى درجة من البيان ، تلى ذلك الكتاب الكريم ، ليستطيع أن يبلغه فى صورة مشرقة ، يحدد أهدافه ، ويبين مقاصده ، ويقذف بحقه على أباطيل خصومه ، ويفند بالقول البليغ ، والبرهان الساطع ما يثيره الصادون عنه من شكوك وشبهات .

وبهذا المنهج النبوى القويم نفذت هداية القرآن الى العقول الرشيدة فأشرقت بنوره ، واستجابت لتعاليمه ، وصار يغزو القلوب متحكما فيها ، والضمائر مهيمنا عليها — وكما قلنا فى صدر المقال لابد من فصاحة اللسان لكل نبى فى نجاح دعوته ، لأن أعداء الأنبياء انما يعتمدون فى الكيد لهم على القول والخداع والأسلوب البراق ، والبيان الساحر ، قال تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١) .

واذا كان هذا شعار الأعداء فى كل زمان فهم فى عصر الفصاحة والبيان أشد سحرا ، وأكبر خطرا ، وأقدر على الخديعة ، وأقوى على التلبيس ، فكان لابد أن يمنح رسولنا الكريم طاقة قوية باهرة من فصاحة اللسان ، وبلاغة القول يصير بها متفوقا على الفصحاء والبلغاء ليتمكن من الصمود أمام هؤلاء الأعداء ، فيرد على افكهم ومفترياتهم ، ويكشف عن غيهم وعتوهم ، ويحذر مما زينوه للناس من الباطل الأثيم والضلال البعيد . من أجل هذا أتم الله تعالى على رسوله الأعظم نعمة البيان ومنحه من أسبابها ما لم يمنحه غيره .

فمن هذه الأسباب أنه من قريش وهى بين القبائل العربية فى الذروة من الفصاحة ، ومنها أنه نشأ فى

---

(١) سورة الأنعام ٦ آية ١١٢ .

البادية ، فقد كانت رضاعته فى بنى سعد بن بكر ، وهم من أفصح القبائل ، ولا يجهل عربى ما للبادية من أثر فى تقويم الألسنة ، وطبع الملكات على صحيح البيان — ومنها أن الله تعالى علمه لهجات العرب كلها ، فكان يخاطب كل قبيلة بلهجتها ، فيبزها فيها،ويكون أفصح من فصحائها ، حتى كان فى سمو بيانه موضع الاعجاب من صحابته رضوان الله عليهم .

ولسنا نحاول أن نحصى معالم الطريقة المثلى التى نهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيانه ، ولا ألوان البلاغة التى امتاز بها ، فذلك أمر نحس بالعجز عنه فى كتاب فضلا عن أن نلم به فى مقال ، ولكن حسبنا أن نشير الى بعض أمثلة لهذا :

١ — يعرف البلاغيون البلاغة بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

وما من شأن من الشئون تكلم فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الا واستكملت فيه رعاية المطابقة لمقتضى الحال بأفصح أسلوب وأبلغ عبارة .

ومن مظاهر هذا ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (جاء أعرابى فبال فى طائفة من المسجد) أى فى ناحيته ، فزجره الناس ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله لهم : «دعوه» وفى لفظ : « لاتزْرموه » أى لا تقطعوا عليه بوله (فلما قضى بوله ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه).

الذنوب بفتح الذال : الدلو المملوء ماء .

ومعنى أهريق عليه: صب الذنوب على موضع البول تطهيرا له ، وجاء فى رواية للحديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : (انما بعثتم ميسرين،ولم تبعثوا معسرين).

ولما فرغ الأعرابى من بوله دعاه عليه الصلاة والسلام ، ثم قال له :

« ان هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، انما هى لذكر الله عز وجل ، وقراءة القرآن » وأخرج أبو داود هذا الحديث عن **أبى هريرة قال :**

« ان أعرابيا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فصلى ركعتين ، ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « لقد تحجرت واسعا — ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد فأسرع الناس اليه فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : « انما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال ذنوبا من ماء » .

والسجل بفتح السين المهملة وسكون الجيم ، وهو بمعنى الذنوب . ففى هذه الواقعة أكبر شاهد على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك أقوم نهج وأهدى سبيل ، وأنه وجه لكل من أصحابه والأعرابى أنسب خطاب وأبلغه ، فبالنسبة لأصحابه علم أنهم بادروا الى الانكار على الاعرابى حرصا على طهارة المسجد واحترامه ، وصيانته عن الأنجاس والأقذار ، فأقرهم صلوات الله وسلامه عليه على مبدأ الانكار ، لكنه طلب منهم أن يأخذوا أنفسهم بالرفق والتيسير فى انكار النهى عنه ، وبعدم تعنيف الجاهل — وأرشدهم الى كيفية التطهير للمكان الذى أصابه البول — وبهذا وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الى أصل عظيم من أصول الشريعة ، وهو دفع أعظم المضرتين بتحمل أخفهما ، **لأنه لو قطع على الاعرابى بوله لأضر به** ، وكان يحصل من اقامة هذا الاعرابى من مكانه تنجيس بدنه وثيابه ، ومواضع أخرى من المسجد غير الذى وقع فيه البول أولا — فدفع هذا الضرر الكبير بتحمل ضرر قليل ، وهو تنجيس جزء ضئيل من المسجد ، يتيسر تطهيره .

وأما بالنسبة للأعرابى فقد عرف الرسول الحكيم أن هـذا الاعرابى ارتـكب ما ارتكب بدافع الجهـل بمـا يجب للمسـجد من تطهـير وحرمة ، فطلب الترفق فى معاملته وأدرك الأعـرابى حسـن صـنيع الرسول معه ، فبعد هذا دعاه عليه الصلاة والسـلام وبين له ما يجب للمسـجد من طهـارة واحـترام ، وما ينبغى أن يشـغل به من أنواع العبـادة والطاعة ـ وعندما سمعه قبل ذلك يقول فى دعائه : (ولا ترحم معنا أحدا) بين له أن رحمة اللـه واسـعة ، وأنه بقـوله هـذا قد حجرها وضيقها بجعلها قاصرة عليه وعلى محمـد ، فينبغى أن يعمم فى دعائه بها ، ويطلبها للجميع .

فأى رعاية بعد هذا لمقتضى حال المخاطبين ؟ وأى كلام أبلغ وأنفع ، وأدعى للقبـول والاذعان مما وجه اليهـم ؟

(يتبـع)

منشاوى عثمان عبود

ان حفنة من المسلمين من اتباع نوح عليه السلام ، تذكر بعض الروايات انهم اثنـا عشر ، هم كانوا حصـيلة دعوة نوح فى الف سنة الا خمسين عاما كما يقرر المصدر الوحيد المستيقن الصحيح فى هذا الشأن .

ان هذه الحفنة ـ وهى ثمرة ذلك العمر الطويل والجهد الطويل ـ قد استحقت أن يغير الله لها المـألوف من ظواهر هذا الكون . وأن يجعـل هـذه الحفنة وحدها هى وارثة الأرض بعد ذلك ، وبذرة العمران فيهـا والاستخلاف من جديد .

سيد قطب ـ فقه الدعوة .

لماذا حمل ملاحو أبوللو (١٥)
"سورة الفاتحة" معهم إلى القمر؟

فى لقاء مع فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قدم عالم الفضاء المصرى الدكتور فاروق الباز الى فضيلته صورة فضائية لسورة الفاتحة التى حملها رواد الفضاء الأمريكيون معهم الى القمر ..

وحين أبدى فضيلة الامام الأكبر دهشته من هذا الأمر تكلم العالم المصرى موضحا قصة هذه الصورة والظروف المحيطة بحملها فى السفينة.

ويقول الدكتور فاروق :

فى اللحظات الأخيرة ، وقبل انطلاق السفينة من قاعدتها الصلبة وقع خلل فى المعدات والأجهزة ، تم على أثره ادخال تعديلات جوهرية فى الآلات والتخطيط للرحلة .

وقد تخوف رجال الفضاء المفاجأة .. وبهدوء لا يفارقنى فى مثل هذه المواقف الحرجة.. طمأنتهم على سلامة الاجراءات فى السفينة.. ثم قلت لهم مبالغا فى الحيطة والطمأنينة :

« ان هناك سورة فى القرآن ـ كتاب المسلمين المقدس ـ اسمها سورة « الفاتحة » .. هذه السورة بمعانيها الكبيرة، وما احتوته كلماتها من أدعية حارة ضارعة تنشر فى القلوب الواجفة الأمن والسكينة وتشيع فى النفس الخائفة أعلى درجات الشجاعة والثقة .

وبلهفة جياشة طلب منى هؤلاء الأصدقاء هذه « السورة » ووقعت عليها باسمى وأسماء بناتى « ثريا ، كريمة ، فيروز ومنيرة » .

« الفريد وردن ، جيمس أرون ودافيد سكوت » .

May God protect Endeavour and its crew : Alfred warden. James Irwin. David Scott.

وبعد نجاح الرحلة تفاءل الأصدقاء الثـلاثة ، وطلبوا مـنى مزيدا من المعرفة عن الاسلام واللغة العربية .

وانتقل الحـديث بعد ذلك الى الفضاء والكون وما فيهما من ظواهر عجيبـة .

قال فضيلة الامام الأكبر : اننـا نسمع كثيرا عن «الأطباق الطائرة» وما يثار حولها من قصص وحكايات غريبة . فما هو تفسـيركم العلمى لهذه الظاهرة ؟

واجاب الدكتور فاروق قائلا :

ان تفسـير العلماء لهذه الظاهرة يتردد بين اليقـين والشـك بنسب متفاوتة على النحو التالى :

١ ـــ ان هذه الظاهرة «خرافة» بنسبة خمسة وسبعين فى المـائة .. لأن أكـثر الذين شـاهدوا هـذه الظـاهرة كانوا من عامة النـاس أو الفلاحين الذين يغلب عليهم تعليل هذه الأشياء تعليلا يتسم بالخرافة والتأثر بأحاديث السمر فى الليـالى المقمرة .

٢ ـــ ان هذه الظاهرة ربما كانت بسبب تأثير عوامل الطبيعة فى بعض الأمكنة .. كما يحدث للسائرين فى الصحراء حيث يظنون السراب ماء وبحـيرة .

وهذا التقدير يصل الى عشرين فى المـائة .

٣ ـــ ان هذه الظـاهرة مجهولة الأسباب ولا يمكن تعليلهـا بسبب من الأسباب الطبيعية ، أو أثر من آثار التخيل والخرافة .

وهذا التقدير يصل الى خمس فى المـائة .

وعـلى أية حال .. فان علمنـا البشرى لايزال محدودا، وما اكتشف من أسرار الكون الى الآن لا يزيد على قـطرة من محيـطات الأرض الشـاسعة .. أو كما يقـول الله

سبحانه « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد سأل فضيلة الامام الأكبر عما اذا كان قد تأكد عند علماء الفضاء وجود حياة فوق الكواكب الأخرى .. أو « المريخ » على وجه الدقة ؟

وأجاب الدكتور فاروق ردا على هذا السؤال :

ان الحياة لا يمكن أن توجد بدون خلايا عضوية تنشل فيها الحياة وتنمو طبقا لسنة الله فى الخليقة .. ولم نصل الى دليل حتى الآن يؤكد وجود حياة فوق الكواكب فى المجموعة الشمسية . والانسان حتى الآن .. هو الكائن العاقل الذى يمكن وصفه بهذه الصفة .

ثم سأل الامام الأكبر الدكتور فاروق عما توصل اليه من بحوث بشأن الصحارى المصرية.. ومايقال من أنها عامرة بكنوز وثروات هائلة ؟

وقد فصل الدكتور فاروق للامام الأكبر ما تم بحثه فى هذه الناحية .

ثم قال : ان مستقبل رخاء مصر مرتبط باستغلال هذه الصحارى . وان الثروات الكامنة فى جوف هذه الصحارى تبشر بالخير العميم اذا أحسن استغلالها بصورة علمية ، وأن حل مشكلاتنا الاقتصادية رهين بالعمل الجاد لتنفيذ هذه الخطة .

وهنا قال فضيلة الامام الأكبر :

اننا نفكر فى انشاء معهد لعلوم الصحارى يلحق بجامعة الأزهر .. فتحمس الدكتور فاروق لهذه الفكرة وأبدى استعداده التام لتبنى هذا المشروع الذى يعتبر تحولا بارزا وخطيرا فى الدراسات العلمية الصحراوية .

وقال العالم الفضائى معقبا :

انه لمن المؤسف .. أن المعهد الوحيد فى العالم المتخصص فى هذه الدراسة يوجد فى اسرائيل فقط . وفى بلادنا نحن المسلمين والعرب صحارى شاسعة غنية بالكنوز والثروات الدفينة . ثم لا تتجه

لاستغلالها على النحو الذى يحقق لنـا الرخاء والـثروة ، ويعـالج مشكلاتنا الاقتصـادية على أجمـل وجه وصورة ..

وانتهت المقابلة بخطاب من فضيلة الامام الأكبر الى فضـيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر يقول فيه :

«ان انشاء معهد لعلوم الصحارى فى جامعة الأزهر سيقابل بالترحيب والتقـدير على مسـتوى الهيئات الرسمية والعلمية . رجاء التفضل بالنظر فى هذا المشروع وعرضه على مجلس الجامعـة ليخرج باذن الله الى الوجود فى أقرب فرصة » .

ع . ش

لا تخفى على الله خافية :

يامن خلا ويظن خـلوته أما	تدرى بأن الله جـل يراكا
والكاتبون الحافظون لكل ما	احدثت او اخطرته سوداكا
لايستقيم خلاكا عنك ولوخلا	عن كل ما خلق الاله خـلاكا
انى وسمعك مثل عينك ذاكر	كالجلد يوم قيـامه ماسـاكا
والله مالك لو ملكت جميعها	الا اللباس ومطعم سـكناكا

محمد خليل الخطيب

من الامام الأكبر شيخ الأزهر

الى المسلمين كافة

أيها الأخوة المؤمنون ...

لقد بدأت اذاعة القرآن الكريم تبث ارسالها باسم الله العلى العظيم منذ حوالى ثلاث عشرة سنة .

وقد استقبل المسلمون فى كل مكان من العالم هذه الاذاعة استقبالا يليق بالاسم الكريم الذى تحملته ، والدور العظيم الذى تؤديه . وكان مولد هذه الاذاعة فى جمهورية مصر العربية ايذانا بأن الايمان فى ضمير هذه الأمة أقوى من كل محاولات التشكيك والبهتان التى تعرض لها شعبنا المؤمن فى فترة غابرة من التاريخ .

ان الأمة التى ينطلق منها صوت الحق ، وتخفق فوق ربوعها راية الايمان واليقين ، وتتعطر أجواؤها بنسمات الهداية والرحمة ، هذه الأمة لا يمكن أن تبخل بعطاء يقوى هذه المحطة ، أو يدعم هذه الاذاعة ، أو يعمل على بلوغ هدايتها الى مسامع المسلمين فى الشرق والغرب قاطبة .

وانطلاقا من هذا اليقين الذى يعمر قلب كل مسلم ومسلمة ، ومن ثقتى التى لا حد لها فى أبناء مصر العزيزة المؤمنة ، وفى أبنائنا المسلمين فى كل شعب وأمة . فانى أدعو الجميع الى التبرع الذى يساعد هذه الاذاعة على الاستمرار فى أداء رسالتها ، حتى تبلغ كلمة الله مداها فى الانتشار والتوسع ، وحتى تعم هدايته الناس جميعا فى أى موقع ..

انها دعوة الى خير كثير جزاؤه ، والى معروف لا يخفى أثره ، ونداء من الله الى كل المؤمنين بكتبه وأنبيائه ورسله ..

ولا يخالجنى أدنى شك فى أن هذه الدعوة ستلقى صداها الكبير فى أذن كل مسلم ، وستنال حظها من العناية والاهتمام فى قلب كل مؤمن ..

فالقرآن هو نور الله المبين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم من قال به صدق ، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

وهذا النداء دعوة الى الله بالصدق فى معاملته ، والعدل فى طاعته والى الهدى والرشاد فى كلامه ووحيه .

ويمكن للمتبرعين تقديم تبرعاتهم بالعملة الأجنبية عن طريق المصرف العربى ، وفى بنك ناصر الاجتماعى بالجنيه المصرى ، أو تقديم هذه التبرعات الى مكتبنا شخصيا لتحويلها الى أى من هذين المصرفين .

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

والله ولى التوفيق ...

شيخ الأزهر

(عبد الحليم محمود)

الايمان .. والعمل

لا تستقيم الحياة الا بالإيمان والعدل فاذا اختل ميزان العدل فى أمة ، وطمست معالم الهداية والايمان فى شعبها ، تحول الناس الى وحوش ضارية ، وانهار بناء المجتمع من اساسه الى غير رجعة .

« حكيم »

لغتنا العربية
ماذا يراد بها؟

للدكتور على حسن العمارى

منذ عهود بعيدة والنحويون يجهدون جهدهم ، ويبذلون غاية ما فى وسعهم ، ليصلوا الى قواعد محددة مضبوطة ، تكون عصمة من الخطأ والزلل لمن يريد أن يتكلم عربية سليمة صحيحة ، وقد امتد بهم نفس القول فى النحو ــ كشأن العلماء فى كل علم ــ فأخذوا يفلسفون ، ويستخرجون دقائقه ، ويكتنهون حقائقه .

ويبدو أن هذا الصنيع لم يرق لبعض الزاهدين فى العلم ، فأخذوا يعيبون على النحويين اكثارهم من المسائل ، ومحاولتهم تعليل كل ظاهرة لغوية ، ولكن هؤلاء لم يقفوا فى تنقصهم النحو عند هذا الحد ، بل تعدوه الى الأصول ، فعابوا النحو جملة .

وقد روت لنا كتب النحو والأدب بعض ما قيل من شعر ونثر فى ذم النحو والنحاة ، كما رأينا أبا العلاء المعرى فى رسالة الغفران يسخر من النحاة ، ويسمى بعض صناعتهم تارة (أباطيل) وتارة (هذيانا) .

ويحدثنا الامام عبد القاهر الجرجانى (م ــ ٤٧١ هـ) فى مقدمة كتابه (دلائل الاعجاز) عمن كرهوا النحو ، ويبالغ فى وصف صنيعهم ، فبعد أن وقف وقفة العالم المتثبت مع الذين كرهوا الشعر ، قال : (وأما زهدهم فى النحو ، واحتقارهم له ، واصغارهم أمره ، وتهاونهم به ، فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله ، وعن معرفة معانيه) .

وهى كلمة رائعة ودقيقة من هذا الامام الجليل ، فمن يصد عن معرفة النحو يصد عن معرفة معانى كتاب الله ، وذلك أن النحو هو الذى يكشف عن هذه المعانى المخبوءة وراء الألفاظ ، وهو المعيار الذى لا يبين رجحان كلام ونقصانه حتى يعرض عليه ، ولا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه • قال : (ولا ينكر ذلك الا من ينكر حسه ، والا من يغالط فى الحقائق نفسه) •

ثم يترفق بهم فيبسط أمامهم القضية واضحة جلية ، ويصنف لهم النحو أصنافا :

١ — مسائل التصريف التى يضعها النحويون للرياضة • وهو لا يحتم عليهم أن ينظروا فى هذا الجنس ، بل لا يعيبهم ان أغفلوا النظر فيه ، قال : (وليس يهمنا أمره فقولوا فيه ما شئتم) •

٢ — أغراض واضعى اللغة ، ووجه الحكمة فى هذه الأوضاع ، وتقرير المقاييس واطرادها ، وذكر العلل •• ورأيه أن يسكت عنهم فى هذا الضرب ، ويعذرهم فيه ، على علم بأنهم قد أساءوا الاختيار ، وقد حرموا أنفسهم مما فيه الحظ لهم •

٣ — ما لابد منه فى صحة التفسير وعلم التأويل ، من المسائل المتفرعة على الأصول ، كأنواع الخبر ، ولحوق الضمير بالجملة اذا وقعت خبرا ، والتفرقة بين الصفة اذا كانت للتخصيص ، أو للتوضيح، أو للمدح، أو للتأكيد •

قال : وهكذا ينبغى أن تعرض عليهم الأبواب بابا بابا ، ويسألوا عنها واحدا واحدا ثم يقال : ليس الا أحد أمرين :

اما أن تقتحموا التى لا يرضاها العاقل فتذكروا أن يكون بكم حاجة فى كتاب الله تعالى ، وفى خبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى معرفة الكلام جملة الى شىء من ذلك •

واما أن تعلموا أنكم أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم ، فترجعوا الى الحق •

والخطب ـ عنده ـ أن هؤلاء الذين أهملوا النحو خاضوا فى التفسير ، وتعاطوا التأويل،وهدموا ولم يبنوا، وكانوا سببا فى الفساد . فتعدد البلاء ، وجاء من الداء ما أعيا الطبيب ، وحير اللبيب .

والآفة العظمى ـ كما يقول ـ أن يبنى الانسان على غير أساس ، وأن يقول الشىء لم يقتله علما .

* * *

ثم يجىء عالم أندلسى هو ابن مضاء القرطبى (٥١٣ ـ ٥٩٢ هـ) فيخرج كتاب (الرد على النحاة) فيعيب عليهم أمورا ، ويشير الى مسائل ، ولكن خير ما قيل فيه ما كتبه محقق الكتاب ، فقد ذكر أنه كانت عند ابن مضاء رغبة شديدة فى الثورة على علوم المشارقة .

* * *

ولعل أبرز كتاب ظهر فى عصرنا ، وكان امتدادا لكتاب ابن مضاء هو كتاب (احياء النحو) للمرحوم الأستاذ ابراهيم مصطفى ، وقد كفانا مئونة الرد عليه أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عرفة ، كما تكفل الزمن بالقضاء على ما جاء فى هذا الكتاب مخالفا لآراء النحويين القدامى، كما فعل بكتاب سلفه ابن مضاء .

* * *

ومنذ سنوات اطلعت على كتاب (من أسرار اللغة) للأستاذ ابراهيم أنيس ، فرأيته يسلك نفس المنهج ، وان كان انكاره على النحاة ، وعيبه لهم أشد ، وما انتهيت من قراءة الكتاب حتى خيل الى أن النحاة قد جنوا جناية لا سبيل الى غفرانها الا بطرح أكثر أقوالهم .

وقد داخلنى ريب شديد فى سلامة منطق صاحب الكتاب ، وأقول : بل فى حسن نيته حين وصلت الى صفحة ٢١٨ ، فرأيته يذكر مسألة أعتقد أنه يعلم أنها غير صحيحة ، وخطورة صنيعه تكمن فى أن المسألة تتعلق بآية من كتاب الله تعالى ، فبعد أن ذكر أن النحاة عكسوا حكم المقصور المنصوب غير المنون عند الوقف عليه حيث جعلوا ابقاء الياء

أولى من حذفها، قال مانصه: (ولست أدرى لم استحسنوا هنا الوقف بابقاء الياء ، وفضلوه على حذفها رغم أنا نرى القراءة القرآنية المشهورة قد التزمت هنا أيضا حذف انيـاء حتى فى حالة النصب ، فاستمع الى قوله تعالى فى سورة القيامة : (كلا اذا بلغت التراق ، وقيل من راق • وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق• الى ربك يومئذ المساق) ؟ !

ألست ترى معى أن الفواصل هنا تبرز موسيقاها ، وتطمئن النفوس اليها ، حين نقف على القاف) فى كل من هذه الآيات بالسكون ؟

وألست ترى معى أن تردد القاف كان لحكمة فنية أدبية لتستمتع الأذن بموسيقى هذه الفواصل، ولا تتحقق تلك الحكمة الفنية حين نقول (التراقى) كما فعل معظم القراء ؟)•

وخطورة هذا الكلام ــ كما قلت ــ أنه ادعاء على كتاب الله بما ليس فيه ، ثم هو من مؤلف عضو فى مجمع اللغة العربية ، ثم ان علماء القراءات لا يعترفون بوجود هذه القراءة ، فضلا عن أن تكون المشهورة !

ذلك أن القراءة المشهورة فى هذه الكلمة باثبات (الياء) وقد سألت كثيرين من علماء القراءات عندنا فأنكروا القراءة بحذف الياء ، وكيف تكون القراءة المشهورة ، ومعظم القراء لا يقرأون بها ، كما يقول المؤلف نفسه ؟ !

ولقد هممت آنذاك أن أقف مع المؤلف وقفات لعلنا نصل الى القول الفصل فى مسائل خطأ فيها النحويين، وهم ــ فيما تشهد به نصوص اللغة ــ غير مخطئين ، ثم شغلتنى شواغل فأرجأت الكتابة فى هذا الموضوع ، وطال الزمن ، وخيل الى أن الكتابة بعد هذه السنوات عن كتاب ظهر منذ بعيد غير مقبولة ، لكنه وقع فى يدى كتابان فى هذه الأيام أحدهما يسمى (النحو المعقول) والثانى يسمى (لغتنا العربية المعاصرة) (١) • فرأيت أن الطريق

(١) وكلاهما من تاليف الدكتور محمد كامل حسين •

التى بدأها ابن مضاء ، وسار فيها كل من صاحب (احياء النحو) وصاحب (من أسرار اللغة) لا يزال يسير فيها بعض الباحثين ، وأول علامات هذه الطريق النيل من النحويين ، ورميهم بالقصور وبالتحكم،وبفرض سلطانهم على الشعراء والكتاب وغيرهم •

ولقد كان ابن مضاء أرأف (بالنحويين حين سمى كتابه) الرد على النحاة) فى حين عنف بعض الباحثين المعاصرين فى أسماء كتبهم: (احياء النحو) • (تحرير النحو)• (النحو المعقول) ،كأن النحو كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة فجاء من يبعثه من مرقده ، وكأنه كان مكبلا بأغلال الأسر ، فجاء من يضع عنه هذه الأغلال ويحرره ، وكأنه كان قد أصيب باختلال فى قواه العقلية فجاء من يشفيه من داء الجنون ، ويجعله عاقلا ، أو معقولا •

ثم • ماذا جنى النحويون حتى يرموا بهذه الاتهامات ؟

يرى صاحب (من أسرار اللغة) أن النحاة هم الذين وضعوا أصول النحو من أدمغتهم ، وكان استقراؤهم ناقصا ، وهم الذين أوردوا النصوص مرفوعة أو منصوبة حسب أهوائهم، ولنا وقفة عند هذه القضية الغريبة •

وقدكانوا ــ كما يقول ــ أصحاب سلطان ونفوذ فرضوهما على الشعراء والكتاب والخطباء ، ثم فرضوهما أخيرا على القراء •

فالنحاة القدماء ــ فى رأيه ــ قد سمعوا شيئا ، وأخطأوا تفسيره ، واستنبطوا قواعد قبل أن يتم لهم الاستقراء •

أهملوا ما أهملوا ، وقاسوا ما قاسوا ، ثم خرجوا على الناس بقواعد فرضوها فرضا ويتهم البصريين بأنهم يؤولون الكلام الفصيح حين يخالف قواعدهم •

ويسخر من النحويين حين يقولون بالضرورات الشعرية ، ويقول : (كأنما كانت اللغة ملكا لهم وحدهم يعطون منها ما يشاءون ، ويمنعون منها ما يشاءون) •

الى كثير من مثل هذه الكلمات .

وتسرى هـذه الـروح فى بعض الكاتبين فنرى (١) من يقول فى سخرية باللغـة : (كتب النحو المخطـوطة والمطبوعة تسد حاجة مدينـة كبيرة للوقود شهورا) .

(وقد أتى علينا حين من الدهر لم نشـك فى سـداد هـذا الرأى ووجاهته ـ اللغة العربية لغة واسعة، متشعبة الأنحاء ـ أما الآن فقد علمتنا ظروف كثيرة أنه سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) .

(تعالوا نستنبط قواعد النحـو من القرآن ، ونعززها بشواهد منه لتكون نحوا وأدبا ، ولنضرب صفحا عما عداه ، فهو ـ وحده ـ النص الموثوق بصـحته ، ولتذهب بقيـة القواعد الى النار فهى أولى بها(٢) .

ثم يأتى صاحب (لغتنا العربيـة المعاصرة) فيردد هذا الـكلام نفسه ويزيد عليه ؛ «فالنحويون قد وقعوا فى خطأ كبير ، حين وثقوا بمصادرهم ـ ما عدا القرآن ـ واستمر هـذا الخطأ يؤثر فى النحو قرونا عديدة.

والنحويون ـ عنده ـ لم يفرقوا بين الشـعر الجيـد ، وغيره فزادوا الطين بلة ، وهو ما نعيبه عليهم عيبا شـديدا ، ويبـالغ فيزعم أن أكثر الشواهد مصنوع واضح الصنعة ، وأن أكثر المسلمات لا أصل لهـا ، وأكثر القواعد وليدة تفكير خاص ، وهى مفروضة على الناس فرضا » .

ولم ينفرد النحويون بالوقـوع فى الخطـأ ، بل شاركهـم فى ذلك اللغويون ، فهم يخطئون الصواب ، اظهـارا للعـلم ، وسعة الاطلاع ، ويصوبون الخطـأ اظهـارا للبراعة والذكاء .

وربمـا كان هذا المؤلف أكثـر أصحابه عيبا على النحاة ، وسخرية منهم .

ونخلص من كل ذلك الى أن النحـاة الأوائل ، وتبعهم الآخرون طبعا لم يخلصوا لعلمهم ، ولم يكن

---

(١) و (٢) الأستاذ محمد محمد على فى كتابه : (محاولات فى النقد) ص ٩٧ ـ ١٠٠ .

همهم الا اظهار البراعة والذكاء ، وأن قواعدهم لم تكن مقنعة، وانهم استغلوا سلطانهم فى فرضها ، وأن كتب النحو التى بين أيدينا قليلة الغناء ، بل لا فائدة منها ، فلتذهب الى النار ، فهى أولى بها .

وانما أطلت النقل عن هؤلاء لأبين العداء الكامن للنحويين فى نفوس بعض من ينظرون فى تراثنا العربى ، ولأدل على أن ما يكتبونه فى النحو مشوب بهذا العداء فمن الواجب أن تنظر اليه بحذر شديد ، ولأثير عجب القارىء ممن يتصدون للتجديد .

وخطأ هؤلاء جميعا أن النحو لم يضعه عالم واحد حتى نحكم عليه بنقص الاستقراء ، وانما شارك فيه علماء كثيرون ، وقد كان اللاحق منهم يكمل ما فات السابق ، وأن من هؤلاء العلماء من قضى ردحا طويلا من حياته يتنقل فى بوادى الحجاز ليأخذ اللغة عن أربابها ، وأن من هؤلاء النحاة من كان على جانب كبير من الذوق الأدبى مثل : أبى العباس المبرد ، وأن ما وضعه النحاة من قواعد لا يعارض شيئا مما جاء فى القرآن الكريم ، فلو أننا نظرنا فى القرآن ، واستخرجنا منه قواعد نحوية لا نبعد عما قاله النحاة ، واذا كانوا رأوا أن فى بعض استعمالات القرآن ما جاء على لغة قبيلة خاصة، فليس ذلك عيبا فى قواعدهم . فهم حين وضعوا القواعد نظروا فيما لا يحصى من كلام العرب ، شعره ونثره ، ونظروا فى القرآن أيضا ، وفى الحديث النبوى الشريف ، فوضعوا القاعدة للظاهرة المطردة ، أو الأكثر دورانا فى كلام العرب ، فاذا عرض لهم كلام فصيح موثوق به يخالف هذه الظاهرة اعتبروه قليلا ، وليست القلة عيبا فيه ، فهو لغة قبيلة فصيحة ، وانما القلة فى الناطقين بهذه الظاهرة . ولما كان الشاعر يضطر أحيانا للخروج على هذه الظاهرة سموا ذلك ضرورة شعرية .

ولسنا ندعى لهؤلاء النحاة العصمة ، ولكننا نؤكد مع كامل اليقين أنهم أوثق منا فيما وضعوه من قواعد ، فقد بذلوا غاية جهدهم،

وقد شافهوا الأعراب ، وأكثروا من الرواية ، وكان كثير منهم على جانب عظيم من التقوى والورع ، وحين نقرأ تراجمهم لا يخالجنا أدنى شك فى أن من يعيبونهم من أبناء عصرنا لا يجرون فى غبارهم ، ولا يلحقون شأوهم ، وهل يتردد منصف فى أن كثيرا من أفرادهم كان يروى من مفردات اللغة ، ومن الشعر والنثر ما لا يروى عشر معشاره الجمع الغفير منا ؟

ولو ذهبت أضرب الأمثلة على ما كان يحفظه بعضهم ، وما كان يرويه لطال بى القول ، وما أظن أن أحدا من المشتغلين بالعربية يجهل ما كانوا عليه من كثرة محفوظ ، وصحة رواية ، ودقة نظر .

ولسنا ــ كذلك ــ نستبعد أن يكون بعض الشواهد مصنوعا ، ولكنا نرفض رفضا باتا أن يكون أكثرها مصنوعا .

وكيف عرفنا نحن فى هذا القرن أن هذه الشواهد الكثيرة مصنوعة، ولم يتنبه لذلك العلماء منذ ثلاثة عشر قرنا مع ما نعرفه فى كثيرين منهم فى العصور المختلفة من بصر باللغة ، ومعرفة بآدابها ؟ !

هذه نظرة عامة ، أما مناقشتنا للمسائل النحوية ، وللقضايا العلمية التى تناولها مؤلفونا فموعدنا بها فى كلمة تالية ، ان شاء الله .

د. على العمارى

الصلاة :

ان الصلاة بها الصلاة عميقة	وبها يكون من الصلاة نجاكا
واذا بليت من الزمان بشدة	فافزع لها تفزع بها بلواكا
هى قرة للعين ، جالبة الرضا	هى فى الخطوب الحالكات ضياكا
وعماد دين الله باب فتوحه	وطريق جنته وسر هناكا

محمد الخطيب : وحى الحديث

من تراثنا الحديث :

يا مصر ! انثري كنائنك

للشيخ محمد البشير الإبراهيمي

نسميك بما سماك الله به فى كتابه فكفاك فخرا أنه سماك بهذا الاسم الخالد الذى تبدلت أوضاع الكون ولم يتبدل ، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير ، وحسبك تيها على أقطار الأرض أنه سماك ووصفك ، فقال فى فلسطين : (الأرض المقدسة) و (القرى التى باركنا فيها) وقال فى أرض سبأ (بلدة طيبة) ولم يسم الا الطور وهو جبل ، ومكة وهى مدينة ، ويثرب وهى قرية ، فتيهى وافخرى بهذه الميزة التى خصك الله بها ، وخذى منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام ، وبذمة رعاية لا تخفر ، وبجوار أمن لا يخزى جاره ..

نأسى لك — يا مصر — أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة التى جلبت لك البلاء ، وجرت عليك الشقاء ، وان حبتك هذا الجمال الذى جذب اليك خطاب السوء من الأقوياء الطاغين ، والقواد الفاتحين ، وان أجرى فيك هذا النيل العذب الذى كان فتنة الخيال البشرى ، وكان وثن القدماء فتقربوا اليه بالنذور والقرابين ، وكان طغوى فرعون ذى الأوتاد فحرك فيه نزعة الألوهية فتوهم أن شاطئيه الأخضرين هما نهاية الكون ، وأنهما كفاء لملك الله الطويل العريض ، وأن وضعك من هذا الكوكب الأرضى فى موضع الواسطة من القلادة ، فتعلقت بك الأبصار حتى (كان عليك من حدق نطاقا) وأن جعلك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب فكنت — على الدهر — بحال احتراب بين الشرق والغرب ، فصبرا يا مصر فهذا الذى تعانيه هو مغارم الجمال والشرف والسلطة ..

سموك (عروس الشرق) فكأنما أغروا بك الخطاب ، وهجهجوا فيك الأساد الغلاب ، وسموك (بمنارة الشرق) فلفتوا اليك الأعين الخزر، وولوا نحوك الأعناق الغلب ، وقديما سموا بغداد (دار السلام) فجنوا عليها ، وكأنما ولوا عليها المغيرين ، ولو سموها (دارالحرب) لأوحى الاسم وحده بما تنخلع منه قلوب الطامعين وتخنس له عزائمهم ، وتنكر لتصوره الجيوش اللجبة فغفرا ــ يا مصر ــ فما هذه الأسماء الا من هيام الشعراء .

وما زلت ــ منذ كنت ــ مهوى أفئدة العظماء الفاتحين ، فأخذوك اقتسارا وصلحا ، وحازوك طوعا وكرها ، وما منهم الا من مهرك المهر الغالى ، وساق اليك الثمين المدخر ، بما خلد فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من سمات قومه ومعانيهم حازك الاسكندر فخلد فيك الاسكندرية ، وملكك قمبيز ، فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها ، وحل فيك بطليموس ، فخلف فيك آثاره من حكمة يونان وداعبك قياصرة الرومان ، فخلفوا فيك آثارا من عظمة الرومان ، وفتحك عمرو ، فمهرك بيان العرب كله ، وهداية الاسلام كلها ، ففخرا ــ يا مصر ــ فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هى بقايا مهورك الغالية ، وأن أثمنها قيمة ــ وحقك ــ وأثبتها أثرا ، وأبقاها بقاء ، وأشبهها بشمائلك ، لمهر عمرو ، فما زلت منذ تفيأت ظل الاسلام الظليل ، تجدين منه فى كل داجية نجما ، ووراء كل ظلمة فجرا ، وما زلت كلما شكوت ضرا فى دينك ، يخف اليك من يكشفه ، وكلما شكوت شرا فى دنياك يخف اليك من يدفعه .. خف اليك (جوهر) حين لحقتك علامةالتأنيث وتقلب على فراشك العبيد ، وخف اليك (صلاح الدين) حين امتهن فيك الدين وخف اليك ، « سليم » حين لعبت بك أهواء المماليك ، وخف اليك « على » حينما تحكم فيك الصعاليك ، تأخروا بركبكعلى زمانك ، فألحقك بزمنك وأراد لك أن يكون محلك من الغرب أماما ،

وأن تكونى من الشرق أما و أمة ولماما ، فما عابوك ، ولكنهم هابوك فنصبوا لك فى كل حفـرة عاثورا ووضـعوا لك فى كل فج فخـا ، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية فى بحر ، ولا سـارية فى بر ، فمن بعض ذلك كل ما تعانين .

لئن كانت أزماتك فى التـاريخ كثيرة ، فكلها الى انفراج عاجل ، ومن المؤلم أن تطول بك المحنـة فى هذه الدورة من أدوار الفلك ، وأن تبتلى بخصـم لئيم الخصومة والكيد يمده زمنه بالقوة والأيد ، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا تجمعك به نسبة لشرق ، ولايلتقى منكما — الى آدم — عرق بعرق ، فيجعل منك أداة لكيده ، وجارحة لصيده ، ومطية للصوصيته ، وطريقا لظلمـه وظلامه فلو أن المسـالك تشترك فى الاجرام مع السالك — لـكان لك شرك فى كل ما حمـل الانجليز من أوزار ، ولحملك العدل كفلا من مآثمهم فى الشرقين ، إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم فليتك تعاسرت بالأمس فى حفر هذه القناة ، أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بمناةفتوسعين هذه ردما ، كما أوسعوا تلك هدما . حـتى اذا ملـكت أمرك حفـرت ما يرويك ، لا ما يرميك وما فضل ماء اسـتنبطته يداك ، لينتفـع به عداك ؟ وما زاد الأباة عن الحياض الا لتكون لهم وردا .

لا توحشنك غربة .. ان مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك حائمة على مواردك ، هائمة بحبك ، تقطع الأنات فى التفـكير فيـك ، ولا تقطع الأنات من الامتعاض لك ، وان مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك ، متحركة بمدحك ، ناطقة بفضلك متغنية بمحاسنك ، وانهذا لرأس مال عظيم ، لم تظفر به قبلك يدان .

أنت اليوم مثـابة العروبة فى ثراك حى بيانها ، وبسقت أفنانها ، وفى رياضـك تفتحت أزهارها وغردت بلابلها ، ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء .

وأنت اليوم قبلة المسلمين يولون وجوههم اليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة ، وينفرون الى معاهدك يمتاورن العلم منها ، والى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها ، والى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة فى الدين والدنيا عنهم ، فلك — بذلك — على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة اليه .

وأنت اليوم مأزر الاسلام فكلما سيم الهوان فى قطر ، أو رماه زنديق بنقيصة ، فزع اليك — واستجار بك ، يتلمس الغوث ، ويستمد الدفاع ، فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل .

وكيف بك — مع هذا — لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام ، اذن لكنت قدوة فى احياء سنته التى أماتتها البدع وفى اقامة أعلامه التى طمستها الجهالات وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب ؛ وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات ، اذن لحييت وأحييت .

ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من هذه الأدران ، ثم لم تغسلى ، وأنك قادرة على اعادة الاسلام الى رسومه الأولى ، ثم لم تفعلى ، ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل ، ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ولكنت — بهم — للعالم كله اماما أى امام .

.. عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تتكسر عليها أمواج الباطل ، فكونى أصلب ما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت ..

.. أقدمت فصممى .. وبدأت فتممى .. وحذار من التراجع فان اسمه الصحيح « هزيمة » وحذار من التردد فانه سوس العزيمة ..

انك فائزة فى هذه المرة بأقصى المطلوب ، لأنك أردت فصممت ، وانما يعين الله من مخلوقاته المصممين ، واذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأكبر الأعوان

على نيله التصميم ، فصممى ثم صممى ..

ان قلبى يحدثنى حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ، وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة فى هذه المعركة، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه وهو الارادة يحدوها التصميم ، يمدها الايمان بالحق ، يربط ثلاثتهما الاجماع على الحق ..

انك فائزة فى هذا اليوم بالأمنية التى عملت لها قرونا وأن فوزك فوز للعرب وللاسلام وللشرق فيا ويح دعاة الوطنيات الضيقة المحدودة . اذا أقدم الأبطال نكصوا واذا زاد الناس نقصوا ، ويحهم ان المستعمر سارق وان السارق الحاذق لا يسرق فى الظلمة أو فى الغفلة ، فاذا انحسر الظلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والحسرة ، وان مصر لفى فجر صادق ، وانها لفى يقظة صاحية ، فأى موضع يسع السارق فيها ؟

صممى وأقدمى ، ولا يخدعنك وعد ، ولا يزعجنك وعيد .

ان الخصوم — كما علمت — لئام ، وأن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع ، فحركى فى وجوههم تلك القوى الكامنة فى بنيك يرتعدوا ..

صممى وقولى للمتغافلين الذين يعذلونك على الاقدام : « ان أضيع شىء ما تقول العواذل » .

انثرى كنانتك — يا كنانة الله — فان لم تجدى فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعى ، واحرصى على أن تجدى فيها السلاح الذى يفل الحديد ، وهو العزائم ، والمادة التى تطفىء النار ، وهى اتحاد الصفوف، والمسن الذى يشحذ هذين ، وهو العفة ، والصبر ، فلعمرك — يامصر — انهم لم يقاتلوك بالحديد والنار، الا ساعة من نهار ، ولكنهم قاتلوك فى الزمن كله ، بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكاتب الذى يزرع الشك وبالعلم الذى يمرض اليقين ، وبالصحيفة التى تنشر الرذيلة ،

وبالقلم الذى يزين الفاحشة ، وبالبغى الذى يخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالمهازل التى تقتل الجد والشهامة، وبالخمرة التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب فان شئت أن تذيبى هذه الأسلحة كلها فى أيدى أصحابها فما أمرك الا واحدة ، وهى أن تقولى : انى مسلمة .. ثم تصومى عن هذه المطاعم الخبيثة كلها .. ان القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصرى عليهم، وقابلى أسلحتهم كلها بسلاح واحد، وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها فاذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا.. وماذا يصنع «المرابى» فى بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ..

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت فى مفترق الطرق ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكى أضل السبل .

فرصة من فرص الدهر هيأها لك القدر للرجوع الى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ومحامد العرب ، وروحانية الشرق ، فان انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة .

ويا مصر ، نحن وأنت سواء فى طلب الحق ومطاردة غاصبيه، ونحن وأنت مستبقون الى غاية واحدة فى ظلام دامس ، ولكنك أصبحت فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن فى قطع من الليل ، نرقب الفجر أن ينبلج نوره . وما الفرج منا ببعيد ..

محمد البشيرى الابراهيمى

من قضاة الإسلام : ابن خلدون

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

أثمر الفكر الاسلامى فى ابن خلدون نتاجا انسانيا ، فكان له فضل السبق فى تأسيس علم الاجتماع وأسهم بدور كبير فى علم التاريخ وفلسفته والسياسة والاقتصاد .

وقد كانت هذه الجوانب من شخصية ابن خلدون محل دراسات بل وأطروحات علمية . ويهمنا أن نسلط الأضواء عليه كقاضى قضاة المالكية فى مصر ومدى اسهامه فى الاصلاح القضائى فى عصره ، وقد ترك لنا ابن خلدون ترجمة ذاتية رسمت الخطوط الكبرى من حياته تعين على دراسته فى ضوء التحليل العلمى الحديث .

معالم حياته :

ـ ولد فى أول رمضان سنة ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م) بتونس عبد الرحمن بن محمد (ابن محمد بن محمد الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن) بن خلدون ، ويكنى أبو زيد ، واشتهر بابن خلدون نسبة الى جده التاسع ، ويرجع ابن خلدون أصله الى العرب اليمانية فى حضر موت ، ونسبة الى وائل بن حجر ، ويعتمد فى ذلك على رواية العلامة النسابة الأندلسى الامام ابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) عند الكلام فى دخول رأس هذه الأسرة الى الأندلس والمغرب مع الغزاة الفاتحين . ولقد كان لهذه الأسرة أثر كبير فى السياسة والعلم فى الأندلس وقد وصفها المؤرخ ابن حيان (من رجال القرن الخامس الهجرى) فقال . « بيت ابن خلدون الى الآن فى اشبيليه نهاية فى النباهة . ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية » .

ـ عزف والد ابن خلدون (أبو عبد الله محمد) عن السياسة

واضطرابها فقد ارتفع فيها من أفراد أسرته من وصل الى امارة اشبيلية وانتهى الأمر بقتله تعنى به كريب ابن خلدون — وآثر حياة الدرس والعلم ، يقول لنا ابن خلدون عن أبيه « نزع عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط. فقرأ وتفقه ، وكان مقدما فى صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه ». وكان ذلك الأب هو المعلم الأول فى حياة ابن خلدون فأحفظه القرآن وفقه فى القراءات السبع وأسهم معه علماء الأندلس الذين نزلوا بتونس بعد انهيار الأندلس فى القرن السابع الهجرى فى تعليم ابن خلدون شيئا من التفسير والحديث والفقه المالكى الذى هو المذهب السائد فى المغرب العربى . ويذكر لنا ابن خلدون أسماء معلميه فى كل علم وفن ، ويعنى عناية خاصة بترجمتهم ووصف مناقبهم ولكن تلحظ أن اثنين من أساتذته كان لهما أكبر الأثر فى ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية : أحدهما ، محمد بن عبدالمهيمن بن عبدالمهيمن الحضرمى أمام المحدثين والنحاة بالمغرب وقد أخذ عنه الحديث ومصطلح الحديث والسيرة وعلوم اللغة ، والثانى : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلى شيخ العلوم العقلية التى تشمل المنطق وما وراء الطبيعة والعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والموسيقى .

— وعكف ابن خلدون على الدرس والتحصيل وشهد له أساتذته بالنبوغ والتفوق والاجازة فيما اطلع عليه ودرسه حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وفيها طوى بساط الموت والديه فى الفناء الكبير (الطاعون الجارف) بالنكبة التى حلت بالشرق والمغرب معا (٧٤٩هـ — ١٣٤٩م) ويشير اليها ابن خلدون بقوله (فيها ذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواى رحمهما الله) وهاجر معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء الجارف من تونس الى المغرب الأقصى سنة ٧٥٠ فولى ابن خلدون وجهه شطر الوظائف العامة والسير فى الطريق الذى سار فيه جداه

الأول والثاني وكثير من قدامى أسرته فقضى ستة أعوام موظفا بفاس فعمل مع السلطان أبو عنان .

وكان ابن خلدون عضوا فى مجلسه العلمى وأحد كتابه وموقعيه وذلك فى الفترة من ٧٥٥ هـ الى ٧٥٨ هـ . وقد قضى بعد ذلك سنتين فى سجن فاس (٧٥٨ ـ ٧٦٠ هـ) لصلته بالأمير محمد صاحب بجاية المخلوع والذى كان أسيرا فى فاس .

وفى سنة ٧٦٠ أفرج عن ابن خلدون الوزير الحسن بن عمر وولاه وظائفه السابقة ، كما ولاه السلطان منصور بن سليمان فى نفس السنة وظيفة الكتابة وولاه السلطان أبو سالم فى شئون كتابة السر والانشاء والمراسيم ثم تولى خطة المعالم (٧٦٠ الى آخر ٧٦٢ هـ) . كما أبقاه الوزير عمر بن عبد الله على الوظائف السابقة (٧٦٣ ـ ٧٦٤ هـ) .

ـ رحل ابن خلدون الى الأندلس فى سنة ٧٦٤ بعد أن كتب الى صديقه : سلطانها محمد ووزيره ابن الخطيب بمقدومه ، ولما وصل ابن خلدون غرناطة اهتم السلطان والوزير بمقدمه واحتفيا به وأكرما مثواه ، ونظمه السلطان فى أهل مجلسه ، وقربه اليه وأثره بصحبته وأسماره ، واختصه فى العام التالى (سنة ٧٦٥ هـ) بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة ، فنجح فى تلك السفارة وتم عقد صلح بين سلطان الأندلس وملك قشتاله وانتظمت العلاقات السياسية بينهما فارتفعت مكانة ابن خلدون لدى سلطان الأندلس وأقطعه الأرض الخصبة يتبوء فيها فزاد رزق ابن خلدون واتسعت أحواله وطلب ابن خلدون من السلطان أن يسمح له باستقدام أسرته من قسطنطينه فسمح له . وشعر ابن الخطيب بأن سلطان الاندلس قد قدم ابن خلدون عليه لديه فدفعته عوامل الغيرة والتنافس بأن يقصى ابن خلدون وقدم السعايات الى السلطان وأيدها عن يد عمه فتقبلتها نفس السلطان ، وشعر ابن خلدون باعراض السلطان عنه ، فأدرك أنه لم يبق للبقاء موضع ، وقد وصلته فى الوقت ذاته رسالة من صديقه الذى حبس من

أجله سنتين وهو الأمير أبي عبدالله محمد أمير بجاية . يحيطه فيها أنه قد استرد ملكه ، وأنه يرغب فى مقدمه ، فاستأذن سلطان الأندلس فأذن له ، وشيعه مكرما .

— وصل ابن خلدون الى بجاية عن طريق البحر فى منتصف ٧٦٦ هـ (١٣٦٤) فاستقبله أميرها وأهلها استقبالا عظيما ، وولاه أمير بجاية منصب الحجابة وهو أعلى منصب فى الدولة ويعادل منصب رئيس الوزراء فى عصرنا وقد وصف ابن خلدون سلطات المنصب فقال : « الاستقلال فى الدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته، لايشاركه فى ذلك أحد » . كما أن السلطان صرح له واختصه بالخطابة والتدريس فى أكبر مساجد ولاية بجاية (جامع القصبة) فجمع ابن خلدون بين يديه أكبر مناصب السياسة وأرفع مناصب العلم ، وتمكن من تدبير الأمور بحزم وعزم فعالج الفتن القائمة ، وتجول بين القبائل البدوية ونجح فى تحصيل الضرائب منها بصرامته ودهائه . وفى سنة ٧٦٧ هـ تمكن السلطان أبى العباس أحمد صاحب قسطنطينيه من قتل ابن عمه أبا عبدالله ودخل بجاية ظافرايحدثنا ابن خلدون عن أثر ذلك فيقول :

(وجاءنى الخبر بذلك وأنا مقيم بقصبة السلطان وقصوره ، وطلب منى جماعة من أهل البلد القيام بالأمر ، والبيعة لبعض الصبيان من أبناء السلطان ، فتفاديت من ذلك ، وخرجت الى السلطان أبى العباس فأكرمنى وحيانى ، وأمكنته من بلده) ، فأكرمه أبو العباس ، وأقره على منصب الحجابة حينا ، ثم مالبث أن شك فيه ، فتنكر له ورغب عن خدمته ، فتوجس ابن خلدون خفية منه ، واستأذنه فى الانصراف الى أحد الأحياء القريبة فأذن له ، ولكن عن له بعد ذلك أن يقبض عليه ، ففر ابن خلدون الى بسكرد لصداقة بينه وبين أميرها حيث قضى سبع سنين (من منتصف ٧٦٧ الى منتصف ٧٧٤ هـ) فى الدسائس والمغامرات لحساب أبى حمو سلطان تلمسان ضد أبى العباس سلطان بجاية أولا ، ثم لحساب أبى فارس

عبد العزيز سلطان فاس ضد أبى حمو ثانيا ، منها نحو سنتين (٧٧٤ ـ ٧٧٦ هـ) قضاها فى فاس بعيدا عن وظائف الدولة فى كنف الوزير ابن غازى ، ما عدا بضعة أشهر فى آخرهما قضاهما فى عهد السلطان أبى العباس أحمد .

ـ وفى ربيع سنة ٧٧٦ رحل ابن خلدون رحلته الثانية الى الأندلس تاركا أسرته بفاس ، وكان موضع ريبة من أمراء المغرب جميعا لدسائسه ، فما كاد ينزل ضيافة سلطان الأندلس ابن الأحمر حتى كانت ملاحقة أمراء المغرب له وخاصة بلاد فارس وطلبوا من ابن الاحمر تسليم ابن خلدون فأبى ، فطلبوا اليه أن يقصيه من أرضه الى المغرب فأجابهم لطلبهم .

ـ عقد ابن خلدون العزم ـ وقد امتد أثر السياسة الى ايذاء زوجه وأولاده وحجبهم عنه ثم أقصاه عن الأندلس ، وقد نزل فى مرسى « هنين » لا يعلم أين يمضى؟ أن يتفرغ للقراءة والتأليف وأن يترك شئون السياسة ، لأن الأولى لا تقل فى ابراز الانسان فى عين معاصريه عن الثانية بل يمتد أثر الأولى الى الأجيال المقبلة (ليسهم فى تحقيق صالح المجتمع البشرى) وقد ساعد على نزوله فى تلمسان وجود شقيقه يحى فى خدمة أميرها أبو حمو وشفاعة الوسطاء لدى هذا الأمير للعفو عنه وتحقق رجائهم ، فنزل ابن خلدون فى قلعة ابن سلامة ووصل اليه زوجه وأولاده ، وعكف أربع سنوات من ٧٧٦ هـ ـ ٧٨٠ ينعم فيها بالاستقرار والهدوء وتفرغ فيها للدراسة والتأليف وأثمر مؤلفه التاريخى المشهور « العبر » وقدم لهذا المؤلف ببحث عام فى شئون الاجتماع الانسانى وقوانينه وحرف هذا البحث فيما بعد باسم « مقدمة ابن خلدون » .

ـ ولما عزم ابن خلدون على الرجوع الى مسقط رأسه تونس حيث وفرة المراجع التى تعينه على تهذيب كتابه « العبر » فكاتب سلطان تونس أبا العباس ـ الذى انتزع بجاية ـ قتل ابن عمه والذى

تنكر لابن خلدون فتنكر ابن خلدون له وقضى مدة طويلة فى الدسائس والمغامرات ضده يطلب الصفح والعفو ، فعفى عنه وأكرمه، ومكث فى تونس من ٧٨٠ هـ — ٧٨٤ ينقح كتابه « العبر » وأهداه الى السلطان أبى العباس . وقد عكر صفو ابن خلدون أمر السلطان أبى العباس لابن خلدون بالخروج معه لمقاتلة الخوارج عليه فى «توزر» فخرج معه مكرها ، ثم تأهب السلطان للخروج فى جيشه مرة أخرى فخشى ابن خلدون أن يعود السلطان الى استصحابه فى حملته — وقد عافت نفس ابن خلدون السياسية — فتعلل للسلطان بعزمه على قضاء فريضة الحج وتضرع اليه أن يخلى سبيله ، فأذن له وغادر ابن خلدون وطنه ومسقط رأسه مرة أخرى ، فكانت الهجرة الأبدية وخرج الى مرسى السفينة فى حفل مؤثر من الأعيان والأصدقاء والتلاميذ يودعونه بين مظاهر الحزن والأسى ، وركب البحر الى المشرق فى منتصف شعبان ٧٨٤ هـ - (أكتوبر سنة ١٣٨٢ م) .

— وصل ابن خلدون الى الاسكندرية بعد رحلة بحرية شاقة فى يوم عيد الفطر ولبث فيها شهرا، ووصل الى القاهرة فى أول ذى القعدة ٧٨٤ هـ ، وكانت القاهرة قبلة العالم الاسلامى فى المشرق والمغرب ولها الشهرة الواسعة فى حماية العلوم والآداب ، وكان ابن خلدون يأمل أن يقضى أيامه فى مصر فى هدوء ودعة ويتمتع بقسط من الرعاية والحماية الممنوحة للعلماء ." وقد سبق ابن خلدون الى مصر مؤلفه الضخم « العبر » ولا سيما مقدمته التى تضمنت من جدتها وروعة مباحثها وطرافتها أن أقبل على ابن خلدون العلماء والطلاب من كل صوب ، يقول ابن خلدون فى كبرياء وتواضع معا : « واثال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعونى عذرا » ويؤكد ذلك ما تشير اليه التراجم المصرية نفسها فيقول ابن تغرى بردى فى ترجمته لابن خلدون : « واستوطن القاهرة وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة ،

واشتغل وأفاد» . ويقول السخاوى: « وتلقاه أهلها أى أهل مصر — وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه ، بل تصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة » . جلس ابن خلدون للتدريس بالأزهر ، ويبدو أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكى ، ويشرح نظرياته فى العمران والعصبية وأسس الملك ونشأة الدول وغيرها مما عرض اليه فى مقدمته . وكانت هذه الدروس خير اعلان عن غزير علمه ، وشائق بحثه ، وساحر بيانه ، وكان ابن خلدون محدثا بارعا رائع المحاضرة ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وذلاقته ، وهذا ما يحدثنا به معاصريه من أعلام الفكر والأدب المصريين فيقول لنا ابن حجر العسقلانى ، وقد درس عليه وانتفع بعلمه ووصفه بقوله : « وكان لسناء فصيحا ، حسن الترسل وسط النظم مع معرفة تامة بالأمور خصوصا متعلقات المملكة» . وذكر الركراكى كما نقله عنه السخاوى « ان محاضرته اليها المنتهى » .

— خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية ، بجوار جامع عمرو ، وهى من مدارس المالكية فعينه السلطان فيه ، وشهد المجلس الأول لابن خلدون فى هذه المدرسة جمهرة من الأكابر والعلماء أرسلهم السلطان لشهوده ويقول لنا ابن خلدون عن أثر هذا المجلس « انفض هذا المجلس وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار » .

— وفى أواخر جمادى الآخرة سنة ٧٨٦ هـ عين السلطان الظاهر برقوق ابن خلدون فى وظيفة قاضى قضاة المالكية بدلا من القاضى المعزول جمال الدين بن خير الاسكندرى . ويصف ذلك ابن خلدون فى سخرية « وأقمت على الاشتغال بالعلم وتدريسه الى أن سخط السلطان قاضى المالكية يومئذ فى نزعة من النزعات الملوكية ، فعزله واستدعانى للولاية فى مجلسه وبين أمرائه ، فتفاديت من ذلك ، وأبى الا مضاءه » . ولقد كانت مناصب التدريس والقضاء دائما مطمع جمهرة الفقهاء والعلماء

المحليين ، ولم يكن مما يحسن وقعه لديهم أن يفوز بها ابن خلدون المغربي الوافد دونهم . فاذا حمل الأمانة وأدى الرسالة وأصلح أحوال القضاء مما يسوده حينئذ من فساد واضطراب بعيد فى نظر الحاقدين الساعين الى ازالة المنصب معه الى جهل بالاجراءات وقد كثرت السعاية فى حقه والاغراء به حتى « أظلم الجو بينه وبين أهل الدولة على حد تعبيره ووافق ذلك مصابه بالأهل والولد . وقد تشفع فى احضارهم له — وقد حجزهم سلطان تونس ليجبر ابن خلدون على العودة الى تونس — سلطان مصر ، ولكن السفينة التى كانت تحملهم أصابها قاصف من الريح فغرقت ، يقول لنا ابن خلدون : « وذهب الموجود والسكن والمولود ، فعظم المصاب والجزع ، ورجح الزهد ، واعتزمت على الخروج من المنصب فلم يوافقنى عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه » ، ولم يمض وقت قليل حتى عزل من منصبه لأول مرة فى السابع من جمادى الأولى ٧٨٧ هـ ، أى أنه لبث فى المنصب نحو عام من ولايته ، فانقطع ابن خلدون الى الدرس والتأليف مع شغف النفس بالعودة الى المنصب .

— عينه السلطان أستاذا للفقه المالكى فى المدرسة « الظاهرية البرقوقية » فى سنة افتتاحها عام ٧٨٨ هـ ، وفى سنة ٧٨٩ هـ مضى لأداء فريضة الحج ، وبعد عودته وفى المحرم ٧٩١ هـ ولاه السلطان منصب كرسى الحديث بمدرسة « عمر غتمش » ، وفى ربيع الآخر من ٧٩١ هـ عينه السلطان شيخا « لخانقاة بيبرس » وهى تكية للصوفية ، وكان يشترط فى شيخها أن يكون عضوا فى هيئة المتصوفين فنزل ابن خلدون يوما واحدا بها ، وقيد من أعضائها قبل تعيينه شيخا لها حتى يتوافر فيه هذا الشرط بيد أنه لم يعرف فى تاريخه — أنه زاول التصوف العملى أو ركن الى الزهد والاعتكاف كما يفعل المتصوفون فى عصره — وكان أثر هذه المشيخة أن زاد رزق ابن

خلدون واتسعت موارده ، ثم عين فى منصب القضاء للمرة الثانية فى النصف الثانى من سنة ٨٠١ هـ وزار بيت المقدس فى رمضان ٨٠٢ هـ وعزل فى منتصف المحرم ٨٠٣ هـ ويعين نائبه نور الدين ابن الخلال الذى بذل ما تيسر من المال لبطانة السلطان للحصول على المنصب وفى نفس السنة خرج ابن خلدون مع الناصر فرج سلطان مصر لصد الغزو المغولى عن دمشق التى كانت تابعة لسلطان مماليك مصر وأثناء المعركة علم السلطان أن مؤامرة تدبر فى مصر لخلعه وتولية آخر فارتد مسرعا الى القاهرة . ويصف ابن خلدون ما حدث فى المعسكر بعد ذلك فيقول : « وجاءنى القضاة والفقهاء واجتمعت بمدرسة العادلية واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير (تيمور لنك) على بيوتهم وحرمهم ، وشاوروا فى ذلك نائب القلعة ، فأبى عليهم ذلك وأنكره ، فلم يوافقوه وخرج القاضى برهان الدين بن مفلح الحنبكى ومعه شيخ القراء .. فأجابهم الى التأمين وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة، فخرجوا اليه متدلين من السور بما صحبهم من التقدمة ، فأحسن لقاءهم ، وكتب لهم الرقاع بالأمان، وردهم على أحسن الآمال . واتفقوا على فتح المدينة من الغد ... وأخبرنى القاضى برهان الدين أنه سأل عنى ، وهل سافرت مع عساكر مصر أم أقمت بالمدينة فأخبره بمقامى بالمدرسة حيث كنت، وبتنا تلك الليلة على أهبة الخروج اليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر فى المسجد الجامع ، وأنكر البعض ما وقع من الاستنامة الى القبول (أى الاطمئنان الى ما وعد به تيمورلنك وما أخذه على نفسه من الأمان) . وبلغنى الخبر فى جوف الليل ، فخشيت البادرة على نفسى، وبكرت سحرا الى جماعة القضاة عند الباب ، وطلبت الخروج أو التدلى من السور لما حدث عندى من توهمات ذلك الخبر ، فأبوا على ذلك أولا ، ثم أصخوا لى ودلونى من السور ، فوجدت بطانته (تيمورلنك) عند الباب ونائبه

الذي عينه للولاية على دمشق ، وقد التقى ابن خلدون بتيمورلنك وقدم اليه هدية وأحسن الأخير استقباله واستضافه وكلفه بأن يكتب عن بلاد المغرب حتى كأنه يراها وتنفذ نه أمره ، وان أخبر ابن خلدون سلطان المغرب بعد ذلك بوصف لتيمورلنك فقال : « وهذا الملك « تمر » من زعماء الملوك وفراعنتهم ، والناس منسوبة الى العلم وآخرون الى اعتقاد الرفض ، لما يرون من تفضيله لأهل البيت وآخرون الى انتحال السحر . وليس من ذلك كله فى شيء ، انما هو شديد الفطنة والذكاء ، كثير البحث واللجاج، بما يعلم وبما لا يعلم . عمره بين الستين والسبعين ، وركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه فى الغارة أيام صباه ، على ما أخبرنى ، فيجرها فى قريب المشى ، ويتناوله الرجال على الأيدى عند طول المسافة) . فان كانت الأثرة هى التى دفعته الى لقاء لتيمورلنك فانه قد استطاع أن يكون عينا لوطنه فقدم ثمرة اللقاء الشخصى والعلامة التى تؤدى الى القضاء على تيمورلنك عند اللقاء به .

واسترد ابن خلدون منصب قاضى قضاة المالكية بعد عودته من لقائه بتيمورلنك فى شعبان سنة ٨٠٣ هـ. وعزل منه فى رجب ٨٠٤ هـ . ثم أعيد اليه فى ذى الحجة سنة ٨٠٤هـ الى ربيع الأول من ٨٠٦ هـ وعزل وأعيد فى شعبان ٨٠٧ الى أواخر ذى القعدة من تلك السنة أى مكث نحو ثلاثة أشهر ، وامتدت المرة الأخيرة من شعبان ٨٠٨ هـ الى يوم وفاته فى السادس والعشرين من رمضان السنة نفسها أى نحو شهر ونصف ، ودفن قرب باب النصر ، ولم يكشف عن مدفنه بعد ، ولا ندرى ان كان الزمن قد أبقى على شيء من معالمه .

الاصلاح القضائى لابن خلدون فى مصر :

تولى ابن خلدون منصب قاضى قضاة المالكية خمس مرات فى الفترة ما بين ٧٨٦ هـ و ٨٠٨ هـ تاريخ وفاته على نحو ما أشرنا ،

ولقد أعطى المنصب حقه من الأمانة والرعاية فأظهر له حزما وعزما ومجابهة لكل ذى جاه فى وسط اجتماعى ألف غير ذلك وقد اتسم ابن خلدون فى منصبه بأمور أربعة جعلته فى الذروة بين القضاة ، وجعلت الناس لايطيقونه فى عصره.

اولها :

تطبيق مبدأ المساواة بين الخصوم، فسوى بين الصغير والكبير، والأمير والسوقة ، وقد وصف حاله فقال : « وقمت بما رفع الى من ذلك المقام المحمود ، ووفيت جهدى بما آمننى عليه من أحكام الله تعالى: لاتأخذنى فى الحق لائمة ، ولا يزغنى عنه جاه ولا سطوة ، قويا فى ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين «وتبدو قيمة ذلك أن عصر ابن خلدون لم يكن عصر المساواة المطلقة فى الخصومة فى مجلس القضاء ، وقد يؤخذ قول ابن خلدون بعين الشك ولكن اذا وضع فى مقابلة أقوال علماء المعاصرين له يتبين لنا أن قولته عين الحق ، فيقول ابن حجر العسقلانى عن ابن خلدون القاضى : « لم يشتهر عنه فى منصبه الا بالصيانة له» ويقول ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى : « باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان فأخذوا فى التكلم فى أمره ولا زالوا بالسلطان حتى عزله » .

ثانيها :

ان ابن خلدون التجأ الى وسائل الاثبات فأنارها بما يحيطها من الشبهات والظلمات وأبعد عنها الذين يفسدون الأحكام ممن اتخذوا الاثبات سبيلا للعيش ، وتزكية الشهود طريقا ، وكانت الشهادة أى البينة هى وسيلة الاثبات الأولى لذلك ففسادها مؤدى حتما الى فساد القضاء فطهرها من التزوير والكذب يقول لنا ابن خلدون مبينا جهده « جانحا الى التثبيت فى سماع البيانات ، والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ، فقد

كان البر منهم مختلطا بالفاجر ، والطيب متلبسا بالخبيث ، والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون مما يظهرون عليه من هيئاتهم ؛ لما يتوهون من الاعتصام بأهل الشوكة، فان غالبهم مختلطون بالأمراء معلمون للقرآن ، وأئمة فى الصلاة ، يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون لهم الخير ، ويقسمون لهم الحظ من الحياة فى تزكيتهم عند القضاة ، والتوسل لهم فأعضل داؤهم ، وفشلت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم، ووقفت على بعضها فعاقبت بموجب العقاب ومؤلم النكال ، وتأدى الى العلم بالجرح فى طائفة منهم ، فمنعتهم من تحمل الشهادة ، وكان منهم كتاب لدواوين القضاة ، والتوقيع فى مجالسهم ، وقد دربوا على املاء الدعاوى وتسجيل الحكومات ، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود بأحكام كتابتها ، وتوثيق شروطها فصار لهم بذلك شفوف (فضل) على أهل طبقتهم ، وتمويه على القضاة بجاههم ، يدعون به مما يتوقعونه من عتبهم ، لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم كلمة على العقود المحكمة ، فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهى أو كتابى ، ويبادرون الى ذلك متى دعا اليه داعى جاه أو منحة ، وخصوصا فى الأوقاف التى جاوزت حدود النهاية فى هذا العصر ، وبكثرة عوامله ، فأصبحت خافية الشهرة ، مجهولة الأعيان ، عرضة للبطلان باختلاف المذاهب المنصوبة للحكام بالبلد ، فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه ، مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دونه سدا للخطر والمنع حماية من التلاعب » . أوردنا هذا الكلام مع طوله لأنه يصور لنا تلك العزمة التى اعتزمها ذلك القاضى العظيم ويصور لنا العقبات التى تقف فى سبيله وتصور حال العصر ، وتحكم المتصلين بالحكام فى مصاير الأحكام .

ثالثها :

أعمال وتنفيذ الأحكام ، لأنه كان من بين المفتين من يضعفون شأن الأحكام ولاضطراب الأمر بين قضاة

أربعة هم المالكى والشافعى والحنفى والحنبلى بفتح ثغرة لاضعاف قوة الأحكام ، فجاء الى المفتين وكبح جماح الذين يعبثون بالأحكام منهم ، يصف ابن خلدون ذلك فيقول : « ثم التفت الى الفتيا بالمذهب ، وكان الحكام منهم على جانب من الخبرة لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم ، وفتياهم بعد نفوذ الحكم ، واذا فيهم أصاغر ، يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة لا يكادون اذا بهم طفروا الى مراتب الفتيا والتدريس ، فاقتعروها ، وتناولوها بالجزاف ، فاحتازوها من غير مشرب ، ولا منتقد للأهلية • • وقلم الفتيا فى ذلك العصر طلق ، وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منه رسنا • • فيعطيه المفتى من ذلك ملء رضاه •• متتبعا اياه فى شعاب الخلاف ، فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت بعد نفوذ الأحكام ، والخلاف فى المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتى ، أو شهرة الفتيا ليس تمييزها للحامى ، فلا يكاد هذا المدد ينحصر ولا الشغب ينقطع ، هكذا قد طهر ابن خلدون الافتاء من هذا الصنف من المفتين ، وبذلك ضمن للحكم العادل طريقه الى النفاذ من غير تشغيب عليه •

رابعها :

سن ابن خلدون من أبواب التعزير بابا سلكه لم يكن بيد الجلاد ، وهو اشارة السخرية على مرتكب الذنب اذا كان من ذوى السلطان ، فكان يعزر بالصفع على القفا اذا كان المتهم من ذوى الجاه أو المتصلين بذوى الجاه ، فكان يديم الصفع حتى يدمى القفا من كثرة ما ناله من مس عنيف •

آثاره وأثره :

لقد كتب لسان الدين بن الخطيب مؤلفات صديقه بن خلدن فقال : رسالة فى المنطق ، وأخرى فى الحساب تلخيص لبعض ما كتبه ابن رشد ، شرح لقصيدة البردى ، تلخيص كتاب الفخر الرازى ، شرح لرجز فى أصول الفقه • ولم يرد كتاب العبر ومقدمته لأن لسان الدين الخطيب قتل قبل تأليف ابن خلدون لكتاب العبر • ومن الغريب أن جميع هذه المؤلفات التى ذكرها لسان الدين

ابن الخطيب والتى لانشك فى صحتها ليست معلـومة الآن ، والأغرب من ذلك أن ابن خلدون نفسه لم يذكرها فى ترجمـة حيـاته ، ويبدو لنا أنها كانت تافهة فى نظره لا تتضمن خلقا وابتكارا ، وانما هى تلخيص وتدريس لكتب لبعض من سبقوه فقد وصلنا منها « اللباب » وهو تلخيص لبعض مؤلفـات ابن عربى ، وقـد نشره الأب لوسـيانو ريبـو ، بـدار الطباعة المغربية ١٩٥٢ ، و « كتب ورسائل » خاطب بها معاصريه أمثال ابن الخطيب وعبد اللـه بن زمرك وقد نشرت فى كتاب « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » والتى حققهـا وعلق عليها الأسـتاذ محمد تاويت الطنجى (التونسى) وأظهرته لجنة التأليف والنشر ١٩٥٢ م • ولم تصلنا رسالته عن شمال أفريقية التى وضعها خصيصا لتيمور لنك فلم يعثر عليها فى العربية ولا فى ما يمكن أن تكون قد ترجمت اليه من لغـات أخرى • أما كتاب « شفاء السائل فى تهذيب المسـائل » الذى نشره الطنجى ، استانبول ١٩٥٨ ، والأب أغناطيوس اليسوعى لبنان ١٩٥٩ فهو محل شك فى نسبته الى ابن خلدون صاحب المقدمة ونرجح ما يذهب اليه الدكتور على عبد الواحد وافى من نسبته الى عم والد مؤلف المقدمة ، لاتفـاق اسـمه وكتبـه (وهـى عبد الرحمـن أبو زيد) مع اسـم مؤلف المقدمة وللخـلاف الكبير بين هذا الكتاب ومقدمة ابن خلدون فى الأسلوب والأفكار وطريقة العـلاج للمسائل • ويعد أهم كتب ابن خلدون « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » وأهم جزء منـه هو المقـدمة التى تضمنت فضل علم التاريخ وتحقيـق مذاهبه ، والالمـاع بمقاط المؤرخين • وتعرضت أيضا للعمـران ، وذكـر ما يعرض فيه من العوارض الذاتيـة من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ما لذلك من العلل والأسباب ، وقد قام بتحقيق المقدمة تحقيقا ممتازا الدكتور على عبد الواحد وافى فى أجزاء ثلاثة •

والجـديد فى دراسة ابن خلدون التاريخية هو المنهج ، ولعله أول من

قال أن التـاريخ علم له موضـوع ومنهج خاص ينتهى به الى طائفـة من القوانين ، وهو علم شبيه بالعلوم العقلية ويخضع لمبدأين هامين : هما مبـدأ السـببية ومبدأ التطـور . وموضوعه الأحداث البشرية ومحاولة تفسيرها تفسيرا علميا يرد كل حدث الى أسـبابه وعوامله ، ويقـدر ما للتقدم أو التراجع وهما وجهـا التطور من شأن فى المجتمعات البشرية ، وان أساس المنهـج التـاريخى لابن خلدون النقد والملاحظة .

ويطيب لنـا أن نختم مقالتنا عن ابن خلدون ببعض الأقوال فيه من معاصرين له ، ومعاصرين لنا . يقول لسان الدين بن الخطيب فيه « هو رجـل فاضـل ، حسن الخلـق ، جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيـع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصى الزى ، عالى الهمـة عزوف عن الضيم ، صـعب المقادة ، قوى الجأش ، طامح لقنن الرئاسة خاطب للحظ ، مقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد ، حسن العشرة : مبذول المشاركة ، عاكف على خلال الأصالة مفخر من مفاخر التخوم المغربية » .

ويصف لنا تقى الدين المقـريزى مقدمة ابن خلدون فيقول : « مقدمته لم يعمل مثلها ، وانه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، اذ هى زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقـول السليمة والمفهوم ، توقف على كنه الأشياء وتعرف حقيقة الحوادث والأنبـاء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبىء عن أصل كل موجود ، بلفظ أبهى من الدر النظيم وألطف من المـاء اذا مر به النسيم » . —

ويقول لنا أحمد أمين « ابن خلدون ، ومثله قليل من العلماء ، قريحـة متوقدة ، وله قدرة فائقة على الحكم على الأشياء ، وله ابتكار نادر ، ان أخذ عن علم الأقدمين ، فليغذى ذهنه ويهضمه ، وليخرجه شيئا جـديدا يمتاز عن علم من سبقه ، لأنه فيـه شخصيته وابتـكاره وآراءه ، واذا وجد حلقة مفقودة فى سلسلة تفكيره ولم يجد لها أصلا فيما كتبه سـلفه

استطاع أن يخلقها خلقا وينشئها انشاءا فهو جديد فيما أخذه عمن قبله ، وهو جديد فيما اخترعه » .

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه عن ابن خلدون :

« يظهر أن ابن خلدون فى بحوث مقدمته كان سابقا لتفكير عصره بعدة مراحل ، ولذلك لم يستطع معاصروه ولا من جاءوا من بعده فى مدى القرون الأربعة التالية أن يتابعوه فى تفكيره ، فضلا عن أن يحاولوا تكملة بحوثه وتنقيحها . بل ان المقدمة نفسها قد ظلت طوال هذه الحقبة مجهولة لدى كثير من الباحثين فى الشرق والغرب » .

ويقول لنا محمد بن عبد الله عنان فى كتابه (ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى ١٩٥٣) : ان ابن خلدون على قدمه من حيث الزمن ، يجب أن يكون أستاذا لجميع الشباب الذى ينطق بالعربية ، ويجب أن يقرأ الشباب مقدمة ابن خلدون ، وأن يستعيدها مرارا وتكرارا ، لا ليعجب فقط بما حوت من روائع التفكير والبحث ، ولكن أيضا ليستبقى منها أساليب البيان والتعبير عن كثير من الآراء والخواطر الاجتماعية التى تجول بذهنه وكثيرا ما يتعثر فى التعبير عنها ، ذلك أن مقدمة ابن خلدون اذا كانت ثروة لا تقدر فى تراث التفكير العربى ، فهى ثروة لا تقدر فى تراث البيان العربى .

د : فؤاد عبد المنعم احمد

حب الله طاعته :

لا تدعى حبى وتترك طاعتى	وتعين أعدائى فأين وفاكا
أرأيت ذا حب دعاه حبيبه	فيما يعود له فقال : وراكا
اتريد رحمتنا وتعصى أمرنا ؟	قل لى بربك : اين منك حياكا
وسعت جميع الخلق رحمتنا هنا	وبها تخص المتقين هناكا

محمد الخطيب : وحى الحديث

هدية السماء لضيف السماء

الصلاة وأثرها في تربية المسلم

للأستاذ على القاضى

تمهيـد :

الصـلاة هى الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه يستمد منها القلب قوة هائلة تجعله يحس بالاطمئنان الكامل فى هذه الحياة كما تحس فيها الروح بالصلة الدائمة بينها وبين بارئها وتجد فيها النفس زادا أنفس من كل مافى هذه الحياة ومن هنا فقد كان النبى صلوات الله عليه اذا حز به أمر هرع الى الصلاة ٠

ذلك لأن الانسان الفانى المحدود لا يستطيع أن يعيش فى هذه الحياة آمنـا مطمئنا ولا أن يؤدى رسالته كاملة الا اذا اتصل بالقوة الكبرى التى خلقته ليستمد منها العون حينما تنازعه أهواء النفس الداخلية وحين يتجاوز الجهـد قواه المحـدودة فى مواجهة قوى الشر المنتشرة فى هذه الحيـاة سـواء أكانت واضـحة أم مستقرة ــ وحينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق الأقوم بدون أن يجد معه المعين أو الناصر ثم ينظر الى مقدار ما وصل اليه فاذا به فى مكانه لم يبلغ شيئا مما يريد وحينما يجد الشر نافشا منتشرا هنا وهناك بينما الخير ضاويا لا يكاد يظهر له شعاع فى الأفق ينير السبيل فيعرف الانسان طريقه ويسير واثقا بخطواته الى حيث يقصد ويريد ٠

هنا تبرز قيمـة الصلاة وأهميتها فى حياة المسلم اذ أنها الصلة المباشرة بين العبد وخالقه وهى الموعد المختار لالتقاء الفطرة البشرية بالنبع الدائم الذى يفيض ولا يغيض ٠

ثم ان اللـه سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد الذى تقتضيه الاستقامة على الطريق بين النوازع والدوافع والذى يقتضيه القيام على دعوة الله فى الأرض بين شتى الصراعات والأهواء والذى يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب ٠ ولهذا فان المسلم يسـتقبل النهـار بالصلاة ويتوسطه

بالصلاة ثم يختمه بالصلاة كما يستقبل الليل بين يدى الله بالصلاة يستهديه به فى عمله كما يؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة الى الساعة التى يستسلم فيها للرقاد أو ينطوى فيها تحت جنح الظلام (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

ولم تكن الأمة الاسلامية هى الأمة الوحيدة التى فرضت عليها الصلاة اذ تقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أمر بها بنى اسرائيل وذلك فى قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) البقرة ٤٢ ، ٤٣ . كما أن الله سبحانه وتعالى أوصى بها عيسى عليه السلام وذلك فى قوله تعالى على لسان عيسى (قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (« مريم » .

الصلاة هدية السماء :

الصلاة هى العبادة الوحيدة التى لم ينزل بها جبريل عليه السلام لقد فرضت مواجهة بين رب العزة ورسوله صلوات الله عليه وهو أقرب ما يكون اليه وهو فى مقام قاب قوسين أو أدنى ففى هذا المقام أوحى الى عبده ما أوحى ومن الوحى الصلاة وكأنها شرعت لتكون معراجا روحيا يعرج به المسلم الى ربه خمس مرات فى اليوم تمكينا له من الراحة التامة ليحول بينه وبين الانفعالات النفسية والعواطف المثيرة التى تدفعه الى المغالاة فى الفرح فيرتكب المحرمات أو الى المغالاة فى الحزن فيحيط به اليأس .. فالعروج الذى اختص به النبى كان لجسمه وروحه وقد بقى منه للأمة محاولة القرب والعروج بالروح عند كل تحول للشمس والظل والظلام فلم تترك الرحمة من يقبل على الطاعة دون أن تهب له ما يذوق منه طعم القرب من الله وترى فيه بشرى لقائه . والرسول الكريم قد بشر بهذا القرب وهذا اللقاء فى قوله (انكم سترون ربكم فان استطعتم

ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غدوها فافعلوا) •

وهدية السماء لا بد وأن تستكمل شروطها حتى تؤدى الغرض منها وأول شروطها اقامتها ومعنى ذلك أداؤها على الوجه الأكمل بقدر الاستطاعة فلا يقع فيها قصور فى صورتها أو حقيقتها أما صورتها فهى الأعمال والأقوال المعروفة وأما حقيقتها فهى الاخلاص لله عز وجل واستشعار عظمته فحين ينطق المصلى بتكبيرة الاحرام ويكون بذلك قد دخل فى الصلاة فانه يجب عليه أن ينفصل عن كل ما يشغل كيانه عن الله سبحانه وبذلك يحقق معنى قوله الله أكبر فما دام الله أكبر فلا يشغله عنه شىء والصلاة المقامة هى التى استكملت الخشوع (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الأحزاب • والشرط الثانى المحافظة عليها وفى ذلك يقول الله تعالى (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) البقرة • والشرط الثالث الدوام عليها بمعنى الاستمرار فى جو الصلاة وبذلك يكون المسلم فى صلاة دائمة حقيقية أو حكما وبذلك يتم معنى الصلاة وحقيقتها فيكون المسلم متزنا فى تصرفاته كلها ذلك لأن الصلاة توجه كل مشاعر الحب والكره الى ما يحبه الله ويكرهه واذا تحققت هذه المعانى عند المؤمن أعانته على الالتزام الجدى الدائم بأمر ربه وأبعدته عن الانحراف (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أما الصلاة الناقصة فما هى الا مظهر من مظاهر الولاء لله المجرد من التكاليف والالتزامات الخلقية والعملية التى تحتمها دعوى الاسلام لرب العالمين •

ولذلك يقول الرسول الكريم (ليس للانسان من صلاته الا ما عقل منها) والقرآن الكريم ينذر الذين يصلون وفى الوقت نفسه يمنعون حق غيرهم فى أموالهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون ساهين عن حقيقة صلاتهم بعيدين عن غاياتها اذ أن

الصلاة لم تكن عنـوان ايمان والا لأدت الغرض منها ولم يمنع الناس من حقوقهم (فويل للمصلين الذين هم عن صـلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعـون المـاعون) المـاعون •

الاستعداد للصلاة :

لأهمية الصلاة فى تربية المسلم كان لا بد لاقامتها من شروط حتى تحقق الاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى ومن هذه الشروط الطهارة، والرسول الكريم يقول (الطهور شطر الايمان) والطهارة عبادة يستخدم فيها المـاء الطاهر يغسل به المسلم أعضاء محددة من جسمه وهى من الناحية العملية التى يتصل بها الانسان بالعالم من حوله ـ ومما هو جدير بالتأمل أن مصـدر المـاء هو الكون سـواء أكان ماء المطـر أو العين أو النهر أو البحر أو البرد فالمسلم يجمع من الكون حوله ماء طاهرا يمر به على أجزاء جسمه فكأنه يصافح الكون من حوله عن طريق هذا المـاء فالمـاء طاهر يستعمله المسلم ليكون جديرا بأن يقف أمام ربـه يسـبح بحمده ويسجد له ويدعـوه أن يجعله من التوابين ويجعله من المتطهرين ومثل ذلك استعمال ما يتيمم به حين لا يجد المـاء أو حين لا يستطيع استخدام المـاء وما يتيمم به أيضا من الكون فكأنه يصافحه أيضا فى حالة التيمم كما يصافحه فى حالة الوضوء يقول الله تعالى (يأيهـا الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافـق وامسـحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحـد منـكم من الغـائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صـعيدا طيبا) المـائدة ٦٠

والى جانب طهارة الجسم لا بـد من طهارة الثياب حتى تصح الصلاة (وثيابك فطهر) المدثر •

ثم التـوجه للقبـلة وذلك يعطى احساسا للمسلم بوحدة الهـدف مع وحدة المتجه الى جانب القرب من الله سـبحانه وتعـالى ـ ومن مقدمات الصـلاة الأذان الذى هو اعـلام بالصلاة حتى يجتمع المسلمون لأداء الفريضة فى مسجدهم •

أهداف الصلاة :

المسـلم خلقه اللـه فى الأرض ورسالته تحقيق هذه الخلافة وذلك

بالايمان بالله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحقيق العدالة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران . والمسلم لذلك كان دائما فى حاجة الى الصلة بالله يستمد منه القوة والأمن والطمأنينة لأداء هذه الرسالة . ولعل أهم ما تحققه الصلاة أنها محطات تعبئة روحية الى جانب تكوين الشخصية الايجابية المتزنة الى جانب تحقيق المساواة والحب بين المسلمين ثم رضاء الله عز وجل .

الصلاة محطات تعبئة روحية :

المسلم فى هذه الحياة لا يستطيع أن يسير فى قوة الا اذا كان على صلة دائمة بالقوة الكبرى التى خلقته والتى يجد فيها غذاء لروحه وشفاء لنفسه وأنسا لقلبه وشحذا لعزيمته واثارة لكوامن قابلياته ولذلك فقد كانت الصلاة راحة لنفس النبى صلوات الله عليه وقرة لعينه يقول عليه السلام (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) .

اذ فيها يتفرغ المسلم بقلبه ويتفكر فى معانى الآيات التى يتلوها ويطلب من ربه العون والمدد والقوة اذ أن فساد المجتمع ومتطلبات الدعوة تستلزم دوام الصلة بالله حتى يكون الرسول أقدر على مواجهة الأذى ومقابلة قوى الشر وثباته فى المواقف الصعبة والله سبحانه وتعالى يقول له (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) المزمل . ثم يرسم له طريق الصلة الدائم الذى يجعله قادرا على السير بدعوته الى طريق النجاح وذلك اذ يقول له (يأيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمل .

كما يقول له (ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا) المزمل .

ومن هنا فان الاسلام كان حريصا على اقامة الصلاة فى جميع الأوقات حتى فى ساعة المعركة والمسلمون مشغولون بها ولم يؤجلها حتى يفرغوا من مهامهم القتالية ذلك لأن الصلاة سلاح من أسلحة المعركة ولذلك فقد نظم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة فالصلاة رمز لتفوق المسلمين بالايمان بالله ووضوح الهدف السامى فى غاية

وجودهم فى هذه الحياة ويحدث القرآن المؤمنين بكيفية الصلاة فى فى المعركة ويحذرهم من عدوهم الذى يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم فيميلون عليه ميلة واحدة كما يخبرهم بأن أعداءهم الذين يلتقون بهم كتب الله عليهم الذلة وأعد لهم عذابا مهينا — — وفى الآيات الكريمة يوازن بين التحذير والتطمين وهذا التوازن يطمئن المؤمنين ويربيهم فى الوقت نفسه (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) النساء ١٠٢

فهذه الآيات تدل على أهمية الصلاة من الحياة الاسلامية حتى لقد ذكرت الآيات السابقة كيفيتها كما تدل على تكامل المنهج الاسلامى فى مواجهة الحياة الانسانية فى كل حالاتها ومتابعة الفرد المسلم والجماعة المسلمة فى كل لحظة وفى كل حين •

ولهذا أيضا لم يعف المريض من الصلاة بل طلب منه أداؤها على قدر استطاعته قائما أو قاعدا أو مستلقيا حتى تستمر صلته الروحية بالله فيستمر وهو مريض فى قوته ومعنوياته المرتفعة •

الصلاة تكون الشخصية الايجابية المتزنة :

خلق الانسان ضعيفا اذا ما مسه الشر فهو جزوع قنوط لا يعتقد انكشافه ولا ينتظر زواله واذا مسه الخير استغنى بماله وجاهه وطغى وتجبر فليس له كيان متزن يجعله يقابل المحن بصبر وعزيمة كما يقابل النعم بالشكر والبذل ولا يستثنى من ذلك الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فهم متزنون فى تصرفاتهم واثقون بأنفسهم وربهم (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) فالله هو الأحق عندهم بأن يتوجه المسلمون اليه فى البأساء والضراء والمآسى الفردية والعامة

يستمدون منه العون والصبر ويطلبون منه المثوبة ــ والله هو الأحق بالشكر على نعمه وخيره العميم ومن هنا فان المصلين لا يصابون بالأزمات النفسية ولا تنتابهم المشاعر السلبية كالملل فى الرخاء والضيق فى الشدة فهم يتوجهون الى ربهم وخالقهم فى كل مناسبة ويؤمنون بقيامه على كل نفس كما يؤمنون بأن الدنيا ليست دار جزاء ولا بقاء بل هى دار اختبار تكشف عن مدى صلابة الفرد فى ايمانه بربه وصدق دعواه بطاعته وقوة تحمله فى فترات الشدة كالمرض وفقد الأحباب وخسارة المال وغير ذلك الى جانب ثقتهم بعدل الله ورضاهم بقضائه مع محاولتهم دفع الأذى ما أمكن بوسائلهم المادية واستعانتهم به كما أنها تخبرهم بالنعم كالصحة والرخاء وما الى ذلك أما الآخرة فهى دار القرار والجزاء .

ولعل هذا هو الذى جعل رب العزة يشرع للمسلمين صلوات مخصوصة للحالات النفسية المختلفة التى تنتاب الفرد والجماعة فشرعت للمناسبات السارة صلاة العيدين حتى لا تنطفىء مشاعر الفرح فيؤثر ذلك على الاحساس بالمسئولية العامة كما شرعت صلوات معينة للأزمات كصلاة الحاجة التى تقام لكل حاجة شخصية طارئة وصلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف وبذلك يشتد أزر الفرد والجماعة فى فترات الشدة ويتمتع كل مسلم بشخصيته وهذا يعينه على الالتزام الدائم بأمر ربه وتبعده عن الانحراف أمام المغريات والانهيار أمام الأعداء .

المساواة والحب :

فى المساجد تزول جميع الفوارق والاعتبارات الدنيوية فالجميع يقفون فى صفوف متراصة متساوية خمس مرات فى كل يوم وليلة فى صف واحد يركعون ويسجدون جنبا الى جنب وجبهة الى جبهة تحت قيادة امام واحد يتجهون الى معبود واحد ويلتقون حول هدف واحد ويحسون بأخوة الاسلام ــ المواعيد محددة والحركات موزونة والصفوف الأمامية للسابقين الى المساجد المسارعين الى نداء الله ــ ومجتمع المصلين مجتمع الحب يتفقد الغائب ويجامل الحاضر ويعين المحتاج ويسلى المصاب ويفرج كربة المكروب وينصح

المخطىء ويتكافل بعضه مع بعض فى حمل أعباء الجماعة ويسهم فى مشروعات الخير ؛ مجتمع كله ود وصفاء ووئام صورة لما ينبغى أن يكون عليه المجتمع المسلم الكبير فى جميع نواحيه ... فالمساجد أعظم مدرسة لتهذيب النفوس وتعويدها التواضع ولين الجانب ووداعة الأخلاق ... وهى بذلك تنمى الروح الجماعية والتآلف العاطفى كما تقوى الصلة الفكرية والنفسية والشعورية والاجتماعية بين جماهير المصلين وتنمى فيهم الاحساس الجماعى المملوء بالأمل والألم والفرح والحزن وتعودهم الالتقاء على الخير والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الاثم والعدوان وتحبب اليهم النظافة المادية والمعنوية فضلا عن المعنى العسكرى الملحوظ فى تنظيم الصفوف واتباع القائد وكل المشاعر الأخرى التى ينشئها الاحساس باتحاد الوجهة واتحاد الحركات والسكنات ... وهم حين يتجهون الى قبلة قائما يتخطون بذلك حدود المكان واقفين على قطعة من محيط دائرة يقف عليها ملايين المؤمنين ليلا ونهارا متجهين الى البيت العتيق .

رضوان الله :

المسلم يشرك عواطفه وغرائزه وهو فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به وقد يكون فى سلوكه أخطاء لسبب أو لآخر ولهذا ففى الصلوات الخمس تمكين للمسلم أن يراجع نفسه بالحساب ويغسل روحه من جراء تعامله اليومى مع ما فيها من دوافع وشهوات وأهواء ويطهر قلبه مما انتابه فهذه الصلاة تسمو به وتقوم انحرافه ويعود بعد ذلك ليستأنف حياته وفى ذلك يقول الرسول الكريم (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) متفق عليه — وقال أيضا : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكبائر) مسلم وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها — ومن ترك الصلاة فلا دين له) وقد روى الامام مالك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس

صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة) .

على أنه لا بد من ملاحظة أن الصلاة لها صورة ظاهرية من ركوع وسجود كما أن فيها روحا كاملة وفاعلية مؤثرة ودورا ايجابيا فى ترقية شخصية المؤمن وتزكيتها واعدادها الخلقى والروحى والنفسى والاجتماعى ذات منهج شامل وخصائص مميزة تقبل المؤمنين على اختلاف أجسامهم وألوانهم ولكن مستويات النجاح تختلف بين الأفراد بحسب اقبالهم على الصلاة ومحافظتهم عليها واستغراقهم فيها واقامتهم لها الاقامة التى تتمثل فى الاعتدال فى الأداء والمداومة عليه حتى ترسخ صورة القيم التى يريد الاسلام أن يثبتها فى كيان المجتمع عن طريق هذه الفريضة .

ومن هنا رأينا ثواب الصلاة يختلف من مسلم الى مسلم فبينما ينزل الثواب فى مسلم الى العشر اذ به يرتفع مع آخر الى درجة ممتازة يقول الرسول الكريم (منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع حتى بلغ العشر) النسائى .

وروى مسلم عن عبد الرحمن ابن ثوبان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة .

خاتمة :

كان الرسول صلوات الله عليه يوصى أمته بالصلاة وكان آخر كلمة قالها الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وكانت هذه الكلمة آخر مشهد حين نظر الى أصحابه الراكعين الساجدين فى الصلاة نظرة ارتياح بالغ أنساه آلامه المضاعفة فى مرض الموت وفاض وجهه الشريف بشرا ثم أسلم الروح الى بارئها قرير العين مطمئن الضمير لأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

وقبل ذلك رفض النبى صلوات الله عليه أن يتساهل فيها أو يتغاضى

عنها ففى رواية الامام أحمد أن وفد ثقيف اشترطوا على رسول الله ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يجمعوا ولا يستعلى عليهم غيرهم أى لا يخرجوا للغزو ولا يؤدوا الزكاة ولا يصلوا ولا يولى عليهم أحد من غير قبيلتهم فقال عليه السلام لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير فى دين لا ركوع فيه) •

ولهذا فان روح نبينا محمد على قوتها حين كانت تضيق نفسه لسبب من الأسباب كان يلجأ الى واحة الروح فيأمر بلالا باقامة الصلاة ويقول له : أرحنا بها يا بلال أو هى اللمسة الجانبية للقلب المتعب المكدود من الحياة وما يلاقيه فيها من صعوبات وعقبات والصلاة أيضا مظهر لنشاط قوى الانسان الثلاث الجسمية والفكرية والروحية وتوجهها الى حالتها جميعا فى ترابط تام واتساق واضح يجعلها قياما وركوعا وسجودا لحركة الجسد ويجعلها قراءة وتدبرا وتفكيرا فى المعنى والمعنى تحقيقا لنشاط العقل ويجعلها توجها واستسلاما لله تحقيقا لنشاط الروح وفى ذلك تذكرة بفكرة الاسلام كلها عن الحياة ـ وبهذا تحقق فكرة الاسلام كلها عن الحياة فى كل ركعة فى كل صلاة ـ ولقد كان دعاء ابراهيم أبى الأنبياء أن يجعله وذريته من المقيمين الصلاة (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) •

وهكذا تعمل الصلاة فى المسلم وتؤثر فيه التأثير الكامل الذى يجعله قادرا على أداء رسالته فى هذه الأرض مادام قد وعاها وأقامها وحافظ عليها •

على القاضى

قال عمر للولاة :

الأمراء اربعة : أمير قوى ظلم نفسه وعماله فذلك المجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير ضعيف ظلم نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله ، وأمير ظلم عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده ، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا .

أحلام لها تاريخ

للأستاذ السيد حسن قرون

قلت فى المقال السابق : ان (سيجموند فرويد) العالم النفسانى جزأ النفس البشرية الى الشعور واللاشعور وجعل بينهما منطقة متوسطة ، وجعل اللاشعور وعاء الرغبات المكبوتة التى لا تظهر فى اليقظة ، فاذا نام الانسان وجد اللاشعور فرصته فسرح الى المنطقة الوسطى ، وهنا تكون الأحلام ، وألمعت الى أن الأحلام التاريخية بعضها يقبل منطق فرويد وتلاميذه وبعضها ينأى عنه كل النأى ، وحكاية الرغبات المكبوتة عرضها شعراؤنا فى العصر العباسى حين تحدثوا عن الطيف ، وزورة الخيال قبل أن يفلسفها ابن خلدون فى مقدمته ، فيتخذ من الأحلام سبيلا الى كشف المستقبل بطرق عملية وكلامية ، ولا ضير على الباحث فى ذكر شعر الشعراء فلهم السبق على العلماء فى الحديث عن القمر والوصول اليه ، وفى كشف المجهول ،

فلا غرو اذا وجدنا العباس بن الأحنف الشاعر العباسى يقول :

خيالك حين أرقد نصب عينى
الى وقت انتباهى لا يزول

وليس يزور فى صلة ولكن
«حديث النفس» عنك به الوصول

وتبعه أبو تمام الطائى فقال :

زار الخيال لها ، بل أزاركه
فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم

ظبى تقنصته لما نصبت له
فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ويفيد شعر الشاعرين أن حديث النفس فى اليقظة والفكر فى المحبوب هو السبب فى زيارة الطيف أو خيال الحبيب ، ويبدو من شعرهما أنهما حصرا الأمر فى الحب والحبيب ؛ لأن الشعراء لا يتحدثون الا عما يشغل قلوبهم ، ويثير لواعج الشوق فيهم ؛ ولكن العلماء والفلاسفة ميدانهم أوسع فى الغالب ، لأنهم

ينظرون الى الانسان ككل، يدرسونه من جميع أطرافه وأقطاره ، ويحللون ويعاودون التحليل حتى يستقروا على قرار مكين ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، ومن ثم خالف العلماء النفسانيون فرويد ولم يتبعوا مذهبه على اطلاقه ؛ لأنه حصر أمر الانسان فى غريزة واحدة ، ولا أحب أن أطيل أكثر من هذا ، فما موقف ابن خلدون فى أمر الأحلام ؟ يقول : ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه ، وانما تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللمحة فى النوم ؛ لأنها تقصد الى ذلك فتراه ، فقد عبر عن الرغبات المكبوتة بالتشوف، ويقسم الأحلام الى أنواع ثلاثة راويا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « قال : الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا من الملك ، ورؤيا من الشيطان » ويجعل هذا الحديث تأييدا لما فصله قبل قائلا : وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه ؛ فالجلى من الله ، والمحاكاة الداعية الى التعبير (التأويل) من الملك ، وأضغاث الأحلام من الشيطان ، ومدرسة النفس الحديثة لا تعترف بأضغاث الأحلام ؛ فهى عندهم مناط التحليل النفسانى ، ولو تأملنا كلمة « من الشيطان » لوجدناها لا تبعد عما تريد تلك المدرسة ، فمجالها المرضى برغباتهم المكبوتة الآثمة التى تعادى السلوك الحميد وتعاليم الأديان ، وكل ما كان من هذا القبيل فهو من الشيطان ، وليس الشيطان هو الجنى فحسب فالشياطين كثيرون من خارج الانسان وداخله ، وغرضى من هذا كله أن أبين الى أى حد يصلح التطبيق على الأحلام التى لها تاريخ ، والتى تعيش بيننا مرموقة مومـوقة ، وسأسوق لك فى هذا المقال ثلاثة أحلام لترى معى الى أى حد ينطبق عليها كلام فرويد أو ابن خلدون ، واليك حلم (الأذان) قال ابن اسحق(١) : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الاسلام ؛ فقامت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ .

الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والايمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك اذ رأى (عبدالله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الخزرجى) النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، انه طاف بى هذه الليلة طائف : مر رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به للصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت: وما هو ؟ قال : تقول الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن محمدا رسول الله . أشهد أن محمدا رسول الله . حى على الصلاة . حى على الصلاة . حى على الفلاح . حى على الفلاح . الله أكبر . الله أكبر . لا اله الا الله . فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انها لرؤيا حق ، ان شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها، فانه أندى صوتا منك ، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج الى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال الرسول : فلله الحمد على ذلك ، وهذه الرواية تجىء بمعناها وجل ألفاظها فى رواية الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى غير أنه يورد الأذان بلا تكرار لألفاظه ، ويذكر أنهم كانوا يجتمعون على صوت مناد يقول « (الصلاة جامعة » ويؤرخ للأذان بأن الأمر به كان بعد تحويل القبلة ، وقد بقى فىّ الناس « الصلاة جامعة » للأمر يحدث مثل فتح يقرأ، أو أمر يؤمرون به ، وهذه الرؤيا

تجيء مفصلة حسب المذهب النفسي في أسباب الحلم ، فالرسول وأصحابه قد أهمهم أمر الدعوة للصلاة ، وكيف يجتمعون لها ، وتشاوروا في الأمر مليا ، وذكرت حلول وفروض رفضت ، ثم انصرفوا الى منازلهم ، وما يزال التفكير يرافقهم فكانت الرؤيا من عبد الله بن زيد الأنصاري وعمر بن الخطاب القرشي ويؤيد اهتمامهم وشغلهم الكبير ابن سعد في روايته الأخرى ، يقول ابن سعد : فأتى عبد الله بن زيد أهله فقالوا : نعشيك؟ قال : لا أذوق طعاما ؛ فاني رأيت نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمره للصلاة فنام فرأى في المنام كأن رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد فأذن ثم قعد قعدة ، ثم قام فأقام الصلاة. ومعنى هذا أنه كان مشغولا الى درجة أن يبيت دون أن يذوق طعاما ، وأن الهم قد استبد به ، فكانت تلك الرؤيا التي وصفها النبي بأنها رؤيا حق .

فأين موقف مفسر الأحلام من هذا الحلم ؟ انهم لم يفسروا ولم يحللوا ، بل أخذوه على أنه حقيقة واقعة يجب تنفيذها ، وقد نفذت وأصبحت اعلاما ونداء وتدينا على مر الأزمان والأجيال ، فالقضية مقبولة في الشق الأول منقوضة في الشق الثاني ، السبب مقبول والتأويل مرفوض لأنه لا تأويل . وان كنت قد ارتضيت الرؤيا وتفسيرها فقد وقعت في حيرة . اذ كيف يكون حلم الصحابي شرعا؟ ولم يفتني أن اقراره من السنة ، وجال في نفسي أن الأذان شيء عظيم به ندعو الى الصلاة ،والصلاة عماد الدين ، وهذا يقتضي وحيا ، والوحي خاص بالأنبياء ، ووافاني ابن هشام بالمخرج من الحرج ؛ فقد أتى برواية تريح الصدر ، وتشرح النفس وتجلو اليقين . قال : وذكر ابن جريج ، قال لي عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول : ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس اذ رأى عمر في المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة ، فذهب عمر الى النبي ليخبره بالذي رأى ، وقد جاء النبي

صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك فما راع عمر الا بلال يؤذن ، فقال رسول الله حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحى » وبهذا زالت حيرتى ، وقر قرارى ، وارتضيت الرؤيا من كلا الرجلين : الخزرجى والقرشى؛ لأنها رؤيا طابقت الوحى.

واليك حلما للسيدة عائشة رضى الله عنها يستعصى على المذاهب العصرية التى تتحدث عن النفس . قالت (١) عائشة لأبى بكر : انى رأيت فى المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى . فقال أبو بكر : خيرا . قال الراوى : فسمعت الناس يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض ودفن فى بيتها قال لها أبو بكر : هذا أحد أقمارك وهو خيرها . فليس هنا أمر أثر فى نفس السيدة عائشة ، أو حادث دعاها الى التفكير فى هذا الشأن ، والمحلل النفسانى فى مثل هذه الحال لايجد له مكانا والأقرب الى التفكير أن نقول : ان السيدة عائشة أهمها الانجاب ، فودت لو ولدت للرسول أبناء ثلاثة يكونون أقمارا ينيرون سماء الأمة الاسلامية ، وقد فسر بذلك فى زمنهم ، لكن أبا بكر حين انتقل سيد الخلق الى الرفيق الأعلى ودفن فى حجرة عائشة ساق اليها التأويل الذى لا تأويل غيره ، وقد سقط القمر الأول وهو خيرها ، ثم يسقط القمر الثانى وهو أبوها ويدفن فى حجرتها ثم يليه عمر بن الخطاب ليدفن مع صاحبيه وهو القمر الثالث ومن البعيد الذى يبلغ حافة المحال أن تفكر عائشة فى موت زوجها وأبيها ورجل آخر هو عمر بن الخطاب ثم تنام ويتغلب اللاشعور على الشعور ويأتى بحلم يضلل السامع أو المحلل النفسانى — ان صح التعبير — ان مشكلة (فرويد) وتلاميذه جاءتهم من ممارسة عملهم مع المرضى ، ولم يمارسوه مع الأسوياء الذين لا يشغلون أنفسهم بما لا يتفق مع الدين ومكارم الأخلاق . وأترك هذا الحلم وما دار

---

(١) الطبقات ج ١ : ذكر الأذان .

حوله لأصل بك الى الحلم الثالث حلم (معاذ بن جبل) وهو حلم لك أن تبـدى فيه رأيك ، وأن تؤوله بمـا عرفت من دراستك للأحـلام ومساربها ودواعيها ، وحلم (١) معاذ رضى الله عنه جاء من ظروفه وحياته كان صحابيا جليـلا أسلم فى شرخ الشباب ، دون العشرين من عمره ، وحضر بيعة (العقبة الأخيرة) مع السبعين رجلا والمرأتين فى الاجتماع الذى حضره العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ، ورأسه رسول الله نبى الهدى ، وحضر بدرا وهو فى الحادية والعشرين من عمـره ثم شهد المشاهد كلها ، ومع جهـاده بسيفه كان له جهاد بعقله ، فهو دائم السؤال عن أمـور الدين والتوسع فى فهمه وكان حسن المنظر ، جميل الثنايا ، فصيح اللسان يقبل الناس عليه يسألونه فى دمشق والشـيوخ والكهول حاضرون ، وتوفى فى طاعون (عمواس) سنة ١٨ هـ ذلك الطاعون الذى قضى عـلى كثـير من جـلة الصـحابة وأعيان الفرسـان ممن يزينون المسلمين ، ويروعون الكافرين منهم أبو عبيدة والفضل بن العباس ، ويزيد بن أبى سـفيان ، والحارث ابن هشام المخزومى ، وأبو جنـدل العامرى الى كثير ممن ينبغى ذكرهم وليس هنا مجال الحـديث عنهم ، وانما حديثى عن رؤيا معاذ . قال الرواة : انه كان سخى الكف ، كثير الانفاق ، فأعسر بعد يسر ، وضاق بعد سعة ، فكثرت ديونه ، وتكالب عليه غرماؤه بعـد عودته من غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ، فـلم يجد مفرا من الاحتجاب عن الناس فى منزله ، فشكاه غرماؤه الى رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله خذ لنا حقنـا منه ، فأحضره ، وأمـره أن يتنـازل عن ماله لغرمائه ، فلم يف ماله بديونه ، حتى طلبوا الى الرسول أن يبيعه لهم ، فقال لهم : « خلوا عنه فليس لكم اليه سبيل » وذهب معـاذ الى بيته محزونا ، ثم دعاه النبى فبعثه واليا على اليمن ، وقال له : «لعل الله يجبرك ويؤدى عنك»

---

(١) الطبقات ج٢ (معاذ بن جبل) .

وكتب الى أهل اليمن كتابا يقول فيه : « انى بعثت عليكم من خير أهلى والى علمهم ، والى دينهم » فخرج معاذ الى اليمن فلم يزل فيه حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتولى الخلافة أبوبكر الصديق ، واستعمل عمر بن الخطاب أميرا للحج ، والتقى معاذ بعمر يوم التروية بمنى ، فاعتنقا ، وعزى كل منهما صاحبه برسول الله ، ثم أخلدا الى الأرض يتحدثان ، فرأى عمر عنده غلمانا ، فقال : ما هؤلاء يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أصبتهم فى وجهى هذا ، قال عمر من أى وجه ؟ قال : أهدوا الى وأكرمت بهم . وأغلب الظن أن كلمة «أهدوا الى هزت عمر رضى الله عنه ، فقال: اذكرهم لأبى بكر . فقال معاذ : ما ذكرى هذا لأبى بكر ؟ وافترقا. ولا شك فى أن اعتراض عمر عليه ترك أثرا فى نفسه ، وحيرة فى أمره، فأوى الى فراشه قلقا ، « ونام فرأى فى النوم كأنه على شفير النار وعمر آخذ بحجزته(١) من ورائه يمنعه أن يقع فى النار ، ففزع معاذ فقال هذا ما أمرنى به عمر ، فقدم معاذ المدينة ، فذكرهم لأبى بكر فسوغه أبو بكر ذلك ، وقضى بقية غرمائه. وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعل الله يجبرك» هذا هو حلم معاذ ومعه تأويله ، فمعاذ أصاب غلمانا من اليمن عن طريق الاهداء وهو ممنوع دينيا ، ودنيويا أيضا ، وفى هذا وأمثاله نزل قرآن وجاءت أحاديث تنهى عن استخدام السلطة ، وتلقى الهدايا من الرعية . يقول الله تعالى فى سورة البقرة : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » وأغلب ظنى أن معاذا قرأ هذه الآية وسمع خطبة الرسول صلوات الله عليه فى مثل حالته حين قال من ولاه الرسول : « هذا لكم وهذا أهدى الى » وكيف غضب الرسول غضبته قائلا :

---

(١) معقد الازار .

هلا جلس فى بيت أبيـه وأمه ؟ وبين العذاب الذى ينتظره من يقبل الهدايا وغيرها من الرعية . لقد ذكره عمـر فتذكر ، وهو مؤمن يـملأ الايمان صـدره ، فسرعان ما ارعوى ، بل رأى رؤيا أزعجته ، وعلم أنه خالف وأن عمر أنقذه من سـوء المصير . والمتتبع لهذه الحادثة يرى أن معاذا لم يكتف بتسويغ الخليفة له فى أمر غلمانه ، فقد صلى واصطف خلفـه هؤلاء الغلمان يصلون ، فلما قضى صلاته نظر اليهم فأعتقهـم ، ليأمن غضب الله عليه ، ويفوز بالرضا منه ، وليلقى رسول الله بوجه لم يتغير .

والخلاصة أن الأحلام من طبيعة البشر ، وأنها تجىء نتيجة اضطراب الانسان فى الحيـاة ، واحتـكاكه بغيره ، وأنها لا تتوقف على عمـل يعمله صاحبها وقراءة خاصة يقـوم بها لتجىء الأحلام كاشفة له مستقبله كما يقـول ابن خلدون ، وليست الأحـلام مقصـورة على الغـريزة الجنسية كما يقول فرويد ، فذلك لمن ضعفوا وفى حاجة للطب النفسانى ، أما الأسوياء الذين رضوا بحياتهم ، ولم تشغلهم دنياهم بالأحقاد والأمانى الكاذبة ، فأحـلامهم وفق حيـاتهم بعيـدة عن الازعاج والأمـراض ، ويتراءى لى أن الأحـلام المزعجـة تنتاب ثلاث طوائف ، طائفة الملوك ومن فى مستواهم ومن يعيشون فى ساحتهم وطائفة الذين لم يجدوا رعاية فى صغرهم فقست عليهم الحيـاة ، وطائفـة الفقـراء الذين يحلمـون بالذهب ، والتراب يصعب عليهم . أما معظم الناس كما قدمنا فهم من الأحلام التى تحتـاج الى العـالم النفســانى فى غنى أى غنى ، وفى تاريخ البشرية أحلام كثيرة للملوك أقربهـا الى الذكر أحـلام الفترة ، فرأينا الرؤيا التى تدور حول مولد النبى المنتـظر كمـا فى رؤيا ربيعة ابن نصر ، ورؤيا الموبذان وحول مبعثه كما رأينا فى رؤيا خالد بن سـعيد الأمـوى ، ولا داعى لذكر أحـلام الفقراء فهى كثيرة كثرة الفقراء .

السيد حسن قرون

أبو الوليد الوقشي

حياته ، ومؤلفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه

للدكتور ظهور أحمد اظهر

رئيس قسم اللغة العربية ـ جامعة بنجاب

لا خلاف بين المصادر الشرقية والغربية(١) فى اسم الوقشى واسم أبيه وقد أجمعت ونصت على أنه هشام بن أحمد كما أنها لا تختلف فى كنيته ونصت على ذلك أما نسب الوقشى بعد أبيه فانها تختلف فيه

---

(١) ترجم له الضبى (م ٥٩٩ هـ) فى بغيـة الملتمس ص ٤٧٠ وابن بشكوال (م ٥٧٨ هـ) فى الصلة ٥٩٢ والقاضى عياض بن موسى اليحصبى (م ٥٤٤ هـ) فى مشيخة القاضى فيروز (ونقل عنه ياقوت فى معجم البلدان ٥/٣٣١) وياقوت (٦٢٦ هـ) فى الارشاد ١٩/٢٨٦ كما ترجم له فى معجم البلدان (وقش) وابن شهبة (م ٨٥ هـ) فى طبقات النحاة واللغويين والصفدى (م ٧٦٤ هـ) فى الوافى (ولم نطلع عليهما بعد) السيوطى (م ٩١١هـ) فى بغية الوعاة ص ٤٠٩ ، وابن حجر (م ٨٥٤ هـ) فى لسان الميزان ٦/١٩٢ وتقى الدين أبو بكر بن أحمد (م ٨٥١ هـ فى المطرب من اشعار أهل المغرب ، والمقرى أحمد بن محمد (م ١٠٤١ هـ) فى نفح الطيب فى مواضع والخوانسارى محمد باقر (م١٣١٣هـ) فىروضات الجنات ص٧٦١واسماعيل ابن محمدالبابانى البغدادى (م١٣٣٩هـ) فىهدية العارفين٢/٥٠٩ . والأستاذ بروكلمان ١:٤٧٦ والتكملة ١/٦٦٣ والأستاذ خيرالدين الزركلىفىالأعلام٩/٨٠ وآنخل بلنشيا فى تاريخ الفكر الأندلسىترجمة الدكتور حسين مؤنس ص٤١٦، والقاضى صاعد بن أحمد فى طبقات الامم ص ١١٤ وتراجم الوقشى الأصلية ثلاثة وأما ما عداها فهى منقولة عنها وفروع لهـا وهى ما كتبه القاضى عياض ونقل عنه ياقوت فى معجم البلدان وعنه كثير من المشارقة وما قاله القاضى صاعد فى طبقات الأمم وابن بشكوال فى الصلة . وكانت له ترجمة أخرى أصلية فى المغرب كما قال الخوانسارى . قال صاحب البغية قال فى المغرب و من اهل طليطلة (الوقشى) عارف بالأحكام والحديث وعلم اللسان والنحو والشعر والخطابة والمنطق والهندسة والزيو ج.. الخ . فهذا يدل على أن صاحب المغرب قد ترجم له واخذ عنه الضبى فى بغية الملتمس الا اننا لا نجد هذه الترجمة فى المطبوع من المغرب فى حلى المغرب ولا فى بغيـة الملتمس فان ما قاله الضبى فى ترجمة الوقشى لا يزيد عن سطرين (أنظر ص ٤٧٠) وكلامه ناقص وسقطت العبارة من الأصل .

اختلافا كثيرا . وقد وقع في ذلك اضطراب كبير وتخليط فاحش ولا يمكن للقارىء أن يجزم القول فيه .

فقد روى ابن بشكوال في الصلة(١) أنه هشام بن أحمد بن خالد بن هشام . وفي النسخة الأخرى من نفس الكتاب ـ التي قرئت على المصنف(٢) أنه هشام بن أحمد بن هشام . وقال القاضي

= ويبدو أن السيوطي جمع بين ما قاله صاعد وابن بشكوال وصاحب المغرب وأما ياقوت فقد اخذ ترجمة الوقشي في الارشاد من صاعد وابن بشكوال اما في معجم البلدان فقد نقل جميع ما كتبه القاضي عياض في مشيخة القاضي فيروز كما نقل ابن حجر كلام القاضي عياض اما مباشرة واما عن طريق ياقوت والأول هو الأرجح لان ما نقاله ابن حجر فيه زيادة (فان لفظ ياقوت : وأخبر الثقة انه رواه عليه سماع ثقة من أصحابه وخطه عليه وجاء عند ابن حجر : وقد وقفت على الكتاب واخبرني ثقة انه رآه وعليه سماع ثقة من أصحابه وخطه) الا ان الترجمة عند ابن حجر قد حفت بالمكاره والاخطاء فانه يقول : هشام بن أحمد بن هشام بن سعيد بن خالد الكناني القاضي أبو الوليد الباجي (وهو غلط لأن ابا الوليد الباجي غير أبي الوليدالوقشي) وقال : ابن‌عمر السفاقسي وهو أبو عمرو السفاقسي‌المعروف بابن الضابط وقال : روى عنه أبو محمد سفيان بن القاضي وهو غلط فاحش انما هو أبو بحر سفيان بن العاصي من تلاميذ الوقشي النابهين وسيمر بك ذكره وترجمته .

وقد انفرد الخوانساري حيث قال انه « هشام بن أحمد بن هشام ابن خالد بن سيد بن الوليد الكناني المعروف بابن الوقشي » وأنه ولد في سنة ٤٨ هـ ؟) وأنه توفي سنة ٤٧٨ هـ وهذا غلط لأن المسلمين لم يدخلوا الأندلس قبل ٩٢ هـ فكيف يولد الوقشي بها في سنة ٤٨ هـ ؟ ! وكان الوقشي ببلنسية خلال حصار القمبيطور لها وكان ذلك سنة ٤٨٥ هـ (ابن عذاري ٣٠٥/٣) اما قوله « خالد بن سيد » فلعله خالد بن سعيد كما جاء في بعض المراجع الأخرى مثل الارشاد وبغية الوعاة.

(١) الصلة ص ٥٩٢ طبعة مدريد .

(٢) الصلة ص ٦١٧ طبعة القاهرة والاعلام ٨١/٩ .

صاعد بن أحمد[١] : أنه هشام بن أحمد بن خالد . وذكره القاضى عياض فى مشيخة القاضى فيروز[٢] فقال : انه هو هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد . وأما الضبى[٣] من المغاربة فاكتفى بذكر اسمه واسم أبيه فقط ولم يذكر المقرى [٤] الا اسمه وأهمل اسم أبيه أيضا .

وسرد ياقوت نسبه فى الارشاد[٥] فقال : انه هو هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد . ويقول فى البلدان[٦] عند ذكر مدينة وقش أنه هشام بن أحمد بن هشام . وهو عند السيوطى [٧] هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد. وقد زاد اسماعيل باشا البغدادى[٨] اسما آخر فى نهاية عمود النسب فقال: انه هو هشام بن أحمد بن هشام ابن خالد بن سعيد بن الوليد ولا نعرف مصدره[٩] الذى أخذ منه هذه الزيادة التى أخلت بها جميع المصادر القديمة . وهو عند ابن حجر[١٠] هشام بن أحمد بن هشام ابن سعيد بن خالد . وقال الخوانسارى[١١] انه هشام بن أحمد ابن هشام بن خالد بن سيد بن الوليد الكنانى .

---

(١) طبقات الأمم ص ١١٤ .
(٢) نقل عنه ياقوت فى معجم البلدان ٣٨٢/٥
(٣) الضبى ص ٤٧٠
(٤) نفح الطيب ١٨٥/١
(٥) ارشاد ٢٨٦/١٩
(٦) نقلا عن رسالة القاضى عياض .
(٧) السيوطى ص ٤٠٩
(٨) هدية العارفين ٥٠٩/٢
(٩) ربما عن الخوانسارى .
(١٠) لسان الميزان ١٩٣/٦ .
(١١) روضات الجنات ص ٧٦١

فانك ترى أن بعض المصادر لا تذكر نسبه بعد أبيه وبعضها لا تتجاوز جده ، على أنها تختلف في اسمه أهو خالد أم هشام أم سعيد وأما النسب بعد جده ففيه كثير من الاضطراب والتخليط .

واننا نظن أن هذا الخلاف والاضطراب يرجع الى الخلاف والتخليط الذى وقع فى التراجم المغربية وخاصة فى نسخ الصلة لأن معظم تراجم الوقشى عند المشارقة منقولة عن كتاب الصلة . وأجود الأقوال وأصحها عندنا فى نسب الوقشى ما قاله القاضى عياض ونقله عنه ياقوت فى البلدان لأنه يوافق ما جاء فى نسخة الصلة المسموعة على المصنف وأيضا فيه زيادة حسنة من اسمين فى عمود النسب بعد جده والقاضى عياض ثقة وهو من المغاربة وممن عاش فى عصر قريب من العصر الذى عاش فيه الوقشى وكفى تأييدا لهذا القول اعتماد أربعة من نوابغ الشرق عليه من أمثال السيوطى ، وياقوت ، واسماعيل باشا البغدادى والأستاذ خير الدين الزركلى .

كنيتـــه :

أما كنية الوقشى فلا اختلاف فيها بين المصادر المغربية والمشرقية وقد أجمعت على أنه كان يكنى أبا الوليد .

نســبته :

وأبو الوليد يعرف بالنسبتين وهما الكنانى والوقشى . فالكنانى يمكن أن تكون نسبة الى قبيلة أو جد ثم اذا كانت النسبة الى قبيلة فهل هو من كنانة قريش أم من غيرها من الكنانات .

وقد ذكر السمعانى (١) وابن الأثير (٢) وكثيرون من رجال العلم والأدب من ينسب الى كنانة ولكن لا الى قبائلهم وانما ينسبون الى آبائهم وأجدادهم منهم رجل كان يعرف بخلف بن حامد الكنانى الذى ولى القضاء (بشذونة) من أعمال طليطلة وقد ازدهرت وتقدمت أسرة

---

(١) فى الانساب .

(٢) اللبـــاب .

هذا الرجل ونشأ فيها عدد من الرجال النابهين تولوا مناصب القضاء وكانوا يعرفون بهذه النسبة ونرجح أن نسبة أبى الوليد ليست من هذا القبيل وأنما هى نسبة الى قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة وذلك على أساس ما قاله المقرى (١) وابن الخطيب . فالمقرى يذكر أن عددا كبيرا من الرجال فى الأندلس كانوا ينتسبون الى عموم كنانة وأن جلهم كانوا يسكنون فى مدينة طليطلة وأعمالها وأن من بينهم الوقشيون الكتانيون الأعيان الفضلاء وذكر فيهم القاضى أبا الوليد هشام والوزير أباجعفر وأبا الحسين ابن جبير صاحب الرحلة وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة (٢) . وابن جبير هذا هو صهر الوزير أبى جعفر الوقشى ابن أخى أبى الوليد هشام الوقشى .

ويصرح لسان الدين ابن الخطيب (٣) أن ابن جبير كنانى وهو من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس وأن أول من ورد الأندلس من أجداده هو عبد السلام الذى كان فى عسكر بلج بن بشر القشيرى الذى ولى الأندلس وذلك فى محرم سنة ١٢٣ هـ وكان نزوله بكورة (شذونة) من أعمال طليطلة . فهذا مما يوضح لنا جليا : أن أباالوليد الوقشى رحمه الله كان من صميم العرب ومن قبيلة كنانة .

والنسبة الثانية التى يعرف بها أبوالوليد هى « الوقشى » نسبة الى وقش قرية بثغر الأندلس بينها وبين طليطلة اثنا عشر ميلا من المسافة . (٤) وقد ضبطها ياقوت (٥) فقال « وقش بالفتح وتشديد القاف والشين معجمة مدينة بالأندلس من

---

(١) نفح الطيب ١٨٥/١
(٢) الاحاطة ١٦٨/٢ ونفح الطيب ٧٤١
(٣) الاحاطة ١٦٨/٢
(٤) الأعلام ٨١/٩ نقلا عن طبقات ابن شهبة .
(٥) فى معجم البلدان ٣٨١/٥ .

أعمال طليطلة » ويقول الأستاذ عناية الله فى جغرافية الأندلس التاريخية : « ان وقش مدينة فى الأندلس الوسطى من أعمال طليطلة وأن وقش كانت قبيلة من العدنانية ومن الممكن أن يكون قد بناها الناس من هذه القبيلة العربية فعرفت باسمها (١) » .

ولا ندرى أصل الكلمة أهى عربية أم أسبانية كما أننا لا نجزم القول فى تاريخ المدينة وبنائها ، ولم يذكر الجغرافيون والمؤرخون العرب وغيرهم شيئا فى هذا الباب غير الأستاذ عناية الله وعليه العهدة الا أن هذه المدينة كانت عامرة فى القرن الرابع الهجرى لأننا نرى أبانصر فتح ابن ابراهيم الأموى المعروف بابن القشاوى (٣٣٢ - ٤٠٣ هـ) من أهل طليطلة يبنى حصنا فى مدينة وقش وذلك فى زمن الأمير المنصور محمد بن أبى عامر (٢) . وذكر بعضهم أن عينا كانت عند حصنها ونبشت فى بعض السنين ليكثر ماؤها فكثر فيها العلق كثرة مفرطة فنظروا فيما استخرجوه من نبشها ، فاذا فيه علقة نحاس (٣) .

وقد يذكر له نسبتان غير هاتين المذكورتين وهما الوحشى والوعلى كما وقع فى الصلة وخطبة الطرر والحواشى وفى خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى (٤) . ولا

---

(١) ترجمة من الاردية وانظر « اندلس كاتاريخى جغرافية » (جغرافية الاندلس التاريخية) ص ٥٠٠ وقال كحالة (١٢٥١/٣) وقش حى من الانصار وهم أولاد وقش بن زغبة بن زعوراء ومنهم سلمة بن ثابت ابن وقش صحابى بدرى عقبى ولى اليمامة (اللسان والتاج فى وقش وابن حزم فى جمهرة انساب العرب ص ٤٧١) الا أن الأنصار من القحطانية ولم يذكر ابن حزم ، وهو اندلسى ، قبيلة من قبائل العرب سكنت هذه المدينة مع انه ذكر وقش بن زغبة .

(٢) الصلة ص ٤٥١

(٣) الروض المعطار ص ١٣٥ .

(٤) انظر الصلة ص ٦١٧ طبعة القاهرة واقليد الخزانة ص ٨٦ وخطبة المتن من كتاب القرط على الكامل .

نعرف أصلهما ولا نستطيع أن نقول فيهما شيئا ، وقد تكون نتيجة لأوهام الناسخين والرواة .

أسرته :

أسرة الوقشى عريقة في العلم والأدب والفضل وقد نشأ فيها عدد من الأعيان الأفاضل ، وحصلت لهم النباهة والشهرة ونالوا من المناصب والمكانة المرموقة والمكارم ما لا يمكن انكاره أو تجاهله ، وقد اعترف به المؤرخون فمن هذه الأسرة الكريمة كان الوزير أبو جعفر وهو ابن أخى أبى الوليد الوقشى وابنه أبو الحسين ونقف قليلا عند ترجمتهما حتى نعرف ما لهذه الأسرة من النباهة والفضل والكرامة .

للبحث بقية

د. ظهور أحمد أظهر

قال عمر لأحد الولاة :

اذا جاءك شيء فى كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتنك عنه الرجال فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقض بها ، فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن منه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ منه .

باب الفتوى

للشيخ محمود محمد رسلان

هل السماوات هى الكواكب ؟

السؤال :

يقول بعض الناس : ان السموات السبع هى الكواكب السبعة السيارة ، ونظن ذلك بعيدا لما يأتى :

معلوم أن هذه الكواكب بينها فروج ، والقرآن الكريم يقول : « ومالها من فروج » القرآن يقول : «ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح» أى بالكواكب ، وما به الزينة غير ماله الزينة قطعا ، والا كانا شيئا واحدا . وقال تعالى : « وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » ومن المعلوم أن المجعول غير المجعول فيه .

نرجو تحقيق المقام بأوسع ما يمكن .. وما مقصودنا من ذلك كله الا معرفة ما يجب أن ندين الله به معرفة تامة لا تشوبها شائبة ، وفقكم الله وحفظكم .

الجواب :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فينبغى أن يعلم قبل كل شىء أن هؤلاء الناس كثيرا ما يسارعون الى الأحكام الجازمة من غير دليل ولا برهان ، ولهذا تراهم ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ، حتى قال بعض علمائهم : ان هذه العلوم التى تتبجح بها الآن قد يظهر بطلانها بعد مائة سنة فيرموننا بالتخريف كما رمينا من قبلنا بالتخريف ، وقد صرح رئيس وزراء انجلترا سابقا المسيو بلفور حين رأس مجمع ترقى العلوم البريطانية بجامعة كمبردج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ م بما يفيد قصور علمهم وكثرة ما يرد عليه من الخطأ والاشتباه . فلا يحسن بالعاقل أن يغتر بكل ما يسمعه عنهم « وان روجوا وبهرجوا وقعقعوا

وجعجعوا » فان غالب كلامهم خصوصا فى العلويات غير مبرهن ، وللظنون والتخيلات فيه مجال كبير، ومنهم من يأتى على نظرياته بحجج على سبيل الجدل فيظن أنها براهين لجهله بطريق البرهان ومقدماته .

ومما يزيد الأمر خطورة ويملأ القلوب أسفا أن كثيرا من أبنائنا أصبحوا يقلدون الغربيين فى كل ما ينقل عنهم من غير بحث ولا نظر ولا تحليل ولا تمحيص ، ويكفيهم برهانا على صحته أنهم قالوه ، مع أنه عند قائليه ربما كان فى محل الظن والتخمين ، وربما كان فرضا وجدوه أقرب من غيره من الفروض فقالوا به حتى يتبين لهم خلافه فيرجعون عنه ، ولكن المفتونين بهم عندنا جعلوهم فى محل التقديس ، فلا يبحثون فيما جاء عنهم كائنا ما كان ، وليس هذا شأن المنطق ولا الفلسفة ولا الدين ، فهى على رأى بعض علمائنا كلمات قالها قائل، فنقلها ناقل ، فقبلها قابل ، فاغتر بها جاهل لا قدرة له على النظر .

وبعد هذه المقدمة ، فان السماوات جاءت بها الديانات كلها ، وعندنا من الأدلة على وجودها مالا يحصى: فمن ذلك ما ذكره السائل ، ونزيد على ما ذكره قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » فجعل سبحانه الكواكب غير السماء ، ويقول : « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت » ثم يقول بعد ذلك : « واذا السماء كشطت » الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة .

ومن يقرأ مثل قوله تعالى : « فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح » وقوله تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » وقوله سبحانه : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر » لم يشك فى أن السماوات غير الشمس والقمر والكواكب . وفى السنة من ذلك شىء كثير أيضا وحديث الاسراء والمعراج فيه

الاشـارة الجلية فى هـذا الأمر ، ولا داعى للاطالة به ؛ وليعلم قبـل كل شىء أننا نثبت السماء كما أثبتها القرآن والتوراة والانجيل والزبور، ولكن لا نتعرض لبيـان جواهرها وتحليل عناصرها وشرح ما يكتنفها، فان النصـوص عنـدنا لم تتعرض لذلك ، وأما ما يذكره «الاخباريين» من أن السماء الأولى من فضـة ، والثانية من ذهب .. الخ لا يعول عليه .. ولا غرو فالديانات لم تجىء لشرح الأكوان شرحا طبيعيا ، ولم تتعرض لبيان ما فيها من الجواهر والأعراض والعنـاصر والظواهر ، وانما تتعرض لها من حيث ما فيها من الدلائل على قدرة الله وعظمته، وما تشتمل عليه من اتقان تدبـيره وجميل صنعه ، وما ترشد اليـه من آثار رحمتـه وعظيم نعمته ومزيد حكمته ، أما الأبحاث الطبيعية فقد تركتها للعقول ولم تمنع منها ، بل ندبت اليها وحثت عليها .

ثم لتعلم أن المقرر عندنا أنه اذا عارض العقل النقل أولنـا النقل ، لأن الطعن فى العقل طعن فى النقل كما هو مبين فى محله (والتـأويل عندنا أوسع من السماوات) ـ ولأن المقصـود بالعقل عقـل المجمـوع لا عقل الفرد ـ فلننظر بعـد هذا فيما عنـد هؤلاء المتفيهقين الذين ينفون السماوات نفيا باتا تقديسـا لشىء سمعوه عن أوربا ولم يتريثوا قليـلا تقديسا للقـرآن والسنة ، ولو ثبت ذلك ببرهان صحيح لكنا أول المؤولين لمـا جاء فى الشريعة من ذلك ، ولغة العرب أوسع اللغات تصرفا فى باب المجـاز والـكناية وأكثرها ألفاظا مشتركة ، حتى ان اللفظ فيها قد يوضع لعشرات من المعانى كما ذكروه فى العين والخال، ولكننا لانطرق باب التأويل أو نلجأ الى القول بالمجـاز أو الـكناية ، أو نبحث فى معاجم اللغة عن وضع المشتركات الا اذا اضطررنا لذلك، وقد نظرنا فلم نجد عند القوم على نفى السموات دليلا ولا شبه دليل فانه ليس عندهم أكثر من أنهم لم يـروها بأنظـارهم ولا منظـارهم أو بقيـة آلاتهم ، وليس فى ذلك متمسك لمن يعرف المنطق الصحيح،

فاننا لا نعرف العناصر التى خلقت منها السماوات ، وما يذكر فى ذلك فهو كذب لا أصل له كما قلنـا ، فيجوز أن تكون السماوات شفافة، بل هذا هو الذى يقرره الأقدمون فيقولون : اننا نرى كواكب الفلك الثامن (وهو فلك الثوابت عندهم) فيصلنا ضوء تلك الكواكب لكون السماوات شفافة ، فاذا يصـح أن نقول : انه يرى ما وراءها ولا ترى هى ، شأن كل شفاف مع غـيره ، ويجوز أن تكون بعيدة عنا بعـدا يمنع من رؤيتها ، مع ملاحـظة أن السـماء تطلق باطلاقات كثيرة على معان عديدة :

فتطلق على الأفلاك ، وتطلق على السحاب ، كما قال تعالى : « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض» على رأى كثير من المفسرين ، وتطلق على كل ما علاك كما هو معروف.

وقـد قال كثير من العلماء : ان الكواكب ليست مغروزة فى السماء ولا مماسة لهـا ، وانما بين السماء والأرض ، فتكون السماء من البعد بمنزلة مالا يرونه من النجوم ، وقد قال الامام أبو بكر بن العربى من أئمة المالكية : ان السماء التى هى احدى الأفلاك غـير مرئية لنـا . (وهى مشتركة كما قلنا) وهؤلاء النـافون لا يستطيعون أن يقولوا انهم رأوا كل ما فى العالم العلوى ، بل هم معترفون بالقصور عن ذلك تمام الاعتراف ، وقد بين عظمة العالم السماوى اللانهائى اللورد – أفيرى – الانجليزى أتم البيـان فى كتابه محاسن الطبيعة فانظره ان شئت .

ويجوز أن يـكون لديه اشتباه كثير فى ذلك العالم الذى لا يعلمه الا الله ، وكم اختلطت عليهم الأمور والتبست لديهم الحقائق واشتبهت عليهم الأحكام فى العـالم الأرضى فضلا عن العـالم السماوى ، وكم بين المتقـدمين والمتأخرين من علماء الهيئة من خلاف ، وكم للفريقين من خبط وخلط .

وبعد هذا كله فمن يستطيع أن يقول ان عدم رؤية الأشياء دليـل على عدمها فى الواقع ؟ ! أما كانوا

ينكرون المكروبات لعدم رؤيتهم اياها ! فهل كان ذلك دليلا على عدمها فى نفس الأمر ؟ والمؤمنون من الأمم كلها وأرباب الديانات جمعاء يثبتون العرش ولم يروه استنادا لما جاءت به الأنبياء وقررته الشرائع التى تقول لنا : انكم ما أوتيتم من العلم الا قليلا ، وتقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم » ، وتقول فى الانسان ..

« انه كان ظلوما جهولا » وتنعى على قوم سوء حالهم فتقول : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » وتقول فى حق المتظننين الذين يسارعون لتصديق ما يلقيه الخيال وتمليه الأهواء والجهالات : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » .

ومن العجيب أن هؤلاء ينفون السماوات التى هى الأفلاك ، والأقدمون من الفلاسفة يثبتون الأفلاك ويقولون : انها أمتن من كل شيء ، حتى قالوا انه يستحيل عليها الخرق والالتئام ، فانظر الى تنافى الرأيين ، وتباعد ما بين المذهبين لتعلم أن طوائف البشر قد يصلون من الخبط والخلط الى حد أنهما يكونان على طرفى نقيض ، وكل منهما يظن أنه الفيلسوف المحقق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

فرحم الله امرأ عرف قدره فلم يتبجح تبجح الجهال وأرباب الخيال . ولو شئنا لتوسعنا أكثر من هذا ، ولعل فيه مقنعا وكفاية ولا نزال نكرر أنه لا مانع عندنا من التأويل واتباع الدليل ، ولكن القوم لم يقيموا على ما يزعمون برهانا ولا شبه برهان ، ولا يمكننا أن نعدل عن تلك الظواهر لأجل قول يقال أو مجرد وهم أو خيال .

امضاء
يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

نقلا عن مجلة نور الاسلام . حـ ٨ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثانى . بتصرف .

محمود محمد رسلان

قال عمر :
اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب .

بيان من المراقبة العامة للبعوث الإسلامية فى الأزهر بشأن المنح الدراسية فى العام الدراسى القادم

١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ

١٩٧٧م - ١٩٧٨م

الوطن العربى

البلد	جامعة	دراسات عيا	الشروط
السودان	٢٠	—	لأبناء جنوب السودان من الحاصلين على الثانوية العامة على أن يتوفر فيهم شرط المجموع لكل كلية وذلك عن طريق وزارة التعليم العالى .
	—	١٠	لأبناء السودان من الحاصلين على مؤهل يعادل الشهادة العالية الأزهرية .
اليمن الشمالية	١٠	—	للدراسة بجامعة الأزهر من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
سوريا	١٠	—	يخصص منها ثلاث منح لجمعية النهضة الاسلامية ويوزع الباقى على المعاهد الدينية وذلك عن طريق لجنة شئون الطلاب .
لبنان	٥	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
الصومال	١٠	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
	٥	—	لأمن الدولة

أفريقيا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
تنزانيا	١٥	—	—	عن طريق السيد مدير المركز الاسلامى بدار السلام .
أوغندا	٤	—	—	عن طريق السفارة العربية .
		٦	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
فولتا العليا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
نيجيريا	٣٠	—	—	توزع على النحو التالى : عدد ٦ للرابطة الأهلية لمؤسسة المدارس العربية النيجيرية . ٣ منح لجمعية سعود الاسلام ــ ابادن . ٣ منح لخريجى مركز التعليم العربى الاسلامى ــ اجبجى . ٣ منح دار التعليم العربى فى لاجوس . ٣ منح لخريجى قسم الدراسات العربية والاسلامية فى ابادن . ٢ منحة لخريجى مدرسة العلوم العربية اجيبوادى . ٢ منحة لخريجى المدارس العربية للرابطة الأهلية .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
				٢ منحة لخريجى المعهد العربى النيجيرى ابادن . ٢ منحة لخريجى جماعة أنصار الاسلام . ٢ منحة لخريجى معهد الورن الدينى . ٢ منحة لخريجى مركز التعليم الاسلامى ــ الورن .
النيجر	١٥	—	—	عن طريق السفارة العربية يخصص منها ٥ منح لأبناء الشيخ أبو بكر هاشم .
غانا	٢	—	—	يرشح عليها الطالب كمال الدين عبد الله محمد بناء على طلب الخارجية ، والطالب محمد ادريس عبد الكريم بناء على طلب الامام الأكبر .
غينيا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
سيراليون	١٠	—	—	عن طريق مدير المدرسة الاسلامية الخاصة بسيراليون .
السنغال	١٠	—	—	تخصص لأبناء معهد الحاج عبدالله نياس الدينى الاسلامى بناء على طلب سفارتنا بداكار .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
ساحل العاج	١٠	—	—	عن طريق السفارة العربية ويخصص منها خمس منح لطلاب المدرسة الاسلامية ـ سبيل الفلاح ـ أبواصو .
الكنغو برازافيل	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
الكنغو كينشاسا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
كاميرون	٣	٢	—	بناء على طلب الخارجية .
بورندى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جيبوتى	٥	—	—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
زامبيا	٢	—	—	بناء على طلب سفارتنا فى لوساكا .
سلطنة الأوسا	٧	—	— —	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
الحبشة	٥	—	—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
غامبيا	٣		—	عن طريق السفارة العربية .
أريتريا	٥		—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية ويقيد عليها الطلاب : (١) حسن على محمد اسماعيل . (٢) عبد الله آدم محمد . (٣) آدم عثمان ادريس . (٤) على عمر محمد . (٥) فاروق عمر النور .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
كينيا	٤	—	—	منحتان عن طريق السيد المرشد العام لجماعة التبليغ الاسلامى بمالندى (كينيا) ومنحتان عن طريق المجلس الأعلى لمسلمى كينيا .
تشاد	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
مالى	٣	—	—	يقيد على منحة منها الطالب محمد مورى كمار .
جنوب أفريقيا	٢	—	—	يرشح على احداهما الطالب حافظ حاج أشرف حاجى موسى .
موزشبوس	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
راوندا	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
داهومى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
توجو	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
أفريقياالوسطى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جابون	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جزر كومور	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
بتسوانا	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
موزمبيق	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
ساونومى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
غينيا بيساو	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
الرأس الاخضر	١	—	—	عن طريق السفارة العربية .
	—	١٠	—	للشئون الافريقية بوزارة الخارجية

آســيا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
الفلبين	٢٠	—	—	توزع على النحو التالى : ه لمعهد الفلاح الاسلامى . ه لمعهد مراوى الاسلامى . ه للمسـلمات بنـاء عـلى طلب أكاديمية بنداو . ه للمقيدين حاليا بالأزهر على غير منح تخصص أحـداها للطالب محمد ندبر أصغر .
أندونيسيا	١٠	—	—	ه منح لمعهـد علوم القرآن ودار السلام . ه منح لمؤسسة عفان الاسلاميـة بجاكرتا يخصص احداها الكريمة الحاج ابراهيم حسـين (نجمة الفـائز) .
	—	١٠	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية .
ماليزيا	١٠	—	—	للطلبة المسلمين الماليزيين من أصل صينى .
		٧	—	للطلاب والطالبات المقيدين بكليات جامعة الأزهر بناء على توصـية فضيلة الامام الأكبر .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
	—	—	١٣	لثلاثة عشر معهدا لمركز الدراسات الاسلامية بكلانتان بناء على طلب الخارجية .
تايلاند	—	١٥	—	٨ من المقيدين حاليا بجامعة الأزهر
				٣ للمركز الثقافى الاسلامى (نارابتوات / ج تايلاند) .
				٣ لخريجى ثانوية معهد نهضة العلوم بولاية جالا .
				١ للمجلس الاسلامى بولاية جالا تخصص للطالب سبنج مى عبنو
الهند	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية يخصص منها ٥ منح لندوة العلماء لكهنوء .
بنجلاديش	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
باكستان	—	١٠	—	٣ للطالبات الباكستانيات .
				٤ لجمعية الوفاق العالمى للدعوة الاسلامية .
				٣ للجامعة الاسلامية بهاولفور .
	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
أفغانستان	—	—	١٢	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية .
مالديف	٢	—	—	عن طريق لجنة شئون الطلاب الوافدين بالأزهر .
سنغافورة	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
إيران	—	٥	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
سيرلانكا	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
كمبوديا	١٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
بروناى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .

أوروبا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
تركيا	—	١٠	—	للمقيدين بالدراسة بجامعة الأزهر
فنزويلا	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية •
روسيا	٣	—	—	عن طريق السفارة العربية •
جزر فيجى	١	—	—	عن طريق السفارة العربية مع تحمل نفقات السفر •
استراليا	١	—	—	عن طريق السفارة العربية •
أمريكا	١٣		—	٣ للجمعية الاسلامية بمدينة بفالو غرب ولاية نيويورك •
				١٠ لأبناء المسلمين عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة
يوغوسلافيا	—	١٠	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية •
				عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة •
الصين	٣	—	—	من المقيمين فى تايلاند •
انجلترا	٥	—	—	للمسلمين عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة •

وترجو المراقبة العامة للبعوث الاسلامية مراعاة ما يأتى بخصوص هذه المنح :

١ ـ ينبه على السفارات العربية بموافاتنا بأسماء المرشحين على هذه المنح وفقا للشروط المدونة أمام كل منحة ـ فى موعد غايته أول أكتوبر ـ ولن يلتفت الى الترشيحات التى ترد بعد هذا التاريخ .

٢ ـ المنح التى لن يتم الترشيح عليها حتى أول أكتوبر ـ تشغل عن طريق لجنة شئون الطلاب الوافدين المقيدين فعلا بالأزهر .

٣ ـ موافاتنا بالمناهج التفصيلية للشهادات الدراسية التى يمكن معادلتها بالشهادات الأزهرية من الآن .

٤ ـ لا يعتد بشهادات النقل ويعرض الحاصل عليها على لجنة الامتحان لتحديد المرحلة المناسبة لمعلوماته .

٥ ـ ألا يقل سن الطالب فى غير الدراسات الخاصة عن ١٢ سنة ولا يزيد عن ٢٠ سنة بالنسبة للسنة الأولى من القسم الاعدادى بمعهد البعوث الاسلامية والمعاهد الأزهرية .

٦ ـ يلحق بجامعة الأزهر الطلاب الحاصلون على الشهادة الثانوية الأزهرية أو مايعادلها أما الحاصلون على شهادة الثانوية العامة أو مايعادلها فتطبق عليهم الشروط التى يقرها مكتب تنسيق الجامعات بوزارة التعليم العالى ويتم التحاقهم بالجامعة الأزهرية عن طريق ادارة الوافدين بوزارة التعليم العالى .

٧ ـ مقدار المنحة الشاملة التى تصرف للطالب المقيد على منح الأزهر فى كل شهر هى :

١٥ ج للطلاب المقيدين بالدراسات الخاصة أو معهد البعوث أو المعاهد الأزهرية وتصرف من تاريخ الوصول .

٢٠ ج للطلاب المقيدين بجامعة الأزهر ، وتصرف من تاريخ الوصول .

٢٥ ج للطلاب المقيدين بالدراسات العليا (بجامعة الأزهر) وتصرف من تاريخ الوصول .

٨ ـ يخصم من المنحة المقررة شهريا الرسوم المقررة للاقامة والتغذية من الطالب المقيم فى مدينة البعوث الاسلامية ، بناء على رغبته، والاقامة مقصورة على الذكور فقط، ولا توجد مساكن للفتيات .

٩ ـ نفقات السفر الى جمهورية مصر العربية على حساب الطالب ، عدا طلاب أفريقيا فقط ، أما نفقات العودة فعلى حساب الأزهر .

١٠ ـ تصرف منحة شهر لكل طالب أنهى دراسته مع تذكرة العودة .

١١ ـ تصرف للطالب الذى يفد من بلده على منح الأزهر عشرة جنيهات مصرية وقت وصوله الى جمهورية مصر العربية لأول مرة كبدل استعداد .

١٢ ـ يصرف بدل كتب للمنح الجامعية (فقط) مقداره خمسة عشر جنيها مصريا وقت وصول الطالب لأول مرة فقط .

عبد السلام الشبراوى
الأمين العام المساعد
لمجمع البحوث الاسلامية

هدية من الحلوى :

ارسل عامل اذربيجان الى عمر هدية من الحلوى ، فقال عمر للرسول الذى جاء بها : أو كل الناس هناك يأكلون هذا ؟ فيجيبه الرجل قائلا : كلا يا امير المؤمنين انها طعام الصفوة فقال للرجل : احمل هديتك وارجع بها الى صاحبها وقل له : عمر يأمرك الا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

مصر

* أصدر الرئيس محمد أنور السادات قرارا جمهوريا بمد خدمة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ثلاث سنوات أخرى اعتبارا من مايو ١٩٧٧ م

والأزهر بكامل هيئاته يبارك هذا القرار الحكيم ويهنىء فضيلة الامام الأكبر ، ويدعو له بمديد من العمر ومزيد من الصحة والتوفيق والسداد حتى يصل الأزهر فى عهده الميمون المبارك الى عزته ومجده فى ظل دولة العلم والايمان ، ورعاية قائد النصر الرئيس المؤمن محمد أنور السادات.

* أقام فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر فى الفترة الأخيرة ـ حفل تكريم لسماحة الامام تقى الدين القمى زعيم مسلمى الشيعة بايران ، وشهده عدد من كبار علماء الأزهر ورجال الدعوة .

وألقى فضيلة الشيخ الشعراوى كلمة قال فيها : انه لمس بنفسه مدى الجهد الذى بذله الامام القمى طوال ٤٠ عاما لازالة الجفوة بين جماعات المسلمين منذ أسس جماعة التقريب عام ١٩٣٧ م ، وأن دليل هذه الدعوة وصدقها أنها اجتذبت أئمة المسلمين من أمثال الشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ محمود شلتوت فانضموا اليها .

كما ألقى الامام القمى كلمة قال فيها : لقد جئت الى القاهرة لأول مرة ورفعت رأسى الى السماء ، ودعوت ربى ، قلت : يا رب .. لقد جئت بدعوة ألتمس بها رضاك، وهى أن تزيل الجفوة بين المسلمين، وأنا لا أعرف أحدا تحت سماء هذا البلد ، وأنت تعلم ، أن كل دعوة

للمسلمين يجب أن تبدأ من هنا من مصر ، فان كنت ترضى عن هذه الدعوة ، وهى خالصة لوجهك فأيدنى بالرجال المخلصين ، وقد استجاب الله سبحانه لدعوتى ، وانتشرت دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية فى مصر والسودان .

ثم ختم كلمته بقوله : انه يرى أن للمسلمين قصرا كبيرا عاشوا فيه سنوات طويلة ، هذا القصر هو الثقافة الاسلامية بتراثها وتنوعها واجتهاداتها ، لكن أصحاب القصر بتأثير عوامل التدهور انصرف كل منهم الى بناء حوائط وحواجز تعزله عن غيره فعاش كل منهم فى غرفة صغيرة ، والآن نريد أن نزيل هذه الجفوة ليعود القصر الكبير يضمنا جميعا تحت راية واحدة هى راية الاسلام والقرآن .

* قدم فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل رئيس لجنة الشئون الدينية والأوقاف والشئون الاجتماعية بمجلس الشعب مشروع قانون لتطبيق الحدود الشرعية الى المجلس ، وهدف المشروع حماية أمن المجتمع وأموال وعقول أبنائه وأعراض البشر وصيانة العقائد ..

ويشمل المشروع الحدود الشرعية الستة وهى : الحرابة والسرقة وشرب الخمر والزنا والقذف والردة .

وفسرت المذكرة الايضاحية للمشروع أن اعتناق الشيوعية بعد الاسلام يعتبر ردة تستوجب تطبيق الحد على من يعتنقها وهو الاعدام اذا أصر على ردته ولم يثب بعد أن أمهل ٦٠ يوما ، ويطبق المشروع على الشخص البالغ .

كما قدم فضيلته مشروع قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ؛ وكان فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قد ألف لجنة عليا من العلماء ورجال القانون لاعداد هذين المشروعين وعهد بتقديمهما الى فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل الذى قدم مع

هذين المشروعين مشروعا بقانون الرقابة على المصنفات الفنية ، ومشروعا بقانون لرعاية المعوقين ، ومشروعا بقانون يقضى بمد خدمة حملة العالمية المؤقتة الى سن الخامسة والستين ، ويعتزم فى القريب العاجل ان شاء الله تقديم مشروعين ، أحدهما بقانون الزكاة ، وثانيهما بقانون الحسبة .

ومما يجدر ذكره أن المشروعات التى قدمت وقع عليها عشرات النواب ، بل كانت حلبة يتبارى فيها النواب ويتحمسون لها مطالبين بنظرها على وجه السرعة تطبيقا للشريعة الاسلامية التى طال شوق الناس اليها وتعلقت آمالهم باليوم السعيد الذى تقودها فيه شريعة الله الى عز الدنيا ونعيم الآخرة ..

❋ احتفلت محافظة المنوفية بتكريم أبنائها الذين أتموا حفظ القرآن الكريم ، وشهد الحفل فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر واللواء سعد مأمون محافظ المنوفية ، وعدد من كبار المسئولين فى الأزهر والمحافظة .

ووزع فضيلة الامام الأكبر الجوائز على الفائزين فى المسابقة وعددهم ٣٢٧ وبلغت قيمة الجوائز ٢٥٠٠ جنيه مصرى .

❋ حصل تلاميذ المدرسة الثانوية الجوية على كأس التفوق فى مسابقة حفظ القرآن الكريم ، وقد بدأت المدرسة الثانوية الجوية تجربة تحفيظ القرآن فى معامل اللغات منذ عدة سنوات .

وأوضح العميد طيار على زيكو مدير المدرسة الطريقة المستخدمة فى ذلك فقال : هى أن يقوم المدرس بشرح أهداف السورة ومعانيها وكذلك الكلمات الصعبة ، ثم يقرأ الآيات ويرددها التلاميذ خلفه ، حتى يطمئن الى حسن النطق والأداء ، وبعد ذلك تسجل السورة كاملة بصوت المدرس مع شرحها ، وتودع فى معامل اللغات لتصبح مرجعا دائما يستخدمه التلاميذ عند استذكارهم وحفظهم ..

ويقول السيد العميد : ان المزايا التى حققتها المدرسة من خلال هذه

التجربة هى ارتفاع المستوى الخلقى والسلوكى بين الطلاب اهتداء بالمبادىء السامية التى رسمها القرآن الكريم ..

السعودية

* انعقد فى الفترة الأخيرة بمكة المكرمة المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى ، وشهده فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، ووفود من مختلف دول العالم الاسلامى ، ووزراء التربية والتعليم فى الدول العربية والاسلامية ..

وأصدر المؤتمر عدة توصيات هامة منها :

١ ـ اعادة صياغة العلوم التجريبية والتطبيقية والاجتماعية ، صياغة اسلامية ، تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الدينى عند الدارسين وتشعرهم بعظمة الخالق ، وقدرته ، وتزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدين والعلم التى سرت الينا من اتخاذ المناهج الأوربية فى تدريس تلك العلوم .

٢ ـ أن تكون دراسة الفقه الاسلامى موصولة بالواقع الحالى ومشكلاته والتأكد على أن الحدود الاسلامية واجبة التطبيق ، وأن تكون دراسة الشريعة الاسلامية هى الأساس فى كليات الحقوق ، والاهتمام بالعقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح .

٣ ـ العناية البالغة باللغة العربية بجميع فروعها ، واعتبارها مادة اجبارية واتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب سائر العلوم .

٤ ـ العناية التامة بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما والتوسع فى قراءة القرآن ابتداء من المرحلة الابتدائية والاكثار من انشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم .

٥ ـ وضع نظام خاص لتعليم البنات يراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة ، وما يحتاج اليه المجتمع ، وما يحقق تعاليم الاسلام .

٦ ـ تطبيق شريعة الاسلام فى جميع الدول الاسلامية ، ودعم الأقليات الاسلامية فى الدول غير الاسلامية والعناية بحلقات العلم فى المساجد .

٧ ـ ضرورة العمل على وقف هجرة العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامى .

ابو ظبى

* تقرر أن يكون معهد زايد العلمى الاسلامى بالعين مقرا مؤقتا لجامعة الامارات العربية الجديدة ، على أن يتم التشكيل الكامل لأجهزة الجامعة فى القريب ان شاء الله .

* افتتح فى الفترة الأخيرة فى الشارقة مركز للدعوة الاسلامية هدفه دعم الجماعات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم ، وايجاد الروابط بين الأقليات المسلمة ، وترجمة أمهات الكتب الاسلامية .

الهند

* أقامت جامعة دار السلام بعمر أباد جنوب الهند مهرجانها الذهبى فى شهر ابريل الماضى وشهده وفود وسفراء ٤٠ دولة ، كما شهده فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر .

ومثل الأزهر فيه فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى مدير مجلة الأزهر .

والتقت مجلة الأزهر بفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى عقب عودته وطلبت منه أن يقدم الى القراء انطباعه عن هذا المهرجان فقال :

الجامعة تسمى جامعة دارالسلام وهى تبعد عن مدينة مدراس بنحو مائتى ميل وتوجد فى قرية عمرأباده

ويقوم بالانفاق على الجامعة كاكا عمر ابن مؤسسها واخوته ؛ ويقوم بناؤها الجديد فى مساحة تبلغ حوالى ٣٠ فدانا ، وسيكون به بجانب أماكن الدراسة مساكن للطلبة ، ومكتبة كبيرة للجامعة ،

ومكاتب فرعية لكل كلية ، ومساكن للأساتذة ، والجامعة تحيط البيئة بمظهر اسلامى بحت ، وبها مسجد كبيرلآداء الصلوات ، وميزةالجامعة المستقلة أنها تقوم على تعليم أبناء المسلمين فقط ، وبذلك تجد الحرية المطلقة فى اختيار مناهجها من غير أن تتدخل الحكومة فيها .

وقد استمر المهرجان ثلاثة أيام وكان يحوى وفودا من نحو ٤٠ دولة وكان به وفدان من سريلانكا ، وتبين أنهم يقومون بنشاط اسلامى ملحوظ فى هذه الجزيرة رغممقاومة التبشير والحكومات .

ومن الجدير بالذكر أن المهرجان كانت تسوده الروح الاسلامية .

ابراهيم حامد النويهى

ورع عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ارسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه (٤٠٠) درهم فقال عبد الرحمن : اتستسلفنى وعندك بيت المال ؟ الا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : اتخوف ان يصيبنى قدرى (اموت) فتقول انت واصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ولكنى اتسلفها منك لما اعلم من شحك فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

كتاب الشهر

أيام في الهند

بمناسبة الاحتفال بالعيد الذهبي

"لجامعة دار السلام"

DARUS — SALAM
UNIVERSITY — OMER ABAD
MADRAS — S. INDIA

للدكتور / عبد الودود شلبي

الهند ... السند ..

اسمان أو كلمتان أحفظهما منذ أيام الطفولة ..

كانت الأساطير والحكايات تروى عن هذه البلاد فى ليالى السمر المقمرة ومن خلال تلك القصص التى يرددها العجائز على مصاطب القرية ..

ماذا كنت أتصور عن هذه البلاد البعيدة ؟ ... اننى لا أزال أذكر حكاية المركب المسافرة الى « اسطمبول » وعلى ظهرها حبيب يغنى مع طيور البحر أغنية الوداع للأرض الحبيبة ..

« فاسطمبول » مدينة تربطنا بها أرقى المشاعر ثم هى قريبة منا قرب هذه العواطف التى تذكرنا بعهد السلاطين الغابر .. !!

أما الهند فماذا تعرف عنها ؟ كنت أسمع أنها بعيدة .. بعيدة .. وأن السفر اليها أشبه برحلة من الدنيا الى الآخرة .. !

وتمر سنوات العمر فى طريقها مسرعة .. وتبدأ الحرب العالمية الثانية وأسافر الى القاهرة طالبا للعلم فى جامعة الأزهر العريقة ..

وفى الجامع العتيق تعودت الاستذكار بعد فترة الدراسة .. كانت الحياة فى الجامع الأزهر متعة .. ألوف من الطلاب يجتمعون فيه كل ليلة .. وفى «صحنه» الذى شهد الكثير من حركات الطلبة ، ومن سهر العلماء على البحث والدراسة كنت أرى جنود الحلفاء من كل جنس ودولة يجيئون للزيارة .. هذا انجليزى . وذاك أمريكى وآخرون من مختلف شعوب آسيا وأفريقيا ..

وقد لفت نظرى من بين هؤلاء جنود يلبسون عمامة غريبة ، واذا دخلوا المسجد دخلوه بوقار وخشية ..

وكان من طلاب الأزهر «الكبار» فى هذا الوقت رجل اسمه الشيخ اسماعيل لم أكن أعرف عنه شيئا أكثر من سكناه فى « التكية » وعرضه أعواد البخور للبيع على

صغار الطلبة . وكان الشيخ متعودا الجلوس بجوار باب المئذنة الكبير على يمين الداخل الى الساحة ..

الشيخ اسماعيل هذا كان يستقبل هؤلاء الجنود بحفاوة فائقة ، ويتكلم معهم بلغة غريبة .

ولأول مرة أسمع أن هؤلاء الجنود مسلمون وأنهم من الهند ، وكان ذلك قبل تقسيم شبه القارة الى باكستان وهندستان .. وكنت أرى هؤلاء الجنود يخرجون من المسجد ... ثم يتجهون الى حى « الباطنية » فاذا سألنا عن سر هذه الزيارة الى هذه الأحياء القديمة قيل : انهم ذاهبون لزيارة مسجد « بنيامين » شقيق سيدنا يوسف..! بشارع « حيضان الموصلى » .. وأعود لأتساءل هل هذا المسجد هو مسجد « بنيامين » حقا ؟ وهل المدفون فيه هو « بنيامين » شقيق سيدنا يوسف ؟ وفى شوارع القاهرة كان الناس يقابلون هؤلاء الجنود بسؤال لم يزل عالقا فى ذهنى حتى هذه اللحظة ... « مسلمان » ؟ أى هل أنت مسلم ؟ .. فاذا كان مسلما قال : الحمد لله .. واذا كان غير ذلك قال : « سك » !!! أى أنه من طائفة « السيخ » لا من طائفة المسلمين البررة !

وانتهت الحرب العالمية الثانية .. اختفى هؤلاء الجنود من الساحة.. غير أن الحديث عن « الهند » لم ينقطع لحظة واحدة .. كانت حركات الاستقلال فى العالم قد اشتد ساعدها فى مواجهة قوى البغى، وكان « غاندى » زعيم الهند يتردد اسمه على صفحات الجرائد ، وفى نشرات الأخبار ، وعلى السنة الساسة ..

ولم تكن « باكستان » قد ظهرت أو عرفت..حتى كان عام الاستقلال أو عام التقسيم وبدأت الصحف تكتب عن هذه القضية ومن وجهات نظر مختلفة .. وتحررت الهند . وتحقق حلم الشاعر الأعظم « محمد اقبال» بقيام دولة باكستان المسلمة.

ومنذ ذلك الحين بدأت معارفى تنمو وتتسع حول هذه البلاد التى

كانت أشبه بالأساطير والخيال فى تصورى الساذج ..

وأخذت أتعرف على الهند من خلال كتابات علمائها النابهين فى وقتنا الحاضر :

يقول العلامة أبو الحسن الندوى فى كتابه « المسلمون فى الهند[1] » .

لقد دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة فى الشرق . بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون دينا جديدا سهلا . سمحا..وعلوما اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ، وكان أغرب ما كانوا يحملون فى الدين « عقيدة التوحيد » النقى الذى لا يرى وساطة بين العبد وربه ، ولا يعترف بالآلهة والمظاهر ..

وقد قرر هذه الحقيقة رئيس وزراء الهند الأسبق « جواهر لال نهرو » حيث قال :

ان دخول الاسلام كان له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند .. انه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع . وأن نظرية الاخوة الاسلامية ، والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها أثرت تأثيرا عميقا فى أذهان الهندوس ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية [2] ..

واذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون الى ثروة هذه البلاد ومدنيتها يجب علينا أن نستعرض ما كانت عليه الهند قبل وصولهم اليها ، ثم ما فعلوه بعد ذلك حين أقاموا فيها ..

يقول (بابر) التركى فى مذكراته :

لم يكن هناك فى الهند وجود للخيل ، ولم يكن يسمع عن العنب والبطيخ .. فالثلج مفقود ، والماء البارد قليل نادر ، والحمام لم يعرف والشموع لا وجود لها ، وكذلك

---

(١) المسلمون فى الهند ـ صفحة ١٢ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق صفحة ١٤ .

الفوانيس . كان الظلام يغطى كل شيء ، ظلام فكرى ، وظلام حقيقى .

وقد كان من عادة السيدات الهنديات أن يحرقن أنفسهن بالنار حدادا على وفاة أزواجهن . فحاول الحكام المسلمون ابطال هذه العادة بالاقناع والحيلة وحين لا تثمر عملية الاقناع كان الحاكم من هؤلاء يرسلها الى حريمه لتقلع عن ارادتها باقناعهن . ولم يكن يسمح الحاكم للمرأة باحراق نفسها الا اذا تأكد لديه عزمها واصرارها على اتمام عملية الحرق .

يقول : M.C. MEHTA فى كتابه « الحضارة الهندية والاسلام » :

ان الاسلام قد حمل الى الهند مشعلا من نور قد انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الانسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة الى الانحطاط والتدلى . وقد كانت فتوح الاسلام فى عالم الأفكار أوسع وأعظم منها فى حقل السياسة . شأنه فى الأقطار الأخرى .

لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام فى هذا القطر مرتبطا بالحكومة فبقيت حقيقة الاسلام فى حجاب وبقيت هباته وأياديه البيضاء الجميلة مختفية عن الأنظار ..

* * *

وما من مرة سافرت فيها الى الهند الا وأحسست بهذا الشعور متدفقا فى الوجوه والمشاعر فالمسلم هناك متميز فى سمته وهيئته . وفى شوارع Bombay بومباى تعرف المرأة المسلمة من أول وهلة تقع عيناك عليها .. الوقار والحشمة ، والثوب السابغ يغطى منها كل ناحية وفى شارع Mohmmad Aly. Rd تحس وكأنك تعيش فى القاهرة .. وبالذات فى « خان الخليلى » والغورية !

وحين أتيح لى العمل فى امارات الخليج قبل بضع سنوات فوجئت أثناء سيرى فى شوارع امارة «دبى» كأننى غريب عن هذه المدينة ... فالوجوه السمراء تملأ شوارعها وأزقتها .. والمتاجر ذات الأسماء الغريبة تملأ جوانبها وأحياءها .

ورائحة الأطعمة النفاذة تنتشر فى سمائها وأجوائها .. كل شىء هنا عجيب غريب .. أما أجهزة المذياع فلا تسمع منها الا تلك الأغنيات الغريبة . أنغام بسيطة وحزينة .. وأناس يروحون ويجيئون بنفس البساطة والمسكنة .. انهم هنود .. والصلة بين بلادهم وامارات الخليج صلة وثيقة عميقة فالعرب الأصليون يتحدثون اللغة الهندية ولا يكاد بيت يخلو من زوجة من « حيدر اباد الدكن » أو من « بومباى » .. كنت أسمع من الطلاب أحاديث هذه الزيجات بدهشة وغرابة .. ان أى مسافر الى الهند يستطيع الحصول على زوجة بعدد قليل من الروبيات .. والخدم والعمال الكادحون فى البيوت كلهم من الهند .

وفى أفريقيا .. وفى الدول الواقعة فى شرقها على المحيط الهندى تجد نفس الصورة ويتكرر المشهد هناك بدرجات متفاوتة ...

أيتها الهند ! كم أنت عجيبة .. وأعجب منك هذه الحياة التى يعيشها أبناؤك فى بلاد الغربة .. !

***

وها نحن نتجهز للسفر الى « مدراس » بقرار من الامام الأكبر شيخ الأزهر .. ذلك لأن جامعة « دار السلام » تستعد للاحتفال بعيدها الذهبى فى مدينة « عمر أباد » وقد رأى فضيلة شيخ الأزهر أن يمثل الأزهر فى هذا الاحتفال بالدكتور عبد الجليل شلبى أمين عام المجمع ، والدكتور عبد الودود شلبى مدير مجلة الأزهر ..

***

أقلعت بنا الطائرة فى تمام التاسعة والنصف صباح يوم جمعة متجهة الى بومباى ... لقد انشغل كل راكب بحاله ، وغاص فى أعماق نفسه .. أخرج الدكتور عبدالجليل مصحفا وبدأ يقرأ .. وفى المقعد الذى يقع خلفى شاهدت شابا يمسك بالمصحف واقترب منى شاب آخر يسأل عن حكم الدين فى قضايا مختلفة .. ان الشاب القارىء

والشاب السائل كانا مهندسين من العاملين فى شركة مصر للطيران ، وكعادة الشركة فى منح موظفيها تذاكر سفر مجانية . فقد آثر هذان الشابان السفر الى طوكيو للسياحة غير أنهما لم ينسيا عقيدتهما فى هذه الرحلة الطويلة وانتهزا فرصة وجودنا للسؤال فى قضايا الدين والعقيدة ... انهما مصريان حقا مصريان بهذه العقيدة التى لا تهتز وتهون حين تتاح الفرصة ، أو حين يختلط الأمر على الناس فلايفرقون بين الكذب والحقيقة .

غير أن هذه الصورة الوضيئة للمصرى الأصيل لم تكتمل ... كان معنا فى الدرجة الأولى رجل قارب الستين من العمر ، وبجواره امرأة لا تقل عنه سنوات بحساب الزمن .. هذا الرجل أخرج من حقيبته زجاجة .. وبدأ يعب منها ويشرب .. ولم يكن يحمل من الحياء شيئا يعصمه من هذه الزلة ، أو يثير فى نفسه شيئا من الاحترام للمصحف الذى يقرأ بجواره .. !

انهم فى الهند لايشربون الخمر.. فالعقائد الوثنية بالرغم من زيفها لها طقوس تحترم .. وقد رأيت حارس الفندق « السيخى » يعتذر عن قبول سيجارة من أحد النزلاء لأن ـ دينه يرفض ذلك ـ ورأينا نحن فى طريق العودة من «مدراس»، طفلين مسلمين يرفضان الطعام الذى قدمته المضيفة لأنه لم يذبح بطريقة شرعية ! وحدثنى صديق يشغل مركزا اقتصاديا هاما أن وفدا هنديا حضر الى القاهرة . وحين عرض عليه المسئولون فى مصر تصدير نوع من الخمر رفض الوفد الهندى ذلك لأن « الزعيم غاندى » ـ على حد قولهم ـ يعتبر تناول الخمر جريمة !

ولندع جانبا أحاديث السكارى والخمر . فالطائرة تقترب من بومباى لقد طلبت المضيفة ربط الأحزمة استعدادا للهبوط فى مطار « سانت كروز » .. ظننت لأول وهلة أننا سنهبط فى جزيرة نائية بالمحيط .. فهذه أول مرة أسمع فيها هذا الاسم .. لم يخطر ببالى أن هذا هو مطار بومباى Bombay فقد سافرت الى الهند ثلاث مرات ولم أسمع فيها بهذا الاسم .. وكأن قائد الطائرة المصرى أراد أن

يضيف الى معلوماتنا جديدا من المعرفة ، أو يكشف عن تفوقه الكبير فى علوم التاريخ والجغرافيا٠٠!

وفى فندق Holiday inn قضينا ليلة واحدة فى انتظار الطائرة المتجهة الى الشرق ٠٠ ذلك لأن مدراس تقع على خليج البنغال فى شرق الهند ٠٠ وبومباى تقع فى غربها على شاطىء بحر العرب ٠٠٠ وعرفنا فى تلك الليلة أن هذا الفندق يقع فى منطقة اسمها «سانت كروز» وان مطار بومباى يطلق عليه هذا الاسم لوقوعه فى نفس المنطقة التى يقع فيها الفندق ٠٠

* * *

وصلنا الى « مدراس » كان فى انتظارنا بالمطار مندوب من الجامعة لمصاحبتنا فى رحلة خلوية عبر أشجار المانجو ، والجوز ، والتمرهندى! ان الطريق الى الجامعة مثير شيق٠٠ أكثر من مائة ميل وسط الحدائق والمعابد والقرى والمدن ٠٠ وها هى الجامعة « جامعة دارالسلام » تبدو كعروس أخذت زخرفها وازينت ٠٠

لكن متى نشأت هذه الجامعة ؟ وما هى الأسباب التى دفعت المخلصين لاقامتها فى هذه المنطقة ٠٠ ؟؟ ٠٠

« ان كل من له المام بتاريخ الهند وتطوراتها ، يعرف أن العلاقات التجارية والثقافية كانت قائمة بين الهند والعرب من قديم الزمان ، وقد أعانت هذه العلاقات على انتشار الاسلام ، وتعاليمه الراقية فى الهند وخاصة فى الأطراف التى تقع على السواحل الجنوبية والغربية منها ٠

هكذا يعد جنوب الهند من أول المناطق التى تأثرت بالاسلام ٠

ولكنه من المؤسف جدا أن فئات المسلمين الذين قدموا الى الهند عن طريق ممر خيبر غفلوا عن هذه البقاع النائية التى كانت مهد الاسلام الأول فيها ، ونتيجة لهذه الغفلة التى حدثت منهم من غير قصد ، أصبحت آثار العقيدة الاسلامية تضعف فى هذه الجهات ٠

وزاد الطين بلة حين سيطر الاستعمار البريطاني على الهند ، فقد نزلت هذه الكارثة على مسلمي الهند كصاعقة أذهلت عقولهم ، وأما بلاد جنوب الهند فلوقوعها على سواحل الهند التي مكنت الانجليز من الاستيلاء عليها — أصبحت أول صيد يقع في براثن الاستعمار الغاشم واشتدت وطأتهم على هذه البقاع . وبعد أن أصبح المسلمون فريسة مؤامراتهم الشيطانية وجدوا الفرصة مؤاتية للتغلغل في شئونهم ، والتدخل في معتقداتهم ، والهجوم على ثقافتهم ، بشتى الأساليب الخداعة والحيل الخلابة ، وجعلوا يسلطون عليهم مدنيتهم البراقة الزائفة بكل براعة وأصبح المسلمون في حيرة ودهشة لا يجدون مخرجا من هذا المأزق ، ولا مخلصا من هذه الورطة ، وصاروا فرقا وأحزابا : فريق أحس بالعجز عن القيام في وجه المشاكل الراهنة ، وشعر بالعي في مقاومة التحديات المعاصرة ، فانزوى الى التكايا والزوايا ، وفريق رأى معالجة المشاكل بالجمود على التقاليد المتوارثة ، وأغلق قلبه عن كل جديد مهما يكن نافعا . وأفتى بتحريم دراسة اللغات الأجنبية عامة والانجليزية منها خاصة . ونهوا عن الاستفادة من العلوم العصرية والاختراعات والصناعات الحديثة . يقابل ذلك فريق سقط في شراك الاستعمار وثقافته وكان من بين هؤلاء وأولئك نخبة من المسلمين المخلصين الواعين المتحمسين لعقائد وتعاليم الاسلام الصافية ، وقيمه العليا ،، مؤمنين بخلود رسالة الاسلام ودوامها وشمولها ، وصلاحها لكل عصر وزمن ولكل مصر وبلد ، وتمكنها من مسايرة الحياة الانسانية مهما اشتدت الظروف وساءت الأحوال كان هؤلاء يشعرون بخطورة الموقف عن علم وبصيرة أنه لابد لمقاومة العدو ومواجهة غزوه الفكرى من التسلح بأسلحته، والتحلى بما ينفع من علومه وصناعاته ، وبما يفيد من اكتشافاته واختراعاته مع التمسك القوى بالعقيدة الاسلامية والقيم الدينية التى جاء بها خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا على ثقة كاملة بأن الخروج

بالمسلمين من البدع والخـرافات ، والـــكفر والشـــرك ، وتخليصهم مــن التقـاليد الباليـة والعـادات الوثنية وتحريرهم من الشـجار الفقهى والنزاع المذهبى ، لايمكن الا بإنارة قلوبهم وفتح أذهانهم لمـا جـاء فى الكتـاب والسنة ، والرجـوع بهم فى جميع شـؤون حيـاتهم الى هـذين المصـدرين الأساسيين ، وترجيح كل ما يوافق الكتـاب والســنة ، ورفض ما يخالفهما ، وحثهم على القيام بواجب الدعوة الاسلامية ، وفريضة تبليغ الدين الاسلامى ، ومقاومة الغازى ، وكان من بين هؤلاء الواعين الوجيه كاكا محمد عمر رحمه الله (المتوفى سـنة ١٩٢٧ م) ولم يكن هـذا العبقرى الفذ عالمـا كبيرا ولا مثقفا عصريا بل تاجرا أمينا واعيا ، ومن مزايا الجنوب التى تستلفت الأنظار أن الاســلام لم يدخل فيه الا مع التجار من العرب المسلمين ، وكذلك لم تقم فيه حركة اصلاحية ولانهضة تعليمية الا كان التجار المؤمنون على رأسها فقام هـذا التاجر الصدوق بعد نفسه لأداء فريضة الدعوة .

ولمـا بلغ أشده وتزود بزاد العلم والورع والتقـوى ، ورأى بعـين الاعتبار مانزل بالمسلين من الرزايا والكوارث ، ومـا منى به المسلمون من البلايا والمشاكل ومـا وقعوا فيه من الظـلام الحالك ، والضـلال السائد ، والجهل والعمى ، والهمجية والفـوضى والشرك والبـدع والخرافات ، وما غرقوا فيـه من الخـلافات المذهبيـة ، والنزاع فى الفروع الفقهية التى لا طائل تحتها ، هذا وذاك ، وشاهد تأخر المسلمين فى مجال العلم والفكر وتخلفهم فى مضمار الحياة ، فلم يصبر على رؤية هذه المفاسد الفردية والاجتماعية ، وقام بالتشاور مع أساتذته وأصدقائه فى شأن النهوض بالأمة ، وفى البحث عن الوسائل التى تكفل لها السعادة وتضمن لهـا الرقى فى الازدهـار وتخرجهم من ظلام الجهل والشرك .

فقام رحمـه الله بتوفيق من الله وعونه ، بتحقيق هذه الفكرة البناءة ، واشترى بقعـة أرض كبيرة بعيدة عن ضوضاء المـدن ، وأنشأ قرية

نظيفة جميلة ، وأخذت هذه القرية اسمها من اسم بانيها رحمه الله ، فتسمت بعمر أباد ، وفى وسط هذه القرية الوليدة أسس رحمه الله بناء هذا المعهد التعليمى والتربوى فى سنة ١٩٢٤ م واعتنى بتحسين بنائه وتفخيم عمارته كما أنه اهتم ببناء مسجد جميل ومساكن للطلاب والأساتذة ، وغرف وصالات للفصول الدراسية والمحاضرات والمكتبة والمطالعة ، وسمى المعهد بجامعة « دار السلام » ، ووقف عليه هو فى حياته ، وبعد وفاته وقف أنجاله وأحفاده ، والمخلصون من المسلمين الآخرين من الأراضى والحدائق والبساتين ، والمزارع ، والدور والأبنية،والممتلكات الأخرى فى عمر أباد ، وفى مدينة مدراس وغيرها ، وقد بنى رحمه الله بجوار الجامعة دارا كبيرة لأسرته ليتمكن من القيام بخدمات الجامعة ، ويثلج صدره بمشاهدتها كل حين ، ويعود أخلافه على ملازمة رجال الدين وأهل العلم . وبعد أن توفى منشى المعهد كاكا محمد عمر رحمه الله (فى سنة ١٩٢٧ م) ، قام مقامه وتولى مكانه بكل جدارة نجله الأكبر كاكا محمد اسماعيل رحمه الله (المتوفى سنة ١٩٥٩ م) . يسانده ــ فى رعاية المعهد والتقدم والنهوض به ــ شقيقه الأصغر كاكا محمد ابراهيم ذلك الرجل الواعى الذى كان بينه وبين الأستاذ الطنطاوى صاحب الجواهر فى تفسير القرآن وغيره من كبار رجال الأمة مراسلات ، ومبادلات فكرية وثقافية ، وأصبح المعهد يرتقى ويتقدم الى الرفعة والازدهار الى أن تمخض عن حركة تعليمية وتربوية كاملة وانبثقت عنه نهضة تجديدية شاملة ، عمت آثارها العلمية والاصلاحية جميع أنحاء الهند : جنوبها وشمالها ، وشرقها وغربها بل بلغت أنوارها خارج البلاد وأصبح هذا المعهد العلمى والتربوى العظيم فى مدة يسيرة بفضل من الله وتوفيقه ، ثم بجد واجتهاد بانيه المخلص ، ومساعى أنجاله وأحفاده المشكورة حصنا منيعا للعربية والدين ، ومركزا قويا للدعوة الاسلامية والمعارف الدينية ، يجلب صيته البعيد الطلاب من سائر أرجاء الهند وخارجها من

أمثال مملكة نيبال وجزائر سيلان ، ومـلديف ، وماليزيا وأندونيسيا وغيرها من البلاد المجاورة » .

• • •

وهــا نحــن الآن فى جامعــة دار السلام .

الكل مشغول بواجبات الضيافة. وواجبات الاحتفــال ، مدعوون من أربعــين دولة . عــرب ، وهنــود سـيلانيون ، وأفارقــة ومن أمــم أخرى كثيرة وقد حضر من الهنــد وحدها أكثر من ثلاثة آلاف ضيف وفدوا من مختلف الولايات ونزلوا فى معسكر كبير للاقامة تتوفر فيه كل الحاجيات ، أما الضيوف الوافدون من خــارج الهند فقــد خصصت لسكناهم بيوت أعيان المسـلمين فى المنطقة ، كنت أسافر مــع الدكتور عبد الجليل الى مدينة « هامبور » صباحا ومساء ... ففى هذه المدينة كانت اقامتنا فى بيت أحــد التجار المسلمين الذى ترك بيته لضـيوف الجامعة ..

وقد بدأ الاحتفال بكلمة ترحيب من الأخ « كاكا محمد عمر » الأمين العام للجامعة .

وقال الأخ « كاكا » فى كلمته :

أيها السادة الأجــلاء والضيوف الأعزاء :

أحييكم بتحية الاسلام وأرحب بكم أحر الترحيب أصالة عنى ونيابة عن جميع أعضاء الجامعة ومشايخها وطلابها ونشكركم من صميم قلوبنا وأعماق نفوسنا لقــد تحققت اليوم أمنيتنا العزيزة التى كنا نحلم بهــا منذ فترة طويلة وأمد بعيد وما زلنا ندعو الله تعالى بأن يتيح لنا فرصة الاجتماع لنتشرف بالخدمة ولنتمتع بالتجارب ونريكم جروحنا وآلامنا ونعرض عليكم مشــاكلنا وأزماتنا لأنكم أول من اعتنق رسالة الاسلام وبلغها الى العالم ونبين لحضراتكم بأن الدرس الذى تلقيناه من اخواننا العــرب كيف حفظناه وكيف حملنا الأمانة التى عرضتموها علينا شاكرين لكم حامدين لربنا الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

أيها السادة : أمامنا مسائل لاتعد وقضايا لا تنتهى ولكن الوقت ضيق لايسمح بكل ذلك ، تكاثرت الظباء على خــراش فمــا يدرى خراش

ما يصيد . وحضراتكم شرفتمونا من بلاد نائية تاركين وراءكم أعمالا متراكمة فى هذه الشمس المحرقة وحياتكم مليئة بالتجارب والخبرات فنرى من العدل أن تزودونا بالآراء السديدة والمشورات الثمينة والمعلومات القيمة ومن الاستماع الى حضراتكم لنعمل بما تشيرون ونأمر بما تأمرون لأن الخير الكثير فى الدين الحنيف ما جاءنا الا من عندكم ولا شك أنكم أعلم بمعالجة الأمور فى هذا الشأن وخبراء هذا الميدان ونحن بحمد الله وقعنا على خبير ولا ينبئنا أحد مثل خبير .

أيها السادة : اجتماعنا هذا فى مثل هذا اليوم الشديد الحر للدعوة الى الله واعلاء كلمته وهذا الاجتماع المبارك فى مثل هذه الشمس المحرقة يذكرنا ذلك اليوم الذى انطلق فيه الرعيل الأول بقيادة النبى الأفضل الى مؤتة لرفع راية الاسلام ونشر الدعوة الى الله فنسأله سبحانه أن يلهمنا اقتفاء أثرهم وسلوك سبيلهم وأن يوفقنا للعمل الاسلامى الجبار حتى نرى راية الاسلام خفاقة .

أقدم ثانيا أطيب التحيات وأجلى الاحترام وأزكى الأمانى الى جميع حضرات الضيوف الكرام خاصة العرب منهم وأشكرهم جزيل الشكر على تلبية دعوتنا المتواضعة أصالة عنى ونيابة عن جميع أعضاء الجامعة للمجلس الاستشارى والمجلس الاستقبالى ومشايخها وطلابها ونقول : أهلا وسهلا ومرحبا .

***

وتتابعت الكلمات من أعضاء الوفود . والشيء الجميل حقا أن طلبة الجامعة الذين كانوا يقومون بالترجمة من العربية الى الأردية والانجليزية أثاروا انتباهى واعجابى لغة عربية سليمة ، وعبارات جميلة أخاذة .. لقد ذكرونى بطلبة الأزهر القديم يوم كان فى الأزهر طلبة وكانت فيه لغة ! وكان فيه طلاب يؤلفون ويكتبون قبل أن يتجاوزوا المرحلة الابتدائية !!!

***

الضيوف العرب يتكلمون بحماسة ... وبلغة « العنتريات » التى لا تقتل ذبابة ! والتبرعات التى قدمت للجامعة هزيلة ، وأشهد الله أن القائمين على أمر الجامعة لم يطلبوا من أحد معونة ، ولم يفكروا فى الاستجداء من أحد شيئا .. لقد كلفهم هذا الاحتفال أكثر من نصف مابون روبية ، ذهب أكثرها فى الترحيب والحفاوة باخواتهم العرب أصحاب الرسالة والدعوة ! :

***

وقد اشتركت الهند فى هذا المهرجان بوزير من الحكومة المركزية ولم يتخلف عن مشاهدة هذا المهرجان الرجال والنساء من الهنادك الذين قدموا لرؤية أعضاء الوفود من كل أمة وأثلج صدرى هذه الروح التى تسود بين السكان فى هذه المنطقة ، ان السائق « ساينام » كان يحدثنا عن الاسلام والمسلمين كاخوة ! وبالغ فى ذلك حتى ظننت أنه من أهل القبلة ! وقد ذكرنى موقفه هذا بشاب التقى بنا فى مطار بومباى وعرض علينا النزول فى فندقه . فقد أدرك بذكاء أننا مسلمان من القاهرة ...

قال : اسمى اقبال .. ثم غيره بعد ذلك الى جيمس .. وحين رأى الدهشة تعلو وجوهنا ضحك وقال : أنا مسلم .. هندو .. كريستيان !

انه نوع من الناس موجود فى كل أرض ... وسواء أكان منهجه خطأ أم صوابا فانها التجارة .. والتجارة كما يقول : ظرفاء مصر « فهلوة وشطارة » !

ومن المعالم البارزة فى هذا الاحتفال تلك الكلمة أو الرسالة التى وجهها الرئيس محمد أنور السادات الى مجلس ادارة الجامعة، والى الوفود الاسلامية التى شاركت فى هذه المناسبة ، والى الشعب الهندى الذى تربطنا به صلات عديدة ..

وقد قال الرئيس فى كلمته :

« اذا كنتم تحتفلون اليوم بالعيد الذهبى لجامعتكم ، فانكم تؤكدون تقديركم للعلم والعلماء ، وتعملون بما يوجبه الدين على اتباعه من

اعـزاز للعـلم ، واحترام للفكر ، وحفاوة بالعلماء ، وتنفير من الجهل وسخرية من الجهال •

ولقد تردد هـذا كله فى الدين الاسلامى الحنيف ، وفى تراث الهند الروحى وحضارتها العريقة •

لهـذا لم يكن عجيبا أن طفـر المسلمون وأن طفر الهنود فى عصور من تاريخهـم المشرق من بداوة الى حضـارة ، ومن جهالة الى ثقافة ، ومن تخلف الى تقدم •

أيها الاخوة والأخوات :

لقد سجل تاريخ الهند أنها ظلت أغنى بلاد العالم آلاف السنين ، وأن العـلوم والفنون الجميلة ازدهرت بها ، وكانت دلهى فى القرن الثالث عشر الميلادى مقصد رجال العـلم والفن •

وكانت تحتفى بالعلمـاء والأدباء والفنانين ، كما كانت تفعل بغـداد من قبل •

كمـا سجل التاريخ أن العـرب اتصـلوا بالهند منـذ زمن بعيـد وتوطدت بينهم الصـلات التجارية فى القرن السابع الميلادى ؛ حينمـا كانت أوربا تشـك فى وجود بلاد الشرق الأقصى ولا تعرف سـوى شواطىء أفريقية ، ففى هذا الوقت كانت السفن العربية تمخـر عباب المحيط وترسو ببلاد اليمن ، ناقلة كثيرا من خـيرات الهنـد الى بلاد العرب ، لينقلها العـرب الى الشام والى أوربا •

وحينما يدقق البـاحث النظـر يجد أن حضارة العرب قد امتزجت بحضارة الهند ، وأن هذا الامتزاج بدت آثاره فى المذاهب الهندية وفى نواح من التفكير العربى •

ولا يستطيع باحث أن يتغافل عن مظاهر هـذا الامتزاج فى فن البناء والعمارة ببلاد الهند وبلاد العرب ، كمـا نرى فى منارة قطب وفى باب علاء الدين الذى تبـدو أعمـدته هندوكية وتبـدو قناطره وزخارفه عربية وكما نرى فى تاج محل الشهير فى العـالم كله بأنه قائم على الفن الهندوكى والعربى والفارسى ، وكما

نرى فى مسجد المعطى والمسجد الكبير فى دلهى ... » .

❊ ❊ ❊

فى كلية البنات بمدراس شاهدت نموذجا من الاخلاص الذى يندر وجوده فى ميدان التعليم والتربية.. انها كلية بنيت على أحدث طراز ، والمناهج المطبقة فيها تتنوع وتتعدد لتشمل كل فروع الثقافة والمعرفة.. انها كلية عصرية بمعنى الكلمة ، وكلية اسلامية فى الواقع والحقيقة، فالصلاة فى المسجد اجبارية والمسجد فى هذه الكلية قريب من حوض السباحة ! وليس لرجل أن يقترب من هذه المنطقة أو يحوم بجوارها ! وتدريس مادة التدبير المنزلى تأخذ صورة جديدة فى التطبيق والعمل.. هناك نموذج كامل « لبيت » داخل هذه الكلية ، وعلى الطالبة أن تقضى فيه فترة من الوقت لتعرف كيف تطبخ ؟ وكيف تنظم شئون البيت ؟ وكيف تستقبل الضيوف والزوار وتعاملهم ؟

كما أن هناك معملا لتفريخ الدجاج ، وآخر لدراسة أحوال الطفل وتطورات نموه .

والشىء الجميل حقا أن السيد / بشير أحمد مؤسس هذه الكلية Mr Justice Basheer Ahmed Sayeed يؤدى عمله بالرغم من بلوغه سن التقاعد ، ان عمره يزيد على السبعين عاما ، غير أنه ـ والحمد لله ـ يتمتع بنشاط يتحدى شباب العشرين قوة وحركة .

قابلنى على باب الكلية مرحبا .. وكان ترحيبه من ذلك النوع الذى يشعرك بدفء العاطفة وحرارة المودة ، وعمق الاخلاص والمحبة ، أضف الى ذلك « ظرفه » الذى يشبع فى الجميع سرورا وبهجة ، لقد أخذنى من يدى .. وأصر على التقاط بعض الصور معه ، كما أصر على اشراك بعض الطالبات معنا فى هذه الصور وحين أخبرته مداعبا أن ذلك خطر على حياتى « كزوج » فى القاهرة .. ! زاد تمسكا بهذه المحاولة وقال : اذن نزوجك لنضمن بقاءك وسلامتك .. !

وبعد أن طاف بى فى أرجاء الكلية أخذنى الى المسجد وقال : هنا صلى شيخ الأزهر اماما بالطالبات وحين سألته كيف يكون المسجد وحمام السباحة فى بقعة واحدة ؟ ضحك ضحكة عالية ثم قال : هنا طهارة ، وهناك طهارة ، ان كليتنا تمزج بين الدين والحياة مزجا يتسم بالورع والفضيلة .. !

والشىء الظريف فى هذه الكلية أن السيدة / فاطمة اختر « حرم السيد / بشير أحمد تشاركه العمل الجاد فى هذه الكلية ، وكانت مفاجأة أن عميدة هذه الكلية السيدة « رجنم كريشنا » Rajnam Krishnan هندوكية .. وأنها من السيدات الممتازات عملا وتضحية .. والحق أن السيدة / رجنم جديرة بهذه الثقة . وكانت فى تصرفها مثالا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين ابناء الأمة الواحدة .

* * *

وفى الكلية الجديدة بمدراس كانت زيارتى الثانية . نفس المشاعر والحفاوة ، وقد أصر الدكتور خليفه الله الأستاذ بهذه الكلية على زيارتى لجمعية « أنجمن حمايت اسلام »
The Anjuman - E - Himayath-- Islam

مكان فسيح جدا فى مدراس . يتوسطه مبنى عتيق يشعرك من أول وهلة بالفقر والمسكنة والحرمان أنه بيت لايواء أطفال المسلمين اليتامى «بنين وبنات» الأطفال الصغار جلسوا على الأرض يحفظون القرآن .. المدرس لا يكاد يتماسك فى وقفته من الارهاق . وفى الجانب الآخر من هذه الصورة فتيات من مختلفى الأعمار .. وقد وزع هؤلاء الفتيات بحسب أعمارهن فى الفصول والحجرات .. صورة لاتغيب عنى . لا تفتؤ تثير الهموم والشجن فى قلبى . هؤلاء الصبية والصبيات يعيشون وراء هذه الجدر فى حرمان وصمت .. لقد مات الآباء والأمهات . ليس هناك عائل ولا مورد .. ماذا يكون المصير ان لم توجد هذه الجمعية ، وهذه القلوب الرحيمة أن المأساة لا يدركها الا الذين يعيشون فى بلاد الهند .. هناك

حيث يمارس التبشير الصليبي جريمته تحت ستار مزيف بالانسانية والرحمة .. أو حيث عصابات الرقيق الأبيض والأسود .. !

لقد دخلت بعض هذه الفصول.. وقف الأطفال لتحيتى كـ « عربى » مقدس ! وفى حجرات الفتيات أحسست أن كل واحدة منهن سهم موجه الى صدرى .

أين أنتم يا اخوة الاسلام ؟
أيها العرب والمسلمون لماذا تتركوننا للجوع والحرمان والضياع ؟

نحن لم نؤمن الا بكم ..

وقد بسط الله لكم من رزقه الكثير الوافر ..

وأسبغ عليكم من نعمه ما هو أكثر ..

فلماذا تتركون بنات الاسلام فى مهب رياح الشر ..

وتفرطون فى يتامى المسلمين على هذا النحو ..

يا أيها العرب .. الأغنياء !!

اذهبوا الى الهند وانظروا كيف يعيش اليتامى .. يتامى المسلمين من البنين والبنات ..

ان أبواب الجنة مفتحة الأبواب فى هذه الأماكن ..

***

ان تاريخ التعليم الاسلامى فى الهند حافل بتلك الصور الوضيئة لرجال وهبوا أنفسهم عن تجرد واخلاص لخدمة الدين والعلم ..

يقول العلامة الندوى :

كانت الميزة الكبرى التى كان يتسم بها الأساتذة فى العهد الماضى والتى كانت شعارهم الخاص ، هى الاخلاص والايثار .

وأن تاريخ العلم وطبقات العلماء فى الهند ، حافل بذكر هؤلاء الأساتذة العظام ، وزهدهم فى الحياة وايثارهم الفقر والجوع الذى احتملوه فى حياتهم ، وابتعادهم عن ملذات الحياة ، ومن بين القصص المؤثرة للايثار وتحمل المكروه نورد هنا قصة غريبة تدل على ما أسلفناه.

يحكى مؤرخ الهند مولانا غلام على آزاد البلكرامى فى « مآثر الكرام » قصة لمحدث بلكرام الشهير ، والأستاذ الكبير ، مير سيد مبارك (١١١٥ هـ) نقلا عن أستاذه مير طفيل محمد .

« حضرت مرة فى مجلس ميرمبارك وكان قد نهض من مجلسه للوضوء، اذ زلت قدمه وسقط ، فأسرعت اليه وأخذت بيده ، وأردت أن أجلسه وقد أغمى عليه ، فلما أفاق سألته عن سبب هذا الضعف والنقاهة ، فلم يقل كلمة وظل صامتا ، فلما أصررت عليه ، قال انه لم يأكل لقمة واحدة منذ ثلاثة أيام ، ولم يتضح أمر مير مبارك على أحد ، لأنه كتم أمره ولم يقبل شيئا من أحد ؛ وقد أثر ذلك على نفسى ورق له قلبى ، فذهبت الى بيتى وأحضرت لأستاذى طعاما كنت أظن أنه مرغوب لديه فلما رأى الخوان بين يديه أظهر سروره ودعا لى بخير ، ثم قال: بارك الله فيك وفى طعامك ، ولكن هل تقبل عذرى فيه يا ولدى ، ثم قال بعد برهة ، انه طعام أشراف لما اصطلح عليه الصوفية ولو أن مثل هذا الطعام مباح باعتبار الفقه ، وان الشريعة تبيح أكل الميتة بعد ثلاثة أيام من الجوع ، لكن فى مذهب التصوف والزهد لا يجوز أكل طعام الاشراف[1] .

سمعت كلام أستاذى فلم أقل شيئا ، ورجعت عن مجلسه،وحملت الخوان وتوقفت برهة على الباب وانتظرت ، ثم عدت ثانية أحمل الصينية فوق رأسى وقلت هل كنت يا سيدى تتوقع هذا الطعام بعد رجوعى ؟ قال لا ، قلت اذا لا حرج الآن فى تناوله ، وأعجب أستاذى بكلامى وحجتى وقال لقد غلبتنى بذكائك وتأويلك ، ثم أكله برغبة وشوق[2] ..

ان هذه القصة رغم كونها غريبة وغير عادية ، ليست فريدة من نوعها فى تاريخ الهند العلمى والدينى ، الذى هو حافل بقصص الأساتذة وزهدهم وقناعتهم ، حتى ان الفقر والجوع أصبح ميزة هذه الطبقة وطبيعتها[3]..

---

(١) طعام الاشراف هو الطعام الذى أشرفت اليه النفس وتوقعه الاكل.
(٢) مآثر الكرام صفحة ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) نزهة الخواطر ١ ، ٢ ، ومآثر الكرام ، وتذكره علماء الهند ، نظام تعليم وتربيت .

ولا تقل عن ذلك أثرا قصةأخرى تدل على الايثار والعمل باخلاص وتركيز كامل للمعلمين ، يرجع عهدها الى القرن الثالث عشر للهجرة .

« كان الشيخ عبد الرحيم (م ١٢٣٤ هـ) يدرس فى رامبور، وعرض عليه والى منطقة روهيل كهند الانجليزى المستر هاكنس منصب التدريس فى كليه بريلى ، براتب شهرى يبلغ مائتين وخمسين روبية (تقدر قيمته الآن بأكثر من ألفى روبية) ووعده بأن راتبه سيزاد فيه ويرفع مستواه ، فاعتذر قائلا بأن امارته تدفع اليه عشر روبيات ، وستوقف هذه المنحة ، فقال له هاكنس انه عرض عليه أضعاف هذا القدر ، وما قيمة عشر روبيات أمام مائتين وخمسين روبية، فقال ان فى بيتى شجرة سدر حلوة وهى محببة الى كثيرا ، فكيف السبيل اليها فى بريلى ولم يتطرق ذهن هذا الانكليزى الى حقيقة الأمر الذى كان يدور بخلد الشيخ فقال انى سأرتب لايصال ثمرة هذه الشجرة اليك فى بريلى ، فقال ان لى تلاميذفى رامبور ، فكيف اتركهم وسأحرم فرصة خدمتهم ، وحاول الانكليزى اقناعه ، فقال انى سأقدم اليهم المنح الدراسية وسيواصلون دراستهم فى بريلى ، ولم يبق فى جعبة الشيخ الا سهمه الأخير ، فأطلقه وقال : صحيح ما تقول ، ولكن ما يكون جوابى يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس (١) ..

***

بعد الفراغ من زيارة « انجمن حمايت اسلام » قابلت فى الفضاء الفسيح المحيط بمبنى هذه الجمعية بعض أعضاء جماعة التبليغ ..

لقد قدموا — الى هنا للاقامة بضع ليال — يتجولون فيها بين الناس.وحين عرفتهم بنفسى أحاطونى بقلوبهم وأذرعتهم ! انهم نوع من الدعاة الصادقين حقا..ان الرجل الذى يترك أهله داعيا الى الله بالحكمة لا يمكن لمثل هذا الرجل أن يكون

---

(١) ماذا خسر العالم للعلامة الندوى نقلا عن نزهة الخواطر ص ٣٢٤ .

« دعيا » أو « كاذبا » لقد سافر بعضهم الى نيويورك منذ عشر سنوات .. كانوا يقصدون صديقا لهم فى الشارع الخامس والثمانين فى المدينة الكبرى .. ذهبوا الى البيت .. ولكن الصديق الذى بحثوا عنه كان مسافرا الى ولاية بعيدة ماذا يفعلون اذن ؟ انما معهم من المال لا يكفى ليلة واحدة فى فندق من الدرجة الثالثة . لستأذنوا صاحب البيت فى المبيت بالحديقة حتى الصباح . وافق الرجل عطفا وشفقة .. وحان وقت الصلاة فوقف أحدهم ليؤذن بصوت رخيم شجى . ثم دخلوا فى الصلاة وبدأ امامهم يقرأ .. وبدأت دموعه تنهمر وتتساقط .. وفتح الناس نوافذ بيوتهم ليروا هذا المنظر الجليل الخاشع ..

وبعد خمس عشرة دقيقة .. نزل صاحب البيت ودعاهم للاقامة عنده وأقبل جيرانه يشتركون معه فى هذه الحفاوة وكانت المفاجأة التى لم تدر بخلد واحد من أفراد هذه الجماعة ..

لقد أسلم صاحب البيت وزوجه بعد ساعتين من النقاش والحوار.. وأرجأ « الجيران » اعلان اسلامهم الى الصباح ليتم ذلك فى ملأ من الناس !!!

ولكن كيف بدأت هذه الحركة ! ... حركة جماعة التبليغ الاسلامى فى شبه القارة الهندية ؟

يقول العلامة الندوى[1] :

صحبت « مولانا محمد الياس » مركز هذا النشاط مدة طويلة ، ورافقته فى السفر والحضر فرأيت نواحى من الحياة لم تتكشف لى من قبل ، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذى استطعت به أن أفهم يقين الصحابة ، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل ايمانا يختلف عن ايماننا اختلافا واضحا كاختلاف الصورة والحقيقة ، ايمانا بحقائق الاسلام أشد وأرسخ من ايماننا بالماديات والمحسوسات وبخواص الأشياء والأدوية ومضارها ومنافعها وبتجارب حياتنا ، فكان كل شىء

(١) الدعوة الاسلامية فى الهند وتطوراتها ــ صفحة ٣٦ .

صح فى الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة والنار رأى عين .

ورأيته فى حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم كأنه على حسك السعدان ، يتململ تململ السليم ، ويتنفس الصعداء لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة ، وعن غاية هذا السفر العظيم وعن خالق هذا الكون . ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها فى غير محل ، ولا أجد له مثلا الا كالذى يرى الحريق فى بيت وقد أحاطت النيران بأولاده وأسرته ونفائسه ، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار ، وعرفت برؤيته معنى الحب ، وفهمت ماروى عن العشاق والمتيمين ومن استولى عليه الحب ، وصدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية .

ثالثا وأخيرا رأيت فى هذا الجسم النحيل الذى كاد يعجز عن أن يحمل ثقله روحا قوية جدا ، وقوة ارادة لم أجد مثلها فى الشبان الأقوياء والأبطال الأشداء ، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصبة أولى القوة ، وقد يظل فى أسفاره أياما متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال والعمل ، وأعجب ما رأيت أنه كان فى مرضه الذى توفى فيه لا يستطيع القيام والقعود ، ولكنه يأتى الى الصف يتهادى بين رجلين ويقوم للصلاة ولا يستقل بنفسه ، فاذا كبر الامام تركه الرجلان وقام بنفسه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون مساعدة ، حتى اذا سلم الامام خارت قوته وعاد ضعيفا لا يستطيع النهوض وبقى هكذا شهورا . وما فاتته فى مرضه صلاة الى الليلة التى توفى فيها ..

* * *

نعود بعد ذلك الى مدراس ..

انها مدينة نظيفة وجميلة ..

أليس عجبا ألا تقع عيناك على شىء من القذارة فى هذه المدينة الكبيرة ! ان « مدراس » تقع على خليج البنجال Bengal Bay و «البنجال» هى الأرض أو المقاطعة التى يعيش فيها البنجاليون ، والبنجال قسمان : قسم غربى تابع للهند ، وقسم شرقى كان فيما مضى يعرف

باسم « باكستان الشرقية » أما الآن فقد صار اسمه بعد الانفصال بنجالاديش Bengaldish والناس يتحدثون هنا بلغة تختلف عن لغة بقية الولايات الهندية الاخرى • انها لغة التامل Tamil وهذا تسمى هذه المنطقة من الهند أرض « التامل » Tamilland

وهذه اللغة هى المستعملة فى سيلان أو « سرى لانكا » كما تعرف اليوم •

ولو عبرت الخليج أى خليج البنجال من « مدراس » الى الجانب الآخر جهة الشرق •• فستجد نفسك فى « تايلاند » أو « بورما » ولو أبحرت جنوبا من الميناء فستجد نفسك بعد ساعات فى سيلان أو « سرى لانكا » •

انها منطقة تتشابك فيها « الجغرافيا » و « والتاريخ » والجمال والسحر ، والغموض والفقر ! والسلام والحرب !

وداعا يا مدراس •• فقد أذن مؤذن الفراق بالعودة والرحيل غير أننا لن نفارقك حتى نرى ما صدر من قرارات الاحتفال بالعيد الذهبى لجامعة دار السلام •

تقول هذه القرارات التى اشترك فى صياغتها أعضاء الوفود من مختلف أقطار المسلمين والعرب :

أولا : تشكر هذه الوفود السادة القائمين على جامعة دار السلام لما لقيت عندهم من حفاوة وحسن وفادة وكرم أخلاق ، وتسأل المولى تعالى لهذه المؤسسة الاسلامية كل توفيق ونجاح ورقى وتحقيق ما تصبو اليه من خير فى المستقبل ، والوفود ستظل تذكر — بالعرفان الجميل لجامعة دار السلام — هذه الفرصة التى أتاحت لها أن تتلاقى وتتعارف •

ثانيا : ان المؤتمرين يعبرون عن سرورهم بهذا المهرجان الذى يأتى بعد المؤتمر الأول للتعليم الاسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة مؤكدا حاجة المسلمين عامة الى الالتزام بالمنهج الاسلامى الشامل فى التربية والتعليم •

ثالثا : نرجو من حضرات الأفاضل اعداد منهج صالح يلائم ظروف

المسلمين فى الهند فى ضوء المذكرة التى عرضت فى مؤتمر التعليم الاسلامى .

رابعا : يعرب المؤتمرون عن استمرار ألم الأمة الاسلامية لبقاء فلسطين السليبة بعامة والمسجد الأقصى بخاصة تحت نير الاحتلال اليهودى ، ويطالبون المسلمين وولاة أمورهم بالقيام بالتزاماتهم وواجباتهم الشرعية تجاه هذه القضية المصيرية الخطيرة ، ويهيبون بهم أن يسارعوا الى رفع راية الجهاد فى سبيل الله لاسترداد الأرض المقدسة .

خامسا : تشكر الوفود الحكومة الهندية على موقف وزارتها الخارجية من الاجراءات الودية حول القضية الفلسطينية وحول الأراضى المحتلة فى ضوء البيانات التى أصدرتها الوزارة بهذا الصدد فكان لها الصدى الطيب فى جميع أرجاء العالم الاسلامى .

سادسا : يناشد المؤتمرون اخوانهم المسلمين فى الهند بتوحيد جهودهم الفردية والجماعية فى اطار واحد مما يحقق الخير لهم وللدعوة الاسلامية فى هذه البلاد ..

سابعا : نلفت أنظار المسلمين الى أن يغتنموا الفرصة الودية التى باحت بالتآلف وقضت على سوء التفاهم بين الأفراد والجمعيات والمنظمات والهيئات الاسلامية وغير الاسلامية ويقابلوا الجميع بالأخلاق الفاضلة الاسلامية من الصدق والعفاف والامانة والبر والاحسان واكرام الجار حتى يؤثر الاسلام فى قلوب جميع الناس كما حدث فى الماضى ، وحيث ان الاسلام قائم على مبادئه الأساسية فى توحيد الله تعالى والايمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام ، وهو دين صالح لكل مكان وزمان ، ومرتكز على أساس التقوى والمسؤولية أمام الله تعالى يوم الحساب كما أن مبادئه السامية مرتكزة على الحرية والاخوة والتسامح والمساواة والأمن والسلام والعدالة الاجتماعية التى سعدت بها البشرية زمنا طويلا ..

***

لقد رجعنا الى بومباى .. وضعنا رحالنا فى فندق HORIZON أى الأفق .. وقد أصر الدكتور عبد الجليل على خروجنا من الفندق

مشينا فى شوارع ضيقة مليئة بالأكواخ والبيوت الحقيرة .لم يكن يخفف عنا الملل والضيق غير نسمات البحر الرقيقة ، وحفيف أشجار « جوز الهند » السامقة ..

لقد أقبل الناس يحيطون بنا من كل جهة .. أقصد يحيطون بالدكتور الشيخ عبد الجليل بصفة خاصة .. فقد سافرت الى بومباى عدة مرات لم أحظ فيها بمثل هذه الحفاوة .. فملامحى كما يقول بعض الظرفاء « هندية » ! وفى « باكستان » كان الناس يحسبوننى مواطنا من الدرجة الأولى ! وفى « لندن » .. وفى أعقاب الهزيمة القاسية سنة ١٩٦٧ م لم أجد مناصا من الادعاء بأنى « باكستانى » كى أتحاشى المناقشات المملة حول هذه الهزيمة وآثارها المرة .

أما هذه المرة .. وبالذات فى هذه الزيارة .. فقد كان ظهور الدكتور عبد الجليل بعمامته حدثا فى هذه المنطقة .. من الناس من كان يقف ويحيى .. ومنهم من كان يلاحقنا بأسئلة لم نفهم منها شيئا ؟ كنا نميز بين الطوائف والديانات بكلمة « السلام عليكم » وأخيرا ظهر شاب يرتدى سروالا قصيرا وقد ترك صدره عاريا .. لقد أقبل علينا مندفعا .. وبدأ يتكلم كلاما كثيرا .. كان كلامه خليطا من الانجليزية والاردية لقد وقف « عبد الستار » وهذا اسمه .. يتحدث عن نتائج الانتخابات الأخيرة .. وعن سقوط « انديرا غاندى » الذى قوبل بفرحة كبيرة .

لم نعر كلامه اهتماما .. وظننا أن هذه عاطفة مسلم تجاه أخوة له فى العقيدة .. غير أن هذه الفرحة بسقوط « الامبراطورة » كانت عامة .. وكان الهنادك أكثر شعورا بالابتهاج والفرحة لهذه النتيجة ..

كيف حدث هذا ؟

لقد عرفت انديرا غاندى منذ عشرين عاما كانت على ما أذكر مندوبة الهند فى الأمم المتحدة .. قرأت كتابا جمعت فيه تلك الرسائل المتبادلة بينها وبين والدها الزعيم « جواهر لال نهرو » حين كان فى السجن كان اسم هذا الكتاب : «من غير دموع » Without tairs

ان الأسلوب الذى كتبت به هـذه الرسائل ، والأفكار التى احتوتهـا هذه الكلمات والرقة التى صـيغت بها هذه الأفكار ، لايمكن أن تصدر عن رجل « مستبد » فكيف اذا كان الكاتب امرأة .. وامرأة من الهند بالذات ! .

وكما تقول صحيفة الرائد الهندية: لقد وقف الشعب كله ضد الحكومة السابقة وقلمـا شوهد مثل هـذا الحماس فى الشعب الهنـدى لقـد هتف الناس كلهم بالثورة .. هتف الرجال بالثورة ، وهتف النسـاء بالثورة ، وهتف الأولاد بالثورة ، وهتف الشـيوخ بالثورة .. هتف المسلمون والهندوس كلهم بالثورة، وامتلأت الأجواء بهتافات الثورة ، ولمـاذا لا يهتفون بالثورة وقـد عاشوا فى ظل الارهاب والدكتاتورية تسعة عشر شهرا !!! . وسقطت انديرا فى الانتخابات سقط معها ابنها وعدد كبير من وزرائها .

لم يشفع لهـا انها ابنـة الزعيم « نهـرو » ولا أنها زعيمة حـزب « غاندى » ولا أنها أول « رئيس » لحكومة هندية ينتصر فى حربه ضد باكستان ، ولا أنها قادت بلادها فى أحلك الظروف والأزمات ، وجعلت من الهند دولة « نووية » تقف مع الدول الكبرى على قدم المساواة .

لقد سلبت « انديرا » من الشعب « حريتـه » واذا ضاعت الحـرية ضـاعت الحيـاة وأصبحت هـذه الأعمال والانجازات أشبه بالطلاسم والخرافات المكتوبة على جـدران المعابد فى (بنارس) و (سومنات) ؟

. . .

يقول الشـاعر الهندى الـكبير « رابندرانات طاغور » Tagore على لسان «تشيترا » Chitra ابنة ملك « ماينبور » فى احـدى مسرحياته :

مسكينة أنت يا ابنة الفنـاء .. لقد قدم اليك الظل دون الأصل.. السراب دون الشراب .. ان صورة الحياة ذاتها مزيج من الجمال والكمال والجـلال .. فأين أنت من هـذه الآفـاق .. لقـد ذهب الحب من قبضتك .. وهـذا القناع الزائف الذى يلفـك سيذهب عنـكِ .. وستجلس المرأة الموتورة المهجـورة

تندب حظها وتجتر حسراتها ليل نهار .. ان هذا المنظر اللعين يطاردك مثل الشبح .. واسفاه يا تشيترا.. لقد ذهبت ليلتك الفريدة ، وضاعت سدى .. ان سفينة السرور كانت بحيث تراها العين.. ولكن الأمواج لم تمكنها من أن تمس الشاطىء ..

ولو كان « طاغور » حيا الى هذا اليوم لادار الحوار نفسه على لسان « انديرا » بدلا من «تشيترا» واستبدل بسملكة (مانيبور) فى مسرحيته العاصمة الكبرى « نيودلهى » ! .

* * *

ها هى الطائرة تقلع بنا من مطار « سانت كروز » فى طريق العودة الى القاهرة ..

ان الشمس لا تريد أن تفارقنا لحظة .. فقد غادرنا مطار بومباى قبل غروبها بنصف ساعة.. ولاتزال تتقدمنا عاليا فوق جبال السحب البيضاء المتراكمة .

ترى هل كانت ترحب بنا فى طريق العودة ؟

أم هى لا تريد أن تغيب لتبقى ذكريات هذه الرحلة نابضة حية ؟

أم هى العاطفة التى أشعلها الحب فى احتفالات « جامعة دار السلام » العزيزة .. وفى مدينة « عمر آباد » المضياف الكريمة ؟

أم هو شىء من سحر الهند ؟ وطيف من طيوف هذه الرحلة التى شملت ربوعه من الشرق الى الغرب ؟ !

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ /١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٢٠٠٢-١٩٧٧-٤٨٢٨

but even the great scholars of the early period, including the Companions of the Holy Prophet and their followers, did not all agree in every detail in regard to commands and Prophibitions. Do all these people then deserve the condemnation pronounced in the Quran for making diferent interpretations ?

If this is not so, then what kind of differences of opinion have been condemend in the Quran ?

The Problem is very vast and extensive and this is not the place for its detailed discusion. Suffice it to say here that the Quran is not against difference of opinion in the interpretation of its injunctions, provided that (a) there is agreement on the basic principles of Islam among those who differ and (b) they remain united within the fold of the Muslim Community. The Quran deprecated that kind of divergence which starts with self-worship and crookedness and leads to disputes ans sectarianism. As the two kinds of differences are netiher alike in their nature nor in their results, they should not be placed in the one and same category. The first kind of divergence is essential for progress and is the very soul of life and every community of intelligent and thinking people must encourage it. Its existence is sign of life and only that community can afford to repress it which desires to have only blockheads in it. The second kind of divergence, as everyone knows, dis-integrates the community which nourishes it ; therefore is appearance in a community is not a sign of health but a symptom of disease and it can never produce good results.

These two kinds of divergencies of opinion may further be illustrated yb the following :

Supposing there are two scholars or two judges, who agree, on principle, that Allah and His Messenger alone are entitled to obedience and that the Quran and the Sunna are the final authority to dtermine all laws and regulations. They may then differ in the details or in the decision of a case, provided that neither of them makes his opinion as the criterion of Islam or un-Islam nor declares the other to be outside its fold on account of Such a difference of opinion. They may put forward their own arguments in support of their opinions and leave the decision to the public or to the highest court, if it is some judicial matter, or to the legislative body of the community, if it concerns them. Then either one of the two different opinions will prevail or both will be accepted.

ing social, cultural, political and economic problems etc .. One is, therfore, baffled to see that it does not contain any detailed regulations even about Salat and Zakat which are such important obligatory duties that the Quran itself lays great emphasis on them over and over again. That is why a casual reador cannot understand how this Book can be called a complete code. This confusion is caused because the objector loses sight of the fact that Allah did not only send down the Book but also appointed His Messenger to demonstrate its teachings by putting them into actual practice. To illustrate this, we take the case of the construction of a building. If only a plan of the proposed building is laid down and no engineer is appointed to supervise and direct its construction, then every detail must be supplied. But if an engineer is also supplied alongwith the plan to construct the building on the spot, obviously there is no need for a detailed plan. In that case only a sketch with its essential features will be quite enough. It would, therefore, be wrong to find fault with such a plan as being incomplete. As Allah sent His Messenger along with the Quran, only general principles and absolutely essential instructions were needed and not their details. Hence the main function of the Quran is to present clearly the intellectual and mroal bases of the Islamic way and reinforce them with arguments and appeals to the heart. As far as the practical side of the building of the Islamic Way of life is concerned, it only defines the limits and bounds of every aspects of life without giving detailed rules and regulations. Moreover it fixes signposts for guidance at certain important places to show how those parts are to be constructed in accordance with Allah's will. The actual work of building the Islamic Way of life, in accordance with the instructions contained in the Book, was entrusted to the Holy Prophet, who was specially sent to set up the pattern of life for the individual, for the society and for the Islamic State to be constructed practically according to the principles of the Quran. Thus the Quran is a complete code in the sense that is to be taken along with the Sunnah of the Holy Prophet.

Another question which troubles the minds is that of divergencies in interpretation of the Quran. People say that on one hand Quran condemns very severly those people who create differences in the Book of Allah and cause division in their religion ; on the other hand, so many different interpretations of the injunctions of the Quran have been made that there is hardly to be found any Command with an agreed interpretation. And it is not the people of the later periods alone who differ with one another

lation should be dubbed as local or temporary, simply because it was addressed to a particular community and during a particular period. There is no philosophy, no way of life no religion in the world which expounds, from the beginning to the end, everything in the abstract withuot making any reference to particular cases or concrete examples, for it is simply impossible to build a pattern of life merely in the abstract. Even if we suppose, for the sake of argument, that it were possible to do so, most surely, such a system will always remain merely a theory on paper and will never take a practical shape.

Moreover, it is neither necessary nor useful to start from the very outset on international lines any ideologicalmovement that is meant to be ultimately international. The only right method of beginning this will be to start the movement in the country of its origin and present with full force its theories and fundamental principles which are to form the basis of the required system of life. Then its exponents should impress these things on the minds of their own people who should have a common lnguage, common habits and common customs. They should first of all put these principles into practice in their own country and prove their worth by evolving a happy and successful system of life. This will naturally attract other nations, and their intelligent people will themselves come forward to understand the movement and start it in their own countries. Thus a certain ideological system does not become national simply because it was at first presented to a particular nation and its agruments were addressed to a particular people. As a matter of fact, what distinguishes a national from an international and temporary from a permanent system is this ; a national system aims either to establish its own superiority or its special claim over other nations or presents principles and theories which, by their nature, cannot be applied to other nations. On the other hand, an international system grants equal status and equal rights to all human beings and puts forward principles of universal application. Moreover, the principles of a temporary system become impracticable with the passage of time while the principles of a permanent system are applicable to all times. If one studies the Quran in the light of the above, one will come to the conclusion that its teachings are of universal application.

Complete Code

Another thing that causes mental confusion is the oft-repeated assertion that the Quran is a complete code of life. But when one reads it, one does not find detailed rules and regulations regard-

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE "QURAN"-IV

By

Moulana Abul A'ala Maududi

Universality

Everyone knows that the Quran claims to provide guidance for the whole of mankind, but when he reads it, he finds that it is mainly addressed to the Arabs, who lived at the time of its revelation. Though at times it also adresses other people and mankind in general, it mainly discusses those things which appealed to the taste of the Arabs and were linked with their environment, history and customs. This naturally gives rise to the question : Why does the Quran contain so many local and national elements of the period in which it was revealed, when it was meant for the guidance of the whole of mankind ? Those, who do not understand the wisdom of this, begin to argue like this ; the Quran was really meant for the reform of the Arabs of that period but later on, somehow or other, the claim was made that it was a guidance for the whole of mankind and for all ages.

If one does not raise this objection merely for the sake of objection but really wants to understand the matter, I would advise him to read the Quran and mark the parts which give rise to this doubt. He should then point out any tenet, idea or principle there-in that might have been meant particularly for the Arabs of the period only. He should lay his finger on any moral principle, practical rule or regulation that is not of universal application and was meant only for the Arabs of the period, time and place. The mere fact, that the Quran refutes the blsphemous creeds and condemns evil customs of a particular people, living at a particular time and place bases arguments for the Unity of God on the material gathered from their environment, is not a sufficient proof to establish the allegation that its invitation and appeal was local and temporary. We should examine the question closely and decide whether what it says regarding the blasphemous people of Arabia is or is not equally true of every period and every place, and whether we can or cannot use everywhere, with minor changes, the same arguments that the Quran puts forward for the Unity of God. If the answer to these questions is in the affirmative, then there is no reason why such a universal reve-

breast fed infants. As well there is evidence that malnutrition has a greater incidence in artificially fed than breast fed babies. Apart from safety of human milk from the hygenic point of view recent studies revealed that human milk has certain antiinfective properties :

(a) Growth factor for lactobacillus bifidus : which promotes the growth of L. bifidus this in turn inhibits growth of shigella, E, coli and yeast. This factor is a nitrogen containing polysacharide.

(b) Antistaphylococcal factor : appears to be fatty acid distinct from linoleic acide and protects breast fed infants from staphylococcal infection.

(c) Immunoglobulin : All classes are present in milk especially colostrum. Human milk contains little Ig E, G & M. On the other hand in contrast to cow's milk it contains high values of secretary Ig A which unlike Ig G, M & E is not devided from the plasma, but is synthesized by human mammary gland. It is resistant to proteolysis and PH changes and contains several antibodies against E coli presumably blocking their adherance to the intestinal mucosa as well as Shigella, cholera and polio virus. There is no evidence that these antibodies are absorbed by the gut of the human infant but act mainly locally. Human colostrum also contains specific inhibitor of trypsin thus saving the antibodies from digestion.

(d) Complement C_4 and C_3 are present in human milk but are less than in serum. It seems that colostral secretary Ig A activate C_3 in vivo with its important opsonic chemotactic properties.

(e) Lysozymes : are 300 times more in human milk than animal milk. Although in vivo activity of lysozyme is unknown yet vito experiments suggest that with Ig A and Salmonella. Other enzymes milk which has an in vitro effect on Steptococcus.

Lactiferrin : This is an iron binding protein akin to transferrin. It is relatively rich is human milk and has great affinity to iron. In vitro studies it has been demonstrated to have an inhibitory effect on growth of certain micro-organisms because of an iron competitive effect. In this respect it is advised not to encourage administration of iron salts with milk.

Cellular factors : High number of leucocytes, 2,000-4,000/cm, are found in human milk. These are macrophagues capable of synthizing C_3, C_4 hysosyme and lactoferrin. In addition lymphocytes are also abundant especially in colostrum. These cells produce antibodies especially Ig A class. Recently milk lymphotes were also found to produce the antiviral agent interferon.

Minerals : Although calcium content of human milk is less than cow's milk yet because of its low C.A.P : ratio there is better assimilation of calcium by the breast fed infant so that neonatal hypocalcoemia is much rare than in artificially fed infant. Rickets also is less common in breast fed babies inspite of the low vitamin D content in both milks.

Although iron content of human milk is low recent evidenc show that availability of iron in human milk is about 60— 70% as compared with 10% or less in most other foods.

The low content of chloride, potasium, sodium and other electrolytes in human milk compared to animal milk is of great importance in determing the osmolarity of body fluids and response to water or salt depletion by the breast fed infant especially the premature and neonate. Because of the limited ability of the newborn baby to concentrate and diluted urine the high solute load of cow's milk entails the excretion of great amount of water even under conditions of dehydration. The sparing effect of the low solute of load of breast milk on water excretion in cases of dehydration as preventive to gastroenterites cannot be over emphasized. The high solute load of animal milk is further exagerated by the high urea output and other nitrogenous by products necessitated by the much higher protein content of cow's milk compared to human milk. The hypotonic nature of most cases of gastroenteritis in breast fed infants, compared to the hypertonic or isotonic form commonly met with in artificially fed infants, is related to the low electrolyte content of human milk. The low buffer value of human milk compared to animal milk is related to its low phosphate content.

Vitamins : Apart from the slightly higher Vit. C and Vit. B content of human milk compared to cow's milk, human and cow's milk are poor in all other vitamins. Vitamin A is especially high in colostrum.

In underdeveloped countries use of animal milk is frequently associated with overdilution because of the cost. This rsults in higher incidence of malnutrition in artificialy fed babies than the breast fed babies.

A final advantage of breast milk over animal milk in infant feeding is the observation recently recognized in Western countries of the greater incidence of obesity amongst artificially fed infants than breast fed infants. This carries the subsequent risks of cardiovascular and metabolic diseases in adulthood.

4. Antiinfective Properties of Human milk.

In the less previliged societies human milk is a safe clean food than animal milk. In Egypt the incidence of gastroenterites is 5 times more in artificially fed infant than

tated by breast feeding does not only assure better care for the infant but there is evidence based on mammalian studies that tactile contact and stimulation may be of considerable importance in the imprinting process and in determining the quality of mothering provided for the infant.

Ease and availability of human milk at the proper temperature without necessary preparation is a great advantage to the mother and saves, in poor communities, the fuel expenses.

3. Composition : Human milk is uniquely formed suite the human infant. Many of the unique properties are related to its composition.

Protein : The lower content of casien in human milk in relation to the other milk protein (1 : 2 in human milk versues 2 or 3 : 1 in animal milk) is responsible for better digestibity and less cured formation. Recent immunoelectrophoresis assays have shown that human milk contains about 18 protein fractions some of which are synthezized by the mammary gland. The amazing high biological value of human milk protein is realized when it is known that 1—5 gm/kg of human milk protein are enough for normal growth in comparison to 3.0 gm/kgm cows' milk protein.

Human milk is much more rich in cystine and less in methionine than cow's milk. Cystin is especially important in normal cerebral development of the newborn.

Fats : Human milk is more rich in linoleic acid than animal milk. Recent studies have shown the important role of lineleic acid in human brain development. Cholesterol content of human milk is also higher than in cow's milk. This might be nature's role in relation to the very rapid brain growth of human newborn and the extensive myelinization process involved. Human milk is rich in lipolytic activity which facilitates fat digestion. In content to animal milk human milk contains a specific ; ipure synthesized by the breast and different from the serum lipase (which is also present in milk). The enzyme is stable under the prevailing conditions in stomach and gut.

Carbohydrate : Almost all carbohydrate content of human milk is composed of beta lactose which is favourable for the synthesis of galactocerebrosides. The high lactose content is not a disadvantage even in communities where lactose intolerance is prevelant since this only occurs in older children after infancy (excluding the very rare heriditary forms of congenital alactasia). The acid nature of the stools of the breast fed infant and the bacterial conetnt of its bowel are benificial and are related to the high lactose content.

ADVANTAGES OF BREAST FEEDING

By

Dr. A. Safwat Shukry,
Cairo University,

Present Status of Infant Feeding

Artificial feeding is more frequent, at the present time, in U.S.A. than breast feeding. This is not the case in other parts of the world. The tendency to breast feeding decreases with increasing sophistication. In a rural community in Egypt study of the feeding and weaning practices revealed that throughout the first year of life breast feeding was the rule. Only 3 infants in the 2 rual communities studied were not breast fed, two of them due to drying of the breast early and the third case due to pregnancy of the mother at 11 months of age of the infant. In the age interval 12 — 17 months over 90% of infants were still breast fed while in the age group 18 — 23 months 69.8% in one village and 76.1% in the other village were still breast fed. After the second year the percentage of breast fed infants sharply dropped to reach 4.5% at the age of 36 — 41 months.

Advantages of Breast Feeding

1. Economic : To give an idea of how cheap breast milk is it is calculated that lost of ability to breast feed in present day Asia would need to be compensated by an additional bread of 114 million cattle to increase cow's milk production by 40%.

2. Social : In certain population conception is forbidden during period of lactation. Post lactation amenorrhea lasting few weeks to several months seems to be related to the frequency and continuity of milk secretion. Certain authors maintain that sucking itself inhibits ovulation. There is evidence that this inhibitory effect of breast feeding on lactation is more prolonged under conditions of malnutrition of the mothers where birth control is most recuired. Prolonged amenorrhea of lactating mothers in such communities would have a saving effect on the iron stores.

— The beneficial effect of breast fedding on uterine involution is well known. There is as well good evidence that breast cancer is less common in communities where breast feed is common.

— The close contact between the mother and her child necessi-

Bride-money or 'mahr' is another institution which is sometimes misunderstood. It is not a payment by the man for the enjoyment of sexual rights, as some think. It denotes the man's willingness and preparedness to build a home with her participation and a invitation to woman to accept the partner's role, for in Islam it is the man who initiates home-making, acting asits protector and supporter.

Islam gives full independence to woman in working life, in making contracts, running business, owning property and assuming responsible positions and also complete freedom of belief. Yet Islam recognizes that on account of biological differences the nature of female responsibilities must differ from male. These responsibilities are in no way inferior to the man's duties. Islam, therefore, confers full dignity on the female from early infancy and attaches no disabilities to her.

What the Quran spells out for woman is confirmed by the Prophet's word and practice. According to Ibn Abbas, the Prophet said : "One who did not degrade his daughter and did not prefer the son over her shall enter Paradise". Again he said : "The best among you are those who are best to woman".

He is also reported to have said: "A family is blessed if its first-born is a girl". In days before Islam the birth of a female brought shame and indignity to parents. According to a report from Ayesha (the Prophet's wife), the Prophet displayed great affection and deference to his daughter Fatima.

Islam gives a vision of a society based on humanistic values and healthy human relationships, not on the pursuit of materialistic goals. Such a society does not permit inequality between people but merely assigns different human roles to individuals. Islam's declaration of the equality in status between men and women in human terms dispelled all illusions about her inferiority or weakness. This declaration confers rights which she did not enjoy earlier so that she may meet all her obligations to herself, her family and nation. Some of her roles, like breastfeeding and motherhood are so unique that man cannot perform them. She is brought up to play the part of the builder of a new unit of living and is entitled to all privileges of education and upbringing given to men. This is the teaching of Allah and his Prophet. Both sexes are given the same kind of freedom ; freedom from material avarice and lust, casting an individual into a hard and shining stone in the edifice of family and nation.

The verse mentioned above (6 : 152) prohibits infanticide of both sexes for fear of poverty but the reference is primarily to females because female infanticide was the Arab custom. After Allah's assurance thaat He is the provider of parents and their child, the offe-nce becomes graver. In face of such an assurance infanticide would be motivated by sheer wantonness.

The prohibition of female in-fanticide implies that a woman is not a piece of property which its owner can destroy at will The concept that woman is man's property goes back to the Arab custom a widow being claimed by the relatives of the dead man like any other piece of pro-perty. Such transactions were pro-hibited by Allah : "O ye who belie-ve, it is not lawful for yau to for-cibly inherit the women (of your dead kinsmen)" (4 : 19). The same verse exhorts kind and gene-rous treatment of wives and prohi-bits husbands from taking back any portion of the mahr (bridemoney) gifted to wives.

The Quran then affirms the right of every infant, male or female, to be breastfed by the mother for two years : "Mothers shall suckle their children for whole two years, for those who wish to complete the suckling" (2 : 233). Even a divor-ced woman must breastfeed the child and be paid for it by the child's father. She has also the right to engage a wet-nurse at the father's expense. Great importance is given to breast feeding because children deprived of nursing suffer not only physically but also psycho-logically. If deprived of material warmth and tenderness they grow up into resentful and anti-social adults.

Women's right in inheritance is fully protected in the Quran and modification of this law is not permissable.

Sometimes a question is asked why a woman's share is fixed at half of what the man inherits. The answer is to found in verse 34 of the chapter on women : "Men are in charge of women, because Allah has made one of them excel the other and they spend their wealth (for the support of women)". The wisdom of giving lesser share of inheritance to her is that she has the right to be supported by the husband, the father or brother as long as she lives with them. The modern woman does not seem to realize how valuable and natural is this right. She is required to de-vote a great part of her time and energy to the propagation of the race and therefore she must receive economic support from the male half of society. In refusing to ac-cept economic dependence on the male out of sheer vanity, the mo-dern woman becomes dependent on the Devil.

daughters. Yet they attributed daughters to Allah. The Quran refers to this contradiction in two verses :

> "Hath your Lord then distinguished you by giving you sons and hath chosen for himself females from among the angels '(17 : 40) and' And yours are males and his females" (53 : 21).

After Islam :

Islam altered the character of human relationships. Older human bonds rested on agressive and materialistic exploitation. Islamic links between human beings were built on the foundation of love, peace and mutually profitable exchange.

Thus Islam humanized society and liberated it from materialistic bondage. The process was gradual and not sudden : "It is we who have sent down the Quran by stages" : (56 : 23). Islam sought a psychological change and no such change can be sudden.

In dealing with woman Islam first defined her status, then pinpointed the customs and laws which were to be abolished and then spelt out the new rights and privileges conferred on woman. Equality of status between men and women was pronounced in the first verse of the chapter on women :

> "O mankind, mind your duty to you Lord who created you from a single soul and from it created countless men and women" (2 : 1) and again in the sura called the Day of Judgement : which declared the two sexes had a common origin and thus an equal status :
> "And was he not a drop of fluid which gushed forth ? then he became a clot ; then Allah shaped him into a pair, the male and female" (75 : 37-39).

Before ordering an outright prohibition of the ancient custom of female infanticide, Islam raised the moral question hether the act was justified : "And when the girl child is asked for what crime was she killed." (81 : 8-9).

Raising this question in context of the day of judgement was an invitation to man to judge for himself how sinful was the act. After this moral education came the verse which outlawed infanticed in absolute and categorical terms :

> "Slay not your children because of penury ; we provide for you and them" (6 : 152)

A crime of killing children was deemed as serious as denying the oneness of Allah for which there is no forgiveness :

> "Allah forgives not ascribing partners to Him but He forgives anything else to whom He pleaseth" (2 : 48).

Al-Azhar Seminar

FEMALE CHILD BEFORE AND AFTER ISLAM

By

Dr. Mohammad Al-Bahay

Before Islam :

Pre-Islamic cultures, Arab, Persian and Roman were tied to a materialistic system of values, for which the Quranic word is "Jahiliyya". It denotes the power of the strong and the rich over the weak and the poor. A society in the state of "Jahiliyya" is a divided society, split between rulers and the ruled, masters and slaves.

The most defenceless, exploitable and vulnerable groups in any human group are women and children particularly the orphans among them. They are most likely to be used as means for the ends of the selfish, greedy and dominant individuals in society.

Islam refused to treat women as an inheritable property as was the custom. Before Islam women had no share in tribal wealth for they did not take part in tribal warfare. Therefore Oyainah ibn Hassan objected why should women inherit when they did not bring wealth to the tribe through acts of valour. The Prophet, peace be upon him, silenced him by saying :

"Thus, I have been ordained by Allah". It is also narrated that the wife of Saad ibn al Rabia who was martyred in the battle of Uhad came to the Prophet with her two daughters and told him that their uncle had taken possession of their father's wealth and the girls were left destitute. Then came the Quranic verse which ordained women's share in inherited property. The girls' uncle was ordered to give two thirds of his dead brother's wealth to his daughters, one eighth to his widow and distribute the rest among other relatives.

Before Islam, a girl child brought humiliation and shame to the father and the family. Often she was killed. Sometimes her sex was concealed by giving her a boy's dress. A daughter's birth brought sorrow to the father as the Quran says :

> "When one of them receives the news of the birth of a female, his face is darkened and he is wroth inwardly" (16 : 58).

The next verse condemns this attitude with the words :

> "And what an evil they chose". (16 : 59).

The pagans of Arabia had a contempt for females and killed their

them, and neglected the other. The Prophet told him "shouldn't you have treated them alike ?"

4) The role of the family in the future of the child :

The Islamic doctrine places the family in a high position and considers it as something absolutely pure, good and sacred. Hence it provided laws and regulations to guard and look after it. Islamic family system provides children with loving care and adequate cultural, moral and social environment to ensure his physical health, psychological soundness and mental growth. Referring to the educative and instructive factors, in child care, the prophet says : "God's mercy be upon a man who helps his children to enable them to do good to him, by treating them with goodness, and amity, and instructing and educating them properly." And the Prophet also says : "Venerate your elders and have mercy on your youngsters"". Another example of the Islamic method of child care is evident in the following prophetic advise ; "It is the duty of a father towards his child to teach him writing, swimming, and shooting and shouldn't spend on him except what is good and lawful."

These are only a few points of the many concrete teachings of Islam in order to realise a sound family as the children are of central concern and are to be surrounded with appropriate physical, social, psychological and moral environment.

In this way Islam gives due emphasis to the concept of genetic counselling.

2) After giving the due emphasis to the care for child health before marriage is implemented, it gives then importance to the system of 'lactation' the advantages and the importance of lactation are evident in the Quranic verse which means : " .. and mothers should breast-feed their children for a full two years ......". The beneficial effect of breast-feeding on uterine involution is wellknown. The close contact between the mother and her child necessitated by breast-feeding does not only assure better care for the infant but it is important in determining the quality of mothering provided for the infant.

In Islam the mothers suckle their infants for 2 years. A wet nurse is employed in case of failure of maternal lactation. The problem of infant feeding is one of the most important discussed topics in modern pediatrics. Since the turn of the century there have been many efforts among nutritional experts to advise improved infant formulas. At the same time there has been an increasing insistence on the part of pediatricians that maternal breast is the more preferrable source of infant nutrition and should not be substituted by artificial feeding. The time of weaning was stated, as in the above mentioned Quranic verse, to be at the age of two years. The Quran also refers to this point in another verse which means : "The carrying of the (child) and his weaning is 30 months (46:15).

3) Islam emphasises the necessity of providing an appropriate psychological and social environment for a child. In this respect Islam repeatedly calls for equal treatment of children regardless of sex or birth order. Not only that but it has given more emphasis on care of girls to counteract the pre-Islamic tradition of undue preference for sons and maltreating female children. This practice has been strongly condemned in the Quran, as it is evident in the following verse which means : "When news is brought to one of them of the birth of a female (child) his face darknes and he is filled with inward grief. (16 : 58). A Prophetical tradition says : "He who gets a female child and does not degrade her and prefers not the son over her, Allah shall enter him to Paradise".

Islam goes further to eliminate preferential treatment between children, even of the same sex, as the prophet says : "Be fair and equitable in treating your children, just as you would like them to be fair and equitable in treating you." We can quote another example of Islamic concept of fair treatment to the children. It is reported that the Prophet once noticed a man with two sons. The man kissed one of

tor of Aligarh Muslim University, India, on "Economics of Education in Muslim Countries", and Dr. Salah Eddin Namek, Dean of Al-Azhar Faculty of Commerce on "Economics of Children in Egypt."

The third session, presided over by Dr. Mrs. Amal Osman, Minister of Social Affairs and Insurance, was devoted to medical and psychological researches.

Papers on the "Relationship of Parents with Child" and the "Influence of Religious Education on the Mental Health of the Child" were read out by Dr. Gaber Abdul Hamid of Qatar University and Dr. Mohammad Shaalan of Al-Azhar University.

Towards the end of the symposium a round table discussion took place in which a number of prominent specialists took part, including Dr. Mohammad Hassan Fayed, President of Al-Azhar University. Resolutions and recommendations were announced at the end of the symposium.

The Position of The Child Health In Islamic Doctrine :

The following facts may help to understand the general spirit of Islam and its laws regarding the pure and good family system, as children — both male and female — are of central concern. A thorough study of particular Islamic laws. which tend to child health care might reveal that no other doctrine or religion places the family system and the child health in as high a position as Islam does.

Health in Islam means a complete state of physical fitness, sound psychological adjustment and adequate social and cultural environment. The appreciation of this state of health is referred to in a Prophetical tradition that means : "A believer who is strong is better and more favored by God than a believer who is weak, ..."

A healthy society consists of healthy individuals. It is an undisputable fact that child is the nucleus of the family. Statistically children compose a large proportion of the population in most of the communities. Reviewing the Islamic doctrine we could come to summarize the Islamic innovations in child health care in the following points :

1) Islam starts its care of the child from the very beginning of the family foundation, namely, the choice of the marital partner. The Islamic tradition refers to the principle that is called 'genetic counselling' in order to avoid any disease inheritance. Referring to this principle the prophet says what means : "Choose your marriage partner carefully, for the line of descent is conducive". Islam also warns against marriage of close relatives to avoid getting unhealthy children, as the tradition says : "Marry outside your kith and kin so that you don't get puny children".

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAJAB 1397	ENGLISH SECTION	JULY 1977

AL-AZHAR SEMINAR ON THE 'FUTURE OF THE CHILD IN THE MUSLIM WORLD'

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Al-Azhar University's "International Islamic Centre for Population Studies and Research", organised an international seminar on the "Future of the Child in the Muslim World" in Cairo from May 7 to 9, 1977. The sessions of the seminar were held at the Arab Socialist Union Central Committee Auditorium. Several eminent Muslim scholars from 15 countries participated in symposium to read research papers on a variety of topics related to the "Future of the Child in the the Muslim World".

We can have a general idea about the usefulness of this seminar from the following account of its deliberations and the papers discussed and the speeches delivered by the eminent scholars.

The first session was presided over by Dr. Abdel Halim Mahmoud, Grand Sheikh of Al-Azhar. Two research papers on "Rights of the Child in the Quran and Sunna", and on "Female Children in Arab Society Before and After Islam" were read out by Dr. Mokhtar of Malaysia and Dr. Mohammad El Bahy of Egypt.

The second session, presided over by Dr. Mohammad Hafez Ghanem, Deputy Prime Minister for Soical Development, was devoted to Educational Reasearches.

During this session, Dr. Abdullah Madaly of the Philippines spoke on "The teaching of the Muslim Child and Economy", Dr. Masud Hussein, Vice Chancellor of Jamia Millia Islamia, New Delhi, on "The Relevance of Educational Systems to social, Economic and Cultural Needs of the Muslim Countries" Dr. A. M. Khusro, Vice Chancel-

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة التاسعة والأربعون — غرة شعبان سنة ١٣٩٧هـ — يوليو سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

العـودة إلى الإيمان

للدكتور عبد الودود شلبى

ماذا بقى من الحضـارة الغربية غير القنبلة والمدفع، والقلق والخوف والحيرة والشك ؟ ؟

منذ أكثر من شهر كتبت احدى المجلات الأسـبوعية تعليقـا تحت صورة لجماعة من الشـباب تقول فيـه :

فى مكان ما .. اجتمع أكثر من أربعين فتى وفتاة يرجون الشـفاء من أمراضهم النفسية .. وقد حلق الجميع رءوسهم بلا استثناء .. ومن بين هؤلاء وقف شاب يتقلص ويصرخ ويحرك قبضـته فى الهواء فى كل اتجاه .. أنا لا شىء .. اننى أخاف من كل شىء .. أكره كل شىء حتى والدتى .. أنتم يا من فـوق .. أريد أن أسحقكم .. انها لمتعة أن أدوسكم .. !

وفى الصفحة نفسها من المجلة خبر غريب يقول :

مجلتان ظهرتا فى أميركا هذه الأيام .. أما المجلة الأولى فاسمها « عالم عنيف VIOLENTWORLF » وأما المجلة الأخرى فقد اختارت لنفسها اسم « السفاح » ASSASSIN أما لماذا ظهرت هاتان المجلتان فلأن الناس ــ كما تقول مجلة العنف ــ يشعرون بالملل ، ولذلك يبحثون عن الشىء الذى يفتح شهيتهم على الحياة من جديد .. فتح الشهية بالعنف والقتل !

* * *

تناقض وتخبط ، ومن شقوة الانسان فى هذا العصر كما يقول الدكتور « الكسى كاريل » فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » : أن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود فى الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة ، ولكنهم فى الوقت نفسه يهملون البحث فى الوصول الى علاج لهذه العلل . وقد دمر هذا التناقض الانسانية تدميرا .. فالأجسام تحت الملابس البراقة أحوج ما تكون الى الهدوء والسكينة ، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة مصابة بالدسائس والكراهية .

ولكن كيف حدث ذلك ؟

يجيب « ول ديورانت » الكاتب الأميركى المتفلسف على هذا السؤال قائلا :

« .. لأن ثقافتنا اليوم سطحية، ومعرفتنا خطرة .. لأننا أغنياء فى الآلات فقراء فى الروح ، وقد ذهب اتزان العقل الذى نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الدينى ، وانتزع منا العلم الأسس السامية لأخلاقياتنا .. اننا نطوف بسرعة مذهلة حول الأرض ، ولكننا لا نعرف أين نذهب ، اننا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التى أسكرتنا بخمر القوة . ولن تنجو منها بغير الحكمة » .

* * *

لقد أوشكت سفينة أوربا على الغرق ، صرح بذلك « توينبى » ومن قبله أعلن ذلك « برناردشو » وتنبأ غيرهما بهذه النهاية التى توشك

أن تبدأ ! والأمل الوحيد فى الخلاص أن تبحر هذه السفينة الى الشرق..

ولكن أى شرق هذا الذى يجب أن تتجه اليه أوربا ؟

فى كتـاب « أوربا والاسلام » يقـول الامام الأكبر عبـد الحليم محمود :

فى سـنة ١٩٤٨ كنت مع أحـد العلمـاء الأمريكيين نطوف بأرجاء الأزهر معهدنا العتيق ، وبينما نحن على وشك الخروج علمت أن بعض أعضاء لجنة الفتوى موجودون فى مقر انعقاد هذه اللجنة ، فحـدثت هذا الأستاذ الأمريكى عن « لجنة الفتوى » ورسـالتها . فرغب فى زيارتها ، والتعرف على أعضائها.. دخلنا القاعة . فكان فيهـا المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم، والمرحوم الشيخ العنـانى ، وبعد التعـارف والتحيـة خاطب العـالم الأمريكى فضـيلة الشيخ عبد المجيد سـليم قائلا :

ان الغرب الآن فى حالة روحيـة قلقـة ، ومن الممكن أن يتجـه الى الاسـلام ، ولكن من المحتمـل أن يتجه الى صوفية الهند . فهل أعد الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحـو الاسلام ؟

وكان السؤال مفاجئا أو مربكا ؛ ولكن فضـيلة الشيخ عبد المجيـد أجاب وفى أسلوب دبلوماسى لبق : اننا بصدد البحث والدراسة !

❋ ❋ ❋

وسـواء أكانت اجابة المرحـوم الشيخ عبد المجيد سـليم لباقة أم حقيقة . فنحن المسلمين.. لم نبذل جهدا تجاه هذه القضية المهمة ؟ ومحاولتنا فى هذا السبيل « باهتة » بالرغم من كونهـا بدائيـة .. ومتواضعة ..

لقد حدث بالفعل ما تنبأ به العالم الأميركى ، فعلى الرغم مما نسمع به كل يـوم من دخـول الكثيرين فى الاسلام ، الا أن هذه الظاهرة لم تأخـذ حجمها الطبيعى فى الحركة والنمو ، ولم تقم الهيئات الاسلامية فى هذا المجال بدورها المرجو ، ففى شـارع أكسـفورد سـتريت OXFORID. st شاهدت عشرات من الشباب يعبرون هذا الشـارع الرئيسى فى قلب لندن وقد حلقوا

رءوسهم على طريقة الرهبان البوذيين ثم جلسوا على الأرض بعد ذلك فى هيئة توحى بالتأمل والفكر . وفى مطار بومباى التقيت بطائفة من هؤلاء الشبان الذين قدموا من الولايات المتحدة أملا فى الحصول على الطمأنينة والأمن، وفى حديث مع واحد من هؤلاء الشبان قال هذا الشاب واسمه « كلارك » :

انتى سئمت حياة الملل والقلق.. أشعر انى غريب فى هذا العالم وقد تركت دراستى فى الجامعة لأنعم بلحظات من الهدوء والسكينة لم تعد تبهرنى تلك الحضارة الزائفة وقيمها المادية اننى أشعر بالاختناق واليأس داخل حجرتى المكيفة .. ولا أكاد أفرق بين الوحوش والناس فى الشارع أو الجامعة ..

* * *

فماذا يجب على المسلمين تجاه هذه الظاهرة ؟

فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى أقطار كثيرة من أوربا توجد بعض الهيئات والجماعات الاسلامية هناك منظمات شبه رسمية ،وهيئات شعبية ، ومراكز ثقافية.ولكن الدور الذى تقوم به هذه الهيئات والجماعات لا يزال محدودا ، والامكانيات البسيطة التى فى يدها لا تسمح بنشاط أكثر مما تقوم به حاليا ، والصراعات « الشخصية » بين « البعض » من هؤلاء تدمر كل عمل مخلص تدميرا .

ولانقاذ الملايين الحائرة فى أوربا وأميركا ، فانه من الواجب على الحكومات الاسلامية أن تتناسى « ذاتيتها » فى هذه المرحلة ، وأن يعمل الجميع للاسلام يدا واحدة ، وأن يوقن كل مسلم أن أى تقدم فى هذا الميدان انما هو تقدم للاسلام « دينا » ، وللبشرية عموما ، وللمسلمين خصوصا .

ان قيام منظمة اسلامية تشترك فيها كل الدول ، وتتضافر فيها الجهود لخير العمل ، ويسهم فيها كل مسلم بحظه من المال أو الجهد، ويتعاون فيها الجميع باخلاص وصدق . هذه المنظمة ان قامت ستكون حدثا يؤرخ به ، وتحولا

كبيرا نحو الاسلام الذى يحث الناس عنه .

فى أميركا وأوربا ظهرت حركة جديدة يتزعمها رجل هندى يدعى « المهاريشى » هذا « المهاريشى » استطاع فى فترة وجيزة أن يؤسس لحركته جامعة ، وينشىء باسمها اذاعة ، ويصدر العديد من الصحف والمجلات الأنيقة فكيف بالمسلمين وهم خيرأمة ؟ وكيف بالاسلام وهو دين الفطرة ؟ وكيف بالعرب وهم أصحاب الدعوة ؟

* * *

يقول سير بودلى Bodley :

لقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق فهم بوصفهم « مسلمين » يؤمنون بالقضاء والقدر ، وقد ساعدهم هذا الايمان على العيش فى سلام ، وأخذ الحياة مأخذا سهلا هينا . فهم لا يتعجلون أمرا ، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقا . يؤمنون بأن « ما قدر يكون » وأن الفرد منهم « لن يصيبه الا ما كتب الله له » وليس معنى هذا أنهم يتواكلون ، أو يقفون فى وجه الكارثة مكتوفى الأيدى .. كلا ؟

ودعنى أضرب لك مثلا .. هبت ذات يوم عاصفة عاتية ، وكانت العاصفة شديدة الحرارة ،وأحسست من فرط القيظ كأننى مدفوع الى الجنون ، ولكن العرب لم يشكوا اطلاقا ، فقد هزوا أكتافهم وقالوا كلمتهم المأثورة « انه قدر مكتوب » .

لكن بعد أن مرت العاصفة ، اندفعوا الى العمل بنشاط كبير . فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودى القيظ بحياتها ، ثم ساقوا الماشية الى الجنوب نحو الماء . فعلوا هذا كله فى صمت وهدوء دون أن تبدو من أحدهم شكوى . لقد قال رئيس القبيلة الشيخ :

لم نفقد الشيء الكثير . فقد كنا نتوقع أن نفقد كل شيء ، ولكن حمدا لله وشكرا .. لدينا نحو أربعين فى المائة من ماشيتنا ، وفى استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد ..

لقد أقنعتنى الأعوام التى قضيتها فى الصحراء بين الأعراب الرحل . ان المتاثين ومرضى النفوس ، والسكيرين الذين تحفل بهم أوربا وأمريكا ما هم الا ضحايا المدنية.. انتى لم أعان شيئا من القلق قط وأنا أعيش فى الصحراء .. بل هناك فى جنة الله ، وجدت السكينة والقناعة ، والرضا ولا زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله نموذجا ومثلا ، فأقابل الحوادث التى لا حيلة لى فيها بالهدوء والامتثال والسكينة . ولقد أفلحت هذه الطباع التى اكتسبتها من العرب فى تهدئة أعصابى أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير ..

* * *

مرة ثانية.. لقد أوشكت سفينة أوربا على الغرق .. تحطمت مجاديفها البالية واحترقت ، والأمل الوحيد فى انقاذها أن تبحر الى الشرق .. شرق « الاسلام » دين الفطرة ، وشرق « المسلمين » خير أمة ، وعلى العرب والمسلمين أن يعوا هذه الحقيقة ، وأن يكونوا ــ قبل أن يقولوا ــ قدوة وأسوة !!!

د . عبد الودود شلبى

سمع عمر سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه : عش الرجل ، فعشاه ، ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل ، فقال : قد عشيته ، فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال : لست سائلا ، ولكنك تاجر ، ثم اخذ المخلاة ، ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال له : **لا تعد .**

نظرات فى كتاب الله

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

آيات من سورة مريم

قصة تجلت فيها معانى الاعجاز والبلاغة القرآنية وجمال البيان والتعبير ودقة الوصف والتصوير فى أروع مظاهرها ، قصة تجلت فيها رقة العاطفة الانسانية وخلجات النفس البشرية التى تشفق على الحياة وتحرص على بقاء الذكر ووجود الوارث واستمرار النسل — الذى لا يستغرب من الانسان ولا يلام عليه — حتى كأنك تسمع فى هذه الآيات دقات القلب وهواجس الضمير ، قصة تجلت فيها الانسانية الحساسة الضعيفة والنبوة الكريمة القوية جواراً بجوار وجنبا بجنب ، فجاءت تصويرا صادقا ناطقا لنبى انسان ، أو انسان نبى ، وأصبحت قطعة أدبية لا نظير لها فى آداب الأمم ، وفيما عرفه الانسان من بلاغة وبيان لأنه « تنزيل من حكيم حميد » وجاءت حلاوة الجرس وجمال النغمة ورقة الألفاظ فزادت جمالا الى جمال وطابقت روح القصة وموضوعها .

انسان أكرمه الله بالنبوة وحمله أمانة الحياة وأمانة الشرف الذى ورثه كابراً عن كابر وأمانة الرسالة الكريمة ، وابتلى بجفاء الأقران وظلم الاخوان ، ولم يزل يتحمل كل ذلك فى قوة وجلد وصرامة حتى طعن فى السن ودخل فى المرحلة التى لا يطمع فيها الانسان فى حياة طويلة ويلتجىء فيها الى مؤنس ورفيق والى خليفة يبقى به ذكره وتعيش به رسالته ، وقد شاهد النبى زكريا — الذى نقرأ قصته فى هذه الآيات فى حياته ما ينذره بقرب الرحيل

وانقطـاع العمر وهو نذير الشيب الذى أوهن العظم وبيض الشعر .
هناك هاجت العاطفة الانسانية التى يقـودها الاشـفاق على الرسـالة والخوف من الضياع وهو رجل وحيد فـريد ليس له ولـد يأنس اليـه ولا خليفة يعتمد عليه ، وكم ضاعت الأمانة بموت أصحابها وفقدان من يقوم بها ويحدب عليها ــ فدعا ربه أن يرزقه ولدا تقر به عينه ويحمل رسالته ، ولـكنه ــ لمـا أراد أن يدعو ــ خاف ، أن يسـخر منـه أقاربه ومن حوله ممن لا يخافون الله ولا يعرفون قدرته ولا يعرفون سمو عاطفة زكريا وشرف غرضه ، يضحكون لأنه يدعو للولد فى هذه السن العالية التى لا يولد فيها ــ لمثله ــ عادة ، انه خاف السفاهة والشماتة ، وقديما خافها الأنبياء الكرام والرجال العـظام ، وقـد قال النبى هارون « فلا تشمت بى الأعداء » ، فدعا ربه فى احتراس واسرار ، ولكن فى جد واصرار : « اذ نادى ربه نداء خفيا » ، انه كان يشعر أنه تقدم فى السن ، ودلت القرائن والآثار على أنه سـيغادر الدنيا من غـير عقب وخليفة ، ولكنه واثق بقدرة الله ، مؤمن بأن الله على كل شىء قدير ، انه قرأ قصـة ابراهيم فى التوراة وكيف رزق الولد فى سن أعلى من سـنه وكيف قال لمـا بشر بالولد « أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون » وهـكذا قال زكريا « رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا » لقد تجلت فيها العاطفة مع العقل والعلم ، والحب مع الايمـان واليقين فكان خـير دعاء يدعو به عبد يؤمن بقدرة ربه .

ولم يكن مجرد دعاء رجل لا هم له الا فى الولد ، بل هو دعاء نبى يحب أن يكون له ولد يحمل أعباء دعـوته ووراثـة آبائه الصـالحين « يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

ولمـا بشر باجابة الدعاء هاجت فيه الانسانية وتجاربها ، قال : «رب أنى يكون لى غـلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

وطلب على هذا الحادث الغريب آية يعرف بها قرب وقوعه ويزداد بها ايمانا ، فمنح آية عدم القدرة على الكلام ثلاثة أيام ، ومن قدر على سلب قوة يملكها الانسان قدر على منح قوة لا يملكها الانسان .

وهكذا كان حتى احتاج الى الحديث الى قومه بالاشارة .

وجاء يحيى الولد البار الرشيد الذى أكرمه الله بالعلم والحكم فى الصبا ، والحنان والزكاة والتقوى والبر فى الكبر .

وهكذا تنتهى هذه القصة الجميلة البليغة لتبتدىء قصة أخرى وليؤمن الانسان بقدرة الله وفضله .

مجتمع فى فرد وامة فى نفس واحدة

« قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

(سورة المؤمنون /١-١١)

قد مرت بكم فى الآيات صورة انسانية ، صورة تزخر بالحياة ، وتزهو بالصفات ، وتفتن بالملامح والقسمات ، فبالله هل رأيتم صورة فى التاريخ وفى الشعر والأدب وفيما حولكم أجمل وأكمل من هذه الصورة التى مرت بكم آنفا ؟ !.

انها صورة انسانية تجمع بين الفضائل الخلقية والمكارم الفردية والاجتماعية التى لا تجتمع فى انسان أو فى جماعة ــ الا فى النادر حتى اعتقد كثير من الناس حتى من علماء النفس والأخلاق أنها أضداد وضرائر ، قوة فى ايمان ، وخشوع فى العبادة ، واعراض عن اللغو ، ومواساة للفقراء وعطف على الضعفاء ، وعفة عن المحارم ، واقتصار على التمتع المباح ، ووقوف عند الحدود ، ورعاية للعهد ، وحفظ للأمانة ، ومحافظة على العبادات والواجبات فياله من فرد يتصف بهذه الأوصاف كلها ، انه

مجتمع فى فرد ، وأمة فى نفس واحدة .

وتصوروا الفرد الذى يتصف بهذه الصفات فى واقع الحياة ، تصوروا رجلا اذا قام أمام ربه خشع ورق قلبه فعيناه تهطلان دمعا ولسانه يفيض ذكرا وشكرا ، واذا خرج من المسجد وصادف فى طريقه لغوا ــ وما أكثره فى الحياة ــ أعرض عنه فى حياء وكبر نفس ، سخيا بذات يده على الفقراء ، ضنينا بنفسه وشهوته على ما لا تحل له من النساء ، ثابتا راسخا فى فتنة المال والجمال اذا وسدت اليه الأمانة فى الأموال والأعراض والحكم والولاية ــ فكلها أمانات ــ لم يخن فى أمانته ، واذا وعد أو عاهد لم يغدر بذمته ، واذا هتف هاتف ربه أسرع الى اجابته ، فكان فى كل حق من حقوق الله وحقوق العباد ، قويا أمينا ، نشيطا .

وتصوروا مجتمعا يتكون من هؤلاء الأفراد ، يتكون من أصحاب الايمان واليقين ، من العباد الخاشعين ، والأغنياء المحسنين ، والأقوياء الزاهدين ، والقضاة العادلين ، والولاة الصالحين ، ، كل فرد فيه قائم بحقه واقف عند حده ، خاشع أمام ربه ، ناصح لاخوانه ، ألا يسعد هذا المجتمع ولا يسود عليه السلام والهدوء والسكينة ، ولا ينجو من مهالك الدنيا والآخرة؟ انه مجتمع مثالى قد بلغ ذروة السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وان من يتصف بهذه الصفات الكريمة التى تجمع بين الايمان والعمل يدخل الجنة بسلام ويحل منها المحل الأعلى « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

ثم ذكر الله مبدأ خلق الانسان ، وما مر به فى وجوده ونشأته من أدوار وأطوار من الطين الى الجنين ومن ماء مهين ، والى انسان كامل مبين ، ثم ما ينتهى اليه بعد اتمام دورة الحياة ثم البعث بعد الممات ، كل ذلك مما يدل على عجز الانسان وضعفه وفقره وضآلته ، وقدرة الله وقوته ، وحكمته وعجائب صنعه ، حتى لا يغتر بنفسه وفضائله ويعلم أن كل ذلك صدقة من ربه ، وجود منه على عبده ، فلو شاء جرده من هذه الفضائل

كلها كما فعل بكثير من عباده ، « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » .

وأضاف الى ذلك ما ذكر من بدائع خلقه ولطائف صنعه من انزال الأمطار ، وانشاء الجنات والأشجار ، وخلق الدواب والأنعام ، وما وضع فيها من منافع ، ليكون أدعى للشكر وأدعى لمعرفة الله سبحانه وتعالى ، والخضوع أمامه .

الله نور السموات والأرض

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »
(سورة النور / ٣٥ ــ ٣٨)

ان الآيات الجميلة الرائعة التى سمعتموها تحدثنا عن هذا الكون الذى نعيش فيه ونهيم به حبا وغراما ، فى أسلوب جديد أسلوب الوحى الالهى ، أسلوب الأنبياء المرسلين ، الذين انكشفت لهم الحقائق ، واهتدوا من الكون الى فاطر الكون ، وسعدوا بالمشاهدة واليقين ، ولقد قال قائلهم وقد رأى الشمس تغيب فى الأفق : « انى برىء مما تشركون » ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » وقد قيل عنه : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » .

حدثتنا هذه الآيات عن سر الحياة ، عن سر القوة والحركة والنشاط ، عن سر البهجة والأنس ، عن سر الجمال الفاتن ، عن سر كل

ما فى هذا العالم من حسن وجميل وحى نام .

« الله نور السموات والأرض » هذا هو النور الذى فاض على هذا العالم فأضاء الكون وأشرقت الأرض بنور ربها .

ولكنه نور لا كالنور « ليس كمثله شيء » ولكنه لا يفهم الا بالأمثلة الحكيمة البليغة .. « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة » ولكن هذا النور لا يختص بجهة دون جهة ، وباقليم دون اقليم ، وبجنس دون جنس ، وبوطن دون وطن ، انه فوق الحدود والجهات ، وفوق الأرض والسماوات ، وفوق الشعوب والأمم ، والأجناس ، والأوطان والأنساب والألوان « رب السموات والأرض وما بينهما ، ورب المشارق » .

وهكذا رد على من خصص الله رب العالمين بشعب خاص ، أو بوطن خاص ، وضيق رحمة الله الواسعة وجوده العام فقال — وهو يضرب المثل لنوره — « زيتونة لا شرقية ولا غربية » ، ثم انه فى افاضة نوره وبث خيراته وجوده لا يفتقر الى الأسباب ولا يستعين بالوسائط « يضىء ولو لم تمسسه نار » .

ان هذا النور عام قد عم الكون ، وعم الشرق والغرب ، وأشرق على البر والبحر ، والسهل والجبل ، والحيوان والجماد ، ولكن لا يهتدى اليه الا من فتح الله بصيرته وشرح صدره للايمان فعرف الله معرفة صحيحة ، وتوصل من الكون الى فاطر الكون « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » ، وفكر فى هذا العالم بنور من ربه فوصل الى النتائج الصحيحة وطرب بها « يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ، فالاهتداء الى هذا النور سعادة لا ينالها الا من أدركته العناية الالهية والهداية الربانية « يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

هذه الهداية عن طريق الأنبياء والرسل الذين أكرمهم الله برسالاته وكتبه فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ، ولذلك يقول المهتدون يوم القيامة « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق » .

ويبحث عن كل شىء فى محله ومركزه ، ويبحث عن هذا النور وعن هذه الهداية فى المساجد التى أسست على التقوى ، وأقيمت للعبادة والذكر والعلم ، « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » ولكن الاسلام ، ولكن كتاب الله لا يدعو الى الرهبانية ، انه يدعو الى الاشتغال وأكل الحلال انه يمدح من يجمع بين الدين والدنيا فى الدعاء « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ويجمع بين التجارة والعبادة فى الحياة بحيث لا تلهيه التجارة والصفق بالأسواق عن أداء الفرائض والصلوات وقد سماهم «الرجال» فقال : « يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة » ، ولا تشغلهم زينة الحياة الدنيا ، وصخب الأسواق عن تذكر يوم شديد عسير لابد منه « يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب» .

حكمة لقمان وموعظة الايمان

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك ، الى المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى

السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ، ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولاكتاب منير » .

(سورة لقمان ١٣ ــ ٢٠)

سجلت الصحف السماوية وسجل الأدب الدينى مواعظ دينية كثيرة منها هذه الموعظة اللقمانية التى هى من أبلغ هذه المواعظ وأجمعها ، وقد تجلت فيها حكمة الأنبياء ودعوتهم فى أجمل مظاهرها وأروعها اذن لا غرابة اذا ضرب المثل بحكمة لقمان .

وجه هذه الموعظة والد أكرمه الله بالعقل الحصين والحكمة البالغة التى لا يؤتاها الا الأفذاذ الراسخون فى العلم وقد قال الله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة»، وجهها الى ولده وفلذة كبده فجمعت بين شفقة الآباء وهداية الأنبياء وقد انتقى الوالد الكريم العظيم لولده الحبيب الأثير أصول الحكم وجوامع الكلم ، وفضائل الأعمال ، ومكارم الأخلاق ، فجاءت موعظة فريدة يعمل بها العقلاء فى كل عصر ومصر فينالون سعادة الدنيا والآخرة .

بدأ لقمان فى وعظ ابنه بالنهى عن الشرك وقال فى ايجاز واعجاز « يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » ، ولا أبلغ فى تصوير الشرك وتهجينه من أن يقال: انه ظلم عظيم ، انه وضع العبادة فى غير محلها وتفريط فى حق الله وأى تفريط فى حق الله وافراط فى حق المخلوق فهو مجموع جنايات وجرائم تجمعها كلمة « الظلم » ومن أظلم ممن أعطى حق الله عبيده ، وترك ملك الملوك ، وخضع للذليل المملوك ، فكان كتشبث الغريق بالغريق ، واستغاثة

الرقيق بالرقيق ، وحاجة الفقير الى الفقير ، ولجوء المريض الى المريض .

وقرن الدعوة الى التوحيد بالدعوة الى البر بالأبوين ، ومعرفة حقوقهما ، ولا سيما الأم التى كان جهادها أعظم فى حضانته ونشأته ، « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين » ، وقد حث الله على معرفة فضلهما وشكرهما لأن منتهما أعظم من المخلوق ، « أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » .

ولكن اذا زاحما حق الله وألحا على الشرك ، فلا طاعة لهما ولا كرامة اذ « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ، ولكن لا اهانة ولا ايذاء « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » ، فلا بأس بالبر والمواساة ، وصلة الرحم أما الاتباع فلا يجوز الا لذوى الهداية والمعرفة والانابة الى الله « واتبع سبيل من أناب الى » .

ولما كان الجمع بين البر بالأبوين وبكل من له حق وفضل وبين مفارقتهما ومجانبتهما فى العقيدة وحقوق الله ، فبر بالأبوين من غير اطاعة فى الكفر والاثم ، وثبات على التوحيد وعبادة الله من غير هضم لحقوق الوالدين ، لما كان ذلك مهمة عسيرة دقيقة لا يطلع على زلاتها الا العليم الخبير قال : « الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

ثم ذكر فى هذه المناسبة اللطيفة أن الله هو الجدير بالعبادة واللجوء والسؤال والدعاء ، اذ لا بد لمن يلجأ اليه ويعتمد عليه فى قضاء الحوائج واسعاف المطالب أن يحيط علمه بالدقيق والجليل ويطلع على الضمائر والخواطر ، فقال : « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » .

ثم دعا ابنه الى أمور أساسية فى الدين والأخلاق ، اذا حافظ عليها الانسان وأخذ بها كان عبدا صالحا

وعضوا كريما فى الأسرة الانسانية، منها اقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر والصبر على المصائب ، ومنها التواضع للناس والسداد والاقتصاد فى السيرة والسلوك ، وكل مجتمع سادت فيه الصلاة التى هى حق الله على العباد والتى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر ، وكان أعضاؤه بعيدين عن التكبر والاختيال والاسراف والجفاء ،كان مجتمعا مثاليا ومجتمعا فاضلا كريما يسعد به العالم وتسعد به الحياة •

وختم هذه الموعظة بذكر آلاء الله ونعمه السابغة الظاهرة الباطنة التى توجب الشكر والعبادة والتوحيد وتنشط للعمل بهذه الموعظة المخلصة الرقيقة التى ألقاها عبد مخلص حكيم على ولده العزيز وعن طريقه على « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » •

عروج النبوة وهبوط الجاهلية :

« والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك اذا قسمة ضيزى ، ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، أم للانسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى ، وكم من ملك فى

السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، فأعرض عن من تولى ، عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى » •

(سورة النجم / ١ ــ ٣٠)

ان الدين الذى لم يزل الأنبياء يأتون به فى عصورهم ، وجاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخيرا قائم على اتصال الأرض بالسماء واتصال الشهود بالغيب ، واتصال رسل الأرض برسل السماء وتفتح كوة جديدة للعلم واليقين لا عهد لعلماء الطبيعة والآداب بها ولا سبيل لهم اليها ، هذا الاتصال هو الذى يسميه الله بالوحى والرسالة ، وكان اتصالا يدين له العالم وتدين له الأجيال البشرية فى أعز ماعندها من العقيدة الصحيحة والمبادىء الصالحة والمدنية الفاضلة ، والأخلاق الكريمة ، وأحدث أفضل ثورة وأمثلها وأعدلها وأعمقها وأوسعها فى المجتمع البشرى •

يحكى الله فى مطلع هذه السورة الكريمة البديعة الجميلة التى سميت بسورة النجم ، هذا الاتصال المبارك ، اتصال الرسول الكريم بوحى السماء عن طريق الملك الكريم ويقول مؤكدا : « ما ضل صاحبكم وما غوى » ، ويقول ان الرسالة التى جاء بها لا تقاس على ما انتجته القرائح البشرية والعقول النابغة ، فمصدرها القياس والتجربة ومنبعها الدراسة والممارسة ، ورافعها الهوى والضرورة •

أما الرسالة التى جاء بها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمصدرها الوحى والالهام •• « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » ، فلا يتطرق اليها الشك ولا تبطلها التجارب ولا يعتريها البلى ، ولا تتناقض مع الحقائق ، ولا تفقد حياتها وجدتها فى عصر من العصور •

ثم وصف الله الواسطة الكريمة التى حملت هذه الرسالة الى أفضل البشر بنعوت وصفات فيها الجلال والقوة ، وفيها الروعة والعظمة ، ووصف الجو الذى يكتنف هذا الاتصال بصفات تتصل بعالم الغيب وعالم الروح والملائكة ، وعاد فنفى الوهم والالتباس فى ساعة الوحى وتلقى الالهام ومشاهدة الملائكة والاتصال بعالم الغيب ، فقال : « ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ثم أقبل الى عُبّاد الأوثان وأهل الجاهلية والوثنية فى عصر ظهور الاسلام وقد حرصوا على تخصيص الاناث بالعبادة واشراكها فى الألوهية ، فاللات والعزى ومناة أشهر آلهة الجاهلية العربية وأعظمها اناث ، وآلهة الاغريق القدماء وكثير من الشعوب التى كانت تسكن فى أواسط آسيا اناث ، وقد عرفت واشتهرت كراهة العرب وتذممها من البنات ، حتى شاع وأد البنات فى قبائل كثيرة ، وقد صور القرآن امتعاض العرب الأشراف من بنت تولد تصويرا بليغا دقيقا فقال : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » .

أقبل الى هؤلاء المشركين الذين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا لله البنات ولهم البنين فقال : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى » ثم قال متهكما ساخرا : « تلك اذا قسمة ضيزى » .

وهكذا الوثنية خرافة وتناقض وأسطورة خيالية « ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وذلك لأن الجاهلية تقوم دائما على الأساطير والحكايات والتقاليد والعادات ، والظنون والقياسات ، والأهواء والشهوات ، « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » .

ثم ذكر أن هذه الجاهلية لاتقوم على أساس من العلم واليقين ، انما هى قياس فىقياس وظن وتخمين، « وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » •

وذكر أن فى الناس طبقة لا شأن لها بالمعرفة الصحيحة ، والحياة الباقية ، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، أكبر همها ومبلغ علمها هذه الحياة الدنيا ورفاهيتها ودعتها ومآكلها ومشاربها ، هذه هى الطبقة التى تضيع فيها حكمة الأنبياء وشفقتهم واخلاصهم وتوجههم ، فالأولى الانصراف عنها الى طبقة تبحث عن الهداية ، وتهتم بالآخرة، « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » •

سيرة فى سورة

اذا سئلت هل اشتمل القرآن على صورة مفردة واضحة الملامح والقسمات لحياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطبيعته وتاريخه وخلاصة حياته ؟ •

واذا قيل ان مادة السيرة النبوية وحوادث حياة النبى صلى الله عليه وسلم منشورة مبعثرة فى القرآن فهل جاء ذلك مجموعا مركزا فى مكان واحد ؟ قلت ـ فى غير تردد واضطراب ـ نعم ان سورة الضحى وسورة الشرح صورة ناطقة واضحة الملامح والقسمات وخلاصة بليغة لهذه الحياة الفريدة ، اذا تناولها انسان بشىء من الانشراح والتفسير وفصل ما أجمله القرآن كان ذلك كتابا فى السيرة النبوية من أبلغ ما جرى به قلم ومن أصح ما رواه راو « ولاينبئك مثل خبير » •

لقد كانت بعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية العالمية ـ طلوع الصبح الصادق فى ظلام الليل الغاسق ، وقد كانت كمطلع السحر فى كل يوم يبتدىء كعمود من النور ثم لايلبث أن يتسع ويبهر ضياؤه ويتعالى النهار وذلك هو

الضحى ، وهو تصوير صادق دقيق لما وصل اليه الاسلام ووصلت بفضله الانسانية من الأوج والنبوغ بالتدريج .

وقد كان لهذا الوحى الذى كان مصدر السعادة والاشراق للعالم فترات كانت لتستجم فيها القوى الروحية وتستعيد قوتها وجدتها حتى تستقبل مايفتح الله به عليها من رحمته فى غد بنشاط جديد وتلك حكمة تعاقب الليل الهادىء للنهار الصاخب ، الحكمة التى خفيت على ضعاف العقول فى مكة فقالوا حين فتر الوحى وتوقف بعد وحى غار حراء ، ان محمدا قد قلاه صاحبه فخوطب صاحب الرسالة — صلى الله عليه وسلم — وقيل « ما ودعك ربك وما قلى » وقرر أن مستقبل هذه الرسالة ومستقبل من يحملها الى الانسانية ومستقبل الأمة التى تخلص لها وتجاهد فى سبيلها أعظم وأوسع فى الدنيا والآخرة من أن تقدره العيون الكليلة والعقول الضيقة « وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم صور القرآن الحياة النبوية قبل النبوة فى بلاغة لا بلاغة فوقها واستعرض أدوار اليتم والحيرة والفقر التى مربها هذا الانسان العظيم الذى وجد يتامى العالم وبؤساؤه فى كنفه وتعاليمه حنان الأمومة والأبوة ، وضلال الانسانية سبيل الرشاد وهداية النبوة وفقراء الأمم وصعاليكها عطف الآباء ومواساة الأخوة فقال « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » ثم نبه على أن من شأن من ذاق مرارة اليتم وتعب الحيرة وجهد الفقر أن يشعر بالألم ويعطف على أصحابه .

وجاءت سورة الشرح طرازا آخر من السيرة والصورة ، فقد ذكرت أهم خصائص النبوة وصاحبها الذى ختم به الرسل .

وكل منها عنوان فصل طويل من السيرة وموضوع كتاب ضخم فى التاريخ والتفسير ، قد بدأها الله

بذكر شرح الصدر الذى هو مقدمة العلوم الدقيقة العميقة التى هذه النبوة ومصدر هذه فاضت على العالم ولانظير لها فى التاريخ ومصدر هذه الأخلاق الكريمة التى لا تنبع الا من الصدر الذى شرحه الله وملأه ايمانا وحكمة وحبا ورحمة،ولا يطيقها الا من وسع صدره وقلبه وأشرق بنور الله حتى وسع الانسانية كلها ، ثم ثناه بوضع الوزر الذى أنقض الظهر ، وتاريخ النبوة والاسلام شاهد على ذلك ولا يعرف تأويل هذه الآية الا من قارن بين حياته المكية الأولى والمدنية الأخيرة ، ورأى القوة بعد الضعف،والأنس بعد الغربة ، ورأى الفتح المبين ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، أما رفع الذكر فالعالم بتاريخه وجغرافيته شاهد على ذلك فمن ذا الذى لهجت الألسن والأقلام بالحديث عنه والثناء عليه ومن ذا الذى يدوى العالم باسمه خمس مرات فى كل مكان ، ومن ذا الذى يشغل ذكره الخطباء والمؤلفين الذين لانهاية لهم ، ومن الذى يصلى عليه هذا العدد الضخم وهذا الجم الغفير فى كل عصر ومصر ومن ذا الذى دخل اسمه فى شعار ديانة يدين بها ملايين من البشر ؟ انه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين الأنبياء وقادة الأمم .

اذن فالسورتان خلاصة للسيرة النبوية ومعجزة فى الايجاز والتصوير .

أبو الحسن الندوى

ان تعليم الأدب الأوروبى على الشكل الذى يسود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا فى عيون الناشئة المسلمة . ومثل هذا ـ ولكن الى حد أبعد ـ يصدق على التعليل الأوربى للتاريخ العام ، اذ لا يزال الموقف القديم فيه : « رومانيون وبرابرة » يظهر بجلاء .

الاسلام فى مفترق الطرق . محمد أسد ترجمة د /عمر فروخ

واجب العالم الإسلامى

لتحرير الأرض التى أخرجت البخارى

للأستاذ أحمد حسين

من نعم الله على أن أكتب على صفحات مجلة الأزهر وانى لأشكر من صميم فؤادى كل من كان له يد فى اتاحة هذه الفرصة لى وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فلست أحسب أنه كان من الممكن أن أتشرف بالكتابة فى مجلة الأزهر لولا موافقته ، ثم يجىء الدكتور عبد الودود شلبى رئيس التحرير الذى تفضل بزيارتى ودعوتى لكتابة مقالات لمجلة الأزهر ، وانى له لمن الشاكرين • ولا يتصور متصور ، أننى خرجت عن موضوع مقالى بل لعلى فى صميم الموضوع فأنا أريد أن أحمل أكبر رجل فى الأزهر (من حيث المنصب) ورئيس تحرير المجلة التى تنطق باسم هذه المؤسسة الاسلامية العظيمة (الأزهر) بعض المسئولية التى أريد أن ألفت نظر العالم الاسلامى فى كافة أرجاء الدنيا اليها ، وبخاصة مسلمى البلاد الآتية :

١ ـ تركيا •

٢ ـ ايران •

٣ ـ أفغانستان •

٤ ـ باكستان •

٥ ـ الهند •

واذ كنت أختص هذه البلاد بالذكر فلأن لها حدودا تتاخم التركستان والقوقاز والقرم ، ولكن ذلك لا يعنى تخلى باقى المجتمعات الاسلامية عن مسئوليتها ، كل بحسب قدرتها وامكانياتها وما كان لمجلة غير مجلة الأزهر تصل الى كل هذه المجتمعات من ناحية ، وتلقى أذنا صاغية لمكانة

الاســم الذى تحمــله من ناحيــة أخــرى •

المسلمون امة واحدة :

وأول ما أريد أن أقدمه بين يدى رسالتى الى العالم الاسلامى ، هذا الأصل من أصول المجتمع الاسلامى من أنه على اختلاف أجناسه وألوانه وتباعد أوطانه ، فهو فى نهاية الأمر وطن واحد والمسلمون أمة واحدة:

ــ « وأن هــذه أمتــكم أمــة واحــدة » •

ــ « انما المؤمنون اخوة » •

ويجسد الرسول صــلوات الله عليه هذه الوحدة فى صورة بلاغية لا أحسب أنها سبقت أو لحقت بما يماثلها فى الروعة ، وذلك عنــدما يقول صلى الله عليه وسلم :

« مثــل المؤمنــــين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » •

الحج كتجسيد للأمة الواحدة :

واذا كانت روح العبـــادة فى الشريعة الاسلامية تدور حول هذه الوحــدة فان ركن الحج يجسدها تجسيدا وحسبى أن أشير الى معنى واحد من معانيه عندما طلب من كل مســلم أن يخلع ملابســه ، وكل ما يشعر بجنسيته أو مقامه ومركزه، مكتفيا من ذلك كله برداء أو ازار (على ما نعرف) ، وهــكذا يصبح الناس وليسوا شيئا الا أنهم أمــة واحــدة •

فماذا عن بلد البخارى :

فاذا كان الأمر على هذا الوجه ، فليس باستطاعة مسلم كائنا من كان علا مركزه أو تواضع أن لا يعــرف (على الأقل) ما الذى يجــرى فى قطعــة من أعــز ما ينطوى عليــه المجتمع الاسلامى فى أحشاء آسيا، حيث كــانت فى يــوم من الأيــام سمرقنــد وطشــقند ، من عواصم العلم والحضارة ، لا بالنسبة للعالم الاســلامى فحسب ، بل بالنسبة للدنيــا كلها • وبالنســبة للعــالم الاســلامى فحسبها أنهــا أخرجت صاحب الجامع الصحيح «البخارى» والذى خرج من بــلدة بخارى فى التركســتان ولا يزال قبره هنــاك يشهد أى بلاد هذه كانت ولم يغادر البخارى بلدته الا بعــد أن حصل

من شيوخها على كل المعارف الاسلامية آنذاك والتى جعلته فيما بعد أمام أهل الحديث ، ولست أريد أن أتحدث أو أن أشير الى أسماء أخرى لمعت فى سماء هذه المنطقة ، فالمسلمون كما قدمت ، أمة واحدة وجمهرة من خدموا الاسلام من غير العرب ، نبتوا فى هذه المنطقة وان كنا قد اختصصنا « البخارى » بالذكر فذلك لأنه امام الحديث بالاجماع (فى الشرق الاسلامى على الأقل) ولأن مثواه الأخير لا يزال هناك ، واستمرت هذه المنطقة مركز اشعاع حضارى اسلامى ، حتى بعد أن انحدر المسلمون الى حضيض الضعف والتخلف وما زلت أذكر كيف كانت « السجاجيد » الآتية مع حجاج التركستان تنافس « السجاجيد » التى كانت تسمى « بالعجمى » وكان يطلق على الأولى « سجاجيد بخارى » وتلقيت فى حجتى الأولى هذه (١٩٣٤ م) دروسا فى الحديث على يد عالم تركستانى ، كما كنا تأكل أحسن « خبز » وهو الذى يخبز بطريقة أهل بخارى .

وقد لا يعرف الكثيرون أنه منذ أسابيع فقط توفى فى مصر عالم جليل هو المغفور له « الشيخ الطرازى الحسينى » أحد شيوخ التركستان والذين هاجروا من بلادهم بعد أن استعمرها الاتحاد السوفييتى .

وأنا أذكر ذلك كله ليعلم المسلمون فى مشارق الدنيا ومغاربها، أننا بازاء مجتمع اسلامى ينبض بالحياة الاسلامية ، بل ويشعها فيما حوله ، فاذا كان الروس يعملون جاهدين ليفتنوا المسلمين هناك ويصرفوا الأجيال الصاعدة عن الايمان بالله ، فذلك تصورهم الذى يوهمون أنفسهم أنهم قادرون عليه ولكن هذا الذى يجرى فى روسيا يلقى واجبا على عاتق كل مسلم ولعل أول هذه الواجبات وأبسطها هو معرفة القضية والمعرفة لن تكلف شيئا ولكنها واجب على كل حال أو بالأحرى أول سطور هذا الواجب .

قصة الاستعمار الروسى :

وتبدأ قصة الاستعمار الروسى

لهذه المناطق الاسلامية مع قصة الاستعمار الأوروبى بعامة .

فقد كانت روح الايمان بالقيم والمثل العليا قد انتقلت من العالم الاسلامى الى العالم المسيحى ، فكان أن تدهور المسلمون وعز المسيحيون ، وبدأ عهد الاستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر ، وحيث جابت انجلترا البحار وعبرتها فرنسا وأسبانيا وايطاليا الى افريقيا ، فان روسيا القيصرية قد أخذت نصيبها من حركة المد الاستعمارى عن طريق غاراتها المتكررة على الدول الاسلامية التى تجاورها ، ابتداء من تركيا فى الغرب حتى القوقاز والتركستان فى الجنوب ، واذ كان المسلمون فى حالة انحسار كما قدمنا ، فقد نجحت روسيا القيصرية بثمن باهظ جدا أن تفرض سلطانها على القوقاز والتركستان الى حين ، وقامت الثورة الشيوعية ، وكان أول ماعمله لينين لدعم هذه الثورة أن أذاع بيانا يعلن فيه حق الشعوب الاسلامية فى الحرية ، ولم تكن الشعوب الاسلامية فى حاجة لمن يحدثها عن الحرية والاستقلال فقد كانت قد انتزعت هذه الحرية وهذا الاستقلال بالفعل .

وجاء الجيش الأحمر :

ولم تكد الأمور تستتب للشيوعية ويصبح لها جيش أحمر ، حتى عادت لغزو التركستان بحجة تأييد العناصر التقدمية ضد العناصر الرجعية ، وزعمت روسيا الشيوعية أنها لا تستعمر هذه البلاد ، وانما هى تدخلها فى جنة « التقدم والالحاد » .

ولروسيا ولزعمائها أن يقولوا ما يشاءون ، ولكن ذلك لن يغير من الحقيقة شيئا ، وهو أن مايحدث فى البلاد الاسلامية الواقعة تحت سلطان روسيا هو استعمار من أسوأ وأبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى حيث يعمل من بيده الغلبة والسلطان على ابادة الشعب المقهور لو استطاع الى ذلك سبيلا ، وينسى الروس أن الأوربيين اذا كانوا قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك فى أمريكا فلأن قبائل الهنود الحمر كانت بدائية ، قليلة العدد من ناحية ، وحيث جاء المستعمرون بأعداد أكبر وبحضارة

متفـوقة ، وليس كذلك الحال فى القوقاز والتركستان فهاتان الدولتان جزء من العالم الاسلامى الذى كان وهـج حضـارته هو الذى دفـع بأوروبا الحديثة الى التحضر .

اسوأ انواع الاستعمار :

فأمـا أن ما يجـرى فى الدول الاسـلامية فى الاتحاد السوفييتى هو أشأم وأسوأ أنواع الاستعمار ، فتـلك مسألة لا شـك فيها حيث يفرض الغزاة على المحكومين لا أن ينسلخوا من دينهم فحسب ، بل وأن يستهنـوا هـذا الدين ويحتقـروه فتحـول المسـاجد الى دور لهـو وافساد وفى أحسن الأحوال تحول الى مخـازن وزرائب للماشـية ، ولكن أعظم مساجد سمرقند يظل شامخا يشهد بالحضـارة الاسلامية الزاهرة ، فلا يجـرؤ الروس على هدمه مكتفين بتحـويله الى مسرح للفنون الشـعبية كما يقولون واذا كان هذا ما يفعلونه بحياة القـوم الروحية بحجة أن هذا هو ما تقضى به التعاليم الماركسية ، فان مافعلوه فى شئون التركستان المـادية كاف لفضح خططهم ونواياهم .

فالاقليم الذى كان يطعم نفسـه وكل من حوله بأجود أنواع القمح لم يعـد ينبت حبة قمح واحـدة ، بحجة أنه أصبح مخصصا لانتـاج القطن وأما عن الرؤساء ومن بيدهم زمـام الأمور فـكلهم من الروس الوافـدين من الشمال . ويخـدع الروس أنفسهم متصورين أن القوم قد نسـوا كل شىء عن شخصيتهم وعن ماضيهم المجيـد وأنهم جـد سـعداء بتشرفهم للانتماء للمجتمع السوفييتى ، حيث قص على أحـد الشبان العائدين من روسيا بعد أن تعلموا فيها ، وكان ما يقصه على هو فى معرض التنـديد بانعـدام الأخلاق عند بعض زملائه والذين عنـدما لاحظوا ولع المسـلمين فى جنوب روسيا على اقتناء المصاحف راحوا يبيعونهم كتبا عربية زاعمين أنها مصاحف .

ولعـل ذلك يكشف عن مـدى تمسك هذه الشعوب بدينها .

ويتصور الروس أن الجيل الذى تلقى التعـاليم الشيوعية بمـا فيها من الحاد سـيبقون كذلك وهـو

مجرد وهم وخداع للنفس ، وراية الاسلام عائدة من غير ريب أو شك لتعلو كأعلى ما كانت فى يوم من الأيام .

لا مناص من السعى والجهاد :

ولكن عظمة التعاليم الاسلامية وأنه دين الحياة والحضارة ، لا تتمثل فى شىء قدر تمثلها فى حض الانسان على العمل والسعى والجهاد ، فمع التسليم والايمان العميق ، بأن الله هو خالق كل شىء ، وعالم بكل شىء ، وما استقر فى علمه «سبحانه» فآت لا ريب فيه ، فمع يقين المسلم بذلك فهو مطالب بالسعى والاجتهاد والأخذ بالأسباب لتحقيق مايراه خيرا .

فنحن مع يقيننا الثابت أن الله سوف يحرر البلاد الاسلامية من براثن الاستعمار الروسى ، فنحن مطالبون فى ذات الوقت بعمل الممكن وغير الممكن ليتحقق التحرير ، ولاجدال أن عبء الجهاد الأكبر يقع على عاتق أبناء التركستان والقوقاز فى الدرجة الأولى ، ولكن تقديرنا للظروف التى مروا فيها ، والحاضر الرهيب الذى يعيشون فيه يحتم علينا أولا وقبل كل شىء ، أن نعلن عن هذه القضية ونعرف بها .

لن نكون اقل من اليهود :

واذا كان اليهود قد نجحوا فى ربط قضيتهم بحقوق الانسان ، وجعلوا الهجرة من الاتحاد السوفييتى هى مظهر هذه الحقوق ، فليس أقل من أن ننجح مثل نجاحهم حيث لا نطالب بهجرة المسلمين من بلادهم وانما نطالب بحقهم فى تقرير مصيرهم وهو الحق الذى يزعم الاتحاد السوفييتى بأنه رافع لوائه ، واذا كان تقرير هذا الحق قد يتأخر بعض الشىء ، فلا مناص من أن يترك للمسلمين حق التمسك بدينهم وتعليمهم الدين وممارسته بغير معوقات وحرب من الدولة وانى أرجو أن يصل صوتى هذا الى كافة أرجاء العالم الاسلامى على صفحات مجلة الأزهر الشريف .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

احمد حسين

نبي الإسلام في مرآة الغرب

التحرير

تناول « بو سورث » فى كتاب له بعنوان « محمد والدين المحمدى » ، حياة محمد بالبحث والتحليل فقال :

« وكما كان محمد رئيسا للدولة كان رئيسا للدين أيضا ، أى أنه كان قيصرا وبابا فى شخص واحد ، ولكنه كان بابا من غير مزاعم البابا ، وقيصرا دون أن يكون له جيوش قيصر .

كان محمد فى وقت واحد مؤسسا لأمة ، ومقيما لامبراطورية وبانيا لدين ، وهو وان كان أميا فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا وأخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة فى كتاب واحد ، وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق .

ثم استطرد بوسورث سميث يقول :

« ان أعجب العجائب فى حياة محمد أنه لم يدع قط القدرة على اتيان المعجزات ، فأيما شىء قال انه يستطيع أن يفعله رآه أتباعه وهو يفعله . ولم ينسب أحد منهم اليه معجزة من المعجزات ، بل ان محمدا نفسه حرص دائما على أن ينكر قدرته على اتيانها . أى دليل له مثل هذه القوة على الاخلاص يمكن أن يسوقه انسان ! لقد ظل محمد الى آخر حياته وليس له لقب يعتز به الا أنه نبى مرسل من عند الله ... دون أن يكون له جيش قائم وانه لحدث فريد فى التاريخ أن يؤسس محمد شعبا وامبراطورية ودينا » ..

وفى موضع آخر كتب يقول :

(لقد كان محمد موفقا كل التوفيق ، ولم يحدثنا التاريخ عن مثله ، لقد جمع بين زعامات ثلاث هى زعامة الشعب ، وزعامة الدين ، وزعامة الحكم والسلطان . ومع أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادة ، يقدسه أكثر من سدس سكان العالم .

أليس فى هذا كله معجزة :

انها معجزة المعجزات :

* * *

أما السير وليم ميور فتناول حياة هذا النبى بالبحث والتحليل من جوانب مختلفة ، فعن فترة شبابه كتب يقول :

« بجانب صفاء ذهنه ورقة طبعه عاش جانبا كبيرا من شبابه فى أعماق نفسه . لقد شغلت تأملاته وهواجسه أوقات الفراغ التى كان يقضيها الآخرون فى خلاعة وألعاب شرسة .. أما أخلاقه الطاهرة وتصرفاته المشرفة فمنحته تقدير مواطنيه فلقبوه بالأمين » .

وقد تناول جانبا آخر من حياة هذا الرسول فقال :

(ومن صفاته الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللذان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأنا ، فالتواضع والرأفة والأناة وانكار الذات والسماحة والسخاء تغلغلت فى نفسه فأحبه كل من حوله .

وكان يكره أن يقول: لا ، فاذا لم يتمكن من أن يجيب الطالب لسؤاله فضل السكوت على الجواب . وقد قالت عنه عائشة : انه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا أساءه شىء تبيناه فى أسارير وجهه أكثر من كلامه . ولم يمس أحدا بالضرر الا فى سبيل الله . ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن اجابة دعوة الى بيت مهما كان رب البيت ، واذا جلس الى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخا منه وكبرا . وكانت له تلك الخلة النادرة التى يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار) .

أما علاقة النبى بأصحابه فتناولها السير « وليم موير » قائلا :

كان محمد صديقا وفيا ، أحب أبابكر محبة الشقيق الودود ، وعليا

محبة الأب الرؤوف ومما يذكر أن زيدا الذى كان عبد خديجة كان متعلقا بالنبى تعلقا شديدا لعطفه عليه، حتى أنه فضل البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه وتعلق بأهداب النبى قائلا : لست تاركك ، فقد كنت لى أبا بارا عطوفا . وقد بقيت صداقته بالنبى الى ما بعد موت زيد . اذ عامل أسامة ابنه معاملة فيها اكرام لأبيه .

كذلك كانت علاقته بعثمان وعمر مشبعة بروح المودة والولاء . وكان محمد عليه الصلاة والسلام عادلا مقتصدا فلم يكن يعوزه الرفق بأعدائه اذا مادانوا له بالطاعة . وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته يحمل على البطش بهم بعد فتحها ، ولكنه أصدر عفوا عاما ملقيا ذكريات الماضى بما فيها من سخرية واهانة واضطهاد فى زوايا النسيان. وعامل أعداءه بالاكرام والسخاء ولم تكن السماحة التى أبداها لأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا ، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طوالا وامتنعوا عن الدخول فى طاعته .

وكتب المستر « لين بول » رسالة بعنوان : « محمد صلى الله عليه وسلم» دافع فيها عن هذا النبى الكريم دفاعا صادقا فجاء دفاعه صورة ناطقة بعظمة هذا الرسول وعبقريته . وفى رسالته هذه كتب يقول :

ان كثيرا من كتاب التراجم والسير الأوربيين ، الذين تناولوا الكلام عن سيرة محمد لم يتعففوا عن أن يشوهوا هذه السيرة ، بما أدخلوه عليها من افتراءات وادعاءات كاتهامهم له بالقسوة وارتكاب الموبقات وانهماك فى الشهوات .

أما أنه كان متصفا بالقسوة فتهمة غير جديرة بالاعتبار ، ذلك أننا اذا رجعنا الى التاريخ وحكمناه فى هذه المسألة لتبين لنا أن القسوة لم تكن قط من أخلاق محمد بدليل معاملته للأسرى بعد موقعة بدر وتسامحه مع أعدائه وصبره على

أذاهم وعطفه على الأطفال والمرضى وحقنه للدماء وعفـوه عن أولئـك الذين قضوا فى محاربته ثمانية عشر عاما ــ أظهروا له فيها كل صنوف العداء وأذاقوه فى خلالها كل أنواع الجور والظلم والاضطهاد لقد لبث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عامـا ذاقوا فى خلالها كثيرا من المضايقة والاضطهـاد حتى اضطـر النبى وأصحابه فى النهايـة الى الهجـرة للمدينة التى تقع على مسافة ٢٥٠ ميلا من مكة ولكـن الكفار لـم يتركوهم بل تعقبوهم اليها فوقعت بين الفريقين عدة وقائع كان موقف محمد وأصحابه فيها موقف الدفاع لا موقف المغير ، وأشهـر هـذه الوقائع غزوة بدر التى وقعت على مسافة ٢٢٠ ميلا من مكة و ٣٠ ميلا من المدينة ، وغزوة « أحد » التى وقعت على بعد اثنى عشر ميلا من المدينة أيضـا . والثالثة وهى التى حاصر فيها الأعداء المدينة ليفتكوا بالرسول وأصحابه ..

وظلت رحى الحـرب دائرة بين الرسول وأصحابه مـن جانب وبين كفار قريش من جانب آخـر حتى انتصر الرسول ودخل مكة فاتحـا ظافرا فى موقعة لـم تسفك فيهـا قطرة واحدة من الدماء ، أفلا يعتبر هذا كله دليلا على أن محمدا لـم يكن متصفا بالقسـوة ولا متعطشا للدماء كما يقولون بل كان يعمـل دائما على حقنها جهد المستطاع ؟ !

ولقـد نال محمد تقدير العالـم أجمع وأعدائه بنوع خاص . عندما ضرب للنـاس مثـلا فى مكـارم الأخلاق وأطلق سراح عشرة آلاف أسـير كانوا فى يوم من الأيـام يعملون على قتله والفتك به وايراده هو وأصحابه موارد الهلاك . ولمـا استتب له الأمر وخضعت شبه جزيرة العرب له من أقصاها الى أقصاها . وجاءه « نصارى نجران » اليمانيون بقيادة البطريك لـم يحاول قط أن يكرههـم على اعتناق الاسـلام ، وأمنهم على أموالهـم وأرواحهـم وأمر بأن لايتعرض لهـم أحـد فى

معتقداتهم ولا طقوسهم الدينية وأن تبقى كنائسهم ومعابدهم كما هى يؤدون فيها شعائر دينهم كما كانوا يفعلون من قبل ، بل أكثر من ذلك لم يفرض عليهم أى ضريبة أو جزية فلما توفى الرسول وتولى بعده خلفاؤه الراشدون أبو بكر فعمر فعثمان فعلى ، لم يحاول أحدهم قط أن ينقض عهد الرسول مع أمنهم على أنفسهم ، بل أحسنوا معاملتهم أيما احسان .

كل هذا يكشف لنا عن ناحية من نواحى الرسول وما اتصف به من الصبر واحتمال المكاره والعفو عند المقدرة ويبرهن لنا على أن دعوته كانت خالصة صادقة بقوله :

« لا اكراه فى الدين » ...

التحرير

« الدنيا دار بلاء ، ومنزل قلعة وعناء ، اسعد الناس فيها ارغبهم عنها واشقاهم بها ارغبهم فيها ، فهى الغاشة لمن انتصحها ، المهلكة لمن اطمأن اليها ، طوبى لعبد اطاع فيها ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، واخر شهوته » .

(على بن ابى طالب)

دراسات قرآنية :

لا بقاء لنبوة كاذبة

مسيلمة ومصرعه فى حرب اليمامة

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى :
« ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ٢٠ » .
« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز ٢١ » .
من سـورة المجادلة

البيـان

ليس معقولا أن خالق هذا الكون العظيم ينصر مرجفا كذابا ، يتكلم باسمه ويزعم أنه رسوله ، فلابد أن يخذله الله ويذله ، ويفضح أكاذيبه ويوهن دعوته ، وينهى حياته أسوأ نهاية ، بأن يسلط عليه من يصرعه ، أو يقف لدعوته بالمرصاد حتى تموت أو تكاد ، أليس هؤلاء يحادون الله ورسوله ، ويعادون دعوة الحق التى أرادها أساسا لمجد الدنيا وعز الأخرى ، ومن حاد الله ورسوله وعادى نظامه ودستوره ، فلابد أن يكون فى الأذلين ولو بعد حين ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وكيف يترك الله كذابا يكلم الناس باسمه ، ويبلغهم عنه رسالة موضوعة وفرية مصنوعة ، وهو الذى يقول « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » الآيات ٤٤ ـ ٤٧ من سورة الحاقة .

وجاء فى التوراة أن النبى الذى يفترى على الله يقتل ؛

واذا كانت هذه سنة الله مع الأنبياء المفترين ، فقد حقت على مسيلمة الكذاب هذه السنة ، واليك أيها القارىء الكريم بيان ما كان من أمره ـ :

وفود بنى حنيفة الى المدينة

كان مسيلمة من بنى حنيفة ، وقد وفد على المدينة على رأس جماعة من قومه فى السنة العاشرة من الهجرة واجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأله أن يشاركه فى النبوة فيكون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا فى الحجاز ، ومسيلمة نبيا فى بنى حنيفة ، وكان فى يد النبى صلى الله عليه وسلم عسيب رطب ــ أى جريدة خضراء ــ فقال لهذا الكذاب لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه فرجع مع قومه الى اليمامة ، ودعاهم الى الايمان به ، زاعما أنه شريك فى النبوة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن كلا منهما نبى قومه ، وتكذب لهم بما شاء له هواه ، فاتبعه قومه تعصبا لرجل منهم ، حتى لا يكونوا أتباعا لنبى من قريش ، وقد بلغ من تعصبهم أن رجلا منهم يدعى طلحة النمرى ، جاء مسيلمة وسأله عن حاله ، فأخبره أنه يأتيه رجل فى ظلمة ، فقال : أشهد أنك كاذب ، وأن محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر ، فقتل معه يوم عقرباء كافرا .

قرآن مسيلمة الكذاب

زعم هذا الآفك أنه نزل عليه كتاب من السماء ، فكان يتلو عليهم بعض مسجوعاته السمجة زاعما أنها من وحى السماء ، ومن ذلك قوله فى الضفدع : يا ضفدع بنت ضفدعين نقى ما تنقين . أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين .

ومن ذلك قوله : والمبديات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه ــ الى غير ذلك من هرائه السخيف .

انقلاب المعجزة ضده

جاءته امرأة فقالت له : ان نخلنا لسحيق ــ أى بعيد الاثمار ــ وان آبارنا لجرز ــ أى لا ماء فيها ــ فادع الله لمائنا ونخلنا ، كما دعا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأهل هرمان ، فسأل عن ذلك ؟

فذكر له أن النبى صلى اللـه عليه وسـلم دعا لهم ، وأخـذ من ماء آبارهم ، فتمضمض منه ومجـه فى الآبار ، ففاضت ماء ، وأنجبت كل نخلةفسيلا قصيرا مكمما(١) ، ففعل مسيلمةذلك ، فغار ماء البئر ويبست النخل .

وقال له رجل من بنى حنيفة : ضع يدك على رءوس صغار بنى حنيفةمثل محمد ، ففعلوحنكهم(٢) فأصيب كل صبى مسح رأسهبالقرع وذهب شعر رأسه ، ولثغ كل صبى حنكه (٣) .

مصرعه فى عهد أبى بكر

انتقل الرسـول صلى الله عليه وسـلم الى الرفيق الأعلى فى أوائل السـنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية ، وولى أبوبكر — رضى الله عنه — امرة المؤمنين ، ووجد أمامه أمورا جسـاما تنوء بحملها الشـم الرواسى ، فىوقت غابت فيهشخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عن أفق المسـلمين ، فاهتز كيانهم وزلزلوا زلزالا شديدا .

لقـد وجـد قوما يرتدون عن الاسـلام ، لحداثة عهـدهم به ، وآخرين يمنعـون الزكاة لضـعف ايمانهم ، ورأى مسيلمة الكذاب ، يحاول أن يتسع بدعوته ويقضىعلى الاسلام بعد حدوث هذه الصدوع فى بنيانه .

لكن أبا بكر — عليه رضوان الله — شـمّر عن سـاعد الجد ونهض بالعبء ، مسـتعينا بالله ، ثم بعزم المهـاجرين والأنصـار ، وشـدة شكيمتهم واستماتتهم فى نصرة دين الله ، فبعث بجيوشـه لقتال هؤلاء جميعا فى وقت واحد ، فكتب لهم النصر وعز الاسلام وسطع نوره ، وصدق الله تعالى اذ يقول :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

---

(١) الفسـيل صغار النخل ، ومعنى مكمما له أكمام وهى أوعية الطلع .

(٢) التحنيك مضغ تمر أو غيره ، وذلك فم الصبى به .

(٣) يطلق اللثغ على سوء النطق بالحروف ، وعلى ثقل اللسان .

وكان من أمر أبى بكر مع مسيلمة وقومه بنى حنيفة ، أنه أرسل اليهم عكرمة بن أبى جهل على رأس كتيبة من المسلمين ، ثم عززه بشرحبيل ابن حسنة على رأس كتيبة أخرى منهم ، فلقيهم عكرمة بكتيبته قبل أن يأتيه مَدد شرحبيل ، فانتصر بنو حنيفة ، فقد كانوا فى موقف يتيح لهم هذا الانتصار ، فقد كانوا فى ديارهم وكانوا أربعين ألف مقاتل ، والمسلمون الذين هاجموهم مُغتربون وقليلون ، فلهذا رجحت كفة بنى حنيفة ، فكتب عكرمة الى أبى بكر بما حدث ، فمنعه من العودة الى المدينة حتى لا يبث الوهنَ فى نفوس المسلمين ، وصرفه الى جبهة أخرى ، حيث أمره بقتال أهل عمان ومهرة .

وكان شرحبيل بن حسنة قد وصله الخبر ، فأقام فى الطريق ينتظر توجيه أبى بكر له ، فكتب اليه أن ينتظر حتى يأتيه خالد بن الوليد .

ثم أمر خالدا بالتوجه لقتال مسيلمة وقومه بنى حنيفة ، فى جيش من المهاجرين والأنصار ، فتوجهوا اليهم باليمامة ، وكان عدد المسلمين قليلا ، لكثرة البعوث التى وجهها أبو بكر — رضى الله عنه — الى مواطن الفتن .

وكان المفروض أن ينتفع شرحبيل ابن حسنة بدرس عكرمة ، فلا يهاجم مسيلمة قبل أن يأتيه خالد بجيشه ولكنه تعجل فهاجمه وهو فى منعة من قومه بنى حنيفة الكثيرى العدد والعُدد ، فنكب كما نكب سلفه عكرمة ،

ولما بلغ مسيلمة دنُو خالد بن الوليد ، عسكر بمكان يقال له : عقرباء ، وخرج رجل من أشراف بنى حنيفة يقال له (مجاعة بن مرارة) فى سرية يطلب ثأرا لهم فى بنى عامر ، فأسرهم المسلمون ، فقتلهم خالد — عدا (مجاعة بن مرارة) لمقامه فى قومه — لعله يفيد المسلمين .

وحشد مسيلمة جنوده لقتال المسلمين ، وترك الأموال وراء ظهره ، وخطب فى بنى حنيفة شرحبيل بن مسيلمة يحرضهم على

الثبات ، فقال : يا بنى حنيفة : اليوم يوم الغيرة ، فان انهزمتم تستردف النساء سبيات ، وينكحن غير خطيبات ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم ؟

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة ، وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل ، فقالوا : نخشى عليك من نفسك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا اذا — وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها •

والتقى الجيشان ، ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط ، فانهزم المسلمون ، وتوجه بنوحنيفة الى فسطاط خالد الذى جعله مركز قيادته ، وكان به (مجاعة بن مرارة) أسير بنى حنيفة الذى مر بيان قصته ، وكانت امرأة خالد حارسة له ، أما خالد فكان فى قلب المعركة ، فاستخلص بنو حنيفة أسيرهم (مجاعة بن مرارة) وأرادو قتل زوجة خالد ، فمنعهم (مجاعة) من قتلها ، وقال : أنا لها جار ، فنعمت الحرة ، ثم قال لهم : عليكم بالرجال • ودعوا النساء ، فقطعوا فسطاط خالد ، وكان يوما شديدا على المسلمين •

ثم ان المسلمين تداعوا ، وقال ثابت بن قيس — حامل راية الأنصار — اللهم انى أبرأ اليك مما صنع هؤلاء — يعنى أهل اليمامة من بنى حنيفة — وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء — يعنى المسلمين — ثم قاتل حتى قتل • وقال زيد بن الخطاب أحد زعماء المهاجرين: والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل ، فأكلم الله تعالى بحجتى ، غضوا أبصاركم ، وعضوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً •

وقال أبو حذيفة أمير المهاجرين ، ياأهل القرآن،زينوا القرآن بالفعال، فحمل المسلمون على بنى حنيفة ، حتى ردوهم الى أبعد مما كانوا ، واشتد القتال ، وكانت الحرب حينئذ سجالا ، تارة للمسلمين ، وتارة عليهم ، وقتل أبو حذيفة وزيد بن الخطاب أمير المهاجرين ،

كما قُتِل غيرهما من قراء القرآن الكريم وسواهم .

تغيير اسلوب القتال

لما رأى خالد ما حل بالناس أمر المقاتلين أن يتمايزوا ، بأن يقاتل كل حَىٍّ تحت رايته ، ليتبين للناس القوى من الضعيف ، والشجاع من الجبان ، فكان أهل البوادى على حيالهم ونظام أحيائهم ، والمهاجرون والأنصار كذلك ، واشتد هؤلاء وأولئك فى اللقاء بسبب هذا التمايز ، فما رؤى يوم كان المسلمون أعظم شدة على عدوهم من هذا اليوم ، وسقط من المسلمين وأعدائهم صرعى كثيرون ، وكان القتل فى المهاجرين والأنصار أكثر منه فى أهل البوادى ، لعظم شعورهم بالمسئولية أكثر من مجاهدى البادية .

رجحان كفة المسلمين

بهذه المعركة التى حصل فيها التمايز بين القبائل والفصائل ، وعلت درجة التنافس بين المجاهدين فى نيل شرف الشهادة ، رجحت كفة المسلمين على أتباع مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة ، ولكنهم لم يَحفِلوا بمن سقط منهم — مع كثرتهم — وظلوا مواصلين العزم على المضى فى القتال تعصبا ومنافسة منهم لقريش الذى بعث منهم نبى ، فلماذا لا يكون من بنى حنيفة نبى آخر ، وهم فى نظرهم لا يقلون عن قريش مجدا وحسبا ونسبا ؛ فان كانت قريش من ذرية مضر ، فبنو حنيفة من ذرية ربيعة .

حينئذ رأى القائد المحنك خالد بن لوليد ، أنهم لا يستسلمون الا اذا قتل مسيلمة فصمم على ذلك .

المعركة الحاسمة والنصر

رأى خالد أن هذا القتال الشرس الذى كثرت فيه الضحايا ولم تحسم به المعركة ، ينبغى أن يعدل عنه الى أسلوب المبارزة بين الأبطال ، يريد بذلك أن يستدرج مسيلمة ليخرج له فيقتله ، فدعا بنى حنيفة الى المبارزة ، فكان مسيلمة شديد الحذر على نفسه ، فلذا كان يدفع لخالد شجعان قومه ، فيقتلهم خالد واحدا بعد آخر — والناس جميعا ينظرون

ـ والمسلمون يعتبرون ذلك بشارة بالنصر ، ويعـدونه رافعا لروحهم المعنوية ، ومضعفا لخصومهم •

حينئذ هتف بالمسلمين خالد بن الوليد أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد ، بعد هذه المبارزة البطولية الفذة ففعلوا ، وطارد خالد مسيلمة فـولى أمام خالد مهزوماً وتبعـه أصحابه ، ثم جعـلوا يعيرون نبيهم الكذاب قائـلين : أين النصر الذى وعدتنا به من قبل ؟

فلما سمع منهم ذلك عاد الى ثباته ، وطلب اليهم أن يقاتلوا عن أحسابهم، ثم أمر مَحكَم بنى حنيفـة مناديا ينـادى فى بنى حنيفـة (الحديقة الحديقة) فدخلوها جميعا ، وأغلقوا بابها عليهم ، وكان البراء بن مالك من خيرة شجعان المسـلمين ، وكان يحب المباهاة بنفسه فى قتاله ، لينفث الرعب فى نفـوس الأعداء ، فكان يقول وهو يقاتل قتالا شديدا : الىَّ أيها الناس أنا البراء بن مالك ، فلما دخل بنو حنيفة الحديقة قال البراء ابن مالك : يامعشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقـة ، فلم يفعلوا ، فأقسم عليهم أن يلقوه فيها ، فحملوه حتى أشرف على الجـدار ثم هبط داخل الحديقة واحتال حتى فتـح الباب للمسلمين ، فدخلوا الحديقة عليهم ـ وهم لا يتوقعـون ذلك ، وقاتلوهم قتالا شـديدا ، وتقـدم وحشىٌ مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار، فقتلا مسيلمة الكذاب، فصرخ رجل : قتله العبد الأسود ، فولىَّ بنو حنيفة الأدبار حين عرفوا قتـله ، وأخذهم السـيف من كل جانب •

خالد يتعرف على جثة مسـيلمة

كان مسيلمة يعرف أنه هو المقصود الأول لحملة المسلمين على بنى حنيفة، فكان يخفى نفسه حتى لا يعرف ، ولهذا لم يكن خالد بن الوليد يعرف صورته ، فلما بلغ خالدا مقتله ، أمر باحضار (مجاعة بن مرارة) أمـير بنى حنيفة وشريفهم ـ وقد سـبق الحديث عنه ـ فلما حضر سـار به خالد ، فجعل يكشـف له القتـلى ليدله على مسيلمة ، فمر برجـل جسيم وسيم من القتلى ، فسـأله

خالد ، أهذا صاحبكم ، فقال لا : والله هـذا خير منه وأكرم ، هـذا محكم اليمامة ـ وكان عبدالرحمن ابن أبى بكر قد رآه يخطب ويحرض الناس على قتال المسلمين ، فرماه بسهم فى نحره فقتله .

ثم وقف خالد على رُجَيْل حقير أصفر أخنس ، فقال مجاعة : هذا صاحبكم الذى قصدتموه ـ مسيلمة ـ قد فرغتم منه ، فقال خالد : أهـذا الذى فعل بكم ما فعل .

الحرب خدعة

ومجاعة بن مرارة الذى أسره خالد ، لم يكن رجلا هيِّنا ، فلهذا لم يصرفه المعروف الذى أسداه خالد اليه بالابقاء على حياته ، واكرامه فى أسره ـ لم يصرفه هذا المعروف عن خدمة قومه وخدعة خالد القائد العظيم ، فلقد قال له بعد مقتل مسيلمة وما أصاب قومه من الهزيمة والكوارث : يا خالد . ان الذين انتهيتم منهم هم سَرَعانُ الناس ـ أى أوائلهم ـ وان الحصون مليئة ، فقال خالد لمجاعة: ويلك ما تقول ؟ قال هو والله الحق، فهلمّ لى الصلح على ما ورائى ، فصالحه على كل شىء دون النفوس، وقال : أنطلق اليهم وأشاورهم ، وكانت هذه خديعة ، فلم يكن فى الحصون سوى الشيوخ والنساء والصبيان ، فانطلق اليهم مجاعة وألبسهم لباس الحرب حتى النساء ، وأمرهن أن ينشرن شعورهن كالرجال ويشرفن على الحصون حتى يرجع اليهن ، ثم عاد الى خالد، وأخبره أن القوم لم يرضوا بما صالح عليه ، وأن بعضهم يشرفون على الحصون ، ليبيّنوا لك أنهم منى برآء .

فلما رأى خالد الحصون مليئة ، وأن الحرب قد نهكت المسلمين ـ ولا يدرون ما هو كائن ـ وأن المهاجرين المقيمين بالمدينة والأنصار قتل منهم نحو ثلثمائة وستين ، وأن المهاجرين الذين يقيمون بغير المدينة قتل منهم نحو ثلثمائة ـ لما رأى ذلك ـ تساهل فى الصلح ، فصالحه على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبى ـ وقيل ربعه .

فلما فتحت الحصــون لم يوجد فيها ســوى النســاء والشـيوخ والصــبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى ، فقال : هم قومى ولم أستطع الا ما صنعت .

خسائر بنى حنيفة

كانت خسائرهم بالغة الفداحة ، فقــد خسروا نبوتهم الكاذبة التى كانوا يريدون بهــا السـلطان على غيرهم بما يتمتعون به من قوة فى الرجال ، وكثرة فى العدد ، ووفرة فى المــال ، ورفعة فى الحســب ، وترابط وتماســك ، وخسروا من جنودهم الشجعان فى موقعة عقرباء سبعة آلاف ، وفى موقعة الحديقــة مثلهم ، وفى الطلب نحوا منهم ، عدا ما صالحوا عليه من الذهب والفضة والسلاح والسبى .

ربح المسلمين من معــركة مسيلمة باليمامة :

كان بقاء هذه النبوة الكاذبة فى قوم أقوياء بعد وفاة النبى صلى الله عليه وســلم من أخطر الأمور على مستقبل الاسلام فى الجزيرة العربية وغيرها ، فلذا يعتبر القضــاء على دعوته ودعاتها أعظم مكسب لقضية الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث أخذت طريقهــا بعدُ بدون معوقات ذات بال الى المشارق والمغارب .

وكانت موقعة اليمامة سببا مباشرا لجمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر وعقب وفاته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن القتل قد كثر بها فى حفاظه وقرائه ، فأشار عمر على أبى بكر بجمعه خشــية انقــراض حفــاظه باستشهادهم فى الغزوات المقبــلة ، وما زال يراجع أبابكر فى ذلك حتى شرح الله صدره ، فكلف زيد بن ثابت كاتب الوحى بجمعه ، فجمعه من العسب واللخاف (١) وغيرها : ومن صدور الحفاظ وتم جمعه على أكمل وجه لم يتيسر مثله لكتاب من الكتب السماوية السابقة ، وتحقق

---

(١) اللخاف حجارة بيض رقاق .

بذلك قوله تعالى « انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحافظـون » وكان الناس يأتون زيدا ، فكان لايكتب آية الا بشـاهدى عدل ، وفى عهد عثمان جمع القـرآن على ترتيب السـور كما نقرؤه اليوم ، وكتبت منه عدة نسخ وزعت على الأمصار الاسـلامية ، ولهـذا لم يختلف المسلمون على آية من آيات القرآن الكريم ، فهو مجمع عليه منهم جيلا بعد جيل والحمد لله رب العالمين .

كما أن موقعة اليمامة و نتصـار المسلمين فيها ، ثبتا قلوب المترددين، وأخافا المتربصين ، وذرعا العزة فى القـلوب للمؤمنين « ولله العـزة ولرسوله وللمؤمنين » .

كتاب ابى بكر ووفاء خالد

لمـا علم أبو بكر بما أصـاب المسلمين من بنى حنيفـة ، وأن الله تعالى كتب النصر للمؤمنين ، كتب لخالد أن يقتل رجالهم لمـا فعـلوه بالمسلمين ، ولأن منهم من ارتد بعد اسـلامه ، ولكن كتاب أبى بكر جاء بعـد أن صالحهم على الوجه الذى مر بيانه ، فهذا أمضى صلحه معهم ووفى لهم ولم يَغدِر ، وكتب الى أبى بكر بذلك فأقره على تصرفه هذا! .

العـبرة

وبعد فهذه قصة مجد وكرامة ، وايمان وبطولة تسطر لأبى بكر على صفحات القـلوب ، فلولا وقفتـه الحازمة ضد بنى حنيفة ، لطغوا فى الأرض ، ولعرضوا الاسلام للخطر، بما كان لهم من تجمـع وتعصـب لصاحبهم ، ضد أتباع نبى من قريش التى ينافسـونها فى المجد والشرف والزعامة للعرب .

ولقـد ضـاعف خطرهم جرح المسلمين بفقد الرسول صلى الله عليه وسـلم ، وردة بعض المسـلمين المستجدين ، ومنع بعضهم الزكاة .

وما أثقل العبء على المسلمين بعد انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى ، لقد كان وجوده بينهم وقيادته لهم تبعث فى نفوسـهم الثقة والطمأنينة والشجاعة وانتظار النصر ، اما وقد

لقى ربه ، فانهم يشـعرون بالفراغ الرهيب ، ويجدون فى نفوسهم وهنا لا عهد لهم بمثله ، ولو كان صلى الله عليه وسلم موجودا بينهم فى غزوة اليمـــامة ، لكان النصر أسرع والخســارة أقل ، فان حصـونهم ليست أقوى من حصون خيبر أو غيرها من قرى اليهود التى انهارت أمامه صـلى الله عليه وسـلم بأقل خسارة من المسلمين .

ولقد عرفنا من تجارب الحيـاة أنه لابد من كفاح الشر حتى يزول ، ولابد من قيادة رشيدة وعزم لا يلين ، واتحاد لا ينفصـم ، فان توفر هذا للمسلمين ، وكان لهم ايمان لا تهزه العواصـف ولا تقصـفه الرياح القواصف ، فلن تكون أمة أعزمنهم « والله يقـول الحق وهو يهـدى السبيل » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الكسب الحلال :

ما المـال الا مكسـب الأشراف ان
وفقت فيـه الى رضـــا مولاكا
حصـل به الدارين واكسـب سؤددا
وارغب لربـك ان يـديم نجـاكا
وعليك بالكســب الحـلال فانه
فرض ولا يشـــغلك عن عقبـاكا
فازرع وتاجـر واعملن او اصـطنع
واذا ابيــت فانـــت ما أرداكا
واذكر ســؤالك عنـه كيف كسبته
وعـلام قـد انفقتـه فمســاكا

محمد الخطيب

من مغالطات المستشرقين

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

من الأشياء التى كان يتندر بها المرحوم عباس العقاد فى مجالسه ــ وهى أيضا فى بعض كتبه ــ أن أحد الانجليز المحاربين فى الحرب العالمية الثانية كان يكثر أن يردد فى حديثه أن الشرق شر كله ، وأن الغرب لم ينل منه خيرا ، قط ، وسأله الأستاذ العقاد مرة ان كان متدينا ، فأجاب انه مسيحى يثق فى مسيحيته ، وسأله ثانيا أيرى أن فى المسيحية خيرا ؟ فأجاب بأنها كانت ذات خير كثير . وسأله ثالثا أيعرف فى أى بلد ولد المسيح وعاش وأعلن رسالته ؟

فبهت الرجل ولم يحر جوابا .

لقد فاجأته الصدمة كأنها شئ جديد لم يسمع به من قبل ، بينما هى شىء ثابت مقرر يدركه المسيحيون وغير المسيحيين ، ولكن كثيرا ما يعمى الانسان عن الشيء وهو تحت بصره .

ذكرنى بهذا ما كتبه أحد أساتذة التاريخ فى انجلترا ــ وكتابه يدرس فى عدد من جامعاتها ــ من أن العرب كانوا ذوى خشونة وبأس ، وأن فتوحاتهم قامت على ما كان لهم من البداوة والميل الى سفك الدماء ، ولكنهم لم يشجعوا الحياة العقلية ، وفكرهم فى حقيقته فكر أوروبى نقلوه عن الاغريق والرومان ، بعد أن اتصلوا بهم ، أما قبل ذلك فكان همهم هو المال ، والاكتفاء بما فى القرآن من توجيه نحو الجهاد ، وآية ذلك أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية ، فذهبت بعناصر الفكر اليونانى الأصيل ، ولو بقيت هذه المكتبة لاستفادت منها أوروبا كثيرا فى نهضتها الحديثة .

هـذا موجز ما فى الحديث عن حضارة العرب ، وبعض هذه الآراء مكرور معـاد ، وبعضها خاص به ، أو له فيه تحوير وتحويل .

وأهم ما يعنينى فى هذا الحديث هو استشهاده على عزوف الطبيعـة العربية وعقلية المسلمين العـرب عن المعارف والعلوم ، بل هـو يصف الغزاة بأنهم كانوا كالذئاب الجائعة انقضت على ممتلكات الروم والفرس فنهشت هيكلها البالى ثم استفادت منها ولم تفدها . ولكن هذه المسألة الأخيرة شبعت بحثا وأصبحت تهما جوفاء لا يؤبه لهـا .

أما مكتبة الاسكندرية فقـد أحرقت أكثر من مرة قبل أن يعرف العـرب الاسـكندرية أو البـلاد المصرية .

والمكتبة أنشئت فى عهد بطليموس الأول ، ونمـاها خلفـاؤه ، حتى أصبحت كبيرة وغنيـة بالمؤلفـات الاغريقية ، ولم تكن المكتبة الوحيدة فى البلد ولكنها كانت الوحيدة فى كبرها وضخامتها ، وكانت ملحقـة بجامعة الاسكندرية. وكان البطالسة يسخون فى الانفاق عليهـا ، وكان عهدهم حقـا عهـد تشجيع للعلم والدراسة ، وكان الطلبة يجدون كل ما يساعدهم ويشجعهم على الدرس حتى المـداد والأقـلام والورق ، ومعروف أنه فى هذا الوقت وفـد على الاسكندرية رجال من ألمع علماء اليونان اسما وأبعـدهم شهرة فى العلوم والفلسفة ، وكان هـذا مما يزيد نشاط التيار العلمى وسرعته .

ولكن هذه المكتبة . بكل ما فيها من هذا التراث القيم أحرقت بأيدى الرومان ولم تحرق بأيدى العرب ، أحرقها القائد والامبراطور « يوليوس قيصر » عندما دخـل مصر سـنة ٤٨ ق م ، أى قبل أن يدخل العرب مصر بمـا يقرب من ستة قرون . وشبت بالاسكندرية حرائق أخرى من الأسطول الرومانى التهمت أجزاء كبيرة من البلد بمـا فيهـا المكتبة الـكبرى والمتحف ، وكشـفت الحفريات الحديثة عن آثار هـذه الحـرائق وآثارها البالغـة بالحى المعـروف باسم « كوم الشقافة »

وهو الحى الذى كانت به الجامعة والمكتبة .

وكانت هناك مكتبة ثانيــة تلى هــذه المكتبة ، وربما عرفت باسم « المكتبة الابنة » وهــذه أحرقها الامبراطور ثيــودوسيوس ســنة ٣٨٩ م .

ولم يبــد الرومان بوجــه عام اهتماما بالجوانب العقلية فى مصر ، بل تعطلت الحــركة العقليــة على عهدهم ، واكتفوا بأن اتخذوا مصر مزرعــة تنتج لهم القمح ، وكان عهدهم على طوله عهــد اجــداب فكرى ولم تظهــر حــركة علميــة أو نشاط عقلى ما الا بعد أن دخل العرب هذه البلاد .

هذا : وعمرو بن العاص دخــل مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) ، ولم يكن بالاسكندرية مكتبة واحــدة ذات أهمية ، وكانت مدرســتها فى دور الركود أو الاحتضار ، وهذه لم ينمها العرب لقيامها على الوثنية ثم امتزاج وثنيتهــا بالمسيحية ، أو قيام المسيحية عليها ، وهذا مما ينبو عنه المسلمون حقا ، ولكن لا يعرف التاريخ أنهم أحرقوا شيئا من آثار الفكر التى أدركها عهدهم ، بل ان العهد الذى كتبه عمرو لأهل مصر من أمانهــم على كنائسهم وصلبهم مما يؤكد أكثر أمانهــم على كتبهم ومكتباتهم . وقد كتب عمرو هذا العهد قبل أن يدخل الاسكندرية ــ كتبه وهو ما يزال بفسطاطه . ومع أن الأســطول الرومانى هــدد الاسكندرية بعد فتحها وقامت بها ثورة لم نسمع أن العــرب اعتمدوا على اشعال حريق لغيظ الأهلين أو الرومان ، ولا كان هذا الأسلوب من طبيعتهم فى فتوحاتهم .

وأول من ذكر هــذه القرية هو الرحالة عبــد اللطيف البغدادى ــ الذى كان بمصر بعد الفتح العربى بأكثر من ستة قرون ، ويبــدو أنه اعتمد فيها على سماع أو استنتاج غير جيد ! ؟

وتلقف القصة فى العصر الحديث جورجى زيدان فعرضها فى كتــابه (التمدن الاســلامى) وزكاها بأن رسول الله (ص) كان قــد رأى مع عمرو بن العاص ورقــة من التوراة

فغضب وقال : « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ أما والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى » .

وبهذا رجع جورجي زيدان عما كتبه من قبل ثانيا لاحراق المكتبة على يد عمرو ، اذ رأى في هذا الحادث دليلا على أن المسلمين لا يميلون الى قراءة شيء غير ما في القرآن ؛

وفهم زيدان ليس أقل خطأ عن فهم البغدادى . فالنبى (ص) لم ينه عن مجرد القراءة ، ولكنه يقصر الديانة الاسلامية على منبعها الأصيل الصافى ويخشى عليها أن تلوث بما لوثت به اليهودية من شوائب الوثنية . وقد كان فى قراء الصحابة من قرأ التوراة وحفظ شيئا منها ، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما أمر رسول الله (ص) بعض أصحابه بتعلم اللغة العبرانية .

هذا وتفنيد هذه الفرية مما تعرض له غير كاتب .

والواقع أن مكاتب المسلمين هى التى منيت باتلافها على أبدى الآخرين من غير العرب .

فعندما غزا هولاكو التترى المغولى بغداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٣ م جعلها طعمة لنيران شوت أجسام أهليها . ثم جعل من المكتبات التى بها جسرا على نهر دجلة عبرت عليها جيوشه ، وقد ظلت مياه النهر مسودة من المداد الذى محى فيها فترة طويلة ، وتعرض التراث الاسلامى الذى تكون فى ستة قرون ونصف قرن ونضج واكتمل لأشنع اتلاف وتلونت حركة الفكر العربى وطرق التأليف والكتابة بلون جديد .

وفى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) تعرضت مكاتب المسلمين وكتبهم لمحنة أعنف وأقسى ، على يد حاكمى الأندلس صاحبى التاج الموحد ــ فرديناند وايزابلا ــ ، فغداة طرد المسلمين من أسبانيا ، أشار كاهن القصر باجبار المسلمين على التنصر وتحريم قراءة

الكتب التى بها أفكار أو أصول اسلامية . ولما لم يجد هذا التحريم أشار باحراق مكاتب المسلمين .

وألقيت المخطوطات العربية الكثيرة فى النار ، أوقدت بها الحمامات وأشعلت فيها النار فى الشوارع ، وظلت سماء غرناطة ملبدة بغيوم من دخان الحرائق لعدة أيام ، ووقف الكردينال وصاحبا الجلالة يستمتعون بمناظر اللهب وأعمدة الدخان كأنما كانوا يحرقون جراثيم فتاكة ليحموا الناس أو يستخلصوهم من شرورها ، ! وكم فكرة وقادة وبحث ذى أهمية ، وقواعد علمية أجهد أصحابها فى استخلاصها ذهبت كلها مع هذه النيران .

واذن فالأوروبيون هم الذين سددوا منافذ الفكر العربى اليهم وهم الذين آذوا الانسانية بالحيلولة بينها وبين الاستفادة من مجهود العرب الفكرى !)

وحقا : ان الحضارة تأخرت ثمانية قرون بخروج العرب من أوروبا ، وما فعله هؤلاء من احراق مكاتب المسلمين كان ولا ريب احراقا للحضارة والقيم الانسانية .

ولمن شاء أن يوازن بين هذا المسلك ومسلك عمرو وخلفاء عمرو فى مصر ، أو مسلك أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فى فتوحهما ، وما أعطيا أهل دمشق وحمص من عهود الأمان ومدى وفاء كل من هؤلاء بما عاهد عليه .

ويعرض الباحث الأوروبى لكل هذه الأحداث مرا عاجلا سريعا ولا يرى فيها ما يصم التاريخ الأوروبى ، بينما يقف بتمهل وأناة أمام نبأ عارض لا أساس له ! ؟

د. عبد الجليل شلبى

قال عمر رضى الله عنه :

اخوف ما اخاف عليكم شح مطاع ، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه .

موقف المسلم من مشكلات الجن

لفضيلة الدكتور يحيى هاشم

نتناول فى هذا البحث :

١ ـ الاعتقاد فى وجود الجن .
٢ ـ ابليس بين الملائكة والجن .
٣ ـ القرين .
٤ ـ الجن وهل هم مكلفون ؟
٥ ـ طبيعة الجن .
٦ ـ رؤية الانس للجن .
٧ ـ تشكل الجن .
٨ ـ دخول الجن بدن المصروع .
٩ ـ وسوسة الجن للانس .
١٠ ـ رسالة الشيطان .
١١ ـ حدود الجن فى علاقته بالانسان .
١٢ ـ المنهج الاسلامى فى الاعتصام من الجن .
١٣ ـ خطأ المنهج غير الاسلامى فى الاعتصام من الجن .
١٤ ـ لبس الجن وحده مصدر المتاعب النفسية .

وقع الاجماع بين المسلمين على أن الجن موجود :

قال امام الحرمين ، من أعلام أهل السنة :

(والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع اجماع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين ، والاستعاذة بالله من شرورهم .

ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين .

ثم قال : فمن لم يرتدع بهذا وأمثاله فينبغى أن يتهم فى الدين ويعترف بالانسلال منه .

على أنه ليس فى اثبات الشياطين ومردة الجن ما يقدح فى أصل من أصول العقل وقضية من قضاياه... وانما يستبعد ذلك من لم يحط علما بعجائب المقدورات . وقولهم فى الجن يجر الى انكار الحفظة من الملائكة عليهم السلام . ومن انتهى بـه المذهب الى هذا وضح افتضاحه) (١) .

وقال القاضى عبد الجبار ، من أعلام المعتزلة :

(والذى يدل على اثباتهم آى كثيرة من القرآن تغنى شهرتها عن ذكرها .

وأجمع أهل التأويل على مايذهب اليه من اثباتها بظاهرها .

ويدل أيضا على اثباتهم ما علمناه باضطرار من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتدين باثباتهم .

وما روى عنه فى ذلك من الأخبار والسنن والدلالة على اثباتهم أشهر من أن يشتغل بذكرها) (٢) .

وقال الشيخ أبو العباس ابن تيمية :

(لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن) .

وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن .

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين .

وان وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد فى بعض طوائف المسلمين ... وان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك .

لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار (٣) .

وقال ابن عقيل : «...والشياطين العصاة من الجن ، وهم ولد ابليس ، والمردة أعتاهم وأغواهم : وهم أعوان ابليس ... » .

---

(١) آكام المرجان للعلامة المحدث الشبلى الحنفى .. ص ٤

(٢) آكام المرجان .. ص ٥

(٣) آكام المرجان .. ص ٥

قال الجوهرى :

كل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان ...

الشيطان.. سمى بذلك كل متمرد لبعد غوره فى الشر ...

وقال القاضى أبويعلى : الشياطين مردة الجن وأشرارهم ..) (١) .

ابليس هل كان من الملائكة ؟ :

ذهب البعض الى أنه كان منهم ، بدليل أن الأمر بالسجود الذى أمر الله به الملائكة انصرف اليه ، ولو لم ينصرف اليه لما كان ملوما .

وأما قول الله تعالى عنه « كان من الجن » ـ فالمقصود به ما كان مستترا فيه من معصية الله تعالى .

أو أنه كان من الملائكة قبيل يقال له الجن ، وأما كونه يتناكح ويتناسل فهذا حدث له بعد المعصية. بعد أن محى من جنس الملائكة(٢).

وذهب آخرون الى أنه ليس منهم.

بدليل قوله تعالى « الا أبليس كان من الجن» ولأن الملائكة لا يتناسلون، وهو يتناسل .

قال الحسن البصرى : لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين(٣) .

ويقرر القاضى عبد الجبار أن ابليس ليس من جنس الملائكة ، وأن الاستثناء الوارد فى الآية جاء على سبيل الاستثناء المنقطع أويقال: انه جمعه مع الملائكة من حيث الحكم المقصود وهو الأمر بالسجود(٤) .

القرين :

روى مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عائشة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه .. فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟ .. فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؛

---

(١) آكام ص ٨

(٢) آكام ص ١٥٤ / ١٥٥

(٣) آكام ص ١٥٥

(٤) آكام ص ١٥٤ ، ١٥٥

فقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم : أفأخذك شيطانك ؟ .. فقلت يا رسول الله : أو معى شيطان .. قال: نعم ، ومع كل انسان ، قلت : ومعك يا رسول الله .. قال : نعم ولكن ربى — عزوجل — أعانني عليه حتى أسلم .

وفى سند آخر فيه سفيان بن عيينه يقول : « فأسلم من شره » (١) .

وفى رواية أخرى (ما من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وأنت يا رسول الله .. قال واياى ولكن الله — تعالى — أعاننى عليه فأسلم) ..

انفرد باخراجه مسلم (٢) .

تكليف الجن :

قال الرازى فى تفسيره :

أطبق الـكل على أن الجن كلهم مكلفون .

وقال القاضى عبد الجبار :

لانعلم خلافا بين أهل النظر فى أن الجن مكلفون ..

وقد حـكى زرقان وغسان فيما ذكراه من المقالات عن الحشوية انهم ليسوا مكلفين (٣) .

وقال الشيخ ابن تيمية — : ... ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة (٤)

طبيعة الجن :

قال القاضى أبو بكر الباقلانى :

(انهم أجسام مؤلفة .. ..

وقـال كثير من المعتزلة : انهـم أجسام رقيقة بسيطة) (٥) .

وقـال أبو الوفـاء بن عقيل فى الفنون :

« اعلم أن اللـه تعالى أضـاف

---

(١) آكام ص ٢٦
(٢) آكام ص ٢٦
(٣) آكام ص ٣٤
(٤) آكام ص ٥
(٥) آكام ص ١٥

الشياطين والجن الى النـار حسب ما أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار » .

والمراد به فى حق الانسان أن أصله الطين وليس الآدمى طينا حقيقة، لكنه كان طينا .

كذلك الجان كان نارا فى الأصل .

... وهم على أشكال ليست نارا .. (١) .

وقال القـاضى أبو يعلى محمـد ابن الحسين بن الغراء الحنبلى :

« الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة، ويجوز أن تكون كثيفة ، ولا يمكن معرفة أجسام الجن أنها رقيقة ، أو كثيفة الا بالمشاهدة أو الخبـر الوارد عن الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلا الأمرين مفقود ..

ثم قـال : على أن الرقـة ليست بمانعة عن الرؤية فى باب الرؤية .

ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودة (٢) ولا نراها اذا لم يخلق الله تعالى فينا الادراك .

رؤية الجن :

وقال القـاضى أبو القـاسم الأنصارى فى شرح الارشاد حكاية عن القاضى أبى بكر :

ونحن نقول انما يراهم من رآهم لأن الله تعالى خلق له رؤية ، وان من لم يخلق له الرؤية لا يراهم .

وقال القاضى عبد الجبار :

ولضعف ابصارنا لا نراهم لا لعلة أخرى ولو قوى الله تعالى أبصارنا أو كثف أجسامهم لرأيناهم .. .. وعلى هذا يرى المعاين الملائكة دون من يحضره ، ويراهم الأنبياء جميعا ويرون الجن أيضا دون غيرهم (٣) .

وقال القاضى عبد الجبار :

ويدل على ذلك ــ أى على رؤيتهم بالتكشيف ــ ما فى القرآن الكريم

---

(١) آكام ص ١٣

(٢) آكام ص ١٥

(٣) آكام ص ١٥ ، ١٦

من قصة سليمان عليه السلام مما يدل على أنه تعالى كثفهم له حتى كان الناس يرونهم •

ثم قال : وأما تكثيف أجسامهم فى غير أزمان الأنبياء فانه غير جائز لأن ذلك يؤدى الى أن يكون نقضا للعادة (١) •

وقال أبو القاسم ابن عساكر فى كتاب سبب الزهادة فى الشهادة :

(وممن ترد شهادته ولا تسلم له عدالته من يزعم أنه يرى الجن عيانا، ويدعى أن له منهم اخوانا •

كتب الى أبو الحسن بن أحمد الحداد من أصبهان أخبرنى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن عبد الرحمن التسترى ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ، سمعت بعض أصحابنا قال التسترى ــ أظنه حرملة ــ سمعت الشافعى يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقول الله تعالى فى كتابه الكريم « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » •

وأنبأنى محمد بن الفضل الفقيه عن أحمد بن الحسين الحافظ أنا أبو عبد الرحمن السلمى أنبأنا الحسن بن رشيق اجازه قال : أنا عبد الرحمن بن أحمد الهروى ، سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعى يقول : من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلت شهادته ، لأن الله تعالى يقول : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » الا أن يكون نبيا (٢) •

حول تشكيل الجن :

قال كثير من الناس : ان الجن انما توصف بأنها قادرة على التمثيل والتصور على معنى أنها تقدر على التخيل وفعل ما يتوهم عنده انتقالها عن صورها ، فيدرك الراءون ذلك تخييلا ، ويظنون أن المرئى شيطان، وانما ذلك خيالات واعتقادات يفعلها الله تعالى عند النظر •

---

(١) آكام ص ٢١

(٢) آكام ص ٢١

فاما أن ينتقل أحد من صورته على الحقيقة الى غيرها فذلك محال (١) .

وروى أبوبكر بن أبي الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان قال : حدثنا أبوخيثمة ، حدثنا هشيم ، عن الشيباني ، عن يسير بن عمرو قال : ذكرنا الغيلان عند عمر ، فقال :

ان أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التى خلقه الله تعالى عليها . ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فاذا رأيتم ذلك فأذنوا .

وحدثنا محمد بن يزيد الآدمى حدثنا معن بن عيسى عن جرير ابن حازم عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيلان ، قال : هم سحرة الجن ..

ورواه ابراهيم بن هراسة عن جرير ابن حازم عن عبد الله بن عبيد عن جابر ووصله ..

وحدثنا محمد بن ادريس ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو شهاب عن يونس عن الحسن عن سعد ابن أبي وقاص قال : أمرنا اذا رأينا الغول أن تنادى بالصلاة (٢) ..

وقال أبو القاسم الانصارى فى شرح الارشاد :

واعلم أن الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصور والأشكال ، كما باين بينهما فى الصفات .. .. ..

فان قلب الله تعالى الملك الى بنية الانسان ظاهرا وباطنا خرج عن كونه ملكا .

وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان لخرج بذلك عن كونه شيطانا (٣) .

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة ، فقيل له : ما بال الأحمر من الأبيض

---

(١) آكام ص ٢٠

(٢) آكام ص ١٩ — ٢٠

(٣) آكام ص ٢١

من الأسود ، فقال : الكلب الأسود شيطان .. .. ..

قال القاضى أبو يعلى : انما قال ذلك على طريق التشبيه لها بالجن ، لأن الكلب الأسود أشر الكلاب وأقلها نفعا (١) .

دخول الجن بدن المصروع :

فيه خلاف بين العلماء .
أنكره طائفة من المعتزلة .

أقره أهل السنة .

وأقره من المعتزلة طائفة : منهم عمرو بن عبيد من أوائلهم ، والقاضى عبد الجبار من أواخرهم (٢) .

والاخبار فى ذلك غير قاطعة ، ولم نعرف منها خبرا صحيحا ظاهر الدلالة ..

فى حركات المصروع وكلامه :

(أكثر الناس يعتقدون أنه كلام الجن ويضيفونه اليه .

ولا دليل نقطع به على أن ما سمع منه كلام له أو للشيطان ؟ ؟

وانما يصار الى أحدهما بتوقيف مقطوع به) (٣) .

الوسوسة :

يقول الله تعالى : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

والوسوسة : الحركة والصوت الخفى الذى لا يحس .

فالوسواس : الالقاء الخفى فى النفس .

والخناس : فعال من خنس يخنس اذا توارى واختفى .

قال ابن عقيل : فان قال لك قائل : كيف الوسوسة من ابليس وكيف وصوله الى القلب ؟

---

(١) آكام ص ٢٢ و ٢٣
(٢) آكام ص ١٠٧
(٣) آكام ص ١٠

قــل : هو كلام على تميل اليه النفوس والطبع .

وهو كالسحر الذى يميل النفس وان لم يكن صوتا مسموعا بالآذان.

قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : « الوسواس الخناس » مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ، وان سكت عاد فهو الوسواس الخناس .

وفى رواية عن أنس بن مالك : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

(ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس ، وان نسى الله التقم قلبه) .

وقال الزمخشرى : كانت الصحابة رضى الله عنهم تقول : ان الشياطين ليجتمعون على القلب كما يجتمع الذبان ، فان لم يذب وقع الفساد .

رسالة الشيطان :

قال العــلامة المحــدث الشبلى الحنفى (والمراتب التى يدعو اليها الشيطان ست :

فالأولى : مرتبة الكفر والشرك ومعاداة الله تعالى ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه .

الثانية : مرتبة البدعة ، وهى أحب اليه من المعاصى والفسوق .

الثالثة : الــكبائر .

الرابعة : الصغائر ، وهى التى اذا اجتمعت أهلكت صاحبها .

الخامسة : الاشــتغال بالمباحات التى لا ثواب فيها .

السادسة : الاشــتغال بالعمــل المفضول عما هو أفضل منه .

حدود الشيطان فى علاقته بالانسان

قال الله تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعــدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعــوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم» (سورة ابراهيم آية ٢٢).

وقال تعالى على لسان ابليــس :

(قال: رب بما أغويتنى لأزينن لهم

فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين •

قال : هذا صراط علىّ مستقيم •

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لا من اتبعك من الغاوين) •

(سورة الحجر١٥ الآيات من ٣٩ ــ ٤٢) •

ويقول تعالى :

(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم •

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) •

(سورة النحل١٦ : الآيات ٩٨ــ ١٠٠) •

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) (سورة الاسراء ١٧ آية ٦٥) ••

وروى مسلم بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ، (ان ابليس قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكن فى التحريش بينهم ••) •

وروى مسلم وأبوداود عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ••) (١) •

أى يقوله لاخوانه •

المنهج الاسلامى فى الاعتصام من الجن:

١ ــ الاستعاذة بالله

يقول الله تعالى: (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم •

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون •

واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) (الأعراف ٧ الآيات ٢٠٠ ــ ٢٠٢) •

ويقول تعالى : (واما ينزغنك من

---

(١) آكام ص ٢٥

الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) (فصلت ٧ الآية ٣٦) .

وفى الصحيحين : أن رجلين استبا عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجه أحدهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد :

ـ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

٢ ـ قراءة المعوذتين :

روى الترمذى من حديث الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما ، قال الترمذى : هو حديث حسن غريب .

٣ ـ قراءة آية الكرسى :

ففى الصحيح من حديث محمد ابن سيرين عن أبى هريرة قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدقت وهو كذوب ، ذاك شيطان ..

٤ ـ قراءة سورة البقرة :

ففى الصحيح من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً وان البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يقربه شيطان .

٥ ـ قراءة خاتمة سورة البقرة :

فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلته كفتاه .

وروى الترمذى من حديث النعمان ابن بشير عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ان الله كتب كتابا أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى بيت ثلاث ليال فيقربه شيطان .

٦ ـ قراءة أول سورة حم المؤمن الى قوله اليه المصير مع آية الكرسى :

ففى الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر ابن أبى مليكة عن زرارة بن مصعب عن سلمة عن أبى هريرة قال ـ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حم المؤمن الى قوله : اليه المصير ، وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح .

٧ ـ قراءة : لا اله الا الله وحده له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة :

ففى الصحيح من حديث سمرة ابن أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: من قال: لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى .

٨ ـ كثرة ذكر الله عز وجل :

ففى الترمذى من حديث الحارث ابن الأشعرى أن النبى صلى الله وسلم قال : ان الله تعالى أمر يحيى ابن زكريا بخمس كلمات :

وذكر الحديث وجاء فيه :

وأمركم أن تذكروا الله تعالى فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سرعان حتى أتى على حصن حصين فأحرس نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى .. الخ .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

٩ ـ الوضوء والصلاة هما من أعظم ما يتحرز به :

وفى السنن : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ .

١٠ـ امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس :

فان الشيطان انما يتسلط على ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة :

ففى مسند أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره لله عز وجل أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه الى يوم يلقاه (١) •

فى بساطة التخلص من الشيطان :

فى رواية للامام أحمد بن حنبل بسنده عن الحارث بن قيس قال : اذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال أنت ترائى ، فزدها طولا •

وفى رواية لابن أبى داود بسنده عن أبى حازم قال : أتاه رجل فقال يا أبا حازم ان الشيطان يأتينى فيوسوس الىَّ ، وأشده عندى أن يأتينى فيقول : انك طلقت امرأتك•

فقال له أبوحازم : أو لم تأتنى فتطلقها عندى ، قال: والله ما طلقتها عندك قط •

قال : فاحلف للشيطان كما حلفت لى •

وروى مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال : قلت : يارسول الله أن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى ، فلبَّسها علىَّ •

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذا أحسست به فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا •

قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى ••

المنهج غير الاسلامى فى الاعتصام من الجن :

بعد أن يصف ابن تيمية الاستعانة على الجن بالذكر والقرآن والاستقامة يقول ــ :

(وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع استعماله ــ ان كان فيه شرك ، فان ذلك محرم ، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك ، وقد يقرءون مع

---

(١) آكام ص ٩٥ ــ ٩٨

ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك .

وفى الاستشفاء بما شرعه الله تعالى ورسوله مايغنى عن الشرك وأهله(١).

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رخص فى الرقى ما لم يكن شركا ، وقال : من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

وفى التطيب والاستشفاء بكتاب الله عز وجل غنى تام ، ومقنع عام ، وهو النور والشفاء لما فى الصدور.

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى غير المفهومة المعنى، لأنها مظنة الشرك ، وان لم يعرف الراقى انها شرك ، ومن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٢) ..

وان اللجوء الى الرقى الغامضة ، أو الى غير المنهج الاسلامى بصفة عامة لهو فى حد ذاته زيادة ارتباط بالشيطان وليس تخلصا منه :

روى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود :

كان نفر من الانس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك هؤلاء بعبادتهم ، فأنزل الله « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (٣).

وروى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . ثم عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ٦ : ١٥٣ » .

ليس الجن وحده :

أما اذا لم تنفع الوسائل التى شرعها الاسلام فى التخلص من المتاعب النفسية ، فهذا قاطع فى أنها ليست من الشيطان ..

---

(١) آكام ص ١١٣
(٢) آكام ص ١٠٤
(٣) آكام ص ١٢٢

وليس الشيطان وحده مصدر الاضلال للانسان •

ولقد بين القرآن الكريم أن الوسوسة نوعان: نوع من الشيطان، ونوع من الانسان ••

يقول العلامة الشبلى الحنفى :

ان قوله تعالى : « من الجنة والناس » ، بيان للذى يوسوس وأنهم نوعان : انس ، وجن •

فالجنى يوسوس فى صدر الانسى •

والانسى يوسوس أيضا الى الانسى •

فالموسوس نوعان : انس، وجن•

وقد قدمنا : أن الوسوسة هى الالقاء الخفى فى القلب ، وهذا يشترك بين الجن والانس •

وقد دل القرآن على أن من الانس شياطين كشياطين الجن لقوله تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ٦:١١٢ » •

ولا يقتصر الأذى الذى يتعرض له الانسان على ما يأتيه من وسوسة الشيطان ، أو وسوسة الناس •

فهناك النفس الفردية ذاتها •

« وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » •

وهنا ينبغى على المرء أن ينتقل من معالجة الشيطان على الوجه الذى بيناه فى المنهج الاسلامى الى معالجة النفس ذاتها على المنهج الاسلامى أيضا •

***

ويتلخص منهج الاسلام فى معالجة النفس فى قوله تعالى :

« والعصر ان الانسان لفى خسر، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» صدق الله العظيم ••

وبالله التوفيق ••

د • يحيى هاشم

أركان اقتصاد الحرب فى الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

ان ارتباط القوة الحربيــة بالاقتصاد فى الاسلام من المبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، بمقتضى التكليف القرآنى بالجهاد بالمال والأنفس ، واتساع مجال القوة الذى ورد مطلقا فى الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ليشمل القوة الاقتصادية مع غيرها من مصادر القوة المادية والمعنوية .

وعملا بهذا التوجيه القرآنى ، فان الأمة الاسلامية تضع اعتبارات الاستراتيجية العسكرية فى حسابها وهى تضع خطط التنمية الاقتصادية . فاذا واجهت تهديدا بالحرب أو هبت للدفاع لرد العدوان عليها كان عليها أن تحول اقتصادها الى ما يسمى باقتصاد الحرب ، حتى يصبح البنيان الاقتصادى قادرا على تلبية مطالب الحرب واحتياجاتها .

ونستطيع أن نستخلص الأركان التى يقوم عليها اقتصاد الحرب فى الاسلام فيما يلى :

الركن الأول :

التخطيط الاقتصادى

يعتبر التخطيط الاقتصادى من أفضل الأساليب العملية للربط بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد بحيث يمكن استخدام الموارد الانتاجية للأمة بسرعة وفاعلية وقت الحرب .. فان مقتضى التكليف بالجهاد بالمال ، أن يكون المال مال الأمة وهى تحارب لدفع العدوان . ومن ثم فان التخطيط الاقتصادى يكفل توجيه المال نحو الأهداف المنشودة لصالح الدفاع عن الأمة وأمنها ، بعيدا عن أشكال الاحتكار أو التنافس على الأرباح أو غير ذلك مما يعيق اندفاع عجلة التنظيم الاقتصادى .

الركن الثانى :

التكامل الأقتصادى للأمة الاسلامية

والتكامل الاقتصادى مطلب بالغ الحيوية لتحقيق أمن الأمة الاسلامية، لأن التكامل يكفل لها الاكتفاء الذاتى الذى هو بدوره مطلب حيوى لبناء القوة المنشودة التى تستطيع أن ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم والتى تستطيع أن تهزمهم لو اعتدوا .

أما اذا لم تحقق الأمة الاسلامية الاكتفاء الذاتى فسوف تصبح تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات السياسة والمصالح العالمية ، ولن تتمكن من بناء قوتها كما ينبغى أن تكون ، وبذلك تكون قد قصرت فى الوفاء بالمهمة التى كلفت بها باعداد القوة التى ترهب أعداءها .

لذلك فالتكامل الاقتصادى هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها فى كل عصر .

الركن الثالث :

العمل وزيادة الانتاج

ان العمل والانتاج من العناصر الأساسية للبنيان الاقتصادى ، وتزيد أهميتهما فى أوقات الشدة والحروب ، حيث تصبح زيادة الانتاج من الضرورات الحيوية التى تفرضها المعركة للأسباب الآتية :

• فى وقت الحرب تتضاعف طلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والأسلحة والوقود وغيرها .

• مطالب القوات المسلحة وقت الحرب لاتحتمل التأجيل أوالتعرض للأزمات أو الاختناقات لما فى ذلك من خطر على نتيجة المعركة ومصير الأمة ، لذلك يستدعى الأمر الاحتفاظ فى المخازن والمستودعات بكميات كبيرة من مختلف السلع والمواد اللازمة سواء للقوات المسلحة أو للشعب عامة .

• فى وقت الحرب تتعرض « أدوات الانتاج » كالمصانع والمنشآت الاقتصادية والمستودعات ووسائل النقل ، للاصابة أو التدمير

من جراء أعمال العدو الحربية الأمر الذى يستدعى زيادة الانتاج لتعويض الخسائر .

• ثم ان أهمية العمل وزيادة الانتاج تزداد وقت الحرب ، لأنه بمقتضى اعلان النفير العام (التعبئة العامة) فان كثيرا من العاملين فى المصانع والمزارع وغيرها من مصادر الانتاج ، يستدعون[1] للانتظام فى صفوف الجيش للقتال ، الأمر الذى يؤثر فى الكفاءة الانتاجية لمصادر الانتاج المذكورة . فيصبح من الضرورى فى تلك الحالة أن تعمل هذه المصادر على سد الفراغ لكى تظل محتفظة بكفايتها الانتاجية ، الأمر

ويتحقق ذلك بالتدريب الجيد للعاملين الجدد ، وبرفع كفاءة جميع العاملين ليتقنوا العمل ويزيدوا من الانتاج الى غير ذلك من التدابير .

ومن أجل تعبئة هذه القوى والقدرات يوجه الاسلام الى الاخلاص فى العمل واتقانه كما فى قوله تعالى :

• « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (الكهف ٧) .

• « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) .

---

(١) تشمل القوة العسكرية لاية دولة ما يسمى بالقوات العاملة والقوات الاحتياطية ، والقوات العاملة (أو النظامية) يكون أفرادها متفرغين تماما للخدمة العسكرية ، وهى الأساس الذى تتألف منه القوات المسلحة فى السلم وعند قيام الحرب ، ويتوقف حجم القوات العاملة على الظروف الاستراتيجية للدولة من حيث مدى تعرضها للتهديد ومدى قدرتها الاقتصادية وغيرها أما القوات الاحتياطية فهى تضم كل فرد أدى خدمته العسكرية فى القوات العاملة وعاد الى ممارسة عمله فى الحياة المدنية ؛ لكنه يعتبر فى سجل الاحتياط لفترة زمنية تحددها القوانين . ويستدعى أفراد الاحتياط فى حالة التعبئة الجزئية أو العامة فى ظروف الحرب للاشتراك فى القتال ، وتعتبر القوات الاحتياطية هى الرصيد الحقيقى لقوة الدولة العسكرية .

• « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف ٢٠) .

• « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » (المزمل ٢٠) .

وكما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

• « من أمسى كالا من عمل يده ، أمسى مغفورا له » .

• « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

• « ان الله يحب المؤمن المحترف » .

وأشاد النبى صلى الله عليه وسلم بالرجل الذى رآه يضرب اللبن فى بناء المسجد النبوى بأحسن ماكان يضربه أخوه فقال : « الزم هذا ، فانى أراك تحسنه ، ورحم الله امرأ أحسن من صنعته » .

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ وقد وجد فى يده خشونة من العمل: « يد لن تمسها النار » وكررها .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه ، مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال الرسول : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على نفسه يعفها فهو سبيل الله ، وان كان خرج رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

وقال عليه الصلاة والسلام « ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » .

كذلك يوجه الاسلام الى التخطيط العلمى الذى هو أساس اتقان العمل وزيادة الانتاج والاستعداد لمواجهة الأزمات ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم فذروه فى سنبله

الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون » (يوسف ٤٧ ــ ٤٩) .

الركن الرابع :
ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف

ان ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف يشكلان الوجه الآخر للعمل وزيادة الانتاج ، فلا يستقيم مع ضرورة العمل ومضاعفة الانتاج أن يكون هناك اسراف أو استهلاك بلا ضوابط .

والاسلام يوجه الى ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف لكى يتوفر للأمة فائض فى الانتاج يمكنها من مواجهة الأزمات التى تتوقع ــ كما ذكرنا ــ فى حالة الحرب ، كما يجنبها آثار الحصار الاقتصادى أو الاحتكارات العالمية .. يقول الله تعالى :

• « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (الاسراء ٢٧) .

• « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الأعراف ٣١) .

• « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (الاسراء ٢٩) .

ويقول الرسول صلّى الله عليه وسلم :

• « ما عال من اقتصد » . أى ما افتقر من لا يسرف فى الانفاق ولا يقتر .

• « القصدَ القصد تبلغوا » . أى عليكم بالتوسط فى الأمور تصلوا الى غاياتكم .

• « التبذير انفاق المال فى غير حقه » .

• « الاقتصاد نصف المعيشة » .

• ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : فيرضى لكم أن

تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، ويكره لكم قيـــل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـال » .

• « كلــوا واشربوا والبســوا وتصدقوا فى غيراسراف ولامخيلة» .

الركن الخامس :
تحريم الاحتكار واستغلال ظروف الحرب :

ويحرم الاسلام احتكار الأقوات واستغلال ظروف الحـرب لتحقيق الأرباح برفع الأســعار والغش فى المعاملات .

ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ولا تشغلهم أعمالهم عن الله فيقول جل شأنه :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصـلاة وايتـاء الزكاة يخافــون يوما تتقلب فيــه القلوب والأبصــار ؛ ليجــزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ؛ والله يرزق من يشاء بغير حساب » (النور ٣٧ ــ ٣٨) .

ويقول الرسول صلى الله عليــه وسلم :

• « التاجر الصديق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » .

• « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » .

• « من احتكر طعاما أربعــين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منــه » .

وفى صحيح مسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة[1] طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا . فقال : ما هــــذا يا صاحب الطعــام ؟ قال : أصابته الســماء يا رسول الله . قال : أفلا جعلتــه فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا » ، وفيه أيضا أن

---

(١) الصبره بضم الصاد : الـكومة من الطعام ، ويقال اشترى الطعام صبره اى جزافا بلا كيل او وزن (المعجم الوسيط) .

رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقول :

•• اياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفـق ثم يمحق » أى يروج السلعة ثم يذهب البركة من كسب البـائع •

وينهى الاسلام البائع أن يسمع المشـترى من الأيمـان الـكاذبة ما يخدعه به ، ويوهمه أن بضاعته لا نظير لها ، وأنها أجود من بضاعة غيره ، وأرخص مما يباع فى جميع الحوانيت والله يعـلم أنه لـكاذب « ويحلفـون على الـكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذابا شديدا انهم سـاء ما كانوا يعمـلون » (المجادلة ١٤) •

محمد جمال الدين محفوظ

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سـالما والقول فيـك جميـل
ولا تـرين النـاس الا تجمـلا
نبـابك دهـر أو جفـاك خليـل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى نكبـات الـدهر عنـك تـزول
يعـز غنى النفس ان قـل ماله
ويغنى غنى المـال وهـو ذليـل

« على بن ابى طالب »

من الفقه المقارن :

حكم قراءة المأموم

لفضيلة الدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

اتفق الفقهاء على أن المنفـرد فى الصلاة يجب عليه أن يقرأ فيها شيئا من القـرآن سـواء أكان الفاتحة بخصـوصها ، كما ذهب اليـه الجمهور ، أم كان الفاتحة أو غيرها من سور القـرآن كما ذهب اليـه الحنفية .

ثم اختلفـوا فى حكم قـراءة المـأموم ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

ان المـأموم يجب عليـه قراءة الفاتحة ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، وسواء أكان يسمع صوت امامه فى الجهـرية أم كان لا يسمعه لبعده عنه أو نحوه ، ذهب الى ذلك الشافعية وبعض الصحابة وبعض التابعين[١] .

القول الثانى :

ان المـأموم يجب عليـه قراءة قرآن ، فاتحة أو غيرها من القرآن ، سواء أكانت الصلاة سرية أم كانت جهرية ، وسواء أكان يسمع صوت امامه فى الصلاة الجهـرية أم كان لا يسمعه لبعده عنه أو نحـوه ، وذهب الى ذلك الحنفية والمـالكية والحنـابلة فى المشـهور عنهم كما ذهب اليه الثورى وابن عيينه .

القول الثالث :

أن المـأموم يجب عليه قـراءة الفاتحة فى الصلاة السرية والجهرية

---

(١) ثم اختلف الشـافعية ومن وافقهم فى محل قراءة المأموم الفاتحة فقال بعضـهم : يقرؤها حال سكتات الامام ، وقال بعضـهم : يقرؤها حال قراءة الامام الفاتحة ، ، وقال بعضهم يقرؤها حال قراءة الامام للسورة .

وهذه مسألة مستقلة وغير مقصودة لنا بالمقارنة .

التى لا يسمع فيها امامه لبعده عنه ونحوه ، ولا يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية التى يسمع فيها امامه ، ذهب الى ذلك الشيعة واسحاق وابن المبارك والزهرى ، وهو قول لمالك وأحمد (١) .

الأدلة

استدل اصحاب القول الأول :

على أن المأموم يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية والسرية : بالسنة ، والقياس :

فأولا : مارواه أبوداودوالترمذى عن عبادة بن الصامت ، أنه قال : صلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الصبح ، فثقلت عليه القراءة ، فلما انصرف قال « انى أراكم تقرءون وراء امامكم » قال : قلنا : يا رسول الله أى والله ، قال : « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » .

ووجه الدلالة :

أن قوله « لا تفعلوا » نهى عن قراءة أى شىء من القرآن خلف الامام ، وقوله « الا بأم القرآن » استثناء منه ، وقوله : « فانه لاصلاة لمن لم يقرأ بها » علة المستثنى ، وهذا كله نص فى وجوب قراءة الفاتحة على المأموم فى الصلاة الجهرية ، واذا وجبت قراءة الفاتحة فى الجهرية على المأموم ، وجبت عليه بالأولى فى الصلاة السرية .

ورد هذا الدليل :

بأنه لا يصلح للاحتجاج به ، لأنه من رواية ابن اسحاق ونافع بن محمود ابن الربيع ، وقد تكلم أهل العلم بالحديث فيهما ، فقالوا : ان ابن اسحاق مدلس ونافعا أدنى منه حالا ، ذكر ذلك ابن قدامة المقدسى فى كتابه الشرح الكبير .

وثانيا :

ما رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت عن النبى ــ صلى

---

(١) ثم اختلف القائلون : بأن المأموم لا يجب عليه القراءة ، فى حكم القراءة بعد ذلك ، فذهب بعضهم الى حرمة القراءة وذهب بعضهم الى انها تستحب فى الصلاة السرية وتكره فى الصلاة الجهرية .

وهذه مسألة مستقلة وغير مقصودة لنا بالمقارنة .

الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لاصلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن » .

ووجه الدلالة :

أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفى صحة صلاة من لم يقرأ بأم القرآن ، وهذا النفى عام يتناول المأموم والمنفرد ، كما يتناول الصلاة مطلقا : سرية كانت أم جهرية . فيفيد وجوب قراءة أم القرآن فى الصلاة على المأموم والمنفرد ، سواء أكانت الصلاة سرية أم كانت جهرية ، لتناول النص لهما .

ورد هذا الدليل :

بأنه عام خص منه المأموم بالأحاديث الدالة على عدم وجوب قراءة أم القرآن على المأموم ، فالحديث خاص بالمنفرد فى الصلاة ولا حجة فيه على وجوب قراءة أم القرآن على المأموم ، سواء أكانت الصلاة ، جهرية أم كانت سرية .

واما القياس :

فقاسوا : قراءة المأموم فاتحة الكتاب على قراءة المنفرد فاتحة الكتاب ، بجامع أن كلا منهما ركن من أركان الصلاة لا توجد الصلاة الا به ، فكما تجب قراءة الفاتحة فى الصلاة على المنفرد ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية ، فكذلك فى الصلاة على المنفرد ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

ورد هذا القياس

بأنه قياس فى مقابلة النص فلا يحتج به ، والنص هو قوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » (١) فانه أقام الاستماع مقام القراءة فى الصلاة الجهرية ، وأقام الانصات مقام القراءة فى الصلاة الجهرية والسرية . والقياس فى مقابلة النص فاسد الاعتبار . فلا يجب به على المأموم قراءة خلف الامام سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية .

واستدل أصحاب القول الثانى :

على أن المأموم لا يجب عليه القراءة خلف الامام بالفاتحة

---

(١) الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف .

ولا بغيرها من القرآن سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية . بالكتاب والسنة والقياس :

أما الكتاب :

فقوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (1) .

ووجه الدلالة :

أن هذه الآية نزلت فى شأن الصلاة ، يدل على ذلك ما أخرجه البيهقى عن مجاهد أنه قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقرأ فى الصلاة فسمع قراءة فتى من الأنصار ، فنزل قوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وأخرج البيهقى — أيضا — عن الامام أحمد : أنه قال : « أجمع الناس على أن هذه الآية فى الصلاة » .

وقوله تعالى : « فاستمعوا له وأنصتوا » أمر والأمر للوجوب .

فالآية قد أوجبت على المصلين المأمومين الاستماع وهو انما يكون فى حالة الجهر ، وأوجبت عليهم الانصات ، وهو يعم حالة الجهر وحالة السر . ووجوب الاستماع والانصات على المأموم خلف الامام يستلزم عدم وجوب قراءة عليه ، فاتحة أو غيرها من سور القرآن ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية .

ورد هذا الدليل :

بأن وجوب الاستماع والانصات فى الآية عام بالنسبة الى الفاتحة وغيرها من سور القرآن ، قد خص بالأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة فى الصلاة على المنفرد والمأموم ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، وصار معنى الآية : واذا قرأ الامام غير الفاتحة فاستمعوا له وأنصتوا . فالآية لا تدل على عدم وجوب قراءة الفاتحة على المأموم ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

واما السنة :

فما رواه الدارقطنى عن عبد الله ابن شداد عن جابر عن النبى —

---

(1) الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف .

صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال « من كان له امام فقراءة الامام له قراءة » .

ووجه الدلالة :

أن الحديث صريح فى أن قراءة الامام تقوم مقام قراءة المأموم سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، فلا تجب القراءة على المأموم خلف الامام ، فاتحة أو غيرها من سور القرآن .

ورد هذا الدليل :

بأنه عام فى قراءة الفاتحة وغيرها من سور القرآن ، وقد خص بغير الفاتحة ، فأصبح بعد تخصيصه يدل على أن قراءة الامام للمأموم فى غير الفاتحة .

وأما القياس :

فقد قاسوا : قراءة المأموم على قراءة المسبوق ، بجامع أن القراءة ركن من أركان الصلاة . فكما تسقط القراءة عن المسبوق فكذلك تسقط عن المأموم . فلا تجب عليه قراءة فاتحة أوغيرها ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

ورد هذا القياس :

بأنه قياس مع الفارق ، فان سقوط القراءة عن المسبوق انما كانت لفوات محلها وهو القيام . وهذا غير متحقق فى المأموم ، والقياس مع الفارق غير صحيح فلايحتج به .

واستدل أصحاب القول الثالث :

على أن المأموم يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة السرية والجهرية التى لا يسمع فيها امامه ، ولا يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية التى يسمع فيها امامه بالسنة وهى أحاديث كثيرة نذكر منها حديثين لظهور دلالتهما .

الحديث الأول :

ما رواه الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : اذا أسررت بقراءتى فاقرءوا واذا جهرت فلا يقرأن معى أحد .

ووجه الدلالة :

من هذا الحديث أنه نص فى وجوب القراءة فى الصلاة السرية حيث أمر بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرا صريحا ، ويلحق بها الجهرية التى لايسمع فيها المأموم امامه ، لأن الجهر مداره بالنسبة الى المأموم

هو سماعه فحيث لم يسمع كان كأنه فى صلاة سرية ويجب عليه القراءة خلف الامام . كما أنه نص فى عدم وجوب القراءة فى الجهرية، ويؤكد عدم الوجوب النهى عن القراءة بقوله « فلا يقرأن معى أحد » .

الحديث الثانى :

ما رواه أبوداود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة ، أنه قال: ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة ، فقال : هل قرأ معى أحد منكم آنفا ؟ فقال رجل : نعم يارسول الله ، قال : فانى أقول : مالى أنازع القرآن ، قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يجهر فيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

ووجه الدلالة :

أن قوله « مالى أنازع القرآن » انكار منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على من قرأ ، وهذا الانكار دليل واضح على عدم وجوب القراءة فى الصلاة الجهرية مؤكد بمايفيد النهى عن القراءة ، وقد فهم الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ أنه مختص بالصلاة الجهرية فانتهوا عن القراءة فيها خلف الامام ، أما الصلاة السرية فهى على الأصل من وجوب القراءة فيها .

ورد الاستدلال بالحديثين :

أنهما عامان فى القراءة بالفاتحة وغيرها من سور القرآن ، وقد خصا بقراءة الفاتحة فى حديث عباد « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » فانه وارد فى الصلاة الجهرية ، فالحديثان لا دلالة فيهما على عدم وجوب الفاتحة فى الصلاة الجهرية .

القول الراجح

ان الناظر فى مسألة قراءة المأموم، وخصوصا المستوعب لها يتضح له أن الأدلة التى تمسك بها أصحاب الأقوال المختلفة أكثر من أن تحصى، وكلها ظاهرها التعارض اذا اعتبرنا نظر كل واحد الى ما تمسك به .

وكلها متكلم فى سـندها اذا اعتبرنا نظر المخالف لـما تمسك به مخالفه ، ولذلك يخيل الينا أنهـا معـركة : « أولا » : فى التعديل والتجريح .

وثانيا : فى بيـان وجهة الدلالة على المطلوب لكل واحد ، والناظر فى هـذه المعركة أظن أنه سـوف لا يخرج منها الا بأن المسألة لادليل عليها . ولكن لـما كان لابد بعـد عرض أقوال المختلفين فى المسـألة أن نؤيد كل قول بدليـل — بدأت فاستوعبت ما أمكننى استيعابه من الأدلة ، ثم اخترت لكل قول بعض الأدلة التى فى بادىء يظن أنها تدل على المطلـوب ، ثم أوردت عليهـا ما اعترض به عليها . فكانت النتيجة أن جميع الأدلة لا تصـلح للحجية لتعارضـها ، لذلك كان لا بد أن تلتمس مرجحا لأحدها يجب العمل بمقتضاه .

هذا والراجح فى نظرنا هو ماذهب اليه أصحاب القول الثالث من القول بأن المـأموم يجب عليه القـراءة خلـف الامام فى الصـلاة السرية والجهرية التى لا يسمع فيها امامه ، ولا يجب عليه القراءة فى الصـلاة الجهرية التى يسمع فيهـا امامه ، لـما يترتب على الجهر فى الجهـرية من التباس القراءة وعدم ضبطها ، ولأن فى الصلاة السرية اذا لم يشغل المـأموم نفسـه بالقـراءة ووقف ساكتا ذهبت نفسـه مذاهب شتى وفكر فى غير الصلاة ، وربما خرج بقلبه من الصـلاة ، فرجوعا به الى الواجب عليـه وهو منفرد خير من تركه تتراكم عليـه الوسـاوس والأوهام من كل ناحية ، حتى يخرج عن خشوعه وخضوعه . والله أعلم بالصواب .

د / ابراهيم دسوقى الشهاوى

... فالاسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة ، ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه ، وما عمله الاسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمـادية فى الحياة الانسانية .

الاسلام فى مفترق الطرق

رجال الله ...

ميمون بن أبى شبيب

التحرير

قال ميمون : أردت الجمعة زمن الحجاج ، فتهيأت للذهاب ، ثم قلت : أذهب وأصلى خلف هذا (الحجاج) ؟ ، فقلت مرة أذهب وقلت مرة لا أذهب ، فأجمعت رأيى على الذهاب ، فنادانى مناد من من جانب البيت : « ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فذهبت ! وجلست مرة أكتب كتابا فعرض لى شىء ان انا كتبته فى كتابى زين كتابى وكنت قد كذبت وان أنا تركته كان فى كتابى بعض القبح وكنت قد صدقت ، فقلت مرة أكتبه ، وقلت مرة لا أكتبه ، فأجمعت رأيى على تركه فنادانى مناد من جانب البيت : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

فتركته :

هذا كل ما ذكره الاصبهانى من كلام أبى نصر ميمون بن أبى شبيب، الفقيه المحدث الشهيد ، وفيه يتكشف جانب من نفسه الطيبة هو الجانب المبارك الذى يتميز به السالكون لهذا الطريق المشرق الى الله ، فهم دائما حتى فى دقائق أعمالهم، يسيرون بهذا الشعاع الهادى من قلوبهم الحية العامرة ، ويستوحون المنطقة القدسية الرائقة فى نفوسهم الكبيرة : أنهم ينشدون السكينة والرضا فى كل عمل ، وفى كل حركة ويتقدم هذا النشدان فى حياتهم الروحية حتى يكون الرائد الذى يسبق حدود الفقه ويطبعها بطابعه وليس معنى ذلك أن يهمل أحدهم هذه الحدود أو أن يستغنى عن علمها وعن الرجوع اليها ، لا ، فأبو نصر مثلا فقيه محدث ، ولكن معنى ذلك ان فقه الفقيه منهم لم يكن

حملا لأثقال من العلم يجعلها فى رأسه مبوبة مفصلة ثم يمد يده فى كل مسألة ليبحث عن حكمها ... بل كان أمرا أكبر من ذلك . وأعمق من ذلك ، كان فقها عن الله ... يلتقى فيه الحلال المشروع بالشعور برضاء الله ، والحرام الممنوع بالشعور بغضب الله ، والمشتبه بينهما بالورع الصادق الذى نصح به رسول الله ، وحين يكون الفقه هكذا فقها عن الله : يصبح مركزه الأصيل فى قلب الفقيه الحى وفى مشاعره الأمينة المرهفة ، وتصبح اشارة المرور لسالك هذا الدرب المضىء هى الاشارة التى قررها لسان النبوة (استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك وأفتوك) !! انه مقام جليل يستوى لأصحابه بقدر استواء نفوسهم ورسوخ ما بينهم وبين الله .. ونجهد نحن أنفسنا لبلوغه على قدر ما تطيق معتمدين فى كل مراحل طريقنا اليه على شريعة الله الواضحة فى السراجين الخالدين : كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! !

وإذا استبان ذلك وأنست النفس اليه فلا بأس ان يكون مراد أبى نصر من قوله : (فنادانى مناد من جانب البيت) انه تلقى الهاتف من نفسه المؤمنة الموصولة ببيت الله الحرام.. أليس هذا البيت هو المركز الذى اختاره الله من كل جوانب الأرض ليتجه اليه العابدون ركعا سجدا ؟ وليس عنده يطوف الطائفون ولا يحل لهم طواف عند سواه ؟ أوليس هو البيت الذى خصه الله — فى القرآن بالنسبة اليه : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)؟ أومن عجب اذا ان ينسب أبو نصر هاتف ايمانه بالله الى جهة البيت الحرام الذى يتجه اليه ويتمثله كلما وجه وجهه لله وقال :
الله أكبر !

***

وقد أسند ميمون عن على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ، والمقداد ، وأبى ذر ، وابن عباس ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة

وسمرة بن جندب ، وعائشة ، رضى الله عنهم جميعا .

ومما رواه عن معاذ : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن . فلم يزل يوصينى حتى آخر ما أوصانى قال : عليك بحسن الخلق فان أحسن الناس خلقا أحسنهم دينا .

* * *

ومما رواه كذلك عن معاذ : (خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فرأيت منه خلوة فاغتنمتها فأوضعت بعيرى نحوه حتى صايرته ، فقلت يا رسول الله : علمنى عملا يدخلنى الجنة ! قال: « قد سألت عظيما وانه ليسير على من يسره الله : تعبد الله : ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، ونصوم رمضان » ، ثم سار وسرت ، فقال: « وان شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل فى جوف الليل) ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم سار وسرت ، ثم قال : (ألا أنبأتك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه : الجهاد فى سبيل الله) ، ثم سار وسرت ، فقال : (ان شئت أنبأتك بما هو أملك على الناس من ذلك كله فكانت منه سكتة ، وكانت منى التفاتة ، فرأيت راكبا يوضع نحوه فخشيت أن يأتيه فيشغله عنى . فأومأ الى لسانه وفيه قلت : يارسول الله :وانا لنؤاخذ بما تتكلم ؟ ! قال : ثكلتك أمك يا ابن جبل ! ما تقول الا لك أو عليك ! وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم الا حصائد ألسنتهم ؟ !) .

* * *

ومما رواه عن المقداد قال : (جاء رجل يثنى على عامل لعثمان عند المقداد ، فحثا المقداد فى وجهه التراب وقال : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب) .

ومما رواه عن عمار بن ياسر قال : (قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : من ضرب مملوكه ظالما أقيد منه يوم القيامة) ..

***

ومما رواه عن عائشة : (انها كانت فى سفر ، فأمرت لناس من قريش بغداء ، فمر رجل غنى ذو هيئة ، فقالت : ادعوه . فنزل فأكل ومضى . وجاء سائل فأمرت له بكسرة ، فقالوا لها أمرتينا أن ندعو هذا الغنى وأمرت لهذا السائل بكسرة ؟ ! فقالت : ان هذا الغنى لم يجمل بنا الا ما صنعنا به ، وان هذا السائل سأل فأمرت له بما أرضاه ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم) .

رضى الله عن أبى نصر وأرضاه .

أين الرعاية والتذمم ؟ !

قال عمر لرجل هم بطلاق زوجته : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبها ! قال: او كل البيوت بنيت على الحب! فأين الرعاية والتذمم ؟ !

وقال رضى الله عنه عن زوجته :

تحملتها لحقوق لها على فانها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، ومسكن قلبى بها عن الحرام .

تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف

لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى

— ١ —

من المعلوم باستقراء النصوص : أن أحكام الشريعة انما جاءت لتحقيق مصالح العباد ، واقامة القسط بينهم وازالة المظالم والمفاسد عنهم ، وهذا ما ينبغى مراعاته عند تفسير النصوص وتطبيق الأحكام فلا يجمد الفقيه على موقف واحد دائم يتخذه فى الفتوى أو القضاء أو التعليم أو التأليف أو التشريع ، وان تغير الزمان والمكان والعرف والحال • بل ينبغى مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة ، عند الحكم فى الأمور الجزئية الخاصة •

كلام ابن القيم فى تغير الفتوى :

ومن ثم قرر المحققون كالعلامة ابن القيم وغيره : « أن الفتوى تتغير وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد والنيات » •

وعقد الامام ابن القيم لذلك فصله الممتع فى كتابه « أعلام الموقعين » وقال فى مقدمة هذا الفصل كلمته التى أصبحت منارا يهتدى به بعد :

« هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع ـ بسبب الجهل به ـ غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ، ما يعلم أن الشريعة الباهرة ـ التى فى أعلى رتب المصالح ـ لا تأتى به ؛ فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، فى المعاش والمعاد • وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح

كلها ، وحكمة كلها ... فكل مسألة خرجت عن العدالة الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة ، وان أدخلت فيها بالتأويل » (١) .

« فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله — صلى الله عليه وسلم — أتم دلالة وأصدقها ، وهى نوره الذى به أبصر المبصرون ، وهداه الذى به اهتدى المهتدون ، وشفاؤه التام الذى به دواء كل عليل ، وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل » (٢) .

الأحكام الثابتة والأحكام المتغيره :

وليس معنى هذا أن أحكام الشريعة كلها قابلة لتغير الفتوى بها بتغير الزمان والمكان والعرف . فمن أحكام الشريعة ما هو قطعى الثبوت والدلالة ، ولا مجال فيه للاجتهاد والاختلاف مهما دار الفلك وتغيرت الظروف والأحوال .

وفى هذا يقول ابن القيم نفسه فى كتابه « اغاثة اللهفان » .

« الأحكام نوعان :

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ، ولا الأمكنة ، ولا اجتهاد الأئمة ؛ كوجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، والحدود المقررة بالشرع على الجرائم ، ونحو ذلك . فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه .

والنوع الثانى :

ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها : فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة:

وبعد ان ذكر ابن القيم جملة من الأمثلة والوقائع الدالة على ذلك قال وهذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة ،

---

(١) اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤ — ١٥

(٢) ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٤٩

التى لا تتغير ، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودا وعدما .

وهذا الذى قرره المحقق ابن القيم بقوة ووضوح ، قرره بصورة ما — علماء محققون فى المذاهب الأخرى مثل الامام القرافى المالكى فى كتابه الاحكام وكتابه الفروق ومثل العلامة الحنفى ابن عابدين فى رسالته « نشر العرف فى بناء بعض الأحكام على العرف كما بينا ذلك فى كتابنا «شريعة الاسلام» .

هل لتغير الفتوى دليل من القرآن ؟ :

هذه القاعدة الجليلة التى تقرر تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد : هل نجد لها أصلا ودليلا من القرآن والسنة ؟

أما القرآن ، فلم يحاول ابن القيم — رحمه الله — أن يستدل به ، ولم أر أحدا غيره حاول الاستدلال به على ذلك أيضا .

ويلوح لى ، أن من يدقق النظر فى كتاب الله ، يجد فيه أصلا لهذه القاعدة المهمة ، وذلك فى عدد من الآيات التى قال كثير من المفسرين فيها : منسوخة وناسخة .

والتحقيق : انها ليست منسوخة ولاناسخة ، وانما لكل منها مجال تعمل فيه ، وقد تمثل احداهما جانب العزيمة ، والأخرى جانب الرخصة أو تكون احداهما للالزام والايجاب والأخرى للندب والاستحباب . أواحداهما فى حال الضعف والأخرى فى حال القوة وهكذا ...

فضرب لذلك مثلا ، قوله تعالى فى سورة الأنفال . « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون » ثم قال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ،وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » .

والمعنى كما يقول صاحب المنار ان أقل حالة للمؤمنين مع الكفار فى القتال ، ان ترجح المائة منهم على المائتين ، والألف على الألفين وأن

هذه الحالة رخصة خاصة بحال الضعف كما كان عليه المؤمنون فى الوقت الذى نزلت فيه هذه الآيات وهو وقت غزوة بدر، فقد كانوا لا يجدون مايكفيهم من القوت ، ولم يكن لديهم الا فرس واحد (أو فرسان) وانهم خرجوا بقصد لقاء العير غير مستعدين للحرب . ومع هذا كله كانوا أقل من ثلث المشركين الكاملى العدة والأهبة .

ولما كملت للمؤمنين القوة ــ كما أمرهم الله تعالى أن يكونوا فى حال العزيمة كانوا يقاتلون عشرة أضعافهم أو أكثر ، وينتصرون عليهم . وهل تم لهم فتح ممالك الروم والفرس وغيرهم الا بذلك ؟ وكان القدوة الأولى فى ذلك أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى عهده ومن بعده .

وذهب بعض المفسرين الى أن آية العزيمة من هاتين الآيتين منسوخة بآية الرخصة التى بعدها ، بدليل التصريح بالتخفيف فيها (والآن خفف الله عنكم) ولكن الرخصة لا تنافى العزيمة ولا سيما وقد علمت هنا بوجود الضعف ، ونسخ الشىء لا يكون مقترنا بالأمر به ، وقيل التمكن من العمل به ، وظاهر أن الآيتين نزلتا معا .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما نزلت « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ... » شق ذلك على المسلمين ، حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة ! فجاء التخفيف فقال : « والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ... » الحديث .

وهذه الرواية لا تدل على النسخ الأصولى الذى زعمه بعضهم (وهو رفع الحكم الذى تضمنته الآية الأولى ، وانتهاء العمل به الى الأبد) فقد تبين أن الآية الأولى عزيمة أو مقيدة بحال القوة ، والثانية رخصة مقيدة بحال الضعف . اهـ .[1]

ومعنى هذا أن الآية الثانية تشرع لحالة معينة غير الحالة التى جاءت لها الآية الأولى .

---

(١) انظر تفسير الآية فى الجزء العاشر من تفسير المنار

وهذه أصل لتغير الفتوى بتغير الأحوال .

ومثل ذلك آيات الصبر والصفح والعفو والاعراض عن المشركين ونحو ذلك مما قال فيه كثير من المفسرين : نسختها آية السيف .

فالحق أن لهذه الآيات وقتها ومجالها، كما أن لآية السيف وقتها ومجالها كذلك . ولهذا جعل الامام السيوطى هذه الآيات من قسم المنسأ لا من قسم المنسوخ .

قال فى «الاتقان فى علوم القرآن» فى النوع الثانى والأربعين ، وهو ما يتعلق بالنسخ فى القرآن :

« النسخ أقسام ... وذكر الأول والثانى منها ، ثم قال: وثالثها: ما أمر به لسبب ثم يزول كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح (أى عن الأعداء المناوئين من الكفار) ثم نسخ بايجاب القتال .

قال السيوطى : وهذا فى الحقيقة ليس نسخا ، بل هو من قسم المنسأ ، كما قال تعالى : « أو ننسئها » (١) فالمنسأ هو الأمر بالقتال الى أن يقوى المسلمون . وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

قال : وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف . وليس كذلك بل هى من « المنسأ » بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما ، لعلة تقتضى الحكم ، بل ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر وليس بنسخ ، انما النسخ لازالة الحكم حتى لا يجوز امتثاله ا هـ .

اصل تغير الفتوى من السنة

والناظر فى السنة النبوية يجد لهذه القاعدة ــ تغير الفتوى ــ أصلا فيها ، ودليلا عليها ، فى أكثر من شاهد ومثال .

وقد نبه على ذلك الحافظ ابن حجر فى « تلخيص الجبير » بالاشارة الى الحديث الذى رواه أبو داود عن أبى هريرة : ان رجلا سأل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المباشرة للصائم ، فرخص له ، وأتاه

---

(١) قراءة فى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية .. من سورة البقرة .

آخر فسأله ، فنهاه ! فاذا الذى رخص له شيخ ، واذا الذى نهاه شاب .

ولكن هذا الحديث ضعيف لا يعتمد على مثله فى اثبات هذه القاعدة المهمة .

وأولى منه الاستدلال بحديث سلمة بن الأكوع عند البخارى وغيره . قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم — من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة ، ويبقى فى بيته منه شىء . فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله ، نفعل كما فعلنا فى العام الماضى ؟ قال : كلوا وأطعموا وادخروا ، فان ذلك العام كان بالناس جهد (أى شدة وأزمة) فأردت أن تعينوا فيها .

وفى بعض الأحاديث : انما نهيتكم من أجل الدافة التى دفت يعنى القوم الذين وفدوا على المدينة من خارجها .

ومعنى هذا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى عن ادخار لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام فى حالة معينة ، ولعلة طارئة ، وهى وجود ضيوف وافدين على المدينة فى هذه المناسبة الطيبة ، فيجب أن يوفر لهم ما يوجبه كرم الضيافة ، وسماحة الأخوة من لحم الضحايا .

فلما انتهى هذا الظرف العارض، وزالت هذه العلة الطارئة ، زال الحكم الذى أفتى به الرسول تبعا لها ، فان المعلول يدورمع علته وجودا وعدما . وغير النبى الكريم فتواه من المنع الى الاباحة . ولهذا صرح فىأحاديثه باباحة الادخار بعد ذلك قائلا ، كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى ، فكلوا وأطعموا وادخروا » كما فى الصحيح .

فهذا مثل واضح لتغير الفتوى بتغير الأحوال .

وأكثر الفقهاء والمحدثين يعتبرون هذه الاباحة نسخا للنهى المتقدم ، ويذكرون هذا الحديث مثلا من أمثلة النسخ ، كحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، والتحقيق أنه ليس منباب النسخ ، بل من باب نفى الحكم لانتفاء علته كما أشار الى ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه فى آخر « باب العلل فى الحديث من كتابه « الرسالة » حيث ربط النهى عن الادخار بالدافة » .

ووضح ذلك الامام القرطبى فى تفسيره منكرا أن يكون من النسخ قائلا :

« بل هو حكم ارتفع لارتفاع علته ، لا لأنه منسوخ . وفرق بين رفع الحكم بالنسخ ،ورفعه لارتفاع علته . فالمرفوع بالنسخ لا يحكم به أبدا ، والمرفوع لارتفاع علته يعود بعود العلة ، فلو قدم على أهل بلدة ناس محتاجون فى زمان الأضحى ، ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا ، لتعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاث ، كما فعل النبى ــ صلى الله عليه وسلم » (١)

وقد فهم الراشدون من الصحابة هذا المعنى ، فجاء عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ انه صلى بالناس فى يوم عيد ، ثم خطبهم فنهاهم عن الادخار فوق ثلاث ، مذكرا اياهم بنهى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهذا ماجعل القائلين بالنسخ هنا يحارون فى تفسير موقف على . فقال بعضهم : لعله لم يبلغه النسخ . ولكن الامام أحمد روى ما يدل على أنه بلغته الاباحة والرخصة .

فالراجح اذن انه قال ذلك فى وقت كان بالناس جهد وحاجة . وبهذا جزم ابن حزم ، كما فى فتح البارى .

قال الحافظ : والتقييد بالثلاث واقعة حال . والا فلولم تسد الخلة الا بتفرقة الجميع لزم ــ على هذا التقدير ــ عدم الامساك ولو لليلة واحدة (٢) .

والشاهد هنا أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفتى فى حال بمنع ادخار لحوم الأضاحى ، ثم غير فتواه من المنع الى الاباحة ، لما تغيرت الظروف ، وهو دليل بين على صحة القاعدة التى قررها ابن القيم ــ رحمه الله .

وأشهر من ذلك أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة مختلفة ، وذلك لاختلاف أحوال

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٧ ، ٤٨

(٢) فتح البارى ج ١٢ ص ١٢٠ ــ ١٢٥ ط الحلبى .

السائلين • فهو يجيب كل واحد بما يناسب حاله ، ويعالج قصوره أو تقصيره •

فقد وجدنا من يسأله عن وصية جامعة فيقول له : لا تغضب • وآخر يقول له : قل آمنت بالله ثم استقم •

وآخر يقول له : كف عليك لسانك •

وهكذا يعطى كل انسان من الدواء ما يرى أنه أشفى لمرضه • وأصلح لأمره •

ومن هذا مارواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : سئل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله • قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله • قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور(١) فجعل الجهاد فى سبيل الله أفضل الأعمال بعد الايمان •

وفى هذا المعنى جاءت أحاديث شتى تجيب السائلين بأن الجهاد لا يعدله عمل آخر ، الا من استطاع ان يصوم الدهر فلا يفطر ، ويقوم الليل فلا ينام !

ولكن البخارى نفسه روى عن عائشة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت : يارسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ! قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور (٢) تروى كلمة (لكن) بضم الكاف وهو الأكثر على أنها خطاب للنسوة ، وبكسرها مع مد اللام على انها للاستدراك • والمراد واحد ، وهو ان الجهاد ان كان أفضل العمل ، فذلك فى حق الرجال ، أما النساء فأفضل جهاد لهن الحج المبرور •

فهنا تغيرت فتواه وجوابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما كان السائل امرأة ، اذ الأصل فى حمل السلاح ان يكون للرجال •

وهذا كله ــ وغيره كثير ــ أصل فى تغير الجواب أو الفتوى بتغير أحوال السائلين ، فكيف اذا تغير الزمان والمكان ؟

د• يوسف القرضاوى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور :

(٢) صحيح البخارى : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور .

حديث قتال اليهود من أعلام النبوة

لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى

« تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر ؛ فيقول الحجر : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله » .

ليس لهذه الشرذمة المضللة منهج منضبط تدين به وتحترم نسقه وتقف عند ضوابطه وروابطه بغير جمود ولا جحود ، يمكن بمقتضاه أن نحاكمها به ، ونحتكم واياها عنده .

فهم حين ينسبون كل شىء الى اليهود يفضحون أنفسهم بآرائهم التى لو سمح لأى انسان عنده مسكة من العقل أن يسمعها لما تردد فى الحكم عليها بأنها أفكار يهودية من حيث ان اليهود هم أصحاب المصلحة فى ترديدها ونشرها وذيوعها .

ومن هذا الذى تقر به أعين اليهود ويغتبطون له التشكيك فى أن يرى موسى فى أمة محمد كثرة كاثرة ليلة الاسراء ، ويرى القوة التى لاتتاح لمن انتسب اليه عقلا ولا واقعا ، فأصحاب المصلحة فى هذا التشكيك هم اليهود .

وهم الآن لو اطلعت عليهم لرأيتهم أشد سرورا وأعظم غبطة حين يأتى من ينتسب الى الاسلام فينشر ظلال الشك والريب فى صحة أحاديث الفتن التى تعيشها الدنيا رغم أنف أولى المكابرة والعناد .

وقبل أن نأتى على تأويل الحديث من وجهة نظر العقل والعلم نذكر رواياته .

ففى صحيح البخارى فى كتاب الجهاد ، باب قتال اليهود : حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا

مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) .

ثم يردف البخارى هذا الحديث بآخر شاهدا له ومعضدا : حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراء اليهودى : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

وعلى منهج أهل هذا الشأن من أصحابنا المحدثين يكون الاسناد الأول جديرا بصدر الباب لاتفاقهم على أن هذا الاسناد أصح الصحيح وأعلى الأسانيد بلا خلاف (مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم) والواسطة بين مالك والبخارى اسحاق بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن أبى فروة الغروى مولى عثمان بن عفان ولو كان اسحاق الغروى تفرد بهذا الحديث لكأن هناك مجال للقول ، ولكن الذى يأخذ بحجز المكابرين ما يأتى :

أولا : كونه شيخا للبخارى ، وقديما قال العلماء : من روى له البخارى فقد اجتاز القنطرة .

ثانيا : تعضيده برواية اسحاق ابن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم ابن مطر أبى يعقوب الحنظلى المعروف بابن راهويه . وهو الذى قال فيه وهب بن جرير : جزى الله اسحاق بن ابراهيم عن الاسلام خيرا . وقال أحمد بن حنبل : لم يعبر الجسر الى خراسان مثله . وقال أيضا : لا أعرف له بالعراق نظيرا ، وقال لمن سأله عنه : اسحاق عندنا امام من أئمة المسلمين .

وقال ابن خزيمة : والله لو كان فى التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه ، ويقول أبو داود الخفاف وقد أملى أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولانقص حرفا . وجرير بن عبد الحميد ومن بعده من بقية الاسناد من أعاظم رواة

الحديث لا يقلون جلالة عن الاسناد الأول .

ثالثا : اخراج مسلم له من أكثر وجه ، وبذلك يكون الحديث متفقا عليه من الأمة كلها ، لاتفاق الأمة على نعت ما يرويانه بالمتفق عليه قال مسلم :

حدثنا أبوبكر ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى فتعال فاقتله) ثم قال: وحدثنا محمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالا : حدثنا يحيى عن عبيد الله بهذا الاسناد وقال فى حديثه : هذا يهودى ورائى .

حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة أخبرنى عمر بن حمزة قال: سمعت سالما يقول: أخبرنا عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله » .

حدثنا حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب حدثنى سالم بن عبد الله أن عبد الله ابن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

رابعا : لأن أحمد بن حنبل أخرجه فى مسنده جـ ٢ ص ٤١٧ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال : القتل القتل ، وبهذا الاسناد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا ، وقال : من ابتاع شاة مصراة فهو فيها بالخيار ثلاثة أيام فان شاء أمسكها وان شاء ردها ورد معها صاعا من تمر ، وقال : لا تقوم

الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر أو الشجرة فيقول الحجر أو الشجرة يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) الى آخر الحديث ..
وأخرجه فى غير ما موضع من مسنده .

ونأتى الى معنى كلام الحجر ، فان الكلام اذا حمل على الحقيقة كان خرقا للعادة واعتبر من السمعيات التى يجب التصديق بها مادام الخبر ثابتا بالاسناد المتصل يرويه العدول الضابطون وليس فيه شذوذ من حيث مخالفته لآخر محفوظ أو علة قادحة ويكون نطق الحجر أمرا لا محل للجاج فيه اذا كان بهذه المثابة ، اذ أن الله تبارك وتعالى يخلق عنده ادراكا .

وأما اذا حمل الأمر على المجاز ، كأن يكون مع المسلمون آلات كاشفة ، وأجهزة اليكترونية حساسة تكشف اليهود على بعد مهما استتروا بالسواتر وتدرعوا بالجدر، وامتنعوا بأسباب التمويه والتخفى فان المناظير النفاذة والمخترعات الحساسة والجساسة ضرب من التأويل العقلى الذى تحتف به التجربة فى واقعها الراهن ، والتى لا يمارى أحد فى أنها نوع اخبار بطريق النمم والشف عما وراءه ، ولما كان تعقب العدو يقصد به القضاء عليه وقتله ، فان الجدار الذى ينم عما وراءه انما يجعلك تخلص الى من تطارده ، وكأنه يقول لك ها هو ذا ورائى فاقتله ..

وقد يكون كناية عن استئصالهم وقطع دابرهم ، وأن المسلم فى بحثه عن الفارين والهاربين وتعقبهم واصطيادهم كأنما تنطق له الحجارة بلسان حالها ، وهم قد عرف عنهم استخدام الحجر والمدر والرمال للتحصن بها والتستر وراءها قال تعالى : (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) .

فاذا أخبر صلى الله عليه وسلم بأمر سيحدث فى المستقبل فان قانون هذه المعجزة يخرج عن حد الخبر الذى يحتمل الصدق والكذب ،

وحقيقة اطلاق الخبر عليه انما هو على سبيل المجاز ، لأن خبر الوحى لا يقبل خضوعه لاحتمال الصدق والكذب .

فاذا أضيف المستقبل الى فعل الخير كان وعدا يصح من نبى وغير نبى(1) ، فان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة ، لا يصح الا من نبى مبعوث وعن وحى منزل اذا تكرر عاريا عن الأسباب المنذرة.

ولئن ظهر خبر من غير نبى فهو بالاتفاق عن حدس ان صح فى خبر لم يصح فى كل خبر . ويصح من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل خبر لأنه من الله تعالى المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير) وفى خزائن الله هنا تأويلان (أحدهما) خزائن الرزق فأغنى وأفقر (والثانى) خزائن العذاب فأعجل وأدخر .

وفى قوله (ولا أعلم الغيب) تأويلان (أحدهما) علم الخزائن على ما مضى من التأويلين (والثانى) علم ما غاب عن ماضى ومستقبل ، الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ، ومن أطلعه عليه من أنبيائه لقوله تعالى : (عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) .

وأما الماضى فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين اما من مخلوق معاين أو من خالق مخبر فكانت الأخبار المستقبلة من آيات الله تعالى المعجزة ، فأما الماضية فان علم بها غير المخبر لم تكن معجزة ، وان لم يعلم بها أحد كانت آية معجزة .

وفى قوله تعالى : (ان اتبع الا ما يوحى الى) تأويلان (أحدهما) لن أخبركم الا بما أطلعنى الله عليه (والثانى) لن أفعل الا ما أمرنى الله به .

---

(1) راجع اعلام النبوة لاقضى قضاة البصرة الماوردى صاحب الحاوى الكبير والاحكام السلطانية المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

على أن فيما وصل اليه العلم من أسباب الكشف عما وراء الحصون المنيعة والسواتر الحصينة والجدر كأنها باشفافها عما وراءها انما تنم عمن يختفي من اليهود وراء تلك الجلاميد الثقال ، وكأنها تدل عليه وتحرص على قتله ، وهو احتمال قوى تسيغه اللغة ولا تأباه ، وقد رأينا كيف تكشف أجهزة الباخرة ليبرتى عن الأماكن السرية والمعاقل والأصوات ، وتنقل الصور والتحركات ، وتتدخل فى موجات الارسال ، وقد حدث أن أخذنا اخذهم (بكسر الهمزة) ، وجرينا على الأهبة والاعداد اللذين أمر الله بهما فانتصرنا على اليهود فى العاشر من رمضان المشهود وهذا أمر حاصل لا يفتقر الى برهان على وقوعه لضرورة العلم به ، فيكون الخبر من دلائل النبوة وأعلامها « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة » ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

محمد نجيب المطيعى

انا نعتقد ان الاسلام ، بخلاف سائر الأديان ، ليس اتجاه العقل اتجاها روحيا يمكن تقريبه من الأوضاع الثقافية المختلفة ، بل هو فلك ثقافى مستقل ونظام اجتماعى واضح الحدود .

فاذا امتدت مدينة أجنبية بشعاعها الينا وأحدثت تغييرا فى جهازنا الثقافى ـ كما هى الحال اليوم ـ وجب علينا أن تتبين لانفسنا اذا كان هذا الأثر الأجنبى يجرى فى اتجاه امكانياتنا الثقافية او يعارضها ، وما اذا كان يفعل فى جسم الثقافة الاسلامية فعل المصل المجدد للقوى او فعل السم .

ليوبلد فايس

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ١٢ —

بدأنا الكلام فى العدد السابق عن الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية وانتهينا الى المبادىء فى التشريع الجنائى الاسلامى وتقسيمه للجرائم الى حدود وقصاص وتعزير.

ونبدأ فى هذا العدد بالكلام عن جرائم الحدود.

وجرائم الحدود هى الجرائم التى حدد لها التشريع الاسلامى عقوبة معينة بنص قرآنى أو بسنة نبوية ولا يجوز فيها زيادة العقوبة أو انقاصها عن القدر المحدد لها مهما كانت الظروف فجرائم الحدود لا تعرف فى تطبيقها ظرفا مخففا ولا ظرفا مشددا على عكس التشريع الوضعى فمثلا فى جريمة السرقة نجد أن التشريع الوضعى يفرق فى العقوبة بين ما اذا كانت السرقة مصحوبة بالاكراه أم لا وبين ما اذا كانت قد تمت ليلا أو نهارا وبين ما اذا كانت قد وقعت على مال مملوك للدولة أو مملوك للأفراد وبين ما اذا كانت قد وقعت فى أحد دور العبادة أم فى مكان آخر وهكذا ، أما التشريع الاسلامى فى جرائم الحدود فلا يعرف مثل هذه الصور اطلاقا فعقوبة السرقة هى قطع اليد فى جميع الصور المتقدمة دون أية تفرقة.

وجرائم الحدود قد وردت فى التشريع الاسلامى فى الكتاب والسنة على سبيل الحصر فلا يجوز استبعاد أى جريمة منها بأى مصدر من مصادر التشريع الاسلامى مهما كانت قوته فلا يجوز مثلا اضافة جريمة النصب أو الرشوة الى جرائم الحدود وقطع يد النصاب أو المرتشى قياسا على قطع يد السارق كما لا يجوز

استبعاد جريمة شرب الخمر من جرائم الحدود حتى وان ألحقت بجرائم التعزير فجرائم الحدود كما هى محددة بعقوباتها محددة بنوعيتها لا يجوز الاضافة اليها ولا الانقاص منها وهذه الجرائم عددها سبعة وهى السرقة وقطع الطريق والزنا والقذف، وشرب الخمر والبغى والردة •

وسنقوم بشرح أحكام كل جريمة من هذه الجرائم ونبدأ أولا بجريمة السرقة •

جريمة السرقة جريمة شائعة فى كل زمان وفى كل مكان وفى كل المجتمعات على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فهذه الجريمة شائعة فى العالم كله شيوع الماء والهواء ولذلك لانجد تشريعا وضعيا الا وقد تعرض لها على اختلاف فى تقدير العقاب ولاترتبط هذه الجريمة بمناخ فكرى أو اقتصادى معين فكما ترتكب فى المجتمعات الرأسمالية ترتكب فى المجتمعات الاشتراكية وكما ترتكب من بعض الفقراء ترتكب أيضا من بعض الأثرياء ولم يتوقف ارتكابها فى زمان معين فهى جريمة خالدة على مر الأزمان • وجريمة السرقة تعتبر أخطر الجرائم وأشدها ضررا فى حياة المجتمع فاذا شاعت فى مجتمع من المجتمعات لم يأمن انسان لا على ماله فقط وانما على حياته أيضا فكم من أفراد قتلوا بيد اللصوص اما ليسهل لهم سرقتهم واما أثناء دفاعهم عن أموالهم ولك أن تتصور مدى الافلاس الذى يتعرض له مجتمع تشيع فيه هذه الجريمة ولا يستطيع أفراده التفرغ للانتاج لرفع مستواهم الاقتصادى ولك أن تتصور ما تتكبده الدولة فى مثل هذا المجتمع من نفقات للمحافظة على الأموال وحراستها وما يترتب على تفرغ بعض الأفراد لهذه المهمة من تعطيل للقوى البشرية والمادية وحرمان المجتمع من مساهمتها فى رفع مستواه والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر فكم من أفراد قتلوا وكم من بنوك سرقت وكم من أناس اختطفت ولم يسلم من الاعتداء محل تجارى ولا سكن خاص

ولا شخص نائم فى بيته ولا سائر فى طريقه ولا راكب لوسيلة من وسائل المواصلات العامة ولم تفلح الشرائع الوضعية فى الدول الرأسمالية ومن حذا حذوها من الدول الاسلامية فى ايقاف هـذا الخطر أو الحد منه ويكفى أن نشير فى هذا الصدد الى ما نشر فى احدى الجرائد اليومية فى مصر عن أحد اللصوص الذى ضبط أثناء اقتحامه (فيلا) بالمعادى لسرقتها وما كشف عنه التحقيق من ارتكابه ثلاثين سابقة سرقة قبل ذلك . أما الدول الاشتراكية أو الشيوعية فقد عالجت مثل هـذا الأمر بقسوة بالغة فوصلت عقوبة السرقة الى حد الاعدام ولذلك استطاعت أن توفر أكبر قسط من الاستقرار والأمن فى هذا المجال .

ومن هنا كان اهتمام التشريع الاسلامى بجريمة السرقة واعتبارها من جرائم الحدود بنص قرآنى حتى لا يستطيع أى حاكم من الحكام فى أى زمن من الأزمان أن ينفرد بتقدير العقاب عليها حسبما يراه سواء بالتخفيف أو التشديد فتضطرب أحوال الناس تبعا لأهواء الحكام ولذلك قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ـ المائدة ٣٨ » فعقوبة السارق هى قطع اليد ولا يملك أى حاكم تخفيف هـذه العقوبة أو تشديدها بأى حال من الأحوال .

ولقد اختلف سادتنا من الفقهاء الأوائل فى تعريف السرقة الموجبة لقطع اليد وأملى عليهم ورعهم وتقواهم وخشيتهم من الافتاء بوجوب القطع على احتمال الشبهة فى عدم وجوبه والظروف السائدة فى أزمانهم والحياة البسيطة التى كانت عليها المجتمعات التى عاشوا فيها وندرة ارتكاب هـذه الجريمة كل ذلك كان من شأنه أن قال بعضهم أن النشال لا تقطع يده لأنه يطلق عليه فى اللغة العربية « طرار » وليس « سارق » وأن من يسرق من القبر ومن المسجد لا تقطع يده لأن ما يسرقه غير مملوك لأحد فالميت لا يملك شيئا وما فى المسجد ملك لله وليس ملكا للأفراد كما قالوا أن من يسرق جهارا لا تقطع يده لأنه يمكن استرداد ما سرقه بالاستغاثة وأن المجنى عليه

فى هذه الحالة يعلم بالسارق ويمكن متابعته كما قالوا بأن من يسرق من بيت المال أى من يسرق شيئا مملوكا للدولة لا تقطع يده لأن له جزءا فى ملكية المسروق باعتباره من رعاياها كما اشترطوا ما أسموه بحرز المثل أى أن تتم السرقة من المكان المعتاد لحفظ الشيء المسروق وضربوا لذلك مثلا من يسرق جواهر مودعة فى اصطبل لا تقطع يده لأن الاصطبل لا يعتبر مكانا معتادا لحفظ الجواهر . كذلك اشترطوا أن لا تقل قيمة المسروق عن حد معين واختلفوا فى تقدير هذا الحد الأدنى بين درهم واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وعشرة دراهم كما اختلفوا فى تاريخ تقدير هذا النصاب فقال بعضهم تقدر قيمة الشيء المسروق يوم السرقة وقال بعضهم تقدر قيمته يوم الحكم على السارق بالقطع كذلك اختلفوا فى مدى التزام السارق برد الشيء المسروق أو قيمته بعد قطع يده فذهب البعض الى التزامه بذلك وذهب البعض الى أنه غير ملتزم برد الشيء المسروق أو قيمته وأن كل ما يستحقه نتيجة السرقة هو القطع فقط فلا يجوز الزامه برد الشيء المسروق أو قيمته ولك أن تتصور فداحة الأخذ بمثل هذا الرأى فى زماننا هذا الذى أصبح فيه اللصوص يسرقون الملايين من البنوك .

هذه الخلافات انما مردها كما قلنا هو خشية هؤلاء الفقهاء من الفتوى بايقاع حد وفى وجوبه شبهة لحديثه صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » ولذلك أخذوا بأحوط الآراء وأسلمها فى هذا الاتجاه الى جانب ما كان يشيع فى مجتمعاتهم من بساطة وايمان ومعرفة كل منهم بالآخر وسهولة الوصول الى المجرم وانعدام خطر الجريمة لعدم شيوعها . وليس معنى عدم اقامة حد السرقة فى الحالات المتقدمة فى نظر هؤلاء الفقهاء هو افلات السارق من العقاب انما معناه عدم قطع يده فقط مع معاقبته بأية عقوبة أخرى يراها الحاكم أو القاضى وسيجيء شرح ذلك تفصيلا عند الكلام عن جرائم التعزير .

اذا نظرنا الى الآية الكريمة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فاننا نجدها كما قال ابن حزم عامة فى كل سرقة فمتى ثبت ارتكاب الشخص لجريمة السرقة وجب اقامة حد السرقة عليه بقطع يده لأن الآية عامة ومطلقة .

وجريمة السرقة تتم بمجرد استيلاء أى فرد على مال منقول مملوك لغيره وأن يكون هذا الاستيلاء بنية تملكه وأن لا يكون مضطرا لذلك لأن حالة الاضطرار ينعدم معها الاختيار (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وفى هذا الزمان لا تقتصر الملكية على الفرد وهو مايطلق عليه فى الاصطلاح القانونى والشرعى بالشخص الطبيعى وانما يجوز أيضا للأشخاص المعنوية وهى شخصية من صنع التشريع الوضعى مثل الشركات والجمعيات والمؤسسات وغيرها أن تتملك الأموال على مختلف أنواعها .

والقاعدة أن كل مال فى الدولة غير مملوك لأحد الأشخاص الطبيعية أو المعنوية وغير مباح (كالطير فى السماء والسمك فى الماء) يعتبر مملوكا للدولة أو بالاصطلاح الشرعى بيت المال باعتباره يمثل جميع المقيمين فى الدولة وباعتباره وارثا لمن لا وارث له وعلى ذلك لا يوجد مال غير مملوك الا الأموال المباحة .

ويجب أن يكون الاستيلاء على المال بنية التملك وليس بقصد آخر وأن لا تكون هناك حالة من حالات الضرورة الملجئة لذلك فمن أشرف على الهلاك جوعا وامتدت يده الى رغيف خبز مملوك لغيره فلا يعتبر سارقا فى هذه الحالة لأنه قد اضطر لذلك .

ويجب أن يكون المال المسروق له قيمة مالية ومما يجوز تملكه وبيعه وقد سبق أن تعرضنا لتحديد معنى المال عند الكلام عن نظام الملكية وعلى ذلك فمن يسرق خمرا أو خنزيرا لا يعاقب لأنه لا قيمة لهما شرعا ولا يجوز تملكهما ولا بيعهما .

ولا فرق فى السرقة بين أن تتم خفية أو جهارا ولا أن تقع على مال

مملوك لبيت المال أو لأحد الأفراد ولا أن تقع على مال موجود فى مسجد أو فى قبر أو غيره ولا أن تقع على مال فى حرز مثله أم فى غير حرز المثل ولايشترط أن تبلغ قيمة الشىء المسروق نصابا معينا وقد رأينا خلاف الفقهاء فى تقدير هذا النصاب خاصة وأن تحديد هذا النصاب بثلاثة دراهم فى ذلك الوقت البعيد لا يمكن معه فى وقتنا هذا تحديد ما يعادله بالضبط فى كل بلد على حدة وفى كل وقت على حدة حيث تتغير قيمة النقد من بلد لآخر وفى نفس البلد الواحد من وقت لآخر وهذا يتنافى مع عموم الشريعة الاسلامية وصلاحية تطبيقها فى كل زمان ومكان وبذلك لا يشترط فى الشىء المسروق الا أن يكون مملوكا للغير وله قيمة مالية ويمكن الانتفاع به وأن يكون ممايجوز تملكه وبيعه ولا نرى ضرورة اشتراط أى شرط آخر أخذا بظاهر نص الآية الكريمة.

أما السارق فيشترط فيه أن يكون بالغا وعاقلا فلا تقطع يد السارق ان كان صبيا أو مجنونا كما يشترط ألا يكون أبا أو أما لمالك الشىء المسروق لحديثه صلى الله عليه وسلم « أنت ومالك لأبيك » وألا يكون مضطرا لما فعل وهذه مسألة يقدرها القاضى .

أما ما اشترطه الفقهاء من أن تتم السرقة خفية حتى تقطع يد السارق استنادا الى قول الجوهرى وابن عرفه بأن « السارق عند العرب هو ما جاء مستترا الى حرز فأخذ منه ما ليس له فان أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس فان تمنع بما فى يده فهو غاصب » فاننا نرى أن هذه الأوصاف لا تلغى وصف السارق وانما هى تدل على نوع السرقة ولو أخذنا بأن الغاصب ليس بسارق فلا تقطع يده لوصلنا الى نتيجة غريبة جدا وهى أن من يسرق الملايين من أحد المصارف فى وضح النهار بعد تهديده موظفى البنك بما يحمله من سلاح لا تقطع يده لأنه يعتبر غاصبا ولأن السرقة لم تتم فى خفية عن أعين الناس بينما تقطع يد أى فرد امتدت فسرقت جنيها واحدا فى غفلة من صاحبه

كذلك ما اشترطه الفقهاء من أن لاتكون للسارق على المال المسروق ولاية فان كانت له ولاية عليه كما لو كان مستأجرا أو مستعيرا أو مرتهنا له فلا تقطع يده فاننا نجد أن هذا الشرط لا يتفق مع عموم نص الآية الكريمة وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قطع يد المرأة المخزومية لأنها كانت تجحد العارية ولا يمكن التسليم بقطع يد من سرق جنيها واحدا لم يكن فى عهدته وعدم قطع يد سارق الآلاف متى كانت فى عهدته خاصة اذا ما لوحظ أن حد السرقة يمثل الحد الأقصى للعقاب على جرائم الاعتداء على المال فلا يجوز فرض هذا الحد على أى جريمة أخرى من جرائم الاعتداء على المال مهما بلغت درجة جسامتها .

واذا اشترك أكثر من واحد فى سرقة المال تقطع أيديهم فلا يخفف من ذلك اشتراكهم .

وحتى يقام حد السرقة فانه يتعين رفع الدعوى على السارق والدعوى لا ترفع الا من المالك للشىء المسروق ويحق له شرعا قبل رفع الدعوى أن يعفو عن السارق فلا يحاكم ولا يقام عليه الحد — أما بعد رفع الدعوى فان حقه فى العفو يسقط ويقام الحد على السارق بعد الاثبات ولا يملك السارق دفع الحد عن نفسه بشراء الشىء المسروق أو برده أو بدفع أى مبلغ من المال مهما كانت قيمته ولو كانت أضعاف أضعاف قيمة الشىء المسروق .

ولا يعنى توقف اقامة الحد على طلب مالك الشىء المسروق أن تتوقف أيضا اجراءات ضبط السارق وافلاته من كل عقاب وانما يعنى ذلك عدم قطع يده ان عفا عنه مالك الشىء المسروق مع استمرار تعرضه للعقاب الذى تحدده الدولة فى مثل هذه الحالات فالسارق لا يفلت من العقاب وان أفلتت يده من القطع .

وقد اختلف الفقهاء فى أدلة اثبات السرقة وتشدد بعضهم فى الأدلة المقبولة وذلك لجسامة العقوبة ولأخذهم فى الحسبان دائما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ادرءوا الحدود بالشبهات» ولذلك

لم يقبل بعض الفقهاء من أدلة الاثبات الا الاقرار وشهادةشاهدين اثنين ونرى أن هذا الرأى لا يمكن أن يستقيم فى عصرنا هذا حيث لا يمكن أن يتصور أن يقر أحد بارتكابه السرقة مع علمه بأن عقوبتها هى قطع يده ومن ناحية الشهود فقد لا يشاهد السارق غير صاحب المال المسروق أو رجل الشرطة الذى يقوم بضبطه متلبسا بجريمته ولذلك نرى الأخذ برأى الامام الشافعى فى جواز اثبات السرقة بكافة طرق الاثبات وهذا الرأى هو الذى يستقيم فى هذا العصر الذى نشطت فيه هذه الجريمة وأصبحت ترتكب بأحدث الوسائل العلمية خاصة وأن السباق العلمى بين طرق ارتكاب الجرائم وطرق الكشف عنها من شأنه الوصول الى الأدلة الحقيقية التى تجعل القاضى يطمئن تماما الى ما اذا كان المتهم الماثل أمامه هو السارق أم لا .

وكما انقسم الفقهاء فى أدلة اثبات جريمة السرقة انقسموا فى مدى سقوط الحق فى رفع دعوى السرقة وفى اثباتها بمضى المدة فذهب البعض الى أن جريمة السرقة يسقط الحق فى رفع الدعوى بشأنها وفى الشهادة على السارق بمضى المدة واختلفوا فى مدة هذا التقادم فذهب البعض الى تقديره بشهر واحد وذهب البعض الى تقديره بستة شهور وترك البعض تقديره للحاكم وذهب البعض الى أن دعوى السرقة واثباتها لا تنقضى بالتقادم سواء كان اثباتها بطريق الاقرار أو بشهادة الشهود .

وكما انقسموا فى أثر التقادم بالنسبة لرفع الدعوى واثبات السرقة انقسموا أيضا فى أثر التقادم فى اقامة الحد بعد صدور الحكم به لو تراخى تنفيذ قطع اليد مدة بعد صدور الحكم به لسبب هرب الجانى أو تعطيل الحاكم للتنفيذ أو لأى سبب آخر .

فذهب بعض الفقهاء الى أن لهذا التقادم أثره فيسقط حكم الحد بعد صدوره اذا تقادم وترددوا فى تحديد مدة التقادم كما سبق أن ذكرنا بين شهر وستة أشهر أو ترك تقديرها للحاكم . أما الرأى الآخر فانه يذهب

الى ان حد السرقة لا يسقط بتأخير اقامته مدة تعد تقادما وحجة هـذا الرأى أن الحد اذا صدر الحكم به فقد تقرر وثبت وليس لأحـد أن يؤخر اقامته لأن تأخيره يعد تعطيلا لحد من حدود الله ويجب المبادرة الى وقف هذا التعطيل ولو أخذنا بمبدأ التقادم لانصرفت أذهان الجناة الى ايجاد الحيل المختلفة للهـرب ولسهل على الحكام أن يسقـطوا الحدود اذا أخروا اقامتها ولو شهرا واحدا مستندين فى ذلك الى أقوال الفقهاء ولذلك نرى الأخـذ بالرأى القائل بأنه لا أثر للتقادم سواء فيما يتعلق برفع الدعوى أواثبات السرقة أوتنفيذ الحد بعدصدور الحكم به.

واذا ما رفعت الدعـــوى وتم الاثبات وصدر الحكم ونفذ الحـد فان بعض الفقهاء يرى أن عقـوبة السرقة تقتصر على اقامة الحد فقط ولايلتزم السارق برد الشىءالمسروق أو قيمته ويرى البعض أنه الىجانب قطع يده فانه يلتزم برد المسروق أو برد قيمته ، ونرى الأخذ بهذا الرأى الأخيرلأنه لوفرضنا أنأحداللصوص سرق عدة آلاف من الجنيهات من أحد المصارف فماذا يستفيده هذا المصرفمن قطع يد هذا اللص مع ضياع أموال البنك .

وقد اختلف الفقهاء فيما اذا عاد السارق الى السرقة بعد أن قطعت يده اليمنى فى السرقة الأولى فذهب بعضهم الى أنه فى السرقة الثانيـة تقطع رجله اليسرى وفىالسرقة الثالثة تقطع يده اليسرى وفى السرقة الرابعة تقطع رجله اليمنى وذهب بعضهم الى قطـع اليد اليسرى فى السرقة الثانية ثم الرجل اليمنى فى السرقة الثالثة والرجـل اليسرى فى السرقة الرابعة وروى عن على بن أبى طالب أنه تقطع اليـد اليمنى فى السرقة الأولى ثم الرجل اليسرى فى السرقة الثانية ولا قطع بعـد ذلك وانمـا يعاقب تعزيرا بالعقوبة التى يحددها القـاضى أو الحاكم وهو مـا نرى الأخذ به .

ومن كل ماتقدم يتضح لنا حكم السرقة فى الشريعة الاسلامية حسبما نسـتظهره من الآية الكريمة ومن الشروح المختلفة للفقهاء وهو كمـا يلى :

١ ــ أن جريمة السرقة تتم بمجرد الاسـتيلاء بنية التملك على مـال

الغير الجائز تملكه وبيعه دون ضرورة ملجئة لذلك .

٢ ـ يشترط فى السارق أن يكون بالغا وعاقلا وليس أحد الأبوين لمالك الشىء المسروق .

٣ ـ لا يحكم بحد السرقة الا اذا رفعت الدعوى من مالك الشىء المسروق .

٤ ـ يتم اثبات السرقة بكافة طرق الاثبات .

٥ ـ لا أثر للتقادم فى رفع دعوى السرقة ولا فى اثباتها ولا فى تنفيذ الحد بعد صدور الحكم به .

٦ ـ يلتزم السارق برد الشىء المسروق أو قيمته مع اقامة الحد عليه .

٧ ـ تقطع اليد اليمنى للسارق فاذا عاد تقطع رجله اليسرى فان عاد للسرقة بعد ذلك يعاقب بالعقوبة التى يحددها الحاكم أو يقدرها القاضى .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن جريمة السرقة ونبدأ فى العدد القادم ان شاء الله الكلام عن بقية جرائم الحدود .

حسن حسب الله

سمع عمر ان احد اولاده اتخذ خاتما ، واشترى له فصا بألف درهم فكتب اليه يؤنبه ويؤدبه :

بلغنى انك اشتريت فصا بألف درهم فبعه واشبع به ألف جائع واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه :

(رحم الله امرءا عرف قدر نفسه)

مع العقاد في "اللغة الشاعرة"

للأستاذ السيد حسن قرون

— ١ —

بعد أن طوف العقاد فى مجال الفكر،وضرب بسهم وافر فى مجالات المعرفة فى كتب تربو على المائة وفى مقالات لاتحصى فى السياسة والاجتماع والنقد الأدبى فى الصحف والمجلات حملتها الى القراء على مدى خمسين عاما قدم للمكتبة العربية كتابا لطيف الحجم ، غزير العطاء ، نابض الأسلوب ، هو كتاب « اللغة الشاعرة »وهو دراسة وافية شافية فى اللغة العربية من حروفها وتصريفها الى نهاية البلاغة فى أدائها وفى أثناء ذلك رده الحاسم على المستشرقين والخارجين عليها من أبنائها الناطقين بها ، ولاسيما قضية « انتحال الشعر الجاهلى »مستخدما الأدلة المقنعة ، والبراهين الدامغة فى غير صخب أو مغالطة ، وقد دعاه الى موقفه هذا تعرضها لهجوم أصحاب النوايا السيئة من دعاة العلم فى الخارج والداخل ممن يتشدقون بدراسة اللغات والديانات، ووزن كل لغة حسب مفاهيم اصطنعوها وتبع الاستشراق أناس منا تتلمذوا على بعضهم أو قرءوا لهم ، فغضوا من لغة الضاد ، ورموها بالقصور عن استيعاب الحضارة الحديثة ومتطلباتها فى العلوم والفنون ، فكان كتاب « اللغة الشاعرة » تصحيحا للأفهام ووضعا للأمور فى نصابها .

وليس من قصدى أن أعطيك الكتاب والرأى فيه معا فهذا يقتضى مجهودا كمجهود الأستاذ عباس محمود العقاد تأليفا وتصنيفا ، وانما أهدى اليك

بعضا مما تناوله المؤلف موردا رأيه فى قضايا أثيرت منذ مطلع هذا القرن ولم يحسم الخلاف فيها ، وأغلب ظنى أنه قد حكم فيها حكما أصاب المحز وطبق المفصل مقدما البراهين مسجلا الحيثيات التى يقبلها النقاد والدراسون للغات من المهتمين بلغتهم ، وقد كسبوا القضية فى محكمة العقاد .

ومن البداية أعلن — رحمه الله — فى « فاتحة عريقة » : هذه اللغة على قدمها تتجدد لها مزايا متعددة كلما تقدمت الدراسات الحديثة فى العلوم اللسانية والصوتية، ويرجع الباحثون الى خصائصها فيكشفون جانب المزية فيها وجانب الرجحان منها على غيرها بعد أن كان كل فريق منهم يحسبها شذوذا يدل على النقص أو يدل على جمود فى الفكر على سنة اللغات الشائعة بين لغات الحضارات الكبرى » .

وما البحوث التى حواها ذلك الكتاب ؟ يقول : فى الصفحات التالية فصول عن اللغة الشاعرة وعن اللغة المعبرة وعن المقابلة بين فن العروض العربى وأمثاله من فنون اللغات الأخرى ، وعن فلسفة الحياة كما تصورها المأثورات الشعرية من عهد الجاهلية الى ما بعد الاسلام وعن الموافقة بين مقاييس النقد ومقاييس التاريخ فى الشعر القديم ، ومعها فصول تناسبها وتجرى مجراها يتحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الشاعرة فى ابان الحاجة اليها لأن الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمس غاية المساس فى زمن تعرضت فيه هذه اللغة — وحدها — بين لغات العالم لكل ماينصب عليها من معاول الهدم ، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها ، لأنها قوام فكرة ، وثقافة ، وعلاقة تاريخية ، لا لأنها كلام وكفى .

وقد وعدتك أنى أقدم لك هدايا أو نماذج مما فى هذا الكتاب ، وتلك النماذج تعطيك منهج العقاد ومذهبه فى بيان مزية تلك اللغة، وقد ضيقت على نفسى الخناق فجعلت همى فى موضوعات خاصة أراها جديرة بالعرض وهى : الاعراب وأوزان الشعر ، والمجاز والشعر والزمن فى اللغة العربية ، ونقد

الشعر العربى ، مما جالت فيه أقلام الاستشراق والاستغراب ، وهى مجالات فسيحة يستخدم فيها العقاد عقله وعلمه وأدبه وممارسته للآثار الأدبية والنقدية فى اللغات الأجنبية. والعقاد من جيل الرواد الذين بثوا الحركة فى اللغة نثرها وشعرها ، وفى مقدمة من وضعوا مقاييس للشعر العربى الحديث حين ثار مع زميليه المازنى وشكرى على شعراء النهضة ، وسموا شعرهم « بشعر التقليد » فاذا جاء اليوم ليثبت للغة شاعريتها ومزيتها على اللغات الأجنبية العالمية فهو خير من يقوم بذلك ، وينهض به .

الاعراب

فماذا قال عن مزية الاعراب فيها؟ أنت تعلم أن دعاة العامية نادوا بترك الاعراب ، ودعوا الى الوقوف على الساكن ، وحذف النون فى الأفعال الخمسة ، واشتطوا فى ثلبها فقالوا : ان اللغة العربية تفهم لتقرأ ولا تقرأ لتفهم الى غير ذلك مما ينفر أهلها منها ، ويجعل الحديث بها ضربا من التخلف والتلكؤ عن مسايرة العصر ولا جدال فى أن هؤلاء القائلين ضعفوا عن فهمها واتقان استعمالاتها فعادوها ، ومن جهل شيئا عاداه — كما يقولون — ولكن العقاد عايشها وخبر دقائقها وتذوق جمالها ؛ لذلك جاء رادا اليها حقها كاملا غير منقوص وهو يتعرض للاعراب بطرق غير مطروقة ، وقول أنف لم يعرفه من جال فى هذا المضمار قديما وحديثا لا تظن بى المغالاة ، فاليك شيئا مما قاله فى الاعراب والقصيد .

ليس أوفق للشعر من العبارات التى تنتظم فيها حركات الاعراب وتتقابل فيها مقاطع العروض وأبواب الأوزان وعلامات الاعراب ؛ فان هذه الحركات والعلامات تجرى مجرى الأصوات الموسيقية ، وتستقر فى مواضعها المقدورة على حسب الحركة والسكون فى مقاييس النغم والايقاع ، ولها بعد ذلك مزية تجعلها قابلة للتقديم والتأخير فى كل وزن من أوزان البحور ... وان هذه المزية لتعلم النحاة أحيانا كيف ينبغى أن يفهموا الشعر فى هذه اللغة الشاعرة لأن المزية الشعرية فى قواعد اعرابها أسبق من المصطلحات التى يتقيد بها النحاة والصرفيون »

ويضرب أمثلة ليؤيد بهـا رأيه من القديم والوسيط والحديث فى منطق سـليم ، وتعليل جـذاب . قال : يقول النابغة ـ شاعر جاهلى ـ :

فبت كأنى سـاورتنى ضـئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فينسى النحاة أن عـلامة الرفع فى القافيـة تدل على الصـفة وتعطى الكلمة معنـاها الذى يلائم الوزن ويلائم الاعراب ، وما أخطأ النابغة حين قال: «ضئيلة ناقع فى أنيابها السم» ولاهو بمخطىء فى تأخير الصـفة الى مكان القافيـة لأنهـا ـ وهى مرفوعة ـ لاتكون الا صفة موافقة لموصـوفها أينما انتقل بها ترتيب الكلم المنظوم . ويقول أبو سعيد الرستمى فى وصف دار ابن عياد ـ شاعر عباسى ـ :

وسامية الأعـلام تلحظ دونها
سنا النجم فى آفاقها متضائلا

فلايضير الشاعر أن يضع النحاة متضائلا هنا حيث أرادوا من مواضع الاعـراب : هى حال وان أرادها النحاة مفعولا ثانيا ، وهى قافيـة مطمئنة فى موقعها على حسب الوزن وعلى حسب المعنى فى كل كـلام منظوم أو منثور ولا يستقيم هذا النسق لشاعر ينظم بغير اللغـة العربية ؛ لأن الترتيب الآلى يقيده بموضع لا يتعـداه حيث يطلقه الاعـراب (العربى) المعدود فى عرف أعدائه الجهلاء قيدا من القيود .

وتقع هذه الضآلة الى موقعهـا من نظم شاعر معاصر يضعها حيث صح له وضعها بلفظها ووزنها ومعناها فقال :

قطعوا بأيديهم خيوط سيادة
كانت كخيط العنكبوت ضئيلا

ان ضئيلا فى هذا البيت الذى وصف به (شوقى) سيادة (بنى عثمان) لتحمد للاعراب العربى تلك الطمأنينة التى تستقر بها فى موضـعها ، فلا تضطرها السيادة الى التأنيث وليس عليه أن يقول . « كانت ضئيلة » ولا أن يقول : « قطعوا خيوطـا ضآلا » ؛ لأن لسـان « الحال »

هنا أصدق من لسان المقال • فقواعد الاعراب هى التى أتاحت لهؤلاء الشعراء أن يطوعوا أوزانهم لمعانيهم ، ولو نظموا بغيرها ماوجدوا تطويعا يساعدهم ، ويبرز فنهم الشعرى •

الشعر والأوزان

فاذا بلغنا الشعر وأوزانه وقوافيه وجدنا عند العقاد جلاء لكل شبهة، وبيانا لكل ظنة ، ودليلا لكل ضلة ، آخذا بيدك الى الفن الكامل فى الأداء العربى ، « والمقصود بالفن الكامل هو الشعر الذى توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض التى تعرف بأوزانها وأسمائها ، وتطرد قواعدها فى كل ما ينظم من قبيلها » ولايترك هذا الكلام دون مقابلة وموازنة بين الشعر العربى وغيره فى اللغات الأجنبية ، ويفرد الحديث عن اللغات السامية لأن بعضهم يقول : ان هذا الفن العربى أثر من آثار المزاج السامى لما اشتهرت به السلالات السامية من نشاط الحس وسرعة الاستجابة للمؤثرات ، لكن البحوث المشرقية أثبتت أنها خلو من فنون العروض الملتزمة فى المنظومات العربية ، فالعرب لم يبدعوا فنهم لأنهم سلالة سامية ، ولم يبدعوه لأنهم سلكوا فيه مسلك الأمم الأخرى مبتكرين أو مقلدين ، تفردوا بفنهم الذى لا نظير له بين أمم العالم لأسباب كثيرة : منها خاصة الفن الموسيقى فى مخارج الحروف العربية ، وخاصة الأوزان والحركات على حسب معانى المشتقات ، وخاصة الاعراب وارتباط قواعده بالحركات ، ودلالة الحركات على المعانى دلالة تسمح بالتقديم والتأخير ووضع الكلمة فى الموضع الذى يناسب مبنى البيت ولا يخل بمعناه •

والسبب الأصيل عنده هو (الحداء) ومن الطريف أن نقادنا القدامى أشاروا الى شىء يوحى بقول العقاد فقد ذكروا عن أولية الشعر العربى أن أول من نطق بالشعر (مضر) حين وقع من فوق الجمل فأصيبت رجله فصاح بقول منظوم • يقول العقاد : ان الحداء غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة وهى حركة الجمل فى حالتى الاسراع

والابطاء ، ونشأ عن ذلك البحر ، والقافية ، الوزن تبعا لحركة الجمل ، والقافية لأنها تنبه السامع الى المقاطع والنهايات ــ كأنها الفاصلة فى الكتابة ، كما تقول اليوم ــ خلافا للغناء الجماعى الذى يشترك فيه الكثيرون ، فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف ، وأين يكون الاسترسال ، وحتى كلمة (شعر) يجعلها من وضع العرب ، وأنها مع تحريفاتها الكثيرة فى السامية ترجع الى أصلها العربى مدونا تلك اللغات وتحريفاتها ، فكلمة (شيرو) فى الأكدية القديمة تدل على هتاف الأناشيد فى الهياكل ،ومنها انتقلت الى العبرية التى تأتى فيها كلمة (شير) بمعنى (أنشد) والى الآرامية التى تترادف فيها كلمة (شور) وكلمات الترنم والترتيل ويسمى كتاب نشيد الانشاد بالعبرية (شيرهشيريم) بهذا المعنى ، وليس التحريف بعيدا فى الانتقال من لفظ (شعر) الى لفظ (شير) اذا علمنا أن حرف العين وبعض حروف الحلق سقطت من (الأكدية) كما سقطت من أكثر اللغات .

ويلح العقاد على « السليقة الموسيقية » التى اختصت بها اللغة العربية فيسرت لأصحاب المواهب أن ينظموا بها فى الجاهلية دون تعلم العروض ، ومثلهم فى أيامنا ناظم الزجل ، فهو منظوم فى كل بحر من بحور العروض وكل مجزوءاتها ، وانه ليجهل أسماءها وقد يجهل قراءتها فى الورق كما يجهل معانيها اذا قرئت عليه ، وكثيرا ما نظم الأزجال فى بحور العروض المتعددة أناس جهلوا كتابة الحروف كما جهلها قبل مئات السنين شعراء الجاهلية المشهورون ، ولولا جريان اللغة فى ألفاظها وتراكيبها « على السليقة الموسيقية » لما تيسر ذلك للشاعر الجاهلى ولا للزجال الأمى فى هذه الأيام .

ويناقش فكرة عجز اللغة العربية عن الوفاء بفنون الشعر الكبرى ، الغنائى ، والقصص الملحمى ، والتمثيلى ، فالمشهور لدى الدارسين أن أغراض الشعر العربى انحصرت فى الشعر الغنائى من غزل ووصف وفخر وهجاء ومدح ورثاء ولم تطرق أبواب الملاحم ولا مسارح

التمثيل ناظرين الى الشعر الجاهلى وأغراضه . ولكن العقاد فى رده على هذا لم يفرق بين قديم وحديث فأوزان الشعر العربى وسعت كل فن وغرض « لم تضق بالترشيح والتسميط ، ولا بالأناشيد الفردية والأناشيد الجماعية ، ولم يعجز عن التعبير بها فى فنون القصة على التخصيص ناظم ذو معرفة وثقافة ، ولا ناظم من الأميين أصحاب السليقة المطبوعة فى ملاحم اللغة العامية ، فالملحمة اليونانية الكبرى — وهى الالياذة(١) — نقلت الى العربية الفصحى فى هذه الأوزان ، وملاحم أبى زيد الهلالى نظمت فى هذه الأوزان » .

ويقرر أن بحور اللغة العربية تستوعب حاجة كل ناظم « ففى اللهجات الشائعة مقطوعات نظمها الأميون والأميات فى موضوعات الأفراح والمآتم ، والمساجلات والأمثال لا تخرج عن أوزان تلك البحور ، ولا يحس الناظم الأمى أنها عسيرة عليه ، فهو لا يحتاج الى أداة غير السليقة الفنية والقدرة المطبوعة على التعبير » . ويتابع البحث فى تلك « الموسيقية » قائلا: انها تأتى فى الكلام الذى لا يقصد به الشعر كما جاء فى القرآن والحديث الشريف واذا كان الأمر كذلك ولا ريب فيه فلم يصيح الشعراء اليوم بصعوبة النظم على الوزن والقافية الموحدة ؟ .

يقول العقاد : ومن هنا يظهر لنا أن الدعوة الى الغاء الأوزان ذات البحور والقوافى فى اللغة العربية لا تأتى من جانب سليم ، ولا تؤدى الى غاية سليمة ، فلا يدعو اليها غير واحد من اثنين : عاجز عن النظم الذى استطاعه الشاعر العامى فى نظم القصص المطولة والملاحم التاريخية من أمثال السيرة الهلالية وسيرة الزير وغيرها من السير المشهورة .

أو عاجز عن النظم الذى استطاعه الشاعر العامى والشاعرة العامية فى نظم أغانى الأفراح ونواح المآتم وأمثال الحكمة والنصيحة على ألسنة

(١) ترجمها الى العربية سليمان البستانى سنة ١٩٠٤ فى احد عشر الف بيت بالفصحى .

المتكلمين باللهجات الدارجة ، ولا خير للفن فى كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشاعرية والملكة الفنية ، وأحرى به أن يأتى بما عنده فى كلام منثور ويترك النظم وشأنه بدلا من هدم الفن كله وحرمان اللغة العربية من آثار القادرين عليه . ويختم قوله فى الأوزان بقوله :

« ان هدم الفن الجميل الذى امتازت به لغة العرب بين لغات العالم لا يصدر الا عن عجز أو اصرار على الهدم ، ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العقيم ، والضغينة النكراء »

لكن شعراء « التفعيلة أو الشعر الحر » أو « الشعر السايب » كما سماه العقاد نفسه قد ملئوا الجو هتافا بالعدول عن الشطور المتساوية ، ومضوا به الى شىء لا هو شعر ولا هو نثر ، وحد الشعر عندى أنه يصلح للغناء ، فاذا استعصى عليه كان ثغاء وخوارا ، ونعيقا على الفن من شعر وغناء ، وانك لتبدأ فى أوله ثم تجد نفسك تجرى وتجرى حتى تنتهى من هذا الطراز وأظنك لا تفهم منه الا ظلالا من الفهم ان وفقت ، فقد جمع بين النظم الأعرج والمضمون الكسيح وما ثورة العقاد عليه الا أنه لم يجد له مذاقا وأنه يعترض مجرى اللغة الشاعرة ويرمى بها بين اللغات العاجزة ، ولولا ذلك لكان العقاد أول المؤيدين ، اذ أنه فى مقدمة من دعا الى التجديد فى الشكل والمضمون ، ويعز على أن أجد (صلاح عبد الصبور) ، (وكمال نشأت) يتخذان « الشعر الحر » مذهبا ، وهما القادران على السير فى طريق « عمود الشعر » ولكمال نشأت ديوان كامل نظمه كما ينظم شعراء العصر العباسى ولكن حب الاغراب له أضواء تغشى العيون .

المجاز والشعر

كنت أود أن أترك الحديث عن « المجاز » لأن من درسوا البلاغة متخصصين أو غير متخصصين شبعوا من الحقيقة والمجاز وما تفرع عليهما من مباحث تعنى الدارسين ، وتستهلك بهاء الشعر الأصيل من كثرة الأخذ والرد من عهد السكاكى الى عهد الجارم ، لكنى نظرت

فوجدت العقاد يعالج أمرا يتصل بفهم المستشرقين للمجاز فى لغتنا الشاعرة من جهة ، ومن جهة أخرى يأتى بطرائف طريفة لم يسبق اليها فى الدراسات السابقة أو اللاحقة ، ويعلن من أول كلمة أن اللغة العربية لغة المجاز . كيف كان ذلك ؟ ولى تجربة أنا مع الذين استغربوا أو بتعبير أدق الذى شدوا قليلا أو كثيرا من اللغات الأجنبية ، فهم فى أثناء الحوار يقولون : ان اللغة العربية لا حقيقة فيها فكلها مجاز ، وأعجب كيف يكون المجاز مولودا من غير أب أو أم ، والأصل فى اللغات أنها تتصل بالماديات فكيف خالفت اللغة العربية القاعدة ؟ ان العقاد فى حديثه عن المجاز رد على المستشرقين والمستغربين معا . يقول : لا تسمى اللغة العربية بلغة المجاز ـ فيما نرى ـ لكثرة التعبيرات المجازية فيها ، لأن هذه التعبيرات قد تكثر فى لغات عدة من لغات الحضارة ، وانما تسمى اللغة العربية بلغة المجاز لأنها تجاوزت بتعبير المجاز حدود الصور المحسوسة الى حدود المعانى المجردة ، فيسمع العربى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة الا ريثما ينتقل منها الى المقصود من معناه ، فالقمر عنده بهاء والزهرة نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة ، والطود وقار وسكينة ، ويضرب مثلا لسهولة الانتقال من الحقيقة الى المجاز كأن لا حقيقة منظورة بالكتابة . قال : كان الكاتب فى عهود الكتابة الأولى قبل اختراع (الأبجدية) يريد أن يكتب كلمة (يمشى) فيرسم على الصخر أو الورق صورة انسان يمشى على قدميه ويبدو عليه أنه يتحرك فى مشيته ، ثم تطورت الكتابة فانتقلت الصورة الى مقطع صوتى يؤخذ من الصورة ويستخدم فى الدلالة على الأصوات التى تشبهه ، ثم انتقلت من المقطع الصوتى الى حرف واحد تجتمع منه الحروف الأبجدية وهى الكتابة فى مرحلتها الأخيرة ، فالباء هى الحرف الأول من كلمة (بيت) التى كانت ترسم على شكل بيت للدلالة على المبيت أو المساء ، ثم تولد منها مقطع بحروفه الثلاثة ، ثم تولد من المقطع حرف واحد هو الذى بقى من الصورة كلها وهو الذى نسميه الآن حرف « الباء »

ونسمعه فلا يخطر لنا رسم البيت على بال ، لأننا تخطينا بالكتابة عهد (الهيروغليفية) وعهد المقطع الى عهد الحروف الأبجدية .

مثل هذا التطور يتكرر فى الصورة المجازية التى ترد على ألسنة المتكلمين باللغة العربية فلا يلبث التشبيه المجازى أن يؤدى معناه المقصود بغير وساطة الشكل المستعار ، ولا يشغل الذهن بالصورة المحسوسة لانتقاله منها على الأثر الى الوصف الذى يقابلها كما تقدم فى معنى القمر والزهرة والغصن والطود .

ولا يعنى العقاد بهذا أن الحقيقة ذهبت وأبيدت ، وانما يعنى تطور اللغة وامكاناتها فى الأداء ، فكلمات كثيرة بقى لها معناها الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على الألسنة حتى ليقع اللبس أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال؟ وهنا يورد كثيرا من هذا النوع الذى يستخدم فيه المجاز والحقيقة باقية صالحة للاستخدام ، منه : الحقيقة والمجاز ، وانطلق ، واعترض ووجب ، والفريضة ، والفضيلة ، والحكمة ، والعقل ، والعظمة ، والأنفة ، والعزة ، والنبل ، والرحمة ، والجمال ، والبشر ، والعلم ، والثقة شارحا الأمرين ، مبينا الاستعمال فى حالى المجاز والحقيقة . ثم قال :

« ومن هذه المجازات ما هو قوى الدلالة على أحوال الأمة العربية فى حياتها الأولى فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة : فالكتابة والشكل بمعنى القيد ، والرسم أثر خطو الابل على الرمل فى رسيمها أو سيرها على العموم ، والبلاغة من الوصول الى غاية السير والفصاحة من اللبن الفصيح الذى زال رغوه ، والدلالة للقافلة كالدلالة للكلام . واذا قال العربى القديم : ان العرب قوم أو قبيل فانما يعنى بالقوم طائفة من الناس تقوم معا للقتال ، وما الطائفة وما القبيل ؟ انهما جاريتان هذا المجرى ، فالطائفة أناس يمضون الى قبلة واحدة ، ومثل هذا اطلاق كلمة (القرن) ؛ على الذين يقترنون فى مولد واحد ، ثم أطلقت على الزمن

الذى يقترنون فيــه ، ويشبه أن يكون (الجيل) بمعنى القرن على فعيــل من جال ، ثم تحــولت من جويل الى جيل ... » .

ثم يستطرد من هذا الى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى فى استعمال المعــنى الحقيقى والمعــنى المجازى فى وقت واحد ، فيبــدو له من المقــارنة أن الــكلمات التى تستعمل للغرضين كثيرة فى اللغــة العربيــة وليست بهــذه الكثرة فى اللغات الأوربية ، ويذكر العــلة فى ذلك قائلا : وقد يرجع الفــارق الى غير سبب ، فلعله راجع الى تطاول العهــد بين بداوة الأمم الأوربيــة وحضارتها ، ولعله راجع الى انتقال لغاتها الى حالتها الحاضرة من لغات قديمــة بطل استــعمالها وانقطعت فروعها عن أصولهــا ، ولعله راجع الى خاصة عربية بدوية فى التعبــير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية .

ثم يهــاجم المستشرقين فى فهمهم وضلالهم وحرمانهم الحس اللغوى الذى يمنحهم مذاق المجاز العــربى مقــدما المثــــال ليكشف جهلهم وادعاءهم معا فى فهم البلاغة العربية أو الخيــال فيها . يقــول ان قول البديعى العربى : « رأيت قمرا على غصن على كثيب » يربك السامع من غير أبناء اللغة العربية ، ويجتهد هذا الســامع فى اســتخراج الصــور المحسوسة من أطوار التشبيهات فلا يدرى كيف يجتمع منها رسم جميل ، ثم ينفض يده من البلاغة العربيــة قائلا لنفسه انها بلاغة مزاج آخــر يسيغ ما لا يســاغ فى كل مزاج ، الا أن المسألة فى حقيقتها ليست من مسائل المزاج المختلف بين الأجناس ، ولكنها مسألة اللغة والاصطلاح فى استخدام الصور والكلمات ...

ان العربى أيضا يزعجه أن يضع قمر الســماء على غصن الشجر على كومة الرمل ليستخرج منها محاسن انسان يهواه ولا يعجب السامع من هواه ، ولكنه يبتهج ولا ينزعج حين يفهم الصورة على طريقته فى ترجمة المجاز من الصــور الهيروغليفية الى الحروف الأبجدية : اشراق كالاشراق الذى يحسه الناظــر الى القمــر ، وخفة كالخفة التى يتمايل بها الغصن

النضير ،وجسم بض كالجسم الذى يمسك ذلك الغصن ، وانسان يتقابل فيه الاشراق والخفة والبضاضة فى رشاقة واعتدال ، ولا موجب بعد ذلك للحيرة ولا لنفض اليدين من بلاغة المزاج الغريب الذى يأبى أن يأتلف بكل مزاج .

ومن أين جاءت الحيرة ثم الحكم القاسى على الشعر العربى ؟ يقرر العقاد أن الغالب على هؤلاء المستشرقين من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب الحفظ فى الأدب ، ولا يشتغلون بلباب الأدب فى لغاتهم ولا فى لغات غيرهم من المشارقة أو المغاربة ، فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم ، وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم. يشعر المستشرقون بالربكة حين يتوقفون بذهنهم عند مجازات التشبيه فيحسبونها مقصودة لذاتها. ويتقيدون بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، ولا يدرى أحدهم كيف يطرب العربى لهذا الشعر ، ولا يحاول أن يرجع بالعجب الى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهى — فيما يعلم — من الأمم التى تفخر بلسانها، وتنكر العجمة فى ألفاظها ومعانيها .

والأمر بعد ليس راجعا الى ذوق وذوق فأبناء العروبة الذين يقرءون اللغات الأجنبية لا يربكون حين يقرءون ، لأنهم يصلون الى طبيعة اللغة التى تعلموها ، ولأنهم يتذوقون ولا يحفظون . وهكذا دفعهم الحق بكشف مساويهم ، وعلة الخطأ فى تنائيهم عن تذوق البلاغة العربية والمجاز الشعرى فيها .

السيد حسن قرون

سئل عمر عن رجل لا يشتهى المعصية ، ولا يعمل بها هل هو افضل ؟ أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ؟
فقال : الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها « اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

المرأة فى الإسلام

لفضيلة الدكتور رءوف شلبى

— ١ —

موضوع المرأة فى الاسلام شيءٌ له أن يقلب على كل الوجــوه وأن يعرض فى مظاهر شــتى كأنما هــو موضوع خطير ومعضل لمـا ينتــه الاســلام من حسمه وانهاء الرأى فيه...وهكذا شيءٌ لهذا الموضوع أن يطرق كثيرا بل شيءٌ له أن يقام له مؤتمر خاص أو مهرجان فكرى خاص لغرض نحن لا نحسن النية تجاهه وان حسنت نيات المشتركين فيه لأنه لا رأى لمسلم ولا لمسلمة اذا قضى الله ورسوله أمرا .. وقد انتهى منذ أربعة عشر قرنا من موضوع المــرأة فى الاســلام وطبــق شرع الاســلام فى حكومات شتى وبــلاد شتى ، وعصور شتى وأزمان شتى ولم تظهر قضــية المرأة فى مجتمــع الاسلام على أنها مشكلة الا بعــد أن ظهر الغزو الفكرى الأوربى ، وأصغر الفكر الشرقى أمامه فأصبح الفــكر الغــربى هو الوجه للفــكر العربى المسلم وتسلل موضوع المرأة كموضوع من موضوعات المشكلات الاجتماعية لأهــداف كثيرة أقلهــا خلخلة الاعتقاد فى صــحة النظــام الاسلامى للأسرة فى العصر الحديث، والمطالبة بتطوير التشريع الاسلامى على سنن النظام الغربى ... وبذلك يكسب المخطط الاستعمارى الثقافى مكسبا ضخما وهو أن حوّر فكر المسلمين فى أدق عناصر حيــاتهم فى موضوع الأسرة وأبعدهم من النظام الاسلامى .

ومن الغريب جدا أنه فى اللحظة التى نرى فيها الفكر الغربى يتهافت فى نظام الأسرة : نرى ألمــانيا بعد

الحرب العالمية الثانية تطالب جمهرة نسائها بالنص على وجـوب تعـدد الزوجات فى الدستور الألمـانى •

وفى اللحظة التى نرى فيها ايطاليا حاليا وهى عرين الفاتيكـان تبيح الطلاق ••• فى هذه اللحظات نرى أن سموم الفكر الغازى القديم التى سرت الى النشاط النسائى العـربى ما زالت عالقة بجدران التفكير للحركة النسائية كما زالت هناك مطالبـات بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات •

والغريب فى الموضوع أن الحركة النسائية العربية المعاصرة قد أغلقت عينها عن نور الاسلام وفتحت كل أبصارها على ظلام الفكر الغربى تعبّ من ضلاله لتسقى روضها بالمياه المالحة من المحيط الاطلنطى مقتنعة بأنهـا أصـفى من ماء النيل الذى يهب للحدائـق عطر الورود ورياض البسـاتين وأعنى (بالنيل) هنا هدى القـرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

ومن هنا أيها الاخوة فان الحديث عن المرأة فى الاسلام سـوف يكون منطلقه هو الاسلام نفسه اظهـارا للصورة الرائعة للحياة الكريمة التى هيأها الاسلام الحنيف للمرأة لتحيا موقرة بعيدة عن مشـاغبات الحياة وهواجس النفس••وتقنين المغترين•

وسوف نعـالج الموضـوع على النحو التالى ــ :

أولا : الطور الأول :

قبل المولد

كان الشـعور السائد فى المجتمع العالمى ابان ظهور الاسلام يتأفف من خلف البنت •

وكان الاسلام فى المدينة المنـورة يجاور ــعن كثب ــاليهود،الفرس والرومان والنصارى وهـؤلاء لهم فقه خاص ونظام خاص عن المرأة •• فلما جاء الاسـلام أراد أن يضـع ذاتيته التشريعية فى مواجهـة ذلك المنطق البشرى كله فمهد الاسـلام الحنيف بمدخل سيكولوجى نفسى عند الرجل ليستقبل المرأة فى الوجود الدنيوى بنفس راضية وصدر حنون ومشـاعر طيبة • فربطها الاسـلام برضوان اللـه وأنسه بقـول النبى صلى الله عليه وسلم :

ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ،أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعـك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك •

رواه مسلم فى باب صلة الرحم •

فيضع الاسلام منزلة المرأة وهى ما تزال فى رحم الغيب بجوار مقام العائذ بالله أى فى مقـام السلطان والعزة فهى فى جوار آمن ، وهى فى جوار صاحب الملك والتدبير والسلطان فمن ذا الذى يغضب الرحمن ؟

ولا تقف التهيئة الوجدانية عنـد هذا فقط بل انها لتسير فى خط يثير الوجدان الطموح ويدفعه الى التلذذ بخلف البنت فيجعل الاسلام دخول الجنة مرتبـط بصلة الرحم يقـول النبى صلى الله عليه وسلم ـ :

« لا يدخـل الجنة قاطع رحم » (رواه مسلم) •

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« من سره أن يبسط علية رزقـه أو يسـأ له فى أثره فليصل رحمه » (رواه مسلم) •

واذا أساءت المرأة ـ فرضـا ـ واصـلها ، فان الاسلام لم يحرمها من هذه المكرمة ـ ففى البخارى :

« ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصـل الذى اذا قطعت رحمـه وصلها » •

وبذلك يضـع التشريع الاسلامى المرأة فى كل أحوالهـا ومن قبل أن تولد على بساط التكريم والاحترام•

فأرونى مثل هـذا الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هذه الحظوة وهى فى الغيب المحجوب ما تزال شيئا ما •

ثانيا ـ الطور الثانى :

طور طفولتها

كانت وما تزال ـ البيئة البشرية تشمئز من البنت وكان وما يزال ـ الرجل متعلقا بانجاب الذكر لأنه حسب تفكيره امتـداد لحيـاته واستمرار لاسمه واحياء لذكره •

وكان وما يزال الرجل يرى أن البنت مصدر عار ، انها تحمله مشقة نفسية فى التربية وتحمله مشـقة

اقتصادية فى النفقة .. الخ وذلك عبء .. عبء ثقيل عليه .

أما الولد فيما يزعم الرجل فهو أخف ثقلا ،لأنه مصدر عمل وعون.

ثم جاء الاسلام وقلب الفكرة وجعل مولد البنت مولد كرامة جديدة ، ففى الأثر :

اخرجى وأنا عون أبيك .

وجعلها الله لوالدها سترا من النار

ففى مسلم — :

« من ابتلى من ابنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » .

وجعل الاسلام الاحسان اليهن من مفاتيح الجنة .

فقد روى الامام أحمد والبزار والطبرانى — :

« من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة، قيل : يارسول الله فان كانتااثنتين قال وان كانتا اثنتين .

وجعل الاسلام انجاب البنات عطية الله الأولى ومنحته السامية فقدمهن على الذكور فى قوله تعالى:

« للهملك السموات والارض يخلق ما يشاء : يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور،أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير »(٤٩ ، ٥٠ الشورى). »

فجعل لانجاب البنات هبة من هباته وعطية من عطياه جل شأنه وجعله فى جوار « يخلق مايشاء » فالعطية منه مقبولة لانه لامعطى لما منح ، وجعل الخلق فى سلطان ملكه ـوقدم هبة الاناث لتكتسب الأنثى شرف الجوار للخالقية الموضوعة فى اطار الملكية الالهية فهى ألصق بما لجلاله من كمال السلطان فأكسب هبة الاناث بهذا علو منزلة على عطية الذكور .

وليس هذا فحسب بل جعل النبى صلى الله عليه وسلم أب الاناث صاحبه يوم القيامة — ففى مسلم عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — :

« من عال جاريتين جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين ـ وضم اصابعه ـ » .

ويواجه التشريع الاسلامى منكرات العادات الجاهليه التى تأخذ بوأد البنات ، فينعى القرآن الكريم على المشاعر المتحجرة .

« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (٥٨ ، ٥٩ ـ النحل) .

فتصحح الآيات القرآنية الفكرة الخاطئة وتضع بديلها حكمة الله التى جعلت تهيئه أن تنشأ من زوجين : ذكر وأنثى بينهما تمام التكامل والمودة لا تعارض فيه ولا تشاحن .

والأنثى فى نظر الاسلام أصيلة فى نظام الحياة (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) واذا كان أمر الحياة كذلك فكيف يغتم رجل اذا بشر بالأنثى ... ولهذا عالج القرآن قضية البنات بصورة ترهب العتاة وتحمى النسمة الطيبة التى يعبق بها الوجود أنسا ومودة وحنانا ،

فيضع مسؤلية هذه الفعلة الشنيعة فى سياق الهول الهائج المائج يوم القيامة كأنما هو حدث كونى من الأحداث العظام يضعه مع الشمس اذا كورت .

والنجوم اذا انكدرت .

والجبال اذا سيرت .

والعشار اذا عطلت .

والوحوش اذا حشرت .

والبحار اذا سجرت .

والنفوس اذا زوجت .

والموءودة اذا سئلت بأى ذنب قتلت .

فى هذا الايقاع الحركى الجائح المروع المؤهل يضع القرآن الكريم قضية الموءودة احدى الموضوعات ليوم الحساب ومن هنا من شريعة القرآن الكريم فقط تنبع كرامة المرأة دون منٍّ أو تمالل أو مغالاة .

فأرونى مثل الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هذه الخطوة من التكريم والاحترام ؟ .

ثالثا ـ الطور الثالث :

الى البيت السعيد

الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢١ الروم) .

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتأتى هذه الآية فى ايقاعها الرفيق اللطيف الموحى لتلتقط هذه الصورة من أعماق القلب ونور الحسن وتبرزها فى صورة (لتسكنوا اليها) لا لشىء آخر .. وهو سكن مطمئن عفيف هادىء رائق ممتلىء بالبهجة والسعادة والأنس والسرور ...

(وجعل بينكم مودة ورحمة)

ابرار لحكمة الخالق يدرك بها العقلاء حكمة الله جل شأنه فى تلبية الحاجة الفطرية فهما معا .

وكأنما الآية تهمس بيد الحنان على مشاعر البشر أفلا تذكرون قدرة الله التى أودعت فى نفوسكم رجالا ونساء هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى الصلة سكنا للنفس والأعصاب ، وراحة للجسم والقلب واستقرارا للحياة والمشاعر وأنسا للروح والضمائر واطمئنانا للذكر والأنثى وعلى السواء ، ولذلك حفظ الله بيت الزوجية بهذه الضمانات :

١ ـ رأى المرأة فى الزواج :

وكان البيت السعيد فى الاسلام باذنها ففى الحديث الشريف :

« لا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله ، وكيف اذنها قال : أن تسكت » (رواه مسلم) .

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام :

« الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن واذنها صماتها » .

واذا كان فى المجتمع المعاصر سلوكا غير هذا فهو ليس من الاسلام ولا من تقاليده ففى البخارى :

« ان خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهى كارهة فرد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك النكاح (١) .

وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم رفضت بريرة مغيثا ولم يأمرها النبى صلى الله عليه وسلم بقبول الزواج منه مع أنه كان يمشى وراءها فى الطرقات باكيا .

٢ ـ مهرها نحلة :

والزواج عقد كالعقود ولكن الله لم يسم الممنوح للزوجة ثمنا كما سماه فى البيع ولا عوضا بل سماه نحلة ، والنحلة هى العطية التى لاتتقابل بعوض ولكنها تنحل للتكريم دون مقابل فهى رمز للمعنى السامى الذى لا تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، انه رمز المودة والنقاء والهناء فى سكن جعل رحمة ومودة وقد سماه الله نحلة تقريرا لمبدأ يجب أن يراعى فى تقديم المهور .

ذلك أن نحلة النحل عسل مصفى فيه شفاء للناس ونحلة النحل هذه يطلبها النحل من أعلى الزهور نسبة فى السكر .

واذا ارتشف النحل رحيق الزهر لم يترك عليه أثرا ولا ضررا يقدمه ولا من شفتيه فهو أخذ بلا أضرار فاذا عاد النحل أخرج الرحيق عسلا بهيج اللون حلو المذاق .

فاذا ما قدم الانسان قدم شفاء وضعت فيه بركة الله .

فكذلك المهر ينبغى أن يكون كذلك من مصدر حلال .

لايرتبط به أذى ولا منة .

وأن يقدم بيد الحنان .

وأن لا ينتظر فى مقابله عوض .

ولهذا لم يجعل الاسلام له حدا محدودا فالرمز فيه كناية عن الرضا ؛ وأعظم النكاح بركة أقله مؤونة .

٣ ـ لا يجمع عليها قريبتها :

ولما كانت الزوجية سكنا ومن مستلزمات السكن السعادة والطمأنينة فقد حافظ الله على مشاعر الزوجة وحافظ على حسن العلاقات داخل الأسرة والنسب فحرم الله أن يجمع الرجل مع زوجته واحدة من قريباتها المذكورات فى سورة النساء الآية ٢٢

---

(١) ارشاد السارى جـ ١٠ ص ١١١

من كل سيدة تمت لها بصلة القرابة أو النسب .

أماً أو خاله ، أو عمه أختا أو بنتا لأحد الأخوين أو أختا من الرضاعة ... الخ .

٤ ـ كما حرم الاسلام أن تسعى امرأة فى طلاق أختها من زوجها لتحل مكانها ففى البخارى :

« لايحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتها فانما لها ما قدر لها » .

فليست الزوجية اشباع شهوة وانما هى قضية ود وسكن ؛ ولهذا فقد حرم الاسلام على المرأة أن تستعمل بعض مميزاتها التى وهبها الله اياها لتفتن الرجل عن زوجته فتحل محلها بعد أن يطلقها .

وبذلك فقد برزت احدى مفارقات التشريع الاسلامى عن التشريع الوضعى الذى تعانى منه المرأة فى النظام الأوربى وهو مايسمى بنظام(العشيقات) فضلاعن الأنظمة الأخرى التى جعلت من المرأة زجاجة عطر تتناولها جميع الأيدى دون حساب .

٥ ـ وكما حظر الاسلام على المرأة أن تعتدى على أختها فتطلقها لتحل محلها كذلك حرم الاسلام على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه حفاظا على المودة التى بدأت بين الخطيب وخطيبته وحفاظا على المودة بين أبناء المجتمع الاسلامى القائم على الأخوة وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحب لنفسه فقد روى عن ابن‌عمر رضى الله عنهما قال :ـ

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب »

٦ ـ تحريم الشغار :

ليست قاعدة الحياة الزوجية مثل قاعدةالبيع ، ولامثل قاعدة العلاقات العامة فى المجتمع التى تقوم على تبادل المنافع ، أنها أسمى من ذلك كله لأنها آية من آيات وحدانية الله وعظمته تذكر الناس بحكمة الخالقية التى جعلت من النوعين تكاملا ينبثق معه الأنس والود والحنان..

وتمشيا مع هذه القاعدة الجلية فى بناء الأسرة فقد حرم الاسلام نكاح الشغار وأن يتبادل الرجـال النساء فى مقابل المهر ففى الحديث الشريف:

« لا شغار فى الاسلام » .

٧ ــ وعلى هذا النسق فقد حرم الاسلام استغلال المرأة كمصـدر للتمويل .

يحكى جروف صامويل فى كتابه (المجتمع ومشاكله): أن روما فى القرون الوسطى كان بهـا ست عشرة ألف امرأة تمارس البغاء وقـد جعلتهم الكنيسة مصدراً لتمويل الضرائب وسمحت لهن بشرعية ممارسة هذا النوع من الانحراف المهين .

ومع هندسة شوارع سنغافورا Singgapura بالزهور التى أشرفت عليها مهندسة صهيونية ــ نظمت الصهيونية العالمية الدعارة فى هــذه الجـزيرة التى تعتبر مركزا عالميـا للتجـارة والسفر ولا تجد الحكومات فى بلاد الغرب أو الشرق حرجاً من أن تمتلىء نسـوة هذا النوع بالفنادق ترويجا للسياحة ... ولكن الاسلام عفف المرأة عن هذا التردى المهين وحافظ عليها عرضا وشرفا فقال تعالى :

« ولا تكرهـوا فتيـاتكم على البغاء ان أردن تحصنا » (٣٣ ــ النور) .

فأرونى أيهـا السادة شرعا مثل شرع الاسلام أعطى للمرأة مثل هذه الضمانات فى الحفاظ عليها ... ؟

وأرونى أيهـا السادة شرعا غير الاسلام أعطى للزوجة مثل هــذه الضمانات .. ؟ ضـمانات الأنس والمودة والشرف والعفاف .. ؟

أو تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا .. ؟

اذن دلونى على السبيل ؟

(١) الواجبـات على الرجل تجاه زوجته :

ويخط الشرع الاسلامى المبدع مواثيق الرجل تجاه زوجته :

• العشرة بالمعروف :

يقول الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » .

ويطول حبل العشرة الى اصلاح الخلل الذى يصيب حصن الزوجين فى بعض الأحايين فيقول الله تعالى :

« فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ١٩ ـ النساء •

فتوصى الآية بأن هناك راعيا فوق الأسرة يديم عليها المعروف كنظام فى العشرة ، ذلك الراعى صوت التدين الذى يسيطر على قوى النفس وينادى من سويداء الفطر: لم تكرها ؟ ربما هذا الخير من أجلها ... فتترطب المشاعر الملتهبة ويزول شعور الكره العارض وتعود الى الزوجية نسمة صبح الوداد لتنعش حياة الأسرة من جديد •

• **النفقة :**

ويوجب الاسلام على الرجال النفقة وهى نفقة حدها القدرة والايسار فيقول الله تعالى :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » • (٧ ـ الطلاق) •

وتوضع فى النفقة جو يشيع بالحب والحنان لا تسلط فيه ولا عنف يقول النبى صلى الله عليه وسلم ـ :

« اذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » (رواه البخارى فى التاريخ) فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة أن تحدد النفقة ؟؟

واذن فما حظ المرأة التى قدر لها الأقل وقد أيسر صاحبها أو ماذنب الرجل اذا أعسر وقد قدر عليه مالا يقدر عليه ؟ والله يقول ـ :

« ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » •

وليست الحركة النسائية المعاصرة هى التىتبسط الرزق وتقدر فكيف تقنن النفقات والعسر واليسار بيد الله والله لا يكلف نفسا الا ما آتاها ...

والله هو الذى يجعل من بعد عسر يسرا ...

اذن تقنين النفقة بقدر ثابت خروج بقانون الأسرة عن حياض

الشريعة وربقة الايمان بالله الذى جعل العسر واليسر بيده هو ...

• **حفظ سرها :**

يالعظمة الاسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء وجهها ويخفى عن الناس بعض خصائصها الخاصة التى تتحلى بها مع شدة وقارها فاذا ما عرفت ربما رآها الناس صغيرة أوتقززت هى من نفسها يقول النبى صلى الله عليه وسلم ـ :

« ان من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة : الرجل يقضى الى امرأته وتفضى اليه، ثم ينشر سرها » .

لقد شاء الاسلام أن تبقى للمرأة خصائصها سرا لا يجوز للرجل أن يذيعه ليبقى لها كبرياؤها وأنوثتها وكرامتها بعيدا عن سمع الناس وخواطرهم .

• **حفظ مالها :**

النظام الجاهلى قديما وحديثا فى أوربا لايعطى حقا للمرأة فى التصرف المباشر فى أموالها ... وجاء الاسلام الحنيف ليؤسس للمرأة حقا طبيعيا فى ملكية المال وأهلية التصرف فيه يقول الله تعالى ـ :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧ ــ النساء)

وقد حرص الاسلام على أن تبقى ملكية المرأة وأهليتها فى التصرف حقا ثابتا فنص القرآن الكريم على عدم التدخل فى شئونها المالية قال تعالى ـ :

«وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » (٢٠ النساء) .

«وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٤ ــ النساء) .

نصت الآيات على أنه لا يجوز ألبتة أخذ شىء من مال المرأة الا عن رضى نفس منها .

وقد برزت الصورة التركيبية فى الأسلوب القرآنى بما لا يبيح

اجتهادا فى جواز أخذ شىء ولو كان يسيرا دون اذنها الطبيعى •

فالفعل طاب يتعدى عربية بالبـاء ــ طاب بكذا ــ يعنى سمح ولكنه هنا فى الآية الكريمـة تعدى بكلمة عن التى تدل على المجاوزة مما يفيد أن أخذ شىء من مالها لا يجـوز الا بعد تجاوزها هى عن رغبة طيبة منهـا •

واظهار السموح به جزءا معبرا عنه بشىء يدل على كمال تصرفـها ومطلق ملكيتها •

وكون الفاعل تمييزا للدلالة على أن الأسـاس فى الاباحـة مرتبط بمطلق ارادتـها الحـرة فى الاذن والتبرع دون ضغط أو تحايل •

• عدم احراجهـا :

ومن الواجبـات التى يحتمهـا الاسلام على الرجل تجـاه زوجته عدم احراجها •

فاذا كان مسافرا فلا يرجع اليهـا ليلا دون أن يخبرها بعودته ، ففى البخـارى :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذاأطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » •

وفى الطبرانى فى الكبير ــ :

« ولا تطرقوا النساء ليلا » •

وفى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ــ :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله ليلا » •

هكذايضمن الاسلام للمرأة حياة طبيعية طيبة وهذه الحياة على نحو ما شرحناه هى مفهوم : « الرجال قوامون على النساء »

فالقوامة : تمـام الرعاية وكمال الضـبط وهى تكليف من الله الى الرجـال ليحسنوا رعاية الأسرة ، وقد حبا الله الرجال من الخصائص ما يؤهلهم لهذه القوامة •

فان تخلى الرجال عنها فقد تخلوا عن أمانة من أمانات الله •

ويوم أن يتخـلى عن القـوامة الرجـال تتعسر الحياة فى شرقنـا الاسلامى كما فسـدت الحياة فى الغرب المترنح بين أفانين الفساد •

فهـل يريد الرجـال التخلى عن القوامة وهىأمانةالله فى أعناقهم! ؟•

وهل تريد المرأة أن يتخلى الرجل عن قوامته لهـا فتنهار ! ؟

د • رءوف شلبى

التزام الصالحين

للواء الركن محمود شيت خطاب

ألف أحد المشبوهين سياسيا وأخلاقيا ، كتيبا تافها لا قيمة له بأى سعر، ولا وزن له بأى ميزان، وهذا الكاتب يشرف على صفحة من صفحات احدى الصحف الكبرى ، تحوى على أخبار الفنانين والفنانات، وعلى أخبار هزيلة بعيدة عن الصدق تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف .

ولم يكد هذا الكتيب التافه يصدر الى أسواق الوراقين ، الا وكان حديث الصحافة وموضع تنويه أمثال كاتبه ، فلا أكاد أطالع صحيفة أو مجلة الا وأقرأ فيها مقالا مسهبا كله ثناء واطراء للمؤلف والكتاب .

واشتريت نسخة من ذلك الكتيب، فوجدته وريقات معدودات ، كل ما فيه عبارة عن وصف أماكن اللهو والمسارح وعلب الليل فى باريس وروما ولندن وغيرها من مدن أوروبا ، وبالامكان اعتباره دليلا للأماكن السياحية التى تتسم باللهو والمجون من حانات وأماكن القمار ومسارح الفسق ومحلات الزنا ، ودعاية سافرة رخيصة تشجع القراء على ارتياد البلاد الأجنبية والهروب من البلاد العربية .

أمثال هذا الكاتب الفاسق الفاسد ، داعية الخمور والقمار والفحشاء ، الذى يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، تحف به زمرته من الفسقة الفاسدين ،

فينوهون بفكره ويثنون على انتاجه، ويجعلون منه مفكرا ومؤلفا له قيمته ومكانته خدمة للأجنبى ولأعداء العرب والمسلمين .

ومربذهنى بسرعة ما صدر من كتب قيمة لمؤلفين كبار ، تبنى ولا تهدم ، وتشيد ولا تخرب ، فوجدت أكثر تلك الكتب مجهولة ، وأكثر مؤلفيها غير معروفين ، لم يطلع عليها غير الذين دأبوا على زيارة المكتبات كل يوم ، فقلت لنفسى : لماذا يلتزم الفسقة أمثالهم، ولا يلتزم الصالحين أحد" من الناس ؟

ولست أنسى أبدا يوم عاشت بوفاة العلامة المرحوم الشيخ محى الدين عبد الحميد عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف ، ورئيس لجنة الافتاء فى الأزهر ، وأعظم محقق للتراث العربى الاسلامى فى العصر الحديث؛ فقد حضرت السرادق التى هيئات لاستقبال المشيعين والمعزين ، ومن سخرية الأقدار أن أحد الفنانين الذى عمل جاهدا لتحطيم الأخلاق نصف قرن بلا هوادة ولا كلل هلك فى ذلك اليوم ، وكانت سرادقه تلاصق سرادق المرحوم الشيخ محى الدين عبد الحميد ، فوجدت سرادق الشيخ تضم عددا محدودا من الأشخاص ، ووجدت سرادق الفنان المخرب تضم ألوفا من الأشخاص .

وخرج جثمان الشيخ ، فشيعه مالايزيد عن عدد الأصابع ، وخرج جثمان الفنان فشيعه أكثر من عشرة آلاف .

ويومها جرت من عينى دمعات ، وقلت لنفسى : أهكذا يكون تقدير العلماء العاملين المخلصين ؟

أهكذا يقابل العلماء الأعلام حتى فى موتهم بالعقوق والاهمال ؟

والذين يقرأون الصحف والمجلات، يجدون الاهتمام البالغ بحركات وسكنات الفنانين والفنانات ، ولا

يجدون أى اهتمام بالعلماء العاملين المخلصين !

والذين ينصتون الى الاذاعة المسموعة ، يجدون نفس الاهتمام بابراز الفنانين والفنانات ، ونفس الاهمال للعلماء العاملين المخلصين !

والذين يشاهدون الاذاعة المرئية ، يرون التركيز على الفنانين والفنانات بشكل هائل ولا يرون عشر معشار هذا التركيز على العلماء العاملين المخلصين !

أهذا مجرد صدفة ، أم هو متعمد ؟

انه متعمد بدون شك :

ولمصلحة من يلاقى العلماء العاملون المخلصون مثل هذا العقوق والاهمال ؟ !

لمصلحة الصهيونية العالمية والعدو الصهيونى وأعداء العرب والمسلمين ، ما فى ذلك أدنى شك .

والذين تدق لهم الطبول ، وتبرز أسماؤهم من المؤلفين ، ووراءهم جماعات منظمة من المريبين ، تشيد بأسمائهم لقاء ثمن معلوم ، هذا الثمن هو استهانتهم بالعربية لغة والاسلام دينا ، والتراث العربى الاسلامى فكرا وحضارة .

وليس على مَن لم يدقّق فى ذلك ، أن يمعن النظر تارة أخرى ، ليجد كيف تشعل الشموع وتدبج المقالات ، من أجل دعاة العامية ، ودعاة الحروف اللاتينية ، ومنتقدى العربية والاسلام والتراث العربى الاسلامى العريق .

أما الذين يدافعون عن القرآن الكريم عقيدة وتشريعا ولغة والتراث الاسلامى العربى علما ينتفع به ويمكث فى الأرض ، فلهم الله !

فهل يقف الكتاب والمؤلفون الصالحون الذين يعملون تحت راية القرآن الكريم ، مكتوفى الأيدى متفرجين ؟ !

ان كل الدنيا ضدهم ، فهل من المعقول أن يقفوا ضد أنفسهم ؟

هذا ما يحدث فعلا ، فالطالحون يتجاهلون الصالحين ، والصالحون يتجاهلون الصالحين أيضا ، لذلك تفوق الطالحون على الصالحين وبرزوا وأصبحت لهم مكانة مرموقة بغير حق على حساب الصالحين !

يا حاملى راية لغة القرآن وسدنة العربية ومفكرى الدين الحنيف عقيدة وتشريعا ، ويامحققى التراث العربى الاسلامى .

انكم اذا بقيتم متفرقين . جنيتم على أنفسكم ، وعلى العلم الذى تحملونه ، وعلى أبنائكم ، وعلى الأجيال القادمة .

تجنون على أنفسكم ، لبقائكم مغمورين ،وعلمالعلم لبقاء مؤلفاتكم مجهولة ، وعلى أبنائكم والأجيال القادمة لأنه لا يرتضى أحد أن يعيش مغمورا ويموت مغمورا ... انهم سينهجون منهج الهدامين من أجل الشهرة والعيش الرغيد .

انصروا اخوتكم وساندوهم من أجل المثل العليا التى تؤمنون بها ، ومن أجل انتشار تلك المثل بين الناس وسيادتها على العقول والقلوب ، ومن أجل مصاولة المشبوهين والمريبين والمخربين ، فمن الحرام أن يبقوا يسرحون ويمرحون خدمة لأعداء العرب والمسلمين .

لا يكفى أن يقرأ الصالح كتاب أخيه الصالح ، ثم يهز رأسه اعجابا وتقديرا ... عليه أن ينوه بما قرأه بالكلمة الصادقة أو باللسان وهو أضعف الايمان .

لا يكفى أن يسمع الصالح أخبار محنة أخيه الصالح بأمر من أمور الدنيا ثم يتمتم بكلمات الأسى والحزن ... عليه أن يعاونه بكل ما يستطيع لانتشاله من محنته .

لا يكفى أن يرى الصالح أخاه الصالح مريضا ، ثم يكتفى بالدعاء له ... بل عليه أن يعوده ويعاونه

على الشفاء بالدواء والطبيب والكلمة الطيبة .

لا يكفى أن يترحم الصالح على أخيه الصالح ... بل عليه أن يشيع جنازته ويعزى أهله وينشر مؤلفاته ويرثيه ويكتب سيرته .

لا يكفى أن يدعو الصالح للشاب الصالح ... بل عليه أن يشجعه ويرشده ويسدد خطاه وينشر انتاجه .

لقد سارعت بعد وصول القاهرة قبل سنتين الى زيارة دار المرحوم الامام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ، فاستقبلنى ولده ، فلما طال انتظارى للشيخ سألت ولده : هل الشيخ مريض ؟ فقال : يرحمه الله .

لم أسمع وأنا فى العراق ، نبأ وفاة الشيخ الجليل ، علامة العربية والتفسير ، الورع التقى النقى ، صاحب المواقف المشهورة دفاعا عن كرامة العلماء ، بينما سمعت سيلا متدفقا من أنباء وفاة التافهين والأمعات وأشباه الرجال ! !

وكنت مريضا فى احدى المستشفيات ، وكان الى جانبى مريض من معتنقى المبادىء الهدامة، فرأيت كيف نظم أصحابه زياراته ونشروا أخبار مرضه وغمروه بالزهور ، بينما حملنى المرضون على نقالة المرضى وحيدا ليس معى أحد من الناس ، لأن أهلى هناك وأنا هنا ، واكتفى أصحابى بالدعاء .

وكان فى المستشفى شيخ الأزهر السابق ، وحيدا فريدا ، يعانى المرض والوحدة ، يعوده أفراد قلائل من أهله ومحبيه .

يا أيها الأخوة الصالحون :

لماذا أنتم متواكلون ضعفاء والحق معكم ، ولماذا غيركم متكالبون أقوياء والباطل معهم ؟ ! أيكونون أقوى منكم على باطلهم، وتكونون أضعف منهم على حقكم ؟ !

وقديما قالوا : « ما ضاع حق وراءه مطالب » ، وما ضاع الحق ، ولكنكم ضعتم ، وضيعتم ذريتكم والجيل الحاضر والأجيال القادمة ، فكم من ذريتكم أصبح كاتبا أو مؤلفا ، وكم منهم احتفظ بمكتباتكم وكتبكم ؟ !

لقد رأيت أحد أعلام العلماء يعرض مكتبته العامرة للبيع ، فسألته عن سبب بيعها ، فقال : « لا أحد من أولادى يعرف قيمتها أو يهتم بها ، وستباع من بعدى بأبخس الأثمان ! ! » .

كل أبناء العلماء الأعلام تقريبا ، سلكوا غير مسلك آبائهم ، فأصبحوا أطباء ومهندسين .. الخ . لأنهم لا يريدون أن تدركهم حرفة العلماء عقوقا وفقرا واهمالا !

تماسكوا يا علماء المسلمين وتعاونوا ، ولا تتركوا اخوتكم يتساقطون واحدا بعد واحد ، حتى يأتى دوركم فى السقوط دون أن ينتطح لمصيركم عنزان ، فدافعوا عن أنفسكم بالتماسك والتعاون ، والله مع الجماعة ، والذئب يستضعف الشاة المنفردة ، أما الشاة فى القطيع فلا يجرؤ الذئب على اقتحامها .

اننى آمل وأحذر ، فهل من سميع مجيب ؟ !

محمود شيت خطاب

ولا خير فى ود امرىء متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

(على بن ابى طالب)

مسئولية الحاكم عن رعاية المواطنين

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

عن عمر بن مر الجهنى أنه قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته ، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس • رواه الترمذى •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل ، وأبغض الناس الى الله تعالى وأبعدهم منه مجلسا امام جائر • أخرجه الترمذى • من سنن الله فى الوجود أن يكون لكل جماعة قيم عليها يدبر أمورها ويضبط شئونها ، ويحاجز بينها ، ويدفع قويها عن ضعيفها ، حتى فى جماعات الحيوان ، وفى جماعة النحل والنمل وغيرها شواهد على ذلك ، وتشتد حاجات الجماعات الى المدبر والمسيطر كلما تنوعت أسباب المعاش وكثرت أوجه النشاط وتشابكت المصالح ، وما كان الرسل الا ساسة ومديرين يسوسون أممهم بما بعثوا به من سياسات وتدبيرات تناسب جماعاتهم وعصورهم ، وأيا كانت تلك السياسات من البساطة فهى نظم اقتضتها حاجات تلك الجماعات وأحوالهم ولقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية بعد أن تطورت وبلغت من الرشد الانسانى مرحلة تهيأت فيها لقبول نظم الحكم وتفهمها بل مارست أنواعا منها على مستوى الدولة كما كانت الحال فى دولتى الفرس والروم ، أو على مستوى القبيلة كما كانت الحال فى بلاد العرب فكان ضروريا أن يأتى فى رسالته بنظم للحكم أوضح

وأشمل ومكملة لما سبقها من النظم أو معدلة لها ، وكذلك كان واقع الرسالة المحمدية فقد جاءت بنظام متكامل للحكم من نواحيه السياسية والقضائية والادارية وغيرها ، ولو قورن ذلك النظام بنظم العصر لما اختلف فى هيكله العام عنها ، وقد تختلف العبارات ولا تختلف المعانى ، فرئيس الدولة فى النظام السياسى العصرى سواء كان ملكا أم رئيسا للجمهورية هو الامام الأعظم فى النظام الاسلامى ، والديمقراطية أو انتخاب رئيس الدولة هو الشورى أو الاختيار ، وواجبات الحاكم هى مسئولياته وهكذا لو تتبعنا نظم الحكم السياسى أو القضائى العصرى وقارناها بالنظام الاسلامى لما اختلفت فى معانيها ومفاهيمها وان اختلفت فى دلالاتها وعباراتها والذى يعنينا من تلك النظم والوظائف الاسلامية فى كلمتنا هذه هى وظيفة الحاكم العام أو رئيس الدولة أو الامام الأعظم ، ولا شك أن وظيفة الامام هى قمة الوظائف الاسلامية وأهمها شأنا وأعظمها خطرا وأوسعها سلطانا ، لذلك عنى بها الاسلام أشد عناية سواء فى طريقة الاختيار أم فى طريقة مباشرة السلطات وان كانت نظم الحكم السياسى المعاصر قد حرصت فى دساتيرها على بيان كيفية اختيار الحاكم وبيان حقوقه وواجباته فقد حرصت نظم الحكم الاسلامى على ذلك وبينته فى قواعد عامة أحيانا وخاصة أحيانا أخرى ، وربما كان التعميم فى هذا الصدد فى قواعد النظم الاسلامية خيرا من التفصيل فقد يحدث من الأمور شىء لم يكن قد تناوله التفصيل ، وقد عنى الفقهاء بجميع هذه الواجبات وتنسيقها من مصادرها فى الكتاب والسنة وكل ما ورد على أذهان المشترعين الدستوريين مما يجب توافره فى شخص الحاكم من صفات تلائم ضخامة مسئولياته فقد أوجبها النظام الاسلامى وأوصى بها ، وكل ما حمله التشريع الدستورى الحاكم أو رئيس الدولة من مسئوليات فقد حمله اياها النظام الاسلامى أيضا ، ومن القواعد العامة التى وردت بها الأحاديث فى مسئوليات الحاكم ، توخى الصراحة

والنصح فى الحكم وفى ذلك يقول رسول الله فيما روى معقل بن يسار مما ورد فى البخارى ومسلم : انى سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعيه فيموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة . وفى رواية : ما من أمـير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة .

ومن تلك القواعد تحرى العدالة بين جميع الناس ، وفى ذلك يقـول الرسول : أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منـه مجلسـا امام عـادل ، وأبغض النـاس الى الله وأبعدهم منه مجلسا ، امام جائر . ومن تلك القـواعد فى المسئوليات أيضا ؛ توافر النزاهة والأمانة وعدم اسـتغلال المنصب ، ومن أمـارات النزاهة العزوف عن الولاية وعـدم الحرص عليها والسعى اليها والالحاح فى طلبها ، ولذلك رفض النبى صلى الله عليه وسلم أن يولى الحكم من طلبـه وقـد جاء فى ذلك ما رواه البخـارى ومسـلم عن أبى موسى الأشـعرى قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما : يا رسول الله أمرنا على بعـض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال انا والله لا نولى هذا العمـل أحدا سأله أو أحدا حرص عليه .

ومن تلك القواعد فى المسئوليات أن يمارس الحاكم سلطته فى اطـار الدستور ، والدستور فى الاسـلام هو كتاب الله وما ثبت من السنة عن رسول الله . وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسـلم فيمـا رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنـه : اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله .

ومن أهم المسئوليات التى حملها نظام الحـكم الاسـلامى ، الحاكم التعـرف على مشـاكل الجمـاهير والعمل على حلها وبخاصة مشـاكل الضعـفاء الـذين لا يسـتطيعون الوصـول الى الحـاكم ليبسطوا ظلاماتهم ويعرضوا مشاكلهم وهـذا التعرف هو الذى عبر عنه الحديث بانفتاح باب الحـاكم وانغـلاقه فى قـوله : ما من امام يغلق بابه دون

ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته ، فليس المراد بالباب هو باب الديوان واغلاقه على كل حاكم حتى لا يدخل عليه أحد ولا بانفتاحه انفتاحه حتى يدخله جميع الناس ، وانما المراد به معرفة أحوال الناس ومشاكلهم والعمل على حفظ حقوقهم وتيسير معاشهم وكل ما يهم من أمورهم ، وليس من الممكن أن يكلف الحاكم بتعرف مشاكل الجماهير كلها بل لابد له من أجهزة وأعوان يحملون معه ذلك العبء فى أمانة واخلاص وهم بطانة الخير التى أوصى الشرع باتخاذها والتى لو ظفر الحاكم بها فقد ظفر بخير أداة فى استقرار الحكم ومحبة الجماهير ، كما قال صلى الله عليه وسلم ما من وال الا وله بطانتان ؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا . فمن وقى شرها فقد وقى وهو من التى تغلب عليه منهما .

وليس للتعرف على مشاكل الجماهير طريق خاص ولا أسلوب معين ، فلكل عصر وسائله وأساليبه، ولقد كان عمر رضى الله عنه يتعرف على مشاكل الجماهير أحيانا بنفسه وكان يعس بالمدينة ليلا أى يطوف بها ليتعرف على أحوال الناس وما يجرى بينهم فى الشئون العامة للدولة والخاصة بالجماهير وقد استطاع بهذا الأسلوب أن يضبط نظام الدولة ويفرج شدائد الناس ويغرس فى نفوسهم الشعور بسلطان القانون وهيبته ويطمئنهم على رعايته وعدالته ، وتميز فى التاريخ بلقب الحاكم العادل اعظاما له وانصافا .

والكلام فى مسئولية الحاكم فى الشريعة الاسلامية متشعب وكثير ، وحسبنا فيها ما سردناه وما نبه اليه الحديث فى شئون الضعفاء الذين لا يستطيعون فيها حيلة ولا يهتدون اليها سبيلا والذين هم دائما موضع الرعاية فى الشريعة الاسلامية وفى جميع شرائع الله .

ابو الوفا المراغى

بئس الحاكم انا اذا شبعت وجاع الناس ، وبئس الوالى انا ان اكلت طيبها ، وأطعمت الناس كراديسها.

امير المؤمنين عمر

الخوانك والتكايا والزوايا في القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٤ —

ذكرنا فى المقال السابق جامع أيتمش البجاسى وترجمته ..وذكرنا أن عند الجامع المذكور ينتهى شارع باب الوزير ويبدأ شارع المحجر . وأن هذا الجامع على ناصية حارة اسمها حارة الطوربة (أى التربة) وتؤدى الى باب الوزير . وعلى يسار الخارج من الباب المذكور ضريح طراباى الشريفى (راجع الخريطة بالعدد السابق) .

باب الوزير :

وباب الوزير : اسم قديم ذكره المقريزى فكأنه من قبل القرن التاسع الهجرى . ولم أصل الى تاريخ مبدأ التسمية . ولكن لعله من الطريف أن أذكر أننى نمت ذات ليلة وأنا منشغل بهذا . فحلمت أنه كان هناك زير يستقى منه الناس . ثم أنشأ بعضهم بابا بجانب الزير . فقال الناس : باب و .. زير . ثم أصبح باب الوزير .

طراباى الشريفى :

وهو صاحب الضريح على يسار الخارج من باب الوزير . أصله من مماليك الأشرف قايتباى (حكم ٨٧٢ ـ ٩٠١هـ).وتنقل فى الوظائف حتى وصل الى داودار ثانى فى سلطة قانصوه بن قانصوه (٩٠٤ ـ ٩٠٥) ثم ترقى سنة ٩٠٨ فى دولة الأشرف قانصوه الغورى الى وظيفة رأس نوبة النوب كما ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور .

ورأس نوبة وظيفة من يتحدث على مماليك السلطان . وتنفيذ أمره

فيهم . والنوبة : واحدة النوب وهى المرة بعد الأخرى . وأعلا هؤلاء الرؤوس هو رأس رؤوس النوب. وهكذا ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ ٥ ص ٤٥٥) وقال أن العاملة تقول عنه : رأس نوبة النوب فبهذا يكون تعبير ابن اياس عن هذه الوظيفة غير صحيح .

وهذه الوظيفة غير وظيفة مقدم المماليك وهو الذى يتولى شؤون المماليك . فمقام المماليك من الخدام الخصيان المعروفين بالطواشية .

ولقب طراباى بالشريفى نسبة الى الشريف أميرجان تاجر المماليك المتوفى سنة ٨٨٠ هـ .

وتوفى طراباى فى المحرم سنة ٩١٧هـ فى عشر السبعين . وكان ظالما قاسيا اغتصب كثيرا من الأموال والحقوق بالعسف والغطرسة . وخلف تركة طائلة من مماليك وأموال وخيول وجمال وسلاح وأمتعة وغير ذلك استولى عليها جميعها السلطان الغورى بعد وفاته .

وقد شمت فيه ابن اياس فقال فى وفاته قصيدة . هى كأشعاره التى أورد كثيرا منها فى بدائع الزهور فى المناسبات المختلفة ظاهرة الركاكة لفظا ومعنى وصياغة. ولكن تذكرها لما فيها رسم لشخصية طراباى وصورة من تفكير وأسلوب ذاك العصر :

بموت طراباى أفرج الله كربة
عن الناس من خلق السموات والأرض
فهذا فتوح عاد فى مصر ثانيا
وعمت به الأقطار فى الطول والعرض
وقد كان جبارا عنيدا معاندا
فكم جار فى الأحكام بالبرم والنقض
ويبطل حق الناس من كل واجب
ويقضى خلاف الشرع فى الندب والعرض
ولما طغا ظلما وزاد تجبرا
فعجل عزرائيل للروح بالقبض
وأسكنه ضيق اللحود معذبا
وأخلى منازله فى طرفة الغمض
وقد جاء يسعى للجحيم برجله
وأجزم بعد الرفع بالنصب والخفض
ومذ شاع بين الناس أخبار موته
فصار يهنى بعض من سر للبعض
فيارب قابله بما يستحقه
وأودعه فى الأغلال للبعث والعرض

خانكاه قوصون :

فاذا خرجت من باب الوزير وسرت فى شارع قرافة باب الوزير تجد على يمينك زاوية (سيدى) محمد المجاهد . وهى التى ذكرها على باشا مبارك بين الزوايا وقال أنشأها الحاج على المجاهد سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩ م) . وقال انها خانقاه قوصون وكرر هذا فى خبر خانكاه قوصون بين الخوانك .

وذكرنا فى مقالنا السابق أن هذا خطأ . فخانكاه قوصون فى غير هذا الموضع . فقد ذكرها المقريزى فى الخطط (جـ ٢ ص ٤٢٥) وقال انها فى شمال القرافة مما يلى قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة ٧٣٦هـ وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمود الأصفهانى ورتب له معلوما شيئا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج اليه حتى جامكية غلام بغلته (الجامكية الراتب المقرر دوريا سواء شهريا أو سنويا) . واستقر ذلك فى الوقف بعده لكل من تولى المشيخة بها . وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم ومعلوم كل شهر من الدراهم والحلوى والزيت والصابون . وما زالت كذلك الى أن كانت المحن من سنة ٨٠٦ هـ فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها بعض الدراهم وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا . اهـ .

والقرافة التى يعنيها المقريزى .. وقال أن الخانكاه فى شمالها مما يلى : قلعة الجبل هى القرافة الصغرى التى تقع جنوبى القلعة وتبدأ من عند باب السيدة عائشة المعروف بباب قايتباى وباب القرافة .

وقد أسمت مصلحة المساحة الشارع الآخذ من باب قايتباى المذكور بشارع القرافة الكبرى . وهو خطأ نبه اليه المرحوم أحمد باشا تيمور . فالقرافة الكبرى كانت شرقى الفسطاط . وبدأ استعمال هذه القرافة الصغرى فى عهد الأيوبيين . وباب قايتباى أنشأه الأشرف قايتباى

سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) وتسميه العامة باب السيدة عائشة لقربه من مسجدها .

وقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٩١١هـ وفاة الحافظ العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى وقال : انهدفن بجوار خانقاه قوصون التى هى خارج باب القرافة .

وقبر السيوطى معروف ، ويزار ، والجبانة هناك تسمى جبانة جلال الدين السيوطى وهى بالشمال من قرافة المماليك . ولا تزال هناك بقايا من خانكاه قوصون وجامعه بشارع القرافة على يسار الداخل من باب قايتباى .

وقوصون المذكور هو الأمير الكبير سيف الدين قوصون . قدم مصر سنة ٧٢٠هـ على سبيل التجارة ببضائع زهيدة القيمة لا تتجاوز الخمسمائة درهم . وكان فتى جميلا فى الثامنة عشرة من عمره . فعشقه أحد موظفى الاسطبلات السلطانية . فصار يتردد عليه . فرآه السلطان الناصر محمد بن قلاوون فأعجبه . فابتاعه من نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية . وجعله من ضمن السقاة . وأحبه كثيرا . فأنعم عليه بامرة عشرة . ثم امرة طبلخاناه . ثم جعله أمير مائة مقدم ألف . وهى أعلى المراتب (وقد سبق ذكر هذه المراتب فى مقال سابق) . وأرسل فأحضر أخاه سوسون وغيره من أقاربه . وأمّر الجميع . وتزوج قوصون بابنة الناصر . وتزوج الناصر أخت قوصون . ولما احتضر الناصر أوصاه على أولاده .

وتوفى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ وتولى بعده ابنه المنصور أبو بكر . فخلعه قوصون بعد شهرين ونفاه الى قوص . ثم أمر بقتله هناك . وأقام كجك بن الناصر مكانه وهو ابن سبع سنين ولقبه بالأشرف . وتولى قوصون نيابة السلطنة . وأصبح بيده كل الأمور . وكان أحمد بن الناصر مقيما بالكرك . فطالب بالملك وأيده كثير من الأمراء . فخاف قوصون وشرع فى القبض على بعضهم . فتجمعوا ضده وحصروه فى القلعة حتى قبضوا عليه

سنة ٧٤٢ هـ ونهبت داره وسائر دور حواشيه • وحمل الى الاسكندرية حيث قتل هناك •

وله من الآثار هذه الخانكاه والجامع بجوارها • وداره التى نهبت وكانت بالرميلة (المنشية تحت القلعة) • وجامع بشارع القلعة (محمدعلى سابقا) تجاه مدخل الحلمية الجديدة • وتسميه العامة : جامع قيسون ، وقد ضاع جزء من هذا الجامع عند فتح شارع القلعة (محمد على سابقا) •

شارع المحجر :

ننتقل بعد هذا الى الجزء الثانى من شارع باب الوزير وهو شارع المحجر • ويبدأ شارع المحجر من عند جامع ايتمش البجاسى السابق ترجمته وينتهى الى سكة المحجر عند دار المحفوظات

فاذا سرنا فى شارع المحجر متجهين الى القلعة نجد على يميننا درب المارستان لأن بداخله بقايا المارستان المؤيدى •

المارستانات والمارستان المؤيدى :

والمارستان : لفظ معرب معناه : بيت المرضى •

وأول من أنشأ المارستان فى الاسلام هو الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) • وجعل فيه الأطباء ، وأجرى الأرزاق على من فيه من مرضى وأطباء وعمال، وأمر بحبس المجذومين حتى لا يخرجوا ويصيبوا الناس بالعدوى وأجرى عليهم وعلى العميان ما يكفيهم •

وأقدم مارستان فى مصر كان مارستان المغافر • وكان خارج الفسطاط • أنشأه الفتح بن خاقان فى خلافة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) • وقد باد أثره •

ثم أنشأ أحمد بن طولون (٢٥٤ ــ ٢٦٩ هـ) المارستان فى جزء من موقع العسكر شمال الفسطاط • وشرط ابن طولون ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك • وجعل فيه حمامين أحدهما للرجال

والآخر للنساء . وشرط أن تنزع ثياب المريض وما معه . ويحفظ مع أمين المارستان . ويصرف للمريض ملابس من المارستان ويفرش له. ويباشر بالأدوية والأغذية حتى يبرأ. فيأكل فروجا ورغيفا . ويعاد اليه ماله وثيابه . وكان يتردد بنفسه على المارستان فيتفقد المرضى والأطباء والخزائن المختلفة التى تحوى الطعام والدواء والثياب والفرش وغيرها .

ثم أنشأ كافور الأخشيدى سنة ٣٤٦هـ المارستان بمدينة مصر (الفسطاط) .

وقد باد أثر الاثنين أيضا .

ثم أنشأ المنصور قلاوون (٦٧٨ـ٦٨٩ هـ)المارستان الشهير الباقى للآن بجهة بين القصرين .

ثم أنشأ المؤيد شيخ (٨١٥ ــ ٨٢٤ هـ) هـذا المارستان الذى نحن بصدده فى هذا المقال .والمؤيد شيخ هو منشىء الجامع الكبير على يسار الداخل من باب زويلة .

وقال المقريزى ان هذا المارستان فوق الصوة تحت طبلخاناه قلعة الجبل.وكان مكانه مدرسة الأشرف شعبان الذى ذكرنا خبره فى جامع أم السلطان فى المقال السابق . وقد هدم هذه المدرسة الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ـ٨١٥هـ) ثم بنى المؤيد شيخ مكانها هذا المارستان.

والصوة كان اسمها أيضا : الثغرة. وهى فوق سكة المحجر.والطبلخاناه مكان حفظ الأدوات المختلفةللطبول والموسيقى . وكانت بدون سقف. فكانت فى أيام الفتن ترمى من فوق مدرسة الأشرف شعبان . وهذا سبب هدم المدرسة .

ولما توفى المؤيد شيخ تعطل هذا المارستان. ثم صار دارضيافة للقادمين من الخارج للسلطان . ثم تحول سنة ٨٢٥هـ الى جامع بهمنبر وامام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة . ومصاريفه من وقفه على الجامع بداخل باب زويلة .

والآن قد تهدم هذا المارستان بتمامه ولم يبق منه الا بقايا بعض جدران . ورأيت بأسفله نجارا يستأجر المكان من الأوقاف ويباشر عمله فيه .

تكية تقى الدين العجمى أوالبسطامى:

هـذه التكية خلف المـارستان المؤيدى • ولكن تصل اليها من درب اللبانة بعد بيت الفنـانين المعروف هناك •

وقد ذكرها المقريزى ضمن الزوايا باسم زاوية تقى الدين • فقال : انها تحت قلعة الجبل أنشـأها الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٢٠هـ لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشـيرك العجمى • وكان وجيهـا محترما عند أمراء الدولة وتوفى فى ٨ رجب سـنة ٧١٤ ! ! وما زالت منزلا لفقـراء العجم الى وقتنـا هذا • اهـ •

وذكرتها مصلحة المساحة بخرائطها أنهـا بقايا تكية محمد تقى الدين البسطامى • وذكرها على مبارك فى الزوايا والتكايا • ونقـل ما ذكره المقريزى • كما نقـل أيضـا عن السخاوى أن عمر بن محمد البغدادى قدم القاهرة سـنة ٨٥٠ هـ وبيده حسـبة دمشق ووكالة بيت المـال وعـدة وظائف أخرى • فنزل فى زاوية التقى رجب العجمى الى أن توفى فى نفس السنة •

فنجد التضـارب فى الأسـماء والتواريخ • فلعل محمد تقى الدين البسـطامى الذى ذكرته مصـلحة المساحة بخرائطها هو ابن رجب بن أشيرك العجمى الذى ذكره المقريزى وقال أن الناصر أنشـأ له هـذه الزاوية • والتـاريخ الذى ذكره المقريزى للزاوية بعـد تاريخ وفاة الشيخ رجب بسنوات •

مع ملاحظة أن هناك زاوية أخرى بشارع سكة المحجر باسـم زاوية الشـيخ رجب بشارع باب الوداع امتداد سـكة المحجر على يسـار المتجه الى قرافة باب الوزير • وهى تجاه دار المحفوظات • وهى زاوية صغيرة بها مكان للصـلاة على يمين الداخـل ودورة • وعلى يسـار الداخل ضريح الشيخ رجب المذكور •

وتكية تقى الدين بها بقية للآن فى مقابلة الداخل بدرب اللبـانة • ويسـكنها بعض الناس • وبقـايا المسـجد بجوارها قبلهـا على يمين الداخل بدرب اللبانة •

جامع وخانكاه منجك اليوسفى :

وما دمنا فى هـذه الجهة فنذكر جامع منجك اليوسفى بشارع باب الوداع ، وهو امتداد شارع الباب الجديد الذى هو امتداد شارع سكة المحجر • ثم يمتد شارع باب الوداع باسم : شارع قرافة باب الوزير •

وجامع منجك من الجوامع العظيمة تصل اليه من داخل قبوة معقودة بالحجر متفرعة من شارع باب الوداع • والجامع على يسار الخارج من القبوة • ومئذنة الجامع خارجه منفصلة عنه • وأمام الجامع الآن كوم هائل من الأتربة والقاذورات فى مساحة كبيرة خالية من المبانى تصلح أن تكون ميدانا أو متنزهـا لرفاهية المنطقة •

وقـد ذكره المقـريزى ضـمن الجوامع •وقـال : انه تحت القلعة الجبل خارج باب الوزير • ويعرف موضعه بالثـغرة • أنشـأة الأمير سيف الدين منجك اليوسفى فى مدة وزارته سنة ٧٥١ هـ ورتب فيه صوفية وقرر لهم فى كل يوما طعاما ولحما وخبزا • وفى كل شهر معلوما • وجعل فيـه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلى بالناس صلاة الجمعـة • وأوقف عليه عدة أوقاف •

وترجم المقـريزى لمنجك هـذا ترجمة طويلة يضيق المقام عن ذكرها فهى عبارة عن تاريخ مصر فى عصر من عصورها المضطربة من بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون •

ولكن نختصر من ترجمته : أن الناصر أحمد بن الناصر محمد تعين سنة ٧٤٣ هـ سلطانا بعد خلع أخيه الأشرف كجك كما سبق ذكره • وبعد مدة ترك النـاصر أحمد مصر وفضل الاقامة فى الكرك • فخلعـه الأمراء وعينوا بدله أخاه الصـالح اسماعيل• وأرسلوا منجك اليوسفى الى الكرك • وكان حينذاك أحـد السلحدارية • فقبض على النـاصر أحمد وقطع رأسه وعاد بها الى مصر سنة ٧٤٥ هـ فأعطاه السلطان امرة • ثم تنقـل فى الوظـائف حتى توفى الصالح اسماعيل سنة ٧٤٦ هـ وتعين بعده أخوه الكامل شعبان الذى قتل سـنة ٧٤٧ هـ وتولى بعده أخوه المظفر حاجى الذى ذبح سنة ٧٤٨هـ •

وتولى بعده أخوه الناصر حسن فى سلطنته الأولى التى استمرت حتى سنة ٧٥٢ هـ .

وتعين حينذاك يلبغاروس نائبا للسلطنة . وهو أخو منجك. فعيّن منجك وزيرا . فاستبد وقطع كثيرا من الرواتب والمقررات لجميع أمراء وموظفى الدولة والقصور السلطانية. وأغلظ على الكتاب وموظفى الدواوين وهددهم . فاجتمعوا فيما بينهم وقرروا جمع مبلغ من المال منهم وأعطوه لمنجك سرا . فأصبحوا مقربين اليه. وشره فى جمع المال فجعل لكل ولاية أو وظيفة ثمنا ومقابلا سواء فى مصر أو الشام. وافتعل سنة ٧٤٩هـ محضرا وقع عليه الكتاب بأنه عندما تولى الوزارة لم يكن فى الخزائن أو الأهراء شيئا من المال أو الغلال . وخاف عليه أخوه يلبغاروس فطلب اعفاءه من الوزارة .فأعفى . ولكن لم يستمر المعين بدله غير أربعين يوما فاستعفى وعاد منجك الى الوزارة . وزاد عسفه وقطع الرواتب والمقررات بحجة التوفير وادعى عجز الميزانية بأوراق تثبت عجز الايرادات عن المصروفات مقارنا بما كانت عليه المصروفات فى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

والواقع أن الاسراف بلغ الحد. فمثلا أسرف نساء القصور السلطانية ــ وباقى النساء جارينهن فى هذا ــ فى عمل القمصان والبغالطيق (مايلبس فوق القميص) حتى كان يفضل من القميص كثير على الأرض . وسعة الكم ثلاثة أذرع . ويسمينه البهطلة . وكان القميص يتكلف ألف درهم . والازار يتكلف أيضا مثل هذا المبلغ . وبلغ الخف والسرموزة (الحذاء) خمسمائة درهم . فأمر منجك بقطع أكمام النساء . وأمر الوالى بتتبع ذلك . ومن قبض عليها تعاقب . وعلق على سور القاهرة صور النساء عليهن تلك القمصان وهن تحت العقوبة . فانكففن عن لبسها . ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف المثمنة (أى الثمينة) ونودى فى الأسواق والقياسر بمنع بيع الأزر الحرير ومن خالف يصادر ماله .

ولم يزل الوزير فى عسفه وشرهه فى جمع المال حتى أوغر ضده الصدور . فقبض عليه سنة ٧٥١هـ وصودرت أمواله وأملاكه بعد استكتابه اقرارا ببيعها . ونفى الى الاسكندرية حيث ظل بها حتى خلع الناصر حسن سنة ٧٥٢هـ وتولى بعده أخوه الصالح صالح فأمر بالافراج عنه فعاد الى القاهرة فقيرا . فسعى حتى حصل على فتوى من الفقهاء بأن اقراره بالبيع كان باطلا لاكراهه عليه . فأعاد له السلطان بعض أملاكه .

وقام أخوه يلبغاروس بالشام ضد السلطان . فاختفى منجك . ثم قبض عليه ونفى الى الاسكندرية حيث ظل بها حتى سنة ٧٥٥ هـ فشفع له أحد الأمراء فأفرج عنه على أن يقيم بصفد .

وفى تلك السنة خلع الصالح صالح وعاد الناصر حسن للحكم ثانية . فأعطى منجك نيابة طرابلس . ثم نقله الى نيابة حلب سنة ٧٥٩ هـ ثم هرب منها واختفى حتى قبض عليه سنة ٧٦١ وأحضر لمصر . فلم يؤاخذه السلطان . وأنعم عليه بأمرة طبلخاناه فى الشام . وصرح له أن يقيم بالشام حيث يشاء .

وقتل الناصر حسن سنة ٧٦٢ هـ . وتولى بعده المنصور محمد ابن المظفر حاجى بن الناصر محمد ابن قلاوون . فشق عصا الطاعة بالشام بيدمر نائب الشام . وانضم اليه منجك . فقبض عليه . ثم خلع المنصور محمد سنة ٧٦٤ هـ . وتولى بعده ابن عمه وهو الأشرف شعبان بن حسين السابق ذكره فى جامع أم السلطان فأفرج عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق . ثم استدعاه سنة ٧٧٥هـ وعينه نائبا للسلطنة بمصر وأتابك العساكر . فظل بها حتى توفى على فراشه سنة ٧٧٦ هـ وله من العمر نيف وستون سنة . ودفن بتربته بجوار جامعه .

وله من الآثار غير هذا الجامع داره التى كانت على رأس سويقة العِزّى المساة الآن شارع سوق السلاح بالقرب من مسجد الرفاعى وجامع السلطان حسن وسيرد ذكرها فى المقال التالى باذن الله .

رباط الست كليلة وجامع اصلم :

وقبل أن ننتقل من هــذه المنطقة نذكر رباط الست كليـلة بجـوار جامع أصلم . وقال عنه المقريزى أنه خارج درب بطوط من جمـلة حكر سنجر اليمنى ملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم . وقال : وقفه علاء الدين البراباه على الست كليـلة المدعوة دولات باى ابنـة عبد الله التتــارية زوج الأمـير سيف الدين البرلى السلاحـدارى الظاهرى وجعلـه مسـجدا ورباطا ورتب فيـه اماما ومـؤذنا فى ٢٣ شوال سنة ٦٦٤ هـ .

وقال على مبارك :ان هذاالرباط زال بالكلية .

وجامع أصلم المذكور : ان هذا الرباط كان بجـواره موجود للآن بشارع درب المحروق امتداد شارع النبوية . ومعروف بجامع أصلان.

وأصلم هذا أصله من مماليـك المنصور قلاوون وتقلب فى الوظائف حتى وصل الى رتبة أمير مائة مقدم ألف فى عهـد النـاصر محمـد ابن قلاوون .

وقال المقريزى عنه : وكان يجلس على رأس الحلقـة ويجيـد رمى النشاب مع سلامة صدر خيِّرا الى أن توفى سـنة ٧٤٧ هـ . وكانت داره بجوار هـذا الجامع وقال : وبهـذا الجـامع درس وله أوقاف وهو من أحسن الجوامع . اهـ .

تكية حسن الرومى :

بسكة المحجر بالقرب من التقائها بشارع المحجـر . ولم يذكـرها المقريزى ربما لأنهـا أنشئت بعـد عصره . وذكرها على مبارك ضمن التكايا باسم تكية حسن بن الياس الرومى . واكتفى بمجرد الاسـم ولم يترجمها .

وقد تخربت هذه التكية الآن . وباعت الدولة نحاسـها وأدواتها . وأجرت المكان الى جمعية التربيـة والتعـاون الاجتماعى . وبهـا مستوصف .

وتصـعد الى التكيـة بعـدة درجات . وبجـوارها المسـجد منخفض عن أرض الشارع وبصحن المسـجد ضريح الشـيخ حسن الرومى .

وسنتكلم فى المقـال التـالى عن منطقـة سـويقة العِزِّى وسـوق السلاح باذن الله .

محمد كمال السيد محمد

التفسير القرآنى للقرآن

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

المجلد الأول

الجزء الأول والثانى

دراسة وعرض ونقد

للدكتور سعد ظلام

صدر هذا الكتاب عن دار الفكر العربى ــ مطبعة السنة المحمدية ــ مارس ١٩٦٧ والكتاب واحد من خمسة عشر مجلدا ضمت تفسير القرآن الكريم •

وقد افتتح الكاتب بمقدمة تاريخية تحدث فيها عن الامة الاسلامية ، وأنها أمة القرآن وعته فرعاها وتمسكت به فأرشدها الله وأعزها ، وما نأت عن الغاية الا عندما وقعت الجفوة بينها وبين القرآن ، تلك الجفوة التى أحدثت تميعا فى العقيدة الدينية بنفس المسلم •

وقد أرجع السبب فى ذلك الى الخلافات السياسية والمذهبية التى وقعت بين المسلمين ، الأمر الذى أدى الى تشعب المسائل الدينية بين الطوائف ، ثم كان التعويل على هذا التشعب والمسائل الخلافية من الأسباب التى ميعت العقيدة أيضا •

وما دام القرآن هو مصدر التشريع فلا بد من الفهم السليم الصحيح والمبنى على طول التأمل والتدبر لكل مايثيره من قضايا وأفكار ، فيكون بذلك اتصالنا الوثيق بكتاب الله وتصور مسائل الدين تصورا واضحا محددا •

وعنوان الكتاب يعطى للقارىء انطباعا معينا يفهم منه أن المؤلف يفسر القرآن بالقرآن، وخير التفسير ما فسر آيات الكتاب بآيات الكتاب •

ويفهم من العنوان أيضا أن المؤلف التزم هذا المنهج فى كتابه • ولكن قراءتك للكتاب تجعلك فى قناعة تامةأن المؤلف تناقض مع نفسه أو تراجع عن العنوان والمنهج ولم يلتزم بهما ، بل ان الكاتب نفسه تعارض مع نفسه لأنه كما سبق أن ذكرت « لايفسر القرآن بالمعنى الحرفى للتفسير،انما يقرأ القرآن،ثم يسجل مشاعره ازاء مايقرأ » هذا من ناحية المنهج ، أما من ناحية تسجيل المشاعر ازاء ما يقرأ فلنا عليها هى الأخرى جملة من الملاحظات لأننا نلاحظ أن المؤلف أقحم مشاعره فى كل فكرة واستغرق فى دوامة الرصد والتسجيل حتى نسى الغرض الأصلى للتفسير ، وتبنى بعض الآراء ، واقتنع بها ، وألصقها بالقرآن •

وقد ذكر الكاتب فى المقدمة أن مباحث هذا المجلد هى « الجن والشيطان وابليس ــ والنسخ ولا نسخ فى القرآن ــ هكذا يقول ــ وآدم ــ مادة خلقه ــ والوصية للمتوفى عنها زوجها » •

وقبل أن يبدأ بتفسير فاتحة الكتاب أثبت مبحثا حول القرآن الكريم تناول فيه المكى منه والمدنى، وعرف كلا منهما ، وذكر السور المكية والمدنية ، وعدد آى القرآن وكلماته وحروفه •

وانتقل الى الفاتحة ، فذكر أنها مفتتح القرآن وأم الكتاب ، والسبع المثانى •

وقارن بين الفاتحة وبين ما أورده من « انجيل متى » مما سماه دعاء وصلاة ، وذكر أن هناك تشابها كبيرا فى الروح التى تستولى على الانسان وهو يتلوها خاشعا متعبدا واتخذ من هذا دليلا على أنهما من معدن واحد ، وأن متنزلهما السماء وحيا من رب العالمين[1] » •

وهو بهذا يسلم بصحة الانجيل أى « انجيل متى » الذى استشهد به ، بل وأكثر من ذلك أكد التشابه بين القرآن والانجيل فى الروح والروحانية والتأثير • على الرغم

---

(١) ص ٢١ ، ص ٢٢

من أن هذا النص الذى استشهد به وقدم فيه وأخر بل وغير فى بعض كلمه ، فيه اضطراب تحاشاه المؤلف حيث يذكر نفس الاصحاح من نفس الانجيل « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا » ثم يذكر بعد هذا « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى » (١) .

فقد وجد المؤلف بعض التناسب بين آية فى القرآن واصحاح فى الانجيل ، فاتخذ من هذا ذريعة الى الاعتراف بصحة هذا الانجيل والتشابه ــ على الاطلاق ــ بينه وبين القرآن ــ وأنه من عند الله ، هكذا يبنى الحكم بسرعة وبأقل مناسبة ، صحيح نحن نؤمن بالانجيل الذى نزل على عيسى ، وأن هناك قدرا من التشابه بين الكتابين يقول النجاشى : « ان هذا والذى جاء به المسيح ليخرج من مشكاة (٢) واحدة » ولكن يجب التريث فى الحكم وعدم اللجوء الى الجزاف والاحتمالات واحتراف التشابه حتى نحكم حكما مطلقا على كلٍّ ــ أساس الدعوى فيه جزء قليل .

وينتقل المؤلف الى أفضلية آدم فى خلافة الله فى الأرض على الملائكة ، فيعلل لأفضلية آدم عليهم ، بأن الملائكة من البهاء والصفاء والطاعة المطلقة المستسلمة التى لا تنزع عن ارادة ولا ترجع الى نظر وتقدير ، لهذا ، فهم ليسوا أهلا للخلافة ، لأن منصب الخلافة يقتضى استقلالا فى تصريف الشئون فيما هو خليفة فيه ومتسلط عليه .

والانسان بما له من عقل وارادة هو المستأهل لهذه الخلافة يتولاها عن الله ويتولى ضبط أمورها وسياسة شئونها (٣) .

وليس ذلك وحده هو السبب فى اصطفاء آدم خليفة لله ، بل هناك أسباب أخرى من بينها أن تكوين الانسان من مادة وروح ، وقدرته على المواءمة بينهما وتغليب جانب الروح على المادة وتطويعه للخير ،

---

(١) انجيل متى « الاصحاح السادس » .

(٢) من أقوال النجاشى عندما سمع سورة « مريم » .

(٣) ص ٥١/٥٢ من الكتاب .

يكون أليق بالاصطفاء مما ليست له هذه القــدرة ، لأنه مركب نورانى فحسب .

وقد يكون من بـين أســباب الاصطفاء أن يخطىء آدم فيـكون فى خطئه تشغيل لصفة المغفرة الالهية « انى أعلم مالا تعلمون » .

ولآدم فى نظـر المؤلف مفهـوم مغاير لمفهـوم المفسرين الذين يرى المؤلف أنهم اعتمـدوا فى معرفتـه على الاسرائيليات وأساطير الأولين من قصــة « الخلق ومكان آدم فيهـا [١] » .

وتعــرض للجــن وابليس والشيطان [٢] وعرض بعض الآيات التى ورد فيها ذكـر ابليس ثم عقب عليها بأن ابليس على صفة خاصــة غير صفة الشيطان والجن ، والا لمـا التزم القرآن ذكر ابليس فى هــذه الصور المتعددة لموقف واحد [٣] .

وهذا لا ينهض دليلا أمام النص القرآنى الذى ينص على أن «ابليس كان من الجن ففســق عن [٤] أمر ربه » .

ويعرض لذكـر الشيطان بلفظ المفــرد والجمع فيذكر الآيات التى تدل على ذلك ، ويستنتج منها أن اللفظ فى حالتى افراده وجمعه أسماء لذات واحدة .

ويقع فى مغالطة حين يســتعرض الآيات التى أمــر الله فيها ابليس بالسجود لآدم ، ويستنتج منها أن ابليس كان من الملائكة [٥] وأنه كان فى درجة دنيــا فى هــذا العــالم الروحى هى درجة الجن ، وأنه لم يظــل فى جماعة الجن ، بل أخرجه الله من بينهم حــين أبى أن يسجد لآدم مع الساجدين وأنه بدأ يتحول منذ حلت به اللعنة خلقا آخر ، فاذا هو شيطان مريد وشيطان رجيم .

---

(١) نفس الصحيفة السابقة .

(٢) ص ٥٦ .

(٣) ص ٥٤ .

(٤) الآية ٥٠ من سورة الكهف .

(٥) ص ٥٧ .

ثم يخلص من هذا كله الى أن ابليس من عالم الجن ثم نزل الى ابليس ، ثم تحول من ابليس الى شيطان (١) •

ويغنيه عن هذا الاضطرار كله تفسيره الاستثناء فى قوله سبحانه وتعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس بأنه استثناء منقطع ، والاستثناء المنقطع هو الذى لايكون ما بعد « الا » داخلا فى جنس ما قبلها أو فى حكمه ، وقد أوقعه فى هذا الخلط وذاك الاضطراب جعله الاستثناء متصلا •

وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن على أسلوب الاستثناء المنقطع كقوله سبحانه وتعالى فى سورة الصافات (٢) « فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين » •

و « الا » فى الاستثناء المنقطع بمعنى (لكن) ويكون المعنى فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، لكن ابليس امتنع عن السجود تكبرا واباء •

وتعرض الكاتب لقصة خلق آدم عليه السلام (٣) ، فذكر أن القرآن عرضها عرضا محكما ومع أن القرآن ليس كتاب علم ، وليس من همه أن يقرر حقائق علمية فانه فى قضية خلق آدم قد أمسك بها من أطرافها ، وجاء بها على الوضع الذى يلتقى مع الحقائق العلمية فى أصدق وجوهها وأضوئها •

ومع أن الأليق فى العقل أن تجىء الحقائق العلمية اذا جاءت مفسرة للقرآن كاشفة عن أسراره ، لا أن يجىء القرآن على الوضع الذى تخضعه للحقائق العلمية أو تلوى آية وتقسرها قسرا لتلتقى مع النظريات والحقائق العلمية •

وقد سار المؤلف مع أسلوب الحقائق العلمية وأخضع الآيات لها

---

(١) ص ٥٧/٥٨ •
(٢) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ •
(٣) ص ٥٩ وما بعدها •

حين فسر الحمأ المسنون بأنه بشائر الحيـاة اذ هو « البكتيريا » التى تولدت منها خمائر الحياة ، وظهرت فيها جرثومتها الأولى .

ويسير مع قضايا العلم وتجاربه فيخضع آى القـرآن الى حقائقـه أيضا حين يرى أن الطين الذى خلق منه الانسان قد تقلب فى أطـوار عدة ، حتى ظهـر منه الانسـان ، فهنـاك التراب ، وهنـاك الطين ، والطين اللازب ثم الصلصال ، ثم الحمأ المسنون ...

وبلغة العلم يكون التراب فالطين فالصلصال فالحمأ المسنون ، أربعة أطوار تنتقل فيها بذرة الحيـاة ويستنتج من قوله تعالى .. « ولقد خلقنـا الانسـان من سـلالة من طـين ... » بأن آدم لم يجىء من الطين مباشرة ، وانما كان ذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات ، وبعد عمليـات معقـدة من التصـفية والانتخاب استمرت ثلاثين سـنة حتى انتهت بظهور الانسان .

واذا صـح أن التجارب البشرية فى حقول العلم ومعامله تحتـاج الى الزمن ومداومة النظـر لاستخلاص النتائج وملاحظتها من التجارب ، فالله غنى عن هـذا الأسلوب الذى لا يليق « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

هذه واحـدة ، والثانيـة أنه فى قصة خلق آدم يستخدم مناهج العلم الحديث مثل « نظـرية دارون فى أصـل الأنواع ، وفى النشـوء والارتقاء [1] » .

واخضاع القـرآن لقضايا العلم الحـديث وتجـاربه غير مقبول ولا مستساغ ، لأنه مما يزعزع الثقـة بالنص القرآنى اذا اهتزت نتـائج التجارب ، بعد ذلك أو ثبت اختلال قانونها ، أو جاء ما ينافيها أويناقضها وكثيرا ما يحدث ذلك .. فمثـلا أثبتت أحدث المناهج العلميـة فى تفسـير قانون المـادة أثبتت أن جزئيات المـادة تنقسم الى ذرات ، وأن كل ذرة تنقسم الى اشعاعات

---

(١) ص ٦٤ وما بعدها .

كدليل على مصدر تلك المادة وأساس وجودها وأنها برغم كثافتها فان فى تقسيمات الذرة الى اشعاعات ما يوحى بأنها من صنع الله الذى أتقن كل شيء ، وهو مصدر الضوء .

ونحن نعتقد أن لكل علم مناهجه ، والاعتماد على النظريات العلمية فى تفسير القرآن واخضاع آيه لها غير مأمون العاقبة .

وقد أدى استخدام مناهج نقدية كالمنهج النفسى والتاريخى فى النقد الأدبى الى افساد الذوق الأدبى كله وكانت نظرية دارون من بين النظريات التى طبقت على النقد الأدبى .

والاستنتاجات التى تنشأ من مجموع العلات والتى لا تعتبر أكثر من أسباب ظنية قابلة للمناقشة لا تعطى استنتاجا حاسما ، وهذه هى احدى مخاطر المجازفة باستخدام مناهج علم فى الحكم على أفكار علم أو فن آخر .

وقد وقع فى نفس المزلق المرحوم الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » حيث طبق الفلسفة الديكارتية على الأدب الجاهلى والقرآن ، فاضطربت الأفكار بين يديه وتنافرت ، وخلط بالمنهج الديكارتى المنهج التاريخى ، فاختل ميزان الحكم فى يديه ، والأحكام الجازمة خطرة جدا فى هذه الأحوال .

وربط قضية خلق آدم بنظرية « دارون » نوع من الاحتيال لاثبات أن القرآن يساير مناهج العلم ، وهذا ما لا نسلم له به ، ولا يسلم به معنا الكاتب نفسه . حيث يذكر أن نظرية « دارون » قد يكون فيها قليل أو كثير من الخطأ فى الاستنتاج .

ولكنه يلجأ الى ذلك الربط للايهام بأن تفسيره تفسير عصرى .

(الحديث موصول)

د . سعد ظلام

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٤١ ــ ويقولون : ذهب فلان الى الطبيب ليكشف عليه ، ويعرف ما به من ضر ، كما كشف على أخيه من قبل ، وفى هذا التعبير عيب واضح ، هو أنهم جعلوا الفعل متعديا بعلى وهو لا يتعدى به أبدا ، وانما له خمس حالات :

(١) أن يتعدى بنفسه كما فى قولك : كشف الله غمى ، وهو الذى يكشف الغمم ، وقوله جل شأنه « فكشفنا ما به من ضر » وقوله « ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون » .

(٢) أن يتعدى بعن ، كما فى قولك : كشفت عن السر فى نجاح هذا الطالب ، وقوله تعالى « فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » وقوله « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك » « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود » .

ومثله المزيد بالسين والتاء كما فى قولك : استكشف الأمير عن كذا ، اذا سأل أن يكشف له .

(٣) أن يتعدى باللام كما فى قوله سبحانه « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » .

(٤) أن يكون لازما ، وذلك اذا كان مزيدا بالهمز ، أو كان بزنة تفعل ، أو كان بزنة تفاعل فمن الأول قولك : أكشف فلان اذا ضحك فانقلبت شفته حتى تبدو درادره ، وأكشفت الناقة اذا تابعت بين النتاجين ، ومن الثانى قولك : تكشف فلان : اذا ظهر كانكشف ، وتكشف أيضا اذا افتضح ،وتكشف

البرق اذا ملأ السماء ، ومن الثالث قـولهم : لو تكاشفتم ما تدافنتم ، قال ابن الأثـير ان المعنى لو عـلم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه .

(٥) أما الموازن لافتعل فقد يأتى متعديا بنفسه كما فى قولك : اكتشف الكبش النعجة اذا نزا عليها ، وقد يأتى لازما كما فى قولك : اكتشفت المرأة لزوجها اذا بالغت فى التكشف له عند الجماع . ولاصلاح عبارتهم يحسن أن يقال : ذهب فـلان الى الطبيب ليفحص عما به من علة كما فحص عن علة أخيه من قبل .

٢٤٢ ـ ويزعمون أن السوقة هم أهل الأسواق ، والحق أنهم الرعية أى خلاف الملك ، وسموا بذلك لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم ، أنشد الجوهرى لنهشل بن حرى :

ولم ترعينى سـوقة مثـل مالك
ولا ملكا تجبى اليـه مرازبه

ولفظ السـوقة يسـتوى فيـه الواحـد ، والجمـع ، والمذكر ، والمؤنث ، وربمـا جمع على سوق ـ بفتح الواو ـ .

قالت بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا
اذ نحـن فيهم سـوقة نتنصف

٢٤٣ ـ ويقولون : برز المقاتل وفى يـده الصمصام أو الصمصامة بكسر الصاد فيهما ، يريدون السيف والصواب فتح الصاد فى كل منهما ، وذلك لأن كل ما كان من المضاعف الرباعى على وزن فعلال فلا يكون الا مفتوح الفـاء ، كالخلخـال ، والصلصال ، والصمصام الا حرفا واحـدا هـو الديداء اسم لآخـر الشهر .

فان كان مصـدرا جاء بالكسر كالزلزال ، والقلقال [1] .

قال سيبويه : فعلال بالكسر من غير المضاعف كثير مثال حملاق [2] ، وقنطار وشملال [3] ، وسرداح [4] .

---

(١) القلقال : التحريك ، تقول : قلقل الولد الشىء قلقة وقلقالا اذا حركه .

(٢) حملاق العين بالكسر ويضم : باطن اجفانها الذى يسود . جمعه محاليف .

(٣) الشـملال : الشـمال .

(٤) السرداح : الناقة الكريمة أو السمينة .

٢٤٤ ــ ويطلقــون على كل من يغمز برجله حين يمشى كلمة أعرج ؛ ويقــولون عرج الرجل بفتح الراء يعرج بضــمها عرجا بفتحتين ، وفى هــذا التعبير مطعن ، لأنه خلــط بالخطــأ .

والفصيح أن يفــرق بين هــذا نغمز ، فان كان خلقــة أو من علة لازمة قيل : عرج يعــرج عرجا من باب تعب ، فهو أعرج ، وهى عرجاء، وهم وهن عرج وعرجان بضم العين فى كل منهمــا والعرجان بالتحريك مشية الأعرج .

ويقال فى ذم الأعرج : لتلقين من هذا الأعرج الأعيرك بصيغة التصغير، وهى حية صماء لا تقبل الرقى تطفر كمــا تطفــر الأفعى ، ويقال فى ذم الغــراب وشؤمه : حجل فى دارهم الأعور الأعرج تحجــلانه وانقباض نســاه .

وان كان الغمز من شىء أصــاب الانســان فى رجــله فمشى مشية العرجان قيل : عرج يعرج من باب دخل عروجا ، أو عرج يعــرج من باب قتل عرجا ، فهو عارج ، والأنثى عارجة وهم عارجون وهن عارجات.

ومن باب دخل يقــال فى معنى آخر : عرج يعرج عروجا اذا ارتقى فى سلم ونحوه ، ومن هذا قوله تعالى « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » والمعــرج ، والمرقى والمصعد ثلاثتها بزنة مقعد ومعناها واحد هو الصعود .

والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج، جمعــه معــارج ومعــاريج ، وفى التنزيل « ومعارج عليها يظهرون ».

٢٤٥ ــ ويقولون : صرح الرئيس لفلان بالســفر ، وأعطــاه تصريحا بذلك ، يعنــون أنه أباحــه له ، والصواب أن يقال : أذن له بالسفر، ومنحه اذنا يؤيده جواز مكتوب هو صك المسافر .

أما التصريح فهو تبيــين الأمــر وانكشافه ، تقول : صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، وصرح النهــار اذا انكشف سحابه وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصــه وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر

اذا ذهب زبدها ، ومن هذا قولهم • لبن صريح اذا خلص وذهبت رغوته، وعربى صريح من عرب صرحاء أى غير هجناء ، والهجين عربى ولد من أمة أو من أبوه خير من أمه •

٢٤٦ ــ ويجمعون كلمـة المصير على مصائر ، بقلب ياء المفرد همزة فى الجمع فيقولون : مصائر الأيام ، والقاعدة المعروفة أن اليـاء والواو مفـاعل وفعالل الا اذا كانتا مدتين لا تقلبان همزة اذا وقعتا بعد ألف زائدتين فى المفـرد ، نحـو كتيبة وكتـائب ، وصحيفـة وصحائف ، وعجوز وعجائز ، وتشاركهما الألف فى ذلك كرسالة ورسائل ، وقلادة وقلائد •

أما اذا كانت كل منهما أصلية فى المفرد فانه يجب أن تبقى فى الجمع على حالها ، مثل معيشة ومعايش ، ومكيدة ومكايد ، ومفازه ومفاوز ، ومصير ومصاير ، قال مضر بن ربعى:

وما الوحش هاجتنى ولكن ظعائن
دعاهن رواد المـلا ومصـايره

وشذ القلب فى مصائب ومنائر مع أصالة المـدة فى مفرديهما ، وسهل ذلك تشبيه الأصلى بالزائد •

٢٤٧ ــ وقد فشا على ألسنة كثير من المثقفين قولهم : سافرنا بواسطة القطـار ، وأروينا زرعنـا بواسطة الناعورة ، وهذا خطأ ، لأن الواسطة هى الجوهرة الفاخرة التى تجعـل وسط القلادة ، كمـا قال الأزرى والزمخشرى ، وفى القـاموس : وواسطة الكور مقدمه •

ويقال : فـلان واسطة قومه اذا كان أعلاهم منزلة وأرفعهم محلا ، ولم نر فى أمهات اللغة ولا فى غيرها من الكتب التى يحتـج بهـا أن الواسـطة تأتى بمعنى الوسـيلة أو العلة ، وان كانت قـد شـاعت فى الألسن والأقلام بهذا المعنى ، وقد أدرك مدرسو العربية خطـأ هـذا الاستعمال ، وأخذوا يرمجـونه فى كراسات تلاميذهم ، ولكنهم أملوا كلمـة الوساطة محـل الواسطة ، وارتضـاها كثـير من الأدباء حتى صارت منبثة فى كراسات الطـلاب بهذا المعنى •

والحق أن الوساطة لم ترد فى اللغة بمعنى الوسيلة أو السبب ، فمن يقول مثلا : تروى الأرض بوساطة النواعير لم يسلك طريق العرب فى تعبيرهم لأنا لم نقف عليه فيما قرأنا للفصحاء والبلغاء ، بل لم نره الا حديثا فى اصلاح السادة المدرسين لكلمة الواسطة ، وفيما ينشر فى الصحف ، ولهذا يجب فى تأدية هذا المعنى أن يقال : سافرنا بالقطار أو بالطائرة ، وأروينا زرعنا بالناعورة ، وتكتب الرسائل بالأقلام ، وتوقد النار بالكبريت ، كل ذلك بباء الاستعانة كما فى الأمثلة السابقة .

أو بباء السببية كما فى قوله تعالى « انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل » وقوله «فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم » وقوله « فكلا أخذنا بذنبه » .

٢٤٨ ــ وينكرون وجود كلمتى منضد ومنضدة بفتح الميم وكسر الضاد فيهما بمعنى الخوان الذى تنضد عليه للضيفان ألوان الطعام ، ويشنعون على تركهما فى كراسات الطلاب دون اصلاح ، وحجتهم فى ذلك أن معاجم اللغة قصدت كلامها على النضد بمعنى منضود ، كولد بمعنى مولود ، أو بمعنى السرير تنضد عليه الثياب والحق أن قواعد النحو والصرف لاتأباهما لأنهما اسما مكان من نضد فلان المتاع ينضده من باب ضرب اذا ضم بعضه الى بعض متسقا أو مركوما ، فهو منضود ، ونضيد ، قال تعالى « وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » وقال « والنخل باسقات لها طلع نضيد » .

واسم المكان من هذا الفعل يأتى على وزن مفعل بفتح الميم وكسر العين فيقال : منضد كمعرض ، ومعدن ، ومهبط ، وقد تلحقه هاء التأنيث فيقال منضدة كمنزل ومنزلة للدار ، ويجمع منضد ومنضدة على مناضد .

وها هو ذا يزيد بن ضرار الذبيانى الملقب بمزرد أخى الشماخ ، والشاعر المشهور الذى أدرك الاسلام وأسلم يقول فى قصيدة له مطلعها

ألا يا لقوم والسفاهة كاسمها
أعائذتى من حب سلمى عوائدى

وفى آخـرها يخاطب آل الوحيد من بنى كلاب قائلا :

وعهدى بكم تستنقعون مشـافرا
من المحض بالأضياف فوق المناضد

ولا داعى بعـد هـذا لاستبدال النضد بالمنضد والمنضدة فكل منها صحيح .

٢٤٩ ـ ويقولون لمـا يدل على نوع المدارس والمستشفيات والمحال التجارية ونحوها ، ويشير الى أسماء أصحابهـا (يافطة) ولمـا استبان لكثير من المثقفين عامية هذه الكلمة استبدلو بها كلمة (لافتة) ، وقـد فشـا استعمالها فشـوا عظيمـا ، وارتضاها عدد وافر من الخاصـة وأقروها وما دروا ـ لو أنعموا النظر ـ أن معناها بعيد كل البعد عن المعنى الذى يريدونه .

ففى أمهات اللغـة على اختلاف أنواعها : لفته ، يلفته لفتا من باب ضرب لواه وصرفه ، كمـا فى قوله تعالى « أجئتنا لتلفتنا عمـا وجدنا عليه آباءنا » أى لتصرفنا .

ومن اللفت والالتفات ، والتلفت، وكلاهما معناه الانصراف ، قال :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء[1] ليتا[2] وأخدعا[3]

أى انصرفت نحو الحى .

وتقول : مالى الى فلان ملتفت ، ومتلفت ، أى ليس فى وسـعى أن أنصرف عنه .

مما عرضنا اتضح لكل أديب أن اللفت لا يؤدى الا معنى الانصراف واللى ، فقولهم (لافتـة) معنـاه صارفة ، وهذا ضد ما يريدون .

وأرى أن يوضع لهذا المعنى كلمة بطاقـة تشبيها لها بالرقعـة المنوطة بالثوب وفيها رقم ثمنه أو كلمة معلم وزان مقعـد تشبيها له بالأثر الذى يستدل به على الطريق .

أو كلمـة دليل ، أو دلالة ، أو علامة ، أو عنوان أو عنيـان ، أو علوان بضمهن ، وقد قالوا :

وكلما استدللت بشىء يظهرك على غيره فعنوان له .

---

(١) الاصغاء : الميل .
(٢) الليت بكسر اللام : صفحة العنق .
(٣) الأخدع : شعبة من الوريد .

٢٥٠ ــ ويقولون : زج اللص فى السجن ، يعنون أنه سيق اليــه ، وهــذا خطأ صراح ، والفصيح أن يقال : زجى اللص زجوا اذا دفــع وسـيق ســوقا ، أو زجى تزجيــة بالتثقيل للمبالغة ، أو أزجى ازجاء بالألف ومن هذا قوله تعالى « ربكم الذى يزجى لكم الفلك » وقــوله « ألــم تر أن الله يزجى ســحابا » وقوله « بضاعة مزجاة » معناه أن البضاعة مسوقة شيئا فشيئا على قلة وضعف لأنها خسيسة يدفعهــا كل من تعرض عليه أما الزج الذى تخيروه لعبارتهم فله ثلاثة معان لا صلة لها بالسوق •

أحــدها : الطعن بالزج وهــو الحــديدة التى تكــون فى أســفل الرمح ، تقول : زججت الرجل من باب نصر اذا طعنته بالزج •

والثانى : أن يجعل للرمح زج ، تقول : زججت الرمح زجا اذا ركبت له زجا •

والثالث : الاخــراج والتنمية ، كمــا فى قولك : نزلنــا بواد يزج النبات أى يخرجه وينميه كأنه يرمى به عن نفسه ، قال :

فى عازب[1] أزج[2] يزج نبــاته
خال تمعــج[3] دونــه الرواد

وأما التزجيج فله معنيان :

أحدهما : أن يجعــل للرمح زج كما قلنا سابقا فى معنى الزج ، تقول: زججت الرمح تزجيجا اذا جعــلت له زجا •

والآخر : دقة الحاجب وتطويله واستقواسه كالزجج بالتحريك قال

اذا ما الغــانيات برزن يوما
وزججــن الحــواجب والعيونا

---

(١) العازب : الكلا •

(٢) الأزج : البعيد •

(٣) تمعج الرواد : ترددوا وانثنوا وانصرفوا

بـــاب الفتـــوى

للأستاذ محمود رسلان

هل يجوز الدعاء على المسلم بالكفر :

السؤال

ما رأى الاسـلام فى رجل يدعى العـلم ، وقد أذنب أحـد أصحابه ذنبا ؛ فصار يدعو على هذا المذنب قائلا ما نصــه : « اللهم اعم بصرك يا فــلان . اللهب اسلب ايمــانك يا فلان . اللهم أمتك على الـكفر يا فلان » فى جمع من المسـلمين ، فغضب أحدهم وامتنع عن مصاحبته فعلم ذلك المدعى بسبب امتناعه ، وهو الدعاء ، فخطأه وأفتى بجواز ذلك الدعاء وأصر عليــه فنرجــو الجواب مع الشكر .

الجواب

الحمد لله رب العــالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعــد : ــ فان صح ما قيــل عن ذلك المفتى فهو من أكذب الكاذبين وأجهـل الجاهلين . ولو كان على شيء من العلم لاقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون » أو بابراهيم عليه السلام حيث يقول: « ربنا اغفر لى ولوالدى والمؤمنين يوم يقوم الحســاب » أو بالمؤمنين الأولين حيث يقولون :

« ربنــا اغفر لنــا ولاخواننــا الذين سبقونا بالايمــان ولا تجعل فى قلوبنــا غلا للذين آمنوا ربنــا انك رءوف رحيم » .

وهذا حديث نص فى الموضوع : عن عمر رضى الله عنه أنه قد أتى برجل شرب الخمر ، وكان رســول

الله صلى الله عليه وسلم جلده فى الخمر قبـل ذلك ، فقال رجل من القوم بحضرته صلى الله عليه وسلم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! .. فقال صـلى الله عليـه وسـلم : « لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله» أخرجه البخارى . وفى رواية لأبى داود عن أبى هريرة : « لا تقولوا هـذا ولكن قولوا : اللهم ارحمه اللهم تب عليه » .

فهذا هو أدب الاسلام ، لامافعله هذا المفتى . وقد كان صلى اللهعليه وسلم يلاطف من سبق عليه القضاء فوقع فى حد من حدود الله تعالى ، ويقـــول : « ادرءوا الحـــدود بالشبهات » علما منه صلى اللهعليه وسلم بالضعف البشرى الذى كثيرا ما يغلب صاحبه المؤمن ايمانا قلبيا صحيحا ، عالما أنه سيرده ايمانهوقتا من الأوقات ، وستنهاه صلاته يوما من الأيام ، ناظرا الى سعة الرحمة الالهية ، والى كرم الله الذى ينظر الى القلوب لا الى الصور ، مبينا لنـا أن النـدم توبة ، وأن التوبة تجب ما قبلها ، وأنالحسناتيذهبن السيئات .

وقد عرف صلى الله عليه وسلم أن الانســان بمقتضى البشرية لابد أن يـكون له هنـات وهفوات ، فأرشـدنا الى الحمية ما استطعنا . فاذا وقعنا فىمرض الذنب لميؤيسنا ولم يقنطنا ، بل أرشدنا الى الدواء الذى يخلصنا ممـا وقعنـا فيه ، فقال : «اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالقالناس بخلق حسن » .

فانظر الى هذا التعليم النبـوى الوجيز الذى اشـتمل على مجامع السـعادات الدنيوية والأخروية . فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبلاعتذار المعتذر ، ويرشده ولا يؤنبـه ، ويكتفى من النـاس بظواهرهم ، علما منه أن صـلاح الظواهر قـد يجـر الى صـلاح البواطن ، ولا يطلب من النـاس الكمال فى الأشياء ولا يكلفهم غاية واحـدة ، نظرا الى ما بينهـم من التفاوت فى الاسـتعداد ، وأن كلا

يأخذ ما قدر له ولا يتجاوز مرتبته فكان يسيرهم جميعا فى طريق الخير، وينير لهم طريق الهدى ، ثم يدعهم لله تعالى ، ولا يدقق هـذا التدقيق الذى يفعله الآن أولئك المتفيهقون. وقد غضب على أسامة غضبا شديدا عندما قتل الرجل الذى قال : لا اله الا الله ، ولم يقبـل منه أنه قالها تقية ، وصار يقول له : أقتلته ؟ ! بعد أن قالها حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل . مع أن الظاهر أن الرجل ما قالهـا الا تقيـة ، ولكنه صلى الله عليه وسـلم لا يحب أن يفتح باب الاحتمال وسوء الظن ، علما منه بمـا يترتب على ذلك من الشرور والمفاسد ، واتباع الأهواء والأغراض والأوهـام والجهالات ولذلك زجر أسامة وقال له : هـلا شققت عن قلبه !

وسر هذا أن اصلاح الظواهر كثيرا ما يجر الى اصلاح البواطن كما قلنا خصوصا فى بيئات الهدى ، وأوساط الدين والصـلاح . هذا وقد قالوا « ان الرضا بالكفر كفر » فهل يعتبر الدعاء بالكفر رضـاء به ، أو فوق الرضاء كما هو ظاهر ؟ وقد ورد فى الصحيح أن من رمى غيره بالكفر باء به أحـدهما .. فانظر الى تغليـظ الشارع فى هذا الباب الضيق الذى يجب أن يبتعد عنه المسـلمون كل الابتعاد ....

غلطة فاحشة :

ان الذى ساقه السـائل بما قاله « اللهم أمتك على الكفر يا فلان » غلط فاحش ، فانه جمع بين خطأين فى جملة واحدة ، وهو مما نص علماء العربية على امتناعه .

احاديث تبين حقوق المسلم على اخيه المسلم :

عن واثـلة بن الأسـقع قال : سمعت رسـول الله صلى لله عليه وسلم يقول : « المسلم على المسلم حرام : دمـه وعرضـه ، وماله . المسلم أخـو المسلم لايظلمـه ولا يخذله ، التقوى ها هنا ، وأومأ بيده الى القلب وحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» . رواه الامام أحمد وغيره واسناده جيد .

وعن أسـماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ذب عن عرض أخيـه بالغيب

كان حقا على الله أن يعتقه من النار» رواه أحمد والطبرانى . وعن عبدالله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم : « ان أول هذه الأمة خيارهم ، وآخرها شرارهم مختلفين متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو يأتى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » رواه الطبرانى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله علية وسلم: « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فلأن يخطىء الامام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » أخرجه الترمذى .

وعن جرير رضى الله عنه : قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرحم الله من لا يرحم الناس» أخرجه الشيخان والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « من لا يرحم لا يرحم » . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى ...

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق ما كان فى شىء الا زانه ، ولا نزع من شىء الا شانه » أخرجه مسلم وأبوداود .

وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال كان النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا بعث أحداً فى بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود . الى آخر ما جاء فى السنة وهو كثير .

وبعد : فلا غرابة فى مثل تلك الفتاوى الضالة ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الناس سيتخذون رؤساء جهالا فاذا سألوهم أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ... هذا وليس من شأن المسلم الذى يحتاط لدينه أو يعرف قدر نفسه . ولعل ذلك يقع منك موقع الغرابة والدهشة ، ولكن لا محل للغرابة بعد ما قال صلى الله عليه وسلم : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » ..

والانسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات ، فرحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فسلم لأئمة الهدى ما قالوا ، ولم ينازعهم فيما لم يدر سره ولم يسبر غوره •

فحسبك تسليم العلوم لأهلها
وحقك فيها أن تكون متابعا

أسأل الله أن يقينا شر فتنة العقل الناقص، والعلم الأبتر، وأن يخلصنا من ضلالات هذا العصر الذى تسابقت فيه الأهواء ، بمنه وكرمه ، انتهى بتصرف من مجلة الأزهر المجلد السابع لسنة ١٣٥٥ هـ للمرحوم الشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء ص ٦١٤ — ٦١٨ •

محمود محمود رسلان

دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم اعرابى ، وخاطبه عليه السلام بجراة العربى المتحرر ، سائلا النبى عن رخصة تبيح الزنا عند الحاجة ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم — قولا — خاطب فيه عقل الرجل وقلبه ووجدانه وطبعه ، والقى عليه سؤلا : اتحب الزنا لامك ؟ قال الرجل : لا ... اتحبه لزوجتك ؟ قال الرجل : لا ... اتحبه لاختك ؟ قال الرجل : لا ... اتحبه لابنتك ؟ قال الرجل : لا ... فقال الرسول — صلى الله عليه وسلم كذلك الناس — يا اخا العرب لا يحبونه لامهاتهم ولا لزوجاتهم ولا لاخواتهم ، ولا لبناتهم » •

(جوهر الايمان)

أخبار العالم الإسلامي

للأستاذ ابراهيم حامد السويهي

مصر

* أقام العالم الاسلامي احتفالات بذكرى الاسراء والمعراج، فأقامت مشيخة الأزهر ووزارة الأوقاف احتفالات بهذه المناسبة الكريمة ، كما أقيمت احتفالات بجميع مساجد الجمهورية ، ألقى فيها العلماء ورجال الدعوة والمفكرون محاضرات دينية ، تناولوا فيها هذه الذكرى ومكانتها والدروس المستفادة منها .

* أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرارا بانشاء ادارة للقرآن الكريم لأول مرة فى الأزهر ، وذلك للاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم بالمحافظات ،ودعمها ونشرها على أوسع نطاق ، ومساعدتها ماديا ومعنويا ، بهدف التوسع فى المعاهد الأزهرية .

ويعد هذا أول قرار اتخذهفضيلة الامام الأكبر بعد تجديد مدة خدمته ثلاث سنوات أخرى اعتبارا من مايو ١٩٧٧ م .

ومن الجدير بالذكر أن فضيلته سيعمل على انشاء كليات أزهرية جديدة بحيث تشمل كل المحافظات كما سيعمل على أن تتسع كلية البنات الاسلامية لتصبح جامعة للبنات تتبعها كليات متنوعة ..

حيا الله فضيلة الامام الأكبر وأمده بالعون والقوة والصحة للعمل من أجل الأزهر والاسلام فى ظل دولة العلم والايمان ورعاية الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ..

* انعقدت فى الفترة الأخيرة — الندوة الاسلامية العالمية عن مستقبل الطفل فى العالم الاسلامي الذى نظمها

المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث التابع لجامعة الأزهر تحت رعاية سيدة مصر الأولى السيدة جيهان السادات .

وشهد الندوة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر ، وعدد من كبار علماء الأزهر ، كما حضرها وفود من عشر دول اسلامية ..

وناقش العلماء والمفكرون فى هذه الندوة الموضوعات الخاصة بالطفل فى الاسلام ، وصحة الطفل وتغذيته فى العالم الاسلامى ، وتعليم الطفل المسلم واقتصادياته والحياة النفسية والأخلاقية له ، ونظم التعليم الدينى للأطفال فى بعض الدول مثل الهند والفلبين وأندونسيا .

وأوصت الندوة بوضع خطة لتربية الطفل المسلم مستمدة من تعاليم الدين الاسلامى وتكون دستورا يتبع فى جميع البلاد الاسلامية ، وتخصيص ميزانية مستقلة لتعليم الطفل والعناية بصحته ، وفتح مراكز فى البلاد الاسلامية لتعليم اللغة العربية .

* يتوافد كثير من المسلمين على المكتب الذى أنشىء بالأزهر للتبرع لاذاعة القرآن الكريم ، تلبية للنداء الذى وجهه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، للتبرع لهذه الاذاعة ليغطى ارسالها جميع العالم وعلى مدى ٢٤ ساعة ، حتى تتمكن من أداء رسالتها فى نشر الوعى الاسلامى وقد وصلت التبرعات الى أكثر من عشرة آلاف جنيه .

وافتتح أيضا حساب بالعملة الأجنبية فى المصرف العربى الدولى باسم صندوق اذاعة القرآن الكريم وذلك لتلقى التبرعات بالعملات الأجنبية .

* قرر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر ايفاد بعثة من علماء الأزهر الذين يجيدون اللغة الانجليزية لنشر الدعوة الاسلامية وتدريس اللغة العربية فى جابون ، وذلك أثناء

اجتماع فضيلته بالسيد / محمد عارف الحوكى المستشار الخاص للرئيس الجابون الحاج عمر بانجو الذى أشهر اسلامه عام ١٩٧٣ ، واعتنق الاسلام بعده ٣٥ ألفا من مواطنيه •

السعودية

* تبرع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية للمركز الاسلامى بلندن بمبلغ مليون ومائتى جنيه استرلينى •

وأعرب الدكتور شودرى عميد المركز الاسلامى بلندن عن شكر المركز والمسلمين فى بريطانيا لجلالة الملك خالد على هذا التبرع السخى الذى سيمكن به الانتهاء من بناء المسجد فى شهر يوليو ١٩٧٧ م •

ومن الجدير بالذكر أن المسجد سيضم مكتبة اسلامية وقاعات لتدريب الأئمة وجناح للسيدات حتى يمكنهن المساهمة فى الحفاظ على القيم الاسلامية •

تحية للملك خالد ، وتهنئة له بالشفاء ، ودعاء له بدوام الصحة ، ليظل خادما للحرمين الشريفين ذائدا عن الاسلام وحياضه ، ودعما لأهله ومنشآته •

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ٥٠٠ ألف ريال سعودى للجنة القائمة على تعمير المساجد والمدارس التى أصيبت بكوارث الزلازل التى اجتاحت منطقتى ايريان الغربية وجزير بالى شاقى جاوة بأندونسيا •

* أقامت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة حفلا كبيرا للطالبات الحافظات للقرآن الكريم وقد بلغ عدد الحافظات للقرآن كله ٣٤ طالبة ، والحافظات لعشرين جزءا ٥٤ طالبة والحافظات لعشرة أجزاء ٨٢ طالبة ، ووزعت عليهن فى الحفل جوائز مادية بلغت ٤٧٫٧٠٠ ألف ريال سعودى •

* افتتح بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة مركز للبحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، ويهدف المركز الى جمع المخطوطات المبعثرة فى شتى أنحاء العالم الاسلامى ،

وتحقيقها ونشرها ، للاستفادة بما فيها من كنوز ونفائس، كما يهدف المركز الى معالجة القضايا الاسلامية المعاصرة ووضع الحلول السليمة لها .

غينيا

* اعتنق الاسلام موريس كنديانو وزوجته لوس لنديانو الغينيان واختار موريس لنفسه بعد اعتناقه الاسلام اسم (محمد الأمين) كما اختارت لوس زوجته لنفسها بعد اعتناقها الاسلام أيضا اسم (مريم) .

ومجلة الأزهر تتجه الى الأخ محمد والأخت مريم بالتهنئة والدعاء لهما بالتوفيق فى ظل الاسلام ، ونور كتابه الكريم وهدى نبيه الأمين .

امريكا الشمالية

* أصدر المؤتمر الاسلامى لأمريكا الشمالية الذى عقد مؤخرا فى مدينة نوارك بولاية نيوجرسى ودعت اليه ونظمته رابطة العالم الاسلامى — توصيات وقرارات هامة ، منها :

١ — تطوير سياسة تربوية موحدة تكون مقياسا وأساسا لمنفعة جميع المسلمين .

٢ — وضع الخطوط العريضة لاقامة وانشاء مدارس اسلامية تشرف عليها هيئة ادارية للتعليم والتسجيل وتنسيق المعلمين وتشرف كذلك على وضع البرامج التعليمية وتخطيط بعض المشاريع الخاصة المفيدة وايجاد لجنة تضم أولياء أمور الطلبة للتعاون مع معلمى هذه المدارس لما فيه صالح المسلمين .

٣ — استخدام العلوم التكنولوجية الحديثة عند اعداد الكتب والمناهج المدرسية ومراجع المواد التعليمية وتطوير وسائل التعليم السمعية والبصرية بغية الفائدة المرجوة وترجمة المبادىء الاسلامية لتعليم الطلبة الأحداث فى هذه المدارس الاسلامية ..

٤ — توحيد المناهج التعليمية وتطويرها بحيث تشمل تدريس وتلاوة القرآن الكريم باللغة العربية وأن تشمل هذه المناهج التعليمية

على مفاهيم الاسلام ومبادىء هذه العقيدة والأخلاق والسلوك السوى التى تدعو اليها تلك العقيدة والمبادىء الاسلامية ، كما تشمل هذه البرامج تعليم التاريخ والجغرافيا الاسلامية والتفسير الاسلامى للعلوم والدراسات الطبيعية ومقدمة عن الأديان المقارنة .

٥ ـ انشاء معهد رئيسى للمعلمين ومراكز أخرى محلية وذلك لتدريب المعلمين والمختصين بشئون التعليم من أجل خدمة ومنفعة هذه المدارس الاسلامية ورفع شأنها ، واقامة دورات تدريبية لهؤلاء المعلمين لتطوير أساليب التعليم فى تلك المدارس .

٦ ـ تقديم مساعدات عاجلة الى تلك الجمعيات الاسلامية التى هى فى أمس الحاجة بسبب ضيق استيعاب مدارسها ، والتى لا تستطيع الاستمرار طويلا فى اعتمادها على المدارس الأسبوعية فى تعليم أبنائها .

٧ ـ تنظيم برامج مكثفة ومتكاملة لتوحيد التعليم لأبناء المسلمين وعائلاتهم رجالا ونساء وأن تتضمن هذه البرامج أسس الدعوة الاسلامية .

٨ ـ اعداد برامج اذاعية وتليفزيونية على فترات ثابتة تنظم وتذاع من قبل بعض المسلمين ذوى الكفاءة والمقدرة فى سبيل نشر الاسلام ..

٩ ـ تأسيس مجلة خاصة بالمتعلمين والمثقفين تعرض الاسلام ومبادئه الى الهيئات التعليمية وتقف بالمرصاد للدفاع عن الاسلام ضد أعدائه الذين يتربصون به أو يتصدرون له .

١٠ ـ ايجاد مجلس اسلامى للتنمية الاقتصادية يقوم بتمويل المشاريع الاقتصادية للمسلمين بدون فوائد أو أرباح ويعهد الى هذا المجلس القيام بالواجبات والمسئوليات لجمع ونشر المخططات التكنولوجية للبنوك أو لمؤسسة تطوير المسلمين فى واشنطن أو لأية مشاريع اقتصادية قد تحتاج اليها جمعيات المسلمين فى هذه القارة .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

رسالتان

بين البابا والمودودي

للعلامة أبو الأعلى المودودي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

فى شهر ديسمبر ١٩٦٧ م تلقى السيد أبوالأعلى المودودى ، أمير الجماعة الاسلامية فى باكستان رسالة من البابا بولس السادس — الفاتيكان — روما ، يدعوه فيها الى الاحتفال بأول يناير ١٩٦٨م « كعيد للسلام » فأكبر السيد أبوالأعلى المودودى هذه اللفتة الطيبة من جانب أكبر شخصية فى الكنيسة الكاثوليكية ، وتبادل مع البابا مشاعر مماثلة فى رسالة بعث بها اليه ردا على رسالته ، الا أن جواب المودودى لم يكن مجرد تعبير رسمى عن الأمل وتمنى الخير لقضية السلام ، وانما يتضمن كذلك تقييما موجزا للموقف على حقيقته ، فقد تناول الموضوع بأسلوب جرىء ، وتحليل عملى للمشكلة بأسرها ، كما بحث الأسباب التى جعلت أمر السلام والمودة بين شعوب العالم ، وعلى الأخص بين العالمين الاسلامى والمسيحى حلما لم يتحقق حتى هذه اللحظة ، كذلك تقدم الأستاذ المودودى بمقترحات مهمة لو طبقها قداسة البابا والعالم المسيحى لاستحال الشقاق والتوتر والعداوة القائمة الى تعاون وخير ومودة .

ان هذه المراسلة على درجة كبيرة من الأهمية اذ نوقشت فيها أمور ذات أهمية بالغة ، وبأسلوب صريح مباشر ، فها نحن أولاء نقدم الوثيقتين للعالم المسيحى والاسلامى راجين من الذين يتوفر لديهم اهتمام صادق بالمسألة أن يولوهما عنايتهم وفكرهم الجاد وأن يساهموا بنصيبهم لتصفية القوى الضاربة فى جذور التوتر القائم .

١ مارس ١٩٦٨ م

غلام محمد

أمير الجماعة الاسلامية فى كراتشى
وعضو المجلس التنفيذى المركزى
للجماعة الاسلامية — باكستان

رسالة قداسة البابا بولس السادس بمناسبة الاحتفال بيوم السلام

تتوجه بهذا الخطاب الى كافة الرجال الخيِّرين ، لدعوتهم الى الاحتفال بيوم السلام فى كافة أنحاء العالم ، وذلك فى اليوم الأول من كل عام ، اعتبارا من أول يناير ١٩٦٨ م ، كما نعرب عن رغبتنا فى

تكرار هذا الاحتفال عاما بعد عام كأمل ورجاء ، فى بداية التقويم الذى يقيس ويحدد طريق الحياة الانسانية من الناحية الزمنية بأن يهيمن السلام بميزانه العادل الرحيم على تطور الأحداث فى المستقبل .

اننا نعتقد أن هذا الاقتراح يترجم آمال الشعوب وحكوماتها ، والنظم الدولية التى تسعى الى الحفاظ على السلام فى العالم ، والمؤسسات الدينية التى تهتم بتوطيد دعائمه ، وكذلك الحركات الثقافية والسياسية والاجتماعية التى تتخذ من السلام مثالها الأعلى ، والشباب الذين استوعبوا بكل حيوية المناهج الجديدة للحضارة ، فساروا طائعين تجاه تطوراتها السلمية ، والعقلاء الذين يشاهدون مدى ضرورة السلام ومدى الخطر الذى يتهدده فى أيامنا هذه .

لذلك كان الاقتراح بتخصيص يوم للسلام يوافق اليوم الأول من السنة الجديدة غير قاصر علينا نحن الكاثوليك أى أنه ليس مجرد اقتراح دينى ، ولكنه يطمع فى أن ينال اخلاص كافة أصدقاء السلام الحقيقيين ، وكأنهم هم أول من دعا اليه كى نعبّر عنه بطريقة حرة تتفق وشخصية الذين يشعرون بمدى جمال وانسجام كافة الأصوات فى العالم ، ومدى أهميتها لتفحص الخير الأصيل فيه ـ أى فى السلام ـ وسط الفرق الموسيقية المنوعة للبشرية فى العصر الحديث .

ان الكنيسة الكاثوليكية بهذه الخدمة والأسوة الحسنة لترغب بكل بساطة أن تطرح هذه الفكرة على أمل أن تحوز الموافقة الشاملة من العالم المتحضر ، وليس ذلك فحسب ، بل أن تلقى هذه الفكرة كثيرا من المؤيدين القادرين على تكريس جهودهم لهذا اليوم ، حتى يتم الاحتفال به فى اليوم الأول من كل عام جديد ، وأن تستعيد البشرية الواعية شخصيتها المخلصة القوية بعد استنقاذها من نزاعاتها الدموية المحزنة ، التى تكاد تودى بحياتها مما سينتقل بالتاريخ العالمى الى مزيد من السعادة والنظام والتحضر .

كما أن الكنيسة الكاثوليكية سوف تستقطب أنظار أبنائها الى واجب الاحتفاء بيوم السلام ،

مستخدمة فى ذلك العبارات الدينية والخلقيــة فى الديانة المسيحية ، ولكنها ترى من واجبهــا أن تذكّر كافة الذين يتفقون معها على ضرورة هذا العيد ببعض النقاط التى يجب أن يتميز بها ــ :

أولها : ضرورة الدفاع عن السلام ضد الأخطار التى تتهدده دائما ، وخطر تبقى الأثرة فى العلاقات بين الشـعوب ، وخطـر العنف الذى تسمح بعض الأمم لنفسها بالانسياق اليه تبعاً ليأسها من اعتراف الآخرين واحترامهم لحقها فى الحياة والكرامة الانسانية ، والخطر الذى تفاقم فى أيامنا هــذه بصـــورة مذهلة ، ويتمثل فى اللجوء الى أسلحة الابادة المخيفة التى تمتلكها بعض الأمم ، وتنفق عليها المبالغ الهائلة من أموالها مما يترك أثراً مؤلماً حين تؤخـذ بعين الاعتبار الحاجات الماسة التى تعــترض تقــدم كثير من الأمم الأخرى ، وختاما خطر الاعتقاد بأن المنــازعات الدولية لا يمكن حلهــا بالطرق المنطقيــة ، أى المفاوضات القائمــة على القــانون والعــدالة والمساواة ، وانما بالوسائل المعرقلة (للتقـــدم) وأسـاليب العنف والقتل .

ان الأســاس الموضــوعى اللازم للسلام يتمثل فى ايجاد روح جديدة تبعث التعـايش بين الشـعوب ، وتغرس نظــرة جديدة للانسان من حيث واجباته ومصيره ، ولابد من تحقيق مزيد من التقدم لجعل هــذه النظرة عالمية مؤثرة ، كمـا لابد من اعداد جديد يتولى مهمــة تربيــة الأجيال الجديدة وتعليمها الاحترام المتبــادل بين الأمم ، والأخــوة بين الشعوب والتعاون بين الأجنــاس ، لتحقيق تقدمها وتطــورها ، ومن واجب الجميـــع مساندة وتدعيم المنظمات الدولية التى أنشئت لهذه الغــاية ، كما يجب التعريف بهــا بصورة أفضل وتزويدها بالسلطات والوسائل الملائمة لمهمتها العظيمة ، ولابد ليوم السلام أن يكرم هــذه المؤسسات ويحيطها بالعناية والثقة وبروح من التطلع التى تبقى فيهــا محاولة تحقيق أخطر مسؤولياتهــا وتركيز احساسها بالمهمة الملقاة على عاتقها والمؤتمنة عليها .

ولابد أن نضع فى اعتبارنا التحذير التالى : « ان السلام لا يمكن أن يقوم على أساس من الكلمات البليغة التى تلقى ترحيبا لأنها تلبى الآمال الحقيقية الصادقة للانسانية ، ولكنها فى الوقت ذاته يمكن أن تساهم ، وقد ساهمت بالفعل بكل أسف ، فى طمس الروح الحقيقية والنوايا الصادقة للسلام ، بل كانت بمثابة قناع لمشاعر وأعمال الظلم والمصالح الحزبية ، كذلك لا يمكن للمرء أن يتحدث بحق عن السلام فى الوقت الذى لا يوجد فيه أى اعتراف أو احترام لأركانه الصلبة ، ونعنى بها الاخلاص ، والعدل ، والحب فى العلاقات بين الشعوب ، وفى نطاق كل أمة من الأمم ، وفى العلاقة بين المواطنين بعضهم مع بعض ، وعلاقتهم بحاكميهم ، ثم حرية الأفراد والشعوب فى كافة مجالاتها المدنية والثقافية والخلقية والدينية ، والا فلن يكون هناك سلام حتى ولو تمكن الظلم أن ينشىء وضعا يتخذ المظهر الخارجى للنظام والمشروعية ، انما سيكون هناك مزيد من العصيان والحرب التى لا يمكن قهرها بصورة نهائية ، لذلك فاننا ندعو أهل الحكمة والسلطان الى تخصيص هذا اليوم للسلام الحقيقى ، السلام المبنى على العدل ، والتوازن القائم على الاعتراف الصادق بحقوق الشخصية الانسانية والاستقلال التام لكل أمة .

وبناء على ما تقدم ، فاننا نأمل فى الختام ألا يؤدى تعظيم المثل الأعلى للسلام الى اكرام جبن الذين يخشون أن يكون من واجبهم بذل حياتهم فى سبيل خدمة أوطانهم واخوانهم حال انشغالهم فى الذود عن العدالة والحرية ، والذين لايبتغون الا الفرار من مسؤولياتهم، ومن المجازفات التى لابد أن يتعرض لها كل من يطلب العلى والرفعة . فالسلام ليس استسلاما ولا يتضمن فى طياته تصورا وضيعا كسولا للحياة ولكنه يعلن عن أسمى قيم الحياة وأوسعها انتشارا فى العالم أعنى بها الحق والعدل والحرية والمحبة . اننا نضع هذه القيم تحت راية السلام فى سبيل الحفاظ عليها وصيانتها ، ومن أجل أن ندعو

الأفراد والأمم الى رفع هذه الراية فى مطلع كل سنة جديدة ، هـــذه الراية التى لابد أن تكون مرشـدا يهـدى سـفينة الحضـارة وسط عواصف التاريخ التى لا مفر منها ، لتقـــودها الى أســـمى موانىء مصيرها » .

رد السيد أبى الأعلى المودودى

عزيزى البابا بولس السادس :

أود أولا ، وقبل كل شىء ، أن أعرب عن صادق شكرى لكم على رسالتكم الموقرة المؤرخة ٨ ديسمبر ١٩٦٧ م ، والتى تسلمتها من الدكتور « ر. ا. بتـلر » مستشار أماناتكم ومدير « لويو لاهور » فى لاهور ، والتى ناشـدتم فيها كل من يرتبط بالكنيسـة الكاثوليكيـة وجميـع المنتمين الى سائر الديانات الكبرى فى العـالم وكافة الرجال الخيِّرين بصفة عامة للاحتفال بغرة (يناير) كيوم للسلام ، ولقد وددتُ أن أرد على رسالتـكم فى حينهـا الا أن مشـاغلى للأسف لم تســمح لى بالكتابة لكم قبل هذا التاريخ .

أقدّم لكم خالص تهانىّ القلبية لأنكم دعوتم الانسانية الى التوجه لتحقيق هـدف يعتبر بحق : المثل الأعلى المشترك بين الجميع ، كمـا أنكم اسـتلفتم أنظار العالم تجـاه العوامل التى تعترض وتحـول دون الوصول الى تلك المُثُل العليـا ، فمما لا ريب فيه أن السلام يعتبر من أهمّ الحاجات الرئيسية الأساسـية التى تشـكل حجر الزاوية لتحقيق الرخاء والتقـدم البشرى ، ولكن بالرغم من كافـة الأمانى الطيبـة لتحقيـق السـلام ، وبالرغم من الاحساس بأهميتـه فان الانسانيـة لا تزال محرومة منه حتى هـــذه اللحظـــة ، والسبب فى ذلك وفى استمرار كون هـذا المثـل بعيـد المنـال فى أوقاتنـا هـذه هو كما تفضلت تماما ناجم عن العوامل التى ذكرت بعضها فى رسالتـك والتى لفتَ اليها أنظار العـالم فى هـذه الساعة الحرجة من تاريخ الانسان ، وانتى على يقـين من أنه ما لم يتم اتخاذ اجـراء ما بصـورة صارمة وبأسلوب ملموس لتصفية هـــذه العوامل فلن تستطيع الأمانى الطيبة

ومجرد التعبير عن النوايا الحسنة والتعاون أن تقود الجنس البشرى الى غايات بعيدة . اننى أحس احساسا عميقا أن أشد ما نحتاج اليه هو تفتيش قلوبنا بكل اخلاص وأمانة وصدق . اننا بحاجة الى تحليل نفسى صريح من جانب الأفراد والجماعات والأمم ومجموعة الأمم وأعضاء الطوائف الدينية المختلفة ، تحليل يهدف الى أن يفهم هؤلاء عيوبهم ونقائصهم ، ويكتشف كل منهم نصيبه المقصود أو العفوى ودوره فى العوامل التى تشق الانسان وكذلك نصيب كل منا كل بمفرده فى المثل الأعلى الذى نسعى لتحقيقه ونتطلع اليه لاقامة السلام الحقيقى ، وليس ذلك فحسب وانما المطلوب أيضا هو أن يسعى كل واحد منا جاهدا على ضوء ما تقدم لازالة تلك العوامل التى تعترض الطريق الى السلام بكافة السبل الممكنة ، كذلك من واجب كلٍّ منا أن يعمل بقلب مفتوح وصراحة صادقة واتجاه للسلام لا لزيادة الأحقاد والنوايا الشريرة ، فيحاول مصارحة الرجال الخيِّرين المنتمين الى الفئات والديانات الأخرى بالنواحى التى لا تعجبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من سلوكهم وموقفهم ، وذلك لكى يعمدوا الى اصلاحها وازالة أسباب الشقاق .

وبهذه الروح ذاتها « أود أن ألفت انتباهكم الى أمور معينة أنشأت الضغينة فى صفوف المسلمين ، وهى أمور تعتبر أساسا لشكواهم من اخوانهم النصارى ، وسوف أبيِّنها هنا لأنكم لكونكم أرفع منزلة فى الكنيسة النصرانية تتمتعون به من التبجيل الكبير والاحترام والنفوذ العظيمين أن تصلحوا الموقف وأن تعملوا على احداث تغيير الى الأفضل فى موقف النصارى وسلوكهم ، كما أود أن أضيف أننى أرحب وأدعو اخواننا النصارى أن يخبرونا بصراحة مماثلة بما يأخذونه علينا من شكاوى ذات أسباب معقولة ونؤكد لهم أننا سنبذل قصارى جهدنا للقضاء عليها ، ولن يتسنى لنا ــ لعمر الحق ــ أن نعمل على اقامة جو من السلام والمحبة والخير فى العالم ما لم يتصف كل منا

الطرف الآخر ، وبهذه الطريقة يمكننا أن نتعاون معا على خدمة قضية السلام ، وأود أن أقول : اننا حتى ولو فشلنا فى اظهار التسامح والكرم تجاه بعضنا البعض فانه يمكننا على الأقل أن نكف عن التظالم وجرح مشاعر بعضنا البعض ، وأقترح أن أبسط أمامكم بأسلوب صريح لا لبس فيه تلك الجوانب من موقف اخواننا النصارى وتصرفاتهم التى تعتبر معادية ومسيئة الى المقدسات فى نظر المسلمين لا فى نظر قلة أو فئات منهم فحسب ، بل أستطيع أن أقول فى نظر جميع المسلمين فى العالم ، وهذا هو سبب شكايتهم من العالم النصرانى :

١ ـ الاستفزازات الدينية والسلام:

ان التهجمات الموجهة ضد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وضد القرآن والاسلام بصفة عامة من قبل المفكرين النصارى فى كتاباتهم وأحاديثهم واعتداءاتهم التى تستمر حتى الآن ، هذه التهجمات هى مصدر اساءة كبيرة للمسلمين ، وقد تعمدت استخدام عبارات « تهجم » واعتداء حتى لا ينشأ سوء فهم بأننا نشكو من النقد المنصف والمجابهة المعقولة ، فالمناقشات الأكاديمية التى تتخذ نهجا معقولا وتكون فى حدود اللياقة لا يمكن بحال أن تسبب الاحتقار أو الضيق ، فمثل هذه المناقشة لا تسىء الينا حتى ولو تضمنت أقسى الاعتراضات ، وليس ذلك فحسب بل ان المسلمين يرحبون بذلك وانهم على استعداد تام للمشاركة والاسهام فى مثل هذه المناقشات ، وانه لمن دواعى سرورهم العظيم أن يواجهوا الحجج القائمة على أساس منطقى ولكننا نشعر أننا على حق حين نستنكر تيار المهاجمة المقذعة الموجهة ضدنا بصورة لا ترتفع عن الأكاذيب والشتائم المبطنة بأسلوب عظيم الاثارة والاساءة ، ولا تزال هذه الحملة الكلامية على أشدها .

ومن الجدير بالذكر أننا نحن المسلمين نحترم كلاً من مريم وعيسى عليهما السلام ونقدرهما أعظم تقدير ، وهذا يشكل جزءا من عقيدتنا ، وكل كلمة تشم منها أدنى اساءة لهما تعتبر كفرا فى ديننا ، أى تجعلنا خارجين عن

الاسلام ، وربما لا تستطيع أن تذكر مثالا واحدا يزعم أن أحد المسلمين قد وجّه أدنى اساءة يمكن تصوّرها للنبى الكريم عيسى وأمه الصدّيقة عليهما السلام ؛ ونحن بطبيعة الحال ، لا نؤمن بألوهية عيسى الا أن ايماننا بنبوته لا يتزعزع ، كايماننا بنبوة محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولا يمكن لأى فرد أن يصبح مسلما بحق ما لم يؤمن بعيسى وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى جانب ايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

كذلك فاننا نعتقد أن كلا من القرآن والتوراة والانجيل كتب سماوية ، نزلت من عند الله تعالى ، ولا يمكن لأى مسلم أن يكن عدم الاحترام لهذه الكتب المقدسة ، واذا كانت هناك أية مناقشة للانجيل فى أوساطنا فقد كان ذلك من زاوية التأكد فيما اذا كان الانجيل المتوفر فى أيامنا هذه والمطبوع فى كتب ، صحيحا ومعتمدا أم لا ! ؟ وهل يحتفظ بالوحى كاملا كما نزل على الأنبياء ؟ وهذه مشكلة تعرضت لنقاش عظيم حتى من قبل علماء النصارى أنفسهم ، ولكن لم يحدث قط أن أنكر أحد من المسلمين أن كلمة الله قد نزلت على أنبياء من أمثال موسى وعيسى وبقية الرسل الوارد ذكرهم فى الانجيل ، الا أن المسلمين لا يسلمون أن الانجيل الحالى يتضمن كلمة الله كاملة وفى صورتها الخالصة ، ومع ذلك فانهم يؤمنون أنه يشتمل على كلمة الله ، والواقع أن اخواننا النصارى لم تسنح لهم أية فرصة للاشتكاء بأننا نتعرض لأنبيائهم أو لكتبهم المقدسة ، على العكس من ذلك فقد دلّت تجاربنا على أننا نتعرض باستمرار لصنوف التعذيب العقلى من قبلهم ، ولا يزال هذا الوضع مستمرا بلا هوادة منذ عدة قرون ؛ فالمستشرقون وغيرهم من الكتّاب والمتحدثين النصارى لا يدعون فرصة تلوح لهم الا وينفثون فيها سمومهم ضد نبينا وكتابنا المقدس وديننا ، وهذا عامل مهم جدا من العوامل المسببة للتوتر فى العلاقات بين الطائفتين العالميتين النصارى والمسلمين ، فهذا يولد المرارة والبغضاء كما أن هذه الدعاية

الخبيثة تؤدى حتما الى بث الاحتقار والضغينة ضد المسلمين فى قلوب الجماهير النصرانية ، فاذا أقنعتم أتباع الديانة المسيحية بتغيير موقفهم وتصرفاتهم بهذا الشأن بصورة لا تجعل النقد والمعارضة وسيلة للبغضاء والاثارة ، اذا نجحتم فى ذلك فانكم تقدمون خدمة جليلة حقا لقضية السلام فى العالم .

٢ - دور جمعيات التبشير النصرانية:

هناك أمر آخر يستدعى الاهتمام الفورى ، ويتعلق بالأساليب التى تستخدمها جمعيات التبشير النصرانية والمبشرون النصارى لنشر دياناتهم فى البلاد الاسلامية ، فأسلوب العمل الذى يتبعه مبشرو الانجيل هؤلاء شنيع للغاية ويعتبر مصدرا من مصادر الشقاق والخلاف ، وتتمثل شكوانا فى أنهم لايقصرون نشاطاتهم على نشر الدين فحسب ، ولكنهم بدلا من ذلك يلجأون الى أساليب وسبل لا مناص من اعتبارها وسائل للضغط السياسى والاستغلال الاقتصادى ، والتخريب للأخلاق والدين ، ويشهد على ذلك ما رأيناه بأم أعيننا وما يشاهد فى بقية أنحاء العالم الاسلامى ، فلا يمكن لأى عقل مهما كان محدودا ولا يليق بأى انسان كريم أن يعتبر تلك الأساليب وسائل مناسبة ومباحة لنشر أى دين من الأديان ، فقد قام هؤلاء المبشرون فى مناطق شاسعة من افريقيا بحرمان المسلمين من كافة الخدمات التعليمية وذلك بالتواطؤ مع الدول الاستعمارية الغربية وتغافلها عن جرائمهم فى الوقت الذى كانوا يسيطرون فيه على تلك المناطق . فقد أوصدوا أبواب المعاهد التعليمية أمام كل شخص لا يدين بالنصرانية أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الاسلامى واستبداله باسم نصرانى ، وبهذه الكيفية قويت شوكة الأقلية النصرانية وأصبحت هى الطبقة الحاكمة ، وهذه الفئة المنبثقة القوية النفوذ هى التى تولت السلطات السياسية والعسكرية والاقتصادية بعد الاستقلال فى كثير من الدول الافريقية التى تعيش فيها أغلبية ساحقة من المسلمين ، وهذا ظلم صارخ نزل بالمناطق الافريقية التى تقطنها أغلبية من المسلمين ، وفى السودان استأثر المبشرون

النصارى بجنوب السودان بمساعدة الاستعمار البريطانى ، وأصبحت كافة حقوق نشر العلم الحديث امتيازا خاصا بالنصارى دون غيرهم، وفرضت على المسلمين قيود حتى فى زيارة هذا الاقليم ، لا لأغراض الدعوة ونشر دينهم فيه فحسب بل لأى غرض آخر كائنا ما كان • لست أدرى كيف يمكن اعتبار مثل هذه الاجراءات وسائل عادلة ومعقولة لنشر الدين ! ؟ وهنا فى باكستان فان التصرف المشترك بين كافة المستشفيات والمعاهد التربوية التبشيرية (النصرانية) هو انها تفرض رسوما باهظة على المرضى والطلاب المسلمين ، واذا اعتنق أحد من الفقراء النصرانية فانه يزود بالتسهيلات (الخدمات) الطبية والتربوية بلا مقابل أو برسوم رمزية ! ، وواضح أن هذا ليس تبشيرا دينيا ؛ وانما هو محاولة للمساومة والعبث بالضمير الانسانى والعقيدة مقابل فتات تافهة •

وهناك جانب آخر للمشكلة عظيم الأهمية ، فالمؤسسات التعليمية للمبشرين تخرج طبقة جديدة من الناس ، طبقة لا تتمسك بالنصرانية ولا تظل على دين الاسلام ، وانما تفصل نفسها عن تراثها ولا تطبق أى تراث أخلاقى آخر • والنتيجة هى أن تصبح نموذجا غريبا من الجنس البشرى فى مواقفها الأخلاقية ومعاييرها الثقافية وكذلك فى أخلاقها وتصرفاتها وفى لغتها وعاداتها الاجتماعية ـ وباختصار فى منهج حياتها برمته ، فمن وجهة النظر الدينية الصرفة لا تظل هذه الفئة متمسكة بالاسلام كما لا تنجذب نحو المسيحية وانما تنساق بدلا من ذلك فى أحضان العلمانية والالحاد وانحلال فى الدين والخلق ، فهل بوسع أى رجل عاقل أن يعتبر هذه النشاطات من قبل بعثات التبشير النصرانية خدمة حقيقية للدين من أى وجه من الوجوه ! ؟ وهذه هى الأسباب الحقيقية التى تجعل المسلمين ينظرون نظرة ارتياب شديد تجاه هذه البعثات ، ويشعرون أنها لا تعمل من أجل نشر الدين وانما تحيك مؤامرة ضد الاسلام والمجتمع المسلم ، رجاء أن تولوا هذه الجوانب قدرا مناسبا من التفكير

وأن تبذلوا نفوذكم لاقناع الارساليات التبشيرية بالكف عن هذه الأعمال التخريبية المكشوفة والمستورة .

٢ ـ اسرائيل : خطر على السلام :

هناك شعور مشترك بين المسلمين تجاه العالم النصرانى وهو أنه يكن عداوة شديدة ضد المسلمين ، ومما يقوِّى هذا الشعور مانلاحظه ونجربه فى كل مكان تقريبا ، وآخر تعبير له : ما حدث بمناسبة الحرب العربية الاسرائيلية فى عام ١٩٦٧م ، فقد فرح الناس فىمعظم أقطارأوروبا وأميركا واحتفلوا بانتصار اسرائيل مما ترك جرحا عميقا فى قلوب المسلمين فى العالم بأسره ، وربما لا تجد مسلما واحدا الا ويعتبر موجة الفرح والسرور الطافح التى غمرت أوروبا وأميركا علىأثر هزيمة المسلمين العرب مظهرا من مظاهر العداوة والبغضاء المتأصلتين فى أوساط العالم النصرانى ضد المسلمين ، فقد زاد ذلك اساءة على اساءةخاصة ــ اذا نظرنا اليهمنزاوية تاريخية ــ فقصة وجود اسرائيل ، بل اقحامها وفرضها علينا ، لم تعد هذه القصة سراً . فقد ظلت فلسطين طوال الألفى عام الماضية موطنا للعرب ، وفى السنوات الأولى من القرن الحالى كانت نسبة اليهود لا تزيد على ٨ بالمائة من مجموع السكان ، وعلى الرغم منهذا قررت الحكومة البريطانية فرض الانتداب فى فلسطين مما أكد هذه السياسة ، ولم تكتف بذلك بل أصدرت اليها تعليمات بجعل الوكالة اليهودية شريكا فى الحكم وذلك لترجمة هذا الاقتراح الىحقيقة واقعة ، وسرعان ما بدأت حملة لحشد اليهود منكافة أرجاء المعمورة ، واستقر هؤلاء المهاجرين فى فلسطين بكل الوسائل الممكنة مما رفع نسبته الى٣٣بالمائة من مجموع السكان خلال ثلاثين عاماً ، وكان هذا ظلماً صارخاً كانت نتيجته طرد سكان البلاد الحقيقيين من أوطانهم وفرض أناس غرباء على البلاد وجعلها وطنا مفتعلا لهم ! ؟

ولم تنته الجريمة النكراء عند هذا الحد ، بل ارتكب اعتداء آخر أشد ظلما وأكثر تعسفا ، فأخذت أميركا تمارسضغطا علنيا على الأمم المتحدة حتىتقرر تحويل هذا الوطن

اليهودى المصطنع الى دولة يهودية !؟ وبناء عليه أعطى السكان اليهود وهم ٣٣ بالمائة من مجموع السكان ، أعطوا ٥٥٪ من مساحة فلسطين بينما أجبر ٦٧٪ من السكان العرب على الانكماش فى حدود ٤٥٪ من مساحة وطنهم الا أن اليهود بما لديهم من العتاد والدعم الذى زودتهم به نفس الدول التى كانت تفرضهم على العرب فرضاً ، لم يقنعوا بما قدم لهم ، فلجأوا الى القوة والرعب والضم التعسفى واستولوا على ٧٧٪ من مجموع مساحة البلاد ، وافتعلوا جواً من السلب والنهب والقتل والارهاب جعلوا فيه الحياة مستحيلة بالنسبة للعرب ، وأخذوا يشردون السكان حتى أجبروا أكثر من مليون عربى على ترك بيوتهم وأوطانهم ! ؟

هذه لعمر الحق هى اسرائيل على حقيقتها وعلى ضوء هذه الحقائق التى لا محل للخلاف عليها هل يستطيع أى رجل منصف أمين أن يقول بأن اسرائيل دولة شرعية قامت بوسائل عادلة طبيعية ؟ فالحق أن وجودها ذاته كان عملا عدوانيا شنيعا ، وعلى الرغم من هذا فلم يرض اليهود بالحدود التى فرضوها بالقوة ، بل على العكس من ذلك ، فهم يعلنون على رؤوس الأشهاد ان وطنهم القومى المزعوم يمتد من النيل الى الفرات ! ؟ وبعبارة أخرى : فان هذا اعلان دائم عن مخططاتهم العدوانية لاحتلال المنطقة بأسرها بالقوة وطرد سكانها الأصليين من بيوتهم وجلب يهود من كافة أنحاء العالم للاستيطان فيها !؟ ولقد كان عدوان يونيو ١٩٦٧ م المفاجىء فى الحقيقة جزءاً من هذا المخطط العدوانى ذاته ضمت اسرائيل على أثره منطقة مساحتها ٢٦٫٠٠٠ ميلا مربعا ! ؟

وليكن معلوما بعبارات واضحة : أن المسلمين يعتقدون أن العالم النصرانى هو المسؤول عن ايقاع هذا الظلم ، وهو السبب الحقيقى فى هذا الجور والبغى ، فالشعوب النصرانية هى التى أوجدت وطنا مصطنعاً لشعب داخل وطن شعب آخر ؟ والنصارى هم الذين حولوا هذا الوطن الزائف الى دولة

ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المعتدى على درجة من القوة وزودوه بالمال والسلاح حتى ينفذ مخططاته التوسعية عن طريق القوة المجردة!؟

وهذا العالم النصرانى نفسه هو الذى يعرب عن سعادته وفرحه العظيم بانتصار اليهود على المسلمين، فهل تعتقد بعد هذه التجربة المريرة أن أى عربى أو أى مسلم فى أى مكان من العالم يمكن أن يصدق التصريحات الكلامية المخلصة للعالم النصرانى ؟ وهل يمكن بحال أن يفكر فى اعتبار النصارى أنصاراً للعدل والانصاف وتجسيدا للحب والاخلاص ؟ ومن يا ترى يستطيع أن يعتبر النصارى شعوباً بعيدة عن مشاعر الحقد والتعصب الدينى ؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يثقوا بهم بصورة من الصور ؟ وهل لى أن أسأل : هل تعتقد أن السلام يمكن أن يقوم فى العالم رغم هذا كله ؟

حقا : انهذا ليس من واجبنا بل هو من واجبكم أن تجعلوا اخوانكم النصارى يحسئون بوخز الضمير وتأنيبه على هذه السابقة الشنيعة ويحاولون تصفية نفوسهم وتطهيرها من الشوائب والدنس .

٤ - السيطرة الدولية على القدس :

وبصدد الحديث عن اسرائيل لا أملك الا أن أبيّن أن جنابكم قد ارتكبتم غلوا وتجاوزا للحد رغم أننى أعتقد أن ذلك قد تم بحسن نية ، فنيتكم الطيبة فوق مستوى الشك ولكن يبدو أنه قد فاتتكم جوانب معينة للقضية : اننى أشير هنا الى اقتراحكم بوضع القدس القديمة تحت اشراف دولى ، فربما جاء اقتراحكم هذا بقصد حماية المدينة المقدسة وحفظها من ويلات الحرب ، والنزاع والدمار ، ولكن الذى سيحدث يغاير ذلك مغايرة تامة ؟ فان ذلك : سيفتح الباب لارتكاب مظلمة أخرى وبدء مأساة جديدة . فمن الجلى الواضح أن الرقابة الدولية ستتم عن طريق المنظمة الدولية ذاتها التى جاءت بهذه الدويلة المصطنعة الى حيز الوجود (أعنى اسرائيل) والتى تعجز عن ردع أى عدوان ترتكبه اسرائيل أو اصلاح أى خطأ تقترفه حتى هذه اللحظة ؟ وبمجرد أن تنتقل هذه المدينة الى أيدى الأمم المتحدة فانها ستفتح أبوابها على مصراعيها التوطين

اليهود تماماً كما حدث فى ظل الانتداب الذى منحته عصبة الأمم للحكومة البريطانية ، وسوف تبدأ موجة جديدة من الهجرة اليهودية الى المدينة ، وستتوفر للمستوطنين اليهود كافة التسهيلات للحصول على الأراضى والممتلكات وشرائها فى القدس بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ؟ وهكذا سيحتل اليهود المدينة بأسرها ويتحكمون فى مصيرها وهم لا يعرفون معنى الاحترام للأماكن المقدسة عند النصارى والمسلمين على السواء ، وهذا **ما سيفضى اليه الاقتراح فى الحقيقة؟**

أرجو المعذرة على هذا الرد المطول جواباً على رسالتكم ، كما أرجو عدم المؤاخذة للأسلوب الصريح المباشر الذى حاولت به مشاطرتكم أفكارى ، فالواقع أننى اعتقدت أن من واجبى أن أبين لكم العقبات الحقيقية التى تعترض سبيل اقامة السلام ، والتى يجدر ازالتها ومعالجتها بصورة ملموسة ؛ وقد كنت صريحا فى رسالتى وأتوقع ذلك من عطوفتكم ؟

مرة ثانية : أكرر أنه اذا كان هناك أى شىء من جانب العالم الاسلامى يمكن أن يعتبر عائقا فى سبيل السلام ، فأرجو عدم التردد فى بيانه لنا ؛ وأعدكم أننى سأبذل ما لدىّ من تأثير فى العالم الاسلامى لخدمة هذه القضية ؟ كما أننى على استعداد لأن ألفت أنظار بقية الزعماء فى المجتمع الاسلامى تجاه هذه المشكلة وأن أدعوهم لبذل قصارى ما يستطيعون لازالة العوائق من الطريق المؤدى الى السلام والمحبة ؟

لاهور — ١٧ يناير سنة ١٩٦٨ م

المخلص
ابوالأعلى المودودى

المؤلف :

يعتبر أبو الأعلى المودودى واحداً من أعظم المفكرين المعاصرين فى العالم الاسلامى • ولد فى عام ١٩٠٣ ، وبدأ حياته كعالم وصحفى ، وبعد أن أمضى فترة مضيئة فى ميدان الصحافة شرع فى عام ١٩٣٢م باصدار مجلته العلمية الخاصة « ترجمان القرآن » وهى مجلة شهرية باللغة الأوردية ، تعمل على تحقيق بعث

اسلامى ــ وفى عام ١٩٣٧ م دعاه الدكتور محمد اقبال للتعاون معه فى مهمة تجديد الفقه الاسلامى وتقنينه ، وتوجيه ومراقبة البحوث فى « دار الاسلام » وهى مؤسسة أنشئت لهذه الغاية .

كذلك اشتغل أبوالأعلى المودودى عميدا لكلية اللاهوت ــ بالكلية الاسلامية بلاهور قرابة عامين . وفى عام ١٩٤١ م نظم حركة البعث الاسلامى وانتخب رئيسا لها ولا يزال يقودها منذ ذلك الحين ، والمودودى كاتب مكثر ، فقد ألف أكثر من ستين كتاباً عن الاسلام ترجم كثير منها الى اللغة العربية ، والانجليزية ، والتركية ، والفرنسية، والبنغالية ، والهندية ، والتامل ، وكثير غيرها من اللغات المحلية الأخرى فى الهند، وباكستان ويمتاز، المودودى بأسلوبه العلمى المنطقى . وقد استطاع بما يتمتع به من المام واسع بأمور الاسلام والفكر الحديث : أن يتفرد بصفة مميزة له وهى تقديم الاسلام بطريقة منظمة تماماً تستقطب الطبقة المثقفة بصورة خاصة ، ولا ريب : أنه أكثر كاتب ــ فى شبه القارة الهندوباكستانية ــ من حيث كثرة عدد قرائه .

لم أر مثل العرب فاتحين أضرت بهم سماحتهم وعدالتهم مع أبناء الأمم التى فتحت على أيديهم ذلك لان الاسلام دين هؤلاء الفاتحين يأمرهم بالعدل والصفح والتسامى عن البغضاء والحقد .

جوستاف لوبون

بيان مشيخة الأزهر
بشأن فيلم "محمد رسول الله"

أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر البيان التالى :

باسمى

وباسم الأزهر

وباسم مجمع البحوث الاسلامية الذى درس هذا الموضوع فى عدة جلسات عقدها لهذا الغرض .

أعلن عدم الموافقة على انتاج فيلم بعنوان « محمد رسول الله » صلى الله عليه وسلم . أو أى فيلم آخر يتناول بالتمثيل — على أى وضع كان — شخصية الرسول أوشخصية الصحابة رضوان الله عليهم .

ذلك لأن ظهور هذه الشخصيات على الشاشة السينمائية — تصريحا أو تلميحا — أو بأية صورة من الصور الخفية أو المعلنة — ينقص من قيمتها ويحط من منزلتها فى وجدان المسلم .

هذا اذا افترضنا جدلا أن الذى يقوم بتمثيلها على درجة عالية من الخلق الطيب والصلاح والتقوى ، تقارب الشخصية التى هى موضوع التمثيل .

أما أن الأمر ليس كذلك على أى حال من الأحوال ، فان الاساءة الى الشخصيات الاسلامية تصبح بالغة وشديدة الخطورة .

ومن ناحية أخرى فان القصة بما فيها من حوار ومناظر — مهما تكن درجة اجادتها أو مطابقتها للحقائق

الاسلامية ــ يدخل فيها دائما شيء من اجتهاد المؤلف ويبقى فيها دائما جوانب خاضعة لاجتهاد الممثل والمخرج ، والمصور ، وغيرهم من سائر الفنيين العاملين فى انتاج الفيلم، يمكنهم التصرف فيها وفقا لثقافتهم وعقائدهم واتجاهاتهم الخاصة .

وهذا مصدر خطر شديد .

كذلك فان الأمر يتصل بمجال عرض الفيلم فى الدور المعدة لذلك . وهى دور معدة أساسا للهو والتسلية والترفيه ــ وذلك بلا شك يترك أثرا على قداسة الشخصيات الاسلامية التى يتعرض لها الفيلم ..

على أنه اذا كان الغرض من تمثيل هذا الفيلم ــ أو غيره مما تظهر فيه الشخصيات الاسلامية ذات المنزلة الخاصة ــ التعريف بالاسلام ، أو بمجد من أمجاده فان فى تاريخنا متسعا لذلك حيث يعنى بالشخصيات والعهود والأحداث والأمجاد التى يمكن تقديمها دون التعرض لشخصية الرسول أو الصحابة أو من يماثلهم من أصحاب القدوة من المسلمين .

من ذلك كله :

يتبين أنه لا يجوز من الناحية الاسلامية السماح بانتاج « فيلم محمد رسول الله » كما لا يجوز السماح بعرضه .

وندعو حكام المسلمين وأولياء أمورهم ..

كما ندعو الأمة الاسلامية كلها ..

الى ايقاف العمل فى هذا الفيلم .

شيخ الأزهر

د . عبد الحليم محمود

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢٠٠٢-١٩٧٧/٧٢٨٤

ENGLISH SECTION

2. *Postponing gratification*

Quranic verses stress that rawards of good actions are often deferred : "The reward of one who surrenders his purpose to Allah in doing good is with his Lord" (2:112). This capacity to forego immediate gratification for the sake of ultimate rewards is a sign of moral maturity and an essential element of moral education.

Consideration for others

The central problemin moral behaviour is reconciling self-interest with the demands and needs of the social group. This problem was studied by me in a research carried out on secondary school children in Baghdad. My chief research instrument was an Arabic version of the 'Differential values inventory test' developed by Prince (1957). The responses to the this paper-and-pencil test divided the subjects into two groups : those who shared a "traditional and original" value-system and those who influenced by "modern and emergent" values. Children the first group made individual judgements on the basis of absolute and inflexible moral standards and were strongly committed to virtues like hard work, self-denial, respect for self and others. Those falling in the second group were more responsive to the opinions and beliefs of the social group and less sure of their own judgements. Their behaviour was shaped not so much by the indoctrination of parents and teachers as by the consensus among their peers. Consequently, they were motivated by the group's immediate aproval rather than by remote rewards promised by their elders.

The interesting finding was that as the child developed, he changed from the first to the second type of value-system. Thus older children were more community-oriented and less likely to stand by absolute values and judgements, compared to younger children, Similar findings were reported for us children and they broadly confirm Piaget's conclusions.

Moral education at schools

The above findings have important implications for moral training at school. Moral education in schools follows conventional lines. It depends either on verbal exportation and preaching or on punishments attached to misbehaviour. Very little has been done to use group dynamics as a tool of moral education. Considering that a growing child becomes increasingly committed to communal values and dependent on his peers, this method should not be neglected.

The use of group dynamics in moral edcation is based on the principal that a two-way linkage exists between the individual and his group.

related to sexual freedom and honesty while violations of households discipline relating to nutrition were totally ignored. It was also observed that better educated parents relied to a greater extent on reasoning and persuasion and were less inclined to adopt punitive measures.

In the Islamic pattern of child upbringing, a number of principles of basic importance : (1) The child must receive constant proof of parental affection and tenderness. It is related that a man who saw the Prophet kissing his grandson al-Hassan said that he had never kissed any of his ten sons. The Prophet, peace be upon him, replied : "Those who have no compassion receive no compassion" (Abu Huraira).

(2) Persuasive methods shoud be used with children. According to Abu 'Abbas, the Prophet said : "Persuade your children to improve their ways and manners".

(3) A child must never suffer from a sense of injustice. The Prophet declined to act as a witness for No'man Ibn Bashir's father when he want to bequeath his propenty to one child and give nothing to others.

(4) Training should be gradual and consistent with the child's age. "Ask your child to pray if he is seven but punish him if he is ten and neglects his duty" said the Prophet. Similarly, the Quran prescribed different methods of taking permission by children who were below and those who were above the age of puberty, before entering the apartments of their parents.

The effect of example

Studies have shown that in experimental situations 'models' have only a limited influence on child behaviour. However, in real life emotional identification with a respected figure may have profound influence on thoughts and deeds. The importance of choosing the Prophet as a 'model' has been repeatedly mentioned in the Quran.

Experimental and field studies on the relationship between religious values and ethical behaviour have been scanty on account of procedural problems. However, it appears that regular performance of relgious rituals is associated with more ethical behaviour and pacific attitudes.

Some issues of moral education

1. *Conformism.* Is a child's intiative and independence curbed when he is taught to identify himself with a community and its rules ? To what extent should conformism be encouraged ?

Islam seeks a balance between social conformism and personal independence. The Prophet advised detachment from a group engaged in evil and closeness to one engaged in good deeds.

are willing to support you or not". Islam requires an individual to prove his social usefulness by taking up a trade, industry or profession.

Islam also encourages the formation of familial ties and acceptance of the responsibles of parenthood. An individual may feel so inadequate, isolated and rejected in his chilldhood that he may lack the confidence to take up the role of husband and a father.

Difficulties in chosing a vocation or a marriage partner arise for childelren who have been victims of parental hostility, jealousy and resentment. Such points of tension do not exist in a family which adheres to Islamic norms : A child is valued as a trust from Allah and never treated as an unwanted burden. In turn, a parent is accorded highest respect and honour. The two are never in conflict or competition. Sacrifice and selfdenial on the part of parents and gratitude on the part of children creates a harmonious relationship.

Thus, moral behaviour in an Islamic family is the outcome of healthy psychological development and a sound emotional life. It is not developed through a frequent use of the carrot and the stick or mechanically repeated commands and prohibitions.

Methods of Child-Upbringing

Three styles of imparting moral training are most common : (1) commanding or prohibiting specific acts without explaining the reasons behind the directions given ; (2) threatening the child with withdrawal of love if he fails to comply with the wishes of parents ; (3) helping the child to learn about the social and personal consequences of his acts through reasoned arguments. The last approach is found to be far more effective than either the authoritarian approach or threatening the child with loss of love. Its effectiveness lies in the opportunity it gives to child to overcome his self-centered attitudes and develop an empathy for those around him. For example, a child may develop the habit of saying 'thank you' to the teacher sooner if he learns that the teacher appreciates an expression of gratitude. Moral development is essentially a question of growing out of a personal shall and identifying with other people's thoughts and feelings.

I undertook a study of different methods of moral training. Eleven hypothetical situations in child and adolescent behaviour were presented to parents of different educational levels and they were asked to state what they would do in each situation. It was found that parental tolerance decreased with their educational level; girls were treated more strictly than boys and adolescents more strictly than younger children. The situations that aroused greatest anxiety

said the Prophet. Emphasis on acts fosters a sense of independence among individuals. They do not inherit but achieve redemption.

An Islamic upbrining does not restrict the individual but affords him fullest opportunity for self-expression. It imposes no fetters on the child's fancy and inclination. The most instructive example is the way the Prophet, peace be upon him, treated his grandson Hassan. When the Prophet knelt down in the posture of prayer, young Hassan would jump on his back, thinking that it was great fun to ride on his grandfather. The Prophet never ordered the child to come off. He waould stay in the kneeling position, his head touching the ground, until the child decided that he had had his fun. When the prophet's companions asked him why he spent such a long time in the kneeling position, he replied : "My son was riding me and I did not like terminating his pleasure".

Between the age of six and eleven or twelve the child is required to prove his competence as a learner. He is pushed into a school where he graded and judged. If he fails, he feels lost and rejected. But islamic upbringing does not leave the child entirely to the mercy of school teachers. The mother assumes the role of a teacher and gives him the prayer words. A mother is far more patient than a teacher. Children who are taught by their mothers are less likely to develop a sense of inferiority compared to those whose self-esteem depends only on the teacher's approval and satisfaction.

Then comes the stage when the child discovers self-hood, the age between tweleve and eighteen. He is tormented by many questions : who is he and what is his role in soiety ? Is he still a kid or a grown up person ? Can he become a husband, a father and a breadwinner ?

Islamic law lays down when an individual ceases to be a child and becomes a full member of social group, as responsible and competent as anybody else. At the age of fifteen, maturity is formally recognized and declared. The five daily prayers, fasting, poor-tax (zakat) and pilgrimage to Mecca become incumbent. These tokens of acceptance into communal life help in the integration of the individual into society. A Muslim adolescent is not a marginal, unsure, uncommitted and self-doubting creature.

The next two steps are individual's integratoin into the economic fabric and his membership of the biological community.

The Messenger of Allah, peace be upon him, spoke of work as a sacrament. He said : "It is better for you to take a rope and fetch a bundle of feul wood on your back and sell it than to ask people if they

text instead of following them blindly, (3) to make correct choices for their own sake not for the sake of avoiding punishment ; (4) to view punishment as a just recompense and not an arbitrary decree; (5) to adjust behaviour to varying needs and expectations of individual instead of assuming a complete uniformity in the demands of the environment; (6) to, view accidents and misfortunes realistically instead of looking at them as magical retributions.

Psychological research confirms that regardless of cultural differences, moral development broadly follows the parth outline above.

Moral behaviour and Personality development.

Moral behaviour is one aspect of the human personality. If failures and distorions occour in the individual's total growth process, aberrations in moral behaviour can be expected.

Such breakdown can occur at various points in the growth process, starting from early infancy to late adolescence. However, an Islamic upbrining ensures healthy and integrated development of the individual.

The most critical period in the first year of life when the child's world is dominated entirely by his mother. In his relationship with the mother is a frustrating experience, he grows with a resentment against the whole world. At this stage the child's most important need in maternal warmth and tendernous. Breastfeeding satisfies this need.

The Quran gives full importance to breastfeeding. It is laid down ; "And mothers shall such their children for full two years, for those who wish to complete their suckling". The Caliph Omar may Allah be gracious to him, had ordered that every weaned child shall receive a allowance from the state treasury. Mothers, therefore, began to shorten the breast feeding period, Omar decided that every newborn shall be eligle for the allowance for he did not want women hasten weaning.

The child must acquire a sense of security through closeness to mother. But he must not get tied to her apron strings and remain denpendent on her for ever. Islam encouraged individuals to assert their will against parental images, like authoritarian rulers. Caliph Omar admonished one of his governors, Abu Musa al Ash'arai for assuming a atyle of life for above the common man. He was telling Muslims that each one of them is as close to God as the most powerful and in no way inferior to his brethren.

Status in a Muslim community does not depend on who you are. but what you do. "No Arab excels a non-Arab except through piety"

ences may delay normal moral development but they cannot end the process. At the same time excescive moralistic pressures cannot hasten the growth process beyond its natural pace.

Piaget bases her theory of moral development on the child's earliest perceptions of order and justice. The child assumes that (1) people in his environment are no different from him, in needs, thoughts or feelings and (2) they give and take as equal patners in an exchange relationship. He thinks of moral behaviour as the set of rules which must be respected by all players. The rules are fixed and inviolable and their infringement creates disorder and conflict. Therefore, when he breaks a rule, he expects punishment because he fears that he has upset his universe.

At this stage of development, which usually lasts from three to eight years, moral behaviour means exact and literal compliance with rules. The intention behind the rules or the possiblity of their being changed or interpreted differently are not facts within the child's consciousness. A wrong is defined merely as act which is followed with punishment for a violation of rules. Thus, accidents may be viewed as retributive acts of God or Nature for breaking sacred social rules. The very young child's world is pervaded by blind and mechanical justice.

At a later stage the child learns that all people around him are not exact images of himself, playing a game as his partners. Each person his own life and makes his own rules. However, they reach an understanding that they must not cause displeasure to each other. Social rules are a product of this understanding and are nothing but mutually agreed pacts to live and let live. These rules are relative and not absolute; then can be modified if necessary and their intention and spirit are of greater importance then strict compliance with outward forms. At this stage parents can help the child to discern the purpose and significance of social rules and perceive the values which they preserve and protect. The transition from the first to the second stage thereforé means a change from compulsive autonomous morality. Moralacts cease to be response to external pressure and become reasoned and intelligent choices of the individual.

This is a kind of morality which is based on the inner stability and harmony of the individual and not external commands and threats. Temptations are resisted, errors are freely confessed and their consequences willingly accepted.

Thus, the signs of moral maturity are: (1) the capacity to judge actions by intentions and not in terms of their punitive consequences; (2) to interpret rules in their human con-

internal or external. It is inspired by the individual's desire to achieve a self-chosen pattern of values. The Prophet, peace be upon him said : "Three virtues sustain man's faith ; love of Allah and his Messenger which exceeds all other love, love of man who is loved by none but Allah, hatred of untruth as the stronge as the dread of the Fire".

Routes of moral development

The group of educationists who sume that the child's mind is like a clean state believe that morality is the product of the training given to the child. The training may be given at home, at school, in a mosque or through any other social institution. It is not different from any other training that the child receives through the mechanism of reward and punishment. Approved behaviour is rewarded and becomes habitual through repitition. Disapproved behaviour is punished and gradually eliminated as possibly response to situations. The behaviourist may think that he is working in a normal vacuum but he cannot escape moral questions when he comes to define his educational objectives. In the absence of a value system he cannot decide if one kind of training is better than another.

Moralists who believe in the intrinsic sinfulness of human nature also share with behaviourists the the goal of moulding the individual according to a fixed model. The behaviourist does not identify himself with this model and says that it reflects social demands. The moral disciplinarian feels that he is more than agent of scoiety for he is helping the child to control his baser self. Both these groups, however, make use of the same educational method. They punish unwanted behaviour and reward what they approve.

The third group of 'humanistic' educators, beginning from Rean Jacques Roussaan to moderns like Rogers and Maslow, believe that evil does not reside in human nature but in human society. If a child is left to develop in full freedom, he would grow into a perfect human being. The educational task, therefore, is to remove the pressures which distort and perfect the natural growth process. Caught in the web of man-made taboos and exhortations, the child becomes a machine and loses his capacity to learn from nature. Nature is a far better teacher than man.

Those ideas has a strong influence on thinking of modern psychologists like Piaget and Kohlberg who explain moral development in terms of the child's interaction with the environment. According to them, morality cannot be implanted by parents and teachers. It is the product of the experience to which the child is exposed. Unwholesome social influ-

C. The child's mind is described as a clean slate (tabula rasa), ready to receive any impress from its environment. An educator cannot, therefore, achieve his goals unless the environment is corrected.

Islam does not fully share the Judaic and the Christian doctrine of original sin. Many texts proclaim the inherent goodness of human nature. It is related by Muslim and Bukhari, on the authority of Abu Huraira, that the Prophet (peace be upon him) said : "Every child is born in (God-given) nature. His parents turn him into a Christian or Magian. Then he recited (the Quranic verse) : The nature of Allah is the nature endowed to man and it shall not be altered". It means that every person is born with an inherent inclination towards Islam but his Parents deflect him away from his path.

Psychoanalysts have drawn our attention to the role that parents play in shaping human behaviour. They speak about a conflict between the child's demand and his reality-system. Parents are a part of this sytem. To retain parental love, the child must make a compromise. Therefore, he incorporates parental demands into his own value-system. Parental wishes become the dictates of his own conscience. At every step, he imitates his father without being concious of the imitative act. Thus, external demands become internal demands. Fear of punishment and parental rejection is replaced by a 'sense of guilt' Sense of shame is social punishment but a sense of guilt is self-punishment. A two year old child may fear the withdrawal of his mother's love if he errs but a five year-old feels that he has turned against himself and lost self-respect.

It follows, therefore, that the child's moral development is largely dependent on the moral behaviour of those whom he loves and respects - his parents and other olders in the family.

The prophet, peace be upon him, intuitively understood this principle. He declared : "Those who deceive are not one of us". A man could always deceive without being detected and escape external punishment. Chould he bear the spiritual isolation and torment repudiatiating what he believed to be the best part of his self ?

An example of self-directed morality, based on internal rather than external standards, is provided by the attitude of early Muslims towards adultery. Under the law adultery carried a harsh punishment if it was proved by four eye-witnesses. Yet many people confessed to the crime and asked for the punishment instead of taking advantage of the fact that their crime had not been discovered or proved.

In its final stage of development, moral behaviour ceases to be dependent on reward and punsihment,

PARENT - CHILD RELATIONS IN ISLAM

By

Dr. Gaber Abdul Hamid Gaber

The child's moral development has arousd the interest of thinkers, both ancient and modern. Greek thinkers - Socrates, Plato and Aristotle expressed an interest in the subjet and also Muslim scholars, such as Farabi and Ghazzali. However ever since the emergence of psychology as a science in 1879 - if that is taken as the correct date - the subject has not received the attention it deserved. Piaget's book on the moral development of the child appeared in 1932 but her ideas did not gain popularity until the sixties.

Using experiment and observation, psychologists tried to deduce laws of moral development, expecting that this knowledge would help in directing it towards desired goals. The emphasis in moral education, as in school education was, however, on cognitive aspects ; on child's knowledge of the demands and expectations of elders. Very little attention was paid to child's own inclination and capacity to meet these demands.

Moral development defined

Moral development is development of conscience' ; the personal structure of social values. It implies two-fold harmony. between personal values and behaviour, on one hand, and between the individual's purposes and social goals, on the other. In other words, the individual must not be in conflict either with himself or with his community.

A further stage in moral development is the individual's capacity to undertake an examination of social norms and values in relation to universal and absolute moral standards. Moral behaviour is obviously not average behaviour. Adherence to moral principles may even imply a deviation from a prevanling statistical average of human actions and responses.

Theories of moral education

Theorists of moral education have made three different assumptions about basic human nature :

A. Influenced by the doctrine of original sin, the educator believes the child is inherently anti-social. Eradication of inborn evil is therefore defined as the prime educational task.

B. The newborn is considered pure and good. Preserving this purity and protecting the child against corruption is the educator's responsibility.

start the Islmic Movement and fight against the rebellious world. It was the Quran that urged him to declare war against every kind of falsehood and engage in conflict with the leaders of disbelief without any consideration of the consequences. Then it attracted good souls from every home and gathered them under the banner of its Leader in order to fight against the upholders of the old order who organised themselves into a gang to oppose them. During this long and bitter struggle between right and wrong, truth and falsehood, which continued for twenty-three years or so, the Quran went on guiding the Movement in every phase and at every stage, until it succeeded in establishing the Islamic Way of life in its perfection.

It is thus obvious that one cannot possibly grasp the truths contained in the Quran by the mere recitation of its words. For this purpose one must take active part in the conflict between belief and unbelief, Islam and un-Islam, truth and falsehood. One can understand it only if takes up its Message, invites the world to accept it and moves on and on in accordance with its Guidance. Thus alone will one experience and understand all that which happened during the revelation of the Quran. One will meet with the same conditions that were experienced at Makkah, Ta-'if and Habash and pass through the same kind of fire that had to be passed through at Badr, Uhd, Hunain, Tabuk etc. One will meet with Abu Jahls and Abu Lahabs and come across hypocrites, the double-faced, the "Jews", in short, every type of people mentioned in the Quran. Incidentally, this is a wonderful experience of its own kind and worth the trial.

While passing through any one of these stages of this experience one will find some verses and some surahs of the Quran, which will themselves tell that they were revealed at such and such a stage and brought such and such instructions for the guidance of the Movement. In this way the Quran will lay bare its spirit even though one might not be able to understand all the lexical meanings of its words and solve all the intricacies of grammar and rhetric. The same formula applies to its Commandments, its moral teachings, its instuctions about economics and culture and its laws regarding different aspects of human life. These things can never be understood unless they are put into practice. It is thus obvious that those individuals and communities who discard it from practical life, cannot understand its meaning and inmbibe its spirit by mere lip-service to it.

should begin its detailed study and take down notes of the different aspects of its teachings. For instance, one should note down what pattern of life it approves and what it disapproves. One should note down the quallities of a good man and those of a bad man, side by side, in order to bring both the patterns clearly before his mind simultaneously. Similarly, one should note down, side by side, those things whih lead to the success and salvation of man and those which lead to his failure and ruin. In the same way, he should put down, under different headings, the teachings and instruction of the Quran about creed, morality, duties, obligations, civilization, culture, economics, politics, law, social system, peace, war, and other human problems. These notes should be consolidated to form a complete sketch of each aspect of the teachings and then fitted together to form a complete system of life.

Then, if one desires to know the Quranic solution of certain human problem he should first make a study of the relevant literature, both ancient and modern, and note down the basic issues. He should also make use of the research so far made into the problem and note down the points at issue. He should then study the Quran, with a view of finding out the answers to those issues. I can say from my own personal experience that when one studies the Quran with a view to making research into any problem, one will find an answer to it even in those verses which one had skipped over without ever imagining that it lay hidden therein.

It is suggested that each paragraph of "THE MEANING OF THE QURAN" may be made the unit of the study. At first it should be studied from the orginal Arabic Text with the help of some literal translation and then with the help of "THEMEANING OF THE QURAN". It is expected that the meanings of the Quran will surely beome clear by the grace of God.

But in spite of all these devices, one cannot grasp the inspiring of the Quran, unless one begins to put its message into practice, for the Quran is neither a book of abstract ideas and theories which may be studied in an easy chair nor is it a book of religious enigmas which may be unravelled in monasteries and universities. It is a book that has been sent down to invite people to start a movement and to lead its followers and direct their activities towards the achievement of its mission. One has, therefore, to go to the battlefield of life to understand its real meaning. That was why a quiet and amiable person like Mohammad (Allah's pace be upon him) had come out of his seclusion and

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE QURAN—V

By
Moulana Abul A'ala Maududi

Suggestions for Study

Finally, here are a few suggestions for the study of the Quran :

As different people turn to the Quran with different aims and objects, it is not possible to offer any general advice about the method of its study so as to fulfil the requirements of all. I am, however, interested only in those people who want to understand it and seek guidance from it for the solution of human problems. I will, therefore, offer some suggestions which may help satisfy their needs and remove their difficulties.

The one pre-requisite for understanding the Quran is to study it with an open and detached mind. Whether one believes it to be a revealed book or not, one should, as far as possible, free one's mind of bias in favour of or against it and get rid of all pre-conceived opinions and then approach it with the sole desire of understanding it. Those people who study it with preconceived notions of their own, read only their own ideas between its lines and cannot, therefore, grasp what the Quran wants to convey. It is obvious that this method of study can never be fruitful even with other books but it is utterly fruitless when applied to the study of the Quran.

There is another thing which must be kept in view. If one wants to have merely a cursory acquaintance with the contents of the Quran, then perhaps it might suffice for him to read it once. But, if one wishes to have a deep knowledge of it, one will have to go through it several times and each time from a different point of view. Those, who desire to make a thorough study of the Quran, should read it twice, at least, with the sole purpose of understanding, as a whole, the system of life it presents. One should also try to find out its fundamentals and the way of life it aims to build on them. During this preliminary study, if some questions occur in his mind, the reader should note them down and patiently continue his study, for he is likely to find their answers aomewhere in the Quran itself. If he finds answers to his questions, he should note them down along with the questions. But if does not find an answer to any questions in his first reading, he should patiently make his second reading. I can see it in the light of my own experience that in the second reading hardly any question remains un-answered.

After getting a general insight into the Quran in this way, one

by side in daily prayers. A sense of equality prevails among all in the performance of pilgrimage, not only in appearance but in fact before God and man. Such opportunities are to be reminder of the absolute equality that shall be before the Lord of the Universe and of that piety is the only criterion of merit. Thus, the spirit of equality between man and man is imbueing him with a sense of freedom, individuality and dignity.

Islam seeks for a balanced society in all its characteristics and structures. The economic structure of the society must be balanced as far as its resources and potentialities allow. It is obligatory on the collective body of the Muslims to make active use of each of these sources for the benefit of the whole community. Therefore if an individual or a group of people deliberately concentrate the wealth or the investment of their capital in the hands of a small group and neglect the well-being of the community, the authorities may intervene to direct them for safe-guarding the interests of the society and the state.

Usury is prohibitted, the debtor will return the capital only and none will be injustifed. (The Prophet started with the loans of his uncle Abbas and said) : The usury of Abbas Ibn Abdul Muthalib is forbidden altogether : O people : The devil (Satan) is desperate of being worshipped in this land for ever. But he will be content with your faults. Beware of him and take heed for your religion. O people : You have rights over your wives and they rights over you. You must treat them with loving kindness, you have taken them on the security of God. Everyone will have his share of inheritance.

O people ! Listen to my words and understand. Know that every Muslim is a brother to another Muslim and all Muslims are brothers. Nothing which belongs to another is lawful unto his brother unless freely given out of goodwill. Guard yourselves against all sorts of injustice. If you resort to the Book of Allah and the tradition of His Prophet which I have left among you and keep them wel', you will never go astray. Let him who is present, tell it to those who are absent).

Islam aims at creating a strong integrated society of comprehensive unity. It is aware of the social construction which divides and subdivides the people into racial, tribal and national factions. The main signification of Islamic call is the universal generality : It is for this world and for the hereafter. for the individual and for the community, for the nation and for the state. It is the religion of human nature recognizing natural laws in general and regularising the interests of individual and society, healing them from the social ills and prejudices. That is why, Islam is called the healer of social ills.

The social system of Islam healed first the social evils of tribal and racial prejudices which disintegrated the Arabs into quarelling tribes and integrated these tribes and subtribes into a great united nation. The Holy Quran reminds the Arabs of this social miracle of Islam in the following verse :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار ، فانقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

(And remember Allah's favour unto you : how you were enemies and He made friendship between your hearts so that you became as brothers by His grace : and how you were upon the brink of an abyss of fire ; and He did save you from it; Thus Allah makes clear His revelations unto you, that haply you may be guided) 3 : 103.

Islam gave the society, several opportunities in everyday life, for the abolition of all class distinction. The rich and the poor, the master and the servant stand side

The following are some of the important features of the Islamic contribution towards the uplift of the women in all walks of life : (1) Woman is encouraged to study and acquire knowledge, (2) She has the right to keep her own property and the husband has no right to interfere except with her permission. (3) She is given the right of claiming divorce in certain cases. (4) She may take part in wars and fighting by helping men and nurse or encourage men to fight against the enemy. (5) She has the freedom to re-marry after divorce. In this connection we must recall the pre-Islamic position of women in marriage and divorce. Divorce was very common among the pre-Islamic Arabs and it was condemned by the Prophet who said :

« ابغض الحلال عند الله الطلاق »

(The thing most disliked by God (of lawful acts) is divorce). (6) The Prophet has praised the man who treats his wife the best. He said (The best of you in the consideration of God, is the man who treats his wife the best). In this way Islam abolished the evil customs of pre-Islamic social system and improved the status of women members of the society.

The last address delivered by the Prophet soon after his farewell pilgrimage suggested the basic laws and rules of Islamic social life :

« أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا ، ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم .. فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (وبدأ الرسول بأقرب الناس اليه ، عمه العباس فقال) : وأن ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله ، أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى ارضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى له مما يحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا . واستوصوا بالنساء خيرا وانكم انما اخذتموهن بامانة الله . ان الله قسم لكل وارث نصيبه فى الميراث ، أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه لتعلموا ان كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، امرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

(O people. Listen to my words, for I may not be with you after this year in this place. Your lives and property are sacred and inviolable to each other until you may appear before your Lord, sacred as this day and this month are sacred to all. Let it be well understood that you will appear before your Lord Who shall demand from you all an account of all your actions. Anyone who keeps anything from another must return it to him and be faithful to any trust placed in you.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Sha'ban 1397	ENGLISH SECTION	AUGUST 1977

THE BASIS OF SOCIAL LIFE IN ISLAM

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The basis on which Muslim society is built up may be traced from the first principle of Islamic faith, that is there is no God but Allah. The faith in the oneness of God teaches the relations of man with God and his relation with his fellow men. It also removes effectively all barriers that divide a brother from a brother and prescribes a social order which makes equality and brotherhood among individuals and groups. In the social order which Islam prescribes the status of man is determined not by his descend, inheritance, wealth, position of social or political power, but by his personal character and behaviour.

Islam meant a social life in which there was no class conflict and discrimination but it retained such of the classes and groups as was needed for harmonious development of the social organism. These classes and groups were the limbs of the same body functioning systematically for the healthy development of the body as a whole.

Among the more important factors which develop a sound society is the organised family life. In Islam men and women are members of the family. One of the striking features of the Islamic social system is the position assigned to women in social life. As the maintainer of the family, man holds greater power and responsibility, though women take a prominant part in it. Islam contributed much towards a healthy and sound family by improving the position of women in various ways.

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة التاسعة والأربعون — غرة رمضان سنة ١٣٩٧ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الهداية فى صورتها الأسمى

للدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين وبعد :

فانه كلما أهل شهر رمضان وجهنا فى قوة الى القرب من القرآن الكريم : تلاوة وتدبرا والقرآن الكريم هو كتاب الهداية فى صورتها الأسمى ، وذلك أنه بلغ بالانسانية الذروة فى جميع مجالات الكمال .

ومجالات الكمال بالنسبة للانسانية تتكون من العقيدة والأخلاق والتشريع .

وأسمى صور العقيدة — ونعنى بذلك العقيدة الحقة — يتركز فى التوحيد . ولقد استفاض القرآن استفاضة كبيرة فى شرح التوحيد : أسسا وأهدافا وصورا ونماذج .

وقمة الموحدين هو من «يشهد» أن لا اله الا الله فاذا « شهد »

أن لا اله الا الله فقد أصبح التوحيد له حالا لا عقيدة فحسب • والقرآن الكريم يقود من يتلوه ويتدبره الى أن يشهد الله فى كل شىء : يشهده خالقا ومدبرا ومهيمنا بيده مقاليد الأمور كلها واليه المصير •

قل اللهم مالك الملك •

والملك هنا هو الكون وكل أمر من أمور الكون : فالحياة من ملك الله والجاه والسلطان والقوة والثروة ونبضات القلب وطرفة العين • • • كل ذلك من الملك •

تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير •

ووجود الانسان الموحد هو الهدف الذى توجه اليه تعاليم الاسلام •

انها توجه اليه ابتداء من تسمية الدين نفسها « الاسلام » فكلمة الاسلام معناها أن تسترسل مع الله على ما يجب ، أن تستسلم له فى كل ما تأتى وما تدع ، أن تسلم قلبك وجوارحك اليه سبحانه أن تحقق « اياك نعبد واياك نستعين » أن تسجد له ، أن تحقق القرب فى السجود • يقول تعالى :

« واسجد واقترب » •

ويقول سبحانه آمرا :

وكن من الساجدين •

والسجود استجابة الكيان الانسانى كله له سبحانه استجابة له سيدا لا سيد غيره ، قائدا لا قائد غيره ، مهيمنا لا مهيمن غيره ، هو وحده الآمر الناهى ، واليه وحده ترجع الأمور ، العزة به ، والتوكل عليه ، والتقوى له ، والاعتصام به ، والاستعاذة به ، ولا حول ولا قوة الا به •

أن يصبح التوحيد حالا : ذلك هو هدف التعاليم الاسلامية •

فاذا ما أصبح التوحيد حالا فقد برىء الانسان من العبودية لغير الله تعالى وأصبح الانسان حرا الحرية الصادقة : حرا من هم الرزق ، حرا من عبودية الخوف ، حرا من كل ما يقلق الانسانية ، ويضطرب له القلب ، حرا من العبودية للطغاه والجبابرة ، حرا لا يقيده الا أوامر

الله تعالى ونواهيه : هــذه الأوامر والنواهى التى تقــود الى الكمال لأنها تقود الى القرب من الله تعالى، والقــرب منــه سبحانه قــرب من الكمال ، وبنسبة القرب منه سبحانه وتعــالى يكون قــرب الانسان من الكمال •

وكلما قرب الانسان من الله تعالى كان أنفع للمجتمع لأنه كلما قــرب من الله تعالى كان منفذا لقوانين الله تعالى وان من قوانين الله تعالى هذه الطائفة الخاصة بالمجتمع ونذكر على سبيل المثــال قوانين ســعة الرزق بالنسبة للمجتمع يقول تعالى :

« ولو أن أهل القــرى آمنــوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وما من شــك فى أن الايمــان والتقــوى يتضــمنان : الاخلاص والجد والعمل والتعاون وتحقيق العدل ، واذا ما حدث ذلك نزلت عليهم الخيرات من الســماء وانبثقت لهــم الأرزاق من الأرض وانتشرت البركة فى كل مكان •

ويقول الله تعالى :

استغفروا ربكم انه كان غفارا : يرسل الســماء عليــكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا •

والاستغفار هنا يتحقق بأمرين :

١ ــ الاكثار منه •

٢ ــ والاخلاص فيه •

وهو بذلك مؤد بأهل القرى الى ما يحبه الله تعالى منهم من الايمان والتقــوى فيفتح ســبحانه عليهم البركات من السماء والأرض •

ومن هذه القــوانين قانونان من أهم القوانين بالنسبة للمجتمع هما قانون النصر وقانون اســتمرار النصر •

أما قانون النصر فهو ما عبر الله تعالى عنه بقوله :

وعــد الله الذين آمنــوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهــم فى الأرض كمــا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهــم دينهم الذى ارتضى لهم وليبــدلنهم من بعــد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا •

أما قانون استمرار النصر فهو ما عبر سبحانه عنه بقوله :

«الذين ان مكناهم فى الأرض» .

كما مكننا سبحانه مثلا على أرض سيناء بعد هذا النصر المبين .

« أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

والآيتان واضحتان كل الوضوح والأمم الاسلامية فى مرحلتها الراهنة فى أشد الحاجة من أجل كرامتها ومن أجل وطنها أن تعمل جاهدة على تحقيق توجيهات الله تعالى فى هذين القانونين : بعضها يعمل جاهدا لتحقيق قانون النصر ووعد الله لا يتخلف ، ثم تعمل جاهدة لتحقيق قانون ضمان النصر . والبعض الآخر ، بعد أن نصره الله فى معركة الاستعمار يعمل جاهدا فى تحقيق قانون ضمان النصر ومن لجأ الى الله فهو آمن ، ومن استعاذ بالله محققا شروط الاستعاذة أعاذه الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وكما تضمن القرآن الكريم كل ما يحتاج اليه المجتمع فى يسره لاستمراره ، وفى عسره للخروج منه : فانه تضمن من القوانين ما يحتاج اليه الفرد من أجل سعادته وقانون السعادة فى القرآن الكريم يعبر الله تعالى عنه بقوله : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

وهذه القوانين سواء منها ما كان متعلقا بالمجتمع وما كان متعلقا بالفرد كلها تعود فى أساسها الأصيل الى تحقيق التوحيد فاذا ما وجد الانسان الموحد سعد فى دنياه وفى آخرته واذا ما وجد المجتمع الموحد سعد فى دنياه وفى آخرته .

وللموضوع بقية .

الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» .

صدق الله العظيم

نظرات فى كتاب الله

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

تشريع الصوم وأسراره
كما ذكرها القرآن

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

هى آيات من سورة البقرة تدور حول فريضة الصيام ، هذه هى الآيات الأولى التى عرف المسلمون بها وجوب الصيام فى رمضان ، والصوم شاق على النفس ، لأنه حرمان من الطعام والشراب والشهوات فى مدة محدودة ، فما كان أجدرهم بأن يستثقلوا هذا التشريع وأن يستثقلوا هذه الآيات التى تنزل به .

ان كل من يأتى بمسئولية ومتاعب، وكل من يحول بين المرء وبين شهواته بغيض ثقيل ، ولكنه ليس كذلك ، فلماذا ؟ .

ليست هذه الآيات التى تضمنت وجوب الصوم ــ تشريعا جافا مجردا كالقوانين والمراسيم العادية التى لا تعتمد الا على الرابطة السياسية أو الاجتماعية التى تقوم بين الفرد

(١) سورة البقرة / ١٨٣ ــ ١٨٥

والحكومة ان هذه الآيات ـ بالعكس من ذلك ـ تخاطب الايمان والعقيدة والعقل والضمير ، والقلب والعاطفة فى وقت واحد تثير كل ذلك وتغذى كل ذلك وهكذا تهيىء الجو لقبول هذا التشريع واساغته بل للترحيب به واستقباله بنشاط وحماس ، انها آية فى الاعجاز ، آية فى فقه الدعوة ، آية فى علم النفس ، آية فى التشريع الحكيم ، تنزيل من حكيم حميد .

خاطب الله المكلفين بهذا التشريع بقوله : « يأيها الذين آمنوا » ، وهكذا هيأ المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم ، مهما كان شاقا وعسيرا ، لأن صفة الايمان هى تقتضى ذلك وتوجبه ، فمن آمن بالله كاله ورب وسيد مطاع وصاحب الأمر والنهى ، وخضع له بقلبه وقالبه ، واستسلم له وأحبه من أعماق نفسه كان جديرا باجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، وكل ما يوجه اليه من سؤال « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » ، « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة » ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ، والشريعة كلها ـ بما فيها من فرائض وعبادات وأحكام ـ حياة للنفوس .

ثم ذكر الله أنه كتب عليهم الصيام ولكنه لم يكتبه عليهم لأول مرة فى تاريخ الأديان وليس هو بدعا فى التشريع ، فقد كتبه على من سبقهم من أهل الكتاب وأهل الشرائع والأديان وهكذا يخفف الله وطأة هذا التشريع على النفوس ويهون خطبه عليها ، فالانسان اذا عرف أنه لم يكلف بشىء جديد وانما هو شىء سبق وتقدم ، وقامت به الطوائف والأمم ، هان عليه الأمر وتشجع عليه ثم ذكر أنه ليس امتحانا فقط ، ولا مشقة ليس وراءها قصد ، انه رياضة وتربية واصلاح وتزكية ، ومدرسة خلقية ، يتخرج فيها الانسان فاضلا كاملا ، زمامه بيده يملك نفسه وشهواته ، ولا تملكه لقد استطاع الاضراب عن المباحات والطيبات ، فقوى على ترك الممنوعات والمحرمات ، ومن يترك الماء الزلال والحلال ، والطعام الزكى الهنىء لأمر ربه كيف يقرب السحت الحرام

والرجس النجس من المطاعم والمشارب والمعائش؟ لذلك قال : لعلكم تتقون .

ثم قال لا تهولنكم عدة الشهر ولا تثقلن عليكم، فانما هى: أياما معدودات تصام تباعا وتنقضى سراعا ، ومانسبة هذا الشهر ـ الذى لايصام الا نهاره ـ الى العام الكامل الذى ينقضى فى لذة مباحة ومتعة وراحة ، ثم انه يستثنى من هذا التكليف مريض ومسافر ومن يعجز عن الصوم أو يخاف عليه منه .

ثم ذكر فضل الشهر الذى شرع صومه ، انه شهر نزل فيه القرآن الذى كان بعثا جديدا للجيل الانسانى ومبدأ حياة جديدة للنوع البشرى ، فخليق بالمسلم أن يستمد من هذا الشهر المبارك وبصيامه وقيامه حياة جديدة وايمانا جديدا ، وقوة جديدة .

هذا هو الصوم الاسلامى ، أو الشحن الروحانى الذى هو زاخر بالحياة والمنافع والبركات بعيد عن الارهاق والاجهاد والمشقات التى لا تطيقها النفوس : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .

تشريع الحج وبعض حكمه واحكامه فى ظلال القرآن

« الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب [1] » .

ان لله مواسم فى زمنه وفى خلقه ، هى فصول يحل فيه ربيع القلوب والأرواح ، وربيع الايمان والأخلاق وتهب فيها نسائم الرحمة ونفحات المحبة ، لطيفة نظيفة ، رقيقة رفيعة ، قوية حية ، منعشة محببة ، .

ومن أفضل هذه المواسم الربانية الروحانية والأعياد المعنوية الايمانية رمضان شهر الصوم ، وأشهر الحج وخاصة ذو الحجة ، وقد ذكر الله

---

(١) سورة البقرة / ١٩٧

فى كتابه بعضها اثر بعض وأشاد بذكرها ونوه بشأنها ، وقد جمعت بينها جامعة ، هى جامعة الطاعة ، وجامعة المحبة ، وجامعة فضل الزمان ، أو فضل المكان ، فلاصوم اذا لم تكن طاعة ولا صوم اذا لم تكن محبة وايثار رضا الله على رضا النفس ، ولا حج اذا لم تكن طاعة وانقياد ، ولم تكن محبة وايثار يهجر الانسان طعامه وشرابه ، وشهواته ليصوم ويرضى ربه ، ويعصى نفسه ، ويهجر الانسان وطنه وسكنه وأهله وراحته ، ليحج ويرضى ربه ويعصى نفسه، والصوم فى رمضان أفضل الأزمان ، والحج فى مكة وحواليها فى أفضل مكان ، وفى أفضل أزمان ، فاقترن الصوم بالحج، وشابه الحج بالصوم ففى كليهما زهد وصبر وايثار وهجرة، والصائم يسعى بين الامساك والفطور ويطوف حول بيت ربه والحاج يسعى بين الصفا والمروة وبين منى وعرفات ويطوف حول بيت ربه ، ولكل عيد ولكل فدية ولكل تهنئة .

وقد منع الله فى الصوم عن الغيبة وقول الزور والخصام بصفة خاصة ، وقبح أمرها فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : ؟ ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد فليقل انى صائم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع » ، وقد نهى الله فى الحج عن الرفث والفسوق والجدال ، فقال عز من قائل: « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

وقد ظهر فى هذه الايات وفى هذه التوجيهات اعجاز التنزيل واعجاز التشريع بأن الصوم لثقله على النفس وبعد الصائم عن مألوفاته وهجره لعاداته مظنة لغيبة يشفى بها الانسان نفسه أو يقتل بها وقته والخوض فى خصام أو لجاج لحدة النفس والغضب لأدنى سبب فنهى عن ذلك ، وكذلك الحاج معرض لخطر الرفث وهو الفحشاء وقلة الحياء والفسوق والجدال لبعده عن الأهل ، وطول

السفر وحصول المشقة والمرور بأحوال مختلفة ، والاختلاط بأناس ورفاق ، لم يألفهم ولم يألفوه ، فالحج مظنة لكل ذلك فحذر الله الحاج فى سبيله القاصد لبيته عن كل ذلك ، ولا يعلم ذلك الا من أحاط علمه بكل شىء وعرف طبيعة الانسان ومواضع ضعفه وسقطته ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقد شمل الصوم والحج ، أنواعا من الطاعات ، وضروبا وأساليب من البر والعبادات ليست معروضة ولا داخلة فى صميم الصوم والحج ، كالانفاق والمواساة ، والرحمة والخدمة ، والبر والصدقة والقيام واحياء الليالى ، والتسبيح والتلاوة، تقوى الصوم والحج وتكثر ثوابهما وفضلهما ، فقال العليم الحكيم : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » .

وحث على التزود للقيام بالحج فى عفة ونزاهة ، والتزود للآخرة بالاكثار من الخيرات ، وأنواع العبادات وقال عز وجل : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » ، وقد أمر الصائم بالتزود لصومه كذلك وهو التسحر الذى يقوى على الصوم ويعين عليه ، والحاج يأخذ الزاد والراحلة ، وهنا اقترن الصوم بالحج كذلك ، فكلاهما يجرى فى رهان واحد .

محنة عظيمة ، وتوبة كريمة

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (١) .

كانت غزوة تبوك التى غزاها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سنة تسع من الهجرة غزوة شديدة غزاها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما يقول كعب ابن مالك ــ رضى الله عنه ــ :

---

(١) سورة التوبة / ١١٧ ــ ١١٨

« فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا قويا » يعنى المملكة الرومية العظيمة التى كانت تحكم نصف الأرض المعمورة تقريبا ، وكان ذلك فى عسرة من الناس وجدب فى البلاد ولذلك سميت غزوة العسرة وقد طاب الثمار والظلال فى المدينة وقويت الرغبة فى البقاء فى الوطن والأهل ، وانصرفت الطباع وزهدت النفوس فى الخروج والغزو ، وقد اجتمعت الأسباب المثبطة العائقة وحلا البقاء فى المدينة وشق الخروج والمجازفة بالحياة أمام عدو قد دمر الامبراطورية الفارسية وهزمها هزيمة منكرة بالأمس القريب .

ولكن كان من معجزات التربية النبوية ومن معجزات الايمان والعقيدة أن لم يتخلف عن هذه الغزوة الشاقة العسيرة الا ثلاثة أشخاص من المؤمنين ، والمسلمون مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ولا ديوان ، فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله ، فليس عليهم رقيب الا الايمان وليس لهم حسيب الا ضميرهم وعقيدتهم ولم يتخلف هؤلاء الثلاثة الا بطبيعة التسويف أو الكسل الذى قد يعترى الرجل النشيط ، وقد كان فيما لقوا من تأنيب الضمير ولائمة النفس والشعور بالعزلة والتخلف عن الرفاق وعن الانسان الذى آثروه على نفوسهم وأولادهم ومهجهم وأرواحهم ، لقد كان فى كل ذلك عقاب شديد وعذاب أليم .

وقد ذكر ذلك أحد الثلاثة وهو كعب بن مالك فى بلاغته العربية وبيانه المشرق فقال : « فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى الا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء » .

ولما رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سألهم عن سبب التخلف فصدقوا واعترفوا وكان لابد من تأديب وكان لابد من درس ، وكان لابد من امتحان الاخلاص والولاء والحب والوفاء وكان ذلك .

فقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنهم .

فماذا كان بعد ذلك ؟ ظهرت معجزة مثبتة للايمان والتربية وسلطان العقيدة ، كانوا أبناء المدينة عاشوا فيها ولهم فيها اخوة وأقارب، وأهل وولد ، وأصدقاء وأحباب ؛ ولكن خضع المجتمع كله لكلمة تصدر من شفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا عاصى ، ولا ثائر ، وندع القول لكعب بن مالك الراوى الأديب البليغ « فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف» حتى تعمد الى ابن عم له وأحب الناس اليه فسلم عليه فلا يرد السلام فنشده بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ، فيجيب بعد ما نشده ثلاث مرات : الله ورسوله أعلم فتفيض عينا كعب بن مالك .

ويأمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يعتزل امرأته ، فيفعل ويلحقها بأهلها ويخطب وده ملك غسان الكبير ويدعوه ليواسيه ويكرمه وكان من أشد محنة امتحن بها محب ، يجفوه الحبيب القريب، وينبذه المجتمع وتقصيه البيئة وفى هذه الضائقة والجفوة يطلبه ملك كتبا مع أخبار بره ورفده وعطاياه الواسعة فيرفض ذلك فى اباء وكراهة وحقارة ، انها معجزة ثالثة للايمان والتربية وسلطان العقيدة .

ولما تم كل ذلك وبلغ الضيق غايته والمحنة أشدها ولا أبلغ من قول الله تعالى : « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .. الخ » تاب الله على هؤلاء المخلفين المؤمنين الصادقين الذين ظهرت قوة ايمانهم فى هذه المحنة أشد مما تظهر فى معركة حربية أو غزوة عملية ، وثبتوا فى هذا الجفاء والاقصاء أشد مما يثبت البطل على حر السيوف والأسنة .

تاب الله عليهم توبة كريمة شرف فيها قدرهم وغسل عنهم عارهم وخلد ذكرهم وبيض وجوههم وبدأ بالنبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وهكذا ألحقهم بأصحابهم الذين سبقوهم ووضعوهم فى هذا المكان المشرف الكريم ، وما بدأ بذكر النبى ـ صلى الله

عليه وسلم ـ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولا يذكر الذين ساهموا فى هذه الغزوة الا لاعادة الثقة الى نفوس هؤلاء الثلاثة ورد اعتبارهم ومكانتهم فى المجتمع ولازالة ما يسميه علماء النفس اليوم « بمركب النقص » وهى مصلحة عظيمة من مصالح التوبة ، ولذلك جاء فى الحديث الشريف « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » و « أن التائب يصبح كيوم ولدته أمه » ؛ وليست هنالك طريق أو أسلوب أقوى وأعمق تأثيرا من الأسلوب الذى اختاره القرآن ، وهو أنه قدم ذكر السابقين الراسخين الذين سبقت لهم الحسنى ولم يسقطوا هذه السقطة ، يشرفهم ويتقدم عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدأه بقوله : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين .. الخ » ليعرف الناس أن التوبة مكرمة وفضيلة يحتاج اليها الأنبياء والمرسلون ، والسابقون الأولون ، والمؤمنون الراسخون ، والمجاهدون المغامرون ، لئلا يشعر هؤلاء الثلاثة أنهم منحطون فى القدر ، نازلون فى الشرف ، ولئلا يلصق بهم هذا العار ، ولئلا يشعر المجتمع الاسلامى أنهم غرباء متميزون والشامة فى الناس يشار اليهم بالبنان ، فقال :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

نموذج رائع من الايمان النبوى والحنان الأبوى

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس

تهــوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشــكرون ، ربنا انك تعــلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على اللــه مــن شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لســميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصــلاة ومن ذريتى ، ربنــا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (١) .

ان دعــاء والد لولــده ، أوجد ومؤسس أسرة وسيد عشيرة لذريته وفصيلته شىء طبعى جرت به العادة واقتضته الطبيعة البشرية ، فان حنان الأبوة ، والحرص على سعادةالأولاد من غريزة الآباء والأجداد وشيوخ القبائل، وقد سجل التاريخ ودواوين الأدب العربى بصفة خاصة أدعيــة ووصــايا كثيرة من الآباء للأبنــاء ومن الشيــوخ المحنكــين للنشء الجديد والأجيال القادمة تجلت فيها نفسية الشــيوخ وثقافتهم ونفسية ذلك العصرالذى عاشوا فيه وثقافته كذلك ، وهى مرآة صادقة وحكاية أمينة مصــورة لمــا كان يعيش فى ذلك العصر من الخواطر والأفكار، ولما كان فى تلك البيئة من المثل العليا والغايات المطلوبة .

ولــكن دعاء ابراهيم الخليــل أســلوب من الدعاء لا نظير له فى التــاريخ ولا مثيــل له فى دواوين الأدب ، كما أن ابراهيم طراز خاص من البشر وأمة وحــده ، والدعاء قطعة من النفس وصــورة للنفسية والعقيدة ، انه دعاء تجلى فيه ايمان ابراهيم ، وحنان ابراهيم ، وعــلم ابراهيم ، ودعوة ابراهــيم ، فمن أراد أن يعرف مكانة ابراهيم ويتمثل نفسيته فلينظر الى هذا الدعاء الذى صدر من أعماق النفس ومن أعماق القــلب ، فــدل على النفس ودل على القلب ، وكان ابراهيم دائمــا يتكلم عن عقيدة ويعبر عن القلب ، ذلك القلب السليم الذى خصه الله به فكيف فى هذا الدعاء الذى كان يناجى به ربه .

ان أول ما طلبه ابراهيم من ربه لأولاده وذريته هو ان يجنبهم واياه عبادة الأصــنام وكان ذلك أكبرهم

---

(١) سورة ابراهيم / ٣٥ – ٤١

ابراهيم الذى شغل خاطره ، واستولى على مشاعره ، فقد رأى — وهو بعيد النظر ، واسع التجربة ، نافذ البصيرة ، سائح فى الأرض — مصير الأجيال البشرية والأديان السماوية كيف أصبحت فريسة الوثنية ، وعبادة الأصنام ، وكيف ضاعت أمانة التوحيد فى غابة العقائد والفلسفات وكيف شغل الانسان بعبادة الأصنام والتماثيل والتوجه اليها والتوسل بها عن عبادة الله وحده فلم يوفق لها ولم يكرم بها فى أجيال كثيرة وآجال طويلة ، وكانت النتيجة أن اتجهت عاطفة العبادة وغريزة الدعاء والالتجاء والتضرع الى المخلوقات والمحسوسات ، فهل يناقش ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — فى ضوء التجارب وواقع الحياة فى قوله : « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » ؟ ، وهل يشك فى صدقه وفراسته ؟ .

ثم انه يخبر بأنه أسكن ذريته بواد غير ذى زرع بجوار البيت المحرم بعيدا عن مراكز المدنية والخصوبة والتجارة ومن العواصم الكبيرة ، على خلاف عادة الآباء ومؤسسى العشائر والقبائل وآثر بطن الجزيرة وبطحاء مكة ليعلموا أن المطلوب منهم غير التجارة وغير الزراعة وغير الثراء والرخاء المطلوب منهم القيام بدعوة ابراهيم والمحافظة على عقيدة ابراهيم ، ولئلا يذهلوا عن عبادة رب هذا البيت الذى بناه وشيده ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف « ربنا ليقيموا الصلاة » .

وهنالك ثار الحنان الأبوى فى جوار الايمان النبوى ، وابراهيم الخليل مثال رائع بين ايمان الأنبياء وحنان الآباء ، فلم ينس الشفاعة لأولاده الذين هم قطعة من نفسه وجسمه ، فلاحظ — وهو قوى الملاحظة — أن الوادى الذى آثره لأولاده لا زرع فيه ولا ضرع ، وليس فيه شىء يستهوى القلوب ويجلب الناس ويجلب الرزق والبضائع وهم أمنة الدعوة وورثة الدين ، فكيف يقومون بفريضتهم ، وكيف يؤثرون هذا المكان المنعزل بالاقامة والبقاء ، فقال : « فاجعل

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ولم يشغل هـذا الدعاء المخلص والمناجاة الخاشعة عن أن يحمد الله على نعمة الأولاد والذرية التى وهبت على الكبر ، وانما المسكن بالساكن والمنزل بالعامر والشىء بالشىء يذكر وكان كل ذلك نتيجة الدعاء والابتهال وهو يرجو اجابة هذا الدعاء ، كما تحقق اجابة الدعاء القديم « الحمد لـلـه الذى وهب لى على الـكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء » وطلب من الله أن يوفقـه وذريته لاقامة الصـلاة وأن يجعله وأعقابه مرتبطين بوجهه الكريم وبيته القديم ، ولم ينس حين دعا لذريته أن يدعو لأبيه وللمؤمنين جميعا ، فابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ آية فى الوفاء وسخى جواد فى الدعاء فقال : « ربنـا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

ابو الحسن الندوى

قال عز من قائل :

« شـهر رمضـان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضـا او على سـفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العـدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشـدون » .

البقرة آية : ١٨٥ ، ١٨٦ .

في ذكرى إحراق المسجد الأقصى

أو الجذور الحقيقية لمأساة فلسطين

للعلامة أبو الأعلى المودودي

اهتز العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه للجريمة المروعة التي ارتكبتها السلطات الاسرائيلية المحتلة عندما أقدمت على حرق المسجد الأقصى في ٣١ آب ١٩٦٩ ، والتقت مشاعر الشعوب مع الحكومات في استنكار تلك الجريمة النكراء ، وتأتي ذكرى احراق المسجد الأقصى على العالم الاسلامي لتدق ناقوس الخطر ولتعلن أن على المسلمين جميعا العمل على انهاء أسطورة اسرائيل ، فالمسجد الأقصى مرتبط أشد الارتباط بعقيدة المسلمين فاذا أراد المسلمون الحفاظ على عقيدتهم فلا مناص لهم ــ حكومات وشعوبا ــ من استنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وبدأ السؤال يطرح نفسه في ذهن كل رجل مرة بعد أخرى : أليس لهذه المحنة من علاج ؟ ان هذه المرحلة من أحرج المراحل في تاريخنا الاسلامي . ومن سوء طالعنا أن هذه المرحلة السوداء برزت في عصرنا حيث يشكل المسلمون تسعمائة مليون . ومع ذلك فان الصهاينة حثالة العالم وشذاذ الآفاق بلغت بهم الجسارة الى أن يحرقوا مسجدا من مساجدنا الثلاثة المقدسة : أولى القبلتين ظل النبي صلى الله عليه وسلم متوجها اليه الى أن حوله الله الى الكعبة ومسراه صلى الله عليه وسلم . فهل من محنة بعد هذه المحنة يا مسلمون؟ وظل كل فرد في قلبه ذرة من الايمان يتفكر فيما اذا كان الأمر بلغ هذا المبلغ ولم يحرك المسلمون ساكنا فكيف لهم بعد ذلك أن يعيشوا في العالم مرفوعي الرءوس موفوري الكرامة ولا ندري كم من عار يستقبلنا في المعمورة بعد هذا الخطب الجلل

يجب علينـا ، ونحن فى هـذه المرحلة الحرجة ، أن ندرك قبل كل شيء مغـزى القضـية لأننا بدون تفهمها كمـا هى ، لا نستطيع أن تتخذ خطوة فاصلة فى سبيل الدفاع عن المسـجد الأقصى وانقـاذه من براثن اليهود .

السـبب الحقيقى لهذه الجـريمة النكراء :

ان اسرائيل بعد ارتكابها هـذه الجريمة الشنعاء حاولت مرارا أن تذر الرماد فى أعين المسلمين بأساليب ماكرة جدا ، أعلنت أولا عقب هذه الجريمة أن هـذا الحـريق نشب بسبب وقوع النقص فى الأسـلاك الكهربائية مفاجأة . غير أن المجرمين انتبهوا على الفور الى أن هـذه الأكذوبة سـوف لا تنطلى على أحـد ، اذ كيف يمـكن أن تلتهب ألسنة النار بصورة هائلة بمجـرد وقـوع النقص فى الأسـلاك الكهربائيـة . فاختلقوا بكل وقاحة أكذوبة أخـرى : وهى أن العـرب هم الذين أشـعلوا النـار فى مسجدهم .

أدرك الصهاينة على الفـور بأن هذا الافتراء لا ينفع أبدا . فقبضوا أخيرا على شـاب استرالى ليقنعوا الدنيا بأن هـذا المعتـوه هو الذى ارتكب هذه الجريمـة فى حالة من الجنون وفقـدان الوعى ، أما هم فلا يهدفون أبدا الى تدمير المسجد الأقصى تحت خطة مرسومة . ومن المحتمل أن يقدموا هذا الشاب الى محكمة مؤلفة من قضاة معينين من قبلهم ، ليحاولوا تغطية جريمتهم . ان خطـة الاستيلاء على المسـجد الأقصى ليست وليـدة الساعة بل هى خطة طويلة المدى ظل اليهـود يعمـلون على تحقيقها من قـرون والحريق الحاضر هو خطوة تمهيدية لهـذه الخطة .

تاريخ المطامع اليهودية :

يجب أن نعـرف جيـدا تاريخ فلسـطين والقـدس فالاسرائيليون دخلوا هذه المنـاطق حوالى ١٣٠٠ ق.م وبعد كفاح دام قرنين كاملين احتلوها فى النهاية . ان الاسرائيليين لم يكونوا من أبناء هـذه الأرض الأصليـين . بل كان أبنـاؤها

الأصليون تلك القبائل والشعوب التى ورد ذكرها فى التوراة . ومن تصريحات التوراة نفسها يبدوا أن بنى اسرائيل سيطروا على أرض فلسطين بعد قتل هؤلاء القبائل والشعوب بنفس الطريقة التى احتل الافرنج بلاد أمريكا بعد ابادة الهنود الحمر .

بحجة أن الرب أورثهم هذه الأرض . ولذلك يحق لهم أن يطردوا أهلها الأصليين بل أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم ويبسطوا عليها احتلالهم .

ثم غلب الأشوريون على شمال فلسطين فى القرن الثامن قبل الميلاد وأبادوا الاسرائيليين بأسرهم ومزقوهم كل ممزق وأسكنوا مكانهم القبائل التى كانت معظمها عربية الأصل . كما غلب ملك بابل بنو خذنصّر على جنوب فلسطين فى القرن السادس قبل الميلاد وأجلى اليهود منه ودمر القدس (أورشليم) وحوله الى أكوام من التراب وهدم هيكل سليمان (Temple of Soloman) الذى بناه سيدنا سليمان عليه السلام فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولم يبق منه حجر على حجر . وقد أتيحت لليهود مرة أخرى فرصة دخول جنوب فلسطين واتخاذه مقرا لهم فى عصر الحكم الايرانى ، بعد أن عاشوا مدة طويلة منفيين مطرودين ، فأعادوا الهيكل من جديد فى اورشليم . بيد ان هذه المدة أيضا لم تدم أكثرمن ثلاثة أو أربعة قرون ، لأنهم ثاروا على الامبراطورية فى عام ٧٠ الميلادى فكان من جراء ذلك أن دمر أورشليم والهيكل مرة أخرى كما قضى الرومان على ثوراتهم الأخرى فى ١٣٥ الميلادى وأبعدوا اليهود من جميع أنحاء فلسطين وشتتوا شملهم . وفى هذا الجلاء الثانى سكن فى جنوب فلسطين القبائل العربية . . . .

كما سكنوا شمال فلسطين قبل ذلك بثمانية قرون . وحينما دخل الاسلام هذه الأرض كانت جميع أنحائها مأهولة بشعوب عربية . كان الرومان منعوا اليهود حتى من دخول القدس (وكان اسمها حينئذ ايليا) بموجب القانون . وكادت

السلالات اليهودية فى فلسطين تنعدم .

ويتضح من هذه التفاصيل التاريخية ما يلى :

أولا : ان اليهود دخلوا أرض فلسطين بارتكاب جريمة ابادة الشعوب الأصلية Genocied

ثانيا : لم يسكنوا فى شمال فلسطين أكثر من أربعة أو خمسة قرون .

ثالثا : لم تدم اقامتهم فى جنوب فلسطين أكثر من ثمانية أو تسعة قرون .

رابعا : مع أن الشعوب العربية كانت تسكن شمال فلسطين منذ أكثر من ألفين وخمسين عاما وفى جنوب فلسطين من نحو ألفين عاما ، يزعم اليهود اليوم أن فلسطين هبة ربهم وعدهم بذلك ويحق لهم لأجل ذلك أن ينالوا (أرض الميعاد) باستخدام القوة ويطردوا منها شكانها الأصليين ليحلوا محلهم كما أبعدوا منها سكانها الأصليين قبل ٣٣ قرنا من القرون الخالية .

ما زال اليهود يتلون طقوسهم الدينية منذ ألفى عام أربع مرات فى الأسبوع لاحتلال القدس واستعادة الهيكل . كما أن فى كل بيت يهودى تقام فى المناسبات الدينية التمثيلية التى تذكرهم كيف أنهم خرجوا من مصر وسكنوا فلسطين وكيف أبعدهم أهل بابل من فلسطين فتفرقوا أيدى سبا . وهم بهذه الطريقة يثبتون فى ذهن أولادهم الصغار أن فلسطين هى ملكهم ويجب أن تعاد اليهم ، وغايتهم فى الحياة أن يبنوا هيكل سليمان فى بيت المقدس ـ الكاتب اليهودى الشهير الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى موسى بن ميمون (Maimonids) يكتب فى كتابه : « شريعة اليهود » (The Code of Jewishlaw) بكل صراحة بأن كل جيل من أجيال اليهود المتعاقبة مدعو الى بناء هيكل سليمان فى القدس ، وكذلك حركة الماسونية ، التى كشفت الصحافة الباكستانية عن الكثير من أسرارها فى الآونة الأخيرة ، حركة يهودية الأصل تهدف الى بناء الهيكل . بل هو غايتها القصوى وهدفها الرئيسى .

وتقام فى جميع المحافل الماسونية تمثيلية توضح كيفية اعادة بناء الهيكل . وكفاكم أن تتبينوا من كل ذلك أن التهاب ألسنة النيران فى المسجد الأقصى ليس حادثا مفاجئا ، بل يهدف الشعب اليهودى منذ القرون الى بناء هيكل على أنقاض المسجد الأقصى وموقعه ، والآن وبعد احتلاله على القدس ، من المستحيل أن يمتنع من تحقيق حلمه التاريخى .

شعب ينكر الجميل :

من الثابت تاريخيا أن هيكل سليمان كان قددمر سنة٧٠ الميلادية نهائيا . وحينما فتح المسلمون القدس فى عهد سيدنا عمر رضى الله عنه لم يكن فى هذا المكان أى معبد بل كانت المنطقة عبارة عن زبالة وأنقاض . ولذلك فان أى يهودى لا يستطيع أن يتهم المسلمين بأنهم أقاموا المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد هدم معبد لهم . كما أنه من الثابت تاريخيا كذلك أن فلسطين أخليت من اليهود فى عهد الرومان الذين منعوا اليهود من دخول القدس بموجب القانون .

والمسلمون هم الذين سمحوا لليهود دخول فلسطين والاقامة فيها فى عصرهم . ويشهد التاريخ بأنه لم يستقر لهم قرار خلال ثلاثة أوأربعة عشر قرنا مضت فى أى مكان فى العالم الا فى وطن الاسلام . بينما ظلوا يتعرضون للاضطهاد والمذابح فى كل بلد يحكمه المسيحيون .

ومما يعترف به علماء التاريخ اليهود أنفسهم : أن العصر الذى عاشه اليهود تحت حكم الاسلام فى الأندلس كان عصرهم الذهبى .

كان حكام المسلمين يرعون اليهود . ويحافظون عليهم ويحرسون أموالهم ويشجعون تجارتهم . وهذا حائط المبكى الذى يعتبره اليهود أقدس مكان لهم فى العالم مما تكرم المسلمون باعادته اليهم حسبما كتبته نشرة الحكومة الاسرائيلية التى تصدر من بمبائى فى الهند ، فى عددها الصادر فى أول يوليو سنة ١٩٦٧ م : ان حائط المبكى كان مدفونا تحت الأنقاض والزبالة حيث لم يبق له فيه عين ولا أثر . وقد علم بذلك السلطان سليم الملقب بياوز صدفة فأمر بتنظيفه ، وسمح لليهود بزيارته الا أن اليهود

شعب مجبول على نكران الجميل وبدأ يقابل المسلمين على تسامحهم معه وعطفهم عليه ما نراه اليوم من ألوان التعذيب والتنكيل وضروب الدمار والثبور فى فلسطين .

الخطة اليهودية :

أما كيف أن اليهود كرسوا محاولاتهم للاستيلاء على فلسطين تحت خطة مرسومة فيتضح مما يلى :

« قامت فيهم بداية الأمر حركة دعت الى هجرة اليهود من مختلف أنحاء العالم الى فلسطين ، وشراء الأراضى فيها . فمنذ ١٨٨٠ م بدأت الهجرات اليهودية معظمها كانت من أوربا الشرقية . وبعد ذلك بمدة يسيرة أنشأ الزعيم اليهودى الشهير ثيودور هرتزل فى ١٨٩٧ م الحركة الصهيونية جعل من غايتها الاستيلاء على فلسطين واعادة بناء الهيكل . فقام الرأسماليون اليهود على نطاق أوسع بجمع الأموال ونشطوا لمساعدة العائلات اليهودية المهاجرة فى فلسطين فى شراء الأراضى وانشاء المستعمرات فيها . وفى ١٩٠١ م بعث هرتزل المذكور وفداً الى الخليفة العثمانى السلطان عبدالحميد الثانى وعرض عليه استعداد اليهود لدفع جميع القروض والديون على تركيا والمعونات المالية الأخرى مقابل السماح لليهود بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم غير أن السلطان عبد الحميد داس كل هذه المغريات ووقف بعناد وثبات أمام أطماع الصهيونية ورفض العرض قائلا : ان بيت المقدس الشريف قد افتتحه للاسلام أول مرة سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة ببيعها لليهود وخيانة الأمة التى كلفنى المسلمون بحمايتها . ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام » .

والذى حمل هذه الرسالة الى السلطان هو الحاخام قره صو آفندى من سلانيك ومن العائلات اليهودية التى هاجرت من أسبانيا واستوطنت الممالك العثمانية . وقره صو آفندى هذا على رغم كونه من رعايا الحكومة

التركية قد بلغت به الجرأة الى أن يدخل على السلطان التركى ويقدم الطلب لتسليم فلسطين لليهود • لم يكتف اليهود بهذا فحسب ، بل هدد هرتزل السلطان بسوء عاقبة هذا الموقف • واثر ذلك دبرت المؤامرات لخلع السلطان عبد الحميد الثانى تواطات فيها الحركة الماسونية والدونمة (١) والشباب الذين كانوا مفتونين بالثقافة الغربية وحاملى لواء القومية التركية • وما ان انقضت سبع سنوات حتى تم احكام خيوط المؤامرة وتهيأ الجو لخلع السلطان • ومن الحوادث المؤلمة التى وقعت فى عملية خلع السلطان أن الذين ابلغوا السلطان قرار الخلع كانوا ثلاثة أشخاص : مسلم مأجور (عارف حكمت ياور فريق البحرية) رومى موتور (ارستيدى باشا وزير النافعة سابقا) وثالث الثلاثة الحاخام قرهصو آفندى الذى بعثه هرتزل الى السلطان فطرده من قصر يلدز • فيالبشاعة انتقام اليهود وانعدام الغيرة الاسلامية فى « المسلمين » يوفدون لتبليغ سلطانهم قرار الخلع اليهودى القذر الذى كان السلطان رفض طلبه وبصق فى وجهه وطرده من القصر •

نشوء الصراع بين القومية التركية والقومية العربية :

كانت هناك مؤامرة أخرى تنسج خيوطها بدقة وخفاء كانت ترمى الى تمزيق الدولة العثمانية اربا اربا • والتقت فى تدبيرها أيضا العبقرية اليهودية مع الدبلوماسية العربية فأنشات فى الأتراك حركة قومية • دعتهم الى بناء الدولة التركية على أساس القومية بدلا من الأخوة الاسلامية مع أن الدولة العثمانية لا يمكن فيها الشعب التركى فقط ؛ وكانت تشمل الأجناس الأخرى كالعرب والأكراد • ومحاولة قصر الدولة الخليطة من الأجناس العديدة على الجنس التركى معناه أن يقطع المسلمون من غير الجنس التركى ولاءهم عنها • وفى الجانب الثانى

(١) الدونمة كما هو معروف لقب يطلقه الاتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا من اسبانيا واستوطنوا سلانيك وهم طائفة يتظاهر افرادها بالاسلام مع احتفاظهم باطنا بالدين اليهودى •

جرت محاولات اشباع العرب بالقومية العربية واقناعهم على ضرورة اللجوء الى الحرب للتحرير من « الاستعمار التركى» والذين نشروا فتنة القومية العربية فى البلاد العربية هم كانوا مسيحين جعلوا بيروت مركز الدعوتهم كما أن الجامعة الأمريكية (الكلية الانجيلية السورية سابقا) كانت مقرا لهم ومعوانا على حركتهم • وهكذا وجدت القوميتان المتناطحتان فى الأتراك والعرب فى آن واحد • وكرست الجهود لضرب احداهما بالأخرى الى درجة أنه فى أثناء الحرب العالمية الأولى دخل الأتراك والعرب هذه الحرب لا كطرفين متساندين متعاضدين بل كقوتين معاديتين متناحرتين تتعطش احداهما لشرب دم الأخرى •

الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور :

اتجه اليهود أولا فى الحرب العالمية الأولى الى القيصر الألمانى ولهلم الثانى لأن اليهود كان لهم فى المانيا آنذاك نفس النفوذ الذى حصل لهم اليوم فى أمريكا ، فعرض اليهود على القيصر فكرة الوطن القومى فى فلسطين وحاجة اليهود الى الاعتراف بحق شرعى لهم فى استعمارها ، غير أن اليهود لم يطمئنوا الى حكومة المانيا لكونها متحالفة مع حكومة تركيا فى الحرب ولذلك ماكادوا يقتنعون بوعد القيصر ولهلم بتأمين فكرة الوطن القومى •فتقدم الدكتور وايزمين Dr. Weizman واتصل بالحكومة الانكليزية ، وابدى استعداده لوضع العبقريات اليهودية والامكانيات اليهودية فى العالم تحت تصرف انكلترا وفرنسا فى الحرب مقابل تعهدهما بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين اذا واكبهما الحظ وتحقق لهما الانتصار فى الحرب • والدكتور وايزمين هو الذى كان تولى زعامة الحركة الصهيونية آنذاك•

واخيرا نجح وايزمين فى انتزاع الوعد الذى اشتهر بوعد بلفور من حكومة انكلترا فى سنة ١٩١٧ م الذى نص على أن بريطانيا تعتزم اقامة وطن قومى لليهود • وهكذا ظهر غدر الانجليز ومما لأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب اذ انهم كانوا يقنعون العرب بأنهم سيكونون لهم دولة عربية مستقلة ،وقد أعطوا لذلك فعلا وعدا مكتوبا للشريف الحسين

، وانحرافا وراء هذا الوعد المعسول ثـار العرب على الأتراك ، ومهـدوا الطريق لاستيلاء انجلترا وفرنسا على فلسطين والعراق وسوريا • وفى نفس الوقت قد أعطى الانجليز وعداً مكتوبا لليهود أيضا بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم وهـذه أكبر خيانـة انجليزية لا يستطيع الشعب الانكليزى محـو عارها من وجهه طيلة تاريخية • ومن هنا هل كانت فلسطين وطنا قوميـا لليهود ؟ لقد قدر الانجليز توطينها باستيراد المستعمرين من الخارج ، من المعلوم أن فلسطين كان يسكنها الشعب العربى منذ ألفين وخمسمائة سنة ولم يكن عدد اليهود فيها يتجاوز خمسة فى المائة حين صـدور تصريح بالفور • فاصدار وزير خارجية المملكة البريطانية وعدا باستيطان شعب تفرق أيدى سبا قبل ألف وتسعمائة سنة مضت فى موطن شعب مسـتقر كان يعنى هذا بكل صراحة • « اننا نحن الانجليز ، كما اسـتولينا على الوطن العربى بمساعدة العرب أنفسـهم ، تتيح لكم أيها اليهود أيضا الفرصـة لأن تطردوا منه العرب وتوطنوا فيه شعوبكم المشتتة فى أنحاء العالم »

وهذه جريمة لا مثيل لها فى التاريخ البشرى • والذى يزيدها فداحة أن اللورد بالفور يقول فى مذكراته عن الوعد الذى أعطاه لليهود « لا حاجة بنا الى أن نستفسر سكان فلسطين الحاليين رأيهم فى تقرير مصيرهم ؛ لأن الصهيونية أجل وأهم لنا من تطلعات سبعمائة الف نفر من العرب وتعصباتهم الذين يسـكنون هذه المنطقة منـذ القديم » وكلمات بالفور هـذه فى مذكراته لا تزال مسـجلة فى الجزء الثانى من وثائق السياسة البريطانية ؛

القضية فى عصبة الأمم :

وتحققت الحلقة الأولى من المخطط الصهيونى بعيد المدى بعد أن استولى الانجليز على فلسطين وصدر تصريح بلفور واستكملت هـذه الحلقة فى غضون ٣٧ عاما بدءاً من ١٨٨٠ م الى ١٩١٧ م • ثم أخذت الحلقة الثانيـة من هذا المخطط دورها للتنفيذ وذلك فى المرحلة التى اندفعت فيها عصـبة الأمم ((League of Nation))

والدولتان الموجهتان لها فى الحقيقة : بريطانيا وفرنسا لابراز هـذه الحلقة الى حيز التنفيذ كأنهما ليستا دولتين

حرتين ؛ بل انهما عمليتان للحـركة الصهيونية مسيرتان بارادتها•وقررت عصبة الأمم فى ١٩٢٢ وضع فلسطين تحت انتداب Mandate بريطانيا والاحصائيات التى اجريت بعد هذا القرار دلت على عدد سكان فلسطين عربا ويهوداً كما يلى :

٦٤١ر٦٦٠ عربا مسلمين •

٤٦٤ر٧١ عربا مسيحيين •

٧٩٠ر٨٢ يهود •

وكان سبب تزايد عدد اليهود : الهجرات المتتابعة الى فلسـطين : اذ كان عددهم فى عـام ١٩١٧ م ستة وخمسين ألفا وارتفع هـذا العدد فى ظرف خمس سنوات الى ثلاثة وثمـانين ألف ومع ذلك فان عصبة الأمم أوصت بريطانيا حـين اعطائها حق الانتـداب « حكومة الانتداب » مسؤلة عن توفير كافة التسهيلات لجعـل فلسطين وطنـا قوميا لليهـود واعتراف المنظمـة الصـهيونية رسـميا واشراكها فى الحـكومة واخـراج فكرة الوطن القومى لليهود الى النور بمشورتها وبالتعاون معها « وأما عن سـكان فلسطين الأصليين فاكتفت عصـبة الأمـم فى توجيهـاتها لحـكومة الانتـداب بأن تراعى حقـوقهم الدينية والمدنية » • (Religious and Civil Rights) ولم تشر الى حقوقهم السياسية ولا بطـرف خفى • هـذا هو العـدل الذى التزمت به عصـبة الأمـم التى ما أنشأت الا باسم بث السلام فى العـالم • انها أسهمت اليهـود الدخلاء فى السلطة السياسية ، بينما السكان الأصليين لايستحقون حتى المطالبة بحقوقهم السياسية •

منجزات الانتداب البريطانى :

وبعـد أن نال الانكليـز حـق الانتـداب على فلسطين شـجعوا نشاطات جلب اليهـود من أنحـاء الأرض واسكانهم فى فلسـطين • وأول مندوب سام من قبل بريطانيا فى فلسطين هربرت صـموئيل كان يهوديا كما أشركت اللجنة اليهودية فى ادارة البلاد وسلمت اليها دوائر التعليم والزراعة • كما سلمت اليها شئون الهجرة والترحيل والجنسية•

ووضعت القـوانين التى أمنت للمهاجرين من اليهود الحصول على

الأراضى وأغدق عليهم بالقروض والضمانات لزراعة الأراضى . كما فرضت على العرب ضرائب باهظة استصدرت المحاكم قرارات لمصادرة أراضيهم . ثم بيعت الأراضى المصادرة لليهود . كما منحت الاقطاعات الواسعة من الأراضى الأميرية لليهود المستعمرين اما منا وعطاء واما مقابل أجرة رمزية . وفى بعض المناطق صفيت القرية بأسرها من سكانها العرب الأصليين . وحولت الى مستعمرات يهودية خالصة . وألغيت فى احدى المناطق ملكية ثمانية آلاف من الفلاحين وعمال الزراعة العرب من أراضيهم البالغة ٥٠ ألف دونما بموجب أوامر الحكومة ، ورحلوا منها بعد أن أعطى كل فرد منهم تعويضا قدره ثلاث جنيهات وعشر شلنات . وعن طريق هذه الاجراءات الغاشمة ازداد عدد سكان اليهود فى خلال ١٧عاما بصورةهائلة: فبينما هم كانوا فى عام ١٩٢٢م نحو٨٢ ألفا : وصل هذا العدد الى ٤٥٠ ألف فى سنة ١٩٣٩ م . ويبدو من ذلك أن الانكليز لم يكونوا يرمون من وراء انتدابهم على فلسطين الا خدمة الصهاينة . ولم يؤنبهم ضميرهم فى يوم من الأيام بأن على الحكومة بالنسبة لسكان البلاد الأصليين حقوقا والتزامات لا مناص لها من الدفاع عنها والمحافظة عليها وتطور هذا الأمر فى الحرب العالمية الثانية .... تطوراً خطيراً . حين بدأ اليهود الذين تعرضوا لاضطهاد هتلر يلجأون الى فلسطين بطرق قانونية وغير قانونية وعملت الوكالة الصهيونية على ادخال آلاف مؤلفة من اليهود فى أرض فلسطين . وألفت العصابات اليهودية المسلحة التى قامت بنشر الرعب والفوضى فى أنحاء فلسطين لاذلال العرب وطردهم من ديارهم واحلال اليهود مكانهم وأقيم لهذا الغرض من المذابح الدامية ماترتعد لسماعها الأوصال ، وكانت الكميات الكبيرة من السلاح تترامى الى اليهود تحت

مسمع ومرأى من الانتداب الانكليزى وكان اليهود يشنون الغارات على العرب وقانون البلاد ما كان يمنعهم من كل ذلك • بينما نفس القانون يمنع العرب من حيازة أى نوع من السلاح ويمنعهم من الدفاع عن أنفسهم تجاه الظلم والقساوة ، بيد أن الحكومة البريطانية فتحت صدرها لتوفير التسهيلات فى ترحيل العرب الذين كانوا يفرون بأنفسهم الى الخارج ، وهكذا فقد استكملت الحلقة الثانية من المخطط الصهيونى الرهيب فى خلال ٣٠ عاما ابتداء من سنة ١٩١٧م وفى هذه المرحلة أصبح اليهود من المقدرة حيث استطاعوا أن ينشئوا فى فلسطين « الدولة القومية » بدلا من الوطن القومى •

للبحث بقية

ابو الأعلى المودودى

قال الدكتور « ريتسن » عن محمد «صلى الله عليه وسلم»:
« يا ابن مكة ونسل الاكرمين ، يا معيد مجد الآباء والأجداد ، يا مخلص العالم من العبودية . ان العالم ليفخر بك ... ويشكر الله على تلك المنحة الغالية .. انه بقدر جهودك كلها ، يا نسل الخليل ابراهيم : يا من منحت الاسلام للعالم ووفقت بين قلوب البشر ... وجعلت الاخلاص من شعارك ... يامن قلت فى شريعتك : « انما الأعمال بالنيات » .
لك منا الشكر الجزيل » !

محمد عبد الحميد احمد ــ فى ظلال العقيدة

حكاية الحسابات الفلكية لتحديد بدء الصوم مرفوضة

للأستاذ أحمد حسين

مرت على العالم الاسلامى فى العصر الحديث فترة حرجة كاد أن يفقد نفسه فيها ، لولا أن الله سلم. وقد كان من هذه المتاهات ، قول من قال : اننا فى عصر العلم الحديث، يجب أن يكون العلم هو سندنا ، وقد وصلنا فى دنيا العلم الى حد معرفة موعد شروق القمر وغروبه بكل دقة لعدة سنوات مقبلة ، فعندما يقول لنا العلم : ان هلال رمضان تستحيل رؤيته بالمناظير المكبرة فضلا عن الأعين المجردة ، فى تاريخ معين فليس يجوز عند (سدنة العلم) أن تقبل قول من قال: انه رأى الهلال : وينسى هؤلاء (الجهابذة ! ؟) .

اننا اذا أخذنا بهذا المقياس العلمى المزعوم لأبطلنا الصوم من أساسه فى بعض بلدان العالم ، حيث لا تغرب الشمس أبدا ، أو أنها تغرب لتشرق من جديد بعد ساعة أو ما هو دون الساعة .

ولو أخذنا بمجرد الحسابات الفلكية ،لاضطربت مواقيت الصلاة، ولو أننا حكمنا المنطق الصارم وما تقوله بعض العقول ، لوجدنا من يقول وما هى فائدة الصوم (وقد قال قائل : انه يعطل الانتاج) ولو تابعنا هذه المسيرة ، مسيرة العلم والخضوع لمقتضياته لقام من يتساءل عن الصلاة وعن ضرورتها ، ولانتهى الأمر بالغاء الدين من أساسه ، وهو ما فعله حكام شعوب بالفعل ، حيث اعتبروا الدين خرافة لا تتفق مع العلم الحديث وحقائقه الثابتة ؟ ؟

وانى أدع لله عز وجل الحكم على نية من قالوا بضرورة تحكيم الحسابات العلمية الفلكية لتحديد أول أيام الصوم ، هل كانوا بهذا القول يعنون السير فى هذا الطريق، طريق الغاء الدين ، أم لا ؟ ويعنينى فى مقامى هذا ، أن أقول : انه لا يحق لكائن من كان فى موضوع الدين ، أن يوقف أيا من مناسك الدين وتعاليمه بزعم أن هذا هو ما يوجبه العلم ، لأن ذلك معناه اخضاع الدين للعلم ، حيث العلم هو الذى يجب أن يخضع للدين ، فليس العلم الا أحد فروع الدين ، فهو فرع والدين هو الأصل ، واذا غمت هذه الحقيقة عند الأوربيين ممن لم يعرفوا شيئا عن الاسلام ؟؟

فهى بالنسبة للمسلمين أوضح وأظهر من فلق الصبح .

كيف لا وأول سطر من سطور الاسلام :

« اقرأ وربك الأكرم » .

« الذى علم بالقلم » .

« علم الانسان ما لم يعلم » .

وغرس فى نفس كل مؤمن الى أبد الآبدين الشوق الى العلم والتعلم : « وقل ربى زدنى علما » .

ولكنه بمقدار ما استحث المسلمين على طلب العلم وبمقدار ما كرم العلماء حتى جعلهم ورثة الأنبياء ، فقد حذر البشر أن لا يغتروا بعلمهم أو يستطيلوا ، فقال وقوله الحق :

« وفوق كل ذى علم عليم » .

وعلم البشرية كلها شىء قليل .

«وما أوتيتم من العلم الا قليلا» .

فالدين هو الدين ، تلقيناه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتلقاه هو عن طريق الوحى من الله رب العالمين ، والمسلم لا يكون مسلما الا اذا آمن بسيدنا محمد رسولا من رب العالمين، وأنه لا ينطق عن الهوى وانما هو وحى يوحى . والأمر الالهى صريح :

« وما آتاكم الرسول فخذوه » . فعندما يقول الرسول صلوات الله عليه :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » .

فهذا نص لم يعد يجوز معه لكائن من كان ، أن يتفلسف باسم العلم ، فيبطل الرؤيا لما يسميه حسابات فلكية علمية .

وانى كمسلم أتحدث كما يتحدث مئات الملايين من المسلمين : كان يجب أن أقف عند هذا الحد ، فلا اجتهاد مع النص ولكنى أسمح لنفسى ــ وقد عاد الاسلام عند بعض الأقوام غريبا كما بدا ــ أن أشرح لهم ما فى هذا الادعاء من تحكيم الحسابات الفلكية من خلل يناقض كل معقول ومنقول ويهدر القيم العليا ، والمثاليات وكرامة الانسان .

الرؤية لا تكون الا بالعين :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقال رسول الله ما قدمناه :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » .

ولا يقولن قائل : وانما هو حديث فقد طبقه رسول الله وصحابته فصاموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته ، وتابعتهم الملايين ، فمئات الملايين فألوفهم : أجيالا بعد أجيال وقرونا فى اثر قرون ، حتى أصبحت رؤية هلال رمضان عيدا من أعياد المسلمين يحتفلون به بشتى الطرق والأشكال ، ويطلقون على هذه المناسبة الكريمة « الرؤية » .

موكب الرؤية :

وقد كان للرؤية فى طفولتى وصباى ما يسمى موكب الرؤية وهو أثر من آثار الماضى ظل يتناقص بطبيعة الحال تحت تأثير الاحتلال البريطانى ، ومع ذلك فقد ظل هذا الموكب حديث الخاص والعام ، وقد كان أكثر ما يكون شبها ، بهذا الذى يطلقون عليه اسم « موكب الزهور » حيث كانت كل الحرف والمهن والطوائف تشترك فى الموكب بعربات تمثل حرفتها أو مهنتها .

وكان الموكب يسير من بيت القاضى (أى المحكمة فى شارع نور الظلام) وكانت الموسيقات الرسمية وكتائب من جنود الشرطة ، تتقدم الموكب ، ولست أحبذ هذا

الموكب أو أطالب باعادته ، فمثل هذه الأمور يجب أن تبحث وأن يصدر بها قرار من علماء المسلمين خوفا من البدع ، فأنا لا أتعرض لهذا الذى يحدث بالاستحسان أو الانكار ، وانما أذكره كواقع مادى فى تاريخنا يثبت أن الاهتمام بموضوع « الرؤية » هو جزء من تراثنا فأن يلغى — كائن من كان — موضوع « الرؤية » بحجة أن الحسابات الفلكية هى التى تقرر ، فهو يلغى ظاهرة مارسها المسلمون منذ ألف وأربعمائة سنة ، فأعجب لأقوام يطالبون الناس أن يحتفلوا بمناسبات عديدة ويعتبروا هذه الاحتفالات جزءا من تكوين الأمة ثم يسقطون مناسبة كبرى عاش المسلمون يحتفون بها عبر الدهور؟؟ الحق أنه لا تفسير لذلك الا الرغبة — تحت ظل العلمانية — فى النيل من الاسلام .

عظمة الفرد فى الاسلام وكرامته :

وهم يستكبرون ويستفظعون فكرة أن يكون بقدرة فردين من عامة الناس أن يشهدوا بأنهما رأيا الهلال كى تنصاع الجماعة الاسلامية الى قولهما ويبدأ صوم رمضان .

ولا عجب فى هذا الازدراء بالفرد ، فالقائلون بالخضوع للعلم والعلمية والعلمانية قوم قد درجوا لا أقول على الاستهانة بالفرد وازدرائه ، بل درجوا على دوسه بالنعال بل وسحقه سحقا اذا لزم الأمر ، اذا كان ذلك على ما يزعمون فى صالح الجماعة ، ولن تستطيع أن تدخل فى عقولهم : أن الجماعة هى مجموع هؤلاء الأفراد فاذا تحول الفرد الى صفر ، فان مجموع الأصفار لا يزيد عن كونه صفرا .

وهنا تتجلى عظمة الاسلام وعلوه علو السماء على الأرض : على المذاهب العلمية والعلمانية فهو اذ يؤكد عظمة الجماعة وقوة الجماعة ، و « يد الله مع الجماعة » ولكنه يؤكد قبل ذلك على عظمة الفرد وقوة الفرد وكرامة الفرد وأن ذلك هو السبيل الذى لا سبيل غيره لبناء الجماعة ، فيقول تعالى ، بعد أن خلق انسانا فردا ليكون خليفته ، وبعد أن علمه شذاً من علمه ونفخ فيه من روحه .

أن « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » ؟؟

أى أن قتل انسان واحد قد يعنى قتل البشرية كلها ، فديننا يقوم على تكريم الانسان واعلاء شأن الانسان الفرد ، وهو يفترض فيه الاستقامة والعدالة والصدق والأمانة الا أن يقع منه ما يريب .

فاذا هال أصحاب المذاهب العلمية والعلمانية أن يكون للانسان الفرد كل هذه القيمة والخطورة ، قلنا لهم : هذا شأنكم ولكن ذلك ليس هو شأن الاسلام .

الرؤية والشهادة :

فعندما يقول لنا سيدنا رسول الله « صوموا لرؤيته » فقد أصبح هذا نصا واجب الاتباع ومن خالفه فهو مارق من الدين بلا جدال أو شبهة ، والأمر هنا معلق على الرؤية ، ورؤية البعض هى رؤية للكل ، وهذا هو نظام الاسلام ، والأصل فى الرؤية هى العين التى خلقها الله لتكون هى وسيلة الانسان للرؤية ، وقد تأسس علم الفلك بكل جلاله وروعته ، ورصدت الكواكب والنجوم والأفلاك والبروج بالعين المجردة ، فاذا جاء العلم الحديث بما يكبر ويقرب المرئيات ، فلا بأس فى ذلك فهو لا يتعارض مع الأمر بالرؤية فسوف تظل العين هى التى ترى وسيظل الانسان « الفرد » هو الذى يقرر أنه رأى ، والاسلام لا يرى حرجا فى ذلك ، فالمنظار المكبر لا يعدو أن يكون وسيلة من الوسائل التى تتغير بتغير الظروف والأحوال حيث يظل الهدف ثابتا لا يتغير .

والشهادة :

فان يرى البعض هلال رمضان أمر واجب وأن يشهد بذلك ، ويدعمه شاهد آخر وأن يكون الشاهدان عدلين ، (على تفصيل فى كتب الفقه ، حيث ذهب البعض الى حد الاكتفاء بشاهد واحد ، وهو ما نتركه للمختصين) وكل ما يعنينا فى مقامنا هذا ، أن يبدأ الصوم بالرؤية العينية بواسطة بعض البشر ، لا طبقا لمقتضيات

الحسابات الفلكيــة ، فللحسابات الفلكية ميدانها .

أما بالنسبة للصــوم الذى هو عبادة فنحن بازاء نص صريح قاطع ملزم « صوموا لرؤيته » .

لا ضرر ولا ضرار :

ويعيدون ويزيدون ويهولون فى الحديث عن الأضرار التى تنشأ عن عدم الاستقرار وتحديد موعد بَدء الصوم بصورة مؤكدة ، وكل هذه سفسطة لو انسقنا وراءها ـ فضلا عن أن تأخذ بها لقضت على الدين ـ والعبـادة من أساسها ، لقد عاش المسلمون على هذا النهج وازدهروا وأبدعوا فى ظـل هـــذا الترقب لهـلال رمضان وهل ثبتت الرؤية بالفعل ؟ أم يكملوا شعبان ٣٠ يوما نزولا عند نص الحديث :

« فان غم عليــكم(١) فأتمــوا شعبان ثلاثين يوما (٢) » .

احمد حسين

قال « لويل توماس » : قبل أن يستكشف « كولومبس » أمريكا بألف سنة « ابصرت عين الطفل القرشي « محمد بن عبد الله » النور فى مكة واختاره الله ليحول تاريخ العالم ويغير مجرى الحياة » .

وقالت دائرة المعارف البريطانية :

« كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحا وتوفيقا » .

فى ظلال العقيدة

---

(١) اى لم يروا الهلال ليلة ٣٠ شــعبان .

(٢) اى نهــارا .

دراسات قرآنية :

ليلة القدر

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى :

« انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ليلة القدر لها منزلة عظيمة فى نفوس المسلمين – خاصتهم وعامتهم – سلفهم وخلفهم ، وأهل الصلاح منهم ينتظرونها كل عام ، ليسموا بأرواحهم ونفوسهم فى أنوارها ، وينعموا ببركاتها ، ويغنموا من عطاء ربهم الذى وعده من قام ليلها وأحيا أسحارها ، وأهل الحاجات منهم يرفعون أكفهم ضارعين خاشعين ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وكشفا للنوازل وتفريجا للكروب ، ورحمة وبى وحنانه وسلامه وَسعَت الجميع ، فانه سبحانه يقولَ فى محكم كتابه « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

والزمان كله عند الله سواء ، فليس لبعضه فضل على بعض الا لأسباب تقت[illegible]يه ، أو غايات تترتب عليه ، وكذلك كان الأمر فى ليلة القدر ، فانها وان كانت جزءاً من الزمان ، فقد رفع الله شأنها بنزول القرآن ، وشرفها بذلك على جميع الأزمان ، وجعلها من أجله متنزلا للرحمات ومهبطا للسلام ، من غروب شمسها الى مطلع فجرها ، فتعال معى أيها القارىء الكريم لنتعرف فضلها من سورة القدر التى نزلت بشأنها .

« انا أنزلناه فى ليلة القدر »

القدر هنا بمعنى الشرف والمنزلة الرفيعة ، والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة الشرف والمقام السامى ، لنزول القرآن العظيم فيها ، ولأن الدعاء والعبادة يعلو فيها قدرهما ويرتفع ثوابهما عند الله تعالى .

وتفسير القدر بالشرف معروف لغة ، يقال : فلان له قدر عند الناس — أى شرف ومنزلة كريمة ، وانما أضمر الى القرآن فى قوله « أنزلناه » مع أن اسم القرآن لم يسبق هذا الاضمار ، للايذان بعظم قدره ، واستغنائه عن التصريح باسمه .

وقيل القدر بمعنى التقدير ، فعن ابن عباس وغيره أنه يُقَدَّر فى هذه الليلة ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرهما الى السنة القادمة ، فيكون المعنى : أنزلناه فى ليلة تقدير شئون الخلائق ، أى اظهار هذه الشئون واعلانها للملائكة المأمورين بتنفيذ مقدرات الله فى الكون ، وهم الذين يعرفون بمدبرات الأمور ، كما فى قوله تعالى « فالمدبرات أمرا » أما تقدير الله لأمور الكون فأزلى سابق على خلق السموات والأرض ، كما جاء فى الحديث الصحيح « جفت الأقلام وطويت الصحف » .

وبهذا التأويل تطابقت الآية مع قوله تعالى فى سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين(٣) فيها يفرق كل أمر حكيم(٤) » .

وقيل للحسين بن الفضيل : أليس الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال ؟ بلى : قيل : فما معنى ليلة القدر ؟ قال : سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقدر .

وقد عظم الله تلك الليلة فقال :

« وما أدراك ما ليلة القدر »

وأى شىء أعلمك يا محمد ماهى ليلة القدر فى علو منزلتها عند الله تعالى ، يعنى أن فضلها العظيم

لا يعلمه سوى علام الغيوب ، ثم عظمها بأسلوب أصرح فقال :

« ليلة القدر خير من الف شهر »

فأنت ترى أنه تعالى اختار لانزال القرآن ليلة هى أشرف الليالى ، بحيث تعدل فى شرفها وفضلها بل تفوق ألف شهر ، وكيف لا تكون به كذلك وهو أعز كلام ، أنزله رب السموات والأرض على أشرف رسول لخير أمة أخرجت للناس .

وقد أجهد المفسرون أنفسهم فى فهم المراد من هذه الآية الكريمة ، فقيل معناها أن العمل الصالح فيها خير منه فى الف شهر ليست فيها ، وروى عن ابن عباس أنه ذُكِر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال : يا رب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر لكل عامل الى يوم القيامة ، وكذلك روى عن ابن مسعود .

وما نظن أن مثل ذلك يصح رواية عنهما ، فان بنى اسرائيل كانوا يتهربون من القتال ، حفاظا على أرواحهم ، وضعفا فى ايمانهم ، فهم الذى قالوا لموسى عليه السلام « اذهب أنت وربك فقاتلا اناهاهنا قاعدون » فليس مقبولا أن يجاهد أحدهم ثلاثا وثمانين وسنة وثلثا فى سبيل الله ، وليس مقبولا القول بأن الرسول يرى هؤلاء أكثر من أمته أعمالا — وهم كذلك — ولا أطول منهم أعمارا ، فان آجالنا ليست بأقصر من آجالهم ، وأعمارنا وأعمارهم متقاربة ، وحسبك ما عرف من أعمار المومياوات (الجثث) الفرعونية ، فانها مثل أعمارنا ، كما أن أجسادهم فى حجم أجسادنا كما أنه ليس مقبولا أن يعدل قيام ليلها جهادا فى سبيل الله سواء كان الجهاد منا أو ممن سبقنا ، فان تعريض الأجساد والأرواح لأخطار الجهاد فى تأييد دين الله والدفاع عنه ، لا يمكن أن يفضله قيام ليلة واحدة مهما كان قدرها وفضلها ، فان الثواب على قدر المشقة .

ولو كان قيام ليلها يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الاسلام لخطر

كبير ، ولهذا قال بعض العلماء : ان المقصود من كونها خيرا من ألف شهر التكثير فى ثواب عبادتها ، وليس الحصر العددى ، والذى ينبغى فهمه أن هذه الليلة وان كان يعظم فيها قدر الأعمال وثوابها ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم ، فان كونها خيرا من ألف شهر حاصل بسبب أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهو مصدر التشريع الالهى الرفيع ، والدستور الالهى الخطير ، فكانت هذه الليلة خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع العظيمة التى تعود على الجنس البشرى فى عقيدته ، وسمو روحه وأخلاقه ، وقوانين معاشه وأحكام معاده .

لقد كان الناس يعيشون قبل الاسلام فى حروب متتابعة ، فلاتكاد تنتهى حرب حتى تبدأ حرب أخرى أشد وأقسى ، لأسباب بعيدة عن الحق دانية من الباطل ، الى جانب ما كانوا يعتقدونه من ألوهية الأوثان ، وربوبية البشر والحيوان ، وما كانوا يفشونه من مفاسد الأخلاق والعادات ، وأدران الذنوب والمظالم ، فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن حداً فاصلا بين هذا وأمثاله من أنواع الجهالة ، وبين العلم والعرفان ، ومعرفة الواحد الديان ، وقوانين السلوك والأخلاق الفاضلة .

أليس القرآن الذى أنزله الله فى هذه الليلة ، مصدراً للاستقرار والوحدة والتجمع بين الأمة العربية وبين سواها على أساس من العقيدة السديدة ، وتبادل النفع والخير والمحبة والسلام ، فى ظل شريعة عادلة ، لافضل فيها العربى على عجمى الا بتقوى الله تعالى ، فكيف لاتفضل هذه الليلة ألف شهر لم ينزل فيها القرآن والناس فى جهالتهم يعمهون ، أليست ليلة الشفاء خيراً من ألف شهر يقضيها المرء عليلا مهدما .

والمراد من نزول القرآن فيها ابتداء نزوله ـ كما قاله الشعبى ـ فقد بدأ انزاله فيها ثم تتابع انزاله حسب الوقائع التى نزل فى شأنها لمدة ثلاث وعشرين سنة ، هى مدة الدعوة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وروى عن ابن عباس أن القرآن كله نزل ليلة القدر الى السماء الدنيا ، ثم تتابع نزوله منها منجما على النبى صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع ، ولكن ابن عباس لم يرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعل ذلك من قبيل الرأى القابل للصواب والخطأ ، فانه لا حاجة لنزوله دفعة واحدة الى السماءالدنيا ،ففى وسع جبريل وطاقته الملكية الخطيرة ، أن ينقله من اللوح المحفوظ الى الرسول بسرعة تفوق حد الخيال ، كلمادعت الحاجة الى نزول آيات القرآن العظيم .

تعيين ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، ومعظم هؤلاءعلى أنهاليلة السابع والعشرين منه ، وعمادهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » وما صح من روايةأحمد ومسلم وأبى داود والترمذى وغيرهم عن زر بن حبيش أنه قال : قلت لأبى بن كعب : ان أخاك عبد الله بن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، لقدعلم أنها فى العشر الأخير من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين » الى أخر الحديث : قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وخرجه مسلموبقية من ذكرنا ، وقال أبى بن كعب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » أى من رمضان .

وقال أبو بكر بن الوراق ، ان الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر — شهر رمضان — على كلمات هذه السورة ،فلما بلغ السابعة والعشرين أشار اليها فقال (هى) وأيضا فان ليلة القدر تكرر ذكرها ثلاث مرات — وهى تسعة أحرف — فتجىء سبعا وعشرين : اه ولا شك فى أن هذه استنباطات لطيفة الى جانب الحديث الصحيح الذى عين أنها ليلة السابع والعشرين ، وقد تقدم نصه ورواته .

وبعد ما تقدم نقول : ان اختلاف العلماء فى تحديد وقتها تابع لاختلاف الروايات فى ذلك ، ولعل الله تعالى أخفى وقتها ليتعدد طلب العبد لها بألوان الدعاء والعبادة ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة ليجتهد العبد فى الدعاء فى جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام الساعة عن الناس ليديموا الحذر من مفاجأتها •

ونحن نرجح أنها فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى المسجد فى هذه العشر ، وأغلب الظن أنه كان يفعل ذلك لوجودها فيها ، ويساعد على هذا الترجيح ما نقلناه من حديث ابن عمر وحديث زر بن حبيش ، وحديث أبى بن كعب ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله » •

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر »

أى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة على دفعات ، باذن ربهم وأمره من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل فى السنة القابلة ، ليباشروا تنفيذه ، فان فيها يفرق كل أمر حكيم على ماسبق بيانه ، والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والروح هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى « نزل به الروح الأمين : على قلبك لتكون من المنذرين : بلسان عربى مبين » وقيل الروح بمعنى الرحمة •

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، وقيل يسلم الله عليهم ، والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار •

ويجوز أن يكون المعنى أن الله يسالم فيها عباده ويتجاوز عن سيئاتهم السابقة اذا أقبلوا على عبادته جل وعلا ، ويستمر هذا السلام حتى مطلع الفجر •

من يحرز فضلها ؟

يحرز فضل هذه الليلة من قامها احتسابا لوجه الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر

ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه البخارى ومسلم ٠

وقال النووى فى شرحه لمسلم لا ينال فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه المتولى والأوزاعى ، حيث قالا ان فضلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى ٠

احياء ليلة القدر

احياؤها يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة النبوية فى وقت منها ، فلا ينام ليلها كله ، وأخرج مالك فى الموطأ عن سعيد بن جبير « من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها » أى من صلاها فى جماعة فقد نال حظا من قيامها الذى يحرز به فضلها ، قال القرطبى : ومثله لا يقال بالرأى ٠

وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر » ٠

وأخرج الامام أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : ان وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال : قولى: « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » ٠

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة ، قال : اذا قرأ ودعا كان حسنا ، ونحن نقول : اذا ضم الى ذلك الصلاة كان أحسن ٠

أصحاب الحظ السعيد

هم أولئك الذين يكشف الله لهم بعض ملكوت السموات والأرض فيرون الملائكة فيها على صورها ، بين قائم وقاعد وراكع وساجد ، ومسبح ومكبر ، ويشاهدون من عظمة الملك والملكوت مايحير الألباب ويجلى لهم كبرياء ذى الجلال والاكرام ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا واياك أيها القارىء الكريم من أهل شهودها المنتفعين ببركاتها ٠

مصطفى محمد الحديدى الطير

من تراثنا الحديث :

شهر رمضان

للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز

واستدار الزمان، وعاد شهر رمضان.

عاد الينا بعد أن نسينا كثيرا ، وبعد أن سبحنا فى شؤون دنيانا سبحا طويلا عاد رمضان ، وقدر لنا أن نعود معه لنشهد ايامه الغراء ، ونحيى لياليه الزهراء ... ترى هل يمتد بنا العمر ، فنعود اليه كرة أخرى ؟ أم هل يسبق الأجل ، فلا تلقاه بعد عامنا هذا ؟

الا من اتخذ عند الله عهدا أنه سينسأ له فى أجله ، حتى يلقى رمضان فى عام قابل ، معافى فى بدنه موفورا فى رزقه ، ممكنا من تدارك أمره ، صادقا فى نيته ، راشدا فى عزيسته .. من اتخذ عند الله عهدا بذلك ، فليبطىء ما شاء أن يبطىء فى عمله ، وليسترسل ما شاء أن يسترسل فى أمله وليسوف وليؤجل ، ما بدا له أن يسوف ويؤجل .

أما والقدر مستور محجب والأجل قد ينتهى فى لمحة والساعة لا تأتى الا بغتة ، فمن الحمق والله أن نبيع حاضرا بغائب ، وأن نستبدل شكا بيقين . « أفرأيت ان متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شى وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » وفى أى فرصة بعدها يتداركون ؟ أفينتظر كل امرىء منا حتى يجيئه اليوم الذى يقول فيه : « رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » أو يقول : « رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » .

كلا ، بل الحزم كل الحزم ، والكيس ، كل الكيس ، أن نغتنم

هذه الفرصة السانحة ولا نضيع هذه الصفقة الرابحة .

نعم ، انها لفرصة سانحة . الا تعرف من فصول الزمان ، فصلا خصيبا يورق فيه الشجر ، ويتفتح فيه الزهر ، وتطيب فيه التربة ، وتبارك فيه الحبة ، فتؤتى أكلها ضعفين أو أضعافا كثيرة ؟ ..

انه الربيع ، يتحينه الزراع ويترصدونه ليلقوا فيه بذرهم ، وليغرسوا فيه غراسهم ..

هكذا رمضان ، هو ربيع الأرواح ، كل ما أزلفت فيه النفس من خير وبر يزكو وينمو ويربو : صيامه وقيامه وصدقاته وغدواته وروحاته كلها مباركة مضاعفة الأجر ، وحسبه أن فيه ليلة القدر

وما أدراك ماليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر .

فما أجدر المتخلفين منا عن الركب ان يتداركوا فى هذا الربيع ما فاتهم ، وأن يحاولوا اللحاق بالقافلة ، قبل أن ينقطع الطريق بهم .

وما أقدر السائرين منا فى هذه القافلة السماوية على أن يضاعفوا اليوم جهودهم ، وأن يستحثوا مطاياهم وركائبهم ، ليزدادوا اقترابا من مثلهم العليا .

ألا وليكن أول ما نبدأ به حين نستمع الى هذا النداء ، أن نلتفت التفاتة يسيرة الى الوراء ، لنحصى على انفسنا سقطاتنا وزلاتنا ، ولنمحو بماء الندم ما مضى من تفريطنا فى حق ربنا ، ولنوطن العزم على الجد والاستقامة فى مستقبل أمرنا . .

تلك هى الخطوة الأولى فى الاستجابة لداعى الله ، وتلك هى حقيقة الاستغفار الذى جعله الله ضمانا للأمن والأمان ، فى هذه الحياة ، وفيما بعد هذه الحياة ، وذلك حيث يقول عز شأنه مخاطبا رسوله الرؤوف الرحيم « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فكان للأمة اذ ذاك حصانتان من البلاء : حصانة بوجود الرسول بين ظهرانيهم وحصانة باستغفارهم لذنوبهم واليوم وقد ذهبت الحصانة الأولى ولم يبق لنا الا الحصانة

الثانية . فان ضيعناها هى الأخرى باصرارنا على اقرار الكفر، والالحاد، واهمالنا لقمع الفجور والفساد فسوف يسلط الله علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ، وسوف يهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ولن يكون لنا منه يومئذ ضمان ولا أمان ،فان من لا ايمان له لا أمان له « فاى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون » .

فلنبدأ عملنا فى هذا الشهر الكريم بالاقلاع عن كل ظلم ، والتوبة والإنابة من كل اثم : « ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا » ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . فاذا أتممنا هذه الخطوة السلبية بالتنزه والتطهر ، بقى علينا أن تتبعها خطوة ايجابية بالتجمل والتكمل ، والبناء والانشاء .. نعم ، بعد أن تفرغ قلوبنا من ظلمات الشهوة ، يجب أن نملأها بنور الحكمة فليس الشأن كل الشأن فى رمضان أنه شهر الجلد والمقاومة ، ولكنه فوق ذلك هو شهر الهدى والرحمة .. هدى ورحمة منشوران على الأرض، وهدى ورحمة مرسلان من السماء.

فيه تزدحم بيوت الله ليلا ونهارا بالراكعين والساجدين ، والقارئين والذاكرين ، والمرشدين والمسترشدين وفيه تفيض قلوب المؤمنين رحمة وحنانا ، وبرا واحسانا ، بالفقير والمسكين،واليتيم وابن السبيل فذلك هو الهدى وتلك هى الرحمة المنشوران على الارض .

وفيه أنزل القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وفيه تصب الرحمات ، وتستجاب الدعوات : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » فذلك هو الهدى وتلك هى الرحمة المرسلان من السماء .

أيها الصائم : ان العاقل ، لا يقدم على أمر الا اذا رسم هدفه وحدد غايته ، وان المؤمن ، لا يعمل عملا الا اذا صحح فيه نيته ، وتبين سداده واستقامته . فهل حددت هدفك من صيامك وصححت نيتك

فيه ؟ أم هى العادة الموسمية ، والمتابعة للعرف السائر ؟

انى لاربأ بك أن تكون فى مسلكك هذا ، أسيرا لعادة من العوائد ، فردية كانت أو جماعية ، فان الله الذى جعل زمام قيادتك فى عقلك وقلبك ، لا يرضى لك أن تتبدل من هذه القيادة الرشيدة قيادة العادات العمياء ، التى تجعل منك آلة أو شبه آلة . وان الله الذى خلقك سيد نفسك ، يكره منك أن تكون امعة تصوم كمايصوم الناس وتفطر كما يفطرون ، وانت لا تدرى فيم صاموا ولا فيم افطروا.

اما اذا كنت فكرت وقدرت ، وآثرت هذه التضحية والحرمان عن بصيرة وبينة ، فحدثنى مليا عن دخيلة نفسك وصف لى حقيقة الخير الذى تبتغيهمن هذا الصوم.

هل رأيت فيه استجماما لأجهزتك ، وتجديدا لأنسجتك ، وحمية تصحح بها بدنك،أو وجدت فيه اقتصادا لشىء من نفقاتك ، وادخارا لبعض أوقاتك ؟ أو رأيت فيه فرصة لاعلان شدة مراسك وقوة احتمالك وتحديك للشدائد والآلام واستعدادك لنوب الزمان ؟ أيها الصائم ..

اننى لست أنكر ، أن يكونمن خصائص الصيام ، الوفاء بهذه الوظائف كلها ، واضعاف اضعافها ولكنى أحذرك واندرك أحذرك ، أن يكون هدفك وهمك شيئا ، من هذه الأغراض النفعية وأشباهها واندرك بأنك ان فعلت ذلك . لم تزد على أن تكون رجلا رياضيا جسورا ، أو اقتصاديا دقيق الحساب ، أو متطببا يلتمس أيسر السبل للوقاية أو العلاج ، أو ماشئت ان تكون غير ذلك . أما أن تحسب نفسك صائما فى نظر الاسلام فلا ..

فالصوم فى الاسلام لا يكفى فيه هذا المظهر السلبى المادى ، الذى يقوم على اجتناب المفطرات لأى باعث كان ، ولأى هدف اتفق وانما هو قبل كل شىء عمل روحى ايجابى ، يتحرى فيه العامل الهدف الذى حددته له الشريعة ، ويجعل

نيته فيه ، وفقا لارادة ربه منـه • فاعـرف اذا ، ماذا اراد ربك من صومك ، واعمل على أن تكون نيتك وفقا لارادته ، وليكن أول ماتذكره من ذلك ، ان الله الرحيم ، لا تعنيه من صومك حرارته ومرارته ، ولا يناله من جسـمك ذبوله وهزاله ، وانه اذا كانت هنالك أديان ونحل، ترى فى ألم الجسم مقعدا يطلب • وترى فى الارتفاق بالطيبات عدوا يحارب ، فليس الاسلام من بـين هـذه الاديان • كيف وهو الذى يقول « لاتحرموا طيبات ما أحـل الله لكم » ويقول : « يريد اللـه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » انه لو كانت غاية الصوم هى اشعار الصائم بالجـوع والعطش ، لكان الرجل العادى ، يكفيه صوم جـل اليوم ، بدل صـومه كله ، ولكان الرجل الفاقد لشـهية الطعام يجب عليه أن يضيف مدة أخرى يشـعر فيها بألم المخمصة ، ولكننا نعلم ، أن الذى يزيد فى مدة الصوم ، ولا يتحلل من حرمانه ولو بالنية عنـد غروب الشمس ، آثم • وان مثله فى الاثم كمثل الذى ينقص من مدة الصوم فيفطر قبل الغروب • ونعلم من جهة أخـرى أن الذى يراعى شرائط الصوم وحدوده ، وهو على صـومه معان ، وله ميسر مبرور مأجور ، كالذى يكابد فيه شـيئا من تغير المزاج •

ليس هدف الصوم اذا هو هذا الألم البدنى ، وان كان هذا الألم قد يقع فى طريقه • أن الله عز وجل حين قال لنا « كتب عليكم الصيام» لم يقل : لعلكم تتألمون ، كما أنـه لم يقل لعلكم تصحون ،أو لعلكم تقتصدون ، وانما قال : « لعلكم تتقون » فجعل الصوم اختبارا روحيا ،وتجربة خلقية واراد منه أن يكون وسيلتك الى نيل صفـة المتقين ، واداتك فى اكتساب ملكة التقوى •

التقوى • هـذا هو الهـدف الحقيقى ، الذى ان اصبته جاءت من ورائـه كل الثمرات مكرهـة راغمة وان اخطأته فقد أضعت عملك كله سدى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب »

فما أدراك ما التقوى ؟ انك لن تحيط بكنهها ، ولن تقدرها ، حق قدرها الا اذا عرفت طبقات الكائنات ومراتب الوجود . فاعلم ان للوجود ثلاث مراتب «مرتبة السيادة العظمى» وهذه قد استأثر بها الواحد الأحد الفرد الصمد .. «ومرتبة العبودية الدنيا» . وهذه هى مرتبة الكائنات العاجزة المسخرة لقانون الطبيعة ، والتى ليس لها من الحرية نصيب كالجماد والحيوان . وان الانسان ليهبط الى هذه المنزلة اذا وقع أسيرا فى قبضة شهواته . بين هاتين المرتبتين مرتبة تجتمع فيها السيادة على الكون .. والعبودية لخالق الكون وتلك هى المنزلة التى يصعد اليها الانسان ، اذا وقف يتلقى أوامره العليا من ربه ، ثم جعل يلقى هذه الأوامر على جنوده من القلب والجوارح .

فاذا اسلمت له تلك الجنود مقاليدها ، فصار قائدا مطاعا فى جنده ، سيدا مهيبا فى مملكته الصغيرة فقد نال صفة القوى ، وأصبح جديرا بالاستخلاف فى الارض والتمكين له فيها . وأكرم بعبودية هى عين السيادة .

تلك هى التقوى التى أراد الله أن تكون ثمرة صيامك . وهى فى الحقيقة هدف مشترك بين العبادات والطاعات جميعا . غير أن للصوم فى تحصيلها أثرا أوسع وأعم . والمنزلة التى يبلغها الصائم بين مراتب المتقين . هى أعلى المراتب وأسماها .

اما أن أثر الصوم فى التقوى أوسع وأعم ، فلأن التقوى التى تثمرها هذه الواجبات انما هى كف عن المحارم . أما الصيام فانه يجىء من وراء هذه الدائرة المحظورة ، فيضيف اليها نطاقا جديدا . يعلمنا به كيف نكف عن بعض الحلال المباح ؟ وكيف نستغنى أحيانا عما هو فى العادة من مقومات الحياة فاذا كانت الطاعات الأخرى تورث أوائل درجات التقوى ، بالاعتدال والاستقامة ، فان الصيام يورث نهاية درجاتها ، بالزهد والورع .

ان منزلة الصيام ، هى أسـمى مراتب التقوى ، وأكرمها عند الله فان فى سـائر العبـادات جوانب تحببها الى النفـوس الكـريمة ، وتقربها من مقتضى الطباع السليمة

ففى الصلاة مثلا ، حلاوة المناجاة وفى الزكاة ، اريحية الجود والكرم وفى الجهاد عزة الحميةواباء الضيم أما الصـيام فانه ليس فيه معاونة من الطبـع ، بل فيه على العكس معاندته ومقاومته ، فكان أقـرب الأعمال الى الخلوص عن الشوائب. ولعله من أجل ذلك كانت الأعمال كلها يثاب عليها بأضعاف معلومة ، من العشرة الى السـبعمائة ، الا الصوم فان تضعيف جزائه لايدخل تحت حصر ولا عد ، كما جـاء فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم لـه الا الصـوم فانه لى وأنا أجزى به » ومصـداقه فى الكتاب العـزيز : انما يوفى الصـابرون أجرهم بغير حساب .

هذا الفضل العظيم انما هو كما قلنا ، لمن فقه حكمة الصوم وصحح فيه نيته ، وذلك انما يكون بجعله نهاية الطهر لا بدايته . فبـداية الطهر ، طهر الأبرار ، بترك المحارم ونهاية الطهر طهر الأخيار بالتحـرر من عادة الترف والعيش الناعم ،حتى اذا جاء الغد ، وجد الجد ، ودعا الداعى الى التضحية العظمى نكون لقد أخذنا للأمر عدته ،حيث مارسنا الصـبر وشـدته ويومئـذ نرضى بالظمأ ، والنصب ، والمخمصـة فى سـبيل الواجب ، ولا نرضى أبدا أن نعود الى الترف والنعيم تحت الذل وفى قبضة الغاصب .

وتلك هى عبـرة السـاعة من درس الصيام ...

بلال .. والأذان :

كان أذان « بلال » للمرة الأولى على اطلال الوثينة هو فى الواقع انشودة الحرية الأولى للعالم ، وترنيمة الفلاح الكبرى التى حملتها الريح فى اعطافها الى أذن الانسانية الراسفة فى قيودها والمصفدة فى اغلالها ! لقد كان اذانه فاتحة عصر جديد وتاريخ جديد وحضارة جديدة ... لا دعوة للصلاة فحسب.

بلاغة الأسلوب النبوى

للأستاذ الشيخ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

تمهيد :

قلت فى المقال السابق : ان الله تعالى اختار رسله الكرام — صلوات الله وسلامه عليهم — من صفوة البشر وحملهم أمانة التبليغ عنه ، والدعوة الى دينه .

وأداء هذه المهمة السامية لا يتأتى الا بأن يتوفر لكل رسول القدرة على صحيح البيان ، وحسن الأداء ، وفصاحة اللسان وبلاغة المقال ، واستقامة الحجة ، وقوة البرهان .

واذا كانت بلاغة القول أمرا لازما تقتضيه مهمة كل رسول من رسل الله السابقين — كما بينا — فهى بالنسبة لرسولنا الأكرم أشد لزوما ، وأكثر حاجة ، وأعظم أثرا ، اذ قد بعث صلوات الله وسلامه عليه فى أمة عربية تعتز بالفصاحة ، وتتبارى فى البلاغة ، وتمجد البيان ، فتسمو بأهل الاجادة والبراعة فيه الى أعلى مناصب الرفعة والتكريم ، فاقتضت الحكمة الآلهية أن يؤيد الرسول بالمعجزة الباهرة الخالدة ، وأن تكون تلك المعجزة من جنس ما يشغل فراغ القوم ، ويأخذ بألبابهم ، فأنزل عليه القرآن الكريم ، فبهرهم بجزالة المعنى ، وفخامة اللفظ ، وحسن السياق ، واحكام النظم ، فخر أئمة البيان صاغرين أمام عظمته ، وأذعنوا لاعجازه ، واقتضت الحكمة الالهية أيضا أن يكون هذا الذى أنزل عليه القرآن المعجز فى درجة من البيان تلى ذلك الكتاب الكريم ليستطيع أن يبلغه فى صورة مشرقة .

لذا أتم الله تعالى على نبيه نعمة البيان ، فكان المثل الأعلى فى فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، وروعة الأداء .

وقد حاولت أن أذكر بعض النماذج لبلاغة الأسلوب النبوى فقلت ان البلاغيين يعرفون البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

وبينت أنه ما من شأن من الشئون تكلم فيه الرسول عليه الصلاة والسلام الا واستكملت فيه رعاية المطابقة لمقتضى الحال بأفصح أسلوب وأبلغ عبارة ، وذكرت مثالا لهذا .

وفى هذا المقال أحاول أن أذكر مثالا آخر ، وأعرض لبعض آخر من صنوف البلاغة فأقول : روى البيهقى وابن حبان والطبرانى وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام ــ بسند صحيح ــ كما قال السيوطى ــ (أن زيد بن سعنة جاءه صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه ــ يتقاضاه دينا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبيه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ، ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر ، وشدد له فى القول ، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبتسم ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال صلى الله عليه وسلم : لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه) .

تفسير الكلمات :

(زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين وفتح النون ، وهو حبر من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالا وعلما ، حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفى مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك .

(مطل) بضم الميم والطاء ، جمع ماطل ، وهو من يتلكأ فى سداد الدين مع القدرة على الأداء .

(بحسن القضاء) أداء الدين على وجه مرضى .

(بحسن التقاضى) أى المطالبة بالدين فى تيسير ورفق .

(بقى من أجله ثلاث) أى بقى من تأجيل الموعد لسداد دينه ثلاثة أيام .

(ويزيده عشرين صاعا) المراد اعطاؤه ذلك القدر من تمر — كما جاء فى شرح الحديث — (نسيم الرياض لشفاء القاضى عياض) للشهاب الخفاجى .

(لما روعه) أى أمر صلى الله عليه وسلم باعطاء هذا القدر المذكور لصاحب الدين ، لترويع عمر له — اذ هم بقتله — كما جاء فى بعض روايات الحديث التى أوردها صاحب الشرح السابق .

(فكان سبب اسلامه) أى فكان حسن صنيع النبى صلى الله عليه وسلم معه سبب دخوله فى الاسلام .

هذه الواقعة تعتبر من أصدق الشواهد على أنه — عليه الصلاة والسلام — سلك ما يقتضيه الحال فى أروع صورة ، وأكرم موقف ، وبأحكم قول ، وأبلغه ، وأبينه .

فهذا رجل يهودى ، جاء الى النبى — صلى الله عليه وسلم — يطلب دينه قبل موعده الذى التزمه ، ولم يكتف بأنه نقض عهده فى تأجيل هذا الدين ، فذلك يقتضيه أن يطلبه فى رفق واستحياء ، ولكنه طلبه فى حال بالغة من العنف والبشاعة ، اذ جذب بشدة ثوبه — عليه الصلاة والسلام ، وقبض على مجامع ثيابه ، ووجه اليه كلاما جافا نابيا ، عدا به على كرامته ، وكرامة قومه : (انكم يا بنى عبد المطلب مطل) .

ولقد بلغ سوء التصرف من اليهودى ، وقبح مقاله الى حد أثار عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ، اذ رأى فى هذا عدوانا أثيما على مقام الرسول الكريم ، فزجر هذا الرجل ، وشدد له فى القول ، وهم بقتله — كما جاء فى بعض روايات الحديث .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام — بخلقه العظيم ، وبمكانه الرفيع ، وأفقه الأعلى يبتسم رضا بثورة عمر على الظلم والباطل ، وحماسه للعدل والحق ، ووفائه العظيم للرسول الأمين — ولم يستفزه — صلوات الله وسلامه عليه — ما صدر من الرجل ، ولم يحمله سوء تصرفه على أن يوافق عمر على الانتقام منه ، ومقابلة

الاساءة بمثلها ، فوجهه ــ عليه الصلاة والسلام ــ الى أهدى سبيل ، وأقوم نهج ، وأكرم سلوك .

فبين لعمر الموقف الذى ينبغى أن يقفه ، والمهمة التى كان يجدر به أن يؤديها ، فقال له :

(أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى) .

وفى هذا أروع صورة للتواضع العظيم ، والقول الرشيد ، حيث جعل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نفسه واحدا من الأمة يتوجه الأمر اليه من أحد أتباعه ، وسوى بينه وبين خصمه اليهودى فى طلب توجيه الأمر الى كل منهما ، بل وبدأ بنفسه فى هذا فقال :

(تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى) .

وأراد ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يشعر الرجل ببعض خطئه ، وأن يضرب المثل الأعلى ، والأسوة الطيبة فى الصبر على ما بدر من صاحب الدين ، والتغاضى عن اساءته ، والترفق فى معاملته ، فقال : (لقد بقى من أجله ثلاث) وفى أمره صلى الله عليه وسلم لعمر بالذات أن يقضى الرجل ماله ــ مظهر من مظاهر الترضية لهذا الرجل ، لأن عمر ــ رضى الله عنه ــ هو الذى انتهره ، وشدد له فى القول ، فيكون فى قيامه بأداء ماله تطييب لخاطره .

ومن أروع مقابلته ــ عليه الصلاة والسلام للاساءة بالاحسان ، ودفعه للسيئة بالتى هى أحسن ــ أنه لم يكتف بأمر عمر ــ أن يدفع اليه حقه الذى طلبه قبل موعده ، وأساء فى طلبه ، بل أمر عمر أيضا ــ أن يزيده على حقه عشرين صاعا ــ نظير تخويفه وترويعه ــ ، فأى اكرام للمسىء يرتفع الى هذا المقام ؟

وأى رعاية لمقتضى حال كل من الرجل وعمر تسمو الى هذه الرعاية ؟

وأى قول يبلغ فى بيان واجب كل من المتخاصمين والحاضر لخصومتهما ما بلغه هذا القول

النبوى مع الفصاحة والاشراق ؟ **ان الناظر فى هذه الواقعة نظرة فاحصة — يدرك ادراكا جازما — أن الله تعالى — كما جعل رسوله — صلى الله عليه وسلم — مثلا أعلى فى فضله وكما له — جعله نموذجا فريدا فى قوله وبيانه .**

وحسبنا شاهدا على ما تقول — ان تلك الواقعة — بما اشتملت عليه من حكمته — عليه الصلاة والسلام — فى التصرف ، وسداده فى القول — جعلت من هذا العدو الألد ، العنيف الخصومة — بشرا سويا ، يفارق دينه ويدخل فى الاسلام ، مذعنا لمبادئه ، معجبا بسماحته ، معتزا بتعاليمه ، مدافعا عنه ، مجاهدا فى سبيل ربه ، فشهد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كثيرا من المشاهد والغزوات ، فصار أهلا للعطاء الالهى الكريم الدال عليه قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين[1] » .

٢ — قد يكون الكلام مناسبا للخاصة من الناس ، بليغا فى حقهم ، لكنه يرقى عن مستوى العامة ، فلا يدركون له مغزى ، ولا ينالون منه نفعا ، وقد يكون واضحا لدى العامة ، لائقا بهم ، لكنه يكون مبتذلا عند الخاصة ، لا يظفر منهم باعجاب ، ولا يحظى بتقدير ، وقلما يوجد كلام تشترك الطائفتان فى فهمه ، وادراك مقاصده ، واعتباره .

لكن كلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان بينا هادفا ، حاسما ، يفهمه جميع السامعين .

روى أبوداود عن عائشة — رضى الله عنها — قالت :

كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — كلاما ، فصلا ، يفهمه كل من سمعه .

الحديث موصول .

منشاوى عثمان عبود

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩

تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف

لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى

— ٢ —

هدى الصحابة فى تغير الفتوى :

والناظر فى هدى الصحابة وسنة الراشدين — رضى الله عنهم — يجدهم أفقه الناس فى استعمال هذه القاعدة — قاعدة تغير الفتوى بتغير موجباتها — ولذلك أمثلة عديدة يجدها من طلبها فى مظانها . نذكر شيئا منها هنا :

تغير فتواهم فى عقوبة شارب الخمر :

فمما تغيرت به فتواهم بتغير الزمن والحال عقوبة شارب الخمر . فانه لم يكن فيها فى زمن رسول الله — صلى عليه وسلم — حد مقدر ، وانما جرى الزجر فيه مجرى التعزير .

روى البخارى عن عتبة بن الحارث : أن النبى صلى الله عليه وسلم — أتى بنعيمان أو ابن نعيمان ، وهو سكران ، فشق عليه ، وأمر من فى البيت أن يضربوه ، فضربوه بالجريد والنعال ، وكنت فيمن ضربه (١) .

وروى أيضا عن أبى هريرة قال: أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — برجل قد شرب ، قال : اضربوه ، قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ! قال : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان ! (٢) .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر وابن جريج : سئل ابن

(١، ٢) كتاب الحدود من صحيح البخارى . باب : الضرب بالجريد والنعال .

شهاب : كم جلد رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخمر ؟ قال : لم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرض فيها حدا ، كان يأمر من حضره يضربون بأيديهم ونعالهم ، حتى يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارفعوا (١)

وروى أيضا نحو ذلك عن عبيد ابن عمير من كبـار التـابعين (٢) وسيأتى بعد ..

بل ورد : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يضرب الشـارب أصلا فى بعض المواقف . وذلك فيما أخرجه أبو داود والنسائى بسـند قوى ـ كما فى الفتـح ـ عن ابن عباس : أن رسول الله صلى اللـه عليه وسـلم ـ لم يوقت فى الخمر حدا . قال ابن عباس : وشرب رجل فسـكر ، فانطلق به الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما حاذى دار العباس ، انفلت فدخـل على العباس فالتزمه ، فذكر ذلك للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضحك ، ولم يأمر فيه بشىء (٣) .

وأخرج الطبرى من وجه آخر عن ابن عباس « ما ضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخمر الا أخيرا . ولقد غزا تبوك فغشى حجرته من الليل سكران ، فقال : ليقم اليه رجل فيأخذه بيـده حتى يرده الى رحله » (٤) .

والظاهر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تساهل فى أول الأمر لقرب عهدهم من حل الخمر ، حتى اذا استقر التشريع ضرب وجلد ، وان لـم يوقت حـدا . بل جـلد الأربعـين ودون الأربعـين وفوق الأربعين كما يبدو ذلك من مجموع الروايات .

ولـما انتهى الأمر الى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قرر العقوبة أربعين على طريق النظر كما قال الشاطبى (٥)

(١ ، ٢) المصنف ج ٧ ص ٣٧٧
(٣) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٧ ط الحلبى .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الاعتصام ج ٢ ص ١١٨
(٦) المصدر السابق .

فقد روى البيهقى عن ابن عباس أن الشراب كانوا فى خلافة أبى بكر أكثر منهم فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال أبو بكر : لو فرضنا لهم هذا ! فتوخى لهم نحوا مما كانوا يضربون فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكان أبو بكر رضى الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفى (١) •

وهذا يدل على أن تقديره للضرب فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقدير تقريبى • كما جاء فى حديث أنس أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضرب نحوا من أربعين • وكلمة « نحوا » تدل على التقريب لا على التحديد •

وروى عبد الرزاق عن أبى سعيد الخدرى : أن أبا بكر ضرب فى الخمر بالنعلين أربعين (٢) والضرب بالنعلين ليس من جنس ضرب الحدود المقدرة •

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ شاور الناس فى جلد الخمر ــ وقال ان الناس قد شربوها واجترأوا عليها ! فقال على : ان السكران اذا سكر هذى، واذا هذى افترى (أى قذف الأبرياء) فاجعله حد الفرية (أى القذف) فجعله عمر حد الفرية ثمانين (٣) •

ومعنى هذا أنهم أقاموا السبب مقام المسبب ، أو المظنة مقام الحكمة، فرأوا الشرب ذريعة الى الافتراء الذى تقتضيه كثرة الهذيان •

وجاء فى سبب هذه المشاورة من عمر أن خالد بن الوليد كتب اليه : ان الناس قد انهمكوا فى الشرب وتحاقروا العقوبة (٤) •

---

(١) السنن الكبرى ج ٨ ص ٣٢٠

(٢) المصنف لعبد الرازق ج ٧ ص ٣٧٩

(٣) رواه عبد الرازق ج ٧ ص ٣٧٨

(٤) رواه أبوداود والنسائى من حديث عبد الرحمن بن أزهر ــ كما فى الفتح المذكور

وروى مسلم والنسائى أن عبد الرحمن بن عوف قال لعمر حين استشارهم : أخف الحدود ثمانون . فأمر به عمر (١) .

وفى مرسل عبيد بن عمير — عند عبد الرزاق — قال : « كان الذى يشرب الخمر يضربونه بأيديهم ونعالهم ويصكونه ، فكان ذلك على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر ، وبعض امارة عمر ، ثم خشى يغتال الرجل ، فجعله أربعين سوطا ، فلما رآهم لا يتناهون جعله ستين ، فلما رآهم لا يتناهون جعله ثمانين ، ثم قال : هذا أدنى الحدود (٢) .

وهذا يدل على أنه وافق عبد الرحمن فى أن الثمانين أخف الحدود ، أى الحدود المذكورة فى القرآن ، فهو أخف من حدى : الزنى والسرقة .

وقد روى البخارى عن السائب ابن يزيد قال : كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وامرة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، فنقوم اليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى كان آخر امرة عمر ، فجلد أربعين ، حتى اذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين (٣)

والمراد بآخر امرته وسطها ، كما يدل عليه قوله « وصدرا من خلافة عمر » وقد روى النسائى الحديث نفسه بلفظ (٤) حتى اذا كان وسط امارة عمر فجلد فيها أربعين ، حتى اذا عتوا .. الخ (٥) .

أما عثمان فجلد ثمانين وأربعين ، وعلى ورد عنه الأمران . وقال : كل سنة . ومعاوية أثبت الجلد ثمانين (٦) .

---

(١) الفتح ج ١٥ ص ٦٧
(٢) المصنف ج ٧ ص ٢٧٧ ، ٣٧٨
(٣) البخارى — باب الضرب بالجريد والنعال .
(٤) الفتح : ج ١٥ ص ٧٣
(٥) سنن الدارقطنى ج ٣ ص ١٥٧ — ١٥٨ والفتح ج ٥ ص ٦٤ — ٧٧
(٦) رواه الدارقطنى وغيره .

والذى يعنينا مما ذكرناه هنا أن الصحابة — رضى الله عنهم — لم يثبت لديهم أن النبى — صلى الله عليه وسلم — وقت فى الخمر حدا معينا ، ولو ثبت لهم ذلك ، لم يحتاجوا الى المشاورة فيه ، والى استعمال الرأى بالقياس على القاذف أو أخف الحدود ، وغير ذلك من الاعتبارات .

واذ لم يثبت لديهم نص ملزم ، فقد تغير حكمهم واختلفت فتواهم بتغير الزمن ، واختلاف الأحوال ، كما نجد ذلك واضحا فى خلافة عمر الذى جلد أربعين ثم ستين ، ثم ثمانين ، كلما رأى الناس لا يتناهون ولا يزدجرون .

بل ورد أن عليا — رضى الله عنه — زاد العقوبة على ثمانين فى بعض الأحوال . فقد روى أن النجاشى الحارثى الشاعر قد شرب الخمر فى رمضان ، فضربه ثمانين ، ثم حبسه، فأخرجه من الغد ، فضربه عشرين ، ثم قال له : انما جلدتك العشرين لجرأتك على الله ، وافطارك فى رمضان (١)

هذا مع ما ورد عن على فى روايات أخرى أنه استحب ألا يزيد فى الجلد على أربعين .

وجاء عن عمر أنه زاد النفى على الضرب فى مثل هذه الحالة ، لما فيها من انتهاك حرمة الشهر الكريم . فقد أتى بشيخ شرب فى رمضان فقال : للمنخرين، للمنخرين ! ؟ (أى كبه الله للمنخرين) أفى شهر رمضان وولداننا صيام ؟ ! فضربه ثمانين ، ثم سيره الى الشام (٢) .

وهذا يدل أن العقوبة تختلف باختلاف حال المجرم ، ومقدار عتوه واشتهاره بالفجور وتكرر الجريمة منه مرة بعد مرة ، وعدم ارتداعه بالعقوبة . فمثل هذا يشدد عليه ، بخلاف من لم يشتهر بفسق ولا فجور .

---

(١) المصنف ج ٧ ص ... والبيهقى ج ٨ ص ٣٢١

(٢) انظر : المصدرين السابقين .

ولهذا جاء فى بعض الروايات : أن عمر كان اذا أتى بالرجل الضعيف تكون منه الزلة ، جلده أربعين (١) أى بخلاف الفاجر المصر على الكبيرة .

وهذا ما جعل عمر بن عبدالعزيز يقول : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور .

والعجيب أن على بن أبى طالب رضى الله عنه — الذى أشار على عمر بجلد الشارب ثمانين ؛ لأن الشرب مظنة الافتراء والقذف،رجع عما أشار به على عمر ، ورأى بعد ذلك أن يكتفى بأربعين ، كما جاءت بذلك الروايات ، وان ضعفهاالبعض وردوها .

ولا حاجة الى ردها فيما أرى . فما دامت العقوبة غير مقدرة نصا ؛ فهى متروكة لأولى الأمر واجتهادهم .

فلعل عليا — رضى الله عنه — رأى الناس قد ارتدعوا فى زمنه بعد تغليظ العقوبة فى حقهم ، فرأى العودة الى التخفيف ، كما كان عليه الحال فى عهد النبوة وخلافة أبى بكر .

وفى الصحيحين عن على — رضى الله عنه — أنه قال : ما كنت لأقيم حدا على أحد فيموت ، وأجد فى نفسى شيئا ، الا صاحب الخمر ، فانه لو مات وديته (أى دفعت ديته لأهله) وذلك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يسنه (يعنى لم يقدر فيه حدا معلوما) .

ولهذا حكى الطبرى وابن المنذر وغيرهما عن طائفة من أهل العلم : أن الخمر لا حد فيها ، وانما فيها التعزير ، بدليل الأحاديث الصحيحة التى سكتت عن تعيين عدد الضرب، وما جاء عن ابن عباس وابن شهاب من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يقتصر فى ضرب الشارب على ما يليق بحاله (٢) .

---

(١) الفتح ج ١٥ ص ٧٦ وأنظر : سنن الدارقطنى ج ٣ ص ١٥٧ بتحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى .

(٢) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٧ ط الحلبى .

وبهذا تعقب الحافظ فى «الفتح» نقل من حكى الاجماع على أن فى الخمر حدا واجبا .

وقال الامام الشوكانى فى متن « الدرر البهية » : مَن شرب مسكرا ــ مكلفا مختارا ــ جلد على مايراه الامام . أما أربعين جلدة ، أو أقل ، أو أكثر ، ولو بالنعال » .

وأكد ذلك شارحه السيد صديق حسن خان فى « الروضة الندية » أخذا من مجموع الأحاديث الواردة فى الباب قائلا : فيكون على هذا من جملة أنواع التعزير (١) .

والظاهر من صنيع الامام البخارى فى صحيحه « أن هذا هو مذهبه أيضا . كما ذكر الحافظ ابن حجر . قال : فانه لم يترجم بالعدد أصلا ، ولا أخرج هنا فى العدد الصريح شيئا مرفوعا » (٢) .

والمقصود من كل ما ذكرناه هنا : هو بيان تغير فتوى الصحابة ــ رضى الله عنهم فى عقوبة شارب الخمر من عصر لعصر ، ومن حال لحال ، حيث لم يلزمهم نص بحد معين عن الله ورسوله . وهو يوكد ما قلناه ومن وجوب تغير الفتوى بتغير موجباتها .

تغير فتوى الصحابة فى زكاة الفطر :

ومثل آخر نضربه لتغير الفتوى بتغير موجباتها فى زمن الصحابة رضى الله عنهم ، ونأخذه هذه المرة من باب الزكاة .

فقد فرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ زكاة الفطر ــ : صاعا من طعام ، من تمر أو زبيب أو شعير أو أقط ، كما صحت بذلك الأحاديث .

ولكن صح عن عدد من الصحابة أنهم رأوا فى زمنهم نصف صاع من قمح يعدل صاعا من تمر أو شعير . فأخرجوا نصف صاع من القمح زكاة فطرهم .

---

(١) الروضة الندية بشرح « الدرر البهية » ج ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٢) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٩ ، ٨٠ .

قال ابن المنذر : لا نعلم فى القمح خبرا ثابتا عن النبى — صلى الله عليه وسلم — يعتمد عليه ، ولم يكن البر بالمدينة ذلك الوقت الا الشىء اليسير منه . فلما كثر فى زمن الصحابة رأوا أن نصف صاع منه يقوم مقام صاع من الشعير » (١) .

ثم روى ابن المنذر عن عثمان وعلى وأبى هريرة وجابر وابن عباس وابن الزبير وأمه أسماء بنت أبى بكر: أنهم رأوا فى زكاة الفطر نصف صاع من قمح .

وروى الجماعة عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نخرج زكاة الفطر اذ كان فينا رسول الله — صلى عليه وسلم — صاعا من طعام ، أو صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من زبيب ، أو صاعا من أقط ، فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : انى لأرى مدين (أى نصف صاع) من سمراء الشام (يعنى القمح) تعدل صاعا من تمر .. فأخذ الناس بذلك .

فهؤلاء الصحابة الذين ذكرهم ابن المنذر وغيره ، وكذلك معاوية ومن وافقه ، أجازوا اخراج نصف صاع من القمح ، مع ان المنصوص عليه ، والمعمول به ، منذ زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — انما هو صاع . ولكنهم لما لاحظوا فى زمنهم غلاء ثمن القمح بالنسبة لأثمان الأطعمة الأخرى مثل الشعير والتمر ، رأوا اخراج نصف الصاع من القمح من باب المعادلة والقيمة .

تغير فتوى عمر فى زكاة الخيل :

ومثل ذلك موقف عمر من زكاة الخيل :

فقد روى الامام أحمد والطبرانى أن أناسا من أهل الشام جاؤا عمر فقالوا : انا أصبنا أموالا : خيلا ورقيقا ، نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور ؟ قال : ما فعل صاحباى قبلى فافعله ،

---

(١) انظر ، كتابنا : « فقة الزكاة » ج ٢ ص ٩٣٥ ، ٩٣٦

واستشار أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال على : هو حسن ، ان لم تكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك (١) •

وأخرج عبد الرزاق والبيهقى عن يعلى بن امية قال : ابتاع عبد الرحمن أخو يعلى من رجل من أهل اليمن فرسا أنثى بمائة قلوص (ناقة شابة) فندم البائع ولحق بعمر ، فقال : غصبنى يعلى وأخوه فرسا لى ؟ فكتب عمر الى يعلى : أن الحق بى فأتاه ، فأخبره الخبر ، فقال : ان الخيل لتبلغ هذا عندكم ؟ ما علمت أن فرسا يبلغ هذا ! ؟ فنأخذ من كل أربعين شاة ؛ ولا نأخذ من الخيل شيئا ؟ خذ من كل فرس دينارا ؟ فضرب على الخيل دينارا دينارا (٢)•

ولم تذكر الروايات : أن هذه القصة بعد تلك ، ولكن هذا هو المعقول المناسب ؛ فعمر فى القصة الأولى كان مترددا أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول ولا أبو بكر قبله ، ولهذا استشار الصحابة ، وأشار عليه على برأيه •

وأما فى القصة ، فانظاهر أنه لم يستشر أحدا ، بل كانت القضية واضحة أمام فكره تمام الوضوح ، وكون فيها رأيه بعدما رأى وسمع ، وأمر واليه ان يأخذ من كل فرس دينارا (٣) •

فهنا غير عمر فتواه فى زكاة الخيل ، بتغير الزمن والحال ولم يجمد على ما انتهى اليه الرأى فى القصة الأولى ، فان الاجتهاد يتغير بتغير ملابساته •

وقد أفتى مرة بفتويين مختلفتين فى قضية واحدة ، فى زمنين مختلفين ، فلما سئل فى ذلك ؟ قال : ذلك على ما علمنا ، وهذا على ما نعلم •

فتوى عمر فى المؤلفة قلوبهم :

ومن ذلك مارآه عمر من ايقاف اعطاء الزكاة لمن عرفوا فى العهد النبوى

---

(١) فقه الزكاة ج ١ ص ٢٢٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٩

وعهد أبى بكر باسم « المؤلفة قلوبهم » وقال : ان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم .

وليس ذلك نسخا لما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ولا اسقاطا لهذا السهم الى الأبد ، كما فهم ذلك بعض الأئمة . بل الصواب أن السهم باق لم يلحقه نسخ اذ لا نسخ بعد انقطاع الوحى ، وكيف ينسخ عمر والصحابة معه ما يثبت بالقرآن والسنة ، وظل النبى — صلى الله عليه وسلم — يعمل به الى آخر حياته ، وعمل به ابو بكر من بعده ؟

كل ما فعله عمر ، أنه لم ير حاجة الى التأليف — فى عهده — ومنع أناسا استمأروا الأخذ من الزكاة تحت عنوان التأليف .

وتقرير الحاجة الى التأليف أو عدمها ، واختيار الاشخاص أو الفئات التى تتألف قلوبها ، من حق الامام بمشورة أهل الرأى من حوله . وهو أمر تتغير فيه الفتوى من زمان الى زمان ، ومن حال الى حال (١) .

فتوى عمر فى طلاق الثلاث :

ومن ذلك ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية من الزامه رضى الله عنه للمطلق ثلاثا بكلمة واحدة بالطلاق ، وهو يعلم انها واحدة ، ولكن لما رأى اكثار الناس منه رأى عقوبتهم بالزامهم به ، ووافقه على ذلك رعيته من الصحابة . وقد أشار هو الى ذلك فقال : « ان الناس قد استعجلوا فى شىء كانت لهم فيه أناة ، فلو أنا أمضيناه عليهم ؟ » فأمضاه عليهم ليقلوا منه . فانهم اذا علموا أن أحدهم اذا أوقع الثلاث جملة واحدة ، وأنه لا سبيل له الى المرأة : أمسك عن ذلك ، فكان الالزام به عقوبة منه ، لمصلحة رآها . ولم يكن يخفى عليه أن الثلاث كانت فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر : تجعل واحدة ، بل مضى على ذلك صدر خلافته ، حتى أكثر الناس من ذلك ، وهو اتخاذ لآيات الله هزوا — كما فى المسند وسنن النسائى وغيرها من حديث محمود بن لبيد ... فلما

---

(١) انظر : كتابنا « فقه الزكاة » ج ٢ ص ٥٩٨ — ٦٠٨ حيث حققنا بقاء سهم المؤلفة قلوبهم ، وفندنا القول بنسخة ، وبينا فقه عمر فى المسألة.

أكثر الناس من ذلك عاقبهم به • ثم انه ندم على ذلك قبل موته ، كما ذكره الاسماعيلى فى مسند عمر (١)•

تغير الفتوى فى قسمة الأرض المفتوحة:

ومما تغيرت فيه الفتوى فى زمن الصحابة : قضية قسمة الأرض التى يفتحها المسلمون عنوة على الفاتحين المقاتلين ، وما حدث فيها من خلاف فى زمن عمر رضى الله عنه •

فقد رأى بلال ومعه بعض الصحابة ان تقسم أرض الشام بعد فتحها على من فتحوها بسيوفهم ، محتجين بأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قسم أرض خيبر بعد فتحها ، وهو موافق لعموم قوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه •• » الآية• ويفهم منها أن أربعة أخماسها للفاتحين ، وفى بعض الروايات : انه صلى الله عليه وسلم قسم نصف خيبر ، ووقف نصفها لنوائبه •

ولكن عمر ومعه جماعته من فقهاء الصحابة مثل على ومعاذ ــ رضى الله عنهما ــ رأوا عدم تقسيمها ، وابقائها فى أيدى أربابها على أن يدفعوا عنها خراجا يكون لمصالح جميع المسلمين فى حاضرهم ، وآخر الأجيال التى تأتى بعدهم • وعبر الفقهاء عن ذلك بوقفها على كافة المسلمين •

وهكذا فعل عمر فى سواد العراق وغيره ، واستمر عليه من بعده الخلفاء

وأما قسمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيبر ، فقد ورد أنه قسم نصفها فقط ووقف نصفها لنوائبه ، على أنهم قالوا : « انها كانت فى بدء الاسلام ، وشدة الحاجة فكانت المصلحة فيه ، وقد تعينت المصلحة فيما بعد ذلك فى وقف الأرض ، فكان ذلك هو الواجب » •

وقد قال عمر : لولا آخر الناس (أى الأجيال المستقبلة) لقسمت الأرض ، كما قسم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيبر « فقد وقف الأرض مع علمه بفعل النبى ــ صلى

---

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٦ ، ١٧ مطبعة السنة المحمدية .
وراجع فى الموضوع ص ٣٣ من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ط الرياض ج ٢ من اعلام الموقعين ص ٤١ و ج ١ من اغاثة اللهفان ص ٣٠٠ وما بعدها .

الله عليه وسلم ـ فدل على أن فعله ذاك ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن متعينا (١) وهذا انما يكون فيما ينبى على المصلحة ، ويتصرف فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمقتضى الامامة ورياسة الدولة •

والذى يقرأ مناقشات عمر ، ومن وافقه مثل على ومعاذ ـ رضى الله عنهم جميعا ـ واستدلالاتهم بما فى وقفها على المسلمين من المصالح ، وما فى قسمتها على أفراد الفاتحين من مفاسد يتأكد له مقدار فقه الصحابة لدينهم ، وايمانهم بأن شريعتهم لا تجىء بحكم أو مبدأ ينافى مصلحة الأمة (٢) •

فتوى عمر فى عام المجاعة :

ومثل آخر من الفقه العمرى، الذى يتمثل فيه تغير الفتوى بتغير الأوضاع والأحوال وهو ما فعله فى عام المجاعة ، الذى يعرف بـ « عام الرمادة » •

فقد أصدر فيه حكمين فى غاية من الأهمية ـ :

الأول : تأخير جباية زكاة الماشية (من ابل وغنم وبقر) حتى يزول القحط ، وينزل المطر ، ويتوافر المرعى ، فقد ذكر أبوعبيد « عن أبى ذباب : أن عمر أخر الصدقة عام الرمادة ، فلما أحيا الناس (أى نزل عليهم الحيا وهو المطر) بعثنى فقال اعقل فيهم عقالين ، فاقسم فيهم عقالا ، وائتنى بالآخر (٣) » والعقال : صدقة العام •

وكان ذلك من حكمة عمر، ودقة فقهه ، ورفقه بالرعية ، فهو لم يسقط الزكاة ، وانما أخر جبايتها ، حتى لا يرهق أرباب المال •

الأمر الثانى : درؤه القطع عمن سرق فى هذا العام ، فروى أبوعبيد عنه أيضا : « لا قطع فى عام سنة » والسنة : القحط والجدب •

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامة ج ٢ ص ٥٩٨ ط الامام .
(٢) راجع الخراج لأبى يوسف والأموال لأبى عبيد .
(٣) الأموال ص ٣٧٤
(٤) نفسه ص ٥٥٩

وذكر ابن القيم عن السعدى بسنده الى عمر قال : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة •

قال السعدى : سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال :العذق: النخلة وعام سنة : المجاعة • فقلت لأحمد : تقول به؟ فقال: أى لعمرى! قلت : ان سرق فى مجاعة لا تقطعه؟! فقال : لا ، اذا حملته الحاجة على ذلك والناس فى مجاعة وشدة •

قال السعدى : وهذا على نحو قضية عمر فى غلمان حاطب •• وذكر بسنده : أن غلمة لحاطب بن أبى بلتعة ، سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر ، فأقروا ، فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب ، فجاء ،فقال له : ان غلمان حاطب سرقوا ناقةرجل مزينة ، وأقروا على أنفسهم ، ثمقال عمر : ياكثير بن الصلت ، اذهب فاقطع أيديهم • • فلما ولى ردهم عمر ثم قال : أما والله •• •• وتجيعونهم ، حتى ان أحدهم لو أكل ماحرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وايم الله ، اذ لم أفعل لأغرمتك غرامة توجعك (الخطاب لعبدالرحمن ابن حاطب) ثم قال : بكم أريدتمنك ناقتك ؟ قال بأربع مائة • قال عمر : اذهب فأعطه ثمانى مائة •

قال الامام ابن القيم : وذهب أحمد الى موافقة عمر فى الفصلين جميعا • (يعنى درء الحد ، ومضاعفة الغرم) •

قال : وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة (الأوزاعى)• وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع • فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق منضرورة تدعوه الى مايسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له ، اما بالثمن أو مجانا على الخلاف فى ذلك •

والصحيح وجوب بذله مجانا لوجوب المواساة واحياء النفوس مع القدرة على ذلك والايثار بالفضل مع ضرورة المحتاج •

وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ••• لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه •وعام المجاعة يكثرفيه المحاويج

والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه فدرىء .

نعم ، اذا بان أن السارق لا حاجة به ، وهو مستغن عن السرقة قطع[1].

ومعنى هذا : ان عمر لم يسقط الحد بعد وجوبه ، بل هو لم يجب أصلا لوجود الشبهة التى أوجبت درأه .

جمع القرآن وكتابته فى المصاحف :

ومن الأمور الجليلة الخطر ، البعيدة الأثر : ما حدث فى عهد الصحابة من جمع القرآن وتدوينه فى عهد أبى بكر ، على خلاف ما كان عليه الحال فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم كتابة المصاحف فى عهد عثمان واحراقه ما سواها ، على خلاف ما كان عليه الحال فى عهد الشيخين: أبى بكر وعمر . رضى الله عنهم أجمعين .

فقد كان القرآن فى العهد النبوى محفوظا فى صدور الرجال ، ومكتوبا فى صحف ومواد بدائية متفرقة، على ما يليق بحال القوم فى ذلك العهد من جريد و لخاف [2] وعظام وخزف وغير ذلك . لقلة القراطيس عندهم.

فلما استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة (فى حروب الردة) فى زمن الصديق رضى الله عنه ، وقتل منهم فى ذلك اليوم — فيما قيل — سبعمائة — أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر — رضى الله عنهما — بجمع القرآن ، مخافة ان يموت أشياخ القراء ، كأبى وابن مسعود وزيد . وقد توقف الصديق فى أول الأمر ، وقال لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟! فقال : هو والله خير . قال أبو بكر : فلم يزل يراجعنى حتى

(١) اعلام الموقعين ج ٣ ص ٢٢ ، ٢٣ مطبعة السعادة — تحقيق عبد الحميد محيى الدين .

(٢) اللخاف : جمع لخفة ، وهى حجارة بيض رقاق .

شرح الله لذلك صدرى ، ورأيت الذى رأى عمر ... وأرسل أبوبكر الى زيد بن ثابت ليكلفه مهمة جمع القرآن وتدوينه ، فقد كان كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ولكن زيدا توقف فى الأمر كما توقف فيه الصديق من قبل ،وقال له ولعمر: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال أبو بكر : هو والله خير ؟ قال زيد : فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ... وقام زيد بمهمته على خير وجه • وجمع القرآن من صدور الحفظة ، ومن المواد المتفرقة التى كتب فيها • وكتبه فى صحف بقيت عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين (١) •

فلم تكن هذه الصحف للقراءة اذن، وانما هى نسخة رسمية تحفظ وتصان ، ليرجع اليها عند اقتضاء الحاجة •

وكان هذا ـ ولا شك ـ من الأعمال العظيمة والضرورية للاسلام والمسلمين ، وفق الله اليه هؤلاء الصحابة الأجلاء ، ليحفظ به كتابه المجيد ، تحقيقا لوعده سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وانما لم يفعله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن القرآن كان ينزل عليه منجما ، حسب الوقائع ،فكان لا يزال ـ مادام حيا ـ يتوقع نزول جديد منه ، أما فى عهد الصحابة فقد ثبت اكتمال القرآن ، وانقطع الوحى ، وزال المانع الذى كان فى العهد النبوى ، ووجد المقتضى لكتابته مجموعا مرتبا ، فلما تغير الزمن والحال تغير الموقف أو تغيرت الفتوى •

وفى عهد الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه طرأ وضع جديد ، اقتضى موقفا آخر جديدا أيضا •

ذلك أن الناس اختلفوا فى القراءات بسبب تفرق الصحابة فى البلدان ،

---

(١) انظر : مقدمة تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٣ وكذلك الاتقان للسيوطى ج ١ ص ٥٧

واشتد الأمر فى ذلك ، وعظم اختلافهم وتشبثهم ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة — رضى الله عنه — وذلك انهم اجتمعوا فى غزوة « أرمينية » فقرأت كل طائفة بما روى لها — أى من الأحرف السبعة التى رخص لهم فى القراءة بها — فاختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم اكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا .. فأشفق حذيفة مما رأى منهم ، فلما قدم المدينة — فيما ذكر البخارى والترمذى — دخل الى عثمان قبل أن يدخل الى بيته ، فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك ! قال : فيماذا ؟ قال : فى كتاب الله، انى حضرت هذه الغزوة ، وجمعت أناسا فى العراق والشام والحجاز — فوصف له ما تقدم — وقال : انى أخشى عليهم أن يختلفوا فى كتابهم ، كما اختلفت اليهود والنصارى ! ؟

ورأى عثمان أن يجمع القرآن فى مصاحف يبعث بها الى الأمصار ، ليرجع الناس اليها ، وبذلك يدرأ عن المسلمين شر الخلاف والفتنة .

وقد جمع الصحابة — رضى الله عنهم — وفيهم على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وطلب منهم الرأى، فقالوا : الرأى عندك يا أمير المؤمنين قال : الرأى عندى أن يجتمع الناس على قراءة ، فانكم اذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا !؟ قالوا : الرأى رأيك يا أمير المؤمنين ؟ فأرسل عثمان الى حفصة : أن أرسلى الينا بالصحف تنسخها فى المصاحف ثم نردها اليك .. فأرسلتها اليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف.. ورد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (١) .

قال الامام القرطبى — :

وكان هذا من عثمان — رضى الله عنه — بعد أن جمع المهاجرين والأنصار، وجلة أهل الشام ، وشاورهم فى ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت من القراءات المشهورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واطراح ما سواها ،

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥

واستصوبوا رأيه ، وكان رأيا سديدا موفقا ، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين (١) .

وقد واجه هذا العمل ـ كتابة المصاحف وتحريق ماسواها ـ انكارا من بعض الناس شأن كل عمل جديد ، مخالف لما ألفوه من قبل ، مما جعل عليا كرم الله وجهه يقوم مقام الدفاع عن عثمان ، مثنيا على عمله ، روى عنه سويد بن غفلة أنه قال : يا معشر الناس ، اتقوا الله واياكم والغلو فى عثمان ، وقولكم: حراق المصاحف ، فوالله ، ماحرقها الا عن ملأ منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن سعيد قال ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو كنت الوالى وقت عثمان ، لفعلت مثل الذى فعل عثمان (٢) .

ان عثمان لم يخالف من قبله شهوة للخلاف ، ولكن الزمن تغير عن زمن الشيخين ، وظهرت بوادر خلاف يوشك أن ينقلب الى فتنة وشر مستطير فكانت فتوى عثمان بموافقة الصحابة لتفادى ذلك ـ كتابة المصاحف وجمع الناس عليها ، واتلاف ما عداها . لقد تغيرت الفتوى بتغير الزمن والحال (؟

تغير فتوى ابن عباس فى توبة القاتل :

ومن الأمثلة الجيدة لتغير الفتوى بتغير الحال : ما جاء عن ابن عباس فى توبة القاتل ؛ فقد روى ابن أبى شيبة بسنده (٣) : أن رجلا جاء الى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمنا توبة ؟ قال:لا ، الى النار ! فلما ذهب، قال له جلساؤه : ما هكذا كنت تفتينا ، فما بال هذا اليوم ؟ ! قال : انى أحسبه مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا . فبعثوا فى أثره ، فوجدوه كذلك .

رأى ابن عباس فى عينى هذا الرجل الحقد والغضب ، والتوثب للقتل ، وانما يريد فتوى تفتح له باب التوبة ، بعد أن يرتكب جريمته ، فقمعه وسد عليه الطريق حتى

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٧

(٣) قال الحافظ فى التلخيص : رجاله ثقات ج ٤ ص ١٨٧ بتعليق السيد عبد الله هاشم اليمانى .

لا يتورط فى هــذه الكبيرة الموبقة ولو رأى فى عينه صورة امرىء نادم على ما فعل ، لفتح له باب الأمل ! ؟

وقد روى سعيد بن منصور عن ســفيان قال : كان أهل العــلم اذا سكتوا عن القاتل قالوا : لا توبــة له ، واذا ابتلى رجل (أى قتل بالفعل) قالوا له : تب (١) .

أى التفرقة بين من ابتلى بالفعــل ووقع فيه ؛ فيرخصون له ويسهلون عليه ما وجد للرخصة سبيل ؛ وكثير من الفقهاء يسير على هذا النهج ــ الذى سنه ابن عبــاس ــ فى كافة المسائل،والتسهيل سبيل ، وبين من لم يقع منه الفعل فيشددون عليه .

مثال ذلك : من حلف بالطــلاق ألا يفعل شــيئا ثم فعله ، فهنــا يفتى بمذهب من لايوقع الطلاق أصلا . كما هو مذهب بعض السلف،أو من يجعله يمينافيه كفارة ، واختاره شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم . وان كان حلف ولم يفعل، وليس به حاجة الى الفعــل ، أفتى بمذهب الجمهور وهكذا .

تغير الفتوى فى عهــد التابعين ومن بعدهم :

وفى عهد التابعين باحسان نجد أمثلة عديدة لتغير الفتوى . مثــل ماروى عنهم أنهم أجازوا تسعيرة السلع ، دفعا للضرر عن الجمهور ، لتغير أحوال الناس عما كانت عليه فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه .

ومن ذلك ماروى : أن عمر بن عبدالعزيز كان يقضى ــ وهو أمير فى المدينة ــ بشاهد واحد ويمين ، فلما كان بالشام ، لم يقبل الا شاهدين ، لما رأى من تغير الناس هناك عما عرفه من أهل المدينة .

وهو القــائل كلمته المشــهورة : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور .

ومن ذلك ماذكــر : أن أبا حنيفة كان يجيز القضاء بشهادة مستور الحال فى عهده ــ عهد أتباع التابعين ــ اكتفاء بالعدالة الظاهرة . وفى عهد صاحبيه ــ أبى يوســف ومحمد ــ منعا ذلك لانتشار الكذب بين الناس (٢) .

---

(١) المصدر الســابق .

(٢) انظر : أصول التشريع الاسلامى ــ للأســتاذ على حسب الله ص ٨٤ ، ٨٥

ويقول علماء الحنفية فى مثل هذا النوع من الخلاف بين الأمام وصاحبيه: انه اختلاف عصر وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان ؟

وقد خالف المتأخرون من علماء المذهب الحنفى ما نص عليه أئمتهم والمتقدمون منهم فى مسائل عديدة ، بناء على تغير الزمان والحال ، وألف فى ذلك علامة المتاخرين منهم • الشيخ ابن عابدين فى ذلك رسالته الشهيرة « نشر العرف » وذكر فى هذه الرسالة: «أن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقى الحكم على ماكان عليه أولا ، للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد ، ولهذا نرى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد (امام المذهب) فى مواضع كثيرة بناها على ما كان فى زمنه لعلمهم بأنه لوكان فى زمنهم لقال بما قالوا به ، أخذا من مذهبه (١) » •

وفى المذهب المالكى نجد ماكتبه العلامة شهاب الدين القرافى فى كتابيه « الفروق » و « الأحكام فى تميز الفتاوى من الأحكام » منبها على وجوب تغير الحكم اذا كان مبنيا على عادة تغيرت ، أو عرف لم يعد قائما

ومن الأمثلة التى تذكر هنا: ما حكى عن الشيخ الامام أبى محمد بن أبى زيد القيروانى (المتوفى سنة ٣٨٦هـ) وصاحب « الرسالة » المشهورة فى فقه المالكية والتى شرحها أكثر من واحد من جلة علماء المذهب ، فقدرووا عنه أن حائطا انهدم من داره ، وكان يخاف على نفسه من بعض الفئات ، فاتخذ كلبا للحراسة، وربطه فى الدار، فلما قيل له : ان مالكا يكره ذلك ؟ قال لمن كلمه : لو أدرك مالك زمانك لاتخذ أسدا ضاريا ! (٢) •

وفى كل مذهب نجد مثل هذه المواقف — تفاوت فيما بينها — مما يدلنا على مقدار السعة والمرونة التى أودعها الله هذه الشريعة ، وجعلها بذلك صالحة لكل زمان ومكان •

د / يوسف القرضاوى

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ج ٢ ص ١٢٥

(٢) انظر : شرح العلامة زروق على « الرسالة » ج ٢ ص ٤١٤ ط مطبعة الجمالية بمصر

بيان وقرارات

المؤتمر الأول للجمعيات والهيئات الإسلامية فى مصر للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، وسلك سبيله الى يوم الدين .. وبعد :

فان الاسلام هو دين الله الذى أوحى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ، ودعوتهم اليه .

وقد حفظ الله هذا الدين بحفظ المصدر الأول وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وما روى صحيحا من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى المصدر الثانى فى التشريع الاسلامى ، وقد تضافرت جهود علماء المسلمين المجتهدين جيلا بعد جيل لفهم الكتاب والسنة ، واستنباط الأحكام التفصيلية منهما ، حتى كانت ذخيرة الفقه الاسلامى كفيلة بتلبية احتياجات الناس فى كل شئون حياتهم ومعيشتهم . وأصبح لهذا الفقه أصالته وشمول قواعده ، واستيعابه ما يجد فى حياة الناس ، من أقضية وتصرفات ومعاملات .

ومن هنا كانت الشريعة الاسلامية فى عمومها وشمولها وأصالة قواعدها المستمدة من الكتاب والسنة صالحة لكل زمان ومكان ، قادرة على حكم الناس ، ووضع الحدود الفاصلة بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .. ذلك مع اتساع دائرتها بحيث تشمل الجوانب الاخلاقية التى قصرت عنها قوانين الناس ، مع ما تنفرد به من الهيبة التى تدعوا الناس الى الاذعان لها ، والاستجابة لأحكامها ، لأنها من عند الله ، الذى يدين له العباد بالطاعة والخضوع .

وقد ظهرت يقظة الأمة الاسلامية فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى)، بعد ما انزاح عن بلادها كابوس الاستعمار العسكرى ، وانعقد اجماعها على ضرورة تدعيم استقلالها بالتخلص من الاستعمار الفكرى والثقافى والتشريعى ، والعودة الى تعاليم دينها ، وهدى ربها ، والحكم فيها بما أنزل الله لخير البشر وصلاح حالهم . وقد عبرت الأمة الاسلامية عن اجماعها فى هذا الشأن فى دساتيرها المختلفة التى نصت على وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية والالتزام بها وبأحكامها .. ومن بينها دستور مصر الصادر فى سبتمبر ١٩٧١ الذى استجاب لارادة الأمة ، وأعلن فى صدر مواده دين الدولة الاسلام والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للقوانين .

ولقد أصبح أمر هذه الأمة بيد أبنائها . وزال كل عذر فى تأخير العودة بها الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت الفرصة سانحة والظروف مهيئة لتحقيق هذا الأمل . الذى طالما راود نفوس المسلمين فى أوطانهم وارتفعت أصواتهم بالمطالبة به ، وأعطت الجماهير ثقتها لنواب الامة على أساس وعودهم بالعمل على جعل التشريع الاسلامى وأحكامه فى موضع التطبيق .. بل ان الضرورة تدعو الى وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية لمصلحة الأمن . وسلامة الأفراد والجماعات فى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . حتى أن مؤتمر مديريات الأمن الذى عقده المسئولون عن الأمن فى مصر فى هذا العام قرر ان تطبيق الشريعة هو العلاج الوحيد للقضاء على الزحف الاجرامى المتزايد .

ولقد بذلت جهود صادقة من مجمع البحوث الاسلامية ، ولجان وزارة العدل . ومن علماء وأعضاء هذا المؤتمر . لاعداد مشروعات القوانين المستمدة من الفقه الاسلامى . وقدمت هذه المشروعات فعلا الى مجلس الشعب كاجراء رسمى ، لاستصدار قرارات تطبيقها ، وليس لابداء الرأى فى صلاحيتها ، أو الاستشارة فى العمل بها . فليس لأحد أو هيئة أن يبدى رأيه فى أحكام

الله التى شرعها لعباده ، وأوجب تطبيق أحكامها عليهم . والالتزام بأمره فى ذلك (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك . فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) .

وقد أثبت التاريخ أن الأمة الاسلامية كانت رائدة النهضة العلمية والحضارة والتقدم فى كل مجالات الحياة . وكانت تحمل لواء الحضارة فى العالم كله . وجاءتها وفود طلاب العلم والمعرفة من بلاد أوربا . وكانت الأندلس وجامعاتها مهد الحضارة التى تشع بنورها على آفاق رحيبة خارج بلاد المسلمين ، مما جعل الحضارة الأوربية الحديثة مدينة للحضارة الاسلامية فى عصور الاسلام الزاهية . وقد تحقق للأمة الاسلامية كل هذا يوم كانت تحكم بشريعة الله ، وتلتزم دينه .

ولقد أثبت التاريخ أيضا أن عصور الضعف والتخلف والهزيمة والفرقة، انها حلت بالأمة الاسلامية عندما ابتعدت عما شرعه الله لها،وأمرها به فأصابهم الله ببعض ذنوبهم . ولن يصلح حال هذه الأمة الا بما صلح به أولها . وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ولقد شهد التاريخ كذلك أن استتباب الأمن واستقرار العدل وطمأنينة الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم ، لم يكن ذلك فى عهد ولا فى قطر يقرب من حال بلاد المسلمين التى طبقت والتى لا تزال تطبق شريعة الاسلام .

ولقد سجل التاريخ أيضا ، أن الأمة التى تطبق الشريعة الاسلامية ينعم كل من على أرضها مسلما كان أو غير مسلم ، بالأمن والعدل ، والحضارة والرخاء ذلك أن الاسلام جعل لأهل الذمة فى بلاد المسلمين ما لهم من حقوق . وعليهم ما عليهم من واجبات . قال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم

أن تبروهم وتقسطوا اليهم • ان الله يحب المقسطين • انما ينهاكم اللـه عن الذين قاتلـوكم فى الدين ، وأخرجـوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجـكم أن تولوهم • ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) •

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا بأهل الذمة ، الذين لاينقضون ذمة ، ولا يخونون عهدا •

فقال صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذانى » •

وقال صـلى الله عليه وسـلم « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقـه أو كلفـه فوق طاقته أو أخـذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا خصمه يوم القيامة » •

وقال صلى الله عليه وسلم « الا من قتل نفسا معـاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة اللـه فلا يستروح رائحة الجنة » •

فمن أجل استـعادة مجد هـذه الأمة الاسلامية •

ومن أجل نشر الأمن والطمأنينة فى نفس كـل من يقيـم على أرض اسلامية •

ومن أجل العودة الى مصدر القوة والعزة والحضارة والرقى •

ومن أجل الالتزام بما أمر الله فى قرآنه ، وما أرشد اليه الرسـول فى سنته •

ومن أجـل أن تكون الشريعـة الاسلامية هى مصدر القوانين فى بلاد المسلمين •

التقت الهيئـات والجمـاعات الاسلامية الكبرى لمـدة ثلاثة أيام (٢٧ـ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ الموافق ١٤ـ١٦ يونية ١٩٧٧ م) فى وحدة متكاملة ومؤتمر يعبر عن آمال جماهير المسلمين فى تطبيق أحكـام الشريعة الاسـلامية تحت رعاية فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبـد الحليم محمود شيخ الأزهر وبرياسة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الأسبق لمصر ودعت استجـابة لما أوجبه الله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • والنصيحة للـه ورسولـه ولأئمة المسلمين وعامتهم • وما أمر الله به من الـدعوة الى سبيله بالحكمـة والموعظة الحسنة •

وقد استمع اعضاء المؤتمر ألى الأحكام الشرعية فى وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، كما أوضحها كبار المسئولين من علماء مصر وخاصة فضيلةالامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.. وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف والأزهر وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر .. وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى ورئيس لجنة الفتوى الأسبق لمصر .

كما استمع أعضاء المؤتمر الى البحوث العلمية المقدمة من بعضهم فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ثم عقدوا اجتماعات فيما بينهمودارت مناقشات فى اللجان الفرعية .. ثم اصدر المؤتمر القرارات الآتية :

أ ــ كل تشريع أو حكم يخالف ما جاء بهالاسلام ، يقع باطلا ، ويجب على المسلمين رده ، والاحتكام الى شريعة الله ، التى لا يتحقق ايمانهم الا بالاحتكام اليها .

٢ ــ الأمر بتطبيق الشريعة الاسلامية نزل به الوحى الالهى ، فليس لأحد أن يبدى رأيا فى وجوب ذلك ، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج أو التأجيل فى تنفيذه .

٣ ــ السويف فى اقرار القوانين الاسلامية معصية لله ورسوله ، واتباع لغير سبيل المؤمنين.وخروج على اجماعهم ، ومضيعة لمصالح الأمة جمعاء وعلى الهيئة التشريعية أن تبرىء ذمتها أمام الله والناس ، بسرعة اقرار مشروعات القوانين الاسلامية المقدمة اليها .

٤ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية هو الحل الوحيد لجميع مشاكل الأمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا وعلميا وثقافيا .

٥ ــ تطبيق الشريعة الاسلاميةخير ضمان للوحدة الوطنية .

٦ ــ ينظر المؤتمر بعين التقدير والأمل الى ما صرح به السيد رئيس الجمهورية منعزمه على تطهير أجهزة الاعلام من الملحدين ، ويناشده سرعة تنفيذ هذا فى كل مراكز التوجيه والتربية ، ومواقع التأثير فى مرافق

الدولة ، حرصا على سلامة الأمة وقوة بنيانها .

٧ — يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية اصدار أوامره بتطهير وسائل الاعلام من الموبقات الأخلاقية التى تحرج صدور المؤمنين، وتستهين وتتجرأ على حدود الله وتدمير كيان الأمة .

٨ — يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية أن يراعى عند الترشيح للمناصب القيادية فى الدولة اختيار المعروفين بالخلق والدين .

٩ — يقرر المؤتمر وجوب تربية النشء فى جميع مراحل التعليم الى نهاية الدراسة الجامعية تربية دينية تكون الضمير الدينى ، وتغرس فى نفوسهم مكارم الأخلاق ، وتكسبهم الصلابة ضد كل زيغ أو انحراف ، ليكون الشباب مسلما فى جوهره ومظهره .

١٠ — يجب ادراج حفظة القرآن الكريم من الفئات المستثناه من شرط المجموع عند الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا ودور التعليم المختلفة.

كما يجب معاملة حفظة القرآن الكريم من المجندين معاملة حملة المؤهلات .

١١ — يوصى المؤتمر بتقوية محطة اذاعة القرآن الكريم ، حتى تغطى أنحاء العالم ، مع النهوض بها وتحويلها الى اذاعة جامعة .

١٢ — تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر فى حالة انعقاد دائم لمتابعة الجهود فى تنفيذ هذه القرارات التى تعبر عن اجماع الأمة على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية .. وتدعو الهيئات والجماعات المشتركة فى المؤتمر الى الاجتماع كلما دعت الضرورة الى هذا .

والله ولى التوفيق .

* * *

الجماعات والهيئات المشتركة فى المؤتمر حسب ترتيب الحروف الهجائية :

جمعية أبى بكر الصديق .

جمعية التراث الاسلامى .

جمعية الخلفاء الراشدين .

جمعية شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

جمعية الشبان المسلمين .

الجمعيات الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة .

الجمعيات العامة للمحـافظة على القرآن الكريم .

جمعية العشيرة المحمدية . .

جمعية الهداية الاسلامية .

مشيخة عموم الطرق الصوفية .

مجمع البحوث الاسلامية .

ادارة الوعظ والارشاد .

جامعة الأزهر .

ادارة الدعوة بوزارة الأوقاف .

الصحافة الاسلامية .

الجمعيات الدينية بالجامعات .

هدية السـماء :

ما عيد الفطر الا رمز لمكافأة سبقت للصائمين الصـادقين الذين لم يشب صيامهم كذب ولا ضلال ... وهو رمـز انتصار على معركة النفس حول مطالب العيش ، واغـلال المـادة فى رمضان فهو هدية سماوية يقدمها الاله العظيـم لعباده الذين صاموا شهره كما يريد وقاموا بين يديه كما يريد . لذلك كان العيد يوم فرح لأنه رمز مكافأة الهية على واجب وهدية سماوية لفريضة وانتصار روحى على معركة أرضية!

فى ظلال العقيدة

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

١ ــ تقدير زكاة الفطر من الخبز :

فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥١١ فى آخر الصفحة « يجوز ــ عند المالكية ــ اخراج زكاة الفطر من الدقيق أو السويق بالكيل وهو قدح وثلث ، ومن الخبز بالوزن وقدر برطلين بالرطل المصرى » اهـ .

(أقول) : ان القدح والثلث من الدقيق أو السويق يساويان أربعة أرطال مصرية وثلاثة أرباع الرطل ودرهما وخمسة أسباع الدرهم ، فهل يعقل أن يكون الخبز المصنوع من هذا الدقيق أو السويق رطلين ؟ أليس هذا غريبا ؟ انه لغريب حقا ، والصواب أن الدقيق أو السويق اذا عجن وخبز يزيد وزنه فيصير ثمانية أرطال ، ولعل بعض المالكية القدامى قدر المد الذى هو ربع الصاع فجعله رطلين من الخبز ، فسبق القلم الى الصاع بدلا من المد ، والله الهادى الى سواء السبيل .

* * *

٢ ــ تأخير زكاة الفطر عن نهار العيد

جاء فى كتاب الفقه المذكور ص ٥٠٩ فى آخر الصفحة « ووقت وجوبها ــ أى زكاة الفطر عند الشافعية ــ آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال . ويسن اخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد ، ويكره اخراجها بعد صلاة العيد الى الغراب الا لعذر كانتظار فقير قريب ونحوه . ويحرم اخراجها بعد غروب اليوم الأول الا لعذر كغياب المستحقين لها .. » اهـ .

(أقول) :

فى هذا الكلام عدة مؤاخذات :

(أولها) قوله « ويسن اخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر » فهذه العبارة يفهم منها أن العيد أيام ، والواقع أن العيد فى الشرع يوم واحد مع ليلته المتقدمة عليه ، وهما أول شوال ، ثم ان الاخراج نفسه واجب وليس مسنونا ، وانما المسنون كون الاخراج فى أول اليوم ، فالصواب أن تكون العبارة هكذا « ويسن أن يكون اخراجها أول يوم عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد » .

(المؤاخذة الثانية) قوله : « ويكره اخراجها بعد صلاة العيد الى الغروب » فهذه العبارة توهم أن الاخراج نفسه مكروه مع أن الاخراج واجب ، وانما المكروه هو التأخير عن صلاة العيد ، فالعبارة المثلى يجب أن تكون هكذا « ويكره تأخير اخراجها عن صلاة العيد الى الغروب الا لعذر كانتظار قريب فقير ونحوه ، ولا يسقط وجوبها بالتأخير لعذر أو غير عذر ، اذ لابد من أدائها كما لا يخفى » .

(المؤاخذة الثالثة) قوله : « ويحرم اخراجها بعد غروب اليوم الأول الا لعذر كغياب المستحقين لها » .

ففى هذه العبارة أولا ايهام أن العيد أيام وليس يوما واحدا ، وفيها ثانيا ايهام أن الاخراج نفسه حرام مع أن الاخراج ما زال وجوبه متعلقا بالذمة ولا يسقط الا بفعله ، فالعبارة المثلى يجب أن تكون هكذا « ويحرم تأخير اخراجها عن نهار العيد الا لعذر كغياب المستحقين لها ، ولا يسقط وجوبها بالتأخير ، وانما يسقط بالأداء كما مر » .

وبعد ، فالتعبير بكراهة الاخراج وحرمته مذكور فى كتب الشافعية والحنابلة ، وهو مجاز قد يفهمه العلماء من أهل المذهبين ، ويخطىء فيه غيرهم ، وقد نقل الكتاب عن المالكية فى هذا المعنى عبارة واضحة لا ايهام فيها حيث قال : « يحرم تأخير زكاة الفطر عن يوم العيد ولا تسقط بمضى ذلك اليوم بل تبقى فى ذمته فيطالب باخراجها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته ان كان ميسورا ليلة العيد » اهـ

هذا ، وقد أخطأ فى فهم عبارة الشافعية بعض العلماء من غير الشافعية ، وكان يكتب فقرات دينية فى بعض الصحف اليومية فلما سئل كتب فى الجريدة المذكورة : ان الزكاة اذا تأخرت عن موعدها سقط وجوبها عند الشافعية بل يأثم باخراجها ، ثم استدل بعبارة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة التى نقلناها آنفا ، وليس هو أول من يخطىء فى فهم عبارات الكتب التى لم يألفها ، ولهذا أنصح لكل من يتصدى للفتيا فى الصحف والمجلات والاذاعة أن يتحرى حذرا من الضلال والتضليل .

***

٣ ـ ما يقال بعد الأذان :

كتب باحث فى احدى المجلات الدينية أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلب من المؤذن وانما تطلب من سامعيه فقط لأنهم المخاطبون بقوله صلى الله عليه وسلم : « فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » .

(أقول) : جاء فيما يقال عند الأذان وبعده أحاديث يجدر بى أن أذكر هنا بعضها للفائدة ثم أعقب على كلام هذا الباحث !

(١) روى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر : ثم قال أشهد أن لا اله الا الله قال أشهد أن لا اله الا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله من قلبه دخل الجنة » .

هذا الحديث يدل على فضل اجابة المؤذن بأن يحكى السامع ألفاظ الأذان واحدا واحدا ماعدا الحيعلات فيستبدل بها الحوقلات ، وفيه اشتراط الاستحضار بالقلب مع الاخلاص ، ولم تكرر الشهادتان

فيه ولا الحيعلتان اختصارا ، وقوله « دخل الجنة » معناه أن جزاءه دخول الجنة التى يدخلها السابقون بالأعمال الفاضلة ، والا فان المسلم الذى لم يصنع هذا سيجزى بدخول الجنة غير أن درجته أقل ممن فعل هذا وأمثاله •

(ب) روى أبو داود عن شهر ابن حوشب عن أبى أمامة رضى الله عنه أو عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أن بلالا رضى الله عنه أخذ فى الاقامة فلما أن قال قد قامت الصلاة قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أقامها الله وأدامها » وقال فى سائر الاقامة كنحو حديث عمر رضى الله عنه السابق فى الأذان (وشهر بن حوشب) مختلف فى توثيقه وقد رواه عنه (محمد بن ثابت) وهو ضعيف، ولكن لا يخفى أن الحديث الضعيف يؤخذ به فى فضائل الأعمال ما لم يعارضه حديث صحيح ، وهو هنا كذلك ، فينبغى لسامع الاقامة أن يقول كما يقول المقيم ويستبدل الحوقلتين بالحيعلتين ويقول أقامها الله وأدامها مرتين •

(جـ) روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذ سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » •

هذا الحديث يدل على أن سامعى الأذان يطلب منهم على سبيل الوجوب أو الاستحباب أن يقولوا مثل ما يقول المؤذن • وهذا عام لأنه يشمل الحيعلات ، وحديث عمر السابق طلب فيه استبدال الحوقلات بالحيعلات ، فهو خاص •

وقد اختلف العلماء فى الجمع بين الحديثين على ثلاثة آراء (الرأى الأول) أن السامع مخير بينهما ، فله أن يقول حى على الصلاة أو حى على الفلاح ، وله أن يقول لا حول ولا قوة الا بالله (الرأى الثانى) أن الخاص يخصص العام فيكون قوله صلى الله عليه وسلم « فقولوا مثل ما يقول » معناه « فقولوا مثل ما يقول ما عدا الحيعلات » وعلى هذا لا يستحب ولا يجب اتيان

السامع بالحيعلات ، بل يجب أو يستحب تكرار الحوقلة أربع مرات اجابة عن الكلمات الأربع (الرأى الثالث) أن المطلوب من السامع الجمع بين ما فى الحديثين فيجب عليه أو يستحب منه أن يقول حى على الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله ، وهكذا يقول فى باقى الكلمات ، والرأى الأوسط هو الذى عليه الكثيرون • ثم ان ظاهر الحديث الوجوب لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر السامعين بقوله « فقولوا » والأمر للوجوب ، وبهذا قال بعض العلماء • وقال بعضهم ان الأمر هنا للاستحباب ، لأن أصل الأذان مستحب فالحكاية تكون مستحبة أيضا لأنها لا تزيد عن الأصل ، ولأن السامعين انما أمروا بالاجابة ليدركوا فضل المؤذنين كما سيأتى فى حديث عمرو بن العاص ، وادراك الفضل مستحب وليس بواجب لأن تاركه يحرم من الفضل فقط ، وليس الحرمان من الفضل عقوبة • والحكمة فى قول السامعين لا حول ولا قوة الا بالله — أنهم لما طلب منهم الاقبال على الصلاة والفلاح أمروا بأن يشعروا بقلوبهم أن تحولهم عما هم فيه وقدرتهم على الذهاب الى الصلاة والقيام بها انما هما باعانة الله تعالى ، فهم يقولون لا تحول عن القعود والكسل عن الطاعة والانغماس فى المعصية ولا قوة على النهوض للطاعة والخروج عن المعصية الا بعون الله تعالى وهدايته وتوفيقه •

(د) روى أحمد والبخارى وأصحاب السنن الأربع عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » •

هذا الحديث فيه ترغيب لكل من يسمع الأذان — ومنهم المؤذن لأنه يسمع آذان نفسه — أن يقول هذه الكلمات عقب السماع ، فقوله « حين يسمع » معناه « حين ينتهى سماعه » لأن النطق بهذه الكلمات انما يتمكن منه السامع بعد تمام

الأذان . ومعنى « الدعوة التامة » دعوة التوحيد المأخوذة من قول المؤذن أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله ومعنى كونها «تامة» أنها تجمع العقائد الصحيحة كلها بأن يعتقد الانسان أن لهذا الكون الها مستغنيا عما سواه مفتقر اليه كل ما عداه فهو متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص ومستحق للعبادة وحده ، وقد أرسل الى العالمين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للمرسلين ، وأنزل عليه الكتاب المصدق لكل الكتب السابقة والمهيمن عليها والجامع بالشريعة الحقة التي يجب السير عليها ولا نجاة من النار ولا استحقاق للجنة بدونها . ومعنى « الوسيلة » منزلة هي أعلى المنازل في الجنة كما سيأتي في حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، ومعنى « الفضيلة » المزية التى له صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل وجميع الخلائق . وقوله « مقاما محمودا » هكذا بالتنكير وروى أيضا بلفظ « المقام المحمود » بالتعريف وهو المقام الذى يحمده فيه الأولون والآخرون ، وهو المقام الذى يشفع فيه لجميع الناس يوم القيامة الشفاعة العظمى (فان قلت) ان الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ستكون حتما فما معنى الدعاء بحصولها . (فالجواب) أن هذا الدعاء يقصد منه الاقرار بأنه يستحقها وأهل لها وأن الله عز وجل قد يشرفه بها ، وفى هذا التشريف تشريف لنا لأننا أمته الذين أجبناه واتبعنا النور الذى أنزل معه .

ومعنى « حلت له » حقت وثبتت له ، وقوله « شفاعتى » معناه الشفاعة فى حط السيئات ورفع الدرجات ، فان النبى صلى الله عليه وسلم له سوى الشفاعة العظمى شفاعات للمؤمنين ، منها ما يكون بخروج قوم من النار ودخولهم الجنة ، ومنها ما يكون بانتقال بعضهم من درجات فى الجنة الى درجات أعلى .

(هـ) روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن

عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

هذا الحديث فيه زيادة على ما فى الأحاديث السابقة الأمر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر لجميع السامعين ومنهم المؤذن نفسه لأنه قد سمع نفسه وليس يشغله عنها شىء لأنه قد فرغ من الأذان (فان قلت) ان قوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن » خطاب لغير المؤذن، لأنهم المخاطبون بقوله «فقولوا مثل ما يقول » لأنه لا معنى لأمر المؤذن بأن يقول مثل ما يقول ، فعلى هذا يكون قوله «ثم صلوا على» خاصا أيضا بغير المؤذن (قلنا) ان الخطاب فى قوله « ثم صلوا علىّ » لا يلزم أن يكون مطابقا للخطاب الذى قبله فان الأصل فى جميع الخطابات العموم ، ثم يخص بعضها بدليل خاص فلا يتعدى هذا الخصوص الى غيره . وايضاح هذا أن التاء فى قوله « اذا سمعتم » تشمل جميع السامعين ومنهم المؤذن لأنه يسمع نفسه ، والواو فى قوله « فقولوا » هى عامة أيضا ، لكن عمومها مخصوص بمن لا عذر له ، فيخرج المعذور كالمصلى والمجتمع مع زوجته ومن كان داخل المرحاض والمشتغل بأمر لا يتمكن معه من الاجابة كشرطى المرور ومحصلى الأجور فى المركبات وغيرها والمدرسين المأمورين بقضاء زمن معين فى التدريس لا يفرطون فى لحظة منه ، ومن هؤلاء المعذورين المؤذن فان كلماته يجب أن تكون متواصلة فلا يفصل بينها بالاجابة ، والواو فى قوله « ثم صلوا على » هى عامة كسابقتها ، ثم هى مخصوصة بغير المعذورين أيضا ، فيخرج منها المعذورون كما فى الأمثلة السابقة ما عدا المؤذن ، فانه معذور بالنسبة للاجابة لأنها تفصل كلمات الأذان

التى يجب وصلها ، وليس معذورا بالنسبة للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قد فرغ من الأذان فيكون مطالبا بها كسائر السامعين غير المعذورين ، وأيضا ، هو داخل فى التعليل للصلاة وهو قوله صلى الله عليه وسلم « فانه من صلى علىَّ .. الخ » فان فيه كلمة « مَنْ » وهى شرطية عامة كما لا يخفى ، اذ معناها « أىّ انسان صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا » والمؤذن داخل فى هذه الشرطية فانه لا معنى لحرمانه من صلاة الله عليه ، وأيضا أن اجابة المؤذن شرعت ليلحق غير المؤذنين بالمؤذنين فى الفضل فكيف يؤمرون وحدهم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . أليس معنى هذا تخصيصهم بما يجعلهم أكثر فضلا . وأيضا فالمؤذن لمَّا قال أشهد أن محمدا رسول الله مرتين وجب عليه أن يصلى عليه لأنه لو لم يصل عليه لكان بخيلا مستحقا للبُعد عنْ الرحمة ، وهو لا يتمكن فى أثناء أذانه من هذه الصلاة فيجب عليه أن يأتى بها عند تمكنه وذلك بعد الفراغ من أذانه ، وبايضاح هذه النقطة الأخيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علىَّ » رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم فى المستدرك عن الحسين بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى بخله أنه بخل على نفسه بحرمانه من صلاة الله عليه عشرا لتكاسله عن صلاة واحدة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفى حديث صحيح آخر أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم « بَعُدَ مَنْ ذكرت عنده فلم يصل عليك » فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أمين » فهذان الحديثان يدلان على أن من ذُكِرَ عنده النبى صلى الله عليه وسلم يجب عليه أو يتأكد تأكدا شديدا أن يصلى عليه ، وهذا يشمل الذاكر الذى جرى على لسانه ذكره عليه الصلاة والسلام ، فهذه أوجهٌ كثيرة يكفى واحدٌ منها فى الدلالة على أن المؤذن مطالب بعد أذانه على سبيل الوجوب أو التأكد أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم .

(و) روى مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له ذنبه » .

هذا الذكر الذى أرشد اليه الحديث الشريف : الظاهر أنه يقال قبل قول المؤذن حى على الصلاة ، فاذا لم يتسع الوقت له فينبغى أن يقال عقب الأذان قبل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(ز) روى أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه والنسائى فى عمل اليوم والليلة بسند صحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أن رجلا قال يا رسول الله ان المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل كما يقول فاذا انتهيت فسل تعطه » .

قوله « قل كما يقول » ارشاد الى ما به يلحق السامع المؤذن فى الفضل ، وهل تستثنى الحيعلات أو لا تستثنى ؟ سبق بيان الخلاف فى ذلك ، وقوله « فسل تعطه » الهاء فى آخره للسكت أو هى ضمير ، والمقصود بيان أن الدعاء بعد الأذان مستجاب واذا استجيب من السامع فانه يستجاب من المؤذن اذ لا فرق .

(ح) روى أبو داود والترمذى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت : « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب :

« اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى » .

لا يخفى أن هذا الدعاء خاص بأذان المغرب فمَحلّهُ بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ودعاء الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود .

(ط) روى أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى بسند صحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

«الدعاء لا يرد بين الأذان والأقامة» قالوا فما نقول يا رسول الله ؟ قال « سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » .

هذا ارشاد الى دعاء مخصوص يقال بين الأذان والاقامة ، وليس فيه حصر ، فللانسان أن يضيف اليه أدعية أخرى أو يقرأ شيئا من القرآن الكريم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

(ى) روى ابن السنى عن أبى هريرة رضى‌الله عنه أنه كان يقول — اذا سمع المؤذن يقيم — « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمدا وآته سؤله يوم القيامة » . هذا الأثر من كلام الصحابى الجليل أبى‌هريرة رضى‌الله عنه ، فهو حديث موقوف عليه ، لكنه فى حكم الحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أبا هريرة لا يقول مثل هذا الكلام من رأيه وانما يقوله مما حفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فينبغى أن يقال عقب الاقامة ، وهو مناسب لها لأنه أخصر مما يقال عقب الأذان .

وبعد ، فهذه عشرة أحاديث ذكرتها لفائدة القراء الكرام ، وقد تضمن شرح الحديث الخامس منها تعقيبا على قول الباحث ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليست مطلوبة من المؤذن ، ولعله بعد قرائته يقتنع بأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مطلوبة من المؤذن على سبيل الوجوب أو السنة المؤكدة ، واذا كانت الصلاة عليه مؤكدة فينبغى أن تقرن بالسلام لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وللصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كيفيات ، وأفضلها ما نقوله فى الصلاة بعد التشهد الأخير ، فينبغى للمؤذن والسامع جمعا بين الصلاة والتسليم أن يقول كل منهما « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته اللهم صل ... اللهم رب هذه الدعوة ... » . (يتبع)

على حسن البولاقى

لماذا نحن مسلمون

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

هذا حديث أذعته فى مناسبة خاصة بين عدد من رجال الأديان الأخرى ، وأذعته فى مصر مرتين بين عدد من رجال الفكر الامريكى وطائفة من فرقة دينية منهم ، ورأيت الآن أن أسجله بعد قراءة كتيب صغير كتبه المستشرق الألمانى اليهودى د. ولهلهم رودلف • جعل عنوانه « صلة القرآن باليهودية والمسيحية » وأود فى حديث آخر أن أتحدث عن هذا الكتاب ، غير أنه أثار فى ذهنى هذا الحديث الذى أذعته من قبل ، ففيه اجابة على كثير من شبهاته •

فى صيف العام الماضى طلبت وزارة الثقافة والاعلام القاء محاضرتين عن الاسلام على مجموعتين من رجال الدين الامريكان ، وكان مكان المحاضرتين فندق شبرد ، ولما ذهبت فى الوقت المحدد وجدت الطائفتين جميعا قد اجتمعتا معا وكان عددهم كبيرا ، وعرفت أنهم من طائفة «المورمون» وطائفة المورمون طائفة مسيحية نشأت فى القرن التاسع عشر ، وقائدها الأول هو يوسف سميث Joseph Smith الذى أعلن أن ملائكة من السماء هبطت عليه فأمرته أن يكون له كنيسة مستقلة وألا يتبع أى فرقة أخرى ، ثم وجد ألواحا ذهبية فى بعض الجبال فترجمت الى اللغة الانجليزية وأصبحت كتاب هذه الطائفة ، ثم نشر كتابا آخر سماه العقيدة والعهد Doctorine and eoucnent فجمعه مع الألواح فى كتاب واحد عرف بأنه الوحى الذى تلقاه سميث ، كما أطلق عليه النبى الأبيض ، ولما كثر أتباعه انتقل من نيويورك

الى قرية خاصة بهم هى الآن مدينة يوتا .

كان هذا العدد الكبير الذى زار مصر من هذه الطائفة ، ويبدو أنهم طائفة ممتازة مختارة ، فقد استمعوا طويلا الى حديث الاسلام ومعاملة المسلمين لذوى الديانات الأخرى ، وبعد نهاية المحاضرة وجهت الى أسئلة عديدة تدل على فكر دينى والمام بتاريخ الأديان لكن أسئلتهم عن الاسلام كانت بطعبية الحال صدى لفكر استشراقى وعدم اطمئنان الى تلقى محمد صلى الله عليه وسلم وحيا من الله .

وسألت احدى المستمعات : اذا كنت تؤمن أن محمدا تلقى وحيا من الله فلماذا لا تؤمن بأن «سميث» قد تلقى أيضا وحيا من الله ؟

وسألتها عن معجزات « سميث» التى تثبت صدقه فأجابت انها كانت كثيرة وأهمها أنه كان يطرد الشياطين من أجسام المرضى على نحو ما كان يفعل المسيح وأنه تنبأ بأشياء غيبية تحققت .

وقال سائل آخر لماذا تؤمن بمعجزات المسيح ولا تؤمن بمعجزات سميث ؟ وسأل آخرون أسئلة قريبة من هذه الأسئلة .

هذه هى الطائفة الأولى .

أما الطائفة الثانية فكانت مجموعة أقل عددا من السابقة ، وليسوا جميعا من رجال الأديان ، ولكنهم جميعا من الجامعيين ومن ذوى الفكر الموجه فى جامعاتهم ، ويبدو أن معلوماتهم عن الاسلام أقل من معلومات أتباع سميث ، وكانوا على ظمأ الى التعرف على حقيقة ورغبة الى معرفة تاريخ النبى محمد وعلى الأخص طرق اتصاله باليهود والمسيحيين حتى استفاد منهم هذا الدين ؟ !

وبعد استماع المحاضرة والاجابة على العديد من الأسئلة جاءت أسئلة قريبة من أسئلة (المور مون) .

لماذا آثرتم الاسلام على المسيحية؟

هل كان محمد يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص على نحو ما فعل المسيح ؟

لمـاذا تحمل محمد حرب أقوامه طويلا ولم يسـتنزل عليهم لعنـة السماء ، لمـاذا لم يرسـل عليهم عذابا ، أو يميت رؤسـاءهم حتى تخضع له أعناق الآخرين ؟

وهكذا .. وهكذا

واجابتنـا على الطائفتين اجابة واحدة .

انـا نؤمن بمعجـزات موسى وعيسى وغيرهم من الأنبيـاء انهـا جاءت فى القـرآن الكريم ، وما لم يذكره القرآن لا نصدقه ولانكذبه وطرد سـميث الشياطين وادعاؤه وحيا أوحى به اليه ليس له لدينـا حجة ، ونحن نؤمن بأن محمـدا خاتم الأنبياء ولا نبى بعده ، وللآن لا نجـد سـببا يدعونا الى تغيير عقيدتنا؛ ولانجد دليلا علىمايقولون ان الاسلام لا يركن الى معجزات تبهر العقول وتحيرالأذهان حتىيخر الناس مذهولين أمامها فيخضـعوا لصاحب الـدعوة رهبة وعجزا : لا هذا تأثير وقتى؛ أو كما يقول رجال التربية انتبـاه قسرى وهو قليـل الجدوى لأن تأثيره لا يدوم ، واذا خضع له جيل من النـاس تمردت عليـه الأجيال اللاحقـة . ولكن الاسلام يعمد الى اقناع العقل أولا، ويعتمد علىاقامة الدليل علىمايقول وهذا الدليل — على عكس ارهاب المعجزة — ينتقل من جيل الىجيل ولا يذبل مع مرور الأيام .

وما جدوى أن ينزل محمد لعنة من السماء على معارضيه أويصيبهم بعذاب من عند الله ، ؟ انه بعد فناء هؤلاء المعـارضين أو اصـابتهم سيواجه آخرين لا يعلمون رسالته ولابد أن يعارضوها ، واذن فلابد أن ينزل بهم ما نزل بالسـابقين ، وما أرسل الله محمدا نقمة وعذابا للناس ولكنه أرسله رحمة للعالمين.

وما جدوى أن يتبعه جيل بدافع الرهبة وخوف العـذاب وهو غير مقتنع ولا فاقه ما دعى اليه ؟

لقـد طلب العرب من النبى أن ينزل بهم مثل هـذه النقم ان كان صادقا فقالوا : « اللهم ان كان هذا

هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

ولكن محمدا لم يبعث لانزال العذاب على الناس واهلاكهم، وانما بعث ليعلمهم ويرشدهم ويرقى عقولهم وتفكيرهم ، وما كان له أن يجاريهم فى تفكيرهم الساذج البدائى ، لأن عمله أن يرفعهم ويسمو بتفكيرهم وعقلياتهم ، ولهذا يستنزل رحمة الله عليهم بدلا من استنزاله العذاب عليهم فيقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون» وكانوا حقا لا يعلمون .

ويقرر القرآن أن هذه المعجزات لا تجدى ولا تقنع ، فقال : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات الا تخويفا » وقال أيضا : « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

ولكن الآيات لم تكن الا تخويفا، والتخويف انما يؤثر تأثيرا وقتيا ، وكان مقبولا لدى الأنبياء السابقين لأن رسالاتهم كانت رسالات موقوته ، ولطائفة معينة من الناس ، أما رسالة محمد فهى رسالة عامة خالدة — فهى رسالة لجميع الناس ولجميع الأزمنة .

ومعجزة محمد هى القرآن تحدى به الناس فى عصره ، وقد اتهمه معاصروه العرب بمثل ما يتهمه به المستشرقون الآن ، قالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا، وقالوا انما يعلمه بشر.. وكان الرد على هذا كله هو التحدى أن يأتوا بقرآن مثله . وجاء فى القرآن : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .. » .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بهذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» .

وازاء هذا التحدى لم يسعهم الا الاستسلام .

وأصبح أعداء محمد بعد فترة مسلمين ، وأصبحوا متحمسين للاسلام كان عمر بن الخطاب ممن عادوا الاسلام، وكان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ممن حاربوا النبى محمدا ، وكان أبو سفيان بن حرب من أعدائه الألداء، ولا ترجع عداوته للدين وحده ، بل هى عداوة قديمة موروثة ، وقد أصبح هؤلاء مسلمين يتعبدون بتلاوه القرآن ، ويدينون بدين الاسلام .

والقرآن مازال موجودا يتحدى كل جيل كما تحدى الذين عاصروا النبى محمدا ، وما زال المثقفون وأفذاذ البيان العربى يدركون اعجاز القرآن وسموه على طاقات البشر ، واذن فنحن فى هذا الجيل والأجيال اللاحقة كالأجيال التى خلت ــ كلها تشهد معجزة النبى محمد كما رآها معاصروه ، فلسنا مسلمين عن تقليد واتباع لآراء السابقين ، ولكننا مسلمون لأننا نلمس معجزة نبينا ونشهدها أمامنا .

والاسلام حقا لا يقبل التقليد فى العقيدة لأن التقليد شىء والاعتقاد شىء آخر ، والمقلدون تجاهلوا أهم نعمة تميز بها الانسان وهى نعمة العقل والتفكير ، فانما يقلد غيره من لا قدرة له على ادراك الحقائق ، ولهذا يدعو القرآن الى اعمال الفكر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، وهذا التفكير يهدى تلقائيا الى معرفة الله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وليس هناك معجزة باقية سوى القرآن ، وليس هناك من شهد معجزة نبيه سوى المسلمين ، واذن فليس هناك ديانة صحيحة سوى الاسلام .

لهذا نحن مسلمون .

وقلت: ان على سائلنا أن نسأله. ووجهت الى الأساتذة الجامعيين من العالم الجديد :

أنتم مسيحيون ، فهل رأيتم السيد المسيح ، طبعا لم تروه ، هل رأيتم معجزاته أو واحدة منها ؟

طبعا لم تروا . اذن أنتم مسيحيون بالوراثة . رأيتم آباءكم وذويكم مسيحيين فاتبعتموهم . وبوصفكم من رجال الفكر والبحث تعلمون أن من الباحثين من ينكر معجزات عيسى ، ومنهم من ينكر وجود المسيح ذاته كما أن هناك من ينكرون معجزات موسى ونبوته ، فما هو ردكم عليهم ؟

انني ــ كرجل مسلم ــ أتحدى من ينكر نبوة محمد بهذا القرآن ، أواجهه بمعجزة النبى الذى آمنت به ، ومن خلال هذه المعجزة أثبت وجود موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن كما أثبت معجزاتهم ، فقد أنزل الله القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، واذن فذوو الديانات الأخرى يعتمدون أيضا على القرآن .

وأذكر أن نبى المورمون لم يمض عليه قرن واحد ، ومع ذلك لا يملك أتباعه أى دليل على صدقه ، وقد قيل كثير حول ألواحه وقيل أكثر حول معجزاته ، وأتباعه الآن بلا شك مقلدون .

هذا جانب مما يجعلنا نؤثر الاسلام ونتبعه ، وواضح منه أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يملك الدليل على صدقه .

وسألت الأساتذة الجامعيين عن وجهة نظرهم ازاء حجتنا ، فقالت أستاذة منهم : لقد حضرنا أساتذة ولكننا خرجنا تلاميذ .

د : عبد الجليل شلبى

ولى الله بين القرآن والسنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : ان أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته ، قل تراثه ، قلت بواكيه . أخرجه الترمذى .

لم يفتر النبى صلى الله عليه وسلم منذ أن ابتعثه الله واصطفاه لأداء الرسالة وتبليغ الأمانة عن القيام بما انتدب له بكل أسلوب وكل وسيلة حرصا على أن يستجيب الناس له لينقذهم مما انغمسوا فيه من ضلال أراد الله أن يبعدهم عنه ويشفيهم منه ، وكان يحزنه أن يعرضوا ويصدوا عن نور هدايته حتى عاتبه الله فى آيات كثيرة على ارهاق نفسه بما يلقى من عنتهم فقال تعالى : لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . وقال تعالى : ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء . وقال تعالى : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وكان صلى الله عليه وسلم بما ألهمه الله من علم وحكمة خبيرا بسواطن التأثير من النفوس ومداخل الهداية من القلوب ذا بصيرة بأساليب الاقناع المناسبة لكل موقف ولكل انسان كان يدعو الكافر الى التوحيد ويحذر العاصى من العصيان ويحث الطائع على المزيد من الطاعات بألوان من الترغيب المبهج والترهيب المزعج مما احتوى القرآن أصوله ووشت السنة حواشيه وأطرافه بجوامع الكلم

وروائـع الحكم ، ففى القرآن الكريم والسنة النبوية معارض من القول فى أوصاف ما أعد الله للمؤمنين الطائعين من الثواب وما رصد للكافرين والعاصين من العقاب تتخلل أكثر سور القرآن مما يلين القلوب ويرقق النفوس ويفتح العقول والقلوب والآذان الى ما حوى الكون من غريب الخلق وعجائب القدرة والكشف عن سلطان الله فيما يشاء وعلى من يشاء وقد استغرق العمل للدعوة كل وقت رسول الله وكل جهده وجل حديثه فكان عمله وقوله حتى بين أهله وأصحابه تشريعا وهداية كملت به الشريعة واستقامت الملة ونقله أصحابه فى أمانة وصدق وحرص الى آفاق العالم فى حياته وبعد وفاته ، محوطا بالتقديس والثقة حتى بلغت الثقة به ما لم تبلغه شريعة مما تقدم من الشرائع السماوية ولقد كان طبيعيا أن تتفاوت حظوظ الناس فى العمل بما يؤمرون به وما ينهون عنه من الشريعة كما كان طبيعيا أن يتفاوتوا كذلك فى منازلهم عند الله وفى درجات القرب منه وقد بين ذلك الحديث أقرب الناس اليه وأرضاهم عنده وأوفرهم حظا من ثوابه والمغبوط منهم ، والذى يتمنى مثل درجته كل انسان من جمع خصالا استحق أن يبلغ بها ما بلغ عند ربه .

والمؤمنون جميعا أولياء الله بولاية الايمان وبالمودة وبالقرب والمحبة والطاعة لما شرع وهم كما حددهم فى كتابه وبينهم أبلغ بيان « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » . فولى الله من آمن به واتقى ما يخالف ما شرعه والايمان والتقوى يكادان لا يحتاجان لشرح وايضاح وصورتهما مرسومة بالفطرة فى أذهان ذوى الفطر السليمة وليس الولى هو الشخص الخيالى الذى يرسم الدجالون والكذابون وذوو العقول المدخولة صورته بصورة تجاوز بوصفه أوصاف الأنبياء وتجاوز بمنزلته منازل الأنبياء بل

يجعلون له نصيبا من تصريف الأمور وتدبير الشئون ويشركونه جهلا بالله ، فتصريف الأمور وتدبير الشئون شأن من شئون الله تعالى وحده « ألا له الخلق والأمر » .

ولى الله هو ما رسمه الله لا ما رسمته الخيالات الفاسدة والأساطير الخرافية وقد زاده الحديث بيانا فقال هو المؤمن الخفيف الحاذ ــ والحاذ الظهر ــ والمراد أنه المتخفف من مشاغل الدنيا ومحبوباتها من مال وولد وجاه والمتمكن بذلك من الاتصال بالله والاقبال عليه بصلاته وصيامه وفروضه عامة كما بينها رسول الله جاهدا فى أدائها على أحسن الوجوه وهو الذى يقوم بطاعاته وقرباته فى اسرار وخفية اتقاء الرياء والسمعة لتكون خالصة لله لا يشوبها غرض دنيوى يحبط ثوابه منها ثم هو الذى لا تخدعه مظاهر الدنيا ولم يجتذبه الشيطان الى التطلع الى مناصب الحكم والسلطان حتى يعرف ويشار اليه بالبنان أينما كان، ثم لم يجعل مع ذلك همه جمع المال واكتناز الذهب والفضة والضياع والمتاع بل كان همه من المال ما يقوم بحياته من ضرورات العيش فيكتفى به ويصبر عليه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.

ويحفظ على ذلك الوالى ولايته ليلقى بها ربه ان يقصر عمره وتعجل منيته خوفا من الامتحان والفتنة ولا يترك ميراثا لفقره ولاتقوم على قبره البواكى والنوائح لانطوائه على نفسه وتخفيه وزهده فى الجاه والمنصب والسلطان وتصاول الاقران . هذا رسم ولى الله فى القرآن وسنة رسول اللهوهذه صورته الصحيحة وليست صورته ورسم ما شطحت فيه خيلاتالمتصوفة والمرتزقة مما يخرج بها عن البشر ورسمه ماشطحتفيه خيلاتالمتصوفة والأرض ويسخرهم بقهره وسلطانه فتلك صورة خيالية لا يعرفها الاسلام ولم ينتحلها لاصلح خلق الله وأقربهم اليه بشهادة القرآن وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

وغيرهم من صحابته الأبرار الاطهار ولم يقل القرآن ولم تقل السنة عن واحد من اولئك ما يقوله الكاتبون فى الأولياء والمترجمون لهم ، انا لانجحد الأولياء ولاننكر ماحباهم الله من تقوى ولكن على الصورة التى رسمها القرآن والحديث لهم أما على الصورة التى رسمها بعض الناس من أنهم مدبرون مصرفون نافعون ضارون احياء وهم أموات تكاليفهم مرفوعة وذنوبهم موضوعة فانا نعوذ بالله من الضلال بعد الرشاد ومن الكفر بعد الايمان .

هذا ويلاحظ فى هذا الحديث اهتمامه بأمور جعلها عناصر هامة فى تحقيق جوهر الولاية أولها التحذير من التعلق باسباب الشهرة والجاه والسلطان ولعل ذلك لأنها من أسباب البلاء والدخول فى مداخل السوء والنفاق والرياء والغش والغدر والخوض فى اكتساب الحرام فمن تعلق باسباب الشهرة هان عليه دينه وضعف يقينه واقتحم مهاوى الهلاك والأمر الثانى قلة الاهتمام بالمال والاكتفاء بما يحفظ الحياة ويقيم الأود حتى لا يستغرق الاشتغال بالمال كل وقته وكل جهده ولايدع له فراغالعبادة الله . والأمر الثالث حسن العبادة، وحسن العبادة اداؤها على الصورة الكاملة التى رسمت لها ، ولكل عبادة وسائل احسان بينها العلماء والفقهاء فى مواطنها . واخيرا نسأل الله أن يجعلنا من أوليائه بما هدانا به من كتابه وسنة رسوله

ابو الوفا المراغى

قال صلى الله عليه وسلم :

« الصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه او قاتله فليقل : انى صائم ، انى صائم ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك » .

اخرجه النسائى عن عائشة .

القيادة العسكرية والمنهج العلمى فى الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

يروى أن القائد العام فى احدى الدول العظمى توجه لافتتاح كلية أركان الحرب (١) التى أنشئت لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى ، فلما دخل قاعة الدراسة حيث كانت تجلس أول مجموعة من الضباط الدارسين ، توجه نحو المنصة ليلقى فيهم كلمة ، فلم يزد على قول كلمتين اثنتين هما : « تعلموا التفكير » ! !

والحق أن خطاب القائد — على قصره الشديد — كان بليغا الى اقصى حد . فلقد قصد من ذلك التركيز على « بيت القصيد » وهو « تعلم التفكير » وهو الشىء الذى انشئت الكلية من أجله .

ولقد اهتمت كل جيوش العالم فى ذلك الحين بتنمية التفكير العلمى المنظم فى عقول رجالها ، فأنشأت مثل تلك الكلية لتدريب ضباطها

---

(١) ضباط الأركان أو أركان الحرب Staff Officers صفة تطلق على الضباط الذين يعاونون القائد فى اصدار القرارات وشئون التخطيط عموما ، وذلك بأن يجمعوا المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع ويحللوها ويخرجوا منها الاستنتاجات المختلفة عن طريق العمل أو الحل المتاحة والممكنة ويفاضلوا بينها ويضعوا تصورهم للحل أو البديل الأفضل ثم يعرضوا نتائج تفكيرهم على القائد الذى يتخذ القرار ولزيادة الايضاح يمكن أن نقول : « ان مهمة ضابط الأركان هى التفكير ، ومهمة القائد هى اصدار القرار » فاذا عين ضابط الأركان — بعد أن يمضى فترة فى عمله — فى وظائف القيادة فلا شك انه سيكون صالحا لاصدار القرارات .

وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات .

وقد أجمع العسكريون على أن « القدرة على اتخاذ قرار سليم » من الخصائص الحيوية للرجل العسكرى فى الحرب الحديثة سواء أكان قائدا أو جنديا .

واتخاذ القرار عملية عقلية يقدح فيها زناد الفكر ، وتدرس فيها المعطيات والعوامل والظروف المختلفة ، وتطرح فيها الحلول والبدائل ، وتفحص فحصا جيدا للمفاضلة بينها واختيار الحل أو البديل الأمثل .

ولقد انقضى العهد الذى كانت فيه القوة البدنية والشجاعة هما المقومات الأساسية للنجاح فى المعركة ، وأصبح التفكير العلمى المنظم هو المطلب الحيوى الأول للنجاح فى القيادة والقتال معا .

يقول الفيلد مارشال موتتجمرى (١) : « لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأى قائد فى القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما ، ومارسا ممتازا لفن الحرب (٢) اذا لم يقم قبل كل شىء بالدراسة والتفكير العلمى للحرب » .

ثم يركز موتتجمرى على موضوع التفكير العلمى المنظم فيقول بعد أن يستعرض المشكلات المعقدة للحرب الحديثة ومسئوليات القائد حيالها: « ينبغى أن يكون القائد مفكرا صافى الذهن تماما ، وأن يكون قادرا على استخلاص وفرز العناصر الجوهرية من بين أكداس من العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استشفاف العناصر الجوهرية يجب ألا يصاحبها فقدان الرؤية وسوف يفشل القائد — فى الأغلب — اذا لم يكن ذهنه فى صفاء

---

(١) فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » .

(٢) فن الحرب Micitary Art هو الفن الذى يحتوى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب من اعلى مستوى (قيادة وادارة تنظيم الخ) الى أقل مستوى (وهو القتال الفعلى فى الميدان) .

الثاج ، واذا لم يكن تفكيره منظما .

ويقول الجنرال جان بيريه فى كتاب له بعنوان « الذكاء والقيم المعنوية» ما يلى :

ان كل مشكلة تتطلب عملية فكرية واسعة ، وتحليلا لكل ما يتعلق بعدد معين من المعطيات الفنية والظروف الخاصة ... ثم يقول : ان ممارسة القيادة بطبيعتها عمل مزدوج يشمل مرحلتين متميزتين تتطلبان مواقف فكرية متباينة وهما :

* مرحلة الدراسة والتفكير
* مرحلة القرار والتنفيذ .

ويحدد القائد العسكرى لفكره ثلاث طرق فكرية مختلفة :

١ ـ طريقة «العالم» الذى يمعن الفكر بالتجارب ويستخرج منها قواعد عامة ويشترك فى وضع النظريات والقوانين .

٢ ـ طريقة «الطبيب» الذى يحلل ويناقش ويزن المعطيات لحالة خاصة محددة .

٣ ـ طريقة «رجل العمل» الذى يستنتج ويقرر وينفذ .

وجملة القول ان القدرة على اتخاذ القرار السليم من أول ما تطلبه الحرب الحديثة فى الرجل العسكرى قائدا كان أو جنديا ، وان التفكير العلمى المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم، وان عملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب أن تسير على المنهج العلمى الذى يقوم على العناصر التالية :

* تحديد المشكلة تحديدا صحيحا .
* دراسة وتحليل المعطيات أو وضع الفروض عن العوامل المحددة للمشكلة ثم اختيار كل فرض منها .
* استعراض البدائل التى تسهم فى حل المشكلة (على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة) .
* اختيار البديل الأمثل .

وهذا المنهج العلمى هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحدث النظريات العلمية لحل المشكلات الادارية وتسمى «بحوث العمليات» Operations Research

وهى مجموعة من الأساليب الرياضية التى تستخدم فى تحليل

المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها . وتعرف بحوث العمليات (١) بأنها « استخدام الطريقة العلمية فى تحليل المشكلات الادارية وقد أصبحت لبحوث العمليات التى تقوم على أساس المنهج العلمى كما قدمنا ــ أجهزة متخصصة فى كل تنظيم حديث فى الحياة العسكرية والمدنية على السواء .

والواقع أن المنهج العلمى هو منهج اسلامى ، سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا . فالاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وقد ارتفع بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة فى الأرض . وبها احتمل الأمانة التى عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات « فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

والعقل فى ميزان الاسلام هو التعبير الواقعى عن الرشد والأهلية لتحمل المسئوليات والتبعات والتكاليف كما أن له قيمته فى حركة الحضارات : انشاء واضافة وتطويرا، وحث الاسلام على التفكير والمشاهدة والتأمل والنظر فى ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية، والوصول الى معرفة نواميس الكون وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

* « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (العنكبوت ٣٠)

* « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (يونس ١٠١)

* « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » (الحج ٤٦)

* « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » (الغاشية ١٧ ــ ٢٠) .

---

(١) انظر « بحوث العمليات » ــ د. على السلمى ــ مطبوعات المنظمة العربية للعلوم الادارية .

* « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » (سبأ ٤٦) فالقرآن الكريم يوجه الى اتباع المنهج العلمى فى مناحى الحياة ، ويأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين **يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر** ويفكر .

وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم ، المبنى على الواقع وهو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل جوستاف لوبون الذى قال :

«قام منهج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا فى القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأى العلم ، والفرق بين النهجين أساسى ، ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا بتحقيق هذا الفرق ، واختبر العرب الأمور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهاج فى العالم وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا . ونشأ عن منهاج العرب التجريبى وصولهم الى اكتشافات مهمة ، وسترى من مباحثنا فى أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا فى ثلاثة **قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات مايزيد على ماحققه الأغارقة فى زمن** أطول من ذلك كثيرا . ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما **اكتشفوه . فالعرب قد نشروها كذلك** بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب فكان لهم الأثر البالغ فى أوروبا من هذه الناحية » .

ويقول الاستاذ الانجليزى بريفولت فى كتابه (بناء الانسانية) عن أصول الحضارة الغربية « أن الأوروبين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى ، وأنه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر . وقال أيضا « ليس لروجيه بيكون ولا **فرانسيس بيكون الذى جاء بعده** الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجيه بيكون الا رسولا من رسل

العلم والمنهج الاسلاميين الى أوربا المسيحية وهو نفسه لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة » .

وكانت نتيجة حث الاسلام على العلم وتوجيه المسلمين نحو الكشف عن سنن الله الكونية أن اندفع المسلمون الى البحث فى جميع ميادين الحياة روحية كانت أو عقلية أو مادية : ونشأ عن ذلك الحضارة الاسلامية التى أنتجت أمثال جابر ابن حيان فى الكيمياء وابن الهيثم فى الطبيعيات وأبى بكر الرازى فى الطب ، وابن سينا فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ، والخوارزمى فى الرياضيات وعشرات غيرهم فى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية .

وقد استخدم هؤلاء منهج الاستقراء ، ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير فى طريقها دون عوائق لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، ووصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

ان المنهج التجريبى أو منهج الاستقراء يقوم على تتبع الجزيئات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الافتراض (وفى هذه الحالة يبقى الافتراض مظنونا الى أن تثبته التجربة أو تنفيه) ـ كل ذلك يستهدف الوصول الى الحقائق العلمية والقوانين التى تحكمها .

وقد حدد الحسن بن الهيثم أصول المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا فقال :

« نبتدىء البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح حال المبصرات وتميز خواص الجزئيات » فهو فى ذلك يدعو الى البدء بدراسة الحقائق الجزئية واستخدام الملاحظة العلمية المقصودة فى دراسة الحقائق تمهيدا لاكتشاف خواصها ومعرفة صفاتها والوصول الى القوانين التى تحكمها .

وقد أشار فى نص آخر الى

أهمية التجربة التى يسميها « بالاعتبار » فى دراسة الظواهر تحت ظروف مختلفة ، ويوصى باستقراء أكبر عدد ممكن من مفردات الظاهرة التى يعرض الباحث لدراستها تفاديا للخطأ فى نتائج الاستقراء ويطالب الباحث بأن يكون موضوعيا فى دراسته بعيدا عن التحيزات الشخصية فيقول : « ولنجعل غرضنا فى جميع مانستقريه وتتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى وتتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

وجاء فى رسالة اخوان الصفا الدستور الذى وضعه العرب للبحث العلمى والفلسفى وهذا الدستور ينحصر فى تسعة أحكام كما يلى :

* السؤل الأول (هل هو) يبحث عن وجدان الشىء أوعن عدمه ولجواب نعم أو لا .
* السؤول الثانى (ما هو) يبحث عن حقيقة الشىء .
* السؤال الثالث (كم هو) يبحث فى مقدار الشىء .
* السؤال الرابع (كيف هو) يبحث عن صفة الشىء .
* السؤال الخامس (أى شىء هو) يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .
* السؤال السادس (أين هو) يبحث عن مكان الشىء أو عن رتبته .
* السؤال السابع (متى هو) يبحث عن زمان كون الشىء .
* السؤال الثامن (لم هو) يبحث عن علة الشىء المعلول .
* السؤال التاسع (من هو) يبحث عن التعريف للشىء .

محمد جمال الدين محفوظ

الشكوى الى الله :

الشكوى الى الله تعالى لا تنافى الصبر ولا الرضاء ، بل اعراض العبد عن الشكوى الى غيره من جهله بخالقه وعدم رضائه وصبره بما ابتلاه الله تعالى به ، والله تعالى يمقت من يشكوه الى خلقه ، ويحب من يشكو ما به اليه . قيل لبعضهم كيف تشتكي الى من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء . فقال :

قالوا اتشكوا اليه ما ليس يخفى عليه
فقلت ربى يرضى ذل العبيد لديه

نبى الإسلام

كما يراه "لامرتين" شاعر فرنسا الكبير

التحرير

« لامرتين » نابغة من شعراء فرنسا بدأ اسمه يلمع عام ١٨٢٠ وفجأة قفز الى مصاف فحول الشعراء ، ثم انتخب فى المجمع العلمى الفرنسى . وبعد ما تجول فى الشرق عين نائبا فى مجلس النواب فكانت له فيه جولات خطابية موفقة .

ولما أسست الجمهورية الثانية كان عضوا فى الهيئة الحاكمة المؤقتة ووزيرا للخارجية . أما مؤلفاته ودواوينه فهى عديدة نذكر منها التأملات الجديدة ... موت سقراط ... رحلة الشرق ... الانسجام الشعرى ... جوسلين .

درس « لامرتين » حياة نبينا الكريم دراسة وافية ، وأدرك مافيها من عظمة وخلود ، وهذا هو الدافع الى أن يسجل ويقول :

« أترون محمدا كان أخا خداع وكذب .. كلا .. لم يكن خادعا ولا كاذبا بعد ما عرفنا تاريخه ودرسنا حياته ، فالكذب والخداع والتدليس صفات تتولد من نفاق العقيدة وليس للنفاق قوة العقيدة وليس للكذب قوة الصدق » .

وتناول حياته بالتحليل قائلا :

« ان حياة محمد وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته ، وشهامته وجرأته وبأسه ، وثباته ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته فى وسط أعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين وهزأه بهزء الهازئين وحميته فى نشر رسالته ، وتوافره على السعى فى اظهار دعوته ، ووثوقه بالنجاح وايمانه بالفوز ورباطة جأشه فى

الهزائم ، وتطلعه الى اعلان كلمة الله وتأسيس العقيدة الاسلامية ، ونجاح دينه بعد موته . كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل . وهذا اليقين الذى ملأ روحه هو الذى وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة ومبدأ مزدوجا ، وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة . الأولى تدل على من هو الله ، والثانية تنفى ما ألصقه الوثنيون به . الأولى حطمت آلهة كاذبة ، والأخرى فتحت طريقا الى الفكر والتأمل »..

وفى موضع آخر يقول :

« لقد كان محمد فيلسوفا وخطيبا ومشرعا وقائدا وفاتح فكر وناشر عقيدة تتفق مع الذهن ومنشىء عشرين دولة فى الأرض ، وفاتح دولة فى السماء من الناحية الروحية، أى رجل قيس بجميع هذه المقاييس التى وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه ؟

ولو كان مقياس العظمة هو اصلاح شعب متدهور ، فمن ذا يتطاول الى مكان محمد ؟ .

لقد سما بأمة متدهورة ورفعها الى قمة المجد ، وجعلها مشعلا للمدنية وموردا للعلم والعرفان ..

لقد كان مقياس العظمة فى توحيد البشرية المفككة الأوصال فمن أجدر بهذه العظمة من محمد الذى جمع شمل العرب وجعلهم أمة عظيمة وامبراطورية شاسعة .

ولو كان مقياس العظمة هو اقامة حكم السماء على الأرض فمن ذا الذى ينافس محمدا وقد محا مظاهر الوثنية ليقيم عبادة الخالق وحده .

ولو قسمنا العظمة بالنصر الحربى والنفوذ والسلطان فمن يدانيه فى هذا المضمار ؟ لقد كان يتيما لا حول له ولا قوة ، فأصبح ملكا عظيما ومؤسسا لامبراطورية دامت ثلاثة عشر قرنا من الزمان — ولازالت — .

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذى يخلده فى النفوس على مر الأجيال فها هو محمد يمجده أربعمائة مليون من الناس فى مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم .

نبى الاسلام

كما يراه المستشرق الفرنسى اميل درمنغم

كتب المستشرق الفرنسى اميل در منغم كتابا عن حياة محمد فى شتى مراحلها نقطف منه ثلاث الفقرات التى جاءت بعنوان : « رسول الله » حيث قال :

تاريخ البشرية ما هو الا سلسلة من الايحاء والالهام ، اذ يسمع البشر بين وقت وآخر صيحة مدوية، واذا برجل يسير فى طريق الحق غير متوان ، عاملا على أن يوقظ الآخرين من نومهم العميق •

هكذا يقوم خلاص البشر على سلسلة من الأفعال الحرة الطليقة •

وهكذا نهض محمد — صلى الله عليه وسلم — يدعو قومه الى دين الواحد الأحد وهكذا نهض لينبه آسيا وأفريقيا ، وليجدد بلاد فارس الناعسة وليحث نصرانية الشرق التى أفسدتها التأملات الفاترة •

وشأن الأنبياء فى العالم كشأن قوى الطبيعة الهائلة النافعة ، كشأن الشمس والمطر كشأن عواصف الشتاء التى تهز الأرض وتثيرها لتتزين ببساط أخضر فى بضعة أيام • وأحسن شهادة لهؤلاء الأنبياء ما يورثونه من راحة العقول وطمأنينة القلوب وشد العزائم والصبر على الشدائد ، مع شفاء الأخلاق المريضة الواهية •

جاء نبى الاسلام يدعو العلماء ليفقهوا ما يقولون ، ويقوم ما يتيه فيه الحكماء من الطرق المعوجة ، فالناس حين يستمعون لكلامه الموحى اليه به يعود اليهم سابق اتصالهم بالسر المحيط بهم ، مهتدين الى مبدأ حى لا يجدون مثله فى نصائح الفلاسفة وأقطاب السياسة والاجتماع • ويكفى أن نشير أن نبى الاسلام ظهر فى وقت من أشد أوقات التاريخ ظلاما ، فى وقت كانت فيه الحضارات مضطربة متداعية •

وبين محمد ومن تقدمه من أنبياء بنى اسرائيل شبه قوى فكان هو

بمكه كأشعياء فى اسرائيل وكان وهو حاكم بالمدينة كيشوع فى كنعان . ــ وهــذا قيــاس مع الفارق ــ

والقــرآن هــو معجزة محمــد الوحيدة ، فأسلوبه المعجزة وقــوة أبحاثه التى لا تزال لغزا الى يومنا هــذا ، يثيران ساكن من يتلونه ، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين . وكان محمد يتحدى الانس والجن بأن يأتوا بمثله . وكان هذا التحدى أقوى دليل على صــدق رسالته ، وهــذا لا يعنى الاشارة الى قيمــة أدبية خاصــة فى القرآن ، ما دام محمد كارها للشعراء ، محترزا من أن يكون أحــدهم ، وما دام هناك فــرق بين وحى الله ونفث الجــن ، ولا ريب فى أن كل آية منــه ، ولو أشــارت الى أدق حادثة فى حياته الخاصة تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية .

ولا يستطيع أحــد أن يشك فى اخلاص محمد ، فحياة محمد مهما كانت وجهة النظر فيها شاهدة على اعتقاده صــدق الرسالة التى حمل أمانتهــا الثقيلة ببطولة ، وأن قوة ابداعــه وعبقريته الواســعة وذكائه العظيم وبصره النافذ وقــدرته على ضبط نفسه وعزمه المكين ، وحــذره وحسن تدبيره وطراز عيشه مما يمنع ذلك النبى ، ذلــك المــوحى اليــه الموهوب أن يكون مبتلى بالصرع .

ولم يدر فى خلد محمد ثانية أن يجعل كلامه ملائما لذهنية معاصريه حتى يسهل اقناعهم واجتذابهم اليه . فاذا كان محمد قد استمال الناس اليه فلم يكن ذلك بما هو هين سهل بل بعرضه عليهم رسالته الســاطعة الحــادة كالسيف ، المنفصــلة عن نظراته الشخصية ..

عن على رضى الله عنه قال :
ياحملة العلم اعمــلوا به فانما العالم من علم فوافق علمه عمله ، وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجــاوز تراقيهم ، يخالف علمهم عملهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه اذا جلس الى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله عز وجل .

انهيار البناء العقلي لعلم الكلام
والدعوة إلى التخطيط لعلم كلام جديد

للدكتور يحيى هاشم

المقال الأول :

تتوقف المعرفة بالله عند المتكلمين ــ أشاعرة ومعتزلة ومن تأثر بهم ــ على النظر العقلى ، حيث تنفرد الدلالة العقلية عندهم منهجيا باثبات حدوث العالم واثبات الصانع وكونه عالما قادرا متكلما مرسلا للرسل مظهرا للمعجزة على أيديهم .

هذه الموضوعات ــ وهى الموضوعات الأساسية فى العقيدة تنفرد فيها الدلالة العقلية. ولاتنضم اليها الدلالة السمعية ــ لأنها لما تثبت ــ الا على سبيل الموافقة، لا الاستدلال .

وهذه المعرفة العقلية تتوقف على العلوم الضرورية .

***

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن مصدر هذه العلوم الضرورية .

حقا نحن لا نسأل عن دليل عليها، أو على صحتها ، ولكن هذا لا يمنعنا من السؤال عن مصدرها .

ولقد أغنانا المتكلمون فى هذا المقام حيث قرروا أن العلوم الانسانية علوم حادثة . وحيث قرروا أن الله خالق العلوم الضرورية ، بل قرروا أنه سبحانه وتعالى خالق العلوم النظرية . قال ذلك الأشاعرة ، بل قال بذلك المعتزلة أنفسهم ، بالرغم من مذهبهم فى خلق الأفعال حيث أسندوا خلقها الى الانسان .

واذن فمعرفة الله متوقفة على العلوم العقلية النظرية ، والعلوم النظرية متوقفة على العلوم الضرورية والعلوم الضررية مخلوقة ومن ثم يتوقف الثقة فيها على الثقة فى خالقها ، وهو الله سبحانه وتعالى، اذن فمعرفة الله تعالى تتوقف على معرفة الله تعالى .

وهذا دور ظاهر .

وهناك دور آخر وقع فيه علم الكلام جملة عند الأشاعرة والمعتزلة على السواء .

وذلك فى كلامهم حول مصدر ايجاب النظر .

ان المعتزلة يوجبون النظر ايجابا عقليا على أساس الخوف من الضرر عند تركه .

والأشاعرة يوجبونه ايجابا شرعيا مستدلين على ذلك بالآيات الواردة فى الحث على النظر وترك التقليد .

وقد وجه كل من الطرفين الى الآخر تهمة الوقوع فى الدور فى هذا المجال .

فللأشاعرة يقال :

(يقول المكلف : لا أنظر ما لم يجب النظر ، ولا يجب النظر ما لم يثبت الشرع ، ولا يثبت الشرع ما لم أنظر) .

وللمعتزلة يقال أيضا :

(يقول المكلف : لا أنظر ما لم يجب النظر ، ولا يجب النظر ، ما لم أنظر) .

والنتيجة : أن البناء العقلى لعلم الكلام وقع فى الدور الذى أراد الهرب منه عندما لم يقبل أن تكون معرفة الله عن طريق السمع ، وذهب يقيم بنيانه العقلى لذلك .

وهو قد وقع فى واقعتين من الدور الباطل :

الواقعة الأولى : تبطل شرعية وجوده .

الواقعة الثانية : تبطل شرعية وجوبه .

* * *

ومع ذلك فاننا يجب أن نعترف لهذا العلم — فى صورته القديمة — بشجاعة التصدى لتيارات الالحاد الذى كان قائما فى عصر نشأته .

كما يجب أن نقرر أننا اليوم بازاء تيارات الحادية أكثر تنوعا وأشد ضراوة .

وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات ومؤسسات وقوى ، تتسم بالضراوة والحنكة ، والتنظيم الدقيق ، والعمل الدائب ،

والكراهية العميقة للاسلام بخاصة ولا أظنني مبالغا ــ قيد أنملة ــ فى تصوير هذا الواقع الذى يترصد عقائد المسلمين ــ فى عصرنا الراهن ــ من شتى الاتجاهات ، ومختلف الجبهات .

بل اعتقد ان هذا التصوير ينال تصديق جميع المسئولين عن حركة الفكر الاسلامى الحديث مهما تختلف مواقفهم من كيفية التصدى لهذا الخطر الداهم الذى يهدد عقائد المسلمين بجدية وعنف .

فاذا أردنا تصوير هؤلاء وجدنا أنفسنا ازاء موقفين ، الأول : ينادى بمنهج تربوى اسلامى يقوم على تربية المسلم على اساس التسليم المطلق بأصل الاصول فى العقيدة الاسلامية ، ومن ثم يصير المسلم الى التسليم بالاصول الاخرى ، وبالتفاصيل والجزئيات تسليما تبعيا لايقبل المناقشة ولا يحتملها ولا يصغى اليها ... ولاحاجة به بعد ذلك الى علم يقوم بعبء المناقشة والجدل .

الثانى : ينادى بالرجوع الى علم الكلام القديم والاستناد اليه فى محاربة أشكال الالحاد الحديث ، باعتباره العلم الذى قام بهذه المهمة فى الماضى ، ومن ثم كان قادرا على القيام بنفس المهمة فى الحاضر والمستقبل،وقديما أرجع الشهرستانى الشبهات التى حدثت فى مراحل الحياة الانسانية الى زمن موغل فى الماضى .. الى ابليس ، فلا جديد هناك ..

والذى أراه ان كلا الفريقين مغرق فى التفاؤل ، وان التصدى لتيارات الالحاد الحديث يحتاج الى يقظة أشد ، والى نظرة أعمق وأشمل .

ونناقش أصحاب الموقف الأول فنقول لهم ما قاله الامام أبو حنيفة رضى الله عنه فى هذا الشأن فى حوار بين العالم والمتعلم : (قال المتعلم : رأيت أقواما يقولون لاتدخلن هذه المداخل ، فان أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا فى شيء من هذه الأمور ، وقد يسعك ما وسعهم ... وجدت مثلهم كمثل

رجل فى نهر عظيم يكاد أن يغرق من قبل جهله بالمخاضة ، فيقول له آخر : أثبت مكانك ولا تطلبن المخاضة . قال العالم : قل لهم : بل يسعنى ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتى مثل الذى بحضرتهم وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطىء منا والمصيب وان لا نذب عن انفسنا وحرمنا ، فمثل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلون فلا يتكلفون السلاح ... مع ان الرجل اذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه .) ، وبقية النص يبين فيه الامام أبو حنيفة أن الرجل منا اذا كف نفسه ولم يبال أن يعرف من المخطىء ومن المصيب وسط الشبهات الحائمة والجدل الدائر وقع فى أمور ، منها الجهالة ومنها نزول الشبهة به كما نزلت بغيره لا يدرى كيف يخرج منها ، ومنها أنه لا يدرى من يحب فى الله ومن يبغض فى الله من هؤلاء ... ، أما اذا عرف الرجل الحق والعدل ، وامتنع عن أن يعرف ما به غيره من الباطل والجور فأن أبا حنيفة يصفه بأنه أجهل الأصناف كلها ويسخر منه اذ يمثل له بجماعة : (.. أربعة نفر يؤتون بثوب أبيض فيسألون جميعا عن لون ذلك الثوب فيقول واحد : هذا ثوب أحمر ، ويقول الآخر : أصفر ، ويقول الثالث أسود ويقول الرابع : أبيض فيقال له : ما تقول فى هؤلاء الثلاثة أصابوا أم أخطأوا ؟ فيقول : أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض وعسى ان يكون هؤلاء قد أصابوا ...)

أما عن المنهج التربوى الذى ينادى به أصحاب هذا الاتجاه فانه ما نؤمن به وهو لاريب أساس يجب أن يسبق أية محاولة أخرى ، لكنه من الواضح أنه يستهدف تربية المسلم ، وليس الدفاع عنه ، ونحن اذا أخذنا بالناحية الايجابية وحدها فى تربية المسلم وتغافلنا عن النواحى السلبية التى لا بد من أن تتسرب اليه من أعداء دينه ــ وهم فى العصر الحاضر أطول باعا وأقوى أسلوبا وأحكم تدبيرا ــ نكون مثاليين الى درجة

لا يسمح بها الواقع الذى نعيشه ، بل انه لم يسمح بها واقع المسلمين فى عصر نشأة علم الكلام — فى القرنين الأول والثانى — وهم اذ ذاك أقرب منا الى عصر النبوة ونورها • ان نصرة الدين بالدفاع عنه فى كل مجال من مجالاته ضرورة نواجه بها أعداء الدين ، ونقطع الطريق على المسارب الخفية التى تتسلل الى المسلم الذى نحاول تربيته على الأساس « التسليمى » •

ان الظروف التى نشأ فيها علم الكلام القديم هى التى أجبرته أن يكون على ما كان عليه ، لقد غلب الجانب الجدلى على علم الكلام القديم ، وتلون فى جانبه ذاك بضرورات عصره ، ولم يكن ذلك راجعا الى طبيعة هذا العلم — فى صورته النظرية — بقدر رجوعه الى ما كان يموج فى البيئة الاسلامية من تحديات الفلسفات والعقائد المناوئة على اختلاف أنواعها ، فى صورها المستترة والمعلنة على السواء • لقد أرغمت هذه التحديات متكلمى الاسلام على توجيه أنظارهم الى المباحث التى يدور فيها الاحتكاك بين الاسلام وبين تلك العقائد • ولقد كان لهذا العلم فى هذا المجال هدف جليل يتمثل فى المحافظة على عقائد المسلمين ، وكان عليه أن يواجه فى هذا الموقف أعتى أعداء الاسلام وأخطرهم وأقواهم سلاحا وأشدهم تمكنا وأكثرهم تحالفا وأوسعهم تنوعا • وان المرء ليكاد يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أن يحدث لو أن الهجوم العقدى الذى تعرض له المسلمون قديما على عتوه وجبروته وجد بين المسلمين فراغا أو التقى فيهم بالمواقف السلبية ، لقد قام علم الكلام القديم — اذ ذاك — بمسئوليته الايجابية ، بعبء الدفاع عن عقائد المسلمين وقد قام بذلك على خير وجه ممكن فيما أعتقد ، يحتم علينا — من الناحية الواقعية — اغضاء الطرف عما اضطر اليه أو علق به ، فى سبيل تمكنه من قيامه بهدفه الدفاعى الاسمى • انه عن طريق علم الكلام القديم دفع المسلمون الأوائل ثمن احتفاظهم بعقائدهم ونقلها الينا سليمة معافاة ، وان كان هذا الثمن اقتضاهم

ما حدث هناك من تفرق وجدل واعتماد كاذب على العقل النظرى ، لكنه على أية حال كان ثمنا محتوما لا بديل منه الا الاستسلام الكامل للغزو الفكرى العنيف الذى لم يكن يقنع بغير أن يجتث عقائدهم من جذورها .

انه اذا أخذنا على علم الكلام القديم انه لم يكن قاصرا على ما كان يجب أن يقصر نفسه عليه من استيحاء القرآن والسنة وحدهما ، فانه لا ينبغى أن نغفل عن العوامل الاخرى التى كانت هناك ، ولم يكن لعلم الكلام أن يغفلها أو يتجنبها ، ولو أمكنه ــ تعسفا ــ لما كان وفيا لحال ــ المجتمع الاسلامى ــ اذ ذاك ــ فكريا واعتقاديا ، ولا انفصل عن حياة المسلمين ، ولا انحرف المسلمون الى حال يستوردون فيها المذاهب من خارج ، ويضعون عليها أسماء محلية كما فعلت ــ وتفعل ــ المجتمعات فى أطوار تأخرها وانحلالها .. انه لو فعل ــ وتجنب العوامل التى تفعل فعلها فى الفكر السائر آنذاك ــ لصار الى علم يدرس بين جدران الفصول ، وانعزل عن المجتمع ، وفقد تأثيره القوى فيه .

كما هو حاله اليوم ــ وذلك المصير كان من شأنه أن يحفظ عليه نقاءه ، لكنه على وجه التأكيد كان من شأنه أن يقع به فى وهدة الجمود ، ويطوح به فى صحارى العزلة ، ويقعد به عن القيام بهدفه الذى لا يقوم به غيره ، ألا وهو شرح العقيدة والدفاع عنها بلغة من يخاطبهم من الناس .

انه لا مكان للكلام عن امكان استغناء المسلمين القدماء عن علم الكلام القديم والاستدلال على هذا الامكان باستغناء الصحابة عنه فى عصرهم وقد (كانت طاعتهم أجل ، وقلوبهم أسلم ، وصدورهم أطهر ، وعلمهم أوفر ..) كما يقول السيوطى رحمه الله ذلك ان الأمر لم يكن يدور حول هذه الصفات التى كانت للصحابة رضى الله عنهم بقدر ما كان ضرورة من ضروريات بيئة ثقافية ، وتطور علمى ، ومزيج معين من الأفكار والمعارف والأوضاع الحضارية ، خلا عنه عصر

الصحابة ، وحل فى عصر لاحق ..
فكان لابد من أن ينشأ علم الكلام وينمو ، ليقاوم العقائد والأفكار المعادية والمناوئة ، والتى وجدت مناخها المناسب فى آفاق النظام الاجتماعى الاسلامى نفسه .. حيث تطلع شمس المساواة ويتجلى نور التسامح ، ولم يكن هناك بديل لقيام هذا العلم الا بأن تغرب هذه الشمس وينطمس ذلك النور ، ويقع المجتمع فى هوة الاضطهاد الدينى ، وليس بذاك كان انتشار العقيدة الاسلامية نفسها ، ولا بذاك يكون استمرارها ويكفى أن نستعرض جهود خصم عنيد وقف للعقيدة الاسلامية فى مهدها كل مرصد — ألا وهو المسيحية — لكى نحس احساسا صادقا أن فى استمرار المسلمين على عقيدتهم بعد دخولهم فى معارك ضارية معه دليلا واقعيا على وفاء هذا العلم بالدور الذى كان مطلوبا منه اسلاميا .

ان الامام الغزالى وهو خير ناقد للفلسفة وعلم الكلام يترك لعلم الكلام منطقة عمل لا ينكرها عليه اذ يقول « والكلام من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار الحراس فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق » .

هذه كلمة انصاف لعلم الكلام فى ماضيه ، فى عصر حيويته ، ولكنها لا تعنى استمراره على صورة ثابتة ، من الصور التى جمد عليها فى عصر معين فى مذهب معين ... فى مسائله ، وأدلته ، ومنهجه ، كما يريد أصحاب الموقف الثانى (١) .

وهل يعنى استمرار علم الطب — مثلا — استمرار صورته التى تركه عليها بقراط اوابن سينا ؟ فنظل نلوك نفس المسائل ، ونفس الادلة ، ونسلك نفس المنهج ؟ انه لايقول بذلك احد — بداهة — يريد للعلم استمرارا حقيقيا .

---

(١) تلك خلاصة ما اثبتناه فى رسالة الماجستير عن نشاة علم الكلام .

ان العلم لا « يستمر » اذا فقد حيويته •

المقال الثانى :

انه لكى « يستمر » العلم لابد من ان يشارك فى صنع الحياة ، أو توجيها يؤثر فيها ، ويتلقى عنها، ويلتحم باحداثها • وهنا لابأس من ان تسقط عنه بعض مسائله وان تدخل اليه مسائل اخرى ، وان يستغنى عن بعض ادلته ، وان يستعمل ادلة مبتكرة وان يهمل منهجا ليسلك منهجا جديدا ، وان يهجر اسلوبا فى الصياغة ليقبل على اسلوب آخر •وعلم الكلام لايمكن ان « يستمر » الاعلى هذا النحو••

اننا نخدع انفسنا اذا توهمنا له «الاستمرار» لمجرد انه لايزال يدرس فى بعض الكليات او الاقسام الجامعية المتخصصة •

وعلم الكلام لابد أن « يستمر » لمواجهة تيارات الالحاد المعاصر •

ونحن نخدع انفسنا ــ مرة ثانية ــ اذا توهمنا له ــ فى صورته التى تدرس حاليا والتى جمد عليها منذ القرن الثامن الهجرى على اكثر تقدير ــ القدرة على مواجهة تلك التيارات ••

اننا نلاحظ مع الاسف الشديد ان الذين يواجهون هذه التيارات الآن هم احد فريقين : اما افراد من غيرالمتخصصين، من القادة السياسيين او من دعاة الاصلاح ، اومن الادباء او من العلماء المتخصصين فى غير العلوم الاسلامية، واما أفرادمن علماء الاسلام المتخصصين فى العلوم الاسلامية ولكنهم اذ يفعلون يقدمون بحوثهم تحت عناوين لاتنتمى الى علم معين من شجرة العلوم الاسلامية وصار يطلق على هؤلاء جميعا ــ اذ يفعلون ذلك ــ أسماء تعبر عن أزمة الفكر الاسلامى ازاء هذه التحديات ، يسمى بعضهم تارة « مفكر اسلامى » ، وتارة باحث اسلامى ، وتارة فيلسوف اسلامى ، وتارة مصلح اسلامى ، ولا يقال «فقيه»، أو «متكلم» ، أو «حافظ» أو «مفسر» ••• الخ • ومعنى هذا ان هناك فراغا فى ثبت العلوم الاسلامية ازاء تحديات العصر ، وان فرع التخصص فى شجرة العلوم الاسلامية الذى يواجه تيارات

الالحاد المعاصرة ـ على تنوعها وتشعبها وظهورها وتسترها لايمكن ان يتمثل فى علم الكلام فى أية صورة من صوره التاريخية الجامدة منذ قرون . اننا لاننكر ان البحث الدءوب فى تراثنا الكلامى يمكن ان يضع ايدينا على اسس فكرية صالحة للتنمية والاستثمار فى مواجهة بعض تيارات الالحاد المعاصر ، فى بعض القضايا التى تتعلق بحقيقة الوجود ، ـ والالوهية ، والنبوة على سبيل المثال ولكن يجب ان نقرر هنا انه لابدمن أن تراعى طريقة طرح هذه المسائل فى الثقافة المعاصرة ، وأسلوب معالجتها ، وان نعيد النظر فيما نجده صالحا فى علم الكلام ، لنصل به الى ان يكون متوافقا مع اهتمامات العصر وطريقة تناوله للامور .

ويكفى ان نضرب لذلك امثلة : من قضية وجود الشرفى العالم التى يطرحها العصر الحديث من زاوية يتأدى بها الملحدون الى انكار وجود الله ، ومن قضية وجود المادة ، واصل وجودها ، وهى قضية تطرح من زاوية تتعلق بالعقائد الدينية ، والاخلاق ، والاقتصاد على السواء . ومن قضية طبيعة العقل ، وطبيعة المعرفة ، ومناهج البحث وهى قضايا تنتهى الى نتائج تمس العقيدة أيضا ..

هذه امثلة لمسائل شتى يطرحها العصر الحديث من زوايا تختلف كثيرا عن الزوايا التى تناولها منها علم الكلام ، وكان له فيها اجمال حيث يقتضى العصر بالتفصيل ،أوكان له فيها تفصيل يكتفى فيه العصر بالاجمال ويظل العصر بعد ذلك غير قانع بما وقفت عنده أقلام الكاتبين فى القرن الثامن الهجرى .

على اننا يجب ان نقرر ايضا ان علم الكلام ـ كما نجده فى صورته الثابتة التى تدرس بالمعاهد والكليات ـ وجه اهتمامه الى دائرة من المسائل النظرية لم يجاوزها الى بحث كثير من المسائل العملية التى تتصل بالعقائد بطريق مباشر او غير مباشر، كما كان شأنه فى اوائل نشأته ، اذ يصوره لنا الفارابى فى تعريفه لهذا العلم بقوله (صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء

والافعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ماخالفهـا بالأقاويل) • اذ ذاك كان علم الكلام يعنى بكل ماصرح به فى الدين، ويراه جديرا بأن ينتصر له ، لان انكـاره يعنى انكـار الدين نفسه ، ومن ثم يؤدى الى المروق من عقيدة الاسلام وليس ثمة علـم ينتصر للعقيدة غير علم الكلام •

بهذا المفهوم الواسع لعلم الكلام ـ الذى نرى انه ينبغى العودة اليه تمشيا مع أهداف هذا العلم ورسالته تضـاف اليه مسـائل حيرى تثيرها موجات الالحاد المعاصرة ، ويصـبح علم الكلام مسئولا عنها •

هذا تطوير يجب ان يتم فى مسائل علم الكلام،لكى يقوى على مواجهة الالحاد المعاصر مواجهة فعالة شاملة

وهنـاك مشـكلة المنهج ، التى يجب عليـه ان يواصـل بحثه لها وتطويره اياها ، لكى يتجنب الفوضى اوالاضطراب والتمزق والتناقض ، الأمر الذى كانت الفرق المتنـاحرة صـورته المعبرة ، وكان منشـؤه الأصيل ـ فيما أرى ـ غياب المنهج الواضح الصحيح ، الذى يبين العلاقة بين النص والعقل باعتبارهما ركيزتين ضروريتين لنشاط هذا العلم •

وخلاصة القول • •

اننى أجد أن المسلمين اليوم بحاجة الى قيام علم يقوم بمهمة حراسـة العقائد الاسلامية والتمكين لها فى النفوس •

وان علم الكلام الذى نجد صورته الثابتـة عنـد الايجى والتفنازانى لايمكنه ـ بصورته تلك ـ أن ينهض للقيام بهذه المهمة ، وسبب ذلك انه غريب على التيارات الثقافية والعلمية المعـاصرة وانه انعزل عن المجتمـع وانحصر الى قاعات الدرس بالمعاهد المتخصصة وصـار يردد قضـاياه الأصـيلة دون أن يعنى بالتيـارات الالحادية التى تموج فى حياة المسلمين فى العصر الحاضر •

وان علم الكلام يجب أن يخرج من صورته الثـابتة ، ليتحقق له

الاستمرار ليتمكن من القيام بمهمته الخطيرة فى مواجهة تيارات الالحاد العصرية فى ميادينها المختلفة •

والسبيل الى ذلك — فى رأيى — ينبغى أن يبنى على تحديد علاقة هذا العلم بالجوانب الرئيسيةالتالية أولا ، والحضارة ثانيا ، وطالب العلم ثالثا ••

(١) جانب المنهج • من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل النص أولا وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا ، والانسان ثالثا •

وفى هذا الجانب يجب أن نأخذ فى الاعتبار النقد الذى وجه الى علم الكلام القديم والذى استقر البحث فيه على :

١ — أن علم الكلام القديم وبخاصة عند المعتزلة والأشاعرةومن جرى جربهم لم يكن يذهب الى القرآن الكريم ليستدل به على العقائد الأساسية وانما يذهب اليه ليستشهد به على صحة مايذهب اليه أولا بالعقل النظرى المستقل •

٢ — أن ما استند اليه علم الكلام القديم من أن العقل النظرى المستقل يمكنه أن يصل الى اليقين غير صحيح •

ومن هنا فان هذا العقل ليس له أولوية على النص •

٣ — ان استناد علم الكلام الى العقل المستقل فى أصول العقائد — مع اعتباره أن العلوم الضرورية والعقل مخلوقان لله — أوقعه فى الدور الباطل الذى ظن انه يهرب منه بهذا الاستناد •

٤ — أن مبدأ التسليم للنص تسليما مطلقا ابتداء •• ليس قاصرا على المسلمين سلفا ، وانما هو موجه الى الانسان من حيث هو ، وهذا ينفى عنه تهمة الدور الباطل التى أبعدت عنه علم الكلام القديم[1] •

---

(١) تلك خلاصة ما أثبتناه فى رسالة الدكتوراه عن أصول علم الكلام فى القرآن الكريم •

واذا كان لابد من ملاحظة هذا النقد عند التخطيط لعلم الكلام الجديد فانه يوحى لنا بالخطوط الأساسية لما ينبغى أن يكون عليه منهج علم الكلام الجديد .

وهذه الخطوط يلتقى عندها الاسلام والفكر الانسانى المعاصر..

أولا ـ عدم المغالاة فى قدرة العقل ، واسقاط الفلسفة اليقينية واحلال البحث العلمى المنظم محلها.

ثانيا ـ تبسيط النظر فى العقيدة وتوحيد منهجه وجعله ملائما للمستويات الانسانية كلها .

ثالثا : الاعتراف بالانسان فى مجموع قواه النفسية المختلفة ارادية وعقلية ووجدانية ، وتوجيه الاعتقاد الى هذا المجموع .

رابعا : تمكين الانسان من الاعتقاد الذى يتجاوب مع النزعة العملية .

خامسا : البحث عن مصدر فوق الانسان ، ينقذ الانسان من الحيرة التى أنشبت أظفارها فى جميع الاتجاهات . وهذا يتحقق بالرجوع المباشر الى الأصول الشرعية للاعتقاد، فى الكتاب والسنة والسيرة النبوية.

سادسا : أن يفسح للنزعة العقلية المجال الملائم لنشاطها ـ كضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية ـ على أن يلتزم فى ذلك بمبدأين :

١ ـ أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل فى دائرة الامكان الذهنى .

٢ ـ ألا يتخذ شىء مما وصل اليه العقل باجتهاده أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح فى الدين .

(ب) جانب الحضارة والتاريخ والمجتمع : من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل من هؤلاء .

وفى هذا الجانب أرى أن تحتوى خطة علم الكلام على النقاط الآتية:

١ ـ توجيه العناية الى ما يدور فى البيئة من أفكار ونظريات وفلسفات ، والمشاركة فى صنعها ،

أو العمل على توجيهها اذا ما تبين أنها تمس أصول الدين .

٢ ـ توجيه العناية الى المسائل ذات الصبغة العملية اذا ما تبين انها تمس أصول الدين كذلك .

٣ ـ توجيه العناية الى قيادة التطور الحضارى للأمة الاسلامية باعتبار أن العقيدة الاسلامية هى أساس هذه الحضارة وعنوانها .

(جـ) جانب شخصية طالب هذا العلم ، من حيث مستواه الدينى والعقلى والنفسى والثقافى .

ومن هنا ينبغى أن يحتاط فى اختيار طالب علم الكلام ويوجه توجيها نفسيا وعقليا على مراحل مدروسة دراسة تربوية دقيقة تجعله على استعداد للخوض فى مسائله دون أن يتعرض لنوع من الاضطراب أو الشك ، والله الموفق .

د . يحيى هاشم

عددا شوال وذى القعدة ١٣٩٧ هـ

بمناسبة انعقاد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية فى شهر أكتوبر القادم . فقد تقرر ادماج عددى شوال وذى القعدة فى العدد الخاص الذى يصدر بهذه المناسبة .

لماذا بكى السيد جيمس جينز

التحرير

يقول الدكتور عناية الله المشرقى:

كانت السماء تمطر بغزارة ..

وخرجت من بيتى لقضاء حاجة فاذا بى أرى الفلكى المشهور السيد جيمس جينز الأستاذ فى جامعة كمبردج ذاهبا الى الكنيسة والانجيل والشمسية تحت ابطه ..

فدنوت منه وسلمت عليه . فلم يرد على . فسلمت عليه مرة أخرى فسألنى :

ماذا تريد منى ؟ فقلت له : أريد سؤالك عن شيئين :

السؤال الأول :

لماذا لا تفتح مظلتك رغم نزول المطر ؟

فابتسم السيد جينز وفتح المظلة.

السؤال الثانى :

لماذا تذهب الى الكنيسة وأنت العالم الأشهر ؟

وهنا توقف العالم الكبير لحظة.. ثم قال لى :

نلتقى مساء لنناقش فى هذا الأمر.

وذهبت اليه فى الموعد فسألنى على الفور آه . ماذا كنت تقول فى الصباح ؟

ودون أن ينتظر ردى. بدأ يتكلم عن الكون ونظامه الدقيق وعن الكواكب ونظامها المحكم وعن المجرات وأبعادها اللامتناهية وطوفان أنوارها الباهرة ..ونظرت الى العالم الكبير واذا به يبكى . ويداه ترتعشان فى حركة لا ارادية ثم توقف برهة ..

فقلت له هل تسمح لى أن أقرأ عليك آية من كتابنا المقدس ؟ ..

فأجاب السيد جينز : بكل سرور تفضل فقرأت عليه قول الله عزوجل:

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » ..

انما يخشى الله من عباده العلماء..

وما كدت أتوقف عن القراءة حتى صرخ السيد جينز قائلا : مدهش . غريب . عجيب جدا من أنبأ محمدا بهذا ؟هل هذه الآية فى القرآن حقيقة ؟ لو كان كما تقول فاكتب عنى . أكتب شهادة حق عنى أن القرآن موحى به من عند الله . لقد كان محمد أميا ولا يمكن أن يكشف هذا السر عن نفسه . ولكن الله هو الذى أخبره بهذا .

ان محمدا رسول الله .. حقا ..

« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين .. » .

صدق الله العظيم

افضل الحياء :

افضل الحياء المراقبة لله عز وجل ، والمراقبة فى ثلاثة اشياء :

مراقبة الله فى طاعته بالعمل ،

ومراقبة الله فى معصيته بالترك ،

ومراقبة الله فى الهم والخواطر لقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

ومراقبة القلب لله عز وجل أشد تعبا على البدن من مكابدة قيام الليل ، وصيام النهار ، وانفاق المال فى سبيل الله .

أبو جعفر الوقشى

للدكتور ظهور أحمد أظهر

— ٢ —

هو أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد أبو جعفر الوقشى من بيت القاضى أبى الوليد هشام بن أحمد الوقشى، ووزير الرئيس أبى اسحاق بن همشك وهو أحد الكفاة الأمجاد والدعاة الأنجاد. قام بأمر صاحبه ابن همشك أحسن قيام وكان ضابطا لأعمله مصلحا لأحواله .

وهو ابن أخى صاحبنا أبى الوليد الوقشى كما يرى ابن الأبار(١) وكما هو الظاهر من سلسلة نسبه .

وكان ابن همشك استخلفه على جيان سنة ٥٥٧ هـ حين لاذ بالفرار خوفا من جيش الموحدين فناب أحسن مناب وحل من صاحبه آثر محل ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ويظهر الكفاية فى كافة محاولاته، الى أن اعتنق صاحبه ابن همشك بالدعوة المهدية ونابذ صهره محمد بن سعد وذلك فى سنة ٥٦٢ هـ (٢) .

وعندما اشتدت المعاداة والمنابذة بين ابن همشك وبين ابن سعد وجه وزيره أبا جعفر هذا وافدا عنه الى الموحدين فى مراكش ومستصرخا على صهره وعدوه ابن سعد الذى كان قد وطىء أعماله ودوخها وتغلب على كثير من حصونه ومعاقله (٣).

---

(١) الحلة السيراء ص ٢٣٠ .

(٢) نفس المرجع والطباع ص ٣٩٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٣١ .

ويبدو أن المساعدة الموحدية لصاحبه ابن همشك تأخرت كثيرا لأنا نراه قد وصل الى مراكش ويهنىء أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن على بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك من قصيدة طويلة مطلعها (١) :

تحن اليكم وافدات المواسم ٠
فتهدى الى كفيكم ثغر الباسم

ثم نراه يموت بمالقة صادرا عن مراكش فى سنة ٥٧٤ هـ وكان صاحبه أبو اسحق بن همشك قد مات قبله بمكناسة فى سنة ٥٧٢ هـ (٢) ٠

وقد ذكر الشيخ أبو الربيع بن سالم أن أبا جعفر الوزير الوقشى كان يمر ببقيع مالقة فاستحسن ما رأى من زخرفة القبور به وأغراس الأشجار ذات النواوير والأزهار فى أثنائها فتمنى أن يدفن هنالك فوفت الأقدار بأمنيته ووافته منيته فدفن هنالك (٣)

وكان الوزير أبو جعفر متكبرا تياها معجبا بنفسه وقال له يوما بعض ندماء ملكه ، صاحب جيان بن همشك ، يا أبا جعفر ! أنت جملة محاسن وفيك الأدوات العلية التى هى أهل لكل فضيلة غير أنك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الأرض تشمئز منها ٠ فقال له : كيف لا أشمئز من شىء أشترك معك فى الوطىء عليه فضحك من حضر من جوابه (٤) ٠

وهو القائل فى الكبر والاعجاب بنفسه (٥) : (الطويل) :

اذا لم أعظم قدر نفسى وأننى
عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى
ولا يكبر الانسان شىء سوى الكبر

وله فى هذا المعنى (٦) : (الطويل)

---

(١) نفس المرجع والطباع ص ٣٢٠ ٠
(٢) الحلة السيراء ص ٢٣٦
(٣) نفس المرجع ٠
(٤) نفح الطيب ٥١٤/٢ ٠
(٥) نفس المرجع ٠
(٦) نفس المرجع ٠

تكبر وان كنت الصـغير تظاهرا
وباعد أخا صدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعـا للهر فى حفظ أمره
ألست تراه عندما يبصر الكلبـا

وكانت تحته بنت ابن همشـك فطلقها ثم ندم على ما فعل[1] وكانت له بنت تزوجهـا ابن جبير الرحالة وماتت بسبته فدفنها بها وقال فيها[2]: (المتقارب) :

بسـبتة لى سـكن فى الثـرى
وخـل كريم اليهـا قد أتى
فلـو أسـتطيع ركبت الهـواء
فـزرت بهـا الحى والميتـا

وقد عده ابن الأبار من مفـاخر الأندلس وقال فيـه : « وللوقشى تحقق بالاحسان وتصرف فى أفانين البيان وكتابى المؤلف فى أدباء الشرق المترجم بايماض البرق مشـتمل على كثير من شعره[3] .

وقال عنه الأستاذ الطباع[4] والدارس لشعر أحمد هـذا يدرك رقة شاعريته وجمال عبارته وحنينه الى زوجته التى غادرت منزله والتى كانت الى الأمس القريب تملأ البيت اشراقا .

وكان شاعر الأندلس أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافى البلنسى ، الذى كان يقال له ابن رومى الأندلسى لحسن اختراعه وتوليده ، قد مدح الوزير المتكبر أبا جعفر بقصـيدة أولها[5] : (الكامل)

---

(١) الحلة السيراء ص ٢٣٠ .

(٢) التكملة ص ٥٣٢ ونفح الطيب ٧٩٣/١.

(٣) الحلة السيراء ص ٢٣٤٩ .

(٤) الطباع ص ٣٢١ .

(٥) المغرب ٣٤٥/٢ وهى طويلة روى منها ٣٢ بيتا وترجمة الرصافى فى المغرب ٣٤٢/٢ والمعجب ص ٢٨٦ والتكملة ص٢٣٧ وشـذرات الذهب ٢٤١/٤ . وهو منسوب الى رصـافة بلنسية لم يتكسب بالشعر وكان يعيش على صناعة احترفها وهى رفاء الثياب ومن ثم عرف بالرصافى الرفاء وكان قد مدح أمير المؤمنين عبد المؤمن وتوفى سنة ٥٧٢ هـ .

لمحـلك الترفيـع والتعظيم
ولوجهك التقديس والتكريم

أبو الحسين الوقشى :

هو على بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الحسـين الوقشى ابن الوزير أبى جعفر الوقشى من العلماء الفضلاء والشيوخ المعـدودين روى عنه سالم بن صـالح وأبو عمرو بن سـالم وكان آية الله فى الظـرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصـهره أبو الحسـين بن جبـير صاحب الرحلة وشيخه فى الموسيقى والتهذيب والظـرف والتـدريب أبو الحسن بن الحسن بن الحاسب شيخ هـذه الطريقـة وقـد رزق أبو الحسين المـذكور فيها ذوقا مع صوت بديع (١) .

وهو من لدات ابن سعيد المؤرخ الرحالة وكانا يحضران فى صـباهما معا فى مرج الخز ويقرضان الشعر ويصنعانه ولهما قصـة لطيفة مـع المسن بن دويدة وكان معروفا بخفة الروح والمزاح والظرافة قد ذكرها المقرى مع شـعرهما الذى قالا فى وصف اوز كانت تسبح فى المـاء وتمرح فى المرج النضير مرج الخز(٢)

وكان ابن سعيد يختلف الى بيت أبى الحسـين الوقشى ويرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه وكان يتمتع بشعره وغنـائه وموسـيقاه الحلو (٣) .

وكان أبو الحسين الوقشى أديبا شاعرا ومغنيا مطربا فى نفس الوقت ومن شعره (٤) : (الطويل) .

حننت الى صوت النواعير سحرة
وأضـحى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها
أطارحها تلك الصـبابة والوجدا
وزاد غرامى حين أكثر عـاذلى
فقلت له أقصر ولا تقدح الزندا

(١) نفح الطيب ٢ /٥١٥ ، ٥١٦
(٢) النفح ٣٠٨/١ .
(٣) النفح ٥١٥/٢ – ٥١٧ .
(٤) نفس المرجع .

أهيم بهم فى كل واد صبابة
وازداد مع طول المعاد لهم ودا

رحمه الله • ومما يذهب بنا الى هذا الرأى أن :

مولد أبى الوليد الدقشى :

ان المصادر التى وصلت الينا ، والتى استطعنا أن نستفيد منها فى ترجمة الوقشى ، لا تصرح بالمكان الذى ولد بـه ، فقد ذكـر ابن بشكوال (١) أنه من أهل طليطلة ، الا أن قوله هذا لا يفيد فى شىءعن مولده ، فقد يكون أنه كان قد هاجر اليها ، واستوطنها ، وأقام بها ، فوهم ابن بشكوال أنه طليطى (٢) وليس كذلك وانما مولد الوقشى ومسقط رأسه هى مدينة وقش التىكانت دار الوقشيين الكنانيين الفضلاء الأعيان (٣) منذ البداية ، ولم تزل دارهم الى الأجيال التى نشأت بعد أبى الوليد الوقشى

١ ــ المصادر وكتب التاريخ والتراجم والجغرافية والبلدان قد نصت أكثرها على أن أبا الوليد الوقشى أصله من مدينة وقش •

٢ــأسرة الوقشى(٤) لم تزل تسكن وقش حتى بعد موته ، وكانوا يعرفون بهذه النسبة كابن أخيه الوزير أبى جعفر ، وابنه أبى الحسين ، اللذين قد مر ذكرهما •

ثم أن أبا الوليد لم يذكر كطليطلى الا قليلا نادرا ، وانما كان يعرف دائما بالوقشى وكانت هذه النسبة محبوبة اليه ، لأن وقش هى دار آبائه ، ومسقط رأسه ، بها ولد ، ونشأ ، وترعرع ، ثم خرج منها طالبا للعلم •

(١) الصلة ت ١٤٣٧ •

(٢) الا ان يريد انه طليطلى وطنا لان تليمذه القاضى صاعد أيضا يعده من أهل طليطلة طبقات الأمم ص ١١٤ •

(٣) النفح ١/١٨٥ •

(٤) النفح ١/١٨٥ والصلة ت ١٤٣٧ والبلدان ٥/٣٨١ (اندلس كاتاريخى جغرافية ص ٥٠٠ والروض المعطار ص ١٩٦ •

٣ ـ وأيضا استقضاؤه بمدينة طلبيرة ، وهى أقرب الى وقش ، يدل على أنه كان يحب أن يتولى هذا المنصب الجليل فى مكان قريب من مسقط رأسه ، ومسكن أسرته ، حتى يتمكن من زيارتهم ولقائهم متى أراد ، وهى سنة بشرية ، لأن كل انسان يحب العمل فى مكان قريب من أهله ، وأسرته .

وأما تاريخ مولده ، فان المصادر تكاد تجمع على أنه ولد فى مستهل القرن الخامس الهجرى ، سنة ثمان وأربعمائة(١)، وهو الزمن الذى شق فيه عصا الجماعة وافترقت الأمة ، وانبعثت الفتن ، وانقسمت الأندلس الاسلامية الى دويلات عرفت أصحابها بملوك الطوائف .

حياته :

حياة الوقشى ، وخاصة حياته الابتدائية ، لاتزال سرا غامضا ، لم يجله الباحثون ، ولم يوضحه المؤرخون ، والمعلومات ، التى حصلت لدينا عن حياته ، قليلة ضئيلة جدا (٢) ومن ترجم له من المؤلفين وكتبوا عن حياته من علماء الشرق والغرب ، لم يتغلغل فى التنقيب ، ولم يتقدم فى التحقيق ، وانما جرى المتأخر منهم مجرى المتقدم من غير تمحيص ولا بحث. وأجل ما يمكننا استخلاصه من كلام القوم ، المشارقة والمغاربة ، عن حياة الوقشى أننا نراه يتنقل من بلد الى آخر (٣) ، ويتحول فى البلاد الأندلسية لأغراض مختلفة . فمرة

---

(١) الصلة ت ٤٣٧ والسيوطى ص ٤٠٩ والارشاد ٢٨٦/١٩ ومعجم البلدان ٣٨١/٥ الضبى ص ٤٧٠ وهدية العارفين ٥٠٩/٢ والأعلام ٨٠/٩ .

(٢) ومن غريب الأمر أن الوقشى عاش طول الحياة فى عهد ملوك الطوائف وعاصرهم منذ البداية الى النهاية حتى رأى عهدهم قد زال ودويلاتهم قد دالت .

(٣) والظاهر من المعلومات القليلة عن حياته وحياة شيوخه ، أن الوقشى بدأ دراساته بطليطلة وذلك فى طفولته وعنفوان شبابه ثم سافر الى قرطبة قبل ٤٢٩ هـ ليسمع من الطلمنكى المتوفى ٤٢٩ هـ والشنتجيالى الذى عاد من المشرق سنة ٤٣٠ هـ وتوفى ٤٣٦ هـ ثم عاد الى طليطلة ثانيا فقضى حياته

نراه فى طليطلة كطالب عند علمائها الأعلام، ليتتلمذ لديهم ، ويأخذ منهم ويروى عنهم العلوم والآداب ، ويبذل مجهوداته فى التحصيل ،حتى يبرع فى كافة الفنون ، يتقنها ، ثم يجلس للاقراء ، والتدريس لها ، ويأتيه الطلاب من كل ناحيةللسماع منه ، والرواية عنه ، ثم نراه يتحول الى طلبيرة قاضيا لها ، ثم يستقيل، وينتقل الى بلنسية ، فيشتغل هناك بالتأليف والاقراء ، حتى يحاصرها العدو فيتولى قضاء المسلمين تلك المدة ، ثم نراه يفر فيمن فر معدينه من بلنسية ، ويصل دانية ، وهناك يلبى دعوة ربه ، فيرتحل الى جوار رحمته .

وليس فى مقدرة باحث أن يحدد الوقت ، ويضبط التاريخ لهذه الأحداث ، الا أننا نستطيع أن نقسم حياته الى أربعة أطوار .

الطور الأول :

وهو عهد الطفولة ، ولا نعرف شيئا عن هذا الطور من أطوار حياته ، اذ لم يحدثنا التاريخ عن أبويه ، ولم تعرفنا المصادر ببيته ، وبيئته التى نشأ فيها وتأثر بها .

الطور الثانى :

وهو عهد شبابه ، وزمان الدراسة ، والطلب والتحصيل ، ولا نستطيع أن نحدد الوقت والتاريخ بالضبط والتقييد كما أننا لا نستطيع أن نجزم القول فى المدارس والمعاهد العلمية التىدرس بها ، وتعلم لأن التاريخ عاجز عن ذلك ، وكتب التراجم قد أهملت هذه الناحية من نواحى حياته . الا أننا قد عرفنا أسماء بعض الأساتذة الذين تلمذ لديهم الوقشى ، وأخذ منهم العلم ، واتصل بهم روايته ، وسنده فى العلوم والآداب ، ومنهم أبو عمر الطلمنكى ، وأبو عمرو

بها بين السماع والاسماع والدراسة والتدريس حيث رآه القاضى صاعد فى سنة ٤٣٨ هـ فأخذ منه وسمععنه. ثم رحل الى بلنسية لأسباب لازالةمجهولة وأقام بها حتى ٤٨٥ هـ ثم هاجر الى دانية حيث وافته منيته وذلك ٤٨٩ هـ .

السفاقسى ، وأبوعمر بن الحذاء ، وأبومحمد الشنتجيالى ، وأبو محمد الأنصارى رحمهم الله ، وسنذكرهم فى فصل مستقل من الفصول الآتية ، ونلم بتراجمهم الماما ، ان شاء الله •

اننا نرى أن الوقشى كان قدأتم معظم دراساته بطليطلة • ويدل على ذلك أن هؤلاء الأعلام المذكورين من أساتذته ، كان جلهم من علماء طليطلة الأفاضل القائمين بها بتدريس العلوم وروايتها ، فان أبا عمر بن الحذاء كان قاضى طليطلة وفقيهها ، وأبا محمد الأنصارى كان صاحب الصلاة والخطبة بجامعها ، وأبا عمرو السفاقسى كان ورد الأندلس، وطاف ببلادها نحو عامين ، وذلك من ٤٣٦ هـ الى ٤٣٨ هـ ، ومن بين المدن ، التى وردها السفاقسى فسمع الناس منه ، كانت مدينة طليطلة ، وكان الوقشى مقيما بها فى سنة ٤٣٨ هـ كما صرح به القاضى صاعد [1] ، فلابد أن يكون سماع الوقشى عن السفاقسى بطليطلة لا غير •

الطور الثالث :

وهو عهد القضاء بمدينة طلبيرة، ومن الصعب أن نعرف بالضبط متى كان الوقشى استقضى بطلبيرة ، وما هى الأسباب التى جعلته يحوز بها على هذا المنصب الجليل ، الا أن تقدر ، على وجه الظن والتخمين ، أن ذلك كان بعد ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وذلك فى عهد المأمون يحي بن ذى النون ، ملك طليطلة ، لأن الوقشى يسمع أبا عمر السفاقسى بطليطلة بين ٤٣٦ هـ و ٤٣٨ هـ ، ثم يراه القاضى صاعد ، ويأخذ منه ، سنة ٤٣٨ هـ وهو بطليطلة ، ولأن الوقشى فى ذلك الوقت كان قد تجاوز الثلاثين من عمره ، وبلغ من العلوم بحيث قضى له الجميع فى كل علم وفن ، وكان قد احتوى على فنون المعارف، [2]

---

(١) طبقات الأمم ص ١١٤

(٢) نفس المرجع والصلة ص ٥٩٢ والسيوطى ص ٤٠٩ ومعجم البلدان ٣٨١/٥ ،

وجمع لكليات العلوم ، فاشتهر كأستاذ كبير ، وعالم نابغة ، وفقيه ناجح ، ووصل صيته فى جميع أنحاء الأندلس ، وأصبح مرجعاً فى العلوم والآداب ، وقبلة للطلاب الوافدين عليه من أقاصى البلاد ، وقد يكون ذلك سببا لاتصال حباله بالمأمون ابن ذى النون ، الذى كان قد جعله ، من خاصته ، وشاركه فى مجالس أنسه ، وأصبح أكيله وشريبه (١) . ثم اختاره لقضاء طلبيرة فى عهده .

ولم يحدثنا التاريخ عن مدة قضائه بتلك المدينة ، الا أن بعضهم قد ذكر أن عبد الله بن فرحون ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، (بعد أن نيف على الثمانين من عمره) ، كان قد استقضى بطلبيرة بعد أبى الوليد الوقشى (٢) ، وهذا القول أيضا مجهول ، ولا يساعدنا فى تحديد الوقت ، ومعرفة التاريخ ، كما أننا لا نعرف الأسباب التى جعلته يستقيل عن منصب القضاء ، ويهاجر من طلبيرة الى بلنسية ، وقد يكون السبب فى ذلك موت ولى نعمته ، وأكيله وشريبه المأمون بن ذى النون ، لأن حفيده القادر ، الذى خلفه على عرش طليطلة ، لم يكن يتحلى بأوصاف يرضى بها الكرام(٣) ويحبها العلماء ، فيكونوا من أعوانه ، وأنصاره ، وولاته وقضاته وحاشيته ، وخاصة الأعلام النبلاء الأفاضل من أمثال أبى الوليد الوقشى رحمه الله . واذا صح هذا فمعنى ذلك أن الوقشى لم يزل على قضاء طلبيرة حتى ٤٦٨ هـ ؟

الطور الرابع :

وهو دور التدريس والتأليف ، وكذلك فان المصادر لا تصرح بشىء عن حياته التى قضاها بعد الانفصال عن منصبه وهجرته الى بلنسية والاقامة بها ، الا أننا نعتقد ، أن الوقشى رحمه الله كان قد عكف على القراءة ، والتأليف ، وكرس

---

(١) نفح الطيب ٥١٥/٢ .

(٢) الصلة ص ٢٨١ .

(٣) ابن عذارى ٣٠٥/٣ واعمال الاعلام ص ١٧٩ .

حياته للاقــراء ، والتدريس بعــد الانصراف عن طلبـيرة ، وذلك لأن معظم طلابه وتلاميذه همالبلنسيون حتى أن عددهم يزيد من تلاميــذه الطليطليين ، فهــذا مما يمكن بــه الاستدلال على أن الوقشى أكثــر الرواية والاقراء ، وهو ببلنسية . ثم ان المعلومات الضئيلة القليلة التى وصلت الينا عن حياته من طـريق كتب التراجم والتــاريخ تنص على اشتغاله بالتــأليف ، والتــدريس والروايــة ، فمــن ذلك ما ذكــره الضــبى ، أن أبــا عامــر الخطيب البلنسى ، من تلاميذ الوقشى ، كان قد روى عنه كتاب السيرة بسنده ، وروى عنه أبومحمد عبدالمنعم ابن محمد ، وعنه الضبى صاحب بغيــة الملتمس (١) . ومــن ذلك ما روى أنه كتب الى محمــد بن عثمان أبى عبد الله البكــرى الحجارى وذلك سنة ٤٨٥ هـ (٢) . ثم ان الوقشى ، كعالم ربانى ، صاحب التصانيف ، وذى العدد الضخم من التلاميــذ ، كان قد احتل مكانة كبيرة فى نفوس أهل بلنسية ، ممــا جعلهم يلجؤون اليه فى مصابهم ويجتمعون اليه فى أزمتهم الخطيرة وفىنكبتهم الكبيرة. ليتزعمهم وينقذهم منها (٣) .

ثم ان العــدو كان قــد حاصر بلنسية ، ودخلها بعد أخذ المواعيد وعقــد العقــود ، التى ما رعاها ، ونبذها نبــذا ، ودهى الاحتــلال الأجنبى أهل بلنسية من المسلمين ، فدهشــوا ، وبهتوا ، وكابدوا من الآلام وأصيبوا بالقتل، والاضطهاد، والارهــاب ، ونهب الأمــــوال ، والأعراض ، والخوف والجوع ، فاستصرخوا بمــلوك الاســلام ، كالمستعين بن هود ، وقواد الجيش المرابطى ، الا أن الاغاثة قد تماطلت، والنصرة قــد تأخرت ، وكانوا فى أشد حاجة الى من يتولى أمرهم ، ويقودهم ، وينقذهم مما أصابهم ،

---

(١) الضبى ص ٥٥ .

(٢) التكملة ص ١٥٧ .

(٣) ابن عذارى ٣١/٤ طبعة دار الثقافة بيروت والبلدان ٣٨١/٥ .

ولكن ليس من ينهض بذلك ، ولا من يتقدم اليه،غير صاحبنا الوقشى، ذلك الانسان النبيـل الشـجاع ، والعـالم الربانى ، فيتـولى أمـر المسلمين، ويلتزم قضاءهم ، ويتكلم نيابة عنهـم ، ويأخـذ لهم الأمان بشرط التوقف [1] .

وللوقشى قصيدة مؤثرة ، بكى فيها مصاب المسلمين من أهل بلنسية، على يد القمبيطور ، الا أن أصلها ، قد ضاع ، ولم يبق منها الا ترجمة بعض الأبيـات ، نقلت الى اللغـة الأسبانية ، ورددتها ألسنة العـامة ومنها ما معناه :

« اذا أنا مضيت يمينا هلكت بماء الفيضان ، واذا ذهبت يسارا،آكلنى السبع ، واذا مضيت أمامى ، غرقت فى البحـــر ، وان التفت خلفى ، أحرقتنى النار » [1] .

---

(١) كانت ثورة القاضى ابى احمد جعفر بن عبد الله بن جحاف ، ضد القادر ابن ذى النون ، والقبض عليه ، وقتله ، نذيرا بمصاب بلنسية ، فقد كان القمبيطور ، استودع ابن ذى النون ، من الاطعمة ، والأموال ، التى حصلت له من الضرائب المفترضة على المسلمين ، فخاف ضياعها ، وطمع فى بلنسية ، فحاصرها ، ثم دخلها ، بعد عقد العقود ، واخذ المواثيق ، الا انه نقضها ، واخلفها ، فأحرق القاضى ، وامتحن اهل بلنسية بالجوع والغلاء ، حتى عدمت الأقوات ، وأكلت الجلود ، وهلك الناس ، ولم يبق من ذلك الجم الا نذر يسير ، وتوالى اليبس ، واستحكم الوباء ، وبينما الرجل يمشى سقط ميتا ، ولم يبق ما يدب على أربع وعمد اللعين الى الضعفة من النساء والولدان من المسـلمين ، فأزعجهم الى المحلة وقال :الحقـوا باهل ملتكم ، فوقعن الى أيدى السودان ، وخدمة الدواب ، والسفلة ، من الباعة ، فغلبوا عليهن ، وفسقوا بهن . . . . ولمـا بلغ الأمر الى هذا القدر ، وابن هود يخاطب بالتسويف ، والمطل ، اجتمع الناس الى الفقيه ابن الوليد ، (كذا والصواب ابى الوليـد) ، الوقشى فى التكلم ، لابن جحاف ، فاخذ الأمان بشرط التوقف ، وارتفعت الحرب ، ولان السعر ، واستمرت بلنسية ، تحت حكم الافرنج حتى انقذها الله على يد الأمير مزدلى ، قائد المرابطين ، بعد ثمانية أعوام وشهر ، من ابن عذارى ٣١/٤ – ٤١ .

(١) الأعلام ٨٠/٩ ،٨١ .

ولا يحدثنا التاريخ متى خرج الوقشى من بلنسية ، وانما نراه ، وهو فى دانية على وشك الرحيل الى رحمة الله ولكنه لم يتوقف رحمه الله عن الرواية ، والتدريس ، فان لدينا أسماء من تلاميذه الدانيين الذين أخذوا منه فى الأيام الأخيرة من عمره .

وفاته ومدفنه :

وتوفى أبوالوليد الوقشى ، على أصح الأقاويل ، يوم الثلاثاء ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة من الهجرةالنبوية وقد تجاوز الثمانين من عمره وقيل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة (١) ، رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه ومتعنا بما تركه من المعارف والآثار .

وقد بلغ اهتمام الدانيين به وحبهم واحترامهم له الى أن دفنوه بازاء الجامع القديم لدانية ويبدو أن قبره كان معروفا بين الناس الى مدة غير يسيرة فان كتب التراجم تذكر قبره فى كثير من المواضع وكان أبو مروان عبد الملك بن محمد الأيادى والد أبى العلاء ابن زهر قد دفن عند قبر أبى الوليد الوقشى الا أن ابن الأبار يذكر أن هذين القبرين لم يكونا يعرفان فى عصره (٢) .

د : ظهور أحمد أظهر

---

(١) قد انفرد بالقول الأخير القاضى عياض وعنه ياقوت فى البلدان ٣٨١/٥ وابن حجر فى لسان الميزان ١٩٣/٦ وعنهما صاحب اسماء المؤلفين اسماعيل باشا البغدادى ٥٠٩/٢ واخذ بالقول الأول ياقوت فى الارشاد ٢٨٦/١٩ وابن بشكوال ت ١٤٣٧ والضبى ص ٤٧٠ والسيوطى البغية ص٤٠٩ والزركلى فى الاعلام ٨٠/٩ وبروكلمان ٦٧٩/١ .

(٢) ابن الابار ص ٦٠٦ .

الذوق الصوفى للصوم

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

جاء فى كتاب الكامل للمبرد « نظر الحسن البصرى الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد ، فقال : ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ، ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر » وترطيل الشعر تليينه بالدهن وغيره .

وكلمة البصرى رضى الله عنه تلقى الضوء على الغاية من الصوم، تلك الغاية التى أدركها الصوفيون وعملوا لها ، فهو مضمار للناس، والمضمار فى اللغة الموضع تضمر فيه الخيل ، وهو غاية الفرس كما يقول القاموس . والهدف من تضمير الخيل اعدادها للفوز فى السباق ، فقد جعل الله الصوم وسيلة من وسائل الفوز فى الآخرة لما يترتب عليه من طيب الآثار .

ويعتبر الصوفية البصرى أصلا من أصولهم التى اليها يرجعون فى سلوكهم ، فهو أستاذ فى الزهد والورع والكلمة الطيبة والعمل الصالح المثمر ، وهم الى ذلك يعرجون .

والصوم عند الصوفية ليس بمعناه الفقهى المعروف فحسب ، وهو الامساك عن شهوة البطن والفرج ولكنه تصعيد الى أعلى حيث دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى آدابه فى حديث جامع مانع هو « اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك » ويفسر ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « اذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان شتمه انسان فليقل : انى صائم .

ومعنى ذلك أن الصوفية نظروا فى الصوم الى الغاية منه ، والغاية منه ، لا تتحقق الا بما فرضوه على أنفسهم من جهاد للنفس عن شهواتها وكف لها عن رغباتها ، قال أبو نصر السراج فى اللمع : وصحة الصوم وحسن أدب الصائم فى صومه صحة مقاصده ومباينة شهواته وحفظ جوارحه وصفاء مطعمه ورعاية قلبه ودوام ذكره وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه وقلة ملاحظته لصومه ووجله من تقصيره والاستعانة بالله تعالى على تأديته فذلك أدب الصائم فى صومه .

ولو أمعنا النظر لأدركنا أن ذلك هو المفهوم الحقيقى للصوم كما شرعه الله سبحانه وتعالى ، وهو المفهوم الذى تدعو اليه الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والتقوى لا تتحقق الا بأداء الصوم على حقيقته وبآدابه التى كان يلتزم بها النبى صلى الله عليه وسلم فى صومه ويدعو اليها أصحابه رضوان الله عليهم .

نظر عامة الناس الى مظهر الصوم فأمسكوا عن الطعام والشراب ونظر الصوفية الحقيقيون الى الجوهر فهذبوا نفوسهم بالطاعة وقمعوها عن الشهوة وزينوا أرواحهم بالعبادة وجعلوا رمضان موسما من مواسم الخير تزداد فيه القلوب يقينا والنفوس تزكية والأرواح اشراقا والحياة أمنا وسعادة وأملا فى الله .

الرخصة فى الصوم :

ومن أجل ذلك لا ينظر الصوفى الى جانب الرخصة فى الصوم اطلاقا ولكنه ينظر الى قوله تعالى « وأن تصوموا خير لكم » فهو صائم فى مرضه وفى سفره مهما اشتد عليه المرض وقاسى من الشدائد . حدث الرواة عن السيدة نفيسة ابنه الامام حسن الأنور رضى الله عنهما أنها أصرت على الصيام فى خلال شهر رمضان الذى توفيت فيه على الرغم من شدة مرضها ونصيحة الخلصاء لها بالافطار ، ولما أكثروا عليها قالت وا عجباه منذ ثلاثين سنة

أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنى صائمة، أفأفطر الآن ؟ هذا لا يكون .

ولم يقف الصوفية أنفسهم على صوم الفرض ولكنهم جعلوا حياتهم صوما دائما لا يكاد ينقطع الاقليلا، على أمل أن يلقوا الله عز وجل وهم صائمون فخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وكان أدبهم فى صـومهم ـ فيما يذكره الطوسى ـ ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : الصـوم جنة . ولم يقل جنة من أى شيء ، ففهموا من ذلك أن الصوم جنة فى الآخرة من النار لأن الصوم للصائم فى الدنيا جنة من سهام الأعداء الذين يدعونهم الى النـار ، وهؤلاء هم الشيطان والنفس والهوى والدنيا والشهوات ومن اختار المداومة على الصيام اختار ذلك للاحتراز بالجنة من مكايد الأعداء لكيلا يجـدوا فرصـة فيظفـروا به ويطرحوه فى النـار .

اقسام الصوم :

وقد قسم الصوفية الصوم ثلاثة أقسام :

قسم هو صوم العموم وهم الذين يقفون عند حد الصوم الفقهى من كف البطن والفـرج عن قضـاء شهوتيهما .

وقسـم هو صوم الخصـوص ويقصـد به كف السـمع والبصر واللسـان واليد والرجل وسـائر الجوارح عن الآثار .

وقسم هو صوم خاصـة الخاصة ومفهومه صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل كلية، وينتقض صوم هؤلاء بالفكر فيما سـوى الله عز وجـل واليوم الآخـر وبالفكر فى الدنيـا الا دنيـا تراد للدين كما يقـول الغزالى رضى الله عنه فى احيائه .

ومن وصـاياهم الرائعة لمريديهم فى ذلك : صم عن الدنيـا وليكن افطارك هو الموت . فقد استعملوا الصوم والافطار اسـتعمالا رمزيا فالصوم عن الدنيا يشـير الى العفة والزهد والايثار والافطار هو التحلل من ذلك ولا يكن الا بالموت ، ومعنى ذلك أن تكون حياة المريد زهـدا

دائما وعفة متواصلة وايثارا مدى الحياة .

واذا كان صوم الصائم العادى عن الشهوات فصوم الخلصاء عما سوى الله وهم لذلك لا فطر لهم، فالفطر نهاية لأيام محدودة ، وهم موصولون دائما بالله فكيف يفطرون من ذلك ؟ واذا كان الفطر عيدا عند عامة الناس فعيد هؤلاء هو لقاء محبوبهم والائتناس به وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله :

اذا ما لم تكن عيدا
فما أفعل بالعيد ؟

وهؤلاء القوم قد وصلوا الى هذه الدرجة بالمكابدة الدائمة والجهاد الدائب لنفوسهم وشهواتهم، وتربية نفوسهم على تحمل المصاعب وصولا الى الغاية العليا والمطلب الأسمى ، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

وهذا هو السر المقصود من فريضة الصوم فان لكل عبادة سرا ولكل حق حقيقة ، والفريضة ما لم تؤت بأدائها ثمرة أصبحت لا قيمة لها مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » ، وقد قال العلماء فيما يرويه الغزالى فى الاحياء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم ، والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

الصوم جهاد وصحة .

لقد اعتبر الصوفية الصوم مرحلة من مراحل الجهاد استعانوا به على قطع مفاوز الطريق ولذلك أكثروا منه ، وهم فى ذلك متأدبون بأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يكثر من الصوم فى غير رمضان ويدعو اليه ، وهذا يعلمنا أن جميع ما اتخذه الصوفية من ألوان السلوك لم يبتدعوه ولكنهم ربطوه بسبب من أسباب السنة المطهرة التى اعتنوا بها عناية كبيرة .

وقد أصبح الصوم علامة مميزة للصوفى الحق لا يكاد يخلو منها أحد منهم . جاء فى كتاب اللمع قال قاضى دينور : سمعت رويما

يقول : اجتزت فى الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت، فتقدمت الى باب دار فاستسقيت ؛ فاذا بجارية وقد فتحت الباب وخرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لى : ويحك صوفى يشرب بالنهار وضربت بالكوز على الأرض وانصرفت ، قال رويم : فلقد استحييت منها ونذرت أن لا أفطر أبدا •

لقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم الى ضرر البطنة ، وقال فيما يروى عنه من أحاديث شريفة : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، ونصح أصحابه بقوله : جوعوا تصحوا أو صوموا تصحوا ؛ وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه : الصوم جنة أى وقاية من شر الدنيا وهو المرض والحرص والشره وغيرها من الآفات ، وشر الآخرة وهو العذاب •

ومن أعظم المهلكات للانسان بطنه ، وشهوتها هى التى أخرجت آدم من الجنة ، والنفس اذا شبعت طغت وتجبرت ولا يكسر حدتها الا الجوع ، هناك تصفو وتزكو وتطمئن استنادا الى الأثر الشريف: أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله وسبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب ، وفى الخبر المأثور أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز، أى أنه كان مختارا لذلك، وفيما ورد أيضا أن المقوقس عظيم مصر أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيما أهدى اليه طبيبا فرده ، وقال له : نحن قوم لا حاجة لنا بك لأننا لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ، فعاد الى المقوقس يقول له : لقد بعثتنى الى رجل جمع الحكمة كلها فى كلمتين •

وللصوفية فى الاقلال من الطعام والشراب نوادر طيبة ، فبعضهم كان يرضى بأقل القليل حتى أثر عن أحدهم وهو سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله أنه كان يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة ، فاذا

دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ، وكان يفطر على الماء القراح وحده .

وربما لا يكون فى هذه القصة مبالغة ، فمن المألوف أن الهموم والانفعالات تصرف الانسان عن الطعام والشراب ، ويحدث هذا كثيرا فى هموم الدنيا فما بالك اذا كان هم الانسان بربه وتفكره فى أمر آجلته ونهايته ؟ وقد يقابل الانسان وهو جائع صديقا أثيرا أو حبيبا غائبا فيلهيه ذلك عن طعامه وشرابه فترة قد تطول وتقصر ، فما بالك اذا كان فرح الانسان بربه وتيقنه من حسن ظنه بمثوبته وفوزه؟

والحكمة الواردة على لسان المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، ولكن بكل كلمة تخرج من فم الرب ما أصدقها حين يتمثلها الصوفى فى حقيقة نفسه مستأنسا بالله واثقا فيه فرحا به ،وحين يتمثل قبل ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .

ان الصائم فى ضيافة الرحمن وما أروع هذه الضيافة حين يستشعرها صاحب اليقين الصادق حيث لايروعه جوع ولا عطش ولا يؤذى جسمه حر ولا قر ، حدث السلم فى طبقاته فى ترجمة سمنون بن حمزة المحب قال : كنت ببيت المقدس وكان برد شديد وعلى جبة وكساء وأنا أجد البرد والثلج يسقط ، فاذا شاب مار فى الصحن عليه خرقتان ، فقلت : ياحبيبى لو استترت ببعض هذه الأروقة فيكنك من البرد ، فقال :

ويحسن ظنى أننى فى فنائه
وهل أحد فى كنه يجد القرا ؟

ولقد اعتاد كثير من الصوفية الصوم واستأنسوا به ووجدوا فيه لذة عجيبة حتى لقد كان بعضهم يقطع هذه اللذة خوف الركون اليها ولذلك أيضا أصل فى السنة هو قوله عليه الصلاة والسلام : أفضل الصيام صيام أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما .

ومعنى أفضل الصيام — كما يفسره الطوسى — أشد الصيام لأنه

يقطع مألوف النفس فهى لا تركن الى صوم دائم أو افطار دائم ، والتربية الصوفية الحقيقية هى قطع دواعى النفس ومألوفاتها وعلائقها حتى لا تركن الى شىء سوى الله تعالى ولا يكون همها الا به ولا نظرها الا اليه حتى ولو كان هذا الشىء عبادة ، ومعرفة ذلك خبرة لا يدركها الا أصحابها ولقد صدق الله تعالى اذ يقول على لسان يوسف عليه السلام أو على لسان امرأة العزيز « ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » وقد تستأنس النفس بالطاعة من الصلاة وصيام وصدقة لتحلو فى نظر الناس وهذا هو الرياء الممقوت ، والصوفى الذكى الصادق هو الذى يقطع على نفسه طريقها فيؤدبها بما يصلح لها من ألوان التأديب والتهذيب حتى تستقيم له استقامة تامة •

رمضان فرصة للخير :

واذا كان هذا دأب الصوفية فى فهم الصوم عامة فما بالك اذا كان هذا الصوم فى رمضان وهذا الشهر الذى فرض الله صيامه وسن النبى صلى الله عليه وسلم قيامه وأنزل الله فيه القرآن الكريم هدى للناس وبينات ؟

انهم يعتبرون هذا الشهر فرصة طيبة يستكثرون فيها من الفضائل والخيرات ويلتزمون بما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من قرب وطاعات •

كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان ، ومحققوا الصوفية حريصون على تحقيق هذا الأدب بما يقومون به من اطعام وبر وصدقة وتنافس فى الخير وتعاون فى البر والصوم بمفهومه اليسير اقلال من الطعام والشراب وليس تنافسا — كما نرى الآن — فى ابتكار ألوانه واختلاف أنواعه حتى أصبح رمضان المبارك موسم طعام لا موسم صيام وتحول من شهر يريح فيه الانسان أمعاءه الى شهر يتخمها فيه بكثرة ما يلقيه فيها من طعام وأكثره يظهره بخاصة فى هذه المناسبة ، وربما كان الصوفية الحقيقيون هم وحدهم

الحريصين على المحافظة على مفهوم الصوم الحقيقى فتخلو موائدهم من الطعام الذى تتلمظ بهالشفاه وتأكله العيون قبل البطــون واجتماعاتهم تهدف الى تغذية الروح قبل تغذية البدن ، وكثير منهم يكتفى بالتمرة أو التمرتين ، وبعضهم يكتفى بحبات من زبيب يوم أن لم يكن الزبيب من طعام المترفين • جاء فى رســالة القشيرى : أمرنى أبوعبــد الله بن خفيف أن أقــدم له كل ليلة عشر حبــات زبيب لافطاره ، فأشــفقت عليه فى ليلة فحملت اليه خمس عشرة حبة فنظر الى وقال : من أمرك بهذا؟ وأكل عشر حبات وترك الباقى •

وليس فى هذه القصة مبالغة أيضــا فهى تلتقى مع ما يحدده أطباء الابدان لمرضــاهم من مقادير يحذرونهم من تجاوزها وصحة الروح مقدمة على صحة البدن عند العقلاء •

وربما لا يكون هنــاك مجــال للمقارنة بين حالنا اليوم وحال أولئك الذين أكرهوا نفوســهم على القناعة بذلك النزر اليسير ، ولكنها تربية الارادة التى يصــل المريد بها الى جنة عرضها السموات والأرض ، بل ولعله لا ينظر الى هذه الجنة ولكنه ينظر الى صاحبها جل وعلا • ليس هناك مجال للمقارنة ، كما أنه ليس هناك اكراه أيضــا أن يلتزم الناس حال هؤلاء الذين اختــاروا الطريق الشاقة على الطريق الذلول ، ولكن الذى ينبغى أن يكون هو ضرورة تحرى الانســان الحلال الطيب من الرزق واجتناب الاسراف فى الطعام والشراب عملا بقوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، وارتيــاد الهدف الأسمى من الصوم الذى لن يتحقق الا اذا استشــعر الانســان الجوع الذى يهذب ضراوة النفس ويكسر حدة الشــهوة ويعطف قلب الواجــد على البائس ويرقق قلب القوى على الضعيف ويكسو الصائم بكســوة التقوى التى دعا اليها الله تعــالى •

الصوم ومعرفة الله :

ان الصــوفى فى مسيرته يستهدف غاية مثــلى هى التعــرف على الله والتــلذذ بقربه ، وهى غاية يهون بجانبها كل مطــالب الترف والتنعم

بملذات الحياة ، وماذا تكون هذه الملذات الفانية بجانب اللذة الباقية الخالدة التى ينالها من أدرك الغاية من خلقه وفهم الحكمة من وجوده كما بينها الله تعالى بقوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والعبادة الحقة لا تكون مع قلب متطلع وبطن مكتظ ونفس متشهية وعين متلهية . انها تكون مع الزهد فى الطيبات والعزوف عن الشهوات والبعد عن الملذات ، وحقا ذلك فقد قال الصادق المصدوق : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

لقد استطاع الصوفية أن يروضوا نفوسهم فيملكوها قبل أن تملكهم ويخضعوها ولم تستطع أن تخضعهم فحملوها على الجادة وسلكوا بها سواء السبيل ، والصوم هو الوسيلة الفعالة لترويض النفوس وتربية الارادة وتصفية مرآة القلب فيبصر بعد ظلام وتتفجر فيه ينابيع الحكمة ويدرك ما لا يستطيع غيره أن يدركه قال أبوطالب المكى : البطن مثل المزهر — وهو العود المجوف — ذو الأوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلىء ، وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام .

وقال الشبلى : ما جعت لله يوما الا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط . وجاء فى الاحياء على لسان لقمان لابنه : يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ، ولأبى يزيد البسطامى تعبير طريف : الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة .

هذا هو الصوم الذى فيه علاج لأمراض النفس حتى تصح فاذا صحت سلكت فى مدارج الكمال وقطعت مراتبها المترددة حتى تطمئن ومتى اطمأنت خاطبها الحق بقوله تعالى « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وما أقوى النفس حين تصح وما أقبحها حين تعتل .

فالنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

فهم الصوفية للصوم قوة لا ضعف :

وتفهم الصوفية للصوم على هذا الأساس مظهر قوة لا مظهر ضعف ، ومظهر ايجابية لا سلبية ، لأن فيه احياء للروح واماتة للشهوة ، فاذا حييت الروح انطلقت فى مجالات الحياة تبنى وتعمر على هدى ونور ، ولقد دعا الله المؤمنين أن يستعينوا فى حياتهم ومواجهة شدائدها بالصبر والصلاة ، والصوم نصف الصبر كما أن الصبر نصف الايمان •

والاسلام فى حاجة الى رجال أحيوا أرواحهم وأماتوا شهواتهم ، لا تهمهم البطون النهمة ولا يشغلهم المتاع الزائل واللهو الباطل ، ولا يخطف أبصارهم البريق الخاطف ولا تأكل قلوبهم المادة الزاحفة والمدنية الزائفة ، هو فى حاجة الى شباب تربوا فى مدرسة الصوم على أساس من الفهم الصحيح حتى تعتدل الأوضاع المقلوبة وتصح النفوس العليلة ،ويعود رمضان كما شرعه الله موسما للخير يجود بنفحاته على المسلمين ، فتنتشى قلوبهم بعطره ، وتسعد أرواحهم ببره ، وتشدو ألحانهم على وتره وتهتف ألسنتهم بذكره ويعود رمضان كما كان وكما ينبغى أن يكون شهر الانتصارات فى كل ميدان ، يتنافس الناس فيه فى الخير لا فى غير ذلك من المتاع الفانى والمظهر الكاذب ، حينئذ ندرك روعة ما قاله البصرى ، ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده يستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا • فهل لنا أن نتدبر لنفوز ؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

العدو الأول :

كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا اخوف عندى من اعدى اعدائه . وكان يقول : ياأخوتاه لا تغبطوا حريصا على ثروته وسعيه فى مكسب ولا مال ، وانظروا له بعين المقت له فى اشتغاله اليوم بما يرديه غدا فى المعاد ثم يتكبر .

وكان يقول : الحرص حرصان : حرص فاجع وحرص نافع ، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله .

وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا .

أنكر أهل البدع حديث :

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

(١) « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك » الحديث.

(٢) حديث « ان فى الجنة بابا اسمه الريان أعد للصائمين » .

لم يبق على هؤلاء الزمنى عقولا الا أن ينكروا الماء والهواء والفضاء والحجر والمدر والشجر ، والموت والحياة ، ولو كانت كارثتهم قد حاقت بأبصارهم أو أقدامهم أو آذانهم لهانت المصيبة ، وخفت البلوى .

اما أن تكون النكبة والمصيبة الحالقة قد وقعتا على بصائرهم وعقولهم فهذه ما لا حيلة لنا فيها ، ولكن هكذا قدر الله ما شاء فعل .

وكأن عقولهم الباطنة تحس بالحرمان من هذه النعمة العظمى لذلك تراهم يعادون الصانع الأعلى فى صنعه ، ويمارون على ارادته ، وكأنهم من فرط ما ابتلو به يطردون عن عقولهم شبح الايمان بما يؤمن به أهل القبلة ، وكأن كابوسا مخيفا يجثم على صدورهم ، وكأنهم من الذين قال الله فيهم (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) .

قال صاحب ذلك الهذيان فيما سماه الجزء الثانى من المنشور المريب الذى فضحنا خبيثته وخبائثه فيما مضى من بحوث هى قرة أعين الموحدين ، وقذى أعين الضالين ، وما زال مصرا على باطله حتى ان كتابه بعد أن صادرته مشيخة الأزهر الشريف أتاحت له صحيفة يومية دأبت على اهتبال كل فرصة للنيل من

السنة اشباعا لنيات يعلم الله حقيقة ما تنطوى عليه أقول أتاحت له أن ينشر آراءه مرة أخرى متهما مجمع البحوث الاسلامية بأنه لم يقل رأيه فى الأحاديث التى ساقها موهما الناس أن البخارى فيه كذا وكذا مما سبق أن فندناه على هذه الصفحات الغراء وهى الناطقة باسم مجمع البحوث وقد صادر مجمع البحوث الكتاب • أليس فى المصادرة تعبير صارخ وبيان مجسم على تكذيب المجمع لكل كلمة فى هذا الكتاب الصادر عن نفس ظالمة مظلمة ؟!!

فاذا لم يكن قد قرأ ما كتبناه وما جاء فى تقرير مشيخة الأزهر فى أسباب المصادرة فلماذا يلوم المجمع على أمر هو المقصر فيه ، أليس المجمع الذى أتاح لهذا الضعيف أن يرد على شبهاته وترهاته ؟ واذا كان قد قرأها فذلك دليل على سوء النية وعلى أن الأمر لا يعدو اللجاج والمكابرة •

وقد تعرض صاحبنا هذا فيما أسماه الحديث رقم ٣٩ لحديث شريف تناوله بلهجة تهكمية قائلا :

القدر يجبر العبد الصالح على عمل الشر فى آخر حياته فيدخله النار • ويزعم أن ذلك فى المجلد ٢ كتاب ٢ ص ١٣٥ وينسب الى زيد ابن وهب يقول : حدثنا رسول الله قال : ان احدكم أهـ والحديث الذى يشير اليه بهذا التعليق السخيف ليس فى المجلد ، ولا فى الكتاب ٢ ولا زيد ابن وهب قال حدثنا رسول الله الخ•

وانما الحديث جاء فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق وفى كتاب الأنبياء وفى كتاب القدر وفى كتاب التوحيد هذه واحدة •

(أما الثانية) فان زيد بن وهب ليس صحابيا ياأيها الجرىء على الله الجرىء على الحق ، الجرىء على البخارى نعم ليس صحابيا حتى يقول حدثنا رسول الله • وانما بيت القصيد أن الاسناد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق (عبد الله) لأن صاحبنا يجهل التمييز بين العباد لة ويحار فى تمييز عبد الله هنا اذا أبهم فعلق الحديث على مشجب زيد بن وهب حتى يتخلص

من معرة الجهل لمجرد أنه لا يعرف حتى الصحابة المعروفين للعامة ، فضلا عمن يتطاولون على مقامات العلماء وأئمة الاسلام .

(وأما الثالثة) فان عبد الله بن مسعود أو زيد بن وهب أو اى مسلم يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخلو كلامه من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فحذف الصلاة اساءة أدب متعمدة لأن الكتاب كما سبق أن نبهنا جاء خاليا من أوله الى آخره من أمرين فارهين عظيمين :

(الأول) : أنه لا يوجد فيه بدءا ولا أثناء ولا انتهاء بسم الله الرحمن الرحيم .

(الثانى) : أنه لا يوجد فيه من أوله الى آخره صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكأنهما من الاسرائيليات التى أقحمت على الاسلام ، ويأبى ذكرهما صاحب الذكاء الخارق الأخرق فى اضمامة من الورق سماها كتابا تناهز الأربعمائة صفحة من العدوان على السنة الشريفة .

ولنأت على ذكر الحديث كما أورده البخارى رضى الله عنه فى كتبه التى ذكرناها آنفا قال رضى الله عنه وأرمد أعين شانئيه .

حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص بن سليم عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة .

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وغيره بمعناه عن حذيفة بن أسيد

وفيه (ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيهاولا ينقص) وأخرج هذا الحديث غير الشيخين أبو داود والترمذى وابن ماجه •

وعند مسلم من حديث أبى هريرة (وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له بعمل أهل الجنة وهو مكتوب فى الكتاب الأول من أهل النار ، فاذا كان قبل موته تحول فعمل عمل أهل النار فمات فدخلها) •

وأخرج البخارى معناه كاملا من حديث أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم •

وأخرج البخارى وأبو داود والنسائى من حديث عمران بن حصين قال : (قال رجل : يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له ولما يسر له) •

على أن أصحاب هذه النغمات المتسقة مع المبيتين للاسلام بليل من دعاة التبشير والاستشراق والالحاد ليسوا شيئا غير مسبوق بمثيله فى تاريخ هذه الأمة ، فقد ظهرت معتزلة الخوارج ممثلة فى العجاردة (١) تقول بالقدر على مذهب المعتزلة وذلك انهم يزعمون أن الله سبحانه فوض الأعمال الى العباد ، وجعل لهم الاستطاعة الى كل ما كلفوا فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعا ، وليس لله سبحانه وتعالى فى أعمال العباد مشيئة ، وليست أعمال العباد مخلوقة لله • وقد أجمعت الأمة على وجوب الدأب فى الأعمال الصالحة ،فان عمله أمارة على مايئول اليه أمره غالبا ، وربك يفعل مايشاء فالعبد ملكه يتصرف فيه بما يشاء لا يسأل عما يفعل •

وقد تناظر الاستاذ أبو اسحاق الاسفراينى والقاضى عبد الجبار

---

(١) مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى جـ١ ص ١٧٧

فقال القاضى عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة :

سبحان المنزه عن الفحشاء .

فقال الاستاذ الاسفراينى مجيبا : سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء .

فقال القاضى عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى ؟

فقال الاستاذ أبو اسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟

فقال القاضى عبد الجبار : أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء ؟

فقال الاستاذ أبو اسحاق : ان كان منعك ما هو لك فقد أساء ، وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء . فانقطع القاضى عبد الجبار .

ويقول الامام على كرم الله وجهه (الحمد لله الذى خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، من غير روية أجالها ولا تجربة استفادها ، ولا همامة نفس هم بها) ويقول الله تبارك وتعالى وهو أصل هذه القضية ودليلها (والله خلقكم وما تعملون) ويقول تعالى (ألا يعلم من خلق) ويقول تعالى (الله خالق كل شيء) وكما يقول الامام الغزالى :

ان انفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق الاختيار والمختار جميعا ، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه ، وليست بكسب له ، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فانها خلقت مقدورة مقدرة وهى وصفه ، وكانت للحركة نسبة الى صفة أخرى تسمى قدرة ، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا ، وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد فى الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ،

وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، اذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ، ولم يكن الاختراع حاصلا بها ، وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق ، فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها .

أما انكارهم أن يكون للجنة أبواب يدخل من كل باب منها طائفة غلبت على أعمالهم عبادة من العبادات أكثروا منها ، وقاموا بها واجبا وتطوعا ، وأحسنوا أداءها على أجمل وأتم ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فهذا من شنائعهم وقبائحهم النكر اذ أن أمور الغيب لا مصدر لها من أفانين العقول ، وخيالات المخبولين ولكنها لا تؤخذ الا من الله ورسوله الذى (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) .

وقد أفادنا صلى الله عليه وسلم بحديثه الصحيح أن فى الجنة بابا يسمى الريان يدخل منه الصائمون وقد فهم المسكين من هذا أن الذين يدخلون من هذا يشترط ألا يصلوا ولا يحجوا ولا يزكوا أرأيتم هذا النمط الذى يتعاطى به الحمقى دينهم .

ان الصوم الحق الذى تحتف به أمور من الفضائل العالية والأخلاق السامية مما يجعل أصحابه بحق من المتميزين بخصال من الخير هى من خصال أخص الخواص . يعد مثارا للتفكه والسخرية عندهم اذ هناك صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص .

فالأول : مثل كف البطن والفرج والشهوات .

والثانى : مثل كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

والثالث : مثل صوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة فى الحث على آداب الصوم فمن ذلك :

(من لم يدع قول الزور والعمل

به فليس لله حاجة ، فى أن يدع طعامه وشرابه) •

« أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة » •

(رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر) •

« رواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة » •

(الصيام جنة ، فاذاكان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان أمرؤ شاتمه أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم،والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) أخرجه النسائى عن عائشة•

وأحاديث أخرى مستفيضة فى فضل الصوم فلا غرو اذا جعل الله تبارك وتعالى له بابا من أبواب الجنة نسأل الله أن يجعل لنا حظا من دخول الريان •

محمد نجيب المطيعى

السعى لطلب العلم :

« ولقد كنت فى حلاوة طلبى العلم ، القى من الشدائد ماهو عندى أحلى من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت فى زمن الصبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث واقعد على نهر عيسى ــ فى بغداد ــ فلا اقدر على اكلها الا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى لاترى الا لذة تحصيل العلم ، فأثمر ذلك عندى انى عرفت بكثرة سماعى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم » .

ابن الجوزى ــ صيد الخاطر

القرآن "الكتاب الإلهى المهيمن"

للأستاذ الشيخ معوض عوض ابراهيم

فضل القرآن الكريم على ماعرف الناس ـ منذ كانوا ـ من كلام ، كفضل الله تعالى على جميع خلقه • وكل ما لله تعالى من نعوت الجلال والكمال والجلال والعلم المحيط ، يتمثل فى القرآن الكريم كذلك على نحو لايمكن أن يشاركه فيه غيره ، أو فى شيء منه ، فهو كلام يرى فى ضوئه ما فى غيره من احسان واتقان، ويكون غيره بالنسبة له ، جلاء وتصديقا لقوله ـ جلت آلاؤه ـ « وفوق كل ذى علم عليم » يوسف، آية ٧٦

والنظرة الأولى فى القرآن الكريم تتأدى بالمنصف ـ لامراء ـ الى أنه كتاب الله حقا فهو يعرض قضايا الأزل والأبد ، ويخاطب بذلك كله خطابا عاما لا يتقيد بالزمان الذى نزل فيه على نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، ولا بالبقعة التى ارتضاها الله منزلا للوحى ، ومهدا للتوحيد ، ومنطلقا للشريعة الخاتمة الى ما وراءها من النازل • ومن بلغتهم من الناس بيضا وصفرا وحمرا ••

وكان عموم خطاب القرآن بالتكاليف الآلهية شاهدا ودليلا ـ من شواهد وأدلة ـ على أنه كلام الله لا كلام مصطفاه ، فالأمر باقام الصلاة ، وصيام رمضان مثلا ، يعطى المكلفين فى مختلف منازلهم فرصة الحركة الى ذلك على صورة تختلف فى الزمان من مكان عن مكان، وان لم تختلف قيد شعرة عن قوله صلوات الله عليه • « صلوا كما رأيتمونى أصلى » •

ما توافرت الاستطاعة ، وتيسر الامكان ، فالدين يسر ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، والمعصوم صلى الله عليه وسلم يقول « صل

قائما ، فان لم تستطع فجالسا فان لم تستطع فمضطجعا...» الحديث.

ونحن نقـرأ قـول الله تعـالى «وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » الأنعام آية ١٩ فنرى الآية ــ وأمثالها كثير فى كتاب الله ــ حجة ودليلا على عمـوم رسـالة الاسلام ، والقرآن كتابه ، يحشد الله فيه ما يوائم هذا العموم من شئون الأفـراد والجمـاعات ، مؤمنهـا وكافرها ، وبرها وفاجـرها ، ومن الأمـور التى يقتضيها حال أولئك فى منشـطهم ومكرههم ، وعسرهم ويسرهم ، وعلى كل حال . ويكون ذلك عـلى مقتضى ما أسـلفنا من العموم والخطاب العام الذى يتسع للناس فى مختلف عصورهم ودورهم ، وان كـان السـبب فى بعض ذلك خاصا ، فان العبرة ــ كما قالوا ــ بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب.

والظـاهرة الرائعـة التى توقظ الانتباه ، وتثير الأحاسيس جميعا ، هى حديث القرآن عن القرآن ، من أجل أن يحكـم المسلمون وثاقهم بكتاب استبانت مقاصده ، وظهرت غاياته ، وبدت ضرورة الأخذ به ، والنسـج على منـواله ، فى شتى شئون الحياة والأحياء ، فما يغنى عنه غـيره فى ذلك مثقـال ذرة ، ولا يسد مسده سواه قيد شعرة ، وان القرآن ليغنى عن كل كتاب ، ولا تكاد هـذه الكتب سـماويها ووضعيها تغنى الناس ساعة من نهار عن كتاب الله .

وأنعم نظرك فى واحدة من الآيات القرآنية التى يتحدث الله فيها عن القرآن وهى قوله تعالى : « شـهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» البقرة آية ١٨٥ فانها تواجهك بطائفة من الحقائق التى تطيب بها الأنفس التى لم تفسدها الأهواء ، ولم تؤفها آفة عقلية أو نفسية مما يصيب أعـداء الحق فى أعصار وأنصار ، وفى طليعة تلكم الحقائق أن انزال القرآن كان علامة كبرى على شرف القـرآن ، اذ بدأ نزوله فى شهر اختصـه الله بعبادة نسبها لنفسه جلت آلاؤه ..

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

وكما أن ذلك شرف للقرآن ، فهو شرف للشهر الذى أنزل فيه ، وكان انزاله مبدأ اصطفاء رسول ، وابتداء رسالة ، وقيام أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، « انا أنزلناه فى ليلة القدر ... » ويالها من ليلة ..

وحقيقة أخرى هى أن القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى ، أى الكتب المنزلة والفرقان الذى يفرق بين الحق والباطل .

والله تعالى يصف القرآن فى عدد من الآيات بما وصفه به فى قوله « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » فهو هدى للناس ، هدى فى نفسه لجميع الناس ، وأنه من جنس الكتب الآلهية مصدرا ونسبة ، ولكنه الجنس العالى على جميع الأجناس ، فانه آيات بينات من ذلك الهدى السماوى ، والوحى الالهى ، واذا كانت كتب الله فى نبعها الأول ، كلها هدى — وهى كذلك — فان القرآن ببيانه — فى أقل القليل — يفضلها جميعا ، وهل كان كتاب دانيال النبى ، الذى أنزله الله يهتدى به من يقرؤه عليهم ، الا ألغازا ورموزا لا تفهم مراداتها الآلهية الا بشق الأنفس ؟ !

والتوراة التى أنزلها الله ، فيها هدى ونور ، لم تتضح الأحكام فيها على النحو الذى تتراءى به فى القرآن ، وعلى حين كان يخفى على تلاميذ عيسى عليه السلام ما يشافههم به من المواعظ والأحكام ، كان القرآن .. ومازال وسيبقى — سهل التناول ، يسره الله بقوله ، وجعله بين الحكمة والحكم الى المدى الذى آمن به مرات فى سورة القمر فقال « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

وفى كل مرة تكررت فيه هذه الآية قدمت الجديد الناهض من فضل الله وهداه قال ابن كثير : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » أى

سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس ، كما قال « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

وقال « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » .

قال مجاهد : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » يعنى هونا قراءته . وقال السدى : يسرنا تلاوته على الألسن ، وقال الضحاك عن ابن عباس : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم . عز وجل » .

ثم قال ابن كثير .. وقوله : « فهل من مدكر أى متذكر بهذا القرآن الذى قد يسر الله حفظه ومعناه ؟! » .

وحفظ القرآن قد تأذن الله به ، فهو محفوظ بنا وبغيرنا ، لكن اتضاح معانيه وظهور مغازيه واستعلان مضامينه ومطاويه هى المناط الذى امتاز به القرآن فيما امتاز به على الكتب السماوية جميعا ، ولنقرأ قوله تعالى :

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » .

وليتسع أمام عينى المنصف مدى هيمنة القرآن على كتب الله تعالى يجتزىء مع ما تقدم بقوله تعالى : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » آل عمران آية ٩٣ وقوله : « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون » وهل يهدى القرآن ويقص الا وهو من الوضوح وصدق الدلالة الى الحد المعين على ذلك؟(ومخاطبة الناس بما لا يفهمون فتنة لهم ومحنة لعقولهم ، وهى عذر لهم ناهض بعد أن قال الله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » النحل/ آية ٨٩

فلنمض مع القرآن متحدثا عن القرآن الكريم ، فأكرم به من

متحدث ، وأكرم به من حـديث ، قال تعالى :

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون اللـه ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبـدل لكلماته وهـو السـميع العليم » .

« وأوحى الى هـذا القـرآن لأنذركم به ومن بلغ » .

قال القرطى : من بلغه القـرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليـه وسلم (١) وكلمه (٢) »

« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنهـا ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهـم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا » الكهف آية ٥٧

« ولقد صرفنا فى هذا القـرآن ليذكروا .. » الاسراء آية ٤١

« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » الاسراء آية ٤٥

« واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

« فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

« ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » الحجر آية ٨٧

« وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » الاسراء آية ٧٨

« ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه » طه آية ١١٤

« وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » .

« وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القـرآن مهجـورا » الفرقان آية ٣٠

---

(١) الطبرى جـ ١١ ص ٢٩١ دون قوله « وكلمه » ثم قرأ « ومن بلغ أئنكم لتشهدون .. » الآية .

(٢) نسبه ابن كثير الى ابن أبى حاتم ، وقال : زاد أبو خالد ـ وهو أحد رواة الخبر ـ « وكلمه » .

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٣) » النساء آية ٨٣

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » محمد آية ٢٤

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر آية ٢١

ووراء هذه الآيات آيات تحدثت عن القرآن معروفا ، وآيات ذكر فيها القرآن بدون تعريف كقوله تعالى « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » طه آية ١١٣

وآيات ورد القرآن فيها باسم « الكتاب » فى مثل قوله تعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » البقرة / ١ ـ ٢

« والذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به.. » .

وشارك القرآن التوراة فى اسم « الكتاب » قال تعالى مخاطبا أحبار يهود «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة آية ٤٤

وقال « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل » البقرة آية ٨٧

ومن أسماء القرآن فى القرآن كذلك « الذكر » قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر آية ٩

وان شاركت التوراة فى ذلك القرآن فى رأى للمفسرين أو أم الكتاب فى رأى آخرين تكلموا فى قوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » الأنبياء آية ١٠٥

---

(٣) فى الاختلاف الذى صان الله عنه كتابه معان هى : التناقض كما روى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابن عباس وجماعة أو الكذب كما روى عن مقاتل وغيره او اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام ومرذول أو لا بد للكلام اذا طال من مرذول وليس فى القرآن الا بليغ ذكره الماوردى فى جماعه ا هـ زاد المسير جـ ٢ ص ١٤٤ وما بعدها .

ومجرد ايراد الله هـذه الآية وفى سورة تحمل اسم « الأنبياء » شهادة على فضل القرآن كتـاب الله على ما سواه من كتب الله جل علاه .

ولا أتجاوز هذا الحـد لأخلص الى عدة الله تعـالى بحفظ كتابه ، وافراد القـرآن بهذه الخاصية على حين وكل غيره من كتبه تعالى الى أقوام لم يرعوا لله فيهـا عهـدا ، وكان من أمرها ما كان ، قال الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فى كتابه « النبأ العظيم »

وبقى القرآن محفـوظا فى حرز حريز انجازا لوعد الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

« ولم يصبه ما أصـاب الكتب المـاضية من التحريف والتبـديل وانقطاع السند حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها الى حفظ الناس فقال تعالى :

« والربانيون والأحبـار بمـا استحفظوا من كتاب الله » .

أى بما طلب اليهم حفظه .

وجلا الدكتـور السر فى هـذه التفرقة فقال :

« ان سائر الكتب السـماوية جىء بهـا على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جىء به مصدقا لمـا بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها ، وكان جامعا لمـا فيها من الحقائق الثابتة ، زائدا عليها ما شاء الله زيادته ، وكان سادا مسدها ، ولم يكن شىء منها ليسد مسـده ، فقضى الله أن يبقى حجة الى يوم القيـامة ، واذا قضى الله أمرا يسر أسـبابه وهو الحكيم العليم » .

والكلمات فيما استهدفت بيانه فيض محمد من نور ايمان فقيد الاسـلام الشيخ دراز رحمه الله ، وهى برهان لا يدفعه شىء من براهين فى كلامه وفى غير كلامه على فضـل القرآن العظيم .

ونضر الله وجـه الامام ابن قيم الجوزية فقـد قال فى مقدمة كتابه « الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان » (١) .

---

(١) ص ٧ من الكتاب الذى نشرته دار نشر الكتب الاسلامية فى باكستان الطبعة الأولى رجب ١٣٩٤ هـ .

« وانما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان ونظر فى أشعار العرب وخطبها ومقالاتها فى مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها ، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس ، وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال ، فاذا علم ذلك ونظر فى هذا الكتاب العزيز ، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان ، فقد أوتى فيه العجب العجاب ، والقول الفصل اللباب ، والبلاغة الناصعة التى تحير الألباب ، وتغلق دونها الأبواب، فكان خطابه للعرب بلسانهم (١) لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم فى ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم ، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم، وكلت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم، وبرق فى رونق الجمال والجلال فى أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال ، ولذلك يقع فى النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع ، وتميل اليه بالحنين الطباع ، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة » .

« ان الذين لا تأخذهم حقائق القرآن وحججه اليوم وغداً حتى تقوم الساعة قوم مرضى القلوب ، لقد كان تميم الدارمى رضى الله عنه يصلى ليلة عند المقام فى بيت الله الحرام ، وكان من سروات الناس وأماجدهم ، فبلغ فى قراءته قول الله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

(١) اشارة الى قوله تعالى : « وما ارسلنا من الرسول الا بلسان قومه ليبين لهم » الأشياء / « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » مريم .

فجعل يبكى ويردد الى الصباح «ساء ما يحكمون،ساء مايحكمون»

ولقـد بلغها الفضيل بن عياض ففعلت به فعلهـا بتميم رضى الله عنهمـا ، وجعـل يرددها ويبـكى ويقول : « يا فضيل ، ليت شعرى من أى الفريقين أنت ؟ ! وقد ذكر الامام ابن قيم الجـوزية فى آخر كتابه « الفـوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان ضروبا من اعجاز القرآن نورد منها هذا الوجه ــقال:

« ومنهم من قال اعجازه حصل بما فيه من نشـاط القلوب الواعية وغير الواعية اليـه ، واقبالها بوجه المودة عليه ، واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة ، ومحذراته المزعجة ، وآياته المغلقة ، وأخبـاره الموفقة مع كثرة قرعه للأسـماع ، وصدعه بما يخالف الطباع ، ومع ذلك فالقلوب مقبلة على أذكاره ، راغبة فى تكراره ، شجية عند سماع مزماره ، يجـد ذلك منهـم البـر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشـون ربهـم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هـدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد » الزمر آية ٢٣

وأورد ابن القيم رحمه الله خبر نصرانى مر بقارىء فوقف يبكى ، فقيل له : مم بكاؤك ؟ قال : الشجا والنظم .

ويوم كنا طلبـة فى أوائل العقد الرابع الميلادى بمعهد طنطا الثانوى كنا نسكن قبالة رجل نصرانى،وكان يجمع افراد أسرته ليسـتمعوا الينا كلما قرأ واحد منا شيئا من القرآن الكريم ! فما عدا مما بدا ؟!

يقول الامام بن القيم فى كتـابه الآنف الذكر ص ٢٥١ ..

وكم جهد أهل العناد فى ذلك ــ فى تحريف القرآن ــ فما قدروا له وما استطاعوا

وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا .. قال :

« روى أن يهوديا تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فعلم

أنه من جملة الأعلام ، وما ضـل فتحققوا أنه مسدد السهام ، فدعاه المتوكل الى الاسلام فأبى وأقام لفرط الاباء على مذهب الآباء ، بعد أن بذل له المتوكل ضروبا من الانعام ، وصـنوفا من الرفعـة والاكرام ، وراجعه فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزده ذلك الا طغيانا وكفرا ، فغـاب عنه مدة ، ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ، ويدين دينه ، فقال له المتوكل أسلمت ؟ قال : نعم .

قال : ما سبب اسلامك ؟ قال :

قطعت من عنقى قلادة التقليد ، وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه من مزيد ، نظرت فى الأديان وطلبت الحق حيث كان ، فأخـذت التوراة فنظرت فيها،وتدبرت معانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعتها فلم ينكر أحد من اليهود شيئا !!

وأخذت الانجيـل وزدت فيـه ونقصت ودخلت به السـوق وبعته فلم ينكر أحد من النصـارى منه شيئا !!

وأخذت القـرآن وقرأته وتأملته فاذا «انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحـافظون » فكتبت وزدت فيـه ونقصت ، ودخلت به السوق وبعته، فنظر فيه المسلمون، فعرفوا المواضع التى زدت فيها ونقصت ، وردوا كل كلمة الى موضعها ، وكل حرف الى مكانه،فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميـد ، فآمنت وصـدقت ما جاء به » .

وكم فى الأقوام من أمثال هؤلاء الذين نظروا فى القرآن بتجرد من أهوائهم فقادهم الى الحق الذى تبهر حجته ، ولا يزداد على كثرة التعامى عنه والكيد له ، الا ظهورا وجلالا .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله: سل التاريخ كم مرة تنكر الدهر لدول الاسـلام ، وتسـلط الكفار على المسـلمين فأثخنوا فيهم القتل وأكرهوا أمما منهم على الكفر وأحرقوا الكتب ، وهدموا المساجد وصنعوا ما كان يكفى القليـل منه

لضياع هذا القرآن ، كلا أو بعضا كما فعل بالكتب قبله لولا أن يد العناية تحرسه ، فبقى فى وسط هذه المعامع رافعا راياته وأعلامه ، حافظا آياته وأحكامه ، بل اسأل صحف الأخبار اليومية ، كم من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تنفق فى كل عام لمحو هذا القرآن ،وصد الناس عن الاسلام بالتضليل والبهتان والخداع والاغراء ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك الا بما قال الله تعالى :

«ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » الأنفال » آية ٣٦

ذلك بأن الذى يمسكه أن يزول هو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا .. »

.. وبعد فكم يظلم القرآن — وصحة نسبته الى الله لا يمارى فيما عاقل — من يقارن بينه وبين كتب لم يبق منها الا اسمها ، وأسماؤها هى ما تخلف منها بعد بختنصر بالنسبة للتوراة ، وحسب غيرها ما يعكسه تعددها — والحق لا يتعدد — وليراجع كل ذلك من شاء فى كتاب « الدين والعلم » للمشير التركى أحمد عزت باشا — وقد قال فى آخر كلامه عن التوراة والانجيل :

أما القرآن فمضبوط على النحو الذى أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ، وأملاه وليس فى صحته أدنى شك ، ولا يمكن أن يقابله أحد الخصوم بالاعتراض ، واذا فالدين الاسلامى هو الدين الذى له سند صحيح »

وأورد ههنا قطوفا من أقوال علماء الغرب التى يرى المشير عزت رحمه الله أن تأييد الدفاع عن القرآن بها مجد ونافع وأشد تأثيرا فى اقناع المعارضين وافحامهم » .

قال المستشرق كاريل وهو من أساتذة كامبردج : «أن علوية القرآن فى حقيقته العالية ، فهو حافل بالعدل والاخلاص ، والدعوة التى بلغها محمد الى العالم حق وحقيقة » .

وليقـول ديور أوكهارت مؤلف كتـاب روح الشرق : « الاسـلام وكتابه القرآن ـ يقدم براءة النجاة للتابعين ، وسجل أخلاق للمتبوعين»

ويقول العالم الانجليزى أمانويل كنج من محاضرة عن الاسلام القاها عام ١٩١٥ وفى كنيسـة الير ستيان « اذا كان فى عالم الالهام أمر يدعى وحيا ، وكان للوحى وجود كامل ، فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل

وفى عـدد ١٣ أبريل ١٩٢٢ من جريدة مير ايست :

« القرآن كتاب معجز وخليـق بالاعجاب من حيث التنزيل والترتيب ان لسـان القرآن مخالفا للساننا ، وآراءه تخالف أراءنا ، ولكن انكار قـدره وقيمته وفضـله وجماله من جهات كثيرة يكون حرمانا من العقل والمنطق »

ويقول مسديو فى كتابه « تاريخ بلاد العرب » : « القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفضيلة ، فالفضيلة والرذيلة ، والخير والشر وماهيـة الأشياء الحقيقية كلها مبينة فى القرآن فقد أوجبت آياته ان محمدا صلى الله عليه وسلم يحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد »

وفى كتـاب « حيـاة محمـد » للفيلسوف الفرنسى الكس الوازون قال : خلف محمـد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق ، وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية التى كشفت أخـيرا أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية ..»

وانتهى من ابراز هذه النصـوص بكلمة تميط اللسـان عن الأحقـاد الموروثة على القرآن والاسلام،والتى يسلط الحق عليها أنواره التى يقدح زنادها المنصـفون من كل ملة ودين فلعلها تلقى التراب فى وجوه أقـوام تعرفهم بسيماهم : قال المسـتشرق والفيلسوف الألمانى توجـان يعقوب رايس المتوفى عام ١٧٧٤ «ما ان يتعلم

بعض الناس قليلا من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة الاستهزاء بالقرآن ولو استمعوا الى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة المؤثرة ، وأحسوا باللسان المحير للألباب ، الذى استخدمه الرسول حين أفهم أصحابه القرآن ، لوقعوا فى الحضرة الالهية ساجدين ... »

هذه بعض ملامح الكتاب المهيمن نلتقى على استكمالها ان شاء الله ، والله المستعان على كل خير

معوض عوض ابراهيم

الانسان فى القرآن والسنة :

الانسان مخلوق مكلف ..

والانسان مخلوق على صورة الخالق .. فالاسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ، ولا يعرف السقوط من طبيعة الى ما دونها، فلا يحاسب أحدا بذنب أبيه ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وليس مما يدين به المسلم أن يرتد النوع الانسانى الى ما دون طبيعته ، ولكن مما يؤمن به أن ارتفاع الانسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعة .

فهو بأمانة التكليف قابل للصعود الى قمة الخليفة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط الى أسفل سافلين ، وهذه هى الأمانة التى رفعته مقاما فوق مقام الملائكة ، وهبطت به مقاما الى زمرة الشياطين :

« انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

سورة الأحزاب

عباس العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

مع العقاد فى اللغة الشاعرة

الزمن فى اللغة العربية

للأستاذ السيد حسن قرون

— ٢ —

الزمن فى اللغة العربية

حين نقرأ ما كتبه العقاد عن الزمن فى اللغة الشاعـرة يهولنا ما يعانيه كاتبنـا من اللغـويين الغـربيين والمسـتشرقين عامة فى الـدفاع عن لغته ، وأغلب ظنى أن مفكرى الغرب والمعنيين منهم بالمشرقيات دينا ولغة وحضارة ينظرون الى لغاتنا نظرتهم الى تخلفنا عنهم فى عصر الذرة أو عصر غزوهم لنا على وجه العموم ، ولغـرورهم بقـدرتهم الطـاغية واستعمارهم للأمم ذوات الحضارات السابقةاعتقدوا ــ والوهم حليفهم ــ أنهم سادة فى اللغات كما هم سادة فى الحروب وعقد المعاهدات،وهكذا تكون نظرة الغالب نحو المغلوب ، والمغلوب قد تقيده حال غالبه فيظن القصور فى نفسه وعقله وعلمه وأدبه ولغته ويرى حسنا ما ليس بالحسن، وقد تنحل شخصيته فيخال ديانته سبب فى تخلفه . ومن ثم ظهر بيننا أناس يدعون الى الأخذ عن الغرب كل شيء خيرا أو شرا ، ولا مانع من تحطيم التراث وتحطيـم اللغـة ، ويتغنى بحضارة سيده الغاصب . لكن العقاد لم يطغ عليه صخب ذلك الغالب ، ولم ير فى قوته الا أنها سحابة لابدأن تزول سواء كانت سحابة صيف أو سحابة شتاء ، وهو عرض لا جوهر لذلك حاجهم فحجهم ، وناظـرهم فنظرهم ، والأمر هنا أمر حقائق لا يطمسها طاغ ولا خانع فماذا نقل عنهم ؟ وماذا كان رده عليهم ؟ يقول:

شـاع بين اللغويين المختصـين بدراسة تواريخ الالسنة فى الغرب أن اللغات السامية ناقصة فى دلالة الأفعـال على الأزمنـة ومنها اللغة

العربية على تفاوت بينها وبين الفروع الأخرى من الأرومة المشهورة باسم اللسان السامى أو لسان الساميين. ويرد العقاد داحضا تلك الفرية .

« ربما ساغ هذا القول عن اللغة العربية فى عقول المتعجلين من مصدقيه لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت على صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها ، فلا جرم تخلو من التوقيت الدقيق فى تمييز الأفعال والأحداث لكنه وهم لا يثبت على نظرة محققة فى التاريخ ولا فى اللغة ولا نحسب أن لغة نفهمها أو نفهم عنها قد اشتملت على وسائل التمييز بين الأوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية ، سواء نظرنا الى ضرورات سكانها أو نظرنا الى تصريف أفعالها وكلماتها ، فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها فى حياة سكان البادية بين السفر والاقامة والحل والترحال ، فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة ، وما هو صالح للراحة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار ؛ ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحا، أو الغدوة والظهيرة ، والقائلة والعصر والأصيل والمغرب ، والعشاء والهزيع الأول من الليل ، والهزيع الأوسط ، والموهن والسحر ، والفجر والشروق وهذا التقسيم على هذا النحو يكاد ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات فى كثير من اللغات الأخرى بغير الجمل والتراكيب .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه فى المرعى والانتجاع وطلب الماء أو التجارة أو الأمان ولهذا وجدت أسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها أسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصطلح الفلكيين ؛ فهى السنة ، وهى العام وهى الحول ، ولكل منها موضعه فى التعبير . ووجدت فى اللغة كلمة اليوم والنهار والليل ، ولم تنقسم الى يوم وليل دون تفرقة بين معنى اليوم ومعنى النهار ، بل لهذا وجدت للأوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر فى المدة ؛ فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن وتنطوى فيها اللحظة أو اللمحة للوقت القصير ، والبرهة والردح

للوقت القصير ، والفترة للمدة المعترضة بين وقتين ، بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان .

ثم يأخذ فى الحديث عن الأفعال وتقسيماتها ، وتلمح ذهن العقاد فى تنويهه بالفعل الماضى ؛ « فان الزمن الماضى مهم عند أبناء البادية العربية فى كل عهد من عهوده ؛ لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من المصادفة أن يسمى التاريخ هنا باسم الأيام ، وأن يعرف لكل يوم أثره فيما كان وما يكون ملحظ طريف من عقل حصيف يرتب عليه حكما وميزة للغة العربية . « فمن علامات التطور فى اللغة العربية أن الماضى فيها هو الأصل ويأتى الفعل المضارع بالتصريف ، وفى لغات أخرى من أرقى اللغات يشيع استعمال المضارع أولا ويأخذون منه الماضى باضافة حروف أو مقطع أو تغيير الصيغة . » ويسير فى منطقه الحاسم متحدثا عن المضارع الدال على الحال والاستقبال ثم الأمر « وصيغة الأمر تدل على فعل مطلوب فى المستقبل يقترن بالزمن عند حصوله أمرته ففعل ، وهذه المجاوبة بين طلب الفعل وحدوثه مألوفة فى اللغة العربية تتمثل فى أفعال المطاوعة التى لا نظير لها فى كثير من اللغات ، فاذا وقع الحدث فى الزمن فله صيغ متعددة تؤكد هذا التحقيق كما يقال أمرته فأتمر ، ورسمته فارتسم ، وقطعته فانقطع ، وكسرته فانكسر .

ويجعل من تطور اللغة الشاعرة أفعال الدعاء والرجاء ، فانها فى هذه اللغة غاية فى الدقة تحسب من قبيل التمييز المنطقى أو الفلسفى فى هذا الباب ، « فالمعنى غالب على اللفظ فى أفعال الدعاء والرجاء يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) ومن آية القصد فى اللغة ألا يحتاج الفعل هنا الى النقل من صيغة الماضى الى الحاضر لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال وفى بقائه على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة كأن ما

يرجى أن يكون قد كان ، وأصبح من المحقق المستجاب ، ولا شك أن هذا المعنى مقصود لأنه لم يأت عن عجز فى اللغة ، ولا يمتنع أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء ... »

ويتحدث عن الشرط والنفى مسهبا ومقارنا وممثلا بأمثلة من اللغة العربية وأمثلة من اللغة الانجليزية ،ومرجحا لغة العرب فى كل حين ، مع ذكر المقدمات والبراهين ، مستريحا الى ما وصل اليه قائلا : « ونحق لنا أن نقول : ان اللغة العربية لغة الزمن ؛ لأنها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لأنها قادرة على مسايرة الزمن فى عصرنا هذا ، وفيما يلى من العصور .

الانتحال فى الشعر العربى

حين تعرض العقاد لقضية انتحال الشعر لم يذكر كتاب «فى الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ولا المناقشات التى دارت حوله ولا الكتب التى ألفت حين صدر هذا الكتاب، وانما جعل همه أصل الداء ، وأصل الداء المستشرقون فمنهم جاءت العدوى لذلك كان عنوان بحثه فى هذا المجال نقد الشعر العربى أخطاء المستشرقين فى نقد الشعر القديم » ومن هذا العنوان نعرف أنه بصدد معركة حامية الوطيس مع هؤلاء المستشرقين الذين تصدوا لنقد الشعر العربى القديم وليسوا من دراسته التاريخية وذوقه البلاغى وعجمه اللغوى على شىء ، وأنا أرى أن بحثه هذا تأخر عن موعده ولا اخاله لم يفطن لهذا التأخير ، لقد كان موقفه حينذاك موقف المعضد لحرية الفكر سواء كانت له أو عليه ،لكن القضية فى ذاتها بقيت فى ذهنه ليبرزها لنا فى هذا الكتاب « اللغة الشاعرة » وليحسم الأمر وليضع الحقيقة فى مكانها ، ويكشف الداء ويشخصه ثم يضع الدواء وهو شاف لكل الآراء ، المستشرقون هم أصحاب القضية وهو مكلف من نفسه ومن توقيته ومن ثقافته للرد عليهم وبيان أخطائهم ، وفى عبارة ساخرة يبدأ قائلا : انتهى فى عصرنا دور الاستشراق فى خدمة اللغة العربية وبقى للمستشرقين دورهم الذى ينتفع به أبناء الغرب الذين يعتمدون على اخوانهم فى لغاتهم للعلم بما يحتاجون الى علمه عن اللغة العربية وما رأيه فى أقوالهم التى أخذ بها مفكرون منا ؟ يجيب : اذا صرفنا النظر عن عمل الكثيرين منهم فى

دراسة اللغة لأغراض دينية أو سياسية فهم قبل كل شيء مؤرخون أو أصحاب احصاء وتسجيل ، لم يعهد فيهم أنهم حجة فى آداب بلادهم فهم أحرى ألا يكونوا عندنا حجة فى آدابنا العربية وبخاصة فى مسائل الذوق الفنى واختيار الشـعر والحـكم على الشعراء ،

وأول افتراءاتهم التى موهوها على السذج من أبناء العروبة قولهم ان لغـة قريش لم تكن السـائدة فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام فينظم بها الشعراء فى العصر الجاهلى المعلقات أو الشعر على وجه العموم، وأن لحمير من قحطان لغة غير لغـة الحجاز ، ومن هنا قالوا بانتحـال شعر المعلقـات والشـعر الجاهلى .

يقول العقاد: وليس الشائع بينهم أن يتوسعوا فى دراسة التاريخ العـام للبلاد الشرقية الى جانب دراسة اللغة، فيكثر من أجل ذلك أن يخطئوا فهم أطوار اللغة جهلا منهم بأطوار التاريخ، وبما يستلزمه من موضوعات الشعر والخطابة وغـيرها من التعبـيرات القومية ، ومثال ذلك أنهم ــ لغفلتهم عن الفارق بين أديان العرب الجاهليين وأديان الهند واليونان والفرس ــ حسبوا أن العرب قد كان لهم شعر دينى لابـد أن يكـون على مثال قصـائد الهند والفرس والأسـاطير اليونانية الشعرية ، ورتبوا على ذلك انكار الشعر العربى المنسـوب الى الجاهليين ؛ لأنه خلو من التعبير عن العادات والشعائر وما اليها . فماذا كان رده على هذا الافتراء ؟ القارىء لما كتبه العقاد يتبين له أنه اتخذ المحاور الآتية للرد والافحـام ١ ــ التاريخ الذى يجهله المستشرقون ٢ ــ أوزان العـروض الكاملـة التكـوين . ٣ ــ الهجرات العربية ٤ ــ الفروض الأدبية والرواية الأدبية ٦ ــ القرائن الأدبية .

وبادىء ذى بدء يصدم المستشرقين بتاريخ اليهود بيثرب ؛ لأن وجود اليهود فيها أصدق جواب على هذه الأوهام والافتراءات : لأنهم غرباء عن الجزيرة العربية دخلوها فى القرن الأول أو القرن الثانى للميلاد ،ولا يجوز الشك فى ذلك ، ولا القول بأنهم عرب تهـودوا ــ كما زعم بعض المؤرخين بلا علم ولا سند ، فان تصـديق هذا الزعم يلزمنا أن نفرض أن العرب الأميين تطـوعوا

للتحول الى اليهودية ، ثم تعلموا العبرية،وتفقهوا فى التوراة لينقطعوا عن أسلافهم الأقوياء فى بلادهم ، وينضـووا الى قـوم مغلوبين فى بلادهم لا يسلمون لأحد من الأمم أنه أهل للدخـول معهم فى عـداد شعب الله المختار ، وهو من أعجب الفروض كما رأيت ، وليس فى هجرة اليهود من فلسطين الى الحجـاز غرابة أو مناقضة للتاريخ بعد تشتتهم فى القرن الأول والثانى من الميـلاد ومساكنهم وصناعاتهم تعطيك صحة هجرتهم فهم على الطريق بين تيماء ويثرب للتجارة والزراعة والاشتغال بمالم يشتغل به العربى ، وعاشـوا فى يثرب وخيبر وفدك وتيماء ووادى القرى ولم يجـرءوا أن يزاحمـوا العدنانيين فى طرقهم التى يسلكونها للتجارة شمالا الى الشام وجنوبا الى اليمن ، ويناقش الرأيين : أهم يهود أم عرب تهودوا فيقول : هل هؤلاء عرب يكتبون ؟لوكانوا كذلك كانوا خلفاء أن يحفظوا فى صحفهم كلاما عربيا قبل الاسـلام بثلاثة قـرون يخالف العـربية الموحـدة فى عصر الاسلام ــ ان صح أن العربية لم تكن موحدة أيام شعراء المعلقات ــ وبعض هؤلاء الشعراء لم يسبقوا الاسلام بأكثر من مائة عام . وكانوا خلقـاء أن يحفظوا بالكتابة العبرية لهجـة غير اللهجة الموحـدة التى يشـك المستشرقون فى سبقها للاسلام الى عصر أولئك الشـعراء . أو كانوا خلقاء أن يعلمونا من كتابتهم شيـئا يؤيد ذلك الشك نوعا من التأييد .

أما اذا كانوا يهودا على القول الراجح ــ بل القاطع ــ يهودا دخلوا الجزيرة العربية بلسان غير لسانها ، وتكلموا الآرامية ، أو الأدومية أو العبرة ثم تعلموا اللغة العربية الحجازية ، فهذا التوحيد الذى تم بين اللغة الحجازية وبين الآرامية أو الأدومية أو العبرية ليس بالمستغرب أن يتم بين لهجـة العرب فى الجنوب ــ اليمن ــ ولهجة العرب فى الحجاز وسـائر أطراف الجزيرة ، واتصـلوا بالحجاز زمنا أطول جدا عن مقام اليهود المهاجرين منذ القرن الأول أو الثانى للميلاد ، ولم يصل الينا شئ من لغة اليهود الذين أقاموا بجنوب الجزيرة . أو اليهود الذين تحالف معهم ذو نواس فى نجران ،ولكن اليهود الذين وفدوا الى الحجاز بعد البعثة النبوية كان

منهم كتاب ومؤرخون مطلعون على تواريخ حمير وتواريخ أسلافهم العبرانيين ، وكان منهم كعب بن مانع المسمى بكعب الأحبار ، وكان منهم منبه الصنعانى الذى قال ابن خلكان : انه رأى كتابا له عن ملوك حمير وأخبارهم فى مجلد واحد • ووصف هذا الكتاب بأنه مفيد ، وقد كان (كعب) و (منبه المغربيين) فى طلب النوادر فلم يذكرا زمنا شهداه أو شهده آباؤهما كانت فيه لغة قريش مجهولة فى اليمن وما جاورها •

ويستمر العقاد فى التفنيد وسوق الأدلة ليؤكد أن لغة قريش كانت السائدة فى الجزيرة العربية الى ما قبل عصر المعلقات بكثير من الأزمنة ومن أدلته وفود قبائل اليمن الى الحجاز وذهاب الولاة من الحجاز الى اليمن باذن النبى عليه السلام ، ومنهم معاذ بن جبل ، وعلى بن أبى طالب فلم نسمع أن الوافدين الى الحجاز أو الذاهبين الى اليمن نطقوا بكلام غير لغة قريش • وأقدم من البعثة المحمدية رحلة الصيف ورحلة الشتاء ، ألم يكن تفاهم بين القرشيين واليمنيين بلغة غير اللغة القرشية للأجيال التى سبقت البعثة ، ومن البعيد أن ينسى العربى حديث جيل أو جيلين قبله وقد كانت أخبارهم ورواياتهم كلها قائمة على الحفظ والاسناد من جيل الى جيل • « فاذا كانت لغة الحجاز شائعة عامة على مدى الذاكرة فى عصر البعثة المحمدية فلا أقل من ثلاثة أجيال تقدر لهذا الشيوع وهذا التعميم وترجع بنا هذه الأجيال الى أقدم الأوقات التى أسند اليها نظم المعلقات فلا نستغرب نظمها باللغة التى يفهمها العرب من الجنوب الى الشمال »

واذا بلغنا أوزان الشعر حكم العقاد وهو صادق أن أوزان العروض لاتخلق بين يوم وليلة ، وأن وزن قصيدة كعب بن زهير التى مدح بها الرسول ووزن قصيدة أبيه قد وجدا قبل عصر الشاعرين ، ونظمت فيها قصائد جيل أو جيلين على الأقل قبل ذلك التاريخ ، ولو أن هذه الأوزان وسعت شعرا غير شعر اللغة الحجازية لما غاب خبره ان غاب لفظه ومعناه ، ومن الجرأة المقوتة أن نجزم بامتناع

الهجرة من الجنوب الى الشمال ، وأن نحتم على قبائل اليمن المقام فى بلادهم فلا يبرحوها الى بلاد أخرى والجزيرة العربية تموج بالهجرات من قديم الزمان من جهة الى أخرى ومن الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب ، ومعروف تاريخيا أن الأوس والخزرج فى يثرب وخزاعة فى مكة والغساسنة فى الشام نزحوا من الجنوب الى الشمال فكيف تكذب واقعا أو تفرض فروضا تجافى الواقع والتاريخ ؟ « وان من ينكر انتقال قوم من اليمن الى ما وراءها ينكر أمرا غيرقابل للانكار فى الجزيرة العربية التى لم يثبت فيها تاريخ أثبت من تاريخ الرحلات ، فمادمنا نقدر بحكم البداهة أن اليمانيين وجدوا فى الجزيرة العربية وراء حدودهم وتكلموا كما يتكلم المقيسون فى جوارهم فقد زالت المشكلة ولم تكن هنالك مشكلة تزال » فالذين ينكرون نظم الشعر الجاهلى بلغة قريش متعسفون سواء أكانوا من المستشرقين أم من المستغربين ؟

وينتقل العقاد من تاريخ اليهود وتاريخ اليمن وصلتهم بلغة قريش الى الحديث عن رواة الشعر والانتحال فيقول : ان اعتساف التاريخ هنا لأهون فى رأينا من اعتساف الفروض الأدبية التى لا تقبل التصديق ، فما من قارىء للأدب يسيغ القول بوجود طائفة من (الرواة) يلفقون أشعار الجاهلية كما وصلت الينا ، ويفلحون فى ذلك التلفيق ، اذ معنى ذلك (أولا) أن هؤلاء الرواة بلغوا من الشاعرية ذروتها التى بلغها امرؤ القيس والنابغة وطرفة وعنترة وزهير وغيرهم من فحول الشعر فى الجاهلية ، ومعنى ذلك (ثانيا) أنهم مقتدرون على الأساليب على حسب الأمزجة والأعمار والملكات الأدبية ، فينظمون بمزاج الشاب طرفة ، ومزاج الشيخ زهير ، ومزاج العربيد الغزل امرىء القيس ، ومزاج الفارس المقدام عنترة بن شداد ، ويتحرون لكل واحد « مناسباته » النفسية والتاريخية ويجمعون له القصائد على نمط واحد فى الديوان الذى ينسب اليه ، ومعنى ذلك (ثالثا) أن هذه القدرة توجد عند الرواة ولا توجد عند أحد من الشعراء ، ثم يفرط الرواة فى سمعتها وهم على هذا العلم بقيمة الشعر الأصيل ، وما من ناقد

يسيغ هذا الفرض ببرهان فضلا عن اساغته بغير برهان ، وهذا المنطق يكلف العقل شططا ، لأنه يشككنا فى أمر لا يأتى اليه الشك من أى سبيل ، ولو كان المستشرقون تخلوا عن صناعة التسجيل وتعمقوا فى فهم الرويات لما حبسوا عقولهم فى تلك الترهات كما حبسوا ـ واهمين ـ سكان اليمن فى بلادهم ومنعوهم من الهجرة أو الرحيل . والأنكى من ذلك حرمانهم تذوق اللغة « ومنهم من لا يعرف أدب بلاده ولا يحسن الحكم عليه وهو أدب اللغة التى تلقفها فى حجر أمة ، فليست معرفته اللغة العربية كافلة له أن يحكم على آدابها واساليبها ومضامين الكلام فيها على تعدد الأمزجة والأذواق ، ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ » أنها تأتى بمعنى « النوم » لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » ومنهم من يترجم أبا بكر بأبى العذراء لأنه والد الزوجة التى بنى عليها النبى عليه السلام وهى (عذراء) ومنهم من يترجم الصعيد بمعنى الميمونة أو مصر السعيدة قياسا على اليمن السعيدة ... » وأشنع ما وقع فيه المستشرقون أن يوازنوا بين آيات القرآن الكريم والشعر دون فهم للتاريخ ودون معرفة بالدخيل أو الأصيل . يقول العقاد : وقد تصدت منهم لهذا البحث الذى نحن فيه عن اللغة قبل نزول القرآن ـ طائفة تقتحم هذه المباحث وهى أجهل بآلاتها من عامة الأميين ، فالدكتور (سنكلر تسديل) Thusdale صاحب كتاب (مصادر الاسلام) يروى شبهات الناقدين للقرآن الكريم ومنها هذه الأبيات :

دنت الساعة وانشق القمر
عن غزال صاد قلبى ونفر

أحور قد حرت فى أوصافه
ناعس الطرف بعينيه حور

مر يوم العيد فى زينته
فرمانى فتعاطى فعقر

بسهام من لحاظ فاتك
تركتنى كهشيم المحتظر

وتتخذ منها قرينة على اقتباس القرآن بعض الآيات من أشعار الجاهليين . ويضيف الدكتور

العلامة الى هذه الأبيات أبياتا أخرى كقول القائل :

أقبـــل والعشـاق من خلفـــه
كأنهم من حـــدب ينسـلون

وجـــاء يوم العيـــد فى زينتـة
لمثـل ذا فليعمـــل العاملون

قال الدكتور : « ومن الحكايات المتداولة فى عصرنا الحاضر أنه لمـا كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية وهى» «اقتربت الساعة وانشق القمر » سمعتها بنت امرىء القيس ، وقالت لهـا : ان هــذه القطعة من قصـائد أبى أخذها والدك وادعى أن الله أنزلها عليه ، ومع أنه يمكن ان تكون هــذه الرواية كاذبة لأن امرأ القيس توفى سنة ٥٤٠م ولم يولد محمد الا فى سنة الفيل أى سـنة ٥٧٠ م فلا ينكر أن هذه الأبيـات المذكورة واردة فى سـورة القمر وفى سورة الضحى وفى سورة الأنبياء وفى سورة الصـافات ، وغاية الأمر أنه يوجد اختلاف طفيف فى اللفظ وليس فى المعنى . فورد فى القرآن « اقتربت » وفى القصيدة « دنت » ... ومن البين الواضح أنه يوجد مناسبة ومشابهة بين هذه الأبيات وبين تلك الآيات الواردة فى القرآن فاذا ثبت أن هذه الأبيات هى لامرىء القيس حقيقة فحينئذ يصعب على المسلم توضيـيح كيفية ورودها فى القرآن : لأنه يتعذر على الانسان أن يعتقد أن أبيات شـاعر وثنى كانت مسطورة فى اللوح المحفوظ قبل انشـاء العالم ثم قال الدكتور يطالب العلماء المسلمين مع المعترضين والمشتبهين بأن يقيموا الدليل على أن هذه الآيات مأخوذة ومقتبسـة من القرآن الكريم وأنها ليست من نظم امـرىء القيس الذى تـوفى قبل مولد محمـد بثلاثين سـنة « ولكن يصعب علينا أن نصـدق بأن ناظم هذه القصائد بلغ الى هذا الحـد من التهتك والاسـتخفاف والجرأة فى أى زمن من الأزمان بعد تأسيس مملكة الاسـلام التى كانت متسـعة الأطراف والأكناف حتى يقتبـس آيات من القـرآن ويستعملها فى مثل هذا الموضوع » ثم يختـم الدكتور كلامه فى هــذه الشبهات مصطنعا الحذر والحيطة لئلا يثبت نظم هذه الأبيات بعـد

الاســلام فتسـقط الشـبهة كلها فيقول : « ان هذه الأبيات ليست كل ما يعترض بـه المعترضـون » لأن ما تقدم من الأسـانيد كاف عندهم لتأييد هذه القضية » .

ويعلق العقـاد على ما نقله عن هذا الدكتور العلامة قائلا:«وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخابطين فى أمر اللغة العربية قبل الاسـلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم أنهم يحسبون أن علماء المسلمين يلقون فى بحث تلك الأبيات وصبا واصبا لينكروا نسـبتها الى الجاهليـة ، ولا يلهمهم الذوق الأدبى أن نظرة واحدة كافية لليقين بادحاض نسبتها الى امـرىء القيس أو غيره من شعراء الجاهلية » .

والشيء الذى لم يقله العقـاد أو ترنم عن قوله أن اقتباس آيات القرآن ووضعها كما هى كانت عادة الشعراء للخلفاء فى العصر العباسى والأول ، وأنا أعف عن ذكر الصـلاة التى آقيمت خلف جارية ونظم فيها أبو نواس وأبو العتاهية شعرا فيه سورة الاخلاص ، فتظرف الشعراء وضعف الوازع الدينى فى نفوسهم يسـولان لهم العبث بكل مقدس جليل ؛ وأى ناقد لبيب يرتضى أن يكون الشعر الذى ساقه الدكتور وجعل من الصعب على المسلم أن يدفع هذه الشبهة عن القرآن وأنه أخذ من شعر شاعر وثنى . انهم يشككون فى أن الشـعر الجاهلى قاله شعراء الجاهلية ثم يشككون فى أن القرآن من عند الله ، وذلك بقصص مغرض كالذى حكى عن لقاء فاطمة رضى الله عنها وابنة امرىء القيس ، ولاأدرى فى أى كتـاب تاريخى وردت تلك القصة ؟ لكن العقاد لا ينظـر الى ما نظرت اليه وانما يأخذهم بعلمهم ويبين تلفيقهم فيضرب لهم المثـل بخبير الخطوط الذى يعرف أنواع الكتابة حسب الكاتبين والذى ربما جاز عليه أمر الكلمة والكلمـات ، ولكنـه اذا حصل على تلك الكلمة مكتوبـة عشر مرات أو عشرين مرة لم يكن من اليسير عليه أن ينخدع فيها كما ينخـدع فى الكلمة المقـررة بغير تكرار ، وعلى هـذا المنوال يتميز الصـحيح من الزائف فى الشـعر

الأصيل والشعر المدخول ، وقد يجوز التزوير فى الشطرة الواحدة أو البيت الواحد اذا امتنعت المقارنة بينه وبين أمثاله من تلفيق صاحب التزوير أما المستحيل أو شبه المستحيل فهو تزوير أدب كامل ينسب الى الجاهلية،ويصطبغ فى جملته بالصبغة التى تشمله على تباين القائلين والشعراء ، ويقول عن التقارب بين الشعر الجاهلى والشعر الأموى انه دليل نسبة الشعر الى قائليه : « واذا قل الفارق بين الشعر المخضرم والشعر الأموى الأول والشعر الجاهلى فتلك آية على صحة العلامات التى تميز الشعر الجاهلى وعلى صحة القرابة بينه وبين الشعر الذى لم يفترق عنه افتراقا بعيدا بزمانه وثقافة قائليه وبيئاتهم فى المعيشة ومناسبات التعبير ، فلا يتشابه الشعر الجاهلى والمخضرم ان لم يكن بينهما ميزان مشترك ، مع انتمائه الىعشرات الشعراءالجاهليين والمخضرمين . ان الملامح التى تميز الفرزدق والأخطل وجرير لم يكن لها ثبوت أوضح وأقوى من ثبوت الفوارق التى تميز بينامرىءالقيس وعمرو بن كلثوم وزهير ، فمن يرى أن خلق دواوين الفرزدق والأخطل وجرير فى وسع راوية واحد فقد سهل عليه أن ينسب شعر الجاهليين جميعا الى راوية أو رواه ،ولكنه يذهب فىالحالين مذهبا لا سند له ولا سابقة من مثله فى آداب الأمم ، ولا نصيب له من الذوق الأدبىغيرالنبو والاستغراب» .

ويختم تفنيده لقضية الانتحال بهذه الفقرة التى تومىء الى أنصار انتحال الشعرالجاهلى عندنا قائلا :

« على أن موازين النقد الأدبى الذى اشتغل به هذا النفر من المستشرقين لاتسلم على هينة من جراء أخطائهم ؛ لأنهم ضللوا أناسا من تلاميذهم فاتبعوهم فى أكثر الأخطاء التى كانوا يقعون فيها من جراء عجزهم عن النفاذ الى حقائق التاريخ وأسرار البلاغة العربية » والحمد لله أن الدكتور طه حسين قد رجع عن نظرية انتحال الشعر الجاهلى التى سجلها فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فقد

سمع منه رجوعه عنها غير واحد ، منهم الأستاذ (محمد أحمد الحوفى) والأستاذ (سعيد الافغانى) الذى نشره فى مجلة (العربى) العــدد (٢١٨) يناير ١٩٧٧ م وهذايؤيد رأى العقاد فيماذهب اليه من اثبات الشــعر الجاهلى وهــو من تراث اللغة الشاعرة » فى موضعه فى نفوس طلابه ودارسيه .

السيد حسن قرون

المسلم بين يدى الله :

عبادة المسلم فى جميع فرائضها تتكفل له بالتنبيه الدائم الى هاتين الحقيقتين ..

انه فى صلاته يستقبل النهار ويتوسطه مرتين ثم يختمه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدى الله كأنه يستهديه فى عمله ويؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة الى الساعة التى يستسلم فيها للرقاد أو ينطوى فيها تحت جنح الظلام ...

وان المســلم فى صباحه ليــذكر حق الروح من شرابه وطعامه ، ويذكر أنه ذو ارادة تأخذ بيديها زمام جســدها ولا تترك لهذا الجسد ان يأخذ بزمامها ويتصرف بهــا على هواه ، واصح ما يكون الصيام الذى ينبه الضمير الى هذه الحقيقة ان يقدر المرء على ترك الشراب والطعام فترة من الزمن ، ولا يكون قصاراه منها ان يستبدل شرابا بشراب وطعاما بطعام ...

حقائق الاسلام واباطيل خصومه

من مبادىء الاسلام فى الشورى

للدكتور شمس مرغني

اذا كان رجال الفقه الدستورى يقسمون الديمقراطية فى الصورة المثالية الى جوهر وشكل ، **وأن** جوهرها الفلسفة والنظام اللذين يقومان الحكم على أساس رضاء الشعب ويجعلان من ارادة المحكومين القانون الواجب الاتباع ، أى الفلسفة **والنظام اللذين يرتبان حياة الناس ، بالشكل** الذى يسقط التناقض بين الفرد والجماعة بين الحرية والسلطة .

اذا كانت هذه هى النظرة المثالية للديمقراطية فأين مكان ديمقراطية الاسلام من هذا التقسيم ؟

فالذى يلقى نظرة متأنية على مبدأ الشورى ونظام الخلافة وفكرة البيعة فى الاسلام ينتهى الى أن ديمقراطية الاسلام جوهر وشكل حقيقة وأسلوب ، مضمون وصياغة فالمضمون ثابت لا يتغير لأنه وارد بالكتاب والسنة وهى حقيقة واحدة لا تتبدل ، الا أن الشىء الذى لا نزاع فيه أن **الجوهر لا يصل فى عالم التجريد المطلق ،** ولكنها لا بد لها من ممارسة عملية على أرض الواقع المتغير المتطور . وبالتالى لا شك أن الشكل الديمقراطى يتغير مع الزمن ، بل ولا بد أن يتعدل ، أسلوب الممارسة .

وجوهر ديمقراطية الاسلام ثبت بالقرآن والسنة وسوف نستخلصه **من الأصول النظرية أما الشكل** فسوف نستخلصه من أساليب اختيار الخليفة ونستنتجه من التطبيقات العملية للممارسه .

اولا ــ الجوهرة

أولا ــ يقرر القرآن الكريم المبدأ فى قوله تعالى :

ــ « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (آل عمران الآية ١٥١) •

ــ « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى الآية ٣٨) •

ثانيا ــ السنة : يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ماتشاور قوم قط الا هدوا لأشد أمورهم • وروى سهل ابن سعد الساعدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما شقى قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأى » وجاء فى حديث شريف : «اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله لن يجمع أمته الا على هدى ••• » •

ثالثا ــ الفقه وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ويقول الامام ابن تيمية فى كتابه السياسة الشرعية « ان الله أمر نبيه بالشورى لتكون شرعة ملزمة لمن بعده وقد جعلها الله ثمة صفة ، للمؤمنين فى قوله :

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » •

وقال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشر أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه وقد مدح الله المؤمنين بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » •

فى ضوء ما تقدم يتضح أن الله تعالى الذى أمر بالشورى لم يبين تفصيلها على غرار ما قرره بالنسبة لكثير من المسائل الدينية ليكون حكام كل دولة فى سعة من وضع نظمها بما يلائم حالهم فهم الذين

يقررون نظام الانتخاب والشروط اللازمة فيمن ينتخب وكيفية قيامهم بواجبهم وغير ذلك بما تتحقق به الشورى كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقام حكمه ، على مبدأ الشورى ، ولكنه لم يضع قاعدة أو نظاما لها لأن أمر الشورى يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية، فى الزمان والمكانوذلك كى يسهل الاختيار حسبما تقتضيه الظروف ومتطلبات الزمانولو وضع عليه السلام هذه القاعدة لاتخذها المسلمون دينا وفى ذلك تضييق عليهم •

وحذا حذوه خلفاؤه الراشدون فكان أمرهم شورى بينهم •

وليس الأمر بالشورى مقصورا على الحكام ولكنه موجه فى الوقت نفسه الى الجماعة بكاملها أى المجتمع فى علاقاته الرأسية والأفقية ملزم بتطبيق المشورة •

ضرورة المبدا

١ ـ فريضة :

ما أمر الله تعالى ـ رسوله بمشاورتهم لحاجة منه الى رأيهم بل هى فريضة فرضها عليهم فيقول عز وجل : « وشاورهم فى الأمر » وسند هذا أن النبى لا يصدر فى أعماله عن هوى ، وانما ينزل عليه الوحى بما شرعه الله لصالح الأمة وهذه هى الحقيقة التى تعبر عنها الآية الكريمة : « اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة » يتلقى الرسول هذا الأمر ويعمل به كلما دعت الضرورة لكن الرسول بشر غير مخلد ومن ثم عندما يطبق أسلوب المشاورة فانما يضع سنة تتبع من بعده وموجهة الى الحكام جميعا فى مختلف العصور، وفى كل الأزمان وفى مختلف المجتمعات ، وعلى مختلف المستويات ولعل أوضح تعبير عن ماهية الموضوع الماثل قول الحسن رضى الله عنه « قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده » •

٢ ـ اثر لاحترام العقل :

الشورى أثر طبيعى لاحترام الاسلام ، فدعوة الاسلام قامت على

مخاطبة العقل فلقد اكتفى الاسلام بخطاب العقل ، دون قهر . حتى بالخوارق المعجزة التى صاحبت الأديان الأولى يقول الله تعالى : «لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ثم حث فى آيات كثيرة من القرآن على النظر فى مظاهر الكون ،وفى خلق الله من حيوان ونبات وجماد يقول سبحانه :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

هذا الدين الذى كرم العقل وأولاه العناية الفائقة جدير به أن يحترمه ولا يفرض عليه شىء فى دنياه ما لم يستخدمه ، ويجعله يفكر وبذلك يعلى الاسلام من شأن العقل البشرى ويرتفع بقيم أتباعه باطلاق أيديهم حرة من كل قيد فى شئون حياتهم التشريعية والتنظيمية .

وبذلك يفتح الاسلام أمام المسلمين أوسع أبواب التطور وأعظم منافذ الاجتهاد ويدير حياتهم على مرونة حية دائمة الحركة والنماء .

٣ ـ طريق لتقليل الخطأ :

الرأى الواحد مهما اتصف به صاحبه من ادراك وفهم وبعد نظر وخبرة وعلم ، وان رأى القلة الحاكمة مهما تجرد أفرادها من ميل الى الهوى يكون أكثر تعرضا للخطأ ومن ثم يكون أدنى الى احداث الضرر ولو لم يكن هذا الضرر مقصودا .

٤ ـ خاصية من خواص المجتمع الاسلامى :

فوق كل ما تقدم فان الشورى من لوازم الاسلام بل هى سمة من السمات البارزة للنظام الاسلامى والتى تميزه عن غيره من الأنظمة المعاصرة . ، فقد يضيق مجتمع الحقوق السياسية والبعض الآخر يوسع فيها ، أما النظام الاسلامى فلا يكون كذلك ، ولا يمكن أن يستمر ما لم يطبقها كجوهر ،وان

اختلفت الأشكال واتفق العلماء — وعلى رأسهم الغزالى — على أن اشتراك الأمة فى شئون الحكم ليس جائزا فقط،بل هو القاعدة الأساسية فى الاسلام .

وبالتالى لاتكون الدولة الاسلامية قائمة بواجبها ، اذا أهملت مبدأ الشورى فكان عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه ويصغى الى كل قول ويرجع الى آرائهم فى كثير من الأمور الدنيوية التى تحتاج الى رأى ولم يرد فيها نص ، وكان يقول لهم (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .

مجال عمل المبدأ :

الشورى وان كانت فريضة ، الا أنها تجب فقط ، حيث لا نص من كتاب أو سنة أما ماورد فيه نص من كتاب أو سنة فلا شورى فيه .

فالشورى مقيدة بأن لا تخرج عن حدود ما جاء به الكتاب والسنةفاذا وضع الكتاب أو السنة فلا يقبل أن تخرج الشورى عنهما ، اقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام وهذا ما حدث فى عهد أبى بكر فى واقعة من منع الزكاة [1] .

وقت الشورى :

يلزم أن يؤخذ الرأى قبل العزم والتبين ، لقوله تعالى « فاذا عزمت فتوكل على الله » .

وشاور النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد فى المقام والخروج، فرأوا « الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا أقم ، فلم يمل اليهم بعد العزم وقال لا ينبغى لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله .

وشاور النبى صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة فيما رمى أهل الافك عائشة فسمع عنهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت الى تنازعهم، ولكن حكم بما أقره الله .

والمشورة قبل اتخاذ القرار سبيل لاستجلاء الحقيقة ووضع الأمور فى نصابها الصحيح وأما اذا أتت بعد البدء فربما تؤدى الى البلبلة ولا تؤكد الاقدام .

د / شمس مرغنى

---

(١) صحيح البخارى — ج ٩ — ص ١١٩

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٤١ — ويقولون لطعام يصنع من لباب[1] الدقيق سميط ، والفصيح أن يقال له : سميد ، وسميذ بالدال أو الذال فى آخره وزان قضيب ، وهو بالذال أفصح .

تقول : والدى لا يتناول فى عشائه الا السميد أو السميذ ، وهو يعمل من الحوارى أى الدقيق الأبيض .

أما السميط فله معنى لا يمت الى السميذ بأى صلة ، اذ تقول : سمط الجزار الجدى من بابى نصر وضرب سمطا اذا نحى عنه شعره بالماء الحار ، فالجدى سميط ومسموط .

٣٤٢ — وينكرون أن يقال للملح المدقوق مع الأبزار دقة بالضم وزان حجة ، والحق أنها عربية صحيحة ، تقول : لابد مع اللحم من الدقة ، وهى الملح المبزر ، والعرب يسمون الكزبرة دقة ، وينشدون :

باتت لهن ليلة دعسقة[2]
طعم السرى فيها كطعم الدقة

وفى القاموس : الدقة هى التوابل من الأبزار والملح ، أو الملح المدقوق .

ومنه قولهم : ما لها دقة ، أو هى قليلة الدقة ، يعنون أنها غير مليحة .

ولها معنيان آخران : فهى حلى لأهل مكة ، وكذلك هى الجمال والحسن .

٣٤٣ — ويقولون : يمتاز فلان عن أصدقائه بحبه للأدب ، وهذا الشعر يمتاز على غيره بالاتقان وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال : يمتاز فلان من أصدقائه بكذا ، ويمتاز هذا الشعر من غيره بكذا ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا من سواء أكان ثلاثيا أم غير ثلاثى

(١) لباب الدقيق بالضم : خالصه .
(٢) ليلة دعسقة : طويلة .

تقول : مزت هذا الشيء من غيره ميزا من باب باع اذا فصلته من غيره وفرزته ، وذلك يكون فى المشتبهات كما فى قوله جل شأنه « ليميز الله الخبيث من الطيب » وفى المختلطات كما فى قولك : مزت أخى من سائر اخوانه بكرم الأخلاق اذا عزلته عنهم وفصلته منهم ويقال : تميز هذا المصنع من غيره اذا فرزته ، وميزته تمييزا من غيره فانماز وامتاز ، وتميز ، واستماز ، قال الأخطل :

فان لم تغيرها قريش بملكها
يكن من قريش مستماز ومزحل (١)

ويقال : امتاز القوم اذا تميز بعضهم من بعض ، وتمايزوا اذا تفرقوا ومن المجاز قولك : فلان يكاد يتميز من الغيظ أى يتقطع ، ومنه قوله تعالى : « تكاد تميز من الغيظ » .

٣٤٤ ــ ويقولون: فلان متوعك، يعنون أنه متألم من علة أو تعب ، وهذا خطأ ، لأن التوعك لم يرد عن العرب ، وكذا ما اشتق منه .

والصواب أن يقال : هو وعك وزان ضجر ، ووعك بسكون العين وزان عدل وموعوك اسم مفعول من وعكه الشيء اذا آذاه وآلمه .

واذا أخذت الكلاب صيدافمرغته فى التراب قيل : وعكته وعكا فهو موعوك ، ومن المجاز قولك وعكته الحمى ، أو به وعكة الحمى ، وهى أذاها وموجعها فى البدن والوعكة أيضا المعركة والوقعة الشديدة .

والوعك بسكون العين : سكون الريح وشدة الحر كالوعكة ، تقول: نحن فى يوم وعك اذا كان شديد الحرارة ، قال الأخطل :

رعاها بصحراوين حتى تقيظت (٢)
وأقبل شهرا وقدة (٣) وعكان

٣٤٥ ــ ويقولون : علقت المرأة على وليدها حجابا يقيه السوء ، ويعصمه من العين ، وهذا غيرسليم لأن للحجاب معانى لا تمت بصلة الى المعنى الذى يبتغونه .

(١) المزحل وزان مقعد : المبعد ، تقول : مالى عنه مزحل ، اى لا ابتعد عنه ، وتقول زحل عن مكانه زحولا اذا تنحى عنه .

(٢) تقيظت : اقامت فى زمن القيظ . (٣) الوقدة: أشد الحر .

١ ـ فهو الستر ، تقول منه : ضرب الحجاب على النساء ، قال تعالى فى الشمس « فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » وقال « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .

٢ ـ وهو الجلدة التى تحجب بين الفؤاد والبطن ومنه تقول : هتك الخوف حجاب قلبه .

٣ ـ وهو المانع كما فى قولهم : ما لدعوة المظلوم حجاب ، ولهذا الصالح دعوات تخرق الحجب حتى تبلغ العرش .

٤ ـ وهو الجبل ، تقول لصديقك : انتظرنى فى ظل الحجاب أى فى ظل الجبل وأصل الحجاب جسم يحول بين جسدين وقد استعمل فى المعانى فقيل : العجز حجاب بين الانسان ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه ، ولتأدية المعنى المراد ينبغى أن تستعمل العبارات الآتية :

١ ـ علقت المرأة على وليدها تميمة ، وهى خرزة رقطاء تنظم فى سير وتعلق فى العنق جمعها تمائم تقول : تممت فلانة مولودها اذا علقت عليه تميمة وفى الحديث «من علق تميمة فلا أتم الله له » .

٢ ـ علقت الوالدة على ابنها عوذة ، أو معاذة ، أو تعويذا ومن هذا سميت سورتان فى القرآن بالمعوذتين ، لأنهما تعوذان قارئهما ، وتعصمانه من كل سوء .

٣ ـ رقت المرأة وليدها رقية بضم الراء فقالت باسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، جمعها رقى كمدية ومدى ، قال كثير لعبد الملك بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى (١)
وتخرج من مكانها ضبابى (٢)

٣٤٦ ـ ويقولون : تعهد فلان الى أخيه بتقديم العون ، وهذا

---

(١) الضغن : الحقد

(٢) الضباب بالكسر : جمع ضب بالفتح وهو الدليل الداخل : شبه بالضب المعن فى جحره ، قال سابق البربرى :

ولاتك ذا وجهين يبدى بشاشة وفى صدره ضب من الغل كامن

خطأ ، لأن الباء لا تستعمل مع هذا الفعل ، والصواب أن يؤدى المعنى الذى يريدونه بالفعل الثلاثى فيقال: عهد اليه بكذا يعهد عهدا من باب فهم اذا قدمه اليه ، ومن هذا قوله تعالى « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » أى بألا تعبدوه ،وقوله «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين » أى بأن طهرا .

وعهد اليه عهدا اذا أوصاه ،ومنه العهد الذى يكتب للولاة ، والعهد الأمان والوصية تقول : بين فلان وصديقه عهد أى موثق ، وفىالتنزيل « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » والعهد أيضا المعرفة والعلم ، تقول لمحدثك : الأمر كما عهدت أى كما عرفت ، وفلان قريب العهد بكذا أى قريب العلم به .

وكذلك هو اللقاء ، تقول عهدته بمكان كذا اذا لقيته فيه ، وعهدى به قريب أى لقائى به قريب أما التعهد فهو التردد الى الشىءوتفقده، وفعله متعد الى المفعول به دائما ، تقول تعهدت أمور أبى وأملاكه وتعهدت اليتامى ، وتعهدت ضيعتى اذا ترددت الى كل ذلك وأصلحته.

٣٤٧ ــ ويقولون : جريدة الأهرام أكثر الجرائد انتشارا ، وهذا غير سليم ، لأن كلمة جريدة لا تؤدى الا ثلاثة معان كل منها لا صلة له بالمعنى الذى أرادوه فى عبارتهم .

١ ــ فهى سعفة جردت من خوصها ، تقول : ضربت الخادم بجريدة أى بسعفة قشر خوصها ، جمعها جريد اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحدة بالهاء كزهر وزهرة، ولوز ولوزة ، لا جرائد كما قالوا.

٢ ــ وهى الخيل الخالية من الرجالة ، تقول : جاءت جريدة من الخيل ، أى بفرسان لا رجالة معهم، والرجالة خلاف الفرسان واحدهم راجل ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك » أى رجالتك .

٣ ــ وهى كرائم الشىء وخياره، تقول : تنق ابلا جريدة أى تخير من الابل كرائمها ولتأدية المعنى المبتغى

ينبغى لهـم أن يقولوا : صـحيفة الأهرام أكثر الصحائف انتشارا أو أكثر الصحف انتشارا ، ومن الجمع الأخير قوله سبحانه «ان هـذا لفى الصـحف الأولى صحف ابراهيـم وموسى » والصـحيفة الكتـاب ، والقرطاس يكتب فيه ، وقد قالوا : صحائف الكتب خـير من صحائف الذهب وللصحفى بالتحريك معنيان .

أحدهما : من يخطىء فى قـراءة الصحف كما فى القاموس ، تقول : فلان صحفى ، وصحاف بتشـديد الحاء ، وهو لحانة مصحف بصيغة اسم الفاعل ، والتصحيف الخطأ فى الصحيفة تقول . صـحف الكـلام فتصحف أى غيره فتغير حتى التبس .

والآخر : أخذ العلم من الصحيفة لا من المشايخ ، وذلك على سـبيل النسب اليها كما قيل حنفى فى النسب الى حنيفة والمصحف بتثليث الميم ، والضم أشهر مأخـوذ من أصحف بالضم أى جعلت فيه الصحف .

٣٤٨ ــ ويقولون : توفى الولد فأخذت أمه تنهنه عليه نهنهة أليمة ، يعنون تصوير ما حل بها من فزع ، وهذا التصوير يشوبه الفسـاد ، لأن النهنهة لها معنيان كل منها لا يمت بأى صـلة الى المعنى الذى أرادوه فى عبارتهم .

أحدهما : الكف والمنع ، كما فى قولك : نهنهت ابنى عن كل عمـل يشينه فتنهنه أى كففته عنه فكف ، وزجرته فانزجر وازدجر .

والآخر : أن العرب تسمى الثوب الرقيق النسج نهنهة ويجمعونه على نهاية فيقال : تزين النسـاء بالنهانة .

ولتأدية المعنى المبتغى كان عليهم أن يقولوا : توفى الولد فتملك أمه الجزع ، وأخذت تنوح عليه نواحا يقطع نيـاط القلـوب ، واغرورقت مدامعها بدموع غزار استبكت كل من رآها على هذه الحال .

٣٤٩ ــ ويقولون : هاجم الجيش الأعداء فى عقر دورهم ، وهذا خطأ ، لأنه لم يرد فاعـل من الهجـوم ، والفصيح أن يقال : هجـم الجيش على الأعداء يهجـم هجوما من باب دخـل اذا أتاهم بغتة ، وقـد يأتى متعديا للمفعول فيقال : هجمتك على الأعداء وأهجمتك ، وهجمنا عليهم الخيل ، ويقال : أهجم القوم ابلهم اذا أراحـوها ، واهجـم ناقتـك

واهجمها أى أحلبها وارحمها ، وركبتهم الظهيرة فأهجموا أى استراحوا ، وأهجم الله تعالى المرض عن فلان فهجم أى أقلع وفتر ، ومن المجاز قولك هجم عليهم البيت اذا سقط وهجمته فهو مهجوم ، وهجم الحر أو البرد أو المطر ، وجاءنى ضيف ، فلما هجم الليل ارتحل ، وأتانى زائر آخر بعد هجمة من الليل، أى ثابتات على الأثافى ، والقدير فى هجمة الشتاء أى فى شدة برده ، وهجمت الرجل هجما أى طردته ، وهجم فلان اذا سكت وأطرق فهو هاجم .

٣٥٠ ــ ويقولون : هذا الرجل كثير اللجوء الى الله ، يعنون أنه كثير اللياذ والاحتصان بالله ، وهذا خطأ ، لأن اللجوء مصدر أنشأته العامة ، وفعله ليس من باب دخل ، وانما هو من بابى نفع وفرح ، تقول : لجأ يلجأ لجأ بزنة نفع ، ولجىء يلجأ لجأ بالتحريك وزان فرح وهو حسن اللجأ الى الله ، كما أنه ملجأ القوم ولجؤهم .

ويقال : ألجأ فلان أمره الى الله أى أسنده اليه ، وألجأته ولجأته أى بالمزيد بالهمز وبالمزيد بالتضعيف أى أحرجته واضطررته .

وأكثر الأفعال تأدية للمعنى الذى يبتغونه ما كان بزنة افتعل ، تقول: التجأ فلان الى الله يلتجىء التجاء فالله ملتجأ اليه .

ويقال أيضا فى هذا المعنى : التحد الى الله اذا التجأ اليه واستتر به ، فالله ملتحد بصيغة اسم المفعول ، وفى التنزيل « لامبدل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحدا » أى لن تجد من غير الله ملتجأ تلتجىء اليه .

٣٥١ ــ ويقولون لما يطهى فيه الطعام (حلة) والصواب أن يسمى قدرا ، وهى أنثى جمعها قدور كما فى قوله تعالى « وقدور راسيات » أى ثابتات على الأثافى ، والقدير ما يطبخ فى القدر ، أو يسمى مرجلا وهو القدر من الحجارة أو من النحاس ، مذكر جمعه مراجل ، تقول ارتجل المطاهى اذا طبخ فى المرجل .

أو يسمى كفتا بفتح الكاف وكسرها ، وهى القدر الصغيرة .

أما الحلة فهى الزنبيل الكبير من القصب ، وحلة الشىء بالفتح ويكسر جهته وقصده .

وأما الحلة بكسر الحاء فهم القوم الحالون فى مكان ، قال :

لقد كان فى شيبان لوكنت عالما
قباب وحى حلة ودراهم

ومواعين الطعام الجفنة بالفتح وهى أعظم القصاع ، جمعها جفان، قال تعالى « وجفان كالجواب » تليها القصعة وهى تشبع العشرة ، والصحفة تشبع الخمسة ، والمئكلة بكسر الميم تشبع الرجلين أوالثلاثة، والصحيفة بالتصغير تشبع الرجل ، والمقراة بالكسر الصحفة ويقرى فيها الضيفان .

٣٥٢ ويقولون للشحم الرقيق الذى يغشى الكرش والأمعاء (طرب) وزان بقل ، والفصيح أن يقال له ثرب بالثاء بدلا من الطاء ، جمعه ثروب بالضم ، وأثرب وجمع الجمع أثارب .

٣٥٣ ـ ويقولون لطعام يتخذ من الدقيق الأبيض النقى على شكل خيوط مختلفة الحجم والطول (مكرونة) والصواب أن يقال له اطربة بكسر كل من الهمزة والراء وسكون ما بينهما .

٣٥٤ ـ ويقولون فى نسب الانسان الى حرمى مكة والمدينة : فلان حرمى بفتحتين والصواب كما ورد عن العرب أن يقال : فلان حرمى ، والأنثى حرمية بكسر الحاء فيهما ، نعم يقال : ثوب حرمى ومنازل حرمية بالفتح فيهما على القياس ، أى أن هناك فرقا بين الانسان وغيره فى النسب الى الحرم، فان كان المنسوب انسانا كان النسب بكسر الحاء ، وان كان غيره كان بفتحها .

قال الأعشى :

لا تأوين لحرمى مررت به
يوما وان ألقى الحرمى فى النار

وقال أبو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها
ضرائر حرمى تفاحش نمارها .

وقال النابغة :

من قول حرمية قالت وقد ظعنوا
هل فى مخفيكم من يشترى أدما ؟

٣٥٥ — ويزعمون أن الحية لا تطلق الا على الأنثى ، والحق أنها تطلق أيضا على الذكر فيقال حية أنثى وحية ذكر ومن المجاز قولك لمن يحمى حوزته : هو حية الوادى ، ولمن اتسموا بالدهاء والمكر ، هم حيات الأرض ، وللانسان الشهم : هو حية ذكر ، وللمتوقد ذكاء : رأسه رأس حية ، وتقول : أكلت حياتنا حيات الأعداء اذا قتلت فرسانكم فرسانهم .

وفى اللغة ألفاظ كثيرة مختومة بتاء التأنيث ، تطلق على المذكر كما تطلق على المؤنث منها الدجاجة فهى تطلق على الديك والفرخة ، والسخلة تقع على الخروف والنعجة ، ومثل ذلك الحمامة والنحلة والبومة والجرادة والبقرة وتجمع كل هذه الأسماء بحذف التاء ماعدا الحية فانها تجمع على حيات ، وحيوات ، ويقال لذكر الحيات حيوت وزان تنور .

٣٥٦ — ويقولون : غافل الرجل عدوه فقتله ، يعنون أنه انتهزغفلته وهذا خطأ لأن المفاعلة من هذا الفعل لم ترد عن العرب ، والفصيح أن يقال : تغفله فقتله ، أى ترقب غفوله . وتقول : تغفلته عن كذا اذا تخدعته عنه على غفلة منه قال :

حبذا ليلة تغفلت عنها
زمتى فانتزعتها من يديه

وأغفلت الشىء تركته على ذكر منه ، وتغافل الرجل أرى من نفسه غفلة وليست به ومن الثلاثى تقول : غفلت عن الشىء أغفل غفولا من باب قعد ، ومنه قوله تعالى « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم » وله ثلاثة مصادر : غفول بالضم ، وغفلة بالفتح ، وغفل بفتحتين ، ومن هذا قول الشاعر :

اذا نحن فى غفل وأكثر همنا
صرف النوى وفراقنا الجيران

والغفلة غيبة الشىء عن بال الانسان وعدم تذكره له ، وقد استعملت فى تركه اهمالا واعراضا كما فى قوله تعالى : « اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون » .

والمغفل بصيغة اسم المفعول من لا فطنة له ، والشيء الغفل بضم فسكون ما لا علامة فيه تقول :فلاة غفل اذا لم يكن فيها علم ، جمعها فلوات أغفال ، وسار السياح فى أغفال الأرض ، ونعم أغفال اذا لم يكن عليها سمات وعلامات ، وكتاب غفل اذا لم يسم واضعه قال :

انى امرؤ ارسم القصائد للعدا
ان القصائد شرها أغفالها

ويقال فلان غفل لمن لم يجرب الأمور ولمن لا يرجى خيره ولا يخشى شره •

٣٥٧ ــ ويقولون لثمر النخل اذا أرطب قبل أن يبسر بلح (رامخ) وهذه كلمة عامية •

والفصيح أن يقال له رمخ بكسر ففتح وزان عنب ، واحدته رمخة ، أو يقال له رمخ بضم ففتح وزان غرف ، واحدته بهاء •

تقول : أرمخت النخلة اذا أثمرت الرمخ ، وأرمخ الرجل اذا ذل ولان، وأرمخت الدابة اذا أخذت فى السن أو سمنت •

والبسر بضم الباء واحدته بسرة، وأوله طلع ، ثم خلال ، ثم بلح ، ثم بسر ثم رطب ، ثم تمر •

والتمر من تمر النخل كالزبيب من العنب ، واحدته تمرة ، وجمعه تمور وتمران بضمهما ، والتمار بتشديد الميم بائعه ، والتمرى بياء النسب محبه ، والشيء المتمور المزود تمرا •

تقول : تمرت القوم من باب ضرب وأتمرتهم اذا أطعمتهم التمر ، وأتمروا اذا كثر تمرهم وتمرنى فلان أطعمنى التمر وعن أبى الجراح : ما تعجز عن ضيف فى بدونا ان ذبحنا له والا تمرناه ولبناه ، قال :

اذا نحن لم نقر المضاف ذبيحة
تمرناه تمرا أو لبناه راغيا

أى أطعمناه لبنا له رغوة •

عباس ابو السعود

علم مقارنة الأديان
ونصيبه بين علومنا المعاصرة

للمستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى

من العجيب بل من المؤسف أن التبشير النصرانى يعم كل أرجاء المعمورة ولم يكتف بذلك بل اقتحم من البلاد الاسلامية ما كان يعد من معاقل الاسلام وقلاعه كأندونيسيا التى يحاول أن يجتذبها للمسيحية بما تحويه من ملايين البشر وكذلك الدول الافريقية والتى غالبية سكانها تدين بالوثنية ودخول تلك الملايين الى المسيحية ليس خطرا ضدنا من الناحية الدينية فحسب ولكنه خطر سياسى واقتصادى أيضا فان المسيحية التى ينشرها هؤلاء المبشرون ليست المسيحية السمحة التى جاء بها المسيح عيسى عليه السلام بل هى ما يسمى (بالمسيحية السياسية) التى ترمى أولا الى ربط دول آسيا وأفريقيا بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين المسيحى — وترمى ثانيا الى خلق جملة من الأفكار المسيحية يدفع بها أولئك المبشرون الى أن تقف ليس أمام المسلمين فحسب ولكن أمام الفكر الاسلامى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية .

ولئن كان الاستعمار السياسى قد انتهى فى تلك البلاد الا أنه ليحاول أن يستعيد نفوذه بطريق المبشرين ومن والاهم فى اعتناق تلك المسيحية السياسية من السكان الأصليين والمبشرون وقد علموا أن الاسلام يناقش العقائد عموما وقد ناقش عقيدتهم وعارضها فى القرآن الكريم وكشف ما بها من باطل وأن معتنقها من الكافرين قال تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) سورة المائدة آية ٧٣

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) سورة المائدة آية ٧٢

(قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد) سورة الاخلاص • لذلك فان المبشرين يحقدون على الاسلام ويؤلفون الكتب والرسائل التى تعرض كثيرا بالغمز على الديانة الأسلامية ويهاجمون القرآن الكريم كما يهاجمون رسول الاسلام محمدا صلى الله عليه وسلم •

ودراسة علم مقارنة الأديان يكشف للباحثين مدى التناقض والزيف فى العقائد غير الاسلامية ومدى مايتجلى فى القرآن الكريم من حق واضح فى مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقدم الأصول وأرسخ الدعائم وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية •

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) سورة يونس آية ٩٤ هذه الآية الكريمة تشير بوضوح الى أنه بمقارنة الاسلام بغيره من الأديان خصوصا الكتابية منها فان الباحث سيجد فى الاسلام الحق الذى يميزه ويفضله على أى دين سبقه •

ونستخلص من ذلك أن علم مقارنة الأديان من العلوم الاسلامية التى يجب على علماء الاسلام عدم اغفالها فى دراساتهم ومؤلفاتهم وكتاباتهم حتى يتبين الحق للدارس وللقارىء لما يمتاز به الاسلام من قوة الحجة وسلامة القصد أمام أعداء الاسلام وكثير ماهم •

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا العلم يعتبر ثغرا من ثغور الاسلام يجب على المسلمين عامة وأولى الأمر منهم خاصة سواء فى الدين والدنيا النهوض به وجعله مادة أساسية فى معاهدهم وجامعاتهم فما اعتنق الاسلام واحد ممن يعتد به الا بعد أن سلك هذا الطريق ودرس ذلك العلم ولنضرب على ذلك المثالين

الآتيين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب •

١ ــ فأما الذى من الشرق فهو من دعا نفسه بعد اسلامه محمد فؤاد الهاشمى وقد كان واحدا من رجال الدين المسيحى ويقول عن نفسه انه بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية تحول الى البحث فى الدين الاسلامى ــ ولم يكن قصده من ذلك البحث فى الاسلام بل استخراج العيوب وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التى أوحى بها أهله من النصارى وأساتذته من الكهنة ــ ولكن ما كاد يطرق الباب ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الاسلام وما سبقه من الأديان وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة الناصعة والمبادىء الوضاءة والتعاليم الصريحة للاسلام لا اعوجاج فيها ولا التواء ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأحبار ــ بل وجد لكل سؤال جوابا شافيا ــ ووجد فصل الخطاب بينما لم يستطع أى دين سابق أن يعطى فى ذلك الجواب ــ وجد أن ــ ما زعموه فى الاسلام عيوبا كانت مزايا له ــ وما ظنوه متناقضات كان حكما وأحكاما ما فصات لأولى الألباب وأن ما عابوه على الاسلام كان علاجا للبشرية التى طالما ترددت فى بيداء الظلمات حتى أخرجها ــ الاسلام من الظلمات الى النور وهدى الناس باذن ربهم الى صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا ودخلوا بالناس أبوابا من الكفر والشرك والالحاد •

٢ ــ والمثال الثانى من الغرب وهو (فيدور ايفان جفر نور) فنزويلى الجنسية من مواليد مدينة كلاكاس بأمريكا الجنوبية يقول عن نفسه أنه كان مسيحيا كاثوليكيا درس فى المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك ولكنها تركت انطباعا مسيئا فى نفسه ــ ثم درس البوذية والهندوكية وبعض الديانات الوثنية لكنه لم يجد فيها راحته ــ ولما أراد الاطلاع على

الاسلام لم يسهل عليه ذلك فى بادىء الأمر لأن المؤسسات اليهودية بأمريكا والتى كانت تتحكم فى وسائل الاعلام من صحافة وسينما ومسرح وكل شىء أبعدت عن مجالها كل ما يشير الى الاسلام من قريب أو بعيد خصوصا بعد أن تحول الى الاسلام قسم دراسى بأكمله — ولما اطلع على بعض ما كتبه المنصفون عن الاسلام وقرأ ترجمة أمينة لمعانى القرآن الكريم فوجد تعبيرا دقيقا عن أعماق نفسه بصورة مطابقة لفطرته التى تذكرها وهو يتدبر فى معانيه ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحية لذلك فقد قرر أن يعتنق الاسلام وتسمى باسم فارض رحمة الله •

ومن العجيب حاليا فى بلادنا الاسلامية •

أنه اذا الف أحد المتخصصين بحثا أو كتابا فى علم مقارنة الأديان نجد المسئولين فى وزارات الاعلام يقفون أمام نشره بمقولة الخشية من تفتيت الوحدة الوطنية — وان منع نشر مثل هذه الأبحاث والكتب داعية من دواعى الأمن — ولكن هذه حجة واهية — وتبرير مدحوض طبقا لما ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم — وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم — وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى — لا يشركون بى شيئا — ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (سورة التوبة آية آية ٥٥).

وليس التمكين بغير جهد مبذول ولا بغير دعوة مستمرة الى الله والى نشر دينه الاسلام سواء باللسان أو بالقلم ومنه البحث والكتابة فى ذلك العلم • علم مقارنة الأديان — فان ذلك فوق أنه أداء واجب دينى هو السبيل لسيادة الأمن والسلام فى بلاد الاسلام •

محمد عزت اسماعيل الطهطاوى

مذكرات فلاح مصرى فى بلد شيوعى

للدكتور عبد الودود شلبى

فى عهد « الأخطبوط الدموى » الذى كان يسمى بمراكز القوى كتب على شعب مصر المسلم ، أن يرضخ فى هذه الفترة الكئيبة لمفاهيم لا عهد له بها فى تاريخه ، ولا سابقة له بها فى ماضيه أو حاضره .

لقد تصدر الأمر — فى ذلك العهد — أناس مسخوا «وحوشا مفترسة » ولكنها وحوش من نوع يثيره لون الدم ... دم الانسان البرىء الحر ،ودم القيم والفضائل التى أريقت هنا على أرض مصر .

ولأن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، فقد آثر هؤلاء أن يغلقوا على مصر كل الأبواب الا بابا واحدا ينفتح على الشرق . الشرق بمعناها « الأيديولوجى » البحت ، والشرق بمعناها الدموى الذى يهون فيه الانسان حتى الموت .

كان الطلبة يوجهون الى تلك الجامعات التى يتعلم فيها الطالب « صناعة الحقد » ويجردون فيها من كل مكرمة عرفها الانسان منذ قام الانسان على هذه الأرض .

وكان العلماء والمفكرون ورجال السياسة والاقتصاد يرحلون الى هذه « الاصقاع » ليتعودوا فيها على حياة «الصقيع والبرد» ويتلقون فيها أصول « الحكم » أو « النظرية » التى لاتعرف غير «الابادة والقتل» .

حتى الفلاحون ... الفلاحون الذين درجوا منذ آلاف السنين فوق هذه الأرض الطيبة يزرعونها «بالحب» و«الحب» لم يسلموا من هذا التشويه والمسخ ، ولم يدعوهم فى القرى الآمنة ... قانعين بما قسمه الله لهم من رزق متواسين فيما بينهم بالاخاء والحب .

هؤلاء الفلاحون ساقوهم الى متاهات الضياع « الأيديولوجى » المتزمت وشحنوهم بالطائرات الى هناك فى محاولة للتغيير أو التدمير المبيت .

كيف كان يحدث هذا ؟ .ان أحدا فى مصر لم يكن يتصور ما كان يحدث فى ذلك العهد .. كنا نقرأ . ونسمع . ونهمس . ولكن القراءة فى هذه الأيام كانت جزءا من الأخبار « المصنوعة » فى معاهد « الكذب » . . والهمس فى هذه الفترة من الزمان كان حلما من أحلام اليقظة فى مواجهة الموت والخوف .

لقد زارنى فى مكتبى الأستاذ أحمد موسى سالم وأهدانى كتابا من تأليفه اسمه « سباق المستقبل بين الدين والشيوعية » تسلمته شاكرا وان كنت فى الواقع لم أعره اهتماما لم أعر الكتاب لا الكاتب وأستغفر الله من هذا اللبس ...

لقد كتب الكثيرون عن الشيوعية وعن الصراع أو الخلاف بينها وبين الدين ، وقرأت أكثر هذه الكتب . ورأيت أننى اكتفيت بما كتب ، وقنعت بما قرىء ، ولم يعد يثيرنى الحديث عن هذه القضية بعد أن تعرت الشيوعية فى مهدها وافتضحت وبعد أن عرف الناس أنها أى « الشيوعية » زفرة حاقد على البشرية منذ أن وجدت .

غير أن هذا الكتاب جذبنى أنه ليس كتابا من تلك الكتب التى ترص فيها المعلومات قالبا الى جوار قالب ان هذا الكتاب فيض تجربة حقيقية ونبض قلب مؤمن بالقيم والأخلاق المصرية . وكان « مسرح » هذه التجارب أو « اليوميات » فى ألمانيا الشيوعية أى الشرقية .

فى أول لقاء مع الرفاق كما يقول الأستاذ أحمد سالم : قدموا لنا الخمر امتنعنا .. فقال الرفيق « شيرلنج » رئيس اتحاد الفلاحين فى ألمانيا الشرقية — :

« عندما كنت فى القاهرة صادف ذلك شهر الصوم عندكم . وعندما لاحظت فى حفل استقبالى أن أمين الفلاحين لا يشرب الخمر سألته ؟ فقال لى : نحن فى رمضان .. ولذلك نحن نمتنع عن الخمر تماما .. »

ثم توجه نحوى بالكلام عن طريق المترجم وقال : واليوم أنا متأكد أنكم لستم فى رمضان .. فلماذا الامتناع عن الخمر اذن . ؟

وقلت أرد عليه — :

انه بالنسبة للخمر ياسيد شيرلنج فان كل الشهور عندنا رمضان . . اننا نمتنع عنها فى كل الشهور .. أى اننا نمتنع عنها دائما .. ونحن لا نمتنع عن الخمر ابتداء بسبب الالتزام بأمر الدين . فهناك قبل أن نرجع الى الأمر الدينى أسباب كثيرة تفرض علينا أن نمتنع عن الخمر .

فقال شيرلنج تعجبا وغير مصدق: حسنا ما هى هذه الأسباب .؟ قلت: أولا : لقد سرق الانجليز أرضنا الزراعية بوسائل غير أخلاقية : منها أنهم نشروا « الخمارات » التى يملكها الأجانب فى القرى . لقد نشروها كجزء من خطة استعمارية تتسرب بها الأراضى التى فى يد صغار الفلاحين الذين سكروا بأثمان أرضهم الى أيدى « أصحاب الخمارات » الأجانب .

ثانيا: نحن نحتاج اليوم الى ترميم أخلاقنا التى حاول هدمها المستعمر ولا يكون ذلك بشرب الخمر .

وثالثا: فان الناس عندكم يشربون الخمر بأمر الطقس وأحكامه ، بينما فى بلادنا يأمرنا الطقس بالعكس .

ورابعا : فاننى أعتقد انكم مع اباحتكم للخمر تمنعونها فى بعض الأحوال فأنتم تعلمون أن الخمر تطلق الألسنة بما يقال ، وما لا ينبغى أن يقال ؟ ومعنى هذا أنه حتى أنتم؟ ؟ يا أصدقاء الخمر لا تستطيعون أن تبيحوها اباحة مطلقة ؟

***

كان أول القصيدة « كفرا » كما يقول المثل ، غير أننا سنرى من خلال اليوميات التى سجلها المؤلف : أن « الكفر » كان قاسما مشتركا فى كل حفل أقاموه ؛ وفى كل مكان ذهبوا اليه وفى كل حوار أو مناقشة دارت بينهم وبين الرفاق الشيوعيين فى ألمانيا ، أو بين « العرب » الذين سافروا لنفس المهمة من آسيا أو افريقيا ؟ ؟

يقول المؤلف ـ :

منذ اليوم الأول من اقامتنا بمدرسة الهندسة الزراعية فى قرية « تونينشنتال » علمنا بوجود وفود عربية من سوريا ومن السودان • وكانت فرحتنا عارمة بوجود الأشقاء من السودان ومن سوريا •• لكن لم تكد نلتقى بالوفد السودانى المكون من عشرة أعضاء ـ نصفهم مع رئيس الوفد : شيوعيون ـ حتى تبخرت أكثر آمالنا •• من أول لحظة نظر رئيس الوفد الشيوعى السودانى الى الفلاحين المسلمين نظرة طبقية •• وسمح لنفسه بتوزيع منشور يحمل عنوان « وثيقة » ادانة هاجم فيه « الدين » تحت ستار مهاجمة الحكام •وكان أعجب شىء أن رئيس الوفد ـ الشاب الشيوعى ـ خفيف الرأس يتكلم معنا ومع غيرنا كرئيس دولة وكان « رئيس الدولة » هذا كما تكشف لنا بعد امتحان طبيعته وهز معلوماته صورة غريبة من فهم الماركسية فهما صوفيا « انجذابيا » بنفس مقاييس دراويش « التعايشية » الذين يهاجمهم مع رفاقه : صورة يرى فيها أن الماركسية هى «الطريقة» وأن الحزب هو «القطب» المعصوم • وأن تعاليم الحزب هى « الأوراد » وأن أعضاء الحزب هم « دراويش » الماركسية المنتظرون للجنة والنعيم هنا على الأرض جنة مليئة بالخمر والنساء والسيارات والمصايف والمأكولات والهرمونات والسعادة المعلبة ؟؟ الخ ••

وهكذا كان رئيس الوفد « السودانى الشيوعى » الذى لا يعرف شيئا صادقا عن الاسلام أو شيئا له قيمته عن الماركسية : كلما رجع من زيارة مدينة أو قرية أو دكان يقول مفتخرا « لقد رأينا أشياء عظيمة جدا وأعجبنا بها » هذا بينما كان المستوى الدراسى للوفد السودانى فى مجموعه يتدهور يوما بعد يوم ؟ ؟

يقول المؤلف ـ :

فى الأيام الأولى وبكل الشوق ، الى أشقاء أعزاء : التقينا بأعضاءالوفد السورى ، ومن البداية وفى لون من استعراض القوة : تكلم أحد المتفلسفين من أعضاء هذا الوفد • تكلم « منجعصا » على مقعده كأنه نصف « امبراطور » ثم لم يلبث

عندما حمى الكلام – ان أخذ يقف ويقفز ويجلس فى مثل حركات راقصى « الدبكة » أو لاعبى « السيرك » وقد انتابه شبه هذيان هستيرى وهو يسأل – يسألنا نحن الفلاحين المسلمين القادمين من مصر – :

قال البعثى الفيلسوف :

ما هو الرباط بين الاشتراكية اذا كنتم أخذتم بها – وبين الدين ؟ وما هو المعنى لحركة « ثورة » ان لم تكن تغييرا للواقع ، واستئصالا لكل الماضى من جذوره ؟ أو لماذا – وهو المهم – لم تأخذ مصر بمنهج البعث الذى يجمع مع دعوة القومية خطا أيديولوجيا يتقدم به المجتمع على أساس غير دينى ؟

قلنا له – بكل هدوء ، انك مع الكلام الجميل قد تركت التعرض للقضية الأساسية التى تحمل لكل العرب جميع الاجابات عن كل الأسئلة ! ؟

فقال – وهو ينتفض فى مكانه ويقترب بمقعده : حدثونى اذن ما هى هذه القضية الأساسية ؟وحملق فينا بعينيه كالممسوس أو الشارب ! ؟ قلت له : ان الحقيقة التى لايزال يطرحها علينا التاريخ المسجل : أن كلمة «عربى» لاتعنى مجرد الانتماء القومى للأمة المصرية وانما تعنى بجانب هذا الانتماء القومى التاريخى « نظرية شاملة » فى تفسير الحياة وبناء المجتمع ، وصياغة المستقبل ، وهى نظرية تنبع بطبيعتها فى عقل العربى وفكره ولغته : على أساس الدين وايمانا بحقائق الدين ! ؟

واذا كنتم (أيها البعثيون) تريدون اليوم ، ولأول مرة منذ آلاف السنين أن تفصلوا بنظريات (غير علمية) من كلمة (عربى) وما تدل عليه من احتوائها على نظرية شاملة للحياة وما بعد الحياة لها أساس دينى فقولوا لنا اذن : ماهو معنى كلمة « عربى » بمفهومكم البعثى أو بأى مفهوم آخر ؟

فاغمض الفيلسوف عينيه ... ثم فتحها .. ولم يتكلم !!

وقد حضر بعض الطلبة الألمان وشاهدوا هذا الحوار الساخن بين الأشقاء العرب ، وان كانوا بالطبع لم يفهموا منه كلمة واحدة ، وكأنما أدرك أحدهم فى لحظات الصمت والوجوم أننا وصلنا الى مرحلة

حرجة فأراد أن يجدد النشاط • فطلب من المترجم أن يسأل أعضاء الوفد المصرى هذا السؤال ـ :

هل صحيح أنكم تأكلون لحم الجمل ، وتحرمون لحم الخنزير ؟

وضحكنا كثيرا لهذه المفاجأة • وقال أحد أعضاء الوفد ـ ونحن نتهيأ للانصراف ـ : نعم نحن نفعل ذلك؛ لأن هناك حكمة قديمة تقول ان طباع كل شعب تتحدد بطباع الحيوان الذى يأكله !؟ ولم يكد الحوار الساخن ينتهى بيننا وبين مجموعة الوفد السورى « البعثى » حتى كانت الأخبار • وربما كانت التسجيلات الصوتية الكاملة قد وصلت الى ادارة المدرسة « التى كنا نقيم فيها » •

وقد أصبح واضحا أن الفرسان الثلاثة من المترجمين العرب ـ الماركسيين بالضرورة ـ والذين اختارتهم ادارة المدرسة للقيام بالترجمة من العربية الى الألمانية والعكس ـ هؤلاء المترجمون العرب ـ اسما ـ الماركسيون الشيوعيون ـ حقيقة ـ كانوا عيونا مفتحة علينا تراقب أقوالنا وتحاول النفاذ الى أعماق أفكارنا من الداخل لتنقل الى المسئولين « الشيوعيين » صورة تقريبية لها !!

يقول المؤلف ـ :

كنت لا أثق شخصيا فى المترجم « على السودانى » الذى كان يتطوع بنشر الدعوة الى الالحاد ويناقش بوصفه مسلما « سابقا » فى بعض معانى آيات القرآن التى لم يكن يفهمها الا بالمقلوب •

وكثيرا ما كان وجهه يتورم حنقا عندما يوضع جهله بمعانى القرآن أمام مرآة صافية تعكس له هذا الجهل وتؤكد عجزه التام عن التطاول على القرآن أو على بنائه المتين وبيانه المبين !؟

أما المترجم السورى اسماعيل السراج، فانه لم يكن ليمتنع ـ ومعه المترجمة السورية الشركسية «نيفين» عن تقديم المعلومات المتاحة عنا الى ادارة المدرسة بانتظام ونشاط، فقد كان هذا واجبهما الأساسى ؟

وهكذا لم نستغرب ــ بعد لقائنا مع البعثيين السوريين ــ هذه الاشاعة التى تقول : لم لا تكون مصر قد أرسلت الينا عددا من المثقفين داخل الجلاليب كـ «بالون» أخبار ؟

لقد خرجت هذه الاشاعة وظلت تتحرك حتى وصلت الى عدد من المثقفين الماركسيين العرب الذين يدرسون فى جامعتى «مارثن لوثر» و« كارل ماركس» وكان من حظنا أن نعلم بوجود هذه الاشاعة ، وعندما توقعنا أن يكون رد الفعل « هجمة مباغتة » من بعض هؤلاء تأخذ شكل الزيارة الودية ؟

ولم يلبث هذا التوقع أن تحقق، لقد هبطوا كما يهبط المظليون المحترفون على قلعة حصينة لاقتحامها من الداخل . وبدأ الحوار وانهالت الأسئلة ولم يكن هذا الحوار ولا تلك الأسئلة الا هجوما على الدين وتقليلا من شأنه فى قلوب المؤمنين ! ؟

كانت القاعدة التى انطلقت منها هذه « الصواريخ » الصبيانية تركز أساسا على التهوين من شأن الدين، وأن الخلاف بين الدين والاشتراكية راسخ ومتين ، ومن نماذج هذه الأسئلة التى وجهها الماركسيون ــ :

اذا لم يكن التطبيق العربى للاشتراكية مرحلة من مراحل التحول السلمى الى الماركسية ،فلماذا هذه الحالة من عدم الوفاق بين الثورة وبين الجماعات التى تدعو الى الدين ؟

وهل تعتقدون حقا: أنه من الممكن تنظير الاسلام ليقف نظريا فى مواجهة الماركسية والرأسمالية ؟ ثم انفجر سؤال عثر عليه أحدهم فى «المخزن» فقال : لقد انتهت أوربا من قضية وجود « الله » فهل ترى أن العرب لا يزالون ــ مع الاشتراكية ــ يحتاجون الى وجود الله ! ؟

يقول المؤلف ــ :

قلت ــ وأنا أطيل النظر الى وجه السائل المتقع ــ :

هل تأذنون لى أن أسألكم سؤلا واحدا ؟ قالوا مرحبين :

نعم ، نعم ؟

قلت : ان المبدأ الأول فى الجدول الماركسى يؤكد أن هنـاك « تعلقا فعالا » بين أجزاء الواقع المختلفـة فالفرد ليس الا معنى مجردا ؛ لأنه ذو علاقة بالفعـل الذى تقـوم به الكائنات المحيطة به ، فهل لازلتم تعتقدون فى هذا المبدأ ؟

قال : نعم ، نعم ؟

قلت لهم : لاتعجبوا اذا قلت أن القرآن يقرر هـذا المبـدأ ، وأن العرب قبل الاسلام تحدثوا عن هذا المبدأ ، وعلينا الآن أن نجرب معـا تطبيقه على الانسـان الأوربى من حيث هذا « الحيز الحقيقى الذى يراه من العالم والواقع » أى عن المـادة وحركتها ، هذا الحيز الذى يعكس مثاليات المـادة عن طريق الحواس ،والمخ على فكر الانسان، هذا الحيـز المـادى الذى يشـبه « العينة » التى ينقلها العـالم الى معمله ليحللها ويستخرج القـوانين العلمية منها . أقول : ان الانسان الأوربى لايرى ــ فى الحقيقة ــ فى مثل مناخ أوربا المعتم القابض بالبرودة أكثر من « حيـز مادى » فاقـد الدلالة على أجزاء الواقع بفعالياتها مع نفسها ، وداخل نفس الانسان . ان أجزاء هذا الواقع ناقصة ومبهمة ومتباعدة فى المشهد الطبيعى المغلق الذى يراه الاوربى من حركة العالم؛ لهذا تضاربت أفكار فلاسفة أوربا أمثال «ديكارت وهيجل وماركس» لأن العينات التى فحصوها بالتفكير من أجل تفسير الوجود كانت ناقصة ، ومضللة ! ؟

ان « كارل ماركس » كان لا يرى أكثر ــ من غرفته التى يملأها دخان (غليونه) أو عشرات السـنتيمترات خارج نافذته ،أو مدى رؤيته لموضع أقدامه ، وهو يسير فى الطريق منكس الرأس داخل معطفه ،بينما الانسان العربى الذى آمن بالله ــ كان ومنذ آلاف السنين ــ يعيش ويرى من خلال حركته المنتظمة والمندمجة فى الواقع والمعبرة عن الواقع : قطاعا كاملا من هذا الوجود المنسق ، يجمـع بين السماء والأرض ! ؟

لقد أتيح لهـذا الانسـان أن يعرف « الله » ويؤمن به وأن يسميه باسمه « الله » الذى لا يعنى لهذه الاشارة اليه فى الغيب أى تجسـيد

بشرى ونحن العرب المسلمين لا نعترض على أفكار الشعوب ولا نعترض على « الماركسية » والرأسمالية » فى بلادهم وانما نعترض على محاولات فرض ذلك علينا نحن المؤمنين بالله ورسوله ! ؟

ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم:

كان التناقض الذى عمد الألمان « الشيوعيون » الى تفجيره بيننا وبين الأخوة السودانيين قد تهيأ له المناخ المناسب أخيرا لينفجر ، وكان ذلك — بالضبط — عندما أعد الاخوة السودانيين لندوتهم التى أقاموها بعد ندوتنا فى قرية « تاوندورف » القرية من « هندروف » تميزت الندوة التى ساعد الألمان على اخراجها بالدعاية السوقية للماركسية، فتصدرت المنصة صور :لينين ،وماركس، واولبرخت رئيس « المانيا الشرقية » السابق وكأن السودان — كما أرادأن يظهره هؤلاء الأدعياء المجذبون — هو: رغم أنفه: عضو فى الكتلة الشرقية، وكانت فرصة لنا أن نسمع — فى كلمة رئيس الوفد السودانى — «سماريت» كل ما اتفقت عليه — ضد الاسلام — أراء الصابئة من الماركسيين العرب المختلى الشعور داخل مجتمعاتهم الباطنية، وفى دهاليزهم المعتمة، وراء حدود الوطن الأم عندما يحتضنهم الحزب الماركسى بوساوسه ! ؟

لقد بدأ « سماريت » هذيانه بالكلام عن موقع السودان جغرافيا وسط تسع دول ليضعف من انتمائه الطبيعى للأمة العربية ، وهاجم عندئذ مصر والمصريين ، والجيش المصرى ، ومن هذه النقطة قفز الرفيق « سماريت » وهو يتلوى كما يتلوى نسناس « الجابون » المعلق بفرع شجرة مهشم فى غابة الأكاذيب والأوهام — قفز الى قصة التخلف « الفظيع » الذى جلبه الاسلام على كل من الرجال والنساء فى السودان ، ولم يكن غريبا ! ؟ — وان كان اسفافا أن يظل هذا المعتوه المسخر فى حديث المظالم التى ألحقها الاسلام بالمرأة حين أصبح الرجال به « قوامون على النساء » وحين لم يساوها بالرجل فى الميراث، ثم عندما زعم : أن بعض الرجعيين يتكلمون الآن فى الوطن العربى عن تحرير المرأة ، والحقيقة أنهم أعداؤها — أى أن التحرير فى نظره

انما هو تجرع العرب لدكتاتورية العمال ، وبروتوكولات ماركس التى أباحت له أن يسكر كل ليلة ، وأن يهت بعد ذلك بجسده ولونه على من تقع له ، أويقع لها ، من المتحررات الماركسيات المزقات نفسيا وانسانيا بمقياس أى مجتمع حر ! ؟

كان من الحتم أن نتصدى له ، وان ندافع ـ رغم أنفه المتورم ـ عن الرجل السودانى والمرأة السودانية اللذين حملا السلاح فى وجه الاستعمار ، وشرحنا أمام الألمان كيف أن بين السودانيات كثيرات جدا من البطلات والشهيدات ، وأن تحميل الاسلام أوزار الاستعمار ليس الا تدليسا مخجلا ؛ بل هو جريمة يجب ألا تتورط فيها الماركسية ، والا يأخذها الألمان الماركسيون مأخذ الجد ؟

ومن أجل هذا ، وبعد احراج رئيس الوفد السودانى احراجا مهينا تلقيت الدعوة الى لقاء وندوة مع لجنة السيدات فى « تاوندورف » بكثير من الترحاب ، واعتبرنا أن هذا اللقاء الذى سيتم ولاشك بوصفنا مسلمين مع عدد من قيادات النساء الالمانيات بوصفهن ماركسيات سيتيح لنا القاء بعض الضوء على حقائق الموقف الانسانى الفريد الذى وقفه الاسلام من تأكيد مساواة المرأة انسانيا بالرجل مع تقديمها عليه فى الرعاية ، ومع اتاحة الحرية لها فى نفسها وقلبها ومالها فى حدود هذه الشريعة التى لا تزال قادرة على تجديد عطائها الانسانى للرجل والمرأة فى هذا العصر ؟

عندما وصلنا الى مكان الندوة أجلسونا على منصة مشرفة على القاعة ، وكان اخواننا من السودانيين الشيوعيين والاشتراكيين على جنب منا ينتظرون ما يكون ، بينما وقف المترجم السودانى الى جانبى ينتظر اطلاق القذيفة الأولى ليبدأ عمله الرسمى ؟

ولم تلبث الطلقة الأولى أن وصلت الينا تزغرد فوق رؤسنا من خندق النساء حاملة الينا هذا السؤال المصبوب فى أخبث قوالب الدهاء ! والسؤال هو ــ :

لماذا لم تحضروا زوجاتكم معكم؟

وكان الجواب ــ :

لقد كان من أحب شىء لنا ولزوجاتنا أن نصحبهن معنا الى بلادكم الجميلة ، ولكن موعد حضورنا صادف زراعة القمح المبكر فى بلادنا كثيرا عن بلادكم، ونساؤنا لا يضيعن فرصة زراعة الأرض اذا غاب أزواجهن فى رحلة كهذه تقطعها الى بلادكم لنتعلم ! ؟

وقوبل هذا الاعتذار بالموافقة الجماعية من السيدات ودار الهمس والضحك والابتسام بينهن ، وجاء السؤال الثانى سريعا ــ :

هل صحيح أن الاسلام يحبس المرأة فى البيت أو يمنعها من التعليم والعمل ، ولا يسوى بينها وبين الرجل فى الميراث ؟

وقد أجاب المؤلف عن ذلك اجابة توضح موقف الاسلام من هذه القضية وكيف أعطى المرأة حقوقا لم تكن معروفة عند العرب ولا فى حضارة الرومان والهند أو فى أوربا عندما كان رجال الكنيسة يعتبرونها فاقدة الانسانية بالنسبة للرجل وتستحق اللعنة وأن الشيطان لا يظهر الا فى صورتها ! ؟

ثم شرح المؤلف الحكمة من تعدد الزوجات ،وانه حلال بشرط العدل والمساواة بين الزوجات وبين فضيلة هذا الأمر فى بناء الأمم وتقويتها والاسباب الداعية اليه من واقع الحياة ومشكلاتها الخ ، الخ .

وجاء سؤال من سيدة صغيرة السن فى لهجة أقرب الى التحدى : قالت : هل لا يزال نظام الحريم سائدا فى مصر ؟

يقول المؤلف ــ :

فقلت : انه سائد الآن تماما فى أوربا تحت عنوان التحرر ووراء واجهات محلات بيع المتعة والشذوذ وأما الحريم الذى نسبه الأوربيون الى المسلمين ، فأصله أوربى وأن المسلمين لم يعرفوا «الحريم» الا على أيدى الشعوب الآرية التى دخلت فى الاسلام وفى جوفها كثير من معتقداتها الاباحية القديمة ! ؟

وقالت سائلة أخرى ـ :

أنتم لا تشربون الخمر فهل نساؤكم لا يشربنها أيضا ؟

قلت : اننى أكتفى بالرد على هذا السؤال بأن أنفى تهمة شرب الخمر عن نسائنا فى الريف وأن أكتفى فى ايضاح الأسباب بقول تشيكوف فى سياق قصته «الفلاحون» وهو يصف حالة الفلاح الروسى التعسة أيام القيصرية ـ :

« كان الفلاح الروسى يقاسى من الجوع والجهل والمرض والفودكا» !؟

* * *

اننى لا استعرض هذا الكتاب وانما أقوم بدور « المصور » الذى يلتقط صورة من هنا وصورة من هناك ليجعل من هذه الصور «صورة جديدة » يحدد ملامح هذه النظريات التى ابتلى بها المسلمون فى فترة حالكة من تاريخهم المعاصر .

فالشيوعيون عادة يلجأون الى التحايل والخداع (تكتيكيا) حين يصطدمون بجدار العقيدة الدينية التى تقف حجر عثرة فى طريق زحفهم الدموى الى السلطة ، ومن ثم ، يتظاهرون بالتدين ـ تظاهرا ـ من الظاهر فاذا ما خلا لهم الجو، وسقطت الأقنعة الزائفة التى يتقنعون بها ظهروا على حقيقتهم البشعة ! أناسا تجردوا من القيم والفضائل ولم يكن «سماريت» الشيوعى السودانى الا نموذجا مشابها لهذا التضليل بالباطل

يقال هذا الكلام نفسه عن البعثيين الذين أتقنوا هذا الدور الذى يمثله الشيوعيون فى وقتنا الحاضر .. فهم هنا فى الوطن «الأم» يظهرون غير حقيقتهم الكامنة فى الباطن .. فاذا ما أتيحت الفرصة لاظهار خبيئتهم فعلوا ما فعله الشيوعيون من غير حياء وبدون ساتر ... ؟

والمأساة تكمن هنا فى انخداع الشعوب بالأشكال والمظاهر ، وفى استهوائها بمعسول القول وأفانين الحيل والتآمر ! ؟

ان الشيوعية تنحسر فى أقطارها انحسار المد فى الظلام الداهم ، و ـ البعث ـ تحول الى «موت» على أيدى الرفاق المتناحرين فى مختلف العواصم!

لقد زرت برلين الشرقية مرتين ..
ولم أنس ذلك اليوم الذى ركبت فيه الطائرة من لندن ..قضيت ليلة فى برلين الغربية ، وفى الصباح توجهت قاصدا برلين الأخرى مرورا بالبوابة الشهيرة وعبورا للخيط الرفيق الفاصل بين المدينة الممزقة .. وعند نقطة الحراسة قدمت جواز سفرى الى الجنود المقيمين بهذه النقطة .. كانوا خليطا من الألمان الغربيين والأمريكيين والفرنسيين والانجليز قلت لهم : انى متوجه الى برلين الشرقية ... لم أكد أكمل عبارتى التى استأذنتهم بها فى العبور الى الجانب الآخر ، حتى قالوا جميعا وفى صوت واحد ، ودون النظر فى جواز السفر GO,GO اذهب اذهب ، ولو كانوا مسلمين لقالوا : أنتم السابقون ،ونحن اللاحقون ،وانالله وانا اليه راجعون !!

عبرت الخيط الفاصل بين الشرق والغرب ، وان شئت فقل : بين الحياة والموت ،وهل هى مبالغة منى؟لنرى أو لا : ماذا حدث فى أول لقاء مع الأصدقاء الشيوعيين ، أمسكوا جواز السفر ... نصف ساعة كاملة ، يراجعون فيها الصفحات والكلمات : تعجبت اننى مصرى ... والزعماء والقادة يتحدثون عن الصداقة المتينة والعلاقات الوثيقة بين برلين والقاهرة فاذا كانت هذه معاملة أبناء الشعوب الصديقة !؟ فكيف لو كنت قادما من تونس أو السعودية !!

أخذت الجواز وانطلقت الى مكتب ثان ..

ماذا تحمل من كتب أو مطبوعات أو صحف .. نصف ساعة أخرى فى «استجواب» نازى شيوعى ! ثم انطلقت الى مكتب ثالث ؟

ماذا تحمل من نقود ؟ مارك ألمانى «غربى» ؟ استرلينى ؟ دولار ؟

قلت : معى بعض الدولارات !؟

وبلوعة الظامىء المشرف على الموت قالت المرأة العجوز — :

Giveme, Giveme,

أعطنى أعطنى ؟ ؟

وأعطيتها ما معى لاستبدالها بعملة رديئة لاوزن لها فى الجيب أو القلب!!

وانطلقت .. أبحث عن سيارة لم أجد .. مشيت وأخذت أمشى حتى تعبت ، سألت رجلا : أن يرشدنى الى سيارة تحملنى الى المطار قال.. هناك فى وسط المدينة يمكن أن تجد ما طلبت ، وبعد ساعة من المشى وجدت سيارة حملتنى الى المطار ، لقد كنت عائدا الى بيروت على متن « انترفلوج » .. ولم تكد السيارة تتحرك حتى توقفت أمام نقطة حراسة ونزلت ؟

أين جواز سفرك ؟فحصوا الجواز وانطلقت السيارة ؟ ثم توقفت أمام نقطة ثانية .. وثالثة .. الكل يسأل عن جواز السفر .!

أخيرا .. وصلت الى المطار ، وأى مطار !؟ ان تسميته بالمطار فيه كثير من التجاوز .. سكة حديد القاهرة أجمل منه فى نظرى ألف مرة !؟

وللأمانة والحق . كان ذلك فى سنة ١٩٧٠ ربما يكون ذلك قد تغير فانى لم أره بعد ذلك .. ولم أفكر فى رؤيته أبدا !

أخذت مكانى فوق أحد المقاعد، مقاعد محطات السكة الحديد فى الريف لا القاهرة ! بحثت عن شىء آكله ، لا شىء .. بعد ساعة حضرت «عجوز» وأخذت مكانها فى كشك تبيع فيه الحلوى ..

اشتريت قطعة من « الشيكولاته» ولم تكد أن تلمس فمى حتى وضعتها على المقعد بجوارى .. كانت مرة .. وتسميتها ـ « الحلوى » من باب «عموم البلوى» !!

أهذه هى ألمانيا «الديمقراطية» الشعبية .. الشيوعية ؟ ألا فلتذهب الى الجحيم كل هذه الشعارات الزائفة ..

د . عبد الودود شلبى

باب الفتوى

للأستاذ محمود رسلان

تحديد بدء الصيام

السؤال

هل يمكن الاعتماد فى بدء الصيام وانتهائه على حساب الفلكيين ؟ فيتوحد بدء الصيام وانتهاؤه فى الأقطار الاسلامية ؟ مع العلم بأن الحساب يفيد العلم القطعى بأوائل الشهور العربية ، ويمنع الخلاف الذى يثار بين البلاد العربية بسبب اختلاف الرؤية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا الاقتراح ، وتفيد بأنها تقدر لصاحب الاقتراح الغرض النبيل الذى يرمى اليه بمقترحه . ولكنها ترى أن التعويل على الحساب فى اثبات بدء الشهر ونهايته لا يحقق الغرض المقصود الذى ينشده لأن الحساب مرتبط بمطلع القمر ، ومطالع القمر تختلف باختلاف الأقطار .

فاذا كانت الأقطار تختلف فى الرؤية بسبب اختلاف المطالع ، فكذلك الحساب يختلف هذا الاختلاف لارتباطه بالمطالع . فلا يتحقق المعنى المقصود بالتعويل على الحساب كما يقترحه حضرة السائل .

واللجنة ترى أن اعتماد الرؤية على الوجه الذى اتفق عليه جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب هو طريق يتحقق به المقصود من توحيد المسلمين فى الصوم والافطار .

وان هذا الذى اتفق عليه الجمهور هو ما يفيده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد فى الرؤية . أما الوجه المشار اليه فهو أن القول

الصحيح الراجح فى مذاهب الحنفية والمالكية والحنابلة أنه اذا ثبتت رؤية الهلال فى اقليم وجب على أهل الأقاليم الأخرى أن يعملوا بها فى صومهم وافطارهم متى بلغهم نبأ ثبوتها من طريق موثوق به .

وهذا هو ما نشرح به كتب هذه المذاهب .

أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» .

وهو خطاب عام يوجب على جميع المسلمين أن يصوموا اذا تحققت رؤية الهلال فى قطر يعتبر ثبوتا له بالنظر الى جميع الأقطار ، فانه ليس المعنى أن وجوب الصوم يتوقف على رؤية كل من يجب عليه — وانما المعنى — كما قلنا — أنه يجب الصوم على جميع المسلمين متى تحققت الرؤية ولو من بعضهم .

واذا كان الحال كذلك ، فان الطريق لتوحيد وقت الصوم فى جميع الأقطار أن يبلغ أهل القطر الذى ثبتت فيه الرؤية سائر الأقطار ، فيجب عليهم جميعا أن يصوموا بناء على هذا التبليغ .

هذا مع ملاحظة أن الرؤية التى يناط بها حكم الصوم والفطر كما تكون بالعين المجردة تكون بواسطة ما جد من الوسائل العلمية الحديثة .

وتوافر وسائل الرؤية هذه مع الوسائل الحديثة لتبليغ الأنباء الى الأقطار المتباعدة يسهل أمر تبليغ الرؤية من أى قطر الى سائر الأقطار .

وبهذا علم الجواب والله أعلم .

أنظر الجزء التاسع من مجلة الأزهر غرة رمضان سنة ١٣٧٢هـ المجلد الرابع والعشرون ص ١١٠١ ، ١١٠٢

السؤال

ما حكم صيام أهل القطبين ؟ وكيف يصومون رمضان اذا كانت السنة نصفها نهارا ونصفها ليلا ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد فرض الله على المؤمنين صوم شهر هلالى من السنة ، وبين أنه شهر رمضان وقال عليه الصلاة والسلام : الشهر هكذا وهكذا وأشار بأصبعه العشر وحبس الابهام فى الثالثة » وهذا يدل على أن الشهر اما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما ، ولاريب أن بيان الشهر فى السنة على هذا الوجه الذى عرف وتناقله الناس جيلا بعد جيل انما كان بما يناسب حال البلاد المعتدلة التى تتجلى أوقاتها المحددةفى اليوم والليلة ، ويتجلى رمضانها فى السنة وهى القسم الأعظم من الكرة الأرضية •

ولم يكن معروفا للناس فى وقت التشريع أن فى الكرة الأرضية جهات تكون السنة فيها يوما وليلة نصفها نهار ونصفها ليل، وجهات أخرى يطول نهارها حتى لايكون ليلها ألا جزءا يسيراويطول ليلها حتىلايكون نهارها الا جزءا يسيرا •

فرض يجب استبعاده

ولاريبأن الجرى فى هذه الجهات على بيان الأوقات الذى عرف للصلاة والصوم يؤدى الى أن يصلى المسلم فى يومه وليلته وهو « سنة كاملة » خمس صلوات فقط موزعة على خمس أوقات من السنة كلها ، ويؤدى كذلك فى بعض الجهات الى أن تكون الصلوات المفروضة أربعا أو أقل على حسب طول النهاروقصره وكذلك يؤدى الى أن يكلف المسلم فى تلك الجهات صوم رمضان ولا رمضان عنده ، وفىبعضها يؤدى الى صوم ثلاث وعشرين ساعة من أربع وعشرين ساعة وكل هذا تكليف تأباه الحكمة من أحكم الحاكمين والرحمة من أرحم الراحمين •

واذن يجب استبعاد هذا الفرض•

هل يمكن اعفاء أهل القطبين من الصلاة والصوم ؟

ويدور أمر هذه الأقاليم بعد ذلك بين فرضين أخريين لاثالث لهما :أما اعفاؤهم — كما ذهب اليه بعض الناظرين — من الصلاة والصوم ؛ لعدم الوقت وعدم القدرة والامكان

وعدم الفائدة المرجوة من التكليف، وهو فيما نرى فرض يأباه عموم النصوص التى جاءت بتكليف الصلاة ؛ فالصوم لجميع المؤمنين دون فرق بين قطر وقطر .

مواقيتهم حسب اقرب البلاد المعتدلة اليهم :

واذن لا يبقى طريقا لقيامهم بواجبهم الدينى على وجه مقدورلهم ميسور ومحقق للفائدة المرجوة من التكليف ، سوى أن يقدروا أيامهم ولياليهم وأشهرهم بحساب أوقات أقرب البلاد المعتدلة اليهم ، أى حساب البلاد القريبة منهم التىتتميز فيها الأوقات ويتسع كل من ليلها ونهارها لما فرض من صوم وصلاة على الوجه الذى يحقق حكمة التكليف دون مشقة أو ارهاق .

ولاريب أن أهل هذه الجهات لابد أن يكونوا قد اتخذوا طريقا لتقدير الأيام والأشهر فيما يختص بحياتهم العامة من أعمال وعقود .

واذن فمن السهل أن يتخذوا فى تحديد أوقات عبادتهم ماعرف فى أقرب البلاد المعتدلة اليهم . وبهذا يستطيعون أداء فروضهم الدينيةمن صلاة وصوم على وجه محدد كامل لاعسر فيه ولاارهاق : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » والله أعلم .

انظر الشيخ محمود شلتوت كتاب الفتاوى ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .

السؤال

ما حكم من مات وعليه قضاء رمضان أو بعضه ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد : فى هذه الحالة أمران : الأمر الأول : أن يكون معذورا فىتفويت الأداء ودام عذره الى الموت كمن اتصل مرضه أو سفره أو اغماؤه ، أو حيضها أو نفاسها أو حملها أو ارضاعها ونحو ذلك بالموت لم يجب شىء على ورثته ولا فى تركته لا صيام

ولا اطعام وهذا لاخلاف فيه عندنا (أى الشافعية) •

الأمر الثانى : أن يتمكن من قضائه سواء فاته بعذر أم بغيره ، ولا يقضيه حتى يموت ، ففيه قولان مشهوران : (أشهرهما وأصحهما) عند المصنف والجمهور •• أنه يجب فى تركته لكل يوم مد من طعام ولا يصح صيام وليه عنه ، قال القاضى أبو الطيب فى المجرد : هذا هو المنصوص للشافعى فى كتبه الجديدة وأكثر القديمة •

والثانى : وهو القديم : وهو الصحيح عند جماعة من محققى أصحابنا وهو المختار ، أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ويصح ذلك ويجزئه عن الاطعام وتبرأ به ذمة الميت ، ولكن لا يلزم الولى الصوم بل هو الى خيرته ، فاذا قلنا بالقديم فأمر الولى أجنبيا فصام عن الميت بأجرة أو بغيرها جاز بلا خلاف كالحج ولوصام الأجنبى مستقلا به من غيراذن الولى فوجهان مشهوران:

أصحهما : لايجزئه ••• وقال صاحب الحاوى : مذهب الشافعى فى القديم والجديد أنه يطعم عنه ، ولا يصام عنه وقيل فى القديم يصوم عنه وليه ، وتأولوا الحديث الوارد : « من مات وعليه صوم صام عنه وليه » ان صح على أن المراد الاطعام أى يفعل عنه ما يقوم مقام الصيام وهو الاطعام ، وفرقوا بينه وبين الحج بأن الحج تدخله النيابة فى الحياة ولا تدخل الصوم النيابة فى الحياة بلا خلاف هذا هو المشهور عند الأصحاب •

القول الثانى : وهو القديم أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ولايلزمه ذلك ، وعلى هذا القول لو أطعم عنه جاز ، فهو على القديم مخير بين الصيام والاطعام واستدلوا له بالأحاديث الصحيحة منها ، حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» رواه البخارى ومسلم •

وعن ابن عباس قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال : لو كان

على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟ قال : نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » •

وعن ابن عباس أيضا قال :«جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، فأصوم عنها ؟ قال : أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدى ذلك عنها؟ قالت : نعم ، قال : فصومى عن أمك » رواه مسلم ورواه البخارى بمعناه •

وعن بريدة قال : « بينا أنا جالس عند النبى صلى اللهعليه وسلم اذ أتته امرأة فقالت : يارسول الله انى تصدقت على أمى بجارية وانها ماتت فقال : وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت : يارسول اللهانه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : صومى عنها ، قالت انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال:حجى عنها » رواه مسلم •

وعن ابن عباس « أن امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها أن تصوم شهرا فنجاها الله سبحانه وتعالى فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها أو أختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها » رواه أبو داود وغيره باسناد صحيحرجاله رجال الصحيحين والله أعلم •

انظر المجموع ج ٦ ص ٣٣٨ — ٣٣٩ — للأستاذ محمد نجيب المطيعى •

محمود محمد رسلان

ليس فى القرآن الكريم أمر واجب على الانسان أكثر من واجب العقل والتفكير ، وليس فيه نعى على قوم أشد من النعى على الذين لا يعقلون ولا يتفكرون •• فرعاية الضرورات نص صريح ، والأمر بالتعقل والتفكير نص صريح ، ومن قال بغير ذلك فهو الذى يجتهد برأى من عندم يخالف صريح النصوص ••

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه •

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

مصر

● يبدأ انعقاد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فى الثانى من ذى القعدة ١٣٩٧هـ الموافق ١٥ من أكتوبر ١٩٧٧ م .

وسيكون انعقاد المؤتمر على فترتين :

الأولى لمدة أسبوع وتبدأ من تاريخ انعقاد المؤتمر ..

والثانية لمدة ثلاثة أسابيع وتبدأ بعد انتهاء الفترة الأولى ..

يحضر المؤتمر وفود من كبار العلماء والمفكرين الاسلاميين الذين يمثلون حوالى ٥٠ دولة من مختلف أنحاء العالم .

وتدور بحوث العلماء فى هذا المؤتمر حول الاسلام وقضايا العصر من النواحى التشريعية والعقدية والاجتماعية .

ويتناول المؤتمر فى اجتماعاته مناقشة كثير من المشكلات والقضايا الاسلامية المعاصرة التى تتعلق بالحدود والمعاملات والعقيدة والتيارات المنحرفة ووسائل الاعلام والتربية وذلك كله فى ضوء الاسلام .

● التقت الهيئات والجمعيات الاسلامية فى مؤتمرهم الأول الذى عقد بالقاهرة مؤخرا تحت رعاية فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبرياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الأسبق لمصر .

وشهده فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر .

واستمع أعضاء المؤتمر الذى حضره ممثلون عن ١٦ جمعية وهيئة اسلامية الى البحوث العلمية المقدمة

من بعض الاعضاء فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، وبعد الدراسة والمناقشة أصدر المؤتمر القررات الآتية :

١ ــ كل تشريع أو حكم يخالف ما جاء به الاسلام يقع باطلا ، ويجب على المسلمين رده والاحتكام الى شريعة الله ، اتى لا يتحقق ايمانهم الا بالاحتكام اليها .

٢ ــ الأمر بتطبيق الشريعة الاسلامية نزل به الوحى الالهى ، فليس لأحد أن يبدى رأيا فى وجوب ذلك ، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج أو التأجيل فى تنفيذه .

٣ ــ التسويف فى اقرار القوانين الاسلامية معصية الله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين ، وخروج على اجماعهم ومضيعة لمصالح الأمة جمعاء وعلى الهيئة التشريعية أن تبرىء ذمتها أمام الله والناس بسرعة اقرار مشروعات القوانين الاسلامية المقدمة اليها .

٤ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية هو الحل الوحيد لجميع مشاكل الأمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا وعلميا وثقافيا .

٥ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية خير ضمان للوحدة الوطنية .

٦ ــ ينظر المؤتمر بعين التقدير والأمل الى ما صرح به السيد رئيس الجمهورية من عزمه على تطهير أجهزة الاعلام من الملحدين ، ويناشد سرعة تنفيذ هذا فى كل مراكز التوجيه والتربية ومواقع التأثير فى مرافق الدولة حرصا على سلامة الأمة وقوة بنيانها .

٧ ــ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية اصدار أوامره بتطهير وسائل الاعلام من الموبقات الأخلاقية التى تحرج صدور المؤمنين وتستهين وتتجرأ على حدود الله وتدمير كيان الأمة .

٨ ــ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية أن يراعى عند الترشيح للمناصب القيادية فى الدولة اختيار المعروفين بالخلق والدين .

٩ – يقرر المؤتمر وجوب تربية النشء فى جميع مراحل التعليم الى نهاية الدراسة الجامعية تربية دينية تكون الضمير الدينى ، وتغرس فى نفوسهم مكارم الأخلاق ، وتكسبهم الصلابة ضد كل زيغ أو انحراف، ليكون الشباب مسلما فى جرهره ومظهره .

١٠ – يجب ادراج حفظة القرآن من الفئات المستثناة من شرط المجموع عند الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا ودور التعليم المختلفة، كما يجب معاملة حفظة القرآن الكريم من المجندين معاملة حملة المؤهلات.

١١ – يوصى المؤتمر بتقوية محطة اذاعة القرآن الكريم حتى تغطى أنحاءالعالم ، مع النهوض بها وتحويلها الى اذاعة جامعة .

١٢ – تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر فى حالة انعقاد دائم لمتابعة الجهود فى تنفيذ هذه القرارات التى تعبر عن اجماع الأمة على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتدعو الهيئات والجماعات المشتركة فى المؤتمر الى الاجتماع كلما دعت الضرورة الى هذا .

● تهتم مشيخة الأزهر هذه الأيام بصفة خاصة بالدعوة ومناهج الدراسة ، وقد أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرارا بتشكيل لجان متخصصة لذلك .

وتعمل اللجان الآن لتقديم دراساتها ومقترحاتها بشأن النهوض بالدعوة وتقويم مناهج الدراسة بالمعاهد الأزهرية لمعرفةمدى ملاءمتها من حيث الكم والكيف للطلاب ، وذلك للنهوض بالتعليم وفق مبادىء الشريعة الاسلامية .

● أصدر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر قرارا بتعيين فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وكيل وزارة لشئون المعاهد الأزهرية ..

وندعوا الله له بالتوفيق والسداد .

السعودية

● تبرعت رابطة العالم بعشرة آلاف دولار سنويا للجمعية الجديدة

التى تم تشكيلها من المسلمين الجدد فى سراواك .

كماتبرع معالى الشيخ محمد على الحركان أمين عام رابطة العالم الاسلامى للجمعية المذكورة بصفة شخصية بمبلغ الفى دولار ..

● وقع معالى الشيخ عبدالوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف مع احدى الشركات الوطنية عقدا بمبلغ ١٥ مليون ريال لفرش الحرم المكى بالسجاد خلال ثمانية أشهر من تاريخ العقد ..

● بلغ عدد المبعوثين من جامعة الرياض الى بلاد مختلفة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ٤٥٠ مبعوثا منهم ٣٥٠ فى أمريكا و ١٠٠ فى أوربا ومصر واليابان ..

الكويت

● زار وفد من طلبة كلية الشريعة بجامعة الكويت مقر رابطة العالم الاسلامى ، واجتمع بمعالى الأمين العام للرابطة الشيخ محمد على الحركان ، وتحدث معاليه اليهم عن دور الشباب المسلم فى هذا العصر وواجباته تجاه دينه وأمته وحياته..

اليابان

●أشهر تسعة من اليابانيين اسلامهم على يد فضيلة الشيخ محمد على الحركان أمين عام رابطة العالم الاسلامى ، وذلك بمسجد العاصمة طوكيو ..

ماليزيا

● أشهر حاكم مقاطعة سيراواك الجديدة بماليزيا اسلامه هو وعائلته وعدد كبير من مواطنى المقاطعة يزيد على ألفى شخص ، وقد أقيم — بهذه المناسبة — حفل كبير حضره كبار علماء الدين ورئيس سيراواك.

والأزهر يهنىء حاكم المقاطعة والاخوة الذين أسلموا ويدعو لهم بدوام التوفيق والسداد فى نور الاسلام وفى ظل كتابه الكريم وهدى نبيه الأمين .

● أقام مركز الدراسات الاسلامية بكلنتن بماليزيا احتفالا بمرور عشر سنوات على انشائه .

وحضره وفود من العلماء والمفكرين من مختلف دول العالم ومثل الأزهر فيه فضيلة الدكتور عبد الجليل

شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وفضيلة الدكتور عبدالودود شلبى مدير مجلة الأزهر.

باكستان

● أصدرت باكستان قانونا منعت بموجبه كل أنواع المسكرات التى كانت تمارس فى البلاد طوال السنوات السابقة وذلك استجابة لطلب الشعب الباكستانى المسلم بتحريم المسكرات ولعب الميسر ..

وانا ندعو الله العلى القدير أن يوفق العالم الاسلامى كله الى اتخاذ مثل هذه الخطوة بتحريم هذه المنكرات ليستقيم أمر المسلمين دينيا واقتصاديا واجتماعيا ..

لندن

● عقد فى لندن مؤخرا المؤتمر الاقتصادى للدول الاسلامية الذى نظمه المجلس الاسلامى الأوربى ..

وافتتح المؤتمر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

وحضره فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر كما حضره وفود من مختلف دول العالم.

وقد بحث المؤتمر خلال جلساته التى استمرت ستة أيام كثيرا من القضايا المعاصرة التى تواجه تطورات الدول الاسلامية، والمتعلقة بمستقبل النظام الاقتصادى فى العالم الاسلامى .

ابراهيم حامد النويهى

حق الامام :

الامام فى الاسلام هو وكيل الأمة فى اقامة حدود الله . فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمانة . لانه يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد وطاعة مقرونة بطاعة الله ورسوله :

«أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» سورة النساء ... وليس للامام أن يعطل حدا من حدود الله ، وليس له أن يقيم حدا منها فى غير موضعه ...

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

كتاب الشهر:

غزوة بدر الكبرى

المعركة الحاسمة الأولى للإسلام

للواء الركن: محمود شيت خطاب

الموقف العام

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ المسلمون :

ازداد عدد المسلمين فى المدينة المنورة وازدادوا قوة وتماسكا ، ولكن حالتهم الاقتصادية كانت مترديه ، لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة المكرمة، وتركوا أموالهم هناك، ولأن الأنصار شاركوا المهاجرين فى أرزاقهم القليلة، فلا عجب اذا رأينا المسلمين يفكرون جديا فى استخلاص أموالهم من قريش •

٢ ـ المشركون ويهود والمنافقون :

أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين فى قتل عمرو بن الحضرمى ، فلابد من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها كرامتهم وهيبتهم عند العرب •

كما أن الطريق التجارية الحيوية بين الشام ومكة أصبحت تحت رحمة المسلمين وحلفائهم ، ومعنى ذلك موت تجارة قريش وتردى مركزها الاقتصادى ، كما أن انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم يوما بعد يوم ، لا يتفق مع احتكار قريش للسيادة على العرب •

تلك هى العوامل المهمة التى جعلت قريشا تفكر جديا فى انتهاز أول فرصة للقضاء على الدين الجديد • وكان يهود فى المدينة يثيرون الحرب الباردة على المسلمين ويحاولون خلق المشاكل لهم ويقومون بواجب (الرتل الخامس) لقريش على المسلمين ، ويحرضون أعداء المسلمين على المسلمين ، ويعاونهم بصورة مباشرة وغير مباشرة المنافقون فى الحرب الباردة وخلق المشاكل والتجسس •

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون :

بلغت قوة المسلمين (٣٠٥) رجلا من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان

معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد •

٢ ـ المشركون :

بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا أكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم ، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش •

أهداف الطرفين

١ ـ المسلمون :

(أ) الاستيلاء على القافلة التجارية لقريش بقيادة أبي سفيان ابن حرب التي كان يحميها حرس بين ثلاثين الى أربعين رجلا •

(ب) البقاء في (بدر) بعد افلات القافلة حتى يتسامع المشركون بقوة المسلمين فيهابوهم ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة لدينهم •

٢ ـ المشركون :

(أ) حماية القافلة التجارية القادمة من الشام •

(ب) عند افلات القافلة تضاربت الآراء في قتال المسلمين أو العودة، فتغلب رأى القائلين بالقتال ، للاخذ بثأر عمرو بن الحضرمي ، وللقضاء على قوات المسلمين، ولتعرف العرب قوة قريش وسطوتها ، ولتضع حدا لتهديد المسلمين طريق الشام ـ مكة التجارية •

قبل المعركة

١ ـ المسلمون :

(أ) خرج أبو سفيان بن حرب في أوائل الخريف من السنة الثانية الهجرية في تجارة كبيرة الى الشام، وقد أراد المسلمون اعتراضها في غزوة (العشيرة) عند ذهابها الى الشام ، ولكنها تملصت منهم •

وتحين المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد ينتظرانها ، حتى اذا وصلا (الحوراء) على طريق الشام ـ مكة مكثا هناك ، فلما مرت القافلة بهم ، أسرعا الى المسلمين يخبران النبي صلى الله عليه وسلم بأمرها •

ندب الرسول صلى‌الله عليه وسلم المسلمين للخروج ، وقال لهم : « هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وخف قسم من الناس وثقل قسم منهم ، لأنهم لم يظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيخوض معركة حاسمة على المشركين ، بل ظنوا أن الغزوة ستكون عبارة عن مناوشات طفيفة ، كما حدث فى السرايا والغزوات السابقة . وأراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا الى المسلمين طمعا فى الغنيمة ، فأبى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الانضمام أو يؤمنوا بالله ورسوله .

(ب) تحركت قوات المسلمين فى المدينة المنورة لثمان خلون من شهر رمضان فى السنة الثانية الهجرية بالترتيبات التالية :

أولا : دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونيات قريش .

ثانيا : القسم الأكبر مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع على بن أبى طالب وعمير بن هاشم ، وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ ، وهاتان الرايتان سوداوان .

ثالثا : مؤخرة بامرة قيس بن صعصعة .

رابعا : راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

(جـ) سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة و (بدر) البالغ طوله حوالى (١٦٠) كيلو مترا ، وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيرا على أصحابه ، وكان من نصيبه مع على بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى بعير واحد يتعاقبونه تماما كما يفعل أى فرد من قواته .

قال شريكا الرسول صلى الله عليه وسلم فى البعير : «نحن نمشى عنك» فقال : « ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » ، وأراد بذلك المساواة مع أى فرد فى قواته

(د) انطلق المسلمون مسرعين خوفا من افلات قافلة أبى سفيان بن

حرب منهم ، وبثوا عيونهم يتعرفون الأخبار ، فلما وصلوا قريبا من (الصفراء) بعث الرسول صلى الله عليه وسلم دورية استطلاعية قوتها رجلان الى (بدر) للحصول على المعلومات عن قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون (وادى ذفران) جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

(هـ) أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما بلغه من أمر قريش طالبا مشورتهم ، فأدلى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما برأييهما ، ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه فقال: « يا رسول الله لا نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

وسكت الناس فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أشيروا على أيها الناس » ، وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم (العقبة) على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة الا ممن يهاجمه فى المدينة المنورة .

فلما أحس الأنصار أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد سماع رأيهم ، قام سعد بن معاذ وقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله » ؟ فقال : « أجل » !

قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى بنا عدونا غدا : انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

وارتحلوا جميعا حتى اذا كانوا على مقربة من (بدر) انطلق الرسول

صلى الله عليه وسلم أمام قواته وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، قال الشيخ: « لا أخبركما حتى تخبرانى : ممن أنتما » ؟

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم من شيخ العرب هذا ، أن عير قريش قريبة منه ، فقال لشيخ العرب : «نحن من ماء» ، ثم انصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق » ؟ وهكذا لم يخبره الرسول صلى الله عليه وسلم عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

(و) أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دوريتى استطلاع غرضهما الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

الدورية الأولى مؤلفة من على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص رضى الله عنهم فى نفر من أصحابه ، استطاعت الوصول الى ماء (بدر) ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ولما أجابا : « بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش » ، سألهما : « كم ينحرون يوميا » ؟ فأجابا : « يوما تسعا ويوما عشرا » ، فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا لمنعه .

والدورية الثانية مؤلفة من رجلين من المسلمين وصلا ماء (بدر) ، فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « انما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فاعمل لهم ثم أقضيك الذى لك » ، فعاد الرجلان فأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا .

(ز) تأهب المسلمون لخوض المعركة وعسكروا فى أدنى ماء من

(بدر) فجاء الحباب بن المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا تتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة » ؟ !

قال : « بل هو الحرب والرأى والمكيدة » .

قال الحباب : « يارسول الله ! فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فنعسكر فيه ، ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » .

نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرأى ، فما حل نصف الليل حتى تحول المسلمون الى معسكرهم الجديد ، وامتلكوا مواقع الماء ، وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أنه بشر مثلهم ، وأن الأمر شورى بينهم ، وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم » ...

وأنجزوا بناء الحوض وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الأخرى ، وتم ذلك ليلا ، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقية الليل ، ليكونوا أقوياء فى الصراع الوشيك .

٢ - المشركون :

علم أبو سفيان بن حرب بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم لاعتراض قافلته حين رحلته الى الشام ، فخاف أن يعترضه المسلمون حين عودته .

لقد كانت القافلة حوالى ألف بعير موقرة بالأموال ، اذ لم يبق أحد من قريش رجالا ونساء لم يساهم فيها بحظ حسب امكاناته الاقتصادية حتى قوم ما تحمله القافلة بخمسين ألفا من الدنانير .

ولما تأكد أبو سفيان بن حرب من خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه للتعرض بقافلته العزلاء الامن ثلاثين أو أربعين رجلا، استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى

فبعثه مسرعا الى مكة ليستنفر قريشا الى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه .

وصل ضمضم الى مكة ، فقطع اذن بعيره ،وجدع أنفه وحول رحله، ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر ، وجعل يصيح : « يامعشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... لا أرى أن تدركوها .

الغوث الغوث ... » .

ولم تكن قريش فى حاجة الى من يستنفرها ، فقد كان لكل فرد منها فى العير نصيب .

ولما فرغت قريش من جهازها وأجمعت المسير ، ذكرت ما كان بينها وبين بنى (كنانة) من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم (كنانة) من الخلف ، وكان هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جشعم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه » ..

اذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعة لرأى دعاة الحرب وعلى رأسهم أبو جهل ، أشد الناس عداوة للمسلمين ، وعامر بن الحضرمى أخو عمرو بن الحضرمى الذى قتله المسلمون فى غزوة (نخلة) والذى يحرص على الأخذ بثأره .

ولم يتخلف من أشراف قريش غير أبى لهب الذى أرسل مكانه رجلا آخر ، كما حشد هؤلاء كل القادرين على حمل السلاح من قريش وحلفائهم .

وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم ، فلما ورد ماء (بدر) وجد عليه مجدى بن عمرو ، فسأله: « هل رأى أحدا من المسلمين » ؟ فأجاب مجدى : « لم أر الا راكبين أناخا الى هذا التل » ، وأشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان بن حرب مناخهما ، فوجد فى روث بعيريهما نوى عرفه فى علائف (يثرب) ، فأدرك

أن الرجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن جيشه منه قريب فرجع الى القافلة ليغير طريقها نحو الساحل ، تاركا (بدرا) الى يساره وأسرع فى مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين ، وأرسل أبو سفيان الى قريش يطلب منهم أن يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين •

وأرسلت قريش عمير بن وهج الجمحى ليستطلع لهم قوة المسلمين فرجع اليهم ليخبرهم : أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مدد ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله •

وتضاربت آراء قريش ، منهم من يريد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلا ؛ ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين •

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين «والله لا نرجع حتى نرد (بدرا) ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر الجذور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » •

وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « ياأبا الوليد ! انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر » ؟

قال عتبة : « وماذا ياحكيم » ؟

قال حكيم : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى » •

قال عتبة : « قد فعلت • أنت على بذلك ؛ انما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من حاله ؛ فأت ابن الحنظلية -يقصد أباجهل- فانى لا أخشى أن يشجر — أى يخالف بين الناس ويحملهم على عدم الوفاق — أمر الناس غيره » •

قال حكيم : « فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته نثل درعا — أى أخرج درعه — من جرابها ، يهنئها — أى يتفقدها ويعدها للقتال — فقلت : يا أبا الحكم ! ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا » •

قال أبو جهل : « انتفخ والله سحره ــ يقصد أن عتبة جبن ــ حين رأى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ــ كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور ؛ وفيهم ابنه تخوفكم عليه » .

وبعث أبو جهل الى عامر ابن الحضرمى فقال : « هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك، فقم فانشد خفرتك» ؛ فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ، ثم صرخ:« واعمراه ! واعمراه!» .

ولما علم عتبة بقول أبى جهل « انتفخ والله سحره » قال : « سيعلم مصفر أسته ــ أى الجبان ــ من انتفخ سحره ، أنا أم هو » !

ولم يبق مفر ولا مهرب من القتال .

١ ــ أنجز المسلمون قبل بدء القتال ما يلى :

(ا) انتخب الرسول صلى الله عليه وسلم موضعا مشرفا على منطقة القتال فى (بدر) وبنى فيه مقره ــ العريشى ــ وأمن حراسة هذا المقر .

(ب) جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف ، وساوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه وحرضهم على الصبر فى القتال .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين وهم مرابطون فى مواقعهم وقال لهم « اذا اكتنفكم القوم ، فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

(ج) كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم فى القتال أحد .. أحد .

٢ ــ دخل المسلمون المعركة بالأسلوب الآنف الذكر : مقر قيادة كامل ، وسيطرة لقائد واحد ، وأسلوب جديد فى القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو أسلوب الصف .

٣ ــ أما المشركون فقد مارسوا أسلوب قتال (الكر والفر) بدون

قيادة منظمة ولا سيطرة ، بحيث جرى قتالهم كأفراد لا كمجموعة موحدة .

٤ ـ بدأ المشركون الهجوم أولا ، اذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » فتصدى له حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا الى الحوض لاقتحامه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ ـ برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فخرج اليهم فتية من الأنصار ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ، لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ، ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة ، لذلك فان نجاحهم مضمون على رجالات قريش ، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعضع معنويات المشركين .

بارز عبيدة عتبة ، وبارز على الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وكذلك فعل على ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر على وحمزة بأسيافهما على عتبة ، فأجهزوا عليه واحتملا صاحبهما .

٦ ـ استشاط المشركون غضبا لهذه البداية السيئة ، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمهم فرسانهم ، الا أن صفوف المسلمين بقيت ثابتة فى مواضعها ، تصوب نبالها على المشركين متوخية اصابة ساداتهم بالدرجة الأولى ؛ ولم يفطن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال ، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى عليها بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويبا دقيقا والمسيطر عليها .

٧ ـ ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه يقود صفوف المسلمين ، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قادتها .. حتى تبعثرت قوات المشركين .

وحينذاك فقط أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره لقواته : « شدوا » ، ومعنى ذلك القيام بالمطاردة وبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى .

٨ ـ ابتدأت معركة (بدر) صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية ، وانتهت مساءه ، وبقى المسلمون ثلاثة أيام فى (بدر) بعد المعركة..ثم غادروها عائدين الى المدينة المنورة .

خسائر الطرفين

١ ـ المسلمون :

استشهد أربعة عشر مسلما : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

٢ ـ المشركون :

قتل سبعون رجلا وأسر سبعون أيضا .

أسباب انتصار المسلمين

١ ـ قيادة موحدة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين فى معركة (بدر) ، وكان المسلمون يعملون يدا واحدة تحت قيادته : يوجههم فى الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين فى تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقى المتين ، واذا كان الضبط أساس الجندية ، واذا كان الجيش المتميز هو الذى يتحلى بضبط متميز فقد كان جيش المسلمين جيشا متميزا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

ان معنى الضبط ، هو اطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص وأمانة واخلاص وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة نادرة واخلاص عجيب وبشوق وطيبة خاطر عظيمين ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى .

صبر فى الشدائد ، وشجاعة نادرة فى المواقف الحرجة ، ومساواة لنفسه بأصحابه ، واستشارتهم فى كل عمل حاسم وأخذه بالمشورة وتطبيقها .

رأى الخطر محدقا بأصحابه قبل المعـركة ، لأنهـم قليلـون وقريش تفوقهم عددا وعدة ... فقابل ذلك بالصـبر والتوكل على الله وشـجع أصحابه على الصبر فى القتال .

وعندما اشتـدت المعـركة نزل يخوضها بنفسه ، وحسبك شـهادة على بن أبى طالب سيد الشـجعان حيث يقـول : « انا كنا اذا اشـتد الخطب واحمرت الحـدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العـدو منه ، ولقد رأيتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العـدو) .

ولم يؤثر نفسه بمال أو راحة على أصحابه ، وقد رأيت كيف ساوى نفسه مع أصحابه حتى فى اعتقاب الابل والمشى على الأقدام .

وشاور أصحابه حين بلغـه خبر خروج قريش، وسمع رأى المهاجرين والأنصـار فى لقاء المشركين ، وقبل مشـورة أحد أصـحابه فى تبـديل معسكره فى (بدر) حين نزل بأدنى ماء منها ، فانتقل بالمسلمين الى حيث .أشـار الحباب ، وغور القلب وبنى حوضـا على القليب الـذى أتاه ، واستشار المسـلمين فى أمر الأسرى بعد المعـركة ، وعمل بالرأى الذى أبداه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ومشايعوه .

تلك مزايا القائـد المثالى فى كل زمان ومكان .

ولابد للقائد من مقر يسيطر منه على المعـركة ، فبنى العـريش فوق رابية مشرفة على ساحة المعركة ،وكان لمقره حرس بامرة آمر مسئول .

كل ذلك جعل المسـلمين يقاتلون كرجل واحد ، لغاية واحدة ، بقيادة قائد واحـد وهذا عامل من عوامل النصر فى كل حـرب : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

أما المشركون فلم يكن لهم قائـد عام : كـان أكثر سراة قـريش مع قوات المشركين ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجـلان : عتبة بن ربيعة وأبو جهـل ، وقـد رأيت كيف أنهما لم يكونا على رأى

واحد ولم يكن لهما هدف واحـد ، بل انهمـا كانا أقرب الى العـداوة منهما الى الاخـاء .

لذلك فقـد طغت الأثرة الفردية على المصـلحة العامة أثناء القتال ، وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلا لتتحدث العرب عنه ، دون أن يكترث بأثر ذلك فى نتائج المعركة .

٢ ـ تعبئة جديدة :

طبق الرسول صلى الله عليه وسلم فى (مسـير الاقتراب) من المدينة المنورة الى (بدر) تشكيلا لايختلف بتاتا عن التعبئة الحديثة فى حـرب الصحراء .

كانت له مقـدمة وقسـم أكبر ومؤخـرة ، واسـتفاد فى دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتلك هى الأسـاليب الصـحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب فى حرب الصحراء حتى فى العصر الحاضر .

أما فى المعركة ، فقدقاتل المسلمون بأسلوب : (الصفوف) ، بينما قاتل المشركون بأسلوب : (الكر والفر) .

ولابـد لنا فى بيان الفـرق بين الأسـلوبين ، لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسـلمين . القتال بأسلوب : (الكر والفر) ، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو : النشـابة منهم والذين يقـاتلـون بالسيوف ويطعنون بالرماح ، مشاة وفرسانا ، فان ثبت لهم العـدو أو أحسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا ، وهكـذا يكرون ويفـرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل .

والقتال بأسلوب : (الصفوف) ، يكون بترتيب المقاتلين صـفين أو ثلاثة صـفوف أو أكثر على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخـرى من المسـلحين بالنبـال لتسـديدها على المهـاجمـين من الأعداء .

وتبقى الصفوف فى مواضـعها بسيطرة قائدها . الى أن يفقد زخم المهاجمين بالكر والفر شدته ... عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو .

يظهر من ذلك أن أسلوب (الصفوف) يتميز على أسلوب (الكر والفر) بأنه يؤمن ترتيب القوات بالعمق ، فتبقى دائما بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التى ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوما مضادا للعدو ، أو يضرب كمينا لم يتوقعه ، أو أن يحمى الأجنحة التى يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته ، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط فى الصفوف الخلفية عند الحاجة .

ان أسلوب (الصفوف) يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، يؤمن احتياطيا للطوارىء ، ويصلح للدفاع والهجوم فى وقت واحد ؛ اما أسلوب (الكر والفر) ، فيجعل القائد يفقد السيطرة على قواته ، ولا يؤمن له أى احتياط للطوارىء .

ان تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر) ، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين ؛ والتاريخ العسكرى يحدثنا بأن سر انتصار القادة العظام هو أنهم طبقوا أساويا جديدا فى القتال غير معروف أوقاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة .

استعرض الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل القتال ، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفا وأخذ يعدل صفوفه .

وبعد ذلك خطبهم حاثا لهم على الجهاد ، وأمرهم أن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون فى مواقعهم ، وذلك بتسديد النبال الى صدور العدو ، كما أمرهم ألا يحملوا الا بأمر منه .

فلما تهاوت رجال قريش وضعفه زخم هجومهم ، أصدر الى المسلمين أمره بالهجوم ؛ ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

لقد سيطر الرسول صلى الله عليه وسلم على (الصفوف) فى دفاعها وهجومها ومطاردتها ، حتى لم يتقدم أحد للمبارزة الا بأمر منه ، ولم يقم المسلمون بأى عمل حربى الا بأمر منه أيضا .

وبذلك أمن السيطرة على قواته والاحتياط اللازم لها .. تماما كما فى الحرب الحديثة .

لقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم فى (بدر) أسلوبا جديدا فى القتال فانتصر .

٣ - عقيدة راسخة :

رأيت كيف كان جواب المهاجرين والأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم حين استشارهم فى قتال قريش .

لقد علم المسلمون بأن قريشا تفوقهم فى العدد والعدد ، وأن عدد قوات قريش ثلاثة أمثال عدد المسلمين ومع ذلك عزموا على الثبات الى النهاية كما علموا أن قافلة قريش فاتتهم ، فلم يبق هناك كسب مادى يرجونه ، ومع ذلك صمموا على القتال .

لقد كانت للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها ، هي أن تترك الحرية الكاملة لهم لنشر دعوتهم وحمايتهم ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

فما هي أهداف قريش من حربها الا أن تنحر الجزور وتطعم الطعام وتشرب الخمر وتعزف القيان ، فتسمع العرب بمسيرها ، فيهابونها أبدا بعدها كما قال أحد زعمائهم وهو أبو جهل ! !

وهل نستطيع تسمية ذلك أهدافا ، أم ذلك طيش وغرور وعصبية جاهلية ؟ !

فى هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء والاخوة بالاخوة .

خالفت بينهم المبادىء ، ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع المسلمين ؛ وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين . وكان عتبة بن ربيعه مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين .

وعندما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير الأسرى ، قال عمر : (أرى أن تمكنى من فلان - قريب عمر - فأضرب عنقه ، وتمكن

عليا من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمزه من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » •

فما الذى يدفع لمثل هذا القول الاعقيدة راسخة وايمان عظيم ،وهل يستطيع الذين لا عقيدة لهم ، ولاتحمل صدورهم الاأهواءالجاهلية وعصبية الأنانية ، وحب الظهور ، أن يقاتلوا ببسالة وشجاعة كما يقاتل أمثال هؤلاء من أصحاب اليقين الثابت ، والعقيدة الراسخة ؟

٤ ـ معنويات عالية :

شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل القتال وأثناءه ، وقوى عزائمهم ومعنوياتهم ، حتى لايكترثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد والعدد ؛ ولم تكن معنويات الكبار الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين هى العالية فحسب ، انما كانت معنويات الأحداث الصغار الذين لم يماسوا حربا ولاقتالا عالية أيضا •

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « انى لفى الصف يوم (بدر) ؛ اذا التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ؛ فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم ! أرنى أبا جهل • فقلت : ياابن أخى ، ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه

« وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين : فضرباه حتى قتلاه » ، وقد استشهد هذان البطلان فى (بدر) ، وهما ابنا عفراء : عوف ابن الحارث الخزرجى الأنصارى ومعوذ بن الحارث الخزرجى الأنصارى •

فاذا كانت معنويات الفتيان الأحداث بهذا المستوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟

لقد أثبتت كل الحروب فى كل أدوار التاريخ ، أن التسليح والتنظيم الجيدين والقوة العددية غير كافية

لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية .

لقد كان تنظيم وتسليح الايطاليين فى الحرب العالمية الثانية متميزين كما كان عددهم ضخما ، فلم يغن عنهم كل ذلك ، لأن معنوياتهم كانت منهارة !

لذلك كانوا عبئا ثقيلا على حلفائهم الألمان فى كل معركة اشتركوا فيها معهم ، بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التى تشغلها القوات الايطانية فراغا عسكريا لا يكترث به !!

ان المعنويات العالية التى كان يتحلى بها المسلمون فى (بدر) ، من أهم أسباب نصرهم فى تلك المعركة الحاسمة .

لقد كانت معركة (بدر) صراعا حاسما بين عقيدتين ... فانتصرت العقيدة التى تستحق البقاء على العقيدة التى تستحق الفناء ...

دروس من بدر

١ ـ الاستطلاع :

استفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع فى الحصول على المعلومات ، ليحولوا دون مباغتتهم وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقعها عن الأرض جيدا مفيدا .

ولقد ظهرت لنا فائدة استنطاق الأسرى الذى أجراه الرسول صلى الله عليه وسلم مع غلامى قريش قبل المعركة فى معرفة عدد قوات قريش ، كما كان استنتاج أبى سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع (بدر) ومعرفته هويتهما رائعا حقا .

ان تشبث الطرفين بالحصول على المعلومات ، حرم الطرفين من: (مبدأ المباغتة) فى الزمان والمكان ، فلم يستفد أحد الطرفين فى هذا المبدأ الحيوى فى هاتين الناحيتين أو فى احداهما على الأقل فى هذه المعركة.

٢ ـ القيادة :

برزت مزايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى القيادة بمعركة (بدر) : الشجاعة ، وضبط الأعصاب ، وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثناء وبعد المعركة ، ومساواة أصحابه مع نفسه

بكل شيء ، كما طبق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم للمعركة وأمن حراسته •

٣ ـ الضبط والمعنويات والعقيدة :

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين والمعنويات العالية والعقيدة الراسخة فى انتصار المسلمين على قريش ، وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار فى كل حرب •

٤ ـ القضايا التعبوية :

(أ) فى مسير الاقتراب :

كانت ترتيبات المسلمين فى مسير الاقتراب ملائمة جدا : مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، وراية لكل من المهاجرين والأنصار وراية عامة للقوات كلها •

كما كانت دوريات الاستطلاع أمام رتل المسلمين تحول دون مباغتتهم وتزودهم بالمعلومات عن قريش •

ان ترتيبات المسلمين التعبوية فى مسير الاقتراب تشابه تماما ترتيبات القوات النظامية الحديثة فى مسير الاقتراب فى حرب الصحراء •

(ب) فى القتال :

استخدم المسلمون لأول مرة (أسلوب الصف) فى قتالهم قريشا، بينما جمدت قريش على أسلوب (الكر والفر) ، وبذلك استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم السيطرة على قواته والاحتفاظ باحتياط للطوارىء •

لقد باغت الرسول صلى الله عليه وسلم قريشا (بالأسلوب) فى قتاله بأسلوب (الصف) والمباغتة بالأسلوب من مزايا القائد المتميز !

لقد كان أسلوب (الصف) فى القتال أسلوبا جديدا على العرب ، بينما كان أسلوب (الكر والفر) أسلوبا باليا استعملته العرب فى حروبها منذ أقدم الازمان •

(ج) كلمة التعارف :

كانت كلمة التعارف فى القتال بين المسلمين : (أحد •• أحد) ، وبذلك استطاعوا أن يتعارفوا فى المعركة •• وهذا الأسلوب متبع فى المعارك الحديثة •

ان ظروف المعركة ليست ظروفا اعتيادية ، ومن الضرورى ان يكون هناك أسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين ، خاصة وأن المسلمين والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون

فى المظهر الخارجى : فى الأشكال والثبات وفى التسليح والتنظيم ، مما يزيد أهمية كلمة التعارف ويجعل لها قيمه أعظم مما لو كان الطرفان المتحاربان يختلفان فى أشكالهم وألسنتهم وتسليحهم وتنظيمهم .

٥ ـ القضايا الادارية :

(أ) الأرزاق :

كان المشركون ينحرون بين تسعة من الابل وعشرة من الابل يوميا لتأمين الطعام الحار للمقاتلين ، وكانت هذه الابل تقدم من سراة قريش ؛ أما المسلمون فقد كانوا يكتفون غالبا بالتمر والسويق ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفة حينذاك .

(ب) الماء :

بنى المسلمون حوضا للماء فى (بدر) وملاؤه بالماء واستفادوا منه يوم القتال، أما بقية آبار (بدر) ومياهها فقد غوروها لئلا يستفيد منها المشركون .

أما المشركون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال ، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين ، فلا يستطيعون الى ذلك سبيلا .

لقد كان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير فى اندحارهم .

(ج) الغنائم :

جمع الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم المعركة وقسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل (بدر) ومن عاونهم على احراز النصر : جعل للفارس سهمين يستعين بالسهم الزائد على علف فرسه واعداده للحرب . وجعل للراجل سهما واحدا ، وجعل لورثة من استشهد ببدر حصته ، وجعل حصته لمن تخلف فى المدينة المنورة فلم يشهد (بدرا) .

لأنه كان قائما بعمل للمسلمين ، وبقى فى المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمن حرضه حين الخروج الى بدر وتخلف لعذر قبله الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان النصر فى الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط، بل يتعاون على احرازه المقاتلون فى الخطوط الأمامية والعاملون فى الخلف لتهيئة أسباب النصر للمقاتلين ، لذلك لم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم العاملين

فى الخلف بأمره وبمشورته وبتوجيهه حين قسم الغنائم بين الناس .

(و) الأسرى :

أولا – أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل أسيرين لشدة عداوتهما للمسلمين ، اذ اعتبرهما مجرمى حرب لا أسيرين اعتياديين

لقد كانا عنيفين فى عداوتهما للمسلمين حريصين على التنكيل بهم ، شديدين فى ايذاء المستضعفين منهم ، وكانا من ألد خصوم الدعوة .

ثانيا – أما الأسرى الباقون وعددهم ثمانية وستون فقد وزعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته قائلا: «استوصوا بالأسارى خيرا » ... ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال ، فكان الواحد منهم يدفع ما بين الألف درهم الى الأربعة آلاف .

أما فقراء الأسرى ، فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال .

(هـ) القتلى والجرحى :

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين ، وهذا ما يطابق تعاليم الحرب الحديثة فى وجوب دفن قتلى الأعداء .

كما عنى المسلمون بجرحى المشركين عنايتهم بجرحاهم ، فضمدوا جراحاتهم أسوة بجرحى المسلمين .

(و) التهذيب :

استفاد المسلمون من الأسرى ، المتعلمين لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، فكان هؤلاء الأبناء النواة الأولى لكتاب الوحى والقراء وحملة الثقافة الأسلامية فيما بعد .

الخاتمة

١ – كانت غزوة (بدر) الكبرى من أعظم المعارك الحاسمة فى تاريخ الحرب ، وأعظم معركة حاسمة فى فى تاريخ المسلمين ، بالرغم من قلة الذين شهدوها من المسلمين .

ولا تقاس المعارك بعدد الذين شهدوها ولا بعددهم ، بل تقاس بنتائجها على المتحاربين من الطرفين .

وقد كانت نتائج غزوة (بدر) الكبرى ، باهرة جدا ، لأنها رفعت معنويات المسلمين وشدت أزرهم وجعلت لهم مكانة عالية بين قريش وسائر أعداء الأسلام ، يحسبون لهم ألف حساب .

كما أن هذه الغزوة كانت تجربة عملية للعقيدة الاسلامية ، فانتصرت العقيدة السليمة على العقيدةالفاسدة

٢ ــ وقد أنزل الله الملائكةلمعاونة المسلمين ، فاختلف المفسرون فىنوع تلك المعاونة ، فقال قسم منهم بأنها كانت معنوية ، وقال قسم آخر بأنها كانت مادية .

وأرى أنها كانت مادية ومعنوية على حد سواء ، والله ينزل ملائكته فى كل معركة يخوضها المسلمون الصادقون ، والنصر من عند إلله وحده ، يحبو به أولياءه الصادقين وصدق الله العظيم : (وماالنصر الا من عند الله) .

٣ ــ وقد زعم أعداء الأسلام ، أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابة خرجوا من أجل الاستيلاء على قافلة قريش المثقلة بالأموال ، لذلك كان خروجهم لأغراض اقتصادية !

ولو كان الأمر كذلك لعاد النبى صلى الله عليه وسلم أدراجه الى المدينة المنورة بعد علمه بنجاة قافلة قريش ، ولما تقبل معركة حاسمة تجاه تفوق العدد عليه ماديا ومعنويا

انطريق ــ مكة ــ تبوك ــ الشام، هو الطريق الحيوى لتجارة قريش، وتهديد هذا الطريق من المسلمين كان لغرض فرض الحصار الاقتصادى على قريش مما يؤثر فى تجارتها ــ وهى قبيلة رزقها على التجارة ــ أسوأ الأثر .

وهناك فرق عظيم بين فرض الحصار الاقتصادى ، وبين الربح المادى، اذ لم يكن المسلمون يهتمون بالناحية المادية ، بل كانوا يهتمون باعلاء كلمة الله .

٤ ــ لقد كان فضل الله على المسلمين عظيما فى احراز النصر يوم (بدر) ، ولو هزم المسلمون لتبدل

الحال غير الحال • وقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم أهمية النصر فى هـذه الغزوة الحاسمة ، لذلك دعا ربه قائلا : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد أبدا » ، لهذا كان مولد النصر فى (بدر) هو مولد الدولة الاسلامية •

وقد زرت مقبرة شهداء يوم (بدر) قبل شهرين ، فوقفت أمام الـذين ضحوا بحياتهم رخيصة من أجـل الاسلام عقيدة وتشريعا ومثلا عليا مترضيا عنهم مترحما عليهم ، مكبرا تضحيتهم مقدرا فضلهم •

فمن أراد أن يعيش على الأرض فى الجنة ، بمافيها من جلال وجمال ، فلا يبخل على نفسه بزيارة مقبـرة الشـهداء البدريين الأبرار عليهم رضوان الله •

وهذه قائمة باسمائهم ، تذكـر المسلمين فى كل زمان ومـكان ، بأروع الأمثلة على تقبل الاسـلام بما فيه من تضحية بالأموال والأنفس والفداء •

رضى الله عن شهداء غزوة (بدر) الأبـرار ، ورضى الله عن الـذين شهدوا (بدرا) من المؤمنين الأخيار •

وصلى الله على سـيد القادات وقـائد السادات ، رجل الرجـال وبطل الأبطال ، امام المجاهـدين وقائـد الغر المحجلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين •

شهداء المسلمين فى بدر رضى الله عنهم

المهاجرون :

١ ــ عبيــدة بن الحــارث بن عبد المطلب بن عبد مناف .

٢ ــ عمير بن أبى وقاص أخــو سعد بن أبى وقاص ، قتل يومئــذ وله ستة عشر عاما .

٣ ــ ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعى ، حليف بنى زهرة .

٤ ــ عاقل بن البــكير الليثى ، حليف بنى عدى بن كعب .

٥ ــ مهجع مولى عمر بن الخطاب

٦ ــ صفوان بن بيضاء ، من بنى الحارث بن فهر .

الأنصار :

(أ) الأوس :

٧ ــ سعد بن خيثمة بن عمر بن عوف .

٨ ــ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر

(ب) من الخزرج :

٩ ــ يزيد بن الحارث بن فسحم ابن الحارث بن الخزرج .

١٠ ــ عمير بن الحمام (من بنى سلمة) .

١١ ــ رافع بن المعلى (من بنى حبيب بن عبد حارثة) .

١٢ ــ حارثة بن سراقة (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

١٣ ــ عوف بن عفراء (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

١٤ ــ معوذ بن عفراء (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٩٧٧/٨٨٢١-١٠٠٠٢

ENGLISH SECTION

quering Mekka; in Belal climbing up the Ka'aba for the Azan ; in the methods of preaching the rights of women, neighbours, the rights of Moslems towards each other, the behaviour of warriors, etc.

Historical facts are distorted in all of the above scenes. I liken the film-makers' attempts to produce the film to men who try to destroy rock by butting it with their heads. This has been the case with all films that have touched upon religion.

I would like to make clear that I did not write the above out of religious fanaticism or merely out of a desire to oppose a work that has made a lot of money, for the film may have had good intentions.

When I went to see the film I was influenced by friends who had already seen the film. They liked the scenes showing the cruelty of Quraish unbelievers in torturing the moslems and then triumph of religion and its expansion over the world. These views are superficial emotions which cannot affect the essence of being, since they do not comply with the essence and nature of reality. Emotion is the exact opposite of the stability of solid reality which is not subject to change.

I maintain that the film concealed the true nature of Islam instead of revealing it. It gave only a distorted view of its premises, teachings and subsequent expansion, and neglected the important aspects relating to the appearance of the Prophet with the predictions of both Jewish and Christian religious leaders, and the fact that it assures the other divine religions and helps Moslems feel confident of their teachings and prophets :

"The Messenger believes in what was sent down to him from his Lord and the believers; each believes in God and his Angels, and his books and his messengers; we make no division between any of his messengers, They say, "we hear, we obey".

Life in Quraishi society was governed by moral laws and traditions, full of meaning and manners.

That is why the negative aspect of the film is much stronger than the emotions experienced by the viewers who did not know the greatness and majesty, which was concealed and even damaged by the film.

The film will be classified by its title amongst films and not amongst Messages. I have dealt with the title as such, which resulted in the style of this article and although I quoted verses from the Quran, I did so in the context of the title and not the film itself.

H. K.

a hero who appeared in obscure circumstances and created huge happenings. The story then leaps to universal effects and ends suddenly with the hero disappearing with his companions right at the moment when the picture is at its peak. The lights are turned off suddenly in the theatre leaving the audience in darkness and confusion similar to what they encountered at the beginning of the film.

I feel now that there is a lot to say. Let us leave the limited world of the cinema and concentrate on the unlimited world of religion and ideals directed at the uplifting of man's intelligence through God, coupled with the use of science and action. God created all for man's sake, for him to use and enjoy his mind and talents in discovering the secrets of being.

This, however, would take us away from the subject of this article, the film "The Message" which has brought huge profit for its makers and immense loss for its viewers, so I will restrict myself to the impression the film made on me, and make the following points :

1. The film proved one thing- that religion is not too huge a subject for the cinema to tackle, but that film industry showed its total inability to cover even the simplest aspects of the subject.

2. Zealous followers of religion, either moslems, Christians or jews, should try to prevent any attempt by film-makers to touch upon religious prophets and their apostles who carry the message from generation to generation. Religious zeal should be strengthened to the point that it would frighten those who lower the values of religion to the level of musical stories. The divine religions- Islam, Christianity and Judaism - should be defended from mockery.

3. The historical characters shown in the film are falsified. Hamza, Belal and Ali for examples were, in reality, different from the film characters. They were known for their good manners and their humility and for lowering their voices in the presence of the Prophet. They were free from the convulsive tensions shown in the film. The Prophet himself described them as seated in his court calm, loving and respectful. They wouldn't even look in each other's face from respect.

There are other scenes in the film rejected by moslems for their inconsistency with historical facts. Such scenes appear in the confrontation between the moslems and the Quraishi at Hudaibiya and on con-

Anyone with the Message of Islam must realise that these preparations are non-existent in the film. The absence of this important element makes the film pointless because the Message was cut off from its natural premises, premises which would have prepared the viewer to accept a Message that comes otherwise as such a surpise.

Islam is not the only message on Earth ; it is essentially no different from other Divine messages. Viewers would want to know the relationship between Islam and their own religion. They would look for the natural course of events that resulted in the Message of Islam. A simple fact about faith is that a Divine message would not appear without it being needed, and when it had the points of agreement with preceding messages would probably be seen in a new light.

In short, the viewers, followers of Divine messages, longed to see a systematic display of religious unity, using selected quotations from Divine religious teachings which do not differ, and also the purposes behind these teachings. The purposes of creation are reversed by earthly event which lead to discord and disunity.

God created man in Adam and created woman from him. He could have created her separately but His supreme will was aimed at the unity of a human being.

What is the purpose of creation ? It is explained by the Message of Islam :

"Oh People ! We created you from one male and one female.

And We made you into nations and tribes.

So that you may become acquainted. . . . ."

Acquaintance is the result of one reality, *i.e.* the absolute equality of of being.

Differences between men result from their "action", the good and evil which are the two lines of behaviour and existence. Good leads to deserved dignity until the day man leaves for the land of eternal, unchanging, uncomprehended bliss.

Evil, however, leads its followers to personal and public tragedy known well to the present generation, for standards today have been shaken and extinguished.

Funerals are held for virtue, either in grief by those who have understood it, or with obscene music played happily for its collapse.

The realities which all religions agree upon should have been used as a prologue to the film, thus preparing the audience for what comes next.

The film starts, however, with a surprise as if it told the legend of

' THE MESSAGE '

I saw the film 'The Message' on a London screen and I think it is my duty to give the impression the film made on me, together with my remarks :

The film deals with historical, religious and revolutionary facts which are beyond the potential of the cinema.

The subject is too great, miraculously great, to be so confined. No-one can limit a full sun to a frame or even to many frames, in order for the naked eyeto garasp its immensity or even to come anywhere near its real magnitude.

The same applies to all God's creations, available for the human intelligence to discover their dimensions and the great realities that exist therein. No mind can approach these dimensions for they reach to eternity :

"say : If the sea was ink for my Lord's words,
It would have exhausted before
My Lord's words have exhausted.
Even if another sea was brought to the aid...

The beginnings of the Islamic Message are in the Divine preparations for its existence, in the Worlds that include the times and places and the sempiternal generations ; preparations through Divine Messages that preceded Islam, with all the accepance and refusal, resistance and support, reward and punishment, ebb and flow that they encountered, and with the designation of places, times and peoples for these Messages.

This is a necessary prologue that should prcede the survey of the film. It is necessary to realize the close links and interaction between those earlier Messages and the conclusion that)was the Message of Islam. This aspect of Islam is greater than all the speculative and technical facilities available to the cinema. The cinema is unable to transmit this, thus giving a false vision of the reality of these historic sequences that resulted in the Message of Islam.

This film is offered to a generation confused by the rebellion of materialistic mind against a spirit disposed to a belief in God, a confusion resulting in the restlessness and instability of modern man.

These essential preparations are impossible in a film treatment : consequently it fails in its attempt to describe the absolute being that God has created in such a precise form. All man can do is watch its mysteries submissively and remain content with the glory of its symbols.

And if God is the Creator, the Master, and the Sovereign then who would be a greater rebel the man who uses God's creation against His injunction - who makes his mind think against God, harbours in his heart thoughts against Him, and uses his various faculties against the Sovereign's Will. If a servant betrays his master you denounce him as faithless. If an officer becomes disloyal to the state you dub him as traitor and renegade. If a person cheats his benefactor you have no hesitation in condemning him as ingrate. But what match can this betrayal, this ingratitude, and this rebellion have to the one which the disbeliever commits by his "Kufr" ? After all, who is the real mainspring of all power and authority ? Who gave man command over the resources ? Who elevated people to positions of high authority and power ? All that a man has and all that he uses for the benefit of others is a bestowal of God ? The greatest obligation that man owes on this earth is to his parents. But who has implanted the love of children in the parent's hearts ? Who endowed the mothr lilith the will and power to nurture, nourish, and feed her children ? Who inspired the parents with the passion to spend everything in their possession for the well-being of their children ? A little reflection would reveal that God is the greatest benefactor of man. He is his Creator Lord, Nourisher, Sustainer, as well as his real King and Sovereign.

(to be Continued

reality, approach the true perspectives of knowledge ? How can the vistas of truth and knowledge be opened to such a man ? How can one who has made the wrong beginning reach the right destination ? He will fail find the clue to Reality. The Right Path will remain concealed for him and whatever be his endeavours in scinces and arts, he will never be able yo avail himself of the lights of truth and wisdom. He would be groping in the dark, and stumbling in the gloom of ignorance.

Not only that ; "Kufr" is also tyranny, nay, the worst of tyrannies. And what is "tyranny" ? It is an act of cruel and unjust use of any force or power. If you force a thing to act unjustly or to act against its true nature, its real will and its inherent attitude, - that is tyranny, root and branch.

We have seen that all that is in the univerrse is obedient to God, the Creator,. To obey, to live in accordance with His Will and His Law or (to put is more precisely) "to be a Muslim" is ingrained in their very nature. God has given man power over these things, but it is incumbent in the very nature of these things that they should be be used bar the bulfelment of His Will and not otherwise. But one who disobeys God and resorts to "Kufr" is the person who peroetrates the greatesti njustice, for he uses all these powers of body and mind to rabel against the course of nature and becomes an unwilling instrument in the drama of disobedience. He forces hishead to bow down befor deities other than Gos and cherishes in his heart the love, reverence, and fear of other powers in utter disregard to the instinctive surge of these organs. He uses hisown polders and all those things upon which he has authority against the explicit Will of God and thus establishes a reign of tryanny. Can there be any greater injustice, tryanny, and cruelty than that exhibited by this man who exploits and misuses everything under the sun and unscrupulously forces them to a course which affronts nature and justice ?

"Kufr" is not mere tyranny ; it is, to say the least, sheer rebellion, ingratitude, and infidelity. After all, what is the reality of man ? What is his power and authority ? Is he himself the Creator of his mind, his heart, his soul, and other organs of his body - or have they been createdby God ? Has he himself created the universe and all that is within her - or has it been created by God ? Who has harnessed all the powers and energies for the service of man - or God ? If everything has been created by God and God alone, then to whom do they belong ? Who is their real owner ? Who is their reightful sovereign ? verily, it is God and none else.

The Nature of 'Kufr' :

In contrast to the man described above, there is the man who, although born Muslim and unconsciously remaining one throughout his life, does not exercies his faculties of reason, intellect, and intuition for recogising his Lord and Creator and misuses his freedom of choice by choosing to deny Him, Such a man becomes an unbeliever-in the language of Islam 'Kafir'.

'Kufr' literally means 'to cover' or to 'conceal'. The man who denies God . is called 'Kafir' (concealer) because he conceals by his disbelief what is inherent in his nature and embalmed in his own soul-for, indeed, his nature is instinctively imbueld with 'Islam'. His whole body, every sinew and every fiber, functions in obedience to thet instinct. Each and every particle of existence living or lifeless-functions in accordance with (slam' and is fulfilling the duty that has been assigned to it. But the vision of this man has been blurred, his intellect has been befogged, and he is unable to see the manifest. His own nature has become concealed from his eyes and he thinks and acts in utter diregard of it. The reality becomes estranged from him and he gropes in the dark such is the nature of 'Kufr'.

'Kufr' is a form of ignorance, rather it is ignorance, pure and simple, What ignorance can be greater than to be ignorant of God, the Creator, the Lord of the universe ? A man observes the vast panorama of nature, the superb mechanism that is ceassaselessly working, the grand design that is manifest is every nook and corner of the creation-he observes this vast machine, but he does not know who is its Maker and Director. He looks to his own body, the wonderful organism that works in the most superb way, and uses it to achieve his own ends but is unable to comprehend the Force that brought it into existence, the Engineer Who designed and produced this machine, the Creator Who made the unique living being out of lifeless stuff : carbon, calcium, sodium, and the like. He witnesses a superb plan in the universe-but fails to see the Planner behind it. He sees great beauty and harmony in its working-but not the Creator of this all. He observes wonderful design in nature-but not the Designer. In the universe all round him he observes the choicest demonstrations of skill in science and wisdom, mathematics and engineering, design and purpose, but he blinds himself to the Being Who brought all this vast incomprehensible universe into existence How can a man, who has blinded himself to this great and significant

think and form judgments to choose and reject, and to adopt and spurn. He is free to adopt whatever course of life he chooses. He can embrace any faith, adopt any way of life and formulate his living acerding to whatever ideologies he likes. He may preparre his own code of conduct or accept one formulated by others. Hehas been bestowed with "free-will" and can chalk out his own course of behaviour. In this latter aspect, he, unlike the other creatures, has been given freedom of thought, choice, and action.

Both these aspects distinctly co-exist in man's life.

In the first he, like all other creatures, is a born Muslim, invaribly obeys the injunctions of God, and is bound to remain so. As far as the second aspect is concerned, he is free to become or not become a Muslim. Here he has been given the freedom of choice and it is the way a person exercises this freedom which divides mankind into two groups ; believers and non-believers. An individual who chooses to acknowledge his Creator, accpets Him as his real Master, honestly and scrupulously submits to His laws and injunctions and follows the code. He has revealed unto man for his indivdual and social life thereby, becomes a prfect Muslim. He has, so to say, achieved completeness in his Islam by consciously deciding to obey God in the domain in which he was endowed with freedom and choice. Now his entire life has become one of submission to God and there is no conflict in his personality. He is a perfect Muslim and his Islam is complete-for his submission of his entire self to the will of Allah is Islam and nothing but Islam.

He had now consciously submitted to Him Whom had already been unconsciously obeying. He has now willingly offered obedience to the Master Whom he already owed the Master Whom he already owed obedience unintentionally. His knowledge is now real for he has acknowledged the Being Who endowed him with the power to learn and to know. Now his reason and judgment are set on an even keel-for he has rightly decided to obey the Being Who bestowed upon him the faculty of thinking and judging. His tongue also is truthful for it expresses with conviction its confession of the Lord Who gave it the faculty of speech. Now the whole of his existence is an embodiment of truth for, in all spheres of life, he voluntarily as well as involuntarily obeys the laws of the same One God-the lord of the Universe. Now he is at peace with the whole universe for he worships Him Whom the whole universe worships. Such a man is God's vicegerent on earth. The whole world is for him and he is for God.

own laws. Matter, energy, and life - all obey their laws and grow and change and live and die in accordance with those laws. Even in the human world the laws of nature are quite manifest. Man's birth, grwoth, and life are all regulated by a set of biological laws. He dervies sustenance from nature in accordance with an unalterable law. All the organs of his body from the small tissues to the heart and the brain are governed by the laws prescribed for them. In short, ours is a law-governed universe and everything in it is following the course that has been ordained forit.

This powerful, all-pervasive law which governs all that comprises the universe, from the tiniest specks of dust to the magnificent galaxies in high heavens, is the law of God, the Creator and Ruler of the universe. As the entire creation obeys the law of God, the whole universe, therefore, literally follows the religion of Islam for islam signifies nothing but obedience and submission to Allah, the Lord of the universe. Thesun, the moon, the earth, and all other heavenly bodies are thus "Muslim". So is the case with air, water, and heat, stones, trees and animals. Everything in the universeis "Muslim for it obeys God by submission to His laws.Even a man who refuses to beleve in God, or offers his worship to someone other than Allah has perforce to be a "Muslim as far as his bodily existence is concerned. For his entire, life, from the embryonic stage to the body's dissolution into dust after death, and every tissue of his muscle and every limb of his body follow the course prescribed for each by God's law. His very tongue which, on account of his ignorance advocates the denial of God or professes multiple deities, is in its very nature a "Muslim". His head which he wantonly bows to others besides Allah is a born Muslim. His heart wherein, through lack of true knowledge, he cherishes love and reverence for others is "Muslim" by intuition. These are all obedient to the Divine Law, and their functions and movements are governed by the injunctions of that law alone.

This, in short, is the real position of man and the universe. Let us now examine the problem in a different light. Man is so constituted that there are two aspects of his life : two distinct spheres of his activity. One is the sphere in which he finds himself totally regulated by the Divine Law. He cannot budge an inch or move a step away from it. Nor can he evade it in any way or form. In fact, like other creatures, he is completely caught in the grip of the law of nature and is bound to follow it. But there is another sphere of his activity as well. He has been endowed with reason and intellect. He has the power to

THE MEANING OF ISLAM

By

Moulana Abul A'ala Maududi

Every religion of the world has been named either after the name of its founder or after the conmunity nity and nation in which that religion took its birth. For instance, Christianity takes its appellation from the name of its prophet Jesus Christ ; Buddhism from its founder Gautama Buddha; Zoroastrianism from its founder Zoroaster ; and Judaism, the religion of the Jews, from the name of the tribe Judah (of the country of Judea) wherein it took its birth. Similar is the case with other religions. But not so with Islam. This religion enjoys the unique distinction of having no such association with any particular person or people. The word "Islam" does not convey any such relationship - for it does not belong to any particular person, people or country. It is neither the product of any human mind nor is it confined to any particular communtiy. It is a universal religion and its objective is to create and cultivate in man the quality and attitude of "Islam".

"Islam", as a matter of fact, is an attributive title. Whosoever posseses this attribute, may belong to any race, community, country, or clan, is a Muslim. According to the Quran (the Holy Book of the Muslims), among every people and in all ages there have been good and righteous people who possesses this attribute - and all of them were and are Muslims.

This automatically brings us to the question : What does Islam mean ? And who is a Muslim ?

Islam - What does it mean ?

"Islam" is an Arabic word and conotes submission, surrender, and obedience. As a religion, Islam stands for complete submission and obedience to Allah - and that is why it is called "Islam".

Everyone can see that the universe we live in is an orderly universe. There is law and order among all the units that comprise this universe. Everything is assigned a place in a grand scheme which is working in a magnificant and superb way. The sun, the moon, the stars and in fact all the heavenly bodies are knit together in a splendid system. They follow an unalterable law and do not make even the slightest deviation from their ordained course. The earth rotates on its own axis and in its revolution round the sun scrupulously follows the path laid down for it. Similarly, everything in the world, from the little wirling electron to the mighty nebulae, invariably follows its

or detestable thing ; abandoning slander and lying and keeping out of hearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink".

Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting. He touches neither food nor drink simply because he believes that it is the commandment of God, that he should not do so. In the inner recesses of his house there is no one to see him if he pours down his dry and burning throat a glass of water, yet there has developed in him the sense of the Presence of God to such an extent that he would not put a drop of it on his tongue. Not only whenever a new temptation comes before his he overcomes it because just there is an inner voice "God is with me and He sees me". Thus a new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking has been awakened in him, and this the highest value established through fasting.

organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

The exercise of abstaining from everything that is not allowed, sterngthens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardships of life, and increase his powers of resistance. The man who can face the hardships of life, is able to live at times without his usual comforts and can be fit for a healthy social life in all times and climes.

Moral medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for certain period. Some opinions have called for fasting a day in every week, others have limited fasting to a week in every month but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

It has been discovered lately that increase of uric acid in the body causes many dangerous diseases to all systems of the body. Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to the decrease of the harmful activity of intestinak microbes and restricts their secretion of poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting may be considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character. Fasting is one of the means which creates honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, finds himself thirsty and leaves water which is near him untouched. It also creates honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God, then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientific ways just as overlooking every unlawful

and there is a great mass movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

Referring to the object of fasting the Holy Quran says :

« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • »

(البقرة : ١٨٣)

It means : "O ye who believe ! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off evil". (2 : 183)

« ... وان تصـوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » •

(البقرة : ١٨٤)

It means. " .... and that ye fast is better for you if ye did but know".

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but affects the Muslims everywhere.

Also this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is that he is thus taught to conquer his desires, specially his physical desires ; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, instead of being the slave of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will-power is so developed that he can command himself.

The rich and the poor, the high and the low, the master and the servant, the ruler and the ruled, the black and the white, go through a similar experience for a whole month, When the rich are made to feel the pangs of hunger like the poor and go without food for a day, this course undoubtedly awakens sympathy for the poor in the hearts of the rich and thus a great social barrier that exists between the two classes will be removed. It is for this reason that the helping of the poor is especially enjoined in the month of Ramadan.

In addition to its social values fasting has many physical values. The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAMADAN 1397 | ENGLISH SECTION | AUGUST 1977

WHY THE MONTH OF RAMADAN IS CHOSEN FOR FASTING ?

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

It is well-known that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim Community. It will be seen from the words of the injunction that laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . »

(البقرة : ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction; therefore whoever of you witnesses this month, he shall fast therein." (2 : 185)

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all relaigions, though the forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order. On the other hand it is due to the choice of a particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny creasent of Ramadan they change the course of their daily lives,

مدير التحرير
والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن ـ السنة التاسعة والاربعون ـ شوال/ذو القعدة سنة ١٣٩٧هـ
اكتوبر / نوفمبر ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر علماء المسلمين فى رحاب الأزهر

للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

ينعقد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الأسلامية ـ بعد غيبة... فى رحاب الأزهر .

والأزهر اذ يفتح ذراعيه الحانيتين، ليضم اليه علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم الاسلامى . يؤكد بذلك رسالته الخالصة لدين الله ، ويجدد العزم على مواصلة السير فى طريقة التاريخى ..

لقد مكث الأزهر ألف عام ولايزال يقوم على المحافظة على اللغة العربية والدين الاسلامى .

ولقد حفظ اللغة العربية ، ووقف فى وجه كل النزاعات التى أرادت

بها شرا ، انه وقف فى وجه الدعوة الى العامية .

ووقف فى وجه الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وانى لأعلن هنا فى غير لبس أو غموض أن كل دولة اسلامية اتخذت الحروف اللاتينية لكتابتها انما فعلت ما يغضب الله ورسوله ، وما يمقته الله ورسوله والذين يسوءون باثم ذلك هم المنفذون والراضون بالتنفيذ .

وأنه يجب على المؤمنين وجوبا دينيا أن يعارضوا ذلك وان يثوروا ضده ، وأن يضعوا الحروف العربية ــ حروف القرآن ــ محل تلك الحروف ...

وقام الأزهر طيلة قرون على الحفاظ ، على العقيدة الاسلامية .

ووقف فى وجه هذا الغزو الفكرى الآتى من الشرق أو من الغرب .

ان للأمة الاسلامية رسالة هى رسالة الله الى العالم : آخر الرسالات طبعها الرحمة لكل عوالم الله فى الأرض وفى السماء ، ومن مبادئها العلم وتزكية النفس « يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وهذه الرسالة ــ نقية صافية ــ هى المبرر لوجود الأمة الاسلامية :

فاذا ما نجح الغزو الفكرى فى الخروج بهذه الرسالة عن طابعها الربانى فانه لا يوجد ما يبرر وجود أمة الاسلام .

ولقد قام الأزهر طيلة قرون فى وجه الزحف الفكرى ليعلن للناس رسالة الله آخر الرسالات صافية نقية .

ومن هنا كان المسلمون ــ فى مشارق الأرض ومغاربها ــ يدينون للأزهر بالفضل يدينون جميعا له بالفضل فى عقيدتهم ، وتدين له الدول العربية بالفضل فى الدين واللغة .

وكان الأزهر وما زال مقدسا عند هذه الشعوب ، واذا سار شيخ الأزهر فيها امتدت اليه الأعين ، وأصغت اليه الأذن ، وهفت اليه الأفئدة ، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم .

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتخرجين من الأزهر ، والذين يلبسون الزى الأزهرى .

وهذه المكانة للأزهر يعترف بها المستعمرون والمبشرون ، يقول أحدهم : ان العمامة البيضاء فى افريقيا السوداء أخطر علينا من القنبلة الذرية .

لا يتأتى لنا الاستقرار فى هذه البلاد ما دام الأزهر موجودا .

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تحاول النزول بالأزهر عن مكانته ومن أهم هذه العوامل هذا الاستعمار وهذا التبشير : وتتبين مما سبق أنه كان لا بد فى نظر أعداء الاسلام من هدم الأزهر .

وبدأت عوامل الهدم :

بدأت السخرية بعلماء الأزهر ، سواء أكان ذلك فى المراحل الأولى من التعليم أو فى المراحل النهائية ، أو من المتخرجين والعلماء ، بدأ ذلك فى التمثيليات ، وفى الأفلام ، وفى الصحف ، وفى المجلات .

وكان المثل الصارخ هو تلك القصة التى كتبها أحد كبار الكتاب بفرنسا واتخذ من قسيس فيها مجالا لسخريته وتهكمه ، فاذا بالتليفزيون يخرجها أياما متوالية متخذا فيها « شيخا » مجالا لتهكمه وسخريته ، ولم يجد المخرج أو المشرف من يقول له : ان هذا انحراف ولم يعاقبه أحد ولم يسىء اليه انسان .

وهذه الأقلام المأجورة التى تكتب هنا وهناك عن التشكيك فى الدين وفى القيم الأخلاقية وفى الهجوم على التشريع الالهى !! انها لا تجد من يقول لها : انك أقلام مأجورة ، وان أقل ما يمكن فى أمثال أصحابك أن يزجوا فى السجن لتخرس فيهم الألسن .

ان لكل بلد مقدسات ، ومن مقدسات أمريكا مثلا النظام الرأسمالى ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعى ، وهذه المقدسات لا تمس .

أليست العقيدة من المقدسات التى لا تمس ؟

ان المنحرفين عقديا ، والمنحرفين أخلاقيا ، والمنحرفين اجتماعيا على

اختلاف ألوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا فى الأقطار العربيـة والاسـلامية ، فلا يجـدون من يردعهم .

وتتكاتف الأقلام «المـأجورة» ، والأقلام المسـتوردة أو المنحرفة ، ووسـائل الاعلام فى العمـل على التشـكيك فى العقيـدة والقيم الأخلاقية والتشريع الربانى ، ونشر التحلل الأخلاقى بكل الطرق .

وهـذه الآراء المسـتوردة التى تتنـافى مع الدين ومع الفضـيلة ، والتى يروجها اليهود فى كل مكان : هل تجد من يقف فى وجهها .

ان قراءة كتـاب « بروتوكولات حكماء صهيون » مفيد كل الافادة لمعرفة المخطط الخبيث الذى يقوم بتنفيذه اليهود .

انهم يتبنون كل فكرة منحرفة ، وكل رأى ضـال ، ويحاولون عن طريق الصـحافة والكتب والاذاعة الترويج لكل منحـل ، واذاعة كل فاسـد .

لقـد تعاهدوا فى مواثيقهم على نشر آراء طائفـة معينة من الذين اتخذوا مهنة ابليس فى العمل على افساد العـالم ، والترويج لها .

انهم يقولون :

نحن الذين وتبنـا نجـاح كارل ماركس .

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعى والربانى فى الاقتصـاد عن طـريق المذهب الشـيوعى ، وهو مذهب يتنافى مع الطبيعة ومع الأديان .

وهو ـ من أجل معارضة الأديان له ـ يدعـو الى ازالة الديـن ، ويقولون عنه :

انه أفيـون الشعوب .

لمـا قيـل له : ولكن لابد من بديل عن الدين لأن الناس لايعيشون بغير عقيدة قال : ان البديل للدين هو المسرح ، ألهـوهم بالمسرح ، انشروا المسرح فى كل مكان فيجد فيه الناس البديل عن الدين ، ثم ان الشيوعية عقيدة .

وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه الشيوعية وهى لا تنال من الدين بأسلوب فيه هوادة ورأفة ، وانما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عنيف قاس .

انها مجازر تقام ، ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتفنن فى التعذيب ، أما الخراب فانه ثمرة كل ذلك .

وكارل ماركس يهودى ، ويقول اليهود فى بروتوكلاتهم :

نحن الذين رتبنا نجاح داروين .

وداروين هوصاحب نظرية التطور أو النشوء والارتقاء ، أو كما يقول التعبير الشعبى الانسان أصله قرد .

وهى نظرية تتنافى مع كل الأديان التى ارتقت بالانســـان معبرة عن الحقيقة الكريمة : الانسانية أصلها آدم : خلقه الله بيديه ، وسواه ونفخ فيه من روحه ، وبدأ اقامته بالجنة .

وفرق هائل بين النظرتين :

ونظرية داروين لم تثبت ، وهى فى كل يوم تزداد ضعفا وتوشك الأوساط العلمية أن تلفظها نهائيا .

ان الانسانية متطورة فى العلوم المادية المكتسبة ، وهذه حقيقة لا جدال فيها : لقد تطورت من الابرة الى ماكينة الخياطة ، هذه الماكينة التى تطورت هى الأخرى من حال الى حال .

وتطورت فى وسائل طهى الطعام . وتطورت وما زالت فى جميع أدوات الطب والآلات الهندسية .

ولكن الفكر ـ عقيدة وأخلاقا وتشريعا ـ والذهن ، والذكاء ، والعقل : ان كل ذلك لا تطور فيه ، والفرق عن الانسانية الحالية علومها المادية وما اكتسبته من من ثقافة حسية متوالية مرتب بعضها على بعض ، تجدها هى الانسانية التى كانت قبل التاريخ فكرا وعقلا وذكاء

هذا هو الواقع ، أما اذا قلت ان الانسانية متطورة عقلا وذكاء وذهنا ، فانك تكون قد هدمت كل القيم الفاضلة بجرة قلم ، وذلك انه مادامت الانسانية ـ فكرا وعقلا وذكاء وذهنا ـ متطورة ، فان كل

قيمها الفاضلة الحالية نسبية متطورة معها ، فلا يتأتى الحديث عن حق فى العقيدة ، أو عن حق فى الأخلاق ، أو عن حق فى التشريع ، أو عن حق فى نظام المجتمع ، وتنهار بذلك الأخلاق والأديان ، والقيم والمثل ، ولايصبح للانسانية الا الشهوات والغرائز •

اذا أخضعت القيم العليا للنسبية وللتطور فلا قيم ، وثمرة نظرية دارون أو خرافة دارون انما هى هدم القيم العليا •

ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحها •

ويقول اليهود :

نحن الذين رتبنا نجاح فرويد •

وفرويد هو العالم اليهودى المزيف ، ونظريته أكبر مثل على التزييف الذى يتحالف فيه المزيف مع الشيطان ليفسدا الانسانية فى النظرة الى فضائلها ومثلها ومكارم الأخلاق فيها •

انه يعزو — يا للسخافة — كل عمل وكل سعى الى باعث من الغريزة الجنسية ، وليس سعى الانسانية الا نوعا من ارضاء هذه الغريزة •

ورتب اليهود نجاحه ليحطوا بالانسانية من مثل عليا وقيم ومكارم أخلاق الى غريزة هى الغريزة الجنسية •

الرحمة : الرأفة ، العطف على اليتيم والمسكين ، الشعور بضرورة العدالة ، الانصاف ، تزكية النفس ، المروءة ، كل ذلك فى أساسه — انما هو الغريزة الجنسية •

وليس بغريب أن يقول فرويد اليهودى ذلك ، وليس بغريب أن يرتب اليهود نجاحه من أجل ذلك ، لأن فى ترتيب نجاحه هدما بمعاول من فولاذ لكل المثل الدينية الكريمة •

ويقول اليهود : نحن الذين رتبنا نجاح نيتشه •

ونيتشه هو المنكر للأديان وللألوهية والأخلاق ، وهو يجدد دعوة أبيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع •

انه يقول : اذا كان استمتاعك فى أن تسيل الدماء أنهارا ، وأن تمشى على رءوس بنى البشر فلتفعل .

وهو الذى يقول : ان ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل انما هو ضعف فى الطبيعة .

ومن سخرية المقادير أن هتلر طبق على اليهود نظريات نيتشه فأقاموا الدنيا وأقعدوها صريخا وولولة واستغاثة ، وكان ما فعله هتلر هو نوع من ثمرة دعايتهم لنيتشه ، فلقد طبق عليهم نظريات من رتبوا نجاحه .

ان اليهود رتبوا نجاح هؤلاء ، ورتبوا نجاح كل مفسد ، ونشروا كل موبقة ، ودعوا الى كل انحراف ، وفعلوا ذلك عن تخطيط ، هو افساد الانسانية ليسودوا من وراء ذلك ، ويتمكنوا ، ويسيطروا على العالم .

ووقف الأزهر فى وجه كل ذلك ، وقف كالطود الراسخ يدافع عن الذاتية الاسلامية ، ويحاول فى صمود لا يلين أن ينفى عن الذاتية الاسلامية الدخيل والغزو الفكرى ، وما لانت قناته يوما ما .

وكان لا بد من النيل منه فى أسلوب متستر ، أو فى أسلوب سافر ــ ودأب الذين استجابوا للانحراف على النيل منه مرارا وتكرارا .

وهذا الدأب الملح جعل بعض الطيبين ينساقون ــ عن غير شعور ــ الى نقد الأزهر ــ متسترين أو معلنين ، وأصبحت مصيبة الأزهر بهم هم الآخرون كبيرة .

والذى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شخص يحاول النيل من الأزهر انما فى قلبه دغل ، وفى نفسه شر ، سواء أكان من المنحرفين بالفعل ، أو من « الطيبين المنفعلين » الذين خدعهم كثرة نقد المنحرفين فساروا وراءهم .

وأحب أن أعلنها سافرة وأقول : اذا تكاثف المبطلون على النيل من الأزهر فى الاذاعة أو فى التليفزيون أو فى الصحف أو فى

سـيره فى نهضـته ، فانه يجب أن يتكاتف الخـيرون على أن ينصروه مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، فاذا لم يفعلوا ذلك فهم آثمون ، آثمون فرادى ، وآثمون جماعات ...

ما هو الأزهر ؟

انه الممثـل للاسلام ، القـائم على نشره ..

انه رمز الاسـلام .

ولقد وجد الأزهر — بحـق — فى مصر خير موئل ، وفى رئيسـها المؤمن محمد أنور السادات خـير نصـير .

انه ليقـول عن الأزهر : « لولا الأزهر ما انتشر الاسـلام شرقا وغربا » .

وفى رحاب الأزهر العريق تقول لعلماء المسلمين من أنحاء العـالم :

« أهـلا بكم ومرحبـا » .

د . عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتـا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

« قرآن كريم »

نبـــذة
عـن
فضيلة الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شـيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين ..

الاســـم : عبد الحليم محمود على

محل الميلاد : ناحية بلبيس ـ محافظة الشرقية

تاريخ الميلاد : مايو سنة ١٩١٠ م

- حفظ القرآن فى القرية التى نشأ بها .
- التحق بالأزهر الى أن أتـم الدراسـة به ونال الشـهادة العالمية سنة ١٩٣٢ م .
- سافر الى فرنسا فى العام نفسه على نفقته الخاصة واخذ فىالدراسـة بجامعة باريس (جامعة السـوربون) درس فيها علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وتاريخ الأديان ، وحصل فى كل مادة من هذه المواد على شـهادة عليـا من الجامعة واستكمل دراسة الليسانس .

- في سنة ١٩٣٧ م التحق بالبعثة الأزهرية بباريس فدرس الدكتوراه وكانت في موضوع التصوف الاسلامى (أستاذ السائرين المحاسبى) ونوقشت سنة ١٩٤٠ م مناقشة علنية ونالت درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى . .
- في سنة ١٩٤٠ م عاد الى مصر وعين مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .
- في سنة ١٩٥١ م نقل أستاذا للفلسفة بكلية اصول الدين ـ جامعة الأزهر .
- في سنة ١٩٦٤ م عين عميدا لكلية أصول الدين ـ جامعه الأزهر وفي هذه السنة عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .
- في سنة ١٩٦٨ م عين أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .
- في سنة ١٩٧٠ م عين وكيلا للأزهر .
- في سنة ١٩٧١ م عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر .
- في سنة ١٩٧٣ م عين شيخا للأزهر .
- مثل الأزهر في مهرجان الامام الغزالى الذى عقد بدمشق سنة ١٩٦١ م .
- سافر الى تونس أستاذا زائرا لجامعة الزيتونة ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة شهور .
- سافر الى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الاسلامية ثلاث مرات استغرقت كل منها شهرا .
- سافر الى الفلبين أستاذا زائرا لجامعة بينداناوا .

- سافر الى اندونيسيا أستاذا زائرا لجامعة جاكرتا .
- سافر الى باكستان أستاذا زائرا لجامعة كابول .
- سافر الى السودان أستاذا زائرا لجامعة الخرطوم .
- سافر الى ماليزيا أستاذا زائرا للمركز الاسلامى لالقاء محاضرات دينية وتنظيم شئون المسلمين بها .
- سافر الى قطر بدعوة من حكومتها لوضع قواعد بناء التعليم الدينى والقاء المحاضرات بها .
- سافر الى الكويت بدعوة من حكومتها لالقاء محاضرات دينية فى شهر رمضان المعظم .
- سافر الى العراق بدعوة من حكومتها لتنظيم وزارة الأوقاف العراقية ودراسة المؤسسات الدينية ووضع تقرير لاصلاحها ومكث هناك شهرا .
- سافر الى دولة الامارات العربية لافتتاح الموسم الثقافى لعام ١٩٧٤ م والقاء المحاضرات الدينية وذلك بدعوة من حكومتها . .
- سافر الى ماليزيا بدعوة من حكومتها فى سنة ١٩٧٤ م لحضور اشهار اسلام عدد كبير من المواطنين الماليزيين يبلغ عددهم (٤٠٠٠) اربعة آلاف مواطن .
- سافر الى يوغوسلافيا فى ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ م .
- سافر الى الهند فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٥ م .
- حضر مؤتمر السيرة بباكستان فى فبراير سنة ١٩٧٦ م .
- سافر الى لندن لحضور مهرجان العالم الاسلامى فى ٣٠ مارس سنة ١٩٧٦ م .

- سافر الى مكة المكرمة لحضور مؤتمر رسالة المسجد فى ١٦ ابريل سنة ١٩٧٦ م .
- سافر الى اندونيسيا فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٦ م بدعوة من حكومتها .

مصنفاته :

كتب فضيلة الأستاذ الدكتور الامام الأكبر — ولا يزال يكتب — مصنفات عديدة أمدت المكتبة العربية بثروة ضخمة وذخائر قيمة ولم تصرفه أعباء الوزارة ولا اعباء المشيخة عن البحث والدراسة والتصنيف ويمكن تقسيم آثاره الى أقسام ثلاثة :

الأول منها :

ما كتبه بالفرنسية أو نقله عنها من آثار .

والثانى :

ما حققه ونشره من التراث الاسلامى القديم الخالد مع ما أضافه اليه من الهوامش والتعقيبات القيمة الموضحة .

والثالث :

ما الفه فى موضـوعات علميـة عديدة معروفة للقاصى والدانى .

الدعوة الإسلامية

مناهجها .. ووسائلها

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

ان الدعوة الاسلامية يجب أن تكون جامعة بين تحريك الايمان فى نفوس المخاطبين والمجتمع الاسلامى واثارة الشعور الدينى ، وبين اكمال الوعى وتنميته وتربيته فان المتتبع لأحوال العالم الاسلامى اليوم وواقع الأقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالاسلام وحبها له هو الحاجز السميك والسد المنيع لكثير من القيادات التى خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وفلسفاتها ونظمها وآمنت بها ايمانا كايمان المتدينين بالديانات والمؤمنين بالشرائع السماوية وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته وأحداثه وكرسالة خالدة عالمية .

ان الاسلام يعوق هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذا كليا ، واعلان الحرب عليه وقد لجأ بعض هذه القيادات فى ساعات عصيبة الى اثارة هذا الايمان والحماس الدينى واستخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله الا اليه والى ايمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة . فرفعت هتافات التكبير (الجهاد والشهادة فى سبيل الله) ومحاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر فى حربها مع الفرنسيين وباكستان فى حرب ١٩٦٥ م وجربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فأصبح ايمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام وتحمسها له هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد وكثير من

القيادات والحكومات الاسـلامية فى حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور ــ لا سـمح الله بذلك ــ أو تسـوره دعاة الكفر واللادينية أو تيار الردة الفكرية والحضـارية فالخطر كل الخطر على الاسلام فى هــذه البلاد ولا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسـلام ، والمضمرين له العـداء والحقـد شىء أن يخلعوا العذارويطرحوا الحشمة والتكليف ويجردوا هــذه الأقطار العريقة فى الاسلام من كل ما يمت الى الاسلام بصـلة فان الشىء الوحيـد الذى يخافون معرته ويحسبون له حسابا هو ثورة هــذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الايمان والحماس الاسلامى فيفقدهم ذلك مايتمتعون به من كراسى الحكم ومركز القيادة فاذا زال الحاجز لم يقف فى وجههم شىء ..

اذن فيجب على دعاة الاسـلام والعاملين فى مجال الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية البـاقية من الايمـان فى نفـوس الشـعوب والجمـاهير والمحافظة على الجمرة الايمانية من أن تنطفىء .

ولا يصح الاقتصار على تحريك الايمان واثارة العاطفة الدينيــة فى نفوس الشعوب والجماهير بل يجب أن تضم اليه تنمية الوعى الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضـايا والتمييز بين الصديق والعدو وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر فقد رأينا ان الشعوب التى يضعف فيها هذا الوعى أو تحرمه بتسلط عليها رغم تمسكها بالاسلام وحبها له ، قائد منافق أو زعيم ماكر أو عدو جبار ، فيصفق له الشعب بكل حرارة ويسير فى ركابها فيسوقها بالعصـا سوق الراعى لقطعان من الغنم التى لا تعقل ولا تملك من أمرها شـيئا ولا يمنعها تمسكها بالاسلام وحبها له من أن تكون فريسة سهلة أولقمة سـائغة للقيـادات اللادينيـة أو المؤامرات ضد الاسلام .

وقــد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الأول المثالى أن الصحابة رضى الله عنهم بفضـل التربيـة النبوية الدقيقة الشاملة التى تجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه ــ والايمان القوى الذى لا يعـتريه

وهن ؛ وبين الوعى الناضج الكامل كانوا لا يخدعون ولا ينخدعون ، ولا يسيغون شيئا ينافى الاســلام وينافى العقل والذى يضرهم ويجنى عليهم أو يوقعهم فى خطر أوتهلكة. فقد بلغوا من الرشــد واستكملوا الحصــافة والنضج . فلا يؤخذون على غرة ولا يقعون فى شرك ينصبه العــدو المــاكر . يخطئون ولكن لا يصرون ، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات ، وقــد جاء فى حديث صحيح (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) بخلاف الشــعوب الفاقدة الوعى ، فهى تلدغ مرة بعد مرة ؛ وذلك لأن الرسول ــ صلى الله عليه وســلم ــ أخذهم بتربية وتعاليم أمنوا بها عن الوقوع فى الشباك ــ وامتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام وآدابه والفطرة السليمة والعقول المستقيمة . فكان مجتمعــا نموذجيا مثاليــا فى كل شىء . .

أعرض لكم ــ على سبيل المثال:

مثالين من هذا العقــل الحصيف والوعى الكامل .

المثال الأول :

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) وهو مثل جاهلى قديم وعرف من أعراف العرب الأولين ، تمســك به العرب فى جاهليتهم كما قال العلامة الحــافظ ابن حجر فى شرح هــذا الحــديث فى كتــابه الجليل فتــح البارى ، فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه الصحابة ــ وقد نشــأوا فى الجاهلية وعاشــوا فى الجــزيرة اما بالقبول واما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبى المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى (ان هو الا وحى يوحى) وقــد عرفوا بحبهم لنبيهم صلى الله عليــه وسلم وفداؤهم له بالنفس والنفيس وكان حبــا لا نظــير له فى تاريخ الديانات والرســالات وفى تاريخ الحب والطاعة العالمى وكان تفسيرا للحديث المشهور (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليــه من أهــله وولده والناس أجمعين) وجاء فى بعض الروايات (من نفسه) ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التســاؤل أو الاســتيضاح فان ظاهر الكلام

كان يناف مافهموه من تعليم الاسلام وما شاهدوه من تربية الرسول وأخلاقه وما آمنوا به من مبدأ الانصاف والمساواة . وقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وقوله تعالى : (ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) . فقالوا : يا رسول الله : هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ هنالك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرا يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال: (تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه) هناك اقتنع الصحابة رضى الله عنهم وشفيت صدورهم ، فازدادوا ايمانا على ايمان ، وهو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعى الايمانى العقلى الذى كان شعارا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والصدر الأول .

المثال الثانى :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل سرية وأمر الصحابة بطاعة الأمير ، وقد كان فى هذه السرية ما لم يرض الأمير . وشك فى انقيادهم له فأمر بالحطب فجمع ، وأمر بالنار فأشعلت ، ثم قال : خضوها ، فامتنع الصحابة رضى الله عنهم عن طاعته فى ذلك لأنه (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) وقالوا انما فررنا من النار ، ولما رجع الى المدينة شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوب فعلهم وقال (لو دخلوا فيها لم يزالوا فيها ، وقال : لا طاعة فى معصية الله ، انما الطاعة فى المعروف) .

وكان نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية فى ايمانها الغنية فى مظاهرها الايمانية ومراكزها الدينية وثروتها العلمية انها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية والنعرات القومية أو العصبيات اللغوية والثقافية ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها فى الوعى الدينى والعقل الايمانى ، كما وقع فى باكستان الشرقية فى ١٩٧١م قامت فيها مجزرة هائلة وماذلك الا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية

الوطنية على هذا الشعب المسلم ، المؤمن الذى كان له تاريخ مجيد فى البطولات الاسلامية وخدمة الاسلام والعلم ، ونهض فيه علماء كبار ودعاة الى الله ، وغصت بلادها بالمساجد والمدارس، وكانت عاصفة هوجاء هبت ثم ركدت ، ونار حامية التهبت ، ثم انطفأت ، ولكنها زلزلت أركان الاسلام فى هذه المنطقة وأضعفت الكيان الاسلامى، وكانت حجة لأعداء الاسلام الذين يقولون : ان الاسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه .

وواجب ثالث : مقدس من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف واخضاعها للتصورات العصرية الغربية أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة وبيئات مختلفة ، ولها خلفيات وعوامل وتاريخ . وهى خاضعة دائما للتطور والتغيير فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الأعراض والكرامات بل أكثر منها وأشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة واخضاعها للتصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية اساءة لا احسان ، واضعاف لا تقوية كما يتصور كثير من الناس ، فاذا قلنا : الحج مؤتمر اسلامى عالمى لم ننصف الحج ، ولم ننصف لمن نخاطبه ونريد أن نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما وأن روح الحج وسر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء ، ولو كان الحج مؤتمرا اسلاميا عالميا لكان له شأن ونظام غير هذا النظام وجو غير هذا الجو، ولكان النداء له مقصورا على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأى وزعماء المسلمين .

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة وحقيقة الزكاة والصوم ، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجنى عليها، واخضاعها للفلسفات

الجديدة وتفسيرها بالشيء الذى لا ثقة به ولا قرار له ، وقد استخدمت هذه الاستراتيجية الدعائية الباطنية فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ، ففسروا المصطلحات الدينية بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه وأتوا بالعجب العجاب وحققوا به غرضهم من ازالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعة الاسلامية وحصونها وشعائرها ونشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى والجماهير المسلمة واذا فقدت هذه الكلمات التى توارثت فهمها الأجيال المسلسلة وتواتر فى المسلمين وأصبح فيها مساغ لكل داع الى نحلة جديدة ورأى شاذ ، وقول طريف ، فقد أصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق ، وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربية وجاز لكل قائل أن يقول ما شاء ويدعو الى ما شاء .

ان مفاهيم هذه الكلمات معينة وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر — على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها — وان الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة والصوم والحج ونظمها الظاهرة ، وتناقلتها وحافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة وانه معنى قوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) و (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وهو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه لا تجتمع أمتى على الضلالة. وقد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى، وانها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق ..

والكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى والحقائق من جيل الى جيل ، ومن عصر الى عصر ، ومن انسان الى انسان ، فاذا وقع الشك فى مدلول هذه الكلمات ومصداقها أو صار التلاعب بها هينا اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه ، وهذا

يعم التاريخ والشعر والأدب ـ لذلك كانت الفوضى اللغوية أشد خطرا وأكثر ضررا من الفوضى السياسية .

وليست قضية الأسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذى يتصوره كثير من الناس فانها تؤثر فى النفس تأثيرا خاصا وتثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى وذات الصلة بالعقائد والأعراف أحيانا ، ولذلك كره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقال (العتمة) مكان ـ العشاء ويوم (العروبة) بدل الجمعة واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة ولها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية.

وكذلك أحذركم أيها الاخوان مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية وفرائض الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائل لا غايات . انما شرعت لاقامة الحكم الاسلامى وتنظيم المجتمع المسلم وتقويته ، وأحذركم من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد وربه وامتثال الأمر . ومن التوسع فى بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أحيانا توسعا يخيل للمخاطب أو القارىء أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام ـ أو صحة بدنية وفوائد طبية ، فان اضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال امر الله وطلب رضاه بذلك ، والايمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى. وهى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة وفراغ لا يملأ بأى شىء فى الدنيا .

والضرر الثانى انه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين الى أساليب أخرى قد تكون أنفع أو يخيل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيمية أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان والعبادات الشرعية وتمسكوا بهذه

الأساليب أو التجارب الجديدة وبذلك يكون الدين دائما معرضا للخطر ولعبة للعابثين والمحرفين .

وهذا لا ينافى الغوص فى أعماق هذه الأركان والأحكام والحقائق الدينية والكشف عن أسرارها وفوائدها الاجتماعية ، وقد أفاض علماء الاسلام قديما وحديثا فى بيان مقاصد الشريعة الاسلامية وأسرار العبادات والفرائض والأحكام الشرعية ، وألفوا كتبا مستقلة ، وكتبوا بحوثا جليلة كالغزالى ، والخطابى ، وعز الدين بن عبد السلام وابن قيم الجوزية ، وأحمد بن عبد الرحمن الدهلوى ، ولكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والأحكام والغاية الأولى التى شرعت لها وهى امتثال الأمر والنهى الالهى والتقرب اليه بذلك الايمان والاحتساب فيها ومن غير اخضاع لها للفلسفات العجبية أو الأجنبية فى عصرهم ومن غير خضوع بسحرها وبريقها .

وأحذركم ثانية أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية والشرك الجلى من عبادة غير الله والسجود له وتقديم النذور والقرابين واشراكه فى صفات الله من قدرة وعلم وتصرف واماتة واحياء ، واسعادواشقاء ، وأحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات والنظم الانسانية والتشريعات البشرية وتحويل حق التشريع للانسان ، ان ذلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك ، وان الوثنية الأولى وعبادة غير الله قد فقدت أهميتها وانما كانت لها الأهمية فى العصر القديم العصر البدائى ، وانه لايقبل عليها الآن الا الرجل الجاهل الذى لا ثقافة له فضلا عن أن هذه الوثنية والشرك الجلى لا يزال له شيوع وانتشار . ودولة وصولة يجريه كل انسان فى كل زمان ومكان ، فانها الغاية التى بعث لها الأنبياء ، وأنزلت لها الكتب السماوية ، وقامت لها سوق الجنة والنار ، وكانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة وكان جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية والقرآن مملوء بذلك لا يقبل تأويلا .

وان كل ما يقلل من أهمية محاربة الشرك الجلى وعبادة غير الله سواء كانوا أشخاصا أو أرواحا أو ضرائح ومشاهد والعناية بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات فحسب احباط لجهود الأنبياء واتجاه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى الى المنهج الجديد السياسى وهو تحريف لا محالة ، هذا من غير أن أقلل من قيمة التركيز على أن التشريع لله وحده وله الحكم والأمر وحده ، وأن من يدعو الى طاعة نفسه الطاعة المطلقة العمياء منافس للرب وطاغوت ، وانه يجب أن يدعى الى التشريع الالهى والى اقامة الحكم الاسلامى القائم على منهاج الكتاب والسنة ومنهاج الخلافة الراشدة وأن لا يدخر وسعا فى ذلك ، ولكن من غير أن يكون ذلك على حساب الدعوة الى التوحيد والدين الخالص ومحاربة الوثنية والشرك فانها لا تزال فى الدرجة الأولى وهى أكثر انتشارا وأعظم خطرا فى الدنيا والآخرة ، فقد قال الله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) و (من يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ، وقد قال (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزول ، حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

مكونات الداعية الى الله :

وأما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة الى الله فانتى أركز فى هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة وهو أنه يجب أن يكون الدعاة ممتازين عن الدهماء والجماهير ودعاة النظم الجديدة والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة — ايمانهم وحرارة قلوبهم وزهدهم فى زخارف الدنيا وفضول العيش ونهامة المادة ومرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ويحملوهم على ايثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة وتلبية نداء الضمير والايمان على نداء المعدة والنفس والشهوات وأشعال مجامر قلوبهم التى أنطفأت أو كادت تنطفىء

الا اذا شعر الناس بشيء لا يجدونه فى قلوبهم وحياتهم فان الناس مازالوا ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشيء لا يجدونه عندهم ؛ فالضعيف مفطور على احترام القوى ، والفقير مفطور على احترام الغنى ، والأمى مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، أما اذا رأى الناس علماء ، ودعاة لا يقلون عنهم فى حب المادة والجرى وراءها والتنافس فى الوظائف والمناصب والاكثار من الثراء والرخاء والتوسع فى المطاعم والمشارب وخفض العيش ولين الحياة فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم وحقا فى الدعوة الى الله وايثار الآخرة على الدنيا والتمرد على الشهوات والتماسك أمام المغريات ، وقد قيل (ان فاقد الشيء لا يعطيه) وكذلك القلب الخاوى لا يملأ قلبا آخر بالايمان والحنان ، وان الموت لا ينشيء الحياة وان البرودة لا تعطى الحرارة وأن الرماد الذى لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ، ولا يحيى النفوس الميتة ، والكشاف لا ينير الطريق اذا كانت قد نفذت شحنته ، فلابد أن تشحن القلوب بشحنة جديدة واذا كانت بطارية من غير شحنة كانت أقل غناء وقيمة من عصا يحملها الانسان فقيمة البطارية الشحنة وقيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة ولا نور فالعصا خير منه .

أسألكم أيها الأخوان ، أليس هذا العصر هو العصر الذى انتشر فيه العلم وكثرت فيه وسائل الاعلام والتربية وازدهرت فيه الخطابة والكتابة وبلغت حد الشعر والسحر ، وعمت الجامعات فى كل مكان وتدفق السيل من المطبوعات والمنشورات من المطابع ودور النشر ونبغ فيها علماء وباحثون ووعاظ ومرشدون ، فلماذا فقد العلماء والموجهون التأثير فى النفوس والقلوب فى صد تيار المادية والاستغلال والجشع والنهامة للمال ، هذه البلاد العربية بما فيها البلاد المقدسة أصبحت مصداقا لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى احدى خطبه قبل وفاته (ما الفقر

أخشى عليكم ، ولـكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كمـا بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم) .

وأخـوف ما نخـاف أن نجتاح هـذه البلاد الموجة العـارمة من التكاثر فى الأموال واستغلال حاجة النـاس وضعفهم والانتهازية وهى الموجة التى لاتعرف الرحمةوالهوادة ومكارم الأخـلاق التى عرف بهـا العرب فى العصر الجاهلى وربمـا يعـود ذلك خطرا كبيرا على الحج ومركزه ، ويمكن أن يشكل محنة للوافدين اليه فيضطر الدعاة فى صد هـذه الموجـة الى مكافحة خلقية وحملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحال وايقاظ الضمير واثارة الغيرة الاسلامية والشعور النبيل وتنطلق من المنـابر والصـحف والاذاعـة ووسائل الاعلام وتجند لها الطاقات والألسن والأقلام .

وسمة الدعوات الحية المخلصـة التى تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على نهجها انهـا تجس نبض المجتمع جسا صحيحا أمينا وتهتدى الى الداء الحقيقى ومواضع الضعف فى جسم هذا المجتمع وتضع أصبعها عليها ، وتضرب الوتر الحساس من غير محاباة أو مداهنة ، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو مرضه كما فعل شعيب فى دعوته فوجه دعوته بعـد الدعوة الى التوحيد ــ الى ايفـاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم ، وشـنع على التطفيف اذ كان ذلك عيب المجتمع الذى بعث فيه وسمته البـارزة ، وكذلك فعـل غيره من الأنبياء . .

وهذه كانت سنة الدعاة الى الله من المخلصـين الربانيين فى تاريـخ الاسـلام فكانوا ينتقدون المجتمع فى الصميم ويصيبون المحز ، ولذلك كان وقع كلامهم فى النفوس عظيما وعميقا . وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم أو يمر بهم مرا سريعا أو يسلى نفسه بأنه انما يعنون غيره مـن المجتمعـات التى سبقت أو المجتمعات التى لم تخلق بعد وهذا كان شأن الحسن البصرى فى مواعظه اذ كان دائما يشير الى النفاق الذى كان داء المجتمع الاسلامى وهو فى أوج مجـده ورخـائه ويذم حب الدنيا وطول الأمل وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الجيلانى فيدعو

الى التوحيد الخالص وقطع الرجاء والخوف من غير الله وانه لا يضر ولا ينفع سواه لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهي فى العاصمة ، وهذا كان شأن ابن الجوزى فى مواعظه الساحرة ومجالسه المزدحمة فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التى كان يحياها كثير من الناس فى بغداد وعلى الذنوب والمعاصى التى كانت ترتكب جهارا والمنكرات التى شاعت ، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب وكان نشيج يعلو وقلوب ترق وعيون تدمع ، وموجة من الانابة والرقة تكتسح الجموع الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع ولا يكتفى بالكلام العام والوعظ التقليدى .

وهنا أنقل اليكم قطعة من كتابنا (رجال الفكر والدعوة فى الاسلام) والمؤلف يتحدث عن الامام أحمد بن حنبل وزهده .

(وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين فى تاريخ الاسلام فلا نعرف أحدا ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ ونفخ روحا جديدة فى المجتمع الاسلامى أو فتح عهدا جديدا فى تاريخ الاسلام وخلف تراثا خالدا فى العلم والفكر والدين وظل قرونا يؤثر فى الأفكار والآراء ويسيطر على العلم والأدب الا وله نزعة فى الزهد وتغلب على الشهوات وسيطرة على المادة ورجالها ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة والاعتداد بالشخصية والعقيدة والاستهانة برجال المادة وبصرعى الشهوات وأسرى المعدة ولذلك ترى كثيرا من العبقريين والنوابغ فى الأمم كانوا زهادا فى الحياة متمردين على الشهوات وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء فى زمانهم ، ولأن الزهد يثير فى النفس كوامن القوة يشعل المواهب ويلهب الروح وبالعكس ان الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب .

وهناك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق ولا أطيل

بذكرها واقتصر على هذه الملاحظة التاريخيـة وألح على أن منصب التجديد والبحث الجـديد يتطلب لا محالة زهـدا وترفعا عن المطامع وسفاسف الأمـور ويأبى الاندفاع الى التيارات ويتنافس مـع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخـة الثرية ، انما هـو خلافة للرسـول الأعظم صلى الله عليه وسلم وقـد قيـل له « ولا تمـدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » وأمر بأن يقول لأزواجـه « ان كنتن تردن الحيـاة الدنيـا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا » وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ومن يرشح نفسه ويمنيها بهذا المنصب الخطير (ولن تجد لسنة الله تحويلا) ..

ومن أبرز سـمات الدعوة التى يقوم بهـا الأنبياء وخلفاؤهم انهـا تقوم على الايمان بالآخرة والتحذير من عقابهـا والترغيب فى نعمـائها وثوابها ويكون مناط العمل فيهـا الايمان والاحتساب والأجر والثواب لا على الاغراء بالفـوائد الدنيوية والجاه والمنصب والمـال والملك فانه أساس ضعيف منهـار ولا يتفق مع طبيعة دعـوات الأنبياء ، والمساومة فيـه سهلة وقـد يملك أعداؤهم وخصـومهم والقـادة السياسيون مثله أو أكثر منه . ومن رضع بلبان هـذه المطامع لم يمكن فطامه عنها ولا يصح الاعتماد عليه وانما يبنون دعـوتهم على رضـا الله وثوابه وما أعده لعباده المؤمنين وما وعدهم بـه على لسـان أنبيـائه من نعيم لا يزول ولا يحـول والصـحف السـماوية ــ غير صحف العهـد القديم التوراة ــ مملوءة بالحديث عن الآخـرة والاهتمام بها والبناء عليها ، وقد جعل الاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطا لصـحة الايمـان والنجاة ، وقـد جاء فى القرآن صريحا (تلك الدار الآخرة نجعلهـا للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين).

وهنـا أسـتعير لنفسى من نفسى ما قلته فى احـدى المحاضرات التى ألقيتها فى سنة ١٣٨٢هـ تحت عنوان

(النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن) وأختم به هـذا الحديث قلت وأنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الاصلاحية :

« ولم تكن دعـوة الأنبياء الى الايمان بالآخرة أو الاشـادة بهـا كضرورة خلقية أو كحاجة اصلاحية لايقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة عن المجتمع الاسلامى وهذا وان كان يستحق التقدير والاعجاب ولكنـه يختلف عن منهج الأنبيـاء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختـلافا واضحا والفـرق بينهمـا ان الأول منهج الأنبياء • ايمان ووجدان وشـعور وعاطفة وعقيدة تملك على الانسان مشاعره وتفكيره وتصرفاته •

والثانى اعتراف وتقدير وقانون مرسـوم وان الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع وتلذذ ويدعون اليها بحماسة وقوة ، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعية وبدافع من الاصـلاح والتنظيم الخلقى ، وشـتان ما بين الوجـدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية ••

أبو الحسن الندوى

مسئولية علماء الاسلام :

علماء الاسلام يحملون وزر ما نحن فيه ، وأثم ما أصيب به الاسلام ... يحملون أوزار المستعمرين الغافلة عن الاسلام والخارجة عليه .

وعلماء الاسلام أهل لان ينسب لهم هذا ، لأنهم يظاهرون الاسـتعمار أو يسكتون عليه ، ولانهم يظاهرون الحـكومات الاسلامية حينا ويسكتون عليها حينا ، ولأنهم تركوا جماهير المسلمين جاهلة بأهم أحـكام الاسـلام ، غافلة عمـا يراد بالاسلام .

عبد القادر عودة : الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه .

الخط البيانى لمسيرة الإسلام

للمفكر الإسلامى فضيلة الشيخ محمد الغزالى

الرسم البيانى لمسيرة الاسلام فى العالم متموج مضطرب ، قد يسمو فيصل الى القمة وقد يهبط حتى يمس القاع . وليس ذلك مستغربا عندما نلاحظ السنن الكونية التى تحكم دنيانا ، فان هذه السنن تقلب الناس بين السراء والضراء « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ولا أريد الآن الحديث عما عرض للمسلمين فى تاريخهم الممتد من نصر أو هزيمة ، وانما أريد التوقف طويلا لأتعرف على عوامل الصعود والهبوط فى حياتنا العامة ، وسأكتفى هنا بملحظ واحد أريد تجليته ولفت الأنظار اليه .

ان اضطراب المستوى الثقافى والسياسى لأمتنا لا يسأل عنه جيل واحد ، فنحن المسلمين الذين يسوءنا ما يلقاه الاسلام اليوم من حظوظ سيئة وما نلقاه نحن من متاعب ثقيلة انما نجنى تفريط أناس سبقونا ونحصد ما غرسوا !! .

وما نبديه من مقاومة ونكنه من ثبات ومصابرة ربما تراخت آثاره فلم يظفر بها الا أولادنا أو أحفادنا ، كأنها رصيد مدخر لهم تكشف عنه الأيام فى ابانه ،! ..

وما نبغى بهذا الكلام دفاعا عن أنفسنا ، ولا غمطا لغيرنا ، وانما نريد ابراز وحدة الكيان الاجتماعى للأمة وتماسك أحوالها وان تغايرت القرون ، ان الحق الذى نعمل لاستقراره لابد أن يستقر ، والباطل الذى نكدح لبواره لابد أن يبور.. ولكن متى ؟ ليس ذلك الينا ، ولا توقيته فى مقدورنا ، اننا نحيا فى ضوء ايمان قدمه لنا سلف صالح ، فلماذا نستكثر أن تحيا الأخلاف

المقبلة فى ضوء ما نقدم من كفاح ؟ وأن يطوينا الليل لتنعم هى بتباشير الصباح ؟ لعل ذلك الذى نقرره هو سر الأمر الحاسم فى قول الله لنبيه « فاصبر ان وعد الله حق ، فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون » .

على المجاهدين المسلمين أن يعملوا ، ولذتهم ليست فى اقتطاف الثمر العاجل ، وانما لذتهم فى الشعور بتوفيق الله والأمل فى رضاه ..

وندع هذه الخاطرة فى قصة الثواب والعقاب الى ما هو أهم فى مسيرة الأمة الاسلامية نفسها ، ان حاضر المسلمين ومستقبلهم تقرره أنصبتهم من اليقين والخلق والكفاءة على قيادة الحياة باسم الله،نعم،وفرة هذه الأنصبة هو الذى يرجح كفتنا، ويدعم جانبنا ويسوق النصر سوقا الينا ، شئنا أم أبينا !! شئنا أم أبينا؟ ان هذا تعبير غريب ، لكن غرابته تذهب عندما نقرأ قوله تعالى فى مفتتح الحديث عن انتصار « بدر » «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون» . ان القدر ساق التمكين سوقا الى القلة المؤمنة فى صحراء الجزيرة لأنها أجدر به وأولى .. ان من مصلحة الدنيا أن يقع هذا التحول ، وأن ينتزع زمام التوجيه من أيدى الوثنيين ليوضع فى أيدى المؤمنين الذين ترشحوا له بمواهبهم ومكاسبهم المعنوية أكثر مما ترشحوا له بدعاواهم وأمانيهم العاجلة !!..

ويظهر ذلك جليا فى فتح مكة ، فان المعاهدة التى التزمها المسلمون كانت تؤخر هذا الفتح عشر سنين ولكن الوثنية الحاكمة هى التى سعت الى حتفها بظلفها ، فغدرت وعبثت واستقدمت المسلمين بعد سنتين ليتسلموا مقاليد الأمور فى أم القرى.. ان المسلمين فى هذه الأيام الغابرة لم يكونوا مشغولين بالتطلع واستعجال السيادة ، بل كانوا مشغولين بتزكية أنفسهم وتنميتها بما يرضى الله ، كانوا مشغولين بمضاعفة أنصبتهم من التقوى والأدب والأمل والعمل بما يجعلهم

أئمة خير وبر ، فكانت العقبى لهم ، وأقبلت الدنيا عليهم ، وما كانوا فيها يؤمِّلون ، ولا لها يعملون .. ومضت السنن الكونية فى عملها العتيد الخالد فغربت الشمس عن « المدائن » و « القسطنطينية » لتشرق فى « مكة » و « المدينة ».. وانتقلت عواصم الحضارة الى جزيرة العرب ، أترى ذلك تم عن محاباة أو مصادفة ؟ كلا ان المصلحة العليا للانسانية هى التى اقتضت ذلك ، ان التقاليد السياسية لعمر فى المدينة المنورة كانت أشرف ألف مرة مما عرف الفرس والرومان ، كان المسلمون يومئذ فلاسفة فى حقوق الانسان كما كانوا فلاسفة فى حقوق الرحمن ، أما خصومهم فكانوا قطعانا من الأميين تتخلف بهم الحياة ويسود وجهها ..

فلندرك — نحن المسلمين المعاصرين — هذه الحقائق ، ان التاريخ ليس سجل معارك حربية منتصرة أو منكسرة ، قدر ما هو سجل مستويات عقائد وأخلاق وقدرة على تطويع الحياة للقيم الرفيعة .. وآباؤنا الأوائل نماذج عملية لذلك كله .. وطبيعى أن يحفل تراث النبوة بما يشرح الخط البيانى لسير المسلمين ، وأن يحذر من الفتن الكثيرة التى تملأ الطريق ، والفتن فى حياة الأفراد والجماعات شىء لابد منه ، ومواجهتها باليقظة والرشد حق على كل مؤمن ، وقد وقر فى بعض الأذهان أن الفتن حكر على الفصل الأخير من رواية الانسانية ، وأن المسلمين سوف يواجهون آخر الزمان جزرا لامدمعه وأدواء لا أدوية لها ، وهذا جهل كبير ، والواقع أن أحاديث الفتن لايجوز أن يقرأها العامة ، ولا أرى أن يقرأها الا اخصائيون فى علل المجتمعات وأطوار الأمم وأسرار التاريخ ..

ان الحديث عن غربة الاسلام ليس حديثا عن مستقبل دين كما يتوهم البعض ، ولكنه حديث عن عرض يعرو الدين حينا ثم يذهب بذهاب أسبابه ، وقد يعود مثنى وثلاث ويذهب كذلك لأن معنى الحديث الوارد هو أن الخط البيانى لسير الاسلام لن يأخذ طريقه صعدا مع موجة الفتح الأول ، بل سيتراجع وينحرف وتغلب الفتن ، ثم ينتصر

الايمان وينجح رجاله مرة أخرى فى استعادة سيطرتهم وتفوقهم ويبدأ الاسلام صفحة جديدة ، لا تبقى جدتها طويلا ، بل تناوشها الفتن تريد طيها ، ويبقى الصراع الأبدى بين الحق والباطل الى قيام الساعة ، ونستطيع أن نؤكد أن البعث يجيء وللحق أنصار شداد وألوية مرفوعة وكتائب تحميه وتقر هيبته وتستبقى كتابه العزيز ، ان هذا ما ينضح به قوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث .. فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » لقد مرت بالمسلمين قرون أربعة عشر ، فيها قرون حية ، وأخرى هامدة ، فيها أيام مزهرة بالعلم وأخرى مظلمة بالجهل ، وامتددنا حتى أدبنا الجبابرة ، وانكمشنا حتى استنسر بأرضنا البغاث ، ليكن ، فتلك طبيعة الحياة الدنيا .. والدرس الذى لا يجوز أن يغيب عنا أننا ما فقدنا الصدارة قط ونحن أوفياء لربنا ونبينا . « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » .. !!

ومن قدرنا نحن مسلمى القرن الرابع عشر أن تسقط الخلافة الاسلامية فى أوائل هذا القرن ، وما هذه أول مرة تسقط فيها الخلافة ، لقد ديست فى بغداد على أيدى الهمج فى القرن السابع .. وسقوط الخلافة الاسلامية حدث شنيع ، ولكنه مهما قبح دون سقوط الثقافة الاسلامية .. !!

لقد بقى العلم الاسلامى يضع فى العقول النور ويضع فى القلوب اليقين ، وكافح العلماء حتى صنعوا أجيالا أشرف وأزكى وعادت الخلافة مرة أخرى ترفع علم التوحيد فى المشارق والمغارب .. وخصوم الاسلام فى هذا العصر مستميتون أن يسقطوا معاقل الثقافة الاسلامية وأن يردموا منابعها أو يلوثوها ما استطاعوا ، وذلك حتى لا تعود للاسلام وحدته الكبرى ودولته الجامعة ومن ثم فان الجهاد العلمى الآن فريضة محكمة ، ان الثقافة الحارسة لتراثنا كفاح أدبى هائل النتائج ، بل انه الكفاح الذى يوزن فيه مداد العلماء بدماء الشهداء !!

أذكر أن الحاج أمين الحسينى مفتى

فلسطين ـ طيب الله ثراه ـ قال لى : عندما أسقط الحلفاء الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، قررت جميع القوى التى شاركت فى ذلك أن تنتقل الى القاهرة كى تضرب ضربتها الأخيرة بوصف القاهرة هى العاصمة الثقافية للعالم الاسلامى ..

لكن موطن الأزهر قاومت ولا تزال . ونرجو أن تظل راية الثقافة الاسلامية مرتفعة فى مصر ، وشتى عواصم الاسلام ، وانى اذ أقرر هذه المقاومة لاأريد الترويج لخدعة كبيرة يفهم منها أن التعليم الدينى بخير ، وأن الثقافة الاسلامية فى أمان ، العكس هو الصحيح ، والمسلمون يعانون أزمة ضروسا فى الدعاة والمربين ، والفقهاء والمفتين ، والميدان الاسلامى من عشرين سنة ينتقص كما وكيفا ، وهنا مكمن الخطر .. لقد قلت : ان الهزائم العسكرية عرض يزول ! أما الهزائم الثقافية فجرح مميت ! والثقافة الصحيحة هى التى تبنى الانسان المسلم والمجتمع المسلم على قواعدهما الركينة من كتاب الله وسنة رسوله ، وعبقرية البناء الصحيح المتين هى التى استبقت صرح الاسلام الى يوم الناس هذا ..

انه أمام التمزيق المتعمد للرقعة الاسلامية الكبرى لابد من ثقافة تؤكد وحدتنا العاطفية والفكرية . وأمام المغالاة بالقشور والرسوم والمخاتلة بالصور الشائهة نريد ثقافة تنشىء العقل المسلم والضمير المسلم والسلوك المسلم ، وأمام العجز الشائن فى شئون الدنيا نريد ثقافة تجعل عبادة الله سواء فى المسجد والمصنع .. لقد ضاقت نفسى بلفيف من الناس يدعون الاسلام ولا جهد لهم الا استفزاز الأقوياء وتلقى الضربات .. أما العمل الصامت الذكى لخدمة الاسلام وأمته فقلما يحسنون ، وما كان ذلك دأب سلفنا الذين امتلئوا أمانات وكفايات من أخمص القدم الى ذؤابة الرأس : اقتحمتهم العيون أول ماخرجوا من الصحراء ، فلما اشتبكوا مع أبناء الحضارات المدبرة فى فارس والروم جثم التاريخ بين أيديهم يسجل ويروى .

محمد الغزالى

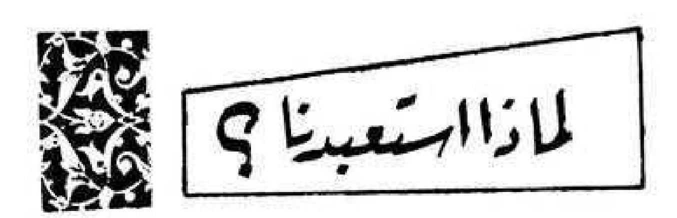

لماذا استعبدنا ؟

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودى

ان الاستعباد الذى ابتلينا به فى القرن الماضى انما كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الدينى والخلقى والفكرى الذى تردينا فيه من قرون عديدة ، اذ كان قد بلغ بنا الأمر من الضعف والتقهقر والانحطاط ، حيث لم يعد من الممكن أن يقر لنا قرار أو أن نثبت على أقدامنا بأنفسنا ، ففى مثل هذا الوضع كان من المحتوم أن تحل بنا نازلة من النوازل ، فها هى ذى قد نزلت فى صورة الاستعمار البريطانى وفقا لقانون الطبيعة .

حالتنا الدينية : ولنكون على حقيقة من الأمر يجب علينا أن نستعرض ، قبل كل شيء ، ما كانت عليه حالة بلادنا من الناحية الدينية فى القرن الماضى ، فان أهم شيء لدينا هو الدين ، ولا غرو فهو ملاك حياتنا وهو الذى يربط بين قلوبنا وأرواحنا ويجعلنا أمة واحدة ، وهو الذى لا يمكن أن نقوم ونظل قائمين فى الدنيا الا به .

فالذى يشهد به تاريخنا الماضى ان الاسلام ما انتشر فى هذه البلاد نتيجة لمساع مبذولة منظمة . بل اننا اذا استثنينا الأيام الأولى من الفتح الاسلامى فى السند والقرن الذى بعده . لا نكاد نعثر فى عصر من العصور على قوة منظمة بذلت جهودها فى نشر الاسلام وتعميم دعوته فى هذه البلاد بجانب ، وسهرت على تدعيم أركانه واستحكام عراه حيث انتشر فى جانب آخر . وغاية ما كان من الأمر ان جاء الى قرية من القرى أو مدينة من المدن رجل مسلم من أهل العلم والمعرفة فدخلت طائفة من الناس فى

الاسلام على يده ، وجاء اليها تاجر من التجار المسلمين فأسلم عدد من الناس بسبب الاختلاط به ، أو نزل بها رجل ورع من أنزه المسلمين سيرة وخلقا وعشرة ، فتأثر الناس بسمو أخلاقه وصفاء حياته ، فقبلوا الاسلام ودخلوا فى كنفه ، الا أن هؤلاء الافراد المنفردين لم يكن بأيديهم من الوسائل ما يساعدهم على العناية بتعليم الذين أسلموا على أيديهم وتربيتهم وتلقينهم مبادىء الدين وأصوله ، ولا كان يهم الحكومات المسلمة وقتئذ أن تعنى بتعليم هؤلاء المهتدين وتربيتهم حيثما انتشر الاسلام ودخل الناس فى حظيرته بمساعى هؤلاء الأفراد المنفردين ..

فكان من جراء هذه الغفلة ان ظل عامتنا سادرين فى الجهل والجاهلية منذ أول أمرهم .أما المعاهد التعليمية فما استفاد منها فى معظم الأحوال الا الطبقات العليا أو الوسطى ، ومازال الدهماء فى جهل تام بتعاليم الاسلام محرومين من آثاره الاصلاحية الى حد عظيم ، وقد سبب كل ذلك ان كان الناس من غير المسلمين يدخلون فى دين الله شعوبا وقبائل . الا أن كثيرا من الرسوم الباطلة والعادات الجاهلية مما كانوا عليه قبل اسلامهم ، لاتزال متفشية بهم الى يومنا هذا ، بل لم تتغير افكارهم ومعتقداتهم تغيرا تاما ، ولا يزال يوجد فيهم الى الآن ، كثير من عقائد المشركين وأوهامهم التى ورثوها عن اديان آبائهم الكافرين . وأقصى ماحدث فيهم من الفرق بعد اسلامهم ان أخرجوا من تاريخ الاسلام آلهة لهم جديدة مكان الآلهة التى كانوا يعبدونها من قبل ، واختاروا لاعمالهم الوثنية القديمة أسماء جديدة من المصطلحات الاسلامية ، وكأن العمل على ماكان عليه من قبل وانما تغير قشره ولونه الظاهرى .

فان أردتم الشاهد على ما أقول ، فسرحوا النظر فى ماعليه حالة الناس الدينية فى أى بقعة من بقاع بلادكم ، ثم ارجعوا الى التاريخ وابحثوا عن الدين الذى كان الناس يدينونه فى هذه البقعة قبل أن يأتيهم الاسلام . فستعلمون انه توجد هناك كثير من

العقائد والاعمال التى تشبه عقائد الدين المنقرض وأعماله الا انها فى شكل آخر ولون غير لونه . فالبقاع التى كانت فيها الديانة البوذية قبل الاسلام مثلا . كان الناس يعبدون فيها آثار بوذا.فهنا سن من أسنانه ، وهناك عظم من أعظمه ، وثمة شىء آخر من أشيائه يعبده الناس ويتبركون به ، وانكم لتجدون اليوم ان الناس فى هذه البقاع يعاملون مثل هذه المعاملة شعرا من اشعار النبى صلى الله عليه وسلم أو اثرا من آثار قدمه أو يتبركون بآثار بعض صالحى المسلمين وعابديهم . وكذلك اذا استعرضتم كثيرا من الرسوم والعادات المتفشية اليوم ببعض القبائل المتوغلة فى اسلامها ، ثم نظرتم فى مايروج فى البطون غير المسلمة لهذه القبائل نفسها من الرسوم والتقاليد . فقليلا ماتجدون فارقا بين هذه وتلك . أفليس ذلك مما يشهد شهادة ناطقة بأن الذين كان بيدهم زمام أمر المسلمين وشؤونهم الاجتماعية فى القرون السالفة ، قصروا فى أداء واجبهم ايما تقصير ، اذ لم يمدوا يد التعاون والمساعدة الى الذين بذلوا جهودهم فى نشر الاسلام بجهودهم الفردية ، فقد انجذب مئات الملايين من الناس الى حظيرة الاسلام متأثرين بدعوته.

ولكن الذين كانوا سدنة لبيت الاسلام متولين أموره . لم يعنوا فى قليل ولا كثير ، بتعليمهم وتربيتهم وتزكية حياتهم واصلاح فكرهم . فلم يكتب لهم أن يتمتعوا ببركات الاسلام ونعم التوحيد حق التمتع ويقوا أنفسهم المضار التى هى نتيجة لازمة للشرك والجاهلية ثم ارجعوا ببصركم الى ما كان عليه علماؤنا ومشايخنا فى هذه القرون الماضية . فمما لامجال فيه للريب والمكابرة انكان فيهم نفر أسدوا الى الدين خدمات جلية كانت نافعة بالأمس ولا تزال نافعة الى اليوم . الا أن المشاغل التى شغلت معظم علمائنا والهتهم عن الجد فى أمر الدين الحقيقى . كانت من قبل ان كانوا يتناظرون فى المسائل التافهة غير المهمة ويجسمونها فى نظر الناس ويوارون عنهم المسائل الهامة الجليلة . ويجعلون الخلاف اساسا لفرق مستقلة .ويجعلون التحزب والتفرق

مضمارا للمجادلات والمخاصمات . ويقتلون اعمارهم فى تعليم علـوم المعقولات اليونانية وتعلمها . امـا الكتاب والسنة فلم يكن لهم ولوع بدراسـتهما ولم يؤتوا حظـا من معارفها . ولذلـك لم يتمكنوا من تعميم معارف القرآن والسنةوترغيب الناس فى ارتياد مناهلها . وأمـا ان كان لهم بعض شغف بالفقة . فانما ذلك الى حد يعينهم على مجادلاتهم ومناقشاتهم فى الجزئيات والفروع . انهم لم يلتفتوا ولو ادنى التفات الى التفقة فى الدين بمعناه الشامل ولذا فحيثما كان لهم نفوذ أو تأثير ضاقت وجهة نظر الناس فى الدين .

فلا عجب اذا كنا قد ورثنا اليوم هذا الزرع الأخضر من المجادلات والمناظرات والتحـزبات والفتـن المستمرة .

وان تعجب ، فعجب من حـال الصوفية ، فانكم اذا سرحتم النظر فيهم ، لاتجدون من بينهم من عملوا بالتصوف الاسلامى الحقيق وعلموه الناس الا عددا يسيرا ، أما معظمهم فكانوا يدعون النـاس ويرشدونهم الـى تصـوف كان مزاجـا مـن الفلسفات الاشـراقية والريداتية والمانوية والزراد شتية وكانت طرق الرهبان والاحبـار والاشـراقيين والرواقيين اختلطت به اختـلاطا ، حتى لم تبـق له عـلاقة بعقـائد الاسلام وأعمانه الخالصة الا قليلا ولقد كان عباد الله يرجعون اليهم مستهدين الى الله وهم يهـدونهم الى طرق معوجة وسبل زائفة ، ثم لما خلف من بعدهم خلف ، ورثوا ، فى ما ورثوا عن اسلافهم ، مريديهم وأتباعهم ، ولم يبقوا مما كان بينهم من العلائق الا على عـلاقة النذور والهدايـا دون الارشـاد والوعظ والتربيـة وأكثر مـا سعت له هذه الدوائر ، ولا تـزال تسعى له ، هو الايتسرب قبس من العلم الصحيح بالدين الى حيث لمشيختهم النفـوذ والتأثير . فانهم يعرفون كل المعرفة انه لن يدوم لسحرهم ودجلهم تأثير فى النـاس الا مادامـوا ـ جاهلين بدينهم .

الحالة الخلقية :

هذا ما كانت عليه حالتنا الدينية التى كانت لها يد ، وأى يد فى دفعنا

الى دركِ الاستعباد فى القرن التاسع عشر ، ولا تزال هذه الحالة ، بما فيها من الرذائل والسيئات ، مسيطرة علينا حتى بعد تبلج صبح الاستقلال والحرية اليوم •

واذا نظرنا من الوجهة الخلقية ، كان الانحطاط والتدهور الخلقى المستمر قد بلغ بطبقتنا الوسطى — وهى قوام كل أمة وعماد أمرها كما لايخفى — مبلغا جعل من رجالها عمالا مستأجرين من فطرتهم ان يخدموا كل من استأجرهم ثم استعملهم واستخدمهم فى ما شاء ولأى غرض شاء • فكان مئات الألوف من رجالنا مستعدين ليكونوا جنودا مستأجرين يستخدمهم من شاء ويوقد بهم نار الحرب على من أحب ، وكذلك كان ألوف بل مئات ألوف من شبابنا مستعدين ليكترى منهم كل متغلب فاتح أيديهم وقواهم الذهنية بأجرة بخسة أو وافرة ، ثم يسير بها ادارة ملكه ، بل يستعملها فى مداوراته الدبلوماسية السياسية ، فاستغل ضعفنا الخلقى هذا كل عدو من أعدائنا من المرهتة أو السيك أو الفرنسيين والهولنديين ، وأخيرا فتح الانكليز بلادنا ودوخوها بسيوف رجالنا وتحكموا فى اعناقنا بأيدينا واذهاننا ، ومما يدمى العين ويفجع القلب ان وعينا الخلقى كان قد — انطفأت جذوته حيث بدأنا نفتخر بأعمالنا بدلا من أن نشعر بقبح صنيعها وسوء مصيرها وقد عدها أحد كبار شعرائنا من مفاخر أسرته ومآثرها وقال مامعناه ان الجندية مهنة آبائه وأجداده كابرا عن كابر ، والحال أن تعاطى المرء الجندية كمهنة ، عار عليه وعلى ذويه — بدل أن يكون مفخرة أو محمدة ، فأين يكون من المروءة والانسانية من لا يكاد يفرق بين الحق والباطل ولا يميز صديقه من عدوه ؟ وكل من ملأ بطنه خبزا وكسا جسده ثوبا استعد للقتال معه والذود عن حياضه ، من غير أن يهمه فى قليل ولا كثير ، من يقاتله ولمن يظهر بأسه وشجاعته ؟ فالذين كانوا على مثل هذه الحال من الأخلاق ، كان — وينبغى أن يكون — من المستحيل أن يوجد فيهم نوع من

الأمانة والاستقامة والولاء الثابت المنبعث من قرارة الأنفس وأعماق الصدور واذا كان من السهل عليهم أن يبيعوا أنفسهم لأعداء دينهم وأمتهم ويساوموهم فيها ، فماذا عسى ان يكون من السبب لأن يبقى فيهم ضمير حي قوى طاهر ، وما لهم الا يسموا الارتشاء والغبن منحة ربانية وفضلا من الله ، ومالهم الا يكونوا انتهازيين يرتقبون فرص التمتع والانتفاع ويستسلموا لكل قوة تظهر بمظهر الغلبة والعلو ؟ ومالهم الا يتخلقوا بأن يأتوا كل شيء يريده منهم من يسخوا عليهم براتبهم غير آبهين لايمانهم وضمائرهم ؟ ومن هنا لكم ان تقدروا ان الصفات التى تظهرها بمظهرها اليوم أغلبية رجال الطبقة الموظفة منا ، ليست بضعف اتفاقى نشأ فيهم بين عشية وضحاها بل لها أصول راسخة وجذور مستحكمة فى تاريخنا الماضى . الا أنه مما يدعو الى الاسف ان هذا الضعف الذى كان أعداؤنا يستغلونه بالأمس . ترى اليوم زعماءنا القوميين يستخدمونه لاغراضهم ، ممن كان المرجو منهم ان يكونوا أساة لأدواء الامة بدلا من ان يستغلوها لاغراضهم .

وكذلك كان علماؤنا يشاركون الطبقة الوسطى فى أمراضها الخلقية التى تقدم ذكرها آنفا ؛ ولا شك ان كان فيهم رجال من ذوى الأخلاق الفاضلة والطباع المستقيمة كما كان أمثالهم فى الطبقة المتوسطة ، الذين عرفوا واجبهم حق المعرفة وبذلوا فى أدائه مهجهم ولم تستطع قوة من قوى العالم أن تساومهم فى دينهم الا أن معظمهم كانوا من الجهالة الخلقية على مثل ما كان عليه رجال طبقتنا الوسطى . فكانوا ينالون الرواتب والجرايات من الحكومات، وكان شعارهم أن يتعلقوا بأذيال أمير من الأمراء ، أو ملك من الملوك أو رجل من حواشيهم ، ويعبروا الدين ويؤولوا أحكامه وقوانينه كما يرضاه ويشتهيه ، ويقدموا أهواءهم الشخصية ومصالحهم الذاتية على الدين ومقتضياته ؛ ويستعملوا سلاح الدين تضييقا على دعاة الحق وارضاء لسادتهم وأولياء

رزقهم وكان ديدنهم أن يتهاونوا فى شأن المسائل الأساسية والمهمات الخطيرة ويشددوا فى الفروع والجزئيات التافهة ، ومن هنا كان شعورهم الدينى مرهفا غاية الارهاف لعامة الناس والذين لا نفوذ لهم و لا سلطان ، فكانوا لا يكادون يصفحون عنهم فى التهاون فى الأمور المستحبة وكم أوقدوا من نيران الخصومات والشقاق بين الأمة لأجل أمثال تلك المسائل الفرعية التافهة.

أما الأغنياء وأرباب الجاه والثروة ممن يملكون النفوذ والسلطة ، فظلوا لهم سواء كانوا من المسلمين أوغيرهم، رمزا للمجاملة والمصالحة، وأخرجوا لهم الرخص والتسهيلات لا فى الفروع والجزئيات فحسب ، بل فى المبادىء والأصول أيضا .

أما أغنياؤنا فما كان ليهمهم فى الدنيا ويشغل بالهم الا شيئان : البطن والفرج فلم يكن بعدهما شىء فى الدنيا يستحق الالتفات والأهمية فى نظرهم ، بل كانت كل مجهوداتهم مرتكزة حولهما منحصرة فى سبيل خدمتهما ، وما كانت أموال الأمة وثروتها تنفق الا فى سبيل ترقية مهن وصناعات وحرف تقوم بنوع من الخدمة لهذين . فاذا بذل غنى من الأغنياء ثروته وقوته فى غاية أسمى وغرض أشرف ، حاول سائر الأغنياء مجتمعين اسقاطه والتنديد بمنزلته ولم يتحرجوا فى المؤامرة مع أعداء الأمة لاحباط مسعاه المحمود والتغلب على أمره .

الحالة الفكرية والعلمية :

ثم اذا استعرضنا ما كانت عليه حالتنا الفكرية والعلمية فى هذه القرون ، ظهر أن باب التحقيق والاجتهاد العلمى كان موصدا عندنا الى ما تركه لنا أوائلنا وأسلافنا والفكرة التى سادت وكانت لها جذور متأصلة فى نظام تعليمنا أن كل شىء قد تم على يد أسلافنا ، هو آخر لبنة فى بناء العلم والتحقيق ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف اليه بعدها شىء أبدا ، وان أعظم خدمة يمكن اسداؤها الى الأمة هى ان يذيل ما كتبه الأولون بحواش وشروح . يؤلفونها ويشتغلون بتدريسها ، فلا نكاد نعثر فى هذه

القرون على أثر فكرة مبتكرة واختراع مبتدع واكتشاف جديد ، وبذلك طرأ علينا جمود فكرى وغشى أجواءنا العقلية سحابة سوداء من العقم والتبلد ، فالظاهر ان كل أمة ابتليت بمثل هذه الحال لا يمكن أن تطول بها الحرية ولابد أن تغلب على أمرها أمة حية قوية كانت قد أحدثت اليقظة والنشاط فى أبنائها ، وكان الشعور بالواجب يسود رجالها على حسب ما يفهمون من واجبهم وكان الولاء المستقل الخالص موجودا فى علمائها وزعمائها وأولى الأمر منها : وكان أهل العلم من أبنائها مخترعين للقوى الجديدة ومستخدمين اياها فى مختلف نواحى الحياة وشؤونها ، وكانوا مستمرين فى التقدم الى الرقى والعلا فى مختلف شعب المدنية والحضارة ..

فاذا وجدت فى الأرض مثل هذه الأمة الحية ، فالى متى كان من الممكن أن تبقى مالكة زمام الأمر متصرفة فى أمور البلاد أمة قد ضربت عليها عوامل الجمود والانحلال الخلقى وتغلغلت فى عروقها الجاهلية ؟ فما كانت هذه الكارثة التى ابتلينا بها حادثة مفاجئة بل ان قانون الفطرة هو الذى اقتضى ألا نحيا الا تحت نير أمة من أمم أوربا الراقية ..

العلامة ابو الأعلى المودودى

نداء :

يا علماء الاسلام ان عزتكم من عزة الاسلام ، وقوتكم من قوة الاسلام ، فان شئتم أن تشعروا بالعزة والقوة فاعملوا لعزة الاسلام ولقوة الاسلام .

يا علماء الاسلام ليس من الاسلام فى شيء أن تمسكوا ألسنتكم عن بيان حكم الله ، وتغضوا أبصاركم عن اعداء الله حتى ينتهكوا حرمات الله .

الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه

ما الذى سيكون عليه المسلمون

فى مستهل القرن الواحد والعشرين

للأستاذ أحمد حسين

يجب أن نفرق بين الاسلام والمسلمين ، فالاسلام مذ نزلت تعاليمه الى الدنيا ، وهى فى صعود وانتشار مستمرين ، لم يتوقفا لحظة واحدة ، فسر نهضة أوروبا فى القرون الأربعة الماضية كامن فى تطبيق تعاليم الاسلام ، ولن تجد مبدأ تعتز به أوروبا وتعتبره من مقومات نهضتها ، ألا وهو بعض تعاليم الاسلام .

خذ على سبيل المثال ما دعت اليه الثورة الفرنسية ، مما أسموه « حرية واخاء ومساواة » فليس ذلك الا بعض تعاليم الاسلام .

يقول سيدنا عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

وأحسب انه لا يمكن تأصيل الحرية بأروع من ذلك ، وأما عن المساواة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون سواسية كأسنان المشط » .

وعن الاخاء يقول القرآن الكريم بصريح اللفظ : « انما المؤمنون اخوة » .

واذا اعتزت أوروبا بنظمها التى تقوم على الشورى ، فالشورى هى نظام الحكم الاسلامى واذا قام المجتمع الأوروبى عند ازدهاره على الأمانة وصدق المعاملة ، والنظافة وحسن السلوك وعلى طلب العلم والعمل ، فكل هذه مبادىء وتعاليم اسلامية ، عندما اتبعها المسلمون عزوا وسادوا فلما ان

هجروها بعد ان كانت أوروبا قد نقلتها عنهم ، فقد تأخروا وفشلوا ، حيث نجح الأوربيون وعزوا وسادوا ، فيجب أن نفرق دائما بين تعاليم الاسلام والمسلمين ، فحيث التعاليم تثبت فاعليتها فى كل وقت وآن ، فحظ المسلمين يتراوح بين الضعة والرفعة ، بين الذل والعزة بمقدار اقترابهم أو ابتعادهم عن روح الاسلام وتعاليمه ، فاذا نظرت اليوم لمستقبل المسلمين بعين التفاؤل ، فذلك بمقدار ما بدأوا يقتربون من روح الاسلام وتعاليمه ، وذلك فى الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تبتعد عن هذه المبادىء والروح ، ولنبدأ منذ البداية .

وكان ٦ أكتوبر هو البداية :

وكان ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أو بالأحرى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هو نقطة التحول فى تاريخ المسلمين، ان كل ما سبقه مما سوف أشير اليه لم يكن الا تمهيدا لما حدث فى العاشر من رمضان وسوف تثبت الأيام البعيدة المقبلة ان هذه المعركة كانت هى نقطة التحول الحقيقى فى حياة مسلمى القرن العشرين وبدء النهضة الكبرى التى سوف تتحقق باذن الله فى مطلع القرن الواحد والعشرين ، ولا يتصور متصور اننى أبالغ أو أسرف فى اظهار خطورة هذه المعركة .

لقد كان اليهود الصهاينة قد نجحوا فى استقطاب آخر ماتوصلت اليه ذروة ما وصلت اليه أوروبا وأمريكا ، ليس فقط من حيث التفوق الآلى وعلم بناء الأسلحة ، ولكن فيما يزعمون أنه تفوق حضارى فى الفكر، والنظم وأساليب الحياة ، حتى قال قائلهم : ان الفجوة الحضارية بيننا وبين العرب جد كبيرة ، قد تصل الى قرن من الزمان ، ولم يصدق اليهود أنفسهم وحسب فى هذه المزاعم ، بل صدقها العالم كله ، وأكاد أن أقول ، وصدقها العرب أنفسهم ، والعرب هم جيش الطليعة للعالم الاسلامى كله .

وفى ست ساعات عندما نجحت الجيوش المصرية فى عبور قناة السويس ، كان ذلك كله ينهار .

وتبدأ الصفحة الجديدة المشرقة للمسلمين ، فهؤلاء الذين عبروا القناة كانت صيحتهم الأولى « الله أكبر » وهى نفس الصيحة التى أطلقها أجدادهم من قبل فحققوا أعظم الانتصارات التى أذهلت الدنيا ولا تزال تذهلها ، بعد أن ذكرهم بالماضى هذا الذى حدث فى العاشر من رمضان ، فقد أجمع الكافة على أن عبور قناة السويس فى مواجهة التحصينات الاسرائيلية، يشبه أن يكون مستحيلا ، فلما ان تحقق بهذه البساطة ، وعلمت الدنيا ان ذلك قد تم تحت شعار « الله أكبر » أدركوا ان ذلك يعنى « بعث المسلمين »

ارادة القتال :

ان أعظم قوة سلح بها الاسلام معتنقيه عندما أمرهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم ، هى ان موتهم فى سبيل هذه الغاية سيكون حياة لا تعلوها حياة .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وبمقدار ما تمتلىء صدور المسلمين بهذا الايمان ، يكون التفوق ويكون الانتصار ويكون العز .

وعادت الروح :

ومن الواضح ان هذه الروح ، روح عدم الخوف من الموت ما دام فى سبيل الله ، قد بدأت تعود الى المسلمين بعد أن كانوا فقدوها ردحا كبيرا من الزمان ، فحصل العرب بخاصة والمسلمين بعامة على استقلالهم وسيادتهم ، وقام المسلمون فى كل مكان يعلنون عن شخصيتهم وجدراتهم بالحياة الكريمة باعتبارهم مسلمين ، وليس تحت اسم آخر ، ويتم ذلك بأساليب مختلفة حسب ظروف كل مجتمع ، ابتداء من الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى مسلمى قبرص ولبنان والفيلبين

وارتريا ، والجامع فى كل هذه الحركات ، ان روح القتال وارادته قد عادت الى المسلمين (فيمن عادت اليهم من الشعوب المقهورة) وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الأوربيون والأمريكان ، يفقدون هذه الروح ويتكالبون على ما يتصورونه متعا وملذات فى هذه الدنيا ، وهكذا وضعوا أقدامهم على سلم التدهور الى ما لا نهاية فزالت امبراطوريات، وانسحبت الولايات المتحدة بكل جبروتها ، انسحابا شائنا أمام فيتنام، وراحت أوروبا الشرقية والغربية تتقاربان ، خوفا من أن يتقاتلا ، والمهم ان الحياة المادية وحب الحياة أصبح هو الهدف النهائى لنشاط الأوروبيين والأمريكان فى الوقت الذى شرع فيه المسلمون لا يخافون الموت كما قدمنا .

المادة فى خدمة المسلمين :

واذ كان النفط (البترول) قد أصبح هو جوهر الحضارة المادية الحديثة ، فقد شاءت ارادة الله أن يجعل منابع هذا البترول ، أو بالأحرى (القسم الأكبر منه) فى أيدى المسلمين ، حتى ماكان موجودا منه فى حوزة (الاتحاد السوفييتى) فهو واقع فى مناطق المسلمين والبديل المقترح لتوفير الطاقة بعد نفاد البترول هو لأشعة الشمس ، وأحسب أن نصيب العالم الاسلامى من هذا المصدر الجديد للطاقة لا يحده حد .

وهكذا تدل الدلائل على أن الروح المعنوية والركائز المادية ، تتحول الى العالم الاسلامى فهو سائر فى طريق النهضة على وجه القطع واليقين ، فى الوقت الذى بدأ فيه المجتمع المادى بشقيه ، يتجه نحو الانحدار وقديما قال الشاعر:

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

واجب المسلمين :

ويكون السؤال : وما هو واجب المسلمين فى هذه المرحلة ؟ والجواب يتلخص فى كلمة واحدة ، وهى « التربية » ونعنى بها التربية الاسلامية السليمة ، والتى تكون

المسلم الصالح ، والمسلم الصالح : من سلم الناس من يده ومن لسانه ، ومن عاملهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم بالحب والاخوة والرحمة ، واقرأوا ان شئتم قول الله تعالى :

« يأيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقوله تعالى :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

احمد حسين

يا علماء الاسلام :

يا علماء الاسلام : ليس من الاسلام فى شىء أن تقوموا فى المعاهد لتعلموا طلبتها احكام الاسلام فى حين أن الحكومات لاتقيم هذه الأحكام .

يا علماء الاسلام ليس من الاسلام أن تقفوا على المنابر لتعلموا الناس محاسن الأخلاق واداء العبادات ، وتتركوهم جهالا بما يوجه الإسلام فى الحكم والتشريع ، والقضاء ، وفى الاجتماع والاقتصاد ، فى معاملة الأعداء والأصدقاء .

لماذا لا تبينون للناس ووظيفتكم البيان ؟

لماذا لا تبينون للناس حكم الاسلام فى الاحتلال ، ومن يوالونه ويراءونه ، ويحاربونه ويمقتونه ؟

الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه

احمد حسين فى سطور

- والده ريفى من كفر البطيخ ، أما والدته فمن سمنود.
- ولـد هو فى القـاهرة فى ٨ مـارس ١٩١١ وان كان لا يفتأ يصرح أنه ولد قبل هذا التاريخ .
- تلقى علومه فى كتاب الحى بطولون ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية الابتـدائية وانتقـل منهـا الى مدرسة محمـد على الأميرية ، حيث ألف فى هـذه الفترة جمعية « نصر الدين الاسلامى » .
- تلقى تعليمه الثانوى فى المدرسة الخديوية وانخـرط فى نشاطها المدرسى وكان التمثيل هو النشاط المسـيطر ، فقدم لهم مسرحية « أبو مسلم الخراسـانى » . كمـا اشرف على اصدار مجلة المدرسة .
- التحق عام ١٩٢٩ بكلية الحقوق .
- دعا عام ١٩٣١ الى تصنيع مصر بجهود الشعب ، ممـا اطلق عليه فى حينه « مشروع القرش » .
- أسس عام ١٩٣٣ جمعية مصر الفتاة التى تحولت بعـد الحرب العالمية الثانية الى الحزب الاشتراكى ، وكـانت التعاليم الاسلامية هى نبراسه دائما ، فدعا عام ١٩٣٨ الى تطبيق أحكام الشريعة واتهم ونفر من أعضاء جماعته، فيما أشتهر آنذاك باسم « تحطيم الحانات » .

- كان له دور كبير فى محاربة الملك السابق وكل فساد وطغيان مما جعل حكام ذلك الزمان يعملون على التخلص منه فانتهزوا فرصة حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ لكى يعتبروه مسئولا عن هذا العمل .
- كان لقيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الفضل فى انقاذه من حبل المشنقة .
- هاجر من مصر عام ١٩٥٥ ولكنه لم يلبث أن عاد اليها ، فلما أن خاب أمله مرة أخرى اعتزل الحياة وأوى الى بيته عام ١٩٦٠.
- وفى بيته تفرغ للمطالعة والتأليف فأصدر ثلاثة من المع كتبه .
  - الطاقة الانسانية
  - الأمة الانسانية
  - نبى الانسانية
- جاوزت مؤلفاته الأربعين كتابا أحدها يقع فى الفى صحيفة وهو موسوعة « تاريخ مصر » .
- ولكن عمله الأكبر والذى يعتبره تتويجا لحياته كلها هو تفسيره للقرآن الكريم .
- أصيب بالشلل الكامل الذى أعجزه عن الحركة تماما ، فيما خلا الكتابة وهو ما يجعله يقول : ما بقى الله يحفظ لى عقلى ، ويقدرنى على الكتابة ، فسوف أكتب لنهضة المسلمين .
- يعتز باللقب الذى اطلقته عليه « مجلة الأزهر » من أنه « الكاتب الاسلامى » .

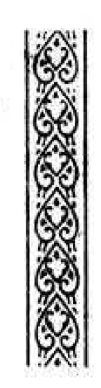

موقف المسلمين من الفانشاسيلا بأندونيسيا

للدكتور محمد ناصر
رئيس الوزراء الأندونيسى الأسبق

اننى أود أن أوجه ندائى لدعاة المبادىء الخمسة ، فهـذه المبادىء التى تريدونها موجودة فى الاسلام، ولكنها ليست مجرد نظرية عقيم ؛ بل انهـا بانتسابها الى الاسـلام تصبح قيما حيوية لها مرتكز واقعى وواضح معا .

انكم اذ تقبلون الاسلام فلسفة للدولة فلستم مظلومين فى حقـكم سـواء باعتباركم دعاة للمبـادىء الخمسة أو متدينين ، بل تجـدون لكم فلسـفة دولة حيوية واضـحة المعالم مدعمة بالقوة والكيان .

فلو قبلتم الاسلام أساسا للدولة فلن يزول واحد من هذه المبادىء الخمسـة ، ففى الاسـلام قواعد ونظـم بحيث تجـد نظـرية تلك المبادىء الخمسـة مرتكزا حقيقيا وروحا محركة .

ولدعاة الاقتصاد الاشتراكى أقول انكم ستجدون فى الاسـلام منهاجا تقـدميا للاقتصاد وعدالة اجتماعية رائعـة .

الاسلام عقيدة ...

انهـا عقيدة يعيش فى رحابهـا السـواد الأعظم من أبناء الشعب الأندونيسى ، وليس هذا فحسب ، فالاسـلام فكرة فهو ليس مجـرد دين كالمفهوم فى المقابل الانكليزى بكلمة Religion والذى لا وظيفة له سـوى تنظيم العـلاقات بـين الانسان وربه ، فالاسلام يشـمل عنصرين ، عنصر العـلاقة بـين الانسان وبنى نوعه وبالتالى عنصر العبادات وعنصر المعاملات .

وهذا العنصر الأخير أى عنصر المعاملات يشمل حياة الفرد والأسرة والدولة . فحين يجابهنا أمر من أمور الدولة كالدستور مثلا فلا مناص من الرجوع الى تعاليم الاسلام المتمثلة فى عنصر المعاملات .

ورب سائل يتساءل : كيف يمكن للاسلام أن ينظم دولة حديثة من شأنها أن تجد حلا لآلاف من المشاكل المعقدة ؟

ولدحض هذه الشبهات أود أن أقول انه لاحاجة بنا لأن تتساءل كيف يمكننا أن نضع ميزانية للدولة أو أن تتصرف فى أمور العملات والصرافة أو تنظيم حركات المرور بحيث تنفق وتعاليم الاسلام .

أن الاسلام لم يضع أسسا لأمثال هذه الأمور الفرعية أو التفصيلية التى يمكن أن تتغير بتغير الزمان وبقدر حاجة الانسان . فهو لم يضع الا الأسس الرئيسية التى تتفق ونوازع الانسان الفطرية ، هذه الأسس أو القواعد الصالحة لكل زمان ومكان .

للاسلام قواعد من أهم ما تتميز به أنها تنظر الى كل ما يتعلق بصلات الانسان بربه ، أى مايتعلق بالعبادات ، على أنه حرام الا ما أمر به الله ، وتنظر الى كل ما يتعلق بالمعاملات أو الصلات بين الانسان والانسان على أنه حلال الا ما نهى عنه الله ، وهذا فى اصطلاح القانون الاسلامى ما يطلق عليه « البراءة الاصلية » .

الاسلام يضع لنا قواعد أساسية لتنظيم الحياةالدنيوية ، وهو فى الوقت نفسه ينظم حدودها حتى يبين للناس ماهو حلال وماهو حرام وما يجوز وما لايجوز ، وكل هذا وضعه الاسلام لضمان سلامة الانسانوسعادته فرديا أو اجتماعية .

والى جانب هذه القواعد والحدود منح الاسلام للانسان مجالا واسعا لاستخدام عقله واجتهاده فى تنظيم الأمور فى كل نواحى الحياة وفقا لتقدم العقل البشرى ومطالب الزمان والمكان .

ولا تتدخل العقيدة فى مثل هذه الأمور الا فى حالة وجود تعارض بينه وبين حدود العدالة والانسانية وغيرها من القيم الروحية .

لاشك أننا سنجد هذه القواعد واحدا واحدا كلما حاولنا أن نبحث فى أمر من الأمور التى نريد النص عليها فى الدستور كالحقوق الأساسية وشكل الدولة ومبدأ الاجتماع والاقتصاد وغيرها من الأمور .

بقى الآن أن نتساءل هل تسمى الدولة الاسلامية كما ذكرتها آنفا دولة ثيوقراطية ؟

ان الثيوقراطية كما هى معروفة نظام لدولة تكون السلطة فيها رهبانية وتتزعمها طائفة من رجال الدين يزعمون أنهم وكلاء الله على الأرض . أما الاسلام فلا يعرف هذا النظام أى لا رهبانية فى الاسلام . فالدولة — الاسلامية اذن ليست ثيوقراطية .

انها دولة ديمقراطية .

ولكنها ليست علمانية أو لا دينية ، كما ذكرت لكم سابقا .

انها دولة ديمقراطية اسلامية (كما يفهمها الاسلام لا كما يفهمها دعاة الديمقراطية اليوم) . فاذا كان لنا أن نضع لهذه الدولة اسما فلن نجد لها اسما أوفق من : « الدولة الديمقراطية الالهية » Theiseic Democracy

انى آمل أن يجد الحزب الذى أمثله فرصة سواء فى جلسات اللجنة التحضيرية أو اللجان الفرعية الأخرى لسرد مقدمات عن القواعد التى ذكرتها لكم .

سأحاول الآن أن أمهد لكم بعض مقدمات عن القواعد الاسلامية فى خطوطها الرئيسية .

نحن نقول ان ثمة قيما عليا تعيش فى نفس الشعب الأندونيسى من بينها روح التعاون ؛ واذا لم نقل ان الاسلام هو أول من وضع تلك القيم فلا أقل من أن نعترف أن له أكبر الفضل فى تهذيبها .

والحق أن الاسلام منذ ظهوره أعلن وظيفته المتمثلة فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وتلك القيم الروحية التى أتمها الرسول ليست الا امتدادا للقيم التى وضعها الله على يد أنبيائه السابقين .

ونحن اليوم حين نحاول وضع دستور لدولتنا نريد بذلك أن نحافظ على القيم الموجودة .

فلو جعل الاسلام أساسا للدولة فمن البدهى أن ندرس كل القيم الموجودة والمتغلغلة فى نفس الشعب .

فنحن مثلا نرى أن فينا روح التعاون ، وهذا مثل بسيط أوردناه هنا لنعرف مدى محافظة الاسلام على القيم الروحية . فالاسلام ينادى بوجوب المحافظة على تلك الروح لأنها كانت ضمن تعاليم الاسلام ، فها هو القرآن يحض الناس على التعاون وينادى « وتعاونوا على البر والتقوى » وهذه هى الناحية الايجابية .

ومتى بدت ظواهر سلبية بين مجتمعنا نجد الاسلام ينادى مرة أخرى : « ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وهناك مثل آخر . فروح الديمقراطية مثلا سائدة بيننا . فالاسلام يقرر وجوب المحافظة على تلك الروح وزرع بذورها فى حياة الأفراد والجماعات ، لأن من ضمن تعاليم الاسلام أن يؤخذ كل أمر بالشور . فالاسلام ينادى بلسان القرآن : « وشاورهم فى الأمر » وهذا مبدأ من مبادىء الاسلام ، أو بعبارة أصح هو أمر من أوامره لابد من اتباعه .

ومتى قلنا ان مبدأ الديمقراطية أو مبدأ الشورى ركيزة من ركائز دولتنا فقد نادى الاسلام بذلك كما نفذه رسول الله وصحبه فى الفترة التى كانت لا تزال فيها شعوب العالم غارقة فى لجج من بحار الاستبداد والاقطاعية والظلم والجور ، ومن السهل الوقوف على تلك الأمثال لمن يريد أن يبحث ويدرس كتب الاسلام .

هناك روح أخرى سائدة فى مجتمعنا وهى روح الوطنية ومعلوم أن حب الوطن هو فطرة فطر الله الناس عليها .

والاسلام ينادى أيضا بضرورة المحافظة على هذه الروح

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » •

ان هذا هو اقرار بمبدأ القومية، بل انه أكثر من ذلك لا يدعو الى محو القبلية ، فقد أراد الله بجعل الناس شعوبا وقبائل أن يتعارفوا ويتعاونوا فيما بينهم •

لقد ذكرت لكم أن هذا المبدأ ، مبدأ القومية ، غريزة فى نفس الانسان ، والاسلام حين يضع تعاليمه وشرائعه يراعى فى الوقت نفسه شمول الجوانب النفسية دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية ، فلا غرو اذن أن تكون تلك الآية التى ذكرتها لكم آنفا اعلانا واضحا بأن الله ما خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل الا لأغراض سامية تتلخص فى وجوب التعاون • فالاسلام اذن يحافظ على أمثال هذه التعاليم العليا كحب الوطن الذى طبعت غريزة الانسان عليه • وهذا هو ناحيته الايجابية•

على أنه الى جانب ذلك يرى الاسلام وجود ناحيته السلبية ألا وهى الوطنية أو القومية المتطرفة ، التى من شأنها أن تزرع فى النفوس بذور الكبرياء وتخلق العصبية الجنسية الممقوتة • فيشعر الناس أنهم أرفع وأسمى من الشعوب الأخرى •

ولم يكن هذا مجرد نداء بنصرة المظلوم بالمفهوم العادى فحسب ، بل ان الاسلام يدعو الى حمل السلاح وتضحية النفس للدفاع عن الضعفاء والمظلومين وتخليصهم من براثن الاستعباد وقيود العبودية بعد أن كانوا لا يجدون من الوسائل للمقاومة سوى أن يقولوا :

« ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ••• » اذا كنا اليوم نسمع دائما عبارات تهدف الى محاربة الاستعباد والاستغلال البشرى ، فان الاسلام قد وضع ، منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، أسسا وقواعد لحماية الضعيف ونصرة المظلوم ومحاربة الظلم والطغيان ، وكانت الأوامر كما جاءت فى الآية السابقة من الصراحة والقوة مايمكنها من تحريك القلوب المؤمنة لتعمل على تنفيذها ، وقد يضحى المؤمن ويجازف بحياته فى سبيل ذلك •

فمن المستحيل أبدا أن يرضى بالعبودية شعب مؤمن ، أيا كان نوعها ، وسواء على نفسه أم غيره .

ان هذه الأوامر الالهية تنحصر فى كلمة « الجهاد » وهذه الكلمة قد شاعت كثيرا بين الشعب الأندونيسى وخاصة فى الوقت الذى ساهم فيه المسلمون بنصيب وافر فى كفاحنا المقدس لحماية استقلال (١) أراضينا فى تاريخنا القريب . وأنا أعتقد أنه ليس بين زعمائنا من يجهل تأثير هذه الكلمة فى نفوس الشعب الأندونيسى وكان من جراء ذلك أن وجدنا أن زعماءنا سواء أكانوا ممن يؤمنون بتلك الكلمة أم لم يكونوا قد جعلوا منها حافزا قويا يدفع الأندونيسيين الى صيانة استقلال البلاد فى تلك المعركة التحريرية . ولقد شاهدنا ولمسنا نتيجة ذلك التأثير . ولابد من الاعتراف بأنه ما كان لهذه الكلمة أن تؤثر ذلك التأثير لو لم تكن لها جذور سابقة فى أعماق الشعب ، هذا الشعب الذى طالما تأثر بتعاليم الاسلام وأثر فيه العلماء بقول الله تعالى :

« وجاهدوا فى سبيل الله » .

فلهذا جاءت الآية مصرحة : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » على أنها لم تقف عند هذا الحد فحسب ، بل شاءت أن تزيل بذور التفرقة والعنصرية وتبين درجة السمو والكمال فجاءت الآية متممة : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

ان ثمة روحا أخرى سائدة فى مجتمعنا وهى روح الحرية . وقد بدت هذه الروح جلية واضحة بعد أن تلنا استقلال البلاد وسيادتها . وهذه الروح هى الأخرى غريزة فى نفس الانسان نتيجة لغريزة حب الوطن .

تعالوا نستعرض روح حب الحرية الكامنة فى نفسية شعبنا قبل الاستقلال . لقد كان هذا الشعب يرزح تحت وطأة الاستعمار الهولندى منذ أكثر من ثلاثة قرون

---

(١) انظر « بين يدى الكتاب » فى المقدمة .

ونصف قرن . وسترى ان الاسلام يحافظ على هذه الروح ويشعل جذوة الحماس فى كل ركن من أركان الأرض فى سبيل المحافظة على الحرية والسيادة . فاذا وجد شعب تحطمت معنوياته ورضى بالاستعباد والظلم وجدنا أن الاسلام ينفث فيه روح المقاومة والثورة والكفاح ضد الاستعمار والعبودية مخاطبا بقول الله تعالى:

« أذن للذين يقاتلون بأنهمظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

اننا لو أردنا أن نحصى كلالقيم الموجودة فى نفسية شعبنا لوجدنا أن تلك القيم تجد فىرحاب الاسلام دافعا يحفزنا للمحافظة عليها . فنحن مثلا شعب مفطور على حب نصرة المظلوم ، فهل نجد من التعاليم ما هو أصرح مما جاء به الاسلام على لسان القرآن الكريم :

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجالوالنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

أود أن أسرد لكم مثلا آخر وأقول ان شعبنا يقدس الايثار ويمقت الأنانية ، ونحن نجدالاسلام ينادى بالمحافظة على هذه الروح ليجد جميع طبقات الشعب قسطهم من حياة الرفاهية ، وفى حالة وجود أفراد مستغلين يدفعهم الطمع والشراهة الى الأثرة والأنانية واحتكار الثروة لمصالحهم الذاتية دون مراعاة المصلحة العامة فى مثل هذه الحالة نجد الاسلام ينادى بمحاربة هذه الرأسمالية وتنص الآية مصرحة :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

الاسلام يقرر مبدأ الملكية لأن الانسان مفطور على حب التملك . ولكن الاسلام فى الوقت نفسه يفرض واجبات على أرباب الثروة :

وأعنى أن الاسلام قد صرح بضرورة الانتفاع ببعض الثروة لصالح الفقراء والمساكين، فلايمكن جمع الثروة ومداولتها بين طائفة معينة أو لاشباع غريزة الذاتية ، بل لابد من استثمار الأموال لرفع مستوى الحياة لدى سواد الشعب.

ان المؤمن ينظر الى أمثال هذه الأوامر الالهية كنور يقتبس منه ويهتدى به ، وحينما تصل الى مسامعه العبارة المشهورة اليوم « الملكية لها وظيفة اجتماعية » فهو يحس فى قرارة نفسه بما فى هذه العبارة من معان عميقة هى أكثر من مجرد قانون ، لأن الاسلام قد دفعه من قبل الى ذلك الاعتقاد .

وأخيرا فان شعبنا مفطور على حب التسامح ، والاسلام كذلك قد نادى بالمحافظة على هذه الروح ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ثم جاء الاسلام بما هو أبعد من ذلك فنص على وجوب الدفاع عن الأديان . وليس التسامح الذى يبديه الاسلام مجرد تسامح سلبى، بل هو التسامح الذى يفرض على المسلم التضحية بنفسه لنصرة حرية التدين وليس ذلك بالنسبة للاسلام فقط بل للأديان السماوية كلها :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

نحن نعرف ان حب الانسان لدينه قد يجره فى بعض الأحيان الى التعصب ، وفى سبيل الحيلولة دون انتشار هذا التعصب فقد خاطب الرسول أهل الكتاب على لسان القرآن الكريم :

« وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لاحجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير » . وهكذا نجد ان الاسلام قد وضع أساسا راسخا فى بناء القيم العلياء والتسامح الايجابى ، بل وضع مسئولية على

عاتق المسلم فى الدفاع عن حرية التدين .

وقد يتساءل أحدكم أى سبيل نختاره للمحافظة على روح التسامح الدينى فى دولة كأندونيسيا تجتمع فيها عدة أديان . وللجواب عليه أقول : انه لاسبيل الا بالمحافظة على ما ذكره القرآن من روح التسامح، هى الروح التى احتلت مكانة مرموقة ووجدت سبيلها فى نفوس معظم الشعب الأندونيسى .

هذه الروح يحس بها المسلم وكأنها روح قدسية ونور يقتبس منه فى الحياة ، وهذه الروح أقدر وأحرص على صون حرية الأديان من مبدأ « الايمان بالله » ذلك المبدأ الأول من المبادىء الخمسة المنصوص عليها فى الدستور المؤقت القائم والذى لا ينظر اليه المسلم أكثر من مجرد كلمات جوفاء مسطورة .

وما أكثر القيم العليا الموجودة فى أعماق نفوس الشعب الأندونيسى والتى هى فى اعتقادنا صادرة عن تعاليم الاسلام الذى يعتنقه السواد الأعظم من شعب أندونيسيا وما ذكرته لكم آنفا ليس الا بعضا منها .

د. محمد ناصر

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

« يايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين. بل الله مولاكم وهو خير الناصرين».

قرآن كريم

حاضر المسلمين ومستقبلهم بين الآلام والآمال

للواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

التقيت بالمشير اللورد مونتكومرى لورد (العلمين) فى كلية الدراسات العسكرية العليا بانكلترا سنة ١٩٥٤م وكان يلقى محاضرات عن معركة (العلمين) على طلاب الكلية ، وكانت الكلية تدعو الأساتذة والمحاضرين فى أمسيات ترفيهية : يخالطون الطلاب وهم من جنسيات مختلفة قدموا من أرجاء العالم ، ليكتشفوا قابلياتهم فى أوقات الهزل ، كما يكتشفون قابلياتهم فى أوقات الجد .

وكان مونتكومرى متدينا ملتزما بتعاليم دينه أشد الالتزام ، فكان عميد الكلية يجمع حوله المتدينين من الضباط الطلاب ، وما أقلهم وأندرهم ، يناقشهم فى القضايا الدينية ؛ لا يكاد يخرج عن نطاقها أبدا ، ويبدى اشمئزازه من انحراف الناس عن الدين وعن مقومات الخلق الكريم .

وحدثته عن سمات قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن العسكرية الاسلامية استنادا الى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وعن تعاليم الاسلام التى تأمر بالعلم وتنهى عن الجهل ، وتحث على التمسك بأهداب الفضيلة والمثل العليا أخلاقا وسلوكا ومعاملة .

وكان من الواضح أن أفكاره عن الاسلام كانت ضحلة ومشوهة ، وأن دراساته عن هذا الدين اقتصرت على كتب محددة قليلة ، تتسم بالانحراف والتحيز ، وتناصب العداء للاسلام ، وتتحدث عن المسلمين لا عن الاسلام .

وأبدى المشير رغبته فى قراءة مؤلفات عن الاسلام بقلم مؤلفين مسلمين فزودته بما تيسر من الكتب الاسلامية باللغة الانكليزية ، ألفها علماء من الباكستان والهند ، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا .

ولم يخف مونتكومرى شدة استغرابه من تناقض ما قرأه عن الاسلام فى مؤلفات أعداء الاسلام الذين يخفون نياتهم المغرضة بشعارات براقة كالتظاهر بالعلم والبحث العلمى والدراسة التاريخية وعدم التعصب — وبين الحقائق التى حدثته عنها فى المجال الاسلامى ، ولكنه تساءل : اذا كانت العسكرية الاسلامية بالشكل الباهر الذى ذكرت ، فلماذا أصبح المسلمون ضعفاء مستعبدين ؟ ! واذا كانت تعاليم الاسلام بناءة بالصورة التى وصفت ، فلماذا أصبح المسلمون مفككين متخلفين ؟ ! » .

وقلت له : « هل يطبق كل المسيحيين تعاليم السيد المسيح عليه السلام ؟ فهل نلوم تلك التعاليم ، أم أن اللوم ينصب على المنحرفين؟!» .

وتنهد مونتكومرى ، وشن حملة شعواء على المعرضين عن المسيحية ، واتهمهم بالتخريب والانحلال والتفسخ ؛ وأنحى باللائمة على الحكومة والأبوين والأساتذة والمعلمين .

والحق أن أسوأ دعاية للاسلام هم المسلمون ، فلم يتركوا أمرا نهى عنه الاسلام الا ارتكبوه ، ولم يغادروا شيئا أمر به الاسلام الا تخلوا عنه ؛ فالاسلام كالمهند البتار بيد الرعديد الجبان ، ولا تثريب على السيف الصمصام ، ولكن على الساعد الخائر الذليل .

وليس مونتكومرى وحده يتهم الاسلام بالتقصير من جراء تقصير المسلمين ، لأنه يجهل تعاليل الاسلام . كل أعداء الاسلام والذين يجهلونه يتهمونه بالتقصير ، دون أن يحرك المسلمون ساكنا ، ويدافعوا عن دينهم بتطبيقه أفرادا وجماعات نصا وروحا ولايدافعون عنه بالأقوال دون الأفعال .

— ٤ —

ولست بصدد ما عاناه الاسلام من آلام فى ماضيه القريب والبعيد، لأن ذلك يحتاج الى جهد شاق ووقت طويل ، ولأن ذلك يخرج عن نطاق منهاج هذا البحث .

يكفى أن أذكر أن التحديات التى صاولها الاسلام وتغلب عليها، تكفى أن تسحق أى دين آخر، ولكن قوة الاسلام الذاتية التى هى (تطعيم) حقيقى للنفس المسلمة ، حمت المسلمين من الانهيار وصانتهم من الردة .

ويمكن تلخيص الآلام التى يعايشها المسلمون فى حاضرهم ومستقبلهم باتجاهين : آلام من أعداء الاسلام فى الخارج وتحديات العصر، وآلام من المسلمين أنفسهم فى الداخل .

وهدف أعداء المسلمين هو أن يتخلى المسلمون عن دينهم ليصبحوا مسلمين جغرافيين أسماؤهم اسلامية، وبلادهم اسلامية وبيئتهم اسلامية ، ولكنهم يعيشون حياة غير اسلامية.

ولا بد لكل فرد من ضوابط روحية ومثل عليا تجعله متماسكا لا يهون ، وما يقال عن الفرد يقال عن المجتمع ، وحين تمسك المسلمون بدينهم عزوا بهذا الدين وسادوا . وحين تخلوا عن دينهم ذلوا وأصبحوا غثاء كغثاء السيل .

وأعداء الاسلام والمسلمين يعرفون هذه الحقيقة ، لذلك فهم لا يجتمعون على شيء، اجتماعهم على محاربة الاسلام .

كما يعرفون أن الاسلام قوة قاهرة ، فهم يخشون هذا الدين ، ويتعاونون على اضعافه .

وسر ثبات الاسلام أمام التيارات الجارفة التى تعرض لها سابقا ويتعرض لها اليوم وسيتعرض لها غدا يكمن فى القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا .

وكل مسلم حق مدعو فى الحاضر والمستقبل أن يستقتل دفاعا عن القرآن الكريم بما يستطيع من قوة، وأن يحذر مكايد أعداء الاسلام فى محاولاتهم السرية والعلنية للقضاء

على أثره وتأثيره فى العقول والقلوب معا ، لأن بقاء الاسلام قويا شامخا رهن ببقاء القرآن الكريم قويا شامخا .

تفنن أعداء الاسلام بمحاولاتهم فى اضعاف العربية لغة القرآن الكريم ، فدعوا الى الكتابة بالحروف اللاتينية ، والتخاطب والكتابة بالعامية ، وأشاعوا أن العربية أصعب اللغات ، وزعموا أن العربية لغة أدبية لا علمية ، وأنها لا تستطيع مجارات العلوم ، وفرض المستعمرون لغتهم على الدراسات العلمية ، وقلصوا من تدريس القرآن فى المدارس والمعاهد ، وهو نوا من شأن معلمى العربية ومدرسيها وأساتذتها ، وهدف كل ذلك محاصرة القرآن الكريم وعزله .

ان الاذاعات المرئية ، والمسموعة فى البلاد العربية بخاصة والأقطار الأسلامية بعامة ، تعمل عملها التخريبى فى هذا المجال ،فمن النادر ان تسمع مذيعا يضبط النطق العربى صرفا ونحوا ، وأكثر المذيعين يخاطبون المستمعين والمشاهدين باللهجة العامية ، ومزج بعضهم هذه اللهجة بلكنة أجنبية .

ومن المهم جدا أن أذكر المسئولين الكبار ، بأنهم مسئولون عن القاء خطبتهم بالعربية الفصحى ، لأنهم قدوة لشعوبهم ، وعدم التزامهم بالفصحى وايثار العامية عليها يؤثر فى تلك الشعوب أسوأ تأثير ، لأنهم يقلدون المسئولين الكبار ، والناس على دين ملوكهم .

وأعداء الأسلام يستهدفون اشاعة العامية لقتل الفصحى قتلا ، أفيتطوع كبار المسئولين لتحقيق هدف حيوى لأولئك الأعداء ، والمفروض أن يحبطوا أهداف الأعداء خدمة للغة القرآن ؟ .

وتفنن أعداء الأسلام بمحاولاتهم فى التشكيك بالعقيدة الاسلامية، فتزعزعت عقيدة قسم من المسلمين ، وتشوشت عقيدة قسم آخر ، وثبت على عقيدتهم آخرون .

والهدف من نسف العقيدة ، هو اقتصار الأنسان على المادة من دون

الروح والعقيدة هى الروح ، والمادة الى فناء ، والروح الى بقاء ، والذى لا عقيدة له لا يقاتل ولايضحى ولا ينتصر أبدا ، وبذلك يسهل على أعداء الاسلام السيطرة على المسلمين بسهولة ويسر .

وتفنن أعداء الاسلام بمحاولاتهم لاحلال القانون الوضعى مكان شريعة الله ، فانتشرت السرقة ، وشاع الفسق والفجور وتفككت أواصر العائلة ، وانصرف الشباب عن الزواج .

ان تطبيق الشريعة الأسلامية يجعل من ضمير المسلم رقيبا عليه ، لأنه تنفيذ لأوامر الله ، وقد كان الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعمل قاضيا لعمر بن الخطاب ، فقضى سنتين لم يراجعه خصمان .

والشريعة الغراء هى لحماية الفضيلة ، والمحافظة على النفس والدين والمال والعرض ، وصيانة المجتمع الاسلامى .

وقد سبقت الشريعة الأسلامية القوانين الوضعية فى كثير من مبادئها ، فهل من المعقول أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وهل من المعقول أن نطبق قوانين نابليون الذى جعل من حرم الأزهر اسطبلا لخيوله ؟ !

ان الشريعة الاسلامية غائبة عن المجتمع الأسلامى بشكل أو بآخر ، فلا بد من عودتها الى مكانها اللائق بها بين المسلمين .

وتفنن أعداء الأسلام بمحاولاتهم الغاء المثل العليا الاسلامية ، فنجحوا بذلك أعظم النجاح .

ولايزال نجاحهم فى مد عارم ، ولايعرف غير الله أين سيصل المسلمون فى محاكاة الأجانب بسبب باذلهم ، فقد بلغوا فى هذا المجال حدا مخيفا .

وقد قيل الكثير عن أثر الاستعمار فى المسلمين ، ولكننى أرى أن أخطر آثار الاستعمار فى المسلمين ، هو اختيار المستعمر كل منخوب جنسيا وكل منخوب جيبيا ، وتوليتهم المناصب المرموقة واغداق الأموال والجاه عليهم ، وتحكيمهم فى رقاب الناس ، فقلدهم المسلمون من ضعاف النفوس ليتولوا المناصب الرفيعة ، لأنهم وجدوا السبيل

الوحيد للتقدم والغنى هو فى التخلى عن المثل العليا الاسلامية ، فساءت الحال وتردت الاحوال .

واذا كان للمستعمر عذره فى اختيار الامعات والتافهين والمنخوبين فما عذر ولاة أمور المسلمين فى اختيار أمثال هولاء ؟

وقد كان عمربن الخطاب رضى الله عنه يقول لجيوشهم المتوجهة للفتح : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم ، فهى أشد عليكم من عدوكم » ، وقد غرق المسلمون اليوم بالذنوب ، فمن أين يأتيهم النصر ؟ .

واذا كان المستعمر قد فتح الحانات وأقام المراقص وأباح الزنا، وشجع على الميسر ، وغمر بلاد المسلمين بالفسق والفجور ، فما عذر المسئولين المسلمين فى سكوتهم عن هذه المصائب وابقائها على حالها التى كانت عليه أيام الاستعمار ؟ .

ان الأمة بمثلها العليا بأخلاقها المحاربة ، بفضائلها ومزاياها ، ولاقيمة لأية أمة تتخلى عن مثلها العليا وأخلاقها وفضائلها .

والدول تبدأ بالمثل العليا التى توصلها الى مراقى السؤدد والمجد ، وتنتهى بالترف الذى يوصلها الى الحضيض والمذلة ، والمسلمون بدأوا بالترف أولا والغوا مصادرهم الثرة بالمثل العليا .

— ٣ —

وأعداء المسلمين كثيرون ، ولا توجد أمة أكثر أعداء من المسلمين ولا أشد عداوة من أعدائهم .

وعلى رأس أعداء المسلمين خمسة أعداء ، أذكرهم للتنبيه لا للحصر .

العدو الأول هو الاستعمار بشكليه القديم والجديد : القديم الذى يعتمد على القوة والسيطرة والاستعباد لنهب الموارد والخامات، والجديد الذى يعتمد على السيطرة الاقتصادية والاحلاف لنهب الموارد والخامات أيضا .

والاستعمار القديم هو خمسة أنواع : استعمار سياسى،واستعمار

اقتصادى ، واستعمار عسكرى ، واستعمار اجتماعى ، واستعمار فكرى .

وأخطر أنواع الاستعمار على الأطلاق ، هو الاستعمار الفكرى أو الغزو الفكرى ، وقد تخلص المسلمون من الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى، ولا يزال الاستعمار الفكرى يطبق عليهم من كل جانب .

ومادام الاستعمار الفكرى ينيخ بكلكله من المسلمين ، فهم لن يتخلصوا من الاستعمار أبدا ، لأنه خرج من الباب ودخل من الشباك .

ان المسلمين يعيشون اليوم ضمن نطاق الحضارة الغربية ، وهى حضارة مسيحية كما هو معلوم .

وللمسلمين حضارة اسلامية عريقة ، مستمدة من دينهم الحنيف ، فلمصلحة من يستبدلون حضارة مستوردة بحضارتهم ؟ .

وأرجو أن يكون ما أردته مفهوما، فقد اقتبسنا من الحضارة الغربية قشورها ومظاهرها ، وهذه القشور والمظاهر قد تناسب غير المسلمين ، ولكنها لا تناسب المسلمين ، لأنها تناقض تعاليم دينهم . ومن المؤسف حقا أن أصحاب المثل العليا من الغربيين ، يشكون مر الشكوى من قشور ومظاهر حضارتهم ، ويرون فى التمسك بها مؤشرا واضحا على قرب تفسخهم وانحلالهم . والذين اقتبسوها من المسلمين ، هم كالذين يحاولون بناء الهرم من القمة : لايفعلون شئيا الا الحاق الضرر بحاضرهم ومستقبلهم . أما ما يفيد العقل والعلم من الحضارة الغربية ، فمن الضرورى اقتباسه واتقانه ، فالحضارة ـ كل حضارة عالمية والمسلمون الأولون لهم قسط وافر فى اقامتها، والاسلام يأمر بالعلم وينهى عن الجهل ، ولكنه يأمر بالعلم الذى يفيد لا بالذى يخرب ، ونقل الحضارة الغربية بكل ما فيها ، من خير وشر وبناء وهدم وتعمير وتخريب ، كما بشر به بعض المسلمين ودعا اليه ، مرفوض رفضا باتا ، والمطلوب هو نقل الخير والبناء

والتعمير لا نقل الشر والهدم والتخريب .

وجريمة الاستعمار أنه استقدم قشور حضارته ومظاهرها الى ديار المسلمين ، وشجع على المنكر والفحشاء ، وبوأ الأشرار والمخربين الذين نقلوا الشر والهدم والتخريب أعلى المناصب ، وحكمهم فى رقاب أبناء جلدتهم ، كأنه كان يلقى فى روع المسلمين بأن الذى يسير فى ركابه يحظى بالسلطة والجاه والمال ، والذى لا يطاوعه يحظى بالحرمان والعوز والفاقة ، وبذلك جعل العملة الرديئة تسيطر على العملة الصالحة .

ولم تكن ديار المسلمين تعرف البغاء العلنى والحانات والملاهى ودور الميسر وصالات الرقص ومصارف الربا والقوانين الوضعية قبل الاستعمار ، كما لم تعرف أدباء المخدع والرقوق السينمائية الخليعة والسخرية بالدين والتراث والعربية الفصحى ونشر العامية على نطاق واسع فى أجهزة الاعلام ، وتقويض المدارس والمعاهد والجامعات الدينية التى تعلم الدين والعربية ، واضطهاد رجال الدين والعربية والحط من مكانتهم وكفاياتهم ، واستعباد المرأة باسم تحريرها .

تلك هى قشور الحضارة الغربية ومظاهرها التى يجب أن يرفضها المسلمون ويتخلوا عنها ، وتلك هى مخلفات الاستعمار وآثاره فى البلاد الاسلامية ، واذا كان هدف الاستعمار من اشاعتها تمييع المسلمين وجعلهم أمة لا تقاتل عن دينها وأرضها وعرضها ، فلماذا يبقى عليها أصحاب السلطان المسلمون بعد أن تخلصوا من براثن المستعمرين ؟

ان المسئولين المسلمين الذين يحرصون على الحفاظ على مخلفات الاستعمار وآثاره ، خلافا لمصلحة الاسلام والمسلمين ، لابد أن يكونوا عملاء للمستعمرين أو خلائفه أو أيتامه ، والا فكيف يستطيع عاقل منصف أن يسوغ سكوت هؤلاء

للمسئولين عن تدمير دينهم وتخريب شعوبهم .

وأنا أضع هذه الحقائق أمام المسئولين علنا ، فلينظر أولئك النفر كيف يصنعون !

— ٤ —

والعدو الثانى من أعداء المسلمين هو العدو الصهيونى وركيزته فى الأرض المقدسة والصهيونية العالمية .

هذا العدو له أطماع توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، وتوسعه المعلن : (من النيل الى الفرات) . وتظاهره بالسلام كذب وغش وخداع ، فهو اذا أراد الحرب تظاهر بالسلام ، وليس هناك فرق بين يهود والصهاينة ، فكل يهودى صهيونى ، لأن الصهيونية منطلقها دينى عنصرى ، وليس هناك فرق بين يهودى (تقدمى) ويهودى (رجعى) ، فلم يتخلف عن جيش (الهاكاناه) فى حروب العدو الصهيونى كلها تقدمى صهيونى واحد ، ولم تفرق صواريخ هذا العدو بين عربى تقدمى وعربى رجعى ، بل اكتسحت الجميع فى كل حرب صهيونية ، وتصنيف الصهاينة الى تقدميين ورجعيين نابع من خيال الذين يريدون تفتيت همم العرب والمسلمين المجاهدين ، فقد يكون فى الصهاينة أحزاب عديدة تختلف محليا بالكلام ، ولكنها صف واحد فى العمل لا تختلف أيام الحرب .

والعدو الصهيونى يستهدف تحطيم الدين والمثل العليا فى كل مكان ، وبخاصة فى البلاد العربية والاسلامية ، وكل اتجاه لهذا التحطيم وراءه الصهيونية العالمية .

والجديد فى الأمر ، أن الصهاينة يدعمون الارساليات التبشيرية فى افريقية وبلاد المسلمين ، لا حبا بنشر المسيحية ولكن كرها بالاسلام فالذى يتنصر من غير المسلمين يكون ولاؤه للدولة الاستعمارية التى نصرته ، والذى يعتنق الاسلام يكون ولاؤه للعرب والمسلمين الذين يحاربون الصهيونية ويطمعون فى انقاذ الأرض المقدسة منهم .

لقد كان من جملة مقررات المؤتمر الصهيونى الأول الذي عقد فى مدينة (بازل) بسويسرا ، احياء التوراة لغة وعقيدة وتشريعا ، وقد عقد هذا المؤتمر سنة ١٨٩٧م كما هو معلوم

فهل من الصدق أن تظهر فى نفس الوقت الدعوة الى العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ومحاربة القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ؟ !

لقد كتب (هرتزل) فى مذكراته أنه كان وراء التشنيع على السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله وعزله، وان الكتب التى صدرت للأساءة بسمعة السلطان مولت من الصهاينة ، لأنه رفض عرض (هرتزل) لتخصيص جزء من أرض فلسطين ليكون وطنا قوميا لليهود .

وقد ظهرت هذه الحقائق بعد أربعين سنة من موت السلطان عبد الحميد ، وستظهر حقائق مذهلة عن تمويل الصهاينة للأصوات الناشزة المريبة التى دعت الى محاربة القرآن الكريم .

والا فكيف نعلل تبنى محاربة القرآن الكريم من أجانب غير مسلمين أكثرهم يهود أوعملاء ليهود ومن عرب مسلمين كلهم لم يدخلوا مسجدا ولم يؤدوا صلاة ، ومعظمهم لهم صلة بالماسونية التى هى اليد الخفية للعدو الصهيونى ؟!

ان الصهيونية العالمية سخرت الاستعمار لمحاربة القرآن لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ، وسخرت الماسونيين من المسلمين لهذا الغرض ولست بحاجة الى فضح الأجانب من غير المسلمين ، ولكننى أدعو المخلصين من مفكرى المسلمين أن يفضحوا الذين تعاونوا مع الصهيونية والاستعمار فى هذا المجال ، فلا تزال أسماء قسم منهم تحاط بهالة من الاكبار والتقدير ، وهى هالة من صنع الصهيونية والاستعمار والماسونية مافى ذلك أدنى شك .

— ٥ —

والعدو الثالث من أعداء المسلمين هى المبادىء الوافدة الهدامة التى تناقض الاسلام .

فالذين يؤمنون بأن الدين أفيون الشعوب ، وهم الشيوعيون

والملحدون والوجوديون ، لا مكان لهم بين المسلمين .

والذين يعطلون الجهاد وهو ركن من أركان الاسلام ،فى ظروف أصبح فيها الجهاد فرضا عينيا ، ويؤمنون بنبى أو أنبياء ظهروا بعد خاتم المرسلين والنبيين عليه الصلاة والسلام ، كالنقاديانية ، والبابية ، والبهائية ،ليس لهم مكان فى الاسلام .

والذين يعملون على اعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى تحقيقا لأحلام يهود والصهاينة ، كالماسونية بأسمائها المتعددة ونعوتها المختلفة ، ليس لهم مكان بين المسلمين .

والذين يحرفون ما أنزل الله ولا يلتزمون التزاما قاطعا بالكتاب والسنة ، فيبتدعون ولا يتبعون حتى ولو طاروا فى الهواء ومشوا فوق الماء ، كالنحل الاسلامية المنحرفة ، ليس لهم مكان بين المسلمين .

ان كل جماعة أو جمعية أو نحلة أو طائفة أو مذهب ، تخالف ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، لا مكان لها بين المسلمين ، فحسبنا كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فالله أكمل لنا دينه وأتم على المسلمين نعمته ، ورضى لهم الاسلام دينا .

والعدو الرابع هو التبشير الذى ورث أحقاد الحروب الصليبية — تلك الحروب التى لم تكن من أجل الدين المسيحى من بعيد أو قريب ، بل كانت للاستعمار والاستغلال واستثمار الموارد ، كما قرر ذلك مؤرخو النصرانية أنفسهم ، اذ لو كانت من أجل الدين المسيحى لما ارتكب الصليبيون المجازر الهائلة التى تناقض مبادىء المسيحية .

كما أن هذا التبشير هو الممهد للاستعمار الغربى الحديث، والمحرض عليه والعامل تحت لوائه حتى فى مجال التجسس والمخابرات ، كما ثبت ذلك بما لا يدع مجالا للشك .

ولما ذهب الاستعمار الى غير رجعة باذن الله ، بقى التبشير ركيزة من ركائزه ، وحاملا لأهدافه التخريبية، وداعيا لحضارته المسيحية، ومروجا لمبادئه .

ان صلة الاستعمار بالتبشير معروفة جدا ولا تحتاج الى دليل ، فلا عجب أن تموله المصارف الأجنبية والشركات الاحتكارية والدول التى لا تقيم وزنا للمسيحية فى بلادها والعدو الصهيونى الذى لا علاقة له بالمسيحية .

ووسائل الارساليات التبشيرية لاستقطاب من حولهم من الناس هى : المدرسة والمعهد والجامعة ، والدواء والطبيب والمستشفى ، والطعام والكساء والمسكن .

وقد كان لذلك كله تأثير هائل فى تنصير غير المسلمين والمسلمين أيضا، وحسبنا أن نعلم أن لبعض الارساليات التبشيرية مطارات خاصة بها وطائرات ، بالاضافة الى وسائط النقل الأخرى، وتحت تصرفها أموال طائلة وامكانات مادية ومعنوية ضخمة .

كما أن المبشرين مدربون تدريبا عاليا ومتعلمون ويحسنون اللغات المحلية ، ومستعدون للعمل فى المناطق النائية البعيدة عن الحضارة والعمران فى أقسى الظروف والأحوال .

وقد علمت من مصادر موثوقة أن قسما من الارساليات تدرب المرتزقة من الرجال على فنون القتال، بحجة حماية تلك الارساليات محليا ، وليس لذلك أى معنى الا العمل على الانفصال .

على المسلمين أن يحذروا المبشرين، وأن يسعوا الى توعية اخوانهم حذرا من الوقوع فى أحابيلهم .

كما عليهم أن يكافحوا الارساليات التبشيرية بنفس وسائلها :التعليم ، والطبابة ، والطعام ، والكساء ، والمسكن ، وهذا يحتاج الى المال الذى يجب أن تبذله الدول الاسلامية الغنية بسخاء وأن تبذله الجماعات الاسلامية الغنية والأفراد الأغنياء بسخاء .

كما يجب أن يتفق المسلمون حكومات وشعوبا على تشكيل هيئة

عليا للدعوة ، تنسق شئون الدعوة والدعاة ، وتعمل على اعداد الدعاة وتمولهم وتخطط للدعوة •

ولعل من أهم واجبات الهيئة العليا للدعوة ، ارسال الدعاة المخلصين واقامة معاهد وجامعات لتخريج الدعاة القادرين المخلصين ، وايجاد الموارد المالية الكافية للدعوة •

ان خطر الارساليات التبشيرية قد استشرى ــ وبخاصة فى افريقية وأندونيسيا ودول جنوب شرقى آسيا،ومن جملة هذا الخطر تنصير عدد غير قليل من المسلمين !

فلابد أن يستيقظ المسلمون قبل فوات الأوان •

ــ ٦ ــ

والعدو الخامس والأخير للمسلمين ، هو العلوم التطبيقية الحديثة (التكنولوجيا) ، وهوعدو (مزعوم) بالنسبة للاسلام ، ولكنه انتشر فى الغرب باعتبار أن (الدين) يناقض العلم ، فاقتبس (المريبون) من المسلمين ــ وأنا أعنى ما أقول ــ ونقلوه نقلا عن الغرب ليطبقوه على الاسلام من غير تحقيق ولاتمحيص، أو تنفيذا لمخططات أعداء الاسلام من الأجانب الذين تعمدوا زج الاسلام فى معركة ليس من دعاتها وليس طرفا فيها •

فقد بدأ التعصب يلازم فكرة (الدين) فى أوروبا ويتحالف معه يدا بيد ، وأصبح دم الانسان يراق فى الحروب الدينية ، وأخذت السلطات الدينية تضيق على الحريات السياسية، فأصبح لا مكان لحرية الفكر فى كل بلد دينى يسيطر عليه الكهنة ورجال الدين ، بزعم أن هذه هى تعاليم المسيحية ، التى تعتبر تعطيل الفكر أساسا من أسس اعتناق المسيحية ، وعند تعميد المسيحيين بصورة خاصة •

لقد كانت معارضة الدين منصبة أساسا على المسيحية التى اغتصبت من الناس حرية الفكر والعمل ، وكان الصراع بين المسيحية والعلم صراعا دمويا ، وسيقت أعداد لا تحصى من البشر الى ساحات

الاعدام بتهمة عدم تأييد الكنيسة[1] .

وهكذا أصبح الدين والعلم نقيضين لا يجتمعان فى أوروبا ، فاما أن يخضع الانسان للدين وحده، أو للعلم وحده ، ولا يمكن أن يخضع لهما معا ، لأن (الدين) ظل عدوا قويا للعلم .

وقد أساء المفكرون الغربيون (الفهم) وأساء بعضهم (النية) ، عندما ظنوا أن بعض صور المسيحية، وبعبارة أدق صور الكنيسة ، هى النموذج الدينى الصحيح لسائر الأديان ، واستخلصوا من ذلك أن الدين ليس شيئا سوى التعصب ويؤدى اليه ، وبالتالى قرروا أنه ليس ثمة حاجة الى الدين – أى دين بالطبع – فى العالم المتمدين .

وكلما بذلت جهود بعد ذلك لاحياء الدين ، فانها كانت توصم بالمذهبية والتعصب .

وحاول الغربيون الوجوديون والماديون ويهود ومن لف لفهم من أعداء الاسلام ، أن يلقوا بهذا الافتراء ، على الاسلام أيضا كما ألقوه على المسيحية ، وكلما عقدت ندوة من ندوات البحث الجامعى حول طبيعة الفكر الاسلامى وخصائصه وحول قيام دولة اسلامية ، فانهم يبادرون بدلا من مناقشة المشكلة الحقيقية الى اقحام فكرة التعصب الدينى !

ولا يمكن أن ننتظر من أعداء الاسلام غير ذلك ، فالاسلام يختلف

---

(١) كتاب جون وليام درابر – تاريخ النهضة الفكرية فى أوروبا – الجزء الأول – المجلد الأول – حيث صرح بأن محاكم التفتيش الكاثوليكية عاقبت فى المدة من عام ١٤٨١ – ١٨٠٨ حوالى (٣٤٠,٠٠٠) شخص أعدم من بينهم حوالى (٣٢,٠٠٠) شخص حرقا .

وقد ذكر كنيث ووكر احصائية رهيبة عن البلاد التى عاشت فى سنوات الصراع الأولى ، فيقول : انه خلال القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادية ، أعدم (٣٠,٠٠٠) شخص بتهمة البدعة والخروج على تعاليم الكنيسة فى مدينة مدريد وحدها ، انظر كنيث ووكر فى كتابه : تشخيص الانسان – صحيفة (٢١٠) .

عن المسيحية واليهودية ، وقد ظهر كتاب باللغة الفرنسية لمؤلف فرنسى، يثبت هذا الاختلاف بشكل جازم حاسم (٢) ، فالقرآن يدعو الى العلم ويمجد العلماء وينهى عن الجهل ويذم الجهال ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالعلم ويحث عليه ، وينهى عن الجهل ويستهجنه ، وكان السلف الصالح من العلماء يعتبرون العلم من أجل العبادات •

وخطورة الأمر ، تكمن فى نقل كلمة (الدين) من المسيحية واليهودية ، وتعميمها على سائر الأديان ، وجاء هذا الخطأ الفاحش من ترجمة كلمة (Religion) الانكليزية الى كلمة (دين) ؛ والاسلام ليس دينا فحسب ، بل هو بالاضافة الى أنه دين مذهب للحياة أيضا (way of life) فيشمل القضايا الروحية والمادية ، وليس دينا يشمل القضايا الروحية فقط أو القضايا المادية فقط ، فهو يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة •

ولست بحاجة الى اثبات أن الاسلام لا يناقض العلم بل يؤيده، ولا ينهى عنه ، بل يأمر به ، ولا يستهجنه بل يمجده • فهو دين العلم والعقل والفكر والحضارة •

ولا ألوم الغربيين الأجانب الذين ظنوا أن الاسلام يناقض العلم عن جهل بحقائق الاسلام أو بسوء نية وسوء قصد وعن تخطيط تخريبى ، ولكن ألوم المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم مثقفين ثم ينقلون افتراءات الغربيين والأجانب الذين وصموا دينهم بالتناقض مع العلم ونشروه فى مقالاتهم ومؤلفاتهم وألقوه محاضرات فى مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم ، فسمموا أفكار الشباب المسلم بأفكار بعيدة عن الحق والصواب والواقع •

واذا كان الغربيون والأجانب قد عادوا الى الصواب ، فما أحرى

(2) La Bible, Le Coran, et la sciençe par naurice Bucaille, Ed. Sogress, Paris, 1976

المسلمين مفكرين وشبابا أن يعودوا الى الحق ، فالحق أحق أن يتبع ، والحق يعلو ولا يعلى عليه •

— ٧ —

ولعل آلام الاسلام من أعدائه فى الخارج أخف وطأة وأقل خطرا من آلامه فى الداخل ، تلك الآلام التى تصيبه وتصوب اليه من المسلمين أنفسهم •

وصدق الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على الحر من وقع الحسام المهند

العدو الداخلى الأول للاسلام ، هم المسلمون الجغرافيون الذين ينتسبون للاسلام ويعملون على تشويه سمعته •

ان أكثر الناس لا يدققون فى المبادىء ليروا الصالح منهاوالطالح، بل يدققون فى أصحاب المبادىء ، ثم يحكمون على المبادىء لها أو عليها بالنسبة لما لمسوه من تصرفات معتنقيها •

وغير المسلمين فى كل مكان ، يرون المسلمين متفرقين ، متخلفين ، غمرتهم الأنانية وحب الذات ، يتناقضون فى تمسكهم بالدين وأخلاقهم وسلوكهم ومعاملاتهم تناقضا كاملا مع تعاليم دينهم الحنيف!

فلماذا يلوم المسلمون غير المسلمين فى الحكم على الاسلام بغير الحق والعدل ؟ !

ان المسلمين هم الملومون ، وعليهم أن يلوموا أنفسهم قبل أن يلوموا غيرهم •

والعدو الداخلى الثانى للاسلام، هو عدم التخطيط للدعوة وعدم اعداد الدعاة وعدم وجود هيئة اسلامية عليا على النطاق الاسلامى للدعوة والدعاة •

ان المسلمين مقصرون فى هذا الميدان ، تقصيرا فاضحا ، وفى الوقت الذى ينفق فيه أغنياؤهم دولا وجماعات وأفرادا أموالهم اسرافا وتبذيرا ، يبخلون على الدعوة والدعاة بالقليل وبالأقل من القليل من المال •

والله سبحانه وتعالى سيسألهم عما أنفقوا فى سبيل الشيطان يوم لاينفع

مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

والعدو الداخلى الثالث للاسلام، هم الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم ، فأكثرهم بواد والشباب بواد ، لأنهم لا يطبقون على أنفسهم ما يقولون ، ويقتصرون على ترديد تعاليم الاسلام فى العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ولا يركزون كثيرا على وضع الحلول لتحديات العصر ، وعلى مناقشة الاسلام والحياة ، ولا يهتمون كثيرا بالاسلام الحركى كقضايا الجهاد والحكم .

ان المسلمين اليوم بحاجة ماسة الى قادة حرب كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى وموسى ابن نصير وطارق بن زياد وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم ، يقودون المسلمين الى النصر .

ولكنهم أكثر حاجة الى قادة فكر كالأئمة الأربعة المجتهدين فى الدين والعز بن عبد السلام وابن تيمية وأضرابهم من العلماء المجاهدين الذين ضربوا لمن حولهم أروع الأمثال .

والعدو الداخلى الرابع هى أجهزة الاعلام الاسلامية التى تحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

ان الصحف والمجلات تعج بالصور الخليعة ، والكتب والروايات تعج بأدب المخدع ، والاذاعة المسموعة تعج بما لا يفيد المسلمين ، والاذاعة المرئية تعج بالتمثيليات الماجنة ، والمخربين باسم الفن يحظون بالاكبار والتقدير ، والمفكرين الاسلاميين يحظون بالاهمال والاضطهاد .

لقد رأيت تمثيلية فى اذاعة عربية مسموعة ، يحرض فيها والد كريمته على البغاء من أجل المال ، فهل مثل هذه التمثيلية نابعة من واقع المجتمع الاسلامى ؟

ومصر هى رائدة السينما العربية، والمعروف أن الذين أسسوا هذه السينما هم يهود ، كما جاء ذلك فى كتاب (اليهود والحركة الصهيونية

فى مصر (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧)) [١] ، فقد ورد فيه : « أن عائلة موصيرى الصهيونيــة أسست شركة للسينما عام ١٩١٥ باسم (جوزى فيلم) ؛ ومنــذ عام ١٩٢٩ احتكرت هــذه الشركة استيراد الأفــلام الخــام وبيعها ، وكذلك طبع الترجمة على الأفــلام الأجنبيــة التى كــانت تســتوردها ، ثم توسعت الشركة بعــد ذلك وأقامت (اســتوديو) للانتاج السينمائى » [٢] .

وقد ظهر أن رواد ممثلى السينما المصرية من المــاسونيين [٣] !

فمــا عسى أن ينتظــر العــرب والمســلمون من ســينما أنشــأها الصــهاينة وممثلوها الرواد من المــاسونيين ؟ !

فــلا يدهش أحــد من الدعاية الضخمة التى واكبت هذه السينما وممثليها،والتركيز على ابراز العاملين فيها مدحا وثناء ومكانة وثراء بدون حساب .

ان الصهيونية والمــاسونية وراء هذه الدعاية ، تلك الدعاية المحمومة التى رفعت السينما والعاملين فيهــا الى أعلى المــكانات وجعلت منهــا ومنهــم أبرز الشــخصيات . وفى الوقت الذى يموت فيه الشيوخ : عبــد الرحمن تــاج ومحيى الدين عبد الحميد وأبو زهرة والســايس والسنهورى من أعضــاء مجمــع البحوث الاسلامية ومجمع اللغــة العربيــة فى القــاهرة ، فلا يعرف بموتهم أحد ، ويشيعهم الى مثواهم الأخير ما لا يزيد على عــدد أصابع

---

(١) اليهود والحركة الصهيونية فى مصر (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧) ــ أحمد محمد غنيم واحمد ابو كف ــ كتاب الهلال ــ العدد ٢١٩ ــ القاهرة ــ ١٩٦٩

(٢) نفس المصدر ص (٥٢ ــ ٥٣) .

(٣) انظر مقال الماسونية ــ الشيخ احمد الشرباصى ــ مجلة الهلال ــ العدد (٦) ــ يونية ١٩٧٧ ــ ص (٢٨ ــ ٣٩) والمطلوب مراجعة التصاوير المنشورة فى هذا المقال والشرح الموجود أسفل كل تصوير ، للاطلاع على أسماء هؤلاء الرواد ، وماخفى كان أعظم .

اليدين ، يموج الأثير بنعى الممثلين والفنانين ويشيعهم عشرات الألوف من الرجال والنساء وينتحر لموت بعضهم بضع فتيات !!

أهذا أمر طبيعى ؟ ! أم وراء الأكمة ما وراءها !!

وهل المسلمون اليوم أمة تنشىء الحياة وتبنى - كما يقول الشاعر - أم هى أمة تقضى على الحياة وتهدم !! والا فكيف نرضى أن يموت قادة الفكر الاسلامى الذين قضوا حياتهم فى بناء العقول والقلوب على هدى وبصيرة وهم أحياء ، وأن يسجد قادة الفسق الذين قضوا حياتهم فى هدم العقول والقلوب تحقيقا لأهداف الاستعمار والصهيونية وربيبتها الماسونية ؟ !

ومن جهة أخرى - وأقولها بكل صراحة وأمانة - فان السينما المصرية ألحقت أبلغ الأذى بالمصريين والعرب ، كما ألحقت ظلما أسوأ السمعة بالمصريين خارج مصر ، فالذين يشاهدون الأفلام المصرية التى من أبرز عناصرها الرقص والخمرة والحب الداعر يتساءلون : أهذا هو المجتمع المصرى ؟ !

وليس كل المشاهدين يعرفون حقيقة المجتمع المصرى الملتزم بالمثل العليا والدين ، وطالما جادلت الذين يتهمون هذا المجتمع ظلما اظهارا للحقيقة ، ولكن أين لى من مجادلة كل المشاهدين .

يجب أن يضع المسئولون حدا لاستهتار السينما والتمثيليات المصرية بالأخلاق والفضيلة من أجل أبناء مصر وسمعة مصر - على الأقل !

ان هذا التسيب فى أجهزة الاعلام - ليس فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية والاسلامية ، لا يخدم أحدا غير أعداء الاسلام والصهيونية العالمية ، فلابد من وضع حد حاسم لهذا التسيب الشنيع .

ومن المفيد أن أتطرق الى الصحف والمجلات الاسلامية باعتبارها جزءا من الاعلام الاسلامى الذى يفترض

فيه الأمانة والاستقامة والعلم الأصيل •

لقد وجدت أن أكثر هذه الصحف والمجلات تولد قوية ، ثم تضعف بالتدريج حتى تموت من الهزال •

وليس لهذا الضعف علاقة بالناحية المالية ، فالمال والحمد لله كثير ، بل العكس هو الصحيح لأنها تدفع مكافآت مجزية تجعل المرتزقة يتكالبون عليها بشتى الوسائل والأساليب •

ومن المؤسف حقا ، أن قسما من رؤساء التحرير ، يلتزمون بالواجبات نحو (الشلل) ولا يلتزمون بمتطلبات العلم الحق ، فهم ينشرون ما يكتبه أفراد شللهم من أجل نفعهم ماديا بالمكافآت المجزية •

والعلم اذا كان لوجه الله ينفع ، واذا كان لوجه المال لا ينفع ، والعلم عبادة فلا ينبغى أن يصبح تجارة •

والذى أتمناه على الله أن ينشر ما ينفع الناس ، لا ما ينفع الكتاب وحدهم •

كما أتمنى على الله أن تنشر المقالات والبحوث الجديدة ذات الفائدة للقراء من أجل فائدتها لا من أجل الاحسان الى كتابها أو من أجل شهرتهم أو من أجل سلطانهم •

ومن الصحف والمجلات الاسلامية ما صدر من أجل (الدعوة) ، وبمرور الزمن أصبح من أجل (الدعاية) •
وما كان لله بقى واتصل ، وما كان لغيره زال واندثر •

والعدو الداخلى الرابع ، هى المدارس والمعاهد والجامعات فى ديار المسلمين ، ففيها انحراف واضح فى بعض مناهجها وفيها انحراف واضح فى قسم من معلميها ومدرسيها وأساتذتها •

اهمال تعليم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والتراث الاسلامى الخالد ، والاستعاضة عنها بأقوال الزعماء ، والرؤساء وذوى

السلطان ، يضر الفكر ولا يفيد المسئولين .

وتلقين نظريات لم تثبت ، سخرية بالعقول والأفهام .

وتعليم مفتريات وأضاليل ، مثل : العلم والدين متناقضان ، لا يصح فى بلد اسلامى ، لأن الذين لفقوها لا يريدون الاسلام بل يريدون غيره من الأديان .

وتشويه التاريخ الاسلامى بأفكار لا صحة لها ، كالقول بأن الفتح الاسلامى كان لأسباب اقتصادية ، اضطهاد للحق والعلم .

وتعليل سير رجالات الاسلام وفق مناهج المبادىء الوافدة ، مثل أبى بكر كان اتجاهه وسطا ، وعمر يسارا ، وعثمان يمينا ، وعلى يسارا .. وأبى ذر الغفارى يسارا . هراء سخيف يترفع عنه الغبى المنصف ، فكيف بالذكى المثقف .

واذا كان الانحراف فى المناهج مرذولا ، فان الانحراف بالمعلمين والمدرسين والأساتذة أشد شناعة وأعظم بلاء

لقد رأيت أستاذا يشرف على طالب فى الدراسات العليا ، يكتب الرسالة لطالبه لقاء هدايا ومال !

ورأيت مسئولين عن التعليم كبارا وصغارا ، يغدقون الدرجات استجابة للوساطات .

فما أجدرنا أن نعيد النظر فى مناهجنا ، ونعيد النظر فى اعداد المسئولين عن التعليم ، ونحترم العلم من أجل العلم وحده لا من أجل شىء آخر .

وما أجدرنا أن نهتم بالكيفية فى التعليم لا بالكمية ، فان المثقفين فى البلد بازدياد مستمر ، ولكن الثقافة الأصيلة بانحسار مستمر ، وهذا واضح وضوحا كبيرا كوضوح الشمس فى رابعة النهار .

— ٨ —

والعدو الداخلى الخامس للاسلام ، هما الأب والأم بالنسبة لأولادهما .

والمفروض أن يكون الأب والأم أسوة حسنة للأولاد ، وذلك

بالتمسك بأهداب الدين الحنيف والخلق القويم والمعاملة الحسنة والجد فى أداء الواجب .

ان أكثر الآباء والأمهات بعيدون عن الدين ، وأكثرهم يخالفون تعاليم الدين علنا ، وقد رأيت من يحتسى الخمرة فى داره أو فى ناديه بحضور أبنائه ، وبعضهم يصطحب أولاده الى النوادى البعيدة عن الاحتشام ، فيشجعهم على الرقص ومرافقة أصدقاء السوء .

وقد قرأت فى صحيفة عربية ، أن أسرة رافقت أولادها الى حفلة راقصة فى ناد معروف ، فشاركت ابنتها فى سباق للرقص ، فلما فازت الابنة بالجائزة وهى قنينة من الويسكى ، هلل لها الأب وفرحت بفوزها الأم !!

وهناك من يتساهل مع الأبناء بارتداء الثياب الفاضحة وارخاء الشعر ، والسهر ليلا مع الأصدقاء فى أماكن بعيدة عن الحياء .

وهناك من يعلم بصلة ابنته المراهقة بشاب مراهق ، وابنه المراهق بفتاة مراهقة ، فلا يحرك ساكنا !

والخيانة الزوجية شائعة ، والخلاف الزوجى ناشب ، والطلاق فى غير سبب مشروع كثير .

وكل هذا لا يجعل من الأب والأم قدوة حسنة للأطفال ، ويخلق عقدا نفسية فى الأبناء ، ويؤدى الى ضياع الصلة الأسرية المقدسة .

ولو كان الأب والأم يصليان ، ويصحبان ابنهما الى المسجد ، ويلتزمان بالحشمة والوقار ، لتبدل حال الأولاد الى أحسن حال .

كما أن غياب الأب فى عمله معظم الوقت ، وغياب الوالدة أيضا ، لا يحقق التربية السليمة ، وأخشى ما أخشاه أن تكون تربية الذرية (تربية الخدم) من جراء غياب الأم بخاصة للحصول على دراهم معدودات ... فيكون الجيل القادم جيل الخدم لا جيل الأمهات !

ان الدين غائب عن الوالدين فى أكثر الأحيان ، فلا يلومن أحد الأبناء على ابتعادهم عن الدين .

وربما يكتشف الأولاد أن الأب يسرق ويرتشى ويغش ويعاقر الخمرة، ولذلك كله أثر بالغ فى سلوك الأبناء.

وربما يكتشف الأولاد، أن الأب والأم لا يحرصان على أداء واجباتهما فى مواقع عملها، ويعتبران التهرب من أداء الواجب بأمانة واخلاص شطارة، وهذا يؤثر فى الأبناء أسوأ التأثير ويترك فى نفوسهم أسوأ الأثر.

ان الأب والأم هما المدرسة الأولى للأبناء، وهما المسئولان عن التربية السليمة غير المنحرفة، فلا يلقين التبعة أحد على أجهزة التعليم، فقد لا يجدون فى تلك الأجهزة من يسدد خطاهم، وقد يجدون فيها من يحرفهم عن الطريق السوى .. وهذا هو الواقع المرير، فلا يعلل الأبوان النفس بالأمانى تهربا من واجبهما التربوى المقدس.

وقد سمعت من يجد ابنته الكاسية العارية تفعل الأفاعيل، فيقول: الدنيا هكذا !! أو يلقى باللوم على الدولة، فاذا انحرف الناس، أو أهملت الدولة: فهل يبقى الوالدان متفرجين !

ان على الوالدين أن يثبتا وجودهما فى تربية الأولاد، والذى لا يسيطر على أبنائه من أجل سعادتهم وخيرهم خائن وجبان: خائن لأنه ضيع الأمانة، وجبان لأنه يخشى من لا يجب أن يخشاه، فالولد هو الذى يجب أن يخشى والديه.

وقبل ثلاث سنوات أجرت صحيفة عربية استفتاء فى الجامعة مؤداه: هل يقبل الطلاب على الزواج بالزميلات ؟

وكان جواب خمسة وتسعين بالمئة من الطلاب: لا !!!

وعلى البنات المستهترات أن يفهمن معنى نتيجة هذا الاستفتاء، فالطالب مستعد أن يصادق كل فتاة، ولكنه غير مستعد أن يتزوج بكل فتاة.

وأجهزة التعليم مسئولة عن التربية السليمة، والدولة مسئولة

أيضا ، ولكن ذلك لا يعفى الأبوين من المسئولية .

— ٩ —

ان آلام المسلمين فى حاضرهم تقطع نياط القلب ، ولكن المؤمن لا ينبغى أن ييأس من رحمة الله .

وقد مررت بايجاز شديد بتلك الآلام ، وهدفى أن أوقظ النيام ، وأنذر وأحذر بين يدى عذاب شديد ، وأقرر وأذكر ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين .

وقد آن لى أن أبشر بالآمال تقوية للمعنويات التى بدونها تستشرى الآلام .

ان الله سبحانه وتعالى ، قد تكفل بحفظ القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ، وهو أصدق القائلين : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وهذا القرآن يتلى بين المسلمين صباح مساء ، يجمع الأمة ، ويوحد الصفوف ، ويقوى العزائم ، ويشتد أثره وتأثيره كلما بعد المدى وطال الشوط .

وقد وجد دزرائيلى رئيس وزراء الامبراطورية البريطانية الأسبق ، يوم كانت امبراطورية لا تغيب عن أملاكها الشمس ، وجد هذا القرآن هو الذى يشد من أزر المسلمين ، ويستثير هممهم ، وهو الحافز الأعظم لثوراتهم على الاستعمار والاستعباد ، فقال فى مجلس العموم البريطانى وبيده نسخة من المصحف الشريف : « لابقاء لنا فى ديار المسلمين الا اذا مزقنا هذا القرآن »

ومضى دزرائيلى ، وانهارت الامبراطورية البريطانية وبقى القرآن ثابتا قويا شامخا .

وطبع العدو الاسرائيلى عددا ضخما من المصحف العزيز ، بعد أن حذف بعض آياته ، ووزع كميات هائلة من هذا المصحف المحرف فى أرجاء افريقية النائية بين مسلمين لا يتقنون العربية ، فكشف الأميون غير العرب التحريف فورا ، وفضحوا المحرفين .

وبذل المستعمرون المال الوافر ، ومن بعدهم بذلت الصهيونية العالمية كثيرا من المال ، من أجل زعزعة القرآن الكريم عن مركزه العظيم ، ولكنهم باءوا بالاخفاق الكامل .

ان المصاولة بين أعداء الاسلام والكتاب العزيز ، ليست بين قوتين متكافئتين ، لأنها مصاولة بين ارادة

بشر من البشر وارادة الله خالق البشر .

والأمل الأكبر للمسلمين فى كل مكان ، وبكل زمان ، هو كتاب العربية الأول ، وكتاب الاسلام الأول : القرآن المجيد ، الذى لولاه لأصبح المسلمون خبرا من الأخبار

والأمل الكبير للمسلمين ، هو الاسلام عقيدة وتشريعا ومثلا عليا بما فيه من طاقات كامنة ، يبلى الزمان ولا تبلى ، وتتجدد على الأيام مقدمة الحلول الناجعة لمشاكل المسلمين فى الحاضر والمستقبل ، كما قدمت لهم الحلول الناجعة فى الماضى القريب والبعيد .

ان أهم أصل من أصول الاسلام هو الاعتقاد بالله، فالاسلام يصف الله تعالى بأوصاف ـ كما ورد فى القرآن الكريم ـ بأنه ليس اله قبيلة، ولا اله أمة وحدها ، ولا اله الناس وحدهم بل هو اله كل شىء (رب العالمين)(١) .

وكل شىء فى الوجود مخلوق له وخاضع لأمره : (لله ما فى السموات وما فى الأرض) (٢) .

وكل شىء من مظاهر الكون خلقه الله ، وقد أحاط علمه بكل شىء وأحاطت قدرته بكل شىء ، وهو اله واحد ، وليس هناك من يشاركه فى ألوهيته .

وليس لأى مخلوق ولا لأية طائفة سلطان على الناس فى عقائدهم ولا فى أى صفة من صفات الربوبية: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (٣) ، ولا يرضى الاسلام عن أى نوع من التعدد ولا أى رمز يشعر بالتعدد .

وقد اختار الله أفرادا من خلقه واتصل بهم بالوحى ، ومن هؤلاء المختارين : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وتسليمه عليهم جميعا .

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

(٢) سورة البقرة (٢٨٤) .

(٣) سورة التوبة (٣١) .

وهناك وراء هذه الحياة حياة أخرى يوم القيامة واليوم الآخر • ويوم الحساب ويوم الدين ، وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح ، والعقوبة على العمل السيىء ، وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه وقد جعل للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهى الجنة ، ودار العقوبة وهى النار •

ثم ان وراء هذا العالم المادى عالم آخر روحى فيه نوعان من الأرواح : نوع خير يطيع الله ما أمره ويجذب الناس الى الخير ويسمى الملائكة ، ونوع شرير يستغوى النفوس الى الشر ويسمى الشياطين •

هذه العقيدة جعلت من ضمير كل مسلم رقيباً عليه يراقب تصرفاته آناء الليل والنهار ، فأصبح المجتمع الاسلامى من أرقى المجتمعات حين كان المسلمون متمسكين بعقيدتهم السامية •

أما تطبيق الشريعة الاسلامية ، فقد جعل المرأة المسلمة تسافر من المدينة المنورة الى الكوفة ، ليس معها الا الله ، آمنة مطمئنة على نفسها وما لها وعرضها •

ولو طبقها المسلمون كما ينبغى ، لما وجدنا فى المجتمع الاسلامى سارقا ، ولا زانيا ، ولا معاقرا ، للخمر ، ولا ظالما لأهله ، ولا محتكرا ، ولا راشيا أو مرتشيا أو رائشا ، ولا مفسدا فى الأرض ، فالشريعة الاسلامية كفيلة بوضع حد لكل انحراف ، وصدق الله العظيم : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) (١) •

وهناك دراسات فى الفقه المقارن ، أثبتت بشكل قاطع تميز الشريعة الاسلامية على القانون الوضعى ، ولا تزال قوانين الميراث فى الدول المتقدمة تحرم البنت من الميراث وتقتصر على الذكر ، وقد تحصر الميراث فى الذكر الأكبر ، كما لا تزال تحرم المرأة من استقلالها المالى •

أما فسوق القانون الوضعى ، فحدث عنه ولا حرج ، فهو يبيح

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٩) •

الخليلات ولا يبيح تعدد الزوجات، ويعتبر الزنا بالرضى بعد البلوغ مباحا . وحين سمح بالطلاق فى قوانين وضعية حديثة ، اعتبروه تشريعا (تقدميا) ! !

وبعد تطبيق القوانين الوضعيةالتى حملها المستعمر معهوفرضها فرضا على المسلمين ، انتشر الزنا وتفككت الأسر وشاع الطلاق وفشت السرقة وضاع الأمن وكثر الغش وعمت الرشوة وزاد البلاء .

وتطبيق الشريعة الاسلامية كفيل بوضع حد للفساد والافساد ، والشر والانحراف ، والظلم والعدوان .

أما الالتزام بالمثل القرآنية العليا فى الأخلاق ، فيجعل من المجتمع الاسلامى نموذجا لأرقى المجتمعات الأخرى .

والأخلاق القرآنية لا مثيل لها ، وقد وصفت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وأثنى الله فى كتابه العزيز على نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام فقال : (وانك لعلى خلق عظيم)(١) لنقتدى به فى أخلاقياته .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

لقد أمر الاسلام بالتمسك بالخلق الكريم: آداب اللياقة : (واذاحييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (٢) ، (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)(٣)، وفاء بالوعد ، وصبرا على الشدائد، وعدلا بين الناس ، وعفوا عند المقدرة .

---

(١) الآية الكريمة فى سورة القلم (٤) .

(٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٨٦) .

(٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٧) .

— ١٠ —

ومن الآمال الكبيرة للمسلمين هو اتجاه الاسلام الى العقل والحث على استعماله فى أمور الدنيا ومظاهر الكون وملكوت الله ، ولا يأمر الاسلام بتعطيل العقل والحجر عليه .

وكما يتجه الاسلام الى العقل ، يتجه بنفس القوة الى العلم ويأمر به ويحث عليه .

وقد وردت آيات كثيرة جدا فى القرآن الكريم ، تحدد مسار الاسلام نحو هذين الاتجاهين ، مما يجعل الاسلام دين الحاضر والمستقبل ليس بالنسبة للمسلمين فحسب ، بل بالنسبة للبشرية كلها .

ومادام العصر الحاضر متجها بكل قوة نحو العقل والعلم لتحقيق مستقبل أفضل ، فان الاسلام سيفرض نفسه بطاقاته العقلية والعلمية على الحاضر والمستقبل ، وهذا ما توقعه مفكرو الغرب وفلاسفته للاسلام ، من أمثال برنارد شو .

ومن الآمال الكبيرة للمسلمين هو التوازن العجيب الذى يحققه الاسلام فى مجال السلام والجهاد .

فالاسلام دين سلام ، ولكنه سلام الأقوياء لا سلام الضعفاء ، فهو يأمر بالسلام ولكنه ينهى عن الاستسلام .

وقد جمع الاسلام تعاليمه فى السلام والحرب فى آيات متعاقبة ، فقال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) (١)، وهذا الاعداد للذين يريدون الاعتداء على حرمة الاسلام وديار المسلمين .

ولكنه تلى هذه الآية بقوله تعالى: (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم (٢) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الانفال (٦٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٦١) .

وأضاف الى أمره الحاسم بالسلام شرطا لا مثيل له فى أنظمة السلام والحرب العالمية ، فنص على وجوب القبول بالسلام حتى فى حالة العلم بنيات العدو من عرض السلام : لا من أجل اقراره ، بل من أجل الخداع ، فقال تعالى : (وان يريدوا أن يخدعوك ، فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (١) ، ولا أعلم نظاما فى العالم كله يأمر أتباعه بالسلام حتى فى حالة المخادعة والمراوغة التى يمارسها أعداء المسلمين •

هذا التوازن العجيب بين متطلبات السلام والحرب ، يجعل من الاسلام دينا عمليا ، يسعى لخير الناس أجمعين ولا يقتصر على خير المسلمين وحدهم •

ومزايا الاسلام الأخرى ، لا تعد ولا تحصى ، فهو دين المساواة ، يكرم بنى آدم ، ويؤمن بالعدالة وسيادة القانون ، ولا يكره أحدا على اعتناقه ، ولا يؤمن بأن الغاية تسوغ الواسطة •

والهدف من قيام الدولة الاسلامية، هو نشر الفضيلة ومنع الرذيلة ، وصدق الله العظيم : (الذين ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) (٢) •

لقد انتصر المسلمون الأولون ، لأنهم اعتزوا بالفصحى لغة، وتمسكوا بالعقيدة الاسلامية قولا وعملا ، وطبقوا الشريعة تطبيقا جازما ، والتزموا بالمثل العليا الاسلامية التزاما صارما •

فلما تخلى أحفادهم عن القرآن : لغة ، وعقيدة ، وتشريعا ومثلا عليا : تداعت عليهم الأمم ،وفقدوا مكانتهم القيادية فى العالم •

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٦٢)

(٢) الآية الكريمة من سورة الحج (٤١)

ولا مجال لهم أن يستعيدوا سيرتهم الأولى ، ما لم يعودوا الى دينهم الحنيف ، فقد انتصر الآباء بالاسلام ، ولن ينتصر الأبناء بغيره .

وقد طال الليل وانقطع السرى ، وأنا واثق من بزوغ الفجر ، ولكننى لست واثقا فى أية ساعة من الليل نحن !

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

محاربة الأهواء والشهوات :

قال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » سورة الفتح ٢٩

ان فى المسلمين بحمد الله صالحين مؤمنين ، ولكن غمرهم الذين افسدوا المجتمع الاسلامى وجعلوه مجتمعا لاهيا لاعبا . فان لم يكن كذلك كان خانعا مستسلما ، ولا يغير ولا يبدل ، وهو يرى التغيير فى أحكام الله تعالى والتبديل فيها ، ولا يعلن استنكاره ، وان استنكر فبقلبه ، وهو أضعف الايمان ، وبذلك صار المسلمون قوما بورا ، اذ رأوا الباطل ، ولم يعلنوا استنكاره والظلم ولم يقاوموه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدالظالم . ولتأطرن على الحق أطرا ، أو ليضربن الله ـ تعالى ـ قلوب بعضكم بعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

المرحوم أبو زهرة : الدعوة الى الاسلام من بحوث المؤتمر السابع

اللواء الركن محمود شيت خطاب
في سطور

١ ـ ولد في مدينة الموصل بالعراق سنة ١٩١٩ من أبوين عربيين في عائلة معروفة بالموصل منذ سبعمائة سنة بالعلم والدين .

٢ ـ تخرج في الكلية العسكرية في أول سنة ١٩٣٨ ، فأصبح ضابطا في سلاح الفرسان .

٣ ـ شهد ثورة سنة ١٩٤١ العراقية على الانكليز ، وجرح في القتال جروحا بليغة ، وليس في جسمه عقدة الا وفيها شظية غائرة أو طلقة ، ولكن الله سلم .

٤ ـ تخرج في كلية الأركان العراقية في النصف الاول من سنة ١٩٤٨ ، فتطوع للحرب في فلسطين ، وتسلم منصب ضابط ركن القوات المرابطة في مدينة (جنين) وبقي في الديار المقدسة سنة كاملة ، ولا يزال الفلسطينيون يذكرون له خدماته في فلسطين .

٥ ـ تخرج في أربع وعشرين مدرسة وكلية عسكرية بامتياز ، وفي سنة ١٩٥٦ تخرج في كلية الدراسات العليا العسكرية بانكلترا ، وكان الأول على جميع أقرانه الضباط وعددهم مئة ضابط بريطاني وأمريكي وفرنسي ونرويجي وعربي ، وهو أول عربي برز في دراسات عسكرية عليا على المستوى العالمي ، مما لفت أنظار أجهزة الاعلام الأجنبية في حينه ، فنوهت بهذا الامتياز تنويها طويلا .

٦ ـ اعتقل فى شهر مارس ١٩٥٩ أيام المد الشيوعى فى عهد قاسم العراق ، ومكث فى السجن سنة ونصف السنة .

٧ ـ تولى الوزارة سبع مرات بعد القضاء على عهد قاسم العراق ، كما تولى أعلى المناصب القيادية وواجبات الأركان فى الجيش العراقى .

٨ ـ عضو فى المجمع العلمى العراقى ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق والمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ومجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ، ورئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، ورئيس لجنة معجم القرآن الكريم فى الأزهر .

٩ ـ درس فى اكثر الكليات العسكرية وكليات الأركان والاكاديميات العسكرية العربية وفى الكليات والجامعات العربية والاسلامية ، وشهد معظم المؤتمرات الاسلامية واللغوية فى البلاد العربية والاسلامية .

١٠ ـ الف أربعة وتسعين كتابا فى : الفنون العسكرية ، والعسكرية الاسلامية، واللغة العسكرية ، والدعوة الاسلامية ، وله بحوث مستفيضة فى جميع مجلات المجامع العلمية واللغوية وبحوث كثيرة فى جميع المجلات العربية والاسلامية وفى مختلف الصحف والمجلات الاخرى .

١١ ـ يفضل المناصب العلمية على المناصب الرسمية ، وما عند الله على ما عند الناس .

١٢ ـ يعتبر رائد الدراسات التاريخية العسكرية فى الدول العربية والأسلامية ، فهو أول من الف دراسات عسكرية تاريخية اسلامية منذ سنة ١٩٥٨ : الرسول القائد ، والفاروق القائد ، وخالد بن الوليد ، وقادة فتح العراق والجزيرة ، وقادة فتح فارس ، وقادة فتح الشام ومصر ، وقادة فتح المغرب العربى ، وغيرها ، فأصبحت لمعارك المسلمين وقادة الفتح الاسلامى مكانة فى الكليات العسكرية وكليات الأركان ؛ والاكاديميات العسكرية ، وانتشر التأليف فى هذا المجال ، ونشرت البحوث فى المجلات العسكرية ، وجرى تدريسها فى

المدارس العسكرية والكليات العسكرية ، ولم تكن هذه الدراسات معروفة من قبل ، بل كانت مقتصرة على المعارك الاجنبية وقادة الأجانب .

كما يعتبر رائد اللغة العسكرية والداعي لتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، فنفذ دعوته وأخرج المعجمات العسكرية الموحدة التي وحدت اللغة العسكرية العربية ، وكانت متناقضة غير موحدة .

يهوى الدراسات العسكرية ، وتستهويه العسكرية ، وهو الذي توقع أن تنشب الحرب بين العرب والعدو الاسرائيلي يوم ١٩٦٧/٦/٥ وحث المسئولين على الحذر ، فلما لم يجد تجاوبا نشر توقعه في الصحف العراقية يوم ١٩٦٧/٦/١ ، ثم نشرت توقعاته في كتابه : الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعده .

كما توقع عبور قوات العدو الاسرائيلي الى الضفة الغربية من القناة بخطابه العلني يوم ١٧ رمضان بمناسبة الاحتفال بغزوة بدر الكبرى ، ونشر خطابه في الصحف ، فتحقق ماتوقعه بعد خمسة ايام من القاء خطابه وبعد اربعة ايام من نشره .

وهو أول من الف ودرس في : العسكرية الاسلامية ، فألقى محاضراته في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة سنة ١٩٦٧ بعد النكسة ، وكانت المعلومات عن العدو الاسرائيلي بين العرب والمسلمين مشوشة مضطربه ، فكشف عسكرية العدو وفضح نياته التوسعية الاستيطانية في البلاد العربية .

١٣ ـ ينصرف بكل طاقاته في الوقت الحاضر الى الدراسات العسكرية التاريخية الاسلامية ، واللغة العسكرية العربية ، والعسكرية الاسرائيلية ، والدعوة الى الله ، وينشر مؤلفاته وابحاثه التي لم يسبق اليها لسد ثغرات في المكتبة العسكرية الاسلامية لغة وتاريخا وفنونا ، وقد آثر هذا الانصراف على اعلى المناصب وأرفع الرتب .

وامله في الله أن يحقق على يديه نصرا حاسما للعرب والمسلمين على العدو الاسرائيلي ، وهذا هو أمله الوحيد الذي يعيش من أجل تحقيقه .

هذا المؤتمر

للدكتور عبد الجليل شلبى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

هــذا هــو المؤتمر الثــامن من المؤتمرات الاســلامية العــامة التى يقيمهــا مجمعنا . مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف . وكان آخرمؤتمر ـ وهوالمؤتمر السابع ـ قد عقد فى سنة ١٩٧٢م . ثم حالت ظروف عدة دون توالى عقد مؤتمرات سنوية ، حتى تهيأ لنا هذا العام ـ بعون الله تعالى وفضله ـ أن نعقد هذا المؤتمر وبعد خمسة أعوام من الركود ، ولايتحمل اخوانى وزملائى الذين قاموا بأمانة المجمع خلال هذه الفترة شيئا من اللوم ولا يوصفون بشىء من التقصير ، فهذا ما اقتضته طبيعة الأمور ، ونسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه ، وأن يمنحنا القــوة على تذليل ما أمامنا من صعاب .

ولاريب أن هذا المجمع ومؤتمراته مما ترنو اليه أعين المسلمين فى شتى بقاع الأرض وتهفو قلوبهم ، وذلك لانتمائه الى الأزهر الشريف ، معقل الاسلام ومنارة اشعاعه . اذ هــو الهيئة الاسلامية الكبرى التى يرجع اليها المسلمون فى كل ما يعرض لهم من مشكلات ، وهو دار الثقــافة الاسلامية بمختلف فروعها وألوانها ،

وهو حصن اللغة العربية والقائم على درســها واحياء تراثها ونشرها فى مختلف البقاع .

وهو القــائم على رعاية القرآن الكريم والعناية بكل ما يتعلق به ، يعنى بتحفيظه ويعد قراءه ، ويشرف على صحة طبعه ، ويدرس رواياته ووجــوه قرءاته ، ثم يبحث أنواع تفسيره ويبين ما يحوى من قوانين وأحــكام ، واليــه الاتجاه الأول

والمرجع الأخير فى شرح غوامضه وتوضيح مشكلاته ، وترجيح ما يرى من مذاهبه .

والأزهر قبل كل شىء وبعده معهد الفقه الاسلامى ، يدرسه طلابه ويبحث غوامضه شيوخه ، ويلائم بينه وبين مشكلات العصر من تعمقوا بحثه فى جامعته .

وهذه الجوانب الفكرية كلها تلقى أعباءها على مجمع البحوث ، فهو الصلة بين الأزهر والناس، وبين الباحثين فيه ومن يتطلع اليهم من العالم الخارجى ، فالمجمع هو الثمرة النهائية لجهود الأزهر ، وهو الأكاديمية المتخصصة العليا لكل ما فيه من دراسات ، ولاشك أن عبئه من أشقى الأعباء ، والمسئولية الملقاة على كاهله من أدق وأصعب المسئوليات .

وهذا المجمع ـ وان كان هيئة أزهرية بحتة ـ لا يستقل وحده برسالته ، ولا يستبد ـ دون الاستعانة بذوى الفكر ـ بالفتيا فى مشاكل الاسلام ، بل هو يستعين بذوى العلم وأصحاب الثقافات ، ويتقبل آراء من يبدون آراءهم فى أى موضوع من مواضيع الاسلام، سواء أكانوا من أعضاء المجمع أو غير عضائه كما أن أعضاءه ينتمون الى عدد من الأقطار، وهذه التوسعة فى محيط المجمع فضلا عن أنها تكسبه عالمية تكسب قراراته وتوصياته صفة الاجماع الشرعى ، فى كل ما لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، أو يعارضه أحد من ذوى الرأى فى تشريع الاسلام .

ويعرض المجمع آراءه وأعماله فى كتب ونشرات توزع بالمجان ويتحمل من أجلها نفقات باهظة ثقيلة على قلة ما لديه من ذخيرة ومال ـ و « مجلة الأزهر » هى مجلته التى تتحدث بلسانه ، ومرآته التى تعكس ألوان نشاطه ، وهى أيضا ليست وقفا عليه ولا مغلقة دون من لا ينتمون اليه ، بل هى مفتحة الصفحات لكل صاحب فكر اسلامى ، وكل ذى رأى ودراسة فيه ، وهى تستكتب ذوى الأقلام والبحوث الاسلامية أيا كانت ديارهم وأماكنهم ، فهى منبر عام لعلماء

المسلمين وسجل لتيارات الفكر الاسلامى ومرآة لآراء المفكرين الاسلاميين فى مختلف الأماكن والبقاع .

وفى هذين العامين الأخيرين استطاعت هذه المجلة على ضعف ميزانيتها المالية وكثرة ما يوزع بالمجان منها أن تضاعف حجمها وتزيد كميات المطبوع منها وأن تستكتب بعض ذوى الشهرة فى البحوث ، فزاد الاقبال عليها . واستتبع ذلك زيادة فى النفقات وما يباع منها يباع بثمن زهيد ، ويتحمل المجمع هذا العبء المالى رغبة منه فى نشر كلمة الاسلام ، واعلانا لصوت القرآن بين الناس .

والى جانب الرأى المكتوب يقوم المجمع باعلان الرأى والفكر المسموع ، وذلك بواسطة مبعوثيه العديدين ، فلا تكاد الآن تخلو قارة من مبعوثين أزهريين يعلمون الاسلام ويعرفون به عقيدة وشريعة وتاريخا ، هذا الى جانب رسالة الوعظ والارشاد التى لاتقتصر على النشاط الداخلى فى مصر ، بل تبذل نشاطا آخر فى البلاد العربية وغير العربية .

ورسالة الوعظ فى البلاد النائية ، واتصال المجمع بعدد من البلاد غير الاسلامية بواسطة أعضائه ومندوبى مؤتمراته مما يؤكد عالمية وعموم الرسالة التى يقوم بها .

ويأتى هذا المؤتمر بعد أن فتحت مصر صفحة جديدة فى تطورها التاريخى ، فهو أول مؤتمر يعقد بعد معركة العبور ، وهى معركة استردت بها الدول العربية ، واسترجعت فى نفوس الناس هيبتها ، وكانت هذه المعركة ذات سمات ، اسلامية لم تتسم بها معركة أخرى فى العصر الحديث مما أكد أن نصر الجيش المصرى فيها نصر للاسلام والمسلمين ، وقد بعث فى نفوس المسلمين ثقة جديدة وأملا أقوى فى عون الله تعالى ونصره الدين الذى ارتضاه ، كما أنه عمق الشعور بواجب الجهاد لاعلاء كلمة الاسلام ، ونشر نور القرآن .

هذا التطور الجديد فى عدد من المظاهر والأوضاع الاجتماعية يلقى على مجمع البحوث الاسلامية وعلى هذا المؤتمر مسئوليات جديدة ضخاما ، ولكنه لا يستقل وحده بعبء هذه المسئوليات ، بل على المجمع اعلانها وتوضيحها ، وعلى كل فرد مسلم وكل جماعة ودولة اسلامية أن تسهم بحظها فى النهوض بهذا العبء ابراء الى الله تعالى ، وقياما بما فرض على كل مسلم من الدعوة لدينه .

وأبرز ما يواجهه المسلمون الآن أمران متقابلان كل منهما يتطلب جهدا ويطالب كل مسلم أن يكون له فى كل منهما عملا ايجابيا .

أمامنا ــ أولا ــ المذهب الماركسى المادى الذى يعادى فكرة الدين وينكر وجود الله . هذا المذهب يهجم بعنف على الاسلام ويركز طاقة قوية لاضعافه ، فهو يحاربه فى أكثر من ميدان ، ويعد لحربه أسلحة منوعة كثيرة ، وله من وجوه النشاط وأفانين الكيد للدعوة الاسلامية ما جد للحروب الحديثة من أدوات مستحدثة وتجسس خفى . ونفاق خادع وتضليل ماكر عميق . وقد نجحت هذه الدعاية فى السنوات الأخيرة ، وجهرت بما لم تكن تجهر به من قبل ، كما أنها أصبحت راسخة القدم فى الشرق الأوسط ينفق عليها بسخاء ويغرى دعاتها بشتى الحوافز والمغريات ، ولم تعد مصر وحدها هى الهدف الأول لسهام هؤلاء المهاجمين الماديين ، بل أصبحت دائرة اللهب تحف بقلب الاسلام ومبعث ضيائه . وهو الأراضى الحجازية المقدسة ، وعمل التخطيط الماركسى الآن كعمل التخطيط الصهيونى من قبل استيقظت الصهيونية والناس نيام ، وعملت والمسلمون مستريحون ، ثم استفاقوا فاذا خطر يهدد العالم الاسلامى كله ، وأخطبوط ضخم تضطرب أطرافه فى الشرق والغرب جميعا ، والماركسية أتيحت لها ظروف خاصة هيأت لقرارها وانتشارها ، وتكون لها الآن أنصار يلتحفون الاسلام ويبطنون الالحاد ، ويطعنون الاسلام ويدعون أنهم يدافعون عنه ، وهكذا يدسون السم فى الدسم ، ويقدمون الداء

القاتل فى قارورة الدواء ، وما لم يكشف المسلمون هذا الزيف ويميطوا اللثام عن هذا الخداع فان ضحاياهم فى هذا الموقف هى ضحاياهم مع أبناء صهيون .

ولا ريب ان مجمع البحوث هو أول هيئة تتحمل عبء الدفاع عن الاسلام ازاء هذا الهجوم ، وأعضاؤه فى البلاد العديدة ومندوبو مؤتمراته يتقاسمون هذه المسئولية كل بقدر ما يستطيع ، وبقدر ما تهيىء له ظروفه وبيئته .

هذا أحد الموقفين .

والموقف الثانى هوازدياد المراكز الاسلامية وكثرتها فى البلاد النائية وعلى الأخص البلاد الأوروبية ، وهى حركة واتت بها الظروف وتطورات الأحداث ، وحسب المسلمين أن يكون للاسلام مركز فى روما وعلى مقربة من الفاتيكان ، ومركز فى أسبانيا التى لم تكن تسمح لمذهب غير المذهب الكاثوليكى أن يستقربها أو يمارس فى أراضيها ، وهناك مراكز فى هولندا وبلجيكا والنرويج .. وفى استراليا الآن بضعة مساجد .. وهناك غير هذه مراكز أخرى .. وكل هذه المراكز تتجه الى مجمعنا هذا لطلب الامدادات المادية والعلمية، ولكن كما ان المجمع لم يكن مستقلا فى شئونه العلمية لا يمكن أيضا أن يتحمل وحده الاضطلاع بكل هذه الأعباء .

وأمام المؤتمرين فى هذا المؤتمر نضع هذه الخطوط العريضة ، ونسأل الله تعالى أن يعين كلا منا — كل فرد وكل جماعة وكل أمة — على القيام بما يجب أن يقوم به ازاء دعوة الاسلام ، وتلبية لكلمة الجهاد .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

د : عبد الجليل شلبى

الشريعة والتطور

للدكتور: محمد سعاد جلال

كلما استجدت فى أمم العالم الاسلامى ـ كاليوم ـ دعوة صارخة لاثبات منهاج اصلاحى تطورى يستهدف الملائمة بين حياتهم المعاصرة ومقتضيات العصر المتطورة ذات الطابع الحضارى والعلمى المتفوق كما يستهدف الحفاظ المصر على جوهر تراثهم وفكرهم الأصيل الذى هو ركيزة حياتهم ، والمعين لملامح شخصيتهم التاريخية ، تصايحت أصوات الفقهاء المسلمين فى المطالبة بأن تمتد أحكام الشريعة الاسلامية الى كيان هذا المنهج ، وتمثيل الأساس من عناصر بنيانه .

والحق أن هذه الصيحات دعوات معبرة عن واقع لابد من رعايته ؛ ويضمحل أى منهج اصلاحى لأمم العالم الاسلامى بغير الاستجابة لها .

ولكن السؤال الذى يجرى على السنة بعض الناس دائما ــ ازاء هذا المطلب ، وما علاقة الشريعة بالتطور وكيف يمكن أن تتطور الشريعة ؟

وهذا السؤال هو ما أحاول الاجابة عنه فى هذا البحث .

ان الشريعة الاسلامية شريعة ذات طبيعة كلية شمولية ، وتقدمية كما قال تعالى « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » فدلت الآية على أنه ما من شيء من أمثلة الحياة الواقعية فى اختلاف العصور والبيئات يجيء على ألسنة الناس وتقديرهم الا كان فى القرآن شفاء وكفاية له ؛ بل ما هو أعظم منه وما هو أحسن فى بيان طريق جلب المصالح ودفع المضار .

وكما قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » : والمقصود فى هذا أن الكتاب الكريم . وهو القرآن العظيم ، فى أحد وجهى التفسير المقدم عند الجمهور يتضمن من القواعد الكلية ، والمبادىء العامة الخاصة بتقرير المصالح ، وتنظيم أحوال الناس العامة والخاصة مايوفى على تمام الحاجة ، وبلوغ كمال المقصود لهم . وليس معناه أن يتعرض لما هو زائد على ذلك من وظيفة القرآن .

فالشريعة الاسلامية مستعدة دائما أن تعطى جوابا عن كل سؤال ينشأ عن التفاعلات الاجتماعية ، ويقدم دائما حلولا أساسية ومقبولة للمشاكل التى يتعرض لها وجود الانسان فى هذه الحياة الدنيا . وكما قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » : وغير ذلك من الآيات الدالة على كاية الشريعة ، وعلى شمولها لكل المصالح ووفاء أحكامها بكل الأحداث والنوازل التى تقع للمكلفين فى كل الأزمان ، والأحوال ، والبيئات ، ولذلك أجمع المسلمون على القول بأن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان .

والدليل الواقعى على ذلك أنه فى وقت ازدهار القوة الاسلامية ، والدولة الاسلامية والسياسية الاسلامية والعلم الاسلامى فى وقت امتداد أطراف الدول الاسلامية من حدود الصين الى بلاد العرب كانت الشريعة الاسلامية مطبقة وكان الفقهاء المسلمون يعطون أجوبة كافية ، وحلولا كاملة عن المشاكل الانسانية ، والعمرانية التى كانت تثار فى ذلك الملك العريض .

بينا الآن علاقة الشريعة بالتطور ، وأن من وظيفة الشريعة ملاحقة هذا التطور فى الأنفس . والآفاق بسداد مقتضياته ، وتغطية مطالبه فى كل وقت .

ثم ننتقل الى الركن الثانى : وهو ما يتعرض كثير من الناس للسؤال عنه . وهو تقدمية الشريعة . هل هذه الشريعة الاسلامية التى ننادى

بتحكيمها فى شئون حياتنا . هل هى شريعة تقدمية ؟ هذا ما سنحاول مرة ثانية الاجابة عنه : ذلك أن هذه الشريعة تعتمد على الأصول الآتية:

تعتمد على الايمان بالتطور .

وتعتمد على الايمان بالعلم ،

وتعتمد على الايمان بالعقل ،

وكذلك تمتاز هذه الشريعة فى أدواتها التشريعية بالمرونة الكافية .

١ ـ أما أنها شريعة تتساوق مع مقتضيات التطور من الوقائع والأفكار فلبيان ذلك يلزمنا أن نعرف مدلول التطور ما هو ؟

ان التطور عبارة عن انتقال العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس فى زمن من شكل مستنفد متخلف لم يعد صالحا لسداد احتياجات المجتمع ، ولا ملائما لاستمرار بقاء الانسان فى هذا الزمن الى شكل آخر يكون أصح وفاء فى التعبير عن فكر الانسان وأكثر اقتدارا على تحقيق احتياجاته وأشواق نفسه فى زمن آخر :

والانسان ، أو المجتمعات الانسانية منذ انبثق وجودها عن الغيب يتدرج فى سلسلة من الأطوار المتصاعدة الى الكمال غير المحدود فى أشكال الأوضاع الاجتماعية ، وصور الحياة الانسانية ، ومثل الحضارة : وكل طور من هذه الأطوار تعبر عن علاقات انسانه طائفة من القوانين التى يشترط صحة آدائها فى خدمة مصالحه ، ومعاملاته، وتبلى هذه القوانين لتصبح كالثوب الخلق . اذ انتقل المجتمع الى طور أعلى فى سلم الترقى والتطور فيحتاج هذا المجتمع حينئذ الى أداة قانونية جديدة صالحة للتعبير عن علاقاته الجديدة .

وانما يقع التطور ويتحرك وفقا لقوانين اجتماعية ثابتة تحكم المجتمعات البشرية فى سيرها وتفاعلاتها على طريق التاريخ ، على مثال القوانين التى تحكم عوارض المادة وتفاعلاتها .

وهذا هو تعريف التطور ومعناه:

والاسلام يعترف بهذه النواميس، ويقرر أن للكون نواميس تحكمها: والقرآن الكريم يقرر ذلك فى كثير

من آياته : يقول تبارك وتعالى : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا » ويقول : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا » . ويقول : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » . ويتكلم القرآن عن السنة بمعنى القانون الاجتماعى ، وعن كون هذه المجتمعات لا تسير جزافا ، ولا تتحرك عبثا ، وانما ترتد فى سيرها وترتكز فى حركاتها وتفاعلاتها على هذه النواميس المركوزة فى طبيعة الكون . لضمان انتظامه ، واطراد حكم المنطق فى أحوال سيره . فاذا كان القرآن الكريم يقرر هذه النواميس فهو بالتالى يقرر الاعتراف العلمى بالظواهر الاجتماعية من حيث هى محمولة عليها وهذا ما عرفه علماؤنا — رضى الله عنهم — وقرره فقهاؤنا الذين كانوا يضعون أحكام الفقه أو يطبقونها .

ولا ننسى فى هذا المقام أن الرجل الذى يضاف اليه السبق لوضع علم الاجتماع أو علم العمران — والذى عرف عنه أنه أول من لاحظ أن المجتمعات البشرية انما تسير على سنة التطور هو الامام ابن خلدون — رضى الله عنه — وقد كان فقيها ومحدثا وقاضيا : وأن فقهاءنا من أمثال ابن خلدون الذى سبق (أغوستكوست و ماركس) فى معرفة تطور المجتمعات البشرية على أساس قوانين مضبوطة : أقول : انه ليس من المعقول أن يكون فقهاؤنا هؤلاء — وهم فقهاء شريعة لا يلاحظون ذلك فى طبيعة الشريعة ، ولا فى عمليات التشريع عندما تواجه الأحداث والطوارىء الجديدة وحين يتعين عليها أن تضع لهذه الأحداث ، والطوارىء الجديدة أحكاما مناسبة لها .

وعندنا فقيه كبير هو الامام (شمس الدين بن القيم) عرض لهذه المسألة فى كتابه (اعلام الموقعين) فقال : فصل فى تغيير الفتوى بتغير الأزمنة ، والأمكنة ، والاحوال ، والنيات ، والعوائد ثم يعقب على ذلك فيقول : وهذا فصل عظيم الخطر جدا بسبب أن الجهل به أوقع المسلمين فى خطأ عظيم حيث

أوجب الحرج والمشقة ، ومالاسبيل اليه ، ونسب ذلك الى الشريعة الباهرة التى هى فى أعلى درجات المصالح والتى لا تأتى بمثله . فالشريعة عدل كلها . ورحمة كلها، ومصلحة كلها ، وحكمة كلها ، فاذا خرجت المسألة الفقهية من العدل الى الجور ، ومن المصلحة الى المفسدة ، ومن الرحمة الى ضدها ومن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة فى شىء وان دخلت فيها بالتأويل .

وكما يقرر ابن خلدون — أيضا — فى المقدمة اذ يقول : (ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تبقى على وتيرة واحدة ولا على منهاج مستمر . وانما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات ، والامصار ، فكذلك يقع فى الآفاق ، والاقطار ، والأزمنة ، والدول) هذا هو نص ابن خلدون فى المقدمة ، وهو يؤكد بذلك طبيعة التغير الاجتماعى الذى نكرر القول أن ابن خلدون سبق به فلاسفة الاجتماع ، والاقتصاد الذين جاءوا من بعده يتحدثون عن تغيير المجتمعات على أساس القوانين الاجتماعية التى تعمل فى تحريك المجتمعات ، وتطويرها ويبدو لى فى هذا المقام عندما أحاول أن أشخص شخصية الاسلام وأحددها ، أن الاسلام — اذا صح هذا التعبير — ذو شخصية مزدوجة ، فله شخصية (ميتافيزيقية) غيبية ، أساسها الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وكون الله عالما بالكليات ،والجزئيات ،وللاسلام شخصية مادية واقعية تتمثل فى ايمانه بالعلم وأحكام العقل والاعتراف بالنواميس الكونية فى الأنفس ، والآفاق وبناء الأحكام عليها ومن هنا تكون شخصية الاسلام المادية التى تتساوق من خلالها مع أبعد وأعلى مراحل التقدم البشرى والحضارى وقد قرر شيخ الاسلام ابن القيم رضى الله عنه هذا المعنى بهذه الكلمة الجليلة الرائعة قال : «ان شرع الله لا يتناقض مع قدرة الله»

ويقصد أن أحكام الشريعة لا يمكن أن تقع مناقضة لمقتضيات أحكام القدر : أى المقتضيات الطبيعية والنواميس القائمة فى الطبيعة والفطرة فانهم يسمون أفعال الطبيعة وآثارها الصادرة عنها بحكم نواميسها المركوزة فيها من حيث هى مفعولة بتقدير الله - أصالة - قدرا . وتفسير ذلك بلغة الفكر المعاصر أن الله الذى وضع الطبيعة ووضع لها نواميسها وأحكامها/لا يشرع للناس من التكاليف المطالبين بها ما يتنافى مع مقتضيات أحكام الطبيعة التى فطرهم عليها ، ومن ثم كان الاسلام دين الفطرة - كما نص القرآن .

٢ - ايمان الاسلام بالعقل :

انتقل بعد ذلك الى ايمان الاسلام بالعقل . ان القرآن هو متن الاسلام يتحدث عن العقل فيذكر العقل بمسمياته الأثيرة فى الذكر عند العرب فيذكره باسم الأفئدة ، والألباب ، والبصائر كما يذكره باللفظ المشتق منه فى قوله «ومايعقلها الا العالمون» وانه ليذكر ذلك فى نحو ثمانين موضعا فى القرآن ، ويربط بين العقل ، والدين ، والحياة والسلوك ، والنظر فى ملكوت السماوات والأرض . وبناء على ذلك قرر علماؤنا - رضى الله عنهم - وفى مقدمتهم صاحب « الموافقات » . أن هذه الشريعة الاسلامية لا تنافى أدلتها قضايا العقول : بل تكون مطابقة لها غير نابية عنها .

وضع الشاطبى هذه المسألة فى الموافقات : اذ يقول : الأدلة الشرعية لاتنافى قضايا العقول ويقيم على ذلك من الأدلة ما نورد بعضه :

أولا : أنها لونافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق - وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ، ويصدقه .

فاذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة - وقد فرضنا ورود التكليف المنافى التصديق - وهو معنى تكليف ما لا يطاق وهو باطل - حسبما هو مذكور فى الأصول .

ثانيـا : أن مورد التكليف هو العقل ــ وذلك ثابت قطعا بالاستقراء التـام حتى اذا فقـد العقل ارتفع التكليف رأسا وعد فاقده كالبهيمة المهملة ، وهـذا واضـح فى اعتبار تصـديق العقـل بالأدلة فى لـزوم التكليف . فلو جاءت التكاليف على خلاف مقتضى العقل ، وخوطب بها المكلف لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه ، والصبى ، والنائم ، اذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ، بخلاف العاقل الذى يأتيه ما لا يمكن تصديقه به .

ولمـا كان التكليف ساقطا عن هؤلاء لزم أن يكون سـاقطا عن العقلاء أيضا وذلك مناف لوضـع الشريعة فكان ما يؤدى اليه باطلا .

ثالثـا : أنه لو كان الأمر كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به لأنهم كانوا فى غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ، حتى كانوا يفترون عليه وعليها . فتارة يقولون ساحر وتارة يقـولون مجنـون ، وتارة يكذبونه ، كمـا كانوا يقولون فى القرآن سحر ، شعر ، وافتراء ، وانما يعلمه بشر ، وأساطير الأولين ، بل كان أولى ما يقولون أن هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للعقول أو ما أشبه ذلك ، فلما لم يكن من ذلك شىء دل على أنهم عقلـوا ما فيه ، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول الا أنهم أبوا اتبـاعه لأمور أخـرى حتى كان من أمرهم ما كانــولم يعترضه أحد بهـذا المدعى ، فكان قاطعا فى نفيه عنه (١) .

وبناء على ذلك فانا اذا وجدنا فى الشريعة الاسلامية فى وقت من الأوقات أو فى بيئة من البيئات ما يتنافى مع مقتضـيات أحكام العقل فانه لابد أن يكون خارجا عن أصول الشريعة وكيانها ــ وهو ترديد لمـا قاله ابن القيم « كل مسألة خرجت من العدل الى الجور . ومن الرحمة الى ضدها ومن المصلحة الى المفسـدة ، ومن الحكمـة الى العبث فليسـت من الشريعة ، وان ادخلت فى الشريعة بالتأويل : لأن خروج مثل هذه المسائل من أجناسها الى أضدادها ينافى قضايا العقـول ، ومن هنـا لم تكن من الشريعة » .

(١) الموافقات حـ ٣ ص ٢٨

وهكذا نعلم أن أحكام الشريعة الاسلامية تقع مطابقة للعقول غير متنافية مع أحكامها ، فهى ممتدة البقاء والعمل مع بقاء العقل وعمل أحكامه .

يبقى علينا أن ننظر بعد ذلك فى علاقة الشريعة الاسلامية بالعلم ولا أحب أن يخفى علينا — ونحن نسوق هذا البيان ، أننا بصدد بيان أصول التقدم — كما يذكرها المفكرون التقدميون عامة ، فان أصول التقدم معروفة ومتفق عليها . ألا وهى : الايمان بالعلم ، والعقل ، والتطور :

تكلمنا عن التطور ، تكلمنا عن العقل ، ونتكلم الآن عن العلم :

٣ — أما العلم فله المكان الأعظم فى اعتبار القرآن الكريم ، وفى بناء **الشريعة الاسلامية ، وفى تمثيله** لحقيقة الاسلام من حيث أن هذه الحقيقة الصلبة ترفض الجهل والخرافة دائما ، ولا تصنع ذاتها الا من العلم ، والحق ، والبرهان .

ولا يهولنكم القول : اذا قلنا ان كلمة العلم ومشتقاتها ذكرت فى القرآن نحو ثمانين وثمانمائة مرة :

وفى خلال هذا العدد الضخم من استعمال كلمة العلم فى آيات كثيرة ذكر العلم بجميع معانيه التى تخطر على البال : ذكر بمعنى الخير ، وبمعنى الشعور ، وبمعنى الملكة ، وبمعنى اليقين ، وبمعنى الظن ، وبمعنى العلم التجريدى المستشف لأسرار الكائنات ، كما قال تعالى : «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ففى ذكر الحديث عن الثمرات وألوانها والجدد البيض والحمر وهى الطرق بين الجبال — وما شاكل ذلك — هو فى الحقيقة دعوة للنظر فى العلوم الخاصة بطبقات الأرض والنبات ، والحيوان بما يقتضيه صحة هذا النظر من الملاحظة ثم التجربة ، ثم « التقنية » ، لأن قصر النظر فى الكائنات التى دعا القرآن للنظر فيها عن ثمرات هذا النظر

العملية ابطال للنظر العلمى واضاعة لمعنى الدعوة اليه . ثم قال تعالى : «انما يخشى الله من عباده العلماء» .

أى هؤلاء العارفين بأسرار الطبيعة . فان فى أسرار الطبيعة ما يقتضى العلم باثبات وجود الله تعالى — وعلى قدر صحة البرهان فى اثبات وجود الله تعالى يكون اليقين ثم تكون الخشية من رب العالمين .

على أنه لا يفوتنا فى هذا المقام أن تتذكر أن الاسلام فى أيام سلطانه السياسى العظيم ، ودولته الباهرة أفسح للعلم مجالا كبيرا جدا وكان هذا الافساح وسيلة لتقدم البشرية كلها وفى هذا يقول (محمد اقبال) فى كتابه (تجديد الفكر الدينى): ان القرآن الكريم عندما دعا علماء المسلمين والمسلمين عامة الى النظر فى ملكوت السماوات والأرض ، والى ملاحظة الأشياء والكائنات : الحيوان والنبات ، وما شاكل ذلك وهى تنمو رويدا رويدا ، وتتنوع أنواعها . انما فعل ذلك ليدل المسلمين على مبدأ الملاحظة ، ثم مبدأ التجربة اللذين كانا أساسا جذريا للعلم الأوربى .

وفى زيادة تصور لهذا المعنى يقول تعالى : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوات دانية ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » ثم قال : « انظروا الى ثمره اذا أثمر ، وينعه . ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .

وبهذا الأمر بالنظر الى تنوع النبات ومراحل نموه والى نضجه وايناعه .

وانما يلفت القرآن بذلك أدراك العقل الى أن تنوع هذه الأنواع مما يجب ملاحظته واستنتاج الحقائق الكونية منه وهذا هو العلم بمعناه الحديث المعاصر .

٤ — المرونة فى التشريع الاسلامى — أنتقل بعد ذلك الى المرونة فى التشريع الاسلامى فأقول : ان مناطها أمران :

الأمر الأول: اثبات حق الاجتهاد.

والأمر الثانى : مجال الاجتهاد .

ومعلوم أن أصول الشريعة الاسلامية : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

أما القياس فهو عملية من عمليات الاجتهاد ، ويبقى الاجتهاد مسلطا على الكتاب ، وعلى السنة ، وعلى الاجماع : ويقول الامام (الغزالى) محل الاجتهاد ما ليس بنص قاطع ، ولا اجماع ثابت : وبناء على ذلك فهناك نسبة ضخمة وغير محصورة من الأحكام الشرعية تخضع لعملية الاجتهاد ، أى تخضع لامكان تطور الشريعة : اذ كان الاجتهاد هو أداة تطوير أحكام الشريعة : الأداة الوحيدة .

أما الاجماع الثابت : وهو المنقول الينا بدليل قطعى بعد ماصح ثبوته فى نفسه مستجمعا شرائطه : وهو الاجماع (النطقى) المتفق عليه ــ دون الاجماع «السكوتى» المختلف فيه ، أما هذا الاجماع فانه لا يشمل الا مسائل محصورة من الفقه لا يمنع استمرار ثباتها من امكانيات تطور الشريعة .

ومع ذلك فليس من المتفق عليه عند علماء المسلمين أن الاجماع بمنأى عن سلطان الاجتهاد ، فقد نص (فخر الاسلام البزدوى) على أن حكم الاجماع يجوز نسخه اذا تبدلت المصلحة الداعية لانعقاده، فلو فرضنا أن السلف أجمعوا على حكم فانه يجوز بعد اجماعهم بعصر أو عصرين أو ثلاثة عصور أن يوجد من فقهاء المسلمين بواسطة الاجتهاد اجماع آخر ينسخ ، ويلغى هذا الاجماع من أجل تبدل المصلحة . وهذه نظرة عميقة جدا من فخر الاسلام « البزدوى » فهو قدر أن الاجماع لا يكون سلطة ملزمة للمسلمين فى جميع العصور ، ولو تنافى ذلك مع مصلحتهم المتجددة فرأى أن الاجماع يجوز نسخه باجماع آخر عند تبدل المصلحة .

واذن فقد اتسع مجال العمل الاجتهادى بعد ذلك اتساعا كبيرا

ولم يبق أمامنا الا شيء واحد قليل جدا من مادة الشريعة هو الذى يبقى معصوما عن تدخل سلطة الاجتهاد فيه ــ وهو « النص القاطع » فلننظر فى القرآن ولننظر فى السنة أين النص القاطع فى القرآن ، وأين النص القاطع فى السنة ؟ .

انا اذا نظرنا الى السنة فنستطيع أن نقول ان السنة لاتكاد توجد فيها نصوص قطعية ، لأن القطع لا يكون الا فى الحديث (المتواتر) والقطع يتعين أن يكون من جهة الثبوت أى السند ومن جهة الدلالة : وذلك بدلالة اللفظ على معنى لا تحتمل معنى غيره .

فهل فى السنة أحاديث متواترة ؟ وكم يكون عدد هذه الأحاديث المتواترة التى تفيد القطع فى الأحكام ، ان من يقول بأن فى السنة أحاديث متواترة لا يستطيع أن يثبت من هذه الأحاديث الا قليلا بل ان صاحب (مسلم الثبوت) فى أصول الفقه ، يقول : ان من علماء الأصول من ينكر أن فى السنة حديثا متواترا ، وبعد افتراض أن فى السنة عددا قليلا من الأحاديث المتواترة وهو الرأى الذى نرجحه ونأخذ به ، فلا نملك القول بأن هذه الأحاديث وان كانت قطعية الثبوت ــ هى قطعية الدلالة ، فربما طرقها الظن من جهة الدلالة ، فاتنفت قطعيتها من هذه الجهة وهنا تصبح السنة كلها مجالا للاجتهاد ، وامكان تطوير الأحكام .

ولم يبق أمامنا حتى الآن الا النظر فى القرآن الكريم : وهو قطعى الثبوت قطعا باجماع الأمة على نقله الينا بطريق التواتر قطعا ، لكن يتطرق الظن الى دلالاته فدلالات القرآن على معانيه تنقسم الى قسمين :

دلالات قطعية : كدلالة الخاص على معناه ، كلفظ ثمانين فى قوله تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان دلالة هذا اللفظ الخاص على معناه دلالة قطعية ، لأنها لا تحتمل الا المعنى الواحد الذى دلت عليه ، ولا تحتمل معنى غيره .

ودلالات ظنية يحتمل فيها لفظ القرآن أكثر من معنى كلفظ المشترك وكلفظ العام عند الشافعى ومثال الأول « ثلاثة قروء » فان القرء يكون معناه (الحيض) ومعناه (الطهر) ومثال الثانى قوله « .. وأحل لكم ما وراء ذلكم » فقد دخله التخصيص بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنكح المرأة على عمتها ولاتنكح المرأة على خالتها » .

والدلالات القطعية فى القرآن المتعلقة بباب الأحكام قليلة جدا لا يمكن أن تمثل عاملا من عوامل جمود الشريعة وصدودها عن قبول التطور .

يظهر لنا من هذا العرض الذى قدمناه لكم ، وبحسب تقديرى أن نحو ٩٨٪ من مواد بناء الشريعة هو محل اجتهاد . أى أنه محل لعملية يمكن بواسطتها تطوير الأحكام الشرعية لكى تلائم مواجهة النوازل والوقائع المستحدثة التى تنشأ عن مقتضيات التطور الاجتماعى الحتمى الحاصل فى حياة البشر .

وذلك هو الطريق الوحيد لاستبقاء حياةالشريعة ، واستمرارها فى الناس ، والعدول عن هذا الطريق يعطل الشريعة عنالاستعمال بعضا أو كلا لأنه يجعلها فى الموضع الذى يناقض مصالح الناس ، وأسباب حياتهم . ومنطق الفطرة قاض بايثار الناس استبقاء أسباب حياتهم وأنفسهم ومصالحهم على ما يعارض ذلك من الأحكام ، التى تسلبهم ضروراتهم وتدخل عليهم المشقة والحرج .

د. محمد سعاد جلال

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

قرآن كريم

د. محمد سعاد جلال

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر فى الفقة والاصول سنة ١٩٤٧ ثم اشتغل بعد فترة قضاها فى المعاهد الأزهرية بتدريس الفقة والاصول مدرسا فأستاذا فى كلية الشريعة بالأزهر ، واستاذا زائرا بجامعة دمشق . واخيرا بجامعة ام درمان الأسلامية بالسودان .

ويعمل الى جانب ذلك محررا اسلاميا بصحيفة الجمهورية القاهرية : يكتب مقالا يوميا فى تفسير القرآن . وبيان السنة على مدى سبعة عشر عاما ولايزال .

ومحررا بمجلة منبر الأسلام الشهرية يكتب كل شهر مقالا فى أصول الفقة بانتظام .

وقد استدعى لالقاء أحاديث دينية صباحية ومسائية فى الأذاعة المصرية بانتظام لنحو ثلاث عشرة سنة .

عضو فى نقابة الصحفيين وعضو فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ؟

وثيقة تبشيرية..!!

لفضيلة الشيخ عبد الله المحمود

لقد كان تفكيرى متجها ــ قبل تقديم هــذه الوثيقة ــ الى تقرير خــاص أعــددته عن دول الخليج واماراته بعــد أن رحل الاستعمار الغاشم • تقرير تستعرض فيه معــا حال هــذه الامارات والدول التى عمل الاستعمار طويلا على افســاد عقيدتها ودينهــا بأساليبه الشريرة الخبيثة ومحاولاته الهدامة المخربة، ومؤامراته الخفية والظاهرة ، ولكنى رأيت ــ بعد الحصول على وثيقــة تبشيرية خطيرة ــ ارجاء هذا التقرير لفرصة مقبلة وبخاصــة أن الخليج عاد الى أهله واشتد أزر الاصلاح فى كل أنحائه •

وقامت وزارات متخصصــة فى العمل لرفع راية الاسلام واعــلاء كلمته •

وقبل قراءة ما جاء فى هذه الوثيقة أرى من الضرورى الاشارة الى هذه النقاط الآتية :

أولا : ان هــذه الوثيقــة تمثل جانبا واحدا من جوانب النشــاط التبشيرى المتعدد الهيئات والمذاهب، فهى تتناول ما تقــوم به الطائفــة الانجيلكانيــة ، أى طائفــة البروتستانت وهى طائفــة تعتمــد بالدرجة الأولى على النفوذ الأمريكى والبريطــانى فى العــالم كله • أما ما يقوم به الكاثوليك من نشــاط تبشيرى فشأنه أخطر من ذلك ألف مرة ويكفى أن الفــاتيكان يخطط بــدهاء « لكثلكة أندونيسيا التى يركز عليها فى الوقت الحاضر بحشود من المبشرين والأطبــاء ومعــلمى المدارس والمساعدات الاجتمــاعية المختلفة كما سمعت ذلك من الدكتور محمد ناصر الرئيس الأسبق للوزارة فى أندونيسيا •

ثانيا : يلاحظ فى هـذه الوثيقة أنهـا تعتبر الأزهر الشريف عقبـة كؤودا فى العـالم الاسلامى ، وفى جمهورية مصرالعربية بصفة خاصة.

ثالثا : كما هى عادة التبشـير فى تزييف الحقائق والباس الباطل ثوب الحق تزعم هذه الوثيقة أن أحـد علماء الأزهر قد ارتد عن دينه فى لبنـان وأصبح مبشرا ، وأن كتب التبشير تجد رواجا فى المملكـة العربية السعودية.وهى أكاذيب لها سابقة فى مصر والعالم الاسـلامى كله . فقد سمعنا ذات يوم أن شخصا **يدعى « الشيخ كامل منصـور » وهو من خريجى الأزهر فى مصـر** قد تحـول عن دينـه وأخذ يبشر بالثالوث فى أحدى كنائس الطائفـة الانجيليكانية وهى كنيسـة كانت **ملحقـة باحدى المدارس الأمريكية** فى منطقـة الأزبكية . وهى فرية مكذوبة ، الغرض منها توهين الروح المعنوية عند ضعاف الايمان وصغار النفوس ، وايهام الناس أن مسلمين **قـد ارتـدوا عن دينهم وصـاروا مسيحيين .**

رابعا : يلاحظ فى هذه الوثيقةأن العمل التبشيرى يستغل دائما المآسى الانسانية والتخلف الاقتصـادى فيتسرب من خلالها الى تضـليل النـاس كما يحـدث الآن فى بنجـالاديش واليمن الجنوبية وبين اللاجئين الفلسطينيين من الضـفة الغربية .

خامسا : أن التبشير له مخطط وهدف يسعى اليهما فى النهاية هذا المخطط والهدف هو القضـاء على الاسـلام والسـيطرة على معاقله الرئيسية وان التركيز على منطقـة الخليج هدفه الزحف الى مكة .

ونحن نعتقـد ونؤمن ايمانـا لا يخالطه شك أن هذا كله أضغاث أحلام لأن الله سـبحانه نزل ذكره وهو له حافظ الى أن تقوم الساعة.

« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبـون والذين كفروا الى جهنم يحشرون » .

لقد حصلنا على هذه الوثيقـة بنصها الانجليزى من لندن وقـام بترجمتها بعض الغيورين من أبنـاء

الاسلام الى اللغة العربية وهــذه الوثيقة عبارة عن تقرير القى فى مؤتمر عقد عام ١٩٦٩ فى يوم الجمعــة الثانى من مـايو الى يوم الخميس الثامن من مايو سنة ١٩٦٩ وكان مكان هذا المؤتمر فى « هـيرن بى كورت » فى بريطانيا .

فماذا يقول هذا التقرير ؟

تحدث السيد باكنجهام للمؤتمر عن نشـــاط الزمالة المختلطة مع (١٦٠٠٠ طالب مسلم) أن الزمالة المختلطة يقوم بها مجموعة مؤلفــة من ١٣٠ طالبا بريطانيا أخذوا على عاتقهم أن يكونوا أصدقاء لطلاب مســلمين يدعونهم الى بيــوتهم ويستقبلونهم عند وصولهم لبريطانيا ويدعونهم الى تناول طعام العشــاء فى بيوتهم كل يوم جمعة مساء .

وان المخطط قــد وضــع على منشورات بسيطة تسهل قراءتها من قبل هؤلاء الطلاب لأن المنشورات الموجودة طويلة وليس لدى الطلاب وقت لقراءتها .. وقــد اكد السيد باكنجهام ان من المهم فى بداية الأمر أن نكسب ثقة الطــلاب المســلمين وألا نتحدث اليهم عن المسيحية لئلا يشمئزوا ، وأكد أيضا انه يجب على هؤلاء الطلاب أن يعيشوا مع عائلات مسيحية كي يندمجوا معهم ويصبحوا جزءا من العائلة .

الجزائر :

يوجد فى الجزائر عــدة جمعيات مسيحية تبشيرية تعمل فى الخفــاء كأطباء ومدرسين وممرضات . وهم موظفون لدى الحــكومة الجزائرية وفى مدينة طوغورت تعمل الآنســة (مارى ديفيز) كقــابلة قانونيــة وتوجد أيضا مديرة مدرسة حكومية فى مدينــة طوغورت وهى مبشرة فرنســية تدعى الآنســة (جاكلين يونس) .

والعمل قــد تم بين « توارك » بواسطة الجمعية التبشيرية العامة فى الشرق الأوسط مع السيد اسحاق وزوجته لعمل برامج اذاعية ودورات تعليميــة بالمواصلة لتعليم الانجيــل وهى موجهة يوميا الى شمال افريقيا من مرسيليا . وهناك تجاوب شديد فى اواسط الجزائر حيث أن ٢٥٪ من الطلبات تأتى من أواسط الجزائر وهناك طلبات تقدم من طلاب يطلبون الدراسة بالمراسلة .

لن الطالب يزار من قبل مبشر مثل السيد « كوينون » من جمعية تبشيرية فى شمال افريقيا .. وهناك طلبات تأتى فى كل شهر يقدر عددها بـ(١٢٦٠) طلبا جديدا للالتحاق بمدرسة تعليم الانجيل بالراديو وهناك مواطنون جزائريون يقومون بتدريس الانجيل..ان حكام بعض المقاطعات قد انقلبوا الى مسيحيين وهناك رجل عربى اسمه « توفيق الخورى » وهو احد الاشخاص الذين يذيعون البرامج الدينية المسيحية من مرسيليا . ومن الذين يعملون فى الجزائر الدكتور «دافيز والسيد» « روجيه نيوكون » والآنسة كنت.

مراكش (المغرب) :

ان الجمعية التبشيرية لشمال افريقيا تقيم مستشفى فى شمل افريقيا باسم الثالوث التذكارى وأن الحكومة المراكشية تسعى لاستلامه لتحويله الى مستشفى حكومى ومدير المستشفى يدعى « حنا » ويسعى للحصول على اذن له بفتح عيادة خاصة وان احدى الاطباء الذين يعملون فى المستشفى يدعى « وليم كامل » يأمل أن يحصل على اذن عمل فى اية منطقة كانت بعد ان سحب منه اذن العمل السابق فى مراكش علما بأن جميع البرامج الاذاعية من مرسيليا تصل لمراكش

زنجبار :

تعانى الجمعية التبشيرية صعوبات سياسية وخاصة فى ادخال الانجيل الى المنطقة ومن الملاحظ ـ انه من السهل قلب الاسماعيليين الى مسيحيين

نيجيريا :

ان احد فروع جمعية التبشير السودانية الداخلية تعمل فى نيجيريا واستطاعت ان تقلب خلال عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ من ٢٧ الف الى ٥٢ الف مسلم وان تطبع نسخا من الانجيل ومازال العمل مستمرا لاصدار الانجيل من النسخ القديمة فى مدينة « هوسا » .

ان السيد « بطرس تورنو » من الجمعية داخل السوادن يعمل مع الانسة « سكورت » فى مستشفى الجذام فى شمال نيجيريا وهى مؤسسة حكومية ، وهم يعملون بجد ونشاط بين القبائل ويبلغ عدد سكانها ٢ر٥ مليون نسمة واستطاعوا ان يقلبوا ستة اشخاص فقط وعدد المرضى ٢٥٠ مريضا منهم ٢٠٠ مريض مسلمين .

ان مايكودوى « هـو نيجيرى مسيحى تدرب فى الجمعية التبشيرية السودانية ويعمل فى بحيرة تشـاد مع الدكتور « افيـد كارلين » بين المسلمين ، والعقبة الـكبرى التى تواجـه المبشرين هنـاك تأتى من شيوخ الازهر .

اثيوبيا :

هناك ثلاثة جمعيات تبشيرية فى اثيوبيـا ، جمعية البحر الأحمـر وجمعية الشرق الاوسـط وجمعية السودان الداخلية التبشيرية .

١ ـ جمعيـة البحـر الاحمـر التبشـيرية : هـذه الجمعية تملك مستشفى فى « اريتريا » فى المقاطعة الشمالية قرب العاصمة « اسمرا » حيث هى مكتظة بالاثيوبيين الذين درسوا فى الكلية الاثيوبية للتبشير بالدين المسيحى. ان هؤلاء المواطنين يعملون غالبا مضمدين فى المستشفى. واذا نجح احدهم يستطيع ان يعمل مبشرا مسيحيا وان الآنسة « جوان ماسون » والدكتور جراهام مارتين كلاهما يعملان كمبشرين فى نفس المستشـفى ان جمعيـــة البحـر الأحمر تشعر أن هناك خطرا كبيرا من ان تصبح المنطقة مسلمة بكاملها والسـبب يعـود الى عدم فعالية الكنيسـة القبطيـة والتعـامل مع جمهورية اليمـن والمملكة العربية السـعودية والتزاوج بين البنـات الأثيوبيات المسـيحيات وهؤلاء العرب التجار المسلمين ومع هـذا فان لجمعية البحر الأحمر مستشفى يعمل فيه ممرضـات « مارجـرى برتس وجريس واندفلت يقومون بتعليم الدين المسيحى لثمانين طفلا مسلما ، والآن يعـدون مشـروعا لفتح مركز لمكـافحة الســل لان معالجته تأخذ وقتـا طويلا وتكون لهم فرصة سانحة ووقت كاف لكى يقوموا بالتبشير بالدين المسـيحى وهم يعملون بجد ونشاط لقلب أكبر عدد ممكن من الشـباب فى حـالة استحالة وصول التبشير الى الآباء والأمهات .

٢ ـ الجمعية التبشيرية السودانية الداخلية : تعمـل على التبشير بين القبـائل الرحـل فى ارتيريا حيث يؤسسون المستشفيات التى تدار من قبل مضمدين مبشرين اثيوبيين.. وان الآنسة «روير» تقوم على ادارته

وفى اسمرا يقومون بتدريب مدرسات فى كلية يوجد فيها ٦٠٠ طالبة مسلمة حيث تدار من قبل السيد بال وزوجته حيث يسمح بتدريس الدين المسيحى • وفى « كرين » « تقوم الآنسة » مان جالبد » « بارثيدج » بتدريس الدين المسيحى فى مدرسة التمريض والتضميد واعداد المضمدين المبشرين ••

باكستان :

سمعت حديثا عن مسلم انقلب مسيحا اسمه « اسلام خان » من جمعية تبشيرية فى لاهور حيث قال آن الآوان لدخول التبشير الى باكستان ان الأبواب مازالت مغلقة فى وجهنا لكن الاوضاع السياسية سوف تفتحها ان الفائدة المرجوة من استعمال المستشفيات والمدارس هى الواسطة الوحيدة لنقل المسيحية •

دبى :

ان السيد « كمال » يعمل مبشرا فى دبى حيث صرح قائلا واكد ان دبى يجب ان تكون باب الدخول الى مكة • وان الخليج هو الطريق الأمثل للتوغل الى قلب الجزيرة العربية •

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ان حاجة اليمن الى المساعدة الصحية ماسة ولا سيما من أى مصدر كان حتى أنهم سمحوا للجمعيات التبشيرية بفتح عدة مستشفيات قدر امكانهم حيث ان الوعظ بالدين المسيحى يقام يوميا فى كل قاعدة ومن الذين يعملون بالتبشير الآنسة « فيفن رينة » والدكتور « بطرس داله » وزوجته « مرغريت » كما يجب أن نستغل الظروف الاقتصادية فى الوصول الى غايتنا بسرعة •

استراليا :

هناك جهود لقلب الالبانيين المسلمين الى مسيحيين •

افغانستان :

ان عدد سكان افغانستان (٢٠ مليون) وغير مسموح بالتبشير رغم هذا هناك ثلاثون مبشرا موجودون تحت اسم خبراء متعاقدين مع الحكومة •

لبنان :

ألقت الآنسة « ستمرز» محاضرة عن لبنان وهى مدرسة فى المدرسة

الانكليكانية فى بيروت • ان لبنان هو مركز نشاط التبشير فى كل الشرق الاوسط ويوجد فيه راديو صوت الانجليل •

ان الجمعية الانكليكانية لكى تستغل الاوضاع السياسية لنشر التعاليم المسيحية فانها تعمل بجد هذه الايام ، كما ، يجب الاستفادة من العمل الفدائى الفلسطينى •• ان الجمعية اللبنانية التبشيرية الانكليكانية تعمل بين الدروز حتى انهم كونوا جمعية الصداقة المسيحية لمساعدة المسلمين المرتدين الى المسيحية بايجاد وظائف لهم اذا لزم الامر • وقد استطاعوا قلب الشيخ نور الدين اشرافى خريج الأزهر ولديه شهادة ماجستير فى الفنون •

صور :

يوجد فى « صور » مدرسة بنات عدد تلميذاتها (٤٥٠ بنتا) أكثرهن مسلمات والمديرة لبنانية مسيحية اسمها « كلين عبود » ومن المدرسات المبشرات « باربرعبود » ان احد الشيوخ من البدو تزوج مفتشة مدرسة انقلبت بنتها الى مسيحية وأخذت هذه المفتشة فى افتتاح مدرسة لتعليم البنات المسلمات ومن مواد برامجها الوعظ المسيحى ويقوم به « خورى » يحضر من بعلبك وان لهذه السيدة أخ ارتد عن الاسلام واصبح مسيحيا وافتتح مدرسة للاولاد رغم ذلك ان الحكومة اللبنانية لاتعلم عن هذه المواضيع شيئا ، ان التعليم المسيحى تغلغل حتى الى مشاغل الخياطة والاعمال اليدوية • ان الجامعة المسيحية التبشيرية مركزها الرئيسى لبنان ـ وتتصل بدورها بالمركز الرئسى فى بريطانيا • ومن العرب الذين يعملون مع التبشير السادة : قابيل سويد موسى الملاجى •• ان منشوراتهم تجد رواجا فى سوريا واليمن والمملكة العربية السعودية فقد نشروا (٨١) كتابا مترجما ويوزع الاف من نسخ الانجيل كل شهر وجميع المستخدمين وعمال الطباعة مسلمون ارتدوا •• ان مدرسة هنرى مارين فى بيروت يعمل

فيها القسيس « جويس » لكى تمتد يده الى جميع المسلمين فى شمال افريقيا ..

جمهورية مصر العربية :

لقد قال السيد « كبنو » للمؤتمرين أنه مازال بعض المبشرين من جنسيات أخرى فى مصر وبخاصة فى ملجأ ليليان ترامشر للايتام فى اسيوط مصر العليا . وهناك بعض المصريين أطلقوا على أنفسهم أصدقاء المسيحية والمقصد من ذلك الوصول الى الطلاب الصغار فى القاهرة .

وهناك مجموعة مشابهة مؤلفة من المسيحيين المصريين تقوم باعمال فى النشاط الاجتماعى . ولا زلنا نعتبر الازهر وشيوخه أكبر عقبة تفسد خططنا . وهم اعداؤنا الحقيقيون فى كل مكان فى اسيا او افريقيا .

ايران :

يوجد فى اصفهان مستشفيات انكليكانية وفى شيراز وطهران بواسطة امريكا ، كما ان السيد « كوانت هنايك » قد طرد مؤخرا لأنه تسبب فى ارتداد أحد أبناء الشيوخ فى مشهد .. وان بعض الجمعيات التبشيرية تعمل للتغلغل فى صفوف الجيش الايرانى .

سنغافورة :

« سام ليوب وملت فتيدلى » يعملان هناك فى محاولة لقلب المسلمين .

اندونيسيا :

ان الكنيسة الانكليكانية يعمل فيها السيد « مارتين داتكون » وهناك مشروع لتحويل أندونيسيا الى دولة مسيحية . ولا بد من التعاون مع الكاثوليك لاتمام هذه الخطة .

فلسطين المحتلة :

يوجد المستشفى الانكليكانى فى الناصرية وان شبه جزيرة سيناء قد فتحت أبوابها على مصراعيها للتبشير المسيحى تحت الاحتلال الاسرائيلى واسرائيل تساعدنا كثيرا وتفضل التعاون معنا أكثر من أى مذهب مسيحى .

مالاديفا :

ان التبشير قد أخذ بانتشار فى هذه الجزيرة التى يسكنها مسلمون مائة فى المائة .

جنوب تايلاند :

ان القوات المتحركة قد أوجدت كنيسة مؤخرا فى الفترة ما بين ٨ نيسان حتى ٢٨ آيار ١٩٦٧ وذلك فى اقليم فطانى الذى يتكون سكانه من المسلمين .

أمريكا وكندا :

ان التبشير الانكليكانى قائم بين السوريين واللبنانيين . كما أن العمل من قبل اتحاد الطلاب العالمى قائم بين المغتربين من جميع المسلمين .

روسيا البيضاء :

ان العمل الانكليكانى قائم فى تركستان بين المسلمين .

جمهورية الصين الشعبية :

لقد قضى مبرما على المسيحيين فى المقاطعات فى الشمال الغربى وان المسلمين يجرى قلبهم الى مسيحيين .

بلغاريا :

ان العمل التبشيرى قائم على قدم وساق رغم أنه لم يكشف النقاب عن الأشخاص الذين يعملون هناك .. ويعيش فى بلغاريا أكثر من مليون من المسلمين .

اليونان ويوغوسلافيا :

نفس الشىء .

البانيا :

ان المخطط بالعمل التبشيرى قد وضع ولكن لم يعمل به بعد .

شرق افريقيا :

ان الاتصال بهؤلاء المسلمين بدأ منذ أيام الاستعمار الأولى ويبذل التبشير جهودا جبارة وسط هذه الأغلبية من المسلمين .

المانيا الغربية :

ان التبشير الانكليكانى قائم بين الأتراك العمال وخاصة على يد السيد « كوزمادس » ففى ألمانيا الغربية مئات الألوف من العمال المسلمين . من ايران وتركيا وألبانيا .

الأردن :

أفادت الآنسة « تيزسوف » أن التشجيع على الاتصال قائم ولاسيما بين اللاجئين الفلسطينيين وخاصة النازحين من غزة والفرصة متاحة للتبشير وسط اللاجئين المسلمين .

فرنسا :

أن « كريستون فرمير » يقوم بالتبشير بين ثلاثمائة ألف مسلم من العمال القادمين من شمال أفريقيا .

بريطانيا :

يوجد مخططات لكي يتم الاتصال بالمسلمين الباكستانيين المهاجرين ويعملون كعمال بواسطة الآنسة « روثفورد » التى تقوم بدور الاتصال بين المسلمين القادمين من بلاد الكومنولث .

* * *

أصحاب الفضيلة والسماحة علماء الاسلام .

هذا هو نص التقرير الذى ترجمناه عن أصله الانجليزى مع حذف التوقيعات التى وردت فى نهايته .

والذى أريد أن أقرره وأقوله :

أولا : ان التبشير يهدف الى غاية خطيرة تتمثل فى هذه الهجمات الشرسة التى يقوم بها فى العالم الاسلامى كله . وأن هذه الهجمات قد خطط لها من زمن بعيد على نحو ما ورد فى كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » الذى ظهر وطبع منذ خمسين سنة .

ثانيا : أن تقصير المسلمين تجاه اخوانهم المنكوبين ، وتخليهم عن واجبهم تجاه ما يتعرضون له من المحن والنكبات يتيح لهؤلاء المخربين الفرص لضرب الاسلام فى معاقله والتشكيك فى الرابطة الاسلامية بين شعوبه .

ثالثا : اننا نستطيع بالتعاون المنتظم بين الشعوب الاسلامية والجماعات الاسلامية العاملة فى هذه الشعوب أن تفسد هذه الخطط وتكشف هذه المؤامرات ولا يتم ذلك الا بالعطاء والبذل ، والتضحية بالقليل من الأموال والمساعدات .

رابعا : اننا لا ننكر أن لمصر والمملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات مواقف نبيلة تجاه المنكوبين والمسلمين فى شتى بقاع العالم ولكن هذا المؤتمر يستطيع أن يخطط لعمل اسلامى موحد يتم بمقتضاه دراسة الأحوال • وتقديم المساعدات والتصدى لكل المحاولات الهدامة ضد الاسلام والعالم الاسلامى •

خامسا : أن الدعوات التى تنطلق هنا وهناك داعية الى التفاهم بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات لن يكتب لها النجاح مالم يتوقف أصحاب هذه العقائد عن حملاتهم المسعورة ضد الاسلام وشعوبه ويقدموا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوة بالتفاهم والحب لا بالبغضاء والكراهية وسوء النية والتناقض الواضح بين أقوالهم المعلنة وأعمالهم الخفية •

سادسا : ان الأزهر كما يتضح **من هذا التقرير خطر كبير على أعداء** الاسلام فى كل الدنيا • فعلينا أن نعمل لتقويته واعلاء شأنه واحاطته بكل انواع الرعاية والاعزاز والمساعدة •

سابعا : لابد من الاسراع فى انشاء صندوق خاص للدعوة الاسلامية تتجمع فيه كل أنواع التبرعات والزكوات والمساعدات ــ حكومية أو شعبية وأن يكون لهذا الصندوق مجلس ادارة تمثل فيه كل الشعوب الاسلامية وتتكون له فروع فى كل الأقطار القادرة على الاسهام فى هذه القضية المقدسة •

شريح القاضى :

قال شريح القاضى : قال لى عمر : اقض بما استبان لك من كتاب الله فان لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتهد رأيك •

وثيقة تبشيرية ...

سـماحة الشيخ عبد الله بن على المحمود
فى سطور

- من مواليد الشارقة سنة ١٣٣٥هـ .

- كان والده من كبار العلماء ، وقد تكفل بتعليم الكثير من الطلاب على نفقته الخاصة وارسالهم الى مختلف الاقطار الاسلامية كمصر ، والعراق والسعودية فقـد كان ولده من كبار تجار اللؤلؤ فى الخليج كله .

وقد ورث الشيخ عبد الله عن والده مروءته وعلمه . ودينه وبيته فى مدينة الشـارقة ملتقى العلماء والأدباء وزعماء المسلمين فى العالم كله .

- اشتغل فترة بالقضـاء . ثم اختير مديـرا للأوقـاف والشئون الاسلامية فرئيسا لمركز الدعوة الاسلامية . وعضوا بالمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى .

- اشترك فى كثير من المؤتمـرات الاسـلامية فى العـالم الاسلامى وفى أوربا وأمريكا .

- من مؤلفاته : الأسرة السعيدة ، وحقوق الانسـان من الاسلام والمذاهب المعاصرة .

مناهج التعليم الإسلامى

تاريخها، وعوامل انحرافها، وطرق إصلاحها

للدكتور أحمد شلبى

ان الحديث عن مناهج التعليم الاسلامى يدفعنا أن نقف وقفة قصيرة مع موقف الاسلام من العلم والمعرفة ، فقد رفع القرآن الكريم شأن العلم ووضعه فى مكانة سامية جليلة ، وأكبر دليل على ذلك أن أول سورتين نزلتا من الذكر الحكيم تقرران قيمة الكلمة المقروءة والكلمة المكتوبة ، والسورة الأولى التى تتكلم عن الكلمة المقروءة هى سورة اقرأ ، قال تعالى : اقرأ باسم ربك الذى خلق .. » والسورة الثانية التى نزلت بعد سورة اقرأ بناء على رأى الأكثرين (السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٤٢) هى سورة « ن » التى مطلعها : « ن والقلم وما يسطرون » وعلى هذا فالآيات الأولى تتكلم عن القراءة والآيات الثانية تتكلم عن الكتابة.

وبعد ذلك تجىء من القرآن الكريم آيات كثيرة ، تثبت جلال العلم ، ومكانة العلماء ومنها قوله تعالى :

— شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط (سورة آل عمران الآية ١٨) .

— هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . (سورة الزمر الآية التاسعة) .

— يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . (سورة المجادلة الآية ١١) .

ويقول صلوات الله عليه فى هذا المجال :

— اطلب العلم من المهد الى اللحد .

— من عظم العالم فقد عظمنى .

— يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء .

وقد أعلن الاسلام لأول مرة فى تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع، فقد كان العلم قبل الاسلام خاصا بالكهنة ، ولا حق لسواهم فى طلبه، فارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (سورة التوبة الآية ١٢٣) .

فأصبح المسلمون جميعا بين معلم ومتعلم .

السلوك والعلوم :

واهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالتربية الاسلامية ، وكان مفهوم التربية واسعا عند المسلمين ، فشمل العناية بالسلوك ، كما شمل العناية بالعلوم .

وفى المجالين جميعا اهتمت التربية الاسلامية بمراحل العمر ، فاهتم المفكرون المسلمون برياضة الطفل وبالوسائل التى تتخذ لغرس الفكر السليم سلوكيا وعلميا فى قلب الطفل الذى يمثل جوهرة نقية ساذجة ينقش عليها المعلمون أفكارهم وثقافتهم .

واهتمت التربية الاسلامية بالشبان سلوكا وعلما كذلك ، فعنيت بالمبادىء السليمة وبالقدوة الحسنة ، كما عنيت بمناهج العلم للشبان ، وعنيت كذلك بتوجيه التلاميذ حسب مواهبهم ، وبتكافؤ الفرص فى التعليم عند المسلمين ، وبعدد التلاميذ فى الفصل ، وبالرحلات لطلب العلم والمعرفة وبتعليم المرأة .

وفى جميع الأعمار عنيت التربية الاسلامية بالتعاون بين البيت والمدرسة لتكوين خير العناصر لخدمة الأسرة والمجتمع والانسانية.

تلك موضوعات مهمة عنيت بها التربية الاسلامية عناية كبيرة ، وقد تدارست هذه الموضوعات فى كتابى «تاريخ التربية الاسلامية» ووضحت أن اتباع هذا النهج أبرز أجيالا من القادة وصفوة من المفكرين .

وحدثت بعد ذلك أحداث تراخى بسببها التمسك بقيم التربية الاسلامية ، فاتجه بعض المثقفين المسلمين الى الانحراف عندما جهلوا الطريق القويم ، ووقف آخرون حيارى متشككين .

لمـاذا حدث التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية ؟

ولمـاذا عجزت معاهـد العـلم الاسلامية عن حسن التوجيه ؟

فى اعتقادى أن مناهج الدراسات الاسلامية هى المسئولة عن هـذه النتائج ولو أصلحنا هذه المنـاهج لكان من الممكن أن نستعيد الزمام وأن نملأ الفراغ فى نفوس الشبان، وعلى هذا فينبغى أن نقف وقفـة ندرس فيها تاريخ المناهج الاسلامية لنرى كيف كانت فى صدر الاسلام، وكيف انحرفت والى أى مدى كان هذا الانحراف .

تاريخ المناهج الاسلامية :

دراسة المناهج الاسلامية ترينا التحولُ الكبير الذى حـدث عبر القرون السابقة ، وكيف أن هـذا التحول كان شديد الضرر بالدراسات الاسلامية فمثلا اذا رجعنا الى مطلع الاسلام وجدنا علم مقارنة الأديان يقف فى القمة من المناهج الاسلامية، وذلك تبعا لقوله تعالى « وجادلهم بالتى هى أحسن » (سورة العنكبوت الآية ٤٦) والمجـادلة بالحسنى هى عرض قضايا الأديان ومناقشـتها لنصل بذلك الى الهداية .

ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على مقارنة الأديان ، بل جاءت بعض آياته وهى نماذج واضـحة لهـذه المقارنة مثل قوله تعالى :

ــ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ (سورة النحل الآية ١٧) .

ــ لو كان فيهمـا آلهة الا الله لفسدتا (سورة الأنبياء الآية ٢٢).

والذى يدرس التاريخ الاسلامى يشـاهد حلقات مجادلة وحلقـات عرض للقضايا الدينية كان الاسلام يحقق فيها النصر المؤزر .

ومن أجل هـذا اهتم العلمـاء المسلمون منذ العصـور الاسلامية الأولى بهـذا العـلم كالنوبختى (٢٠٢ هـ) والمسعودى (٣٤٦هـ) والمستحى (٤٢٠ هـ) والبغدادى (٤٢٩ هـ) وابن حزم (٤٥٦ هـ) والشهرستانى (٥٤٨ هـ) وغيرهم .

وطالمـا دخل الآلاف الاسلام عن طريق هذا العلم ، وعن طريق عرض قضاياه المهمة مثل : قضية الألوهية

ـ قضية النبوات والمعجزات ـ قضية الكتاب المقدس ـ قضية التشريع ـ قضية الرهبنة ـ قضية المرأة .

ومن العلوم الاسلامية التى كانت تلاقى عناية كبيرة فى المناهج فى صدر الاسلام : علم الحضارة الاسلامية ـ والحضارة الاسلامية هى من أسنى العلوم الاسلامية لأنها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى ، وقد ذبل هذا العلم ، ولم يبق منه الا واجهة شاحبة ، والحضارة الاسلامية فى معناها الأصيل ينضوى تحتها ثلاثة أنواع هى :

حضارة الخلق :

وهى الحضارة الاسلامية الأصيلة التى جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، كرأى الاسلام فى السياسة وفى الاقتصاد ، وفى التربية والحياة الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها .

حضارة البعث :

وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت وماتت وأحياها المسلمون وطوروها ، وابتكروا فى مجالاتها ، وهى الحضارة التجريبية فى علوم الطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى وغيرها :

حضارة التاريخ

وهى الحضارة التى تقدمها دولة من الدول الاسلامية لشعبها أو له ولغيره من الشعوب فى مجال الاقتصاد (الزراعة والتجارة والصناعة) وفى مجال الصحة والتعليم والأمن الداخلى والأمن من العدوان الخارجى .

وعندما تتتبع المعلمين الأول فى الاسلام نجد كثيرا من الاهتمام يوجه للحضارة الاسلامية وطبيعى أن الرسول كان المعلم الأول وأحاديثه الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة التى تبرز ما قدمه الاسلام للمجتمع البشرى ، ففى المجال السياسى يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

ـ وشاورهم فى الأمر .
(سورة آل عمران الآية ١٥٩) .
ـ وأمرهم شورى بينهم .
(سورة الشورى الآية ٣٨) .

فيستشير فى غزوة بدر وينزل على رأى الحباب بن المنذر عندما أيدته الأغلبية فى اختيار مكان الموقعة ، وفى غزوة الآحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة ، ويرجع عن رأيه هو فى المصالحة مع المهاجين من أهل الطائف ، وتدلنا الروايات التاريخية أنه كان يكثر من استشارته لأصحابه حتى قال أبو هريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان أبو بكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وقد روى أنه قال : « وايم الله لو أنكما تتفقان على أمر ما خالفتكما فيه » •

ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول وساروا على نهجه بكل دقة وعناية •

وفى المجال الاقتصادى يقف المعلم الأول موقفا رائعا حين يقول:

ــ ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم •

ــ أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله•

ــ من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له •

ومثل هذا يقال عن مواقف الرسول فى الموضوعات الحضارية الأخرى كموقفه من السلم والحرب وموقفه من التربية ، وموقفه من الرق ، وموقفه من الحياة الاجتماعية وقد شرحنا ذلك بافاضة فى موسوعة النظم والحضارة الاسلامية بأجزائها المختلفة •

وكانت مواقف الرسول هى النهج الذى اتبعته الصفوة الأولى من المعلمين فى الاسلام ، والذى يتتبع مصعب بن عمير وعلى بن أبى طالب، ومعاذ بن أبى جبل وغيرهم من المعلمين الذين أوفدهم الرسول الى المناطق المختلفة ، يرى أن هؤلاء المعلمين كانوا يتبعون هذا النهج بكل دقة ، ويضيفون اليه قراءة القرآن الكريم واقراره ، كما يضيفون تعليم العبادات التى كانت قد نزلت التعليمات بها •

ومن الجدير بنا أن نوضح أن تعليم الصلاة مثلا كان يتم بكثير من اليسر اتباعا للنهج الذى سلكه الرسول عندما صلى أمام المسلمين، وقال لهم: صلوا كما رأيتمونى أصلى ومثل هذا يقال عن الصيام وهو النهج الذى لا يزال متبعا حتى العهد الحاضر ، فان أجيال الصبيان يتعلمون الصوم والصلاة من ذويهم دون تعقيد ، ويعيشون على ذلك حياتهم حتى اذا اتجهت ثقافتهم الى الدراسات الدينية ، فهم لا يجدون فى التفاصيل التى يدرسونها مايستدعى اجراء أى تعديل ذى بال فيما تلقوه من ذويهم وهم صبيان.

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويعتبر هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد منذ انشاء جامعة الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م وفى بيت الحكمة ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة ، وفى موضوعات متباينة الى اللغة العربية وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة ، ففى المرحلة الأولى أكملوا ما كان قد طرأ عليها من نقص ، وفى المرحلة الثانية شرحوها ثم علقوا عليها، وفى المرحلة الثالثة تدارسوها، وقدموا أفكارها للطلاب، ثم وصلوا بعد ذلك الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات، فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والأدوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نقلت الى أوربا فوضعت أساس عصر النهضة ، وفى بيت الحكمة ازدهر ما أسميناه من قبل من حضارة البعث .

وبجانب مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية كانت هناك العلوم الاسلامية الأخرى كالفقه الاسلامى الذى يشرح التشريعات الاسلامية فى شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم أن يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الاسلامى ، وكان هناك تفسير القرآن الكريم لايضاح ما قد

يغمض على الانسان من آيات الكتاب الحكيم ، وهناك دراسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وهناك علوم اللغة التى تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله والتى كتب بها أعظم التراث الاسلامى .

وكان طالب الطب والهندسة والزراعة وغيرها من العلوم المدنية يعرف قدرا كافيا من العلوم الاسلامية ، وكان ذلك ضروريا له ، وكانت هذه العلوم تعلم فى المساجد مع العلوم الاسلامية ، يروى السيوطى (حسن المحاضرة : ج ٢: ١٣٨) أن دروسا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى وقد شملت التفسير والحديث والفقه والقراءات والطب والميقات ، ويقول عبد اللطيف البغدادى (ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ٢٠٧) ان درسا فى الطب كان يلقى فى الأزهر فى منتصف النهار من كل يوم .

ومن أجل هذا وُجد بين المفكرين المسلمين من نبغ فى العلوم الدينية والعلوم العملية جميعا كابن مسكويه الذى كان طبيبا وفيلسوفا ومؤرخا وباحثا فى الأديان ، وابن سينا الذى كان حجة فى الفلسفة والطب والفلك والرياضة وابن رشد الطبيب الفقيه الفيلسوف ، والكندى الذى عرف الطب والجغرافيا والفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها .

* * *

تلك صورة سريعة للمرحلة الأولى للمناهج الاسلامية ، وهى مرحلة أثمرت وأينعت وحملت الفكر الاسلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى .

ثم حدث بعد ذلك تحول خطير فى المناهج كان سيىء النتائج الى أبعد الحدود فبسبب الحروب خفت علم مقارنة الأديان لأن الصليبيين زحفوا على الشرق للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وأحس المسلمون أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الدينى ، ولا الجدال بالحسنى ، وأنهم يستحلون دماء

المسلمين بدون ذنب أو جريرة ، فراح المسلمون يواجهون الصراع بالصراع ، وبالتالى خفت صوت المجادلة بالحسنى ، ومقارنة الأديان ، لأن هذا العلم يوجه اهتماما كبيرا لغير المسلمين ، ويدعوهم لهذه المجادلة ، ثم بدأ يختفى من كل المعاهد الاسلامية ويسدل عليه الستار •

وحوالى نفس التاريخ أو قبله بدأت الحضارة الاسلامية فى الذبول والاختفاء ، فقد ظهر فى العالم الاسلامى مجموعة من الخلفاء والملوك لايحبون الشورى ويميلون للاستبداد ، ولا يريدون أن تحدد سلطاتهم ، أو تنتقص سطوتهم ، بل راح هؤلاء يتحدون كل من يذيع من الحضارة الاسلامية ما يناقض اتجاهاتهم ، وظهر كذلك الغنى الفاحش ، وتركزت الثروات فى أيد قليلة ، وكان الأغنياء هم أصحاب السلطان ، فاتجه هؤلاء الى محاربة الاتجاهات الاسلامية الاقتصادية ، وبالتالى تعطيل جانب مهم من جوانب الحضارة الاسلامية •

وحشدت الغوانى والرقيقات فى قصور السادة ، وبالتالى اختفت الاتجاهات الاسلامية عن تحرير الرقيق ، تلك الاتجاهات التى انبعثت من قوله تعالى « حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء » (سورة محمد الآية الرابعة) ومن قوله عليه السلام « شر الناس من باع الناس » وعاد الثأر يفرض سلطانه، وأخذت الحروب تأكل الناس وتدمر الزرع والضرع على غير ما علم الاسلام •

وبينما كانت مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية تذبل وتختفى كانت دراسة الفقه والتفسير والأخلاق وعلوم اللغة العربية وغيرها تنحرف عن الجادة انحرافا واضحا ، فقد اتجهت هذه الدراسات الى الفروض وبعدت عن روح الاسلام ، وحسبك أن تراجع ماكتبه الفقهاء عن باب الزكاة وهو من أهم أبواب الفقه صلة بالناحية الاجتماعية ، فانهم يتحدثون عن الابل والبقر والغنم

أحاديث فياضة تلك التى أوشكت أن تختفى حتى من الجزيرة العربية ، ولا يتحدثون قط عن أرباح الصناعات والعمائر مع ما تفيضه على أصحابها من ثروة ،بل ان من الفقهاء من راح يرسم الحيل والسبل للناس ليتخلصوا من دفع الزكاة ، كأن يرسم للمالك أن يهدى لابنه أو زوجته ماله قبل أن يحول الحول ثم يستوهبه اياه وبذلك يبدأ حول جديد ...

وفى باب الصوم تجد حشدا من الفروض والخرافات كقول الفقهاء لو أدخل الصائم خيطا فى جوفه قبل الامساك وبقى الآخر خارج الجوف فانه يفطر اذا شد الخيط وأخرجه ، ويفطر كذلك اذا ابتلع الخيط .

وهناك صراع بين المذاهب الفقهية وصل لدرجة الضرب والتدمير ، وحسبك أن تقرأ فى معجم البلدان لياقوت لترى أنه فى مواضع كثيرة يقول : وقد ضربت هذه البلدة بسبب الخلاف بين الشافعية والحنفية .

وأصبح الرمى بالكفر والزندقة شيئا يسيرا ، فاذا حدث اختلاف فى الرأى كان من أيسر الأمور أن يسلبك خصمك الايمان وهو أعز ماتحرص عليه .

وفى تفسير القرآن الكريم وجدت الاسرائيليات مرتعا خصبا فى كثير من الكتب ، اذا أحس أعداء الاسلام بعجزهم عن التغيير فى القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه فراحوا يسكبون انحرافاتهم فى تفسيره .

والأخلاق التى عنى الأمام الغزالى بدراستها راح مفكرو عهد الظلام يجعلونها فلسفات وألغازاً .

وعلوم اللغة العربية عانت الكثير من الشطط والانحرافات فقواعد اللغة العربية عنيت بأبعد الأبواب عن الواقع كالترخيم وتابع المنادى، وظهر فى علوم البلاغة علم اسمه البيان وهو فى الحق غموض وظلام، أما البلاغة فتدرسها فى كتب السعد والسكاكى فتجدها ألغازا وأحاجى .

ولم يقف البلاء عند اختفاء مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية، وانحراف علم التفسير وعلم الفقه وعلوم اللغة العربية ، بل زاد بلاء المناهج بظهور علوم قيل انها اسلامية وهى فى الحق ليست كذلك كالفلسفة الملحدة ، وكالتوحيد الذى يقول عنه العارفون : انه لا توحيد فيه ، وكالمنطق الذى لا منطق له .

وقد انحدرت كل هذه الانحرافات من عصور الظلام الى العصر الحاضر ، وأصبحت مناهج التعليم الاسلامى لا تعرف غير ذلك التراث ، وقد يتجه بعض المفكرين للاصلاح ، ولكن صيحته سرعان ما تخبو لأن العقول اتجهت للوضع الراهن الذى انحدر من عصور الظلام .

اصلاح المناهج الاسلامية :

من أجل هذا كان ألزم ما يوجهه المفكر المسلم هو اصلاح مناهج التعليم الاسلامى ، وقد ارتفعت صيحات الاصلاح ولكن كانت هناك قوى مضادة استطاعت أن تنحو بالاصلاح منحى يجعله عديم الجدوى ومن ذلك فيما أرى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قيل انه اتجاه لاصلاح الأزهر ، ولكنه كان بعيدا عن الاصلاح المنشود ، لأنه اهتم بفتح كليات عملية تابعة للأزهر وأصلح المرتبات ... ولكن الكليات الأزهرية التى بنى الأزهر عليها مجده وهى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية بقيت حيث كانت دون أن تمتد لها أى محاولة للاصلاح ، وقد عشت فى الأزهر طالبا ووقفت فيه أستاذا فأنا عريق الصلة بمناهجه وطلابه من مطلع الثلاثينات حتى الآن ، ومن أخطر عيوب هذا القانون أنه فتح الباب لنوابغ الطلاب بالقسم الثانوى بالأزهر ليلتحقوا بالكليات العملية كالطب والهندسة ، وتدفق هؤلاء على هذه الكليات ، ولم يبق للكليات الأزهرية الأصيلة أى نصيب من النابغين ، وقنعت هذه الكليات بالفتات .

بل انى أريد أن أقول ان الدراسات الاسلامية التى تقدم

لطلاب الكليات العمليـة دراسات لا تستهوى الطلاب بهـذه الكليات لأنها نمـوذج من الدراسات التى سبق أن انتقدناها ٠

وعندما تتطلع الى تعديل مناهج الدراسة الاسـلامية تتطلع بادىء ذى بدء الى الأزهـر ، فالأزهر هو ذلك المنـار العملاق الذى تتآسى به جميع المعـاهد والكليـات الاسـلامية ، وتقتبس منه مناهجه وأسـماء كليـاته وأقسام هـذه الكليات ، بل تستعير الروح والفكر عندما تستعير علماءه للتدريس بها ، وقلما نجد جامعة اسـلامية فى أى مكان لا يتولى التدريس بها علماء من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من أبناء مصر أو وافدين تعلمـوا فى معاهد الأزهر وكلياته ٠

من أجل هذا نناشد كل المصلحين والمفـكرين الى أن يتجهـوا الى اصلاح مناهج الدراسة الاسلامية ، فذلك هو السبيل الذى يقودنا الى الخير ويحمى أبناءنا من الانحراف ٠

وتجديد المناهج الاسلامية يمكن أن يكون من عدة نواح بأن تضاف علوم جديدة للمنهـاج كمقـارنة الأديان والحضـارة الاسـلامية فى مفهومها الجديد ، وكالفقه المقـارن الذى يعـرفنا مـكانة التشريـع الاســلامى بالنسـبة للتشريعات الأخـرى ، وكدراسة الالتزام فى الأدب والتـاريخ ٠٠٠ ويمكن أن يكون التجديد من ناحيـة اضافة فلسـفة الفكر فلا يدرس الفقـه الاسـلامى وحـده ، وانما تدرس أهدافه ، ويمكن أن يكون التطوير بحذف بعض الفروع التى لم يعـد الفكر الحـديث يتطلبها كالفروض المبالغ فيها التى أوردتها كتب الفقه فى باب الطلاق أو الطهارة أو حذف ما ازدحمت به كتب التفسـير من اسرائيليات ، ويمكن أن يكون من ناحية الأسلوب بأن تعاد كتابة هذه الدراسات بأسلوب العصر وصفائه٠

وفى ايجـاز دقيق أقرر : أن من الضرورى أن نحـدث تغييرا شاملا فى المناهج الاسلامية ، ويمكن أن

نقترح لذلك ما يسمى « ورقة عمل » تشمل :

١ ـ ادخال بعض العلوم مثل مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية على أن تعنى لجان متخصصة بايضاح محتويات هذين العلمين ، فان أخطر ما يخافه الغيورون على الاسلام أن نعيد أسماء هذه المواد ولا نعيد محتوياتها الحقيقية، ولو فعلنا ذلك ـ وهو للأسف ما شاهدته فى بعض المعاهد ـ يكون الضرر أكثر من النفع ، لما يحمله هذا العمل من الخداع وقلة الفائدة .

٢ ـ تعديل الخط الدراسى لبعض العلوم كالتاريخ الاسلامى فهذه المادة كان يدرس تحتها تاريخ بعض البلاد العربية ، ولم تكن تشمل كل البلاد العربية فعمان واليمن ودول الخليج لم تكن الدراسة تمتد لها ، وجميع البلاد الاسلامية غير العربية فى افريقية وآسيا لم تكن تدرس ضمن هذه المادة ، وكذلك نرى ضرورة الامتداد بالتاريخ الاسلامى ليشمل كل العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى الآن مع تنقيح التاريخ الاسلامى لابعاد ما دخل عليه من شطط وانحراف وضحناه بافاضة فى موسوعة التاريخ الاسلامى .

٣ ـ اعادة النظر فى خطة بعض العلوم كالفقه الاسلامى .

٤ ـ تطهير بعض العلوم مما دخلها من اسرائيليات وانحرافات .

٥ ـ اعادة كتابة الدراسات الاسلامية بأسلوب العصر ومناهجه .

٦ ـ حذف المواد التى قيل : انها اسلامية وهى ليست كذلك .

ذلك مجمل القول فيما يتعلق بالمناهج الاسلامية فى الجامعات والكليات المتخصصة فى الدراسات الاسلامية ، أما الكليات والمعاهد الغير متخصصة فى هذه الدراسات بالعالم الاسلامى فيتحتم تزويدها بما يرفع مدارك طلابها فى الاتجاهات

الاسلامية ، فليس من العدل أن يترك الطبيب والمهندس والمحاسب بالبضاعة القليلة التى تعلمها عن الاسلام قبل الجامعة ولذلك أرى أن تتدارك ذلك بالطريقتين التاليتين :

أولا — تدرس الحضارة الاسلامية بشكل مجمل فى جميع الكليات ، وتكون دراستها للمسلمين وغير المسلمين ، وقد كنا ندرس الحضارة الاسلامية فى جامعة لندن وجامعة كمبردج ، مع أن الطلاب كانوا يتبعون ديانات مختلفة .

ثانيا — تدرس جوانب من الحضارة الاسلامية مفصلة فى الكليات والمعاهد التى تدرس فروع الفكر المختلفة ، وذلك كما يلى :

(أ) يصبح النهج الاسلامى فى شئون السياسة والحكم مادة مهمة فى كليات العلوم السياسية ، ومن العيب أن ندرس المذاهب المختلفة بهذه الكليات بما فى ذلك المذاهب الهدامة ، وأن يتجاهل الأساتذة ويجهل الطلاب ما قدمه الاسلام من فكر رائع فى مجال السياسة ذلك الفكر الذى أقام ويمكن أن يقيم حكما على أسمى الأسس وأنفعها للمجتمع الانسانى .

(ب) يصبح المنهج الاقتصادى الاسلامى مادة رئيسية بكل كليات التجارة والاقتصاد ، ومن العيب أن تدرس النظريات الاقتصادية حتى تلك التى اتضح فشلها ، وتتجاهل النهج الاسلامى الذى قام على أساسه يوما ما مجتمع سليم متعاون ناجح .

(جـ) أن تصبح التربية الاسلامية مادة رئيسية بكل كليات التربية ومعاهدها ويكفى ذلك الزمن الذى مر وكانت العناية فيه توجه لدراسة التربية الاغريقية والانجليزية .... دون أن نتعرف على التربية الاسلامية التى أقامت عالما من المعرفة فى وقت كان الآخرون لا يكتبون أسماءهم .

(د) أن تصبح الحياة الاجتماعية فى التفكير الاسلامى مادة رئيسية بكل معاهد الخدمة الاجتماعية ،

فان ذلك سيقدم للطالب والطالبة ثروة هائلة فى مجال تخصصه عن الأسرة والمجتمع •

(هـ) يصبح الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى مادة مهمة فى كل الكليات العسكرية بالعالم الاسلامى ، فهذه الدراسة ستقدم للطالب المسلم نهجا رائعا يضمن له خير الدنيا والآخرة فى مجال الحروب من نواحى الاعداد لها ، وخوضها وتنظيم تنائجها •

(و) تصبح النظم القضائية فى الاسلام بما فى ذلك الحسبة والنظر فى المظالم مادة رئيسية فى كليات الحقوق والقانون والشرطة ، ولاشك أن الفكر الاسلامى فى هذا المجال وضع أسسا سامية لا يزال العالم يقتبس منها الى اليوم •

(ز) تصبح الحضارة الاسلامية مادة أولى فى المعاهد التى تعد الدبلوماسيين المسلمين ورجال الاعلام ، وتعد موظفى العلاقات العامة حتى يستطيع هذا وذاك فى هذه المناصب الخطيرة أن يعرف بالاسلام ويتحدث عنه كلما جاءت مناسبة •

(ح) وقد لعب المسلمون دورا هائلا فى حضارة البعث التى أشرنا اليها فقد أنقذوا تراث الحضارات القديمة ، وكان هذا التراث على وشك أن يضيع فى ظلام العصور الوسطى ، ثم ترجموا هذا التراث الى اللغة العربية ، وراحوا يتدارسونه ويضيفون اليه ويبتكرون حوله ابتكارات عظيمة فى مختلف العلوم ، وعلى هذا يبدو واضحا لكل باحث فى الطب والعلوم والرياضة والفلك والموسيقى والجغرافيا دور المسلمين فى هذه العلوم ، وكيف كان الغرب والعالم كله تلاميذ للمسلمين فيها •

كما يرى من يطلع على الجزء الأول من « موسوعة النظم والحضارة الاسلامية » التى كتبتها فى ثمانية أجزاء •

ومن أجل هذا ينبغى أن يتعرف الطلاب فى الكليات العلمية بالبلاد الاسلامية على جهود المسلمين فى

هذه الدراسات ، وأن يتعرفوا على الأسماء اللامعة التى يمكن القول أن الطلاب الغربيين يعرفون عنها أكثر مما يعرف الطلاب الشرقيون ، مثل :

١ ــ فى الطب والصيدلة : الرازى ، على بن العباس ، الزهراوى ، ابن رشد ، ابن سينا ، ابن زهر •

٢ ــ فى العلوم : جابر بن حبان، الرازى ، الكندى ، ابن الهيثم •

٣ ــ فى الرياضة : عمر الخيام ، الخوارزمى ، الخازن ، جابر •

٤ ــ فى الفلك : الغزازى ، البيرونى ، البتانى •

٥ ــ فى الموسيقى : سعيد ابن مسجح ، ابن محرز ، الموصلى ، اخوان الصفا ، ابن باجة، الطوسى •

٦ ــ فى الجغرافيا : المقدسى ، الاصطخرى ، الزرقالى ، الادريسى•

تلك اقتراحات سريعة لتعديل مناهج التعليم الاسلامى ، واعتقادى أن المناهج السليمة ستفرض نفسها يوما ، وكل ما أرجوه أن نبذل الجهد للاسراع بذلك ، وكل من يسهم فى هذا العمل العظيم سيسهم فى خدمة البشرية التى لن تجد غير الاسلام هاديا ودليلا •

وبالله التوفيق •

د : احمد شلبى

دكتور احمد شلبى

- تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج حيث حصل على درجة الدكتوراة .
- زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار اكثر دول اوربا وآسيا وافريقية ، ومثل مصر فى عدة مؤتمرات دولية .
- درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .
- يشغل الآن وظيفة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وقد حاضر ـ منتدبا وزائرا ومُعارا ـ فى جامعات الأزهر وعين شمس واندونيسيا والسودان وماليزيا والمملكة العربية السعودية وليبيا ، وفى معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد البحوث والداسات العربية ، ومعهد الدراسات الدبلوماسية .
- مؤلفاته تبلغ ستة وأربعين مؤلفا ظهرت الطبعة العاشرة من بعضها وترجمت الى عدة لغات واهم هذه المؤلفات :

١ ـ موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة اجزاء .
٢ ـ موسوعة الحضارة الاسلامية فى ثمانية أجزاء .
٣ ـ مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء .
٤ ـ رحلة حياة : مشاهد وتجارب مثيرة وهادفة .
٥ ـ ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم .

ISLAM : Belif — Legeslation — Morals — History of Moslim Education

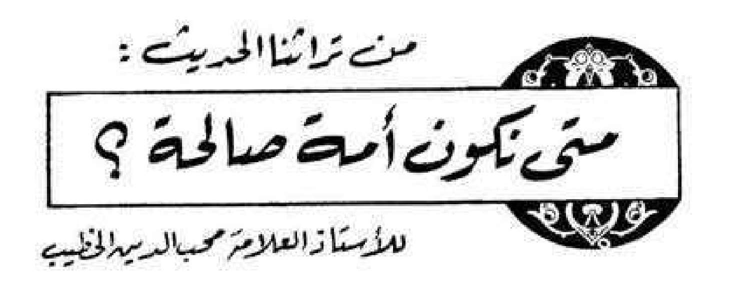

من تراثنا الحديث :

متى نكون أمة صالحة ؟

للأستاذ العلامة محب الدين الخطيب

نكون أمة صالحة يوم نلتفت ذات اليمين فنرى لبلادنا جحافل من الجيوش المنظمة مجهزة بأحدث الأسلحة وأسرعها ، مصنوعة بأيدينا وفى مصانعنا وتحت سماواتنا .

ونلتفت الى سواحلنا فنرى لنا فى مياهها أساطيل حربية وتجارية تملأ قلوب الأمم ايمانا بصلاحنا ، واستسلاما لهيبتنا .

ونلتفت الى جماركنا فنراها منهمكة بالتصدير ، لا بالاستيراد .

ونلتفت الى جامعاتنا فنراها تعمل على تكوين علماء عاملين فى جميع ضروب المعرفة: من تحقيق لتاريخنا، تتجلى لنا به نفوس السلف كما هى ظاهرة نقية ، عاملة ناصبة دائبة على الخير ، مقيمة للحق ، ناهضة بالمثل العليا ، مكونة للانسانية الخيرة المتواضعة المتعاونة ، وتتجلى لنا به عوامل الشر التى طرأت على ذلك الماضى الطيب فعبثت بسننه الفطرية ، واكتفت من حقائقها بقشورها وألفاظها ، وحولتها عن اتجاهاتها الى غير ما كانت ترمى اليه .

ومن تنظيم وتنقيح لمبادئنا التشريعية ، وأحكامنا القضائية والفقهية ، يتبين منه للناس أن أمم الأرض مجتمعة من بدء الخلق الى أن تقوم الساعة ،لم تتوخ فى أحكامها ما توخاه الاسلام وشريعته وفقهاؤه من تحرى الحق والعدل والخير ، غير متأثرين بأهواء أحد من الناس .

ومن استنباط واستخراج لأسرار الله فى الكون ، وقوى الخليقة الكامنة فى عنصرها ، وتحويلها الى خير الانسانية وسعادة الخلائق .

ونلتفت الى ما أنعم الله به علينا من تربة وأنهار وينابيع ومناجم ونقود ومتاع فنشكره عليها بحسن استعمالها واستغلالها واستنتاجها حتى لا ندع قطرة من ماء ، ولا شبرا من أرض ، ولا ذا قيمة من ركاز أو معدن الا حولناه — بالتدريج ، وبلا فتور — الى قوة نافعة للناس ، مؤيدة للخير ، ذابة عن الحق .

تفعل ذلك كله بأخلاق فاضلة ، ونفوس عفيفة ، وجهود دائبة نشيطة ، وقلوب وعقول متجهة الى الله متوخية مرضاته ، عاملة لطاعته .

يومئذ نكون أمة صالحة ، ويومئذ نكافأ من الله على هذا الصلاح بأن يؤهلنا لنكون خلفاءه على الأرض .

ولكن متى يكون هذا ، ومن ذا الذى يفعله ، وكيف يفعله ؟

اليابانيون — قبل غلطتهم الأخيرة — حاولوا بعضه فى ستين أو سبعين سنة ؛ وكان العامل فى وجوده روح عامة سرت فيهم ، وارادة ملأت نفوسهم ، واندفاع فردى وجماعى الى العلم والعمل التمسوا فيه طرقهما ، يختار كل واحد ما ترتاح اليه نفسه ، ويوافق مشربه ، وما تطيقه مواهبه ، ويلتئم مع ظروفه ، وكان الواحد منهم اذا ارتاحت نفسه الى باب من أبواب العلم ، أو ضرب من ضروب العمل ، ورآه فوق طاقته وأوسع من نطاق ظروفه ، بحث له عن أعيان من أشباهه ونظرائه فتعاونوا مجتمعين ، على ما ينوءون به منفردين فكان تعاونهم عليه باخلاص وانصاف ومحبة وصدق فى السر والعلانية . ومن هنا نشأت المصانع الضخمة ، والشركات البحرية التى ملأت آفاق المحيط سفينا ، وبهذا وجدت صحفهم اليومية الكبرى التى تدار بآلات من صناعة بلادهم أقاموا لها أضخم المبانى . وببركة هذا التعاون وجدت شركات النشر التى أخرجت للناس دوائر المعارف المتقنة ، والمعاجم الكبرى ، وسلاسل المصنفات العجيبة فى شتى العلوم وصنوف المعرفة ..

ومما زادهم توفيقا ونجاحا فى هذه النهضة الجدية اخلاص العمال والعاملات وقناعتهما . فبينما كانت

أوربا وأمريكا تتخبطان فى أنانيات أصحاب الأعمال والعمال وتناحرهما، كانت اليابان فى راحة من هذا الفساد باقبال العمال على أعمالهم مخلصين للمصنع كأنهم أصحابه ، بل أكثر مما يفعل أصحابه لو كانت أيديهم فى مكان أيدى العمال ، فاتسعت بذلك الصناعات ، ولم تبق تحت سماء اليابان يد واحدة بلا عمل من نساء أو رجال ، فهى بلاد لم تعرف التسول ، ولم تعرف التعطل ، وكانت أوروبا وأمريكا تحسدانها على هذا التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال ، وعلى قلة تكاليف الصناعات ، حتى أغرقت اليابان الدنيا كلها بصناعاتها ؟ وغزت بها بلاد أوروبا وأمريكا بالرغم من الحواجز الجمركية القاسية الجائرة التى أقيمت فى وجهها ، بل كانت اليابان تعمد الى صميم ما انفردت به أمة من أمم أوروبا ، فتقلده ، وتصنعه بربع تكاليفه ، وتبيعه فى البلاد التى كانت تصنعه ! فكانت هذه المباراة الصناعية حربا قبل الحرب وقتالا بلا سلاح . وكاد اليابانيون أن يدخلوا الى مصر وغيرها قبل الحرب الأخيرة سيارة صغيرة بمقعدين أو ثلاثة يستطيع المرء منا أن يشتريها بعشرين أو ثلاثين جنيها فيستغنى بها صغار الموظفين بل العمال عن ركوب الترام ، لولا أن اليد الاستعمارية حملت الجمارك على صد هذه الحملة الاقتصادية بأسلحة تشريعية حالت بين مصنع السيارات اليابانى ومستهلكى مصنوعاته فى الخارج .

ولو أن اليابانيين اقتبسوا من الاسلام طريقته الحكيمة فى الاتصال بالأمم ، كما اقتبسوا من أوربا وأمريكا طريقتهما القويمة فى الصناعات وعلومها ، وبنوا على ذلك تعاونهم مع الصين وأندونيسيا وبورما والفلبين وسائر المشرق ، لاتقوا بذلك الكارثة التى وقعوا بها أخيرا فأرجعتهم الى الوراء ستين أو سبعين سنة — ولكنهم برحمة من الله لأمم المشرق — تعلقوا بمبادىء الاستعمار الأوربى ، فاصطدموا به الصدمة التى أتاحت لأندونيسيا هذه النهضة المباركة التى ستؤتى أكلها بعون الله طيبا نافعا بعد خمسين أو ستين سنة بما لا يكاد قارىء هذه

السطور أن يصدقه لو أردت أن أصف ما أرجو وقوعه .

أيها العرب ، أيها المسلمون ، ان الأمم لن تعيش بعد اليوم الا مرتفعة الرأس بالسيادة أو منكسة الرأس بالعبودية . .

وللسيادة أعباء لابد من حملها .

وللسيادة طرق لابد من سلوكها .

وللسيادة أخلاق لابد من التخلق بها .

وللسيادة علوم لابد من الحصول عليها .

وللسيادة عمل دائر دائب مستمر يتحطم الكسالى والمهملون تحت عجلاته وبين دواليبه .

أول عناصر السيادة للعربى والمسلم أن يعرف حقيقة العروبة وسجاياها التى أهلتها لحمل رسالة الاسلام الأولى على خير الوجوه وأنجحها ، وأن يعرف رسالة الاسلام ومهمته فى الأرض كما يفهمه أهله الأولون .

ان سجايا العروبة أخلاق هذبها الاسلام وقام على أركانها فكانت له السيادة وكانت للانسانية به المثل العليا مشادة فى تصرفات أهله ومعاملاتهم ، بعد أن كانت خيالا وهميا وأملا ميئوسا من تحقيقه . أما رسالة الاسلام ومهمته فهى تكوين الأمة (الصالحة) وتعميم صلاحها فى الأمم ، حتى يعم الانسانية كلها .

أصاب سلفنا الأول مراد الاسلام من (الصلاح) و(الفقه) فاتصفوا بهما مدة الخلفاء الراشدين ، وفى زمن التابعين لهم باحسان ، وكانوا بذلك خلفاء الله على الأرض ، على معظم الأرض التى كانت معروفة يومئذ فى آسيا ، وأفريقية ، وأوربا ثم أخطأ الذين بعدهم فهم (الصلاح) و (الفقه) بمعناهما الاسلامى ، فحصروهما فى أشياء وأبعدوهما عن أشياء فانقطعت السلسلة ، وانفرط العقد ، وخرجوا عن طريقة الاسلام فى تكوين (الأمة الصالحة) ..

الأمة الصالحة هى التى تتكون من أفراد صالحين . وصلاح الأفراد يشمل أمور الدنيا وأمور الآخرة .

لأن الاسلام جاء للسعادتين فيهما معا ، والدنيا فى الاسلام مزرعة الآخرة ؛ والأمة التى تهمل اصلاح دنياها يوشك أن تكون أكثر اهمالا لما يصلح أخراها •

(والفقه) أحكام اسلامية استنبطناها من الهداية المحمدية بصريح النص أو بالقياس عليه أو بالاجماع على أنه يوافقه أو أنه غير معارض له ، وأعجب ما أعجب له أن يتقيد المسلم بالحكم الشرعى المستنبط من النص فيما يتعلق بالأخلاق الفردية والبيئية ، والتوجيهات الاجتماعية ، والأمور التى تتصل بكيان الأمة والدولة • وأعجب من ذلك كله أن ننعت بالصلاح الرجل الذى يتقيد بأحكام الشريعة فى الوضوء والتيمم ومناسك الحج ، ويخالف أكثر سنن الاسلام وهدايته فيما يتعلق بالأخلاق الاجتماعية وروابط الأمة واتجاهات الدولة ،فاذا فرط فى هذه الأمور الأخرى ، وداجى ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل وكتم ما أخذ الله على العلماء أن يجهروا به ، كان ذلك فى نظرهم هينا ، وهو عند الله عظيم •

ان الأمة الاسلامية الصالحة التى يتعاون جميع أفرادها كل واحد من الذى هو فيه — على استكمال جميع أسباب القوة والسعادة والخير باتخاذ أسبابه ، والوقوف على دخائل العلوم المؤدية اليه ، والعمل لتحقيقه بأمانة واخلاص وقناعة واتقان ، وأن يوفق كل فرد فى الأمة بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة التى تتمثل بها قوة الأمة وكرامتها وسيادتها •

أنا من خمسين سنة الى الآن أتتبع نصوص الاسلام ، وأطيل النظر فى عقائده وقواعده وسننه ، وفى فهم الصحابة والتابعين لها ، ثم فى الألاعيب التى اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها عن أهدافها •

وقد تكون فى قلبى اليقين بأنه ليس فى عقائد الاسلام عقيدة ، ولا

فى عباداته عبــادة ، ولا فى مبادئه وسننه مبدأ أو سنة ،ولا فى نصوصه وتوجيهاته نص أو توجيه ، الا وله أثر عملى فى تكوين (الفرد الصالح) و (البيت الصالح) و (الأمة الصالحة) وما اخر الاسلام المسلمين ، ولكن المســلمين عطلوا دينهم وشــوهوا جمــاله ، فلم يسـيئوا اليــه لأن الله تولى حفظه لمن يريد أن ينتفع به ، وانمــا أساءوا الى أنفســهم والى جمــاعاتهم وأوطــانهم والى ذراريهم (والجزاء من جنس العمل)•

الايمان الاسلامى يتعلق بما هو حق من أمر الغيب ، كما يتناول ما هو خير من حياة الشهود ، ولذلك تشعب ايماننا الى بضــع وسبــعين شعبة : منها الحياء ، ومنها السعى الحــلال والكــدح المنتج ، ومنها الصدق ، ومنها التعاون على الخير ومنها الاعتدال ومنها مقاومة البغى ومنها الأمانه ، ومنها العزة بالحق ، ومنها التواضع فيما لا ينافى الكرامة ومنها النصح للجميع،ومنها الاقتصاد فى كل ما لا تمــس اليــه الحــاجة الضرورية ــ حتى الماء الذى يتوضأ به المتعبد وهو على النيل يجب أن لايسرف فيه ، لا خوفا على النيل أن ينقص ، بــل خــوفا على النفس الاسلامية أن تتعود السرف والتبذير ــ كل ذلك وما أشبهه (مما تكون به الأمة الصالحة) معدود فى الاسلام من شعب الايمان به ، بل ان أدنى ما فى الايمــان الاســلامى وأقــل ما نحصــيه من مزايا ، أن المؤمــن ينبغى أن يميط الأذى عن طريق الناس أى عن طريق من يعرف ومن لا يعرف من أبناء السبيل ، وقد يكون فيهم صديق الانسان وعدوه ••

والايمان الاسلامى ــ الذى يعود المؤمن به أن يميط الأذى عن طريق الناس ــ انما يؤدب النفس الاسلامية بأدب الاحسان فى كل شىء ، عملا بقول رســول الله صــلى الله عليه وسلم فى حديث شــداد بن أوس ان الله كتب الاحسان على كل شىء ثم ضرب صلى الله عليه وسلم المثل للاحســان حتى عند قتل من وجب

قتله ، وعند ذبح الحيوان الذى استباحت الانسانية ذبحه فقال «فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته،وليريح ذبيحته» •رواه الامام أحمد بسند صحيح • وهكذا المعانى التى أشرت آنفا الى أنها من شعب الايمان الاسلامى قد ورد فى كل منها النص ودل عليه الهدى،وأصبح ذلك كله فى مدلول الايمان عند المسلمين •

فالأمة الاسلامية التى تتأدب بهذا الأدب ، وتلتمس علم أسرار الكون ومكنونات الخليقة لتعمل بهما وتعتمد عليهما فى تكوين قوتها وتوسيع صناعاتها ، لا تحتاج لأكثر من خمسين سنة حتى تكون أمة صالحة ، ويومئذ يستخلفها الله على الأرض كما استخلف سلفها الأول عندما سار فى نفس الطريق • أما اذا عاندت هذا التوجيه الاسلامى — ولو بالمكر والرياء — وأرادت حبس الاسلام فى الجامع ، ولم تأذن له بدخول القلب ، والعقل ، والمنزل ، والمتجر ، والمصنع ، والمحكمة ، وديوان الحكم ونظام الدولة ،فانها لا تسىء بذلك الى الاسلام ، وانما تسىء الى نفسها •

ولعلك تسألنى : ومن الذى يفعل ذلك ، ومن هو المسئول عنه ؟ ولعلك بسؤالك هذا تريد أن ترمى الخشبة عن كتفك قائلا : انها من واجب ولاة أمر المسلمين •

وأنا أجيبك على سؤالك بأن المسئول عن تحقيق هذه الأمنية كل من آمن بها من الأفراد والجماعات ولو لم يكن فى المسلمين غيرى وغيرك لوجب علينا أن نبدأ به من أنفسنا وندعو اليه كل من يصغى الى دعوتنا وأن نحتال على أهل القابلية من الأصفياء الأذكياء من أبنائنا وبناتنا ، فنبث هذا الايمان الاسلامى فى قلوبهم ومتى كثر هؤلاء وصاروا شيئا يذكر ، أكرمهم الله حينئذ بالولاة الصالحين (وكما تكونوا يولى عليكم) • أما أن تكون أنت

راعيا غير صالح على نفسك : وعلى نقودك،وعلى العمل الذى تعيش منه، وعلى زوجك ، وأولادك الذين فى أمانتك ، وعلى ما علمك الله من فقه وحكمة ومعرفة ، وعلى ما هداك اليه على لسان أكمل رسله من فضائل وحقائق وتوجيهات ، ثم تريد أن تكون أمتك صالحة وأنت غير صالح فهذا مخالف لسنن الله فى خلقه !

ولعلك اذا وليت كرسى الحكم تكون شرا من الذى تشكوه . فلنكن أنا وأنت صالحين بالمعنى الاسلامى للصلاح . ولنتعاون على تعميم هذا المعنى والدعوة اليه الى أن تكون الأمة كلها من أهله ، فيكافئنا الله بالدولة الصالحة ، ويجعلنا خلفاءه على الأرض . .

محب الدين الخطيب

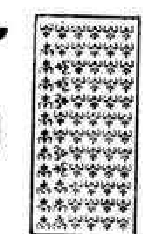

مشروعات للدعوة الإسلامية

والدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي من أجلها

للدكتور يحيى هاشم

فى اعتقادى أن مهمة الداعية ـ لا تقتصر على الجانب العلاجى لنفوس الضالين ، وانما هى ـ فى المقام الأول ـ مهمة بنائية ، مهمة بناء الفرد وبناء المجتمع .

ان الداعية الذى نعده لهذا البناء أشبه بالمهندس أكثر منه شبها بالطبيب المعالج ، ولا يمكن أن تتصور أن يعد المهندس على أعلى المستويات العلمية أو التدريبية ، ثم يساق بعد ذلك الى عمله دون أن يجد مشروعا مدروسا يعمل فى نطاقه ، من وضع هيئة مختصة ، وباشراف « مصنع » مختص .

اذا سلمنا بذلك كان من المستحيل أن يقوم الداعية بمهمته البنائية فى العصر الحديث مالم يوضع أمامه مشروع محدد ، وخطة محددة .

وفى اعتقادى أيضا أنه مهما يكن من اجادة تكوين الداعية الى الاسلام سلوكيا وثقافيا ، بل مهما يكن من توفير الامكانات المادية له ، فان الفشل الذريع سيكون من نصيب المجموعة الكبرى من الدعاة ، وان نبغ فى وسطهم أفراد معدودون ؛ وسنظل ندور فى حلقة مفرغة من السخط لفشل الأكثرية الساحقة ، والانبهار لنجاح الأفراد الشواذ .

والسبب الأساسى لذلك فى رأيى هو فى غياب « مشروعات الدعوة » القائمة على التخطيط العلمى المركزى .

ان الأمر الذى لا شك فيه هو أن الداعية فى العصر الحديث يلاقى أوضاعا حضارية مستحدثة ، لم يكن لها نظير فى تاريخ الدعوة الاسلامية ،

تحتم عليه أن يعمل فى نطاق تخطيط مدروس ، تضعه هيئة مركزية ، ويسفر عن مشروعات محددة ، وهكذا يعمل الدعاة المحدثون ، الذين يعملون لحساب جهات غير اسلامية ، وهذا ماتفرضه طبيعة العصر ، الذى يتميز بأوضاع حضارية جديدة ، منها على سبيل المثال لاالحصر : الانفتاح الثقافى للمجتمعات،وكثرة السكان ، وشدة الزحام ، وعمق الاختلاط ، وسهولة الاتصالات ، وهى أمور من شأنها أن تقلل ــ الى أبعد حد ــ من الفرد ، ومستوى الجماعة .

أما عن المشروعات فانها ينبغى أن تكون على مستويين : مستوى الفرد ، ومستوى الجماعة .

وعلى مستوى الفرد يكون هناك مشروعات مختلفة ، : لبناء الطالب ، والعامل ، والموظف ، والفلاح والجندى ، والابن ، والأب والأم ، وربما توضع مشروعات لتقسيمات داخلية أكثر تحديدا وعلى مستوى المجتمعات يلاحظ التنوع الاجتماعى الذى يعمل الداعية فى نطاقه،فتختلف المشروعات باختلاف هذه المجتمعات ، ومن ثم يكون هناك مشروع لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصاديةمتقدمة وآخر لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصادية متخلفة ، وآخر لبناء مجتمع الأقلية الاسلامية ، ومجتمع الأقليات العنصرية ، وربما يوضع تقسيم أكثر تحديدا ، فمثلا مشروع لجماعة النادى ، وجماعة المواصلات ، وجماعة الشارع ،.. وهكذا .

أما عن التخطيط :

ففى اعتقادى أنه أصبح من الضرورى أن توضع لكل تخصص من تخصصات الدعاة خطة عمل تتلاءم مع الاقليم ، تبين فيها :أولا « مداخل » الدعوة فى هذا الاقليم، ثانيا : وسائلها المحلية ، ثالثا : غايتها المرحلية .

ولتوضيح ذلك أقول :

أما من ناحية المداخل ، فبالاضافة الى المدخل الرئيسى للدعوةالاسلامية بصفة عامة ، وهو اسلام النفس لله تختلف المداخل الفرعية باختلاف

البيئات والأقاليم ، وهنا ينبغى على الدعوة أن ترتكز على قيمة معينة من قيم الدين الاسلامى ، تكون مدخلا الى القيم الأخرى .

وعلى سبيل المثال المطروح للبحث قد يكون المدخل فى البلاد المتقدمة سياسيا « مفهوم الحرية » فى الاسلام وكونه أصلح المفاهيم وأقواها على حل مشاكل الحرية . وقد يكون المدخل فى البلاد المتخلفة « مفهوم التقدم » فى الاسلام وارتكازه على العلم والعمل والعدالة وقد يكون المدخل فى البلاد التى ظهرت عليها آفات الرفاهية المادية « مفهوم الآخرة » فى الاسلام وارتباطه بالعمل الدنيوى ،وارتكازه على الأخلاق ، وقد يكون المدخل بالنسبة لمجتمعات التفرقة العنصرية أو الطائفية « مفهوم الحقوق الانسانية » فى الاسلام ..وهكذا.

وبالنسبة للأفراد يجب أن يكون الداعية على علم بما يصلح مدخلا الى فرد ولايصلح مدخلا لآخر ، وقد تكون البداية بالنسبة لفرد هى النظرة الصوفية ، وقد تكون هى النظرة العلمية ، وقد تكون بالنسبة لثالث قيمة أخلاقية معينة ، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تصديه لهداية الأفراد كما نعلم جميعا .

وعلى هذا النحو أيضا تبين فى الخطة الوسائل المحلية المتوفرة فى الاقليم ، والتى يعد الداعى للتعامل معها ، ويوجه لاستغلالها ، وهذه الوسائل قد تكون الخطابة فى اقليم ، والصحافة أو السينما أو المسرح أو القصة فى اقليم آخر ، وقد تكون التجمعات الطلابية أو العمالية ، أو تجمعات الموظفين ، أو أماكن الاستشفاء أو النوادى .

وقد تكون مجموعة مترابطة من هذه الوسائل ، يوجه الداعى للتعامل معها جميعا ، أو التنسيق بينها أو التركيز على الوسيلة الأهم منها .

وعلى هذا النحو كذلك تبين فى الخطة الغايات المرحلية التى تدعو اليها الحاجة الملحة فى اقليم بذاته،

فقد تكون هذه الغاية هي ـ بجانب الغايات البنائية التى قدمنا الكلام عنها ـ مقاومة التبشير فى اقليم ، ومقاومة الشيوعية ، أو التأخر الاقتصادى ، أو التحلل الأخلاقى ، أو الانكباب على متع الدنيا فى اقليم آخر .

وقد نختلف فى بعض الأمثلة التى ضربناها ولكن الأمر الذى أرجو ألا نختلف عليه هو أن وضع خطة تفصيلية على هذا النحو أو غيره فى يد الداعية أصبح هو حجر الزاوية فى عمله ، وهو مقياس نجاحه أو فشله ، وهو ضمان صيانته من التشتت ، أو التضارب ، أو الفشل ، وهذه كلها أدواء خطيرة يعانى منها الدعاة أشد المعاناة .

وهذه الخطة لم تعد ضرورية للداعية كفرد مسئول عن عمله فحسب ، ولكنها تعتبر ـ فى اعتقادى ـ البداية فى التخطيط لانشاء أجهزة الدعوة بما فيها كلية الدعوة نفسها .

واننى لأجزم بأننا بدون هذه المشروعات وهذه الخطط ، سيظل موقفنا من الداعية قاسيا أشد القسوة ، وسيظل ينطبق علينا المثل القائل :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له
اياك اياك أن تبتل بالماء

واننى لأرجو أن تلقى هذه الخواطر نوعا من الاقتناع المبدئى بها على أقل تقدير ، ومن ثم أجرؤ على أن أدعو الى صدور توصية من المؤتمر بتأليف لجنة تحضيرية لدراسة وضع مشروعات للدعوة الاسلامية المعاصرة ، والاتصال بالجهات المعنية فى العالم الاسلامى ، وتلقى دراساتها وآرائها ومقترحاتها ، والعمل على عقد مؤتمر اسلامى عالمى لاصدار قراراته بهذه المشروعات .

والله الموفق .

دكتور يحيى هاشم

يحيى هاشم حسن فرغل

١ ـ ولد بالقاهرة فى ٤ فبراير ١٩٣٣ ، لوالده الشيخ حسن محمد فرغل أستاذ التوحيد والمنطق بكلية أصول الدين ، ووجهه والده للدراسة بالأزهر .

٢ ـ حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٨ وكان ترتيبه الثانى .

وحصل على اجازة التدريس من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ ثم عين مدرسا بالمعاهد الأزهرية للعلوم الشرعية والعربية ، حيث تسلم عمله بمعهد أسيوط فى أواخر عام ١٩٥٩ ، ثم تنقل بين معاهد الأزهر ، الى أن اختاره الدكتور محمود حب الله للعمل بالأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٦٤ وفى عام ١٩٦٩ عين مديرا للسكرتارية الفنيةلمجمع البحوث الاسلامية ، وظل كذلك الى أن عين مدرسا مساعدا بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٧١

وكانت أهم اعماله بالمجمع المشاركة فى ادارة مؤتمرات المجمع السبعة التى عقدت ما بين عام ١٩٦٤ ـ١٩٧٢ .

وحصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز فى العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٧١ عن رسالته فى نشأة علم الكلام .

وقد طبع مجمع البحوث الاسلامية هذه الرسالة فى مجلدين عام ١٩٧٢ احدهما بعنوان « نشأة الاراء والمذاهب والفرق الكلامية فى الاسلام » وثانيهما بعنوان « عوامل واهداف نشأة علم الكلام فى الاسلام » .

وفى عام ١٩٧٣ انتدب مديرا لمكتب شيخ الأزهر ، ثم انتدب مستشارا خاصا لفضيلة الامام الأكبر لشئون مجمع البحوث الاسلامية .

وفى عام ١٩٧٦ حصل على الدكتوراه بتقدير ممتاز فى العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالقاهرة عن رسالته فى « أصول علم الكلام فى القرآن » ، وقد توصل فى رسالته الى استنباط منهج جديد لبناء العقيدة الاسلامية قائم على الكتاب والسنة ، ومؤيد بأقوال ائمة الفكر الاسلامى .

ثم عين فى ديسمبر ١٩٧٦ مدرسا للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة .

وفى منتصف أغسطس ١٩٧٧ تم انتدابه مرة أخرى مديرا عاما لمكتب شيخ الازهر .

له من المؤلفات المنشورة :

رسالة الماجستير فى نشأة علم الكلام :

رسالة الدكتوراه بعنوان « الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية » مجموعة مقالات فى الشئون الاسلامية ، بمجلة الأزهر ، والوعى الاسلامى بالكويت ، والتضامن الاسلامى بالسعودية ، ومنار الاسلام بأبى ظبى .

مستقبل العمل للدعوة الإسلامية

للدكتور رؤوف شلبي

تعاليم الاسلام هى تعاليم التفاؤل والثقة فى الله فيما يتعلق بالطمأنينة الى المستقبل الأفضل : « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا »، « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، ويوم أن يهيأ المناخ الطبيعى لهذه التعاليم يوم أن تعيش الانسانية فوق هذه البطحاء وهى أكمل ما تكون سعادة وأتم ما تكون أمنا وأسمى ما يكون الود والاجتماع .

ولقد عانى المسلمون كثيرا منذ أن خرج الاسلام من أوربا واقتحمت الدول المنبثقة عن خروج الاسلام من الأندلس موانى الدول الاسلامية فى العالم كله تحت ظل ما سمى بالكشوف الجغرافية ثم كانت الثقافات التى خلفها الزحفان :

الزحف العسكرى الصليبى زهاء قرنين من الزمان ـ١٠٩٧ ـ ١٢٩١م والذى انتهى بمثالية المعارك العسكرية الاسلامية التى خاضها القائد العربى المسلم ـ صلاح الدين الأيوبى ـ والمظفر بيبرس والزحف الفكرى المتشابك من الحضارة الأوربية ابان زهو أوربا بنهضتها وتخلف العالم الاسلامى والبريق الكاذب للالحاد الماركسى الذى أعلن شعار المطرقة والسندال .

كانت الثقافات التى خلفها هذان الزحفان تشكل عبئا ثقيلا على الحركة الاسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والذى يرقب حركة الزحف العسكرى الأوربى يشعر أن الليل الذى عاشه المجتمع الاسلامى فى هذه الحقبة من الزمن كان ليلا غاسقا طويلا لا ينتظر له آخر حتى كانت معركة حطين التى أذنت بأفول الليل الكئيب الدامس الطويل وجاءت بعدها

معارك المظفر بيبرس التى اجهزت نهائيا على المعسكر الغازى الصليبى عام ١٢٩١ م ويتفاءل المراقبون لهذا الزحف ويتأكدون أن كل ليل شات على الحركة الاسلامية سوف يعقبه صبح أبلج للشمس فيه وهج ونور وبهاء .

والذين يبحرون مع مراكب الكشوف الجغرافية ويرون أساطيل البرتغال وقد رست فى الميناء الاسلامى بملاكا عام ١٥١١ م وأنها ذبحت التجار العرب والمسلمين بينما أبقت على الجاليات غير الاسلامية الأخرى .

ويشاهد الاسطول الاسبانىوهو يحاول فى أربع موجات عسكرية احتلال الممالك الاسلامية فى جزر الفلبين منذ عام ١٥٢١م والذى يقرأ أحداث الشركة الهولندية التى استولت على مقاليد الاقتصاد والسياسة فى اندونيسيا عام ١٦٠١ م يقرر أن القرون السحيقة التى غلف فيها الاستعمار بلاد الاسلام بطبقات كثيفة من التخلف والجهل والأمراض لم يصدق أن نهارا ساطعا يتنسم فيه المسلمون فى هذه البلاد حريتهم واستقلالهم والسيطرة على مقاليد بلادهم .

لقد كانت التيارات الفكرية والاجتماعية التى انبثقت عن الوان الزحف الأوربى الاستعمارى على البلاد الاسلامية ليلا كئيبا ولكن النظرة المتفائلة يمكن أن تخترق سحب القرون المظلمة لتجد بارقة الأمل فى مستقبل زاهر ان شاء الله.

ولقد كان من آثار التيارات التى خلفها الاستعمار فى البلاد الاسلامية ارتباط منهج الاصلاح .

لقد وجد المسلمون أنفسهم أمام حضارة باهرة ووجدوا أنفسهم فى تخلف فكرى واجتماعى وسياسى بالغ الامتهان فمنأين يبدأ الاصلاح؟ وكيف يكون منهجه ؟

هنا يطفح التاريخللعالم الاسلامى بعديد من النظريات والوسائل والأهداف ...

لقد بدأ السيد أحمد خان ١٨١٧ م بدلهى . اذ كانت الدولة

المغولية تتمتع بجزء من المجد الاسلامى وكان هو من أسرة تتصل بالأسرة المغولية وقد اشتهر بالأناة والحذر مع الاقدام واصدار الرأى فى الوقت المناسب تماما ورأى أن مبدأ الاصلاح يتم من التربية ووسيلة ذلك فى الأخذ بالتعليم الحديث وأخذ بالعقل فى تطبيق نظريته فأرسل أبناءه الى الجامعة الانجليزية لأنه كان يرى أن برنامج الاصلاح انما يتم بالدين المستنير وذلك لايكون الا عن طريق العلم وعن هذا الطريق يفسر الاسلام تفسيرا يطابق ما وصلت اليه المدنية الحديثة وقد جاء على لسانه فى مجلة « تهذيب الاخلاق » « لابد أن يرغب المسلمون فى قبول هذه الحضارة الغربية بكمالها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم » .

وكان السبب فى هذا المشوار غير الصحيح من وجهة نظر الذاتية الاسلامية أن السيد أحمد خان قد تأثر بعدة عوامل :

١ ــ أنه شاهد انهيار الحكومة الاسلامية المنقولة التى كانت هى الصورة الشاحبة للأمبراطورية الاسلامية .

٢ ــ أنه عاصر اخفاق الثورة الكبرى عام ١٨٥٧م واطلع على اسبابها التى أثرت فيه تأثيرا بالغا .

٣ ــ أنه رأى هو أن الشعب الذى كان من قبل صاحب الأمر والنهى .

٤ ــ أنه صادق الانجليز وانخدع بطلاء مدنيتهم فأعجب بهم .

ومن هنا يحكم عليه العلامة أبو الحسن الندوى : أنه ليس هو صاحب الخطة المنهجية المنشودة التى تحتاج اليها عودة الروح للعمل الاسلامى .

وتولد من هذا المشوار اتجاه جديد مضاد هو مناهضة الفكرة التى دعا اليها السيد أحمد خان واتخذ هذا اللون من المواجهة أسلوب الأدب والفكاهة ولذلك سرى تيار هذه الفكرة فى جميع الأوساط الهندية وردده الأدباء وتلقفوه . مما جعله يعد عاملا من عوامل التأثير فى الاتجاهات

الاجتماعية الجديدة ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ م ــ ونهضة زعماء العمل الاسلامى بالهند محمد على ، وشوكت على ، وابو الكلام آزاد وقرروا مقاطعة الحكومة الانجليزية فكان ذلك أمضى سلاح سلمى استخدمته الحركة الاسلامية وانطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد تحمل معها الدعوة الى مقاطعة البضائع الأجنبية والتنحى عن مظاهر الحضارة المستعمرة والتمسك بالبساطة وأساليب الحياة الخاصة الوطنية .

وكانت قمة الموج العاتى فى تحطيم صنم الحضارة الأوربية كأمل وأمنية للمسلمين المفكر الجليل محمد اقبال ١٨٧٧ ــ ١٩٣٨ م فقد أبرز جوانب الضعف فى هذه الحضارة والفساد الذى عجنت فيه والتلوث الذى يصيب به القلب والفرد والمجتمع والضمير والفكر ومن مأثوراته :

ان شعار هذه الحضارة هو الغارة على الانسانية والفتك بافراد النوع البشرى .

انها حضارة شابة ولكنها محتضرة تعانى سكرات الموت وان لم تمت حتف أنفها فستنتحر بخنجرها ولاغرابة فى ذلك فان كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار .

وانتهت حركة العمل الاسلامى فى هذا الجزء من العالم بمولد دولة باكستان الاسلامية ، ولكنه مولد جاء فى غير موعده فعانى الوليد منذ مولده لعدم وجود المناخ الطبيعى لنمو الدولة الاسلامية الحديثة ولكنها مازالت تصارع من أجل أن يكون الاسلام هو الحكم الشامل فى كل المجالات ..[1]

● جمال الدين الأفغانى ١٨٣٩ م ــ ١٨٩٧ م لقد عاش المعلم الأكبر فى بلاد فارس والأفغان وهى فى حالة ليس بعدها حالة من

---

(١) وقع انقلاب فى باكستان يوم الثلاثاء ١٨ من رجب سنة ١٣٩٧ هـ ، ٥ يولية سنة ١٩٧٧ م وصرح زعيم الانقلاب الجنرال ضياء الحق أنه يؤيد الحكم بالاسلام .

التنازع والبغضاء وكانت الحكومة البريطانية الهندية تستغل هذا الخلاف فتغرى احداهما بالأخرى فعرف المعلم الأكبر جمال الدين سياسة التمزيق التى تنشرها الحكومات العدوة ضد المسلمين فوضع خطته على أساس التوفيق بين الأمم الاسلامية فنادى بفكرة : الجامعه الاسلامية ، ولقد كان يشق عليه كثيرا أن يرى العالم الاسلامى متحدا على الخلاف مختلفا على الاتحاد مطاوعا للاستعمار فعزم على حسم الخلاف وايصاد الأبواب على المستعمر والمستغل وابواق الفتنة ... وذلك هو مفهوم الجامعة الاسلامية عند جمال الدين الأفغانى ، وكان ذلك فى نظره لا يتأتى الا باضعاف نفوذ بريطانيا فى الأقطار الاسلامية ، ولهذا السبب نفسه لم تتركه القوى الاستعمارية ليحقق مايريده ..

واتهى السيد جمال الدين الأفغانى وما تزال فكرته عن الجامعة الاسلامية أملا لما تحن الأحوال لتحقيقها بعد .

● وكان الشيخ محمد عبده ـ ١٨٤٩ م ـ ١٩٠٥ م ـ الذى يئس من التعامل مع السياسة فتوجه الى الاصلاح عن طريق التربية وركز على رسالة التعليم فوجه جهوده كلها لرفع الحجر عن العقول وظن أن اجازة الاجتهاد وتفسير أمور الدين تفسيرا يطابق العلم الحديث الأوربى كافية لتحقيق الاصلاح ، وترك الشيخ محمد عبده منهجه وقد أثر بفكره فى مجموعة من الثقافة الاسلامية يختلف فيها المقدرون لرسالة الاصلاح ، ولكنه على كل حال لم يرفع الحجر عن العقول بالقدر الذى يجعل هذه الوسيلة بديل الاصلاح الاجتماعى عن طريق العمل السياسى الذى فشل فيه جمال الدين وكان الشيخ محمد عبده يمقته ويحذر منه ، ولكن الشيخ محمد عبده أثر الى حد كبير فى الاتجاهات الثقافية فى انحاء العالم الاسلامى ، فكان انتعاشا فى فترة لم يتوقع فيها للجسد المفلوج أن يتحرك .

● والوهابية النجدية بالحجاز كان لها دور فى ايقاظ المجتمع العربى

الذى تاه وسط عوامل سياسية واجتماعية عطلته عن رسالته الأولى.

وتتركز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ١٧٠٣ م ـ ١٧٩١ م ـ على عدم الغلو مستدلا بالحديث الشريف : «اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو ،» •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون » •

وملخص أهداف الدعوه الوهابية هى صرف الناس عن البدع الضالة والخرافات والأوهام التى لا أصل لها من الدين •

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظن أن المهم فى الاصلاح هو أن ينصرف المسلمون عن الجهل الذى يوقعهم فى البدع والخرافات•

ومازالت الوهابية تتجاذبها قوتان بعد يقظة الشرق الاسلامى : قوة الاتباع الذى تعصبوا له ، وقوة السلبيين الذين يرونها حركة سياسية انتهى زمانها •

● السنوسية وهى أخوة فى الله قام بالدعوة اليها السيد محمد ابن على السنوسى الخطابى المولود سنة ١٧٨٧ م • بالجزائر وهى حركة تجديد للمرابطين الذين كانوا من عهد الأندلس ، ولذا فقد كان الشيخ السنوس خبيرا بأحوال السياسة ولذا فقد ساهمت الحركة السنوسية فى مقاومة الاستعمار الايطالى واليها يرجع الفضل فى تحرير ليبيا ومقاومة الايطاليين ومايزال لهذه الطريقة أثرها الطيب فى المغرب والسودان وليبيا وان سلطانها الروحى لينبسط الى جوف الصحراء الغربية الأقصى ويهدى أبناءها الى سبيل التعمير والاصلاح مع حسن القوامة •

● المحمدية بأندونيسيا : لم يترك المسلمون الاستعمار الهولندى يمتص خيرات أندونيسيا ويعبث فيها فسادا بل جاهد المسلمون فى اندونيسيا جهادا مريرا طوال عدة قرون لاخراج المستعمر من بلاد اندونيسيا فقامت عدة منظمات لهذا الغرض منها :

شركة اسلام التى أسسها الحاج سمنهودى عام ١٩٠٥ م ثم تطورت

برياسة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو الى حزب سياسى تجارى يتخذ التجارة له وسيلة لمقاومة الاستعمار الهولندى

كما قام الحزب الماشومى الذى يتألف من مجموعة المنظمات السياسة الاسلامية لمواجهة الحركة الشيوعية والالحادية بعد الاستقلال، ولكن سوكارنو (الشيوعى) استطاع بألاعيبه أن يفتت هذه الجهة الاسلامية القوية بما عرف عنه من دهاء ولولبية •

فلم يبق فى مجال خدمة الدعوة الا المحمدية التى أسسها كياى محمد دحلان عام ١٩١٢ م وبقيت الى اليوم تعمل فى حقل التربية فلديها ٢٤٩٥ مدرسة ، و ١٠ جامعات ، و ٣ معاهد عليا •

كما تعمل فى حقل الخدمة الاجتماعية فلديها ٥ مستشفيات عامة كبيرة ، ٨٦ مستشفى فرعى صغير ، ٢٧١ عيادة للولادة ، ٣٠٩ ملجأ صحى ، ٦ صدليات ، ٥ مدارس للتمريض ، ٩٠ دارا للأيتام•

بالاضافة الى مجموعة المعاهد الاسلامية الكثيرة جدا فى انحاء جزر أندونيسيا والجامعات الاسلامية الحكومية التى تبلغ ٢٥ جامعة اسلامية •

● انتهاء دور الرجل الأبيض بنوعيه :لقد انكمش الأسد البريطانى ودخل حديقة الحيوانات فى عاصمة بريطانيا يئن من مشكلاته الاقتصادية واضطراباته الدينية فى ايرلاندة •

وتقلص ذلك الظل الكئيب الذى سيطر على بحار العالم وأرضه وسمائه وخيراته ردحا طويلا من الزمن وفشلت جميع نظريات الحكم الاستعمارى الأوربى وانتهت سيادة الرجل الأبيض فى أوربا على بلاد الاسلام نهائيا بعد استقلال جيبوتى العربية الاسلامية فى يونيو عام ١٩٧٧ م وكذلك انتهى دور الدب الأبيض الروسى فقد بان للعيان أن الدعوة الى العدل الاجتماعى بريق كذاب وسراب ضليل،فلم يسلم النظام من حيث هو نظرية من النقد والتعديل والالحاد فيه لقد ألغى

الحزب الشيوعى الفرنسى والايطالى مبدأ الصراع بين الطبقات لان الزمن المعاصر كفيل بحل مشكلات العدل الاجتماعى بعيدا عن الصراع الطبقى الذى لم يتحقق به شىءسوى اراقة الدماء والرشا والاعتقالات والخيانات وضياع الذمم وتعطيل الأعمال .

كما أن روسيا ذاتها مازالت تعدل فى دستورها فحديثا طرد بريجنيف بودجورنى واستولى على رياسة الدولة والحزب معا ، وهذا مؤشر خطير يدل على عدم استقرار النظام بعد ستين عاما من التطبيق مما جعل الكاتب الروسى « كريك » يتنبأ بانتهاء النظام الروسى عام ١٩٨٤م فى كتابه : (هل يعيش الاتحاد السوفيتى حتى عام١٩٨٤) وبسبب هذا الكتاب دخل السجن ثم طرد الى هولندا ...

وصيانة روسيا لحلفائها فى العالم العربى واستخدامها سياسة البديل فى العلاقات مع رؤساء الدول ونكرانها للمعاهدات ، وتثاقلها عن النصرة فى ساعة الأزمات وغدرها بالمواثيق ، جعل نظامها فى أعين البصراء بعواقب الأمور غير محترم ولا يستحق التبعية بله النفور والابتعاد عنه .

والموازنة بين بلاد قسمها الشيوعيون الى قسمين مثل ألمانيا وكوريا جعل من القسم الشيوعى مباءة ظلم وفقر وتخلف ومن القسم المقابل حركة ونشاطا وازدهارا وحقوق الانسان المعطلة فى روسيا وضياع قيمة الانسان ومعناه فى طيات ذلك النظام جعلت الناس يفكون العصابة السوداء من فوق بصائرهم ليروا سوأة الكذابين فى الكرملين ، لاسيما فى عالمنا العربى وبخاصة ابان حرب العبور المظفرة فى ١٠رمضان ١٣٩٣هـ حيث ظهرت نوايا الدب الأبيض أنه لا يريد منا الا الهزيمة لنبقى له راكعين — ولاقدر الله —

لقد انتهى دور الرجل الأبيض بنوعيه سياسيا واجتماعيا وانتهى كذلك دينيا فليس عنده شىء يصح من الاعتقاد يرضى به عقل مستنير

ولافطرة سليمة باقية على نقائها وصفائها •

لقد قال الحاج عمر بونجو رئيس جمهورية الجابون : لقد أسلمت وجهى لله والله وحده أعلم بهذا •••

ان السؤال الذى أريد أن أطرحه على الجميع هو : من هم البروتستنت ؟ ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم الذى يعنى : المعترضين أو المحتجين ؟

لقد كانوا من الكاثوليك ، والسؤال الآن : لماذا يحتجون ؟ وعلام يعترضون ؟ اننى لم أطلب مطلقا أن أكون مسيحيا ، لقد أصبحت مسيحيا دون ارادتى ،لقد عمدت منذ طفولتى لأن هناك فى أفريقيا بعض الآباء الذين يعمدون أطفالهم منذ ولادتهم وكان من الأفضل بالنسبة لهؤلاء الآباء أن ينتظروا حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد حتى يختار كل منهم بارادته الحرة الدين الذى يناسب فطرته •

اننى آسف اذ أقول ان هذا الأسلوب الذى يتبعه بعض الآباء يدفع أطفالهم فيما بعد الى الوصول الى حالة من التمزق تدفعهم الى الأختيار بين أكثر من طريقة : اما أن يتجه الفرد الى عبادة الله دون الانتماء الى أى دين، واما أن يلحد ، واما أن يكون دينه المتعة واللذة، واما أن يغير دينه وينضم الى الدين الذى يتخذ منه طريقه الىالله وهذا مافعلته •

اننى وجدت فى الاسلام كل هذه المعانى : الصلة المباشرة بين الانسان وربه بعيدا عن حدود المكان ووساطة الكهنوت ، اننى كمسلم لست بحاجة الى كنيسة أو محراب أو معبد أو جامع لأختلى بنفسى مع الله ، ان الأرض كلها مسجدى ، لقد كنت مسيحيا طيبا ولكننى وصلت مع الكاثوليك الى المرحلة التى كان على أن أقول فيها : اننى آسف ••• وداعا (١) •

---

(١) مجلة اكتوبر العدد رقم ٣٦ ـ يوليو سنة ١٩٧٧ م ص ١٢

اذن انتهى دور الرجل الأبيض عقديا وبقيت للاسلام عقيدته الصافية الشاملة ويكفى أن يرى المسلم مستقلا بعبادته عن الهيكل والصنم والوثن والصورة والدموع وأنه لا مسافة بين الروح والجسد فالعقيدة الاسلامية توحد الانسان وتجعله كلا مستقلا بدنياه وآخرته على السواء وروحه وجسده معا، وحسب المرء أن يرضى مطالبه الروحية ولا يخالف عقائد دينه ولا يجد مع ذلك ما يصطدم مع العقل ولا مايرثه بالضرورة قبل الولادة من الخطيئة ، وحسبه كذلك أن يجد فى العالم كله أخوة يرفع الله فيهم الذين آمنوا، والذين أوتوا العلم درجات ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وليس منهم من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم .

ولقد أحس بهذه العقيدة الصافية التى تخاطب الفطرة الانسانية السليمة كثير من المثقفين فى أوربا وآسيا ، فآمن مسيو اتين دينيه الفرنسى ، وآمن القسيس أنطونيوس مواقر باندونيسيا كما آمن به رئيس جمهورية الجابون الحاج عمر بونجو ... وماذلك الابعض من فيض جاذبية هذه العقيدة لو وجد الناس لها الطريق الواضح ، وهذا هو واجب الأمة التى ظهر فيها هذا الدين واختار الله منها خاتم الأنبياء والمرسلين وقد حباها الله من القوى مايجعلها أمينة على تبليغ هذه الرسالة .

واذا كانت القوى الاستعمارية والصهيونية قد استطاعت تشويه الحركة الاسلامية باسقاط الخلافة الاسلامية على يد أتاتورك الذى تربى فى الحقل الماسونى فان تركيا المعاصرة لم تبلغ شأوا فى التحضر الغربى الذى شاءه لها الزعيم العلمانى أتاتورك ولم تبلغ شأوا فى قوميتها الخاصة فراحت تعود الى تاريخها الاسلامى وتصرخ بالعودة الى رحاب الاسلام الحنيف ولقد صدق اتين دينيه الفرنسى يوم أن قال : هل مصطفى كمال على حق فيما قام به وأقدم عليه ، وبالأخص فى أخذه بالحركة التجديدية الى ذلك الحد البعيد ؟ وهل الأمة التركية والشريعة الاسلامية سينالها من وراء هذه الحركة قوة أو ضعف ؟

تلك أسئلة لاشك أن المستقبل وحده هو الذى يحمل لنا الاجابة عليها ، والعلم عند الله وفوق كل ذى علم عليم .

ولقد شهد التاريخ بصدق أن الأمة التركية قد أصابها الخواء بسبب ذلك الاصلاح الاتاتوركى .

ولاشك أن فشل هذه المناهج كلها :

● منهج أوربا الاستعمارى القديم فى بلاد الشرق العربى ،

وبلاد الاسلام فى جنوب شرق آسيا ، وفى أفريقيا .

● ومنهج الدب الأبيض الروسى الخائن الغادر القائم على امتصاص دماء الشعوب دون احترام للانسان مطلقا .

● ومنهج العلمانية التى ناءت بها حياة الشعب التركى المسلم .

لا شك أن فشل هذه المناهج مع انعدام عقيدة أخرى تستطيع أن تقوى على مواجهة العقيدة الاسلامية يجعل أمة العرب قادرة على أن تضع امكانياتها من أجل نشر لواء الاسلام الحنيف .

وامكانياتنا العربية استراتيجيا فى البحر الأبيض والبحر الأحمر تستطيع ان تلعب دورا أساسيا فى العمل للاسلام لا سيما اذا أضيف اليها امكانيات العالم الاسلامى من سبائج باندونيسيا الى الخليج العربى الفارسى وموانيه ومضايقه حتى باب المندب اذ أن التطويق للموانى الاسلامية كان هو الهدف الأساسى لحركة الكشوف الجغرافية قديما وقد استغلت تلك الاستراتيجية حديثا فى العمل لخدمة الاسلام ، ولعل أبسط وسيلة لتحقيق هذه الرغبة هو أن يجتمع الرأى فى مجلس التضامن الاسلامى الذى يعقده وزراء خارجية الدول الاسلامية على رسم خطة لاستخدام هذه الاستراتيجية لخدمة الاسلام حسب المناسبات والأحوال السياسية التى يمكن ترقبها لتحقيق هذا الغرض . وامكانيات العرب اقتصاديا كثيرة .

● فالجزائر غنية بالمعادن لا سيما الغاز الطبيعى الذى يشكل ١٠٪ من

احتياطى العالم وبها مناجم للفوسفات والرصاص والنحاس والزئبق ، والحديد .

● ودولة الامارات العربية غنية بمصادر الثروة النفطية فتصدر منه يوميا أكثر من مليونى برميل من النفط الخام .

وتوجد فى أبى ظبى منطقة خصبة لزراعة الخضروات والفواكه .

●دولة البحرين وهى ميناء مهم لبناء السفن وصيد الأسماك ، كما يوجد بها الغاز الطبيعى ، وتقوم فيها صناعة الألمونيوم .

●ودولة مصر العربية وهى دولة زراعية تصدر القطن والأرز والبصل وبها مناجم للنحاس ، والحديد والنفط وبها صناعات الأسمدة والفوسفات والألمونيوم ...

وبها قناة السويس أهم القنوات الموصلة بين القارات الثلاث:أوروبا، وآسيا ، وافريقيا .

● الأردن : تشكل الزراعة بها ٢٠٪ من الدخل القومى وبها مناجم للفوسفات وتقوم فيها صناعات للبتروليات ، والأسمنت والجلد والحديد ، والورق .

ومن محاصيلها الزراعية : الخضروا ت ، والعنب ، والزيتون ، والفواكه الأخرى .

● دولة الكويت : ويقوم اقتصادها على النفط فقد بلغ احتياطى النفط فى نهاية ديسمبر سنة ١٩٦٨ م ما مقداره ١٠٤ مليون طن وبها صناعات الأسمنت والكهرباء ، والغاز ... والأسمدة الكيماوية .

● ليبيا : ويبلغ الانتاج السنوى للنفط الخام بها ألف مليون برميل وبها مناجم للملح ويبلغ انتاجه سنويا ١٦ ألف طن .

وبالاضافة الى صناعات الغزل وزيت الزيتون والاسمنت والجلود والورق والسجاد وصيد الأسماك .

● موريتانيا : الثروة الحيوانية هى حجر الأساس ، وأهم محاصيلها الزراعية الدخان والأرز .

ويبلغ انتاجها من الحديد سنويا ستين مليون طن •

كما تصدر النحاس ، والصمغ العربى والفوسفات ، والجص والملح •

● المملكة المغربية : وبها من المعادن : الفوسفات والفحم والنفط الخام والحديد ، والزنك والمنجنيز ، والفضة ، الكوبلت وهى غنية بالأسماك وتملك أسطولا ضخما لصيد الأسماك يضم ٣٤٠٠ سفينة •

● عمان : بها محاصيل زراعية مثل : الليمون ، والمانجو ، والموز والحنطة والبصل •

كما يوجد بها نفط يصدر الى ماليزيا وأوربا وأمريكا •

● قطر : يمثل البترول فيها ثلاثة أرباع الدخل القومى وقد بلغ دخل قطر من النفط الخام ٣٥٠ مليون دولار سنويا •

ويوجد بها الغاز الطبيعى وتقوم بها عدة صناعات للأسمنت والأسمدة الكيماوية ، وبها بعض المحاصيل الزراعية المحلية مثل الخضروات والحبوب •

● السعودية : وهى أغنى أقطار العالم الاسلامى بالنفط اذ بلغ دخل النفط الخام فى سنة ١٩٧٣ ــ ٤١٧ بليون دولار وبها مشروعات للزراعة، والصوف والاسمنت والحديد والجلود والنحاس ، والرخام •

وتستطيع السعودية أن تلعب دورا هاما فى العمل الاسلامى ليس فقط فى نشاط رابطة العالم الاسلامى المشكور ، ولا فى الجامعات الكثيرة بل فى وقاية استغلال أموالها ضد الحركة الاسلامية فهناك مجموعة من المهندسين غير المسلمين يحصلون على أجور باهظة جدا من العمل فى الرياض ثم يستغل هذا المال ضد الدعوة الاسلامية ونشر مبادىء الأديان الأخرى •

واذا كانت هذه امكانيات العالم العربى فان امكانيات الوطن الاسلامى لا تقل عن ذلك ، فاذا أضيف امكانيات بلاد العالم الاسلامى

فى جنوب شرق آسيا الى امكانيات العالم العربى ونظم ذلك فى سوق اسلامية مشتركة ، أمكن أن نضمن للعمل الاسلامى حركة طبيعية وقدرة ذاتية على التمدد دون مضاعفات او تخلخل .

وتدل الاحصائيات على أن امكانيات بقية أقطار العالم الاسلامى كما يلى :

● أفغانستان : تعتمد على الزراعة وتربية الماشية فى اقتصادها القومى ويوجد بها مصادر غنية للمعادن ، كما توجد بها مصانع لغزل القطن والصوف ، والمنسوجات والجلود ، والرخام والزجاج والأثاث والبيوت الجاهزة .

● أندونيسيا : ويتوفر فيها : المطاط ، والشاى والبن ، وجوز الهند والتبغ والفلفل وبها بترول وصل فى عام ١٩٧١ الى ٣٢٦ مليون برميل ويوجد بها الخشب .

وبها معادن النيكل ، والفضة والحديد ، بركسايت كما يوجد بها صناعات السكر والأسمدة الكيماوية والورق واطارات السيارات والأدوات الكهربائية . والبطاريات .

● ماليزيا : غنية بالمطاط والقصدير وجوز الهند ، والشاى والنرجيل ، وبها ثروة حيوانية تبلغ ٥٧٦ ألف رأس من الأغنام والأبقار .

وبها صناعات الخشب ، والحديد والاسمنت ، والفواكه المعلبة .

● ايران : بلغ انتاجها من البترول عام ١٩٧١ حوالى ١٦٥٧ مليون برميل بما يعادل ٩٪ من انتاج العالم

ويوجد بها ١٠٪ من احتياطى الغاز فى العالم ، وبها مناجم للحديد والفحم والنحاس .

وهى غنية بالزراعة .

واذا نظرنا الى مجموع الصادر والوارد للدول الاسلامية العربية أمكننا أن نلاحظ مسألتين :

الأولى : أن البلاد العربية والاسلامية تشكل وحدة اقتصادية متكاملة يمكن أن تستغنى عن بقية العالم الصناعى الآخر ففى أكثر الدول اما فائض عن حاجتها أو ما

يكفيها فاذا احتاجت بعض البلاد الى تنمية فى بعض المجالات فان البلاد الأخرى يمكن أن تمدها بالفائض على شكل استثمارات اسلامية شريطة أن يضمن العاملون فى الحقل السياسى أن يكون ذلك التنسيق من أجل بناء الذاتية الاسلامية لمجموع الدول •

الثانية : أن أكثر الصادرات من المعادن الأساسية للدول الأوربية والدول الصناعية الأخرى مصدره البلاد العربية والاسلامية فان الله تعالى قد منح الأمم الاسلامية احتياطيا من البترول الخام يمثل ٦٣ ٪ من احتياطى العالم وانتاج البترول فى البلاد الاسلامية يمثل ٤٨٪ من انتاج العالم •

ومعنى هذا أن الدول الاسلامية والعربية تستطيع أن تلعب دورا هاما بما عندها من هذه الضروريات للعمل الاقتصادى والصناعى فى هذه الدول وتستطيع أن تخدم الدعوة الاسلامية من خلالها قوتها الاقتصادية فالعصر الحديث لغته لغة اقتصاد فعندما عبر الجيش المصرى قناة السويس وأعلن الملك فيصل حرب البترول قامت دراسات فى انجلترا واليابان للغة العربية بقصد التقرب من الدول التى تملك عصب الصناعات فى بلادهم وقد تطور هذا الاتجاه حتى افتتح فى بريطانيا قريبا مركزا عربيا بريطانيا مهمته زيادة التفاهم بين العرب والانجليز ، وصارت المحلات التجارية تكتب اعلاناتها باللغة العربية •

فلو أن الأمة العربية خطت هذه الخطوة وهى قادرة وجديرة بذلك لأمكن الحصول على :

١ ــ اقتصاد متكامل متناسق •

٢ ــ استثمارات مأمونة العواقب فى البلدان الاسلامية •

٣ ــ رفع التخلف الصناعى من بلدان الأمة الاسلامية •

٤ ــ ضمان سير العمل الاسلامى فى الدعوة بعد خيبة مناهج الدب الأبيض ، والاستعمار الاقتصادى والفكر الحديث •

فاذا أضيف الى استخدام هـذه القـوى الاقتصـادية تنسـيق بين العاملين فى الحقل الاسلامى فيتأسس مجلس أعلى للتنسيق للعمل الاسلامى تكون مهمته :

١ ـ حصر حاجات الدعوة وتبويب أولوياتها •

٢ ـ تنويع وظائف الدول العاملة فى حقل الدعوة •

٣ ـ تمويل صندوق الدعوة •

٤ ـ الاشراف على مؤسسات العمل الاسلامى فى البلاد الاسلامية بحيث يتم بذلك الاشراف حسن سير عمل الدعاة ومدهم بما يلزمهم من الامكانيات •

فاننا نثـق فى مسـتقبل مشرق للدعوة الى الله على بصيرة تؤتى فيها الحكمة ثمارها الطيبة،وتبلغ الموعظة الحسنة فيها الى المشاعر الكريمة ، ويقع عنـدئذ الجـدال هادئا هادفا ويومها :

« فمن شاء فليؤمن ، ومن شـاء فليكفر » •

فقد تبين الرشد من الغى والله الهادى الى سواء السبيل •

دكتور رؤوف شلبى

دكتور رءوف شلبى

من مواليد الشرقية فى ١٩٣٠/٩/٢٣

تعلم بالازهر حتى نال العالية التربوية عام ١٩٥٨
ثم حصل على العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٦٠
وحصل على ماجستير فى الدعوة الاسلامية عام ١٩٧٠
وحصل على الأستاذية (الدكتوراه) فى الدعوة الاسلامية مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣

- عمل بالتدريس فى معهد طهطا بمحافظة سوهاج عام ١٩٦٠/١٩٦٢م
- نقل سكرتيرا علميا للدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٢/١٩٦٤ م
- بعث من الأزهر الى اندونيسيا وعمل مدرسا بكلية اصول الدين بسومطرة ١٩٦٤/١٩٦٨
- منح درجة الدكتوراة الفخرية فى الدعوة الاسلامية من كلية اصول الدين بسطومطرة عام ١٩٦٨ م .
- بعث من الأزهر الى ماليزيا عام ١٩٧٠

وأسس مركزا للبحوث الاسلامية وتولى ادارته حتى مايو ١٩٧٣

- عين مدرسا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى ١٩٧٣/٦/٣٠م
- أسندت اليه أعمال رئيس قسم الدعوة بكلية اصول الدين بالقرار رقم ٢٦١ بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٢

- اشترك فى اللجنة التى الفها الامام الاكبر شيخ الازهر للنظر فى انشاء كلية الدعوة الاسلامية .

وعند بدء العمل فى كلية الدعوة الاسلامية بطنطا نقل بدرجته من قسم الدعوة فى كلية أصول الدين ليعمل مدرسا بكلية الدعوة الاسلامية .

- فى ٦ يوليو سنة ١٩٧٧ عين استاذا مساعدا بكلية الدعوة الاسلامية بطنطا بناء على المادة ١٦٠ من اللائحة التنفيذية للأزهر .
- اختاره فضيلة الامام الاكبر مستشارا خاصا لفضيلته عام ١٩٧٧
- دعى استاذا زائرا لجامعة أم درمان الاسلامية مرتين الأولى فى عام ١٩٧٦ م والثانية فى عام ١٩٧٧ م
- أهم مؤلفاته :

- الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها .
- بشائر النبوة الخاتمة .
- يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء .
- الاسلام فى أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة اليه .
- المسلمون فى جزر الفلبين .
- الجهاد فى سبيل الله .
- التضليل الماركسى .
- استوصوا بالنساء خيرا .
- السنة الاسلامية بين اثبات الفاهمين ورفض الجاهلين.
- منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية .
- اضواء على المسيحية .
- أصول المجتمع الاسلامى فى سورة الحجرات .

وله عدة كتب باللغة المالوية منها :

١ ـ فى ساحة قصر الامام الغزالى .
٢ ـ اضواء على عقيدة المسيحيين .
٣ ـ اصول العمل الاقتصادى فى الاسلام .
٤ ـ الذاتية الاسلامية .
٥ ـ خصائص الاسلام .

إلى أين نحن سائرون ؟

للدكتور على العمارى

زرت قطرا شقيقا بعد غيبة استمرت سبعة عشر عاما وفى أثناء زيارتى دعيت الى ندوة أدبية أقامها طلاب جامعة اسلامية ، وبعد أن فرغ المتكلمون والمتكلمات من القاء خطبهم وقصائدهم طلب الى أن أضيف كلمة الى ما قالوه ، وكان العجب قد بلغ منى مبلغه فكان أول ما ابتدأت به بعد حمد الله ، والثناء عليه أن قلت : لا أدرى فى أى بلد أنا الآن ، وانى لأشك كثيرا أن أكون فى هذا البلد الذى عشت فيه سنوات قبل سبعة عشر عاما ، وفى هذا القطر الذى كانت سمته الأولى التدين العميق المحافظ كل المحافظة على التعاليم الاسلامية ، والتقاليد العربية النبيلة .

لقد سمعت الليلة تسع قصائد ، منها قصيدة واحدة وطنية ، والثمانية ــ ومنها قصيدة لطالبة ــ فى الغزل، وأمامى فى الندوة طلاب وطالبات ، وقد رأيت الاستحسان أكثر ما يكون للأبيات التى تستحيى العذارى أن يسمعنها فى خدورهن !

وقلت : لقد عشت هنا خمس سنوات متتابعات ، ولا أذكر أنى رأيت فى هذه السنوات امرأة أو فتاة مكشوفة الوجه ، كما لا أذكر أنى رأيت واحدة تستعمل فى تنقلاتها وسائل النقل العامة .

نعم ، كان اختلاط بين الطلبة والطالبات فى احدى جامعاتكم ، ولكنها كانت تحت سيطرة الاستعمار الأوربى كما كانت الطالبات تجلسن فى الصف الأول ، وعليهن الملاءات اللاتى لا تظهر شيئا من أجسادهن ، واذا تكلمت الفتاة مع أستاذها أو مع زميلتها تكلمت بغاية الحياء والأدب ، ولم أسمع أن طالبة تكلمت

مع زميل لها ، فضلا عن أن تختلط به ، أو ترفع الكلفة بينها وبينه .

ولم تكن هذه الظاهرة التى شاهدتها فى الندوة بين طلبة وطالبات الجامعة فقط ، بل رأيتها فى الشارع ، وفى المنتديات ، وفى المدارس الثانوية التى أتيحت لى زيارتها ، وفى المجتمعات بعامة وفى وسائل المواصلات ، وفى وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحافة .
كلها كانت على طراز غير ما رأيته وسمعته وشاهدته منذ سبعة عشر عاما .

وأذكر أنى بعد أن انتهيت من القاء كلمتى فى الندوة همس فى أذنى أحد قادة الرأى السياسى — وكان ذا فكر أحمر — قائلا : هذه احدى ثمرات الحضارة والتقدم ، وهى سنة التطور ، ولا يمكن لأحد أن يقف فى وجه التيار ، ولا أذكر بماذا أجبته ، ولكنى — فيما أرجح — تلطفت معه ، وأفهمته برفق أن الجمود خير من هذا التقدم .

وبعد سنتين زرت قطرا اسلاميا آخر بعد غيبة عنه استمرت أربعة عشر عاما ، فوجدت فيه تغيرا كبيرا ، لا أقصد فى العمران فذلك أمر طبيعى ولكن فى الحياة الاجتماعية والدينية .

أذكر أنه حدث فى المرة الأولى وكنت أسكن فى الطابق الثانى فى بعض منازل المدينة أن دق علينا الباب رجل لا نعرفه فلما سألته عن مقصده قال فى لهجة آمرة خشنة . خفضوا صوت المذياع ، وأذكر أنى على مدى السنتين اللتين أقمتهما هناك لم أر (سيجارة) فى يد أحد الا أن يكون فى الخفاء ، فلما كنت فى المرة الثانية هالنى أن رأيت (تليفزيونا) فى ميدان عام قريب من أحد المساجد الكبرى ، وقد تحلق الشباب — بل بعض الشيوخ — حوله ، وهو يذيع الأفلام والأغانى المصرية ، وقلما ركبت عربة من العربات الا رأيت فيها (الراديو) أو (المسجل) والسائق يستمع الى هذا أو ذاك طوال سيره حتى فى شوارع المدينة .

ورأيت الرجال والشبان يدخنون فى الشوارع علانية لا يخشون لائما ،

ولا يخافون ممن لا يزال صميم علمهم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

الى أشياء كثيرة تحولت الى أسوأ .

وانما ذكرت هذين المثلين لأعطى صورة وان تكن غير خافية على من يرصد التحول الاجتماعى فى الأقطار الاسلامية .

وقد أردت بذلك أيضا أن أضرب المثلين بقطرين شقيقين عرف منهما التمسك بالأخلاق والتقاليد الاسلامية .

وبدهى أن الأقطار الاسلامية التى سبقت فيما يسمونه الحضارة كان شوطها أبعد فى التحلل من سلطان الفضائل .

ولو أن الحكام والمصلحين والدعاة الاسلاميين تركوا أمور المسلمين تتقاذفها هذه الأمواج الجارفة النابعة من تدبير بعض المفسدين منا حينا ، والوافدة علينا من دول لا تؤمن الا بالمادة أحيانا كثيرة . أقول : لو أنهم تركوا هذه الأمواج تمد مدها فى حياتنا الاجتماعية والدينية لما عز علينا أن نؤكد أننا بعد سنوات قد تقصر وقد تطول سنفقد أهم خصائص هذه الأمة الاسلامية .

ثم ، لننظر فى حاضرنا هل يبشر بمستقبل نرضاه لأمتنا أو ينذر بعواصف مدمرة تطيح بكل ما بقى لنا من أخلاق ، وتقاليد صالحة ؟

وأبادر فأقول : ان الظواهر كلها تدل على أننا سنشهد ثباتا واصرارا على عقيدة التوحيد عند المؤمنين بالله ، وسنشهد تحولا الى الأفضل عند من لا يؤمنون .

فقد بدأ يظهر جليا أن موجة الالحاد ستنحسر ، ولذلك أسباب كثيرة ، منها افلاس المذهب الشيوعى فى دعوة بنى البشر الى طرح فكرة الخالق ، ومنها التقدم العلمى الذى سيطالع الناس كل يوم بجديد تلفت الأذهان الى أن هذا الكون البديع النظام ، الدقيق التركيب لا يمكن أن توجده المصادفة أو الطبيعة ، بل لا بد أن يكون عمل قوة عظيمة

ابتدعته ، وستظل ترعاه وتحفظه من التفكك والتحلل والانهيار .

ومن هذه الأسباب أن الملحدين سيملون الحادهم ، وسيعرفون أنه لم يأت لهم بشيء يسعدهم ، فليس فيه طمأنينة النفس وسكينتها ، كما هو حال المؤمنين ، وليس فيه نفع مادى ، أو كسب أدبى ، وانما هو اضطراب فكرى ، واختلال عاطفى ، ولا يبعد أن يجول فى خواطر الكثيرين منهم المعنى الذى ضمنه أبو العلاء المعرى هذين البيتين من لزومياته :

قال المعلم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجساد قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولى فالخسار عليكما

فهذه المجاراة الجدلية من المعرى بالغة الدقة ، فهو مؤمن بحشر الأجساد وهذان اللذان يذكرهما ينكرانه ، فيلزمهما الحجة من طريق لا يستطيعان المراء فيها .

فالمؤمن بعقيدة من عقائد الدين قامت عليها الأدلة الواضحة الحاسمة لا يضيره ألا تصح هذه العقيدة ، فانها ان صحت فقد نجا ، وان لم تصح فلا عليه ، فقد اعتمد على الدليل فبرئت بذلك ذمته ، أما المنكر لها فانه يخسر خسرانا مبينا حين تظهر صحة هذه العقيدة .

وكلما تقدمت البشرية فى الرقى العقلى والفكرى ظهر لها البون البعيد بين الايمان والالحاد ، وهى تتقدم — ولا شك — فلا غرو أن تتوقع سيادة عقيدة التوحيد ، وانحسار الموجة الالحادية فى المستقبل القريب .

ومن أسباب ذلك — ولا شك — ارتفاع نسبة المتعلمين فى الدول الاسلامية ، وهو ما تبشر به العناية الواضحة بالتعليم فى كل قطر من أقطار المسلمين .

وقد بدأنا نشهد ذلك فى الجيل الجديد ، فمثلا الاسرائيليات التى حفلت بها بعض كتب التفسير قل ايمان الناس بها ، والأحاديث التى وضعها الوضاع ليفرقوا بعض المؤمنين فى أباطيل أزيح الستار عن

كثير منها ، والتهويمات التى تنسب زورا الى بعض المخلصين من رجال التصوف تطرقت اليها الشكوك ، والتعصب الدينى المقيت لفكرة أو عقيدة سيخفف العلم وتقدم العقل البشرى من غلوائها .

* * *

هذا فيما يتعلق بالعقيدة .

أما فى غيرها فان حاضر الأمة الاسلامية فيما يتعلق بالتعليم الدينى وبالتقاليد الاسلامية يعكر علينا صفو الأمل فى مستقبل أفضل فى هاتين الناحيتين .

أما التعليم فلا يزال قاصرا عن تخريج الشاب المسلم حق الاسلام ، سواء فى مدارسنا أو معاهدنا ، كما أن جامعاتنا الاسلامية ــ فيما أعتقد ــ عاجزة فى الوقت الحاضر عن تخريج العالم الذى يرجع اليه الناس فى أمور دينهم ، وعن تخريج الداعية الحق الذى يهب نفسه لتهذيب الشباب تهذيبا دينيا ناجحا .

والتعليم الدينى سواء فى معاهد الأزهر أو فى المعاهد والمدارس التى تحذو حذوه فى الأقطار الاسلامية الأخرى قد زحمته المواد الأخرى ، وهو ــ أيضا ــ تثقيف علمى أكثر منه تهذيب أخلاقى .

ومع هذا القصور فى مناهج التعليم الدينى يخرج الشاب الى المجتمع فيجد فى كل خطوة يخطوها ما يبعده عن القيم الدينية الصحيحة، فوسائل الاعلام كلها من اذاعة مسموعة ومرئية ، ومن صحافة يومية وأسبوعية ، فيها من المغريات على التحلل أكثر مما فيها من المرغبات فى التماسك والحفاظ ، وليس شىء من ذلك فى حاجة الى ضرب الأمثلة ، أو ايراد الأدلة ، فكل من له بصر يعرف ــ وعن يقين ــ مدى ما تبذره المجلات المتحللة ، والتمثيليات العارية ، والكلمات المكشوفة من بذور الغواية والاضلال فى نفوس الشباب .

حتى الشاب الذى تسوقه الأقدار الى الانضواء تحت لواء جماعة دينية ، أو جماعة تتاجر بالتصوف ، هذا الشاب يفقد ايمانه بعد زمن

ـ يطول أو يقصر ـ فى جدوى هذا الانتماء ، ويظل هذا الشباب الذى لم ينل من التعليم الدينى ما يقيمه على الجادة ، والشباب الذى ظن أنه يجد فى بعض الجماعات ما يروى ظمأه الى التدين ، يظل هؤلاء وهؤلاء فى حيرة قد تؤدى بكثير منهم الى الانحراف ، والتمرد على المبادىء الدينية السمحة .

ولقد أدركنا كثيرا من شيوخنا ، والواحد منهم موسوعة علمية ، وأسوة حسنة ، وقدوة طيبة لكل من يخالطهم ، وهو شديد الحرص على أن يعطى عطاء وفيرا دون أن ينتظر على ذلك جزاء الا من الله تعالى .

ونحن نجد الآن المتخصص فى دراسة اللغة العربية مثلا يعتذر عن الفتوى لأنه ـ فيمايزعم ـ لايحسن الا اللغة العربية ، مع أنه قضى زمنا طويلا من عمره يدرس فى الأزهر ، ونجد المتخصص فى الفقه والأصول لا يعرف من اللغة العربية ما يعينه على فهم النصوص الدينية فهما صحيحا ، وحسبه أنه عرف أصول المسائل وفروعها فى الفقه ، ومثل هؤلاء لا يرجى منهم أن يضيفوا جديدا يستنبطونه من كتاب الله ، أو من سنة رسوله .

وطبيعى أنى لاأنكر ما للتخصص من فضل على العلم ، ولكنى أعتقد أن العالم الدينى لا يستطيع أن يقوم بواجبه الا اذا كان على المام واسع بكل العلوم التى تعينه على الفهم الصحيح لكتاب الله ، وسنة رسوله .

فهل يوجد فى المستقبل هذا العالم ؟

انى لأشك كثيرا أن تكون مناهج جامعاتنا الاسلامية ، وطريقة سير الدراسات فيها صالحة لأن تنجب لنا أمثال هؤلاء العلماء .

وأما التقاليد الاسلامية فمأساتها أعمق ايلاما للنفوس المؤمنة من مأساة التعليم ، فنظرة فاحصة واعية الى المجتمعات الاسلامية تؤكد للناظر ـ مع الأسف الشديد ـ أنها تبتعد يوما بعد يوم عن تقاليدها السليمة ، ويرجع ذلك ـ فيما

أرى ــ الى أسباب كثيرة لعل من أهمها الضائقة المالية التى يعيش فيها كثير من أفراد هذه المجتمعات ، والغنى الواسع الذى يعيش فيه آخرون ، فكلاهما الفقر المفرط ، والغنى المفرط يبعث على تنكب الطريق السوى •

والعاصم لهؤلاء وهؤلاء هو التدين الصحيح ، وليس الشيوعية التى من شأنها أن تفقر الغنى ، ولا تغنى الفقير •

ومن أسباب هذا التحلل من قيمنا الاسلامية أن الدوافع الى الفساد أقوى من الصوارف عنه •

وقد أشرت فيما سبق الى وسائل الاعلام ، وأشير هنا ــ وبتأكيد شديد ــ الى قوانين العقوبات التى تحكمنا فهى شديدة القصور ، ولا صلاح لمجتمعاتنا الا بتطبيق نصوص الشريعةالاسلامية ، وليست هذه النصوص ــ كما يتوهم بعضنا ــ مقصورة علىتطبيق حدود السرقة والقتل والزنى وشرب الخمر، بل انها تتناول جوانب كثيرة من حياة المجتمع ، ففى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن أن تقوم أوكار الفساد التى تعمل جهارا ، وفى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن أن يدخل على الناس فى بيوتهم هذه التمثيليات التى لا هدف لها الا الكسب المادى ، وربما كان لبعضها هدف أبعد ، هو افساد الناشئة •

وفى ظل الشريعة الاسلامية لا تستطيع المرأة أن تسير عارية فى الطرقات، ولا مبتذلةعلى الشواطىء، وفى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن احتكار أقوات الناس ، واتاحة الفرص للقادرين أن يأكلوا ويتمتعوا ، وللفقراء أن يموتوا جوعا •

وانى لأنتهز هذه الفرصة لأدعو المشتغلين بالفقه منا الى أن ينظروا بعقول مفتوحة ، وآفاق واسعة الى ما أعرضه عليهم •

لقد ذهب زياد بن أبيه واليا على العراق من قبل معاوية بن أبى سفيان ، وكان الفساد قد بلغ

أشـــده ، حتى انهم كانوا يخطفون النساء ، ويعتدون عليهن ، فخطبهم خطبته المشهورة بالبتراء ، وكان مما جاء فيها : (وقد أحدثتم أحداثا وأحدثنا لكل ذنب عقـوبة : فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحـــرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا) .

انى لأعرف أنه لا اجتهـاد مع النص ، ولكن ألا يمكن ــ وفى نطاق الشريعة الاسلامية ــ أن تشـــدد العقوبات على بعض الجـرائم التى يرتكبها أفراد أو جمـاعات فتقضى على أمن المجتمع وسلامته .

ان هــذه صيحة انذار لكل من وضعته الأقــدار فى مكان الهيمنة على اصلاح المجتمع الاســلامى ، والبعد به عن مخـاطر الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، والتردى فى دركات التخلف والانحطاط .

ولست فى حاجة الى أنبــه دعاة الاصــلاح ، وقادة الرأى الى قول الشــاعر ــ وان كان فى غير هــذا الغرض ــ :

أرى خـلل الرمـاد وميض نار
ويوشــك أن يكون له ضرام
فان لم يطفهـا عقـلاء قـوم
(فان الحـرب أولهـا الكلام)

د. على محمد حسن العمارى

الأمة الإسلامية

في طريقها الى النمو والازدهار

للأستاذ علي عبد العظيم

وجه الاسلام اتباعه منذ نشأته الى الجمع بين السبحات الروحية والمنافع المادية فالعبادات الاسلامية كلها مرتبطة بطهارة الأرواح كما هي مرتبطة بالعناية بالأجسام ، واذا كانت الصلاة قائمة على الاتصال الروحي بفاطر الأرض والسموات ، فانها لايمكن أن تتم الا بعد طهارة الجسم والثوب والمكان ، وقد قرن الله أداءها بالسعي في مناكب الأرض طلبا للرزق ، قال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، والصيام طهارة للأرواح كما هو علاج للابدان ، والزكاة طهارة للنفوس وطهارة ونماء للأموال واطمئنان وسكينة في الأرواح ، قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) والحج هجرة روحية تتبعها منافع مادية قال تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ... « وقال سبحانه بعد أن ذكر مناسك الحج — : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » .

ونحن نعلم أن الشريعة اليهودية مقسمة بالأقواط في الطابع المادي ، كما نعلم أن الشريعة النصرانية مقسمة بالأقواط في الطابع الروحي ، ولكن الشريعة الاسلامية جمعت بين المادة والروح ، وبين العلم والعمل ، وبين الدنيا والآخرة وبين الأرض والسماء ، قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

والعمل في الاسلام عبادة ، والله تعالى يقول « وقل اعملوا فسيرى الله

عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من الذنوب ذنوبا لاتكفرها صلاة ولاصيام ولا صدقة وانما يكفرها السعى فى سبيل الرزق .

* * *

وقد نبهنا القرآن الكريم فى أكثر من آية الى أن الله سخر لنا ما فى الأرض ليدفعنا دفعا الى استغلاله والى الانتفاع به فى شئون الحياة المادية والى اتخاذه وسيلة للجهاد فى سبيل الله ، قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وقال سبحانه « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » وكما سخر الله لنا البر سخر لنا البحر لننتفع بما فيه من خيرات « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » والعرب مجموعة من القبائل البدوية ولكن القرآن الكريم ينبههم الى البحار وماتزخر به من لحم طرى ومن لؤلؤ ومرجان ، وما يسبح على لجاتها من سفن تنتقل على سطحها كالجبال قال تعالى: «ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام » وقال سبحانه « وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام » والرسول صلى الله عليه وسلم يحض على الجهاد فوق أمواج البحار فيقول « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » رواه الحاكم وابن ماجه والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتسع عمره للغزو فى البحر ، ولكنه كان يقود أمة وينشىء دولة ولهذا أمر بتعلم الأبناء السباحة فقال: «علموا أبناءكم السباحة والرماية » رواه البيهقى وابن منده .

ونحن نعلم أن السيطرة على البحار هى سبيل السيادة العالمية ، وقد أشار القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات الى الضرب فى مناكب الأرض للدراسة والاستفادة ، قال سبحانه : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» وقال تعالى« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون

بهـا ولهم آذان لا يسمعون أولئك كالأنعام بل هم أضـل أولئك هم الغافلون » .

❊ ❊ ❊

وهكذا أقام الاسـلام دولة قـوية فتية ودفعها دفعا قويا الى انشـاء حضـارة روحية وحضـارة مادية لم يشهد لهما العالم مثيلا الا فى دولة الاسلام : ومن العجيب أن الاسلام أقام هذه الدولة من أنقـاض قبائل متفرقة متناحرة ، مغرقة فى التخلف والجهـالة والفقـر وما كان يخطر على بال انسان أن تقوم بين هـذه القبائل دولة متماسكة قوية كالجسد الواحـد أو البنيان المرصـوص ، ولكن الايمـان يصنع المعجزات ، والله تعـالى يقـول « وألف بين قلـوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وكان من فضل الله عليهم أن بعث فيهم القائد الأمين والمعلم الأكبر والقدوة المثالية والرائد الأعلى للبشرية جميعـا ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلـو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وكان منهجه صلوات الله وسلامه عليه فى انشاء هذه الأمة المثالية يقوم على الأسس التالية :

١ ـ العلم العميق القائم على التفكر والتـدبر فى ملكـوت السـموات والأرض قال تعالى: «أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » وقال سبحانه : «وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسهم أفـلا تبصرون » وكانت أول آيـة قرآنية قرعت أسـماع البشر تنوه بالقراءة والقلم والعلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الأنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقـلم . علم الانسان ما لم يعلم » قال صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتـين كما بين السـماء والأرض » رواه أبو يعلى فى مسنده وقال عليه الصلاة والسلام: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنـة » رواه مسلم .

٢ ـ الايمان الصادق الذى يصل المؤمن بربه فيعبده ويستعين به ويراقبه ويطلب هدايته وتوفيقه عالما أن الهداية من الله وحده : « ومن يهد الله فما له من مضل » قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » وقال سبحانه : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وقال عز وجل : « ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم » ولقد علم المؤمنون علما يقينيا أنه من يتق الله يهده : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به » وقد علم الجميع أن لا سبيل الى النور الا من الله وحده : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » وهكذا تأسست دولة العلم والايمان وقامت عمليا على أقوى الأركان .

٣ ـ ان الأخلاق هى قوام الأمم وأساس تماسكها وقوتها وازدهارها والتربية الأخلاقية تقوم على دعامتين رئيسيتين هما : رمز اسمى ترتبط به قلوب الأمة ، وقدوة عملية مثالية تقود الى هذا الرمز الكريم أما الرمز السامى فى الاسلام فهو عبادة الله سبحانه وتعالى فانه ما خلقنا الا لعبادته قال تعالى : « وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون » ولهذا لا يكمل ايمان المؤمن الا اذا كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما قال تعالى : «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ومحبة الله ورسوله تسرى كالتيار الكهربائى فى قلوب المؤمنين فتربطهم جميعا بمحبة الله فيصبحون وحدة متماسكة مترابطة كل الترابط فى السراء والضراء روى الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود

فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، رواه الشيخان والترمذى والنسائى وغيرهم، هذا هو الرمز الأعلى للايمان ، أما القدوة المثالية السامية التى تقودنا الى هذا الرمز العظيم فهى شخصيا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال الله فيه : « وانك لعلى خلق عظيم» وقال عليه الصلاة والسلام : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، رواه البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك وغيرهما •

٤ ـ الجهاد فى سبيل الله ويكون بقتال أعداء الاسلام والتضحية بالنفوس والأموال فى هذا المجال طلبا للشهادة أو النصر قال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ويكون باللسان والقلم أيضا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والتواصى بالصبر مع احتمال ما يتعرض له الداعية من أذى في سبيل دعوته ، كما يكون الجهاد بالقلب أيضا ومعناه المقاطعة الجماعية للطغاة والعصاة المنحرفين عن سبيل الله وبهذا الجهاد أصبح المسلمون « خير أمة أخرجت للناس » •

٥ ـ الحرص على عزة النفس وكرامتها فمن فقد عزته فانه يفقد كرامته البشرية التى أعلنها الله فى كتابه الكريم حيث يقول « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » والله تعالى يقول: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين «والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فان الأمور تجرى بالمقادير» وقد ورد فى الأثر : « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » ووصف الله عباده الذين يحبهم ويحبونه بأنهم « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » •

٦ ـ الحرص على القوة وقد وصف الله المؤمنين بأنهم «أشداء على الكفار رحماء بينهم » ودعا المجاهدين فى سبيله الى اعداد وسائل القوة المعنوية والمادية حيث قال سبحانه: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

عـدو الله وعـدوكم . . » ومن وسائل القـوة المـال والسـلاح والتدريب الكامل على استعماله واتخاذ وسائل الدعاية القوية فى سبيل احقاق الحق وابطال الباطل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعنى بالدعوة الاسلامية عن طريق القرآن الكريم وعن طـريق الخطابة وعن طـريق الشعر وكان العرب مفتونين بالشعر وهو عنـدهم يؤدى دور الصحـافة والاذاعة لدينا الآن وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت زعيم شعراء المسلمين فى عصره: « قل فوالله للسانك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام » فكان حسان يخرج لسانه فيضرب به أرنبة أنفه ويقول : « والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه » كمـا كان صلوات الله وسلامه عليه يعنى بالتدريب الدائم على أساليب القتال وبخاصة الرماية ويقول فى ذلك : « ألا ان القوة هى الرمى ألا ان القوة هى الرمى ألا ان القوة هى الرمى » ويقول « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خـير » .

٧ ــ الحرص على اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب دون مجاملة او محاباة وقد حدد القرآن الكريم شرطين أساسيين لولاية المناصب المهمة هما الأمانة المطلقة والعلم الغزير بما يليه الوالى من أعمال ، ويتجلى هذا فى قول يوسـف عليه السلام لملك مصر : اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم »وكل منصب له علم يناسبه فالقائد الحربى ينبغى أن يكون عليما بأساليب القتال خبيرا بأنواع السـلاح والتدريب عليه ملما بطبيعة الارض التى يحـارب عليها ، عـارفا بقوة أعدائه وأساليبهم فى القتال . والوالى ينبغى أن يكون خبيرا بأساليب الادارة والسيـاسـة وشئون الرعـية والقاضى يكون عالمـا بالقانون وطبائع النفوس ... وقـد طبق الرسـول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ تطبيقا حازما ولمـا سـأله أبو ذر أن يعهـد اليه بولاية عمل قال له : « يا أبا ذر انك ضعيف وانهـا أمانة وانهـا يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيهـا » رواه مسلم وروى أحمد والحاكم عن يزيد ابن أبى سفيان قال : قال لى أبو بكر حين بعثنى الى الشـام : يا يزيد ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة

وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم» .

٨ - عنى الرسول صلى الله عليه وسلم عناية تامة باختيار حاشيته وبطانته المحيطين به والواقع أن أخطر نكبة تصيب الحاكم انما تأتيه من قبل حاشيته وبطانته فانه يسمع بآذانهم ويرى بأعينهم ويصدر عن رأيهم وبعض رجال الحاشية يتقنون النفاق والتزلف للحكام طلبا لمنافعهم الخاصة وترويجا للباطل ودفعا للحق ولقد تنبه عبد الملك بن مروان لهذا حينما جاءه أعرابى وقال له : لك عندى نصيحة فاخلنى فأمر باخلاء مجلسه ثم قال له : لى عليك ثلاث قبل أن تتكلم : لا تكذب على فسينكشف، كذبك لامحالة وحينئذ أجعلك عبرة لكل معتبر ولا تمدحنى فأنا أعلم بعيوبى منك ولا تغتب عندى أحدا حتى تستعد لمواجهته وان شئت أعفيتك ، قال أعفنى يا أمير المؤمنين، والقرآن الكريم ينهانا عن موالاة الظالمين قال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » . وروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله » . وروى أبو داود باسناد جيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه » .

هذه المامة وجيزة بأهم الدعائم القوية التى قامت عليها الأمة الاسلامية فى ضوء القرآن الكريم وسيرة النبى العظيم والحديث الشريف .

***

وفى ضوء الاسلام وعلى هديه استطاع المسلمون أن يكونوا أعزاء بعد الذل أقوياء بعد الضعف علماء بعد الجهل وأصبحوا القوة الأولى فى العالم زهاء ألف عام بل استطاعت دولة واحدة من دول الاسلام هى مصر الاسلامية أن تقف فى وجه دول

أوربا وغزواتها الصليبية نحو مائتى عام صدتها فيها عن حوزة الاسلام وانتصرت عليها أعظم انتصار، واستطاعت مصر الاسلامية أيضا أن تقف فى وجه قارة آسيا بأكملها محتشدة فى غزوات التتار وتكسرت أمواج هذه الغزوات البربرية على تخوم مصر التى اعتزت بالعلم والايمان ، ولما ضعفت قوة الايمان فى نفوس الشعوب الاسلامية تفرق شملهم وتمزق جمعهم وسقطوا دولة بعد دولة تحت وطأة الاستعمار الغربى العنيف .

* * *

ولكن الأمة الاسلامية تيقظت من سباتها العميق واستطاعت أن تسترد استقلالها من براثن الاستعمار وهى الآن فى سبيلها الى أن تسترد مكانتها المجيدة فى موكب المدنية والعمران واعتقد أن القرن الخامس عشر الهجرى « الحادى والعشرين الميلادى » سيشهد هذا البعث الجديد، ولا أقول هذا رجما بالغيب ولا تعلقا بالأحلام أو الأوهام وانما استند فى رأيى على الأدلة المادية والبراهين العقلية التى ترتكز على أن اتحاد العرب هو نواة الاتحاد للأمة الاسلامية . والعرب الآن فى طريقهم الى الوحدة للأسباب الآتية :

أولا : الوحدة الجغرافية المتكاملة فالأمة العربية واحدة متصلة جغرافيا وهى تقع فى ملتقى القارات الكبرى الثلاث وتمتاز بأنها متصلة بدول أفريقيا و آسيا و أوربا اتصالا وثيقا وهى أكثر من ثلثى سكان العالم كما أنها تسيطر على أهم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب وتقع على شواطىء بحار تعد أغنى بحار العالم بالثروة المائية وجوها صالح لانتاج معظم حاصلات العالم الزراعية فاذا استطاعت استغلال هذا الموقع الفريد أصبحت فى مقدمة دول الحضارة والعمران .

ثانيا : الوحدة الاجتماعية فى الجنس واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والبلاد العربية وهى مهبط الديانات السماوية وبخاصة الاسلام الذى الغى الحدود الفاصلة بين شعوبه وجعل منهم وحدة متماسكة قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » « رواه الشيخان وغيرهما وروى مسلم وأحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل

الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» وعلاقة بعض المسلمين ببعض هى علاقة الاخوة والولاء ، قال تعالى : «انما المؤمنون اخوة» وقال سبحانه: « والمؤمنون بعضهم أولياء بعض » وهذه الولاية منبعثة من ولاية الله سبحانه للجميع قال تعالى : «الله ولى الذين آمنوا » وقال سبحانه: «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وهذا الولاء القوى المتين هو أوثق الروابط التى تربط جميع المسلمين فى شتى البلاد « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » •

ثالثا : التكامل الاقتصادى بين الدول العربية فقد منحها الله أعذب أنهار العالم وأخصب أراضى العالم وأمدها بالثروات المائية والزراعية وأودع باطن أراضيها ثروات معدنية طائلة وطاقات هائلة من البترول والفحم والحديد وهى أساس المدنية الحديثة ومصدر الحضارة والعمران ولا تزال تكشف يوما بعد يوم ما فى جوف أرضها من خيرات لا تنضب وفيها مع هذا كله آثار حضارة معدومة النظير تجذب اليها ملايين السائحين واذ كنا على أبواب استغلال الطاقة الشمسية فان البلاد العربية بحكم مناخها تستقبل هذه الطاقة على أوسع نطاق طول العام على العكس من الدول الأوربية التى تحتجب شمسها وراء السحب الكثيفة والضباب الغزير معظم أيام العام •

رابعا : ونتيجة لما سبق قامت مؤسسات ضخمة تربط البلاد العربية والاسلامية أوثق الروابط فى كل مجال مثل الجامعة العربية التى تضم أكثر من عشرين دولة ومثل منظمة الوحدة الأفريقية التى تضم دول أفريقيا العديدة وتربطها مع البلاد العربية أوثق الروابط ، ومثل المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى يضم دول القارتين معا بما فيهما من دول عربية واسلامية عديدة يبلغ سكانها مئات الملايين ، هذا الى الأزهر المؤسسة الاسلامية الكبرى التى تستقبل آلاف الطلبة من المسلمين فى كل عام ينهلون من مواردها العذبة « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » فضلا عما تستقبله جامعات مصر فى كل عام من

الطلبة العرب والمسلمين وعددهم الآن يناهز الأربعين ألفا وجمهورية مصر العربية ترسل أكثر من عشرة آلاف عالم ومدرس وامام وواعظ وقارىء للقرآن الكريم الى شتى الدول الاسلامية والعربية فى كل عام .

خامسا : فى البلاد العربية والاسلامية الآن نهضة علمية رائعة تمثلها عشرات الجامعات فى ربوع العالم الاسلامى وقد تخرج منها عدد كبير من أكبر نوابغ العالم وهم يؤدون رسالتهم العلمية فى جامعات العالم الكبرى فى أمريكا وأوربا وغيرها من دول الحضارة والعمران ولهم مكانتهم المرموقة فى الأبحاث والدراسات العلمية والمؤتمرات الدولية فى علوم الفضاء والذرة والكهرباء والطب والهندسة وعلوم البحار ... مما يبشر بنهضة علمية كبرى تنتج أطيب الثمرات .

سادسا : ان الدول العربية والاسلامية بدأت تفىء الى تعاليم الاسلام وأشعتها الوضاءة فالقرآن الكريم تردده جميع الاذاعات صباحا مساء والدراسات القرآنية تحملها عشرات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات الى ملايين القراء فى كل دول من الدول العربية والاسلامية ، والمؤتمرات الاسلامية تنعقد فى معظم العواصم العالمية ؛ والمساجد العظمى والمراكز الاسلامية العديدة يتم تشييدها فى الحواضر العالمية الكبرى سواء كانت تدين أم لاتدين بالاسلام .

سابعا : ان دول العالم كلها فى طريقها الى التكتل أو الاتحاد يدفعها الى هذا حتمية الأوضاع القائمة الآن فان تقدم المواصلات تقدما مذهلا جعل شعوب العالم كله تتقارب ومصالحها تتشابك مما فرض عليهم التلاحم فرضا فظهرت الآن الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ودول عدم الانحياز وهذا يقتضى اتحاد الدول العربية والاسلامية وهذا الاتحاد آت لا محالة طال الزمن أم قصر وعلينا أن نقرب هذا اليوم المرتقب بكل الوسائل الروحية والمادية لأن الله أراد للمسلمين جميعا فى كل أرجاء الأرض أن يكونوا أمة واحدة تعبد الها واحدا قال تعالى: «ان هذه أمتكم أمة واحدة

وأنا ربكم فاعبدون» وقال سبحانه: « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » •

* * *

والانصاف يقتضينا أن نقول ان طريق الوحدة العربية والاسلامية ملىء بالعوائق غاص بالعقبات فان الدول الكبرى المسيطرة على العالم الآن تخشى قيام هذه الوحدة على مصالحها الكبرى فى ربوع العالم الاسلامى وقد بادرت فى مطلع هذا القرن بالغاء الخلافة الاسلامية ومقاومة الوحدة العربية ومن وسائلها فى هذا المجال :

١ ـ نشاط حركة التبشير فى كثير من البلاد الاسلامية عن طريق المدارس والكليات والمؤسسات الاجتماعية والمستشفيات والمراكز الثقافية بما تصدره من صحف ومجلات وما تبثه من اذاعات وما تخرجه من أفلام ومسرحيات •

٢ ـ اثارة الفتن السياسية وبعث الخلافات الطائفية واثارة المطامع والأهواء فى نفوس بعض الحكام المسلمين وأحداث الانقلابات العديدة لتأخير حركة النمو والازدهار، وهذا الى عرس اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى كالخنجر المسموم لشغله عن التقارب والاتحاد •

٣ ـ الغزو الفكرى للشباب الاسلامى يصرفه عن عقيدته السمحة وعن دينه القويم عن طريق الماركسية أوالوجودية أو العلمانية أوالماسونية أو تشجيع الاتجاهات الاجتماعية الهدامة مثل الخنافس والهيبز وجماعات العبث واللامعقول والساخطين •

٤ ـ تشجيع الطوائف المنحرفة عن الاسلام مثل القاديانية والبهائية والاغاخانية والمهاريشية التى ظهرت حديثا فى أمريكا بوصفها دين الفكر الخلاق ـ كما يزعمون ـ والتى يحاولون تصديرها الينا بديلا عن الاسلام •

والمجال لا يتسع الآن لسرد هذه العوائق جميعا ولكننا قادرون بعون الله وتوفيقه على تخطيها وعلى تحقيق النهضة الاسلامية الكبرى وهى آتية لا محالة لأن الله وعدنا بها ـ والله لا يخلف وعده ـ حيث قال: «يريدون

أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» وسيظهره بفضله عن قريب .

ان الحضارة الغربية الغارقة الآن فى ماديتها المحضة تكاد تدمر نفسها تدميرا ولا سبيل لانقاذها من هذا المصير الرهيب الا بأن تضم الى حضارتها المادية حضارة روحية توازنها ، ولن تستطيع الجمع بين الحضارتين الا فى ظل الاسلام ، فان يدا واحدة لاتصفق وان جناحا واحدا لا يحلق ، وان رجلا واحدة لا تسبق « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » .

ولقد تنبأ كثيرون من كبار المفكرين فى العالم بأن شمس الاسلام ستشرق على العالم من جديد ، وحسبنا الآن ما أعلنه المفكر الأديب العالمى الكبير « برنارد شو » وأذاعه على العالم الغربى فى قوة ويقين حيث قال : « ان أوروبا بدأت تحس الآن حكمة محمد وبدأت تعشق دينه ...وان كثيرين من مواطنى (فى انجلترا) ومن الأوربيين الآخرين يقدسون تعاليم الاسلام ولذلك يمكننى أن أؤكد نبوءتى فأقول: ان بوادر العصر الاسلامى الأوربى قريبة لا محالة .. اننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح فى حكمه ولقاد العالم الى الخير ، ولحل مشكلاته على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة » .

* * *

فيامعشر المسلمين لقد بدأت بوادر النصر والفتح المبين فضاعفوا جهودكم وجهادكم والله ومعكم، واعلموا ان العاقبة للمتقين وان الله لا يضع أجر العاملين .

على عبد العظيم

كاتب مقال : (الأمة الاسلامية
فى طريقها الى النمو والازدهار)

على عبد العظيم

تخرج من الدراسات العليا بكلية دار العلوم وشغل كثيرا من الأعمال التربوية والادارية والفنية منها مدير قسم المخطوطات والقسم الأدبى بدار الكتب ، ومدير الادارة الفنية بالمؤتمر الاسلامى ، ومدير الوثائق والمكتبات بالاوقاف وعمل أستاذا بالمعاهد العليا والكليات فى مصر والبلاد العربية والغربية ويعمل الآن خبيرا فنيا بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر وصلاته وثيقة بالأزهر وعلمائه منذ نشأته ؛ ويشترك فى كثير من لجان المجمع وله مؤلفات ودراسات عديدة نشرتها له هيئات رسمية ، ونال عن بعضها الجائزة الأولى ومنها ما يدرس بالجامعات العربية . وتنشر الصحف والمجلات المصرية والعربية مقالاته وأبحاثه بصفة دورية ، وله نشاط كبير فيما يلقيه من محاضرات اسلامية عديدة فى الأندية والجمعيات والكليات الجامعية ، واسهم فى كثير من المؤتمرات الأدبية والاسلامية فى مصر والخارج واقصى آماله أن يلقى الله مجاهدا تحت راية القرآن الكريم .

تفقيه الاقتصاد الإسلامى وتجديد فقه المعاملات

للأستاذ زيدان أبو المكارم

— ما معنى ذلك ؟ وما الضرورة التى تدعو اليه ؟

— معناه : أن يصبح للاقتصاد الاسلامى أصول واضحة ، مجمع عليها ، وقواعد ظاهرة مأخوذة من تلك الأصول ، وأحكام تفصيلية حاسمة ، مستنبطة بالأدلة الصحيحة، يستطيع كل مكلف أن يعرف منها الحلال والحرام حين يضرب فى الأرض التماسا للطيبات من الرزق .

— كما يستطيع المسلم أن يعرف فرائض الصلاة وسننها ومستحباتها، وشرائط الصلاة المقبولة ، والصلوات التى يفترض عليه أداؤها ، ويستطيع أن يعرف ما هو تطوع غير مفروض .

— كذلك ينبغى أن يكون بوسع كل مكلف أن يعرف الحلال والحرام من المعاملات مع سائر الناس ، ومع الدولة التى يعيش فى حمايتها .

— والضرورة الحضارية الاسلامية تدعو الى ذلك :

— ان المشكلة الأولى التى تتصدر مشكلات العالم فى جميع أنحاء الأرض هى (المشكلة الاقتصادية)، وقد أصبحت بتغلغلها فى حياة البشر ، وانشغال الناس بها تدخل عنصرا فعالا فى كل مشكلة تعترض حياة الأفراد والجماعات والدول .

— والذى يتتبع كتابات الكاتبين فى (الاقتصاد الاسلامى) — الا قليلا منهم — يلاحظ أنهم لا يزالون فى مرحلة الاجابة عن السؤالين الآتيين :

ـ هــل يملك الاســلام مذهبا اقتصاديا متميزا عما يعرفه النــاس فى عالم اليوم من مذاهب ؟

ـ هل يخرج المذهب الاسلامى عن أن يكــون : رأسـماليا ، أو اشتراكيا ؟ أو مزاجا منهما ؟ أو مما اشتق منهما من مذاهب واتجاهات ؟

ـ وفى سبيل التقــدم فى هــذا المجــال ، وتخطى هــذه المرحــلة النظــرية الى ما يليهــا من المراحل العملية صدرت قرارات ، نذكر منها ما أعلنه (المؤتمر الســابع لمجمــع البحوث الاسلامية) (١) :

ـ « يعلن المؤتمر أن (الاقتصاد الاسلامى) نظام متميز عن غيره من المذاهب الاقتصــادية ، يقوم على أصول ثابتة ، أوردتهــا نصــوص كليــة فى القــرآن الكريم والسنة النبوية ، تكفل الكرامة الانسانية ، والعــدالة الاجتمــاعية ، وتوجب السعى فى الحياة بالعمــل الفكرى والبدنى ، وتحمى الكسب الحلال ، ولا تحد من حرية السعى أو الكسب أو الابتــكار بالالتــزام بأوامــر الشريعة ، وما تقتضيه من مصالح الجماعة . مع ملاحظة أن لكل قطر أن يطبق من التنظيمات والتطبيقات الاقتصادية المنبثقة عن هذه الأصول الثابتة مايوافق حاجتهوظروفه ... » .

ـ وبعــد نحــو أربع سنوات أصــدر « المؤتمر العــالمى الأول للاقتصاد الاســلامى » (٢) قراراته وتوصياته ، وجاء فى مقــدمة ذلك قوله :

ـ « ان الأمة الاســلامية قــد أدركت فى وضــوح حاجتهــا الى الأصــالة الاســلامية فى الفكــر والتطبيق ؛ لتحقق معنى وجودها ، وتأخذ مكانهــا القيادى فى هداية البشرية .

واتفق المؤتمر على أن مجمــوعة المبادىء والأصــول والقواعد التى

(١) عقد هذا المؤتمر فى القاهرة (شعبان سنة ١٣٩٢ هـ سبتمبر سنة ١٩٧٢ م) فى رحاب الأزهر .

(٢) عقد هذا المؤتمر فى مكة المكرمة (صفر سنة ١٣٩٦ هـ ـ فبراير سنة ١٩٧٦ م) بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز .

تتناول تنظيم جوانب النشاط الاقتصادى فى حياة الفرد والمجتمع : تشكل أسس البنية الاقتصادية ، أو هيكل النظام الاقتصادى فى الاسلام ، وتستنبط من القرآن والسنة » .

ــ والقارىء يرى أن المؤتمرين يطبقان على أن :

١ ــ للاسلام مذهبا اقتصاديا أصيلا متميزا عن غيره .

٢ ــ وأن المصدر المعتمد فى معرفة (الاقتصاد الاسلامى) هو النصوص القرآنية والنبوية .

٣ ــ أنهما لم يجعلا (الفقه الاسلامى) المدون فى العصور المختلفة مصدرا أساسيا لتصوير المذهب الاسلامى ؛ لأن ذلك الفقه هو ثمرة اجتهاد أئمة عظام ، وعلماء أعلام ، ولكنهم برغم ذلك عرضة للخطأ والصواب ؛ لأنهم غير معصومين ، والفكر البشرى يقبل منه ويرد عليه بميزان النصوص القرآنية والنبوية ؛ لأنه لا يجوز أن يتقدم عليها غيرها .

* * *

ــ ان الثمرة العملية بعد هذا انما تتحقق بما ندعو اليه اليوم من تفقيه (الاقتصاد الاسلامى) كسائر أبواب الفقه الاسلامى .

ــ وفى هذا المجال يجب على كل باحث أن يلتزم طرق البحث فى (الفقه الاسلامى) وأصول الاستنباط من النصوص كما عرفت من (علم أصول الفقه) ، وبذلك نخرج من التعميمات ، ومن الأساليب الانشائية الجميلة التى لا يزال يستعملها كثير من الباحثين فى الاقتصاد الاسلامى .

ــ ان اتباع الطريقة التى أشرنا اليها سوف يعيد الى جماهير المسلمين فى أنحاء الأرض وعيها برقابة الله ، ويطمئن ضمائرها على أنها تسير فى أعمالها ومعاملاتها على ما يرضى ربها من هداية ورشاد ، ويجعلها تنطلق فى قوة وانتظام التماسا للحلال الطيب من الرزق فى كل مجال ، وهى على بينة من أمرها ، لا يؤرقها التباس الطريق بالحرام وشبهات الحرام ، والخوف من المحق والتخبط الشيطانى الذى

توعد الله به آكلى الربا والسحت ، وذلك حين يصبح (الاقتصاد الاسلامى) فقها من الفقه يعتمد على الكتاب والسنة ووسائل الاستنباط منهما المعروفة فى (علم أصول الفقه) .

* * *

ــ عند الاقتصاديين ما يعتبرونه قوانين طبيعية ، كقانون العرض والطلب ، والتحليل الاقتصادى للأثمان ، وبيان كيف تتحدد ، ويعتبرون ذلك (علم الاقتصاد) وقوانينه تشبه قوانين الجماد والنبات .

ــ وعندهم مجموعة أخرى من البحوث تعتمد على دراسة أساليب استخدام تلك القوانين فى مواجهة المشكلات ، لاختيار أحسنها فى مباشرة العلاج ، ويسمون هذا : (الاقتصاد السياسى) .

ــ وعندهم أخيرا (المذاهب الاقتصادية) ، وذلك حيث يلتزم الباحث بطريقة معينة يختارها حين يعالج مشكلة اقتصادية ، ومن أجلها يفضل تفضيلا مطلقا أسلوبا معينا فى العلاج (١) .

ــ ما موقف الاقتصاد الاسلامى من كل ذلك ؟

ــ ان الاسلام يأمر الناس أن يتعرفوا على قوانين الله فى الخلق ؛ ويأمرهم أن يستخدموها ، ويستعينوا بها على أداء رسالتهم فى الحياة ؛ فاذا عرفوا (قانون الكهرباء) فعليهم أن يتحكموا فيها ؛ لتضىء ؛ وتحرك الآلات ، وتنضج الطعام .. الخ وعليهم أن يتخذوا وسائل الوقاية من أضرارها حتى لا تصعق أحدا ، أو تحرق شيئا نافعا .

ــ وهنا يواجه الباحث فى الاقتصاد الاسلامى سؤالا تجاه كل ما يسمى قانونا اقتصاديا علميا ، مثل :

ــ ما موقف الاقتصاد الاسلامى من قانون العرض والطلب ؟

---

(١) تاريخ الفكر الاقتصادى ، د . لبيب شقير ص ٩ ــ ١١

ــ هل يخضع له كل شىء فى الاقتصاد ، ويجعله صنما معبودا ؟

ــ هل يمضيه أحيانا ، ويوقفه أحيانا أخرى ؟

ــ ما مواطن الاستفادة من تطبيقه ؟

ــ ولا يعطى اجابة من عنده ، وانما يبحث عن الاجابة فى النصوص القرآنية والنبوية متبعا فى ذلك أساليب الاستنباط المقررة فى (أصول الفقه) .

ــ وبهذا الأسلوب لن تكون له سياسة ولا مذهب يخالف النصوص القرآنية أو النبوية .

ــ وهنالك قضايا رئيسية أخرى لابد أن يجيب عنها (الاقتصاد الاسلامى) مستوحيا اجابته من النصوص القرآنية والنبوية ، مثل :

ــ ما الغاية من الاقتصاد : وفرة الانتاج ؟ المساواة بين الناس ؟ العدالة الاجتماعية ؟ الرفاهية ؟ الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ؟

ــ على أى أساس يتم توزيع الدخل القومى : على أساس المساواة ؟ أم بحسب الجهد والعمل؟ أم بحسب حاجة كل فرد ؟

ــ ما وظيفة الدولة فى ميدان الاقتصاد ؟ ما ضوابطها وحدودها وغاياتها ؟ هل هى ثابتة ؟ أو أنه يجب أن تزداد أو تتناقص بحسب الحاجة اليها للوصول الى الغايات المقصودة ؟

ــ ما دور المقاييس فى الاقتصاد الاسلامى ؟

ــ المكاييل والموازين ، الأطوال والأحجام ، من الناحية المادية ، وتأتى كذلك القيم المعنوية لقياس : الخدمات والجودة ، والنوع فى كل أصناف الأشياء ، وأنماط السلع .

ــ ومن هنا تبرز ضرورة ماندعو اليه من :

تنقيه الاقتصاد الاسلامى ، وتأصيله ! !

* * *

تجديد فقه المعاملات :

ــ ان الفقه الاسلامى يمثل ركنا أساسيا خطيرا فى كيان الحضارة

الاسلامية ، ولا يمكن فهم النفسية المتميزة للمسلمين ، والتعامل معهم بنجاح دون دراسة الفقه الاسلامى، فهو علم عملى معنوى فلسفى ، يحكم فى اطاره التفصيلى الشامل تصرفات كل مسلم ؛ انه يمثل قانون السلوك ، ويمثل الفلسفة التى توحى ، والضمير الذى يأمر وينهى •

ـ « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » ٨ : ٢٠ •

ـ فالايمان بالله ورسوله يلزم بالطاعة لله ورسوله ، والفقه هو الذى يبين تلك الأوامر والنواهى المستنبطة من القرآن والسنة •

ـ والاقتصاد الاسلامى يتصل اتصالا عاما بالفقه الاسلامى ويتصل اتصالا مباشرا أصيلا بقسم معين هو الذى اصطلح الفقهاء على تسميته : (المعاملات) أو (فقه المعاملات) •

ـ والضرورة اليوم تدعو الى تجديد هذا القسم (فقه المعاملات) الذى تجمد تجمدا أصبح يعوق مسيرة المسلمين أفرادا وجماعات ، من حيث انه يترك الباب مفتوحا أمام الشك والخوف من الحرام والسحت والربا وشبهاته ، ويصبح المسلم مضطربا بين الاقدام والاحجام فى معاملاته الحيوية ، ونشاطه الاقتصادى ، والمجتمع الاسلامى فاقدا لصحته النفسية •

ـ والدليل على تجمد هذا القسم (فقه المعاملات) من الفقه أن هنالك قسما آخر اشتهر فى الاصطلاح الحديث باسم (الأحوال الشخصية) تطور فى السنوات المائة الأخيرة تطورا كبيرا ، بسبب الاعتراف به عمليا ، وتحكيمه فى الحياة القانونية التى تتولى الدول الاسلامية مباشرة مسئوليتها فى القضاء بين الناس •

ـ وأضرب على ذلك مثلا : فقد مر زمان كان ينفذ فيه (حكم الطاعة) للرجل على امرأته بواسطة الشرطة ، ثم تغير ذلك اليوم ، ففى مقابلة الرضا بالطاعة حقوق تعطى ، وفى مقابلة رفض الطاعة تضيع هذه الحقوق •

ـ ومثل آخر : تختلف المذاهب الأربعة وتتفق فى مسائل من الطلاق ،

حيث يحكم البعض بوقوع أكثر من واحدة مرة واحدة ، وفى طلاق الايمان المعلقة وغيرها •

ــ وكل هذه أمور بالتجديد تغيرت ، وظهرت وترجحت لدى المسئولين عن متابعة القوانين مذاهب لم يكن معمولا بها ، وأخذ بآراء من غير المذاهب الأربعة لترجح أدلتها بعد اعادة النظر تحقيقا للمقاصد العليا للشريعة •

ــ ومثل ثالث فى الميراث والوصية : كم جدد الفقهاء الاسلاميون فى أحكامهما تبعا لمرونة النصوص فى توزيع ثلث التركة والوصية الواجة ••؟!

ــ هل حدث شيء من هذا فى (فقه المعاملات) ؟؟

ــ لم يحدث شيء من ذلك ؛ لأن الدول الاسلامية فى ظل الاستعمار كان مفروضا عليها ألا تعمل بفقه المعاملات ، كما تعمل بفقه (الأحوال الشخصية) ، فتطور الأخير وتجدد ، وتوقف الأول وتجمد •

ــ وأصبحت تتجاذب (فقه المعاملات) عوامل المسايرة ،وتحكيم المصالح والأهواء ، وبقى هذا الفقه (المعاملات) فى حياة المسلمين ممزقا لاتجمعه ارادة ، كما تجمد فى كتب الفقه تاريخا قديما لا ينتفع به أهل العصر فى تسيير الحياة الاقتصادية وتقويمها ! ؟

ــ لابد اذا من تجديد فقه المعاملات ، وعقد الصلة الحيوية بينه وبين منابعه الأصلية ؛ ليأخذ منها الهداية والنور ، والعدل والرشاد ــ وهى النصوص القرآنية والنبوية ــ ويضيء بها الحياة التى يباشرها الناس ، فلا يشتبه عليهم الحلال بالحرام ، والطيب بالخبيث ولا تضطرب ارادتهم أمام النشاط الاقتصادى الذى تجرى به الحياة ولايفتتنون أمام المذاهب الاقتصادية العالمية الغازية •

ــ انكثيرا من المسلمين يشعرون أن (فقه المعاملات) المتجمد لايمنع الظلم ، ولا يكبح جماح الجشع والاستغلال ، ولا يصد تيارات الربا العاصفه ؛ فكثير من هذه الكبائر تجد لها بطانة تساندها من تسويغات

ذلك الفقه المتجمد ، بعيدا عن النصوص القرآنية والنبوية .

ـ كم يقع من الظلم باسم التراضى على البيع والتجارة ؟

ـ وباسم « السلم » كم تستنزف دماء الفلاحين ؟

ـ وباسم « حظر التسعير » كم يفترس الاحتكار الفقراء محدودى الدخل ؟

ـ وكم تنبت من بذرة الربا والاحتكار طبقات شيطانية تعيث فى المجتمع فسادا فى ميادين الانتاج والخدمات والتجارة ؟

ـ وهذا أحد كبار فقهاء الأحناف يقول :

«ولو سعر السلطان على الخبازين الخبز ، فاشترى رجل منهم بذلك السعر ، والخباز يخاف ان نقصه ضربه السلطان لا يحل أكله » [1] .

ان مثل هذا الكلام صدر فى ظل اقتناع بأن الحاكم ظالم ، وأن الرعبة يتربص بعضها ببعض ، ولا يحميها فقه يقاوم الانحراف ، ويقيم الحق!؟

ـ أين الحق والعدل ؟

ـ أيجوز أن نعمل بمثل هذا (الحكم الفقهى) الذى صدر فى ظروفه التاريخية الخاصة !؟

* * *

ـ وشىء آخر له خطره المعنوى الكبير ، وان كان يبدو فى مظهره الخارجى أمرا شكليا لا ضرر منه !!

ـ الحقيقة أن تصرفات المسلم كلها خاضعة لاطار واحد يشمل كل عمل ، هذا الاطار يحكمه قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ٥١ : ٥٦ فجميع مايصدر عن عباد الله يحكمه اطار عام اسمه « عبادة الله » ، واختيار أحسن الأعمال هو الذى يعطى للناس درجاتهم عند الله ، كما قال عز وجل

ـ « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ٦٧ : ٢ .

---

(١) الاختيار شرح المختار للامام عبد الله بن محمود بن مودود الحنفى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ ـ ٣ : ١١٥ ، ١١٦ طبعة الحلبى .

والتطبيق ، بين الايمان والعمل

ـ والعمل الأحسن فى العبادة هو ما قام بالعدل ، ونصر العدل ، وأدى اليه ، كما قال عز وجل :

ـ « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » ٥٧ : ٢٥ •

ـ وهكذا يتبين أن عمل الانسان «عبادة» ترتبط بأحسن العمل ،الذى يرتبط باقامة العدل •

ـ بعد هذا التوضيح أقول :

ـ يقسم الفقهاء كتب الفقه أو أبوابه الرئيسية الى أقسام :

ـ يقولون مثلا : كتاب العبادات ويشمل الطهارة والوضوء والصلاة وأحكامها ، ثم الصيام والزكاة والحج •

ـ ثم يقولون : كتاب المعاملات ويشمل البيع ومايتعلق به من شروط وأشكال والربا وأحكامه والشركات والاجارات •• ••

ـ ثم كتاب الحدود ، ويتضمن حد القتل ، والسرقة ، والزنى ، والقذف •• الخ وهكذا ••

ومن وراء اختصاص القسم الأول باسم (كتاب العبادات) ينسى المسلم فى العصر الحاضر ـ بغير قصد ولا وعى أن المعاملات عبادات ، وأن الحدود عبادات ، وما يسمونه الأحوال الشخصية) عبادات :

ـ ذلك ؛ لأن الحضارة الأوربية المسيطرة فى عصرنا تجعل للدين وعباداته مكانا خاصا لاتعدوه هو الكنيسة ، فاذا خرجوا الى المعاملات وغيرها مما يسمونه (الأمور المدنية) فلا عبادة ولا سيطرة للدين ولا للكنيسة ! ؟

ـ بغير وعى ، وقعت المجتمعات الاسلامية المعاصرة فى هذا المزلق المنحرف الا قليلا ممن عصم الله من الأفراد أو الجماعات •• ••

ـ كيف نعيد هذا الاتصال بين (المعاملات) وبين المعنى الحق للعبادة المفروضة فى الفقه الاسلامى !؟

ـ هل نلحق بكل كتاب أو باب من أبواب الفقه كلمة العبادة ، فتقول :

عبادة المعاملات ، وعبادة كسب الرزق وعبادة الميراث ـ قد يكون التنبيه الى ذلك احدى وسائل اعادة الاتصال فى ضمير المؤمن بين العقيدة والتطبيق ، بين الايمان والعمل ،

ويجب أن يبحث الفقهاء الاسلاميون عن وسائل أخرى فى التربية والتدريس والتأليف والوعظ ، حتى يستقيم للمؤمنين الانسجام التام بين العقيدة والشريعة وبين العبادة والحياة كما أرادها الخالق عز وجل .

* * *

ـ ان (تفقيه الاقتصاد الاسلامى) ضرورة لابد منها .

ـ و (تجديد فقه المعاملات) واجب يلزم القيام به .

ـ وكلا الأمرين انما يتم باخضاعهما للنصوص القرآنية والنبوية ، على الأسلوب الاستنباطى الذى عرفه الفقهاء الاسلاميون من (علم أصول الفقه) .

ـ اذا فعلنا ذلك نكون قد حققنا التوصيات التى أطبقت عليها المؤتمرات الاسلامية التى أشرنا اليها ، ونكون قد حققنا الأصالة الاسلامية ، ويومئذ سنرى كيف تتحرك قيادة الحياة الاقتصادية من رايات الظلم المنتشرة فى أنحاء العالم الى راية (العدل الاقتصادى الالهى) التى يجب أن يحملها المسلمون فى الداخل والخارج !!

زيدان ابو المكارم حسن
من علماء الأزهر

تعريف بكاتب مقال :
« تفقيه الاقتصاد الاسلامى
وتجديد فقه المعاملات »

الكاتب :
زيدان ابو المكارم حسن زيدان

حفظ القرآن الكريم فى القاهرة ، ثم التحق بمعهد القاهرة الازهرى ، حيث نال الشهادتين : الابتدائية ، والثانوية ، ثم التحق بكلية اللغة العربية التابعة للجامع الازهر الشريف ، حيث نال شهادة العالمية مع اجازة التدريس سنة ١٩٥٣م وعين عقب ذلك مدرسا فى التعليم الثانوى بوزارة التربية والتعليم ، ثم رقى الى ناظر مدرسة اعدادية .

اهم بحوثه الاسلامية :

اخراج سلسلة « بناء الاقتصاد فى الاسلام » :

١ ــ بناء الاقتصاد فى الاسلام (من القرآن والسنة) طبع سنة ١٩٥٩ م

٢ ــ مذهب ابن عباس فى الربا بين مذاهب فقهاء السنة والشيعة ــ طبع سنة ١٩٧٢ م

٣ ــ علم العدل الاقتصادى : الطريق الالهى لشعوب العالم طبع سنة ١٩٧٤ م

٤ ــ الاقتصاد الاسلامى : منهج قرآنى نبوى متجدد ــ طبع سنة ١٩٧٧ م .

الواقع المر ..؟

للدكتور عبد الودود شلبي

فى رسالة من الهند ــ قبل خمسة وعشرين عاما ــ كتب «برناردشو الى صديق له فى لنــدن يقول :

لقد وضعت دائما « دين محمد » موضع الاعتبــار السامى بسبب حيويته العظيمة • فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية العيش فى أطوار الحيــاة المختلفــة • بحيث يستطيع أن يكون جذابا فى كل زمان ومكان •

ثم قال برناردشو :

لاشك فى أن العــالم يعلق أهمية كبرى على نبوءات كبار الرجال • وقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا فى الغد القريب • وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم • لقــد صــور « اكليروس القرون الوسطى » الاسلام بأحلك الألوان اما بسبب الجهل أو بسبب التعصب لقــد كانوا يمرنــون على كراهية محمــد وكراهيــة دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح • • ولقد درسته باعتباره ــ (رجلا) عظيما فرأيته بعيــدا عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى مخلص الانسانية •

وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حــل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم الســعادة التى هو فى أشد الحاجة اليها •

وفى الوقت الحاضر دخل كثير من أبنــاء أوربا فى دين محمــد حتى ليقال : ان تحول أوربا الى الاسلام قد بدأ • ولن يمضى القرن الحادى والعــشرين حتى تكون أوربا قــد بدأت تستعين به فى حل مشكلاتها •

ويؤكــد المستشرق الألمــانى « باول شمتنر » فى كتابه « الاسلام قوة الغد » هذا الكلام قائلا :

ان التاريخ سيعيد نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء من المنطقة

التى قامت فيها القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام، وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك — المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها ، تيارات القوى العالمية ، وقد أدرك على أسس لا تتوافر فى غيرها من وستقلب موازين القوى لأنها قائمة المفكر الانجليزى HILAIRE فاعلية هذه القوة حين كتب :

انه لايساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الاسلام — ان مثل هذه الحضارة لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون خطرا على أعدائه أيضا ..

ترى هل تصدق نبوءة « شو » التى أيدها « باول شمتز » أم تكذب ؟

لقد أفلست كل المذاهب والفلسفات فى الغرب ..

أفلست فكرا وتطبيقا ، وأفلست روحيا وانسانيا ، وأفلست علاجا وأفلست حلا .. ان كل شىء هناك يسير الى النهاية ، وقد فشلت كل العقاقير والأدوية فى انقاذ هذه الحضارة وقيمها البالية المتهرئة .. لم يعد هناك أمل فى الغرب كل شىء ينهار . ان أوربا — كما يقول المرحوم اقبال — تحتضر ..

والروح تموت عطشا فى سرابها الخادع .

فيها حضارة .. نعم .. ولكنها حضارة تحتضر وان لم تمت حتف أنفها فلسوف تنتحر غدا وتذهب ..

والحل الوحيد للأزمة العالمية كما يقول العلامة الندوى :

هو تحول القيادة ، وانتقال دفة الحياة من اليد الآثمة التى أساءت استعمالها الى يد أخرى بريئة حاذقة .. ان تحول القيادة العالمية من بريطانيا الى أمريكا ومنهما جميعا الى روسيا لا يغير من الموقف شيئا ، ان تحولا مثل هذا يكون أشبه بنقل مجداف السفينة من

اليمين الى الشمال اذا تعبت الأولى وبالعكس • فما دام المجداف واحدا • فلا فرق بين يمين وشمال ، وما بقيت سفينة القيادة العالمية تمخر فى ضباب أوربا وظلماتها • ان التحول المؤثر الواضح هو تحول عن أوربا بالمعنى الواسع الذى يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا •• الى الاسلام الذى يقود سفينته محمد صلى الله وسلم ••

وقد وصف ذلك شاعر الاسلام العظيم محمد اقبال فى قصيدته الرائعة « برلمان ابليس » فقال :

ان ابليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس « شورى » وتباحثوا فى شئون العالم وأخطار الغد وما يتهدد مملكة الفساد والشر •

فقال أحد الشياطين : ان الخطر على هذه المملكة الشيطانية من الحكم الجمهورى •

فقال شيطان آخر : لا يهولنك أمرها ، انها ليست الا غطاء للملوكية ونحن الذين كسونا الملوكية هذا الغطاء اذ رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا فألهيناه بلعبة الجمهورية• أما رأيت نظام الغرب الجمهورى له وجه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان !

فقال شيطان آخر : لا • لا • ان الخطر يتهدد مملكتنا من الشيوعية هل عندكم نبأ هذه الفتنة التى أثارها ضدنا اليهودى كارل ماركس؟ لقد أثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الامارة والسيادة ••

فقال ابليس معترضا على أعوانه مهدئا :

انى أملك زمام العالم وأتصرف فيه كيف أشاء • انى لا أخاف هؤلاء ولا هؤلاء • انى أخاف فقط من أمة لا تزال شرارة الحياة فيها كامنة ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا • ان الاسلام هو فتنة الغد ، وداهية المستقبل • ليست الشيوعية ولا الجمهورية ، وأنا لا أجهل أن

هـذه الأمة قد اتخذت القـرآن مهجـورا ، وأنهـا شغفت بالمـال وفتنت بجمعه .. أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن علمـاء الاسلام وشيوخه لم تعد لهم تلك اليـد البيضـاء التى تشرق بهـا الظلمـاء ، وتضىء بهـا العـالم !

ولكنى أخاف أن قوارع الدهر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس . أضربوا على أذان المسـلم فانه يستطيع أن يبطـل سحرنا بأذانه وتكبيره .. يا ويلتنا وشقوتنا اذا انتبهت هذه الأمة ودبت فيها الحياة ..

ونحن نعـرف أن هنـاك جهودا جبارة تبـذل منـذ قرون لحصر الاسلام فى دائرة الاعتقاد، والشعائر التعبدية ، وكفه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية ومنعـه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى حقيقته وكما هى وظيفته. فعلت ذلك الصليبية قديما، وتفعـل ذلك الشيوعية والصهيونية حديثا ، ولكن أخطر هذه المواقع وهذه العقبات هو الواقع الاسلامى بكل ما فيه من تناقضات مميتة ، وما يقع فى ربيعه من أحداث مفزعة مخيفة .

فبالرغم من الصراعات السياسية التى تمزق وشـائج الوحـدة بين الأشقاء والاخوة فان العمل الاسلامى يتأثر فى الواقع بفعل هذه الخلافات السياسية ، ثم ان المنظمات العاملة فى الحقل الاسلامى لم تسم بعد الى مستوى « الكلمة الصادقة » التى تفرض نفسـها لمصـلحة الاسـلام والعقيدة ، بل تجد نفسها ــ طائعة أو مكرهة ــ طرفا فى هذه الخصومات الرخيصة ومعولا من معاول الهـدم فى جسم الأمة الاسلامية ..

مثلا ...

أين كان علماء الاسـلام عندما وقعت (حرب اليمن) وقاتل فيهـا المسلم أخاه المسلم بسلاح الغـاز والنابالم ؟ وأبيدت فيهـا القـرى الآمنة والمساجد ؟

لقد سكتت أصوات جلة العلماء عندما وقعت هذه الكارثة ، والذين

تكلموا منهم فى ذلك الوقت قالوا أسوأ ما يقال بالنسبة لهذه المأساة وتلك الكارثة .. !

أين كان علماء الاسلام حين احتدمت الحرب بين الجزائروالمغرب واستدار فيها المسلم ليقتل أخاه المسلم بسلاحه ؟

لم يتكلم أحد . الذى تكلم فقط كان «الفاتيكان» وسيىء الذكر « (هيلاسلاسى ») !!

أين كان موقف علماء الاسلام من تلك « الايديولجيات » التى فرضت على شعوبهم بالقوة والعنف والتهديد والبطش ؟ لقد سكتوا . والذين تكلموا حاولوا التوفيق بين الايمان والكفر ، والباطل والحق ، وروجوا لمفاهيم خاطئة تحاول مهادنة الباطل ، واعطائه صفة الحق!

أين كان موقف علماء الاسلام ؟

من هذا التحريف والتجديف الذى ملأ الساحة الاسلاميةوالعربية بشعارات زائفة ، ودعوات ملحدة، وأصوات بشعة منكرة ؟

لا شىء .. لقد آثروا السلامة ، وركنوا الى الراحة ، وتركوا الساحة خالية أمام الشياطين يعيثون فسادا فى الأرض ..

وأين كان موقف علماء الاسلام فى قضايا الفقر وقضايا الحرية وقضايا الشعوب الاسلاميةالمضطهدة فى الشرق والغرب ؟

لا شىء .. لقد اختفوا تماما من الميدان ، ومن ظهر منهم كان ظهوره عونا للظلم والطغيان .. أو ضحية لاقت حتفهافىغيابة الجب والليمان .

ان هناك شعوبا مسلمة لا تجد لقمة الخبز،بينما هناك شعوب أخرى لاتجد ما تنفق فيه المال وما توفر منه ادخرته فى (بنوك) الربا والعدوان وفى بلاد اعدائهم المتربصين بهم فى كل مكان ..

ان العلماء ورثة الأنبياء ،ومقتضى هذه الوراثة ان يكونوا عاملين بما دعا اليه الأنبياء ..

وقوف مع الحق ضد الباطل .

ومع الحرية ضد الطغيان .

ومع العدالة ضد الظلم .

ومع الأشقياء والمحرومين ضد المتخمين والمترفين فى أماكن الدنس والرجس .

ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم ، وحق العلم وزكاته انما هو العمل بهذا العلم ..

بغير ذلك لن تسمع لهم كلمة ، ولن ترفع لهم راية ، ولن يعودوا ـ كماكانوا ـ قادة تدين لهم الشعوب بالطاعة والتوقير والحب ..

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة فى مصر ، وفى السعودية ، وفى الكويت وفى الجزائر .. مؤتمرات تفوق الحصر ، وتتنوع اسماؤها تحت كل وصف ..

فما هى نتيجة هذه المؤتمرات فى الواقع ؟ وما ثمرة هذه الهيئات والمؤسسات فى الأمة والمجتمع ؟

لا شىء .. فالمسلمون لايزالون عالة على أعدائهم فى كل شىء ..

فى الصناعة : لم تقم صناعة متقدمة فى أى بلد اسلامى الى اليوم ..

فى العلوم : لا تزال تحبو فى طريقها ونحن الذين علمنا غيرنا هذه العلوم بالأمس ..

فى عالم الاختراعات والكشوف: لم نسمع فى أى بلد اسلامى باكتشاف واحد يسجل لهذا البلد سبقا فى هذا الفن ..

النصارى ..ملكوا القنبلةالذرية
اليهود ..يملكون هذا السلاح أيضا ..

الوثنيون .. فجروا قنابلهم الذرية قريبا من دار السلام ..

الملاحدة .. يملكون هذه الاسلحة بكل أنواعها ..

أما المسلمون الذين يأمرهم دينهم بالعلم ، وتقوم عقيدتهم على الدراسة والبحث ويعتبر مناط التكليف فى دنياهم وآخرتهم على العقل والفكر ..

فماذا اخترعوا أو اكتشفوا ..

لا شىء !

حتى العلاقات الانسانية لم تنجح فيها . نحن الذين وضع دينهم أسمى وأرقى المبادىء للتعامل بين الانسان والانسان بل بين الانسان والحيوان ..

بل بين الانسان والكون بكل ما فيه من ظواهر وكواكب وبحار وشهب ، وجماد ونبات ، فما هو أثرنا فى ذلك كله ؟

النظافة تكاد تكون معدومة فى حياتنا . وديننا دين يقوم على النظافة ويعتبرها من الايمان .

النظام : يكاد يكون معدوما وعبادتنا وشعائرنا تهتف بهذا الالتزام .

الأمانة : اتقان العمل .. وكلها أشياء من صلب الايمان والعقيدة.

لقد أسلم عالم فرنسى عن طريق الدراسة ، ورأى فى الاسلام ما لم يره فى أى — دين أو حضارة ، ثم رأى أن يزور بلاد الاسلام ليمتع عينيه برؤية تلك المثل والمبادىء فى واقع الحياة والتجربة ، ولم تكد قدمه تطأ أول بلد اسلامى حتى رجع حزينا الى بلده . وحين سأله صديق عن سبب عودته قال متأسفا :

الحمد لله الذى جعلنى مسلما قبل أن أرى المسلمين !!!

ان الفرقة لا تزال تمزق كياننا فى هذا العالم ، لاتزال الخلافات الفكرية والمذهبية تشوه وجه الدين وتعاليمه السامية .. نحن الذين يعتبر ديننا هذه الفرقة من الكفر .. ولم تقم بيننا تلك الخلافات أو الحروب التى اشتهربها مخالفونا فى العقيدة والرأى .

ومع كل هذا فقد نسينا جوهر العقيدة ، وتشعبنا فرقا وطوائف مختلفة ، ومع تقدم وسائل الاعلام والنشر تجسمت هذه التوافه حتى أصبحت تمثل فى حياتنا عقبات كثيرة ولا تزال دعوات التقارب تتعثر فى أودية الحقد والضغينة ، والجهل والسفاهة فى الوقت الذى نسمع فيه باعلان « الفاتيكان » تبرئة اليهود من محاولة الصلب ، واقامة صلوات مشتركة تجمع بين الكاهن والحبر!

لقد صرخت فزعا فى أحد مواسم الحج ، وأنا جالس فى رحاب الكعبة حين رأيت رجلا يوزع كتيبا يتهم فيه طائفة مسلمة بالكفر ، وكان من

هذه الطائفة رجال يجلسون بجوارى فى نفس الوقت . وسلم «الجاهل» أحدهم هذا الكتيب وهو لا يعرف من المقصود بهذا الجهل .. لقد صرخت فى وجه هذا الاحمق وجمعت ما بيديه من هذه الوريقات وانصرفت .

هل من الاسلام أن تتهم رجلا يسعى معك ، ويطوف معك ، ويصلى فى المكان الذى تصلى فيه هل من الاسلام أن تتهمه بالكفر ، وتحرمه الأمن والطمأنينة فى أقدس مكان عرف بالطمأنينة والأمن !!

ما قيمة هذه المؤتمرات ان لم تزرع الحب فى القلوب ، وتنزع الشك من النفوس وتحرر العقول من قبضة الجهالة والتعصب ؟

ما قيمة هذه المؤتمرات ان لم تفسر الدين تفسيرا يحقق الغاية من نزوله والحكمة من وجوده ونوضح للناس مزاياه وآثاره فى بناء الفرد والمجتمع ؟

ماقيمة هذه المؤتمرات ان لم تجمع الناس على كلمة الحق ،وتقود جماهيرهم المتعبة الى ساحة الأمان والخير .

ماقيمة هذه المؤتمرات ان لم تبصر الناس بحقائق الدين ، وتنفى عن العقيدة خبث الانحراف والتدجيل وتقف بوضوح وجلاء فى وجه الضالين والمضللين ؟

ان تقصيرنا فى هذا الأمر يفتح الباب أمام المذاهب الهدامة ، والدعوات المنحرفة ، ويشجع المارقين والشاردين على سلوك طرق غير مشروعة ، ويفتح الباب أمام كل (مخبول) يزعم للناس أنه (البطل) و « المنقذ » لتعاليم السماء من الكفر والهرطقة ..

لقد كان (الأفغانى) صادقا حين سئل عن الاسلام وامكانية انتشاره فى أمم الغرب . فقال :

نعم .. يمكن ذلك فى حالة واحدة حين تثبت بالدليل والبرهان أن « مسلمى اليوم » هم مسلمون فقط بالقول لا بالفعل ..

ان واقع العالم الاسلامى لايسر فى العالم العربى خلافات تقوى كل

يوم وتشتد ، وفى آسيا وافريقيا لا تجد دولتين اسلاميتين متفقتين فى الوسيلة والقصد ..

ومع ذلك تسمع كل يوم عن مؤتمر يعقد ، وندوة تقام ، وهيئات وجماعات تحمل كلها اسم الاسلام وأموال كثيرة تنفق على الدعاية والاعلان ثم ماذا بعد ذلك فى دنيا الاسلام . كلام فى كلام وقرارات تنسى وتطوى قبل أن ينتهى حفل الختام ..

ان الفرص المتاحة أمام العالم الاسلامى لم تتجمع بمثل هذه الوفرة التى أتيحت له فى هذا اليوم ...

عقيدة تنبض بالحياة والحركة..

وثروة هائلة من الخامات والطاقة ..

وموقع فريد لا يتهيأ نظيره فى أية بقعة ..

وعلى العرب والمسلمين أن يعوا هذه الحقيقة ، وأن يكونوا ـ قبل أن يقولوا ـ قدوة وأسوة ..

وهذا المؤتمر الذى ينعقد فى القاهرة ، يجتمع لأول مرة فى ظروف تختلف عن كل الظروف السابقة ، انه ينعقد فى مصر (المسلمة) ومصر (الحرة) ومصر (السادات) الذى تعهد ـ أمام الله ـ الا يقهر رأى ولا يكبت فكر تحت أى ظرف وبأى سبب .

فاسأل نفسك ايها المسلم من انت؟ أأنت فى مرحلة الحياة أم الموت ؟ أنشد العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة مقامك .. أولها عرفانك لذاتك .. فانظر نفسك فى نورك أنت .. والثانى معرفة ذا أخرى..

فانظر نفسك فى نور سواك

والثالث المعرفة الالهية

فانظر نفسك فى نور الله

فاذا كنت ثابت الروع فى حضرة نوره ....

فاعتبر نفسك حيا باقيا مثله ..

فلتكن لك قوة الفولاذ فى نضال الحياة ..

اعبر كالسيل وسط الصحارى والجبال ...

فأنت أيها المسلم يد قدرة الله...

وقد حان الوقت لتبوءمن أيها الغافل .. !

د . عبد الودود شلبى

تعريف بصاحب مقال

(الواقع المر ... !)

د. عبد الودود شلبى

* من مواليد (ميت عفيف) محافظة المنوفية سنة ١٩٢٥ م

* تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى معهد القاهرة ، ثم حصل بعد ذلك على الشهادة العالية من كلية أصول الدين ، والعالمية مع الاجازة سنة ١٩٥٣ م .

* حصل على شهادة الدكتوراه PH. D من كلية الدراسات الشرقية ORIENTAL COLLEGE فى باكستان وكان بحثه فى هذه الشهادة عن « الأصول الفكرية لحركة المهدى وكان موضوع السودانى ودعوته » .

* عمل فترة بالتدريس ، ثم انتقل الى وزارة الأوقاف مفتشا عاما للشئون الثقافية ، ونقل الى الأزهر بعد ذلك رئيسا للسكرتارية الفنية فى مكتب الامام الأكبر شيخ الأزهر المرحوم الشيخ شلتوت سنة ١٩٦٢ م .

* شارك فى نشاط المؤتمر الاسلامى بالقاهرة ، وتولى الاشراف فى هذه الفترة على تحرير مجلة « نور الاسلام » لسان حال علماء الدعوة والارشاد فى الأزهر .

* عمل بعد ذلك مديرا للمساجد والشئون الاسلامية فى امارة الشارقة — دولة الامارات العربية .

* سافر الى أوربا للدراسة ، واشترك فى مؤتمرات اسلامية كثيرة وطاف معظم بلاد العالم الاسلامى فى آسيا وافريقيا.

* من مؤلفاته : « كيف أرى الله » و « حتى لا نخدع » و « مجتمع بلا فوارق » ..

* يعمل حاليا مديرا ورئيسا لتحرير مجلة الأزهر ..

بين الموالاة والمعاداة

للدكتور عبد الفتاح بركة

طبيعة الخلاف بين البشر :

كثيرا مايقع الخلاف بين الناس فى شتى مجالى الحياة وميادينها ، خلاف فى العمل خلاف فى المال ، خلاف فى الرأى ، خلاف فى المذهب والمعتقد ، خلاف فى الصغير ، وخلاف فى الكبير ، وهذا الخلاف مشاهد واقع ، لا تكاد تخلو عنه ساعة من زمان .

وقد يكون السبب الظاهر فى الخلاف شيئا تافها ، لا يكاد يبالى به أحد ، ويتعجب الناس من أن يكون مثل هذا الشىء التافه مثار خلاف ، وقد يكون شيئا كبيرا فى رأى العين ، فلا يثير مثل هذا العجب ، ولكن الخلاف هو الخلاف .

وقد يتطور الخلاف ليصبح خصومه أو عداوة ،أو حربا باردة ، أو ساخنة ، أو ضروسا ، وقد يظل الخلاف هادئا مستكنا فى الضمائر ، ولكن الخلاف يظل هو الخلاف ، ويظل حاجزا وحاجبا يقوم بين المتخالفين ، يكدر صفوهما ، ويقطع وشائجهما ، ويمنع بينهما سبل التلاقى .

وعندما نفحص عن كل حالة من حالات الخلاف لنتبين السبب الحقيقى الكامن وراء الأسباب الظاهرة ، نجد أن هذا السبب يرجع الى التمييز بين العدل والجور بين الانصاف والظلم ، بين الأمانة والخديعة ، بين الصراحة والنفاق ، وفى مآل الأمر بين الحق والباطل ، فعندما تنتهك حرمة الحق فى أمر من الأمور ، بصورة من الصور ، يغضب أصحاب هذا الحق ،بصرف النظر عما يتعلق به هذا الحق ، سواء كان صغيرا أو كبيرا .

وأيا ما كان مثار الخلاف ، فان الحق لابد أن يكون هو حجة المتخلفين

المحق منهما والمبطل ، ولو كان المبطل على بينة من أمره ، علما منه بأن فى الناس فطرة لا تقبل الباطل الصريح .

تلك ـ اذن هى الطبيعة البشرية التى تقف وراء كل خلاف ،انها تهدأ وتسكن فى كنف الحق ، ولاترتاح الى شىء من الباطل ، ومن جاوز الحق صراحة الى الباطل ، سواء فى التافه الحقير ، أو الجليل الخطير ، أثار الخلاف والخصومة ، ولايروج الباطل الا فى غيبة الحق وأهله ، أو فى ثوب زائف عليه سيما الحق ، أو تحت سطوة القهر والطغيان ، وممالأة الباطل والمبطلين .

الناس فريقان :

واذا كانت هذه طبيعة النفس البشرية ، فمن المفهوم ـ اذن ألايرتاح محق لمبطل ، ولايسكن اليه لأن الباطل لا يوجد الا على حساب الحق ، ولا يزداد باطل الا بنقص حق ، ومن هنا وقع التحاجز والخلاف والصراع بين الناس فى كل أمر بحسب ما يقع فيه من عدوان .

ان الحق والباطل لا يلتقيان فى شىء واحد بعينه ، نعم قد يتعاقبان عليه لأن وجود أحدهما ينفى الآخر ولابد .

والحق فى شىء صغير كالحق فى شىء كبير ، ومن تعود الاعتداء على الحق فى المسائل الصغيرة ،هان عليه الاعتداء على الحق فى المسائل الكبيرة ، ومن تعود التفريط عندما ينتهك الحق فى المسائل الصغيرة ، هان عليه التفريط عندما ينتهك فى المسائل الكبيرة كذلك من لا يطيق انتهاك الحق فى صورة من الصور ، لايطيق انتهاكه فى بقية الصور .

وحياة الانسان ـ فى مجملها ـ ليست الا مجموعة من المواقف ، يصدر فيها عن طبيعة تميل به الى جانب الحق ، أو تميل به الى جانب العدوان ، أو يصدر عن التزام واع لأحد الجانبين .

ومن هنا كانت المواقف بحيث تقسم الناس تقسيما طبيعيا ـ الى فريقين : فريق يلتزم الحق ، فى مقابل فريق يلتزم انتهاكه « قل كل يعمل على شاكلته » (الاسراء ٨٤) .

❊ ❊ ❊

ومعالجة هذه المواقف قد تتم لدى الانسان بطريقة فردية تلقائية ، بحيث يعالج كل موقف منها على حياله ، وهو عندئذ يكون تحت تأثير ميله الحاضر ، ان كان الى جانب الحق ، أو كان الى جانب الباطل ، ويغلب عليه حينئذ أن تكون رؤيته غير واضحة تماما •

وقد يكون الانسان بحيث يضع كل موقف جديد فى مكانه المناسب من سلسلة المواقف ، لتكون فى اطار واحد يضفى عليها التناسق والتماسك عندئذ يكون هناك منهج معين يلتزمه الانسان ، ويبنى عليه حياته ، ويجعله مقياسا لكل تصرف ، ويغلب عليه حينئذ أن يكون أوضح رؤية وأكثر تناسقا •

وليس من الضرورى أن يكون هذا المنهج مشتركا بين الناس جميعا ، والا لما اختلفوا ، ولكن المناهج تختلف ، فيختلف الناس فى معيارهم ، وفى حكمهم على الأشياء ، وعلى المواقف والسلوك ، ويتمسك صاحب كل منهج بمنهجه يدافع عنه ، ويكافح فى سبيله ، باعتباره منهج الحق •

والحق من هذه المناهج واحد لا يتعدد ، أما الباطل فلا تكاد تعد مناهجه •

وصاحب منهج الحق لا يستطيع أن يتقبل منهجا غيره •

ومن هنا انقسم الناس ــ تقسيما منطقيا ــ الى فريقين : فريق يلتزم منهج الحق وفريق على الجانب الآخر ، حيث تعددت بهم مناهجهم وسبلهم ، ومن ثم يقع الاتفاق بين أهل الحق على حقهم ، ويقع الاختلاف بين أهل الباطل على باطلهم ، وقد من الله على المسلمين بهذه الوحدة قائلا « ان هذه أمتكم أمة واحدة » الأنبياء ٩٢ • ووصف الكافرين بالفرقة قائلا: «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء» الانعام ١٥٩

* * *

هذا الانقسام الذى حدث كنتيجة طبيعية ومنطقية تقتضيه طبيعة الأشياء ، وفطرة الانسان ، فكما أن الحق والباطل لا يلتقيان كذلك أهل الحق وأهل الباطل

لايلتقيان ، يحجز بينهما ما يحجز بين الحق والباطل ، كذلك يكونون فى الدنيا : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » البقرة ٢٥٧ • وكذلك يكونون فى الآخرة : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا » مريم ٨٥ ــ ٨٦ • « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » الشورى ٧ •

وهذا الانقسام الى فريقين يبرز من خلال قضية واضحة ، أن الباطل ــ فى حقيقته ــ هو انتهاك الحق ، والعدوان عليه ، والمجاوزة لحدوده ، وأن أهل الباطل يعتدون على أهل الحق ، ويتعدون ماينبغى لهم ، وأن أهل الحق لايقبلون الباطل ، ولا يقبلون عدوان أهله ، وهكذا ينقسم الناس فريقين ، وينشأ الصراع •

ولايستريح أهل الحق لبقاء باطل الا كان ذلك تفريطا فى الحق وتضييعا له •

الموالاة بين المؤمنين :

ولقد من الله على المسلمين ، فهداهم الى عقيدة التوحيد ، وبنى لهم عليها منهجا واضحا ، هو المنهج الحق الذى لا يشوبه باطل ، فطلاب الحق يأرزون الى هذا الدين ، ويستمسكون به ، ولا يتصورون امكان الخروج عليه لحظة واحدة •

لذلك جمعتهم عقيدة التوحيد فى طريق واحدة ، ووضعتهم على نهج واحد ، فألفت بين قلوبهم ، وربطت بينهم برابطة الأخوة والموالاة الدينية ، وجعلت لهذه الرابطة المقام الأول فى العلاقات التى تقوم بين بنى البشر • وبمقدار انطباع النفس بهذه العقيدة يكون نفورها وابتعادها عن الباطل وأهله، ويكون ميلها وهواها مع الحق وأهله ، حتى تصبح معهم كالعضو من الجسد ، فالحق هو المبدأ ، وهو الغاية ، وهو لحمة النسب والقرابة ، وهو الرابطة المشتركة والمتبادلة ، فحق على المسلم أن يشعر نحو أخوة دينه بولاء عميق بعيد الغور ، لا تنفصم عراه ، ولا تهن أواصره ، ذلك لأن ولاء المسلم

مرتهن ومرتبط بعقيدة التوحيد ، وهى الحق الذى آمن به ، فحيث وجدت كانت محبته وولاؤه .

انه يبنى بها حياته ، ويؤسس عليها نظامه ، ويغار عليها من كل شائبة ، ويدفع عنها كل عدوان ، ويبذل وسعه فى نشرها ونصرها ، فكل من يعتدى عليها فعليه اعتدى ، وكل من يدافع عنها ويؤيدها فعنه دافع ، وله أيد ، لا جرم كان شعوره نحو هؤلاء الذين يشاركونه فى عقيدته ، ويقفون معه موقفه بعينه ، هو شعور المحبة العميقة ، والولاء المتبادل ، والتعاون والتناصر .

وقد عبر الله سبحانه عن هذه الولاية ، وشرفها بولايته ، فقال « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة ٥٥ ــ ٥٦ ، ووصف ولاية المؤمنين بعضهم مع بعض بأنها تعاون على البر والمعروف وطاعة الله ورسوله ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » التوبة ٧١ ، ثم توج ذلك كله بولايته ولاية محض ، فقال « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » البقرة ٢٥٧ ، « والله ولى المؤمنين » آل عمران ٦٨ ، « واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » الحج ٧٨ ، « والله ولى المتقين » الجاثية ١٩ .

وطالبنا بالمحافظة على هذه الولاية ورعايتها ، حتى لا تتفكك هذه الآصرة بين المؤمنين ، وعندما تنبت بين طائفتين من المسلمين نابتة خلاف أو شجار ، فعلى بقية المسلمين أن يبذلوا جهدهم لرأب الصدع ، وازالة أسباب الخلاف ، والاصلاح بين المتخالفين حسب قانون ونظام معين ، « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى

أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » الحجرات ٩ ، ١٠

ومن لم يشعر فى نفسه بهذه الغيرة التى تدفعه لموالاة المؤمنين ، واصلاح ذات بينهم ، فمن ضعف شعوره بالولاء للحق ولعقيدة التوحيد ، ويخشى اذا تمادى به الاهمال وعدم المبالاة أن يصل به الضعف الى درجة يفقد فيها أصل الشعور بعقيدته .

ممالأة أهل الباطل تنقض موالاة الحق:

والآخرون قد يكونون فى غفلة عن هذا الدين ، لم تصلهم أنواره ، ولم تبلغهم هدايته ، وقد يكونون من أهل الباطل ، ممن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، فتشعبت بهم السبل ، واختلطت عليهم وأصبحوا كل حزب بما لديهم فرحون .

لقد جمعهم الباطل — على الرغم اختلاف طرقه وتشعب سبله — على عداوة الحق ، وانتهاك حدوده ، والكفر به ، فهم على ذلك يتناصرون ، وفى سبيله يتعاونون ، ويتبادلون النصرة والموالاة ، « وان الظالمين بعضهم أولياء بعض » الجاثية ١٩ ، « والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » التوبة ٦٧ .

واذا كان قد تقرر أن لا وجود للباطل الا على حساب الحق ، ولا حياة لأهل الباطل الا بانتهاك الحق والعدوان على أهله ، فحق على المسلم أن يقف منهم موقف الحذر والريبة ، وألا يأمن جانبهم ، ولا يطمئن اليهم ، ناهيك بمعاونتهم وموالاتهم .

ومن شأن المسلم أن يعمل على حصر هذه الموالاة على الباطل فيما بين الكافرين ، لأنه ان دخل بينهم فيما دخلوا فيه ، اختلط الباطل بالحق ، وفشا فيه الفساد ، يقول تبارك وتعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن

فتنة فى الأرض وفساد كبير » الأنفال ٧٣ .

ومن مال الى أهل الباطل فالى باطلهم مال ، وان لم يشعر ، «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون » هود ١١٣ ، ويكون عندئذ قد مال فى نفسه عن الحق بمقدار ما مال فى نفسه الى الباطل ، فاذا تبعهم على شيء من باطلهم ، وسلك سبيلهم كان مشاقا للحق ، مشاقا لله ورسوله « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » النساء ١١٥ .

ان الميل الى الكافرين من أهل الباطل ، واسرار محبتهم ، أو الاعجاب بهم وبأفعالهم ، ومسالأتهم على شيء من عقائدهم ومبادئهم ، أو على شيء من سلوكهم وتصرفاتهم ، يعنى فى الطرف الآخر انتقاض الولاية للمؤمنين من أهل الحق ، والانحراف عن سواء السبيل بقدر ما دخل فى الطريق الأعوج .

فاذا تطور الأمر الى حد نصرتهم وتأييدهم وموالاتهم ، كان ذلك خروجا من سبيل المؤمنين ، ودخولا فى طريق الكافرين ، واستحق صاحبه أن يبرأ منه الله ورسوله والمؤمنون « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنون ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة » آل عمران ٢٨ ، وأن ينظر اليه على أنه فرد من أهل الباطل الذين يتولاهم « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » المائدة ٥١ .

ان الحق هو الفيصل ، والتوحيد هو الأساس الذى ينظر من بعده الى بقية العلاقات ، فاذا سلم هذا الأساس قبلت بقية العلاقات ، ووثقتها ولاية الايمان ، واذا لم يسلم هذا الأساس لم يكن لبقية العلاقات مثل هذه الولاية ، ولو كانت علاقة الأبوة والبنوة « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان

استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » التوبة ٢٣ .

عداوة الكافرين للمؤمنين ثابتة :

انها من حيث المنطق قضية لا تحتاج الى دليل ، انطلاقا مما سبق أن ذكرناه من أن الباطل لا يعنى الا انتهاك الحق والعدوان عليه ، والكفار هم أهل الباطل ، الذين يكفرون بالحق وينكرونه ، والمؤمنون هم أهل الحق ، وهم هدف العدوان من الكافرين ، ولا يستطيع الكافرون ـ مهما حاولوا ـ أن يتخلصوا من عدواتهم للاسلام وأهله ، الا باتباع الحق .

واذا كانت هذه القضية واضحة من الناحية المنطقية والنظرية ، فانها فى الأمر الواقع أكثر وضوحا .

ومن يلقى على تاريخ المسلمين ـ منذ جاهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام ـ نظرة سريعة ، يجد أن تاريخهم كله عبارة عن معارك متعددة الصور والأشكال فى مجاهدة الكفر والكافرين ، دفاعا عن الحق وذودا عن ديارهم .

وقد وصفهم الله سبحانه بهذه العداوة ـ فى القرآن الكريم ـ فى مثل قوله « ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » النساء ١٠١ ، وفى مثل قوله « ألم تر الى الذين أوتو نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياوكفى بالله نصيرا » النساء ٤٤ ، ٤٥، وفى مثل قوله :« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الأنفال ٣٦ ، وفى مثل قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » الممتحنة الآية الأولى .

وهذه العداوة التى وصفها القرآن فى كثير من آياته تتخذ أشكالا وصورا متعددة .

من أشكال عداوتهم ومظاهر عدوانهم:

استمع الى قول الله تعالى :

« كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولا ذمة

يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ماكانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون . فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلوا قوما نكثوا أيمانكم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » التوبة ٧ــ١٣ .

واستمع الى قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط » النساء ١١٨ ــ ١٢٠

والى قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » البقرة ١٢٠ .

والى قوله تعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم » آل عمران ٦٩ .

والى قوله تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » النساء ٨٩ .

والى قوله تعالى : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » الممتحنة ٢ .

من هذه الآيات وأمثالها يتبين لنا الطبيعة العدوانية للكفر والكافرين مع الايمان والمؤمنين ، انهم لا يهدءون ولا يستريحون مالم يتمكنوا من طمس أنوار الحق ، واعادة المؤمنين الى متاهة الكفر والباطل ، وهم يعملون لذلك بكل وسيلة تواتيهم ، فان كانوا فى حالة

قوة ومنعة جاهروا بالعـداوة ، وبطشـوا جبارين ، وان كانوا فى حالة ضـعف لجئـوا الى الدس والخديعة ، والمكر والحيلة ، واثارة الفتن بين المؤمنين ، وفى سبيل ذلك:

(أ) يقومون بالصـد عن سبيل الله ، وبذل كل ما يسـتطيعون من أجل ذلك : « قل يأهل الكتاب لم تصـدون عن سـبيل الله من آمن يبغـونها عوجا وأنتم شـهداء » آل عمـران ٩٩ ، « اشتروا بآيات الله ثمنـا قليـلا فصـدوا عن سـبيله » التـوبة ٩ ، « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الأنفال ٣٦ .

(ب) يظهرون البغضاء والعدواة، ويبسطون اليـد بالأذى ، واللسان بالسوء عند القدرة ، ويضـمرون الغضب والغيظ عند العجز: «ودوا ما عنتم قد بـدت البغضـاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر» آل عمـران ١١٨ ، « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضـعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليـا بألسنتهم وطعنا فى الدين » النساء ٤٦ ، « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أو يخرجوك » الأنفال ٣٠

(جـ) يسعون فى منع الخـير عن المسلمين ، وفى الحاق الضرر والأذى بهم : « ان تمسكم حسنة تسؤهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بهـا » آل عمران ١٢٠ .

(د) لا يلتزمون فى حق المسلمين بعقد ولا عهد:«لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » التوبة ١٠ ، ويتخذون دينهم هزوا ولعبـا .

(هـ) يقـاتلون المؤمنـين على ايمانهم : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الحج ٣٩ ، « وقاتـلوا فى سبيـل الله الذين يقـاتلونـكم » البقرة ١٩٠ .

(و) يحاولون اخراج المؤمنين عن دينهم وردهم كفارا « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استـطاعوا » البقـرة ٢١٧ ، «ود كثيرمن أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من

عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » البقرة ١٠٩ .

(ز) يقومون باخراج المؤمنين من ديارهم وأهليهم وأموالهم « يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » الممتحنة ، الآية الأولى .

موالاة الكافرين من فعل المنافقين :

يقول تبارك وتعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ... » النساء ١٣٨ — ١٣٩ ، فوصف المنافقين بمظهر شنيع من مظاهر نفاقهم ، وهو اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

ولا شك أن المسلم حين يوزع ولاءه بين المؤمنين فى جانب والكافرين فى جانب آخر يدل دلالة صريحة على أن قلبه لم يطمئن بالايمان ، وأن فكره وضميره لم يتشبع بالحق ، وأن استمساكه بالحق استمساك ضعيف متهافت لا يمنعه من بذل ولائه للغير .

وكيف يتفق لامرىء سوى عاقل أن يتولى الحق والباطل معا ، وأن يكون بقلبه مع أهل الحق ومع أهل الباطل على السواء !! : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » النساء ١٤٣ .

هل يتوقع من انسان عاقل أن يهدم ما يبنيه ؟ كذلك من يتولى المؤمنين يبنى فى صرح الحق ، ومن يتولى الكافرين يسعى فى خراب هذا الصرح ، ومن يجمع فى نفسه بين الولاءين يكون كمن يبني فى هذا الصرح بيد ، ويسعى فى خرابه باليد الأخرى ، وضره أقرب من نفعه . ومثله يظل مع المؤمنين طالما كانت الدولة لهم ، يفىء الى ظلهم ، ويرفل فى برهم وخيرهم ، فاذا دالت دولتهم ، واعتورتهم طوارق الحدثان انقلب على وجهه : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » الحج ١١ .

فأهل النفـاق كذلك يفعلون ، يظهـرون بالايمـان بين المؤمنين ، وعواطفهم ومشاعرهم مع الكافرين، وقد يتجاوزون مرحلة العـواطف والمشـاعر الى مرحـلة التعاطف والتعاون .

واذا ظن المسلم أنه يستطيع أن يحتفظ بايمـانه قويا سـليما ، مع بذله شيئا من الولاء لأعداء دينه ، ولو كانوا أقرب الناس اليه ، فقد غرته نفسه ، وضحك عليه شيطانه ؛ ووقـع فى النفـاق وكان من الخاسرين .

وماذا يفعـل المنافقون أكثر من ذلك ! ؟؟ : « تـرى كثيرا منهـم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهمأنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولـياء ولكن كثـيرا منهم فاسقون » المائدة ٨٠ ــ ٨١ .

من دوافع الموالاة للكافرين :

لا يستطيع أحد أن ينكر وجود علاقات مختلفة تربط بين النـاس بروابط بعضها واه وبعضها وثيق ، وأن هذه العلاقات حيوية لا يمكن تجاهلها أو الاغضاء عنها .

وفى مقابل ذلك لا يمكن لأحـد أن ينكر أن كثيرا من هذه العلاقات يتعارض ويتضارب ، بحيث لايمكن للانسان أن يجمـع بينها بالوفاء ، الا كان ذلك داعيا الى اضـطراب مزاجه وحياته .

وما لم يكن للمرء تصور واضح لأولويات هـذه العلاقات ، بحيث يعطى كل علاقة حقها ، ولا يضحى بالمهم منها فى مقابل غير المهم ، فان تقديره للأمور يختل ، وتدبيره فى العلاقات ينتقض .

وعقيدة التوحيد تعالج هـذه المسـائل بمقيـاس ثابت موحـد لا يتغير ، يكفل للمسلم وحـدة نفسه ، وسـلامة شخصيته ، دون أن يتعرض للخلل أو الاضطراب .

انها هى فى نفسـها مقياس كل علاقة فى حياة المسلم ، فما دام قد اتخذها مبـدأ ، وشرعتها منهاجا ،

وغايتها هـدفا ، فان كل ما يتفـق معها ، ويعين عليها ، يكون محترما ومعتبرا ، وما يتعـارض معهـا ، أو يمس جانبـا منها أدنى مساس يكون منتبذا ومطرحا ، لا وزن له ولا اعتبار .

هكذا الشأن فى علاقات المسلم . ان عقيدة التوحيد تجب ما يتعارض معها مبـدأ أو غاية أو سـلوكا . وتوثق بعد ذلك كافة العـلاقات ، ما دامت لاتنقض أصلا من أصولها، ولا تمس فرعا من فروعها .

وعلاقة البنـوة والأبوة والأخوة وغيرها من علاقات النسب والرحم ، من هذه العلاقات ، فما دامت بين المؤمنين ، فان عقيدة التوحيد تزيدها رسوخا وثباتا ، وتعمل على تقويتها بكل وسيلة من وسائل الخير والبر والرحمة..والموالاة،أما اذا كانت بين مؤمن وكافر وتعارضت العلاقتان ، علاقة العقيدة ، وعلاقة القرابة ، فان علاقة المؤمن بعقيدته أولى من علاقته بذوى قرابته، ولذلك فليس للمؤمن أن يأسى على علاقة تفقـده دينه ، وتخرجه عن ايمـانه ، وتطرحه مع الكافرين فى غضب الرب جل شأنه: « وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » العنكبوت ٨ ، « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهمـا وصـاحبهمـا فى الدنيا معـروفا » لقمان ١٥ .

وهذه علاقة حاسمة تهون بجانبهـا بقية العلاقات وأنواع الصـلات ، وقد أكد القرآن ذلك بقوله تعالى: « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبنـاءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » المجـادلة ، آخر السورة روى ابن كثير أنهـا انزلت فى أبى عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، رضى الله عنه ، حين قتل أباه يوم بدر ، قال : وقيل فى قوله تعالى : « ولو كانوا آباءهم» نزلت فى أبى عبيدة ، قتل أباه يوم بدر ، « أو أبناءهم » فى الصـديق ، هم يومئـذ بقتـل ابنه عبد الرحمن ، « أو اخـوانهم » فى مصعب ابن عمير ، قتـل أخاه عبيـد بن عمير

يومئذ ، « أو عشيرتهم » فى عمر ، قتل قريبا له يومئذ أيضا، وفى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم . اهـ . وقد روى عن ابن‌جريج قال : حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أفعلت يا أبا بكر ؟ فقال : والله لو كان السيف قريبا منى لضربته ، فنزلت « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... » .

وكان ذلك — طبعا — قبل أن يسلم أبو قحافة .

وقد يتعلل البعض بأنه انما يفعل ذلك رعاية لمصلحة معينة .

قد تكون هذه المصلحة فى العمل على اجتذابهم للاسلام وهدايتهم للحق .

والدعوة الى الله لها أساليبها المشروعة ، وليس منها موالاة أعداء الله ، « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله » النساء ٨٨

وقدتكون هذه المصلحة — فى زعمهم — اقامة الجسور بين المسلمين والكفار لعله أن تكون هنالك فرصة للاصلاح بين الفريقين .

وما ذلك الا زيادة فى الفساد والافساد ، ولقد قيل مثل هذا المعنى‌فى تفسير قوله تعالى: « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » البقرة ١١ — ١٢ كما روى ابن كثير : أى انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، يقول الله « ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » يقول : ألا ان هذا الذى يعتمدونه ويزعمون انه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا ... اهـ .

وقد يشعر هذا الذى ينتمى الى الاسلام بضعف المسلمين ، وغلبة أعدائهم ، فيريد أن يكتسب لنفسه

بهذا الولاء ــ عندهم منزلة أو جاها يرفع بها وضعه ، ويدفع بها شعوره بالذلة والمهانة ، أو يتعزز بهـا بين المسلمين ، وقد جهل هـذا المسكين أنه يلتمس الشيء ممن لا يملكه ، وأن العزة انمـا تلتمس من اللـه وحده ، ولو كان يعرف ما ترشـد اليه عقيدة التوحيد معرفة صحيحة، لمـا سقط هذه السقطة فى صفة من

صفات المنافقين ، يقول تعالى:«بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما • الذين يتخذون الكافرين أوليـاء من دون المؤمنين أيبتغـوا عنـدهم العـزة فان العـزة للـه جميعا » النسـاء ١٣٨ــ١٣٩، وقد بين ذلك للمؤمنين فى غير آية، فقال : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » فاطر ١٠ ، أى فالتمسوها منه وحـده لا من غيره ، وذلك يكون باتباع دينه ، والتمسك به وموالاة أهل هذا الدين دون غيرهم ، وقال : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» المنافقون ٨ ، والمقصود من ذلك ــ واللـه أعلم ــ بعث المسلمين واثارتهم لكى يطلبوا العزة بأسـلوبها الصحيح ، وهو موالاة الله ورسوله ، وموالاة المؤمنين ، وأن يكون ولاؤهـم فيمـا بينهم بعضهم لبعض مبنيا على موالاة الله ورسوله دون شيء آخر •

وقد ترتبط بهذه الموالاة مصالح مادية دنيوية، كتنفيق سلعة، وترويج تجارة ، وجمع مال أو متاع ، خاصة اذا كانت الدنيا فى أيديهم •

ان ذلك ينبغى أن لا يخدعنا عن حقيقة ثابتة ، هى أن عقيدة الحق أغلى من كل شيء فى هذه الحياة ، حتى من الحياة نفسها ، فلا يصح أن تخدعنا زينة الحياةالدنيا وما فيها من لهو ومتاع ، فانه قليل ، ولاقيمة له فى نفسه ، وانمـا قيمته بحسب ما يؤديه للانسـان ، أما الحق ، وعقيدة الحق ، فانه قيمة فى حـد ذاته ، وبمقياسه تعرف قيم الأمور وأقدارها، وقد وصف الله كل هذه الأشياء بأنها متاع الحياة الدنيـا ، فقال : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » آل

عمران ١٤ ، ثم وصف متاع الدنيا بأنه قليل: «قل متاع الدنيا قليل» النساء ٧٧ : «وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» آل عمران ١٨٥ ، والحديد ٢٠ .

لذلك ينبغى على المؤمن أن يصبر نفسه فى موالاة المؤمنين ، ولا يضيق برقة حالهم ، وقلة مالهم ، مع الوفرة فى مال أعدائهم : «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا» الكهف ٢٨ .

وينبغى ألا ينظر الى مافى أيدى الكافرين من زينة وترف وغنى نظرة تضعف يقينه بربه مالك الملك ، وثقته بدينه دين الحق ، فيبذل لهم ولاءه طمعا فيما عندهم فان ذلك يأس مما عند الله : «أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين» القصص ٦١ .

مع ملاحظة أن عدم الموالاة لا يعنى عدم التعامل معهم ، أو أن تبادل المنافع حسب قانون ونظام معينين مقبولين يعنى الموالاة ، ان الموالاة شىء والتعامل على اختلاف صوره — فى النواحى التجارية والسياسية والعملية — شىء آخر .

النهى عن موالاة الكافرين :

ان توزيع الولاء بين الفريقين ، ان لم يكن ناشئا — بالفعل — من ضعف الايمان وتزعزع العقيدة كفيل أن يئول بالمرء — مع مرور الوقت وتعود مخالطة الكافرين ، والاطلاع على كفرهم وباطلهم — الى حالة رثة من هلهلة الايمان ، وخلخلة العقيدة ، وهو عمل يجعل موقف المرء ضعيفا الى درجة تنماع فيها شخصيته ، وتضيع فيها معالم انسانيته العليا ، وعقيدة التوحيد تأبى لشخصية المسلم أن تنشطر وأن تتمزق ، كيف وهى عقيدة فى التوحيد ؟؟

من أراد أن يقبل على الايمان ، فليقبل عليه بنفسه كلها ، وحياته كلها ، وقلبه كله ، ونشاطه كله ، بكيانه كله كوحدة واحدة ، أما أن

يقبل عليه ببعض قلبه ، ويدبر عنه الى أعدائه بالبعض الآخر ، فما أغنى الايمان ، وما أغنى المؤمنين عنه ، وما أشد ضعفه وتهافته ، وما أقرب الوقت الذى يأتى عليه ، فاذا بالحقيقة تتضح له ، وهى أنه لم يكن على شىء من الايمان ، واذا هو قد انسلخ من ربقة الايمان جملة .

واذا كانت هذه خسارة فردية ، فان السماح بمثل هذا الموقف بين جماعة المؤمنين ، يمزق وحدتهم ، ويزعزع بنيانهم ، واذا تكاثرت مثل هذه اللبنات الخائسة فى بناء المجتمع الاسلامى زالت منه عوامل التماسك ، فتهاوى المجتمع وارفض ، وأصبح عرضة للزوال .

وعقيدة التوحيد تجمع أبناءها فى اطارها ، وتخط لهم كيفية السير على منهاجا ، وتأبى لأى منهم أن يزيغ أو ينحرف ، لذلك تبنى المجتمع الاسلامى بحيث يعين أبناءه على الثبات فى طريق الحق ، وتربى أفراد المسلمين بحيث يعملون على تماسك المجتمع الاسلامى ، لذلك كان النهى عن موالاة الكافرين حتما لازبا ، حرصا على تماسك مجتمع التوحيد ، حتى يظل محتفظا بقوته وصلابته ، ظاهرا بنقائه وطهارته .

يقول تبارك وتعالى فى أول سورة الممتحنة: « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » ويقول فى آخرها : « يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

ومن أسلوب هذه الآيات — فوق النهى الشديد — ما يحفز همة المسلمين الى المسارعة فى الامتثال ، فقد وصف الكافرين بالعداوة لله وللمؤمنين ، وكيف يجوز فى عقل أحد أن يتخذ عدوه وليا له ؟ فما بالكم اذا كان مع هذه العداوة عدوا لله ! كما وصفهم بأن الله قد غضب عليهم ، وكيف يتصور مؤمن أن يقف موقف الموالاة ممن وقع فى غضب الله ؟ ! وهل يأمن عندئذ أن يصيبه ما أصاب وليه من هذا الغضب ! ؟

ومثل ذلك فى حفز الهمة قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين » المائدة ٥٧ ، فبين أن شأن هؤلاء الكافرين أن يتخذوا دينكم عقيدتكم وشريعتكم هزوا ولعبا ، فهل تكون مكافأتهم على ذلك أن نبذل لهم ولاءنا ! ؟ ومن والاهم فانما يواليهم على هذه الصفة ! ؟ ومن مؤمن يقبل أن يكون دينه موضع الهزؤ واللعب ثم يبذل ولاءه لمن يهزءون به ويلعبون ! ؟

لو أن النهى عن موالاة الكافرين لم يرد الينا صريحا من الله تعالى ، لكان من الواجب أن ندرك ذلك بايماننا ، فالحجة فيه ثابتة واضحة لا تحتاج الى بيان ، ولذلك يقول تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » النساء ١٤٣ ، لكنه لم يترك الأمر لمجرد شعور المؤمن ، لخطورة هذا الأمر وأهميته .

واذا سولت لمسلم نفسه أن هذه من المسائل الهينة التى يسهل التغاضى عنها فان الله سبحانه يبرز مقدار خطورتها ، وأنها من المهمات العظيمة فى الدين ، وأنه يترتب عليها نتائج بالغة الأهمية لا يسهل على مؤمن أن يتحملها ، يقول تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » آل عمران ٢٨ ، فنهى نهيا شديدا عن موالاة الكافرين، وتدخل بذاته الجليلة متبرئا ممن يخالف هذا النهى ، مبينا أن من خالفه فليس من الله فى شىء ، أى أنه قد برىء من الله تعالى ، وبرىء من كل شىء يوصل الى الله تعالى ، وأن الله قد برىء منه ، وفى هذا تهديد شديد ، ووعيد أى وعيد لا يتحمله مؤمن، وقد أمر رسوله بالتبرؤ منهم ومن أمثالهم قائلا له : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » الأنعام ١٥٩ .

كل ذلك حرصا على نقاء التوحيد ، وعلى تماسك الجماعة الاسلامية ، وبقائها سليمة قوية ، حتى ولو كان هؤلاء الكفار من أصحاب الصلات الدنيوية القوية ، كالأبوة والأخوة ، ان الدين لا يقطع هذه الصلات ، فهى أمر واقع ، ولكنه يمنع تأثيرها فى الولاء ، قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون» التوبة ٢٣ • كما نجد تحذيرا شديدا آخر باعتبار من يواليهم خارجا على المؤمنين ، داخلا فى الكافرين ، وفيه تنبيه للمؤمنين أن يتبرءوا ويحذروا ممن يفعل ذلك من بينهم ، يقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين» المائدة ٥١ ، فبين أن من يتولى اليهود يصير من اليهود ، ومن يتولى النصارى يصير من النصارى ، ومن يتولى الكافرين يصير من الكافرين ، ولا يكون من المؤمنين •

وقد روى ابن كثير فى تفسيره عن ابن سيرين قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر • قال : فظنناه يريد هذه الآية •

ولقد ميز الله المؤمنين بوصف من الأوصاف التى يعرفون بها ، وهو أنهم لا يوادون أعداء الله ، فمن وجدناه يبذل وده لهم طواعية حكمنا عليه بعدم الايمان ولو ادعاه ، يقول تعالى: «لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أواخوانهم أوعشيرتهم ••» المجادلة ٢٢ •

والله أعلم

د• عبد الفتاح عبد الله بركة
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بجامعة الأزهر

كاتب مقال (بين الموالاة والمعـاداة)

الدكتور عبد الفتاح عبد الله طه بركه

- ولد فى يناير سنة ١٩٣٢ بفارسكور محافظة دمياط .
- تعلم بمعاهد الأزهر .
- حصل على العالمية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٦م
- حصل على العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٧ م
- حصل على الماجستير فى الفلسفة عام ١٩٦٢
- حصل على الدكتوراة (الاستاذية) فى العقيدة والفلسفة عام ١٩٧٠م
- عمل مدرسا بمعاهد الازهر .
- أرسله الازهر مبعوثا الى كل من الصومال عام ١٩٦٢/٦١ والى كندا من ١٩٦٧/١٩٦٥

  انتدب للعمل بمكتب الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .
- عين مدرسا بكلية أصول الدين عام ١٩٧٠
- انتدب سكرتيرا لوزير الأوقاف والازهر عام ١٩٧٣/١٩٧٢
- أوفد لدراسة أحوال المسلمين فى استراليا عام ١٩٧٢ ووضع تقريرا مفصلا عن حالتهم وما يجب أن يتخذ نحو

انشاء المراكز الاسلامية هناك كما أوفد الى جامبيا ــ غرب افريقيا لنفس الغرض وقدم تقريرا بشأن ما يجب تقديمه اليهم فى التعاون العلمى .

- اعير من جامعة الأزهر الى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٧٤/٧٣م والى كلية الامام الاعظم ببغداد عام ١٩٧٦/٧٤ والى كلية التربية بقطر عام ١٩٧٧/١٩٧٦
- عين استاذا مساعدا للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٧٦
- اختاره الامام الاكبر مستشارا خاصا لفضيلته عام ١٩٧٧

من اهم مؤلفاته :

١ ــ الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية :
من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

٢ ــ السنوسية الكبرى تعليق وتحقيق ، نشر مكتبة الأزهر .

٣ ــ اداب المريدين وبيان الكسب تحقيق وتعليق ، مطبعة السعادة .

٤ ــ مكر النفس تحقيق وتعليق مجلة الجامعة العربية .

٥ ــ شرح السمعيات من كتاب المواقف .

٦ ــ عقيدة التوحيد وتماسك المجتمع الاسلامى .

السبيل الى الافادة من المؤتمرات الاسلامية

للواء جمال الدين محفوظ

من الحقائق المعروفة أن أهداف أى مجتمع فى الاصلاح والتقدم لا تتحقق اذا لم يجعل أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمى تتجه الى حل المشكلات التى تواجهه ، ولا أغالى اذا قلت اننا فى هذا العصر أشد ما نكون حاجة الى ألا تتوقف أهداف العلم والبحث عند هذا الحد (حل المشكلات) بل انها يجب أن تمتد الى تحقيق غاية أعلى وأخطر هى التجديد والتطور .

من أجل ذلك فاننى أرى أن أى مؤتمر يعقد لبحث ودراسة احدى مشكلات مجتمعنا الاسلامى أوقضية من قضاياه ، لا تكون له الفاعلية المرجوةما لم تتحول توصياته وقراراته الى واقع وعمل ، بمعنى أن تتحول الى منهج عملى يطبق فعلا ليفيد منه المجتمع ، وبذلك نجنى ثمرة مايبذل من جهد وفكر ومال .

كيف يمكن تحقيق هذا الهدف ؟

أولا : نحن الآن فى عصر « الادارة العلمية » :

والمعروف فى علم الادارة أن التخطيط مرحلة من مراحل مايسمى بالعملية الادارية ، لكنه لايتعدى النطاق النظرى ، وأن الأهداف المرجوة لا تتحقق ما لم يتحول التخطيط الى تنفيذ مع مراقبة هذا التنفيذ بوسائل المتابعة والتقييم لاصلاح مساره وتحسينه والتقدم به على مدارج الكمال .

فالمؤتمر هو « جهاز للبحث » والبحث أولى مراحل التخطيط السليم ، والتخطيط يجب أن يتحول الى تنفيذ لكى يحقق أهدافه .

من أجل ذلك فاننى أرى أن الطريق الى تحويل قرارات وتوصيات المؤتمر الى واقع عملى ينفع الناس هو « الربط الوثيق بين المؤتمروبين الجهات المسئولة عن التطبيق والتنفيذ، أى الدول والحكومات» .

وأول دعائم هذا الربط احساس الدول بالمشكلة مع رغبتها فى حلها وعلاجها .

ثم يجرى بعد ذلك الاعداد للمؤتمر بالاتفاق والتنسيق بين الدول والقائمين على المؤتمر من حيث :

• تحديد أهداف البحث بوضوح وتحديد اطاره وأبعاده .

• تحديد أفرع العلوم والتخصصات التى تتصل بالموضوع . والمعروف أنه على قدر عدد العلوم والتخصصات التى تسهم فى البحث تكون النتائج .

• اختيار العلماء والخبراء والاخصائيين الذين يشتركون فى البحث بآرائهم وأفكارهم وخبرتهم طبقا لما سبق .

أساس هذا الربط من تعاليم الاسلام:

ولو تأملنا مبدأ الشورى فى الاسلام ، وأدركنا فلسفته ومغزاه ومكانته التى أعلاها القرآن فجعلها بين الصلاة والانفاق فى قوله تعالى:

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » . لعرفنا مدى المسئولية المشتركة بين الدولة وبين أهل الرأى ، وآمنا بأهمية الربط الوثيق بينهما ، ذلك الربط الذى يضمن وحدة فى الفكر والأهداف مع الاحساس بالأمانة والمسئولية بين المؤتمر (باعتباره جهة البحث والرأى) والدولة باعتبارها (جهة التنفيذ) .

١ ــ وجوب المشورة :

أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقال :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » (آل عمران ١٥٩) .

٢ ــ فى الشورى خير ومصلحة :

لم تكن الشــورى التى أمر الله نبيه بها ــ وهو الذى يتنزل عليــه الوحى ــ الا تعليما لهذه الأمة ، واعلانا بأن فى تحقيق مبدأ الشورى من الفضــل والخير ما يؤمن معــه العثار ، ويحفظ الأمة من الزلل .

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ ما ندم من استشار .

ــ ما شــقى عبد بمشــورة ، وما سعد باستغناء رأى .

وقال أحد الشعراء :

الرأى كالليل ســود جوانبه
والليل لا ينجلى الا باصــباح

فاضمم مصابيح آراء الرجال الى
مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

٣ ــ لابد من استشارة اهل الراى :

ان القيــادة الحكيمة هى التى تستفيد من خبرة العلماء والمتخصصين والخبراء وغيرهم من أهــل الرأى الذين يصدر رأيهم عن سعة فى المعرفة وعمق فى الخبرة والتجربة ، وقــد روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال :

سئل صلى الله عليه وسلم عن العزم ، فقال : شاور أهل الرأى .

٤ ــ الراى امانة ومسئولية :

يقرر الاســلام أن ابداء الرأى أمانة ومســـئولية ، وأن على من يستشــار أن يقول رأيه بصــدق واخلاص وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ــ « المستشار مؤتمن » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة) .

ــ « اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجة بسنده عن أبى جابر) .

ويعتبر الاســلام الانحراف عن الصدق والاخلاص فى ابداء الرأى من قول الزور الذى أمر الله باجتنابه وقرنه بعبادة الأوثان فى قوله جل شأنه :

« فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

كذلك يحذر الاسلام من الامتناع عن ابداء الرأى ويعده من شــهادة

الزور كما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد الزور » .

٥ ـ الأخذ بالمشورة الصالحة واجب:

ويوجه الاسلام الى الأخذ بالمشورة الصالحة ، والنزول على الرأى الصواب ، روى الامام أحمد بسنده أن رسول الله صلى عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « لو اجتمعنا فى مشورة لما خالفتكما » .

وينطوى قول النبى للحباب حين أشار فى غزوة بدر بالانتقال بالجيش الى موقع قريب من ماء بدر : « أشرت بالرأى » ، على مغزى رفيع ـ فوق النزول على الرأى ـ هو الاشادة بالرأى الصواب وتكريم صاحبه وحفز همة المسلمين الى التفكير وابداء الرأى والمشورة .

٦ ـ التنفيذ واجب :

ثم يوجه الاسلام الى أن التنفيذ ـ بعد المشورة ـ واجب ، وانه متى استقر الرأى على أمر ما ، فلا محل للتردد أو المناقشة لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ ، والفشل فى تحقيق الأهداف .

وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

« فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » .

ثانيا : استخدام الطريقة العلمية والاحصاء :

والدعامة الثانية للافادة من المؤتمرات الاسلامية بعد مبدأ الربط الذى تناولناه ، هى استخدام الطريقة العلمية والاحصاء .

ان أبرز سمات العصر الذى نعيش فيه أنه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشكلات المجتمع بدون استخدام الطرق العلمية والاحصاء . فلقد أصبح المنهج العلمى الذى تدرس فيه المعطيات والعوامل والظروف المختلفة وتطرح فيه الحلول والبدائل المختلفة وتفحص فحصا دقيقا لاختيار الحل أو البديل الأفضل ، هو المدخل السليم والمضمون لاتخاذ القرارات السليمة لتحقيق الأهداف المرجوة بأعلى قدر من الكفاية .

كما أنه قد انقضى العهد الذى كان يعتمد فيه كلية على الجهد البشرى والعقل البشرى فى جمع ودراسة وتصنيف وتبويب وتحليل المعلومات والبيانات ، ودخل العالم عصر الحسابات الالكترونية التى تقوم بهذه الأعمال بسرعة متناهية ودقة متناهية ، ثم تضع الاحصائيات وماتبرزه من معان واستنتاجات أمام عقل الانسان ــ تلك المنحة الالهية العظمى التى كرم الله بها الانسان وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا ــ فتعينه كل العون على رؤية أوضح وأعمق وأشمل لأبعاد المشكلة ، وتعينه بالتالى على التشخيص السليم الذى هو مقدمة للعلاج السليم •

أرأيت الى الطبيب كيف كان يعالج المريض فيما مضى بناء على الفحص الظاهرى الذى يدخل فيه عامل الحدس والتخمين الى حد كبير ، والى الطبيب الذى يعالج مريضه اليوم مستعينا بمنجزات عصره من أجهزة الفحص والتصوير والتحليل والاختبار مما لاحصر له ؟ ثم أرأيت الى أى حد أفادت البشرية من هذا التطور ؟

اننى اقترح على أجهزة المؤتمرات الاسلامية فى الأمة الاسلامية مثل مجتمع البحوث الاسلامية ورابطة العالم الاسلامى وغيرهما أن تسعى فورا الى ايجاد نوع من الصلة الوثيقة بينها وبين الأجهزة المختصة بالاحصاء العام والمتخصص للتعرف على مالديها من امكانات وللتنسيق معها فى مراحل الاعداد للمؤتمرات حتى يزود أعضاء هذه المؤتمرات قبل موعدها بوقت مبكر بالاحصائيات التى تتعلق بالموضوعات المقرر بحثها مع مايلحق بها من تفسير وتحليل واستنتاجات وغيرها مما يعد من ألزم الأمور لنجاح الدراسة والبحث والتشخيص والعلاج •

ولعلنا نذكر ما نشر أخيرا من نتائج دراسة الجهازالمركزى للتعبئة العامة والاحصاء فى مصر عن تعداد السكان وما ورد فيها من بيانات وتحليلات واستنتاجات بالغة الأهمية والفائدة للقائمين على على التخطيط والاصلاح •

ثالثا : سبق النظر بدراسة مشكلات المستقبل :

والدعامة الثالثة للافادة من المؤتمرات هي ألا تقتصر على دراسة مشكلات الحاضر، بل لابد ـ وذلك هو الأهم فى الحقيقة ـ أن تتجه الى بحث مشكلات المستقبل فى ضوء معطيات الحاضر وتصور احتمالات المستقبل •

فليس من شك فى أن التخطيط الحق هو ـ كما يقول علم الادارة ـ تصور ما سوف يكون عليه المستقبل ثم الاستعداد لهذا المستقبل ••وليس من شك أيضا فى أن الوقاية خير من العلاج ، وأن من المصلحة أن نمنع أوتلافى وقوع المشكلات أو تفاقمها ، بدلا من انتظار وقوعها ثم محاولة علاجها •

وفى عصرنا الذى نعيش فيه وسائل حديثة قادرة على طرح التنبؤات والتصورات المستقبلية التى هى من ألزم الأمور للتخطيط فى الأمم العصرية المتقدمة •

ولو نظرنا حولنا وتأملنا محتويات وأهداف المؤتمرات الدولية التى تعقد بين الحين والآخر لبحث القضايا التى تهم البشرية مثل الغذاء والطاقة ، للاحظنا أنها لاتحصر نفسها فى اطار الحاضر ، بل ترمى بالبصر الى بعيد فى آفاق المستقبل لعشرات السنين ، لكى تفتح عيون البشرية على ما ينتظرها ويواجهها فى مستقبل حياتها من مشكلات ؛ فتعد الأمر عدته وتمضى فى طريق تقدمها بلا عائق •

* * *

وبعد فان تحديات العصر التى تواجهنا تتطلب منا أقصى درجات اليقظة والسيطرة على العلم والطرق العلمية ، وأن نحسن توظيف المعرفة والبحث العلمى لالكى نجد الحلول لمشكلات حاضرنا ، بل لكى نطور ونجد ، فالاسلام لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم الى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم الى سنة التطور ، وذلك هو الطريق لكى تعود هذه الأمة الى سابق عهدها أمة قوية عزيزة الجانب وأمة رائدة فى كل مجالات الحضارات الانسانية •

لواء : محمد جمال الدين محفوظ

اللواء محمد جمال الدين على محفوظ

- من مواليد اغسطس عام ١٩٢٢ ميلادية .
- خدم القوات المسلحة ثلاثا وثلاثين سنة تقلب فيها فى وظائف القيادة والتدريس والادارة وحصل على دراسات عسكرية فى عدد من الدول الأجنبية ، كما حصل على دراسة عليا من أكاديمية ناصر العسكرية العليا .
- كما حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .
- عمل مديرا للتوجيه المعنوى للقوات المسلحة وتولى عملية اعادة بناء المعنويات بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكان من ابرز اعماله انه اقام سياسة بناء الروح المعنوية وارادة القتال على الدعائم الآتية :
  - عقيدة الجهاد فى سبيل الله .
  - شعار « النصر أو الشهادة » .
  - صيحة القتال « الله أكبر » .

وكانت هذه السياسة نقطة تحول كبير فى تاريخ الجيش المصرى أتت ثمارها فى حرب رمضان وكانت من أهم أسباب النصر .

- الف أكثر من عشرين كتابا في العلوم العسكرية وفنون القيادة والتدريس والادارة .

- توفر على دراسة العسكرية الاسلامية منذ زمن طويل ، والف عددا من الكتب ، وكتب العديد من البحوث والمقالات في مجلة الأزهر والمجلات الاسلامية والصحف، وهو يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية

من أحدث مؤلفاته :

- المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية .
- تربية المراهق في المدرسة الاسلامية .

- وهو نجل عالم كبير من علماء الأزهر هو المغفور له فضيلة الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء ومؤسس كلية أصول الدين وأستاذ الوعظ والارشاد .

الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية

للدكتور محيي الدين الألوائي

ان الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى الهند لم تكن الا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر تاريخ الأمة الاسلامية ، وأن هذا التاريخ حافل بالجهود المتلاحقة التى بذلها الدعاة العاملون لهذ الدين فى كل بقعة من بقاع الأرض ،فما دامت طائفة من العلماء المخلصين تقوم بالدعوة الى الله وتعمل بجدواجتهاد واخلاص لاعلاء كلمته ونشر تعاليم كتابه وسنة رسوله ، تكون الأمة بخير وعزة وسؤدد . والى هذه الحقيقة يشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله : « وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ورثوا العلم ، فمن أخذهأخذ بحظ وافر» .

وأول ما نستفيده من العبرة من تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند ، أن الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها ،وأن تعاليمه تتمشى مع جميع البيئات والظروف ، ومبادئه صالحة لكل زمان ومكان،فان عناصر الخلود متوفرة فى أصوله وقواعده، وأن فطرة الانسان ونواميس الطبيعة لاتتغير ولاتتبدل مهما حاول المزيفون وسعى المخرفون لابعاد الناس عن فطرتهم . وهذا هو السر الكامن وراء الانسياق الفطرى الذى رآه تاريخ الدعوة الاسلامية فى مختلف البلدان المتأصلة فى الوثنية والشرك والالحاد ، أو فى الخرافات والخزعبلات ، وكل هذا وذاك الى جانب محاولات جمة بذلت لصدتيار هذه الحركة الالهية العالمية وتشويه أهدافها ومقاصدها ، أو تزييف كتابها .

والعبرة الثانية من تاريخ هذه الدعوة فى تلك البقعة من الأرض ، هو دور العلماء الصادقين فى سبيل نشرها ومدى أثر جهودهم فى توطيد دعائم العالم الاسلامى وتوحيد صفوف المسلمين وازالة الوهن والضعف من قلوبهم . ونستفيد أيضا أن حلقات سلسلة الدعوة الاسلامية لن تنقطع الى يوم القيامة وهى تستمر فى مد وجزر حسب تقلبات الزمن وتطورات العصر ، فهى خير مصداق لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وللبحث عن الاسلام فى الهند جانبان مستقلان ، يختلف كل منهما عن الآخر ، فبينما يتناول الجانب الأول دخول الاسلام فيها ، كدعوة وفكرة ، والجهود التى بذلها الدعاة المسلمون فى سبيل نشرها فى أوساط الأمة الهندية بطريق الموعظة والارشاد ، والقدوة الحسنة ، يتناول الجانب الآخر حكم المسلمين فيها والفتوحات العسكرية التى قام بها الملوك والأباطرة المسلمون .

وأما الجانب الاسلامى كدعوة خالصة وفكرة محضة فهو أعمق أثرا فى تاريخ الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية . وأوسع نطاقا من حيث البحث العلمى .

ويرجع فضل انتشار الدعوة الاسلامية فى هذه البقعة الواسعة الأرجاء الى دعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الاسلام السمح ، وبذلوا جهودا جباره فى سبيل نشر دين الله المتين فى كل بقعة نزلوا فيها ، وكان رائدهم فى ذلك قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وبدأت هذه الجهود الفردية فى الهند قبل الفتح الاسلامى الأول الذى قام به (محمد بن القاسم الثقفى) فى نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية . فى شمال القارة الهندية ، فلا يرجع فضل انتشار الدعوة الاسلامية فيها الى الملوك والأباطرة المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية فى شبه القارة الهندية وشيدوا امبرطوريتهم فيها،

بيد أنهم تركوا بعض الآثار الاسلامية القيمة من المساجد الفخمة والقلاع الضخمة وأسدوا خدمات لاحياء بعض العلوم والفنون والآداب ، وأضافوا بابتكارات علمية وفنية فى تاريخ الهند المجيد .

يشير التاريخ الى أن صوت الاسلام قد وصل لأول مرة الى الهند بأيدى العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين أناروا الطريق لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوعها ، عقب أن انبثق فجرها فى بلاد العرب، فوجدت أرضا خصبة فى ارجاء الهند وتفتحت زهورها فى أنحائها وأثمرت ثمارها اليانعة فى جو من الحرية والسلام .

دخل الاسلام الهند من طرق ثلاث ، من الناحية الجغرافية ،ومن أهمها : شواطىء الهند الغربية الواقعة فى بحر العرب التى كانت مركز ارتياد التجار والرحل العرب منذ أقدم العصور فى البلاد الهندية وفى طريقهم الى جزيرة سيلان والى الصين وجاوة وغيرها من بلدان الشرق الأقصى .

والطريق الثانى الذى دخل منه الاسلام الى الهند ، مناطق السند الواقعة على شاطىء الهند الشمالى الغربى ، حيث دخل (محمد بن قاسم الثقفى) فاتحا فى عهد حكم (الحجاج بن يوسف الثقفى) وذلك فى نحو عام ٩١هـ.والطريق الثالث الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لأفغانستان وايران ، وأول من دخل الهند فاتحا من هذا الطريق الجبلى الوعر (محمود الغزنوى) فيما بين عامى ٣٨٨ ــ ٤٢١ هـ .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وفى العامين السابع والثامن الهجريين أرسل الوفود الى التخوم للدعوة الى الاسلام ؛ يحملون رسائله عليه الصلاة والسلام الى أصحاب الأمور والسلطان فى أقطار الجزيرة العربية وخارجها ، يدعوهم فيها الى حظيرة الدين الحنيف عرفت الدعوة طريقها الى الثغور الشرقية والجنوبية ، وأخذت تنتشر بين العجم ، ومنهم الهنود المستوطنون الساكنون فى هذه المناطق ، فلبى عدد منهم نداء الدعوة الجديدة .

ومن ناحية أخرى،فأنه من الطبيعى أن يحاول التاجر العربى المسلم التحدث عن الدعوة الجديدة التى

ظهرت فى بلده الى أصدقائه ومعارفه فى موانىء الهند ومراكزها التجارية التى يرتادها لأغراض تجارية بل ويحاول نشرها بين أهل الهند الذين شاهد نزعتهم الدينية وحبهم للعرب

فما بالنا اذا رأينا التاريخ يشير الى أن بعض حكام الهند ، حينما سمعوا عن ظهور نبى جديد فى جزيرة العرب ودعوته ،حاولوا انشاء رابطة بينهم وبين النبى العربى مباشرة ليروه وليستمعوا اليه وليفهموا رسالته وتعاليمه .

ولاينبغى أن يفوتنا أيضا فى هذا المجال ، ماأكده بعض المؤرخين — مع وجود احتمال تاريخى وطبيعى كبيرين — بأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، قد بعث برسالة من ضمن الرسائل التى بعثها الى ملوك وحكام آسيا وأفريقيا ، رسالة الى ملك مالابار (مليبار) الواقعة فى ساحل بحر العرب المواجه لجزيرة العرب ،كما قالوا أن ملكا من ملوك هذه المناطق وهو (جيرمان برومال) ملك (كرانغنور) قد سافر الى جزيرة العرب لمقابلة النبى عليه الصلاة والسلام ، هذا فى السابع والخمسين من عمره صلى الله عليه وسلم .

والذى يفهم من هذا البيان أن تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند قد مر عليه حتى الآن ١٤ قرنا من الزمن ، بينما مر ١٣ قرنا على قيام أول دولة عربية فى السند ، وظلت الهند كلها تحت حكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ونصف القرن،أى من قيام الدولة الغزنوية فى سنة ٣٩٢ هـ ١٢٧٤ هـ . (١٠٠١ م — ١٨٥٧ م).ثم استمر حكم الانجليز فى شبه القارة الهندية لمدة قرن من الزمان .

طوال هذه الفترات الممتدة ، من تاريخ الاسلام والمسلمين فى الهند لم تقم هيئة أو منظمة تستهدف نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها حسب خطةمرسومة ومنهج مدروس بل وتعرضت الدعوة ودعاتها لاضطهادات جمة من جانب الحكام الانجليز — ومما هو جدير بالذكر

أيضا ، مع الأسف الشديد ، أن بعض الحكام المسلمين المستبدين قد وضعوا العراقيل أمام الدعاة المصلحين .

ومن بواعث الدهشة والاعجاب للعقول العادية ـ ان صح هذا التعبير ـ فان الدعوة الاسلامية قد فاقت فى انتشارها فى أوساط الشعب الهندى ـ برغم هذا كله ـ جميع الدعوات الأخرى ، وتركت ملامح واضحة عديدة تشير الى هذا المدى الواسع الذى حققته هذه الدعوة فى شبه القارة الهندية . وكانت شبه القارة الهندية ، وقت استقلالها عن حكم الانجليز سنة ١٩٧٤ م أولى دول العالم فى عدد المسلمين ،حيث كانت تضم أكثر من ١٢٠ مليون مسلم ، ثم قام تقسيم شبه القارة الى دولتين ـ الهند وباكستان ـ وصارت الهند دولة مستقلة ذات أغلبية هندوكية وأقلية مسلمة وصارت الباكستان دولة مستقلة ذات أغلبية مسلمة وأقلية هندوكية وكان عدد المسلمين فى الباكستان وقت التقسيم ـ حوالى ٨٠ مليونا وعدد المسلمين فى الهند نحو ٤٠ مليونا .

واليوم تعتبر الهند وحدها ثالثة دول العالم فى عدد المسلمين ، حيث تضم أكبر جالية اسلامية ، بعد اندونيسيا وبنجلاديش ، اذ يبلغ عدد المسلمين فيها الآن أكثر من ٨٠ مليون نسمة . (وأما اندونيسيا ففيها أكثر من ١٢٠ مليون مسلم وفى بنجلاديش ما يقربه من ٩٠ مليون مسلم) وهم يشكلون أكبر طائفة فى الهند بعدطائفة الهندوكية. ومن ثم لاتزال الهند جزءا حيا هاما من جسم العالم الاسلامى الكبير الواسع الذى يربط بين أجزائه رباط وثيق من الرابطة الروحية والأخوة الاسلامية . فاذا ألقينا نظرة على شبه القارة الهندية فلا نجد فيها ، مع اتساع رقعتها وتعدد مقاطعاتها ومناخها بقعة الا ودخلها صوت الاسلام ووطئتها أقدام الدعاة وظلت الدعوة الاسلامية متمكنة فى هذا البلد المترامى الأطراف ، على رغم تقلبات الزمن وتطورات العصر . ولم تستطع التيارات الخارجية أو

الداخلية أن تحد من تقدمها وتطورها كما لم تفلح المحاولات العديدة التى بذلها مناهضو الدعوة الاسلامية لمنع استمرارها واستقرارها وتطورها .

وأن حاضر الدعوة الاسلامية فى الهند يعتمد اليوم على الدعائم الثلاث الآتية : أولاها : المعاهد الاسلامية المنتشرة فى مدن الهند وقراها ، وهى بمثابة مراكز كبرى للاشعاع الدينى لمسلمى الهند اليوم ، ولها فضل كبير فى نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية ، ويجرى معظم هذه المعاهد بطريق المساعدات الفردية والتبرعات الاهلية وفيها عدد من المدارس والكليات التى تتلقى مساعدات من الجامعات الحكومية والجهات الرسمية .

وثانيتها : المساجد والتكايا التى تجرى فيها الحلقات الدراسية الاسلامية حسب النظم القديمة . وتعيد المساجد فى الهند اليوم دورها الذى كانت تلعبه فى الماضى فى نشر الاشعاع الدينى والثقافى للمجتمع الاسلامى ، وكانت محط آمال طلاب النور والعرفان فى كل ركن من أركان العالم الاسلامى . وتضم الهند آلاف المساجد التى تجرى فيها الحلقات الدراسية النظامية ، تدرس فيها العلوم الاسلامية واللغة العربية ، كما أن خطباء هذه المساجد يلقون دروسا دينية صباح مساء ، الى جانب دروس وخطب أيام الجمع . وفوق هذا وذاك فان وجود هذا العدد الكبير من المساجد العظيمة التاريخية ، التى تضاهى أفخم وأجمل المساجد الكبرى فى العالم ، فى أنحاء الهند ليعيد الى أذهان مسلميها مجد ماضيهم فيها ويذكرهم بمسئوليتهم على حفاظ هذا التراث الضخم ، ولا يتأتى ذلك الا بالمحافظة على شعائر الاسلام والتمسك بمبادئه والعمل على نشر دعوته .

وثالثتها : الجماعات والهيئات الاسلامية التى تقوم بواجب الدعوة والتبليغ . ولم نر فى تاريخ الدعوة الاسلامية الطويل فى شبه القارة الهندية جماعة أو هيئة رسمية أو غير رسمية ، أنشئت لغرض الدعوة والتبليغ حسب منهج تبليغى منظم .

وكل ما رأيناه فى مجال الدعوة هو الجهود الفردية من الدعاة المخلصين من العلماء والوعاظ والصوفية الذين اتخذوا من مجالسهم العلمية - اما فى منازلهم أو فى التكايا أو فى المساجد - مراكز لبيان محاسن الاسلام وابرازها ناصعة واضحة أمام الناس كما كانوا يقومون برحلات وجولات فى سبيل نشر دعوة الحق بطريق الموعظة والارشاد ، وفى جميع الأحوال كانوا قدوة حسنة وحية فى حياتهم الخاصة والعامة للتحلى بالأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والاخلاص والوفاء . كما كانوا يهتمون بتربية الناس على الطباع المستقيمة التى يدعو اليها الدين الحنيف .

ولم يحدث تطور يذكر فى الوسائل المذكورة للدعوة الاسلامية فى شبه القارة الا فى القرن العشرين ، حيث ظهرت بعض الجماعات الاسلامية تهدف الى نشر الدعوة فى أنحاء البلاد . فيمكن لنا أن نقسم هذه الجماعات الهادفة الى نشر الدعوة الاسلامية الى ثلاثة أنواع حسب المنهج الذى تسير عليه فى تحقيق مهمتها ، فمنها جماعة تقوم بنشر الدعوة بين الناس عمليا ، بالاتصال المباشر بالناس فى أنحاء البلاد ، ورجال هذه الجماعات يخرجون فى سبيل الدعوة الى المدن والقرى ويتصلون بعامة الناس وخاصتهم ويلقنونهم مبادىء الاسلام ويحثونهم على العمل بها .

ومنها جماعات تركز اهتمامها بنشر الدعوة الاسلامية علميا ونظريا ، فأصحابها يوجهون نشاطهم الى الطبقة المتعلمة أكثر منه الى عامة الناس ، وذلك بنشر فكرة الاسلام بطريق الكتب والمجلات فى مختلف اللغات المحلية ، بأسلوب علمى ومنطقى يجذب أنظار المتعلمين الى مبادىء الدعوة الاسلامية وقواعد شريعتها فى مختلف مرافق الحياة البشرية .

ان هذه الدعائم الثلاثة الرئيسية تقف كمشاعل تنير الطريق أمام الجيل الحاضر ، وكذلك ستظل الأجيال القادمة باذن الله تعالى ، وكما أن مجرى الدعوة الاسلامية منوط بهذه الركائز الثلاثة فى مرحلتها الحاضرة

فى الهند اليوم ، منوط بها أيضا مستقبل هذه الدعوة فى تلك البلاد •

ويتقرر مستقبل الدعوة الاسلامية فى جمهورية الهند بعاملين رئيسيين :
العامل الأل :

احساس المسلمين فى الهند بواجبهم فى نشر دعوة الاسلام فى هذه البقعة ، وفى تنمية الميراث الاسلامى الضخم ، واحساسهم أيضا بمسئولية حراسة هذا الميراث وبها يؤدون أعظم الأمانات التى حملوها من آبائهم وأجدادهم الى ابنائهم وأحفادهم •

العامل الثانى : ان جمهورية الهند قد اتخذت لنفسها دستورا علمانيا لا يقوم على أساس دينى رسمى ، ويخول الحرية لجميع المواطنين فى الاحتفاظ بعقيدتهم والدعوة الى مبادئهم ونشر ثقافتهم ، ففى وسع المسلمين نشر الدعوة الاسلامية وتنوير قلوب الملايين بها لو بذلوا فى سبيلها من جهود واتخذوا لها من وسائل مدروسة ومناهج سليمة وطرق مشروعة باخلاص وصدق نية مع أداء ما عليهم من واجبات نحو وطنهم كمواطنين صالحين •

وأيضا فان مستقبل الدعوة الاسلامية فى الهند لمرتبط بماضيها فيها ، فقد عرفنا أن هذه الدعوة لم تنتشر فى هذه البقاع بفضل حكومات المسلمين التى قامت فيها ، ولا بواسطة منظمات وهيئات قامت بنشرها أو وضعت خططه أو أنفقت فيه الأموال ، بل يعود الفضل فيه الى أسباب أخرى عديدة ، ومنها : ما يتعلق بطبيعة هذه الدعوة من فطريتها وملاءمتها لكل زمان ومكان وظروف ، وكذلك خصائص أنظمتها الاجتماعية حيث يجد فيها كل مجتمع متنوع الأجناس ومتفرق الطبقات ، عناصر صالحة منقذة من المضار الكامنة فى نظام الطبقات والعصبيات المناوئة للفطرة الانسانية السليمة •
ومنها : ما يتعلق بطبيعة الأمة الهندية كالنزعة الدينية المتأصلة فيها وروح التسامح التى اتسمت بها الثقافة الهندية منذ القدم ، وكذلك حضارتها العريقة القائمة على الروحانيات •
ومنها أيضا ما يتعلق بصفات الدعاة

ووسائلهم فى نشر الدعوة،من الوعظ والارشاد والقدوة الحسنة والسلوك السليم وابتعادهم عن المآرب السياسية والمطالب الشخصية .

وان هذه الأسباب التى ارتبط بها انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند طوال العصور الماضية لم تتغير بعد، وأما تغير الدول الحاكمة أو أنظمة الحكم فيها ، فليس له دخل فى تلك الأسباب ، فما دام القائمون على مهمة الدعوة متمسكين بهذه الأسباب فسيجدون فى الهند أرضا خصبة لتترعرع فيها الدعوة الاسلامية ويستطيعون أن يؤدوا واجبهم فى حراسة أثمن وأقدس ما يعتز به المسلمون فى كل مكان ، وهو المحافظة على دينهم وتعليمه لأبنائهم وصيانته فى قلوبهم وبيان محاسنه لبنى وطنهم جميعا .

د. محيى الدين الالوائى

الأستاذ الدكتور محيى الدين الالوائى

* هو أحد علماء الأزهر من ابناء الأمة الاسلامية فى الهند ومفكر أديب يعمل فى مجال الفكر الاسلامى وخدمة الدعوة الاسلامية .

* ولد بقرية « وليتناد » بالقرب من مدينة « الوائى » بولاية « كيرالا » (بجنوب الهند) ، التى هى أول بقعة أشرقت بنور الاسلام فى القارة الهندية ، وكانت ولادته فى اليوم الأول من شهر يونيو سنة ١٩٢٥ م .

* تلقى مبادىء العلوم الدينية واللغة العربية لدى والده الشيخ مقار المولوى ، الذى كان عالما فاضلا ، وواعظا دينيا ، ثم واصل دراسته فى المعاهد الاسلامية الكبرى فى ولايته .

* حصل على شهادة « المولوى الفاضل » فى العلوم الاسلامية من كلية « الباقيات الصالحات » بجنوب الهند ، ونال شهادة « أفضل العلماء » فى اللغة العربية وآدابها من جامعة مدراس الحكومية بالهند سنة ١٩٤٩ م ثم عين أستاذا بكلية « روضة العلوم » بولاية «كيرالا »

* ثم رحل الى القاهرة ليدرس بالأزهر فحصل على شهادة « العالمية مع الاجازة » بقسم الوعظ والارشاد من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣ ، وأثناء اقامته بمصر كان يقوم بنشاط علمى وأدبى وأحرز خبرة واسعة فى مجال الخدمة الاسلامية والشئون التربوية فى هذه المنطقة من العالم .

* بعد عودته الى وطنه عمل موظفا فى القسم العربى « باذاعة عموم الهند » بدلهى ، وكان فى نفس الوقت يواصل نشاطه العلمى والأدبى فى مجلس الهند للروابط

الثقافية ، وأكاديميات الآداب الهندية ، من التأليف والكتابة والترجمة ، الى جانب جهوده المتواصلة لنشر العلوم الاسلامية واللغة العربية وخدمة الدعوة الاسلامية بين بنى وطنه .

مرة أخرى عاد الى القاهرة فى عام ١٩٦٣ ، ومعه أسرته لاحراز مزيد من التجارب العلمية فى مجال الفكر الاسلامى ولتكوين أسرة هندية مثقفة بثقافة عربية اسلامية لتكون عونا فى سبيل خدمة الاسلام واللغة العربية فى المجتمع الهندى . فانتدب لتدريس مادة « الدراسات الاسلامية » باللغة الانجليزية ببعض كليات الأزهر ، وهذه هى أول مرة فى تاريخ الأزهر تدرس فيه العلوم الاسلامية باللغات الأجنبية ، وكان هدفه تمكين الطالب من شرح الاسلام كما يجب فى البلاد الناطقة باللغة الانجليزية ، وأختير أيضا محررا « للقسم الانجليزى » « بمجلة الأزهر » وعضوا فى لجنة الامتحانات ، لاختبار « مبعوثى الأزهر » الى غرب آسيا . . وكما عمل « عضوا منتدبا » فى المكتب الفنى « لمدير جامعة الأزهر » فى الفترة من ١٩٦٤ — ١٩٦٧ . وفى عام ١٩٧٠ عين رئيسا لتحرير مجلة « صوت الهند » الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة .

* نال « درجة الدكتوراه » عام ١٩٧١ مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، عن رسالة تقدم بها عن « الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى شبه القارة الهندية » . وكانت أول رسالة علمية جامعية تقدم فى هذا الموضوع باللغة العربية .

* قدم للمكتبة الاسلامية عددا من الكتب والمؤلفات فى الموضوعات الاسلامية والأدبية باللغة العربية والانجليزية واللغات الهندية . ويساهم بكتابة الموضوعات والأحاديث المختلفة فى الصحف والمجلات العربية والاسلامية . كما يقوم بترجمة الكتب من اللغة العربية الى اللغات الأجنبية والعكس ، ويعمل جاهدا على نشر التراث الاسلامى الخالد فى الهند وعلى توثيق عرى التعارف والتفاهم بين علماء الهند والدعاة المسلمين فيها وبين اخوانهم فى العالم العربى .

* ان الدكتور محيى الدين الالوائى طاقة من النشاط فى مجال الفكر الاسلامى لا تخبو ولا تعرف لليأس سبيلا ، ونرجو له التوفيق .

خريطة تبين الموقع الجغرافي لكل من : شبه القارة الهندية وشبه الجزيرة العربية

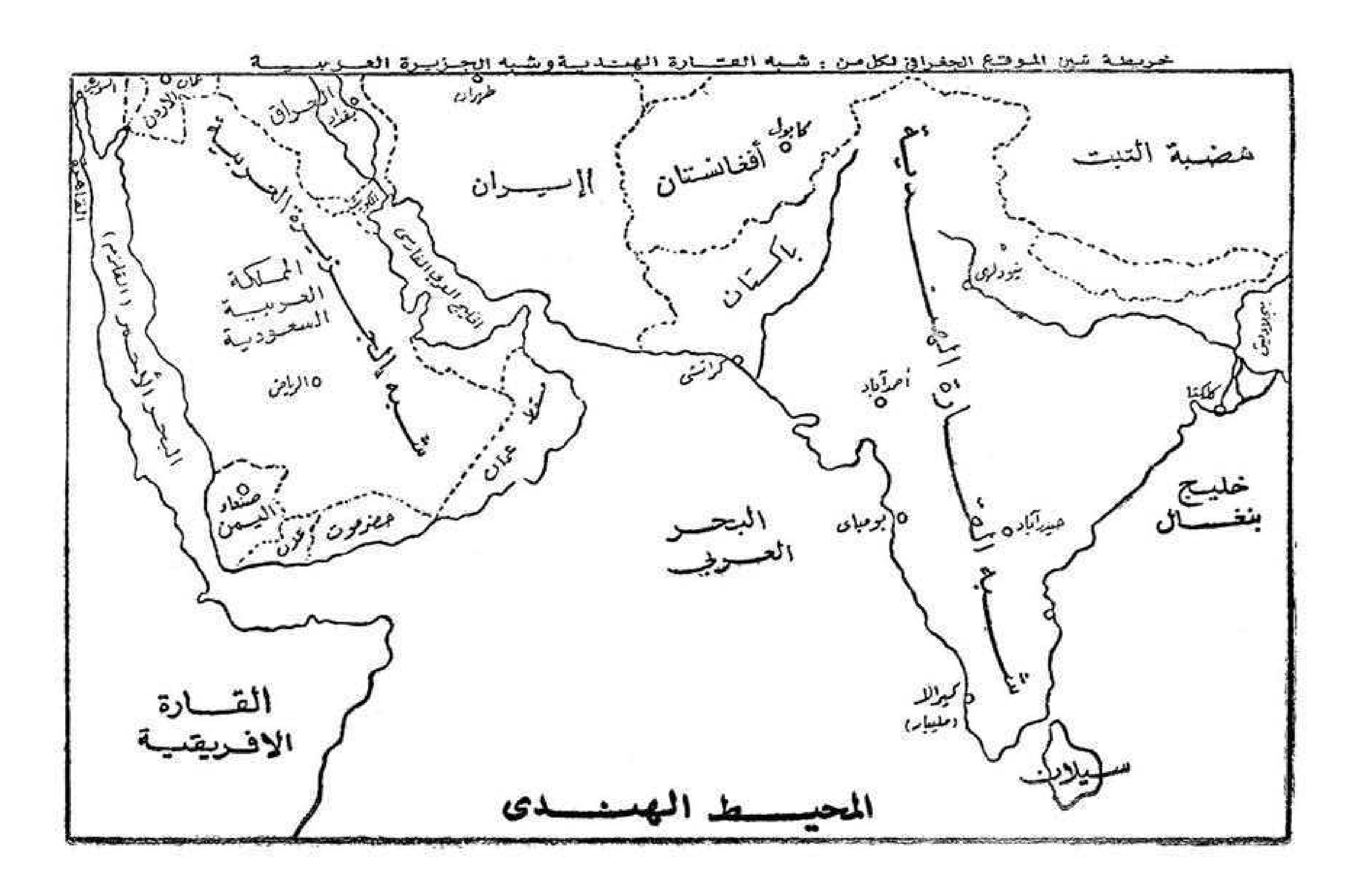

دور الأوقاف الخيرية في حياة المجتمع الإسلامي وموقف الشيوعية منها

لفضيلة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

من مآثر الاسلام الفاضلة لاصلاح حياة المجتمع الوقف الخيرى، انه مصدر خير للمجتمع الاسلامى، ولقد أدت الأوقاف الاسلامية الخيرية فى المجتمع الاسلامى دورا هاما فى نهضة الدعوة الاسلامية العلمية ، وفى نهضة التنظيم الاجتماعى الاقتصادى ، فقد أوقف المسلمون الدور والأراضى والبساتين من أجل تحقيق أغراض سامية ، من أجل تعليم العلم وحفظ القرآن ونشر المصاحف وكتب الحديث والتفسير، وتأهيل الداعية وبناء دور العلم ومعاهده وكلياته ، فوجدت نهضة علمية مباركة دعائمها أوقاف المسلمين، وأوقف المسلمون على الفقراء والمجاهدين والضيوف والمحتاجين والمتعلمين وأبناء السبيل ، ومعالجة المرضى ، وبناء المستشفيات ، فأدت الأوقاف الخيرية وتؤدى فى حياة المسلمين الاجتماعية ، وتنظيم حياتهم الاقتصادية الكريمة دورا فعالا انسانيا رائعا ، وتتحدى المبادىء البشرية الحديثة الزائفة من المبادىء الهدامة .

وأعمال البر والخير فى الاسلام وقاية للمجتمع من كل شر : وقاية له من الأمراض النفسية الاجتماعية، وقاية للأغنياء من النار ، وقاية لأموالهم من الضياع والسرقة ، وقاية لهم من المبادىء الهدامة المحرمة .

والوقف الخيرى فى الاسلام منبع من منابع الخير الأصيلة لحياة

المجتمع المسلم الكريم ، وبه وبمثله من منابع الخير التى اتسم بها الاسلام يتحدى المسلمون أى نظام بشرى لاسعاد المجتمع يكون مثل نظام الاسلام ومنهج الاسلام ، ولذا نرى أن الشيوعية تهتم اهتماما كبيرا لالغاء الأوقاف وألغتها فى بلادها وتحاول أن تعرقل مسيرتها فى كل بلد وقع فى براثنها حقدا على الاسلام ودعوته .

ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من السلف الصالح يهتمون بالوقف ورعاية الوقف والحفاظ عليه وتنفيذ شروط الواقف ، عن ابن عمر : أن عمر أصاب أرضا من أرض خيبر فقال يا رسول الله أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندى منه فما تأمرنى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها . فتصدق بها عمر على ألا تباع ولا توهب ولا تورث فى الفقراء وذوى القربى والرقاب والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول (وفى لفظ) غير متأثل مالا . » رواه الجماعة .

وفى حديث عمرو بن دينار قال فى صدقة عمر : « وليس على الولى جناح أن يأكل ويؤكل صديقا له غير متأثل . » .. وكان ابن عمر هو يلى صدقة عمر ، ويهدى للناس من أهل مكة كان ينزل عليهم ، أخرجه البخارى ، ومعنى غير متمول : أى غير متخذ منها مالا أى ملكا ، قال الحافظ : والمراد أنه لا يتملك شيئا من رقابها ، وقوله غير متأثل : هو اتخاذ أصل المال حتى كأنه عنده قديم ، وأثلة كل شىء : أصله ، فالصحابة رضى الله عنهم كانوا يحبسون أنفس أموالهم وقفا على الفقراء . وهذا علاج أصيل لمشكلة الفقراء حتى يعملوا ويحصلوا رزقهم من طريق العمل ، فيصرف الوقف على فقراء آخرين وهكذا ، وعلى ذوى القربى والرقاب والضيوف وابن السبيل .

أعمال البر فى الاسلام متنوعة وكفيلة باسعاد المجتمع : زكاة واحسان ورحمة ووصية ، ووقف على أعمال البر المتنوعة المتعددة . عن عثمان رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه

وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشترى بئر رومة فيجعل بها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى.» رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن ، وفيه جواز انتفاع الواقف بوقفه العام ، وورد فى البخارى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه : (حبس أصلها وسبل ثمرتها) وفى أخرى : (تصدق بثمره وحبس أصله) زاد الدارقطنى : (حبس ما دامت السماوات والأرض)

وللبيهقى : (تصدق بثمره وحبس أصله لا يباع ولا يورث) قال الحافظ هذا ظاهره أن الشرط من كلام النبى صلى الله عليه وسلم بخلاف الروايات الأخرى فان الشرط من قول عمر ، ويجمع بأن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك الشرط فاشترطه رضى الله عنه عن الصحابة الفضلاء وعن المتبعين لهم باحسان الى يوم الدين.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا فان شبعه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة حسنات) رواه أحمد والبخارى ،

الوقف : هو حبس الملك فى سبيل الله تعالى للفقراء وأبناء السبيل والجهاد وأعمال البر يصرف عليهم منافعه ويبقى أصله ملك الواقف ، وألفاظه وقفت وحبست وسبلت وأبدت ، وهذه ألفاظ صريحة ، وقد تكون كناية مثل : تصدقت، والرسول صلى الله عليه وسلم يبين للمسلمين أن من احتبس وقفا فى سبيل الله سبحانه وتعالى عندما يخلص النية لله ايمانا واحتسابا فان كل ما ينتج من هذا الوقف من انتاج ينتفع به أو لا ينتفع به ، وكل ما يترتب عليه من خير للمسلمين فهو فى ميزان حسنات اواقف يوم القيامة : شبع الفرس الموقوف فى سبيل الله وما يخرج منه فضلا عما ينتفع به من ركوبه والجهاد عليه لاعلاء كلمة الله فهو فى ميزان واقفه.وكل من حبس أرضا فى سبيل الله من أجل الجهاد وتسليح المسلمين واعزاز كلمة الاسلام فانه يجد فى ميزان

حسناته كل ما خرج من أرضـه ، وكل ثمرة من ثمراتها يجد ذلك فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون فى يوم القيامة . وكل من وقف أرضا على الفقراء يسد حاجاتهم ويعلم طلابهم ويبنى دور العلم والمستشفيات يجد نفع وقفه حسنات يوم القيامة، ويجدوقفه ذكرا حسنا له فى الآخرة. عن ابن عمر قال : « قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ان المائة السهم التى لى بخيبر لم أصب مالا قط أعجب الى منهاقد أردت ان اتصدق بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم احبس أصلها وسبل ثمرتها.» رواه النسائى وابن ماجه .

ولقد فعل المسلمون ذلك فاحتبسوا أصول الأراضى والبساتين وأعظم الأملاك وسبلوا ثمرتها فأثمرت مجتمعا اسلاميا كريما يتعلم فيه الفقير ، ويعالج فيه المريض ويطعم فيه الجائع ، ويكرم فيه الضيف ، ويقرأ فيه القرآن ، وتجهز فيه الجيوش لاعلاء كلمة الله ورد الاعتداء عن الحق ، ويقول الحافظ بن حجر : ولا يفهم من قوله :وقفت وحبست الا التأبيد ويدل على ذلك (حبس مادامت السماوات والأرض) قال القرطبى : رأى الواقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه ، ويقول الشوكانى : فالحق أن الواقف من القربات التى لا يجوز نقضها بعد فعلها لا للواقف ولا لغيره بعد التحبيس.وعن ابن عباس قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقالت امرأة لزوجها أحجنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى ما أحجك عليه قالت أحجنى على جملك فلان قال ذلك حبيس فى سبيل الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انك لو أحججتها عليه كان فى سبيل الله) رواه أبو داود .

وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حق خالد : (قد احتبس أوراعه واعتاده فى سبيل الله) فقد وقف الصحابة والسلف الصالح من بعدهم المنقولات والأراضى الثابتة والبساتين وأنفس الممتلكات باعوها لله سبحانه وتعالى حبس ما دامت السماوات والأرض حبسوا أصلها وسبلوا ثمرتها،ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ثامنونى حائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الىالله سبحانه وتعالى) طلبوا الثمن من الله سبحانه وتعالى على أعز ما يمتلكون من عتاد وآلات الجهاد ووسائله وأنفس الآبار وأزهر الحدائق وأبهجها وأكرم الأراضى وقدموها حبسا لا يباع ولا يوهب فى سبيل الله والدافع العظيم ايمانا واحتسابا فى سبيل الله . ولا غرابة فى ذلك فالمسلمون ايمانا واحتسابا قدموا نفوسهم جهادا فى سبيل الله فلا يبخلون بأعز ما يمتلكون من أجل النهوض والاسعاد للمجتمع الاسلامى ، وتنبه المسلمين وأغنياءهم الى أهمية الوقف الخيرى والمحافظة عليه فمن مخطط المبادىء الهدامة الحقد على الوقف الخيرى واغراء السذج ممن يسيطرون عليهم بعدم أهميته ومحاولة ازالته ولو تدريجيا لأن ذلك شوكة قوية فى عين الشيوعية ، وقوة للاسلام وأهله ، وعنوان فخار وعز وحكمة وايمان واخلاص للاسلام .

الوقف يكون على الفقراء عامة والمساكين ومشاريع البر والخير والجهاد فى سبيل الله كما يكون على الأقربين ، وهو مصدر خير فى الاسلام ، ومصدر حيوى لتقويم المجتمع وحمايته ، ولقد ذكر صاحب نيل الأوطار فى باب من وقف أو تصدق على أقربائه أو وصى لهم من يدخل فيه، عن أنس أن ابا طلحة قال يا رسول الله ان الله يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)وان أحب أموالى الى بيرحاء وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال : بخ بخ ذلك مال رابح مرتين وقد سمعت . أرى أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة :

أفعل يا رسول الله . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه . متفق عليه . وفى رواية : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البر ــ قال أبوطلحة يا رسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا فأشهدك أنى جعلت أرض بيرحاء لله . فقال: اجعلها فى قرابتك. قال: نجعلها فى حسان بن ثابت وأبى ابن كعب . رواه أحمد ومسلم ، وللبخارى معناه وقال فيه : اجعلها

لفقراء قرابتك، قال محمد بن عبدالله الأنصارى أبو طلحة زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو بن مالك ابن النجار وحسان بن ثابت بن المنذر ابن حرام يجتمعان فى حرام وهو الأب الثالث وأبى بن كعب بن قيس بن عتيك بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، فعمر ويجمع حسان وأبا طلحة وأبيا وبين أبى طلحة ستة آباء ، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذون أمر القرآن وأمر الرسول ويقدمون أحب أموالهم لله يرجون برها وذخرها عند الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يرشد أبا طلحة لأن يضع وقفه وصدقته فى الأقربين ، ويحدد الرواة موضع وقف أبى طلحة فقد تناول من قرابته من يتصل معه من قرب أو بعد حتى ستة آباء ، واذا تصورنا مدى هذا النفع وأن فقراء كل أسرة يمكن أن يستفيدوا من أقربائهم الأغنياء على مدى هذه الدائرة الواسعة من كان متصلا به وبآبائه وآباء آبائه وكل غنى يتصل بقرابته على هذا النمط ويغطى هذه المساحة الكبيرة عندئذ نجد آلاف البيوت السعيدة من الأقرباء بالاضافة الى موارد الاسلام الرحيمة العامة .

ويتبع الحديث بالحديث التالى ليبين أن الأقرباء متصلون ومايشمل الأبناء يشمل أبناء الأبناء ، عن زيد ابن أرقم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار) رواه أحمد والبخارى وفى لفظ (اغفر للأنصار ولذرارى الأنصار ولذرارى ذراريهم) رواه الترمذى وصححه فجعل لأبناء الأنصار وأبنائهم حكم الأنصار ، يقول العلماء : وذلك يدل على أن حكم أولاد الأولاد حكم الأولاد ، فمن وقف على أولاده دخل فى ذلك أولاد الأولاد ما تناسلوا ، وكذلك أولاد البنات على خلاف فى ذلك ، ومما يؤيد دخول أولاد البنات ما أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ابن أخت القوم منهم) وسئل شيخ الاسلام

ابن تيمية عن الوقف اذا فضل من ريعه واستغنى عنه فأجاب يصرف فى نظير تلك الجهة كالمسجد اذا فضل عن مصالحه صرف فى مسجد آخر لأن الواقف غرضه فى الجنس والجنس واحد فلو قدر أن المسجد الأول خرب ولم ينتفع به أخذ صرف ريعه فى مسجد آخر فكذلك اذا فضل عن مصلحته شيء فان الفاضل لا سبيل الى صرفه اليه ولا الى تعطيله فصرف فى جنس المقصود وهو أقرب الطرق الى مقصود الواقف ، واذا وقف أرضا على مسجد فيها أشجار معطلة من الثمر وتعطلت الأرض من الزراعة بسببها جاز له قلع الأشجار اذا كان فى قلعها مصلحة للأرض بحيث يزيد الانتفاع بهذه الأرض اذا قلعت الأشجار فانها تقلع وينبغى للناظر أن يقلعها ويفعل ما هو الأصلح للوقف ويصرف ثمنها فيما هو أصلح للوقف من عمارة الوقف أو مسجد ان احتاج الى ذلك .

فالأوقاف خير للأقرباء وخير للمسلمين جميعا أفرادا وجماعات . وفى ادارتها على الوجه المرضى لله سبحانه وتعالى نماء لثروة البلاد وعمل للأيدى وتشغيل للحياة ونماء وبركة ونهضة اجتماعية فى السكن والزراعة والمواساة والمشروعات الخيرية . ومن أجل أهمية الأوقاف ودورها الفعال فى حياة الدعوة الاسلامية والحياة الاجتماعية كان هم الشيوعيين أن يعطلوا دورها الفعال لطمس معالم الاسلام .

ان الشيوعية يهمها القضاء على الأديان ومن أجل ذلك يهمها أن تعطل ينابيع الخير فى الأديان فهى لا ترضى بالزكاة وتريد القضاء على الأوقاف الدينية لتقضى على المشروعات الخيرية الدينية ومنها التعليم الدينى ، جاء فى كتاب (الشيوعية والاسلام) للأستاذين عباس العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار : (ولم تقف جهود الشيوعية التى أثمرت القضاء على الدين بعد

أن تم لها ما أرادت بل والتى بذلها فاستصفت الأوقاف الدينية وحرمت التعليم الدينى ورصدت العقاب بالموت لمن يحلف بالله وأصدرت مجلة سمتها (لا دين) وزعتها فى كل مدينة وقرية بالاتحاد وأسست (اتحاد الالحاد) وبلغت فروعه سنة ١٩٣٥ م سبعين ألف فرع تضم عشرات الملايين ، وفى الدستور السوفييتى الذى صدر فى مايو سنة ١٩٣٢ م قانون يقضى على الهيئات الدينية خلال خمس سنوات (فى أول مايو سنة ١٩٣٧ م لن يبقى فى كافة البلاد أى مكان للعبادة ويجب القضاء على فكرة الاله التى هى من بقايا القرون الوسطى المظلمة) .

لذا ننبه أقطاب المسلمين فى كل مكان الى العناية بالأوقاف الخيرية والاستفادة منها فى نجاح الدعوة الاسلامية ، والحفاظ عليها ، وحراستها من الأفكار الالحادية . والله الموفق .

دكتور

الحسينى عبد المجيد هاشم

وكيل الوزارة لشئون مكتب الامام الأكبر شيخ الأزهر .

الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم

تعريف بالكاتب

حصـــل على عالية أصـــول الدين سنة ١٩٥٣ وتخصـــص التدريس سنة ١٩٥٤ ـ الماجستير سنة ١٩٦٢ ـ الدكتوراه سنة ١٩٦٤ فى الحديث والتفسير من جامعة الازهر ـ عين بمعاهد الأزهر سنة ١٩٥٤ ، وكلية أصول الدين سنة ١٩٦٦ مدرسا واستاذا مساعدا فأستاذا للحديث والتفسير سنة ١٩٧٦ م

وحصل على الاعـدادية باللغـة الانجليزية سنة ١٩٤٦ و « كورس » فى اللغة الانجليزية من المركز الأمريكى بجـدة سنة ١٩٧٢ وحصل على شهادة من قسم المتقدمين المتفوقين فى اللغة الانجليزية من كلية التربية بجامعة الملك عبـد العزيز بالسعودية ٠

درس فى معاهد الفيوم والزقازيق وغزة وليبيا وجامعة أم درمـان الاسـلامية بالسـودان وجامعة الخرطـوم ـ قسـم الدراسات العليـا بمـكة المـكرمة ، حضر مؤتمر القـرآن فى السودان ، ومؤتمر الوفود الاسـلامية ورسالة المسـجد فى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وعضو لجنة السـنة

بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ولجنة التفسير والحديث بمجمع البحو الاسلامية ·

ومن مؤلفاته :

١ ـ الامام البخارى محدثا وفقيها ـ طبع الدار القومية ·

٢ ـ الوحى الالهى ـ طبع دار الكاتب العربى ·

٣ ـ الامام الغزالى حجة الاسلام ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ·

٤ ـ الرصافى شاعر الوحدة ـ طبع الدار القومية ·

٥ ـ البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث ـ جزء أول وثانى وثالث ـ طبع لجنة التراث بالأزهر ·

٦ ـ أصول الحديث النبوى ومقاييسه ـ طبع مكتبة الرافعى ·

٧ ـ تحقيق وتعليق على مسند الامام أحمد بن حنبل تكملة لعمل الشيخ/أحمد شاكر جزء ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ـ طبع دار المعارف ·

٨ ـ جامع الترمذى بتراث الانسانية ·

٩ ـ الفخر الرازى بتراث الانسانية ·

له ابحاث فى المجلات الاسلامية ـ مجلة الأزهر ، ورابطة العالم الاسلامى والتضامن الاسلامى ، والهدى الاسلامى والوعى الاسلامى وغيرها ـ ومحاضرات وأحاديث فى الاذاعة والتليفزيون فى مصر والسودان والسعودية ·

تحقيق صحفى

حول مؤتمراتنا الإسلامية ..!!

● المؤتمر الصهيونى الأول استمر ثلاثة أيام .. واستمر الاعداد له سبع سنوات !!

● كثير من مؤتمراتنا .. دعاية .. وليست دعوة !!

● كثير من الموضوعات انتهت عند حد الالقاء والمناقشة !!

● لابد من جهاز متابعة لكل مؤتمر لتنفيذ توصياته !!

تحقيق : جابر رزق

عندما حضرت المؤتمر الأول للتعليم الاسلامى الذى عقد فى مكة هذا العام وسمعت وقرأت ما طرحه أعضاء المؤتمر من أبحاث ، وما انتهى اليه من توصيات وقرارات .. قلت لنفسى : هذا المؤتمر — لو صدقت النوايا .. وصحت العزائم — لكان الخطوة الأولى والأساسية فى اعادة مجد هذه الأمة الضائع .. ولا أتصور بداية صحيحة غير هذه البداية .. لأن نظم التربية والتعليم هى التى تبنى انسان المستقبل فاذا كانت فاسدة .. كما هى الحال فى البلاد الاسلامية . فلن تخرج الا الانسان الفاسد .. فان أصلحت هذه النظم كانت أهلا أن تبنى الانسان الصالح !

ومن قبل مؤتمر التعليم .. عقدت مؤتمرات فى الاقتصاد الاسلامى .. وفى التكنولوجيا .. ومؤتمر رسالة المسجد ومؤتمر الدعوة .. وكان

لكل مؤتمر من هذه المؤتمرات توصيات وقرارات لها نفس أهمية توصيات وقرارات مؤتمر التعليم ، وربما قيل عنها ما قلته عن مؤتمر التعليم الاسلامى الأول ..فماحقيقة تلك المؤتمرات !؟.. وماهى الفائدة التى تعود على امتنا الاسلامية منها!؟ وكيف تصبح بحق الخطوة الأولى الى اعادة هذه الأمة الى مكانتها الحقيقة فى مقدمة القافلة البشرية !؟

وأنا مع من يقول : أن اسلوب المؤتمرات شأنه شأن التربية .. والاعلام .. والعلم .. انما هو حقيقة محايدة يمكن أن توجه اذا أحسن التحضير لها والمتابعة لقراراتها الى الخير..ويمكن أن تكون مجرد عمل اعلامى لا يقود الى شىء ! !

مع اللواء .. شيت خطاب

وقد التقيت مع مجموعة من رجال الفكر الاسلامى الذين شاركوا فى أغلب هذه المؤتمرات لرسم صورة مؤتمراتنا الاسلامية .. وما ينبغى أن تكون عليه .. وكان لقائى مع اللواء الركن محمود شيت خطاب الذى شارك فى العديد من المؤتمرات وأحد الذين قدموا اسهامات قيمة فى صرح الفكر الاسلامى المعاصر ..

قلت للواء شيت خطاب

ـ مارأيك فى المؤتمرات الاسلامية التى عقدت خلال السنوات الأخيرة!؟

فقال :

ـ أول شيء أريد أن أتحدث عنه هو الاعداد لهذه المؤتمرات وأضرب لك مثلا .. المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ استمر ثلاثة أيام فى حين أن الاعداد لهذا المؤتمر استمر سبع سنوات . والذين قاموا بالاعداد هم الخلاصة فى كل ميدان .. مجموعة الاقتصاديين ..مجموعة فى السياسة ..فى كل مجال من المجالات . لهذا عندما عقد المؤتمر كان كل شيء جاهزا ومعدا ومدروسا ، وكل بحث قدم كان خلاصة خبرة أهل هذا المجال .

اما الذى يحدث عندنا أن المؤتمرات تبدأ من غير اعداد علمى أصيل ..

ثانيا : اختيار المشاركين فى المؤتمر .. ينبغى ان نهتم بالكيف، لا بالكم .. فقد يكون عشرة من ذوى الاختصاص والكفاءات العالية والأمانة والتدين أجدى من فئات لا يتحلون بمثل هذه الصفات ..

ثالثا : اختيار المواضيع المطروحة للدراسة .

العالم الاسلامى تجتاحه مشاكل كثيرة جدا .. كما أن هناك قضايا فى الحياة لها صلة مباشرة بالدين فلماذا نتهرب منها ؟

كل ما يحدث فى مؤتمراتنا أن الموضوعات المطروحة للبحث والعرض أكثرها مرتجل وانشائية تخاطب العاطفة ولا تخاطب العقل مما يجعلها لا فائدة ترجى منها .. لابد أن يكون لكل مؤتمر هدف معين يمكن تحقيقه بسهولة ويسر، أما أن نحشر كثيرا من الأهداف فان من الصعوبة تحقيق تلك الأهداف عمليا ..

الوقت الكافى .. للباحثين !!

رابعا : لا بد من اعطاء الوقت الكافى للباحثين .. والذى يحدث ان أكثر الباحثين تصلهم الدعوات قبيل المؤتمر بأيام قليلة .. فاما أن لايعد الباحث دراسة عميقة ويكون متفرجا فى المؤتمر وبذلك يصبح طاقة ضائعة أو أن يعد بحثا مرتجلا ولا فائدة من كل ارتجال أو أن يستخرج بحوثه القديمة من ادراجه ويعيد قراءتها فى كل مؤتمر حتى أصبحت كاللحن المكرر !!

ويضيف اللواء شيت خطاب ..

ـ ان كثيرا من تلك المؤتمرات التى عقدت وتعقد تكون مؤتمرات دعاية لا مؤتمرات دعوة ، من هنا كانت الاحتفالات الباذخة والاسراف الذى لا مسوغ له ! ! كم أتمنى لو خصصت هذه المبالغ للدعوة الحقة ! !

أما عن المقررات والتوصيات التى تضعها المؤتمرات فيجب أن تكون قابلة للتنفيذ ، ولكن الذى يحدث أن أكثر المقررات لا تنفذ أبدا . بينما التنفيذ هو كل شىء.. والمؤتمرات عندما تنتهى يعتقد المسئولون عنها أنهم أنهوا واجبهم، والواقع أن واجبهم المهم يبدأ بعد انتهاء المؤتمر لأن مراقبة التنفيذ والمتابعة مسئولية تقع عليهم مباشرة ! !

ويقول اللواء شيت خطاب . .

ـ كما أن تنظيم المؤتمر مهم جدا أيضا .. ويحتاج الى عناية وأقصد به استقبال أعضاء الوفود.. واعداد السكن لهم والاشراف على راحتهم وسفرهم وتنقلاتهم حتى يتفرغوا تماما للمهمة التى دعوا اليها . .

راى .. فضيلة الشيخ الغزالى !!

وكان لقائى الثانى بفضيلة الشيخ محمد الغزالى الذى قال لى :

ــ كان من حظى أن أشارك فى عدة مؤتمرات ذات أهداف متنوعة فكنت مقررا لمؤتمر توجيه الدعوة واعداد الدعاة وكنت متحدثا فى مؤتمر التعليم الاسلامى ومتحدثا فى مؤتمر أثر الشريعة الاسلامية فى سيادة الأمن فى المملكة العربية السعودية وهو مؤتمر حضره عدد من المستشرقين والباحثين الأجانب ، وشاركت فى مؤتمر الاقتصاد الاسلامى كما شاركت فى المؤتمر المسيحى الاسلامى الذى انعقد فى الاسكندرية من ربع قرن تقريبا ولا زال ينعقد فى عواصم عربية وأوروبية . وأستطيع القول أن الكثرة الكاثرة من البحوث التى عولجت فى هذه المؤتمرات كانت غنية وقوية ومفيدة وخادمة لموضوعاتها وناجحه فى علاج القضايا التى تعرضت لها ، وأستطيع أن أقول باقتناع أنها أعطت المكتبة الاسلامية آفاقا جديدة ، وأغلب الذين تحدثوا بذلوا جهودا صادقة فى أن يكونوا روادا فى خدمة الثقافة الاسلامية بعامة والقضايا التى تعرضوا لها بخاصة.لكن المحزن أن هذه الموضوعات التى تألق فيها العقل الاسلامى انتهت عند حد الالقاء والمناقشة الموضعية المحلية . أما الانتقال بها الى ميدان التطبيق والتنفيذ ومتابعة ما أمكن الوصول اليه من مقررات فان ذلك كله لم يقع منه شىء يذكر . ولذلك فان هذه المؤتمرات من الناحية النظرية علم جديد نافع ولكنها من الناحية

العمليـة علم دفن مكانه فأصبح كالمعـدن الذى خبىء تحت التراب فلم يجـد من يكتشفه وينفـع الانسان به •

ويبدو أن هذه المؤتمرات عقدت لغير ما تتصور ! والا لكانت بداية لهـا ما بعـدها ! !

ومع ذلك فاننا نرجو أن تكون فترات التريث التى أعقبت عقـد هذه المؤتمرات فترات درس واعداد لمـا يرقبـه المسلمـون من تحقيق لآمالهم فى عقدها ! !

تنبيه الرأى العام الاسلامى

أما الدكتـور مصـطفى حلمى الأسـتاذ المسـاعد بقسم الثقـافة الاسـلامية بجامعـة الرياض • • فيقول :

ـ هذه المؤتمرات وسيلة تجميع وحشد لعلماء المسلمين فى العـالم الاسـلامى كلـه مما يتيح الفرصة لتبادل الآراء والخبرات والشورى ممـا يـؤدى الى زيـادة الوعى بالمشكلات التى يعانى منها العـالم الاسلامى•• واقتراحات حلولها ••

كما أن هذه المؤتمرات تسـاهم فى ايجـاد رأى اسـلامى موحـد لمواجهة المشـكلات المعـاصرة فى القضايا التى تبحثها المؤتمرات ••

كما تساهم أيضـا فى توضـيح موقف الاسـلام فى مسائل هامـة أساسية كمناهج التعليم من وجهـة نظر الاسلام وتأكيد كفاية الشريعة الاسلامية للمشـكلات الانسانيـة فى كل عصر •

واذا خصصنا الحديث فى مؤتمر الدعوة والدعاة أمكن القاء الضوء على العقبات التى تحـول بين دعاة المسلمين وبين أداء دورهم واظهار حقائق ما يدور فى أنحاء العـالم من حيث اضـطهاد القـلة الاسـلامية ومنعهم من أداء شعائرهم •• يعنى باختصـار تنبيـه الرأى العـام الاسـلامى الى ما يعانى منه اخوة لهم يقعون فى الستار الحديدى وفى افريقيا وفى الفلبين وغيرها ••

أما عـن جانب النقص فى هذه المؤتمرات فهو ما يتصـل بوجود جهاز متابعة للاشراف على تنفيـذ التوصيات حتى لا تتحول القرارات والتوصيات الى مجرد كلمات تقال وتنفض ••

مع الدكتور القرضاوى

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى ..

ـ الواقع هناك نواحى طيبة وايجابية لهذه المؤتمرات وقد حضرت عددا منها بعضها فى البلاد العربية والاسلامية وبعضها فى أوروبا وأمريكا وبعضها يأخذ الطابع العلمى وبعضها يأخذ الطابع العملى والحركى بجوار الجانب العلمى أيضا .. ومن الوجوه الايجابية أنها تجاوزت مرحلة الوطنية والقومية الى عالمية الاسلام فأصبحنا نرى مؤتمرات تعقد على مستوى العالم الاسلامى نجد فيها العربى والعجمى أسيويا أو أفريقيا أو أوربيا أو أمريكيا وقد تناسى الجميع جنسياتهم ولم يبق الا راية واحدة تظل الجميع هى راية العقيدة الاسلامية والأخوة الاسلامية وهو وجه ولا شك من أوجه التضامن الاسلامى فى مجالات العلم والثقافة والدعوة ، وهذه مرحلة لا بد أن تسبق كل تضامن يدعى اليه على المستوى السياسى أو الحكومات..

ووجه آخر هو أن هذه المؤتمرات تتيح لعدد كبير من رجالات الفكر والرأى والدعوة فى العالم الاسلامى وخارجه أن يلتقوا ويتعارفوا ويتدارسوا قضاياهم وتتلاقى أفكارهم ويتبادلوا الخبرات وهذا ليس بالأمر الهيّن وأعتقد أنه كسب كبير من مكاسب هذه المؤتمرات فكم من لقاءات جانبية تعقد بين المؤتمرين بعضهم وبعض والتفاهم على قضايا واتفاق على أعمال تخدم قضايا المسلمين الفكرية أو الحركية

أو السياسية •• كل هذا يحـدث من خلال هذه المؤتمرات ••

هناك وجه آخـر هو أن هـذه المؤتمرات كثيرا ما أزالت الفجـوة التى كانت قائمة بين علماء الشريعة وغيرهـم من العلمـاء المدنيـين والمتخصصين فى مجالات العـلوم الانسانية المختلفة كما رأينـا ذلك واضحا فى المؤتمر العالمى الأول فى الاقتصاد الاسلامى ومؤتمر التعليم الاسـلامى • • وهـذا التقريب أو التلاقى يفيد كثيرا فى حقل العمل الاسلامى والدعوة الاسلامية • •

أمر رابع هو أن هذه المؤتمرات تقـدم لهـا بحوثا كثيرا ما تكون مخـدومة ومدروسة ويمـكن من خلالها النفـاذ لبعض المشـكلات لعلاجها علاجا واقعيـا بأقلام أناس متخصـصين لا ينقصهم الايمـان ولا الوعى ولا التجربة ! ! كما أنها تستطيع أن تكون مصـباحا على الطريق أو مفتاحا لمن يريد أن يعمل أو لمن يريد برنامـج أو خطـوات يهتدى بها فسيجد هذه المقـررات أو التوصيات جاهـزة أمامه تعبت فيها عقول كثيرة وسهرت عليها حتى ظهرت بهذه الصورة •

سلبيات هذه المؤتمرات !!

وعن سلبيات هذه المؤتمرات •• يقول الدكتور القرضاوى :

ـ من سلبيات هـذه المؤتمرات أنها كثيرا ما تتخذ لخدمة أهداف سياسية وهذا يفقدها تأثيرها وثقـة الناس بها وهـذا ملحوظ فى بعض البـلاد التى عقدت فيها وفى بعض العهود • شىء آخر هذه المؤتمرات كثيرا ما تنبثق عنها توصيات جيدة ومقررات نافعة ولكن لا تتخـذ الوسائل الايجابية لمتابعـة تنفيذها والاشراف على نقلها من حيز الورق الى حيز الواقع ولهذا قلت فى بعض المؤتمرات : اننى أخشى أن ينبثق عن المؤتمر بحوث جيدة لا تقرأ ، وتوصيات جميلة لاتنفذ ، ممايؤخذ على كثير من المؤتمرات أن بحوثها لا تطبع بحيث ينتفع بها الناس فى العالم الاسلامى وما يطبع منها يطبع فى حيز محدود لا يمكن تعميمه على قاعدة كبيرة من الناس ••

الطريق .. لوحدة فكرية !!

أما الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الأستاذ بجامعة الرياض فيقول :

ـ أهم ايجابيات هذه المؤتمرات أنها تجمع رجال الفقه والعلم الاسلامى فى صعيد واحد فتتقارب الأفكار وتتضح المفاهيم وتتبلور فى اتجاهات محددة كما أنها تتيح فرصة بحث القضايا الكبرى بحثا واسعا ومتعدد الجوانب وبذلك تضع تحت أيدى الباحثين ذخيرة علمية للبحث والدراسة . . كما أنها تنشط الدعوة والعمل الاسلامى العام عن طريق لقاء أفراد ما كان من الممكن التقاؤهم ولا جمعهم عن غير هذه الطريق ..

وتعطى هذه المؤتمرات جماهير الأمة الاسلامية دفعة اعلامية وتلفت أنظار الأمة نحو الفكرة الاسلامية .

وأرى ان هذه المؤتمرات اذا أحسن توجيهها والاستفادة بنتائجها يمكن ان تكون ارهاصا وتأسيسا لوحدة فكرية اسلامية مرة اخرى بعد عصور التشتت والتمزق الطويلة التى فرضتها القوى الخارجية طوال فترة الاحتلال سواء بالكيد المباشر أو بالدسائس والمؤامرات الطويلة . وتستطيع هذه المؤتمرات أن ترسم خطة متكاملة لاعادة بناء العالم الاسلامى من جديد فكريا واجتماعيا واقتصاديا وبذلك يمكن مواجهة التيارات التى تشكك فى الاسلام وفى قدرته على مواكبة

البناء الحضارى لأى أمة ، هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى هذه المؤتمرات تضع فى يد المخلصين من المسئولين خطة عمل محددة اذا أرادوا فعلا أن يتجهوا بأمتهم الى طريقها الأصيل والوحيد وهو الاسلام أو على الأقل تكون حجة عليهم فى دعوى عدم وجود البديل•

وعن سلبيات هذه المؤتمرات • • يقول الدكتور عبد الستار :

ــ عدم دعوة بعض كبار رجال الفقه والفكر الاسلامى أحيانا لهذه المؤتمرات لاعتبارات مختلفة سياسية وغيرها فى الوقت الذى يدعى اليها أناس فى غاية الضحالة الفكرية. يدعون لاعتبارات سياسية ومصلحية •

ــ عدم متابعة قرارات هذه المؤتمرات للتنفيذ والملاحظة بعد صدورها مما يجعلها فى الغالب جهدا فكريا أو علميا يضيع فى تيار الحياة بعد انتهاء المؤتمر ••

ويرى الدكتور عبد الستار

ــ انشاء مجلة متخصصة تحمل فكر ومقررات هذه المؤتمرات حتى تكون الصلة دائمة بين هذه المؤتمرات وبين الجهات العلمية والمثقفين والعلماء فى البلاد الاسلامية

ــ وتيسير مطبوعات هذه المؤتمرات والعمل على نشرها على أوسع نطاق وتوصيلها للمؤسسات العلمية والمراكز الثقافية فى العالم الاسلامى ••

ويختتم حديثه بقوله

ــ على هذه المؤتمرات ان تخرج من دائرة المقرارات الوصفية التى تمتدح النظام الاسلامى وتدافع عنه بل ينبغى أن تتجاوز هذه المرحلة الى خطوة عملية جادة وهى وضع الخطط والمناهج البديلة للأنظمة المستوردة من الحضارة المادية•فمثلا مؤتمر الفقه الاسلامى ينبغى ان يضع نصب عينية تقنين الشريعة الاسلامية حتى نقطع الطريق على دعاوى اصحاب القانون الوضعى فى عدم وجود البديل •• ومؤتمر الاقتصاد يجب أن يضع بدائل للنظام المصرفى القائم بحيث يحقق مصلحة الاقتصاد الاسلامى ويتجنب

المعاملات الربوية والمضاربات غير المشروعة !

وعن أسوأ عيوب هذه المؤتمرات .. يقول الدكتور عبد الستار

ـ من عيوب هذه المؤتمرات أنها احيانا تستخدم لأغراض سياسية مما يحدث انفصاما بينها وبين جماهير المسلمين وينعكس عليها ظلالها فى عدمة الثقة فشلا الدولة التى تستهزىء بالاسلام علنا ثم تعقد مؤتمرا اسلاميا للدعاية السياسية فتحشد العناصر الموالية لها وبالتالى لايكون لهذا المؤتمر أى تأثير يذكر . ولكن فى المحصلة النهائية يضر بسائر المؤتمرات الجادة !!

مقررات .. منهج للتنفيذ !!

وكان اللواء محمد جمال الدين محفوظ آخر من التقيت بهم وسمعت رأيهم فى المؤتمرات الاسلامية وما ينبغى ان تكون عليه .. فقال :

ـ رأيى أن أى مؤتمر لا تتحول مقراراته وتوصياتة الى منهج عملى قابل للتنفيذ لا جدوى منه .

وحتى يتحقق ذلك يرى اللواء محمد جمال الدين محفوظ

ـ ان أى مؤتمر يعقد يجب ان يقوم على اساس بحث المشاكل التى تعانيها الأمة ولا بد من التنسيق مع الحاكم أو الحكومة بمعنى أن المؤتمر عندما يبحث مشكلة ما انما يبحثها لحساب الحكومة المسئولة . وما يصل اليه من توصيات ومقررات تتلقف الحكومة أو الحاكم هذه التوصيات لكى تحولها الى منهج للتنفيذ ! !

وأيا كانت الآراء التى قيلت .. فى مؤتمراتنا الاسلامية فنحن لا نرجو الا الخير كل الخير . . لأمتنا . . وحتى يتحقق هذا الخير فاننا نبسط ما بسطنا من باب القاء الضوء حتى يمكن أن نرى بوضوح ما ينبغى أن نصلحه . . ونصححه ! !

تحقيق : جابر رزق

١٧٢٥

مجمع البحوث الإسلامية
في الميزان

- مجمع البحوث الإسلامية في التاريخ
- بحوث المجمع
- الخطة العلمية
- موقف الأعضاء
- القرارات والتوصيات
- موقف المجمع من الاشتراكية
- موقفه من الربا
- موقفه من التأمينات
- موقفه من التشريع للأسرة
- تقنين الشريعة الإسلامية
- موقفه من الإسرائيليات
- موقفه من الأقليات الإسلامية
- حاجة المجمع إلى كادر خاص
- حاجة المجمع إلى مبنى
- بين الأمل والواقع

دكتور يحيى هاشم

مجمع البحوث الاسلامية مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية المعاصرة ، واذا كان من اللازم لتفهم حركة تاريخية معينة ، أن نحاول التعرف على جذورها التى تضرب فى أعماق الماضى البعيد أو القريب فانه يكفينا فى هذا المقام أن نشير الى أن جذور هذا « المجمع » ، تمتد الى حلقات العلم التى انعقدت هنا وهناك منذ ظهور الدعوة الاسلامية ، وقيام المجتمع الذى يدين بهذا الدين الجديد .

ولسنا هنا فى مقام الافاضة فى بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرنا ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين الدولة أو المجتمع أو الحركة الحضارية العالمية بوجه عام ، ولكنه يكفينا أن نلم على وجه السرعة بالعلاقة الاصطرادية التى قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الاسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة فى ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بينهما ترابط عضوى وثيق .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نلاحظ حركة الجزر التى أصابت الحضارة الاسلامية اثر النزيف الطويل الذى كان من نتائج الحروب الصليبية — برغم ما أحرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى — ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من ترهل وخمول وتمزق أثر الغزو الاستعمارى ، وكان لنا أن نلاحظ ما يصاحب ذلك كله من مظاهر القصور فى الحركة الفكرية الاسلامية بوجه عام .

واذا كانت حركة الجزر التى أشرنا اليها قد وصلت الى غايتها بوصول الاستعمار الأوربى الى عنفوانه فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار فى طور جديد ينذر ببدء زواله ، فانه من الملاحظ أن ذلك كان مصحوبا ببدء حركة اسلامية تحاول بعث العملاق الاسلامى من سباته ، وتضميد جراحاته ، ودفعه الى حيث يحتل مكانه اللائق به فى موكب التاريخ .

واذا كانت ارهاصات هذه الحركة قد تمثلت فى فكر الأفغانى ودعوته الى الجامعة الاسلامية ، وكتابات الكواكبى وأحلامه فى « أم القرى » وفلسفة محمد عبده وخطته فى التربية الاسلامية ، فان الأمر بعد ذلك ظل طويلا فى اسار الدعوة والحلم ولم يكد يظهر أثر له فى عالم الواقع الى أن ظهر مجمع البحوث الاسلامية فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين كنواة للتجمع الاسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الأولى على الطريق ..

واذا كانت التربة الخاصة التى ظهر فيها مجمع البحوث الاسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة باثراء الفكر الاسلامى وربط الشعوب الاسلامية برباط وثيق مستقر يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فانه يلزمنا أن نشير الى أنه كانت للأزهر تجربة سابقة قريبة فى انشاء هيئة علمية شبيهة بالمجمع تستظل بظل الأزهر ، وتعمل على تركيز قمة النشاط العلمى فيه ، تلك هى « هيئة كبار العلماء » التى حل محلها المجمع ، وزاد عليها فى اختصاصاته وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولكى نستكمل الصورة التى كونت البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع ، لا يفوتنا أن نعرب عن الرأى القائل بأن ظهوره كان انحيازا لوجهة النظر التى ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الاسلامية أو الجامعة الاسلامية الموحدة بظهور دراسات وأبحاث تشمل جميع أوجه الحياة الاسلامية، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لها فى صورة الممكن، وترد على أعداء النمط الاسلامى الذى يدعون استحالته فى الحياة المعاصرة .. وذلك ضد وجهة النظر الأخرى التى رأت أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الاسلامية لا تتركز فى اجراء هذا النوع من الأبحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العلمى

للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الاسلامية أسيرة له منذ قرون ، وبقدر ما تتركز فى الاستحواذ على السلطة، واستخدامها لمصلحة هذا التغير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الأساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الاسلامية ـ وكما يتبين من اسمه ـ هو توجيه الهمة نحو اجراء البحوث والدراسات النظرية ، ومن هنا جاء فى قانون انشائه الصادر فى عام ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الشوائب والفضول وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها » .

ومن هنا استهل المجمع نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت مختلف أوجه الفكر الاسلامى، والحياة الاسلامية، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ليس فحسب على ضرورة بعث النمط الأسلامى لحياة الأمة الأسلامية ، بل على امكان هذا البعث أيضا .

وحرص المجمع على اصدار بحوثه تلك باللغتين العربية والانجليزية فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمراته التى تعقد سنويا تقريبا وبلغت سبعة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، واشتملت على دراسات فى « ... الاجتهاد ، وأصول التشريع وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى الدولة الاسلامية ، ونظام الحسبة ،

والعلاقات الدولية والمعاملات المصرفية ، والتأمينات وشهادات الاستثمار ، وتنظيم الأسرة ، وتحديد النسل ، ومكانة المرأة فى الاسلام ، والزكاة ، والصدقة ، واستثمار الأموال فى الاسلام ، وتحديد أوائل الشهور القمرية ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بالاقتصاد المعاصر وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره .

والقضية الفلسطينية وواجب المسلمين نحوها ، وموقف اليهود من الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله والمسلمين ، والعقيدة الاسلامية بين النصيين والعقليين ..

والقرآن فى التربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع ..

وتربية الشباب على مبادىء الاسلام ، وشخصية المسلم ، وعوامل انتشار الاسلام ، وفلسفة الحرية ، وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية وأثرها فى رقى البشرية ، وحقوق الانسان فى الاسلام .

والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .. ووظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر ، ووسائل المحافظة على طبع المصحف الكريم . ومنزلة السنة النبوية .

وانه ليتبين من هذه الاشارة العابرة الى الموضوعات التى عالجتها مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من ١٩٦٤ الى ١٩٧٢ انها تمتد على أفق واسع من جهات البحث الاسلامى وتستجيب لمقتضيات الواقع الاسلامى الذى تمثل فى مطالبة الرأى العام له بأن يقدم انتاجه العلمى اثر انشائه مباشرة ، الأمر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الأخذ به فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمر البحوث فى أطوار من العرض على الأروقة ، ثم على مجلس المجمع الذى يضم أعضاءه والذى ينعقد مرة كل شهر ثم ينتهى بها الأمر بعد ذلك الى أن تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة والتدقيق والتمحيص .

واذا كانت ظروف المجمع والعجلة التى صاحبت انشاءه اقتضته أن يسلك هذا السبيل ، فقد كان هذا السبيل

ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع على خطته العلمية بعيدة المدى التى يشغل بها أروقته ولجانه ، ومن ثم كانت هى المدخل الواقعى لسلوكه سبيل العمل المنظم الذى أشرنا اليه سابقا . وعلى هذا الأساس يمكننا أن ننبه الى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الأسلوب من العمل وكان حريصا على استغلال ظروف انشائه الأولى واستخدامها من أجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات والقرارات التى أثمرتها مؤتمراته الأولى . فوضع المجمع هذه الخطة ، وكلف أروقته ولجانه بالعمل فى انجازها لتكون بعد ذلك محل الدراسة فى مجلسه الشهرى ، ثم فى مؤتمره السنوى .

وبذلك فان المجمع لا يكون قد وضع قدمه على الطريق الصحيح فحسب ، وانما يكون قد اكتسب من واقع الظروف الأولى لنشأته ميزة أن تكون خطته العلمية للأروقة واللجان منبثقة عن مؤتمره فوق أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان متكونة من أعضائه يتفرع عن كل منها عدد من الأروقة أو اللجان الفرعية التى تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الأعضاء وهذه اللجان الأساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، واحياء التراث الاسلامى ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة . كما تكونت لجان ذات مهام معينة أو مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التى تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » أو « فى سبيل حوار اسلامى مسيحى » . ولجنة دائرة المعارف الاسلامية ، ولجنة المسجد الأقصى ، ولجنة الأقليات الاسلامية .

وما دمنا هنا بصدد الكلام عن الخطة العلمية التى وكل المجمع الى أروقته ولجانه العمل على تنفيذها فاننا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بمهمته فى انجاز خطته .

فمن ناحية: عليه أن يهيىء لأعضائه الأصليين ظروفا أنسب لبذل الجهد والعمل المثمر .. وفى هذا الشأن فان البعض قد وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها المجمع لأعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الاشراف عليها .

واذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوحت ــ أو هى من شأنها أن توحى ــ برمزية العضوية فان من الملاحظ ان الاعضاء لم يقفوا عند هذا الحد بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل من الثناء عليهم والشكر لهم دينا واجب الأداء فى عنق الأمة الاسلامية .

الا أن المطلوب بمقتضى الخطة الموضوعة هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الأمر الذى يقضى ــ كما قدمنا ــ باعادة النظر فى تهيئة الظروف المناسبة .

ومن ناحية أخرى فان على المجمع أن يضع نظاما يكفل قيام علاقة وثيقة مرنة فى نفس الوقت بين أعضائه الأصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى تنفيذ خطته . بأن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ خطتها على أعضائها ليقوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والاشراف على تنفيذه . على أن يقدم الى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره واقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون ، ثم يقدم الى اللجنة مجتمعة تقريرا علميا مفصلا عما تم انجازه مصحوبا بالرأى فيه ، ثم يرفع الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل الى مجلس المجمع ، ولا يكون للمجلس حق التعديل فى رأى اللجنة اذا كان من المسائل العلمية الدقيقة التى تدخل فى اختصاصها دون غيرها ، واذا كان للأمر خطورة يقدرها المجلس فله أن يرفعه الى مؤتمر المجمع .

ومن ناحية ثالثة فان على المجمع أن يهيىء الظروف المناسبة التى تكفل لأعضائه الاصليين من خارج جمهورية

مصر العربية المشاركة الفعلية فى تقديم خبرتهم ونشاطهم وجهودهم من أجل تنفيذ خطته بدلا من الاقتصار على تلقى البحوث التى يلقيها بعضهم فى المؤتمرات السنوية . وفى هذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالاشراف على انجاز أجزاء من هذه الخطة ، فى بلادهم واتاحة الفرصة لهم فى الاستعانة بمن يقترحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون فى بلادهم الأمر الذى يحقق للمجمع نطاقا أوسع ، وخبرات متنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث فى أروقة المجمع ولجانه ، التى دلت على حاجة المجمع الى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطاق العالم الاسلامى ، مسألة تقنين الشريعة الاسلامية ، ومسألة وضع موسوعة مفهرسة للحديث النبوى .

ففى موضوع تقنين الشريعة الاسلامية ، تظهر الحاجة الى الاستعانة بفقهاء المذاهب الاسلامية الذين لا يتوفرون فى نطاق جمهورية مصر العربية ؛ ويوجد الكثير منهم فى أنحاء العالم الاسلامى ..

وفى موضوع وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية تظهر الحاجة أيضا الى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار اليهم فى بعض البلاد الاسلامية ، الى جانب اخوانهم من علماء مصر ..

واذا كان المجمع فى هذين الموضوعين لم ينجز كل ما طلب منه فاننا نعتقد ان السبب فى ذلك انه يخطو نحوهما بخطوات ثابته لا تفسدها العجلة التى من شأنها ان تفسد العمل فى مثل هذه المشروعات العلمية الجليلة .

وانه لمن الواضح ان الدراسات التمهيدية التى تسبق البدء الفعلى فى انجاز مثل هذه المشروعات ينبغى أن تنال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهات النظر ، الأمر الذى تستحق من أجله كل وقت يبذل ،بشرط موالاة العمل ومواصلة الجهد .

واذا كان هذا هو شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ،أو فى بحوثه التى يشغل بها لجانه ، فانه

من الملاحظ أنه قدم للمجتمع الاسلامى مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الاسلامية المعاصرة ٠

وأنه من الملاحظ أيضا أنه حين اصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات : فهو من ناحية وبحكم كونه مجمعا اسلاميا مرتبطا بأصول مقررة فى الدين الاسلامى تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القرارات التى يمكن أن تصدر عن مجمع آخر من المجامع التى عرفها التاريخ٠ ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن ارادته المطلقة ، وانما ينبغى أن يكون واضحا فى هذه القرارات ماترتكن اليه من أصول الشريعة الاسلامية ٠ ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خلفية لازمة لشرح قراراته وبيان حق المجمع فى اصدارها٠

وهو من ناحية أخرى وبحكم كونه مجمعا اسلاميا مرتبطا بجبهة عريضة من الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية كان عليه أن يصدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة ، وكان عليه فوق ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضوء ظروفها الخاصة وأن يمتنع عن اصدار القرارات أو التوصيات التى يمكن أن تؤول تأويلا لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خدمة الفكر الاسلامى النقى الخالص ٠

ومن ناحية ثالثة فقد كان عليه أن يقتصد فى اصدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها الى التنفيذ ، وليس هناك حاجة ملحة الى اعلانها ، وأن ينتظر بها الى وقتها المناسب ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام، وليوفر لها — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية٠

والى هذا الحد فقد تبين لنا أن المجمع لم يكن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الاسلامية المتنوعة ولقد كان ذلك ملاحظا فى وظيفته وفى قانون انشائه ٠٠

فقد نصت المـادة الساسة عشرة على ان «يتألف مجمـع البحـوث الاسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام يمثلـون المـذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد عن العشرين من غير مواطنى جمهورية مصر العربية .

واذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء بالمـادة المذكورة لا يسمح بتحقيق التنوع الذى يقتضيه تغطية مختلف البيئات الاسلاميـة على تشعبها وتنوعهـا فى النواحى الثقافية والاقتصاديـة والجغرافيـة والسكانيـة والمذهبيـة ، فانه من المؤكد ان قانـون المجمـع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الاعضاء غير محدود وذلك بتطبيق المـادة السادسة والعشرين التى لم تطبق بعد والتى تنص على أن يختار مؤتمر اعضاء مراسلين من مواطنى جمهـورية مصر العربيـة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم فى تطبيق أغراضـه ، وبذلك تنمـو عضوية المجمع الى الحد الذى يسهل له القيام بمهمته على الافق الواسع للامة الاسلامية .

وفى سبيل تأكيد عالمية المجمـع فان أمامه أن يضع أسلوبا مناسبا للتعاون مع الهيئـات الاسـلامية المماثلة أو الشبيهة به ، من أجـل تحقيق التناسـق والتكـامل بين العاملين فى مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة .

مواقف المجمع وانجازاته الهامة :

لقد وقف مجمع البحوث الاسلامية مواقف بطولية سيذكرها له التاريخ بالفخر والاعتزاز .

الموقف الأول :

موقفه من الاشتراكية المستوردة:

بدأ المجمع نشاطه فى وقت بلغ فيه طغيان مراكز القـوى أقصاه ، وألجمت فيه الأفواه ، وصارت جميع المستويات ألعوبة فى يد الطغيان ، تأتمر بأمره ، وتنتهى بنهيـه ، لم يسلم من ذلك الأفراد ولم تسلم من ذلك المؤسسات .

بدأ المجمع نشاطه فى هذا الوقت الذى التحمت فيه مراكز القـوى

مع الحركة الشيوعية العالمية وتحالف الطرفان على قتل الحركة الاسلامية فى مستوياتها المختلفة .

وطلب الى المجمع فى مؤتمره الثالث أن يصدر توصية بتزكية (الاشتراكية العربية) ..

من الذى كان فى هذا الوقت يقدر على الاحجام عن ذلك ؟

لم يكن أحد بمفرده ليقدر على رفض هذه التوصية ، والا كان يجرى تصفيته لسبب مفتعل ، ويوضع آخر فى موضعه .. يقبل هذه التوصية تحت أى مبرر ، وبخاصة انها جاءت بوصف محبب كان المطلوب هو تزكية الاشتراكية العربية .. لا الاشتراكية مطلقا ..

لكن الذى حدث هو أن المجمع أقدم على رفض هذه التوصية بكل شجاعة وفدائية ، وقاد ذلك شيخ الأزهر آنذاك الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون ـ رحمه الله ـ بمؤازرة وتخطيط من وكيل الأزهر فى ذلك الوقت الدكتور محمد عبد الله ماضى والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية الدكتور محمود حب الله رحمه الله .

ومهما يكن الرأى فى هذا الموقف فان أى قدر من الانصاف يجعلنا نشعر بالفخر لما فيه من شجاعة ، فى وقت كان فيه الطغيان والارهاب والتعذيب أداة الحكم ، وكانت كلمة الاشتراكية بمفهومها المستورد ـ بله الاشتراكية العربية ـ مقدسة ، تتردد على كل لسان ولا يجرؤ على رفضها انسان ..

موقفه من الربا ..

لقد حسم المجمع الرأى فى موضوع الربا بما لايترك مجالا لمستزيد بالرغم مما يقوله البعض الآن فى مناسبات اعلامية متكررة من أن المجمع لم يبت بعد فى الموضوع ، يريدون بذلك تشويه موقفه ونزع صلاحيته القيادية كما يريدون بذلك أيضا تجاهل مقرراته فى هذا الموضوع واهالة تراب النسيان عليها .

لقد حسم المجمع الرأى فى موضوع الربا فى نقطتين كانتا مثارا للمناقشة والبلبلة ومنفذا احتياطيا يريد الراغبون فى الأخذ بنظام الربا فى المجتمع الاسلامى أن ينفذوا منه .

النقطة الأولى :

هل الربا المحرم هو الربا الاستهلاكى فقط ؟ وبناء عليه تجوز الفائدة فى القروض الاستثمارية ، وتنطلق من ثم أجهزة البنوك والشركات والأجهزة الاقتصادية المختلفة الى ممارسة الربا فى مجالاتها ؟

لقد قرر المجمع أن الربا محرم لا فرق فيه بين مايكون عن قرض استهلاكى أو قرض استثمارى ..

النقطة الثانية :

هى :هل الربا المحرم هو مايكون أضعافا مضاعفة فحسب ، وبناء عليه تجوز الفوائد على القروض التى تقوم عليها البنوك والشركات وغيرها ، مالم تصل الى حد مضاعفة رأس المال ، وهى دائما ــ أو غالبا ــ ما تكون غير مضاعفة ، اذ تقتصر على نسبة لا تزيد على العشرين فى المائة اذا أخذنا فى الاعتبار ما وصلت اليه الفائدة فى أوربا الغربية ؟

لقد حسم المجمع الرأى ، وقرر أن الفائدة محرمة وهى ربا ، لافرق فى ذلك بين ما يكون أضعافامضاعفة أو نسبة ضئيلة .

فعل المجمع ذلك مصادما لكل التخطيطات الاقتصادية التى لم تبد استعدادا فى لحظة من اللحظات للتخلى عن التعامل بالربا ..

فعل المجمع ذلك فى وقت كانت فيه هذه المصادمة بطولة تعرض الفرد ــ كما تعرض البيئة ــ للاضطهاد والتشريد والمحاربة فى الرزق والولد ..

وتعجيزا للمجمع وتعطيلا لمقرراته طلب اليه أن يقترح البديل الاسلامى للبنوك الحالية ــ وهو طلب غير مشروع لأنه لا يدخل فى دائرة اختصاصه لأنه من اختصاص علماء الاقتصاد وخبراء المال، أما المجمع فما عليه الا أن يقدم الشروط والمواصفات الاسلامية التى ينبغى مراعاتها عند تأسيس أى نشاط اقتصادى .

ومع ذلك قدم أحد أعضاء المجمع ــ وهو الدكتور محمد عبد الله العربى ــ اقتراحه للمجمع بالبديل

الاسلامى ، وهو يقوم على نظـام المضاربة الاسلامية. وبالرغم من ذلك تجاهلت وسـائل الاعـلام هـذا الاقتراح . وموهت على المجتمع الاسـلامى الموقف ، وأوهمته أن المسـئولية لا تزال فى رقبـة المجمع الذى لم يقـدم البـديل ، ومن المؤسف أن هـذه الأجهـزة التى قـدمت هـذه الصـورة المشوهة عن المجمـع تجـاهلت تمـاما أن هنـاك محاولات قـدمت البديل الاسلامى تقديما عمليا ، ثم أجهضت ، حدث هذا فى بنـوك الادخار بميت غمـر ، تجاهلت الأجهـزة الاعلامية ذلك ، وبدلا من أن تلح فى فتـح ملف هذه البنوك التى اسـتبعدت الربا من معاملاتها والتى أجهضـت لأسباب غير اقتصادية ، ولأسـباب غير معـلومة ... واصلت مؤامرة الصمت هذه وأخذت تتجاهل أخيرا بنك فيصل الاسلامى المصرى الذى قام على استبعاد الربا تلبية لدعـوة صادرة من المجمع طبقا لما جاء فى خطبة افتتاحه .

الموقف الثالث :

موقف المجمع من موضوع التأمين ... درس المجمع هذا الموضـوع من جميع جوانبه ، وأبدى الرأى من زمن طويل فى أنواع التأمينات التى تقوم بها الحكومات والجمعيات التعاونية ، وواصل بعد ذلك دراسته لأنـواع التأمينات التى تقـوم بها الشركات الاستغلالية وفرغ من هذه الدراسـة ، وأجدر بأولئك الذين يجدون فى التشنيع على المجمع ابرازا لتعالمهم وغيرتهم أن يقرءوا التقرير الشامل الذى وضعه فضيلة المرحوم الأستاذ الجليل الشيخ محمد أحمد السنهورى عضـو المجمع ورئيس لجنة البحوث الفقهية عن التأمينات. وقد سجل فى هذا التقرير آراء علماء المسلمين فى التأمين الذى تقـوم به الشركات : على الحيـاة ، أو على الحوادث، وللمتعجل أن يأخذ بالرأى الذى يستريح اليه من بين هذه الآراء ومن بينهـا آراء مستندة الى كل مذهب من المذاهب الأربعـة ، أما لجنة البحوث الفقهية فقد اسـتقر رأيها على أن التـأمين من العقـود المسـتحدثة التى ليس لها نظير فى الفقه الاسلامى . ومن ثم فان ابداء الرأى فيه لا بد أن يبنى على (اجتهاد) يصدر من أهله ، وحسب الشروط

التى يضعها المجمع لذلك ، وتوقفت اللجنة عن ابداء الرأى لسبب شكلى له أهميته البالغة ، ذلك هو أن تحدد أولا الجماعة التى يحق لها أن تصدر رأيا اجتهاديا فى هذا الموضـوع ، ووجدت اللجنة أن المجمع بقاعدته العريضة .. يجب أن تحـدد منه جماعة متخصصه أو يضاف اليها ، ومن هنا كان المـدخل الى ضرورة النظر فى تكوين هذه الجماعة واجراء الدراسة التى تحقق المطلوب .

وفى رأيى أن السـبيل الى ذلك يكون بالاضـافة الى المجمـع لا بالانتقاص منه بأن تنبثق عن المجمع جماعة أكثر تخصصا تسمى (جماعة كبار علماء الشريعة الإسلامية) تكون من بين أعضـاء المجمع ، وتختص باصدار الرأى فى مسـائل الشريعة الاسلامية : فى العقيدة ، والعبادة ، والمعاملات وقد يقتضى ذلك تعديلا فى قانون المجمع .

ويعنينا هنا أن نسجل أن المجمع فى موقفه من موضـوع (التأمين) كان مؤديا لواجبه على الوجه الأكمل غير خاضع فى ذلك لضغط من جهة أو سلطان ، على ما فى هذا الموضوع من مساس خطير بالاقتصاد المعاصر .

الموقف الرابع :

موقف المجمع من شئون الأسرة .

فى الوقت الذى كانت فيه الأجهزة الرسمية وغير الرسـمية تصرخ من زيادة النسـل وأثره فى اظهار فشل الخطة الاقتصادية ، وتلح فى الدعوة الى تقليل النسـل سواء تحت قناع التنظيم أو التحديد وتقف وراء هذه الدعوة أجهـزة عقائدية وتنظيميـة قـادرة على الضـغط والارهـاب والتخويف . قادرة على تجنيد الأفراد والموظفـين والاعلام فى مختـلف القطاعات لخدمة الدعوة التى تدعو اليها ، فى هـذا الوقت بالذات رفع المجمع صـوته عاليا بأن الاسـلام يرغب فى تكثير النسل .

وفى هذا الوقت نفسه كانت تلك الأجهزة تحاول تغيير قانون الأحوال الشخصـية بتحريم تعدد الزوجات أو جعله مقصورا على اذن القاضى وسلب الرجل حقه فى ايقاع الطلاق وجعله متوقفـا على اذن القـاضى

كذلك .. وهنا أيضا أعلن المجمع رأى الاسلام واضحا قويا : أن كلا من الأمرين لا يحتاج الى اذن القاضى .

الموقف الخامس :

موقفه من تقنين الشريعة الاسلامية . فى هذا الوقت كذلك ـ المشحون بقوى الارهاب والتخويف واملاء الرأى الواحد الذى تتبناه الدولة والدعوة الى صنع مجتمع جديد يستلهم الاشتراكية العلمية ، ويرتبط بالاشتراكية الدولية ـ ..

فى ذلك الوقت الذى فتحت فيه المعتقلات للمعارضين ، واستضافت فيه السجون أصحاب الفكر الاسلامى المستقل ـ فى ذلك الوقت بالذات أعلن المجمع رأيه بأن النظام التشريعى الاسلامى له ذاتيته المستقلة ، وأنه لا يصلح أمر المسلمين الا بالرجوع الى الشريعة الاسلامية ، وأكد المجمع ذلك مرارا وبمختلف الصور ، وبدأ فى عملية تقنين الشريعة الاسلامية ـ التى أنجز منها ثمانى مجلدات ـ لتكون مرجعا مبسطا لمن يرغبون فى وضع القانون القائم على الشريعة الاسلامية ، ولم يكن للامام الأكبر فى السنوات الأخيرة محاضرة الا دعا فيها الى تغيير القوانين المعاصرة ، ووضعها من جديد على أساس الشريعة الاسلامية ، وألح فى ذلك ـ وما يزال يلح ـ الحاحا شديدا ، ووضع المسئولية على كاهل المختصين ، وقفل الطريق أمام التهرب من المسئولية ، وقد بدأت هذه الدعوة تتبلور فى اتجاهات محددة فى مجلس الشعب وفى غيره من الأوساط الشعبية والأوساط التنفيذية المسئولة نرجو أن تؤتى ثمرها فى القريب العاجل .

الموقف السادس :

موقف المجمع من الدراسات القرآنية والحديثية :

وضع المجمع النقط على الحروف فى المسائل التى أثارت بلبلة فى هذه الدراسات ، وحسم فيها الأمر وأصبحت لا تثار الا لتقابل برأى المجمع فتهدأ .

حسم المجمع موضوع تلحين القرآن فحكم برفضه رفضا قاطعا .

حسم المجمع موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى فحكم برفضه رفضا قاطعا ..

أكد المجمع ضرورة التوسع فى تحفيظ القرآن الكريم ، ووضع الخطط اللازمة لذلك .

عمل المجمع على تنقية كتب التفسير والحديث من الاسرائيليات واختار الطريق الميسور لذلك بأن أصدر كتابين لبيان هذه الاسرائيليات والتحذير منها،وأصدر تفسيرا حديثا خاليا منها ، ولم يجد من الميسور تتبع كتب التفسير القديمةفىالأسواق لاستبعادها واعادة طبعها خالية من هذه الاسرائيليات .

أما عن الحديث : فقد رأى المجمع الحاجة ملحة الى وضع موسوعة حديثة بين أيدى العلماء والباحثين تضم أغلب الاحاديث المروية لتبين الصحيح منها والحسن والضعيف ؛ ووقع الاختيار على كتاب جمع الجوامع للامام السيوطى لوفائه — تقريبا — بالغرض .

كما وضع بحوثا وافية لبيان الأحاديث المشكلة ، التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، لتحقيقها وشرحها، وبيان الحق فى موضوعها ..

الموقف السابع :

موقف المجمع من التنظيم الاجتماعى بصفة عامة ..

فى هذا الشأن يمكننى أن أقول واثقا ان مجموع الدراسات والقرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع حتى الآن قد شملت جميع النواحى الاجتماعية : علمية واعلامية ، وتربوية ، واقتصادية ، وسياسية ، وعقائدية ، وحضارية .. الخ .

بل يمكننى ان أقول واثقا ان مجموع القرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع فى هذه الشئون تمثل استراتيجية متكاملة لكل من يريد أن يعمل فى مجال التنظيم الاجتماعى للمسلمين...

الموقف الثامن :

موقف المجمع من الاقليات الاسلامية والأكثريات المضطهدة ..

ان المجمع لم يدخر وسعا فى هذا الشأن ..

ومـاذا فى وسعه الا أن يدرس المشكلة ـ ويصل الى الرأى ويصدر البيان ويحرض على أداء الواجب ؟

لقـد فعل المجمع ذلـك فى كل المشكلات التى تعرض لها المسلمون أغلبية كانوا أو أكثرية وتابع المواقف وأكدها وألح عليها ٠فعل ذلك بالنسبة لمشكلات المسلمين : فى قبرص ، وفى الفلبين وفى اريتريا ، وفى تونس وفى لبنـان ، وفى المغرب والجزائر وفى الدول الشيوعية و ٠٠٠ الخ ٠

وكان لابد من التركيز على قضية رئيسية تكون لها الأولوية ويحصل منها الانبعاث، وتختبر عندها القوى، وحصـل التركيز على قضية المسجد الأقصى والأرض العربية المحتلة٠وهى قضية اسلامية بالدرجة الأولى بالرغم من أى تفسير ضيق قد يقدمها فى اطار الصراع مع الامبريالية ، أو فى اطار الدفاع عن القومية ٠ فهى قضـية اسلامية بالدرجة الأولى ، ويكون الانتصار فيها ــ مقـدمة للانتصار فى القضـايا الاسلامية الأخرى ــ كما يكون التراجع فيها للتراجع فى القضـايا الأخـرى ٠ وقـد أثبتت الاحداث صـدق نظـرة المجمـع فى هـذا الموضـــوع حيث أعقب الهزيمة فى ١٩٦٧ اجتياح للأقليات الاســلامية فى الفلبين وتايلانـد ، وغيرهما من بلاد الأقليات الاسلامية٠ فماذا يفعل المجمع أو تفعل القيادات الاسلامية فى الأزهر غير ذلك ؟

ان العجيب ان بعض الناس يتصور ان مجمع البحوث الاسلامية وجـد لينوب عنهم فى اداء ما يجب عليهم اسلاميا ٠٠ كأنه الكاهن ينوب عن اتباعه فى الصلاة ٠

كأنهم يريدون من المجمع ان ينوب عنهم فى الحـرب اذا كان الواجب الحرب ، وينوب عنهم فى الاتفـاق اذا كان الواجب الاتفاق ، وينـوب عنهم فى الاعتقال اذا كان المصير الى الاعتقال، وينوب عنهم فى الاتصالات الدولية اذا كان الواجب نوعا من السياسة ! !

وهكذا ٠٠٠

ورجـوعا الى المجمع ــ أو الى الأزهر ــ ماذا يمكنه أن يفعـل فى هذا المجال أكثر مما قلناه ؟

هل وجدوا المجمع أو الأزهـر مقصرا فى شىء من ذلك على ما لديه من امكانيات ضئيلة لايدخر وسعا فى سبيل دعمها والنهوض بها ؟

واذا كـان هنـاك من يرى ان للمجمع سلبيات فان من المؤكد أن سلبيته كانت من نقص فى امكاناته :

١ ـ ان المجمع منذ انشائه حتى الآن لا يجد المكان لموظفيه أوأعضائه أو لجانه ، أو مجلسه أو مكتبته .

٢ ـ ان المجمع لايتسيرله الحصول علي الكفاءات اللازمة من الموظفين فهو يأخذ موظفيه من القوى العاملة أو ممن يقبـل أن ينتـدب اليه من مدرسى المعـاهد الأزهرية ومن فى حكمهم ..

هذا فى حين أنه يلزمه كادر خاص يجذب اليه الكفاءات العلمية الممتازة، أسوة بمراكز البحوث التى تعمـل فى مثل مهمته ..

٣ ـ وان أعضاء المجمع لا يتقاضى أحدهم من المجمع غير مكافأة رمزية لاتتجـاوز مرتب معيـد بكلية فهى لاتغنيه عن ممارسة نشاطه فى جهات عديدة غير المجمع .

٤ ـ انَ المجمع لم يجد حماية ـ فى فتـرة كبيرة من حيـاته ـ مـن الجهات التى تتحيف من اختصاصه.

وهذا الانتقـاص من المجمع لم يحدث له نتيجة ضعف فيه .. أو قصور عن السعى وراء حقه المشروع وانما كان ثمنا دفعه نتيجة مواقفه وكفاحه ومقاومته للضغوط الموجهة اليه من مراكز القوى والطغيان .

وعلى سبيل المثـال : لقد كانت القصـور المصـادرة توزع يمينًا ويسـارا على الأجهـزة الرسـمية والشعبية وغيرها ومنها ما هو أقل أهمية من المجمع ، والمجمع ينظر الى الى ذلك كله فى حسرة ولا يستجاب له..

والدليـل على ذلك أنه فى عهد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات بدأت تنفرج أزمة المجمع . وهـو تشيد له الآن بناية ضخمة مناسـبة ينتظر أن يفرغ منها فى العام القادم على أكثر تقـدير .

اننا بالرغم من هذه السلبيات .. نجد الأعمال الايجابية التى سردناها مفخرة حقيقية للمجمع والأزهـر .. وعلماء الاسلام .. حيث حصنت الفكـر الاسـلامى من الاعتـداء

والتشوبه فى عصر من أشد عصور الطغيان التى مرت بها مصر •• ومر بها المسلمون ••

انها بالقياس الى ما كان يجرى من اضطهاد عقائدى موجه للفكر الاسلامى المعارض •• تعتبر من أعمال البطولة الخالدة ••

وأخيرا فان الأمانى الضخمة المعقودة على مجمع البحوث الاسلامية والتى تماثل فى حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيام الدولة الاسلامية الحديثة لا ينبغى أن تتحول فى نقلها الى صخرة شاهقة تقصم بها ظهر الكيان الوليد ، ولا أن تتحول فى حراراتها الى لهب • • وانما ينبغى أن تكون الزاد والضوء تخطو به الى العمل ، وتنير به الأمل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسئولية التى يتصدى لها المجمع أن يدركوا أنه لم يسبق لجماعة علمية فى التاريخ الاسلامى ان تعرضت لمثل ظروفه ومسئوليته ، فقد كانت تلك الجماعات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والايمان ، أما مجمعنا فانه لتدمى اقدامه لبعد الشقة بين تلك الأطراف جميعا،وأنه ليستحق منا ان نحو طه بكل الرعاية، والمحبة ، والاخلاص ، وان ننتصر له بتثبيت اقدامه على طريق الله •

والله الموفق •

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠١٨٦/١٩٧٧س—٩٥٠٠

(*Cont.*)

No.	State	Name of the Delegate
19	Malaysia	Prof. Mohammed Omri,
		Dr. Abdul Jaleel Hassan.
20	Libya	Sheikh Mahmoud Subhi.
		Sheikh Ahmed El-Taher El-Zawi.
21	Morocco	Sheikh Abdullah Kanon.
22	Mauritania	Mr. Abdullah Wold Abeih.
23	Nigeria	El-Haj Abu Bakr Gomi.
24	India	Moulana Abul Hassan Nadwi,
		Moulana Asaad Madani,
		Mr. Kaka Omar.
25	Yugoslavia	Mr. Hassan Jozo.
26	Japan	Mr. Abdul Kareem Sando.
		Moulana Abul Aala Moududi,
27	Pakistan	Moulana Mufti Mahmoud.
28	England	Sheikh Abu Bakr Sirajuddeen.
29	Camroon Islands	Mr. Omar Abdullah.
30	Turkey	Dr. Najmuddin Arbkan.
31	Jordan	Sheikh Abdul Hameed El-Saih.

The Delegates Invited to the 8th Conference of the Islamic Research Academy (October 1977)

No.	State	Name of the Delegate
1	U.A.E.	Mr. Mohammad Abdul Rahman Bakr.
		Mr. Abdullah Bin El-Mahsoud.
2	Indonesia	Dr. Mohammad Nasser.
3	Uganda	Sheikh Abdul Razek Ahmed Mtuto.
4	Chad	Imam Moosa Ibrahim.
5	Togo	Mr. Idrees Tagori.
6	Tunisia	Prof. Mohammed El-Habeeb Shazly.
7	Algeria	Mr. Moulood Kassem.
8	Russia	Sheikh Diauddin Baba Khanov.
9	Senegal	Sheikh Abdul Aziz See.
10	Sudan	Sheikh Ali Abdul Rahman Amin,
		Dr. Kamel El-Baker,
		Sheikh Mohammad El-Gazooli.
11	Syria	Mr. Abdul Sattar El-Syed.
12	Ceylon	Dr. Owais Ahmed.
13	Sierra Leone	The Ambassador Gabreel Seesi.
14	Somalia	Sheikh Hassan Abdullah Fareh.
15	Cyprus	Dr. Rifaat Mostafa Rifat.
16	Kuwait	Sheikh Yousef El-Haggee.
17	Kenya	Sheikh Abdullah Saleh El-Farsi.
18	Lebenon	Sheikh Hassan Khalid,
		Mr. Wafeek El-Kassar.
		Imam Mousa EL-Sadr,
		Sheikh Nadeem El-Jisr.

take the necessary steps for hastening its establishment.

4—The Conference of foreign affairs ministers of Muslim countries is requested to establish an intermational Islamic organisation, authorized to collect the (Zakat) portions that are legally due from the metal and mineral wealth, ore, oil, etc. of each country. The funnds would be used in subsidizing agricultural and industrial plans of development in poor Islamic countries.

These projects are to be implemented through loans free of interest or by divising any other economic system comfortable to the tenets of Islam. In this way is realized the principle of social interdependance which is enjoined by Islam not only between individuals, but also among all Muslim communities considered as an integrated whole.

5—The Coference recommended that the Islamic research Academy would pursus studying what had been under disscussion, as regards "investment certificates", and money deposited in saving banks. With the completion of that study, the Academy is requested to announce to the Islamic World its final viewpoint.

As Regards Muslim Communities living in non-Muslim Countries, the Conference recommended that the Islamic Research Academy would form a standing committee to be in charge of the affairs Muslims in non-Muslim countries. It can be aided in theis task by enyone helpful in this respect, whether from amongest the members of the Academy or not.

Foremost to be dealt with by this committee should be the affairs of Muslims in the Philippines, Cyprus, Bulgaria, Zanzibar, and Eritrea.

The Conference recommended that the Islamic Research Academy would provide Muslims, in need of Certain educational and Cultural services, with publications, teachers, preachers, and other means that promote Islamic cultural revival, dissemainate the knowledge of Arabic, and intensify Islamic consciouseness.

(9) The duty of the Muslims towards the Problems of Zionist occupation.

(10) The duty of the Muslims towards Jerusalem.

(11) Israel is the stanchion of Imperialism in the Muslim world.

(12) Features of the Ideal Society in Islam.

President Anwar Sadat met with the delegations of the Seventh confernce of the Islamic Research Academy, on September 14, 1972. The president welcomed the members of the delegations in the name of the Egyptian people and in the name of Al-Azhar. He said :

"You know that Egypt and Al-Azhar has stood for along the past centuries, and still stand for today. The message is still the same and the people are still the same, and the trust they bear is also the same. We cannot tolerate backwardness while we are facing the treachery of Zionism and the evils of imperialism. For this reason I appealed for the creation of the state of Science and Faith. Science alone, wioth out Faith is not enough".

On Economics, The Conference declared :

1—That Muslim ecoomy is characterized by certain traits rendering it quite unlike other economic doctrines, since it is based on general rules explicitly stated in the Holy Quran and the prophetic Sunna, and meant to secure for man self resfect and social justic. He is told to strife in lief; to do his bodily and mental work; and his earnings there from are to be gauranteed.

No limits are set as to his freedom in striving, gain, or initiative, save compliance with the injunctions of the Shariah and what is required for the safeguarding of public interests.

Yet it is to be remarked that great allowance is made for every country to work out from these firm and basic principles whatever economic systems and applications she might find to be most adaptable to its needs and spelcific circumstances.

2—The Conference recommended that the universities and institutes of Muslim coutries would take the necessary measures to establlish chairs for giving courses in Muslim economy and economic systems that can be derived therefrom, as required by the environmental circumstances of every country.

These studies are meant to make our economists well-versed in that sort of economy which is closely linked with the teachings of the Islamic faith. Thus, they would be able to rectify their outlook and to liberate their countries from the impact of foreign economic doctrines.

3—The Conference recommended that those in charge of the international Islamic Bank project

(*c*) Imam Mousa Sadr (Lebenon).

(*d*) Dr. Abdullah Kannon (Morocco).

6 — Martyrs in Islam (4 papers) :

(*a*) Sheikh Hassan Khalid (Mufti of Lebenon).

(*b*) General Abdul Rahman (A.R.E.).

(*c*) Sheikh Kassim Galib (Yemen).

(*d*) Sheikh Abdul Sattar Said Syria.

7 — Towards an Islamic Economy-by Mr. Ibrahim El Tahawi. (A.R.E.

8 — Psychological warfare-by General Mohamed Sheeth Khatab (Iraq).

9 — Islamic Unity-by Sheikh Abuzahra (A.R.E.).

10 — The relation between individual and society in the view point of Islam-by Dr. Mohd. El-Bahai. (A.R.E.).

11 — Interpretation of the Holy Quran-by Dr. Jafer Shaheed (Iran).

12 — Quranic Commentary in the modern Age,-by Sheikh Mustafa Tair (A.R.E.).

13 — Islamic State is a Human State-by Maulana Asad Madani (India).

The 7th conference of the Academy opened in Cairo on September 9, 1972. It was attended by 70 distinguished scholars representing 36 countries from different parts of the world. The agenda of the conference included, mainly the researches dealing with the subjects of social and economic nature. The conference considered the problems connected with banking, investment, insurance and social solidarity in Islam. It discussed a number of researches on Islamic unity and the impact of Islamic thought on other contemporary thoughts. The conference also discussed papers on Jerusalem and other sanctuaries.

Among the researches considered by the conference are :

(1) The importance of Islamic Economy.

(2) Social Solidarity in Islam.

(3) Islam and the Unity of the Arabs.

(4) The role of Imperialism intearing the Islamic unity.

(5) Freedoms and Rights in Islam.

(6) The impact of Islamic thought on contemporary European thought.

(7) The Miraculous Character of the Quran and Development of its Miraclous Aspects with the Development of culture.

(8) Islam and its solution to the Problems of contemporary society.

Zionist designs to liquidate the Palestine question. Dr. Abdul Haleem Mahmud, then Secretary General of the Islamic Research Aceademy, explained the tasks and efforts of the Academy. Reviewing the Academy's role he summed up its mission in the dissemination of Knowledge to preserve the entity of Islam and the Muslim Community.

Dr. Abdul Aziz Kamel , then Minister of wafks and Al-Azhar Affairs, delivered a speech at the inaugural session. He welcomed the guest delegates and the members of the Academy and, wished them success in their tasks. The minister pointed out in his speech : "International Zionism had occupied land which is the property of the Arabs and Muslims, killed innocent people with bombs and rockets supplied by imperialist forces, pulled down their houses, rendered the people homeless and burnt the house of God in Jerusalem".

The general session of this Conference remained for five days. during which the members of the Academy and the guest-delegates discussed ten major research papers presented by distinguished Scholars. Those papers dealt mainly with Israel's expansionist objectives, racial discrimination, commando action and their Jihad for restoring the rights of the people of Palestine.

The sixth conference was held on Saturday, March 27, 1971 and ended (the first stage) on April, 1971. The inaugural session of the conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate. A large number of University professors, Arab and foreign diplomats were present.

About 120 delegates, representing 35 countries attemded the conference.

The various sessions of the conference discussed the following research papers presented by members of the Academy and delegates. The foremost among them are :

1 — Responsibility in Islam-by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad El-Fahham.

2 — Israeli aggression on Religious places-by Sheikh Abdul Hamaeed Said (Jordan).

3 — Tribulation of Human Rights in Israel-by Prof. Wafik el-Kassar (Lebenon).

4 — The Story of Israelites before Islam-by Prof. Bahai el-Kholy. (A.R.E.).

5 — Care of Islam to Human Values (4 papers presented in the same topic) by :

(*a*) Sheikh Abdullah Ghosha (Jordan).

(*b*) Dr. Abdul Hameed Hassan (A.R.E.).

"The Position of of Jerusalem" by Dr. Ishaq Mousa Al-Husaini. "International Zionism" by Prof. Wafiq Al-Kassar, Lebenon.

"Jews in Quran" by Sheikh Abdussattar Al-Sayed, Syria.

"Zionist activities in East Africa" by Prof. Ibrahim Haji Mahmoud, Somalia.

"The attitude of the Jews towards Islam and Muslims, in the early times" by Moulana Assad Madani, India.

"Jews in Medieval Ages" by Dr. Saeed Abdul Fatah Ashur. "The attitude of the Jews towards Islam and Muslims" by Mohammad Tahir Yahya, Indonesia.

"The battle of destiny with Israel, in the light of Quran and hadith" by Nadim Al-Jisr, Lebenon.

"The will of fighting in Jihad" by Mahmoud Sheet Khatab, Iraq.

"Jihad in Islam" by Abdul Latif Subki, Egypt.

The papers prepared for the second stage included :

"The personality of the Muslim" by Dr. Abdul Haleem Mahmoud.

"Anniversary of the revelation of the Quran and verification of its date" By Sheikh Abdullah Knnoun.

"The Quran and the Society" by Dr. Ibrahim Labban.

"Origin of Juristic 'jitihad' and its phases of development" by Sheikh Muhammad Ali Al-Sayes.

"The collection, recording and completion of the Quran" by Sheikh Ali Al-Khafif.

The inaugural session of the fifth conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate no saturday 28*th* February 1970 (22*nd* Dhulhijjah, 1389 A.H.). It was attended by more than 100 Muslim Scholars representing 36 countries in Asia, Africa and Europe. The inaugural session was presided by Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Faham. Arab League Secretary General, heads of Diplomatic missions, a large number of University Scholars and representatives of Educational and Cultural Organizations were present. The Grand Sheikh, in his opening address said that the Muslim world expected a word from conference which will invigorate its hopes and liberate its lands. Paying warm tribute to the role of Palestinian resistance, the Grand Sheikh hailed 'the soldiers of God' in the firing line.

Sheikh Abdul Hameed Sayieh,a former Jordanion minister, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He said that the Scholars have to face the enemy's plans with both scientific studies and military preparations, and counter imperialist-

on point to the great interest of the scholars in problems that face the Muslim Society in the world, also they give us a true picture of these problems. Some of the important papers read in the second conference are : "Insurance in Islam", "Capital Investment in Islam", "The zakat", "Contemporary Bank Transactions and Islam's view threon", "Charity in Islam", "Our cultures youth and religiousness" and "Palestine and Israel".

The third conference of the Islamic Research Academy was held in Cairo in October 1966, under the auspices of the glorious Al-Azhar and the guidance of the great Muslim Scholars of the world. This was a continuation of the previous two conferences held in 1964 and 1965.

The fourth Conference of the Islamic Research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday 28*th* September 1968 (6*th* Rajab, 1388 A. H.). A large number of Muslim scholars representting 33 countries in Asia, Africa and Europe, and members of several organisations, and foreign diplomats were present.

The conference discussed many papers prepared by members of the Academy and the guest-scholars. The papers that the scholars read in many sessions of the first stage, and the discussions that they carried on point to the matters related to Palestine question and the Arab refugee problem alongwith the attitude of Jews towards Islam and Muslims in early times, and the stand of Zionism on Islamic world at present. The second stage disused research papers on the history of revelation of the Quran and the development of Islamic Jurisprudence through centuries, etc.

Some of the important papers that were read and discussed in the first stage of this conference are :

The position of Jerusalem in Islam" by Sheikh Abdul Hameed EL-Sayed, Minister of wafks, Jordan

"Zionism and Palestine" by Dr. Sayed Nofal Assistant Secretary-General, Arab League.

"The place of Jerusalem in Islam" by Prof.Abdul Hameed Hassan. Member of the Academy.

"Jihad is the way of victory,, by Sheikh Abdullah Ghushah, Chief Justice of Jordon.

"Jihad in the cause of Allah" bv Sheikh Hassan Khalid Mufti of Lebenon.

"Israeli Legends in 'Tafsir' and 'Hadith' (Commentaries of the Quran and Traditions of the Prophet) by Dr. Mahmoud Unus, Indonesia

"Jewish agression on Medina" by Dr. Abdul Aziz Kamil.

The third point, the glorious Al-Azhar was always calling people to despise fanaticisms of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle around the helping of principles regardless of destinies of races and colours. Al-Azhar has done to all people various services and taken out many people from darkness to light and led them to the path of goodness, it has also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere".

The first conference of this Academy was held on Shawwal 22, 1383 (March 1964) in Cario, capital of Egypt and the seat of Al-Azhar. It was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international character be held to realise the spiration of sincere Muslims for the establishment of intellelctual and cultural contact among the Muslim scholars from all over the world. It was a dream which came true. This conference has given them a forum to meet and an opportunity to share each other's views,

The first conference of the Academy in a statement, announced : "The conference resolves that the present condition of Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence and the planning necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter a of utmost importance demanded by contemporary Muslim life."

The second conference of the Islamic research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Thursday May 13, 19?5. The inaugural session was attended by a large number of cabinet ministers, ambassadors, rectors, deans and professors of universities and representatives of Islamic centres and societies from 40 countries all over the world. Both these conferences connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them an opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world.

The papers that scholars read in the many sessions of the Conference and the discussion that they carried

Secondly, Al-Azhar had always remained an international seat of learning. It has welcomed in the past, as it does now, students from all parts of the world irrespective of race, colour, language. These students drawn from different countries and speaking different languages have always met in harmony and unity, studying, discussing, and agruing, in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

As Al-Azhar, since it was founded ten centuries ago, has kept the torch of Islamic faith and sciences burning, it has been working hard to create hopes and to kindle courage in the hearts of Muslim scholars, as it has been trying to connect the bonds of Muslim society that were broken, and to awaken the humanity to a new life of amity and solidarity.

The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the message of Islam.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness. It has, by this Faith, paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summed up as: that this universe has one God, Who has no partner, and His will in reforming, in making people happy and in elevating, is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, may God's peace be showered upon him, who is the essence of all prophets and messengers.

The Second point can be summed up in the following : Al-Azhar, in communicating the message of the apostle, may peace be upon him, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers.

A great number of forces has gathered round it (Al-Azhar) everywhere, carrying the banner of real freedom which assumes that slavery to any one except God is an unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by virtue. In this way , Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields in the far and near world sphere.

help strengthen the unity of Islam and to bring out the academic character which has distinguished Al-Azhar, all Muslim countries and all schools of Islamic thought are represented in the Academy. This is also to ensure that the views expressed and the resolutions adopted by the Academy may suit the different localities and the varying societies in the Muslim World.

It was in the fitness of things that AI-Azhar should take up this task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought. For Al-Azhar is "the first house that was built for knowledge", and since it was founded ten centuries ago it has kept the torch of Islamic sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance.

Islam is not a religion in the sense in which it is used to denote Christianity, Judaism, Buddhism, etc, but it is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Since its inception, thirteen hundred year ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. Great doctors of law known as mujtahids' have flourished in the past and with their profound Know ledge of the sources of legislation in Islam, viz. the Quran, the hadith, the qiyas and the ijma they have interpreted Islam in the light of the changing patterns of life in every age.

But unfortunately during the past few centuries of Muslim downfall, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars - all this conspired to put an end to ijtihad. This and the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and techonology that commenced from the dawn of this century, created a hiatus betwelen Islam and the the modern life. Those that clung to the old ways of life were denied acquaintance with modern thought, and on the other hand those that were brought up in the new tradition were totally ignorant of Islâm and its glorious heritage. The need to bring about a harmony between Islam and the modern life was never greater than it is now. It was Al-Azhar that came forward to do this.

The fact that this great and glorious university was first housed in the mosque and remained so far many centuries is a positive proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

SHAWWAL 1397	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1977

THE ISLAMIC RESEARCH ACADEMY OF AL AZHAR

Its objectives and programmes

By

Dr. A. M. Mohiaddin Alwaye

The Islamic Research Academy of Al-Azhar has decided to hold its 8th international conference in Cairo in October 1977. This is a continuation of its previous 7 conferences. It is, therefore, useful to have a glance at the objectives and programmes of this Academy, in order to understand its functioning as the highest body for Islamic research.

In 1961, under the auspices of Al-Azhar was established an Academy of Islamic Research to serve as the highest body for Islamic research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and work on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong.

The Academy is an international body and comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage. To